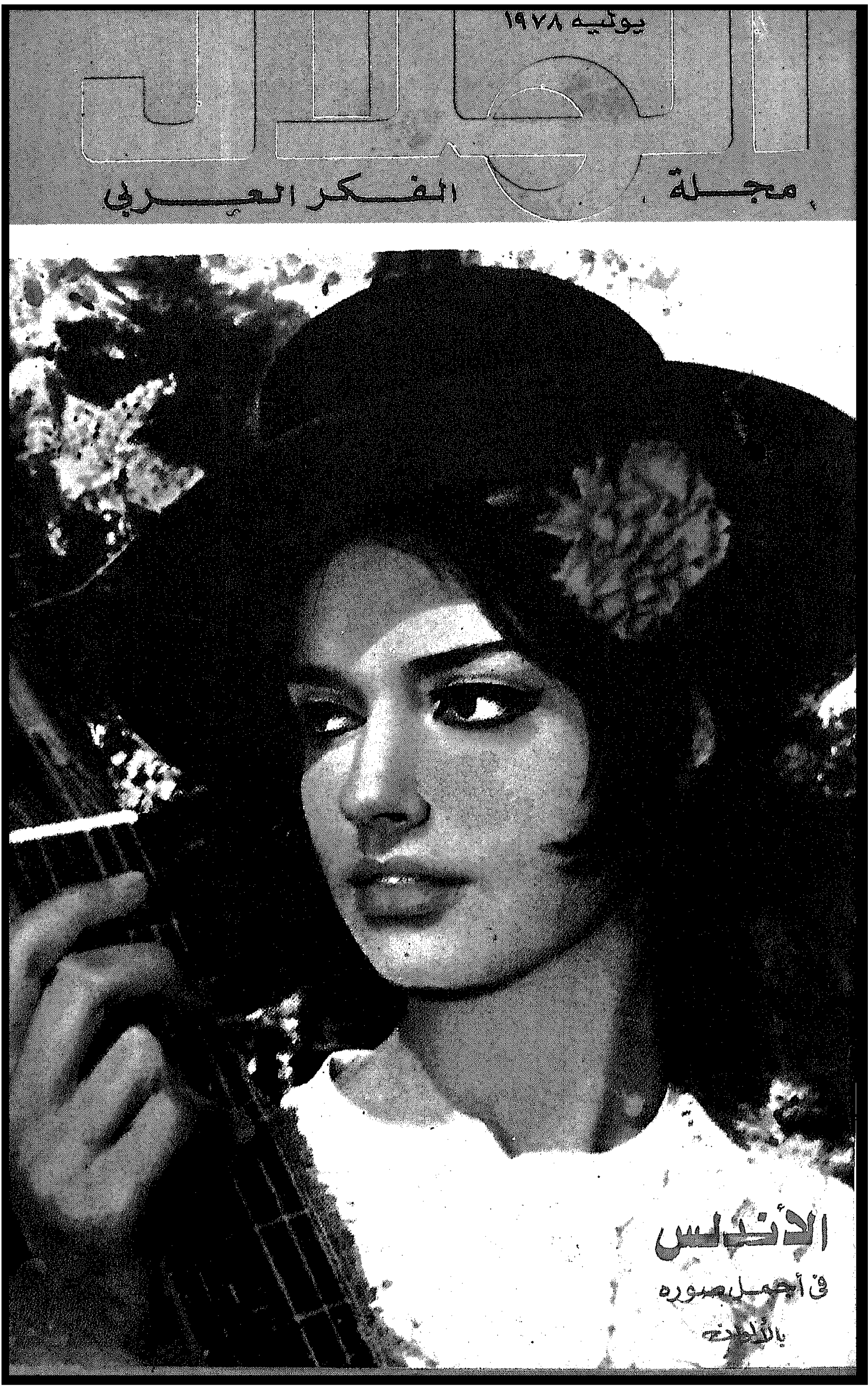
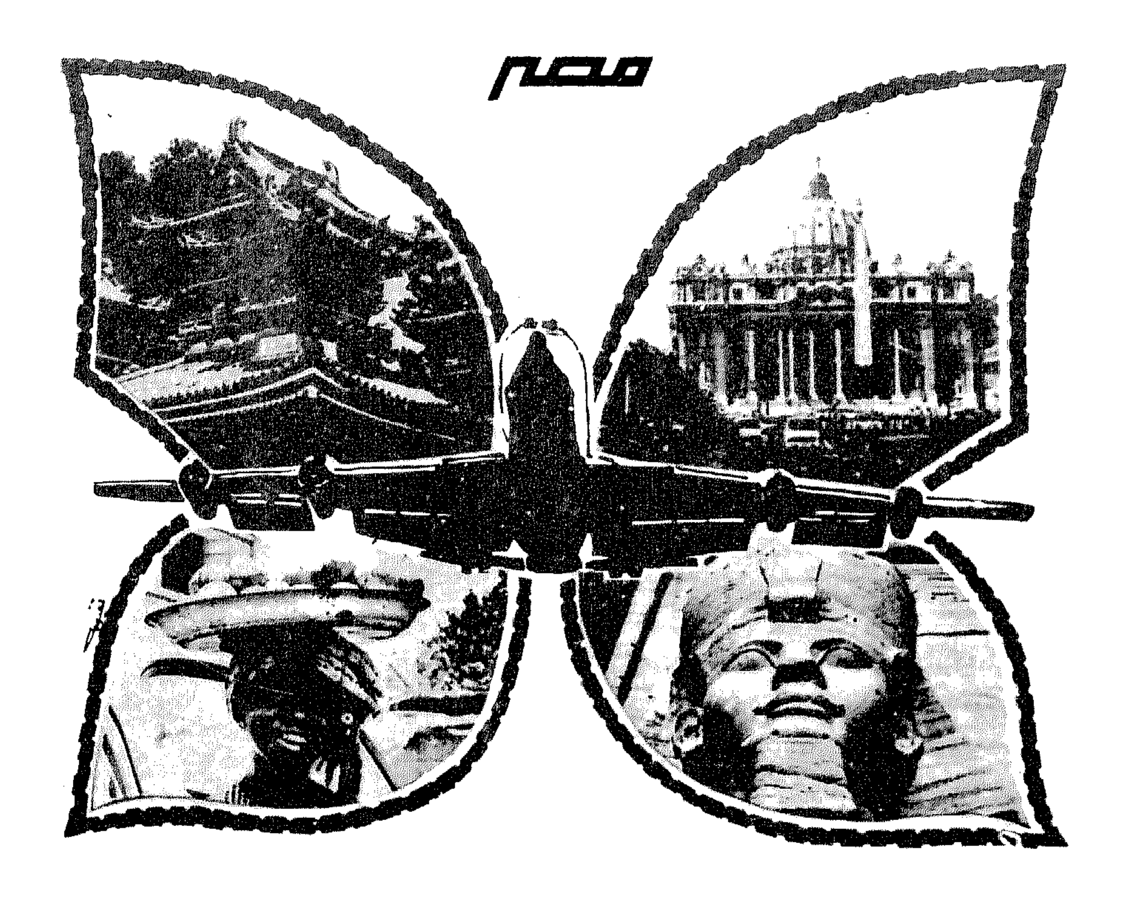

يونيه ١٩٧٨
مجلة
الفكر العربي
الأندلس
في أجمل صوره
بالألوان

فى عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفى عمر شركات الطيران قليلاً ما تجد هذا الرقم

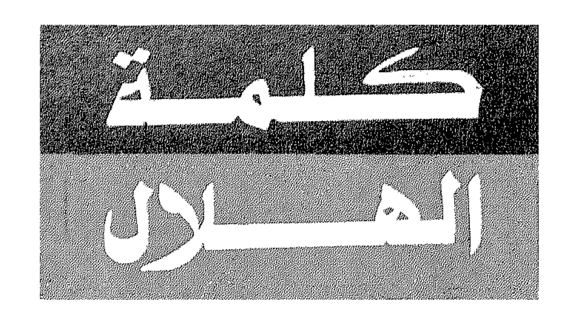
٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - أسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوى



السعادة ولقمة العيش

خلال هذا الشهر - يوليو - ستكون حمى الامتحانات قد هبطت . ستكون كل النتائج قد أعلنت . الوف بعد الوف من التلاميذ والطلاب فى زحف رهيب نحو المستقبل ..
ألوف بعد ألوف ستكون قد تخرجت فى الجامعات . كل واحد منها يطلب وظيفة ، وسيحصل على الوظيفة ان لم يكن اليوم فغدا ..

ثم ماذا ؟

ثم يكون السير الطويل الرتيب فى طريق الحياة المتعب لكسب لقمة العيش اولا ثم للحصول على مسكن واقتناء اسرة بعد ذلك .. معركة ضخمة يشنها جيل كامل ليحتل مكانه تحت الشمس او فى الظل ، فى اى مكان ..

ولكن هل هذا هو المستقبل الذى يحلمون به ؟ ..

لا نظن ! ..

لان الذى تعلموه يخلو من الثقافة ، يخلو من الفن . يخلو من تلك اللمسة الانسانية التى يشعر معها الانسان انه انسان ، وليس مجرد نملة فى جيش من النمل زاحف فى خلية القوت .

رأينا ان الشهادة وحدها ليست حلا لمشكلة المستقبل لجيل هذا العام وجيل العام الذى يليه ، والذى يليه ..

الذى يحتاج اليه الشباب هو الثقافة ، اتساع الافق ، معرفة الدنيا ، لادراك حقيقة معركة الحياة . . .

فهل مادرسه خلال نحو ١٨ سنة هى سنوات التعليم حتى التخرج فى الجامعة يقدم له ذلك ...

لا نظن ...

انما تقدمه له القراءة والاطلاع والتجربة ومعرفة حقائق العصر

وفى رأينا ان قراءة عدد من « الهلال » مثلا قد يفيد الشباب فى معركته اكثر من النجاح فى مادة من العشرات التى درس ...

ما رأيك ؟ ..

المحرر

فى هلال هذا الشهر

موضوعات عامة

استطلاعات بالالوان

علوم

أدب عربى

كاتب وكتاب

المرأة

كاريكاتير

مرآة الفكر الغربى



رجب ١٣٩٨ هـ
يوليـة ١٩٧٨ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السادسة والثمانون -
أول يولية ١٩٧٨ - ٢٥ من رجب
١٣٩٨

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفنى : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

استفد من تجاربى

طب

متنوعات

شعر

الغلاف الأول

الاندلس جميل واجمل مافيه اهله وأجمل اهله نساؤه ، وهذه الفتاة التى تطالعك على غلاف الهلال اندلسية معاصرة من قرطبة .. انها حفيدة اندلسية عربية بشعرها الاسود وبالقرنفلة فى شعرها ، وهذا السحر فى عينيها ..

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا • فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ر٥ جك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال • فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية •. فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى• وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب ..
ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما.
الادارة : دار الهلال ــ ١٦ شارع محمد عز العرب ــ القاهرة ..
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

من هم أعداء الحرية

ولماذا يعادونها وهى أساس كل تقدم ونهوض؟

بقلم: رئيس التحرير

● من عجب أننا عندما وصلنا إلى الاستقلال وزال عنا الطغاة وأتيحت لنا الحرية ، مضى بعضنا يتعلل عليها ويرفضها كأنها شرّ يضرّ بالأوطان

● هل كان القضاء على البرامكة دون محاكمة ودون حكم قضاء عدلاً .. ألم يحصّن الإسلام النفس والمال؟

● عجيب أن الشورى وهى أوفق نظام للحكم عرفه الإنسان ، تجد من يكرهها ويعاديها ويحاول القضاء عليها

● عندما سكتنا عن إهدار دم مسلم واحد ، أهدرت دماؤنا جميعاً

● النعمة الوحيدة التى لم ينعم بها العربى فى تاريخه الى عصر قريب هى نعمة الحرية

لقد عرف نعيم الدنيا كله فى فترات طويلة من تاريخه : استمتع بكل أطايب العيش ، وعرف هدوء البال ورخاء الحياة .

ولكنه على طول تاريخه كله حرم نعمة الحرية

دائما كان هناك فوق رأسه طغاة أجانب ظالمون يضيقون عليه ويأخذون عليه منافس الحياة ، حتى اعتاد العيش فى قفص كأنه طير حبيس ..

والحرية هى نعمة الحياة الكبرى

لا سعادة بدونها ، لا نعيم بدونها .. لا كرامة بدونها .

فمن عجب اننا عندما وصلنا الى الاستقلال وزال عنا الطغاة واتيحت لنا الحرية مضى بعضنا يتعلل عليها كانها شر يضر بالاوطان ومصالح الاوطان ..

ومن عجب ان بعضنا يبلغ به البعد عن الادراك ان يختار الشيوعية والنظام الشيوعى سبيلا ، ويمضى يبشر بهما ، ويضع نفسه فى خدمة أصحابهما فى روسيا وغير روسيا وهو يرى ما يعانيه الروس ، وكل من أراد لهم الحظ السيىء ان يخضعوا لنظام شيوعى من حرمان من الحريات وكتم للانفاس .

ومن عجب أيضا ان الشورى وهى أوفق نظام للحكم عرفه الانسان تجد من يكرهها ويعاديها ويحاول القضاء عليها ، أو يحاول تسخيرها لصالحه .

وهؤلاء جميعا ـ أعداء الحرية وأعداء الشورى أو الديمقراطية ـ ينسون أو يجهلون ان العربى بطبعه انسان حر ، وانك اذا حرمته حريته فسد طبعه وتغير مزاجه ولم يعد عربيا ، وأن الاسلام شورى ، وانه يدعو لحرية الرأى والفكر والقول ، وأن كل مصائبنا فى الماضى اتت من اننا ابتلينا من نهاية عصر الراشدين بمن حرمونا حريتنا وألغوا الشورى واستبدوا بالامور من دوننا ، فلا هم سعدوا باستبدادهم ، ولا نحن سعدنا بالعيش معهم ، ولقد كان بنو أمية الخلفاء من أتعس خلق الله ، فعاشوا فى خوف دائم من القتل والاغتيال ، وكانت

● هل تصدق أنه كانت فى سجن أحمد بن طولون ١٥,٠٠٠ مظلوم يعيشون تحت الأرض ؟

● هل نسينا أيام الملوك والأحزاب الباغية والفساد الشامل والظلم بغير حدود..

قصورهم سجونا لهم ..

وكنا نحن معهم فى شقاء : ما قال انسان منا كلمة حق الا سبق السيف الى رقبته حتى ماتت كلمات الحرية على شفاه الناس ، وتخضبت الأرض بدماء شهداء الحرية ، أو المخالفين فى الرأى لأولى الامر فى كل بلاد العروبة والاسلام .

وأسلمنا الجلاد الأموى للطاغية العباسى ، واقرأ والله سيرة أبى العباس السفاح وأخيه ابى جعفر المنصور . وانظر ماذا جرى للناس على أيديهما وأيدى أعمامهما ..

فهل تظن ان أبا العباس السفاح أو أبا جعفر المنصور سعدا بالحياة ؟ لقد خرج المنصور مرة دون حرس لكى يودع الاغلب بن سالم بن عقال عندما أقامه واليا على افريقية ، فاذا هو فى الطريق تنبه الى أنه يسير دون حرس فملكه الرعب وولى مسرعا الى قصره ، وظل طول عمره يتعجب من خروجه مرة دون حرس ، ويتعجب أكثر من أن أحدا لم يضربه بسيف ليخلصه من نفسه ويخلص الناس منه ، فهل هذه حياة ؟ وهل تستطيع ان تقول ان أبا جعفر سعد بحياته ؟ أو انتفع بالاستبداد الذى فرضه على الناس ؟ ..

لقد كان أبو جعفر المنصور رجلا موهوبا ، وكانت له ملكات كبيرة فى السياسة والادارة ، ولو انه ذكر ان الاسلام يأمر بالشورى لأفاد من حياته ولأخذنا نحن منه أكثر ، ولكنه حكم بالسيف فعاش عمره خائفا من السيف ، واذا كان هو قد نجا من القتل فقد مات ابنه المهدى قتيلا ، وتلك هى الحقيقة ، ومات حفيده الهادى قتيلا ، وعاش الرشيد خائفا يتربص حتى انه لم يطمئن الى الحياة فى بغداد الابعد ان قضى على البرامكة ...

وهل القضاء على البرامكة على هذه الصورة يتفق مع عدل الاسلام ؟ لنقل انهم أخطأوا بل أجرموا . فأين القضاء وأين الشرع ؟ ان شريعة من الشرائع لم تحصن النفس والمال كما حصنهما الاسلام ، فكيف يجوز للخليفة ان يأمر سيافه بأن يأتيه برأس جعفر البرمكي ثم يعصف بالناس دون رحمة دون حكم

القضاء ؟ أليس في هذا اهمـــالا للشرع وتضييعا للدين وارهابا للناس وافســادا للقلوب ...

***

وبعد الرشيد جاء من هم أشد ظلمـا وأكثر بعـــدا عن التزام الشرع ومراعاة حريات الناس ...

وأحفاد الرشيد من خلفاء القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى حتى بعده كيف كان حالهم ؟ أى ظلم وهوان تحملوه من أدنى رعاياهم وهم مماليكهم الاتراك ؟

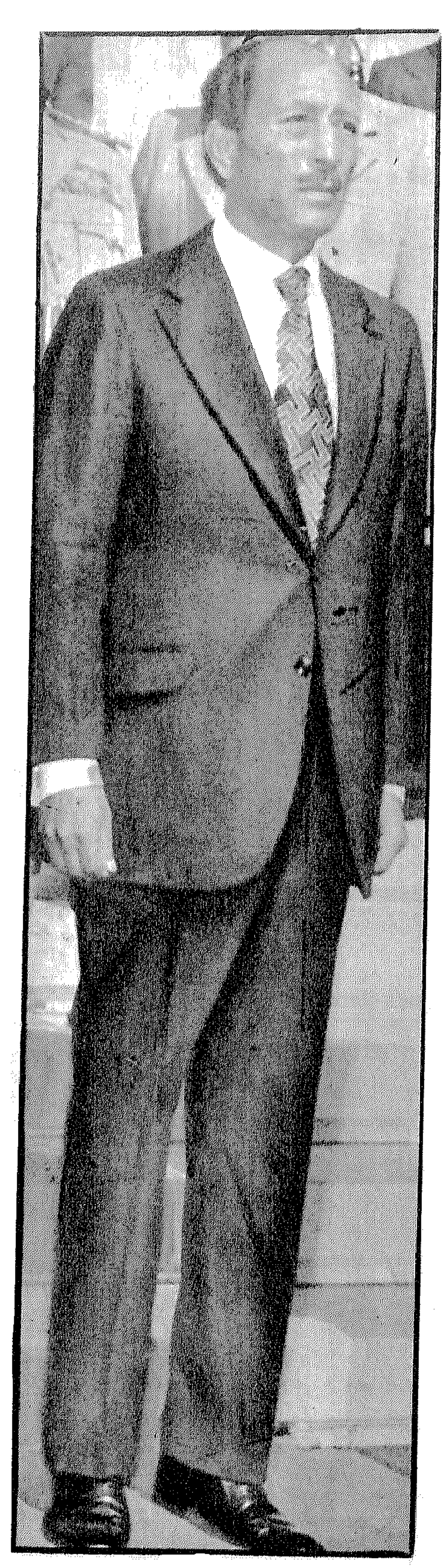
ونحن المساكين ماذا جرى لنا فى حكم هؤلاء الطواغيت ؟ فى مصر حكم ذات مرة أحمد بن طولون ، فانشا ســجنا تحت الارض هو المطبق ألقى فيه بنحو خمسة عشر ألف انسان ، حتى أصبح الســجن مدينة تحت الارض ، فهل يجوز لانسان واحد ان يفعل بالناس هــذا لكى يعيش هو ؟ وهل عاش ؟

لا والله وما كان أحمد بن طولون الا رجلا شقيا بنفسه ، واقرأ سيرته عنــد البلوى ترى عذابه وشقاءه بنفسه ، ولقد تعذب فى موته كما لم يتعــذب أحد ، وحملوه فى محفة من طرسوس الى مصر ، وفى الطريق أمر بقتل الطبيب لانه عجز عن مداواته . وقتل الطبيب ، ومات ابن طولون ميتة الكلب بعد حياة كلها ظلم ..

وجاء بعده ابنه خمارويه فما ســعد بحياة ولا نعيم ، وتوفي في شرخ شبابه ، ومن أعجب مانقرأ ان نساء القاهرة بكينه ونحن عليه في النوافذ ! ما أطيب قلوبكن .. تبكين الظالم الطاغية ابن الظالم الطاغية

***

وكانت أيامنا السوداء مع من جاء بعد آل طولون . كلهم حرمونا من الحرية . كلهم تنكروا للشورى واعتسفوا الطـريق حتى صار الامر فى النهاية الى أدنى الخلق وهم المماليك ، وهم قمة الظلم وقمـــة الطغيان والشـــقاء ، والنى لأعجب من



الرئيس السادات .. ايمــان بالحرية وجهاد فى ســبيلها

● إن الناس سعداء في بلاد الخليج والسعودية وفي عمان والسودان لا لأن لديهم مالاً ، بل لأنهم أحرار.. وهم سعداء في المغرب والسودان وتونس ، وبلاد عربية أخرى ، لأنهم يتمتعون بحرية الفكر والقول والعمل..

● أعداء الحرية هم الذين يعرفون أنهم لن يصلوا إلى الحكم عن طريق الشورى ، فيلجأون إلى القهر والاستبداد ، هم الذين يريدون أن يتمتعوا وحدهم بكل الحريات ، وبقية المواطنين عبيد.. هم الذين يخدمون قوى أجنبية ويسندون ظهورهم إليها ليصلوا إلى الحكم بتأييدها..

مؤرخ يمتدح الظاهر بيبرس وقد عاش عمره بيدين مطلختين بالدماء ، وأراد أن يكفر عن ذنوبه فمضى للحج وأخذ يغسل الكعبة بيديه ، حاسبا ان الله يغفر له دماء الناس لانه تفضل فغسل الكعبة بيديه ! لا كنت أيها الظالم ولا كانت يداك ، والكعبة أعز على الله من ان تدنسها يد ظالم قاتل ..

وأيام الاتراك وما رأينا فيها من الهوان ...

وأيام الانجليز وما قاسينا فيها من ضياع الحريات والكرامات ..

وأيام الملك والاحزاب الطاغية والفساد الشامل والحكم الباغي والظلم بلاحدود .

وأيام الظلم والاستعباد في حكم الفرنسيين في بلاد الشام وبلاد المغرب ، وأيام الملوك ونورى السعيد في العراق .

فلما زال ذلك كله وهبت نسمات الحرية وبدأنا نستروحها نهض أعداؤها من أبناء أوطاننا ونشروا على الناس في بعض بلاد العروبة أنواعا من الظلم جديدة ربما كانت اسوأ من كل ما مضى ،فقدكان الناس في الماضي جميعا فيالشقاء سواء، ولكن مصيبة اليوم ان واحدا أو حفنة من الناس تريد ان تستمتع وحدها بالحرية وان تحكم بلدا كاملا وتسيره على هواها. هي وحدها تتمتع بالحرية ولا حرية للآخرين ...

لقد عشت في الكويت وسعدت بالحرية في الكويت ...

وقضيت أوقاتا في السعودية ورأيت ما ينعم الناس به من حرية العمل والكسب والقول في السعودية ..

وتصلني صحف الامارات وأتنسم فيها نسمات الحرية واشعر أن الناس هناك سعداء ، لا لأن هناك مالا بل لان هناك حرية .. واقرأ صحف المغرب فاحس فيها بأن الناس سعداء لانهم أحرار كما هو الحال مع اخواننا في السودان

وفي مصر هنا أكرمنا الله بعد شقاء السنين بنعمة الحرية ، وأكرمنا برئيس

يؤمن بالحرية ويجاهد في سبيلها ويكرس جهوده للمحافظة عليها وهو الرئيس أنور السادات ، فنحن هنا نكتب ونقول ما نريد في حدود القانون طبعا ، وقد انتهى بالنسبة لنا عصر الرقباء والمشرفين ، وفي أيامنا هذه كل كاتب في مصر رقيب على نفسه ، هو الذى يقرر ما يكتب ومالا يكتب وهو الذى يتحمل مسئولية قلمه ..

***

ومن العجيب ان بعض الناس لاتعجبهم هذه الحرية ..

لقد تعودوا ألا يعيشوا الا فى أجواء القهر والرقابة ، ولا يرضيهم قط ان يسعد العربى بحريته ..

أتعرف من هم أعداء الحرية هؤلاء ..

هم الذين يخافون شعوبهم ويكرهونها لأنها لاتحبهم ولا تريدهم ، ولا سبيل لهم الى السلطان الا فى ظل القهر والطغيان ..

هم الذين يحبون الحرية لأنفسهم وحدها ويكرهونها للآخرين ...

يريدون ان يكونوا هم وحدهم السادة والباقى عبيد .. هم الذين يسندون ظهورهم الى قوى أجنبية ويستعينون بها على مواطنيهم ..

وهل هناك أضل سبيلا من عربى يدعو لنظام شيوعى مخالف لكل قواعد المروءة والاخلاق الاسلامية والعربية ويزعم أنه يخدم قضية التقدم بذلك .

اننا لا ننكر على الروسى ان يكون شيوعيا فى بلاده ولا يضيرنا ان يكون الصينى شيوعيا فى بلاده .. فهذه أوطانهم وهم أحرار فيها ..

ولكننا ننكر على عربى ان يحاول ان يفرض على مواطنيه هذه النظم .

***

لقد تفكرت طويلا فى كل مشاكل بلادنا فوجدت ان السبب الاول هو حرماننا من الحرية هذه الأحقاب المتطاولة .

لأن الانسان اذا حرم حريته فقد شعوره بالحياة وبالكرامة الانسانية . وفقد شعوره بالمواطنة والمسئولية .

وكل ما نعانيه من مصاعب اقتصادية وصناعية وفكرية واجتماعية ناشىء عن فقدان الحرية

بل ان وجود اسرائيل نفسها فى بلادنا ناشىء عن أننا حرمنا زمنا طويلا من الحرية ففقدنا الشعور بمسئوليتنا .

واذا سألتنى : ما نقطة البداية الصحيحة لعلاج متاعبنا كلها لقلت لك على الفور : الحرية فى حدود القانون ..

ومن عجب ان ناسا منا لا يريدون لنا الحرية ، فما كدنا نحصل عليها حتى شرعوا فى الكيد لها وافسادها ..

حرام والله يا ناس ..

فان العربى ليس فى حاجة الى طعام أو لباس ..

انه فى حاجة الى الحرية .

الحرية الحلوة التى يشعر الانسان معها بأنه انسان وبأنه مواطن وبأنه مسئول وبأنه ينبغى أن يحترم القانون وبأنه ينبغى أن يكون كريما على نفسه وعلى الناس ..

د. حسين مؤنس

د. زكى نجيب محمود

ما هكذا يكون

الأدب المبدع

● قال قائل منا وكنا اربعة نتحدث عن الأدب والابداع الأدبى عندنا :

قد لا يكون فى الامر ازمة أدبية أو شبه ازمة ، فلعل الأمر لا يرتد الى عجز فينا بل يرجع الى مرحلة متقدمة بلغناها من التطور الادبى ..

ولم يتمهل محدثنا ليساله سائل منا : وكيف كان ذلك ؟ بل مضى يبسط وجهة نظره قائلا : ان الأدب فى مراحله الأولية يكون مداره الخيال ، حتى اذا مانهض واستقام على قدميه ، نبذ الخيال ولاذ بالحقائق والوقائع ، أو بعبارة اخرى ، ان الأدب اذا ما شب عن طوق طفولته تحولت مادته الى كلام يشبه ما تنطق به السنة العلماء من حيث تقريره الحقائق الواقعة ، فان كان ذلك كذلك ، فالحق ان مصر اليوم فيها كثرة من الادباء الذين يكتبون امثال هذه الحقائق فى لفظ جميل ، واذن فقد ارتحلت فيها راحلة الأدب بحيث جاوزت من طريقها خيال الطفولة وبلغت نضج الرجولة بسلامة الله ورعايته ..

واوشكت ان اجيب بما دار فى خلدى عندئذ من خواطر ، لولا اننى وجدت المقام مقام سمر خفيف لا يحتمل الأخذ والرد فى نظريات وآراء ستفنى الانسانية قبل أن ينتهى فيها الناس الى راى حاسم ، وذلك لأمور كثيرة منها ان الادب ليس علما ، ولو كان من العلم او ما يشبه العلم لانحسمت فيه مواضع الاختلاف فى الرأى كما تنحسم بين العلماء فى المعامل

وأول ما دار فى رأسى من خواطر حين قال القائل الفاضل ما قاله ، وأضاف اليه بان تلك هى مراحل التطور فى العالم كله ان سالت نفسى : الى اى جزء من اجزاء العالم يا ترى يشير المتكلم الفاضل ؟ أين فى العالم تطبيق ما يقوله من أن الادب قد تطورت مادته فاصبحت هى نفسها الوقائع التى يتحدث عنها العلماء ، لولا أن الأديب — دون العالم — ينطقها بلفظ جميل؟ ترى ماذا هو صانع بمعياره هذا لو قدمت اليه ما ينتجه الأدباء من قصص ومسرحيات وشعر ؟

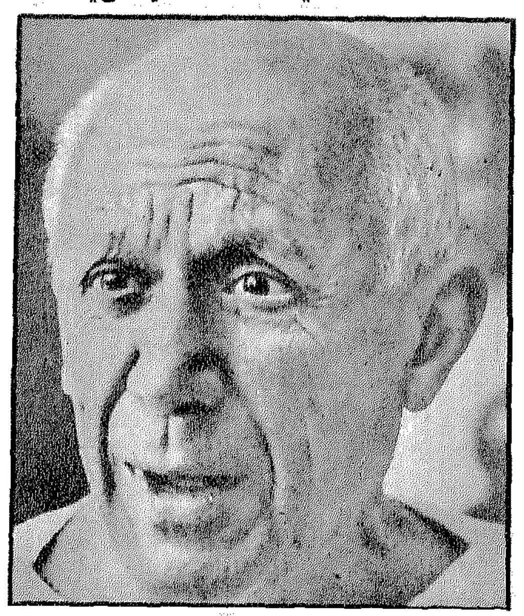
بأى مقياس يريد أن يقيس الجودة الفنية فى القصة وفى المسرحية وفى القصيدة ؟ .. ثم لماذا يصيب هذا التطور عالم الأدب وحده دون سائر الفنون ؟ !

لماذا لا تتطور الموسيقى هى الاخرى فتصبح محاكاة لأصوات آلات المصانع ؟ ولماذا لا يتطور التصوير فيصبح رسما لاجهزة المعامل ، وهلم جرا ؟!

انى لأرانى على مبعدة فى الرأى من صديقنا المتكلم ، بحيث لا يرجى لنا ان نتلاقى، فالرأى عندى هو ان العلم والادب صنفان من الكلام مختلفان اختلافا يستحيل معه ان يتطور احدهما الى الاخر ، كما يستحيل ان تتطور الاغنام فتصبح ابقارا ، لا لأن الأدب متميز عن العلم بجمال أسلوبه مع جواز اتحادهما فى مادة القول ، بل الاختلاف اعمق من ذلك وابعد، فالعبارة العلمية من طراز والعبارة الادبية من طراز آخر ، ولن يستطيع جمال الأسلوب أن يعبر ما بينهما من فجوة واسعة سحيقة ..

فالعلم تعميم ، والفن تخصيص .. العلم تجميع ، والفن تفريد ..

العلم يلاحظ الأشياء والنظائر ليستخلص منها أوجه الشبه فيصوغها فى قانون واحد ينظمها .. والفن يلاحظ



بيكاسو .. موسيقى اللون والضوء

جزئية واحدة يقف عندها ويحلل خصائصها ..

العلم يستبعد نفس الخصائص التى يستبقيها الفن ، فالخصائص الفريدة التى تميز فلانا من الناس دون سائر الافراد ، هى التى يستبقيها الفنان ليحللها ويصورها ، وهى نفسها التى يستبعدها العالم لانها ليست مشتركة بين سائر افراد النوع الانسانى . .

يقول عالم النبات عن الزهور ما ينطبق على الزهر كله مادام منتميا الى فصيلة واحدة .. أما الفنان فيقف عند زهرة واحدة فى لحظة زمنية واحدة يلقفها من تيار حوادثها الدافق قبل ان تمضى الى غير عودة ، فيصورها رسما او ادبا ما شاءت له مادته التى يستخدمها وسيلة لاثبات ما يريد أن يثبته ....

قل ذلك فى كل شىء مما يعالجه الفن بشتى صنوفه ، وعلى أساس هذا المعيار تستطيع ان تقيم نقدك الأدبى .

هبك بصدد قصيدة نظمها شاعرها يعبر بها عن عاطفة الحب عنده ، فانظر الى اى حد قد تفردت العاطفة التى يعبر عنها بحيث اصبحت كائنا وحدها قائمة بذاتها لا تشاركها لحظة اخرى من لحظات الحب لا اقول عند سائر المحبين ، بل عند هذا المحب نفسه .. انه لا يكفى أن يتكلم عن الحب بصفة عامة من حيث هو عاطفة انسانية يشترك فيها أفراد البشر جميعا بدرجات مختلفة ، هو من شأن علم النفس لا من شأن الفنان فعالم النفس هو الذى يتكلم عن هذه العاطفة بصفة عامة اى انه يتكلم عنها كما تبدو آثارها عند هذا الفرد من الناس وهذا وذاك فى كل زمان ومكان ، هذا التعميم فى الاحكام يكون علما ولا يكون فنا ولا ادبا ...

أما الفنان أو الاديب فينظر الى حالاته النفسية فى حبه ليلقف منها حالة واحدة ، وهو اذ يبرز هذه الحالة الواحدة العابرة فانما يصور لنا ما ليس يتكرر فى سائر حالاته هو ، دع عنك أن يتكرر عند سواه ... ان

المحب لا يشعر بعاطفة الحب على لون واحد وبنغمة واحدة وأصداء واحدة ، بل تراه ازاء حبيبه الآن بما لم يكنه بالامس ، وما لن يكونه غدا ... ومع ذلك فكلها مواقف من حبه، فلا يكفي أن يقول : « انى أحب » أو « انى فى جحيم من الحب » أو « انى فى نعيم منه » ليكون تعبيره أدبا — مهما تبلغ عبارته من الجمال ... بل يتحتم أن يخصص لنا خيوط العناصر النفسية التى جعلت حبه جحيما أو نعيما أو ما شاء له أن يكون ، ولو أجاد الملاحظة وأجاد الوصف لعلم أن شبكة هذه الخيوط محال أن تلتقى على صورة واحدة فى لحظتين متباعدتين ...

لقد قال الفيلسوف اليونانى هيرقليطس عبارته المشهورة : « انك لن تخطو فى النهر مرتين » ، مريدا بذلك الى شرح رأيه القائل ان كل شىء فى الوجود تتغير حالاته تغيرا دائما دائبا فكانما حالاته المتتابعة هى مجرى النهر الدافق ... فانت اذا ما خطوت فى ماء النهر خطوة ثم اردت أن تعيد قدمك مرة ثانية الى حيث خطوت أول مرة ، وجدت أن الماء قد تغير ، وان ما ستغوص فيه قدمك الآن ليس هو نفسه الماء الذى غاصت فيه أول خطوة .. قال هيرقليطس هذا القول ليصف به حقائق الاشياء كيف تتغير وان بدت للعين الغافلة ثابتة ساكنة. ولئن صدق هذا القول عن الثوابت ظاهرا كالشجرة والجبل ، فهو أصدق بالنسبة لمجرى العواطف والمشاعر عند الانسان التى لا تبدو ثابتة حتى فى ظاهرها الواضح للعيان ..

فماذا يصنع العالم وماذا يصنع الفنان ، وكلاهما قد ينظر الى نفس ما ينظر اليه زميله ؟ ماذا يصنع ذلك وماذا يصنع هذا ازاء هذه التيارات الدافقة من الحوادث ؟

أما العالم فيحاول أن يتلمس بينها اطرادات تتكرر على غرار واحد ، جمل الاطراد المتكرر واحدا من قوانينه ، ثم راح يقيس الابعاد المكانية والزمانية فى ذلك الاطراد الذى شهده بين الحوادث، لينتهى الى صياغة قانون فيه دقة كمية ...

وأما الاديب أو الفنان فشأنه آخر ، وهو لا يلتمس اطرادا من الحوادث، بل تستوقفه حادثة واحدة أو حالة واحدة فيثبتها على اللوحة رسما أو يثبتها باللفظ أدبا . أو فى أنغام الالحان موسيقى .

وليست كل حالة جزئية فى صلاحيتها للفن على حد سواء مع سائر الحالات ، بل أن الفنان الحق ليقع على الجزئيات ذات الدالة ، أى الجزئيات التى تكون أكثر ايحاء عند القارىء أو الرائى ، فكاتب القصة أو المسرحية مثلا لا يجيد فنا اذا راح يسرد التفصيلات عن شخصياته سردا بغير تمييز ، بل صميم الفن هو الاختيار الموفق، فأى التفصيلات فى حياة هذا الشخص الذى أصوره أهدى الى حقيقة شخصه وسر نفسه وكنه وجوده ...

انظر الى الاشخاص الادبية التى ارتفعت الى السماكين فى سماء الادب من حيث جودة التصوير : هاملت ، الملك لير ، دون كيشوت ، وغيرها وغيرها ، انظر الى هؤلاء جميعا وسل نفسك ما سر الجودة الفنية فى هذه الصور الادبية ، وستجد السر فى حسن اختيار التفصيلات التى يجريها الاديب كلاما أو سلوكا بحيث يتكون فى النهاية شخص متكامل فريد .. انه لا يرسم الانسان بصفة عامة ، والا كان عالما

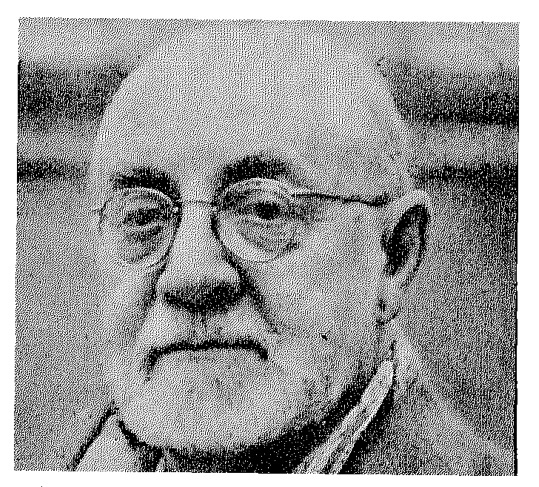
بل يرسم هاملت ، أوليد ، أو دون كيشوت .

يرسم فردا واحدا ذا طابع متميز يستحيل أن يتكرر له فى الوجود كله مثال يطابقه كل المطابقة، على الرغم من أن هذا الفرد المتميز ذاته يصبح اتخاذه بعد ذلك نموذجا من نماذج البشر تقرب من طرازه طائفة من الناس قربا يزيد أو يقل عند مختلف أفراد هذه الطائفة .

***

سبيل العلم وسبيل الأدب مختلفان ولن يتطور هذا الى ذاك ... ولست أريد هنا أن أتتبع شتى الفروق التى تباعد بينهما وتباين ، لكنى أريد أن أثبت هنا رأيا قد يبدو غريبا عند القائلين بالنظرية التى أسلفت ذكرها فى أول المقال ، وهى ان الادب اليوم فى مرحلة رقيه يكتب عن الوقائع والحقائق ، اذ الرأى عندى هو نقيض ذلك ، فبمقدار ما يكون الكلام وصفا للوقائع والحقائق الخارجية عن نفس الانسان بمقدار ما يبعد عن الكمال الفنى .

والصورة الفوتوغرافية تصور الحقيقة الواقعة تصويرا أمينا ، ولذلك لم تكن بالمعنى الذى نقصد اليه حيث نقول عن « بيكاسو » مثلا أو «ماتيس» انه فنان ، فكثيرا ما تقف أمام صورة رسمها « بيكاسو » أو « ماتيس » أو سواهما من اتباع هذه المدرسة الفنية المعاصرة فلا تدرى لماذا أراد



ماتيس .. الفن والمدارس الفنية المعاصرة

المصور ان يصور ذلك ، لأنه لم يرد قط أن يصور شيئا خارجا من ذات نفسه ، فهذا الخليط اللونى قد تردد فى خياله كما تتردد الانغام فى أذن الموسيقى ، فرسمها على لوحته لتجىء موسيقى للعين انغاما من ضوء ...

قف الى جوار الجبل الذى يبهرك شموخه ، واجعل زميلك الجغرافى يقف الى جوارك ازاء الجبل نفسه ، فان اردت أن تطلعنا بالأصداء النفسية التى ترددت فى فؤادك اذ انت تنظر الى الجبل ، بلغت من الجودة الفنية بمقدار ما تبعد عن الحقيقة الخارجية كما يصفها زميلك الجغرافى ...

فالجغرافى مطالب بما لايطالبك به أحد اذا وقفت من الجبل وقفة الاديب ..

الجغرافى مطالب بوصف الحق والواقع ، وأما انت فمطالب بحق آخر وواقع آخر ... هو مطالب بنقل الواقع الخارجى بعيدا عن تأثيرات نفسه ، وأنت على نقيض ذلك مطالب بنقل تأثيراتك النفسية بغض النظر عن الواقع الخارجى .

ان الآلام والافراح لا تكون الا داخل نفوس أصحابها ، وكذلك يكون الحب وتكون الكراهية وكل عاطفة انسانية أخرى ، فماذا يريدنا اصحاب « الأدب العلمى » أن نصنع بهذه العواطف اذا ما هممنا بكتابة الأدب ؟

الحق اننا قد تعودنا من أدبائنا أن يكتبوا لنا فى الصحف عن السياسة وغير السياسة من شئون ، فحسبنا بحكم العادة أن الادب انما يكون هكذا معالجة لموضوعات مما يصح أن يلق فيهما البحث بعض الشىء فيكون الحاصل علما ، لكن ما هكذا الادب الاصيل الخالق المبدع .

اذا اردنا أن نقيم للنقد الأدبى ميزانا عادلا فلنبدأ أولا بتصور الأدب تصورا صحيحا . ومهما يكن هذا التصور الصحيح ، فهو ليس مما يتصل بالعلم بسبب من الأسباب ...

د. زكى نجيب محمود

حول كتاب أنور الجندى عن طه حسين

سيظل فكر طه حسين يحاكم إلى ما شاء الله

أحمد حسين

● ليس هناك اسخف من الرأى الذى اذا طالع هجوما على فكر طه حسين واتجاهاته ، تساءل : اين كان هؤلاء المهاجمون ؟ !

واسخف منه من يتحدث عن طه حسين باعتباره مات وانتهى ، وانه لم يعد يستطيع الدفاع عن نفسه . . وثمة قول ثالث يتردد ، ان امثال طه حسين اصبحوا تراثا لمصر ، لايجوز المساس به فضلا عن التهجم عليه . . ومثل هذه الاقوال آية على المفاهيم الفجة والسطحية التى كانت تسود مجتمعنا فى فترة ماضية ، وعندما تصدر هذه الأقوال على لسان من يعتبرون انفسهم تلامذة طه حسين ، فهو الدليل على انه لم يعلمهم شيئا ، او انهم لم يتعلموا هم منه شيئا فى اوليات حقيقة العلم . .

لا موت لصاحب الافكار

ذلك أن صاحب أى فكر ، لا يموت فكره ابدا ، ويظل محل دراسة الدارسين ، فيخالفه بعض ، ويوافقه بعض . وقد يصل الخلاف الى حد السخط ، ممن يرون الخطر فى استمرار هذه الافكار . ولكل صاحب فكر كتاب ، يكمل بوفاته ، أى انه ما بقى المفكر حيا ، فان كتابه يظل مفتوحا ، بمعنى انه قد يضيف اليه فصولا ، وقد يعدل فى بعض فصوله ، فلايمكن اصدار حكم عام على افكاره فى جملتها ، الا بعد بلوغ الكتاب أجله ، اى بعد موته . واحدى سنن الحياة ، ان سيرة الانسان فى شيخوخته لا تختلف فى جوهرها عنها فى شبابه ، الا بمقدار أن يصبح من الناحية الفكرية أكثر نضجا ، ومن الناحية المادية اكثر عجزا وقصورا .

خذ على سبيل المثال فى حالة الدكتور طه حسين انه فى آخر حديث تليفزيونى له — وقد جاوز الثمانين — لم يكن اقل عنفا فى ابداء رأيه عنه وهو فى صدر شبابه ، وذلك عندما قال : « انه لم يفهم عبقريات العقاد » وراح يفصل القول فى ذلك ، وليس يهم بعد ذلك ، انه لم يرد فيما قال عن بضع كلمات ، بل لا يهم فى الاكثر ان نوافق على رايه او لا نوافق ، والمهم انه فى بضع جمل قليلة ، شجب ما اعجب به الكثيرون ووصف قول كاتب من أكبر كتاب العربية ، بأنه لايفهم كلامه ، لن يختلف ذلك فى قليل او كثير ، عن موقف الشاب الازهرى طه حسين ، منذ اكثر من ستين سنة مضت ، وهو يهاجم المنفلوطى أشد ما يكون الهجوم ، وقد كان المنفلوطى



د. طه حسين : سيظل الى ماشاء الله محلا للبحث والدرس لمعرفة هل يؤخذ به أو ينحى ويرفض.

محل اعجاب الشباب المثقف بما فيهم طه حسين نفسه — « باعترافه هو » فلكل أنسان فكرة وأسلوب ، يسيطران عليه منذ شبابه ، ويسايراه حتى يدخل لحده .

وطه حسين ، مفكر مافى ذلك شك ، وكانت له افكار وكان له اسلوب ومنهاج يعبر به عن فكره ظل ثابتا ، وعندما يموت طه حسين ، فان الذى يموت هو الانسان الفانى ، ولكن الافكار ، والاسلوب والمنهاج اللذين عولجت الافكار من خلالهما كل ذلك يبقى ملكا للاجيال المتعاقبة التى تتاثر سواء بالافكار ، او بالأسلوب والمنهاج ، ومن حق كائن من كان ان يتعرض لهما باى أسلوب يشاء .

ونحن نتصدى لافكار واشعار وآراء ابديت منذ عشرات القرون بالبحث والدرس والعرض ، فنوافق ونخالف ونمدح ونقدح ، ونرضى ونستهجن ، وبدون هذا لاتقوم معرفة ولايقوم علم ، ولا يحيا البشر حياة طبيعية .

فاعظم ما يقدمه تلامذة طه حسين ليدللوا على حسن تاثيره وعظم شانه ،

لا ان يتحدثوا عن شخصه وكيف كان عظيما ، وكيف وكيف ، فكل هذه الوقائع اصبحت متفقا عليها من الجميع ، الخصوم قبل الانصار ، وانما يفترق الرأى حول أثر هذه الوقائع المتفق عليها ، فى سير الاحداث وتدفقها ، على ضوء ما انكشف من تطوراتها ، وعلى ضوء ما انتهى اليه تفكير طه حسين نفسه ، وعندنا ان هذه هى القضية ، ومن هنا فسوف نعرض لفكر طه حسين واسلوبه .

لا احكام على شخصه او تصرفاته الشخصية

ومن هنا فنحن نلزم أنفسنا بأن لا نصدر احكاما على ضمير طه حسين ، ولا معتقداته ، ولا على نواياه .. لا نقول أنه كان ملحدا وانه ظل على الحاده حتى آخر دقيقة ، وقد أعجبنا من الاستاذ انور الجندى ، انه على الرغم من شديد انكاره على طه حسين فلم يرض لنفسه ان ينسب اليه أنه حكم بالحاد طه حسين ، ذلك ان الله وحده هو الذى يعلم بالنوايا وذات الصدور ، ولنا قوله عن نفسه انه يؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر .

ولنا ما سمعته أنا شخصيا أنه لم يعد يسمع فى اخريات حياته سوى « القرآن المرتل » .

واذا كنا لا نصدر عليه حكما من حيث معتقده الدينى ، فمن باب اولى لا نساير الاقوال التى قيلت على سبيل الاشاعة ، من انه لم يتزوج بمن تزوج بها ، الا بعد ان عمد كمسيحى فى الكنيسة ولا نقول بانه كان فى خدمة الفرنسيين ، او المستشرقين ، او الصهيونيين .. كل هذه احكام ، الله وحده هو الذى يعرف حقيقتها ، والذى يهمنا هو مجموعة الافكار التى عاش الرجل ، يروج لها ويدافع عنها ، وقد عاصرنا هذه الآراء معاصرة فعلية ابتداء من الثلاثينات ، فضلا عن ان هذه الاراء مثبوتة فى عشرات الكتب التى طبعت ، وسيظل يعاد طبع بعضها لبضع سنوات أخرى .

ليس عالما

وما استقر فى ذهننا من معاصرتنا للرجل ، وشهود بعض دروسه، وسماع بعض محاضراته ، ان الرجل لم يكن عالما ، ولم تكن له سمة العلماء ، فعشرات الكتب التى أصدرها ، ستجده يصفها هو انها عجالة ، أو انها أفكار سريعة وعابرة ، ولا لوم ولا تقريع على الرجل ، فبحكم كونه فاقد البصر ، فلن يستطيع ان ينكب على مطالعة عشرات الكتب ، فضلا عن مئاتها ليكتب بحثا يخلص منه الى نتيجة مدروسة ، فهو يعتمد على ذكائه واستيعابه لما يتلى عليه ، لكى يصدر ما يشاء من أحكام .

وليست هذه سمة العلماء ، وحسب اى دارس أن يطالع كتب احمد أمين « فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، وظهر الاسلام » لكى يرى الفارق بين ما يكتبه عالم متمكن فى علمه ، وبين آخر يمكن أن يوصف بأى صفة ، الا ان يكون عالما ..

الصحفى والسياسى والداعية والاديب .

فاذا سألنى سائل ، فاذا لم يكن عالما ، فمن اين جاءته هذه الشهرة الواسعة العريضة التى جعلت منه ما جعلت ، بل كيف أصبح بلا منازع عميد الأدب العربى .. والجواب عن ذلك ، ان ما أوصله الى ما وصل اليه ، ليس هو علمه ، وانما أوصله اليه كونه صحفيا وسياسيا وأديبا وداعية ..

هو صحفى حصل فى شبابه المبكر على اعظم نجاح يمكن ان يظفر به شاب فى مثل سنه ، فهو يكتب فى جريدتين متعارضتين ، يكتب مقالات نارية ضد مصطفى لطفى المنفلوطى فى جريدة الحزب الوطنى ، بتحريض على مايقال من الشيخ عبد العزيز جاويش ، ويكتب فى جريدة حزب الامة تحت قيادة وارشاد لطفى السيد . ولا نقف مع من وقفوا ليتحدثوا عما يعنيه ذلك من نفسية الرجل ومعتقداته .

ولنا الحقيقة المؤكدة ان هذا الشاب استطاع فى صدر شبابه ان يكتب فى جريدتين ، وان يصبح بذلك ممن يشار اليهم بالبنان .

وظلت الصحافة ميدانه ، يصول فيها ويجول محققا بذلك اقصى درجات الشهرة ، فهو المحرر الاول فى جريدة السياسة « بعد الدكتور هيكل » ابتداء من سنة ١٩٢١ ، حيث يرتفع صوته ويدبج مقالاته ضد الوفد وسعد زغلول ، ويقال انه كتب وعمل فى جريدة الاتحاد « ضد الاحرار الدستوريين » ولكنه عاد الى الاحرار الدستوريين ، ثم انتقل بقلمه الى جريدة كوكب الشرق الوفدية ، ثم أصدر لحسابه المباشر جريدة الوادى لتكون أحد ألسنة الوفد .

ومرة أخرى يتحدثون عن تقلبه ، ونحن لا يعنينا الحكم على ما يفعل ، قدر ما يعنينا تقرير الحقيقة التى لا خلاف عليها ، وهى انه امضى اكبر جزء من حياته النشطة يعمل بالصحافة ومن شأن العمل بالصحافة ذيوع واشتهار اسم الكاتب بها .

وكان سياسيا

واذا كان معنى السياسى ، انه قدم طلب انضمام لحزب ، فان طه حسين لم يفعل ذلك ، فقد كان موظفا بالجامعة ، والقانون كان يحظر على الموظفين الاشتغال بالسياسة ، ومع ذلك فقد شارك طه حسين بمجرد عودته من فرنسا فى انشاء جريدة السياسة ، لسان حال الاحرار الدستوريين ، وشارك بقلمه ورأيه فى

كل أحداث مصر السياسية ، وارتبط حظه بالاحداث السياسية رفعـــا وخفضـا ، واحتل اكبر المناصب وفصل منها ، بسبب انتمائه السياسي لهـذا الجانب أو ذاك ، ووصل به الانتماء السياسي في نهاية الامر الى أن يصبح وزيرا في وزارة حزبية . فطه حسين السياسي واقعة مقررة ، وعنـدما يشتغل الانسان بالسياسة ، عن طريق الصحافة اولا والوزارة ثانيا ، فلا حد لما يمكن أن يصل اليه من شهرة .

طه حسين الأديب

وطه حسين اديب ، ومن أكبر الأدباء ، فقد كان الادب صناعته وحرفته ، كان اديبا أبدع قصصا ، وترجم لنفسه ترجمة تحولت الى شيء عالمي ، فليس يوجد في العالم مكفوفون يجيدون وصف مشاعرهم بكتابة يقرؤها الناس كما فعل ، فوصفه بعد أن صور نفسه في « الايام » بما صور بانه قاهر الظلام ، فقد قهر الظلام فعلا ، وكتب وترجم ، وعرض ولخص من ابواب الادب العربي ، والأدب الغربي بعامة ، والفرنسي بخاصة ، مالم يفعله بعض نبغاء المبصرين . فكون طه حسين أديبا من الدرجة الاولى ، واقعة من الوقائع المقررة والمؤكدة .

ولسنا نقف عند الذي قاله معاصروه وزملاؤه من كبار الأدباء ((امثال المازني)) من انه نقل عن الادب افاصيص الجنس والانحلال والاباحية ، وانه فعل مثل ذلك مع الأدب العربي ، فكان شعراء المجون من امثال أبي نواس هم الجديرين بتنويهه عنهم ، كل ذلك لا نقف عنده ، لا لأننا نوافق عليه ، ولكن لأنه لا يجرد أو ينقص من شان طه حسين كاديب بمقاييس عصره ، ويفسر اقبال الشباب على مطالعة كتاباته بنهم .

طه حسين الداعية

ولعل ابرز ما كان يلخص كل نشاطات طه حسين في أوجهها المختلفة ، انه كان داعية تتوفر عنده اسلحة الدعاية ، الدعاية لاثبات ذاته اولا ، وكيف هو قدير في عرض رأيه على الآخرين ، واقناعهم بما هو مقتنع به ، وقد وهبه الله ذكاء منقطع النظير ، وذاكرة وحافظة من الطراز الأول ، ثم جرس طيب في حديثه ، وسلاسة في العرض كان يخلب بها السامعين . وقد نجح في هذا القسم من دعايته الى مالا زيادة بعده لمستزيد .

حتى أصبح العالم العربي ، من رضي عنه أو لم يرض يعتبره عميد الأدب العربي ، لقد ظل الرجل يثير المعارك تلو المعارك ، طوال ستين سنة او يزيد والرجل هو الرجل يفرض نفسه بقوة شكيمته في دنيا الأدب العربي ، حتى اصبح رئيسا للمجمع اللغوي

فلا نزاع ولا جدال في نجاح الرجل في فرض شخصيته على معاصريه ، ولا يؤثر في هذا النجاح صدور كتب من مثل كتاب أخينا العزيز انور الجندي ، بل ان صدور هذه الكتب التي تلاحق آثار الرجل وتحذر منها ، هو في حد ذاته آية على قوة الرجل حيا وميتا .

ولذلك قلت منذ البداية ، انني لن أصدر حكما على معتقدات الرجل ، أو شخصيته ، فتلك مسالة قد قامت وتاكدت وانتهى الأمر ، ولا سبيل للنيل منها .

المبادىء والافكار التي عاش لهـا

فدعاية طه حسين لتاكيد ذاته وفرض شخصيته ، قد تمت بنجاح وانتهت ، وقد وصل طه حسين الى ماوصل اليه ، بمجموعة من الأفكار والمبادىء التي مافتىء يروج لهـا ، وعندنا ان هذا هو الجزء الباقي من طه حسين ، وسيظل الى ما شاء الله محلا للبحث والدرس لمعرفة هل يؤخذ به ، أم ينحى ويرفض ، بل ان البعض سيهاجمه . ويكون السؤال الآن ما هي مجموعة الآراء والأفكار التي عاش يروج لها طول حياته ؟

سيظل فكر طه حسين
يحاكم الى ماشاء الله

لقد كان يدعو للأدب الفرنسي بخاصة ، والأدب الأوروبي منذ ايام الاغريق والرومان حتى العصر الحديث، بعامة ... ولم يقف عند حد نقل الأدب ، بل دعا الى أخذ الأفكار

واسلوب الحياة الغربى ، ((بحلوه ومره)) وصحيحه وخطئه .. الى اخر ما قال .. وحارب مؤسسات مصر الاسلامية وعلى راسها الأزهر ، حتى المعاهد التى ابلت بلاء حسنا فى تدعيم

اللغة العربية وتخريج الوف مدرسى اللغة العربية الممتازين ، واعنى بها مدرسة دار العلوم ، فقد دعا لالغائها، ومرة أخرى لا ندخل الى نية الرجل، ونقول دوافعه لقول ما قال، وحسبنا انه قاله ودعا اليه طول حياته .

يقول بعض تلامذة الرجل ، والمتصلين به ، انه غير وعدل عن بعض هذه الآراء فى أخريات حياته وهذه لاتقدم ولا تؤخر فهى تتصل بمعتقدات الرجل ونواياه ، وهو الان قد أفضى

الى ربه وهو العالم بكل شيء ، وان هذا الفكر الذى دعا اليه مطبوع ومنشور وربما كان بعضه يوزع على الطلاب ، هذا الفكر الذى يتلخص فى ان واجب مصر ان تقطع صلتها بالماضى ، وان تحول نظامها وفكرها الى

نظام علمانى ، وفكر اوروبى ، هذه الدعوة مستمرة يرفع لواءها جماعة الماديين ممن يعتبرون انفسهم تقدميين. **وعن نفسى وامثالى (من الرجعيين)**

فنحن نرفض هذا الفكر وهذا النهج ، ونعتبره من آثار الغزو الانجليزى لمصر، فهو الذى شجع وعاون وعمل جاهدا، على افناء مصر وحضارتها الروحية

والخلقية ، المتمثلة باجلى معانيها فى الحضارة الاسلامية ، واليوم وقد انتهى احتلال بريطانيا لمصر ، بل وبعد ان زالت الامبراطورية الانجليزية كلها من الوجود، وبعد انزالت الامبراطورية الفرنسية بدورها، بل واعلنت اوروبا بشرقها وغربها بما فى ذلك امريكا

الافلاس فى ان يصوغوا للعالم حياة روحية ، او فيما خلقية من اى نوع كان ــ فانى اتصور ان مصر قد اختارت طريقها ، وهو ان تتمسك بحياتها الروحية ، وقيمها واخلاقها ، كما تتمثل فى الاسلام والشريعة الاسلامية .

ومن هنا يكون كل ما دعا اليه طه حسين ، وعاش طول عمره يدعو اليه، فانه مرفوض شكلا وموضوعا .... واذا صح ما يقال من ان طه حسين قد عدل عن آرائه ، فهذه مسألة تخصه ، ويهمنا ان كتبه أصبحت تنتمى للفترة التى قد فقدت فيها مصر استقلالها، وبالتالى شخصيتها وذاتها،

ولم يكن طه حسين هو الوحيد الذى دعا الى مثل ما دعا ، **بل ان كتابا آخرين ، تصوروا فى فترة ما ان ذلك هو طريق مصر للنهوض ، ثم عدلوا عن**

ذلك وراوا ان لاسبيل للنهوض الا فى احياء التراث وبعث ما عاشت عليه مصر الوف السنين فى عزة ومنعة وحضارة وهو شديد تمسكها بدينها، الذى تلخص منذ اربعة عشر قرنا فى الاسلام ، فهل كان ذلك ما انتهى اليه طه حسين ؟ علم ذلك عند الله ....

احمد حسين

لا تغضبي

د. محمد محمود الصياد



هَنّا علَيْك وأنتِ ما هُنْنت   أنت الحبيبَــة كيفَما كُنْتَ

ماذا جَرى فمَضيْتِ عَابسَة   أغضــبتِ لما قلتُ يا بنْتِ

نهداك قــالا انّك امْــرأة   وأراكِ بالنّهــدين آمنت !

عَفوا فوَجْهُــك فى براءتِه   مازال يحمل صُــورة البنت

ان كنتُ قد أخطأت ، معذِرَة   أنت الأنوثَة كلهــا أنْت

لا تخف .. الموت عالم بهيج!

عالم الموت

حافل بالشعور بالراحة والسعادة ..
ورؤى الجمال والألوان الباهرة وأصوات الأعزاء

في عصرنا هـذا خطا الطب خطوات لا تصدق في ميدان اسعاف المصابين بنوبات مفاجئة او حوادث جسيمة تفقدهم الوعي وتدخلهم في مرحلة الموت ... هناك غرف الانعاش حيث توضع خيمات الاكسجين وتعطى حقن الأدرينالين وعقاقير أخرى وتجرى عمليات التدليك الصناعي للقلب أو تمرر تيارات كهربائية معينة لاعادة القلب أو المخ الى العمل ...

والنتيجة ان عشرات الناس يعودون اليوم من الموت الفعلي الى الحياة ..

في احيان كثيرة تمر على المريض خمس دقائق كاملة وهو في حالة موت فعلي . القلب متوقف عن العمل . التنفس منقطع . مراكز الاحساس في المخ توقفت عن العمل والتيارات الكهربائية التي تكتشفها اجهزة خاصة لا اثر لها ..

في كلمة موجزة : الانسان توفي فعلا .

ولكن عمليات الانعاش والاسعاف تعيده الى الحياة شيئا فشيئا حتى يرتد الى عالم الاحياء .

هذه الظاهرة استوقفت نظر الكثيرين فمضوا الى نفر من هؤلاء الذين عادوا الى الحياة ليسألوهم ماذا احسوا وراوا في لحظات الموت ... لحظات الانتقال من الحياة الى العالم الاخر :

سندهش عندما نقرأ ما قالوا ...

سندهش من اتفاق اقوالهم في احساس الانسان في لحظات الاتصال هذه ...

وسندهش اكثر عندما نعلم أنهم جميعا لم يشعروا بالسعادة بالعودة الى الحياة

اجمعنا في الهلال عددا من هذه الحالات وسننشرها في عددين اوثلاثة من اعدادنا .

وفي هذه المرة ستقرأ عن بضع حالات من العودة من الموت

— ١ —

كان الممثل الفرنسي دانييل جيلان في غرفته في الفندق . كان قدسافر من باريس للاشتراك في لجان التحكيم في مهرجان سينمائي .

كان جالسا في غرفته عندما احس بوادر نوبة قلبية .

كان يشكو من قلبه دائما . .



ونتركه يروى لك قصة ما حدث له
« احسسـت انني اتأرجح في سيري في الغرفة ، وصلت في مشقة الى منضدة صغيرة . كنت احمل دائما معى جهاز قياس ضغط دمى . نظرت وراسى يدور . كانت ابرة المؤشر ساكنة لاتتحرك .. اذن توقف قلبى عن النبض . . لم اعد اشعر بشىء ..
رأيت وكانني مرفوع فى الهواء وتحتى على الفراش رأيت جسدى ممددا ميتا والطبيب منكب عليه يفحصه .
اذن فانا قد توفيت
هذا كله رأيته وشعرت به شعورا تاما

لم يكن لى اى احساس بجسدى. اصبحت بلا جسد . عندما اتحرك كنت احس وكأن سحابة من الغبار تتحرك حولى حركة بطيئة ..
ثم احسست وكأن اشخاصا كأنهم خيالات تقترب منى ، وعرفت فيهم والدى اللذين توفيا من سنوات طويلة .
أحسست وكأن أمى تأخذ بيدى وتقودنى الى حديقة وردية كأنها من عالم الاساطير حافلة بالزهور من كل لون ، وفيها أطفال كثيرون يضحكون ويلعبون . .

وفجأة رأيت بين اولئك الاطفال ابنى بسكال الذى توفى فى الرابعة عشرة من عمره فى حادث سيارة قبل سنوات ..

اردت أن اضمه الى صدرى وتقدمت نحوه .. ولكن الصورة التى كنت اراها اخذت فى التلاشى .. ثم سمعت صوت أمى يقول : اذهب الآن يا دانييل .. لقد حان الوقت .. أن الحياة تنتظرك ...

وذعرت وجعلت أصرخ وأقول : اريد أن أبقى حيث أنا .. اريد ان اعود الى الحياة ..

وفتحت عينى وانا احس بدوار وخدر فى كل جسمى . لم أر شيئا



واضحا امامى . شيئا فشيئا تبينت أننى فى غرفة مستشفى ، فهؤلاء رجال فى ملابس بيضاء امامى ، وهؤلاء ممرضات وفى ذراعى شرائط - مربوطة بأجهزة . ثم عاد الى وعيى .. اذن فقد عدت الى الحياة. ووجدت نفسى أقول :

- يا للأسف . .اذن لقد عدت من ذلك العالم الجميل الصافى حيث احبائى ، الى عالم الاحياء مرة اخرى ..

وصدقونى استولى على انقباض شديد ، بينما كان كثيرون من حولى يبتسمون ويهنئوننى بالنجاة ..

ونمت بعد ذلك طويلا .

ثم صحوت فى الليل ، وعلمت انني عندما كنت فى الغرفة فى الفندق تناولت سماعة التليفون وردت على العاملة ، ولكنها لم تسمع الا تنهدا عميقا .. فأسرعت بابلاغ ادارة الفندق ، وارسلوا الطبيب ..وجدونى ممددا على الارض الى جانب المنضدة وسماعة التليفون معلقة فى الهواء تروح وتجىء كأنها بندول ساعة ..

- ٢ -

باريس ، فى صباح يوم من ايام شهر اكتوبر

عثروا على جثة الامريكية فرانسيس ليزلى ممددة على ارض غرفة الطعام فى شقتها الانيقة فى حى نوبى . حى الطبقة الغنية ، المترفة .

نادوا الطبيب ، فاقبل وكشف عليها . لم يجد فى الجثة اى اثر من آثار الحياة ، فأمر بنقل الجثة الى المستشفى الامريكى فى باريس ،وهناك كتبوا شهادة الوفاة وحولوا الجثة للمشرحة للكشف عن اسباب الوفاة .

وبعد ثلاث ساعات أتى الطبيب لعمل الكشف الباثولوجى واعطاء التصريح بالدفن . رفع الغطاء عن جسدالمتوفاة .. وبينما كان يجرى كشفه الروتينى أستلفت نظره أن معصم المتوفاة ما زال فيه شىء من الدفء فأسرع باستدعاء طبيبين من اطباء القلب واخذا فى الكشف . فتبينا انه مازال فى الجثة نبض ضعيف جدا ، ثم تبينا انه ما زال هناك نفس يتردد

واجتمع رايهم فى الحال على محاولة أنعاش هذه الحالة ، وكان أول مافعلوه بعد أن نقلوها الى غرفة الانعاش اعطاءها حقنة الادرينالين فى القلب مباشرة وهى تحت مظلة اشعة رونتجن .

واخذوا ينظرون الى مؤشر جهاز المقياس

لا حركة على الاطلاق ...

جربوا اعطاء حقنة اكبر من نفس الادرينالين فى القلب مباشرة .

واخذوا ينظرون الى مؤشر الجهاز .

ومرت ثوان كأنها ساعات ..

ثم اذا بالابرة تهتز .. ثم تتحرك ثم أخذ القلب يدق ضعيفا ، مضطربا غير منتظم ... شيئا فشيئا انتظمت الضربات

وأخذ التنفس ينشط، ثم انتظم .. وبعد ساعتين فتحت فرانسيس ليزلى عينيها وفى اليوم التالى

اخذت تقص على الاطباء الذين اعادوها الي الحياة حديث الرؤى التى رأتها فى الوقت الذى ماتت فيه :

قبل أن أغيب عن وعيى أحسست وكأن الارض تميد بى ..

ثم احسست وكأننى فى نفق مظلم يتسع باستمرار . كان ما فوقى أحمر داكن وما امامى أزرق داكن ولكنه كان يضىء شيئا فشيئا واحسست بان وزنى يخف واننى كأننى معلقة فى الهواء . من بعيد جاءنى صوت ينادينى باسمى . عرفت فيه صوت احد معارفى الذين ماتوا من زمن طويل . وكانت ذكراه تمر بخاطرى بين الحين والحين .

ثم رأيت ألوانا كثيرة تتوالى أمام بصرى . كلها ألوان جميلة زاهية باهرة ، سمعت أيضا موسيقى عذبة رقيقة . كان الضياء يزيد كلما اقتربت من آخر النفق ، خيل الى كذلك أننى ارى جسدى ممددا على سرير أبيض .. وناس كثيرون يروحون ويجيئون . وفجأة شعرت بدوار صداع ، وفتحت عينى فوجدت نفسى تحت شىء يشبه خيمة من البلاستيك .. شيئا فشيئا عرفت أننى على قيد الحياة .. شعرت بانقباض شديد ما كنت أريد ان اعود من العالم الجميل الذى كنت فيه ..

ومن الغريب ان فرانسيس ليزلى بعد ان عادت الى وعيها وقصت حكايتها هذه لم تعش اكثر من اثنتى عشرة ساعة ثم ماتت نهائيا هذه المرة .. وقال احد الأحياء انها ماتت لأنها لم تعد تريد ان تعيش . لم تشأ أن تظل طويلا فى هذه الحياة الدنيا بقلبها المريض ، بخوفها الدائم من أن يصيبها شىء ... أرادت ان تعود الى عالم الراحة والجمال والهدوء الذى أحست بنفسها فيه بعد موتها الأول .

***

لقد تلقى الطبيبان الامريكيان كارليس اوزيس وماريان نستر اكثر من ٣٥٠٠ بلاغ عن حالات ناس عادوا الى الحياة بعد الموت بوسائل الانعاش الحديثة .

وثمانمائة واربعة وثمانون من هذه البلاغات التى تتضمن اقوال من عادوا الى الحياة تقول ان اصحابها أحسوا لحظة الموت بانهم يرون مناظر طبيعية ذات جمال ساحر وتخيلوا انهم يسمعون انغاما غاية فى الجمال .

وقد قال ١٣٧٠ منهم انهم قابلوا بعد الموت بقليل اشخاصا من الأعزاء عليهم الذين سبقوهم الى عالم البقاء : اقارب او اصدقاء كانوا ينتظرونهم هناك لييسروا عليهم امر الانتقال الى ذلك العالم

وشبيه بذلك ما قالته الطبيبة النفسية السويسرية اليزابيث كوبلر روس . لقد استجوبت ٧٥٠ شخصا ممن اعيدوا الى الحياة بعد الموت . . بعضهم كانوا قد ماتوا منتحرين ، وقد غضبوا اشد الغضب بعد ان عادوا الى الحياة . وكثيرون منهم انتحروا مرة اخرى ليخلصوا من عالم الشقاء وليعودوا الى عالم الهدوء والجمال ..

وقالت تلك الطبيبة : لقد جلست الى فراش الكثيرين من الموتى بعد موتهم وتاكدت من انهم يتحدثون الى اشخاص ... مرة أو مرتين سمعت الميت يذكر أسماء ناس أعزاء عليه سبقوه الى هناك ..

***

وفى عدد قادم سناتى باقوال اخرى قالها ناس اخرون عادوا من هذا العالم الاخر الذى نرهب الذهاب اليه كل الرهبة .. ويبدو انه من المؤكد انه ليس مخيفا ولا مفزعا كما نتصور ، وان الدخول فى الموت، وهو اكثر ما يخيف الناس انما هو انتقال الى عالم جميل مريح مضىء بالوان غامرة جميلة وحافل بانغام رقيقة وناس اعزاء سبقونا الى راحة الأبد ، وانتظرونا هناك . . ليرحبوا بنا ..

والى حديثنا القادم ..

عن الالمانية : ح . م

بدون تعليق

مختارات من الضحكات الأجنبية

ضحكات موسيقية

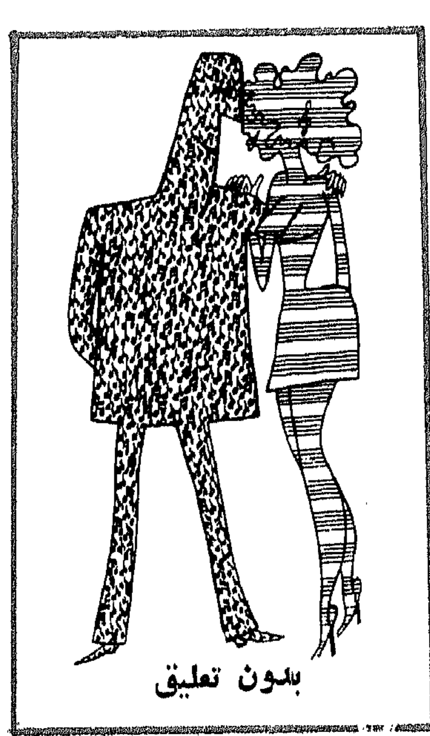
جمعها: بهجت

بدون تعليق

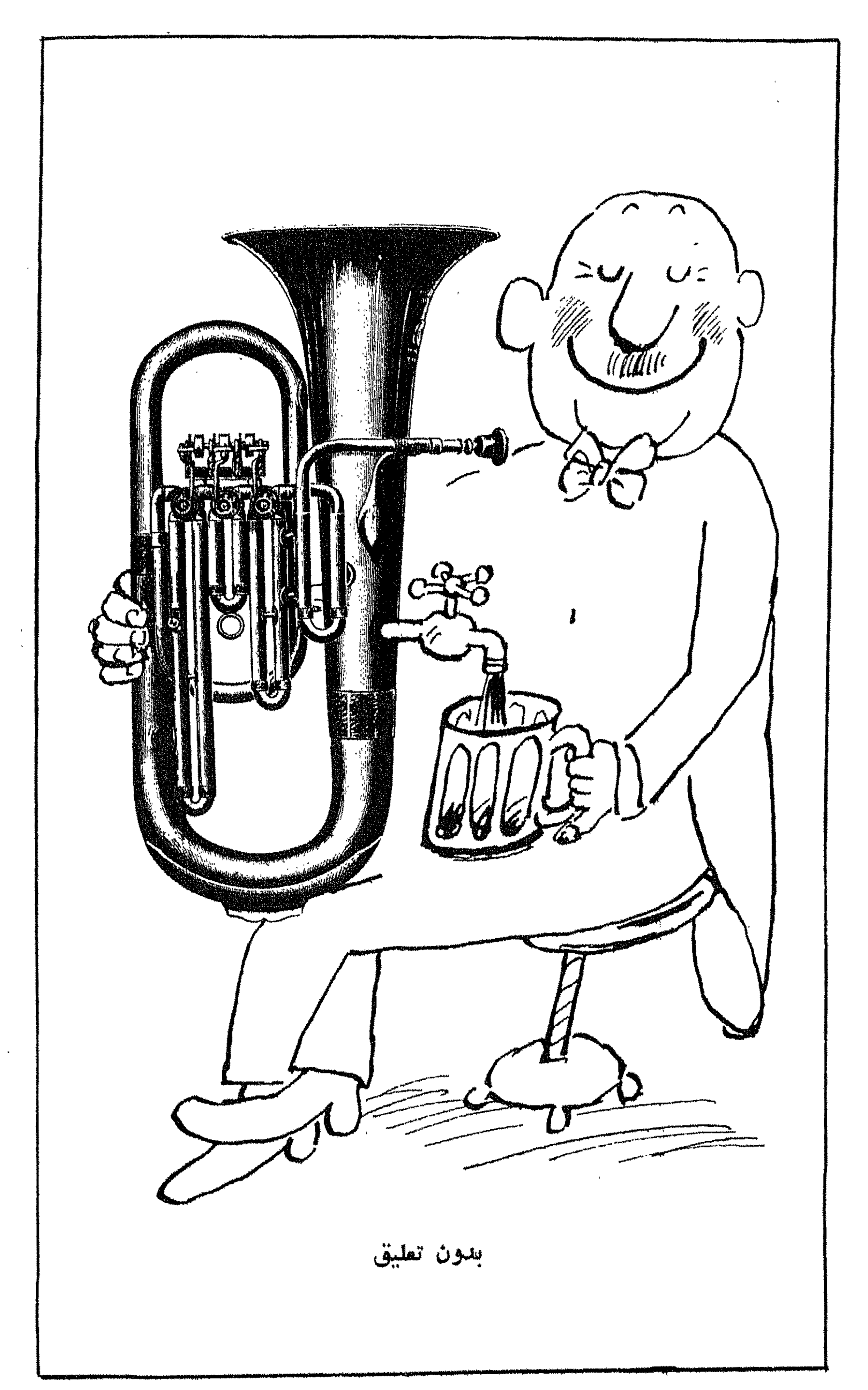
بدون تعلیق



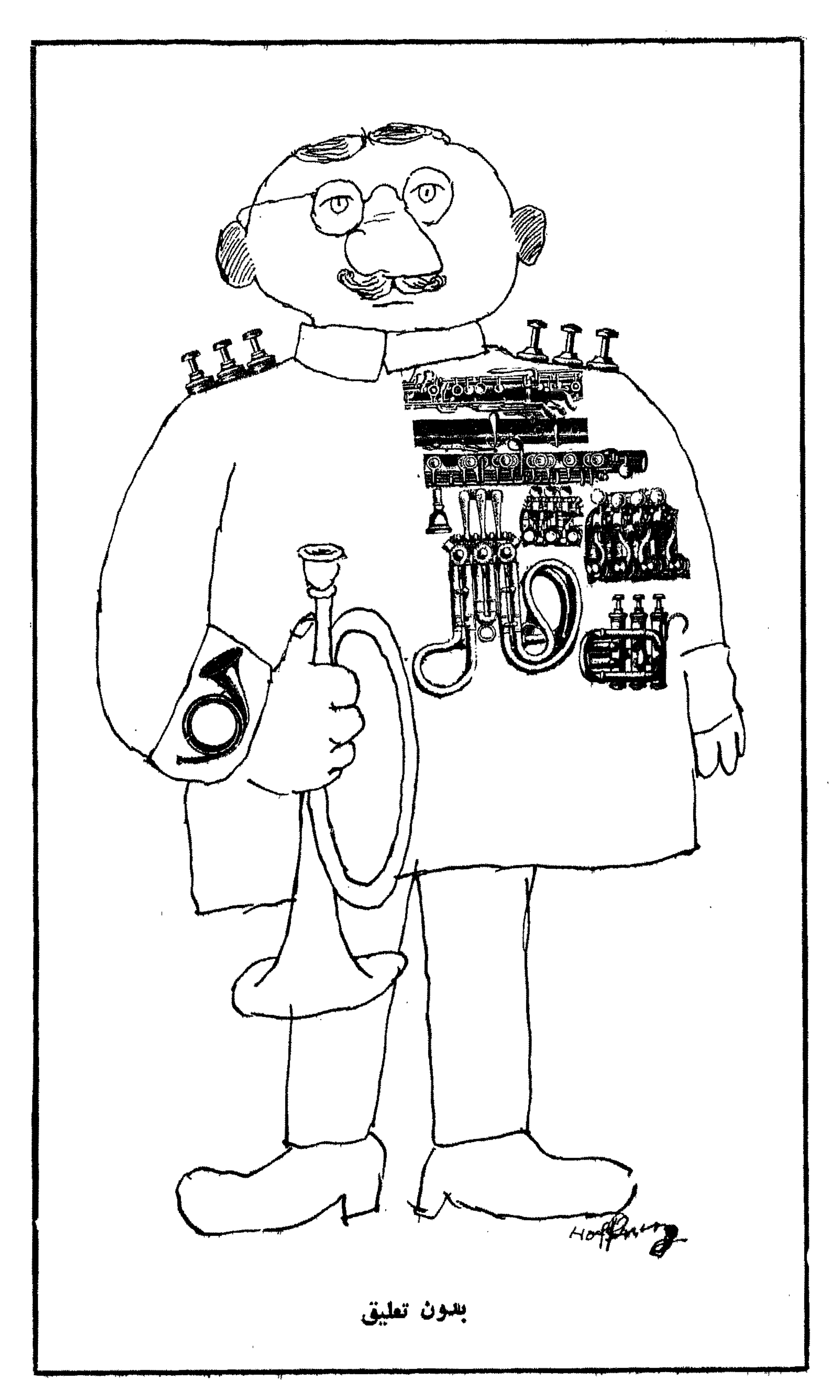
بدون تعلیق



بدون تعلیق



بدون تعليق



بدون تعليق

كاتب وكتاب

أمين الرافعي

مناضل مصرى من أجل الدستور وحرية الرأى

تأليف : صبرى أبو المجد

● كان أمين الرافعى علما من أعلام الصحافة فى مصر ؛

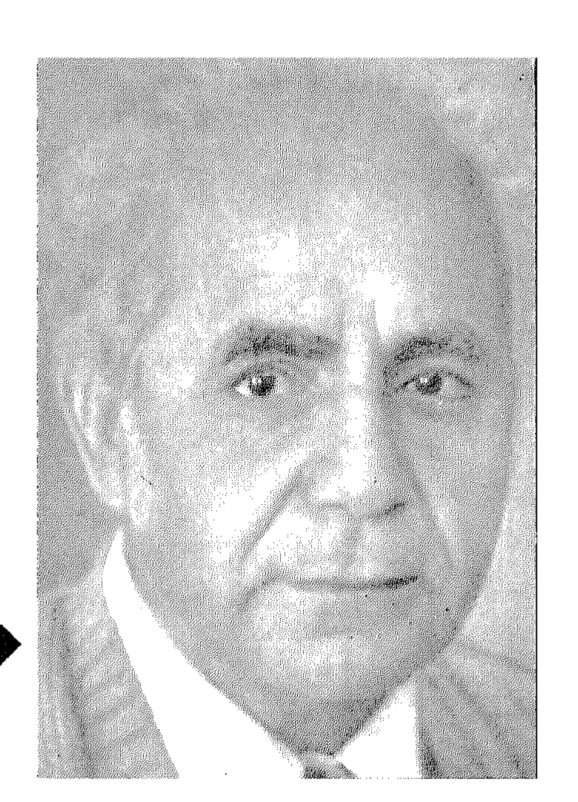
كما كان طودا شامخا لا تحركه الزعازع ، ولا تنال منه الأعاصير ، ولا يؤثر فيه رغب أو رهب فيما يراد له من تحول عن رأى يؤمن به ، أو عقيدة يعتنقها ...

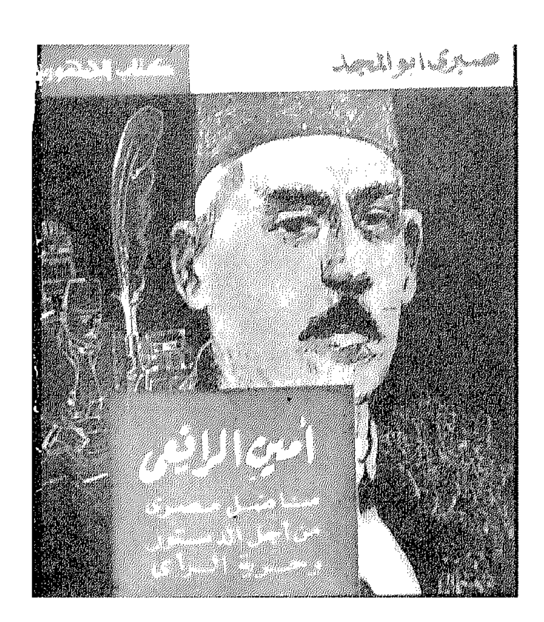
واذا كانت ذكراه قد طواها النسيان زمنا ، فقد شاء الله أن يتصدى لها صحفى وكاتب قدير هو الاستاذ صبرى أبو المجد ، فيزيح عنها غبار النسيان ، ويقدمه لنا شخصية عطرة مجلوة ، فى سهولة محببة وعرض جميل ، وليس أقدر على كتابة سيرة صحفى كاتب ومؤرخ من صحفى وكاتب أديب مثله .

وقد قدم للكتاب مؤرخ مصر الكبير عبد الرحمن الرافعى شقيق أمين ، فأشاد بالكتاب ومؤلفه الذى يقول فيه : « انه خير من يكتب عن أمين ، فهو من حملة رسالته السائرين على نهجه ، وقد عرفته وتتبعته منذ ان كان طالبا فى كلية الحقوق الى أن تخرج فيها وشق طريقه فى الحياة ، فرأيته فى الطليعة من شباب الوطنية ، اعتنق مبادئها القوية ، وناضل عنها على مر السنين وتعاقب العهود » .

وكذلك كتب الاستاذ الكبير فكرى اباظة مقدمة لهذا الكتاب قال فيها : « انه رسالة الصحفى المثالى النموذجى الى زملائه الصحفيين ، انه دعوة حارة للاقتداء بصاحب هذه الرسالة ليكون الصحفى صاحب رسالة ، ولا يكون جهاز رواج وذيوع لمجرد الرواج والذيوع » .

ونقلب بعد ذلك صفحات الكتاب ولنمض مع مؤلفه فى حديثه عن أمين الرافعى فى نشأته وجهاده فى ميدان العمل الصحفى ونضاله فى دفاعه عن الحق ، مهما جر عليه ذلك من متاعب ، ومهما سبب له من مشاق ، وما اكثرها ، وما كان افدح ما يقدم فى سبيل الحق من ثمن ، ولقد صدق المازنى حين قال فيه :





صبرى أبو المجد : ارخ لحياة امين الرافعى وافاض فى وطنيته معتمدا فى كل هذا على الوثائق التى داب فى الحصول عليها ، وعلى تمامه بالحركة الوطنية المصرية الاصيلة

« لم يكن للعوامل الشخصية دخل فى حساب أمين ، وما كان يناصر أو يخالف مدفوعا بحب زيد ، أو بغض عمرو ، بل بما يعتقد أنه الحق ، والاولى والاجلب للخير ، والاكفل فى ضمان الحركة الوطنية ، وما أيد أو خاصم ، الا فى الله والوطن ، وكان اذا اقتنع برأى ألقى بين عينيه همه ، وأعرض عن ذكر العواقب جانبا ، وكم جر عليه ذلك من هموم وعلل وأوصاب »

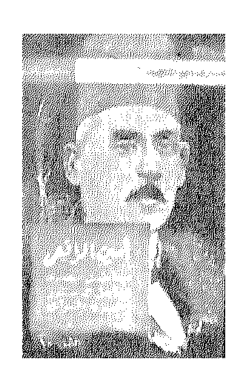
انها لصفحات جهاد وبطولة خليقة بأبناء هذا الجيل أن يعرفوها وان يطيلوا التامل فيها .

ويظهر فى الصفحات الاولى للكتاب حب المؤلف للشخصية التى يكتب عنها وعلاقته القديمة بها ، فقد كان فى بواكير صباه حين وقع فى يده كتاب عنه الفه عبد الرحمن الرافعى ، وأكب على قراءته مشغوفا به ، مستمتعا بما فيه ، ثم كتب كلمة عنه بعث بها من قريته إلى صحيفة الاهرام واذا به يفاجأ بنشرها ، ولقد ظل هذا الحب ينمو فى نفسه ويترعرع حتى حان الوقت الذى يشتدفيه عوده ، ويقوى ساعده ليؤلف فيه كتابه القيم .

***

تخرج الرافعى فى مدرسة الحقوق ولكنه لم ينتظر حتى يتم تخرجه لكى يسهم فى الجهاد والاهتمام بقضايا الوطن ، وانما التحق بهيئة تحرير صحيفة « اللواء » ، وكان يرأس تحريرها اذ ذاك الشيخ عبدالعزيز جاويش وقد قال فيه :

« كان أمين تلميذا فى الحقوق هو والاستاذ عبد الرحمن الرافعى ومحمد زكى على ومصطفى الشوربجى وكانوا يختلفون الى اللواء فكنت أجد فيهم الايمان القوى ، وكنت أجد فيهم المبادىء التى لا تؤثر فيها الزلازل ولا الزعازع ، كنت



أجد فيهم العلم الصحيح والعقيدة الوطنية الراسخة ، وكان أمين وهو يشتغل معى فى اللواء مثال الجد والكمال ، وكان يعجبنى فيه الرأى الصائب والوفاء لمبدئه » .

وقد أبى أمين الرافعى أن يشتغل بعد تخرجه بالحكومة أو المحاماة ، وانما آثر الاشتغال بالصحافة ، أما المحاماة فليكن ميدانها عنده أرحب مدى ، وليكن محاميا لقضايا وطنه يدافع عنها وينافح على نطاق واسع عريض ، ولتكن صحيفة «الاخبار» التى أصدرها عام ١٩٢٠ هى الميدان الذى يصول فيه قلمه ويجول ، ولتكن هى راية الحق التى يرفعها عاليا فى وجه ظلم الاستعمار وطغيانه .

لقد كانت صحيفة الحق والحرية كما يقول عنها صبرى أبو المجد ، ولعلنا نعرف شيئا عن هذه الصحيفة مما كتبته عنها صحيفة « كوكب الشرق » حين قالت:
بلغت مقطوعية الاخبار اليومية أعظم عدد استطاعت أن تخرجه وتوزعه صحيفة فى مصر ، وكان مراسلو الصحف الانجليزية يتسابقون الى ادارة الاخبار علهم يظفرون بخبر أو تعليق أو رأى من الزعيم الصحفى فى ذلك الحين يبرقونه الى صحفهم » .

وما أكثر المواقف النبيلة التى كان يقفها أمين الرافعى والتى يتناولها فى فصل بعنوان « مع الحرية بلا حدود » ويسوق فى ذلك ما يقوله الشاعر أحمد محرم فيه وما كتبه العقاد عنه ، أما أحمد محرم فهو يقول :

« وكنت أظنه متفقها فى القانون ، فاذا بى أراه فقيها كذلك فى علوم الحياة ، ولم يغب عنى أنه كان يحب الحرية لخصومه وخصوم المجتمع ، وللامم المهضومة كما يحبها لنفسه : الحرية التى كان يدعو اليها هى حرية تقوم على الفضيلة وعلى الانسانية وعلى العدل ، لا حرية كتلك التى نفهمها ، ولكنها حرية تفهمها الرسل والانبياء » .

ولم يكن الاستاذ عباس محمود العقاد ينتمى الى المدرسة الوطنية التى انتمى اليها الرافعى ، ولم يلتق معه فى عمل صحفى ، وهو مع ذلك قد أنصفه خير انصاف حين قال فيه :

« كان أمين مؤمنا وكفى بالايمان عزاء فى شقاء الحياة ، وكفى به شقاء فى عالم الكفاح ، فلولا ايمان الرجل لما لقى

بنفسه في ميدانه ، ولولا ايمانه لعز عليه الصبر في بلائه ، فالايمان عدوه والايمان حليفه ، وبالشقاء من يأتيه الكيد من حليفه الحميم ، وبالسعادة من يأتيه العون من عدوه المبين • لم تكن للرافعي آراء تحتمل الخطأ والصواب ، وانما كانت له عقائد لا تترخص بشك ، ولا تأذن في هوادة ، وكان حد العقيدة عنده أن يجهر بالرأى ، فما هو الا ان يخالف فيه المخالفون حتى يفصح عنه ويشتد في تأييده ويأخذ على المعارضين سبيل الشك في أصوله وفروعه ، وحتى يلتقى الرأى والايمان ، ويمتزج اليقين والبرهان ، واذا بكل رأى كأنه دين ذو شعائر وفروض لا تختل منها شعيرة ولا تمس منها فريضة ، واذا بنفسه كلها قد صبت قواها على الرأى ، فلا بقية فيها لرأى سواه » •

***

ولا يكتفى الاستاذ صبرى أبو المجد بالمصادر والمراجع لتأليف كتابه ، وانما يتصل بمن عمل مع الرافعى لكي يعرف عنه المزيد فيستكمل به جوانب شخصيته

يقول فى ذلك :

« سألت أستاذنا الكبير محمد نجيب الذى عمل مع الرافعى سنوات عديدة أن يذكر لي بعض الجوانب الخفية عن حياة الرافعي فقال : كان أمين الرافعى حريصا على أن تظهر صحيفة الاخبار بأحدث الاخبار ، حريصا على أن يكون سباقا فى التعقيب على الاحداث والاتجاهات السياسية •

كان يبكر فى الذهاب الى مكتبه فى الاخبار ولم يكن هذا راجعا الى أن مبنى الجريدة الضخم يضم منزله الى جانب مطبعتها ومكاتب ادارتها ، وانما كان ذلك يرجع أول ما يرجع الى أن عادته جرت على الاستيقاظ مبكرا حتى انه كان أول من يباشر عمله من المحررين وموظفى الادارة

ويسأل صبرى أبو المجد عن بعض النواحى الخاصة فى حياته فتقول له زوجة الأستاذ الرافعى :

« كان الرافعى يرى أن دور المرأة فى المجتمع ضرورى وهام مثل دور الرجل تماما • وكان مثل هذا الرأى متقدما جدا **في عصره وكان صديقا لكل الناس ، وكان مؤمنا الى درجة تكاد تكون مثالية • مات ولده عبدالرحمن بالدفتيريا ، وعندما سمع الصراخ الذى صحب الوفاة قام يصلى واتكأ على السجادة يبكى ، وقد أصيب بمرض السكر بعد وفاة ابنه ، وكانت الجهود التى بذلها فى آخر أيامه ، وعدم التزامه أوامر الطبيب واصراره على أن يشرف على الاخبار ويكتب كل يوم أكثر من مقال ، من الاسباب التى عجلت بوفاته • »**

***

ويختتم صبرى أبو المجد كتابه بقوله:

« ان حياة الرافعي أسطورة مجيدة خالدة » •

وانها لكذلك ، وأعجب ما فى هذه الحياة أن صاحبها لم يعش فيها أكثر من واحد وأربعين عاما ، ولكنها كانت كافية لان تخلد ذكره وان تبقى اسمه ناصعا متلألئا ، ولقد كانت وفاته رزءا كبيرا فرثاه شاعرا مصر العظيمان حافظ وشوقى أبلغ رثاء •

مع الجمال والإبداع الفنى فى

الأندلس

د. حسين مؤنس

- الأندلس جنة زاهرة أنشأها العرب على أرض أوربية . فجمعت بين مجد الحضارة العربية وجمال الطبيعة
- كان أجمل ما فى الأندلس ، الأندلسيين ، كانوا شعبًا موهوبًا نشيطًا ، عصبيًا ، عظيم الإنتاج ... ولكنهم كانوا أيضًا سبب ضياع بلادهم بسبب الحقد والغيرة والكبرياء وقصر النظر
- كانت الأندلسيات أنصاف أوربيات يجمعن جمال الشرق والغرب ومن هنا كانت فتنة بنت الأندلس التى طالما تحدث عنها الشعراء

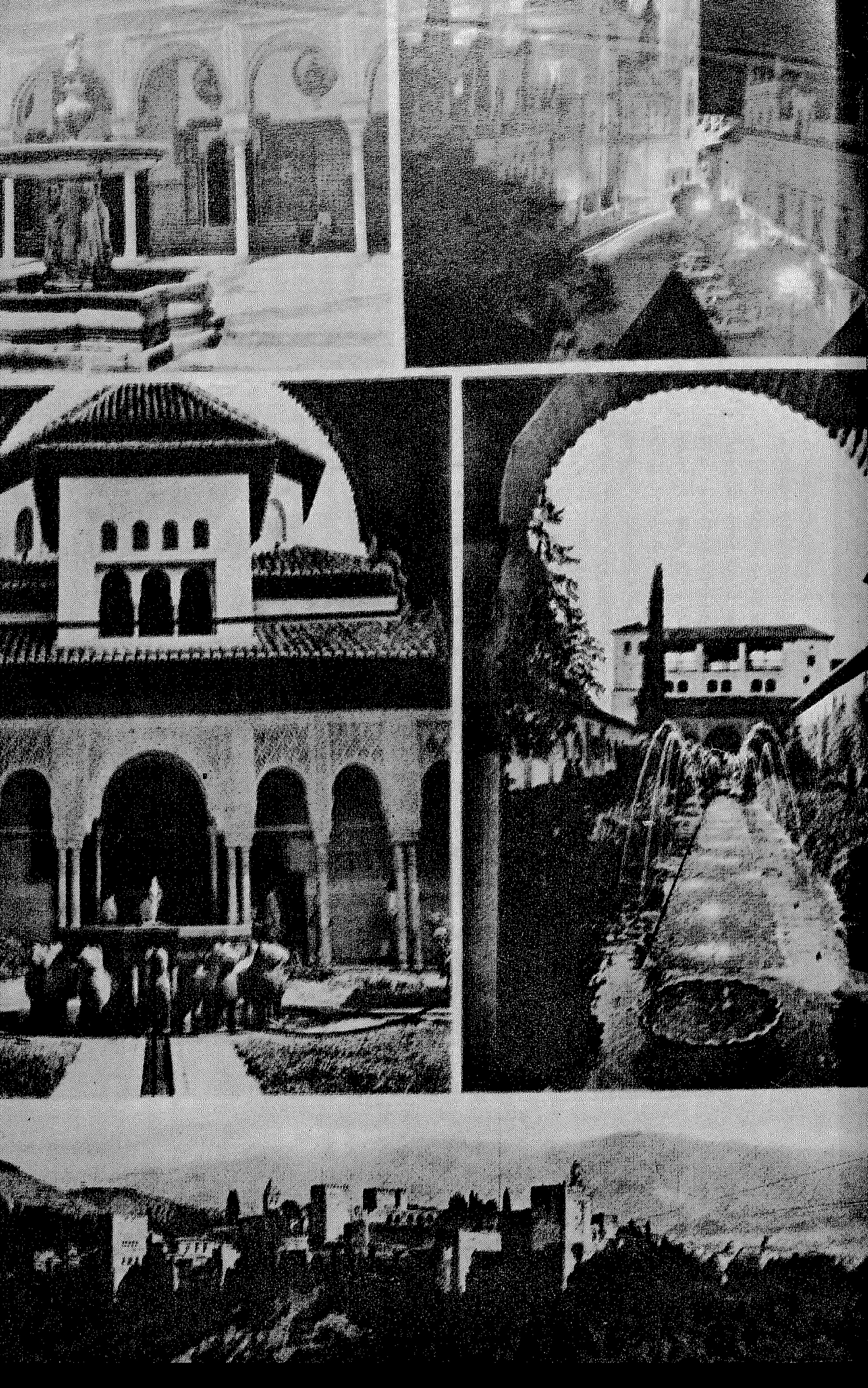
●● يلقبون الاندلس بالفردوس المفقود ، وقد كان فردوسا بالفعل ضيعناه لاننا لم نعرف قدره ، كان علينا أن نحافظ على وحدتنا وقوتنا لنحمى فردوسنا الذى انشاناه فى قلب الغرب الاوروبى .

بنيناه فى أربعة قرون وضيعناه فى أربعة قرون . لم ينجب بلد عربى من الشعراء والفنانين والفلاسفة والعلماء قدر ما انجب الاندلس .. ولم ينجب كذلك من الحمقى وقصار النظر والغافلين عن المجد كما انجب الاندلس ..

بنيناه بيد وهدمناه بيد ، ومع ذلك فلو اننا اتعظنا بدرس الاندلس لما كانت الخسارة كبيرة . والتاريخ دروس لمن يعيهـا ، . اذا لم نعتبر بدرس الاندلس فنكون قد ضيعناه مرتين ●●

لمحات من جمال الأندلس المتعدد الأشكال

من اليمين الى الشمال ـ أعلى ـ اجمل مئذنة فى تاريخ العمارة الاسلامية تتحول الى برج للنواقيس ، انها منارة الخيرالدا فى اشبيليه . والى اليسار بهو قصر بيلاتوس فى اشبيليه المبنى على الطراز العربى
الصف الثانى : من اليمين : بركة النافورات بين القصر الصغير والقصر الكبير فى حدائق جنة العريف
الى اليسار : بهو السباع فى قصر الحمراء فى غرناطة
والصورة السفلى : منظر عام لقصور الحمراء ماخوذ من اسفل وادى حدار



الأنـــــدلـــــس

ليس احب الى العـــربى من ذكر الاندلس . ربمـــا لأن الاندلس هو البلد العربى الكبير الوحيد الذى ضاع ، فهـــو ابن اسرة الغروبة الذى مات فى شـــبابه ، كل افرادها يبكونه ويذكرونه بالخير ..

والحق ان الاندلس كان من انجب ابناء اسرة العروبة ، وهو لهذا جـــدير بأن يبكي ، فقد استقل بنفسه سنة ١٣٨ ـ ٦٥٨ وقامت فيه دولة بنى امية الاندلسية زاهرة باهرة في وقت لم يكن اى بلـد عربى اخر قد استقام له كيـان وقامت فيه دولة ونظام . حتى بلاد الشام التى كانت مركز الدولة الاموية عاد امـــرها فاضطرب بعد انتقال الدولة الى العراق وفقد ذلك الرواء الجميل الذى امتاز به طوال العهد الاموى . ولكن الشيء الذى يستوقف النظر انه رغم قيام الدولـــة والقـــوة السياسية لم يصاحبه تكون سليم للشعب . أو نضج قومى .

ومن حسن حظ الاندلس ان الذى اقام الدولة الاموية فيه كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الملقب بالداخل ـ الى الاندلس ـ والمعروف احيانا بصقر قريش .. ولقد كتب الناس عندنا كثيرا عن عبد الرحمن الداخل ، ولكن القليلين جدا هم الذين يعرفون الصفات الاســاسية التى مكنت له من ان ينشيء دولة عمـرت على حال القوة والصعود كما لم يقدر لأى دولة اسلامية اخرى باستثناء دولة آل عثمان. فقد عمرت الدولة الاموية الاندلسية من ١٣٨ الى ٤٢٣ / ٦٥٨ ـ ١٠٢٣ اى ٢٨٥ سنة على حال متصل من القوة والازهار والصعود ، فى حين ان دولة بنى امية فى الشام لم تعمر الا ٩٥ سنة ، وعصر القوة والازهار فى تاريخ الدولة العباســـية لا يزيد على ١٠٠ سنة ، ولا احدثك عن دول لم تكد تولد حتى ماتت مثل دولة بنى طولون فى مصر ـ ٣٥ سنة ـ ودولـــة الاخشيد (٣٥ سنة حكم معظمها كافور!)

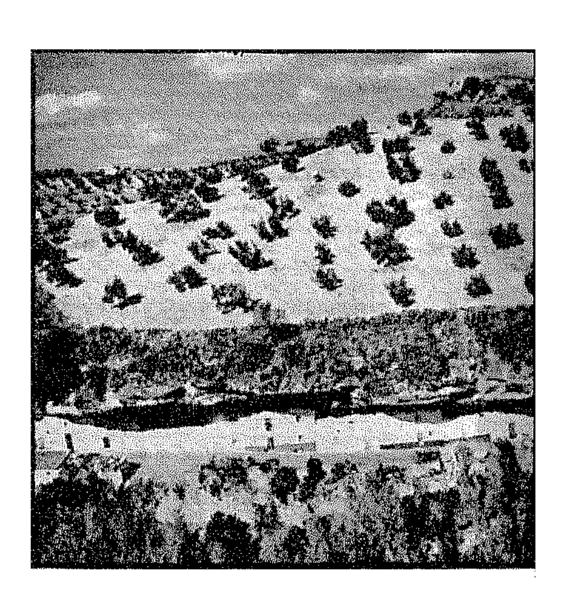
ثم ان الاندلس بلد عربى قام على ارض اوروبية ، وكان سكانه الذين وجـــدهم العرب لدى دخولهم مابين ايبيريين ورومان وقوط اوروبيين يتكلمون لغة هى خليط من لغاتهم الاصلية واللاتينية العاميـــة ، ومن غريب ما يلاحظ ان العرب عنـــدما دخلوا الاندلس لم يجدوا اى صعوبة فى التفاهم مع اهل البلاد هؤلاء ، فأما القوط منهم فكانوا طبقة حاكمة سيدة ، وكانوا لا يتمتعون بحب من الناس ، وبعـــد هزيمتهم امام جيش طارق بن زياد فر معظم الباقى منهم الى شمال الجـــزيرة واعتصموا بنواحى اشتوريس وجليقية ، واختلط بعضهم بالعرب، واسلم الكثيرون منهم واستعربوا ونبغ منهم رجال مثل ابى بكر بن القوطية المؤرخ الاديب .. بل ان ايلونا او ايجيلونا ازوجة لذريق او روريجو الذى هزمه طارق بن زياد فى موقعة الفتح الحاسمة التى تعرف بمعركة شريش سنة ٧١١ تزوجت من عبد العزيز ابن نصير ، وأسلمت وانجبت منه ولدا يسمى عاصم ، وسماها الناس بام عاصم وقد تعلقت ام عاصم بعبد العزيز تعلقا شديدا ، وكان هذا التعلق سببا فى غيرة نساء قوطيات اخريات ، وكان ذلك فى النهاية من اسباب مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وكان من اصلح الحكام.

ومهما توسعنا فى تقدير اعداد العرب الفاتحين والذين دخلوا الاندلس ، فان عدد هؤلاء لا يزيد على المائة الف رجل على طول عصور الاسلام فى شبه الجزيرة ، وهذا العدد الصغير هو صاحب الفضـــل فى تعريب الاندلس ، وهو امر لا يصدق لأن اهل شبه الجزيرة كانوا فى ذلك الحين نحو الاربعة ملايين ، فكيف استطاع هذا العدد القليل من العرب أن يعربهم ؟

● الجوانب الانسانية من صفات العرب ●

هذا يرجع الى حقيقة لا يتنبه اليها الكثيرون ، وهي **ان العرب في عصور الفتح امتازوا الى جانب فضائلهم المعروفة من شجاعة وشهامة واخلاص للاسلام بما يمكن ان نسميه « حسن العشرة »، فهؤلاء البدو الذين خرجوا من صحرائهم حاملين راية الاسلام كانوا أبعد ما يكونون عن الغلظة والجفوة ، كانت فيهم بداوة وخشونة مظهر ، ولكنهم كانوا قريبين من** القلوب ، وكانوا يميلون ميلا شديدا الى الاتصال بالناس والاختلاط بهم ومصاهرتهم واقامة علاقات مودة معهم . هذا حدث في كل مكان نزلوه من بلاد الترك الى الاندلس .

وهذا يفسر لنا لماذا مال الناس في كل هذه البلاد الى ان يكونوا عربا ، فاستعربت ألسنتهم واجتهدوا في تعلم اللغة العربية وتحولوا شيئا فشيئا الى عرب مستعربة وانتهى الامر بهم الى ان صاروا عربا



الزيتون ، تلك الشجرة المباركة التي هي لا شرقية ولا غربية هدية من اكبر هدايا العرب للاندلس .. هم الذين نقلوا شجرة الزيتون الى هناك ، واليوم تعتبر اسبانيا اكبر بلد منتج لزيت الزيتون في الدنيا ، وفي الصورة ترى جزءا من شجرات الزيتون التي تتسلق التلال في جنوب الاندلس كله

وتظهر هذه الظاهرة في الاندلس بصورة واضحة جدا ، فقد امتزج العربي بالاسباني والبرتغالي امتزاجا شديدا ، واذا كان العرب قد دخلوا الاندلس اواخر القرن الهجري الاول فاننا في مطالع القرن الهجري الثالث ، ومنذ بداية حكم عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦ ــ ٢٣٨ هـ) نجد انفسنا امام شعب اندلسي عربي ومركز من مراكز الحضارة العربية وهذه حقيقة لا تصدق ، وتوفيق لم يصل اليه شعب فاتح قبل ذلك

العرب والبربر : تشابهوا في الصفات والخصائص واشتركوا في الفتوح وتخاصموا وتحاربوا وانتهوا الى ان صاروا شعبا واحدا .

ولكن المسلمين الذين دخلوا شبه الجزيرة لم يكونوا كلهم عربا بل كان معظمهم من البربر بسبب قرب البلاد ، وعلى الرغم مما وقع بين العرب والبربر من خلافات اثناء فترة الفتوح وبقية العصر الاموي فقد تفاهم العرب والبربر بأسرع مما تفاهموا به مع كثير من الشعوب الاخرى ، فاستعرب البربر واختلطوا بالعرب واهل الاندلس واصبحوا أندلسيين ، وكانوا عنصرا نشيطا ذكيا أسهم بأوفر نصيب في بناء الاندلس وحضارته ، وظهر من بينهم نوابغ في كل ميدان ، من الحرب والسياسة الى الشعر والادب والفقه وعلوم المعاش وهي الطب والصيدلة والفلك والرياضيات .

***

ولا يمكن اغفال هذا العنصر البربري المستعرب في الكلام عن الاندلس ، ولا يمكن كذلك ان ننسى ان اهل الاندلس القدامى اوروبيون ، وانهم كانوا اغلبية السكان . وقد اسلموا واستعربوا . وهنا وجه الطرافة في التكوين السكاني للاندلس ، فنحن **هنا امام شعب عربي اوروبي افريقي قد اختلطت عناصره بعضها ببعض اختلاطا شديدا واخذت في النهاية طابعا عربيا غالبا . اولئك هم العرب الاوروبيون الذين يبهروننا بهيئاتهم واخلاقهم وملكاتهم ..**

الأنــــدلــــس

مسجد قرطبة أجمل مساجد الدنيا وأكبرها حجماً

مسجد قرطبة الجامع ، عمل فني فريد في بابه في تاريخ العمارة الاسلامية ، ووجه الاعجاز فيه أن عندما وسع الجامع ، وجد أنه من الضروري أن يزيد في ارتفاع السقف، فبنى فوق الاعمدة دعامات م ورفع عليها عقودا ثانية فاصبح مسجد قرطبة الجامع المسجد الوحيد في الدنيا ذا العقود وبالاضافة الى ذلك فقد جعل المعماري العقود من الحجر والآجر ، مما أعطاها ذلك اللون الاحمر الذي يستلفت النظر ، وفي المسجد ما يزيد على الف عمود ، فهو في الحقيقة غابة من الا والعقود والرخام ، مهيأة على نحو لم يستطع أحد تقليده بعد ذلك



الرواق الأوسط في مسجد قرطبة الجامع ، قبل بلاط المحـــراب ، انه من آيات الإبداع الفني المعماري من حيث تقاطع العقود وارتفاعها بعضها فوق بعض وتشابكها على هيئة بديعة



ويخطيء من يتصور ان العرب فـــي اسبانيا كانوا محتلين او طبقة حاكمة لأن الحقيقة ان شعب جزيرة ايبيريا هو الذى استعرب واسلم . وعندما نتكلم عن عبد الرحمن الناصر مثلا « ٩١٢-٩٦١» ينبغى ان نذكر اننا امام رجـل عربى اسبانى اوروبى ، وهو اعظـم ملوك اوروبا في عصره ، وقد كان اشقر اللون والشـعر ازرق العينين ، وكان عربيا بالاحساس والشـعور والانتماء الى الجدود ، ولـكنه كان أوروبيا اندلسيا بالوطن والانتماء : كان يتكلم العربية الفصحى طبعا ، وكان يحفظ اشعار العرب ويرددها ، وكان رجلا قرشيا من ذؤابة بنى امية بن عبـد شمس ، ولكنه كان فى نفس الوقت من ام اسبانية جليقية تسمى مارية او ماوية ، وكان يتكلم الاسبانية بطلاقـة الاسبانى ، وكان ذوقه اندلسيا يتجلى بصورة خاصة فى مدينة الزهراء التى انشأها شمالى غربى قرطبة لتـكون مقرا ملكيا له يستقبل فيـه الملوك والسفراء . هنا نلتقى مع خليفـة جليل ربما كان اعظم حاكم اسلامى بعد عصر الراشدين ، فهو شديد الشعور بمسئولياته حيال وطنه وشعبه ، وهو اول رجل فى التاريخ وحـد شبه الجزيرة الايبيرية تحت سلطانة ، فأما الانـدلس وهو مادان للاسـلام فى شبه الجزيرة الايبـرية ، وكان ثلاثة ارباع مساحتها ، فقد حكمه حكمـا مباشرا ، **واما المـالك والامارات النصرانية فى الشمال فـقد دخلـت فى ولائه ودانت له بالطاعة ، وكـانت قرطبة عاصمة لهم يترددون عليهـا ليسـتشيروا خليفتها العظـيم او ليتداووا عند اطبائها ، او ليسـووا** خلافاتهم بين بعضـهم وبعض . وكان الرجل عند حسن ظنهم دائما : ماغدر مرة باحـد ، ولا وعـد فلم يوف ، ولا أعطى الامان لاحد ثم ساءه» .. وكان شديد التقى والورع ، ثم ان نشـاطه كان بلا حدود ، فهذا الرجل حـكم الاندلس خمسين سنة قضاها كلها في حركة دائبة ونشاط لا يعرف الكلل.. قضاها فى خدمة العروبة ، والاسلام والاندلس الذى هو اسبانيا والبرتغال

***

ذلك هو أحد امراء الاندلس ، لقـد أعطيتك فكرة عن شعب الاندلس ،ووقفت لك عند نموذج من ابدع نماذجه وهـو عبد الرحمن الناصر ..

ومن هذه البداية الباهرة يمكن ان نتحدث عن الاندلس وجمـال الاندلس ومجد الاندلس ومأساة الأندلس أيضا .

***

● الاندلسيون شـعب موهوب ولـكنه كان مزجا بشريا غير سليم التكوين ●

ولقد تعودنا عندما نكتب عـن الاندلس ان نكتب عن مدنه البديعة الجمال. عن قرطبة وغرناطة واشبيليا ومرسية ، ومالقة ،وسرقسطةوما اليها ، ولكنى ساحدثك هذه المرة عن اهـل الاندلس انفسهم ، عن الناس الذين شادوا هذا المجد ثم هدموه ، لا بد ان نذكر عندما نتكلم عنفضائل الاندلسيين وعبقريتهم فى بناء بلدهم ان النواحى السلبية فى تكوينهم الخلقى كانـت كثيرة جدا ، وهى السر فى ماسـاة الانـدلس . **ذلك ان الاندلس كما قلت لك كان انسانا عربيا بربريا اوروبيا، العناصر الثلاثة امتزجت فيه وكونت الشخصية الاندلسية التى تختلف فى**

مجموعها عن الشخصيات التقليدية التى نعرفها فى غير الاندلس من بلاد العروبة فى العصور الوسطى . فعلى الرغم من قلة التفاصيل التى لدينا عن الأحوال الاجتماعية فى بلادنا فى العصور الماضية ، فانك وانت تقرأ صفحات الماضى تشعر بشخصية كل بلد من بلاد العروبة تقرأ عنه .

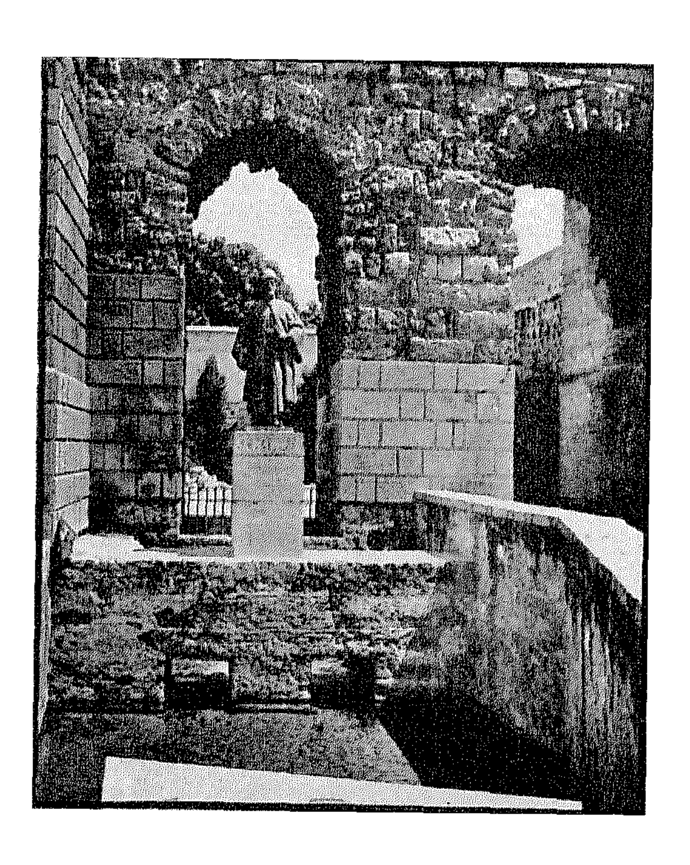
عندما تقرأ للطبرى أو للخطب البغدادى تشعر بشخصية شعب العراق العربى الذى كان اذ ذاك فى دور التكوين وتتضح لك هذه الشخصية بصورة أوضح عندما تقرأ ما كتب الجاحظ فى كتبه الكبرى مثل البيان والتبيين او الحيوان. وكتبه الصغرى

وهى رسائله الكثيرة المعروفة، وفى كل هذا أنت تشعر بالمجتمع العراقى فى عصره من حولك ، وكان مجتمعا نشيطا متدفقا بالحيوية والعنف والرغبة فى الاستمتاع بالحياة والاتجاه الى التمرد على كل شىء ..

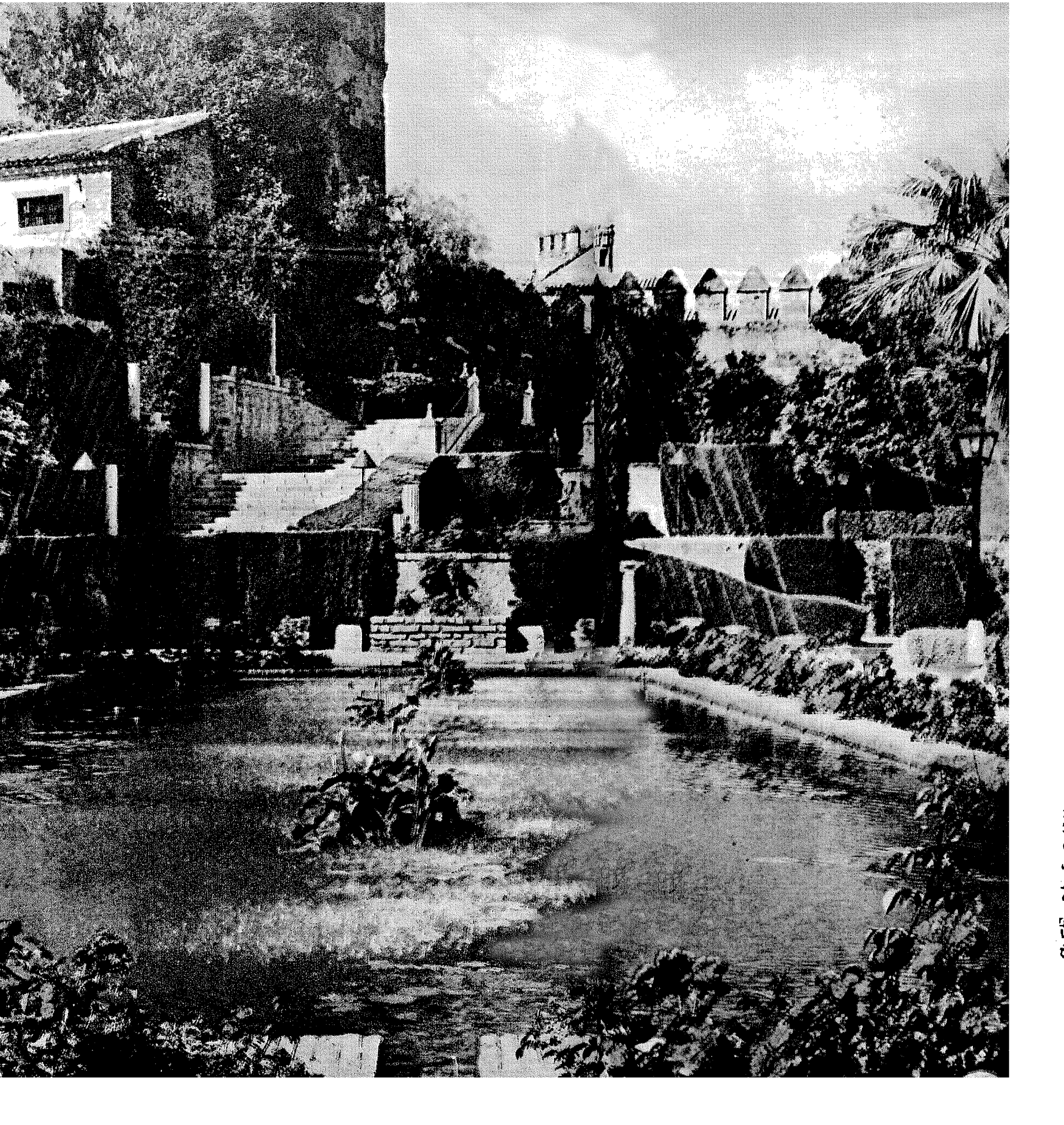
● شعب شديد الحساسية والعصبية والغرور ●

ولكن شعبا من شعوب الاسلام لم يكشف عن حقائق شخصية نفسه كما فعل الاندلسيون . فقد كانوا مولعين بالحديث عن انفسهم ، وكانت فيهم عصبية وثقة بالنفس وغرور بهما تجعل الاندلسى لايكف عن الحديث عن نفسه . ومن هنا فان صورة الاندلسى فى اذهاننا واضحة جدا .

وخذ مثلا كتابا مثل : « نفح الطيب » للمقرى تجد فيه فصلين طويلين عن اهل الاندلس وجودة قرائحهم وذكائهم واشعارهم - هذان الفصلان - وهما يقعان فى نحو ٣٠٠ صفحة يتكونان من حكايات صغيرة واشعار واخبار ، وفى كل قطعة من هذه تجد لمحة او لمسة تكشف لك عن شخصية الانسان الاندلسي .



توفى ابو محمد على بن حزم فقيه الاندلس الاكبر ، وكاتبه وشاعره سنة ١٠٦٤ م وبهذه المناسبة اقيم سنة ١٩٦٤ مهرجان كبير لابن حزم فى بلده قرطبة ونصب له هذا التمثال الجميل تحت باب اشبيليه المسمى بباب العطارين الذى كان ابن حزم يمر تحته فى طريقه من بيته الى دار الوزارة عندما كان وزيرا للخليفة عبدالرحمن المستظهر



قصر خلفاء قرطبة يعود كما كان أيام عبد الرحمن الناصر

يقع قصر الامارة في مواجهة المسجد الجامع عند قنطرة الوادي الكبير ، وقد تحول ذلك القصر مع الزمن الى مجموعة من القصور تحيط بها الحدائق المزينة باحواض الزهور وبرك الماء ، وقد تمكن المعماريون الاسبان من اعادة انشاء هذه القصور كما كانت ايام الخلافة ، فقامت اليوم بمبانيها وحدائقها وبرك الماء الجميلة . وجدير بالذكر أن الأندلسيين عرفوا ادخال الماء الى المنازل من طريق انابيب الرصاص والآجر ، وقد وجدت آثار هذه كلها وجدت كما كانت . ولم يكن الاندلسيون يستحمون في برك بيوتهم الا في بركة قصر الزهراء التي كانت تستعمل للسباحة ايضا.

وتحتل هذه القصور اليوم مساحة واسعة ، ويحيط بها سور عربي ذو شرافات . لاحظ كيف زرعوا في حديقة القصر نخلة عبد الرحمن الداخل ، المشهورة في الشعر الاندلسي ، فقد قال فيها هو شعرا معروفا في تاريخ الادب الاندلسي

واول مايستوقفك من ملامح الشخصية الاندلسية هو احساس الاندلسى بنفسه وحبه لبلاده الاندلس وفخره بها ... **كان الاندلسيون معروفين فى العالم الإسلامي كله بغرورهم بأنفسهم ووطنهم** . حقيقة كان كل مواطن عربي فخورا ببلده يتحدث عن محاسنه ولكن الاندلسيين زادوا على الجميع فى ذلك حتى أصبح كلامهم جارحا للاحاسيس والمشاعر . فى حلقات الدروس اشتهر الاندلسيون بطول اللسان وعدم المبالاة بمشاعر الآخرين .

كانوا معذورين الى حد ما فى هذا الغرور، فان وطنهم الاندلس كان حافلا بمظاهر الجمال ومصادر الخيرات وكانوا هم واعين تماما لهذا الجمال وتلك الخيرات ، ففي غير الاندلس من بلاد الاسلام كانت هناك نواح ذات جمال طبيعى فائق مثل الموصل وبلاد العلويين فى الشام ودلتا النيل وبلاد المغرب ، ولكننا قليلا ما نجد شعراء العراق والشام ومصر والمغرب يقفون طويلا امام جمال الطبيعة ويقولون فيه فى حين ان وصف الطبيعة اصبح فى الاندلس ضربا من الشعر قائما بذاته فالى جانب ابن حمديس وما اشتهر به من روضياته نجد دواوين شعر كاملة ألفت فى الازهار او النواوير — جمع نوار — كما كانت تسمى ، وفى الربيع وفى الورود او المروج الخضراء والبساتين والقصور ، وجداول المياه .

● فى الانــدلس بلغ فن الحدائق العربيــة ذروته فى الجمـــال والاناقة ●

وقد اجتهد الاندلسيون فى ابراز جمال بلادهم ، فكانو عشاقا للحدائق والرياض ، يتأنقون فى تنسيقها ، ولم يبلغ فن الحدائق العربية فى قطر من الاقطار ما بلغه فى الاندلس . وقد بقيت لنا من روائع اعمالهم فى هذا المجال حدائق قصور الحمراء وجنة العريف الملحقة بها . **وهنا فى هذه الاخيرة تتجلى الحديقة العربية فى اروع صورها ، ذلك اننا نعرف ان للعرب فلسفة خاصة فى حدائقهم ، فبينما نجد الحديقة اليابانية تجمع كل صور الجمال الطبيعى فى مساحة صغيرة فنجد اشجارا وخضرة وازهارا وجدول ماء وقنطرة فوق الجدول وكل ذلك فى امتار قليلة . نجد الحديقة الفرنسية — مثل حدائق فرساى — روضا واسعا جامعا للخضرة والشجر ، والزهور منسقة تنسيقا فيه تكلف وتصنع كبيران ، وهى مفتوحة للناس لتمتلىء منها العيون ، نجد الحديقة العربية معتكفا اى مكانا** معزولا تدور عليه أسوار **عالية وخلف السور تقوم الاشجار والخضرة** والريحان والورود .. وكل شيء فى الحديقة يقصد به الى الخلوة والانفراد والتامل .. من هنا جاء تشبيه الحديقة بموضع الراحة الأبدى والروضة عندنا تطلق على الحديقة وعلى القبر ، والروضة النبوية هى قبر النبى صلى الله عليه وسلم .. هنا فى حدائق قصور الحمراء وجنة العريف نجد هذه الفلسفة واضحة ناطقة ، فالحديقة وكانت تسمى الجنة والجمع جنان ، معتكف ومعتزل جميل غارق فى الصمت والهدوء ، وقد زرعت فيه شجيرات الريحان وجعلت اشبه بجدران تفصل أجزاء الحديقة بعضها عن بعض ، واجرى الماء فى قنوات وانطلق فى الجو من نوافير تصنع اقواس نصر فى بعض الأحيان ..

***

وحتى فى خارج الحدائق عندما تسير فى الريف الاندلسى يبهرك الجمال المحيط بك . **فالارض من حولك تلال**

جميلة خضراء تتسلقها اشجارالزيتون .. والقرى منثورة في هذا البساط الاخضر البديع كأنها زهور بيضاء حمراء ، لان الاندلسيين يطلون بيوتهم بالجير الابيض ويجعلون السقوف من القرميد الأحمر . وهذه القرى دائما صغيرة فسيحة الشوارع وسكانها دائما قليلون ، لان الاسباني مهاجر بطبعه ، ومواطن الهجرة امامه مفتحة في امريكا الوسطى والجنوبية.

● كان سكان الاندلس قليلين حتى القرن العاشر الميلادى ●

فى أيام المسلمين كان السكان دائما قليلين فى المدن والقرى والمزارع ، لان بلاد الاندلس فسيحة جدا ، وكان نمو السكان بطيئا . لم ينم سكان العالم بصورة واضحة الا خلال القرن العاشر الميلادى .. هذا النمو السكانى الكبير اعتبره الناس انفجارا سكانيا ، وهو من أسباب الحروب الصليبية ، لأن الناس انطلقوا يبحثون عن بلاد جديدة يتوسعون فيها . خلال القرن العاشر ، وفى العصر الذهبى للاندلس ابتداء من حكم عبد الرحمن الناصر الذى بدا يحكم سنة ٩١٢ ميلادية هاجر الوف من النصارى الشماليين الى بلاد الاندلس لينعموا بالامان والعدل فى دولة الاسلام فى الاندلس كان زحفا بطيئا لم يشعر به أحد . وكان اولئك المهاجرون يستقرون فى شرق الاندلس فيما يعرف الآن بمحافظات كونكة والبسيط وفيما بين نهرى الدويرو والتاجه . وكان المسلمون يرحبون بهذه الهجرة لان البلاد كانت فى حاجة الى أيد عاملة، ولكن النتيجة كانت وبالا فى القرن التالى ، عندما سقطت دولة الخلافة وانقسم الاندلس الى ممالك الطوائف تبين أن اعداد النصارى فى الأندلس كانت تزيد على عدد المسلمين فى الجملة وكان لهذا أثره البعيد فى مصير الأندلس .

***

● الاندلسيات جميلات عاطفيات .. فيهن رقة وعصبية وقوة واعتداد بالنفس كبير ●

وقد اشتهرت الاندلسيات بالجمال ربما لم يكن اجمل من غيرهن من نساء العالم الاسلامى ولكن المراة الاندلسية كان فيها اعتزاز بالنفس وغرور مكنا لها من ان تفرض نفسها على المجتمع وعلى الرجال خاصة ، وجعلها تفوز بالكثير من الحريات والامتيازات وقد ساعدها على ذلك ان الاندلسى كان شديد الحساسية للجمال . اقرا كتاب « طوق الحمامة فى الالفة والالاف » لابن حزم تلمس هذه الظاهرة .. ابن حزم نفسه، **ذلك الفقيه الجليل يتحدث اليك بصراحة ودون تكلف عن ذوقه فى الجمال ويحكى تجاربه فى الحب ، وهو يقول مثلا انه فى شبابه عشق جارية صغيرة الحجم بيضاء اللون ، فلم يحب فى حياته بعد ذلك الا هذا الطراز من** النساء . وهو يقول ان خلفاء بنى



تمثال من البرونز لحيوان وجد فى آثار قصر قرطبة ، ولا يعرف ان كان ذلك التمثال لحصان او لحيوان اسطورى



محراب مسجد قرطبة آية من آيات الفن

اخذت الصورة التى تراها هنا فى الرواق الاوسط للمسجد فى مواجهة المحراب ، لاحظ جمال الاعمدة الرخامية المختلفة الالوان والعقود المزدوجة على الجانبين . هذه العقود تحمل فوقها قبة صغيرة، ولكنها فريدة فى بابها ، لانها اول قبة انشئت على عروق حجرية على الطراز القوطى ، ومن المعروف ان طراز العمارة القوطية ابتكار اندلسى ظهر فى جامع قرطبة لاول مرة قبل ان يظهر فى بقية اوربا .

المحراب ليس مجرد حلية ، انما هو بوابة جميلة مزينة بالفسيفساء ذات عقد حدوة فرس ، تعلوها سطور من آيات قرآنية جميلة . بداخل العقد غرفة صغيرة من الرخام هى المحراب ، وسقف هذه الغرفة قطعة رخام واحدة على شكل المحارة ، وهى فى ذاتها تحفة فنية فريدة

فى ايام المسلمين لم يكن هنالك ذلك السور الحديدى الذى تراه.لاحظ تشابه العقود فى هذه البلاطة المؤدية الى المحراب

أمية في الاندلس كانوا يميلون الى الجليقيات ، وهن شقراوات طوال مراض لهذا كانت قصورهم حافلة بالشقراوات . عبد الرحمن الاوسط كان من عشاق الجمال ، وفي ذات مرة اهدى الى احدى جواريه عقدا من اللالىء والجواهر يساوي الفا فاستكثر ذلك بعض جلسائه ،فتعجب من ذلك وقال : وهل خلق الله اجمل من وجه افرغ الله عليه الحسن ، واين هذه الحجارة من امراة ذات حسن ورقة وكمال !

● عبد الرحمن الاوسط وجاريته طروب ●

وكانت لعبد الرحمن الاوسط هذا جارية تسمى طروب ، كانت بارعة الحسن ولكنها كانت باردة العواطف، جشعة الى المال طامحة الى السلطان تسعى الى ان يتولى ابنها العرش.. كان عبد الرحمن عاشقا لها لايرد لها طلبا . الاموال التى افاضها عليها لا تحصى . رغم ذلك تآمرت عليه مع رجل من خدم القصر يسمى نصر ، ولكن المؤامرة انكشفت ودفع نصر حياته ثمنا لخيانته لمولاه اما هي فلا ندري ما جرى لها ..

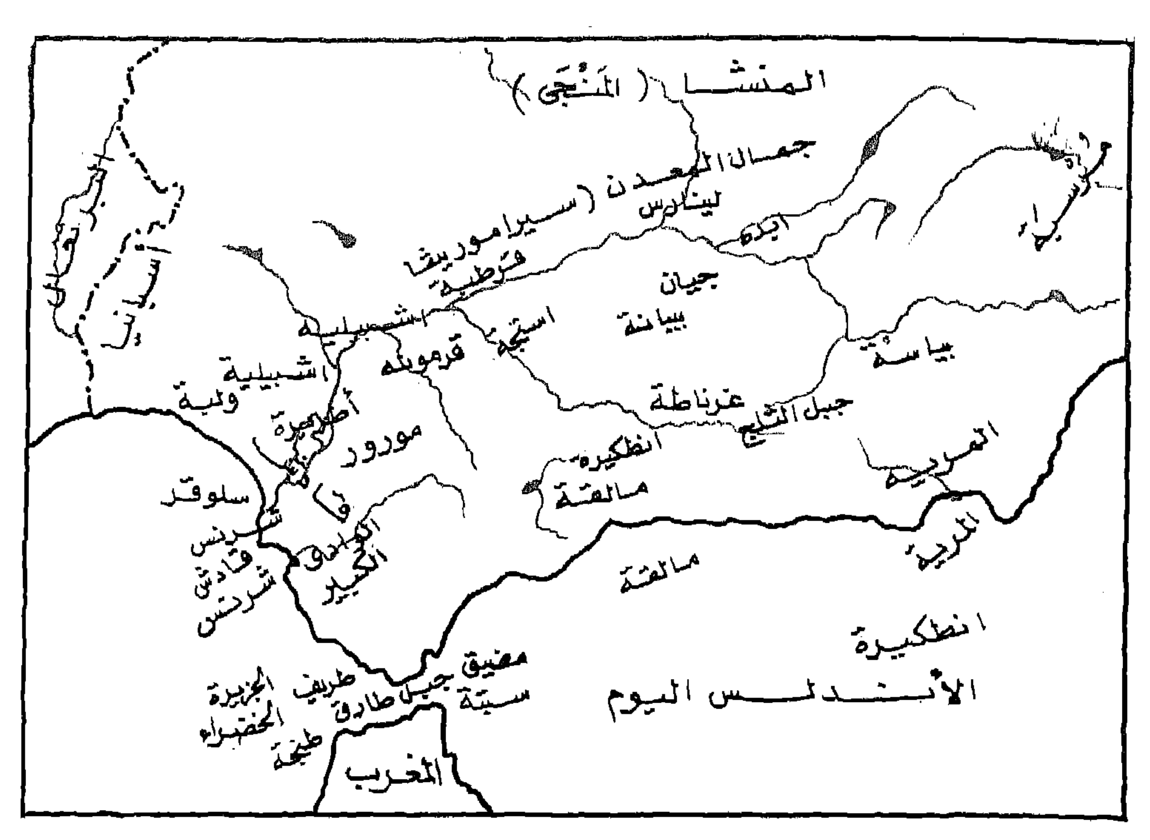
● نساء الاندلس في العصور العربية يشبهن نساء اليوم ●

وكانت نساء الاندلس العربي يشبهن الى حد كبير نساء الاندلس **اليوم . الغالبية سمراوات رشيقات حريصات على ان تزين القرنفلة الحمراء شعرهن الاسود . عيونهن كانت ولا تزال مضرب المثل في الفتنة ولم تكن المراة الاندلسية مستضعفة ولا ذليلة . كانت مرفوعة الراس دائما كما هو الحال مع الاندلسيات اليوم .**

في مجموعة وثائق عبد الواحد الفهري نقرأ لهذا الفقيه الذي الف مجموعا من نماذج وثائق البيع والشراء والتركات والزواج والطلاق نقرأ له كلاما يقول فيه ان نساء الاندلس لا يمكن معاملتهن بالشدة . لابد معهن من اللين والاحسان والا لم يظفر الرجل منهن بطائل. هذا الرجل يحكى قصة شاب اتاه يقول له انه متحير لان اباه يريد أن يزوجه بابنة عمه الثرية ولكنه لا يريد لانها ليست جميلة وهو يريد ان يتزوج جارة له حلوة تعجبه ولكنها فقيرة . فقال له الفقيه : وتقول انك متحير .. حقا انك جاحد الاحساس ! الجميلة التي تعجبك .

***

امثال هذه الحكايات تدل على اننا امام شعب فريد في بابه يختلف عن غيره من شعوب العروبة والاسلام . شعب مرهف الحس ، عصبي المزاج، مقبل على الحياة والعمل ، شديد الاحساس بالجمال . يقول على بن سعيد وهو اندلسي من أسرة كبيرة هاجر من الاندلس في القرن الثالث عشر الميلادي وطاف بنواحي المشرق وانفق وقته في الرحلات والكتابة عن الاندلس ، **يقول ان الاندلسيين من انظف شعوب الارض، وان الاندلسي اذا لم يكن معه الا درهم انفقه في شراء صابون وبقي دون طعام** ولسان الدين الخطيب الكاتب الشاعر الغرناطي الأشهر يتحدث عن الاندلسيات ويقول انهن اجمل نساء الدنيا ، وهو لا يعيب عليهن الا انهن صغيرات الحجم . وليس في بلاد الاسلام شعب اخرج من الشعراء قدر



يطلق اسم الاندلس اليوم على ثمان محافظات صغيرة فى جنوب اسبانيا ، هى المرية ، وغرناطة ، وجيان ، وقرطبة، وقادش ، وولبة ، ومالقة ، واشبيليه .
والخريطة تبين ما يسمى بالاندلس ((آندلفيا)) اليوم .

ما أخرج الأندلسيون . حقا ان معظم شعرهم لا يمتاز بعمق او يسمو بعيد فى المعانى ولكنهم كانوا شعبا شاعرا يقول المقرى فى ((نفح الطيب)) ان شعب الأندلس كله شعراء — حتى الحراثون فى الحقول يقولون الشعر .

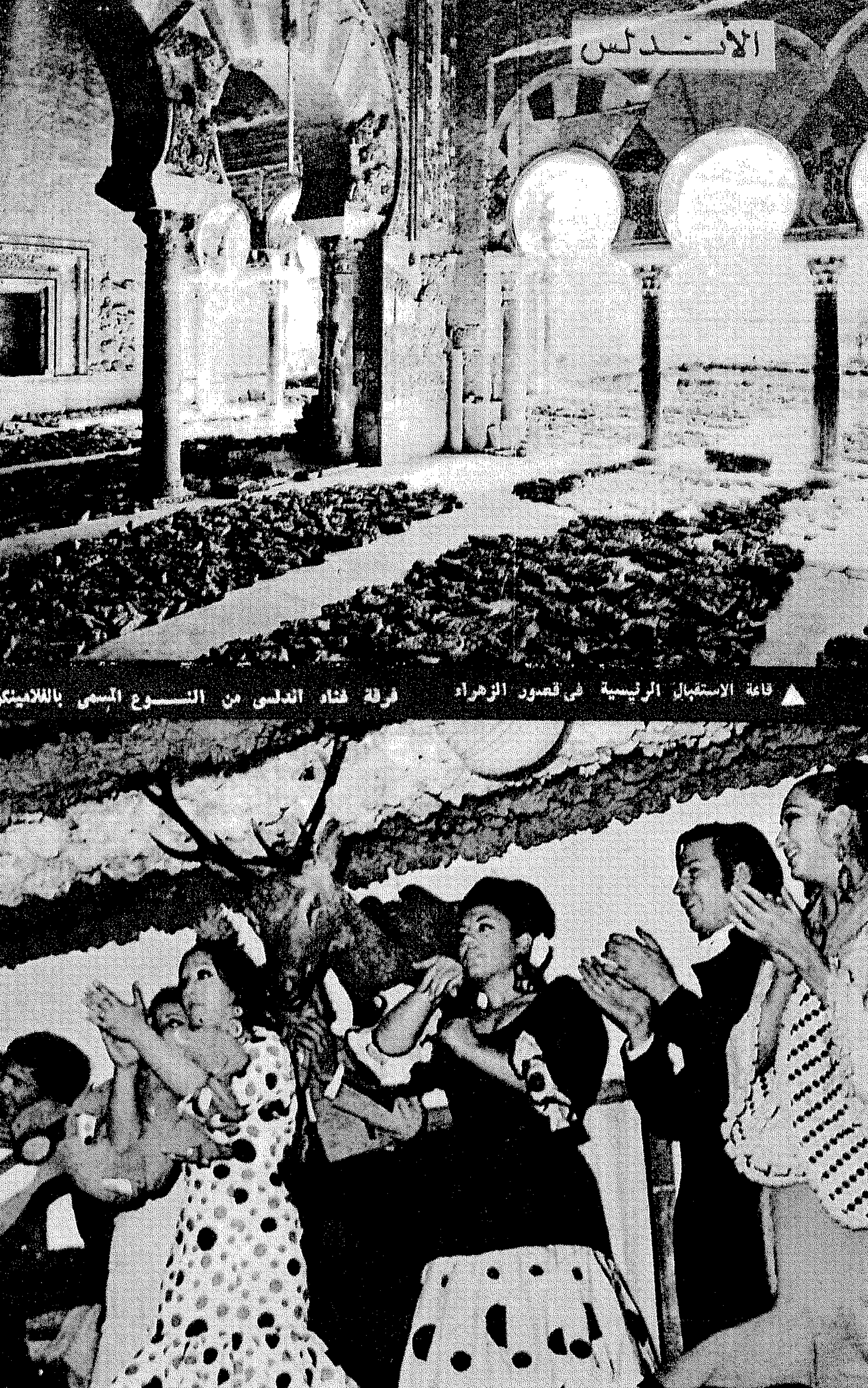
● الناحية الاخرى من الشخصية الاندلسية ●

هذه الحساسية المرهفة عند الاندلسيين كانت من اسباب ضياع الاندلس . لكى نفهم ذلك علينا ان نذكر ما قلناه من ان الاندلسى كان شديد الاعتداد بنفسه لا يكاد يحتمل اى مساس بشخصه .. وكانوا شعبا كثير الكلام . لسان الاندلسى دائما منطلق فى اندلسى اخر . لهذا كانت عداواتهم بين بعضهم وبعض شديدة وكثيرة . لم تكن بينهم تلك الروابط الانسانية العميقة الدائمة التى تربط الناس فى البلاد العريقة بعضهم الى بعض . فى قرى مصر والشام والعراق عداوات وحزازات ، ولكن هناك ايضا علاقات انسانية متينة ودائمة بين الاسر . لهذا تجد القرية متماسكة متينة البناء رغم ما قد يكون بين أعضائها من عداوات . كذلك الحال بالنسبة للشعب كله . لهذا تظل شعوب مصر والشام والمغرب وغيرها متماسكة دقيقة البناء تزيدها الازمات تماسكا وقوة .

فى الاندلس لم يكن ذلك الرباط قد تم تكوينه عندما انتثر امر الخلافة وتفرقت البلاد . لو أن خلافة قرطبة الاموية سقطت فى القرن الثانى عشر بدلا من القرن الحادى عشر الميلادى لأمكن انقاذ البلاد . ولكن الكارثة وقعت والاندلس كشعب فى طور التكوين ، فوقفت عملية التكوين وبدأ التفكك ..

مأساة الأندلس جاءت — من بعض الوجوه — من مواهب الاندلسيين . يقولون ان ذكاء المرء محسوب عليه . هذا حق . ولقد كان شعب الاندلس موهوبا متدفق الحيوية والنشاط والعمل والانتاج ولكنه لم يكن قد نضج بعد عندما جاءت الضربة العنيفة فتحولت الى ضربة قاضية . ●

د. حسين مؤنس



▲ قاعة الاستقبال الرئيسية فى قصور الزهراء

فرقة غناء اندلسى من النـوع المسمى باللامينكو

دورة الأيام

راضي صدوق

أعيـــاك دهرك أم أزرى بك الجلـد ؟
يا نازف الروح لا يـدرى به احـــد
ظمآن تضرب فى صـــحراء ظامئـة
وماء عينيــك منهل .. ومطـــرد !
تطوى الشـــفاف على الآمال مشرقة
وتركب الهـــول لا تعنو ولا تجـد
ترتاد صـــهوة احـلام مأسونة
والليـل حـــولك مقرور ومرتعـــد
يا سادن الحب والاحزان ، هات لنـا
من نبعـة الحب ما يصـــفو ويطـرد
ان الزمان ســـــقانا من مـرارته
ما صـدع النفس وانشقت له الكبـد
وقد رأينـــــا من الايام ما عميت
به العيـــون ، وحار العقل والرشـــد
والناس كالدهر ، الغـاز مطلســمة
ما انفر الخـــير مهما يكثر العـــدد
ترى الصديق صـــديقا ما بذلت له
من ذات نفســـك حتى ينضب المدد !
مثل الفراشـــات حول الضـــوء حائمة
ما دامت النـــار فى المصـــباح تتقـد !
يا ســادن الحب .. خل الحب ينفحنا
لعلنـــــا بعبير الحب نبتـــرد ..
جف الرحيق بثغر الروح فانطفـــات
لذاذة الحس فيها ، وانطـــوى الرغد
لا يوقـظ الحس الا كف حانيــــة
وبســـمة ونداء صـــادح غرد ..
يصحو له القلب من اعمـــاق غفـوته
ويســـتفيق على اصـــدائه الابد !
قد اخلف الدهر ما منى بيـــوم غـــد
وأنت ما زلت ترجو ان يطـــل غـــد
ذهلت عن دورة الايـــام مضـــطربا
ترنو الى المنهـــل الأســــنى ولا ترد
وتركب اللجـــة الرعنـــاء عاتيـة ..
وانت لا مركب ينجـى ولا ســـند
اذا تمخض قلب البحـــــر عن درر
فان حظــك منـه الملح والـزبد !..
يا شـــاعرا بانت الاحـــلام حرفتـه
لا يســـتقر له روح ولا جســـد ..
مؤرق تســـكن الالام مهجتـــــه
كانما انت فى عـين الدجى رصـــد
دع الرحيل الى الاعمـــاق ، ان لهـا
بحارة يركبـون الهول مـذ وجـدوا
واســـكب لحونك فى حب وفى دعة
فاننـــا فى ظلال الحب نتحـــد ..

د. سيد نوفل

غدها خير من يومها

المرأة المصرية

لنهضة المرأة المصرية الحديثة قاعدتان وطيدتان . الاولى القاعدة الوطنية المصرية العريقة ، والاخرى القاعدة العربية الاسلامية التليدة . فعلماء المصريات قد بهرهم ما كفلته الحضارة المصرية القديمة للانسان ، رجلا وامرأة على سواء ، من حرية الفكر والعمل ، واسباب العدل والتكافؤ في فرص الحياة ... وخلد التاريخ المصرى القديم دور المرأة في الحكم والسياسة والاجتماع ، وحفظ اسماء احموس زوجة تحتمس الاول ومستشاره ، وابنتهما حتشبسوت التي خلفت اباها على حكم مصر ثمانية عشر عاما في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . كلها انشاء وتعمير تعبر عنهما صفحات معبدها الجميل في الدير البحرى . ومثلهما نفرتيتي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد زوجة اخناتون ، وشريكته في الحكم واعلان التوحيد ، ومرشحته للملك من بعده . وغيرهن كثيرات ..

والنضال لحقوق المرأة الانسانية والمدنية في أوروبا قد اعترفت به الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر ثم عطله قانون نابليون . ولم تظفر به المرأة الفرنسية قبل عام ١٩٣٨ . كما اتصل النضال الاوروبى منذ القرن التاسع عشر حتى هذه الايام من أجل استكمال الحقوق السياسية للمرأة الاوروبية ، ولم تستكملها في سويسرا الا منذ عامين ...

أما الشريعة الاسلامية ، فقد منحت المرأة الحقوق الانسانية والمدنية منذ مطلع القرن السابع الميلادي . منحتها حق الملكية كاملا ، والذمة المالية المنفصلة منذ الرشد ، وحماية الرجل لحقوقها زوجا وابا وقريبا . كما نصت على حقوقها في الزواج والحضانة والولاية والوصاية على ابنائها ...

أما المشاركة في الحياة العامة فقد كفلت على اوسع نطاق . ويكفى أن نشير الى عائشة زوج الرسول صلوات الله وسلامه عليه وشريكته في الدين والحكم ، والمقاتلة نصرة لمعاوية على على من بعده ... والى سكينة بنت الحسين زعيمة الادب والاجتماع ، والى نفيسة العلم .

كما يكفى أن نشير الى شجرة الدر ، زوجة الملك الصالح ايوب وشريكته في الحكم وفي التصدى للهجمات الافرنجية على المنصورة في القرن الثالث عشر ، وملكة مصر من بعده ...

ومتابعة لدور المرأة المصرية القديمة والعربية ، كان دور المرأة المصرية في القرن العشرين في المجالين المصرى والعربى وعلى الصعيد الدولى .

في المجال المصري

ودور المرأة المصرية في مجال التحرير الوطني ، قد برز مع دور الرجل منذ نهاية القرن التاسع عشر ، واكتمل في الثورة المصرية عام ١٩١٩ .

وكان رفاعة الطهطاوى فى مطلع القرن التاسع عشر ، وقاسم أمين في نهاية القرن ذاته وكتابه تحرير المرأة ، عام ١٨٩٩ ، كما كان محمد عبده ، وسعد زغلول ، وجمال الدين الافغاني ، وغيرهم من العلماء المستنيرين — هم دعائم النهضة المصرية الحديثة عامة ونهضة المرأة خاصة ؟

وفي الثورة المصرية الاولى للقرن العشرين ،التي قادت ثورات العالم العربي ، وسائر العالم الاسيوى الافريقي ، ظهر دور المرأة على آتمه . لقد وقفت صفية زغلول الى جوار زوجها سعد في مصر ،وحملت اللواء حين كان في المنفى ، وظلت عنصرا هاما في السياسة المصرية طوال حياته وبعد وفاته ...

وحين خرجت اول مظاهرة كبرى للرجال ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٩ ، خرجت معهامظاهرة كبرى للنساء ، تقودها صفية زغلول وهدى شعراوى ...

وحين أطلق الجنودالبريطانيون النار علىالمظاهرة، وسقطت « حميدة خليل » الشهيدة المصرية ، تقدمت هدى شعراوى الصفوف ، واتجهت نحو قائد القوة البريطانية تخاطبه بلغته : « هانا ذي امامكم .. فاقتلولي ، كما قتلتم حميدة برصاصكم الغاشم .. انا نريد الحرية لبلادنا .. ولن نرضى بكم وبما تحملونه من مذلة وهوان لشعبنا .. » فبهت القائد وجنوده وتراجعوا أمام البحر الهادر وطنية وفداء .

ولقد سجل شاعر النيل حافظ ابراهيم هذه المظاهرة النسائية الشجاعة . ونظم فيها قصيدة مستفيضة جاء فيها :

واخذن يجتزن الطريق
ودار سعد قصدهنه
واذا بجيش مقبل
والخيل مطلقة الاعنه
واذا الجنود سيوفها
قد صوبت لنحورهنه

ومثلما قاد علي شعراوى مع سعد زغلول النضال المصرى ضد الاحتلال البريطاني ، فقد رافقت هدى شعراوى صفية زغلول في هذا النضال منذ بدايته

وهدى شعراوى كانت خير مثل للمرأة المصرية المناضلة للحرية ..

فهى ابنة محمد سلطان ، أول رئيس لاول برلمان في مصر في أواخر القرن التاسع عشر . نشأت في بيئة وطنية ، تؤمن بالحرية وتؤدى واجب الجهاد الوطني وتقتحم ميادينه في شجاعة وفداء .وزوجها علىشعراوى ثالث سعد زغلول وعبدالعزيز فهمي. وأكثرهم تشددا في مكافحة الاستعمار البريطاني. وقد اقتحم الثلاثة دار الحماية البريطانية ، في ١٣ من نوفمبر « تشرين الثاني » لعام ١٩١٨ ، اثر اعلان الهدنة للحرب العالمية الاولى بيومين اثنين . وأذهلوا المعتمد البريطاني حين طالعوه ، في منطق سديد وشجاعة فائقة ، بارادة مصر الاستقلال التام والحرية الكاملة والجلاء البريطاني عن أراضيها . ومهدوا لثورة ١٩١٩ ، ولاعلان استقلال مصر في ٢٨ من فبراير « شباط » لعام ١٩٢٢ ، وللحياة مصر الدستورية البرلمانية الحديثة وفق دستور ١٩٢٣.

ولهذا اندفعت هدى شعراوى الى جوار صفية زغلول ، في قيادة الحركة النسائية المصرية لثورة ١٩١٩ ، كما اندفعت من بعد ذلك في قيادة الحركة النسائية بابعادها جميعا : مصريا وعربيا ودوليا .

وحين صدر دستور ١٩٢٣ ، ولم يكن للمرأة دور في البرلمان المصرى ،الفت هدىشعراوى على الفور، وفى ذات العام ، الاتحاد النسائي المصري الرائد في العالم العربي ، يدعو لحقوق المرأة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وينشىء المؤسسات النسائية المهنية والتربوية والصحية ..

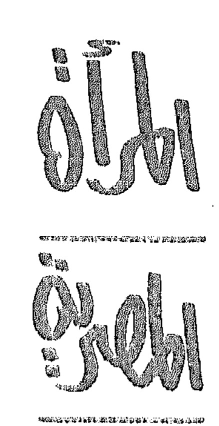
فى سبيل قضية فلسطين

وفى نطاق النضال المصري العربي كان لنضال المرأة المصرية لنصرة قضية فلسطين في مختلف المجالات والاوقات . ومن صوره دور المرأة المصرية في عام ١٩٣٨ .

فحين تصاعدت أخطار التحالف الاستعمارى



صفية زغلول : ظلت عنصرا هاما في السياسة المصرية طوال حياة زوجها سعد زغلول وبعد حياته وحملت اللواء بشجاعة نادرة حين كان في المنفى



الصهيوني ضد شعب فلسطين العربي ، تضامنت مصر العربية مع الثورة الفلسطينية في مقاومة هذه الاخطار • وكانت ثورة فلسطين في عام ١٩٢١ صدى

قريبا لثورة مصر المتصلة منذ عام ١٩١٩ • وظلت تساند النضال الفلسطيني لا يشغلها النضال

المصري للحرية ، ايمانا بوحدة الحياة والمصير •

وحين تفاقمت الاخطار الصهيونية في فلسطين ،دعت لجنة برلمانية مصرية الى مؤتمر برلماني عربي ،

اجتمع بالقاهرة في السابع من اكتوبر لعام ١٩٣٨، وحضره ممثلون لبرلمانات مصر والعراق وسورية

ولبنان ،ومندوبون عن فلسطين والمغرب العربي واليمن والهند • واصدر قراراته تاييدا تاما

للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني •• وادت المرأة العربية بزعامة هدى شعراوي دورها •

ومن اجل فلسطين ، دعت رئيسة الاتحاد النسائي المصري الى اول مؤتمر نسائي عربي ، اجتمع في

الاسبوع التالي لاجتماع اول مؤتمر برلماني عربي • واستمر من الخامس عشر حتى الثامن عشر من اكتوبر

لعام ١٩٣٨ ، وحضرته مندوبات عن مصر والعراق

وسورية ولبنان وفلسطين والاردن ، واتخذت فيه

قرارات قوية ، تؤيد فلسطين وثورة شعبها وحقوقه الوطنية ، وتقاوم مشروع التقسيم وتدعو الى تاليف

حكومة ديموقراطية في فلسطين يمثل فيها المسلمون

والمسيحيون واليهود تمثيلا انتخابيا حرا ، وتؤكد التضامن العربي الفلسطيني ماديا وسياسيا •

ولم يكن بد لبريطانيا من الخضوع لهذا

الاجماع العربي الرائع ، وان تصدر ، عقب ذلك ، في ٩ من نوفمبر لعام ١٩٣٨ اعلانا بأن

مشروع تقسيم فلسطين غير عملي ، وتدعو الى مؤتمر لندن لمعالجة القضية • وتجري الايام

والسنون بالمؤامرات واعمال العدوان الاستعماري الصهيوني ، وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن

•• وتؤدي المرأة بزعامة هدى شعراوي دورها ،

ثم يكون خذلاننا كما هو الشأن دائما من داخلنا وتفرقنا ، ومن التقصير في حشد قوانا وامكاناتنا •

وظلت المرأة المصرية ، بقيادة هدى شعراوى ، تناضل الى ان وافت هدى المنية وهى تناضل ضد قرار تقسيم فلسطين فى خريف ١٩٤٩ •

ثم تمضي المرأة المصرية في طريقها بزعامة خليفاتها ••

في النطاق العربي

منذ اربعة وثلاثين عاما خلت ، تمت مباحثات الوحدة العربية ، التي اتصلت بمصر ثلاث

سنوات بين الدول العربية السبع المستقلة ، وكانت ثمرتها توقيع اتفاق الاسكندرية ، المنشيء لجامعة الدول العربية ، في السابع من اكتوبر « تشرين الاول » لعام ١٩٤٤ •

وكانت المرأة المصرية ، ولاتزال ، تؤمن ، في نضالها المصري والعربي والدولي ، بأن دور المرأة مساو تماما لدور الرجل ، وانهما يؤلفان معا دعامة اساسية واحدة في تقدم الوطن والامة والبشرية ••

ولهذا بعثت المغفور لها هدى شعراوى ، زعيمة الحركة النسائية المصرية ، الى المؤتمر العربي التحضيري لجامعة الدول العربية ، تطلب ان يكون دور المرأة بارزا في ميثاق الجامعة • وحين لم تتضمن مبادىء الجامعة انشاء جهاز لنشاط المرأة العربية في مجالات التنمية السياسية والاجتماعية ، لم تستسلم • وحينئذ اسست عقب اتفاق الاسكندرية الاتحاد النسائي العربي، مكملا لدور الجامعة المأمول حينذاك في خدمة القضايا القومية السياسية والاجتماعية وفي تنمية العلاقات العربية الدولية ••

ومنذئذ ظل الاتحاد النسائي العربي يؤدي دور المرأة العربية ، مواكبا لدور الرجل العربي ، في خدمة قضايا التحرير والتنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية ، بمختلف الوسائل ••كما انضمت اليه هيئات واحزاب نسائية اخرى عديدة ، تؤدي أدوارها في النضال المصري العربي المشترك في سبيل الحرية والتقدم ••

في المجال الدولي

وكانت المرأة المصرية قد انضمت الى الحركة النسائية العالمية منذ عام ١٩٢٣ • وكانت رئيسة الاتحاد النسائي المصري خير سفيرة للمرأة

العربية حتى اصبحت وكيلة الاتحاد النسائى الدولى .

ويشتد ساعد نضالها ، فتحمل هدى شعراوى مشاعرها واخلاصها من المؤتمر النسائى العربى بالقاهرة الى مؤتمر كوبنهاجن النسائى الدولى لعام ١٩٣٩ . وكان صوتها ، يدعمه ويخلفه فكر سيزانبراوى ونبوية موسى وبهيجة صدقى رشيد، هو الصوت العربى الوحيد . لكنه كان يتحدث فى قوة وبتفويض كتابى من سائر الحركات النسائية العربية ...

وواجهت هدى فى المؤتمر موضوع الهجرة اليهودية ، وكانت هذه الهجرة ولاتزال الخطر الصهيونى الاكبر على فلسطين . وخاضت رئيسة الاتحاد النسائى العربى معركة باسلة . ووقفت فى صلابة تتحدى التجمع الاستعمارى الصهيونى الرهيب ، ومشروعات القرارات التى قدمها تأييدا لمطامعه العدوانية .. واستخدمت الوان المهارات . وكان آخرها تقديم استقالتها من وكالة الاتحاد مادامت الحرية وحقوق الانسان والشعوب الاساسية لاتجد مكانا فيه ...

وكسبت هدى شعراوى الجولة الصعبة ، واستبعد المؤتمر الموضوع ومشروعات القرارات الصهيونية ، ورفض استقالة وكيلته المرموقة..

ومضت هدى شعراوى ، على منهاجها الوطنى القومى الثابت ، فى ميادين نشاطها المتعددة..

ومن ذلك صنيعها فى المؤتمر العالمى لعام ١٩٤٦ وهو اخر مؤتمر عالمى حضرته .. فقد طالبت ، بأسم النساء العربيات جميعا ، بحظر الاسلحة النووية الى جانب دفاعها الاساسى عن القضايا العربية .. وكان ذلك فى تلك المرحلة المبكرة ربطا واعيا للحركة النسائية العربية بالمنهاج السياسى العربى ، قوميا ودوليا ، فى نزوعه الانسانى ، وفى سعيه لدعم التعاون الدولى الحر المتكافىء ، والسلام العالمى العادل ..



هدى شعراوى : موقف شجاع فى وجه القائد الانجليزى الذى بهت وتراجع من فرط شجاعتها هو وجنوده امام البحر الهادر وطنية وفداء

وهكذا كانت المراة المصرية قلبا نابضا وفكرا رائدا . وكانت دعوتها مبكرة الى وحدة العمل العربى وتمكين أواصر التضامن القومى

منذ عام ١٩٧٠

ومضت الايام والاعوام ، وتقدمت المراة المصرية ، وزاملت الرجل فى جميع ميادين النضال الوطنى ، وشاركته فى مختلف المجالات : من التربية والتعليم والطب ، الى الزراعة والصناعة والتجارة والهندسة والعلوم ، الى الشرطة والجيش والفداء .

وجاء انور السادات الى مصر بثورته التصحيحية فى عام ١٩٧٠ ، وبعهد يكرس الجهود الوطنية ، ويسجل أروع البطولات العسكرية والمبادرات السياسية ، والفتوح الاقتصادية والعمرانية ..

وقادت قرينته جيهان السادات النضال النسائى المصرى فى جميع ميادينه الوطنية والقومية والدولية . ونالت ولاتزال تنال تقدير الوطن واعجاب العالم . وقطعت مسيرة المراة العربية بقيادة المصرية الاولى خطوات واسعة المدى .. وأسهمت فى النضال المصرى للتحرير والتنمية اتم اسهام ، واسست جمعية الوفاء والامل بانجازاتها الكبيرة . وشاركت فى الحركة النسائية العربية بحكمة ومهارة فائقتين ، حتى توج نضالها بتاسيس اللجنة الدائمة للمراة العربية فى نطاق جامعة الدول العربية ، تعالج مشاكل المراة وتمارس الانشطة السياسية والاجتماعية ، كما ابرزت دور المراة العربية فى التعاون الاسيوى الافريقى بما مارست من ادوار مرموقة ، وعقدت من مؤتمرات وندوات ناجحة . وكذلك مكنت دور المراة فى الامم المتحدة والمحافل الدولية . وسجلت لها اعظم التقدير فى البلاد الاجنبية التى زارتها .

وهكذا انجزت المراة المصرية فى هذه السنوات السبع انجازات مرموقة . والامل عظيم فى ان تسرع خطاها وتتعاظم انجازاتها ، وان يكون غدها خيرا من يومها .

د. طه أحمد بعشر

نظرات إلى المستقبل

شباب عربي بغير انحراف ولا عقد.. كيف؟

● يطلب بعض القادة العرب من علمائهم أن يفكروا برؤية المستقبل ، ويتصوروا ماذا يكون عليه الحال في سنة ألفين ، على ان يخططوا من خلال هذا التصور للربع الاخير من هذا القرن ، فهل نستطيع في مجال الصحة النفسية ان نواكب هذا التصور ؟

وهل نستطيع ان نخلص الى بعض الاسس التي يمكن أن تساعد في استقرار الشباب العربي نفسيا ، وتقيهم الانحراف العاطفي والسلوك المنحل ؟

هذا ما ساحاول ان اتصدى له هنا موجزا حديثي في ثلاث نقاط رئيسية :

أولا : انماط الاضطرابات النفسية : طبيعتها ـ مدى تواجدها ـ وأثر التغيير الزمني عليها.

ثانيا : الواقع الاجتماعي والحضاري وانعكاسه على نفوس الشباب .

ثالثا : رؤية المستقبل في ضوء التغيرات العصرية .

***

في البداية لابد من الاشارة الى شح الاحصائيات ، الامر الذي يجعل الوصول الى حقائق مقررة امرا متعذرا ، وبالرغم من ذلك فان هناك بعض التجارب والابحاث التي تساعد على القاء الضوء على انماط الاضطرابات النفسية السائدة في البلاد العربية

ومن ناحية عامة لا أعتقد أن هناك مرضا نفسيا ومعروفا عالميا ، ولا يوجد في البلاد العربية ، كما انه ليس هناك مجتمع سواء كان بدائيا أو حضاريا شرقيا أو غربيا ولا تتواجد فيه الامراض النفسية بدرجة أكبر مما كان متعارفا عليه من قبل ..

وجدير بالذكر أن التطور التقني الحديث والذي أسهم كثيرا في تطوير المستويات الصحية ، كان له اثره على أنماط الامراض المختلفة بما في ذلك الامراض النفسية والعصبية ـ فبعد أن كان كثير من الحالات الخلقية لا يستطيع البقاء طويلا بسبب الامراض المعدية ، فان التقدم المضطرد في اكتشاف وتصنيع المضادات الحيوية كان له اثره في اطالة عمر هذه الحالات وبالتالي زيادة تواجدها بين الاطفال والشباب .

وهذا يقودنا بالتالي الى حقيقة هامة ، وهي أن السيطرة على الامراض المعدية باللقاحات المختلفة وبالانواع المستحدثة من المضادات الحيوية قد غيرت الواقع الصحي . فبينما الامراض المعدية مثل الجدري والدفتريا والحمى الصفراء والراجعة والملاريا وغيرها آخذة في الانحسار ، نجد أن الامراض النفسية تظهر أكثر وأكثر ، ولو انها الى الان لم تجد الاهتمام المناسب ، فان مشاكلها في كثير من البلاد العربية سوف تصبح في المستقبل القريب ضمن قائمة المشاكل الصحية الرئيسية ، وسوف يتضح ذلك من خلال الفقرات التالية والاسئلة التي سوف أسوقها :

أوضح البحث الذى أجرى على مجموعة الاطفال والاحداث دون الخامسة عشرة بقرية « الكلاكلة» فى السودان « بعشروابراهيم ١٩٧٢»(١) أن هناك طفلا من كل عشرة أطفال يعاني من أعراض نفسية «أكثر من خمسة أعراض» لدرجة تتطلب استشارة طبية • ومن الاشياء التى يجب الوقوف عليها انه لم يحدث أن عرض أى من هؤلاء الاطفال للعلاج مما يعانيه من اضطرابات عاطفية او سلوكية ، بل ان جل هذه الاعراض قد احتوتها الاسرة أو عولجت على أساس تقليدي بعيدا عن الطب الحديث ، ولابد أن نتساءل : **ما هو المصير الطبيعي لمثل هذه الاعراض ؟ وماذا يمكن أن يقدمه الطب النفسي الحديث بمؤسساته المحدودة لمشكلة بمثل هذا الحجم ؟ والاجابة عن السؤال الاول أنه ليس هناك دراسة منظمة فى العالم العربي نستطيع أن نستدل منها على اجابة شاملة وفاصلة ، وعليه فانه لابد من مواصلة الجهد والبحث للوصول بنا الى حقائق مرشدة يمكن ان نبني عليها خطط المستقبل للوقاية من هذه الاضطرابات النفسية او علاجها اذا اقتضى الامر ذلك •**

أما الاجابة عن السؤال الثاني فسوف نضمنها الجزء الاخير فى سياق سبل العلاج والوقاية.

احصائيات العيادات

احصائيات العيادات النفسية ومستشفيات الامراض العقلية تعكس نسبة كبيرة من مجموعات المرضى المتزايدة بما فى ذلك الشباب •

وفى العيادات الخارجية العامة فانه أصبح من المعروف أن من بين كل خمسة مرضى هناك مريض يشكو من آلام نفسية ، وجزء كبير منهم من الشباب **والظواهر الجديدة** هي تزايد المرضى من الفتيات والنساء • وبالرغم من أن أكثرهن يعانين من أمراض القلق والانقباض النفسي وأعراض مختلفة من الهستيريا ، لكن الجديد أن هذه الاعراض أصبحت تختلف وتتطور باختلاف البيئة الاجتماعية والحضارية واصبح الميل الى تعاطى الملطفات والمهدئات يتزايد أكثر فأكثر ، مما يجعل بعض هذه الاعراض تستتر تحت هذه المظلة الكيميائية •

وهذا النمط من الاعراض لايختلف كثيرا عما هو معروف فى المجتمعات الغربية والمتقدمة صناعيا • ومن المتوقع أن هذه الانماط سوف تاخذ ـ مستقبلا ـ أشكالا جديدة بالرغم من أنها واحدة في جوهرها •

والحديث عن الملطفات والمهدئات يقودنا الى موضوع العقاقير والاعتماد عليها •

خطر الادمان

وفى مؤتمر البحرين الذى عقد في نوفمبر عام ١٩٧٥ أكد المؤتمرون الخطر الذي يهدد المجتمعات من هذه العقاقير •

كما حذر البعض من خطورة العقاقير التحليلية الحديثة مثل المبروميت، والايكوالين والمتاكوالون « المندراكس » والامفيتامين ، والرتالين وغيرها «٢» واتخاذ كل الاجراءات اللازمة لوقاية المجتمع العربي وخاصة الشباب الذى أثبتت التجارب تأثره السريع بما يحيط به ومجاراته لزملائه ومجموعات رفاقه سواء كان ذلك في محيط الدراسة والعمل والمجتمع عامة •

الشباب والفصام

وماذا عن الامراض العقلية ؟ وهنا أيضا لاتوجد بيانات مبنية على دراسات ميدانية ، بل هناك بعض احصائيات المؤسسات العلاجية والتى رغم ضآلتها ومحدوديتها فهى مؤشر يمكن الاستفادة منه في معرفة أنماط الاضطرابات العقلية • فاذا أخذنا احصائيات نزلاء مستشفيات الامراض العقلية في البلاد العربية مثلا ، والذين يزيد عددهم على عشرين ألف مريض ، فاننا نجد أن نسبة مرض الفصام بينهم تتفاوت مابين ٤٠ الى ٧٥ فى المائة • ولما كانت بداية المرض عادة فى سن مبكرة فان غالبيتهم من الشباب ، وحتى المسنين منهم فان تاريخ مرضهم يشير الى ظهور الاضطرابات فى مقتبل الحياة •

وبالرغم من أن العلم لم يصل بعد الى معرفة الاسباب الرئيسية لمرض الفصام والتى سوف تساعد في الوقاية والعلاج مستقبلا من هذا المرض العضال ، الا أن الدلائل تشير الى عوامل البيئة والضغوط المختلفة التى ربما تكون سببا لصيقا بظهور أعراضه او تؤدي الى انتكاسة المريض بعد تحسنه او شفائه • وهذا مايجب أخذه فى الاعتبار •

الدين ضد الانتحار

والى جانب مرض الفصام هناك حالات الذهان ، وحالات الاكتئاب ، وأنواع الانقباض النفسية المختلفة والتى من اخطر مضاعفاتها الانتحار ••• وبينما تكثر ظاهرة الانتحار بين الشباب فى المجتمعات المتقدمة صناعيا حتى تصل الى المرتبة الثالثة فى أسباب الوفيات ، **نجد انها قليلة جدا فى المجتمعات العربية • فما تعليل ذلك ؟**

ربما يكون الترابط الاجتماعي والمشاركة الاسرية في السراء والضراء من الاسباب القوية ، ولكن هناك حقيقة هامة وهى ان كاتب هذا البحث وجد بين بعض المرضى في السودان أن عامل الدين كان عنصرا فعالا فى الوقاية • وفى ايجاز يذكر بعض المرضى أن من بين الاسباب التي منعتهم من الانتحار ، خوفهم من عقاب الاخرة ، وابتعادا عن مخالفة المولى سبحانه وتعالى ، وامتثالا لامره ، اذ يقول في محكم تنزيله : «ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق»• ان هذا النهي الالهي العاصم هو احدى نعم الله على عباده • وحرى بنا ان نعمق مفهومه ليكون عاصما وواقيا ضد قتل النفس ، وتحطيم الانسان لنفسه بيده •

وباء على العجلات

وفى مقال مثير بعنوان «وباء على العجلات» أوردت مجلة صحة العالم «٣» أن هناك أكثر من ١٣٠٠ حادث طريق فى الكويت • وهذه بالطبع تشكل نسبة كبيرة حتى اذا ما قيست باقطار العالم المتقدمة صناعيا ، اذ تقفز نسبة الوفيات من جراء هذه

---

(١) الاضطرابات النفسية بين اطفال السودان ، بقلم د . طه احمد بعشر ودكتور حسن حاج على ابراهيم ، قدم هذا البحث فى المؤتمر الافريقى الثالث للطب النفسي ، الخرطوم ، عام ١٩٧٢

(٢) الدكتور طه بعشر ، الاعتماد على العقاقير فى اقطار اقليم شرق البحر الابيض المتوسط ، المؤتمر العالمي للادمان ، البحرين ، ٢٩ نوفمبر ـ ٤ ديسمبر ١٩٧٥ •

(٣) مجلة الصحة العالمية ، اكتوبر ١٩٧٥ ، حوادث الطريق •

شباب بغير انحراف

الحوادث الى ٢١٫٤ لكل ١٠٠٫٠٠٠ نسمة من السكان • وبالمقارنة لاحصائيات عام ١٩٧١ لكل من امريكا « ٢٦٫٢ » وانجلترا « ١٤٫٣ » تقع هذه النسبة بين هذين القطرين المتقدمين صناعيا ، الامر الذى ينذر بتفاقم المشكلة وتزايد خطرها •

ومما يثير الانتباه ان الخطأ ليس فى السيارات ، حيث ان غالبيتها جديدة ، ولا فى الطرق الحديثة الواسعة ، وانما فى العنصر الانسانى الذى بيده عجلة القيادة والتى اصبحت تجذب اليها اعدادا متزايدة من الشباب ، والذى ربما يعكس هذا بعض سلوكه وتصرفه • ان هذا الموضوع يجب أن يستحوذ على المزيد من اهتمام العاملين فى حقل الصحة النفسية لكى يسهموا فى درء هذا الخطر الحضارى الجديد •

ولتحقيق خدمات افضل للشباب لابد ان تنشأ له مراكز خاصة به لصيقة بالمجتمع وتستطيع أن تتفرغ لمشاكله الاجتماعية والنفسية وتقدم له المساعدات الضرورية وتمهد له سبيل العلاج للحالات التى تتطلب ذلك •

انعكاسات الواقع الاجتماعى والحضارى

ومن ناحية عامة برزت فى السنوات الاخيرة ظواهر تصور انماطا سلوكية متعددة أخذت أشكالا مختلفة أثرت على مظهر وملبس الشباب وعكست مزاجه واتجاهاته الفكرية وميوله العامة • ولما كانت هذه الظواهر السلوكية ليست مقصورة على القلة بل شملت أعدادا كبيرة من شباب العالم ، فقد وجدت مزيدا من الاهتمام من الباحثين والعاملين فى الحقل النفسى والاجتماعى بل والسياسى لما لها من آثار على الحياة الاجتماعية والسياسية • وقد وجدت هذه الظواهر القبول عند بعض الشباب الغربى بالرغم من أنها لم تجد رواجا كبيرا كما هو ملاحظ فى العالم العربى •

ان المدخل لتفهم مشاكل الشباب يدعونا الى ان نحيط بجوانبها المختلفة لان سلوك الشباب هو نتيجة لكل التفاعلات البيولوجية والنفسية والاجتماعية •• ولما كانت هذه العوامل تختلف باختلاف الزمان والمكان فان احتياجات الشباب وانماط سلوكه واستقراره او انحرافه تختلف وفقا لذلك ، حتى ان تعريف مرحلة الشباب او فترة الطفولة او الصبا او سن الرشد ربما تختلف من بلد الى آخر ، وهذا بالتالى ينعكس على نظم الحياة الاجتماعية فنجد ان سن المرحلة الابتدائية قد يختلف بين قطرين متجاورين وكذلك الحال فى سن الزواج •• الخ•

ومن جهة أخرى فان اسلوب التعليم الذى سار على النهج التقليدى بين الاستاذ والطالب وتلقين الدروس وحفظ المعلومات ، واجه نقدا متزايدا • ورؤى أن يحل محله أسلوب المشاركة فى التعليم واستنباط الحلول واكتشاف الحقائق ، حتى اذا ماواجه الطالب مستقبلا مشاكل الحياة تصدى لها بنفس الاسلوب العلمى والاستعداد الذهنى الذى اكتسبه بالتدريب •

ومن المشاكل التى تواجه بعض الاقطار العربية ، هجرة العقول باسبابها المتعددة ، ومن الاراء التى اجمع عليها بعض المختصين فى المجال الصحى أن من بين الاجراءات التى سوف تساعد على ايقاف هذه الهجرة ، هو توفير فرص الدراسات العليا محليا • وعلى الصعيد العام يلاحظ أنه ليس هناك تنسيق على مستوى الدول العربية الا فى مجال ضيق ، بتجميع خبراتها الفنية والاستفادة القصوى من علمائها ومفكريها •

ان مستقبل الشباب العربى يكمن فى مدى الفرص المتاحة فى مراحل التعليم المختلفة وتنظيم وتنسيق الدراسات العليا ، واتساع نطاق البحث العلمى من اهم المرتكزات الاساسية فى تحقيق مجتمع أفضل •

سمات المتغيرات

ان التغيير ليس بالسمة الجديدة على المجتمع العربى ، ولكن الجديد عليه هو سرعة التغيير التى احدثتها الوسائل التقنية الحديثة والنهضة الاقتصادية والاجتماعية العظيمة التى عمت الكثير من الدول العربية فى الحقبتين الاخيرتين •

ان هذه النهضة العمرانية المتعاظمة احدثت تغييرات كبيرة فى العلاقات الاجتماعية والانسانية ، اذ أدت الى قيام المراكز الصناعية وزادت من هجرة اهل الريف الى المدن ، والشباب وهو من أكثر فئات المجتمع عرضة لعوامل التغيير لابد ان يتاثر بها ويؤثر فيها •

وامام هذه المتغيرات لم تعد الاسرة تشكل الوحدة الاجتماعية والاقتصادية ، الامر الذى جعل افرادها وبخاصة الشباب منهم يضطلعون بادوار جديدة سواء كان ذلك فى المراحل التعليمية والتدريبية او فى محيط العمل • وهكذا تغير الوضع من حرف اسرية او جماعية محدودة ذات طابع تقليدى رتيب ومعروف ، ووفق علاقات انتاجية مألوفة الى مجتمع الخدمات والصناعات الجديد بابعاده المترامية وعلاقاته المتعددة والمعقدة • وتخضع فيه فرص العمل الى هذه المتغيرات • وليس بالغريب فى مثل هذه المجتمعات بما فيها من منافسات فردية وادارات متشعبة ، ان يقلق الشباب على مستقبله حيث ان كل هذه العوامل خارجة عن ارادته وبعيدة عن سيطرته •

وبدخول الآلات الحديثة وتعميم الاتمتة «أتوميشن» فى الصناعة فان ذلك سوف يحدث آثارا اقتصادية واجتماعية بعيدة • ومما لاشك فيه أنه سيؤدى الى مضاعفة حجم الانتاج ويقلل من استخدام الايدى العاملة • ومع ادخال الحاسبات الالكترونية قل أيضا استعمال الذهن • ومن الناحية النفسية لا بد ان يؤثر ذلك على شعور المرء نحو عمله •

ونحن نتحدث عن المستقبل لابد أن نتصور مدى أنتشار التكنولوجيا الحديثة وماسوف تحدثه من تخفيض فى ساعات العمل وبالتالى ماسوف تتركه من فراغ ••• ومن نافلة القول ان اذكر ان من آفات الشباب : الفراغ ••• ولاسيما الفراغ العابث ، وقد فطن حكماء وادباء العرب الى هذه الآفة فى زمان مختلف عما نعيشه اليوم ، وحذروا من « أن الشباب

والفراغ والجدة ، مفسدة للمرء أى مفسدة » فماذا يكون حال الشباب فى المستقبل ولديه من الفراغ أضعاف أضعاف ماكان لدى أسلافه ؟ ...

ان الاستفادة من ساعات الفراغ باعداد الشباب ذهنيا ونفسيا واجتماعيا سوف يحول دون كثير من الملل والضجر والتردى فى مزالق الانحراف والبحث عن الملذات السقيمة مثل تعاطى العقاقير وغيرها من المهالك .

واذا علمنا أن الانسان فى مرحلة حياته الاولى دائم البحث عن ذاته داخل نفسه وخارجها ، وهو يظل يبحث ويغامر لمزيد من المعرفة ولاكتشاف أسرار وخبايا العالم الذى يحيط به - فانه لابد أن يتأثر بما يراه أو يسمعه ، كما أنه يحاول أن يكون مثل الاخرين من الشباب الذى يمثل أمامه ، وفى نفس الوقت يريد أن ينتمى الى المجموعة التى يجد عندها الدفء العاطفى والشعور المتبادل ، سواء كان ذلك داخل الاسرة أو خارجها . ومن هنا فان مسئولية الاسرة والمجتمع تصبح كبيرة وخطيرة ، فاذا وجد الشاب التربة الصالحة والمناخ المناسب نما وترعرع كأحسن مايكون النماء ، والا اعوج وضاع فى متاهات الحياة . ولناخذ ظاهرة «الهيبيز» التى انتشرت بين شباب أوربا الغربية وأمريكا مثلا .

وفى بحثنا عن أسبابها كانت اجابة زملائنا من الاطباء النفسانيين فى دول أوربا الغربية وامريكا انها تمثل رفض الشباب لمجتمعه وردة لحضارته ونكرانا لقيمه وتمردا على سلطته . وفى بساطة ووضوح يعلل بعض الباحثين هذه الظواهر بين الشباب بالآتى : ان فى هذه المجتمعات الغربية الحديثة - مجتمعات السلع الاستهلاكية - قد وفرت الاسرة كل الأسباب المادية لصغارها ، ولكنها لم تمنحهم الدفء العاطفى والحنان الابوى ، ولم تعطهم الوقت الكافى الذى يشبع احتياجاتهم ، ولم تحقق لهم أواصر الانتماء الذى ينشدونه ، ولذلك فانهم يبحثون عنه خارج الاسرة ويجدونه فى تلك المجموعات الرافضة والتى تشابهت مشاكلها مع مشاكلهم وتطابقت احتياجاتها مع احتياجاتهم .

رؤية المستقبل

ان سرعة التغيير واندفاع ايقاع الحياة العصرية جعلت صورة المستقبل مهزوزة ورؤيته غير واضحة ، ويجعل من الصعب أن تكون للشباب أهداف بعيدة وخطط طويلة وعمل متأن ، بل ان هذا الاضطراب الزمنى وغياب المستقبل البعيد عن تصور الشباب ربما يحمله الى الميل الى انجاز الاشياء ذات الفائدة السريعة ويحصر تفكيره فى النتائج القريبة والتمتع بما هو ماثل ، وهذا بالطبع لايشجع على الاستقرار النفسى ، ولا على استمرارية العمل والتأنى فيه والتدرج به والصبر على مشاقه .

والآن وازاء هذا كله كيف يمكن لنا أن نسير من هنا ؟ ان المدخل لنا هو المجتمع العربى بماضيه وحاضره ومستقبله ، وشباب الامس هم رجال اليوم وأبناء اليوم هم بناة الغد .

ان الماضى العربى زاخر بتاريخه وتجاربه ودينه وفلسفاته وهذه هى الجذور الثابتة لتلك الشجرة الوارفة التى يمكن أن يستظل بها الشباب من هجير الحياة ويجد فيها صنوفا من الثمار الفنية بمذاقها الحلو والتى سوف تثرى تفكيره وتضفى معان أصيلة وثابتة الى عالمه الحديث الهش .

لقد وجدت نفسى كثيرا ما أقف عند الحقيقة التاريخية وهى أن كل الرسل والانبياء قد ظهروا وعاشوا فى المنطقة العربية ، وأن رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جاءت خاتمة لتلك الرسالات ، وقد حوت من الشرائع والانظمة الاجتماعية مالم يرد فيما سبقها من ديانات ، وهانحن بعد مرور أربعة عشر قرنا من الزمان نجد فيها كل معين لمفاهيم الصحة النفسية الحديثة والتى لم يبلغ تاريخها القرن الواحد بعد .

لقد قدمت فى سياق حديثى مثلا واحدا عن أثر الدين الاسلامى فى الوقاية من الانتحار وهناك الكثير من المشاكل النفسية والاجتماعية مثل الخمر والاضطرابات الجنسية ، ورعاية اليتامى والمحرومين ومسائل الزواج والطلاق ومعاملة الوالدين الى غير ذلك من الموضوعات الاساسية فى الحفاظ على روابط الاسرة وتوطيد دعائم المجتمع الفاضل . ان هذا الهدى المبين - اذا تفهمه الشباب - فهو خير مرشد له فى السير قدما على طريق الحياة السوية . ان مصباح « ديوجينيس » الذى يبحث عنه الشباب ليضئ لهم ظلام العيش سوف يجده فى دينه الحنيف وتراثه العربى وتاريخه الطويل .

وفى تقديرى أن أهم سبل الوقاية للشباب تكمن فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ولنقف عند خصائص هذا المجتمع لنجد أنه بالرغم من الصعوبات التى مر بها فى الماضى قد استطاع أن تنال كل شعوبه استقلالها . وفى خلال ربع قرن من الزمان « ١٩٤٨ - ١٩٧٣ » دخل ثلاث حروب قاسية . وبالرغم من الهزيمة التى أصابته فى البداية الا أنه انتصر فى النهاية وعبر هذه الهزيمة وعادت اليه ثقته بنفسه وأصالته وماضيه وحاضره ومستقبله . ان الشباب العربى لابد أن يستشعر كل ذلك ويستلهم منه العظة ويستمد السند فى تقدمه نحو غاياته ، وقد زادت ضراوة هذه الحروب اليقين بأهمية تعاون وتماسك هذا المجتمع . وكانت حرب البترول أصدق تعبير عن ذلك .

وعلى الصعيد الاقتصادى والسياسى أصبحت الدول العربية تحتل مكانا مرموقا . وهكذا يجد الجيل العربى الحديث نفسه فى مجتمع توفرت له عناصر قوية وأساسية ، تاريخ حافل وخلفية دينية وحضارية ناصعة واطار للتجمع ، وثروات اقتصادية متزايدة ، وكل ذلك يدعو للتفاؤل ويمنح الثقة والامل . ولكن يبقى عنصر هام وهو تنظيم هذا المجتمع لتحقيق الاستفادة القصوى من مقدراته ومكتسباته .

ومن الملاحظ أن كثيرا من البلاد العربية قد أنشأت وزارات للشباب الى جانب الوزارات الاخرى التى ترعى شئون الشباب مثل الشئون الاجتماعية والعمل . **ولكن لايزال التنسيق بين الوزارات ومؤسسات الخدمات ضعيفا وقاصرا ولا يتناسب مع حجم مشاكل الشباب المتعددة . وعلى سبيل المثال لابد ان يكون هناك تنسيق كامل فى البرامج الثقافية والتربوية والترفيهية بين وزارات التعليم والاعلام والشئون الاجتماعية والدينية والصحة ، وهذا يستوجب الاهتمام به مستقبلا .**

ان احتياجات الشباب متجددة وظروف حياته متغيرة وعلينا نحن الكبار ان نفهم منطقه ودوافعه ونحاول أن نضع انفسنا فى مكانه لنستطيع ان نساعده بما يتناسب مع ظروف عصره . ولقد قال سقراط : « الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم » . ولنا اسوة حسنة فى قول على كرم الله وجهه حيث يقول :

« لا تكرهوا اولادكم على اخلاقهم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .. » .

الخرافة والعلم الحديث ..

البخت

محمد الحديدى

((توجد الآن اجهزة يمكنها ان تقيس تأثير جاذبية القمر على ... فنجان قهوة !))

ملايين الناس فى انحاء العالم يصحون كل صباح كل فى توقيته المحلى ، ليلتقطوا الصحف ويفتحوها فى لهفة لا ليعرفوا آخر تطورات الحرب فى القرن الافريقى أو ما اذا كان مختطفو طائرة امس قد افرجوا عن الرهائن ، او ما اذا كان القمر الصناعى السوفييتى قد لوث اجواء شمال كندا باشعاعاته الذرية .. الى آخر هذه الاحداث التى تشد اعصاب أهل هذا الزمن التكنولوجى ، بل ليقرأوا صفحة (البخت) ويعرف كل منهم ما اذا كان اليوم هو الفضل يوم لعقد الصفقات؟ او اذا كان يصح له او لا يصح أن يتكدر عندما يتشاجر مع رئيسه كما سيحدث عندما يصل الى مكتبه .

وفى الولايات المتحدة مثلا تصدر حوالى الف وسبعمائة وخمسون جريدة يومية ، منها الف ومائتــان تنشر اعمدة « البخت » هذه بل ان اثنين من رواد الفضاء الامريكيين تلقيا وهما فى سفينة الفضاء (ابوللو ٩) رسالة بخت ارسلت اليهما باللاسلكى . وقد تنبأت عرافة امريكية بمصرع كيندى ، ونشرت قبل انتخابه رئيسا ، حديثا قالت فيه آن رئيسا امريكيا ديمقراطيا ، أزرق العينين سوف يقتل بالرصاص ، لم تحك بعد ذلك كيف امكنها ان تكتشف هذا الحدث فى غياهب المستقبل .

وترجع رغبة الانسان فى معرفة المستقبل والاعتقاد بامكان اكتشافه الى بداية تاريخ هذا الانسان ! .. وليست اسطورة اوديب الا تأكيدا بصحة النبوءة واستحالة الفرار منها مهما حدث .. ومن اروع ما قرأت من القصص تلك التى تحكى عن رجل قابل عرافا يقرأ الكف وسأله ان يقرأ كفه وتنبأ له بانه سيقتل رجلا .. ولما كان هو نفسه من رجال القانون ولا يتصور ان يقتل احدا فانه سخر من العراف ، ولم يصدقه ، ولكن الفكرة استحوذت عليه بعد ذلك ووجد انه لن يستطيع ان يتخلص منها الا بان يقتل احدا ، وليكن عمته العجوز التى ستموت على اية حال ، وعندما يفشل فى ذلك فانه يلجأ الى محاولة اخرى ، ويتصادف ان يفشل ايضا ، فينتقم على العراف الذى افسد عليه حياته ويقرر ان يعاقبه على فعلته ، وفى النهاية يقتله ، وتتحقق النبوءة ! ..

وهناك عظام من العصر الحجرى عليها نقوش تدل على الاهتمام بحركات الكواكب والنجوم والقمر ... وعندما بدأت المجتمعات الانسانية تتخذ درجات التنظيم التى ادت الى عالم اليوم ، لم يفهم الناس اثر الشمس على الارض والقمر على البحار ، واخذوا يحسبون أن هذه الاجسام النورانية فى نظامها البديع ، لابد ان تكون هى القوى التى تتحكم فى اقدار الشعوب والملوك وتحدث الحرب والسلام والوباء والرخاء! ولقد تنبأ مذنب بموت يوليوس قيصر وفى مسرحية شيكسبير نجد كالبورينا تقول :

(عندما يموت الشحاذون فان المذنبات لا تظهر ولكن السماوات هى التى تعلن موت الامراء)

ولو صدقوا !

كانت ما كانت حقيقة النجوم والكواكب واثرها على الحياة الارضية فلنا ـ بصفة مبدئية ـ ان

تنفى نفيا قاطعا وباتا أى احتمال لمعرفة المستقبل، وللقارىء أن يبحث عن بخته كل يوم فى الجريدة

اليومية التى يفضـــــلها ، كما أن له أن يحل

الكلمات المتقاطعة ، فهذا وذاك عمل ليس وراءه الا شىء من التسرية عن النفس فى هـذا الزمن

المزعج • أنه حتى المنجمون ذوو المكانة العـالمية يحتقرون مسألة البخت هذه • وكلنا نعرف أن

الصحف فى جميع أنحاء العالم لديهـا مؤلفون يتخصصون فيها الى أن يأتى يوم يتصورون فيـه

هم أنفسهم أن كل الناس فى هذا العالم ينقسمون بحكم مولدهم الى اثنتى عشرة مجموعة كل مجموعة

تتفق فى الاحداث التى تقع لها كل يوم ! يالها من مهزلة ! ..

والنـــاس فى حبهم للمجهول يستنبطون من تجاربهم ما يقودهم الى الاعتقـــاد فيما يريدون

الاعتقاد فيه ، فاذا قرأوا لك الفنجـان وتنبأوا

بعدة امور وتحقق واحد منها ـ لانه كائنا ما كان

الامر فهذه امور تحدث ـ فهذا يدل على صحة النبوءة ، وهكذا فانت تقسم لمن يعارضك ان

الفنجان لا يكذبه ، انظر ـ مثلا ـ ... لقد نجح

ابنى فى الامتحان كما تنبأوا له ! هذا برغم ان احتمال النجاح ٥٠٪ بالنسبة لاى فرد فهو اما

ينجح واما يرسب ، فاذا صحت نبوءة من مليون

فاننا نتجاهل التسعمائة وتسعة وتسعين الفـــا وتسعمائة وتسعة وتسعين الباقية لكى نصل الى ماهو مطلوب اثباته .

ولا يبدو أن التقدم العظيم فى العلوم قد حد

من اعتقاد الناس بامكان معرفة المستقبل • بل

أن بعض أصحاب المذاهب الجديدة يرون انه اذا كانت للعلم فائدة فهى أنه سيؤدى الى المزيد من

القدرة على استحضار الارواح ومعرفة المستقبل من النجـــوم وفى ذلك يقول أحـد كبار الوسطاء الروحانيين ! (أن الاهتمـــــام المتزايد بالتنجيم

والسحر ليس مجرد نزعة جديدة أو مصادفة ، ان التكامل الاجتماعى الروحانى الذى تهيئه التكنولوجيا

الالكترونية سوف يؤدى الى عمومية الوعى التى

تنبأ بها دانتى عندما تصور أن الادميين ســوف

يبترن على هيئة أجزاء وقطع متناثرة من الوجود

الى ان تتهيأ لهم وحدة الوجود والوعى ، وصوفية

اليوم ليست سوى علم المستقبل كما نحلم به الآن) .

هل سنرجع الى ايام انكان ملك بابل يرسل المنجمين يستطلعون الســماء كما نرسل نحن

طائرات الاستطلاع ـ ثم يهجم على جيوش آشور

ويكافىء المنجمين او يعاقبهم حسب نتيجة عملياته الحربية ؟ ان منجمى هذا العصر يقولون انتحرك

نقطة الاعتدال الربيعى نحو الغرب بمعدل خمسين

ثانية فى السنة سوف ينهى الفى سنة فى برج الحوت، وهى فترة الشك وخيبة الامل، ويبدأ

الفين آخرين فى برج الدلو ، وهو علامة دخول الارض فى عصر الامل والايمان .

وليس التنجيم شيئا جديدا على العلم ، وان

يكن شيئا آخر مختلفا تماما عن علم النجوم الذى يستخدم فى الملاحة البحرية والارضية والفضائيـة .. وكان الطبيب وعالم النفس الكبيـــير كارل

يونج ، زميل فرويد يسميه (علم الايحاء) ،

وكان يحتفظ فى عيادته بخارطة الابراج ، لاليعرف

منها (بخت) مرضاه ، ولكن ليستدل منها على

مدى العلاقة بين شخصياتهم كما يعرفهـــا من

التحليل النفسى ، وما هو مفروض أن تكون عليه

بناء على « الهورـ سكوب » أو أوضاع الابراج

والشمس والقمر فى اللحظة التى يولد فيهـــا

الشخص ، وهو اصطلاح شائع، مشتق من كلمة

(آور) أو (هاور) يعنى ساعة ، و (سكوب)

يعنى جهاز قياس أو (مجال) • وقد قال يونج « ان التنجيم وقد حرمته الجامعات ثلاثة قرون ، قد بدأ يصحو ليدق أبوابها من جديد) •

لسنا فى عزلة عن بقية الكون

كان العالم الانجليزى اسحق نيوتن فى الثالثة والعشرين من عمره وكان طالبـــا فى جامعــــة كامبريدج ، عندما انتشر الطاعون فى انجلترا

سنة ١٦٦٥ واضطر الى أن ينقطع عن الدراسة

وبينما كان يتمشى فى منطقة ريفية رأى تفاحة تسقط من فوق شجرة، وبدأ يتصور عالمية قانون

الجاذبية، ووصل الى نتائجه الشهيرة وهى أن كل ذرة فى هذا الكون تجذب كل ذرة أخرى وأن



البخت

قوة الجذب المتبادلة بين الاجسام تتوقف على كمية المادة فى كل منهما وعلى المسافة بينهما ولكنها حتمية الحدوث .

وهكذا فالأرض تجذب القمر الى درجة ترغمه على الدوران حولها كأنه مشدود اليها بحبل ولا يستطيع حتى أن يواجهها الا بهذا الوجه « الجميل » الذى نعرفه ، وذلك بسبب الجاذبية، والقمر بدوره يجذب الارض ولما كان اغلب سطحها مغطى بمياه المحيطات والبحار فان هذا الماء ينجذب عندما يأتى فى مواجهة القمر ، ولما كان القمر يدور حول الارض مرة كل ٢٧٫٣ يوما ، والارض تعطيه كل جوانبها مرة كل ٢٤٫٨ ساعة فان مياه الارض تنبعج ممتدة نحو القمر على هيئة (مد) يعلو فى بعض الاحيان الى ان يصل فى بعض المناطق الى ارتفاع خمسة عشر مترا ، ثم تهبط عندما يبتعد القمر فى حركة جزر تحدث تقهرا يدفع المياه نحو الشواطىء البعيدة ، وكما يجذب القمر مياه المحيط فانه يجذب الغلاف الجوى للارض أيضا محدثا مدا وجزرا هوائيا ، وللشمس قوتها الجاذبة أيضا ، ولا شك انها أعظم ملايين المرات ، فقط بعد المسافة لا يجعلها تحدث الاثر الذى يحدثه القمر ، ولكن هذين الجسمين الهائلين كثيرا ما يتخذان أوضاعا تجعل اثرهما يتحد او يتضاد ، ويمكن العلماء من قياس تأثير هذا على تحدب وتقعر المحيطات .

فلقوى الجذب هذه آثارها على حياة كائنات البر والبحر ، وقد اجريت تجارب تثبت ان طباع الكائنات وعاداتها الغذائية والتناسلية وغيرها تتأثر بحركات الشمس والقمر والكواكب بدرجات لا نتصورها ، وما هو معروف منها ليس الا نزرا يسيرا جدا ، وان الانسان ليس استثناء من هذا النظام العجيب ، وفى معامل شركة هيوزايركرافت - (وهى التى كان يملكها (المليونير الغامض) هوارد هيوز ، الذى توفى اخيرا) - امكن استحداث آلات تصل دقتها الى حد الاحساس بجذب القمر وما يحدثه من مد وجزر على سطح كوب ماء أو فنجان قهوة !

ولكى نطمئن القارىء فاننا نبادر فنقول اننا لا ننوى ان نستمر فى وصف تأثير الاجسام السماوية على الحياة الارضية لكى نخرج فى النهاية بوسيلة للتنبؤ او التكهن بالمستقبل ، واذا كانت هذه مسألة تحير الكثيرين من الناس بانواعهم الكثيرة فانها لا تحيرنا ، وانا لا شك عندى مثقال ذرة فى انه لا يمكن التنبؤ بالمستقبل باى حال من الحالات ، ولو وقع هذا امامى مليون مرة لقلت انها مليون صدفة ... ولا علم لى بما اذا كان المستقبل شيئا له وجود قبل ان يحدث ، هذا امر فى علم الله .

ولكن الذى يستحق ولو قدرا من الاهتمام ، هو ما يقول به المنجمون من آثر الاوضاع الكونية على شخصية الانسان ساعة مولده ، وهذا هو (الهور - سكوب)الخاص بهذا الانسان ، والذى لو أعد بعناية كبيرة فانه لا يجمل واحدا من كل اثنى عشر من البشر : اى حوالى مائتين وخمسين مليونا من الناس كل هؤلاء يتفقون فى مصير واحد ، فهم يهددون معا وييسرون معا ، وينجحون ويرسبون معا ، هذا (كلام فارغ) قد يكون مسليا ، ولكن (الهور - سكوب) الذى يمثل مكان وزمن ميلاد شخص بعينه اذا أعد اعدادا (علميا) صحيحا فانه يكون شيئا خاصا بهذا الشخص لا يشاركه فيه انسان آخر الا بقدر ما يشاركه فى بصمات اصابعه !

ولكى نتصور ما يحدث لابد أن نتصور حقيقة ما يحدث وعلاقته بما يبدو لنا ونحن على ظهر الارض ، كل جسم آخر فى الفضاء يظهر لنا من ناحية الشرق لان الارض تدور من الغرب الى الشرق ، فهى كأنها ثابتة والاجسام تلتف حولها صاعدة من وراء الافق من الشرق هابطة الى ماوراء الافق ناحية الغرب ، ولكن هذا ليس هو بالطبع ما يحدث .

ويقسم الفلكيون - والمنجمون أيضا ، ولو اننا فى العربية نستخدم التعبير الأول للدلالة على كليهما احيانا - يقسمون السماء الى اثنى عشر برجا هى تلك المعروفة: الدلو - الحمل - الجوزاء... الخ ، ولا احد يعرف على وجه التحديد من اين جاء هذا التقسيم ولامن اين جاءت الاسماء التى نطلق عليها ...

والباحثون اليوم يرون ان العدد ١٢ لابد ان يكون تقريبا لعدد دورات القمر خلال السنة ، ولعل الطريقة بدأت اول الامر كوسيلة للتنبؤ باحوال الزراعة ، وقياس ازمنتها ، ولكن هناك

مجموعتين فقط تليقان بما سميتا به ، وهما الجوزاء ، وهذان حقا نجمان لامعان متزاوجان ، والعقرب ، وهي تتكون من خمسة عشر نجما تتخذ شكل ذيل العقرب ، والانتماء لبرج معين منها ، كان يقول شخص « أنا ميزان » لا يعني الا انه ولد في الفترة التي تكون فيها الشمس في برج الميزان ، فيما بين ٢١ سبتمبر ، ٢٠ اكتوبر ، بمعنى انها تشرق في ذات الوقت الذي تشرق فيه هذه المجموعة .

ولكن الفارق بين « البخت » الذي تقراه في جريدة الصباح و « الهور ـ سكوب » الذي يمكن فيه استنباط شخصيتك هو الفارق بين ثلاثين يوما والجزء من الثانية الذي تولد فيه ومنظر السماء كما يبدو في هذه اللحظة وفي هذا المكان الذي ولدت فيه ...

لاأحد على وجه الاطلاق يشاركك في هذا الموقف الفريد ولايتأثر بالقوى الكونية الخالقة للمجاذبية والمغناطيسية والمجالات الحيوية التي تتأثر بها أنت ، حتى توأمك لا يولد في نفس اللحظة فهو اما يسبقك أو يأتي بعدك ، ولا في نفس المكان لان اوضاع الكون ستكون قد تغيرت بمضى الثواني او الدقائق التي تفصل احدكما عن الآخر .

ولايبقى الا ان ندرس بشيء من العناية تأثير هذه الاوضاع الكونية على كل اثر للحياة على الأرض لكي نعرف اننا لانتصادف ان نكون كما نحن ، لقد توصل الفلكيون الى تأثير كل كوكب على المهنة التي يفضلها الفرد على غيرها !

هل هذا يكفي ؟

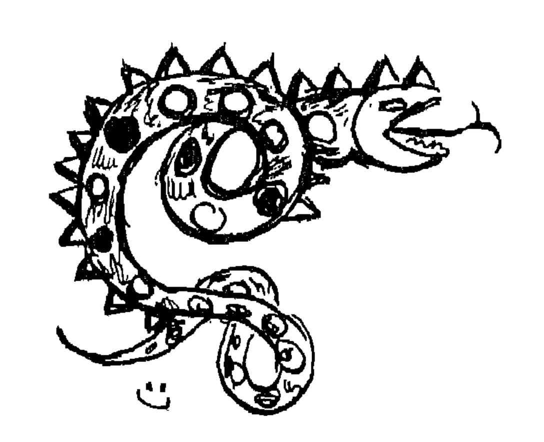
الى هذا الحد والمسألة « علمية » تماما ، علمية بمعنى أن أرفع علماء الفلك مستوى لن يستطيع ان ينكر ان لكل انسان خارطة فلكية ، لايشاركه فيها سواه . ولكن ، هل هذا يكفي ؟

الفلكيون ـ وليس « علماء الفلك » وليس « المنجمون » أيضا ، لأن هؤلاء هم الذين يكذبون ولوصدقوا لأنهم يتنبأون بالمستقبل وهذا ليس موضوعنا ـ الفلكيون لا يعتمدون على الحساب فقط بطبيعة الحال ، اما لان الحساب وحده لن يفيدهم في شيء ، وأما لأن هناك معلومات كثيرة عن تأثير الاجرام السماوية على الارض لا نعرفها حتى الآن ، والواقع أن هذين الاعتراضين شيء واحد .

وهم يعتمدون على التقاليد التي يتوارثونها ومن المستحيل دراسة هذه التقاليد فهي بعيدة كل البعد عن المنطق ولا نظام لها **واغلبها يستمد من اساطير ومعتقدات غامضة وقديمة ، ولكن الشيء الممكن هو اختبار النتائج .**

وفي سنة ١٩٥٩ قام عالم نفسي أمريكي اسمه فيرنون كلارك بتجربة لعلها اشهر ماتم في هذا المجال ، جمع عشر خرائط فلكية لأشخاص ينتمون لمهن واضحة ومحددة . منهم الموسيقى وامين المكتبة والناقد الفني .. الخ ، نصفهم رجال ونصفهم نساء ، وكلهم بين الخامسة والاربعين والستين ، واعطى الخرائط ومعها كشوف بالمهن لعشرين فلكيا ، ولعشرين آخرين من الباحثين الاجتماعيين وعلماء النفس ، وكانت النتيجة واضحة ، فبينما كان فريق العلماء يحدس في الظلام ، حصل ١٧ من الفلكيين على نتائج كاملة الصحة تقريبا ، واستنتج كلارك من ذلك ان هناك علاقة وثيقة بين لحظة ومكان الميلاد ، وبين المهنة التي يشتغل بها الفرد . ولا شك ان عوامل اخرى كثيرة تتدخل في طريق الحياة العملية للانسان ولكن هذا لايمنع ان التكوين الشخصي اقواها اثرا .

على اية حال يبدو ان هذا « الفن » او كائنا ما كان اسمه جاء من هذا الطريق : ادراك الانسان او احساسه بالقوى الكونية يدفعه لأن يحاول ان يستنبط منها نظاما ، ورغم ان كل فلكي استطاع ان يرى جانبا صغيرا فقط من الموضوع ، فان تكامل هذه النظرات المحدودة والخبرات العديدة أدى الى تكوين بناء متكامل ، يمكن الاستناد الى صحته على اساس أن الطريقة العلمية هي تلك التي تنظر الى كل شيء في الكون نظرة واحدة ، من زاوية واحدة ، فالمسألة اما كيمياء او فيزياء او نبات ... الخ ،أما النظرة الشاملة التي تحيط بهذا كله فلا يمكن ان تكون الا الهاما ، ولعلها لا تكون شيئا .



الحب والجمال

على الطريقة الانجليزية

د. نبيل راغب

● ان خير دراسة لمجتمع ما ليست بالقراءة عنه بقدر ما هي بالعيش فيه ومخالطة افراده ، فالتجربة الحية المعاشة توضح ملامح متعددة لهذا المجتمع لا يمكن للكتب والدراسات النظرية ان تظهرها بنفس الخصوبة والتناقضات .

ولقد عشت في المجتمع الانجليزي ما يزيد على خمسة اعوام ووجدت أن خير مقياس لدراسة المجتمع الانجليزي المعاصر هو المرأة ، ولذلك ستحاول هذه المقالة القاء الضوء على التطور الذي مرت به المرأة الانجليزية منذ العصر الفيكتوري الذي استمر طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وانتهى بوفاة الملكة فيكتوريا عام ١٩٠١ ، ولكن روح العصر لم تنته بانتهائه بل تركت آثاراً بعيدة المدى وخاصة على حياة المرأة الانجليزية التي ما زالت تعاني من هذه الآثار حتى عصرنا الحاضر .

***

كانت الملكة فيكتوريا شخصية لا يمكن ان تنسى في تاريخ الأسرة المالكة في بريطانيا ، فكان عصرها الطويل يمثل قمة سيطرة الامبراطورية البريطانية على مقاليد الأمور في العالم ، وأصبحت أقوى وأغنى دولة في ذلك العصر على أيدي ضباطها وجنودها الذين ذهبوا ليستخرجوا كنوز العالم وخيراته لاستغلالها بعد ذلك لصالح الامبراطورية التي لم تكن الشمس تغيب عنها في تلك الأيام ، ورغم انه كان على رأس هذه الامبراطورية امرأة الا أن لواء البطولة قد عقد للرجل ، فكان هو رئيس الوزراء وقائد الجيش والضابط والجندي والعامل ، ولم يتعد دور المرأة القيام بالمهمة التقليدية للزوجة أو العاشقة الرومانسية المنتظرة وصول حبيبها البطل من مهمته القومية وراء البحار .

ولم يخل المجتمع الفيكتوري من الخيانات الزوجية والفضائح الجنسية ولكن طالما ان هذه الأمور كانت تجري في الخفاء فكل شيء على ما يرام ، فالمظاهر هي كل ما كان يحرص عليه الناس وخاصة هؤلاء الذين ينتمون الى الطبقة الثرية ، ولم تكن المرأة راضية عن وضعها الاجتماعي لأنها كانت تنتقل من سجن أبيها الى معتقل زوجها ،

بيت الدمية .. ورياح التغيير

ظل هذا وضع المرأة الانجليزية حتى بدات رياح التغيير تهب على الجزر البريطانية من الشمال حيث تقع

النرويج ، فقد عرضت على مسارح اوسلو عام ١٨٧٨ مسرحية « بيت الدمية » للكاتب النرويجي « هنريك ابسن » ، وفيها تثور بطلتها « نورا » ضد زوجها هيلمر الذى كان يمثل الزوج التقليدى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ، فزوجته – في نظره – ليست سوى دمية يلهو بها فى أوقات فراغه فاذا حانت ساعة الجد فلا وجود لها بالمرة ، وتنتهى المسرحية بأن تهجر

نورا بيت الزوجية بلا عودة، وهى نهاية كانت جديدة كل الجدة بالنسبة لروح العصر المتزمتة والمحافظة . وفي هذا الوقت كان نجم برناردشو ككاتب مسرحي آخذا في الصعود الى آفاق الشهرة والمجد ، وأراد أن يدخل تيارا جديدا في المسرح الانجليزى بأن تبنى اتجاه « ابسن » فى « بيت الدمية » وألف مسرحيات كثيرة تحتوى على نفس المضمون، وتبعه فى هذا كتاب كثيرون .

وبعد ذلك تكونت الجمعيات النسائية التى تطالب بحقوق المرأة ومساواتها بالرجل من حيث حقها في الحصول على نفس الأجر اذا قامت بنفس العمل ، وأن يكون لها حق الانتخاب فى البرلمان والاشتراك فى التصويت ، باختصار أن يكون لها نفس الحقوق التى يتمتع بها



هنريك ابسن : كانت نهاية مسرحيته « بيت الدمية » جديدة فى مضمونها وتختلف اختلافا كبيرا بالنسبة لروح العصر المتزمتة والمحافظة في ذلك الوقت

الرجل وأن تكون عليها نفس الواجبات التى ينهض بها الرجل .

وأرادت المرأة ان تثبت هذا بالفعل فأقحمت نفسها فى كل مجالات العمل العنيف ، حتى الرياضات الخطيرة مثل ركوب الخيل وسباق العربات وقيادة **الطائرات فيما بعد كانت من الهوايات المفضلة للمرأة الانجليزية . ولكن الرجل كان يقاوم بكل قوته حتى لا يجرفه التيار لأنه اكتشف ان المرأة الانجليزية لاتعرف لنفسها حدودا وانها استمرات التحدى وبالذات عندما اكتشفت أن الرجل الانجليزى لم يكن بالقوة التى صور نفسه بها وبالهالة الاسطورية التى احاط نفسه بها .**

المرأة بعد الحربين

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى ، وجدت فيها المرأة الانجليزية ، فرصة العمر لكى تثبت للرجل أهميتها وخطورتها حتى فى أشد الأوقات محنة ، فتطوعت لخدمة المقاتلين ، ومازالت اسطورة فلورنس نايتنجيل ماثلة فى الأذهان ، ولكن الحرب جاءت بنتائج غير متوقعة بالنسبة للمرأة لأنها لم تكن تقصدها على الأطلاق ، فقد قضت الحرب على زهرة الرجال ووجدت المرأة الميدان خاليا ، فبدأت تصول وتجول، وكانت الدولة فى حاجة الى الأيدى العاملة التى تعوض ما فقدته فى الحرب ، فاستعانت بالمرأة لشغل الفراغات الناتجة ، وكتعويض لما فاتها نجحت المرأة في كل المهام التى أوكلت اليها ، بل انها كانت تسعى حثيثا الى الحصول على مكانة الرجل وسطوته فى مقابل أن يحصل الرجل على مكانتها القديمة ، واستمر هذا الوضع حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

والعجيب ان الرجل الانجليزى لم يبذل جهودا تذكر فى التصدى للتيار الأنثوى الجارف لأن المرأة أشهرت تهمة التزمت والرجعية والتعصب والتطهرية فى وجه كل من يحاول ايقاف زحفها الذى لا يعرف حدودا .

والرجل الانجليزى يعتبر وصمة التزمت وضيق الأفق أخطر وصمة يمكن أن يوصم بها ولذلك كان يتغاضى دائما عن كل خطوة جديدة وجريئة تتخذها

المرأة الانجليزية ، واصبح تعبير المرأة المسترجلة تعبيرا شائعا على الألسنة ولم تخجل المرأة منه ، بل على العكس كانت تفخر بان يلصق بها لأنه دليل القوة والارادة والسطوة والسيطرة .

وبعد ذلك كانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول خطيرة فى حياة المرأة الانجليزية ، لأن الحرب كانت قد قضت على الحواجز القليلة المتبقية من عصر الملكة فيكتوريا ، فقضت على التماسك الأسرى وتمكنت المرأة من الحصول على الحرية ، بل أن الزواج أصبح فى نظرها قيدا تقليديا لا يصح أن تقيد نفسها به ، ومن العجيب ان وضع الرجل فى المجتمع الانجليزى كان يتدهور طرديا مع تدهور الامبراطورية الذى بدأ مع نهاية الحرب العالمية الثانية ووصل الى قمته بعد حرب السويس . فعندما فقدت الامبراطورية مستعمراتها فيما وراء البحار فقد الرجل الانجليزى سيطرته على مقاليد الأمور داخل المجتمع

وأصبحت المرأة هى المحرك الحقيقى لدفة الأمور سواء عن طريق مباشر او غير ذلك ، وما زالت المرأة الانجليزية فى أيامنا هذه تعلن الحرب الشعواء ضد تقاليد العصر الفيكتورى الذى انتهى منذ حوالى سبعين عاما ، والمضحك ان الرجل الانجليزى يشاركها شن هذه الحرب كنوع من التظاهر باتساع الافق ومسايرة التطور واستيعاب روح العصر بل انه ابدى استعداده نفسيا لأن يتبادل مركزه الاجتماعى نهائيا مع المرأة .

حساب الخسائر

لم تكن ثورة المرأة الانجليزية بدون خسائر ، لأن هناك قانونا طبيعيا يقول ان كل شىء يزيد على حده ينقلب الى ضده ، فان كانت المرأة الانجليزية قد فازت بحريتها المطلقة الا انها فقدت استقرارها النفسى ولم تجد سوى الوحدة والعزلة والملل . ولم يعد الرجل يهتم بها بل أنه يتوقع منها الاهتمام به واذا لم تتخذ هى الخطوة الأولى فسوف يفوتها موكب الحياة . ونظرا لأن طبيعة المرأة تجعلها تميل الى اخفاء اهدافها الحقيقية فلم تحاول مطاردة الرجل بصراحة بل حاولت اجتذابه بطريقة تقليدية قديمة مثل تعرية اكبر قدر ممكن من جسدها ، ولذلك انتعشت « موضة » « المينى » و (الميكروجيب)

الجرىء جدا والذى لا يتناسب على الاطلاق مع طقس انجلترا البارد جدا . ومع ذلك لم تفلح المرأة فى لفت نظر الرجل الانجليزى الذى وجد أن معظم النسوة قد تعرين مرة واحدة ، وكشفن عما يثير اهتمامه فيهن ، وبالتالى فقد اهتمامه تماما وأصبح لا يعيرها مجرد نظرة فى الطريق العام .

أصبح جمال المرأة سلعة رائجة جدا ، ويندر أن يظهر اعلان فى لندن بالذات دون أن يحمل صورة لجسد امرأة شبه عار أو بالمايوه البيكينى أو الملابس الشخصية الخاصة على أحسن الفروض . ولا يهم اذا كانت هناك علاقة موضوعية بين مضمون الاعلان وعرى الصورة لأن العلاقة تجارية بحتة ، قصدها لفت نظر الجمهور باية طريقة ، والمجلات البورنوجرافيه الفاضحة والكتب والافلام العارية تغرق كل دور السينما ، «والنمرة» المفضلة التى تقدمها كل الأندية الليلية دون استثناء هى نمرة خلع الملابس التى تقوم فيها الراقصة بالكشف عن جسدها

وفى الماضى كانت مسئولية الرجل تجاه المرأة ان يقدم لها الطعام وان يوفر لها الحياة اللائقة ، ولكن عندما اعلنت عصيانها ضده واجهت — من الظروف الاقتصادية الصعبة جبروتا أقسى من جبروت الرجل ، لأن جبروت المجتمع

عجلة رهيبة تطحن فى دورانها كل من يقف فى طريقها دون أدنى رحمة أو حتى مجرد تفكير .

فى اسكتلندا وويلز

أما المرأة الاسكتلندية فتختلف كثيرا عن المرأة الانجليزية ، صحيح أنها تسايرها فى كل شىء من ناحية الازياء والموضة والخروج الى العمل ، الا أن سلوك الرجل الاسكتلندى قد حد من عصيانها . فالرجل الاسكتلندى لايستطيع ممارسة اللامبالاة المغرم بها الانجليزى

ومعظم الاسكتلنديات المتزوجات لا يستطعن لبس « الميكروجيب » الجرىء الا فى مدينتى ادنبره وجلاسجو أما فى الريف الاسكتلندى فما زالت غيرة الرجل الاسكتلندى واضحة على زوجته .

والرجال فى شوارع ادنبره وجلاسجو ما زالوا يحملقون فى وجوه وسيقان النساء الجميلات وقد رأيت فى بعض شوارع ادنبره بعض المعاكسات التى تصدر عن المراهقين عندما يرون فتاة رشيقة شقراء ترتدى السروال أو الشورت ، واذا كانت المرأة الإسكتلندية قد شاركت الرجل فى كل شىء الا انها حاولت بقدر الامكان الاحتفاظ ببقايا أنوثتها وتغطية ما يمكن تغطيته من جسدها حتى تحتفظ ببقايا اهتمام الرجل بها .

أما المرأة فى ويلز فتختلف اختلافا كبيرا عن المرأة فى انجلترا ، وقد قالت لى صاحبة ((البنسيون)) الذى كنت انزل به فى لندن - وهى من ويلز - بالحرف الواحد : اننا نختلف كثيرا عن الانجليز لأننا أصحاب الجزر الأصليون ، أما الانجليز فهم الغزاة الانجلوسكسونيون والنورمانديون ، ولنا لغتنا التى لا تمت الى الانجليزية بصلة ، ولنا ثقافتنا وحضارتنا وتاريخنا الخاص بنا ، ومن الطبيعى ان تختلف المرأة الويلزية عن الانجليزية .

وكلام هذه السيدة صحيح الى حد كبير لأن المرأة الويلزية تتميز بالرقة والعذوبة وزوجها يغار عليها الى حد كبير ، وهى تشبه المرأة المصرية فى صفات كثيرة منها اعتزازها بانوثتها وحرصها على احترام رجلها وخاصة فى المجالات العامة .

وفى كارديف ويانجور وبقية مدن ويلز تقل نسبة العرى كثيرا عن انجلترا وتسير الفتيات فى دلال ورقة على عكس الطريقة المسترجلة التى تنتهجها المرأة الانجليزية .

الانوثة والضعف

والخطأ الكبير الذى ارتكبته المرأة الانجليزية انها لم تستطع التفريق بين الانوثة والضعف ، فقد تصورت أن التخلى عن انوثتها هو الطريق الوحيد المؤدى الى القوة والحرية والانطلاق والمساواة فى كل شىء مع الرجل ، ولكنها عندما خسرت أنوثتها فانها فقدت اهتمام الرجل بها . وهى الآن تحاول استعادته بطرق بدائية ، بعدان ادركت انها خسرت ثورتها ضد الرجل الذى اشهر سلاح اللامبالاة بوعى أو بدون وعى منه ، وهو سلاح قاتل على المدى الطويل .

وقد ظهرت أخيرا على صفحات المجلات اللندنية مقالات تنادى بتحرير الرجل من سيطرة المرأة ، وقالت أنه اذا كان النصف الأول من القرن العشرين هو عصر تحرير المرأة من سيطرة الرجل فالأمل معقود على النصف الثانى حين يتحرر الرجل من استبداد المرأة الذى لا يعرف حدودا .

وهكذا فان المرأة الانجليزية كانت الخاسرة يوم تطرفت فى معركتها ضد الرجل ولم تجن من ورائها سوى العزلة والوحدة والضجر والسأم والملل وعندما قضت على أنوثتها بيدها فانها انهت دلالتها التى خلقت من أجلها ولأنها لم ولن تستطيع ان تكون رجلا فانها عاشت فى منطقة حرام بين الانوثة والرجولة مثلها فى ذلك مثل التى رقصت على السلم فلم يرها الذين يسكنون فى اعلى المنزل أو الذين يقطنون اسفله . وكان يمكن لها أن تحيل الانوثة الى سلاح بتار فى معركتها بدلا من القضاء على اسلحتها الطبيعية واستعارة اسلحة الرجل التى لا تلائم طبيعتها ، وهى الآن تجنى ثمار ثورتها على طبيعتها الأنثوية ، وهى ثمار مريرة الى حد كبير لأنها افتقدت كل معانى الحب والجمال التى تمنح الحياة طعمها ومذاقها .

مطالعات فى أروع مكتبات العالم القديم

مدرسة الإسكندرية

نسيم مجلى

يقول (جيستوس شيلرز) ان تاريخ العلم يقتفى احيانا مسار الامبراطوريات . ففتوحات الاسكندر الاكبر نقلت مركز العالم الاغريقى من اثينا الى الاسكندرية . لقد فتح الاسكندر مصر عام ٣٣٢ ق . م وبنى الاسكندرية فى نفس العام . وبعد وفاته انقسمت الامبراطورية بين قواده وكانت مصر نصيب القائد المقدونى بطليموس الذى اقام دولة البطالمة التى استمرت زهاء قرنين من الزمان ثم سقطت وانتهت بموت كليوباترة فى ٣٠ ق . م .

ازدهرت الاسكندرية فى عهد البطالمة واصبحت مركز العلم والفكر فى العالم كله . وكان ذلك امرا طبيعيا لما تنفرد به هذه المدينة من مزايا عديدة ، اذ كانت ميناء بحريا ومركزا تجاريا عالميا يسيطر على طرق المواصلات ويمكنه الوصول الى ثروة الشرق وثقافته .. وكانت هذه المدينة موضع رعاية عظيمة من حكام البطالمة وخصوصا القادرين والمثقفين منهم .

لقد احاط بطليموس الاول نفسه بجمهرة من الفلاسفة ورجال الادب استقدمهم من كل انحاء اليونان ، واتاح لهم كل الوان التشجيع الممكنة فانشا المتحف كاكاديمية لتدريس الفنون والعلوم (واعتبره مقر ربات الفن والشعر) وقد ضم المتحف مكتبة زاخرة هى اروع مكتبات العالم القديم ..

واخذ الباحثون يتوافدون على الاسكندرية من كل الاقطار والاجناس ، من بابليين ورومان ويهود .. كانوا ياتون جماعات وفرادى ليدرسوا على اساتذة المتحف ويطلعوا على ما فى المكتبة من آثار فكرية وعلمية ، ويمعنوا النظر فيها .. وهكذا اشرقت شمس الاسكندرية كمدرسة فريدة للفلسفة والعلوم .

ظهرت الى جانب هذه المدرسة مدارس اخرى منافسة مثل مدرسة بيرجاموم ومدرسة رودس لكن الخصومة كانت على اشدها بين مدرسة الاسكندرية ومدرسة بيرجاموم وفى سبيل محاصرة تاثير هذه المدرسة ، اصدر البطالمة قرارا بحظر تصدير ورق البردى الى اهل بيرجاموم ، لحرمانهم من مادة الورق اللازمة للكتابة . وقد دفعهم هذا الحظر الى استخدام جلود الحيوانات التى استخدمها قبلهم كثير من شعوب آسيا فى اغراض الكتابة ايضا . وقد نجح هؤلاء البرجاميون فى تطوير نوع خاص من رقائق الجلد سمى جلد بيرجاموم التى اشتقت منها كلمة Purchment (جلد الرقاق او ورق البرشام) .

لم تنجح اى منافسة فى التاثير على مكانة الاسكندرية اذ عقد لها لواء السيادة ، وظل تاثيرها مسيطرا على سماء الفكر الاغريقى قرونا عديدة .

وفى الاسكندرية برز كثير من فلاسفة الاغريق الذين استوحوا حكمة حكمائها فنبغوا فى شتى ضروب العلم كالهندسة والجبر وحساب المثلثات والفلك والتنجيم ، وايضا فى الجغرافيا والمساحة والميكانيكا والكيمياء . وكان علماء الاسكندرية اساسا من المتخصصين لم يجولوا فى كل ميدان كما فعل اسلافهم الا ان التخصص عندهم لم يكن بمعناه الضيق لهذه الكلمة ، لكنهم كانوا ابعد ما يكون عن الاجتهاد فى كل علم كما فعل ارسطو .

كان اقليدس عالم الرياضيات اول الاسماء التى نالت شهرة عظيمة . ولا يعرف عنه سوى انه ظهر فى ٣٠٠ ق . م . واشتغل بالتعليم فى المتحف ، وكتابة (عناصر الهندسة) يلخص اكتشافات فيثاغورس وغيره من الرياضيين ، كما يتضمن بعض الاضافات الهامة التى اسهم بها اقليدس فى هذا المجال . لقد رتب اقليدس نظريات الفلسفة فى نظام منطقى مقبول واخترع عددا من البراهين الضرورية ، الا ان كتاباته بدت غامضة غريبة بالنسبة لغير المتخصصين فى زمنه .

وقيل ان بطليموس الاول سال اقليدس يوما عن طريقة اسهل لتعليم الهندسة فاجابه اقليدس (فى علم الهندسة لا توجد اختصارات للملوك)

فليس هناك يا سيدى ، طريق ملكى للتعليم !)

كان كتاب العناصر من أوسع الكتب انتشارا فى عالم الثقافة الغربية فقد وضعت الاجزاء الستة الاولى من هذا الكتاب قاعدة لعلم الهندسة الذى يدرس فى مدارسنا ويعرف باسم الهندسة الاقليدية ، لكن أكثر أجزاء الكتاب مثارا للخلاف فى العصر الحديث هى الفرض الذى وضعه اقليدس الخاص « بالخطوط المتوازية» والعبارة تعنى أنه يمكن من نقطة خارج خط مرسوم مد خط واحد مواز للخط الموجود • وهذه العبارة لا تعد حقيقة مسلما بها الان بل مجرد افتراض •

وفى القرن التاسع عشر أوضح لوباشيفسكى وبولاى انه يمكن انشاء نظم رياضية أكثر منطقية وأشد نفعا من الرياضة الاقليدية ••

لم يمض وقت طويل حتى ظهر بالاسكندرية اريسطارخوس ساموس « ٢٨٠ – ٢٦٤ ق • م » والاخذ يعلم فى المتحف بعد اقليدس • كان فيثاغورس فيلاوس يعتقد بأن الارض والكواكب والشمس تدور جميعا حول محور من النار يحيط به الغموض • أما اريسطارخوس فكان يعتقد أن الكواكب تدور فى دوائر ومدارات متعددة حول الشمس التى هى النار المحورية • وقد أكسبه هذا الاكتشاف لقب كوبرنيكوس العصر القديم بيد أن أفكاره لم تجد قبولا عند الناس فى عصره فرفضوها على اعتبار انها تخريفات عقل مجنون

درس اريسطارخوس الاحجام النسبية للشمس والارض والقمر وحاول تقدير المسافات فيما بينها – الا أن تقديراته جاءت خاطئة تماما اذ حسب أن الشمس تبعد عن الارض بمسافة تزيد على بعدها للقمر بثمان عشرة مرة بدلا من ٣٨٨ مرة وهو البعد الصحيح • اما تقديره لحجم القمر فكان صحيحا لانه قال ان القمر أصغر من الارض، وأما الشمس فهى أكبر بكثير •

كان ارشميدس اعظم ابناء هذه المدرسة شأنا (٢٨٧ – ٢١٢) فقى ارشميدس معظم ايام حياته بمدينة سيراكوزه موطنه الاصلى بجزيرة صقلية ، كان ابنا لاحد علماء الفلك وقريبا للملك هييرو الثانى ملك صقلية ، لكنه تعلم فى الاسكندرية وحين عاد الى وطنه كرس حياته كلها لدراسة الرياضة والطبيعة •

وكان ارشميدس عالما رياضيا فذا ، اسهم بالكثير فى تطوير علم الرياضة البحتة ، اذ وصف ما سمى منذ ذلك الحين « بحلزون ارشميدس » ووضع تقديرا صحيحا لنسبة محيط الدائرة الى قطرها بين ٣ ١٠/٧١ – ٣ ١/٧ وقد اثبتت الحسابات الدقيقة أنه ٣و١٤١٤٩ • كذلك اثبت انه اذا وضعنا كرة فى داخل اسطوانة يتساوى ارتفاعها وقطرها مع قطر الكرة فان حجم الاسطوانة وسطحها يساويان حجم وسطح الكرة مرة ونصف • لقد اعتبر ارشميدس هذ النظرية أهم اسهاماته لعلم الرياضة وأوصى ان تحفر على شاهد قبره فى شكل هندسى ملائم •

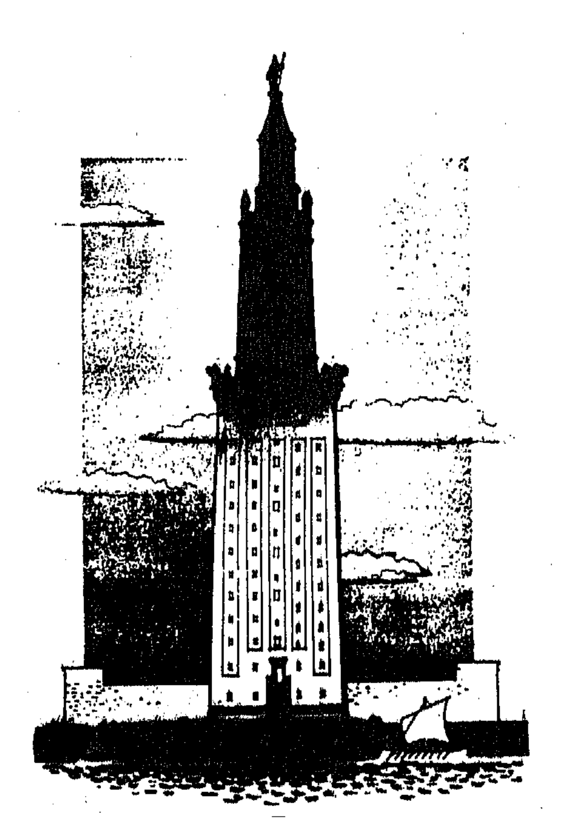
ثم توصل ارشميدس الى طرق بارعة جدا للتعبير عن الارقام • وكان هذا من أشد الامور صعوبة فى عصره وفى كتابه (دليل الرمال «The Sand Reckoner») يوضح ارشميدس ان هناك أرقاما لا نهائية يربو عددها على عدد حبات الرمل الموجودة (ليس فقط فى سيراكوزة أو صقلية • بل الموجودة فى جبل من الرمال فى مثل حجم (هذا الكون)

كذلك كانت اسهامات ارشميدس فى مجال العلوم الطبيعية شيئا بارزا • ولا غرابة فى هذا فهو مؤسس علم الميكانيكا النظرية ، وهو الذى صاغ قانون الروافع الذى يعد غاية فى البساطة وغاية فى الاهمية •

يقول ارشميدس (اعطنى مكانا أقف فيه ، وسوف أحرك لك الارض) •

كذلك وضع المبادىء الاساسية لعلم الهيدرو ستاتيكا ، أحد فروع علم الطبيعة الخاص بدراسة ضغط وتوازن السوائل •

لم يكن ارشميدس عالما مرموقا فى صياغة المبادىء النظرية فقط ، بل كان رجلا واقعيا يهتم بالتجربة العملية أيضا • فحين وضع قانون الروافع وأثبت بطريقة رياضية أنه يمكن تحريك ثقل كبير باستخدام قوة بسيطة ، طلب اليه الملك أن يثبت ذلك بالتجربة العملية •• فصمم ارشميدس جهازا آليا معقدا يمثل رافعة ، ثم



فنار الاسكندرية المقام على جزيرة فى داخل الميناء ، كان احد عجائب الدنيا السبع ، حين كانت الاسكندرية مركز الثقافة القديمة •

أمسك طرفه بيد واحدة ، وراح يحرك به سفينة كبيرة بحذاء الشاطىء .

واحيانا كانت تتكشف له الحقائق العلمية من خلال محاولاته الجادة لحل مشاكل الحياة العملية . ففى ذات يوم سأله الملك ان كان بوسعه ان يعرف هل صنع تاجه من الذهب الخالص أم ان الصائغ قد أضاف اليه معادن أخرى أقل قيمة ، وانشغل ارشميدس بحل هذه المعضلة حتى اهتدى لقانون الطفو والسائل المزاح الذى يعرف باسمه حتى الآن .

كان ارشميدس يتميز بعقلية مبدعة تعد من أخصب العقول فى العصر القديم وكان ينظر الى مخترعاته كما يقول بلو تارك على أنها « تنويعات مهندس يلهو باللعب »

بدأ ارشميدس يهتم بالاختراع حين « طلب اليه الملك ان يحول اهتمامه من الأفكار المجردة الى واقع الحياة الملموس ، وأن يبسط براهينه بحيث تصبح سهلة الفهم حتى يساعد عامة الناس على الانتفاع بها فى اغراض الحياة العملية .. »

واخترع ارشميدس الطنبور الذى يستخدمه الفلاح المصرى حتى الآن لكى ينزح بها المياه من قاع سفينة كبيرة بنيت لحساب الملك .. كما انه قدم عددا من المخترعات الحربية ذات التأثير الفعال ، والتى نجحت فى صد جيوش الاعداء ومنعهم من غزو المدينة لمدة عامين .

فقد حاصر الجيش الرومانى بقيادة مارشيلوس مدينة سيراكوزه ٢١٤ ق . م فاخترع ارشميدس (المقلاع) - المنجنيق الذى اوقف جنود المشاه . كذلك اخترع نوعا من « الاوناش » ذات المنقار الخطافى تقوم بقلب سفن الاعداء واغراقها فى البحر ... وقيل انه صنع مرآة حارقة كانت تشعل النار فى سفن الغزاة كلما اقتربت من الشاطىء وادى هذا الى صمود المدينة سنتين قبل ان تسقط فى أيديهم عام ٢١٢ ق . م وتشهد المذابح الرهيبة ، التى راح ارشميدس ضحيتها .

فقد واصل العمل بالمسائل الرياضية متجاهلا الاوضاع المضطربة من حوله ، وفى اثناء انشغاله برسم احد الاشكال الرياضية على الرمل ، قتله جندى رومانى مخمور ، واثار ذلك الحادث حزن القائد مارشيلوس الذى كانت تعليماته تقضى باعفاء هذا الحكيم العجوز من العقاب . وشيع ارشميدس الى قبره فى موكب كريم وتحققت وصيته فحفروا على قبره كرة بداخل اسطوانة .

لم تنجب مدرسة الاسكندرية قط عالما آخر فى منزلة آرشميدس لكنها خرجت عددا كبيرا من أواسط العلماء والباحثين ممن قدموا اسهامات لا تنكر فى ميدان العلوم . من بين هؤلاء ايراتوسثينز (القرن الثالث ق . م) الذى أجرى تجربة بسيطة ودقيقة لقياس حجم الأرض اذ قارن بين طول ظل الشمس بالاسكندرية وطول ظلها عند اول شلالات فى وقت واحد .

ونظرا لانه افترض أن الارض كروية فقد مكنه ذلك من التوصل الى تقدير معقول لمحيطها ، (حوالى ٧٤٠ و٢٨ ميلا) فى حين أن الرقم الصحيح هو ٨٧٤ و٢٤ ميلا فقط . ثم رسم خريطة للعالم واعتقد انه يمكن للانسان ان يسافر من اسبانيا الى الهند لو سار فى طريق مواز للشاطىء .

أما هيبارخوس النيقى . (فى القرن الثانى ق . م) فكان واحدا من اعظم علماء الفلك فى العصر القديم . كذلك كان رياضيا بارزا وضع أساس علم حساب المثلثات . كان يعمل فى رودس ببحر ايجة حيث بنى مرصدا واجرى ابحاثا شاقة ورائعة مستخدما أفضل ما انتج العصر من ادوات . وقيل انه اول من حدد موقعا على سطح الأرض مستخدما لفظ خطوط العرض وخطوط الطول ، وكان اول من لاحظ أن فصل الاعتدال الربيعى والخريفى يأتى مبكرا عن موعده عاما بعد عام . وهى ظاهرة تعرف باسم تسابق فصول الاعتدال

Precession of Equinoxes

ثم وضع كتيبا جديدا للنجوم يضم ما يقرب من ١٠٨٠ نجما موزعة على ابراج مثل برج الجبار والدب العظيم ، وصنف هذه النجوم الى مجموعات حسب درجة لمعان كل منها وهو نظام لا يزال متبعا حتى الآن مع بعض التعديل .

بعد هيبارخوس بعدد من القرون جاء كلوديوس بطليموس (القرن الثانى الميلادى) فلكى الاسكندرية ليرث ماتركه هيبارخوس من « كتالوجات » ونظريات ، ويستعين بها فى عمل كتاب سماه « التكوين العظيم »

كان بطليموس يعلم تلاميذه بأن الأرض كرة مثبتة فى مركز السماء بطريقة تحفظ توازنها ، وحولها تدور الشمس والقمر والنجوم فى دوائر أو دورات ومن خلفها يمتد محيط بللورى شفاف تتعلق به النجوم الثابتة ، وخلف هذا المحيط يكمن « المحرك الأول » Primum Mobile

***

وفى ضوء نظرية الدوائر التى تدور بعضها داخل بعض ، شرح بطليموس عدم الانتظام الظاهرى

فى حركة الكواكب التى تبدو وكأنهـا تتوقف فى السماء ثم تعود فى اتجاه الخلف . وطبقا لنظرية الدوائر يفترض بطليموس ان كل كوكب يتحرك فى داخل دائرة صغيرة يرتكز محـورها على محيط دائرة أكبر محورها هو الأرض .

لقد ترجم كتاب « التكوين العظيم » الى اللغة العربية ومنها الى اللاتينية بنفس العنوان العربى Al. Majest اى الاعظم وظلت نظريات بطليموس مسيطرة على تفكير الناس فى العصور الوسطى حتى جاء كوبرنيكوس فى القرن السادس عشر .

كان بطليموس ايضا جغرافيا بارعا وكتابه « دليل الجغرافيا » كان معدودا عملا نموذجيا فى هذا الصدد لعدة قرون .. لقد اختفت الخرائط المصاحبة لهذا الكتاب الا انه يمكن اعادة رسمها لان بطليموس حدد خطوط العرض وخطوط الطول بالنسبة للمناطق التى قام بدراستها .

ويعتبر « دليل الجغرافيا » عملا عظيم الفائدة عند المؤرخين لانه يتحدث بالتفصيل عن اماكن لم يعـد لها وجود او اصبحت تعـرف الان باسماء مختلفة. ومن الناحية العلمية، فانهذا الكتاب يمثل جهدا كبيرا يستحق التقدير . على الاخص بالنسبة لضآلة المعلومات الجغرافية التى كان يمكن الوصول اليها فى ذلك الزمن الغابر الذى كتب فيه .

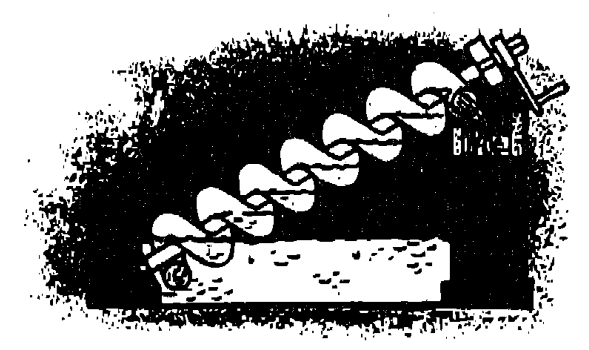
وفى ضوء ما وصلنا اليه اخيرا من معلومات ، يتبين لنـا ان افكار بطليموس المتعلقة بالاماكن المجهولة من العالم ، كانت افكارا بعيدة جدا عن الواقع . فلقد تصـور ان القارات المعروفة فى زمانه ، اوربا وآسيا وافريقيا أكبر كثيرا مما هى عليه حقيقة ، فقد تخيل ان اوربا تمتد شمالا الى مالانهاية ، وكذلك تمتد افريقيا الى الجنوب اما آسيا فتمتد شرقا وشمالا، لقد انطلق فكره من واقع العالم المعروف حينذاك بتحديد صارم لخط الحدود الفاصل واعتبر كل ماوراءه ارضا مجهولة .

اماهيرو السكندرى « لايعرف تاريخ ميلاده او موته) فلقـد كان نظيرا أصغر لارشـميدس العظيم . اذ كان مثـله حاذقا فى الرياضيات والميكانيكا ، لكنه يعرف اليوم جيدا بمخترعاته العديدة . لقد اخترع الديوبترا وهى آلة لقياس الزوايا واخترع « الايوليبيل » وهى اشـهر مخترعاته وهى تعتبر الجد الاكبر للآلة البخارية . وقد سماها على اسم ايولوس (اله الريح) لكنها لم توضع قط موضع الاختبار العملى وبقيت كأحدى لعب الاطفال . ويلاحظ ان مخترعات هيرو يتجه معظمها لاستخدام ضغط الهواء او البخار .

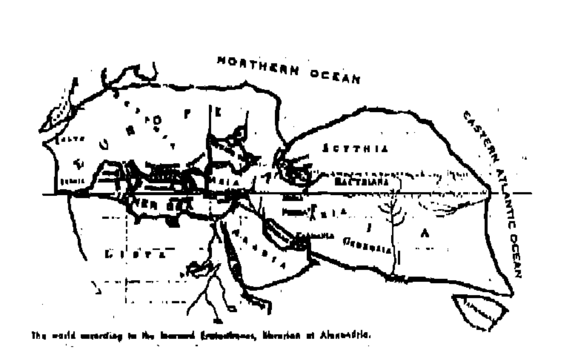
***

ظلت مدرسة الاسكندرية تمارس تأثيرها الفكرى على نحو ما ، لكنها ظلت طوال الاربع قرون الاخيرة تسير فى طريق الانهيار المستمر . فبعد عصر بطليموس تعرضت اسهاماتها العلمية للاهمال الشديد واستمر هذا الحال نتيجة لعدة عوامل هامة منها سقوط دولة البطالمة ووقوع الاسكندرية فى يد اوكتافيوس قيصر فى ٣٠ ق . م وتحولها الى ولاية رومانية. ثم انتشار المسيحية وما صاحبه من صراع ومذابح بين المسيحيين والرومان ، ولقد شهدت الاسكندرية اعنف المذابح والثورات فى عصر الشهداء فى القرن الثالث الميلادى .وحين تحولت الامبراطورية الرومانية الشرقية رسميا الى المسيحية وكتبت السيادة لهذا الدين الجديد لم يهتم المسيحيون بالعلوم الطبيعية وانشغلوا بفكرة الخلاص الروحى التى قامت عليها مدارس فلسفية ودينية مختلفة .

كذلك كانت الفلسفة . الرواقية والابيقورية على ما بينهما من اختلاف فى النظر الى الحياة ، متحدتين فى احتقارها للعلم . وفى القرن الثالث ظهرت الافلاطونية الجديدة التى اسسها امونيوس يودتر فى الاسكندرية حيث دعت الناس الى التحرر من قيود العالم المادى والتركيز على التأمل المستمر ، وانتشرت هذه الفلسفة فى ربوع الامبراطورية الرومانية الغربية فى قرونها الاخيرة .. وكانت نتائجها مدمرة للعلم ، لانه حين يعطى الناس ظهورهم عمدا للواقع ويغفلون ملاحظة الظواهر الطبيعية يسقط العلم فى عصر شرير ..



نسخة من طنبور ارشميدس الذى يستخدم فى رفع الماء من مستوى منخفض الى مستوى اعلى ..



خريطة للعالم كما رسمها العلامة اراتو شينز امين مكتبة الاسكندرية .

ذكرى وذكريات

عزيز أباظة

شاعر العروبة

مبارك المغربي

طالعتها فانفض غبار السفر
واملأ من ((الخرطوم)) سبح البصر
وانزل بموشى خميلاتها
بين الربى الخضر وشط النهر
واحرص على دمعك لا ينهمر
واشدد على قلبك لا ينفطر
قل للتي تنعم في خدرها
بالنوم .. قد طال على السهر
سمراء لمياء لمامية
مشبوبة الأعطاف ريا الشفر
تقول ان قامت لحاجاتها
ظبي تهادى او نسيم خطر
استغفر الله فلم يبق لي
ما يصهر البرد وتخفى الخمر
لكنني بالظن مستيقن
نوه بالزهر أريج الزهر ...

بهذا الاستهلال الآخذ الرائع من قصيدته القوية الجزلة حيا الشاعر الكبير عزيز اباظة – طيب الله ثراه – « الخرطوم » عندما زارها للمرة الثانية عام ١٩٥٧ وفاء للصلات الأزلية بين القطرين وتوثيقا للاخاء العريق بين شعبيهما .

ولست بصدد الكتابة عن سيرته الزكية وتاريخه الحافل او القاء بعض الضوء على شاعريته العظيمة وعرض نماذج من شعره الأصيل الرصين ، فذلك ما اوفاه زملاؤه المخلصون وتلاميذه الأوفياء .. ولكن دفعتني للكتابة صلتي الشخصية بالشاعر وحب الشاعر للسودان وبنيه .. كان عزيز اباظة نسيج وحده وقمة جيله في الشعر المعاصر، ليس في وادي النيل فحسب بل في سائر البلاد العربية .

في مثل هذه الأيام طوى الدهر تلك الحياة الزاخرة بالشعر والادب النابضة بالجمال والابداع .. رحل عنا صاحب «قدر»؟ الدرة الفذة التي نشرتها مجلة « الهلال » عام ١٩٥٣ والتي كانت بمثابة اللقاء الاول بين الشاعر العظيم وبيني . عدا اللقاءات العابرة في بعض انتاجه الشعري مما كانت تنشره الصحف والمجلات العربية من وقت لآخر ..

بات يشكو لندى الفجر اساه
قلق الجنبين تندى مقلتاه
كلما غازله داعي الصبا
فصبا .. هب حياه فنهاه
وبنيات تخطرن على
رونق العمر وموشى صباه
قلن ما خطب ابينا بعدما
هصرت بين ذراعيه مناه
فبكاها وبكاها ، ومضى
مثلا يضرب في الدهر وفاه
يا بنياتي اذا القلب صبا
وهن العزم وخارت قدماه
فاذا عوتب في صبوته
لج فيها .. هكذا الله بناه ! .

ويلغ من اعجابي بتلك القصيدة وشاعرها أن تمنيت لو كتب مقدمة ديواني المخطوط – آنذاك – «عصارة

قلب » فكتبت اليه فى ذلك مرفقا نماذج من قصائدى فجاء رده الرقيق مرحبا مشيدا بما حوته الرسالة ـ فحملت فى صيف عام ١٩٥٤ مخطوطة ديوانى ويممت شطر الكنانة ولقيت من الشاعر الفحل ما لقيت من التقدير والتكريم ، وعدت الى وطنى وانا احمل باكورة انتاجى فى طباعة انيقة وذوق أصيل تتصدره المقدمة التى دبجها يراعه النثر فازدانت صفحاته جمالا واشراقا ..

اذكر انه فى اول لقاء بالشاعر الكبير ان سألنى الى اى المدارس الشعرية انتمى قديما وحديثا ؟ ... فحينما اجبته باننى من مدرسة البحترى قديما ، وشوقى حديثا ، رد قائلا « اذن ليس غريبا أن نلتقى فانا من نفس المدرستين » .

ولعله قصد ذلك بقوله فى قصيدته « الخرطوم » التى القاها فى الحفل المتواضع الذى اقامه كاتب هذه السطور بحدائق المقرن الساحرة تكريما له ..

يا اخت آساد الشرى نوهوا
بالبيض مغناها وحمر السمر
قومك ما اسماهم امة
أم تميم عرقهم أم مضر



الشاعر عزيز اباظة : قمة جيله فى الشعر المعاصر ، ليس فى وادى النيل فحسب : بل فى كل البلاد العربية

البحتريين الم يخلفوا
من احرف صم ينيم الدرر
شعر سقى السحر مغاطيسه
كما سقى الروض ندى مبكر
صانوا عليه حرمة اوشكت
فى عبث التجديد أن تهتصر

رحل عنا صاحب « الأنات الحائرة » والمسرحيات الخالدة الشاعر الذى تغنى بأمجاد العرب ومآثر العروبة .. وتدله بجمال النيل ووادية الخصيب ـ وكان فى كل مراحل حياته الزاخرة مثالا للوفاء والنبل وكرم النفس ..

اما كاتب هذه السطور فماله الى العزاء سبيل ؟ وحسبى ان أرى كل صباح صورته الحية فى مخايل ابنى « عزيز » الذى سميته تيمنا به ووفاء له وذكرى لزيارته الأولى لنا بالسودان عام ١٩٥٥ .

وعندما نقلت له نبأ ميلاده بعد عودته للقاهرة ابرقنى مهنئا .. « اهنئك ونفسى بعزيز .. جعله الله عزيزا فى قومه .. عزيزا فى فضله عزيزا فى سؤدده ، واضفى عليه اجمل ما اضفاه على سميه وجنبه هنات سميه وهى كثيرة »

وقبل ان اضع القلم اعود الى رائعته « الخرطوم » يحيى فيها « مقرنها » الساحر الخلاب ويتغنى بالوشائج بين القطرين الشقيقين :

هل لى الى « المقرن » من عودة
برح بى الشوق له والذكر
ما عادنى سحر عشيباته
الا عرتنى نشوة تستعر
يا جيرة الجنب واهل الهوى
والعهد .. لا عاد خلاف غبر
انا بنو واد اذا ضمنا
الفين كنا وين نما والدهر

أجزل الله اليه الثواب ، وسلام عليه فى الخالدين

مبارك المغربى
الخرطوم ـ السودان

محمد فريد أبو حديد

د. محمد عبد المنعم خاطر

محمد فريد ابو حديد رائد، كان له فضل المشاركة فى الريادة الى ميادين الأدب الجديد المختلفة ، وهو كاتب خصب ظل يكتب ما يقرب من خمسين عاما من حياته ـ من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٦٥ فى فترة من اهم فترات مصر : فترة الانتقال بالأدب من طابع القرن التاسع عشر بما فيه من بدايات حائرة مترددة ، الى طابع القرن العشرين .

ان دراسة محمد فريد أبو حديد يجب أن تشمل العصر كله بجميع فنونه والوانه الأدبية : الرواية التاريخية ، الرواية المعاصرة ، الكتابة الروائية للأطفال ، القصة القصيرة ، المسرحية النثرية ، المسرحية الشعرية المرسلة ، المقالة ، وهى الأجناس التى أسهم فى نموها ...

كما يجب الا نغفل ملامح التطور فى أدب الرجل ، فهذه الاجناس كلها لم تظهر فى أدبه نامية وكاملة ، وانما مرت بنفس مراحل النمو التى مرت بها فى الادب الحديث وظهرت عليها اتجاهات المدارس المختلفة بما كانت تحتويه من نظريات ونزعات مثل : الاتجاه الرومانسى فى قصصه التاريخى وبعض قصصه المعاصر ، والاتجاه الواقعى فى البعض الاخر من هذا القصص المعاصر ، ومثل الاتجاه الرمزى الذى اتضح فى قصته « آلام جحا » ومسرحيته « عبد الشيطان » .

وهذا يدل على ان الكاتب الرائد كانت له مبادىء ، وفلسفات ، ونظريات عميقة اصيلة عمق ما فى فترة الانتقال والتطور من اتجاه أصيل يأخذ من مواريثنا ، ويعتز بها ، ويضيف اليها ما فى الثقافات الأخرى بعد أن تنقى وتصفى ، فادب أبى حديد فى حقيقته انما يؤدى هذا الدور العظيم ـ التوفيق بين الحضارة العربية والحضارة الغربية فى نتاج خصب ، وأصالة متميزة ـ وان اتهم أحيانا بالتعصب والجمود .

ولكيلا نتوه فى شعاب التعميمات ، والنظريات المجردة نستطيع ان نقسم أدب الرجل الى مرحلتين .

المرحلة الاولى ...

مرحلة بواكير انتاجه ، ونعنى بها تجاربه المتعددة التى ظهر عليها طابع المحاولات الأولى فى الاجناس الادبية المختلفة ، والتى بداها على صفحات « السفور » عام ١٩١٨ بكتاباته القصصية التى أخذت شكل خواطر وصور تعتمد على المشاهدة والملاحظة ، وتعبر بأسلوب مباشر عن الحدث الذى يرويه المؤلف بنفسه ، ويعلق عليه دون أن تهتم بوحدة

خسرو وشيرين •

مرحلة النضج الفنى ...

نعنى بها تلك المرحلة التى تخلص فيها أدبه من عيوب المرحلة السابقة ، فبعد عن أسلوب التقرير والرد ، والتدخل المباشر ، وعن الذاتية المغرقة فى صوره القصصية ثم أخذ شكله النهائى ، وطابعه المتميز بخصائصه الفنية وحدها ، كما جعل الأفكار سواء أكانت تيار وعى ، أو حوارا انفراديا باطنيا ـ تتحدث عن نفسها دون الحاجة الى تدخل المؤلف كراوية

وفى هذه المرحلة المباركة من حياته كتب فى القصة القصيرة مجموعة « مع الزمان» وفى الرواية التاريخية «المهلهل سيد ربيعة والملك الضليل ، وزنوبيا ملكة تدمر وأبو الفوارس عنترة بن شداد ، والوعاء المرمرى •

وكتب فى الرواية النقدية الاجتماعية آلام جحا ، وفى رواية التجربة الشخصية أزهار الشوك ، وفى رواية الفترة الزمنية « أنا الشعب » •

وكتب فى الرواية للأطفال : عمرون شاه ، وكريم الدين البغدادى ، وترجم آلة الزمان لويلز ، ونبوءة المنجم للويز أندروز كنت ، وفى المسرحية النثرية كتب «عبد الشيطان» ، كما ترجم ماكبث لشيكسبير بالشعر المرسل ، و « فتح العرب لمصر » لبتلر •

هذا بالاضافة الى مقالاته التاريخية والأدبية والنقدية ، والاجتماعية ، والسياسية التى كان ينشرها فى صحف: السفور ، والرسالة ، والثقافة ، والهلال، ومجلة المجمع اللغوى ثم فى الثقافة العائدة التى كان يراس تحريرها فى الستينات •

ولا نملك ازاء هذا العرض السريع لأعمال الرجل ومكانته الأدبية الا أن نقول: ان فريد أبا حديد قد أثرى الأدب العربى بمفاهيم جديدة ، ونماذج رائعة لايستطيع الدارس للأدب الحديث الا ان يقف عندها ويتمثلها ...



محمد فريد ابو حديد : التوفيق بين الحضارة العربية والحضارة الغربية فى نتاج خصب واصالة متميزة

الانطباع والتأثير ، أو تستخدم الأسلوب الدرامى الذى يلتقط الحدث عند القمة أو يصل اليه بالتدريج كما هو متبع فى القصة القصيرة •

ثم أكدها بيومياته « صحائف من حياة **أو مذكرات المرحوم محمد»** التى نشرها فى أول يناير سنة ١٩٢٤ ، ومع أنها تختلف عن الصور القصصية السابقة من حيث الجنس الا أنها ترتبط بها فى بعض الخصائص الفنية والأسلوبية التى لجأ اليها فى ذلك الحين ، وهذا يدل على تحسس الخطى كما يدل على اضطراب هذا العمل الفنى بين المفاهيم •

ثم أعقب ذلك بكتابته الروائية التاريخية الاولى « ابنة الملوك » ١٩٢٦ ، وفيها تظهر محاولات التجربة الاولى التى تبدو واضحة فى تطبيق القواعد الفنية للرواية تطبيقا يكاد يكون حرفيا •

ثم اختتم هذه المرحلة من حياته ـ مرحلة بواكير انتاجه ـ بمسرحياته الشعرية المرسلة : رواية مقتل سيدنا عثمان ، ميسون الغجرية ، زهراب ورستم ،

قطوف من .. شعر المرأة الأمريكية المعاصرة

ماهر شفيق فريد

● اقدم فيما يلي نماذج من شعر المرأة الأمريكية فى قرننا العشرين ، مع تعليقات وجيزة تلقى الضوء على ما فيه من رموز واشارات ، وذلك في ثلاث حلقات يراد بها رسم لوحة صغيرة لهذا القطاع من المشهد الادبى المعاصر .

وأود فى البداية أن اقرر انى لا أرى كبير عناء فى مناقشة تلك القضية المستهلكة : قضية ما اذا كان هناك شيء اسمه الأدب النسائي . الأدب ـ كما هو واضح ـ لا يكون أدبا لان صاحبه رجل او امرأة ، شيخ أو شاب ، أبيض أو اسود ، وانما يكون كذلك بتوافر مقوماته التى اصطلح عليها النقاد من قديم : ثراء المضمون ، وتعقد التجربة الانسانية ، وجمال الاداء . ولكن من المشروع ـ من ناحية أخرى ـ ان نستخدم مصطلحات من نوع « الادب النسائى » أو « أدب الحرب » أو « أدب الاطفال » أو « أدب الرحلات » أو « أدب الرعاة » ، الخ .. وذلك على سبيل تحديد نطاق البحث ، وعزل جوانب معينة من التجربة الادبية بغية التعمق في دراستها ، وتبين ما يميزها عن غيرها من مجالات المعالجة الفنية .

وتبقى ـ فى نهاية المطاف ـ حقيقة مؤداها ان الادب الذى تكتبه امرأة فلاينم ـ فى بعض جوانبه على الاقل ـ على انه من نتاج أنثى ، أدب ناقص ينقصه الطابع الشخصى ، لاننا نتطلب من أدب المرأة ـ كما نتطلب من أدب الرجل ـ مذاقا متفردا يحمل آثار تجربة الجنس عبر العصور ، ويفوح بعطره الخاص ، وينقل الينا فهما من الداخل لطبيعة المرأة قد لا يقدر عليه الا أولو الالباب وأصحاب البصيرة من الرجال كتولستوى صاحب « آنا كارنينا » وفلوبير صاحب « مدام بوفارى » .

فالى هذه النماذج التى تتنوع موضوعاتها ، ما بين حب وغيرة وشك ، ولكنها تشترك كلها فى هذا المذاق الانثوى المتفرد ، وتزيدنا معرفة بعالم المرأة الداخلى ، وآفاق آمالها ومخاوفها وتوهماتها ، وتخرج الى النور ما ظل طويلا فى منطقة الظل ، على ضوء ما جاء به قرننا من كشوف علمية ، ونزعة تجريبية لا ترضى بالظن والتخمين ، وتقدم فى علوم النفس والطب والحياة ، وكلها أمور زادتنا استبصارا باغوار العقل ، وأدغال النفس ، على أعمق المستويات البيولوجية والاجتماعية .

جرترود ستين
(١٨٧٤ ـ ١٩٤٦)

(شاعرة طليعية ، راجع عنها

كتاب فردريك ج· هوفمن ، ترجمة د· عبدالرحمن ياغى ، فى سلسلة « أعلام الادب الامريكى » (المكتبة الاهلية ـ بيروت) · فى قصيدتها بساطة مقصودة كاحدى أغانى الاطفال) ·

أنا وردة

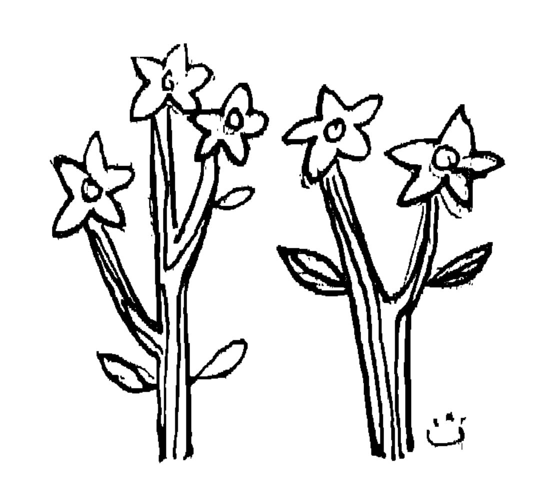
انا وردة عيونى زرقاء
أنا وردة ومن أنت
أنا وردة عندما اغنى
أنا وردة كأى شىء ·

هيلدا دولتل
(١٨٨٦ ـ ١٩٦١)

(ظلت طوال حياتها مخلصة لمذهب الصورة لا تجاوزه الا لماما · تمتاز بقصد العبارة ، والقدرة على اعتقال الزمن فى لحظة شعرية ذات دلالة ، وهى ترمى ببصرها الى قصائد المنتخبات الاغريقية ، محاولة أن تسترجع شيئا من أناقتها ورشاقتها الاتيكية : نسبة الى اقليم أتيكا لدى قدماء اليونان) ·

اغنية

أنت كالذهب
كالحبة نصف الناضجة
التى تندمج فى اللون الذهبى من جديد



بيضاء كالمطر الابيض
الذى يهطل خلال
الزهور نصف المتفتحة
لسيقان الزهرة الكبيرة
كثيفا على الأوصال السوداء
لغصن تفاح البرى (نسبة الى اقاليم البريا على شاطىء البحر الادرياتيكى)
أبوسع العسل أن يستقطر عبقا
كشعرك اللامع
ان وجهك حلو كالمطر
ومع ذلك فكما ان المطر الذى ينام واضحا
على قرص الشهد الابيض
يضفى اشعاعا على الشمع الابيض
يضفى شعرك على جبينك
نورا بدل الظل ·

ميريان مور
(ولدت ١٨٨٧)

(أستاذة فى صنعة الشعر ، أثنى عليها ت· س· اليوت فى مقدمة كتبها لمجموعة قصائدها (دارفيبر وفيبر ، لندن) · وهى مثله من سان لوى بولاية ميسورى ، تكبره بعام واحد · أبياتها عادة طويلة زاخرة بالملاحظة الدقيقة والصور المحددة · عقلها نافذ ساخر حاد الذكاء ، ومنطلقها فى كثير من الاحيان هو الحيوانات النادرة أو الاسطورية : فرس نهر ، نعامة برية ، أخطبوط ، أحادى قرن ، طاووس ، شائق أن تسمع شاعرة كرست حياتها للشعر تعترف فى هدوء : « الشعر ·· أنا أيضا لا أحبه »)

الشعر

أنا ، أيضا ، لا احبه ·

على انه مهمـا يكن من أمر فانه ، اذ يقرؤه المرء بازدراء كامل ، يكتشف فيه ، فى نهاية المطاف مكانا لما هو صادق ····

الشعر والجمال

كامل أمين

يا وردة شغلَ الفؤادَ هــــواكِ
عمّا غرسنت به مِنَ الاشــــواك
سيّانَ عندى الراحُ أو عينـــاكِ
إن كنتُ فى دنيايَ أمْ دنيـــاكِ
كل الذى أدريهِ انّ متـــاعبى
قدر يسمّيه الفؤادُ هَـــواكِ
يا غادةَ الاحلام كيفَ عبرتِ مِنْ
عينى إلى قلبى ، ومَن نَـــاداك !
من أى وُديان الخيـــالُ أتيتِ لِى
ومنِ الذى بجوارحى أغـــراكِ !
الكونُ أوسعُ مِن فؤادى مَـــرتعا
مـــاذا على ودنيانهِ استهواك
بينى وبينَك غـــاية ما مـــرّ فى
أشجارِ أحـــزانى بهـــا إلاّكِ
أظننت غدران الدموع منـــاهِلا
فنَهلت منها تُطفئين صَـــداكِ
أمْ خلتِ أحزانَ البنفسج حَولَهـــا
جاءت بزرقتهـــا لهـــا عيْنَـــاك
يا حلوةَ العَينـين والشّفتَين والـ
خَدّين • سُبحانَ الذى ســـوّاك
إنسانة أم طرح بســـتان بهِ
ثمرُ الفصُول جميعُها بصِبَـــاك
رُمّـــانهُ أو كـــرمه أو وردةُ
نَهداكِ أو عينَاكِ أو خـــدّاكِ
أعطافُ حواء وصَوتُ بلابِـــلَ
فى سحرِها روت وطُهْر مَـــلاكْ
أعيَا جمالَكَ ما أشـــبّههُ بهِ
حتى عجزتُ فقلْت ما أحـــلاكِ
ألقيتُ مِن شعرىَ الشِرّاكَ عساى لو
طَربَتْ له أوقعتُهـــا بشـــراكى

وطرحت أنغـامى لها متصـيّدا
فتصيّدتنى فى الهوى بشباكى

وجرى حديث بينها همسـا وبين
صديقة . قالت لهـا ، بشراك

أقرأت فيك اليوم آخر شعره
لاشكّ عندى أنه يهـواك

فتبسّمت عجبا وقالت ربّمـا
فى غادة غيرى . فمن أدراك

أنا لا أصدّق شاعرا أبدا بشعـر
الحبّ فالشعراء كالنسّـاك

كلماتهم طبعت به قبلا لكى
تروى ولا تروين منهـا فاك

يتخيلون من الجمـال كماله
ومن الهوى دمع المشوق الشاكى

فاذا انتهت حسـناؤه لقصـيدة
نشرت على أهل الهوى وطواك

لو كان يهوانى لما احتمل النـوى
وسعى إلىّ بدمع طفـل باكى

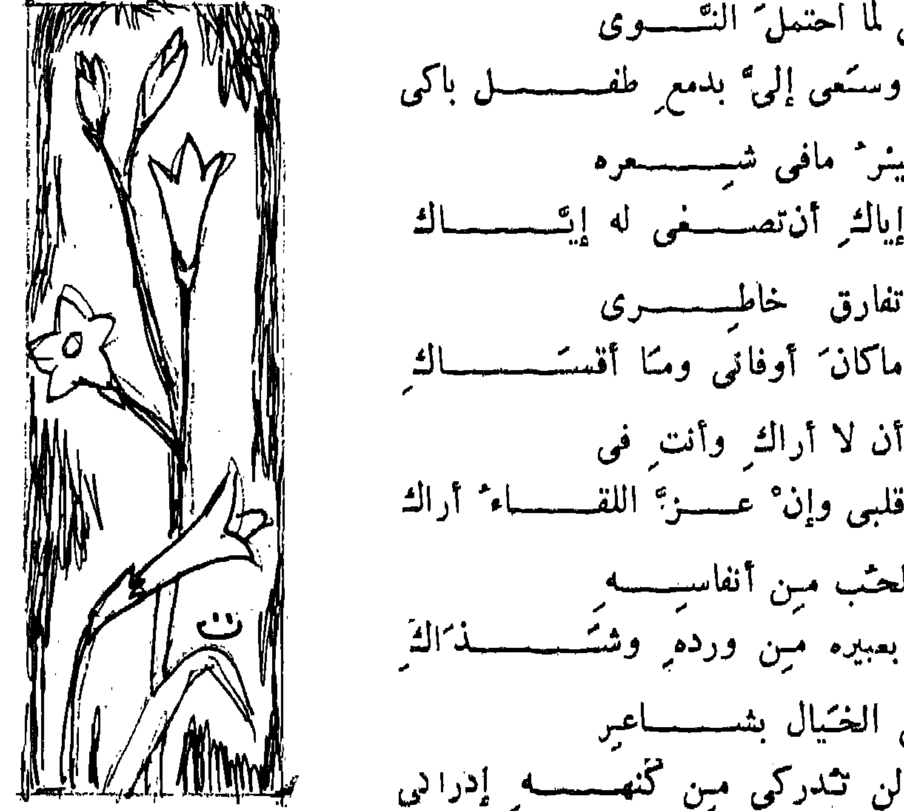
الحب شيء غير مافى شعره
إياك أن تصـغى له إيّـاك

يا من بقلبى لاتفارق خاطـرى
ماكان أوفانى وما أقسـاك

ما ضـرّنى أن لا أراك وأنت فى
قلبى وإن عزّ اللقـاء أراك

أنا كل مافى الحبّ من أنفاسـه
بعبيره من ورده وشـذاك

شيء يحلق فى الخيال بشـاعر
لن تدركى من كنهـه إدراكى



هــل تصــدق أنــه ..

عند النجوم علاج لكل مرض!

الفلكي الالماني الغربي « تونى بونين» يسمى نفسه « الطبيب الفلكي » ... وهو مقتنع تماما أنه عن طريق استطلاع النجوم يمكن معرفة أى الأمراض التى سيصاب بها المرء فى حياته وفى اى وقت ستحدث الاصابة بتلك الأمراض ...

ويقول : « ان المعلومات التى أصل اليها باستطلاعى النجوم هى دائما معلومات صحيحة مائة فى المائة » . وهذا هو ما أثبتته لى تجاربى فى هذا المجال حتى الآن ، فلقد استطعت على مدى عشر سنوات أن أعرف أى الأمراض يعانى منها الأفراد الذين لجأوا الى لمعرفة ذلك ، والذين يعدون بالآلاف وذلك عن طريق الحسابات الفلكية التى أقوم بها فى استطلاعاتى ، والى فخور بان نسبة الخطأ فى جميع الاستطلاعات التى توصلت اليها حتى الآن مساوية للصفر ! »

ان ما توصل اليه « تونى بونين » حتى الآن من حقائق اعترف بها الاطباء أنفسهم تحير أولئك الذين لايؤمنون باستطلاع النجوم خاصة وان هناك حالات قد عجز الأطباء عن تشخيصها تشخيصا صحيحا ، واستطاع هو تشخيصها التشخيص السليم .

وقد يكون السؤال الآن هو : هل لعبت الصدفة دورا فى صحة مثل هذه التشخيصات ؟..

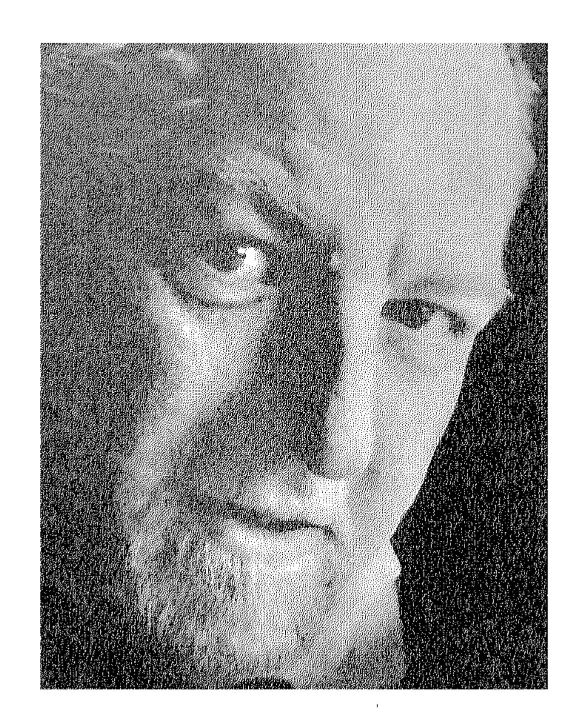
ان القصة التالية ـ التى نسردها بوقائعها كما هى ـ يمكن أن تعطى الاجابة عن هذا السؤال .

فى يوم ٨ مارس عام ١٩٧٥ ذهبت مدام شتوتس ومعها حفيدها بيتر الى الطبيب الفلكى بونين وقالت له : « ان هذا الطفل مريض منذ أن كان فى الثانية من عمره ، وأنه معاق عقليا ، ولقد قال الأطباء أن سبب ذلك يرجع الى انه أخذ دواء مسمما ، ولم ينجح الأطباء فى علاجه ، فهل يمكنك أن تنصحنا بشىء ؟ »

فطلب بونين منها ان تقص عليه قصة مرض بيتر ، ولقد لخصتها لى قولها : « عندما كان بيتر فى الثانية من عمره أخذه والداه معهما فى احدى السفريات ،وفى هذه الأثناء كان الطفل يعانى من القلق الشديد ، وبكى كثيرا فذهبت والدته به الى احد الأطباء الذى وصف له دواء اشترته له فى الحال واعطت له منه ، وفى الليل استيقظ والداه على صوت صراخه ووجداه قد بلل السرير وظل يبكى طوال الليل ... هكذا بدأ مرض بيتر دون أن يتنبه أبواه كثيرا لأهمية المرض ، ولكن بعد ذلك لاحظا تدريجيا انه يتعلم الكلام بصعوبة ، وكثيرا ما يشكو من صداع حاد ، ويغمى عليه بين الحين والحين . وأحيانا يصرخ ويصدم رأسه فى الحائط مرات ، لعرضاه على طبيب . على اثنين ، على ثلاثة وعشرة أطباء كما أخذت أشعة لصدره وكذلك لرأسه . وأخيرا شخص الأطباء الحالة على أنه قد حدث اضرار بالمخ لأخذ الطفل ذلك الدواء المسمم .

بعد ذلك استطلع « تونى بونين » نجم الطفل بيتر وتوصل الى النتيجة : ان القوى العقلية لبيتر سليمة كما ان سبب صداع الرأس الذى يشكو منه دائما وكذلك ضعف قدرته على التعلم ، انما يرجع الى اصابته فى الحنجرة وفى العمود الفقرى . وعلى ضوء هذه النتيجة ذهبت مدام شتوتس ببيتر الى أشهر طبيب أخصائى فى علاج مثل هذه الحالات وهو الطبيب السويسرى د . هاينز رودلف جراف فى ريشترفيل .

وتتذكر هذه الجدة ما حدث آنذاك فتقول : لم يرد د . جراف اولا ان يأخذ هذه النتيجة التى توصل اليها تونى بونين مأخذ الجد ، ولكنه عندما فحص الطفل اذا بوجهه يصبح شاحبا ، لقد أثبت فحصه للطفل صحة تشخيص ذلك الفلكى ! »



تونى بونين ... مع القانون
والطب والفـــلك

ويقول تونى بونين : « ان اهم شيء يمكن من التشخيص الســليم عن طريق استطلاع النجوم ،

هو ان تكون البيانات التى يدلى بها والتى اعمل على اساسها الحسابات الفلكية صحيحة تماما ،

فانني مثلا لم أعرف الدقيقة التي ولد فيها بيتر ولكني عرفت الوقت بالضبط الذى صرخ فيه هذا

الطفل تلك الصرخة القوية فى تلك الليلة قبل خمس سنوات وهذا ساعدنى على معرفة الدقيقة

التي ولد فيها ، مما جعلني استطيع ان اشخص حالته تشخيصا صحيحا .

ان فى اللحظة التى ولد فيها بيتر كان برج الثور وبرج الأسد فى وضع متضاد ويتحكم أحدهما

فى الحنجرة ، بينما يتحــكم الآخر فى العمود الفقري ، وكل ذلك اوضــح لى ان الضـــعف

الذى يعاني منه الطفل بيتر لابد وأن يكون فى هذين العضوين ، كما أن هناك شيئا آخر هاما

وهو أنه فى اللحظة التى صرخ فيها بيتر تلك الصرخ القوية كان وضع هذين النجمين تجـــاه

بعضهما بالشـــكل الذى ادى - وكان لابد ان يؤدى الى خلق قوى متضادة كان لها تأثير

مباشر فى اصابة حنجرة بيتر وكذلك عمــــوده الفقرى . ونتيجة لذلك فان الطفل بدأ يعـــانى

من الصداع الشديد وكذلك من حالات الاغماء كما انخفضت قدرته على التعلم . »

ولقد مرت ثلاث سنوات على علاج بيتر علاجا سليما بعد تشخيص الطبيب الفلكي تولي لحالته

ولا يشـــكو الآن من أى صداع فى الرأس ، ولايحدث له اغماء . ولقد تحسنت قواه العقلية

تحسنا كبيرا . وتعتبر حالة بيتر هذه برهانا آخر لنجاح الحسابات الفلكية فى معرفته لنشأة المرض وتطوره .

والكثيرون يقولون أن « بونين » قد انقذ حياة الكثيرين . ومن الذين يعترفون بأنه انقـــذ

حياتهم مدرسة رائعة الجمال تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها اسمها سوزان بيريلز .

تقول سوزان : « كنت أعتقد سابقا أن الذين يذهبون الى الفلكيين انما هم أناس يعتقدون في

الخرافات ، وبرغم ذلك ذهبت الى تونى بونين .. لماذا ؟ .. ربما بدافع حب الاستطلاع وأنى كنت

آمل - وكان أملا ضعيفا بطبيعة الحال - أن يمكنه أن يقول لى شيئا عن تاريخ حياتى . »

ولقد استطلع تونى نجمها ، وعرف آنذاك انها ســـتصاب بمرض السرطان بعـــد فترة

وجيزة فنصحها بإلحاح ان تعرض نفسها عـلى طبيب ، ولكنها لم تأخـــذ الأمر بجـــدية ،

الا انها اصبحت قلقة ، ولذلك فلقد عرضت نفسها بعد عشرة أيام على طبيب اخبرها بأنهــــا

مصابة بمرض السرطان فى الرحم وأن هذا المرض في مرحلته الأولى ، وأجرى لها عملية وبعد أيام تم شفاؤها .

ويقول بونين : « ان الاصابة بمرض السرطان يمكن التنبؤ بها اذا ماكون القمر والمشترى مع

بعضهما زاوية قائمة (أى زاوية ٩٠) تجاه نجم الفرد فى لحظة مولده . »

لقـــد كان « تولى بونين » - الذى يبلغ الثامنة والثلاثين من عمره - احد رجال القانون

قبل ان يصبح فلكيا ، وعندما يسأل لماذا فضل النجوم على مواد القـــانون ؟ يرد بقـــوله :

« لأن النجوم أكثر دقة ! »

ومن المعروف عنه انه دقيق جدا فى عمله ولذلك فهو لا يدرس اكثر من حالة واحدة فى اليوم ...

فى حجرة مكتبه عدد من الصور لكبار رجال الدولة فى المانيا الغربية بينهم الرئيس فالتر شيل ،

والمستشار هيلموت شميت ، وفيلي برانت رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى هناك وكلها مهداه

الى « بونين » ويتبين من كلمات الاهداء انهم لجأوا اليه الاستطلاع نجومهم عند مواجهاتهم

لأزمات فى نطاق العمل والحياة الزوجية ، وكذلك فى حالة الأزمات الاقتصادية .

كما ان هنـــاك الكثير من نجوم السينما والمسرح فى المانيا الغربية يلجأون اليه ايضا فى مثل هذه الظروف .

ترجمة د . أحمد على دغيم

ابن الفارض

سلطان العاشقين

د. أحمد الشرباصي

ابن الفارض هو عند الصوفية سلطان العاشقين ، وامام المحبين وفي الهوى قدوة المقتدين ، فهو السابق على من تقدم وتأخر كما قال وقالوا ، وهو العلم المعروف الذى يشار اليه هنا بالبنان ولا عجب فهو القائل :

قل للذين تقدموا قبلي ، ومن بعدى ، ومن اضحى لاشجاني يرى
عني خذوا، وبي اقتدوا، ولي اسمعوا وتحدثوا بصبابتي بين الورى
ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر ارق من النسيم اذا سرى
وأباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكرا
فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبرا
فادر لحاظك في محاسن وجهه تلق جميع الحسن فيه مصورا
ولو ان كل الحسن يكمل صورة ورآه كان مهللا ومكبرا

ولقد كان ابن الفارض يقرر لنفسه هذه المكانة ، وينوه بها معتزا بسبقه فيها وان رآه نقاده مغرورا بها ، فهو يقول :

كل من في حماك يهواك لكن انا وحدى بكل من في حماكا
فقت أهل الجمال حسنا وحسنى فبهم فاقة الى معناكا
يحشر العاشقون تحت لوائي وجميع الملاك تحت لواكا

وكما أن ابن الفارض يعدونه سلطان العاشقين فهو أشعر المتصوفين ، وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق ـ عليه الرحمات ـ يرى أن ابن الفارض هو الصوفى المصرى الاول بلا منازع ، ورأس شعراء الصوفية من العرب .

ولقد اختلفت فى ابن الفارض الآراء والاقوال ، فبعضهم ينسبه الى الكفر والقول بالاتحادية ، وبعضهم يصفه بالقطبانية ويسرف فى الثناء عليه ، فمن يكون ابن الفارض ؟

هو شرف الدين ابو حفص عمر بن أبى الحسن على بن المرشد بن على الحموى المصرى ، المعروف بابن الفارض ، لأن أباه كان يعمل فارضا ، أى يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدى الحكام ، فغلب عليه لقب « الفارض » ، وعرف ولده بابن الفارض .

ويروى ان الوالد قدم من حماة بالشام الى مصر ، فاشتغل بها ، وتقلب فى المناصب ، حتى أرادوه قاضيا للقضاة ، وهو منصب عظيم ولكنه رفض واعتزل الناس متعبدا لله في قاعة الخطابة فى الجامع الازهر ، وظل على تلك الحال حتى



لحق بربه تبارك وتعالى . وكان لهـذا الوالد أثر كبير فى نفس ابن الفـارض ويصوره ابن الفارض نفسه بأسلوبه فيقول :

« كنت في أول تجريدى استأذن والدى ، وأطلع الى وادى المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم وآوى فيه ، واقيم في هذه السياحة ليلا ونهارا ، ثم أعود الى والدى لأجل بره ومراعاة قلبه . وكان والدى يومئذ خليفة الحكم للعزيز بالقاهرة ومصر المحروستين ، وكان من أكابر أهل العلم والعمل ، فيجد سرورا برجوعى اليه ، ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم ، ثم أشتاق الى التجريد فاستأذنه وأعود الى السياحة ، وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرة ، الى أن سئل والدى أن يكون قاضي القضاة فامتنع ، ونزل عن الحكم ، واعتزل الناس ، وانقطع الى الله تعالى بقاعة الخطابة فى الجامع الازهر الى أن توفى » .

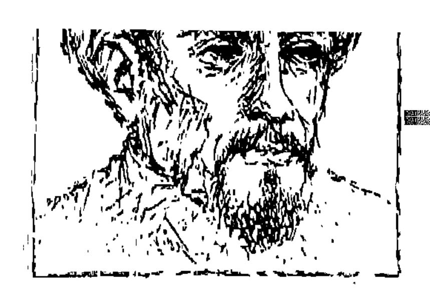
وقد ولد ابن الفارض سنة ست وخمسين وخمسمائة ، أو سنة ستين وخمسمائة ، أو سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وارجح الروايات انه ولد فى الرابع من شهر ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وهذا يوافق **٢٢ مارس سنة ١١٨١ ميلادية .**

وابن الفارض مصرى المولد والنشأة والوطن ، وكان عميق الحب لمصر ، ينوه بها ويتغنى فيها ، ومن ذلك قوله :

وطنى مصر ، وفيها وطرى ولعيني مشتهاها مشتهاها
ولنفسي غيرها ان سكنت يا خليلى سلاها ما سلاها

ولقد عاش فى عصر الايوبيين ، وفيه شاع مذهب أهل السنة ، وصار فيه للصوفية مكانة ، فهو عصر يسوده المذهب السنى والاتجاه الصوفى والنزعة الشعرية ، ولقد تعاونت على تكوين شخصية ابن الفارض بيئات ثلاث : الشام ، وهى أصله ومنبت أسرته ، والشام تغلب على اهله رقة الطبع ، ومصر مكان مولده ونشأته ، ولمصر مكانتها ، والحجاز وفيه أقام ابن الفارض خمسة عشر عاما ، وللحجاز نفحاته ..

ولقد نشأ ابن الفارض عفيفا متصوفا ، زاهدا متعبدا ، ورعا متدينا ، درس الحديث وفقه الشافعية ، وكان يحب الخلوة والعزلة والسياحة ،



ابن الفــارض
سلطان العاشقين

وكثيرا ما كان يأوى الى ناحية فيجبل المقطم ، أو فى أحد المساجد المهجورة فى القرافة .

وحينما سلك ابن الفـــارض طريقالتصوف بدأ بسلوك طريق التصفية والتنقية والتجريد . وأخذ يسيح فى جبل المقطم ، ورحل الى مكة ، وساح فى أوديتها ، وأكثر مجـــاورة الكعبةوالطواف والتعبد فى المسجد الحرام، وواصل المسير فى سبيل الرياضـــةوالمجاهدة ، واخذ يزداد من العلـــم والعمل ، والتذوق واستقامة السلوك، وكانت له أحوال ومقامات ، وفراسة ومكاشــــفة وكان لذلك كله أثره في ترقيق خلقه وتهذيب نفسه ، وتصفية طبعه ، مما فجر فى قلبه ينابيـــع الشــــوق الروحي والحب الالهى ، وتكونت عنده مجمـوعة من الشمائلوالفضائل ، مع فصاحة عبارة ودقة اشارة ، وتوقد عاطفة وتألق وجدان، حتى يصور لنا صــــورة من ذلك في قوله :

« حصلت منى هفوة ، فوجــــدت مؤاخذة شديدة فى باطنى بســـببها ، وانحصرت باطنا وظـاهرا حتى كادت روحى تخرج من جسدى ، فخرجت هائما كالهارب من أمر عظيم فعله وهو مطالب به ، فطلعت الجبــل المقطم ، وقصـــدت مواطن سياحتى وانا ابكي واستغيث واستغفر، فلم ينفرج مابى، وقصدت مدينة مصر ، ودخلت جامع عمروبن العاص ، ووقفت فى صحن الجامع خائفا مذعورا ، وجعدت البكاءوالتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج ما بى ، فغلب على حال مزعج لم اجـــد مثله ، فصرخت وقلت :

من ذا الذى ما ســاء قط ومن له الحسنى فقط ؟

فســـمعت قائلا يقول بين الســـماءوالأرض ، أسمع صـــوته ولا ارى شخصه :

« محمد الهادى الذى عليه جبريل هبـط »

ويصور لنا ابن الفارض فى شعره كيف افلح فى مقاومة شهوات دنياه ووساوس شيطانه ، وكيف نجح فى قهره هوى نفسه، فيقول لنا فيشعره:

ولا تتبع من ســـولت نفســـه له فصارت له أمارة واســـتمرت
ودع ما عداها وعد نفســـك من عداها ، وعذ منها باحســـن جنة
فنفسى كانت قبل لوامة ، متى اطعها عصت،او اعصى كانتمطيعتى
فاوردتها ما الموت أيسر بعضـــه واتعبتهـــا كي ما تكـــون مريحتى
فعادت ومهما حملتـــه تحملتـــه منى ، وان خففت عنهـــا تأذت
وكلفتها ، لا بل كفلت قيامهـا بتكليفهـــا حتى كلفت بكلفتى
واذهبت فى تهـــذيبها كل لـــذة بابعادها عن عادها فاطمـــانت
ولم يبق هول دونها ما ركبتــــه واشهد نفسى فيـــه غير زكيـــة

ويروون لى سبب سفره انه دخـــل لمدرسة الســــيوفية ذات يوم ، فوجد شيخا بقالا على باب المدرســـــة ، يتوضأ وضوءا غير مرتب : غســـل

يديه ، ثم غسل رجليه ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل وجهه . فقال له الفارض . يا شيخ أنت فى هذه السن على باب المدرسة بين فقهاء المسلمين وتتوضأ وضوءا خارجا عن الترتيب الشرعي ؟ ..

فنظر الرجل الى ابن الفارض وقال له : يا عمر ، انت ما يفتح عليك هنا وانما يفتح عليك بالحجاز فى مكة شرفها الله تعالى ، فاقصدها فقد أن لك وقت الفتح

فدهش ابن الفارض من هذا القول ، ورد على الشيخ بأن المسافة بعيدة بينه وبين مكة ، وانه لا يجد ما يركبه ولا من يرافقه فى غير أشهر الحج .

وسافر ابن الفارض الى الحجاز ...

وكانت مدة اقامة ابن الفارض بالحجاز ممتدة من سنة ثلاث عشرة وستمائة الى سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وكانت عودته الى مصر قبل وفاته بأربع سنوات .

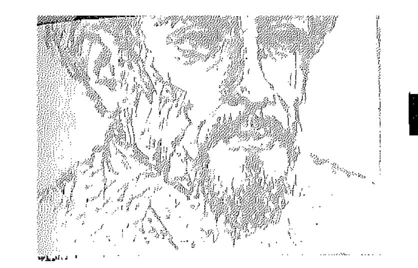
وقد جمع ابن الفارض بين شعب ثلاث : الشاعرية ذات الحس الدقيق والشعور الرقيق ، والصوفية ذات الذوق والرياضة والمجاهدة ، والمحبة ذات العواطف الشريفة والانفعالات العفيفة التى تستبد بها النزعة الروحية التى يصعب علينا تحديدها او تقييدها .

ولم يخلف لنا ابن الفارض آثارا مكتوبة غير ديوانه الشعري ، كما يذكر ذلك الدكتور محمد مصطفى حلمي ، وهذا الديوان ينظر اليه اهل الأدب على انه كغيره من دواوين الشعر الغزلى البشرى ، وينظر اليه اهل التصوف على انه ديوان شعر صوفى نظمه صاحبه فى الحب الالهى ، ويعدونه «سلطان العاشقين الصوفيين غير منازع وامام المحبين الالهيين غير مدافع» ولذلك قال عنه المناوى انه الملقب فى جميع الآفاق بسلطان المحبين والعشاق ، المنعوت بين اهل الخلاف والوفاق بانه سيد شعراء عصره على الاطلاق .

***

ومن الواضح الجلى أن شعر ابن الفارض تسيطر عليه عاطفة الحب ، سواء أكان حبا حسيا أم حبا روحيا وهناك من الباحثين الأدباء من يقرر أن حب ابن الفارض كان فى عهد شبابه حبا حسيا ، فقد كان فى شبابه مضرب المثل فى نضارة الجسم والشكل وبهاء المنظر ، ولكنه فى عهد الكهولة انتقل الى الحب الروحى الالهى ، ومما يقوى هذا الاستنباط أن بعض الغزل فى شعر ابن الفارض يصعب تأويله على انه غزل روحى ، ومن امثلة ذلك قوله :

ولما تلاقينا عشاء ، وضمنا	سواء سبيلي دارها وخيامي
وملنا كذا شيئا عن الحى ، حيث لا	رقيب ، ولا واش بزور كلام
فرشت لها خدى وطاء على الثرى	فقالت : لك البشرى بلثم لثامي
فما سمحت نفسي بذلك غيرة	على صونها منى لعز مرامي
وبتنا كما شاء اقتراحى على المنى	ارى الملك ملكي والزمان غلامي



ولا ريب - مع هذا - في أن سر الاقبال على شعر ابن الفارض في كثير من الاحيان هو ما فيه من معان رمزية جعلت الدكتور زكي مبارك في كتابه «التصوف الاسلامي» يقول : انه لولا هذه المبـــاني الرمزية لانصرف الناس عن شعر ابن الفارض ، ورأوه أخف من أن ينصب له ميزان ، والعناية بهذا الشعر كانت فاتحة في وزن المعاني بعد أن ظل الناس طويلا يحرصون قبل كل شيء على وزن الالفـــاظ ، فابن الفارض من جهة المعاني فحل من الفحول حيث استطاع الجمـــــع بين الحقيقة والخيال ، والحقيقة عنده هي الصـــورة الروحية ، والخيال هو الصورة الحسية التي يرمز بها الى المعنويات ، وابن الفارض يمتاز بقوة الروح حتى روى أنه ألهم في منامه هذين البيتين :

وحياتي اشـــواقي اليك — وحرمة الصـــبر الجميـــل
ما استحسنت عيني سـواك — ولا صـــبوت الى خليـــل

وهما بيتان على جانب عظيم من القوة عند من يؤثرون المعاني ، وهل في الحب أشرف من توحيد المحبوب .. ان الشاعر يقسم بأشواقه وبحرمة الصبر الجميـــل أن عينه ما استحسنت سوى محبوبه، وان قلبه ما صبا الى محبوب ســـواه . والنفس قد تلهج في عالم الاحلام بمعـان شتى ، فليس من الكثـــير أن يلهج ابن الفارض في نومه بالمعاني الشعرية ، ولكن الكثير أن يتفق لعقله الباطن الا يتحدث بغير توحيد المحبوب ، وتلك شارة الصدق ، والصدق هو الدعامة الاولى لقوة الروح .

ولقد تحدث ابن الفارض كثـــيرا عن الجمال في شعره ، وهو يقصد في حقيقة أمره ومذهبه الجمال المطلق الـذي يفيض منه كل جمال ، فلقد احب الذات الالهية التي تعالت عن الشبيه والنظير ، فعنهـا صدر كل جمال ، ولا يبلغ أى جمـــال مستوى جمالها ، فهو لا ينال ولا يطال . اليس هو الذى يريدنا على أن نفهم عنه تخلصه في حبه من قيود الحس ، وتجرده عن شهوات النفس ، وتجـــاوزه ما وراء الوجود الحسي مما هو أسنى وأنقى فيقول فيما قال :

وصرح باطلاق الجمـال ولا تقل — بتقييده ميلا لزخرف زينـــة
فكل مليح حسنه من جمــالها — معار له بل حسن كل مليحــة
بها قيس لبنى هام بل كل عاشق — كمجنون ليلى او كثـير عــزة
فكل صبا منهم الى وصف لبسها — بصورة حسن لاح في حسن صورة
وماذاك الا أن بدت بمظـــاهر — فظنوا سواها وهي فيهـا تجلت

والكثير من شعر ابن الفارض ظاهره عاطفة الحب الانسانية ، وغزل بين انسان وانسانة ، وتصوير عميق لمعان دقيقـــة خفية ينطوى عليها قلب المحب المستهام ، وباطنه - كما يقول مؤيدوه - شعر صوفي يدور حول الحب الالهي ، فيســـبح في طوفان من الدقائق والرقائق التي قــد تتبدى معانيها من خلال أستار الفاظها حينا ، وقد تتخفى وراء تلك الاســـتار احيانا اخرى .

وحب ابن الفارض حب عفيف مرهق آسر ، ينتهي بصاحبه الى الشهادة كمـا يعبر صاحبه ، وكأنه يرمز الى ما رووه عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما وهو قوله : ((**من احب فعف فكتم فمـــات مات شهيدا**)) .

ان ابن الفارض يقول في هذا المجال :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل — فما اختـــاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحتــــه عنا — واوله سقم وآخـــره قتـــــل
ولكن لدى الموت فيه صـــبابة — حياة لمن أهوى على بها الفضـــل
نصحتك علما بالهوى والـذى أرى — مخالفتي فاختـــر لنفسك ما يحلو
فان شئت أن تحيا سعيدا فمت به — شـــهيدا والا فالغـــرام له أهل
فمن لم يمت في حبه لم يعش به — ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

أما عشق شاعرنا فهو الذي يســمو بالنفس الانسانية الى أقصى ما تستطيع من صفاء ونقاء ، يجــردها عن علائقها الحسية ، ويحررها من قيودها المادية ويطهرها من هواجسها الخفيــة فاذا هي روح لطيفة خالصة ، قد تشهد من الجمال المطلق مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

لقد قدمنا ما يكفي أو ما هــو فوق الكفاية من تصوير محبي ابن الفــارض ومؤيديه والمدافعين عن اتجاهه ، وبعــد يكون من الانصاف أن نعرج على ناقديه الذين نراهم يأخذون من كلام ابن الفارض وشعره ما يجعلهم يقررون أنه يقــول بوحدة الوجود ، ويصفونه بأنه عــدو للحق ، وأنــه مارق عن الصراط ، ومن أشد الناقدين لابن الفــارض الخاملين عليه ، المحذرين من آرائه وأفكاره ، الامام برهان الدين البقاعي الشافعي المتــوفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة ، فهو ينقل أن الذين رموا ابن الفارض بالزندقة نحو من أربعين عالما ، هم من دعائم الدين من عصره الى عصر البقاعي ، فمن أهل عصره سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي ، والحافظ الفقيه الاصولى تقى الدين بن الصــلاح الشــافعي ، والامام الفقيه المحدث قطب الدين القســطلاني الشافعي الصوفي ، والامام نجم الــدين أحمد بن حمدان الحنبلي ، وأبو علي عمر بن خليل السكوني المالكي ، والشــيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي .. الخ .

ورأى البقاعي في شعر ابن الفــارض رأى يحسن بنا أن نتركه هو بنفسه يعبر عنه بلغته ، لنرى كيف أتى البقاعي هذا الشعر من قواعده ، فلم يبــق له تلك الحلاوة التي طالما حدثنا عنهــا المؤيدون لسلطان العاشقين . يقول البقــاعي ما نصه :

« وأما المحامون له فانهم داعــون الى شاعر لم يؤثر عنه قط شيء غير ديــوان شعر لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه بقصيدة واحدة ، بل هو كفر وضلالة وخلاعة وبطالة ، وقــد علم ذم الله وذم رسوله صلى الله عليه وسلم للشــعر والشعراء ، اذا كان حالهم مثل هذا ، كما قال تعالى : « **والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، الا الذين آمنــوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثــيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه الستة عن ابن عمر رضي الله عنهما :

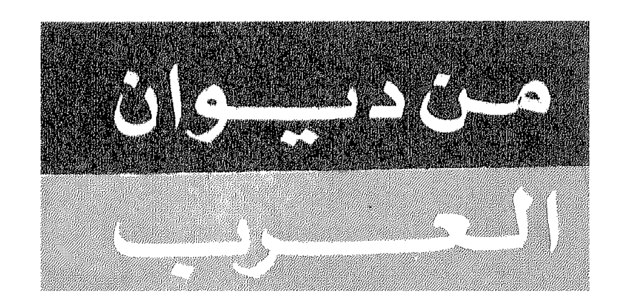
((**لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه ـ يفسده ـ خير من أن يمتلىء شعرا**))

وذلك اذا انفرد بالشعر كهذا الرجل ـ يعني ابن الفارض ـ فانه ليس له شيء ينفع الدين أصلا ، وليس له من الشعر الا ما عادى به الاسلام واهلــه ، وأذاهم غاية الاذى ، وأوقــع بينهم العــداوة والبغضاء ، لانه ملأه كفرا وخلاعة ، وصدا عن الدين وشناعة فقد حاد به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمــان وأيدهم بروح منه** » .

وقد توفي ابن الفارض يوم الثــلاثاء الثاني من شهر جمادي الاولى سنة ثنتين وثلاثين وستمائة الموافق ٢٣ يناير سنة ١٢٣٤ م ودفن بالقرافة بسفح المقطم عند مجرى السيل تحت المسجد المعــروف بالعارض ، والى هذا العارض الــذى دفن تحته ابن الفارض أشار على سبط الشاعر فى قوله :

جز بالقرافة تحت ذيل العارض	**وقل السلام عليك يا ابن الفارض**
أبرزت في نظم السلوك عجائبا	**وكشفت عن سر مصون غامض**
وشربت من بحر المحبة والـولا	**فرويت من بحــر محيط فائض**

د . أحمد الشرباصي



د. محمود على مكي

أريد أن أعرف من قائل هذا البيت ، وما قصته ؟

عسى فرج ياتى به الله انه — له كل يوم فى خليقته آمر

حامد السيد قاسم ـ طنطا

هذا البيت الجميل الذى يصور الثقة بالله والأمل في عونه حينما تثقل الهموم على القلب وتضيق على المرء الدنيا بما اتسعت ـ لشاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية وأدرك الاسلام ، وكان له اسهام فى بعض أحداثه الكبرى . والشاعر المقصود هو أبومحجن الثقفى . وبعد البيت موضع السؤال بيتان آخران يكملان معناه هما :

عسى ما ترى الا يدوم وأن ترى — له فرجا مما الح به الدهر
اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه — قضى الله ان العسر يتبعه يسر

والأبيات كلها تبدو مستوحاة من الآية الكريمة « ان مع العسر يسرا » ومن حديث ينسب الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » .

ويظهر أن أبا محجن قال هذه الأبيات مصورا بها موقفا عرض له فى حياته ، واشتد فيه الأمر عليه ، الا أن قلبه المؤمن كان دائما يأمل دائما فى أن يفرج الله عنه كربه ، واستجاب الله له دعوته فجعل له من عسره يسرا ، ومن همه فرجا .

ذلك إن الأخبار تقص علينا أن أبا محجن كان فارسا شجاعا ، آمن بدعوة الاسلام وانخرط فى سلك المجاهدين ، الا أنه كان مولعا بالشراب ، فجلد فى الخمر عدة مرات ، وكان مع الصحابى القائد العظيم سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) فلما كان يوم القادسية أتى به الى سعد وهو سكران فأمر به فقيد وأودعه فى بيت لسلمى زوج سعد . فلما دارت المعركة واشتد القتال ورأى أبو محجن نفسه مقيدا محروما من شرف الاسهام فى الجهاد فاضت نفسه بهذه الأبيات :

كفى حزنا أن تطعن الخيل بالقنا — واترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد وغلقت — مغاليق من دونى تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير واخوة — فقد تركونى واحدا لا اخا ليا

هلم سلاحي لا أبالك انني أرى الحرب لا تزداد الا تماديا

ثم عرض على امرأة سعد أن تطلق سراحه لكي يشترك في القتال ، وعاهدها على أن يعود ان سلم فيضع رجليه في القيد . فرقت له لما رأت خلوص نيته في الجهاد ، وخلت عنه . فوثب على فرس لسعد يقال لها البلقاء وأخذ الرمح وجعل لا يحمل على موضع الا هزم الله الأعداء على يديه . وأخذ سعد ينظر اليه وهو مطلع على المعركة فيرى القتال قتال أبي محجن ، الا أنه يكذب عينيه ، فهو واثق من أنه لا يزال مقيدا حبيسا في بيته .

فلما انتهت المعركة بانتصار المسلمين ، عاد أبو محجن الى سلمى ووفى بما وعد به ، فوضع رجليه في القيد . ورجع سعد بن أبي وقاص فأخبرته زوجه سلمى بما كان من أمر أبي محجن ، فاعجب بشجاعته ووفائه وعزم على تخلية سبيله . وقابله أبو محجن وفاء بوفاء ، فعاهده على ألا يعود لشرب الخمر أبدا .

وهكذا فرج الله عنه كرب الحد والحبس ، وأذهب عنه رجس الخمر . وبقيت قصة الرجلين : أبي محجن وسعد ، ومعهما المرأة الحازمة الرشيدة سلمى مثلا عاليا للايمان والمروءة والوفاء .

ويظهر أن هذا المعنى ـ معنى الفرج الذي يهيئه الله لمن تشتد عليه الهموم وتضيق عليه مخارج الأمور ـ كان يلح كثيرا على نفس هذا الفارس الشاعر ، فقد كرره بعد ذلك في أبيات أخرى منها قوله :

سيكثر المال يوما بعد قلته ويكتسي العود بعد اليبس بالورق

وفي أدبنا العربي كثير من القصص التي تصور ما يهيئه الله من يسر بعد عسر ، وقد جمع القاضي التنوخي منها مجموعة كبيرة في كتاب اتخذ له هذا العنوان المعبر : « الفرج بعد الشدة » .

***

لمن هذه المقولة التالية ، ومن قائلها ؟

والمورد العذب كثير الزحام

احمد علي السيد ـ الاسكندرية

هذه عبارة نكثر من التمثل بها في معرض الثناء على الرجل الكريم الذي يألف الناس ويألفونه ، ويبذل لهم من جاهه وماله ما يحببه اليهم ، ويجعلهم يأنسون به ، ويقبلون عليه ، ويلتفون حوله . وهي في الحقيقة الشطر الثاني من بيت شعر أوله :

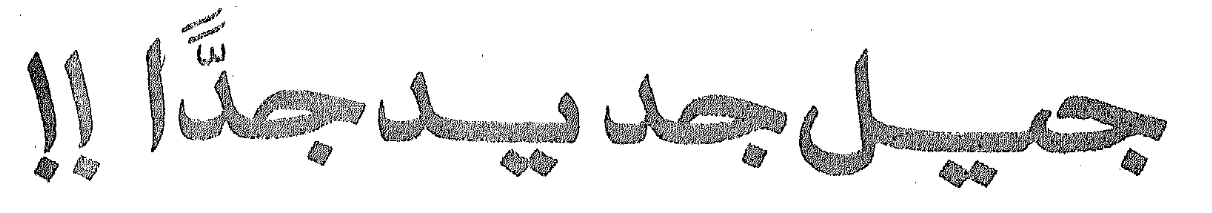
يزدحم الناس على بابه (والمورد العذب كثير الزحام)

ويروى أيضا « والمشرع » بدلا من المورد ، وهي تؤدي نفس المعنى .

وينسب هذا البيت للشاعر العباسي الكبير بشار بن برد . وقد كرر ذلك المعنى في بيتين آخرين مدح بهما عقبة بن سلم الهنائي والي البصرة :

ليس يعطيك للرجاء ولا للـ ـخوف لكن يلذ طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الحـ ـب وتغشى منازل الكرماء



الولد لابيه : عملت لك بيت من الرمل مدهش .. يعنى ممكن تاخد عليه سلفة من البنك !

الولد لابيه : انا عارف ان الفلوس ماتجيبش السعادة ، ومن الناحية دى انا مطمئن ، لانى والحمد لله ماحيلتيش ولا مليم!

الولد لصاحبه : شايف بقى يا ابنى .. احنا نركز على تعليم الكورة ، أحسن لنا من دوشة المدارس ، وهو ده المستقبل !


الولد لابيه : مادام لســـه بيفكروا يصلحوا مناهج التعليم، خليهم على راحتهم ، ونســتنى احنا بقى لغاية ما يخلصوا !
الولد لصاحبه : بقى علشان ما احنا صغيرين ، يفتكرونا مابنفهمش ؟ .. طب والله لاعمل لهم خطة خمسية ما حد منهم يقدر يفهمها !
الــولد للبنت : نفسى والله اعزمك النهــاردة تتغدى فى مطعم فاخر!.. لكن تفتكرى سبعة صــاغ يكفونا احنا الاثنين !؟

ماذا تعرف عن داء الملوك

النقرس

● هذا المرض لا يصيب إلا الرجال الأذكياء جداً.

● ليست اللحوم وحدها سبب النقرس.. فهناك أسباب أخرى

● بعض الأمراض يصيب الفقراء ـ وبعضها لا يصيب الا الأغنياء . . فمثلا مرض الانيميا مرتبط دائما بحاجة الجسم الى البروتينات والفيتامينات. وداء النقرس عكس ذلك، فسببه وجود نسبة كبيرة من البروتينات داخل الجسم لذا أطلقوا عليه « داء الملوك » والعظماء والقادرين ..

ونقلب صفحات التاريخ لنعرف لماذا اشتهر النقرس بأنه مرض الملوك ... فنجد أن ريتشارد الثالث ملك انجلترا كان مصابا به ، كذلك سير ونستون تشيرشل .. ويقال ان نابليون بونابرت قد عانى منه فى أيامه الاخيرة فى جزيرة سانت هيلانه ..

والسؤال المحير هنا كيف يرفض جسم الانسان اشهى الاطعمة ويحولها سموما تدمر كل خلاياه ؟ انها النعمة التى تتحول الى نقمة ! ..

العوامل والأسباب

سألنا د . مختار سرى ، رئيس قسم امراض الروماتيزم بطب قصر العيني : لماذا سمى النقرس بداء الملوك؟

قال : النقرس من اقدم الامراض التى اصابت الانسان ، وقد كان يلقب بهذا الاسم نظرا لأن الملوك والاغنياء عامة كانت لهم طريقتهم الخاصة فى المأكل والمشرب ، بالاضافة الى انهم يعيشون فى رفاهية تامة وقلة حركة .. ولكن مع تقدم العلم وضحت العوامل المختلفة المسببة لهذا المرض .

وسبب هذا المرض وجود مجموعة التهابات تصيب المفاصل ، والتى تنشأ عن ارتفاع نسبة حامض البوليك فى الدم . هذا الحامض يعد من الرواسب البروتينية غير المرغوب فى وجودها فى الجسم ، والتى تنشأ من الزيادة المفرطة فى أكل اللحوم والبروتينات .

بعض الأذكياء ...

● **لماذا تتحول هذه البروتينات الى مادة مدمرة داخل الجسم ؟**

ـ من المعروف ان البروتينات تتحول داخل جسم الانسان الذى يعمل على الاحتفاظ بها لاهميتها فى بناء بعض الخلايا . والجسم يحتاج اليها بدرجة معينة ، ان قلت أحدثت اضطرابات فى نمو هذه الخلايا وان زادت هذه النسبة احدثت مجموعة من الاضطرابات داخل الجسم ..

وهناك دراسة طريفة اجريت على بعض الأذكياء من امريكا من رجال الدولة ومديرى الشركات الكبرى وبعض السياسيين .. ووجد ان نسبة حامض البوليك فى الدم مرتفعة الى حد كبير اى أعلى من المستوى الطبيعى ... فى هذه الحالة يتحول الحامض من عامل هام فى بناء الخلية الى مجموعة من السموم المدمرة للمفاصل والكلى واجزاء كثيرة من جسم الانسان .. ومن هنا كان الحرص على كبح جماح هذا الحامض من اهم العوامل للحفاظ على خلايا الجسم والاحتفاظ به فى المستوى الطبيعى .

● وما أثر ارتفاع نسبة حامض

البوليك فى الدم على المفاصل وخلايا الكلى ؟

ـ لابد هنا ان نستعرض الطريقة التى يعامل بها الجسم هذا الحامض . فعند وصول الدم حاملا حامض البوليك الى منطقة الكلى ، يتخلص الدم منه كلية . وفى أول مراحل مروره فى الكلى يتم امتصاصه مرة ثانية الى الدم بنسبة ٩٠٪ أما الجزء الاخير المتبقى فى الكلى فيتخلص منه مرة أخرى عن طريق الدم . على هذه الصورة يكون الحامض فى حالة نشطة اذا ما زادعلى المعدل الطبيعى داخل الجسم . وهذه الحالة من نشاط الحامض داخل الجسم تحدث اضطرابات فى الاعضاء وفى المفاصل والكلى .

● **وما هى اعراض داء النقرس ، وهل هو مرض رجالى فقط ؟**

ـ الاعراض عامة تتلخص فى اصابة المفاصل بالتهابات حادة تحدث آلاما شديدة أثناء الليل ، وغالبا ما تتركز هذه الآلام فى اصابع القدمين الاكبر ، اوفى الكاحل او الركبة واصبع السبابة والرسغ .

والنقرس داء يصيب الرجال فقط . اما فى حالات التزاوج بين أفراد العائلة الواحدة حيث يزيد العنصر الوراثى فتكون السيدات معرضات للاصابة بالمرض وهذه حالات نادرة ... وقد لوحظ اخيرا ارتفاع نسبة اصابة السيدات بالنقرس وظهوره بشكل حاد ، وذلك فى حالات زيادة الوزن او حالات ((الرجيم)) الحادة ، وفى حالات استخدام العقاقير المدرة للبول التى تعمل على زيادة تركيز حامض البوليك فى الدم نتيجة لتخلص الجسم من الماء باستمرار . لان حامض البوليك له خاصية هامة، وهى سرعة ذوبانه فى الماء ، لذا ينصح المرضى بكثرة تناول السوائل والماء ، بالاضافة الى العقاقير المعالجة للتخلص من تركيز البوليك فى الدم ...

المضاعفات والشفاء ..

● **هل داء النقرس من الامراض الخطيرة التى تسبب مضاعفات غير حميدة للمرضى ؟**

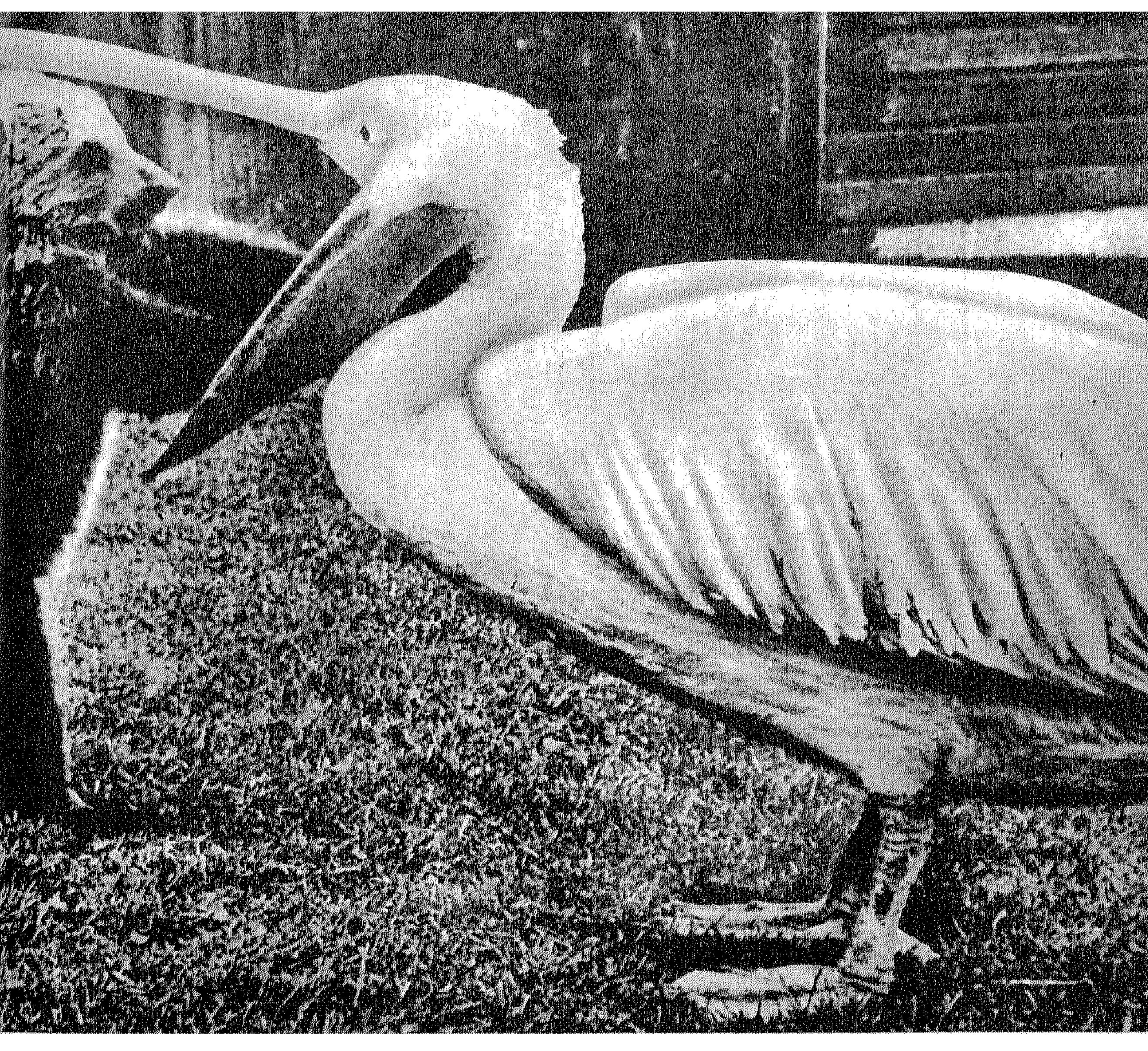
ـ لم يعد النقرس ذلك المرض الغامض ، فهناك الأدوية والعقاقير المعالجة ، بالاضافة الى البرنامج الطبى الذى يقره الطبيب وفقا للحالة التى يعالجها . ومرض النقرس يمتاز عن غالبية امراض الروماتيزم بانه من الممكن الشفاء منه نهائيا اذا ما اتبعت الطرق الصحيحة فى العلاج . فمن المعروف أن تركيز حامض البوليك فى الدم يتبعه خطوة اخرى ، وهى ترشيح هذا الحامض على شكل املاح تتركز فى المفصل او النسيج المبطن للمفصل حيث تسرع خلايا الدم البيضاء كخطوط دفاعية للدفاع عن المريض وابتلاع البللورات التى كونها حامض البوليك .. هذه البللورات تكون بمثابة مادة سامة داخل خلايا الدم البيضاء تهاجم مرة اخرى الانسجة ، وهذه العملية تسبب الالتهاب السريع ، وتمثل اعلى مراحل المضاعفات حيث تعمل البللورات الناتجة من تركيز حامض البوليك على تآكل الغضروف المبطن للمفصل .

ولكن هناك مجموعة من العقاقير المكتشفة حديثا تعمل على خفض نسبة حامض البوليك وعلى منع المضاعفات التى تسببها بللوراته المتجمعة .

ـ هل تنصح بالابتعاد عن اكل اللحوم بكثرة خوفا من الاصابة بهذا الداء ؟

اجاب د. مختار سرى : لقد اكدت الحقائق العلمية ان سبب مرض النقرس كما ذكرنا ، هى ارتفاع نسبة حامض البوليك فى الدم . لأن ارتفاع نسبة حامض البوليك فى الدم لا يأتى فجأة بسبب أكل اللحم بشكل عام ، واذا حدث ذلك فهذا يعنى ان المريض قد التهم كميات كبيرة جدا من اللحوم ادت الى ارتفاع نسبة الحامض داخل الدم ، وهذا فى الواقع امر غير معقول . لأن اللحوم اولا غير متوفرة طول الوقت بالاضافة الى ارتفاع ثمنها ، وثانيا لأن الانسان العصرى اصبح على وعى بالنسبة لاقباله على الاكل بشكل عام .. ولهذا اقول ان الاعتدال فى تناول الاطعمة امر مرغوب ، كذلك شرب المياه والسوائل وتجنب المشروبات الروحية والاسبرين ، وتنمية الهوايات الرياضية ـ كل هذا يعتبر مجموعة من الاحتياطات المبدئية تكفى للوقاية من هذا الداء والامان من متاعبه . ●

ناس وصور وحكايات



الا تشبع أبدا !؟

●● الطائر المعروف عندنا باسم « ابو مركوب » يسمى فى لغات الغرب باسم «البليكان» ، وهو مشهور بمنقاره الضخم العريض وبان له فى فكه الاسفل مخزنا للطعام يخزن فيه ما يصل اليه لكي يعيد اخراجه وابتلاعه على مهل ...

وفى حديقة حيوانات هامبورج انعقدت صلة صداقة بين دب صغير و « ابو مركوب » ، ولاحظ الدب ان « ابا مركوب » مفتوح الفم دائما ، ينتظر طعاما ، فجعل كلما وجد شيئا يؤكل دسه له في مخزن طعامه وكانه يقول له : خذ يا اخي خذ .. الا تشبع قط !؟

وقد نشرت هذه الصورة مجلة المانية وكتبت تحتها على سبيل الدعابة :

الممول لمصلحة الضرائب : الا تشبعين ابدا !؟ ●●

كادت الشهرة تكلفها حياتها

●● فرح فوسيت ميجور هي فتاة الاعلان الاولى فى الولايات المتحدة ، ومنافستها حامية مع شيريل تيجز التى تحدثنا عنها فى عدد سابق من الهلال ، كل منهمـا تربح ٦٠٠٠٠٠ دولار فى السنة ٠

فى كل مكان تذهب اليه « فرح » يحيط بهمـا الناس حتى يكادوا يخنقونها ، ولهذا فان لهـا حرسا خاصا لحمايتها ، وفى ذات مرة تاخر عنها الحراس فاحاط بها الناس واخذوا يجذبون شعرها ، كل منهم يحاول ان ياخذ منه قطعة وكادوا يخرقون ثيابها ، فلم يستطع الحرس حملها ووضعها فى السيارة الا بشق النفس ٠٠٠ وهذه هى صورتها بعد ان استقرت فى سيارتها وهى تحاول اصلاح ثيابها وتعديل هيئة شعرها ●●



علقة لا تنسى لرجل مغرور

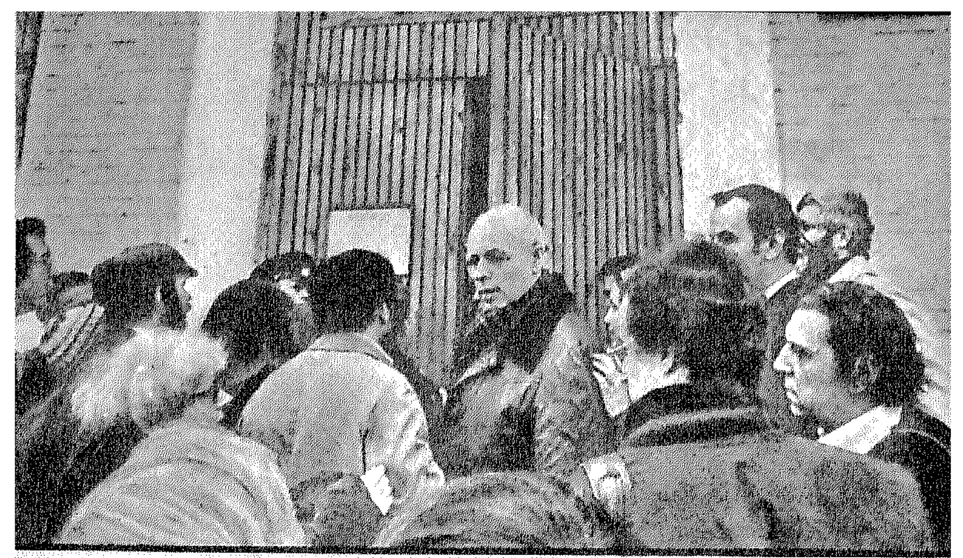
● في الولايات المتحدة فريق من المغنين يسمون الرولنج ـ ستونز مشهورون باغانيهم الجريئة التي تجرح الاداب والحشمة • والفريق كله رمز على موجة قلة الحياء والتحرر المشين الذى يجتاح بعض اوساط الفن فى الولايات المتحدة ••

ورئيس هذا الفريق يسمى « ميك جاجر » ،وهو رجل مغرور جدا يحسب انه يتربع على عرش الدنيا ، وهو لا ياذن لمصور بان يصوره ، واذا جرؤ مصور على ذلك ضرب ، وتحطمت آلته •

وفى ذات يوم لمح « ميك جاجر » مصورا يلتقطله صورة ، فشتمه وامره بان يسلمه آلة التصوير ليحطمها ، ورفض المصور ، وتقدم « ميك جاجر »ليؤدبه ، ولكن المصور كان من ابطال الكاراتيه ، فتناول المغنى المغرور ودفعه وضرب به الارض وتركه حطاما ، وقد تبدل فيه كل شىء كما ترى فى الصورة التى التقطها مصور آخر !

وقد فرحت امريكا كلها فى هذا المغرور ونشرت صورته محطما على الارض فى معظم الصحف الامريكية فى الصفحة الاولى ●







مأساة حرية الفكر التى لاتنتهى فى الاتحاد السوفييتى

● لا يعقل الانسان كيف ان دولة كبرى مثل الاتحاد السوفييتى على ما هى عليه من الرقى المادى والتقدم التكنولوجى مازالت تحكم شعبها كانه قطيع من الغنم ..

وشعبها هذا شعب عظيم دون شك ، فان هذا التقدم الذى حققه هذا الشعب خلال نصف القرن الماضى يشهد له بكفاءات ومواهب كبرى ، وحتى بدون هذا التقدم فان الشعب الروسى معروف بكفاءاته منذ ظهر على مسرح التاريخ ، والمهاجرون الروس الى امريكا مثلا اخرجوا من اهل التفوق والامتياز عددا ضخما ، بل ان واحدا منهم استطاع ان ينشىء شركة طيران كبرى هى البان اميريكان .

ورغم هذا كله يصر الحزب الشيوعى الحاكم فى روسيا على حكم هذا الشعب بالحديد والنار ، فما من مفكر يقول كلمة لا ترضى الحزب الا احيل الى المحاكمة وعذب وشرد ونفى الى مجاهل سيبيريا . واذا كنا قد سمعنا عن مآسى جرافشنكو وبوريس باسترناك وسولسنتسين فان هناك مئات آخرين اهدرت حرياتهم وكراماتهم ، وربما دماؤهم دون ان يدرى بهم احد .

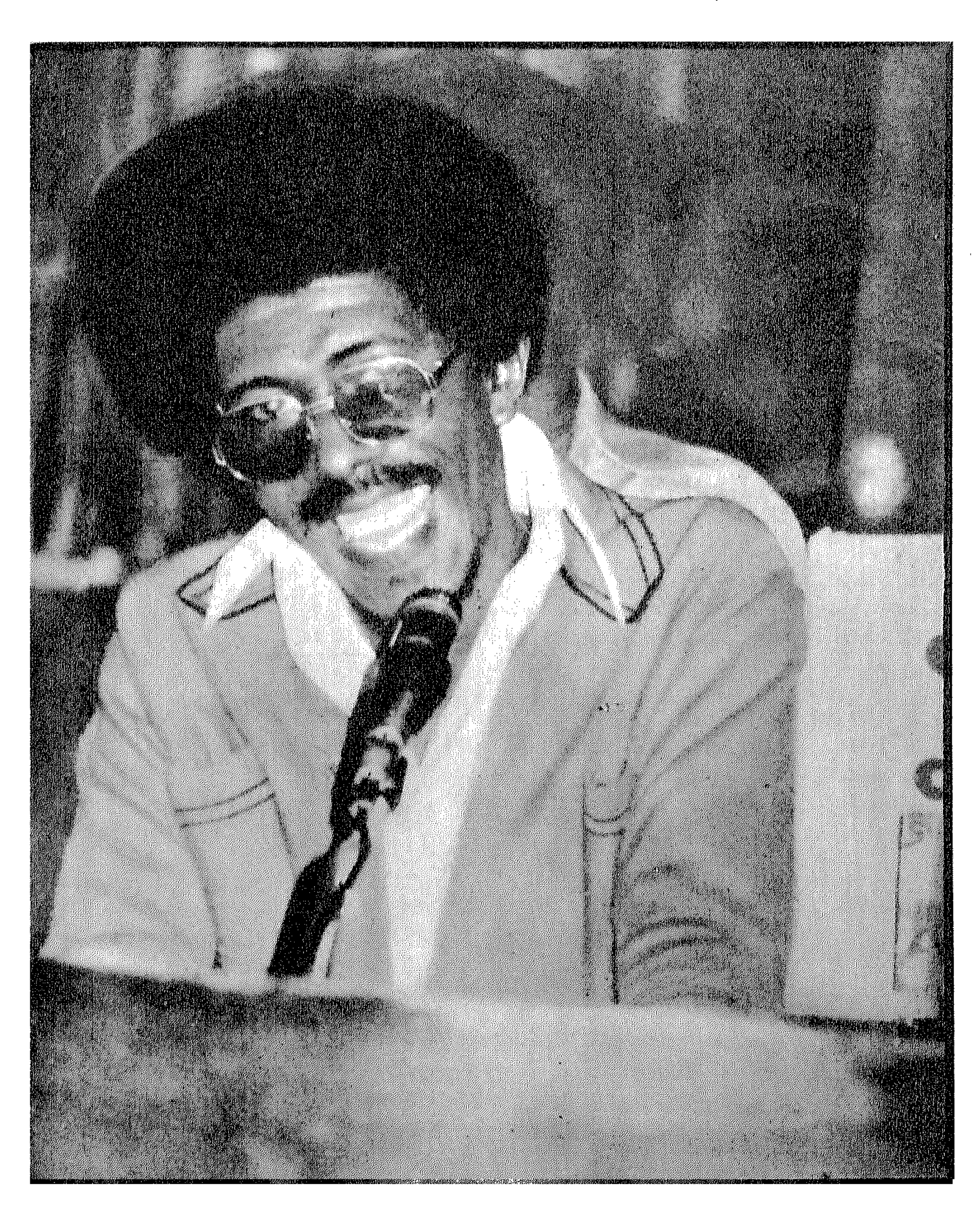
واخر مآسى الفكر فى روسيا هى مأساة عالم الطبيعيات يورى اورلوف الذى اخذوا عليه اقوالا فى نصرة الحرية وحقوق الانسان ، فقبضوا عليه وعذبوه حتى يقر باتهام نفسه بانه اخطأ فى حق النظام فرفض ، ولو انه استجاب لما طلبوا اليه لخففوا عنه العقوبة .

ولكن يورى اورلوف تمسك برايه ورفض التراجع عما قال ، فحكموا عليه بالسجن سبع سنوات ثم النفى خمس سنوات ، والرجل الان فى السادسة والستين ، اى انه سيخرج من فترة العذاب فوق الثمانين ، او قل انه لن يخرج حيا .

والصورة الاولى ليورى اورلوف بعد الحكم عليه والثانية لزوجته وابنته بين ايدى البوليس والغوغاء ، والثالثة لايرينا اورلوف وهى تدخن البايب وتعطى حديثا لمندوب صحيفة بارى ماتش الفرنسية ●

إفريقي .. توّجته لندن

● كل ليلة اقوم بدور « الملك » لمدة ساعات تبدأ من اول الليل وتنتهي مع اول الصباح التالي .
رعاياي من مختلف الجنسيات .. معظمهم من البيض لان مملكتي تقع في وسط لندن .
أسود من غرب افريقيا .. الا ان جميع البيض الذين يدخلون مملكتي كل ليلة يدينون لي بالولاء .. انهم يحبون الموسيقى معروفة بأصابع افريقية . مشحونة بعواطف افريقي .
عملت باذاعة نيويورك ستة شهور . انتقلت بعدها الى بلاد الانجليز . طلبتني اذاعة لندن للعمل بها ولكنني رفضت . افضل العمل في الملاهي الليلة ـ حيث لا تفصلني اية مسافة عن عشاق موسيقاي ..
تاريخ بلادي يقول ان البيض حكمونا طويلا . ولكنني احاول كل ليلة ان اثبت ان الاسود من الممكن ان يسيطر على الابيض . مع فارق جوهري بين ما قدموه لنا وما اقدمه لهم . قدموا لنا التخلف .. واقدم لهم الحضارة . قدموا لنا الالام . واقدم لهم السعادة .
اسمي ابراهيم ناجا ـ من جامبيا . واعمل « ديسكو جوكي » ، والعب كل انواع الموسيقى : غربية وافريقية .



كلب البحر أو الفقمة من الطف الحيوانات واذكاها • انه حيوان سمكة أو سمكة حيوان ، واصله فى القديم كلب ، ولا يزال يحتفظ رغم ملايين السنين بذكاء الكلب وخفته وميله الى الانسان ، ولا شك انك رأيته مرة فى السيرك يلعب بالكرة فى دقة ومهارة •••

هذا الحيوان السمكة يشبه الانسان فى كثير ، وقد تنبهوا الى انه يضحك اذا دغدغ تحت الابط كما هو الحال مع الانسان ، وانت تراه فى الصورة مغرقا فى الضحك وصاحبه يدغدغ ابطه •



استفد

عبد الحميد عبد الغنى

ماهو الدور الذى يمكن أن تقوم به الصحافة العربية للمغتربين؟

● اقمت فى الخارج أكثر من خمسة وعشرين عاما قضيتها اخدم فى السلك الدبلوماسي المصرى ، ثم اعمل فى الأمم المتحدة فى نيويورك .. وأتاح لى هذا وذاك جولات كثيرة فى شتى انحاء العالم .

والواقع أن هذا لم يأت مصادفة فى حياتى ، فمنذ تخرجت فى الجامعة كان احد أهدافى هو السفر الى الخارج ، فى ذلك الوقت لم يكن الانسان يفكر فى السفر الى الخارج الا بعد الانتهاء من الجامعة على خلاف ماهو حادث الان ، حيث نجد كثيرا من الشبان ومن الفتيات يسافرون ويعملون فى الخارج اثناء العطلات السنوية . وحينما سافرت تبينت وانا فى الخارج اشياء كان لابد ان يكون الانسان اكثر استعدادا لها ..

اولا : تبينت ان حصيلتنا فى اللغات الاجنبية اقل مما ينبغى رغم ان جيلنا كان يدرس الانجليزية من السنة الاولى الابتدائية وكان مدرسونا فى المدارس الثانوية من الانجليز ، وكنا ندرس الفرنسية منذ السنة الاولى الثانوية .. وكان الاهتمام باللغتين الاجنبيتين فى الجامعة اهتماما كبيرا ، ومع ذلك كانت حصيلتنا اقل مما يجب ..

اذكر هذا لان الجيل الجديد الذى يسافر الى الخارج حصيلته من اللغة الاجنبية حصيلة ضعيفة جدا .. وربما كان هذا من اسباب متاعب شبابنا فى الخارج ؟ ..

ولهذا ، فنصيحتى الا يسرع الشاب أو الفتاة فى السفر الى الخارج قبل أن يمضي فترة من العمل الجاد كى دراسة احدى اللغات الاجنبية حديثا وقراءة ..

ثانيا : اذا تساءلنا هل يسافر الشاب الى الخارج للرحلة والزيارة ام يسافر وفى ذهنه فكرة الاقامة فى الخارج ؟ ..

يكون من الصعب الاجابة من هذا السؤال ، لانه يتوقف اولا على الظروف



فيكة الحميد عبد الغنى :
نصائح للشباب ..

الخاصة بكل فرد ، كما انه يتوقف على الظروف الاقتصادية والمعيشية العامة فى مصر بالقياس الى فرص العمل وظروف الحياة فى كثير من الدول المتقدمة .. ولكن بوجه عام نتصور أن موضوع الاقامة والعمل فى الخارج يجب الا ياتى الا بعد زيارة واحدة على الاقل يحاول فيها الشاب أن يتفهم المصاعب والمشاكل التى ستواجهه قبل أن يقدم على خطوة الهجرة والاقامة.

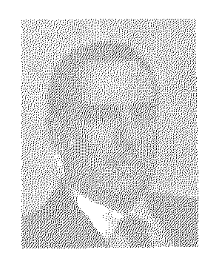
ثالثا : اعتقد أنه على الشاب ومن باب أولى الفتاة الفصل تماما بين التفكير فى الزواج وبين الهجرة الى الخارج ، فكثير من حالات الهجرة والاقامة فى الخارج ترجع الى الارتباط أولا بزواج اجنبية ويترتب على هذا الخطوة الثانية وهى الاقامة فى الخارج لصعوبة العودة بزوجة اجنبية واولاد اجانب .

رابعا : المصرى المقيم فى الخارج يجب ان يبذل كل جهد ممكن لكى يعلم أولاده وبناته الحديث والقراءة باللغة العربية ، وهى مشكلة ليست سهلة بل انها على أقصى جانب من الصعوبة ولكن اذا بذل الأب العربى والأم العربية جهدا خاصا يوميا ومستمرا فمن الممكن ان ينشأ الأولاد على معرفة بلغتهم

وهذه ليست مجرد مسالة قومية أو مسالة عاطفية ، بل لان اللغة العربية الآن هى احدى اللغات المهمة فى العالم اقتصاديا وسياسيا وفكريا أيضا ..

وقد رأيت كثيرا من الاجانب الذين هاجروا وولد ابناؤهم وبناتهم ونشأوا فى أمريكا يتكلمون لغة أجدادهم الى جانب اللغة الانجليزية التى يعرفونها

وفى الحى الصينى بمدينة سان فرانسيسكو الذى يعتبر اكبر مدينة صينية خارج الصين ـ تجد أن لغة الحديث بين الأولاد والبنات الذين ولدوا فى امريكا وبين آبائهم وامهاتهم هى اللغة الصينية .. كما أننا نجد كثيرا من الأرمن فى امريكا لايتحدثون فى بيوتهم ومع ابنائهم الا باللغة الأرمينية ، وهم يقيمون معسكرات خاصة صيفية يكون الحديث فيها باللغة الأرمينية ، ويعطون لأولادهم وبناتهم دروسا فى هذه اللغة ..



وليست هذه المسألة سهلة لأننا يجب أن نعترف بصعوبة اللغة العربية نحوا وصرفا بالنسبة الى اللغات الاجنبيــة الشائعة ، وخاصة اللغة الانجليزية التى يسكن فيها آخر الكلمات، والتى لايوجد بها المثنى والتى لاتفرق فى الفعـــل والصفة بين المذكر والمؤنث .

وتجربتى فى هـــذه المشكلة كانت جهدا خاصا ابدله فى المنزل انا وزوجتى الى جانب الاســتعانة بمدرس خاص تخرج فى الأزهر واتقن اللغة الانجليزية واقام فى أمريكا .

واستطيع القـــول انه من واجب الحكومات العربية ان تقوم بعمل مشترك يتم فى كل مدينة يتجمع فيهـــا عـدد كبير من العرب بأن تنشىء لهم فصـــولا لتدريس اللغـــة العـربية وتمدها بالمدرسين اللازمين ، والا تجعل الهـم الاول هو انشاء مبنى او مدرســة ، فمثل هذه الفصـــول ممكن أن يؤدى الغرض منها فى اى مكان .. منزل أو مكان عام .

وعلى سبيل المثال .. فى روســيا ، لأن الدولة ملزمة بتعليم الأولاد والبنات من النشىء ، فانهم ينشئون فصـــولا للتدريس باللغة الروسية فى كل مكان يوجد فيه مجموعة من الروس ، وهذه الفصول ملحقة عادة بســـفاراتهم

ومن تجربتى ، فالاقامة فى الخارج فى حد ذاتها دراسة ، لانها تعتبر بمثابة مقارنة مستمرة بين حياتنا واخلاقنـا وتقاليدنا وبين مايقابلها فى الخارج ، ولكن الخطأ الكبير الذى يقع فيه كثير ممن يذهبون الى الخــارج او يقيمون هناك هو التساؤل المستمر مصـــحوبا بشىء من الاستنكار : لماذا لانفعل مثلما يفعلون فى أمريكا أو فى المانيا أو فى فرنسا ؟ .. متجاهلين دائما الفــارق البعيد بين امكانياتنا المادية وامكانياتهم فى الخارج ، وبين أن العالم الأوربى والأمريكى بدأ يأخذ مستواه الاجتماعى الحالى منذ الثورة الصناعية فى منتصف القرن التاسع عشر ومروا بتجارب ، بل بمآس كثيرة فى خلال عملية التصنيع، او فى خلال عملية الانتقال من حضـــارة صناعية قديمة الى حضارة صـــناعية حديثة ، وهى نفس المشاكل والمتاعب التى نواجهها نحن الآن فى اثناء مرورنا فى نفس الطريق الذى سارت فيـــه هذه الدول من قبل .

فالمقارنة يجب ان تكون فى حـــدود هذا النطاق ، ولكن ليس معنى هـــذا اننا لا نستطيع أن نقوم بكثير من الأعمال والاصلاحات التى يقومون بها فى البلاد المتقدمة ، فكثير من هـــذا ميسور لنا ، اذا نظمنا امورنا وعزمنا على الاصلاح

ويسألنى سائل ، وهل كنت تفضل ان تمضى هـــذه السنوات الطويلة التى جاوزت ربع قـــرن فى مصر او فى الخارج ؟

واجيب على الفور قائلا : الواقع اننى لم انقطع عن مصر بالزيارات المتكررة ، مرة على الأقل كل سنة ، وعدة مرات احيانا فى السنة الواحدة . ولـــكن الكثيرين من المصريين فى الخارج لا تتاح لهم هذه الزيارات المتكررة ، واعتقد أن هناك واجبا على الصـــحافة المصرية ان تكون حلقة اتصال مستمرة بينهم وبين مصر بأن تسهل لهم الحصـــول على الجرائد والمجلات الاسبوعية ، والمجلات الشهرية فى بيوتهم واماكن عملهم ، وان تحمـــل من المواد التحريرية مايعين

المصريين فى الخارج على أن يتابعوا بصفة مستمرة ما يجرى فى بلادهم.
وللأسف لا يوجد هذا الاهتمام من جانب الصحافة المصرية بالالاف او عشرات الالاف من المصريين المقيمين فى أمريكا وفى كندا وفى استراليا وفى دول أوربا المختلفة وفى البرازيل وغيرها من بلاد أمريكا الجنوبية.
وياليت احدى المؤسسات الصحفية تقوم باصدار صحيفة أسبوعية تنقل الى هؤلاء المصريين صورة شاملة بصفة مستمرة لكل ما ينبغى ان يعرفه هؤلاء المصريين فى الخارج عن مصر. ولا اعنى بذلك صحيفة دعاية سياسية، ولكن صحيفة تجعلهم يعيشون فى المهجر وكأنهم يعيشون فى مصر، ويقرأون مرة كل أسبوع صحيفة تحمل لهم أهم ماتنشره صحفنا ومجلاتنا طوال الاسبوع.
وفى رايى هذا عمل يجب أن تقوم به الصحافة وليست الحكومة، كما انه ينبغى على الحكومة، وزارة الثقافة ووزارة المالية تسهيل وصول الكتاب المصرى الى الخارج؟ فليس هناك أحب الى المصرى والمصرية فى الخارج من أن يقرأ كتابا مصريا فى الأدب او فى الاجتماع، أو فى شئوننا العامة..

ولقد سئلت مرارا هل كان من الصعب على وعلى عائلتى أن أعيش فى مصر بعد أن عشنا قرابة خمس وعشرين سنة فى نيويورك؟.. وكان ردى على ذلك أن بعض مصاعب الحياة اليومية فى المواصلات او فى قصور بعض الخدمات الاخرى، لم تكن سبب ضيق من جانبنا لأن زياراتنا المتكررة لمصر خلال هذه الفترة اعطتنا صورة واضحة عن هذا!.
ولكن هذه الصورة غير واضحة فى اذهان كثير من المصريين الذين يعودون الى مصر بعد غيبة سنوات طويلة، وهى صورة تصدم العائلة المصرية القادمة ولو فى زيارة قصيرة منذ أن تهبط مطار القاهرة، ولهذا فاذا كنا نحاول ان نقدم للاجانب صورة جميلة لمصر، فمن الواجب أن نقدم للمصريين المقيمين فى الخارج صورة حقيقية عن متاعب الحياة، دون أن نغفل الامكانيات المعقولة المحسوبة، وليست البراقة للتحسين والتسهيل فى المستقبل..

تجربة هامة اضيفها وهى ان كل الشعوب اذا اخذتها افرادا فهى متشابهة وكلهم أولاد آدم وحواء مهما اختلفت اجناسهم ولون .. نهم وأديانهم وعقائدهم ولغتهم، فيهم الطيب وغير الطيب، فيهم المجتهد النشيط وفيهم الكسول الخجول، فيهم الأمين النزيه وفيهم الشريف وغير الشريف..
ولكن لا شك عندى فى أن الانسان بطبعه يألف من يشاركه عقيدته الدينية ايا كانت، وهذا يسوقنا الى الحديث اذا تذكرنا أن هناك اناسا تراودهم فكرة الوحدة الاسلامية، فيجب أن ندرك دوافعهم والا نستبعد فى يوم من الايام أن يكون هناك مثل هذا النظام، لا من الناحية السياسية، ولا من الناحية العسكرية، ولا من الناحية الاقتصادية، ولكنه نظام يجمع بين الشعوب وليس بين حكومات.. بين شعوب تدين بالاسلام، وليس بين حكومات اسلامية على وجه التحديد

عبد الحميد عبد الغنى



[ترجمة: فؤاد كامل]

لم يشهد التاريخ امرأة ركع تحت قدميها مثل هذا العدد من العباقرة ! ! ((بول ريه)) الشاعر المفكر تلميذ ((شوبنهور)) ((فردريك نيتشه)) الفيلسوف المعروف ، ((راينر ماريا ريلكه)) الشاعر العبقرى ، ((سيجموند فرويد)) العالم الذى احدث ثورة فى علم النفس . وغيرهم ، وغيرهم ..

كيف استطاعت ابنة الجنرال الضعيفة النحيفة أن تخضع هؤلاء المتمردين جميعا فى عالم الفكر والفن؟

لنبدأ حكايتها من الأول ...

كانت فى السابعة عشرة من عمرها عندما احبت مدرسها الخاص للفلسفة، وكان قسيسا متزوجا ، له بنتان يكبرانها سنا ، ويدعى الراعى ((جيوه)) ولكنه لم يكن راعيا بسيطا ، وانما كان من رجال الكنيسة المقربين لقيصر روسيا ، مع انه كان هولنديا ، ارتقى بدهائه من مجرد ملحق دينى بسفارة هولندا فى سان بطرسبورج الى ان اصبح من أقرب المقربين الى القيصر .

وكانت ((مدام فون سالومى)) هى التى تقوم على تربية ((لو)) فى تلك **الفترة ، فقد توفى ابوها الجنرال ومستشار القيصر منذ شهور ، ورحل اشقاؤها الخمسة ، ولم يبق للأم الا هذه ((الشيطانة الصغيرة))التى احبت اول ما احبت قسيسا فى عمر والدها!**

لو ان اباها لم يسرف فى تدليلها اثناء حياته لما حدث ما حدث ! ..

فمع قسوته الشديدة على ابنائه الخمسة ، الا انه كان طفلا مع هذه الطفلة الجهنمية !

كانت الأم تنتظر مولودها السادس، عندما انجبت ((لو)) ، وكانت تشعر أن النحس والشقاء سيدخلان معها الى



لوسالومى
ساحرة العباقرة

البيت . فلم تحبها قط ، وهى الآن — بعد هذه الفضيحة المجلجلة — تبغضها أشد البغض . وكان أسوأ ما فى الأمر أن «لو» لم تنكر شيئا من الاشاعات التى بلغت مسامع الأم ، بل صارحتها بأنهـا لا تريد أن تتزوج من الراعى حتى لو كان «عزبا» ، لأنهـا لا تطيق الزواج وتعتبره مهزلة وانمـا كانت تريد أن تعيش مع «جيوه» دون اغلال الزواج وما يصحبه من ضروب النفاق والوان العبودية . وكانت مثل هـذه الأفكار فى سنة ١٨٨٠ تصيب مـن يستمع اليها بالدوار !

وأمرت الأم ابنتها المتمـردة على التقاليد صاحبة الأفكار التحررية ان تلزم حجرتها لا تبرحها ، واقسـمت «لو» لأمها انها لن تعود لرؤية «الراعى جيوه» مرة أخرى .

وبعد أن هدأت « فضيحة جيـوه » بقليل ، استولت عليها — كانت حينئذ فى الثامنة عشرة من عمرها — نوبة من القلق الميتافيزيقى ، واستبد بها نوع من التعطش والحنـين الى الله .. فاخذت تبحث كالمحمـومة فى كـل الأديان : فى الكاثوليكية والهنـدوكية والبوذية وغيرها ولكن دون جدوى ..

وسافرت « لو » الى سويسرا ، لمواصلة دراستها فى جامعة زيوريخ ، واقبلت بنهم شديد على دراسة الفلسفـة وتاريخ الأديان .

والواقع أن كثيرين من الشـبان والشابات الروس الذين ينتمون الـى الطبقة الأرستقراطية او البورجوازية الثرية كانوا يرحلـون الى زيوريخ لدراسة الديالكتيك والمبادىء الماركسية تحت ستار دراستهم للقانون او الطب وذلك على امل أنهم سـيعودون الى روسيا للاعداد لذلك ((المساء العظيم))

الذى سيحيل روسيا القيصرية الى روسيا الاتحاد السوفييتية .

تخيلت « مدام فون سالومى »هذا كله ، فقررت ملازمة ابنتها فى زيوريخ، ومراقبتها عن كثب .. غير أن «لو» ما أن وصلت الى «زيوريخ» حتى أفلتت تماما من قبضتها ، فهى تقضى نهارها كله فى الجامعة ، وتقضى امسياتها فى المقاهى ومنتديات الطلبة ، فاذا عادت فى الساعة الواحدة أو الثانية صباحا عكفت على القراءة حتى الفجر . . لم تكن تنام كثيرا ، ولم تكن تأكل شيئا . ومع نحافتها وهزالها كانت محوطة بالمعجبين والمحبين ، فقد بلغت حينذاك التاسعة عشرة من عمرها ، وكانت فتاة مشرقة الوجه ، فارعة القامة ، ممشوقة القد .. وتفاقمت حالتها الصحية وعاودتها نوبات من الضعف والاغماء ، حتى بصقت دما . ونصحها الأطباء بالاقامة فى ايطاليا . فصحبتها أمها الى روما وهناك ، تعرفت بامرأة فى نحو الستين هى «مالفيدا فون ميزنبوج» ، وكان صالونها القريب من الكوليزيوم **من ألمع صالونات روما ، اذ يلتقى فيه صفوة المثقفين الذين استطارت شهرتهم فيما بعد من امثال « رومان رولان »، و « فاجنر » ، و« نيتشه » . وكانت « مالفيدا » هى نفسها كاتبة وفيلسوفة وابتهجت « لو » كثيرا عندما وجدت افكارها الثائرة متجسدة فى كتابات صديقتها الجديدة التى احبتها على الطريقة الروسية حبا اقرب الى الجنون!**

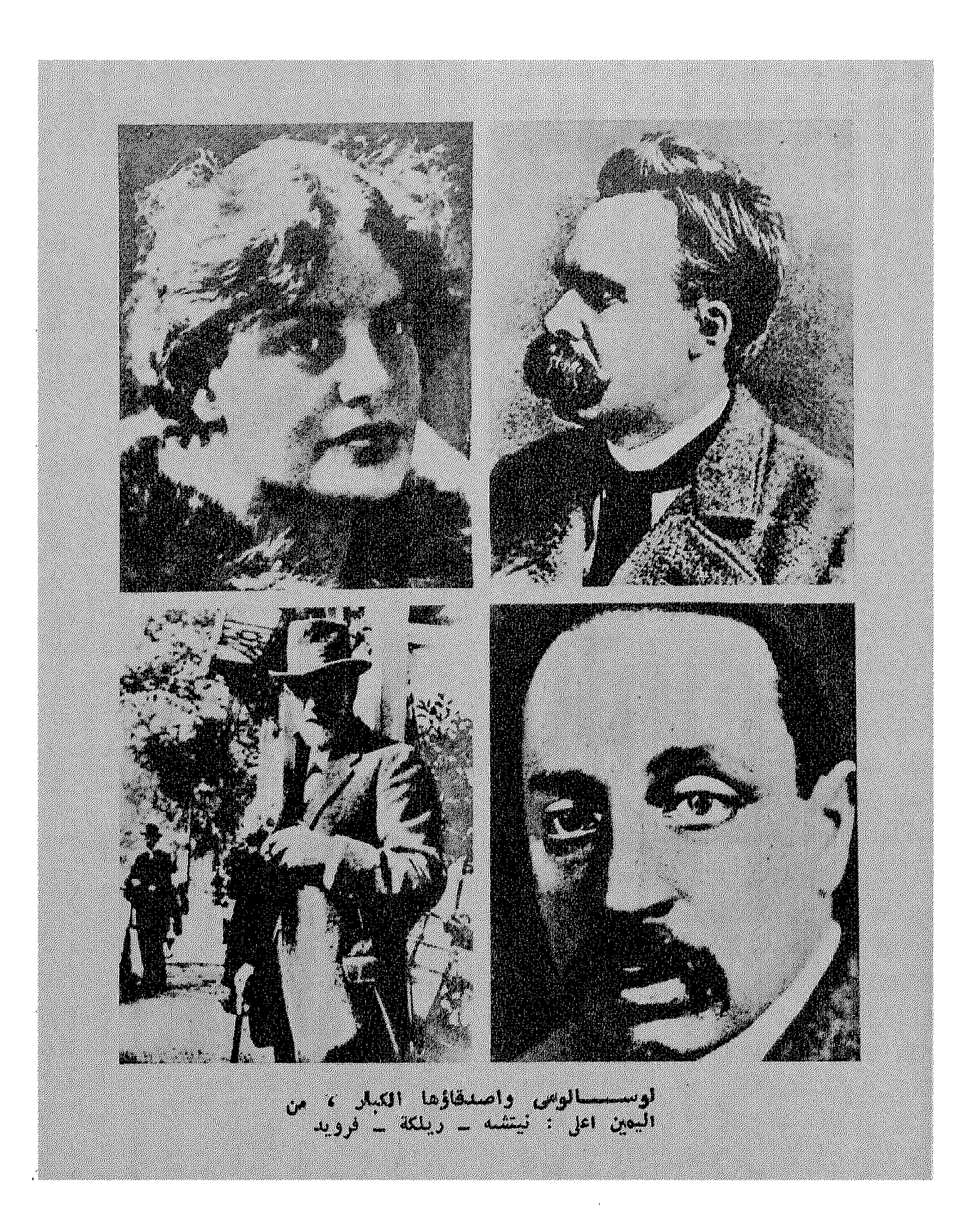
لو سالومى

وفى صالون «مالفيدا» تعرفت بالشاعر «بول ريه» جاء يستنجد بمالفيدا لأنه فقد ثروة كبيرة على مائدة القمار فى مونت كارلو ، ولم يلتفت الى «لو» وهو فى حالته تلك من الارتباك واليأس ، واخبر « مالفيدا » انه سينتحر ان لم يسدد ديونه غدا . وهدأت مالفيدا من ثائرته ، واعطته مالا وجواهر ، وانطلق المقامر التعس دون أن يحيى «لو» التى لم يشعر بوجودها . واخبرتها «مالفيدا» انه تلميذ «شوبنهور» الأثير، وابنه الروحى ، وصديق نيتشه الحميم .

وبعد ايام ظهر من جديد فى بيت «مالفيدا » ... نفس الانفعال ، ونفس القلق والارتباك . وحين همت «لو» بالخروج ، اصطحبها حتى منزلها بحجة أن روما ليست مأمونة لمثلها فى الليل، وفى هذه الليلة حدثها عن نفسه ، وكان يهوديا فقيرا ، قبيحا ، مليئا بالعقد النفسية ، يبغض نفسه ويحتقرها ، وتطارده فكرة الموت ، ووسواس الانتحار . ولم تطمئن اليه «لو» ، ولم يمل اليه قلبها . وتكررت مصاحباته **لها عند عودتها كل ليلة ، وتحدث اليها عن « نيتشه » و «فاجنر» ، وعن المجد والعبقرية . وتحول نفورها منه شيئا فشيئا الى نوع من التعاطف ، وامست تراه كل يوم عند «مالفيدا»**

وبدافع من الأمانة قصت عليه قصتها مع الأب «جيوه» ، والقسم الذى اقسمته له . وتعاهدت مع « بول » أن يظلا صديقين مدى الدهر. ولم يكن « بول » سعيدا بهذه الصداقة ، لأنه كان ينشد الحب . وذات ليلة اخبرته «لو» انها تستطيع أن تعيش معه تحت سقف واحد ، ولكن مع شخص .. ثالث ! وكاد «بول» يموت رعبا . وشرحت له فكرتها فللحياة الثنائية مشاكلها ، وهى تنطوى على كل العبوديات التى تصادف زوجا من الناس ، أما الحياة الثلاثية أعنى بين ثلاثة اشخاص ــ فهى الاستقلال والحرية .. والسعادة .

واقتنع «بول» بالفكرة الجهنمية ، بقى عليهما اختيار هذا الشخص الثالث ، أيكون رجلا ام امرأة ! فليكن



لوســـالومى واصدقاؤها الكبار ، من
اليمين اعلى : نيتشه ــ ريلكة ــ فرويد

امرأة .. ولتكن «مالفيدا» ، فهـــى
تحبه كابن ، وهى تحبها كأخت .
وفى الغد عرضت على « مالفيدا»
هذه الفكرة .. ولدهشتها البالغة ،
ارتاعت «مالفيدا » الثورية الفوضوية
ــ من هذه الفكرة ارتياعا شديدا اولم
ترفض المشاركة فى مثل هـــــذا
الجنون فحسب ، بل ارسلت الـــى
« مدام فون سالومى » التى عادت الى
زيوريخ لتطلعهـا علـى الاقتراح المأفون
وحين علمت الأم بالنبأ كادت تصاب
بالشلل ، وأقعدتها الصدمة فـــى
الفراش . وحين استردت صحتهــا
كتبت الى «لو» رســالة تأمرها فيها
بالعودة فورا الى زيوريخ .
اما « بول ريه » فقد اقبل ذات يوم
على «لو » سعيدا مغتبطا ، وعرض
عليها أن يكون الشخص الثالث رجـلا
لا امرأة . وفى هذه المرة كانت «لو»
هى التى تنظر اليه فى دهشة . ولكنه
عندما أخبرها باسمه وافقت علـــى
الفور ، فقد كان « نيتشـــه » . .
« نيتشه » أعظم فيلسوف فى ذلــك
العصر ، الصــديق الحميم لفاجنر .

"لـوسـالـومى"

لم تكن تحلم بشيء كهذا ابدا.. بهذا السمو ، وهذه الرفعـــــة ... ان شخصيتها تكونت من اعمالهما : ((مولد المأساة)) لنيتشـــه ، واوبرات فاجنر الرائعة .. وها هو ((بول ريه))يخبرها بانها يمكن أن تعيش مع ((نيتشـــه)) ، وربما مع فاجنر .

وكان «نيتشه» فى تلك الآونة يجوب أوروبا بحثا عن الشمس ، ولا يستقر فى مكان ، كعادته دائما . بيد أن«ريه» كان يعلم انه فى «جنـــوا» ، فكتب اليه داعيا للحياة معهما فى زيوريخ. فلم يجب . فبعث اليه «ريه» برسالة ثانية اشد الحاحا اشاد فيها بمفاتن المعجبة به ومزاياها، وقال له انهـــا مفتونة به ، ومستعدة للزواج منه !

ولم يرد «نيتشه» هذه المرة أيضا. وحقيقة الأمر أن رسالة « ريه »الأولى صدمته ، ودفعته الى النظر فى المرآة والفجر بعد ذلك ضاحكا ، ثم انطلق كالمجنون خارج حجرته وهو يغنـــى ويرقص فى شوارعالمدينة ، حتىوصل الى الميناء ، وهناك استقل البـاخرة المتجهة الى « مسينا » ارض النـــور والمرح الى « حيث تنتظره خطيبته ! »

***

وفى يوم مـــن أيام مارس ١٨٨٢ : ذهبت كعادتها الى« مآلفيدا » فوجدت ليتشه جالسا فى «مقعده » الوثير وجها لوجه امام تمثـال نصفى لفاجنر موضوع فوق المدفأة . وتعرفت عليه « لو » من النظرة الأولى، بثيابهالمهملة ووجهه المكدود ، وعينيه الحالمتـــين كعيون المتنبئين- وراء نظارتهالسميكة

وجفــــلت المراة فى أول الأمر ، بل أصابها شىء من الحنق وخيبة الأمل. لماذا كل هذه الشيخوخة المبكرة ،وهذا القبح والاهمال لمنظره ؟ ولماذا يختلف كل هذا الاختلاف عن شخصيتـــــه «الحقيقية» كما ينبغى أن تكون . ان هيئته لا تزيد على هيئة متشرد فقير ، وضعفه وتهافته يثيران الشفقة والرثاء

ولم تســـفر هذه المقابلة الأولى عن شىء ، فقد عاملته «لو» بجفاء واضح، لم يلتفت اليه ولم يلحظه فى غمـــرة انبهاره ، واحتدام مشاعره . وبعـــد عدة مقابلات تحولت معاملة «لو» تماما من النقيض الى النقيض ، فقـــد تكشفت لها عبقريته ، فبهرتهـــا ، ثم أسرتها ، تماما كما حدث لها مـــع «ريه» ، مع الفارق فى عبقريةالاثنين. ان كل ما فى «نيتشه» الانـــدهاش ، واكتشـاف .. من اين ياتيه كل هـــذا الحماس ، وهذا الفيض من السرور، وهوالرجل الفارق فى الحزن والكآبة ؟

اما ((لو)) فقد ولدت من جديد حقا .. وكتبت فى يومياتها تقول عن هذه الفترة : ((نفور جسدى ، وانجذاب روحى جارف))

وذات ليلة حدثها ((نيتشه)) عن ((صعوبة الوجود فى عالم بلا اله)) وعن هذا ((البحث عن ايمان جديد)) الذى يسعى اليه فى خواء مخيف ، وفراغ رهيب . وانتفضت ((لو)) ،لأن هذا بعينه هو ما تبحثعنه ، وهـــذا بعينه هو قلقها الميتافيزيقى الذىينهش قلبها . واكتشفت فى خوف يمازجه المرح انه الشخص الوحيد الذى عرفت معه هذه الحالة .

كانت فى الحادية والعشرين ، وكان فى الثامنة والثلاثين وان بدا شيخا فى الستين .. ومنظره ينفرها ولكنها لم تعد تستطيع العيش بدونه !

وذات يوم عرض عليها زواجـــا فضحكت منه ، وعرضت عليه ما هو أفضل من ذلك : سنتان من السعادة- أو ما هو أكثر من السعادة - بلا زواج !

وفى هذا المساء نفسه كتبت «لو» الى آمها تخبرها بانها تنوى الرحيل الى

فيينا ، والحياة جماعة مع صديقيهما «ريه» و «نيتشه» وردت عليها أمها مهددة ومتوعدة ، فطمأنتها «لو» بأن ارتباطها بهما « ارتباط روحي خالص» ولا يشبه في شيء « الحياة الثلاثية » التي تصورها مسرحيات البولفار ، بل هي «حلقة دراسية» تعيش فيها ثلاث أرواح حرة ، حياة البحث وتبادل الافكار والمشاعر .

ورحل الفلاسفة الثلاثة يستخفهم المرح الى باريس حيث اخلوا يعقدون ندواتهم الدراسية في المسارح والمتاحف وقاعات الموسيقى والمقاهي والصالونات الأدبية حيث اختلطوا بالشعراء والكتاب والفنانين ((فرلين، اناتول فرانس ، رودان ، الانطباعيين)) والتقت ((لو)) بابسن ، وكاد الثلاثي يصبح رباعيا . وتندرت باريس بهذه الجماعة الغريبة المؤلفة من قوقازية جميلة ، واثنين من الفلاسفة الشواذ، حتى وصلت الاشاعات الى ((مدام فون سالومى)) ، فكتبت الى ابنتها ، تأمرها بالعودة فورا الى روما ،للرحيل منها الى سان ـ بطرسبورج . واطاعت « لو» أمها ، فوصلت الى روما يتبعها « الكومبارس » .

ورحل الجميع الى « ميلان» كمرحلة أولى في الطريق الى روسيا ، وهناك تمكن «ريه» بدهائه من التخلص من «نيتشه» ،ورحل ثلاثتهم الى «لوسرن» وهناك كانت «لو» قد تواعدت مع «نيتشه». وفي هذا اللقاء أراد الفيلسوف ان يضمها الى صدره فدفعته بعنف ، وذكرته بأن العلاقة بينهما روحية صرف . وبوغت « نيتشه» .. أتراها تخدعه لتكون عشيقة «ريه» كما كانت من قبل « لجيوه »، ولغيره؟ « انتهى الآن بينهما كل شيء»كما كتب في مذكراته. فتركها ، وانسحب الى « ناومبورج» حيث قرر الاعتكاف فترة طويلة من الزمن مع امه واخته .

ولكنه لم يكد يتسلم بطاقة بريد من «لو» و «ريه» يخبرانه فيها أنهما يعيشان في برلين ، وانهما يدعوانه للانضمام اليهما ، حتى حزم امتعته، ولم يتردد في الرحيل الى برلين .

وعندما بلغها ، كانا قد رحلا الى « بايرويت » . و « بايرويت » معناها « فاجنر » ، صديقه الحميم الذى اختلف معه منذ ثلاثة اعوام ، واقسم الا يراه ابدا ..

وتنازعته المشاعر ، هو من جهة في شوق شديد الى «لو» و «ريه»،ولكنه من جهة أخرى لا يريد ان يلتقى بـ « فاجنر » ، ولابد انه ملاقيه في « بايرويت» . والحت عليه أخته «اليزابث» أن يصحبها الى «بايرويت» فرجحت كفة الذهاب اليها ..

وفي الفترة التالية تنقلت «لو»بين «ريه» و «نيتشه» ، فلحقت بـ «ريه» في الربيع حيث كان يعيش مع اسرته وعندما سئمت من تلك الحياة البرجوازية الرتيبة ، سافرت في الصيف الى «ناومبورج» حيث كان يعيش «نيتشه» في صومعته

وذات مساء ، في اواخر الصيف ، رحلت عن ((نيتشه)) دون وداع ، بعد ان تركت له بيتين من احدى قصائده يقول فيهما : ((اذا لم يعد لديك ما تمنحني من الفرح . . فامنحني المك ...))

وحاول ((نيتشه)) اللحاق بها ذات مرة في ((ليبتسج)) ولكنها صدته صدا عنيفا في حضور ((ريه)) . فاستشاط ((نيتشه)) غضبا ، وعاد من فوره الى ناومبورج حيث قرر الانتحار ،ولكن بعد ان يكتب كتابه العظيم : ((هكذا تكلم زرادشت)) ..

وقبل ان يتردى في هاوية الجنون، صور هذاالفيلسوف العبقرى ما ينتظر العالم الذى يخلو من حروب عالمية ، وشرور ـ عصر الانسان الأعلى .

ووضع «نيتشه» في مصحة للامراض العقلية ، وتوفى سنة ١٩٠٠ قبل نشوب الحرب العالمية التي تنبأ بها ، وعاشت « لو » حتى استمعت في ميونيخ عام ١٩٣٤ حشدا يصيح «هايل هتلر » ، ورات شعبا جعل من « زرادشت » انجيل النازية !

وطفقت «لو» بعد علاقتها «بنيتشه» تكتب قصائد وقصصا قصيرةوروايات فكتبت رواية بعنوان « الصراع من اجل الله » جعلت منها كاتبة مرموقة بين

"لـو سـالـومـى"

كتاب عصرها . والتقت بعدد كبيرمن الأدباء والمفكرين فى صالونات باريس روما وبرلين وفيينا ، واكسبها جمالها ، وجراتها ، وخروجها على التقاليد شهرة واسعة ، وعرفت بانها «جامعة العباقرة » ، وكانت مزهوة بهذه السمعة !

***

وفجاة ، فى صيف عام ١٨٨٧ ،تردد فى صالونات أوروبا هذا النبا المذهل: لقد تزوجت « لوسالومى » ـ كيف حدث هذا ؟ والأدهى من هذا كله إن الزوج السعيد أستاذ وقور من اساتذة الجامعة الألمانية ، شديد التمسك بالتقاليد ، غارق فى مخطوطاته ودراساته الاستشراقية ، « فهو مستشرق عاش فى الهند ويتحدث بعدد كبير من المفات الشرقية، ويجيد عددا من اللهجات الاسيوية » هو الدكتور « فردريش كارل آندرياس» .

والغرب من ذلك أيضا ان« آندرياس» حاول الانتحار عشية اعلان خطبتهما باغماد خنجر فى صدره . ولكنه فى حفل الزواج ، كان يرتدى « ردنجوتا» ، وحذاء لامعا ، وكان يبدو فى تمام الصحة والعافية والهناء .

ولم تتخل « لو » عن حياتها الحرة بعد الزواج . فكانت تظهر بصحبة زوجها و « ريه » .. وتقبل « آندرياس » هذا الوضع على انه طبيعى جدا . وكان « ريه » هو الذى تنهشه الغيرة ، بالطبع ، لأن الزوج يستمتع بمزايا هو منها محروم . ولم يكن هذا هو الوضع مع « نيتشه » وذات يوم اختفى « ريه » من حياتها

وبعد عدة أعوام ، قيل انه قتل اثناء تسلقه احد الجبال ، وكانت حادثة تبدو كانها انتحار .

وسرعان ما ملأت ((لو)) مكانه بآخرين .. احبها بعد ذلك الروائى والكاتب المسرحىالمعروف ((اشنيتسلر)) والشاعر هوفمانزتال الذى ذاع صيته وهو فى الحادية والعشرين ، وكان جميلا كالاله ابوللو .

واندفعت بعد ذلك فى حب طبيب شاب هو « اسلوفسكى » التى ذاقت معه سعادة وصفتها احدى بطلات رواياتها . وفى هذه الفترة أيضا دخل حياتها الشاعر العظيم « راينر ماريا ريلكه » .

كانت فى السادسة والثلاثين، وكان فى الثانية والعشرين من عمره . . بيد أن هذا الشاب الرقيق النحيف، استطاع بنظرته الصلبة الثاقبة أن يسيطر على هذه «الأمازونة »الفارعة هذا الشاعر المرهف الحس الذى ولد فى « براج » كان ينتمى الى قبائل « الماجيار » التى اشتهر افرادها بترويض الخيول . وسحر النساء ، فلا عجب أن استطاع بهذه الخلفية الوراثية القوية أن يروض «لوسالومى» **قال لها فى اول مقابلة : ((انت الدفء . والحياة ! انت الفرح . . انت تشعين ! وكل شىء يشع من حولك ..)) ومن هذا الاشعاع استمد ((ريلكه)) ، ولم يكن فى ذلك الحين سوى شاعر مغمور ــ غذاء عبقريته ، حتى اصبح فيما بعد مؤلف كتابه ((كراسات مالته لوريدز بريجه)) .**

ووزعت « لو » العمل على هذا الثلاثى الجديد . كان زوجها يقوم « بالمشاوير » وتدبير المنزل ، وكان ريلكه مسئولا عن المطبخ وغسل الآنية ، وكانت هى تكتفي بالكتابة

وفى الربيع ، رحل ثلاثتهم الى روسيا . كانت «لو» تحلم منذ امد بعيد بالتعرف على « تولستوى » ،

الشخصية التي سيطرت على قرن بأكمله . والتقت به في ضيعته « ياسنايا بوليانا »، غير أن « تولستوى » حياها تحية خاطفة وغمغم ببضع كلمات ، ثم اختفى . وأخذت زوجته تحدثها حديثا مريرا عن زوجها .

أما « بوشكين » فكان على العكس من ذلك ، حفيا بها ، واستقبلها بذراعين مفتوحتين ، ولكنه لم يوطد علاقته بها ، وعلى هذا لم يندرج لا « تولستوى » ولا « بوشكين » في قائمة عشاقها .

وبعد ذوبان الثلوج ، رحل الثلاثي لملاقاة الشمس في فلورنسا ، وهناك عاشت « لو » و « ريلكه » قصة حب كاملة ، على حين كان زوجها « آندرياس » مشغولا بالتنقيب في المكتبات والمقابر. الصيف في بافاريا. والخريف في براج ، والشتاء في فيينا أو باريس .

وعاش هذا الثلاثي في انسجام تام حياة الحب والابداع أربعة أعوام كاملة ، وكان هذه الحياة لا يمكن ان تنقضي . وكتب فيها « ريلكه » كتابه الشهير « كراسات مالته لوريدز بريجه » ...

وذات مساء ، بعد أن فرغ « ريلكه » من غسل الأواني ، استأذن في القيام بجولة ... ومنذ ذلك الحين اختفى الى الأبد من حياة « لوسالومى » !

واقامت « لو » و « آندرياس » منذ سنة ١٩٠٣ في مدينة « جوتنجن » وهى مدينة المانية عتيقة اشتهرت بجامعتها ، حيث شغل زوجها كرسى الدراسات الشرقية بها . وعاشت حياة هادئة مع زوجها الصامت ، حياة استمرت ثلاثة واربعين عاما ، وكان هناك دائما زائر ، قد يأتي لقضاء ثلاثة ايام ، ثم لا يبرحهما الا بعد ستة أشهر . وكثيرا ما يرحل عند حلول الربيع مع « لو » — واحيانا مع « آندرياس » . الى فلورنسا أو فينيسيا أو مستينا .

ومضت الأعوام مشرقة لامعة مجنونة كهذه « الفالسات » التي اجتاحت فيينا في تلك الآونة الذهبية من عمر أوروبا .

وذات مساء من عام ١٩١٢ — وكانت في الحادية والخمسين من عمرها — التقت « برجل حياتها » : « سيجموند فرويد » ، ذلك الطبيب الشاب الذى يعيش في فيينا ويدرس « نبضات الوجود اللاشعورية » . وما ان وقعت عليها عيناه ، حتى افتتنت به .

كان الجميع يتحدثون عنه ، وعن عبقريته ، وعن تحليله النفسي في جميع الصالونات ، فأنى لـ « لو » أن تقاومه ؟ ولم تقاومه ، بل كتبت اليه باعجابها ، ورد عليها ردا رقيقا .. وعندما التقت به في عيادته ، لم يكن بحاجة الى أن تضطجع فوق أريكة **التحليل النفسي الشهيرة ، بل قصت عليه من فورها هيامها بأبيها الذى كانت تعده بطلها والهها ، حنان امها المفقود ، لانها لم تغفر لها قط انها ولدت ، ونشأتها العجيبة بين خمسة من الأشقاء الذين كانوا يعاملونها كواحد منهم ، اللهم الا اخاها الأكبر، الذى كان جميلا حنونا .**

تابعت « لو » محاضرات « فرويد »، وانغمست في التحليل النفسي كما انغمست من قبل في الفلسفة والأدب. وامضت امسيات بأكملها تناقشه وتجادله ، وليال بطولها تلتهم جميع المؤلفات المنشورة عن هذا العلم الجديد ... كانت تدرس وتتأمل.. وتقترح وكم أدهشت « فرويد » بجرأة حظاتها ، وقوة اعتراضاتها ، ووجاهة انتقاداتها التي كانت تشكك في معطيات تبدو يقينية لأول وهلة .

وانبهر « فرويد » — خاصة — بهذا « الاشعاع » الذى يفيض من تلك المرأة « الخارقة المواهب » التي « تمنح العبقرية لأولئك الذين لا يملكونها » .

وكان « فرويد » الحلقة الأخيرة في سلسلة العباقرة الذين عشقوا هذا المرأة النادرة وافتتنوا بها ..

برق شيء في ضوء ((الشمس)) .. لم يتعـــود ان يلقي شـــيئا ذا قيمـــة .. التقطه فاذا به سيخ حديدي بلـــون التراب ، اقصر بكثير من اســـياخ الشواء التي يرصها ((عم عرفه)) على عربته . شمه لعله يحظى برائحـــة الشواء . لم يستقبل انفه غير رائحة

الصدا . بطنه خاو ، طـرده الحـــاج من الغيط . انتهى جمع المحصـــول وتحميله ولم يعد بحاجـــة اليه . !

« انت مثل الثور .. لماذا تجلس هكذا كالولايا! ! اذهب الى الســـوق واجر على رزقك .. لا ، لن اتركه . لقـد ضبطته امس ياكل البرسيم مـــن امام البهائم ! نعم البرســـيم . . لماذا تتعجبون ؟ ! هذا الثور يســـتطيع ان ياكل غيط برسيم بحاله ! »

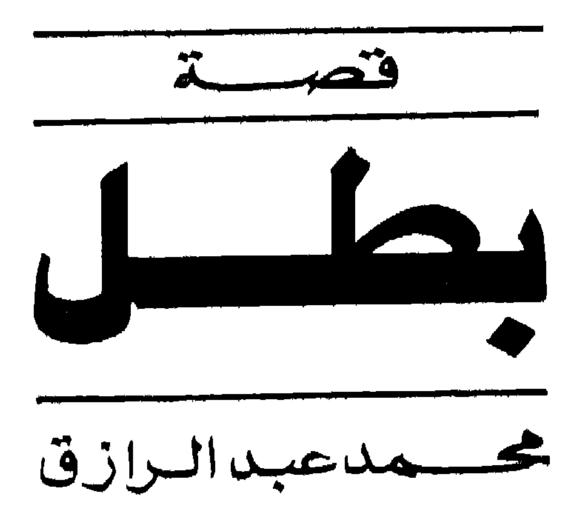
في الحـــق كان ياكل برسيم الحاج وسريسه . لكنه لم يكن ياكله من امام البهائم . كان ينام بجوار « القنـــاية » كلما قرصه الجوع عبعبة من مـــاء « القناية » الاحمـــر . ذات يوم اراد ان ياكل ضفدعة ، لكن الضفدعة لها روح . ارخى قبضـــته فانزلقت من يده تطفل صـــــغير عاد الى ماء « القناية » الاحمـــر ذات يـــوم اراد اكل البرسيم . كان بمقدوره أن ينتقي « السريس » . لكن لماذا ينتقي ؟ اليس البرسيم و « السريس » بذرة واحدة .. لماذا نفرق نحن الآدميين بينهما ؟ شعر بان انتقاء « السريس » سرقة .

اما حشة برسيم تدوسها اقـــدام البهائم فلن تؤثر في اموال الحاج ..

مقبض السيخ يلمع ، مقبض غريب حقا .. ابيض في لون الفضـــة .. فوقه قطعة من المعدن غريبة ايضا .. تغطي ظهر قبضة اليد ..

عند الأرض الخراب التي تفصـــل الغيط عن بيوت آخر المدينة الواطئة المتراكمة في نهالك بيت الحكومة مخبأ من الآجر الأحمر يتقافز الاولاد ويتزحلقـــون فوق اســـطحه المائلة احيانا ليلا ، في الاسبوع الماضي شاهد الولد هاشم وبنتا يتســـحبان الى الخارج . ظهر الولد هاشـــم أولا ، تلفت يمنة ويسرة ثم التفت الى جوف المخبأ واشار بيده اشـــارات ندائية مستعجلة ، ظهرت بنت .. تبعته لبضع خطـوات . مشى كل في طريق القى عليه الولد هاشم الســـلام . لم يتبين ملامح البنتا التي سارت في

اهداء الى روح الصديق ضـــياء الشرقاوي ..





الاتجاه الآخـــمـــر . منــذ يومين كان
المتبولي والقنــهــاديلي يتحــدثان عــن
خديجة ، وعن مغامراتها فى المخبأ .
لم تكن خديجة . كانت بنتا رفيعـــة
طويلة مرقت كالسهم فى الظــــلام .
خديجة تتمايل فى مشيتهــــا وتتثنى
وتقذف الملاءة على طول ذراعهــــا .
الحارس العجوز يجــرى وراء الاولاد
بفرع شجرة وهو يسعل ســــعالا
متواصلا

شجرة فارهه قديمة يختلط عنــدها
الطين الاسمر بتراب الارض الخراب .
اسند ظهره الى جزعها العجـــوز ،
اخذ يتحسس السيخ بيديه . سيخ
جميل تبرق قبضته كوجبة شــهية ،
لحسه بلســانه ، عضعضه باسنانه ،
لو يؤكل الحديد ..

نهض وغمد السيخ بقوة فى جذع
الشجرة ، نفذ فى الجذع الى المقبض
لم يستطع انتزاعه الا بصعـــوبة ..
ضعفت يادرويش . . أهو الجوع ام
الكبر ؟ ! غمده مرة اخرى وانتزعـــه
بصعوبة غير بالغة . . فى المرة الثالثة

خطفه خطفة واحدة بقســـوة ، وقف
قبالة الشجرة وكأنه يتحداها ، صدره
الصخرى يعلو ويهبط . رآه طفل ،
ماذا يفعل عم درويش ؟ . . نبه الاولاد
القريبين منه . هل يقطع عم درويش
الشجرة . ؟ جرى الاولاد : عم درويش

بطل

تقطع الشجرة .. عم درويش يقطع الشجرة .. جرى أولاد آخرون وراء الاولاد الذين جروا أولا . خلا سطح المخبأ الا من طفل صغير يبكى .. نظر اليهم درويش لاهثا . ابتسم ابتسامة حنونة : .

ــ أبينكم بطل .. ؟

ــ انا ...

ــ انا بطل ...

ــ لا ، انا ياعم درويش ...

قال لهم : البطل هو الذى ينتزع السيف من الشجرة ! .

ــ السيف ؟

ــ أين السيف . ؟

ــ أين هو ؟

حاول ولد فلم يقدر .. قبض آخر عليه بكلتا يديه .. تجمهر الاولاد حول المقبض ، اخذوا يزيحون بعضهم البعض . . أبعدهم عم درويش ، انتزعه عم درويش ..

تقدم ولد شقى :

ــ اغمده ياعم درويش وسوف انتزعه انا !

ــ لا ... كفى !

ــ اغمده وسوف ترى !

ــ كفى .. كل حى يروح لحاله !

ــ والنبى ياعم درويش .

ــ اللهم صل عليه، ولكن تدفع مليما.

تقدم ولد ملوث الوجه واليدين والملابس بزيوت السيارات ، ودفع المليم .. جرى الاولاد الى امهاتهم صارخين باكين .. من لم تجد مليما اعطت ولدها رغيفا ، كل شقة واعط لعمك درويش شقة .

تدافع الاولاد حول الشجرة ، علا الصياح ، خرج الحاج من كوخه على الصياح ..سار وسط حقل البرسيم ، لمح درويش ، اندفع اليه ..

ــ الم احذرك من الاقتراب من الغيط ؟

صفعه صفعة قوية على صدغه ، كالجبل المضبب وقف عم درويش مطاطئا راسه ..

ــ لماذا تقف هكذا يا ثور ؟ تريد أن تفسد الشجرة ؟ والله يا اولاد العفاريت ، اذا اقترب احدكم منها فسوف اعلقه من قدميه فوقها .. أولاد ملاعين .. لماذا تقف هكذا ياولد ؟ ياثور ؟

قال كل ولد لنفسه وهم يتفرقون: الحاج بطل .. الحاج غلب عم درويش لطمه على وجهه . لم يستطع ان يرد اللطمة .. دمعت عينا ولد صغير .. دارت عينا آخر فى راسه حتى صارتا كانهما جمرتان !

فى الليل وهجت وهجة من النهار قبل أن تخمد .. انعكست على المقبض الفضى ، قام الحاج الى الشجرة ، تصبب عرقا وهو يحاول محاولة يائسة مستميتة اخيرة . كان السيخ قد تسمر فى الشجرة وانتهى الامر .. التفت اليه الرجال :

ــ ماذا ياحاج ؟

ــ انا عارف .. أين الثور ؟

تقدم الرجال الى المقبض واحدا اثر واحدا .

قال الشيخ حسنين لنفسه :

ــ زوجتى طالق أن لم يكن هذا المقبض من فضة خالصة !

تصببوا عرقا ..

همس عبد الصمد دسوقى فى اذن الشيخ حسنين :

ــ اذا كان يريد المقبض فعليه بمنشار حدادى !

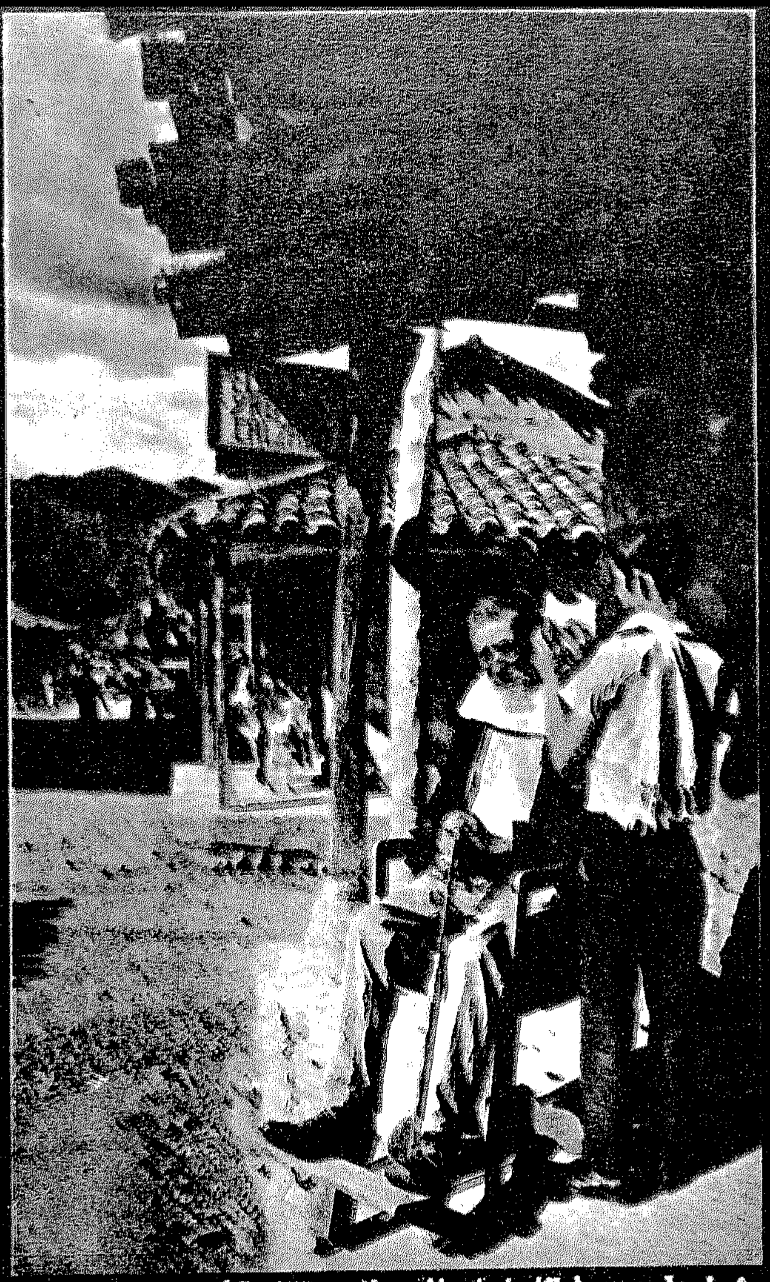
قال النمرود وقد تورمت عضلات ذراعيه ، وظل بسمة شاحبة على شفتيه :

ــ لن يستطيع ان ينتزعه غير بطل! بصق الحاج على الأرض .. غاص فى اعماق الليل قاصدا كوخه .

محمد عبد الرازق

هنالك ثلاث مناطق في الدنيا يكثر فيها المعمرون الذين يتخطون المائة سنة وهم في صحة وسلامة ، هي مناطق فيلكابامبا في الاكوادور في امريكا اللاتينية وبلادالقوقاز ومنطقة الهونزا في كشمير . وقد قام الدكتور الكسندر ليف رئيس القسم الطبي في مستشفى ماساتشوستس بالولايات المتحدة بدراسة اسباب طول العمر في هذه المناطق .

نرجو لك .. ايها القارىء العزيز ان تتخطى ومن تحب المائة سنة في عافية اما نحن فلانحسب أن الحياة في المائة وما بعدها فيها ما يشوق !تكفينا تسع وتسعون سنة . . فما رأيك ؟ !

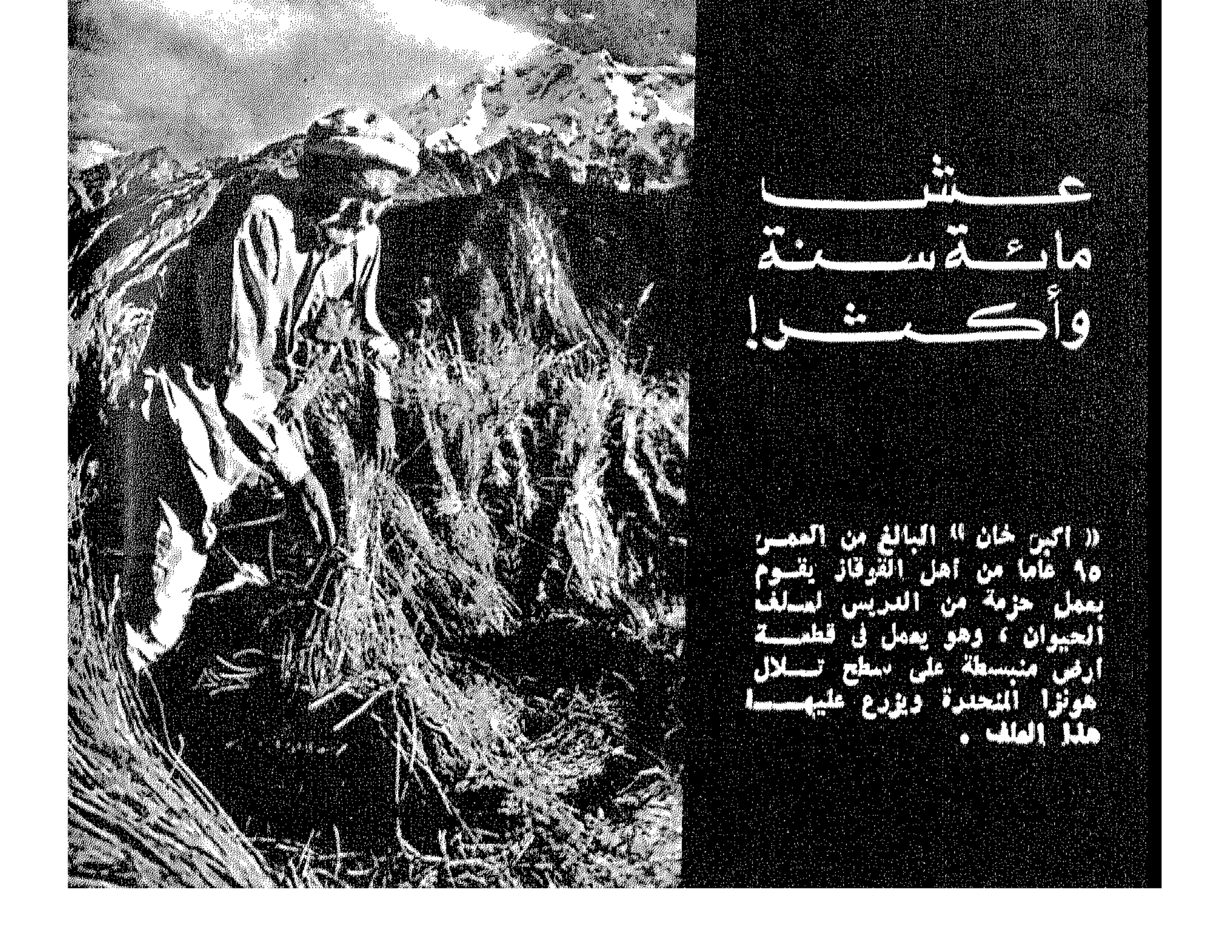


شيخ وقور من فيلكا بامبا يبلغ من العمر ١٢٣ عاما ، يدعى ميجيل كاربيو في جمهورية البيرو بامريكا اللاتينية ، يقوم الحلاق بحلاقة شعره ، وكان فيما مضى يشتغل بالصيد متجولا على سفوح جبال « الانديز » المنحدرة وقد تقاعد عن هذا العمل الشاق منذ خمسين عاما ؟ واشتغل بالزراعة ..



عيش مائة سنة وأكثر!

ترجمة : سليم الأسيوطي



عش مائة سنة وأكثر!

« اكين خان » البالغ من العمر ٩٥ عاما من أهل القوقاز يقوم بحمل حزمة من الدريس لعلف الحيوان ، وهو يعمل فى قطعة ارض منبسطة على سطح تلال هونزا المنحدرة ويزرع عليها هذا العلف .

● فى قرية « كوتول » الصغيرة من سفوح جبال القوقاز الواقعة فى جنوب جمهوريات الاتحاد السوفييتى ، تعيش سيدة مرحة مفعمة بالحيوية والنشاط تدعى « خافاف لازيوريا » ، صغيرة الجسم – فهى دون الخمسة اقدام طولا – ذات شعر ابيض ، ممتلئة بحسن الدعابة وروح الفكاهة ..

زرتها صباح يوم من ايام الربيع فوجدتها فى حديقة دارها ، محاطة بالاطفال والدجاج واستقبلتنى بتحية قلبية على طريقة اهل مقاطعة جورجيا .

تحدثت عن حياتها الحاضرة والماضية وعن اشياء تذكرها .. لقد كان لديها الكثير مما تقصه على ، لانها تتمتع بذاكرة قوية ، وقد جاوزت مائة وثلاثين عاما من عمرها ..

روت لى قصة زواجها الاول ، وهى فى سن السادسة عشرة من عمرها ، ومات زوجها فى اثناء وباء اجتاح المدينة بعد انقضاء زهاء عشرين عاما على زواجها ، وتزوجت ثانية حينما كانت تناهز الخمسين من عمرها .. لها ابن يسكن المنزل الحجرى المجاور لمسكنها وهو يبلغ الثانية والثمانين من عمره .

لقد ذكرت لى كحدث قريب العهد ، تساقط الثلج الرهيب الذى غمر المدينة فى عام ١٩١٠ ، « كان ابنى قد بلغ الحلم حينئذ، وكنت انا اناهز السبعين عاما تقريبا ، وكان عمق الثلج المتساقط يبلغ المترين ، ولقد عاونته على أن يجرفه من فوق السطح .. »

وقبيل لقائى بها ، كانت قد عادت لتوها من زيارة اقارب لها فى قرية بعيدة ، وصعدت الى الحافلة (اتوبيس) بمفردها ..

وحين تأسست المزرعة الجماعية فى البلدة منذ اربعين سنة التحقت بالعمل فيها ، ولم تتقاعد الا فى عام ١٩٧٠ ،

وفى اربعينات القرن العشرين ، حينما كانت قد جاوزت المائة عام من عمرها ، سجلت رقما قياسيا بوصفها اسرع من يقطفون أوراق الشاى من المزرعة ..

الوقت يمضى برفق ..

هناك اماكن فى العالم يقال ان الناس فيها يعيشون عمرا اطول بكثير، ويظلون اقوياء نشـطين فى شيخوختهم اكثر مما هم فى المجتمعات الحديثة .. وفى غضون العامين الماضيين انتهزت فرصة اجازة من العمل فقمت بزيارة لأشهر هذه الاقاليم ، وجميعها تقع فى مناطق نائية جبلية نسبيا .. زرت قرية اندين فيلكا بامبا فى اكوادور ، وبلاد الهونزا من سلسلة جبال كراكورم من الجـزء الواقع تحت حكم باكستان من مقاطعة كشمير ، ومدينة ابخارايا من مقاطعـة جورجيا فى جمهوريه الاتحاد السوفييتى فى الجزء الجنوبى منجمهوريات الاتحاد السـوفييتى حيث قابلت « خافاف لازيوريا » اكبر من قابلت من المعمرين الذين تجاوزوا المائة عام من العمر ..

والسؤال الآن كيف يسـتطيع المرء ان يتأكد من عمر هؤلاء الذين يزعمـون انهم معمرون بلغوا المائة من سـنى حياتهم ؟ . لا توجد وسيلة لتحـديد تاريخ انسان على قيد الحياة هناك .

من « فيلكا بامبا » فى « اكوادور » اكدت سجلات الكنيسة بعض الاعمار التى زعمها بعضهم هناك .

وبعض الاعمار الاخرى يمكن تأييدها بعدد اجيال المواليد وبشهادة الاصدقاء والاقارب الذين فى سن مشابهة .

وفى تعداد للسكان اجرى عام ١٩٧١ ظهـر ان « فيلكابامبا » وتعـدادها ثمانمائة وتسع عشرة نسمة فحسب، كان بها تسعة افراد جاوزوا المائة من العمر ...

وفى الولايات المتحـدة بالمقارنة مع هذه البلدة ، تبلغ نسـبة عدد الذين بلغوا المائة ــ ثلاثة من كل مائة الف نسمة من السكان.

ولا يوجد سجل ميـلاد « لخافاف لازيوريا » ، ولذا فاننى حينمـا بدأت اتحدث اليها ، بدأت ايضا اجراء عمليات حسابية ذهنية .. لقد ذكرت انها قد جاوزت المائة والثلاثين عاما . فبناءعلى ما قالته لى فلقدعاش ابـوها حتى بلغ المائة عام ، وعاشـت امها حتى بلغت ١٠١ أو ١٠٢ من الاعوام ، وكان لهـا سبع اخوات وثلاثة اخوة،وانها الوحيدة الباقية على قيد الحياة ، وابنهـا الذى ولد وهى فى الثانية والخمسـين من عمرها ، يبلغ الآن الثانية والثمانين من العمر ..

واقليم القوقاز يشـمل جمهوريات جورجيا ، واذربيجان ، وارمينيا ،فى الاتحاد السوفييتى ، والسـكان ينتشرون فى سواحل بحر قزوين الى القرى الجبلية التى ترتفع من ٣آلاف الى ٤ آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر .

وفى تعداد اجرى فى عام ١٩٧٠ قدر عدد المعمـرين ممن بلغـوا المائة أو تجاوزوها ، فى اقليم القوقاز بأسره ، بما يتراوح بين ٤٥٠٠ معمر الى خمسة الاف ، ومن بين هـؤلاء يعيش ١٨٤٤ معمرا فى جورجيا ، أو ما يعادل ٣٩ من كل مائة الف من السكان . و ٢٥٠٠ يعيشون فى اذربيجان أو ما يسـاوى ٦٣ من كل مائة الف نسمة .

ويزعم « شـيسرالى ميسليموف » الذى اعترف به اكبر المعمرين الاحيـاء سنا فى العالم ــ يزعم انه فى السابعة والستين بعد المائة .. وهو يعيش فى « اذربيجـان » فى قرية « بارزالو » الصغيرة على الحدود الايرانية ، وتقع هذه المنقطة من الاتحاد السوفييتى قرب الحدود ، وهى مغلقة فى وجه الغرباء ، فلا انا ولا أى شخص آخر من الغرب لى به معرفة أو علاقة من أى نوع ــ

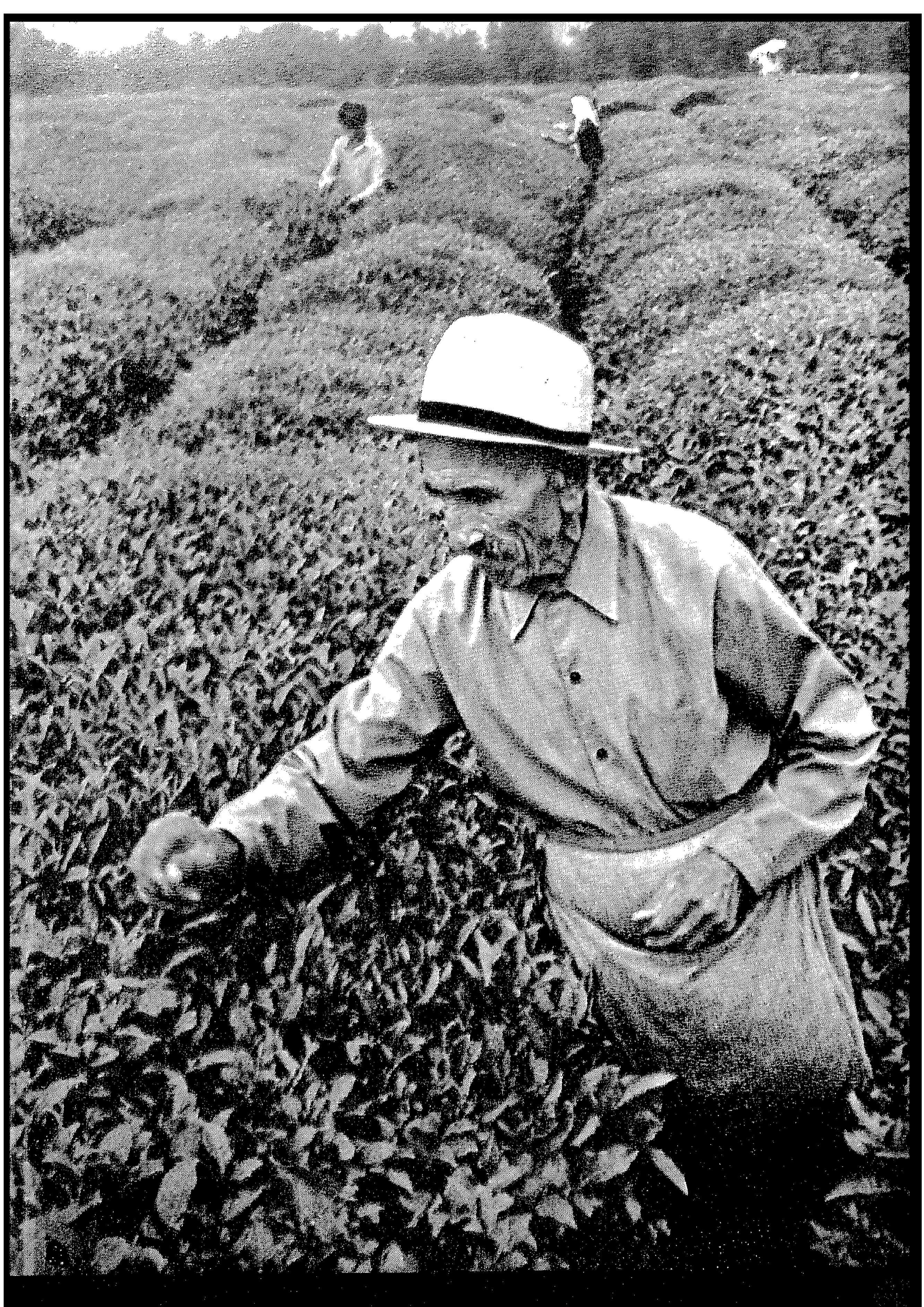


عش مائة سنة وأكثر!

الدكتور الكسندرليف رئيس الخدمات الطبية في مستشفى ولاية ماساتشوستس الامريكية يفحص معمرا قوقازيا ليتعرف على الحركات المنعكسة او اللاارادية عنده . .

●

صورة مكبرة ليدى المعمرة مكيلا كيسادا من كيتو بالاكوادور والبالغة من العمر ١٠٢ عاما ، وبهذه اليد تقوم بجمع خيوط صوف الغنم امام مسكنها في فيلكابامبا باكوادور ..



« تيخد جومبا » يجمع أوراق الشاى ، وقـد مات ابوه دوريتشى جومبا فى سن المائة وخمسة وعشرين عاما، وهو لايدخن ، ولكنه مغرم بالنبيذ



عشت مائة سنة وأكثر!

ميكيلا كيسادا تغزل الخيوط ، لقد كانت لها أخت توفيت بعد مائة وسبعة اعوام عاشتها ؟ كما ان لها ١٢ اخا عاشوا جميعـا حتى جاوزوا التسعين عاما ...

ظفر بالتصريح له بمقابلة « شيسرالى » لأن صحته الرقيقة كما يقول المسئولون هناك تمنعه من مغادرة قريتـه التى يقطن بها لمقابلة احد فى مكان آخر ..

لقد اجريت جزءا كبيرا من بحثى فى اقليم من صميم « جورجيا » يطلق عليه « ابخارايا » والناس فيه خليط ، ولقد حقق التعداد عشر مجموعات عرقية ، خاصة بالسلالات والاجناس البشرية ، من سكان يبلغ عددهم الكلى نصـف المليون نسمة تقريبا .

وكبار السن فى هذا الاقليم يوجدون فى المنـاطق الزراعية ، وكثيرون من الرجال كانوا يمارسون صيد الحيوان ورعى الماشية والاغنـام ، كما كانـوا يعملون فى فلاحة الارض ، ومستوى المعيشة فى هذه الارجاء اكثر ارتفـاعا بكثير عنه فى اقليم « فيلكا بامبا » أو « هونزا » .

ولما كانت اجسـادنا نحن البشر ، تتكون مما نأكل ونشرب ، فقد تركز اهتمامى بصفة خاصـة على العـادات الغذائية فى كل المناطق التى زرتها .

وفى عام ١٩٦٨ نشرت اكاديميـة العلوم الاهليـة فى الولايات المتحدة دراسة عن الغذاءبينمن جاوزواالخامسة والخسمين : من اجل الذكـور ٢٤٠٠ « كالورى » ـ سعر حرارى ـ تشمل ٦٥ جراما من البروتين ، وللنسـاء ، ١٧٠٠ « كالورى » بها خمسة وخمسون جراما من البروتين .

وفى الولايات المتحـدة ، فى كل الاحوال ، يكاد الجميع يستهلكون اكثر من ذلك . ولقد اذاعت ادارة الزراعة فى الولايات المتحدة الامريكية بيـانا ادرجت فيه ان متوسط ما يتناوله الفرد يوميا هناك من جميع الاعمـار يبلغ ٢٤٠٠ « كالورى » أو سعر حرارى ، بها مائة جرام من البروتين ، ١٥٧ جراما من الـدهن و ٣٨٠ جـراما من الكربوهيدرات « مادة مؤلفـة من كربون وهيدروجـين وأكسـجين كالسكر » .

الغذاء القليل يطيل الحياة

وعلى النقيض مما ذكر ، فقد وجدت

ان الغذاء فى « فيلكا بامبا » و«هونزا» متشابه شبها مذهلا ، واقل بكثير مما اوصت به الولايات المتحدة ..

ان عدم وجود المراعى يجعل تربية الحيوان تكاد تكون مستحيلة ،والمواشى « **الابقار والاغنام وما اليها » القليلة الموجودة ، غالبا ماتذبح من اجل الطعام فى اثناء موسم الاعيـــاد والمهرجانات والمواسم فى الشتاء ولذا تندر الدهون التى تؤخذ من اصل حيوانى، ويستعيض الاهالى عنها بالزيت الذى يستخرج من بذور الكمثرى وهو يســتعمل لجميع اغراض الطهو .**

وجد الدكتور « جوبلير موفيلا » من «كيوتو» ان الاستهلاك من عدد السعرات الحـرارية بين المســنين من اهالى « فيلكا بامبا » منخفض الى درجة مذهلة فان متوسط مقادير الغـذاء اليـومى يعطى ١٢٠٠ كالورى ، وكمية البروتين من هـذا الزاد كانت تتراوح ما بين ٣٥ و ٣٨ جراما ، والدهن مـا بـين اثنى عشر جراما فقط وتسعة عشر جراما وما بـين مائتى جرام ومائتين وستين جراما من الكربوهيدرات تكمل الغـذاء المتكامل .

ان البروتين والدهن ، وللمرة الثانية كانا الى حد كبير من مصـادر نباتية ، واما البروتين الحيوانى فكان ما يقرب من ١٢ جراما بالزيادة والنقصان يوميا وانه لمن نافلة القول ان نذكر أن المرء لا يقع بصره على اشخاص مفرطين فى البـدانة بين كبار السـن لا فى « فيلكابامبا » ولا فى « هونزا » كما انه لم تكن هناك حالات سوء تغذية .

ويجدر بنا ان نذكر ان الرأى الطبى السائد يقول بأن الغذاء من مثـل ذلك الذى وضعت مواصفاته فى « هونزا » و« فيلكا بامبا» من شأنه أن يعوق مرض تصلب الشرايين ، وهو الناتج من ترسب الدهون على الجدران الداخليـة للأوردة وأسفلها، والذى يؤدى بدوره الى تلف اوردة القلب وفسادها .

يتقضون الاسطورة

انه لمن الاهمية بمكـان ، لتوافر الصحة وطول العمر ، ان يحتوى طعامنا على نسبة منخفضة من الدهن الحيوانى ونسبة منخفضة من الكولوسترول ـ غذاء به نسبة منخفضة من السـعرات الحرارية ... وفى القوقـاز ، درس الدكتور « بيستر خيلايورى » وزميله الدكتور « ديلى دنرهوربندزى »المعادات الغذائية لالف شخص ممن تجـاوزوا الثمانين من العمر ، ويضم هذا العدد ما يربو على مائة شخص من المعمرين الذين بلغوا المائة .. ان المســنين يســتهلكون قدرا يتراوح بين ١٧٠٠ كالورى ، و ١٩٠٠ كالورى ، يوميا ، وهـذا يعتبر الى حـد كبير أكثر مما يستهلكه معظم المتقدمين فى السن من مثل هؤلاء الاشخاص .

كان ستون فى المائة يتناولون غذاء متنوعا من اللبن والخضروات والفاكهة وكانت ٧٪ من السعرات الحرارية من مصدر نباتى ، والباقى من اللحـوم ومنتجات الالبان .

كان الغذاء يحتوى على قدر يتراوح بين ٧٠ جـرامـا و٩٠ جـرامـا من البروتين وكان اللبن مصدرا رئيسيا للبروتين ، واللبن الحامض والجبن كانا يستعملان على نحو واسع فى جميع الوجبات على مدار فصول السنة ،وان جبن « جورجيا » يحتـوى على نسب منخفضة من الدهن الى درجـة جعلت ان ما يأخذه الفرد منه فى اليـوم لا يتجاوز اربعين أو ستين جراما .

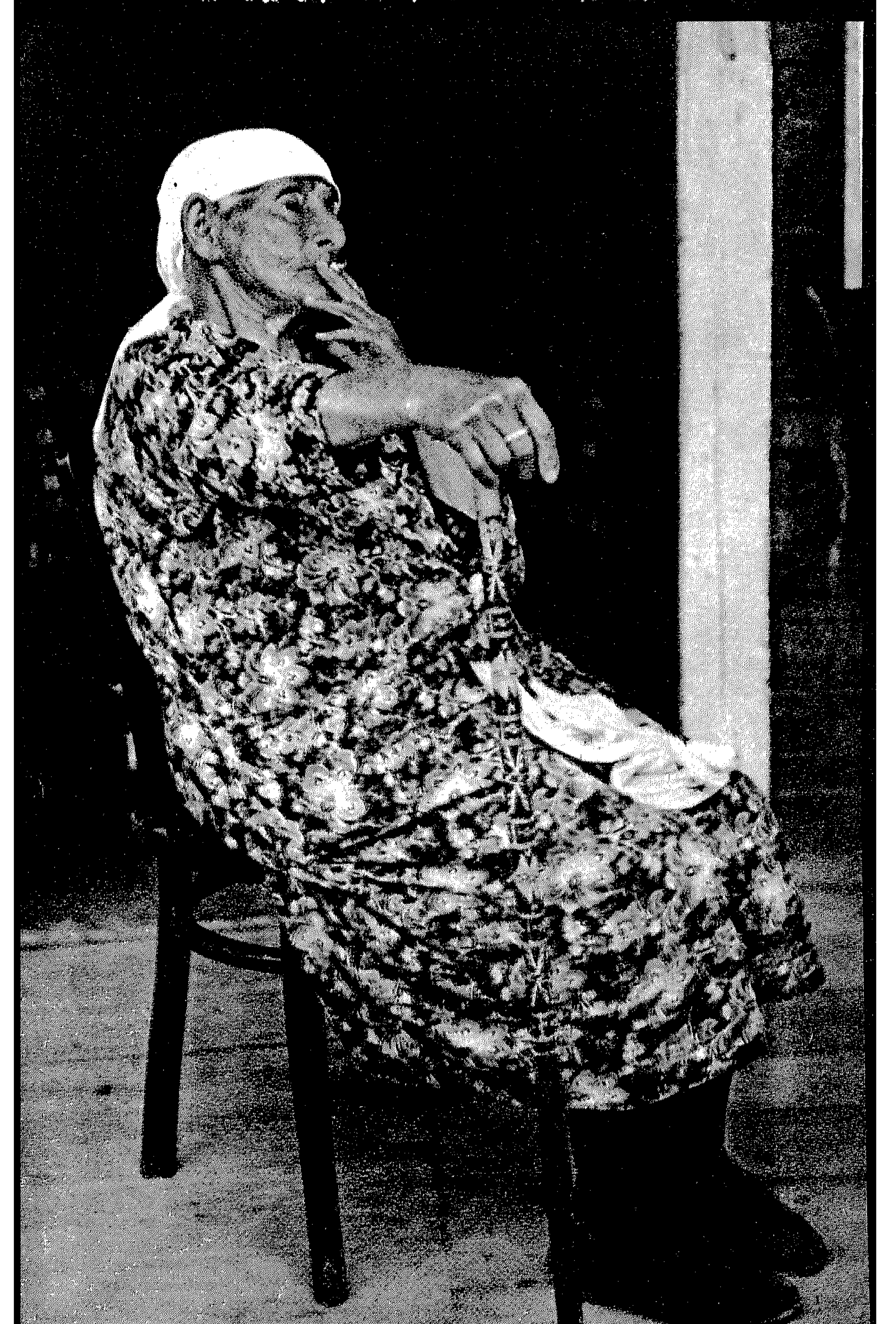
والخبز هـو المصدر الاكبر لتزويد المستهلك بالكربوهيدرات ... وفى جورجيا الوسطى تخبز ارغفة رائعـة مسطحة ومدببة الاطراف يبلغ طـول الرغيف منها قدمين ، ويطوى الى أعلى من احد طرفيه .. وهو يخبز فى افران خارجية ويكدس بعضه فوق بعض وهو ما زال طازجا دافئا على المائدة ..

وفى الجنوب رأينا ايضـا ما يطلق عليه « ابيوستا » وهى فطائر مصنوعة من دقيق الذرة المغلى فى الماء « عصيدة » خالية من النكهة ، وبعد ان تغمس فى مجموعة مختلفة من الصلصـة المتبلة بالفلفل الاحمر الحريف ، يتنـاولها الطاعمون باصابعهم ..

ويتكون طعام الافطار غالبا من الجبن

عش مائة سنة وأكثر!

خافاف لازيوريا التي جاوزت المائة والثلاثين عاما من العمر ، تشاهد الدنيا من شرفة بيتها في احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي التي تتمتع بالحكم الذاتي .. لقد تقاعدت من عملها في جمع اوراق الشاي منذ عامين ، ومازالت تمارس نشاطها هنا وهناك حول منزلها ، وتشرب قليلا من الفودكا قبل طعام الافطار وتدخن علبة سجاير يوميا ..





ماجول سور منيلياتى البالغ من العمر مائة وثمانية أعوام من بلاد الابخاذ فى التركستان ، مازال يذكر أيامه فى المراعى حينما كانت الموسيقى سلواه الوحيدة ، وهو يعيش الان مع ابنته ويمارس رياضة المشى يوميا ، لكنه يشكو من أن أبناءه لا يسمحون له بممارسة أى عمل .. قال للدكتور ليبيف : لم يكن لى عدو قط طوال حياتى ولم اقرا كتبا وليست عندى اية متاعب ....



عشت مائة سنة وأكثر!

الراقص المبجل ((كابول حياة)) البالغ من العمر ٩٩ عاما ، يرقص على نغمات آلة موسيقية من الغاب بمناسبة زفاف ولى العهد وهو من بلاد الهونزا فى القوقاز

والخبز والشاى ، وفي بعض الاحيان عسل النحل ، اما الشراب المعتاد فهو اللبن الحامض مضافا اليه الماء البارد .

وفى بيت كل اسرة كرمة من العنب لتعصر منه نبيذها الخاص بها ، وهو نبيذ خال من الكحول تماما ، ويشرب طازجا ، والمسنون يتناولون ما بين كوبين وثلاثة يوميا في اثناء وجباتهم .

وخلال زيارتى لبعض من بلغوا المائة من العمر فى بيوتهم ، دعونى الى الاقامة بينهم لتناول الطعام والشراب . وفى دقائق معدودات كانت النساء من اهل المنزل قد اعددن مائدة حافلة بالوان الطعام ، اختفت تحت ماتحمله من الخبز ، والخيار ، والبصل ، والطماطم والثوم ، والجبن ، والدجاج المقلى والمسلوق ، والمرق والتوابل ، ولحم الضأن المسلوق ، ولحم الماعز ، ولحم البقر . كما حوت الفاكهة الطازجة ، ومن حين الى آخر كانت الفطائر او طبق كبير مسطح من حلويات الشيكولاته تكمل المشهد .

ان من الثابت المقرر فى تجارب الحيوان ان نسبة الكولوسترول المنخفضة فى الطعام فى باكورة حياة الانسان ، تساعد على امتداد فترة عمره ، ومن ثم فان العادات الغذائية منذ الحياة الباكرة قد تكون وثيقة الصلة بطول العمر ، شانها شان ممارسة الاعتدال فى النساء سنى الكهولة والشيخوخة ..

كانت اجسام الناس من ((فيلكا بامبا)) و ((هونزا)) نحيلة جدا بوجه عام ، ولكن فى ((جورجيا)) كنا نرى بين الفينة والفينة شخصا بلغ المائة وقد جاوز وزنه المطلوب او المالوف ، وهذه ظاهرة لم اكن اتصورها ممكنة ومحتملة ان السيدة ((سونيا كفيدنريتيا)) من بلدة عطرا تزن مائة وسبعة كيلو جرامات ومفرطة فى البدانة وحينما سالتها منذ متى كانت على هذه البدانة ضحكت وقالت : ((لقد اصبحت بدينة عندما توقفت عن انجاب الاطفال ... انى منذ ستين عاما وانا بدينة مثل برميل .. واطفالى جميعا مثلى ، وكانت امى اضخم واقوى منى !)) .

ولقد علمت ان امها ماتت منذ عهد قريب - وانها كانت اكبر سنا من الناس جميعا فى هذا الاقليم عند موتها .

هذه طبعا من الحالات الشاذة ولكنها على الرغم من ذلك مذهلة للطبيب الذى

تعلم ان البدانة كارثة صحية يمكن التخفيف من خطورتها .

النشاط : حيوية وصحة

ان المسنين الذين ينتمون الى الثقافات الثلاث سواء كانوا من اصحاب الاجسام النحيلة أو الثقيلة يشاركون فى ممارسة نشاط بدنى موفور ، فان **الفلاحة التقليدية والاعمال المنزلية** تتطلب عملا شاقا ، والرجال والنساء ، كلاهما منذ الطفولة المبكرة حتى آخر **أيامهم يقومون بهذه الاعمال** . ويضاف الى الاعمال المألوفة التى تشملها الزراعة **الجهود التى تتطلبها الاراضى الجبلية**.

ان مجرد عبور التلال على الاقدام اثناء مزاولة الوان النشاط اليومية المختلفة ، يضمن تحقيق درجة عالية من لياقة اوعية القلب الدموية ، كما يقوى الصحة العضلية العامة .

ان الدكتور « داود كاكيا شيقيالى » وهو طبيب لامراض القلب من مقاطعة « **جورجيا** » — وقد ظل يدرس علم الشيخوخة على امتداد اثنتى عشرة سنة متصلة — مقتنع بأن التدريب الجسمانى عامل فعال فى اطالة عمر الانسان ، لقد فحص قلوب ورئات هؤلاء المسنين مستعملا تقنية البحث الحديث ، وقد توصل الى اكتشاف انهم مصابون بجميع امراض اوعية القلب الدموية .

وقد تساءل : لماذا الناس فى هذه القرية الجبلية الصغيرة ، يحتملون الاصابات بنوبات قلبية بسبب الانسداد فى عضلة القلب ، وهم فى حالة افضل بكثير من مواطنيهم فى المدن ؟ .

ولما لم يجد استجابة منى ، استمر يسأل : ان النشاط البدنى الدائم الذى يستلزمه عملهم يحسن وظيفة القلب والرئتين الى درجة كبيرة فان كمية الاكسوجين — التى تصل الى عضلة القلب تكون أكبر قدرا من مثيلتها فى سكان المدينة ومن ثم فان من الواضح ان كبار السن الذين كانوا يصابون بنوبات قلبية كانوا يتكتمون ما اصابهم ... ان الضحايا لم تكن تشعر بما اصابها ..

ان اهمية النشاط البدنى أو نقص هذا النشاط فيما يتعلق بحدوث حالات الانسداد فى احد اوعية القلب الدموية كان موضع شك لفترة طويلة من دوائر المهن الطبية ..

وقد أكدت هذا الشك دراسة كلاسيكية قام بها المختصون بين العاملين فى مصلحة البريد البريطانية ومن هذه الدراسة تبين ان هؤلاء الذين يمارسون اعمالهم فى المكاتب كانوا يعانون نسبة اعلى من حدوث الاصابات أو الوفيات بسبب النوبات القلبية اكثر من زملائهم الذين يكثرون من الحركة ويمارسون النشاط البدنى ، فى نوبات توزيع الخطابات .

وفى غضون الايام القليلة التى امضيتها فى قرية « انجامزيا » سمعت ان رجلا عجوزا من قرية « خوبى » كان كمألوف عادته يقضى شهور الصيف بقطيعه من الماعز فى مراعى الالب الشاهقة على ارتفاع من سطح البحر يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف قدم ، ولما كنت قد اخبرت انه تجاوز المائة عام من العمر ، قر عزمى على زيارته هناك ، ولأحصل على معلومات مباشرة ، مستقاة من مصدرها الاول والاصيل عن الجهد الجسمانى الذى تنطوى عليه ألوان نشاطه اليومى .

وفى الفجر انطلقت مع ثلاثة من المرافقين للقيام بتلك النزهة الطويلة التى تستغرق ست ساعات سيرا على الاقدام صعودا لأعلى الجبل ..

كان الطريق موحلا زلقا شديد الانحدار بحيث كنا فى بعض الاوقات نضطر الى تسلق الطريق اكثر مما نسير فيه .. ونكص اثنان من الجماعة وعادا ادراجهما هابطين التل .

ومرت بى لحظات كنت اشعر فيها انى سأتبعهما ، ولكن فى النهاية وعند الساعة الواحدة تقريبا ، خرجنا من الغابات والاحراش ، الى منحدر مرتفع معشوشب ، ووجدنا « كوستا كاشبح » الذى يقول انه يبلغ من العمر مائة وستة اعوام ..

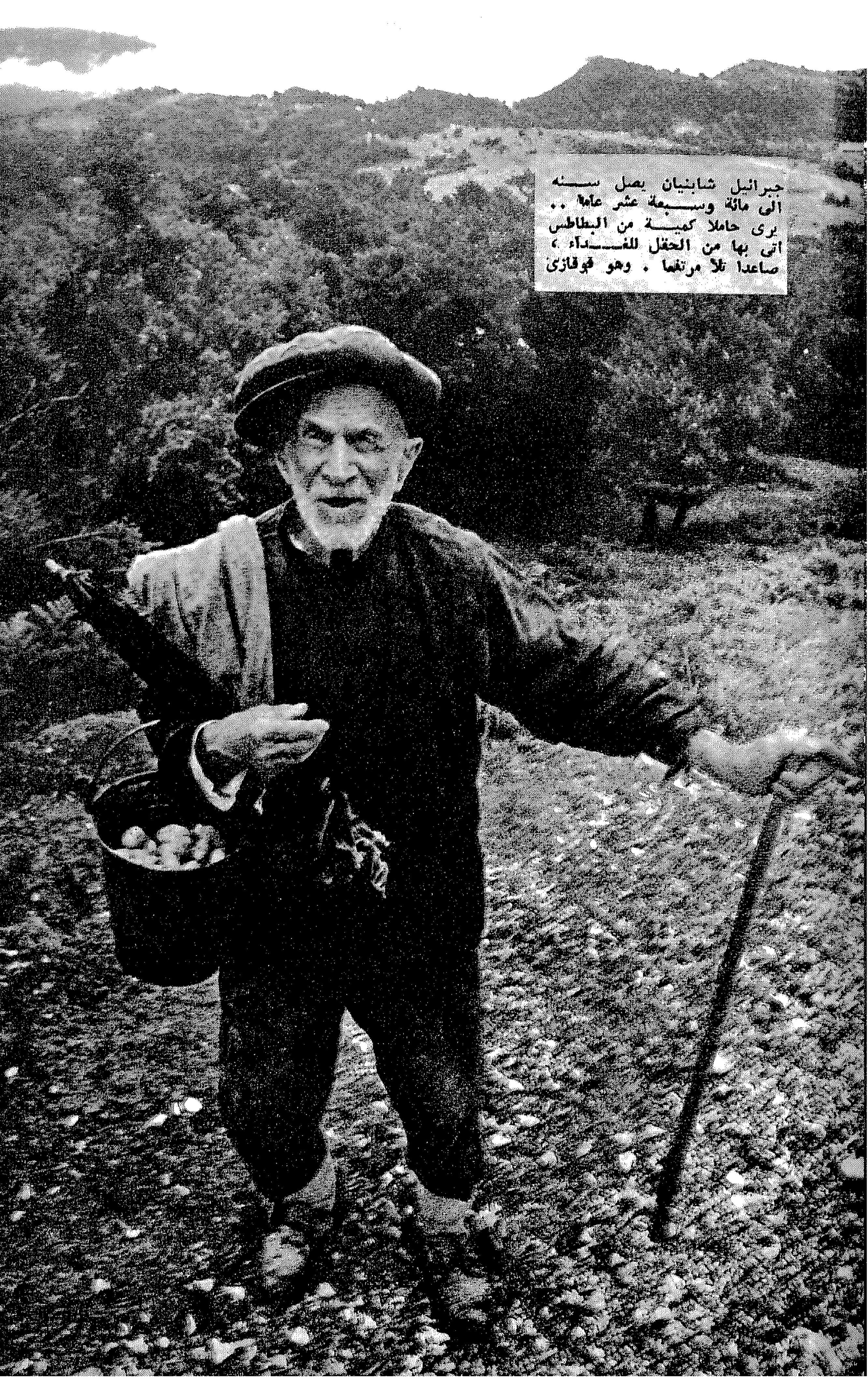
كان يعيش مع رجلين وصبى يؤنسون وحدته فى كوخ منحدر السطح مبنى من شجيرات الخشب ، سقفه لوح من

عش مائة سنة وأكثر!

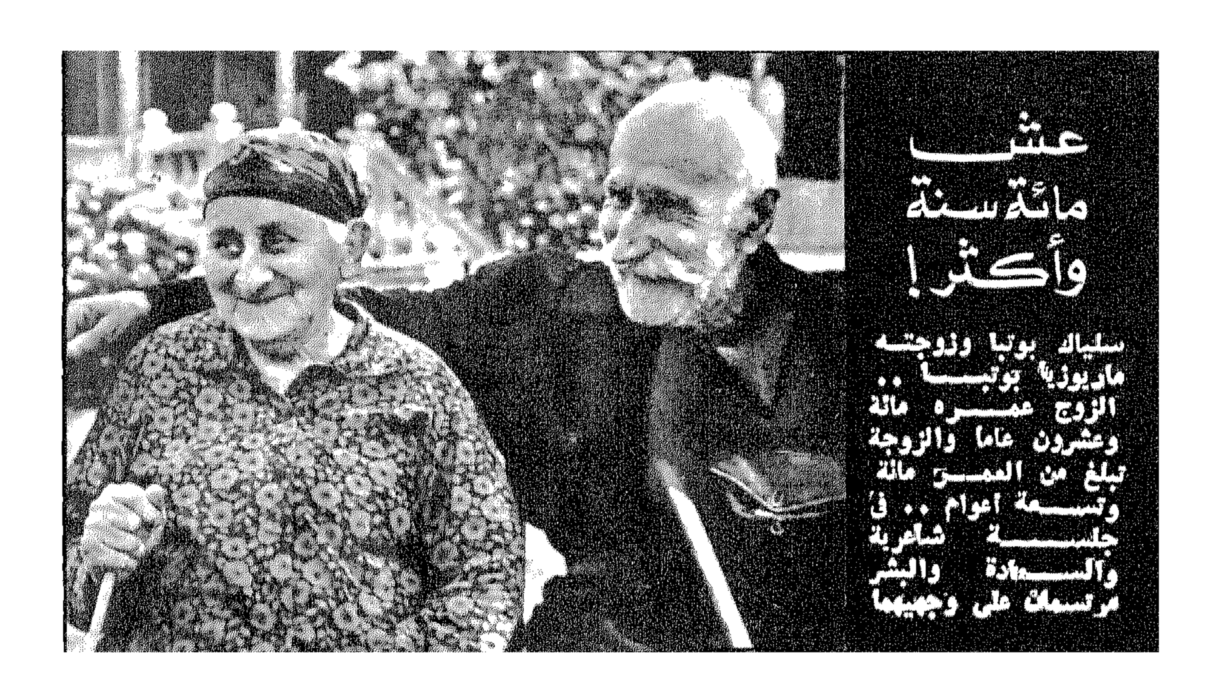
عادة الاستحمام اليومى فى النهر هى السبيل لاطالة الحياة . هذا هو ما يعتقده مارختي وهو من اهل القوقاز الذى درج على هــذا صيفا وشتاء . يوميا على امتــداد المــائة والاربعه اعوام التى عاشها حتى الان ، وهــو يصعد ميلاً للوصول الى النهر ثم يعــود فيهبط ميلا آخر ليعــود الى البيت ..

خوسيه ماريا روى ، البالغ من العمر ٧٨ عاما يخوض فى الرواسب الطينيــة التى يصنع منها الطوب النىء .. ان العمل المتواصل على امتداد اربعــين عاما قد شوه قدميه ، ولكنه زاد قدرة قلبه على تزويد جسمه بالاكســجين





جبرائيل شابنيان يصل سنه الى مائة وسبعة عشر عاما .. يرى حاملا كمية من البطاطس اتى بها من الحقل للغداء ، صاعدا تلا مرتفعا . وهو قوقازى



سلياك بوتبا وزوجته ماديوزيا بوتبيا .. الزوج عمره مائة وعشرون عاما والزوجة تبلغ من العمر مائة وتسعة اعوام .. فى جلسة شاعرية والسعادة والبشر مرتسمان على وجهيهما

البلاستيك ، وعلى ارضه غطاء من جلود الماعز .. وكان المطبخ الموجود خارجه يحتوى على مرجل يتدلى من قائم فوق نار مكشوفة فى العراء وعلى هذا المرجل كانوا يطهون طعامهم الذى يطلق عليه اسم « الابيوستا » ويمزجونه بالتحريك بملعقة خشبية كبيرة ، ويأكلونه متبلا بالفلفل الاحمر الموضوع على لوح من الخشب وكان طعامهم يحتوى على الجبن ايضا وهم يصنعونه بأنفسهم ، بالاضافة الى لبن الماعز الحامض .

ولما كان احد الذين التقيت بهم على الطريق ونحن نصعد الجبل ، لا يزاول عملا ما ، فقد تقدم للقيام بمهمة المترجم لنا وكان استجواب « كوستا » متعذرا ولكن فى ظنى انه كان يبلغ التسعين من العمر فحسب ، وليس الستة بعد المائة ! .. وسواء كان هذا الرقم أو ذاك هو الصواب ، فان قدرته على قضاء اربعة شهور فى كل عام فى الصعود الى اعلى الجبل والهبوط الى السفح من الفجر حتى غسق المساء سعيا وراء قطيعه من الماعز السريع الحركة — قد بدا لى امرا غير مصدق بما فيه الكفاية!

العلم والعوامل الوراثية

ان الغالبية العظمى من الدارسين لطول العمر مقتنعون بأهمية العوامل الوراثية ، فقد لوحظ منذ زمن طويل ان الافراد الذين تقدمت بهم السن كثيرا جدا كانوا سلالة آباء بلغوا من العمر ارذله وقد وضح هذا حينما تحدثت الى المعمرين ممن بلغوا المائة ، وكانت غالبيتهم تقريبا تحتفظ بأحد الوالدين على الاقل على قيد الحياة ، او بأخ او اخت ممن جاوزوا المائة عام .

لا يوجد عامل وراثى معروف وراء طول العمر ، وهناك فقط انعدام العوامل الوراثية الفاسدة تلك التى تزيد من خطورة الامراض المميتة ، وعلى هذا فانه فى مجتمع صغير بين افراده ارتباطات متبادلة يؤثر بعضها فى بعض من مثل مجتمع قرية « فياكا بامبا » ، بدا محتملا ان فئة قليلة ممن تنقصهم مثل هذه العوامل الوراثية قد يكونون اسلاف جيب منعزل ممن بلغوا سن المائة ، وان البيئة الجبلية هى التى ابقت على هذه السلالة خالصة نقية ، ومنعت العوامل الوراثية الفاسدة من الدخول .

ولكن فى « هونزا » يزداد عدد السكان الذين يتعامل معهم الباحث وتتسع المساحة التى يعيشون عليها نكرر القول ان الانعزال كان بالغا اقصاه وعلى الرغم من ان دولة « ناجير » تقع

بجوار «هونزا» مباشرة فلا يوجد تبادل زواج فعلا بين الشعبين .

ان دراسة دقيقة لصحة الناس وطول أعمارهم فى « ناجير » ومقارنتها بمثيلتها فى (هونزا) سوف تكون ذات قيمة عظيمة لا تقدر ، ومادامت المؤثرات البيئية يبدو انها تكاد تكون متماثلة تقريبا ، فان اية فروق ذات

شان وخطر يمكن نسبتها بكل اطمئنان الى العوامل الوراثية ، ولسوء الحظ انه لم يتوافر الى الوقت ولا التسهيلات ولا التصريح لان ادير مثل هذه الدراسات فى « ناجير » ، فلقد قيل

لى مرارا وتكرارا فى « هونزا » ان الناس فى « ناجير » لم تكن أعمارهم تطول بمثل ما تطول به هناك بين سكان « هونزا »» .

الاهتمام بالجنس الاخر

وعلى كل حال ففى منطقة القوقاز تستبعد فورا اية فكرة عن السلالة النقية . فالحقيقة اننا نرى الذين بلغوا المائة من العمر ينحدرون من مجموعات عرقية مختلفة ، فقد رأيت ناسا من أهل « جورجيا » و « اذربيجان » . و« روسيا » و « أرمينيا » وكلهم جاوزوا المائة ، وعلى الرغم من تعدد الأسلاف ، فقد وجدت ان غالبية المسنين قد ولدوا من آباء عمروا طويلا .

ان الاهتمام النشيط بالجنس الآخر ، يعتبر بين الناس جميعا كشرط ضرورى للحيوية والقوة والنشاط ، فعلى الرغم من ان النساء قد تشيخ وتتوقف عن اداء وظيفتها عند بلوغ سن اليأس ، وعادة ما يكون فى الاربعينات المتاخرة أو الخمسينات الباكرة فان ذلك لا يؤثر الا قليلا على الرغبة الجنسية ، وفى الرجال ايضا يرتبط التقدم فى السن بنقص تدريجى فى عدد الخلايا فى الأجهزة التناسلية .

ومع ذلك فان القدرة الجنسية فى الذكور قد تستمر حتى سن الشيخوخة المتقدمة ، ففى الولايات المتحدة يقرر « هيرمات بروثمان » من ادارة الصحة والتربية والرعاية ان كل عام فى امريكا تعقد زيجات تتجاوز ٣٥ الف زيجة بين اشخاص تجاوزوا الرابعة والستين ، كما يقرر أن الجنس شأنه شأن الرغبة فى العشرة ، والاقتصاد كان من الاسباب وراء هذه الزيجات .

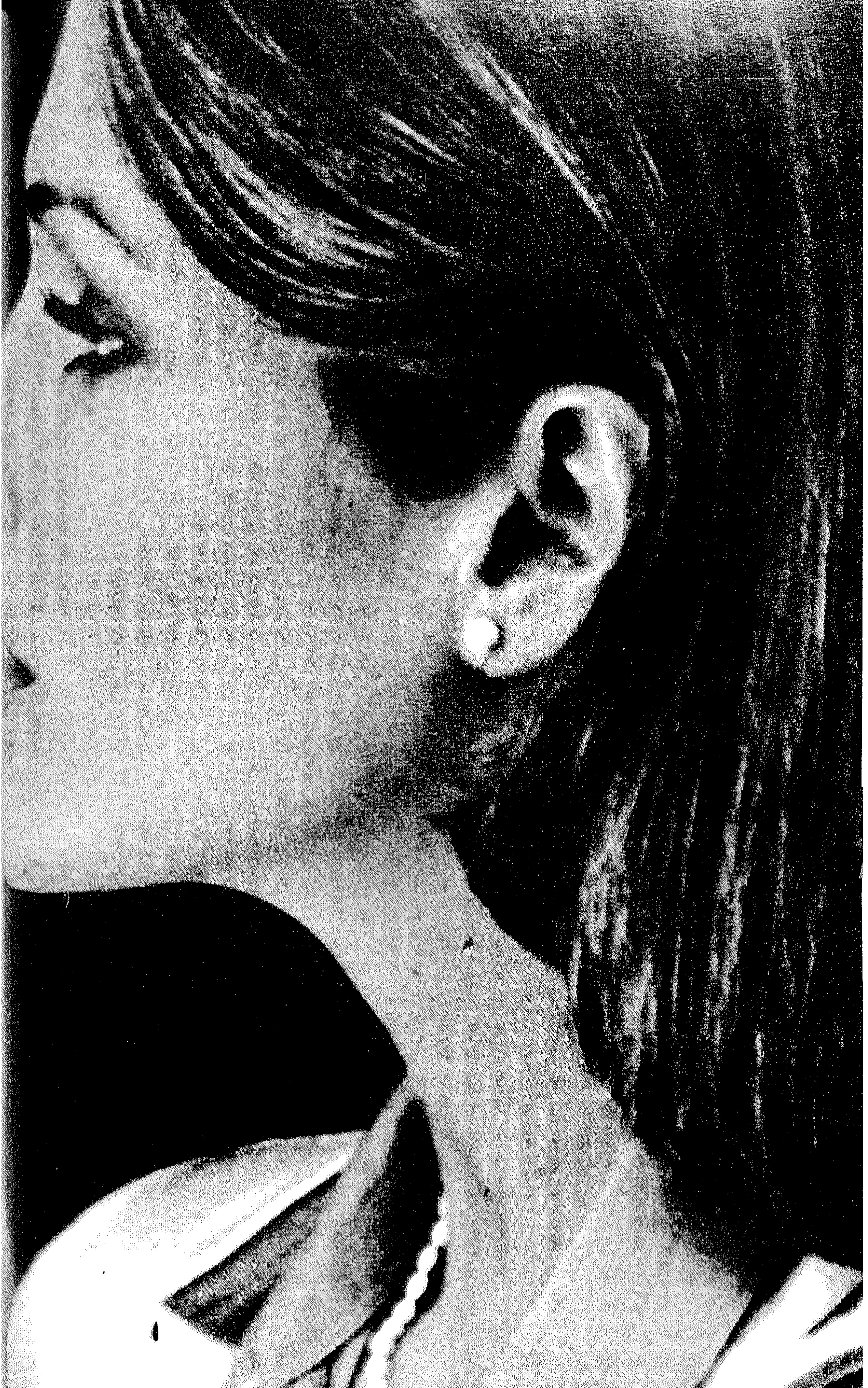
ان المواطن « ميجويل كاريبو » البالغ من العمر ١٢٣ سنة وهو اكبر مواطن عمرا من « فيلكابامبا » ، يدخن ويشرب الخمر ، وتقول ابنته انه مازال يميل الى مغازلة الجنس اللطيف ، وتقول ايضا : انه كان معبود النساء فى شبابه ..وهو يقول : « الآن لا استطيع رؤيتهن جيدا عن بعد ، ولكن بشعورى استطيع القول ما اذا كن نساء املا .» ثم يضحك وهو سعيد لرد فعل تصريحاته على مستمعيه ! ..

وفى القوقاز سألت الشيوخ والعجائز عن السن التى يعتقدون أن الشباب يمتد اليها ؟

و « جبرائيل تشاينيان » من قرية (جاريشى) البالغ من العمر مائة وسبعة عشر عاما ، اعطى عن هذا السؤال اجابة نموذجية : أن الشباب عادة يمتد حتى سن الثمانين ...لقد كنت لا أزال شابا فى هذه السن ، وكان أصغر عمر ذكر لى هو الستين !

وجامع البروفسور «بينتزخالايودى» بعض ارقام توضح العلاقة بين الحال الزوجية وطول العمر فتبين من الدراسات التى اجراها على خمسة عشر الف شخص قد جاوزوا الثمانين من العمر ، باستثناء حالات شاذة قليلة ، ان المتزوجين يبلغون اقصى العمر ، وان كثيرا من الازواج الطاعنين فى السن كانوا قد تزوجوا منذ سبعين وثمانين وحتى منذ مائة عام .. وخلص فى النهاية الى ان الزواج والحياة الجنسية المنتظمة الممتدة طويلا هى عوامل هامة كل الاهمية فى طول العمر ...

« نقلا عن الانجليزية »





في مثل هذه الجميلة قالوا

● شعرها .. ●

آه من شعرها في دُجَــاهُ
ضَلَّ قلبي في عاصفات هَواه ..
شعرُها المرسل البديعُ دعَاني
أعشَقُ الهولَ رغبة في رِضاهُ !
تُرسل الشّعرَ خلفها رامزا لي :
إنَّ ليْل الجفا بعيد مــداهُ ! ..
شعرُها لجَّة سأغــرقُ فيهـــا
علَّ قلبي يذوق فيهـــا ردَاهُ !

علي دمر

● وجه أحببته .. ●

رأيتُ الغاب في عَينيك طفــلا ،
يهدهدُهُ على يَدِه النّهــــار

في مثل هذه الجميلة قالوا

وخلفهما تراءت من بعيد
سفوح زانها ثلج ونارُ
وبينهما شراع من حرير
يدافعه نسيم مستثارُ
وشطآن وأبحر من نبيذ
وأقداح حواليها تدارُ
رأيتُ اللهَ في عينيكِ حتى
كأنهما لحسنِ الكون دارُ

قاسم حرب ــ سوريا

● اوار ! ●

اسمعي ما تقولُ فيك القوافي :
أنت سر الحياة في مقلتيَّا !
لاتخافي في الحب شقوة شوق
دوحة الوصل لا تظل شقيًا
أو تظني نار الهوى في ضلوعي
سوفَ تخبو شيئا .. فشيئا فشيئا
أو تضني بقبلة من جمار
لا أبالي إن أحرقت شفتيا
من شفاه حمر ، كجمر ، كخمر
تبعثُ القلبَ بعد ماماتَ حيًا !
فابذليها فداكِ نفسي ومالي
.. وشبابي ، وكلُّ غالٍ لديَّا !
واطفئي مايؤج بينَ ضلوعي
من أوار يشوي فؤادي شيًا !

شهاب غانم
دبي
الامارات العربية المتحدة

● ليلاى ●

كالزَّهْرِ داعَبَه النَّدى كالصوت جاوبه الصدى
كالطَّير يخفق بالجناح على الغصونِ مغرِّدا
حبِّى تألَّقَ وازدهى حتىَّ غـدا متَفـردا
حتَّى أثارَ الانسَ ثم الجن .. حتى الجَلمدا
ياكمْ ترعْرعَ فى فـؤادى بالودادِ تصـعَّدا
ونما كما تنمو البراعِمُ كلَّما نزلَ النَّـدى
صـورت حبَّكِ للانام من البيانِ قـلائدا
فتدَفَّقى بالحبِّ سَلسالا طَروبا سـيِّدا
وإذا التَقَيْنـا مـرَّة قولى : بلغتَ المقْصدا

محمد عمر الطوانسى

● الفتنة والحكمة !.. ●

قالوا عشقتَ فقلت كم من فِتنة
لم تُغن فيهـا حِكمة الحـكماء
إن الذى خَلَقَ الملاحة لم يشـأ
إلا شقائى فى الهوى وبَـلائى

د . زكي مبارك

● انت التى ●

أنتِ الّتى أغْرقتنى فغرقتُ ... فى بَحْر الحَنـان
أقضى الزمان أصارعُ الأمواجَ مجـروح الجنانْ
يمضى بىَ المجدافُ ، لكنْ لا أرى برَّ الأمـان
ويرن فى سَمْعى النـداء وفـوقَ عينى دمعتان !

***

دنيايَ أنتِ وليسَ يبْدو غيرُ وجهكِ لِى صَـباحْ
ما أطيبَ الكأس الذى من طيب وصْلك لى يُتـاح
كم باتَ ليْلى تحتَ فرعـكِ لا يَهب له جَنـاحْ
تغفو على طيَّـاته ، أسرابُ أحلامى الوضَّـاح !

احمد عبد الحفيظ سلام

زورق السلام

محمد محمود زيتون

بجناحك يا زورقي زاهـــد
وليس له رغبة في متخـــال
فلا شوق يحدو به للعـــلا
ولا نقص يحفـــزه للكمال

●

يداعبك الموج في كل حـــين
صباحا .. مساء .. شتاء وصيفا
وبينكما الود ألقى عصـــاه
فشاءت إليه مضيفا وضيفا

●

رضيت بما ترتضيـــه البحار
على مالها من خيال طموح
وحسبك ما شئت من نغمـــة
تفض العذاب ، وتأسو الجروح

●

ويا زورقي .. إن رفعت الشراع
وهب النسيم على صفحتيـــك
صحا الجدول العذب من نومـــه
وجاوبه الحسن في شـــاطئيك

●

لقد كنت من قبل أشدو السحاب
وأهوى النجوم .. وأرعى القمر
فعلمتنى الزهد .. في كل حـــال
وأخجل إن قيـــل : يا منتصر

●

وكانت دموع الأسى .. كلمـــا
بكيت .. تلقيت لوم السمـــاء
ولمـــا صحبتك .. يا زورقى
أخذت على الصبر والكبرياء

●

ستبقى كما أنت .. طفلا وديعـــا
ولست أرى فيـــك إلا الربيعا
أمنت .. فلا حسد أو هـــوى
فكن حيث كنت الحيـــاة جميعا

محمود حسن اسماعيل

كتاب : عبد العزيز الدسوقي

عرض وتعليق د. صلاح عدس

صدر هـذا الكتاب ضمن سلسلة « كتابك » التي تنشرها دار المعارف وهي سلسلة ثقافية ممتازة تقدم في ايجاز وتلخيص دراسات وأبحاث قيمة ، وتعد بمثابة رغيف خبز ثقافي ، وذلك على حد تعبير الأستاذ ابراهيم زكي خورشيد الذي يشرف عليها والذي كان له من قبل خدمات ثقافية جليلة ...

وكتاب الدكتور عبد العزيز الدسوقي الذي نعرضه اليوم من أحسن الكتب التي صدرت في هذه السلسلة ، وهو دراسة تطبيقية في النقد الأدبي تتميز بما تتميز به كتابات الدكتور الدسوقي عامة من عمق وأصالة ، فقد سبق أن استمتعنا بقراءة كتابه عن النقد الأدبي في مصر ، الذي يعد موسوعة قيمة في هذا المجال .. وكذلك كتابه عن جماعة ابوللو الذي يعتبر احسن دراسة كتبت في هذا الموضوع .

يقول المؤلف في بداية كتابه هذا أن محمود حسن اسماعيل كان من رواد مدرسة أبوللو ومن أصحاب الشعر الوجداني ، ويقسم لنا مراحل انتاجه الغزير الى ثلاث مراحل ، هي :

أولا فترة التدفق الفني ..

وثانيا فترة التريث الفني ...

وثالثا فترة البعث الشعري ...

ويقول أن الفترة الاولى يغلب فيها الطابع الرومانسي .. وان الفترة الثانية تتميز بالضياع الفني ... وان الفترة الثالثة تتميز بالاكتمال الفني والتجديد في الشكل الشعري ...

والذي نلاحظه في هذه الدراسة الجادة هو ما تعكسه من ثقافة عالية للمؤلف وقدرته على التحليل والنقد . وما احوجنا الى مثل هذه الدراسات التطبيقية التي تثري حياتنا الأدبية بعد ان اجدب حقل النقد في السنوات الاخيرة .

ولكننا نلاحظ أيضا تعاطفا شديدا من جانب المؤلف مع الشاعر الراحل ، ولكن لنا ملاحظة بسيطة وهي ان محمود حسن اسماعيل وان يكن في شعره ملامح رومانسية الا انه ايضا كان متأثرا بالكلاسيكية من حيث طريقة التناول الشعري لموضوعاته ، ومن حيث الصياغة اللفظية ومن حيث الموسيقى الشعرية .

أما من حيث الموسيقى الشعرية فنجد محمود حسن اسماعيل يلتزم بوحدة القافية وخاصة في دواوينه الاولى اما عن الصياغة اللفظية فكان محمود حسن اسماعيل كثيرا ما يستعمل الفاظا معجمية قديمة .

أما عن كلاسيكيته من حيث تناوله الشعري لموضوعاته فنجده كثيرا ما يعمد الى العموميات والخطابية ، ولنضرب مثالا لذلك بقصيدته « حصاد القمر » فهو يحدثنا عن شقاء الفلاح حديثا عاما مباشرا ، بينما الشعر والشعر الرومانسي على وجه الخصوص ، يهتم بالخصوصيات وبالتجربة الوجدانية المفردة .. فالشاعر الكلاسيكي حين يحدثنا عن الأم فانه يحدثنا عن الام عامة فيقول مثلا :

« الأم مدرسة اذ اعددتها ..
أعددت شعبا طيب الأعراق »

وقد كان محمود حسن اسماعيل يميل الى الكلاسيكية بهذا المعنى الذي اوضحناه .

كانت هذه ملاحظة بسيطة او وجهة نظر اردت توضيحها بصدد عرضنا للدراسة الممتازة التي كتبها الدكتور عبد العزيز الدسوقي والتي تستحق كل اعجاب وتقدير ...

قصة

الطيور لاتعرف اليأس

عبدالعزيز الشناوي

— ١ —

تهالكت على الحصيرة البالية ، اسندت رأسها الى حائط كوخها ... ما هذا ؟ مطارق الصداع ! صوت طرقات على بابي ! جريت نحوه . قدم اليها جمعة البوسطجي خطابا . قلبته في يدها :

– أحد زملاء بدير ارسله ؟

– لا ، انه باسمك . خضرة محمد ... عليه طابع حكومي

خطاب باسمي ؟ من طرف الحكومة ؟ كيف عرفت اسمي وعنواني ؟ بدير .. ؟ ربما يطول عمر من وصل علاقتي بالحكومة

– ماذا .. ؟

أسرع نحو محطة القطار . لديه مهمة لاتحتمل الانتظار ! ..

تحسست اصابعها الخشنة الخطاب الناعم . ماذا بداخله ؟ لو كان بدير هنا الآن لأخبرني ... أأتركه حتى يعود ؟ قد يكون بداخله شيء مهم عاجل !

غضب جمعة لأنني لم أعطه شيئا ؟ من أين .. ؟ كل القرية تعلم أن الحال على الله .

انطلقت الى دوار العمدة ، لم تجد أحدا في حجرة التليفون ... لماذا لاتذهب الى الشيخ نصار خطيب الجامع ؟

أدركتها خيبة الامل عندما حال الرمد الذي يملأ عينيه دون قراءة كلمة واحدة . قابلت عويس القبانى :

– ماشاء الله ... لقد نجح بدير فى امتحان الثانوية العامة بتفوق !

نجح ابنى بتفوق ؟

شعرت برعشة . كأنها تلقت نسمة ندية فى يوم قائظ . استولت عليها الدهشة . لماذا لم ترتطم رأسها بالسماء من فرط مابدت لها قريبة ؟!

— ٢ —

أخذت ترتق الثقوب التى تملأ ثوبها ... اقترب جمعة منها . قدم اليها صحيفة وخطابا :

– انى اعتذر . كنت أود أن أقرأ لك خطاب اول امس . لكن كان لابد ان الحق قطار الفرنساوى لاستلم البوستة . على العموم لدى اخبار سارة ... فى هذه الجريدة صورة بدير واسمه . اما هذا الخطاب فقد أرسله ناظر المدرسه ... سيقيم حفلا بعد غد سوف يحضره مدير المنطقةالتعليمية وسيسلم بدير جائزة .

صورة بدير واسمه فىالجريدة ؟ سيأخذ جائزة؟ كم ستكون ياترى ؟ عشرة جنيهات ؟ خمسة عشر ؟ لماذا لاتكون عشرين ؟ ســوف تلتقط لبدير بجانب

مدير المنطقة وناظر المدرسة ، الجرائد لتنشرها . كل الناس تراها ؟ سـوف يأكل الحقد قلب عبد الشافى ...

– علمت ان « بدير » نجح وانه من اوائل الثانوية العامة . انه افضل من ابنى حسين ... عجائب . الذين يأكلون المش ويذاكرون على الطبلية ويغطى الذباب اجسادهم – اصحاء أذكياء ؟ والذين يأكلون عســل النحل ويذاكرون على مكاتب ، وينامون على فراش نظيف – تحاصرهم الامراض ... اغبياء !

غرست الابرة الصدئة فى الحصير . ظنت انها عين عبد الشافى ؟ كيف سمحت له يقول هــذا امامى ؟ لماذا لم اكبر فى وجهه ؟ على اى شيء يحسدنى ؟ القصر الذى اسكنه ؟ « الابعدية » التى امتلكها ؟ كيف نسيت ان احرق البخور .. ؟

احست بجمعة على مقربة منها . مازال واقفا ؟ ماذا ينتظر ؟ « الحلاوة » ؟! .. نظراته تفيض بأشياء كثيرة . الا يعرف ان جيبى خال و .. ؟

– مبروك ياخالة ام بدير

ردد كروان شارد دعاءه . حلو النغم . كورت ثوبها المهلهل وغمرها احساس غامض . مزيج من الفرح والتعاسـة ... لو كان لدى ثوب مزركش جديد لارتديته فى هذه المناسبة وسافرت مع بدير .. انني اريد ان أشرح كيف نجح ابني ؟ كيفسهر الليالى ؟ لدى الكثير مما ارغب فى ان أتحدث عنه ، سيتركوننى أتكلم فى « الميكروفون » لم لا ؟ الست ام بدير الذى ستعلمه الحكومة على نفقتها ونشرت صورته فى الصحف ؟ سيتملكنى الاضطراب عندما اقف امام مدير المنطقة التعليميه وناظر المدرسـة وحشد كبير من الافندية ! .. ماهذا الذى أقوله ؟ كيف اسافر الى المنصورة وجيبى خال من النقود ؟

شـعرت بالجريدة فى يدها ، أطالت النظر الى صورة ابنها ، ملأت زغاريدها الخرابة أمام كوخها ... أخذت تعدو فى شوارع وأزقة القرية . تريد ان يراها كل النـاس بعد ان كانت تتوارى عن الاعين !

راحت الايدى تتجاذب الصـحيفة . من عرف القراءة يتلو الخبر بصـوت مرتفع . يتفاخر امام الجميـع انه رجل مثقف ؟ من لم يعـرف يكتفى بالحملقة فى صـورة بدير والدائرة الزرقاء التى رسـمها جمعة حول الخبر ليميزه عن غيره من الاخبار !

انتشر النبأ فى القرية انتشار البرق ...

أثناء عودتها الى كوخها لاحقتها الاصوات مفعمة بالود :

– تفضل شاى يا أم بدير ... مبروك !

– القهوة جاهزة . مقبال الشهادة الكبيرة !

تهافتت نســاء القرية على الكوخ . صار كعبة المهنئين ؟ عانقت نجية أم رزق تاجرة الدجاج رغم انهما تشاجرا منذ شهر .. لو كان معى نقود ما بخلت على أحد بالحلاوة او الشربات ... لكن العين بصيرة واليد قصيرة جدا ، لا أملك سوى كلمات رقيقة وابتسامات تفيض بالشكر والامتنان ...

— ٣ —

مرت امامها امرأة تحمل على راسها صينية نحاسية كبيرة يفوح منها عبير حساء . استيقظت ثعابين الجوع . حتى أيام السوق أرغد أيام القرية . يوم اللحم والطهى لا أجد قرشـا اشترى به اقراص الطعمية او الحلاوة الطحينية ! ألفت أمعائى طعنات الجوع ، لكن بدير ؟ خرج فى الصـباح دون ان يتناول الفطار ... لم تكن فى « المشـنة » كسرة خبز . منذ ان اجتاحت الحمى جسـدى والتهب الصداع مخالبه فى راسى ، رحت أتردد على الوحدة المجمعة ... لم أعد اذهب للعمل فى الحقول . لم أجلس أمام الافران وطشوت الغسـيل . نسيت أصابعى ملمس ودفء النقود . أصبح كوخى خاليا من رائحة الطعام . هجرته الفئران .

هتف رجل يحمل فاسه على كتفه :

ـ مبروك ياخالة ام بدير !

غالبت تعاستها وآلامها بابتسامة . لكي يسافر بدير الى المنصورة غدا لابد أن تدبري له نقودا . ليس في كوخك شيء يباع . دجاجة . ارنب . بعد موت زوجك ذهبت سفينة الفقر والمرض بمرتبة القطن واواني النحاس ووابور الجاز و .. و .. والنضارة التي كانت تشع من وجهك . لم يبق سوى اللحاف الممزق والحصيرة البالية . لماذا تهورت واشتريت لبدير حذاء جديدا الشهر الماضي ؟ كانت اصابعه تطل من ثقوب حذائه القديم . ماذا افعل الآن ؟ الى من الجأ ؟ منذ قليل ذهبت الى مصيلحي البقال :

ـ الا يكفي أنك تأخذين البضاعة « شكك » ؟ لم يبق الا أن أسلفك نقودا ؟

كثرة السؤال وقاحة ومذلة . اقترضت من كل السان . أهل القرية يهربون منها . بمجرد رؤيتها تخب بينهم بثوبها الاسود المهلهل ...

غلبها أساها . اخذت تبكي بحرقة . الا يمنعك لحياء من البكاء ؟ ماذا يقول أهل القرية لو وقع بصرهم عليك وانت جالسة امام كوخك ؟ اصابك الجنون ؟ بالامس كنت اضحك . ازغرد . ارقص . اغني ... واليوم ، فليقولوا مايقولون . انها مشكلتي . ليس لأحد أن يتدخل في شئوني . اهل القرية يابون الا أن يدسوا أنوفهم في كل شيء . لماذا لايرون الا الوجوه ؟ لو كانت عيونهم تخترق الضلوع وتلمح سحب الاحزان والآلام .. ؟

دفعت باب الكوخ . كادت اللمبة نمرة خمسة الفارغة تسقط على الارض . اترك سكر وشاي وزيت التموين لمصيلحي وآخذ منه عشرة قروش ؟ نستطيع أن نعيش طوال الشهر بدون كوب شاي او قل قطعة بطاطس او باذنجان ؟ لو كان التموين يصرف كل أسبوع ؟ عشرة قروش لن تحل المشكلة . بدير في حاجة الى ريال على الاقل لكي يركب القطار ويشترى « ساندوتش » .

أقبل بدير . على شفتيه ابتسامة لاتفارقهما . رفع الى فمه قلة بدون رقبة تكسو الطحالب جسدها ، تجشأ . تمنى لنفسه صحة وعافية . لم تملك إمام ذلك الا ان تبتسم .

ـ هل دبرت نقودا لكي أسافر الى المنصورة ؟

ـ ربنا يفرجها .. الصباح رباح

ـ ستاتين معي ؟

ـ نعم ! ..

كيف نطق لساني دون وعي بالايجاب ؟ انني لا استطيع تدبير النقود اللازمة لسفره فكيف ....؟ احتواها بين ذراعيه . غمر وجهها بالقبل ..

ارتطمت عيناها بكوة خلف الباب . تذكرت الحلقتين اللتين احضرتهما من الوحدة المجمعة منذ ايام .. للبتهما في يدها المتشققة . تستطيع ان تتحمل لذعات الالم . ستبيعهما لمصيلحي وتأخذ عشرة قروش . وتتنازل عن تموين شهر .. لكي يسافر بدير الى المنصورة . اما هي فسوف تسير على قدميها ... انها تعرف (تخريمة) بين الحقول

... لكنها ستصل الى المدرسة وترى بدير وهو يتسلم الجائزة من مدير المنطقة التعليمية ! .

الـــوردة

مصطفى النجار

الوردة في الاعمـــاق تطـير
حالمة بغد يبزغ من داليـة القلب
سر الوردة مختوم بدمى
من ذا يكتشف سر الحب
يتململ في القفص الحجرى عقاب
غلفه النسيان وجرح الاحباب
فاقتربت منه فراشة غاب
قالت : بح لى .
ما سر الصمت وأنت عقاب ؟
لا شيء
وانحدرت من عينيه الورده
فاهتز الصمت وذاب !
عصفور يتكلم من كل الانحاء !

عاقرة هذى الذاكرة الشمطاء
فابحث عن ذاكرة تتلوى
تبتلع الحيات الزرق .. الحمر
ويبزغ في اللجة درب الفقراء
من كل دروب العمر يطل السر

ويمضى ممتشقا تجربة وصلاه
فابدا ياولدى تجربة الفنان وعانق
وردة ايامى المسقية من شجنى
رفرف يا ولدى
واصنع وردتك المثلى .
يغتبط القلب يغنى .. ويغنى !

كى يغضب بعض النقاد!

فؤاد بركات

النقد الان ، هو الحلقة المفقودة ... بين ادب ينشر في كتب تصدر ، وغالبا تهبط الي قاع النسيان ، وقصص قصيرة وروايات تنشر مسلسلات ،ولكن الجميع يفجع ويصدم ... ان الصدى لما يكتب وينشر يتخبط في بئر الصمت الرهيب، ... وكانهم يرون ان الادب حاليا بلا نقد ... اظرف ، وكفى الله الكاتبين النقد ! ..

ان الصمت ، والصيام عن النقد ، يشمل حتى أسماء شهيرة ...

فمثلا أعمال مصطفى أمين الروائية ، ربما لو وضعت تحت مجهر النقد ، وبجوار الروايات السياسية الشهيرة مثل الاخطبوط ـ التى أرخ خلالها « سنكلير » لصعود الدولة الهتلرية ، لوجدنا أن روايات مصطفى أمين يجب أن توضع على ميزان النقد ...

كذلك عودة رشدى صالح وقد تخلص من عادة النقد ـ الى الرواية ، تمتعت روايته الاخيرة أيضا بالتجاهل !

وبالطبع كان الله في عون صغار الكتاب ، الذين قد ينشر البعض عنهم بعض الاسطر طابعها المجاملة ، وغالبا ما تكون المجاملة اثر زيارة من الاديب الشاب ، يشكى فيها للناقد من سوء الاستقبال لانتاجه .

والنقد خارج مصر ، هو حقا ، يحفل أولا بتعريف العمل الادبى ، وتلخيصه ، بيد انه يخضعه للتشريح الدقيق الذى قد تتولاه لصالح المؤسسة الصحفية ، لجنة كاملة .. فمثلا في مجلة «النيوزويك»

وفى مجلة «التايم» وغيرهما ، نجد انها تخصص عدة صفحات لنقد مركز لما يخرج الى النور من اعمال ـ تنشر خلالها جزءا صغيرا من الانتاج، وتقيمه بعدالة وحياد،

ايها الاساتذة النقاد ـ نقادنا ... الفواق الفواق ، قبل أن يحتل مكان الصدارة فى الادب أضعف الاقلام واسخفها ، قبل ان يكون مكان تقييم الكاتب هى منتديات الدردشة .. قبل ان يحط عصر آخر الزمن ، قد توضع فيه اللافتات في الشوارع ، المكتوبة والمضيئة تدعو لفلان الفلانى الاديب الشاب ليعرفه الناس ويقرأوه فهو أديب رائع ، وابن حلال .

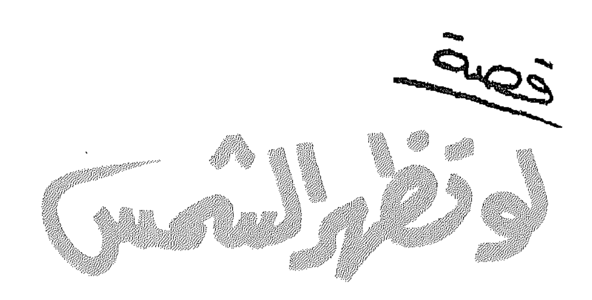
قبل أن يكون مقياس النجاح للاديب هو الاسم الضخم الهائل على لافتة فيلم مثير ، أو مسرحية هازلة

يجب أن نعرف على ضوء مجهر النقد العادل رأسنا من أرجلنا

ان اكتساب الاديب من انتاجه للسينما والاذاعة والتليفزيون ، لا يقلل من شأنه بيد أنه بالتأكيد ليس غاية الكاتب ، الكلمة المكتوبة تراث سيبقى للاجيال ، تراث ثقافة .

يجب في خضم هذه « الهوجة » الادبية ان نعرف من يجب ان تتعهده الدولة وان ترعاه أجهزة الاعلام ومؤسساتنا الثقافية . لانه ذات يوم سيكون رمزا لادب مصر .

ويا لخوفي ان نبحث يوما عن ادبائنا الكبار فى المستقبل البعيد ، فنجدهم ـ اختصارا لطريق الشهرة ـ هم اصحاب الملاهى والمعارض الترفيهية ، ورافعو شعار : «قليل من الادب يصلح المعدة ! » .



حسين عيد عابدي

« اغلق أبواب دارك جيدا ، في ليالي الشتاء الباردة .. واستمتع بحكايات الدفء المخدرة ، فلن يزعجك – ابدا – همس الريح المزمجرة في الخارج ! »

حكمة من تراث مدينتنا

لقطة مرتعشة :

تلتحف سماء الشارع الرئيسي بالغيوم ... تنتصب شجرتان عاريتان فوق الطوار ... ترتعش فروعهما ، تهتز ، تتعانق ، تتشابك بعصبية ... وعلى جذع أضخم الفروع ترتكز منصة خضروات ، مكونة من قفصي دجاج ، لخشبيين . تغطي سطحهما جوالات من الخيش . يعلوهما كوم من الخس ، وعدد من الليمون الاصفر ، بينما تحتمي بجذع الشجرة شابة ترضع وليدها ...

تكاد الرياح الباردة تجمد المرأة ، تعصف بالخضروات .. بلا منقذ ...

امنية ام :

« آه .. لو تظهر الشمس ! »

تحلم المرأة . تزيد احتضانها لوليدها .. تحت قدميها تنام الابنة الصغرى ، بينما ينهمك أخوها في امتصاص اصبعه .. « **تركنا ابو الاطفال ، ومضى للحرب ، تركنا جوعى ... لم يترك لنا مليما .. ملعون يوم معرفته .. ملعون !** »

– بكم الليمونة ؟

سأل شخص حسن الهندام .. أسرعت بالرد :

– بأربعة قروش ..

– كنا نشتري الواحدة بقرش !

سمعته .. « كلا » .. « كنت مرتاحة البال حتى جرني ابو العيال للشقاء ، وكنت اظنها الجنة »

– آخذ الليمونة بثلاثة قروش ..

تهز رأسها موافقة ، ليكن الاستفتاح على يديك .. والحمد لله على اى حال .. مطلبي تربية الاطفال ، لكن ما باليد قليل !

يمد لها يده بثمن خمس ليمونات . تأخذه : « عندي خس ممتاز – تشتري ... »

– بكم الواحدة ؟

– بثلاثة قروش

يمد يده للخس .. يتفحصه .. « حاولت مع المعلم عرفان ان اختار الخس السليم . جذب يدي بعيدا .. قال ضاحكا : « كل حاجة لي .. تبقى ملكك .. لو وافقت ! » .. اجبته ساخرة : « البحر اقرب لك ! »

عرالي بعينيه ، لم ارضخ ..

– آخذ الواحدة بقرشين ؟

يتسلل البرد الى الاعماق . تتكتل السحب . يقشعر البدن : الاثنين بخمسة قروش .

يهز رأسه موافقا .. « آه .. لو تظهر الشمس .. تصبح لي أنيسا ، تدفء امراة وحيدة مع اطفالها الثلاثة .. هرب الزوج .. نسيني الاقارب .. حتى الشمس تبخل على بدفئها .. هل كتب على ان اعاني ليل نهار ؟! »

ينتقي الرجل اربع خسات . يعطي المراة الثمن . تضع النقود في جيبها : الحمد لله .. عندي خس يوميا طازج .. وأسعاري معقولة .

ابتعد الرجل .. اكملت : وعندي ثلاثة اطفال اربيهم ..

تستند لجذع الشجرة العارية ، السيارات تقطع الشارع مسرعة ، المارة يمضون على عجل . ترفع عينيها للسماء .. ما زال الكل ملفوفا في طبقات الكفن الابيض المشرب ببعض السواد ، والبرد ينخر عظامها بقسوة .. ثمة يقين هادئ يهف عليها كالهام غامض : حتى دفء الشمس المجاني ... أيضا ، ليس – بالامس – بعيد المنال !



قصة

البطء

علاء مصطفى

قط كبير يمد يده الى جحر يتحسس ما بداخله فى تخاذل .
فى الداخل فار اوى الى الجحر منذ قليل، يتلفت حوله فى سأم ولا ينظر الى شىء . ومازال يمد يده يبحث بها ولكن اكثر بطئا .

الفار بالداخل يختفي في ضيق من هذه الحياة.
ــ اكل يوم هكذا ؟! اعود فى هذا الميعاد الى جحرى . ويعرف القط انى عدت . وقبل ان ادخل ألقى نظرة سريعة عليه وهو نائم مكور . فارى اذنيه تتحركان فادرك انه علم بعودتى . ثم اراه يقوم ويمط ظهره . ثم يقفز من على المقعد ، ويتقدم نحو الجحر . ويمد يده فانسحب الى الاعماق ويظل يتحسس وانا اتطلع الى يده ولا تفوتنى ملاحظة اظافره . ويظل يظافر ويحاول هكذا حتى يهدا وتكف يده عن البحث وقد استقر بجسده على الارض ويظل منبطحا على الارض . انه ينام . اريد ان اخرج . اخاف ، يتملكنى الملل فاحاول ان اسلى نفسى بان اعد الشعرات التى بيده . وكثيرا ما تنتفض يده . فهو يحلم . واعاود العد من جديد .

لكنى أحس الضجر سريعا فاتوقف عن العد . واغفو ..

واصحو فاجد ان اليد قد ذهبت . واطل من جحرى . فاراه يغط فى النوم على المقعد . واتنفس الصعداء وكانى ابتلع رغما عنى مصيرى التعس لوجود قط كهذا فى البيت الذى أعيش فيه .

ولكنى تعودت الا استسلم للتفكير فيما انا فيه ، لأن ذلك يقودنى دائما الى الحزن . وامط جسدى وادق بذيل على الارض لابعث فى جسمى النشاط. واستقر على مؤخرتى اهرك يدى واحرك انفى الى أعلى اتشمم أى شىء بحكم العادة .

واخرج من الجحر بهدوء . وما البث أن انطلق .. ارتع كما يحلو لى بعيدا عن المقعد . كان كل شىء فى الحجرة وكانه خلق من أجل .. الضوء الخافت . والرف الخشبى والتراب والموقد الصدىء الذى لم أصادفه يشتعل أبدا . والمسمار الكبير المعلق عليه معطف اسود ، اخضر لونه من القدم . وهذه القبعة القديمة المثبتة فوقه على المسمار . والمقعد الذى ليس كالمقعد الآخر . فلا ظهر له وليست عليه وسادة مستديرة .

والهواء البارد ياتى من شق كبير بالحائط .. كذلك الـ ..

ولكن هل تسمعون ...

انها أنغام الكمان .

آه .. نسيت أن قول لكم ان الكهل جالس على المقعد . يسند رأسه ويحرك يده ممسكا بالقوس، وياتى اللحن الذى يشبه الدموع .

لا اعرف كيف يحدث كل هذا .

ساصعد على المنضدة .

انه لا يعيرنى أى انتباه . ألا أثير فضوله ، وانا أبحلق هكذا بعينى .

لماذا لا يسالنى اذا كنت أحب هذا اللحن او لا احبه .

ساقول له لا ، لانى لا افهمه . ويكفينى ان ارى وجهه هو هكذا . وكانه لحية بيضاء ليس غير ، ركب فوقها أنف كبير مبتل دائما وخطوط كثيرة متشابكة حول عينين تنظران مغمضتين الى بعيد .

انه يتوقف عن العزف .

يفتح فى بطء عينيه الضيقتين .

الا يرانى ؟

ينظر ذاهلا وكانه فى حلم غريب .. حلم هبط عليه بطريق الخطا . انه ليس له . لماذا ؟ الا يدرى ان هذه حجرته ؟ كيف يبدو عليه انه لا يعرفها .

ــ آه .

يغمض عينيه وفجاة يضغط عليهما .

ثم يعود يحرك يده . يعزف .

الكمان فى حضنه وهو يتمايل فى رفق .. يحتضن فى حب ، ويتمايل أكثر وأكثر .

ويعلو النغم .. ويتحرك جسده كله ويختلج ،

ويرتفع اللحن .
ويتشبث بالكمان ويعتصره .
وتقلص تجعيدات وجهه تؤكده عينا المغمضتان .
هل كان صغيرا يوما ؟
هل يعرف انه فى يوم سيـ .. سيكو ...
آه المسكين . لماذا مضت به السنون . هل احب جميلة .. اين هى الان .
دمعته هذه لا استطيع ان ...
اتنبه الى نفسى .
لماذا افكر فى كل هذا وانا ...
ما زلت صغيرا . لماذا اخاف منذ الان ...

ساعود الى جحرى الان فهذا يكفينى اليوم ، اريد أن انام .

ويتقدم الى جحره بسرعة وهو يلقى نظرة خاطفة على مدخله . لقد شبع من هذا الروتين اليومى دخل الجحر ، ولكنه أحس ان شيئا ينقصه ..

انه لم يلاحظ أذنى القط .. هل تحركتا ..

وعاد فى سرعة مدهشة الى باب جحره .. انه يريد ان يطمئن على شىء ما لا يذكر بالضبط ماذا هو ؟

وقف حائرا يتذكر ...

القط لم ينهض كعادته . الم يشعر بى .

لا يمكن ، ففى هذه المرة احدثت جلبة على غير عادتى وأنا ادلف الى جحرى .. هل فقد سمعه .. هل شل .. هل مات ؟

وضايقه انه لا يستطيع ان يعرف ماذا يحدث . وزفر زفرة كبيرة لانه لا يستطيع ان ينام قبل ان يعرف ما الذى حدث .

وتقدم فى حذر حتى خرج من الجحر . واقترب فى بطء وأعصابه كلها مشدودة الى المقعد . ينظر ماذا عليه .

آه . انه لم يمت بعد فهذه انفاسه تعلو وتهبط .

لم اتفحصه من قبل عن قرب هـــكذا . انه سمين ...

وفى جزع استدركت انه ...

ـ يجب أن أعود الآن بسرعة الى جحرى .

واستدار وهو يتعمد أن يحدث شيئا من الضجيج وهو يتابع القط فى تحفز وآستعداد لان يجرى بسرعة ولكن شيئا لم يتحرك .

وتوقف الفار وضغط على عينيه فى محاولة لتركيز الفكر .

ـ لماذا لم يتحرك هذا الضخم . الا يريد أن يعمل ؟ أوف ..

ضايقه هذا كثيرا .. وأخذ يدق الأرض بكلتا يديه وقدميه فى تحد ظاهر .

وتحرك رأس القط فى تراخ ينظر .

وجزع الفار متجمدا مكانه .

ونظر اليه القط شزرا بعينين نصف نائمتين . ثم أعاد رأسه الى مكانه وهو يعدل فى اصرار من تكوره ليعاود النوم .

وعجب الفار من هذا الذى لا يريد أن يحدث . وانفجر يدق بجسمه كله على الارض .

وفجأة انتفض القط وهو على الكرسى . والفار يختفر .. يتلاشى . عرف أنه انتهى . فقفزة واحدة للقط ينتهى بها كل شىء . لا أمل .

وعدل القط من وقفته وهم بأن ..

ولكنه توقف ليتثاءب ... لكأنه لم ينم منـــذ شهر وعاد واغمض عينيه ..

انها فرصة النجاة للفار . يندفع بكل ما اوتى من حياة الى الجحر . انه فى كل لحظة يكاد يحس القط ما زال واقفا على المقعد ينفض فى ضيق أصبح فى مامن ...

نظر فى جزع خارجه وهو يلهث فى تتـــابع مهموم ..

حدق يتامل فلم يفهم ما الذى حدث ..

القط مازال واقفا على المقعد ينفض فى ضيق قطعة من القطن علقت بشاربه ويتثاءب فى قرف ويمد يده فى بطء وينزل من على المقعد . ثم يمشى .. لينبطح بجسده السمين أمام الجحر . يمد يده وقد كشرت عن اظافرها . يتحسس ..

وتختفى الاظافر ..

وتسكن اليد .

وينعس ويحلم .

يا الهى ما هذه الحياة التى نحياها .

لماذا كل شىء هكذا . الرجل الكهل . القط . وانا ...

لماذا البطء .. لماذا الرتابة ، لمـــاذا الملل ..

وتثاءبت بدورى وانا اكرر انى ما زلت صغيرا . ولكن ساكون يوما ما هرما . كهلا . انى خائف

وتثاءبت مرة اخرى . انى خائف ..

هـــــل ؟

محمد مختار رعيد

وقبل ان اهيم فى مطارح الهوى الكبير

واكتب الاسمين فوق جبهة ... الغدير

وأرسم ابتسامتى على قصيدة .. تدور ..

وازرع المنى بارض فجـــرنا .. الطهور

وانقش الوجود بالجمال .. والزهـــــور

واصحب النجوم عبر .. سهرة الحبـــور

ويرفع الخيال .. فوق .. ساحتى القصور

وقبل ان يطيح بى .. التفاتك الجســـور

وزورقا عينيك يمخـــران .. فى السرور

وما يشدنى اليك .. من براءة الضـــمير

لابد ان يقول .. قلبك الكثير والـــكثير

فما جواب .. قلبك .. الصوت .. والاثير

قصة

الصوت المبهم

عزت عوض مصطفى

الاحلام شابت فى راسها، لكنها دائمة العزف فى مرقصها، تتفائل دائما عن عالم اسمه عالم النسيان ... عالمها له طبيعة خاصة تكيفه حسب هواها وتنسج حوله نسيجا ذا لون معين .. تقتل صدى الصمت الرهيب والوحشة القاتلة بتفريدة .. كثيرا ماتتجرد من ملابسها ومن ذاتيتها وتقف عارية أمام المرآة تخاطبها ، فهى التى رات فيها صورة صبوتها وفتنتها وجمالها ، علمتها كيف تحترم الجمال وتخاطبه . فنون الحب مارستها امامها مع كثيرين من العشاق دون وجل اوخوف .

نظرت فى المرآة ارتعدت بعدها .. معالم الزمن اضحت واضحة وآثاره بينة ، لا بد ان تهرب منه .. كيف ؟

أغمضت جفنيها وهى تلعنه ، فهو الذى جعل منها بؤرة هذا الفساد .. قصتها مع الزمن قصة طويلة ، لم تدرك ابعادها الافى النظرة الأخيرة فى مرآتها .. قالت لها عن اشياء كثيرة ، أعادتها إلى الذكريات وهى فتاة تستقبل مطلع الحياة وتتعلم فيها فنون الهوى . رأته وهى فى باكورة الصبا رسيما ، قويا مشرق الطلعة . شعره مجعد عيناه فيهما حنان فى مشيته اعتزاز بالنفس وخيلاء ..

وهى تطفو على سطح الحياة بشعرها المسترسل رعونة الشباب وطيشه يهزان كيانها .. امنيتها أن يضمها السان الى صدره .. أن يحتويها .. بحنان تنسى معه الحياة ، يرتشف من شفتيها قطاف أول رحيق وترتشف منه النعيم وسكينة الفؤاد .

كلما تتابعت اطياف الذكرى ، ضمت جناحيها كالكفن المتيق .. تنهدت .. (آه الجوع الذى حدا بى الى مثل هذا) .

رأيته من الشرفة دخان سيجارته وهو يحمل الى انفاسه الملتهبة المتصاعدة ، احتضنتها ، لم اكن أعرف أنه يرقبنى .. خجلت عندما تبينت ذلك ، لكن كان اللقاء ، وكان ، وكان .. فما احلى خصامه وكلامه وغزله .. كنا نسير على شاطىء النيل والامانى ترسم سنبلة متفتحة ـ هو حبيبى ـ لم أكن اعلم عن تفكيره شيئا ، ولا عن ميوله التى قالوا عنها أنها متطرفة ، الا عندما قبض عليه ونحن نتعانق ، احسست أن الارض تدور ، تغوص تحت قدمى ، واليأس خيوطه تداعبنى ، لقد تعاهدنا على عش الحياة بعد أن مارسنا زلة الحب .. ماذا افعل ؟ !

انها الحيرة ، حاولت ان اهرب من الاشياء القبيحة التى تهددنى ، لكن الطريق امامى كله اشواك والاختيار أصعب .. الرياح جردتنى من كل شيء كما تجرد الاشجار من أوراقها .. دائما ما كان يخالط احساسي انى اسير عارية . اقف عارية .. اضحوكة او السوبه لا اعلم ، الذى اعلمه أن الايدى دائما تمتد اظافرها خلفى ، حتى قابلتنى امرأة مدلله جميلة ثرية ، زيفت بقايا احساسى واحلامى ببهرجتها ورقتها المصطنعة .. ربطت بينى وبينها الصداقة علاقة شبه وثيقة .. ولكن .. لم اكن اعرف أن بها نوعا من جموح الانانيه وحب السيطرة والتملك .. كان جوع هذه الثريه من نوع آخر اما جوعى فمن نوع لقمة العيش والاطمئنان .. وقد رفضتها ، وحاولت الهرب ، فطاردتنى ، ولكنى أسرعت فى طريقى والفزع والهلع يأكلانى .

وجدت انسانا ملطخا بالدماء سمعت صوته .. عرفته .. نظرت اليه باحتقار .. نطق بصوت خافت .

ـ سامحينى .. انا برىء ، لا تبغضينى .. امنيتى ان اكون لك ويكون لنا عش هادىء ، همهمت ، تراجعت .. اندفعت اليه فهو حبيبى .. اختلط الدم بالدم والضياع بالضياع .. همسه كان يشبه خشوع العابدين عندما قال :

ـ الحقيقة يعلمها الله .. حاولت ان اهرب من اجلك ، من أجل الحق ، لكن .. قتلونى !

ـ آه .. يالك من مسكين .. الدماء تنزف منك بغزارة .. ان تركتك سوف تلقى حتفك ، وربما لحقت بى وامسكت بخناقى واودعتنى فى مكانك !

ـ من ؟

ـ المتوحشة .. الحية الرقطاء

ـ اذن دعينى .. اذهبى إبعدا ، كانت الذكرى الحلوة الباقية من قصاصات مذكراتى المضيئة .. لقد حرقت كلها ولم يبق الا انت .. اهربى !

ـ لا ، لا .. لن ادعك ، كانت الهمسة الحلوة الحائرة على شفاه المعذبين للتعلق مطلة غياب الظلمة .. الحق ، عش ، ولكن .. طواه الحزن والموت فى سردابه .. اقسمت ان اعود وانتقم منها فهى القاتلة ، ولكن وجدتها خلفى تصرخ .

ـ اخيرا عثرت عليك .. اين كنت ؟ لماذا هربت منى ؟ فهمت الان .. تهربين خلف انسان سجين تحوم حوله الشبهات ؟ وانا ، انا امنحك اكثر مما تستحقين .

ـ لا عليك .. سوف اعود اليك راضية .. انه القدر !

عدت .. الخوف سيطر على ، والانتقام .. وضعت لها السم فى اللبن ، اقفلت باب الامل فى وجهها ، سلبت حريتها كما سلبت حبى وكرامتى .. اودعتها فى تابوت وسخرت من قسوتها الظالمة .. وانا الان أسخر من الشيب ، غير انى اداعبه بحنان ، انه مرحلة يفرد فيها الانسان لانه قريب من روح الوجود ، دون ألم افرغت الكاس من الظلمات ، وبدا حساب الطوق .. حينما يذبح الانسان اليسه ويعبد قاتله ، آه من مجاهل الزمان .. من دوامات الحياة .. من تيارات الحزن .. ما اقسى منظر النفس عندما تتعذب وترى الحب الجميل يموت معذبا .. كنت احسب ان لى قلبا ، ولما ادركت المأساة ، علمت انى قاتلة .. اطفات شمعة الرحمة ولكن ساواتها وانا اعزف فى مرقص بدموع الندم والتوبة ..

عندها فتحت عينيها ، حطمت مرآتها .. فهى صورة الماضى المجنون ، وحقيقة الحاضر الذى كسه الشيب ، وميزان المستقبل المجهول ..

عندئذ سمعت الصوت المبهم يناديها من اعماق بئر سحيق ..

قصة

اشتياق

فؤاد قنديل

عندما تنادى حفيدها الصغير :!

ـ يا شمبر .. يا ولد يا شمير !

يغرق اخوته في بحر هادر من الضحك .. يتبعثرون في كل اتجاه .. أجمل ما في الدنيا أن يسمعوا جدتهم تنادى اخاهم الصغير ، بفمها القطنى الفارغ ، ككيس نقود قديم شدوا خيطه !

العجوز وحدها في الدار ، تبتسم في أسى .. تتكىء على سنيها السبعين ..

الكآبة وغياب الأنفاس تنسج خيوط البرد .. تنهال أكوام الثلج في كل مكان .. في جو الوحدة والشيخوخة تنبت اعشاب الغربة والوحشة .. لا يرغب فيك .. تلقى على قارعة طريق .. من يسأل عنك .. هذا زمن الفرد المتعجل يستهدف نفسه .

لم يبق من اهلها غير ابنتها وزوج ابنتها القاضى واولادهما ، يسكنون الدور الثامن في نهاية الشارع العملاق .. بينهما نصف ميل ..

وحدها تعيش ، بلا انيس الا من قطة ضامرة مثلها تماما .. الوحدة والشيخوخة شيبت صباها ..

منذ الصباح وقلبها يأكلها عليهم لهفا ، لكنها ..

لن تترك بيتها الذى ضم زوجها حلما جميلا ملونا ما زال يشع حتى الان دفئا تؤججه الذكريات

زوج ابنتها الح عليها أن تسكن معهم

ـ رائحة المرحوم

ـ وكيف نطمئن عليك ؟

ـ تعالوا

ـ القضايا بالليل والنهار

ـ أدرسها عندى .. في الاسبوع مرتان

ـ مرتبط بالمراجع والكتب ، وكلها في منزلى

ـ دع ابنتى تزورنى والأولاد

ـ مرتبطة بى

ـ تمنع ابنتى عنى .. تحرمنى منها

ـ لا أقصد .. لكنها لازمة لتحضير ملفاتى ومذكراتى وترتيب المكتب ومطالب الاولاد

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أرى أنك تقبلين يا أمى لنفسك الارتباط بزوجك الميت ، ولا تقبلين لابنتك الارتباط بزوجها الحى .. والحى كما تعلمين أبقى من الميت

ـ هكذا !

على نفسها تحاملت العجوز ونهضت .. الح زوج ابنتها عليها بالبقاء ، قدم الأسف وأبدى الاعتذار واللا قصد .. تركتها ابنتها تخرج ، تعرف أن اصرار أمها أقوى من الحديد ، وعنادها بلا حدود .. واذا مسها تيار الغضب ، فلن تفلت من قبضته .

بعد يومين زارها القاضى والأولاد ، ومعهم كل ما يلزم اقامة يوم جمعة كامل في شمس دارها التى لا تعرف دارهم .

مر اسبوع ، اسبوعان ، ولا خبر .. يارب يكون المانع خيرا .. اليوم هو الجمعة .. منذ الصباح قلبها يأكلها عليهم ، لو كان في نيتهم الحضور لحضروا منذ الصباح .. الوقت الآن بعد العصر ..

لا تستطيع الجدة العجوز مقاومة الرغبة الجياشة في رؤيتهم .

هل تذهب لتأخذ احفادها في احضانها .. لا ، هل تترك المرحوم ، بل لتذهب .. الألم ينخر في ركبتيها كالنمل .. يمتص رحيق العافية ، اين العافية ؟ يا الله حسن الختام

اقفلت الشقة في أناة ، استدار جسدها المقوس في حركة آلية واهنة .. نزلت السلم واحدة واحدة ، طفل صغير يعود الانسان كما كان .. تاتا .. يدها على السور درجة وتقف .. درجة أخرى وتقف .. من دورها الثالث الى الباب الخارجى .. تقطعت انفاسها ماذا تفعل في الباقى؟ ربنا يهون .. الباب يبدو من الداخل ثغرة كبيرة في كهف يفضى الى نور الشارع

خطواتها وجلة ، وقبل أن تنقلها ، تنظر الى اليمين ثم الى اليسار ـ الشارع في المدينة الكبيرة غول يأكل الأطفال والعجائز .. ترتعد عند كل بوق .. رمح يشق الجسد الهش .. يهتز هزة الموت .. تستعيذ بالله .. وصلت عند كشك في منتصف الطريق تقريبا .. استدارت تنظر الى بيتها .. كأنها ستفارقه .. كأنهم سيخطفونه اذا واصلت طريقها .. حسبت المسافة الباقية على العمارة الحمراء العالية .. ابنتها في الثامن .. هانت

هذا الشارع كان أيام شبابى خاليا من المارة أو يكاد .. والحركة فيه ضئيلة .. سيارتان أو ثلاث .. تسير فيه معصوب العين .. لا تخاف ، تمشى ذاهلا عن احوالك ولا يهمك .. تحمل أكياسا وصناديق تحجب عنك الرؤية .. لا بأس ، تمشى وأمامك اولادك يجرون كقطيع الغنم لا خوف عليهم .. في أمان تام .. أما الآن فأنت لا تأمن على نفسك وأنت في قمة شبابك وفي منتهى القوة والنشاط وكامل الأوصاف والمزايا

بلغت العجوز باب العمارة .. أبلغها البواب أن الكهرباء مقطوعة .. يا نهار أبيض ، وكيف ستصعد الى الثامن .. جلست على مقعد تنتظر .. وكلها آذان صاغية لعودة الكهرباء .. الأولاد يقفزون في قلبها .. ستصعد السلم ولا تنتظر .. يا أم العواجز .. درجة سلم وتقف .. درجة أخرى وتقف .. يدها على الجدار .. شهيق الأنفاس وزفيرها .. أخذ يعلو بصدرها ويهبط في عجلة

بلغت شقتهم .. ضربت الجرس وجلست على الأرض تنتظر .. لم يفتحوا .. لا مجيب .. يا خبر ابيض .. دقته .. دقته .. شقة مهجورة .. سترجع هذا كله .. انتظرت وانتظرت ثم هبطت الدرجات من جديد

سألت البواب ، أكد لها انهم في الشقة المقابلة يحتفلون بعيد الميلاد الاول لابن الدكتور ..

اغرورقت عيناها بالدمع .. عيد ميلاد الصغير .. وأنا أعانى من الوحشة ..

واستدارت لتغادر المنزل .. البواب طيب طلب منها الانتظار حتى يدعوهم اليها .. رجاها أن تبقى .. صعد الى القاضى وأبلغه بحضور الست .. هبطوا اليها في عجلة ولهفة .. أمنا .. أمنا .. نظرت اليهم في أسى وقالت:

الحى أبقى من الميت .. تهدل جسدها والنهار .. حملوها الى الشقة .. الى دنياهم

آخر ما تحويه الذاكرة !

محمد الشحات

مذ كنت صغيرا ..
وانا أبقر جوف فراشات المصباح
واصلبها
وأعود لأبكي ...
كان الضوء الساقط في كراس الدرس
يباعد بين حروف الكلمات وينقش وجها .
يزاحم في ذاكرتي
أستاذ الفصل ومن كفيه الخوف يجيء الى مدائن
ينسل الى بنوها المنهزمون ،
لكي تمنحني الوشم ــ فاهرب
منهزما عدت الى أطفال الحى ،
وهم يلهون . ويبتعدون اذا ما جئت اليهم
تلك خطوط لا تقربها ...
كان مداد القلم الساقط من اغفاء اليد ،
يحيل الثوب عذابات لا تتجزأ
وانا ارحل ... تساقط من صدر الزمن
تواريخ الايام ، فاكبر ... يساقط يوما اكبر
واعود لأذكر
كنت صغيرا ... وانا ابقر جوف فراشات المصباح
واصلبها ... واعود لأبكي !

الحلم والوهم

محمد عثمان صالح

منذ شــهور وانا اراقبها .. الاحــظ ايماءاتها ، حركاتها .. أحاول الوصول الى عالمها .. نعــم أحــاول أن أصل اليها ، غير أن جمالها ، رقيها ، يضعان دائما حائلا بيني وبينها .. أخجل دائمــا من المواجهة وان كنت أمنى نفسي ودواما باللقيا.

واليوم تبسم لى القدر ، تواضعت ، نزلت الى عالمي .. لم حيتني تحية الصــباح وانا أقف بجوار بعض المقربين اليها احاول بحــذر شديد تلمس اخبارها ، وتكلمت ــ لاول مرة ــ امامى عن الجامعة ، والمحــاضرات والكتب ، والدروس الصعبة ..

لم أدع الفرصة تفلت ــ فلطالما حلمت مرارا بذلك ــ بينت لها اننى عليم ببواطن الامور ، وانى قادر على افهامها اى محاضرة يستعصى فهمها .. بدت كما لو كانت تكتم ضحكة فى أعماقها .. سالتنى : ما اسمك ؟ قلته لها .. قالت باسمة :

ــ ياله من اسم جميل يا ..

ارتفعت الضحكات .. احسست أنها تسخر منى .. تمنيت لو هامت بى الارض ، ابتلعتني .. استاذنت وانصرفت .. تبخرت الاحــلام والمنى فى ثوان . آه لو اســتطيع أن انسى طيفها .. لو اننى لم أكلمها .. لو اننى ظللت أسير الوهم !

لم أكن أعلم ان القدر يدخر لى مفاجأة ممها .. انها « هى » تسعى الى من جديد .. نعم تسعى الى !! حاولت أن اتحاشاها ..لاحقتني، ومن جديد كلمتني عن المحاضرات الصــعبة ، وكلمتها عن هوايتي للشعر ، وعن تفوقى ، وذكائى وارائى و .. و .. و ..

ابتسمت مشيرة الى قميصي الذى لم اغيره منذ دخلت الجامعة ، وقالت : قميصــك هذا « شيك » جدا .

ــ على فكرة انا لا اهتم بالمظهر ابدا ، واحب التواضع ، لقد علمتنى نشأتى هذا

ــ ولكن مظهر الانسان اضــحى من الامور الهامة هذه الايام

ــ دعك من هذا وليكن فكرك تحرريا ....

وضحكنا معا ..

كانت تاتى الى كل يوم تسالنى فى المحاضرات، فى الكتب ، فى الدروس ، وانا اشرح لهــا اشرح .. ولسانى ينطلق لا اعــرف كيف ! وعندما ظهرت نتيجة نهاية العام بحثت عن اسم « تلميذتى » أولا . لقد نجحت « وفاء » بدرجة جيد جدا .. فتشت عن اسمي طويلا ، ومرارا، لم اجده امامى ، فكرت فى أبى والنصــف لدان الذى تقتات عليه سبع انفس .. فكرت، وفرقت ، غرقت فى دموعى ..

همت على وجهى اياما اسير بلا هدف .. قررت الا اعود بهذا العار .. وعندما عدت يوما الى حجرتى الرطبة وجدت خطابا من ابى : « ابننا الغالى : بلغنا النبا السىء .. لاتحزن .. يعوض عليك ربنــا الســنة القــادمة ، احضر حالا موسم « نقاوة الدودة » اقترب !

الأمـيرة والمـلاك



تاج الدين سلامه نوفل

قولى أحب ولا تخـافى — مادام حبك فى عفـاف
والله يعـلم مـا جنيت — ولا ارتكبت ما ينـافى
فالحب موعدنا الجميـل — ولن نكون على خـلاف
ويكون ملبسك الحيـاء — مع القنـاعة بالكفـاف

***

يا خير مكتشفـات قلبى — انت معجزة اكتشـافى !
فالحب يحيا بالعفـاف — ويستمر بالائتلاف ...
ويموت ان ينشـأ على — الأطماع والأهـداف ،
فلتحـذرى طمع الثرى — فالطمع كالسـم الزعاف

***

فالحب عـرس قـائم — فى قلب صافية وصافى
ان الطريق الى السـعادة — ممتع بين الضـفاف
الحب فاتحـة الطـريق — وليس خاتمة المطـاف
انت الامـيرة والملاك — بلا خلاف واختـلاف
اوليس ذلك باعتـراف — العـالمين وباعترافى
صـافحتنى بيديك بين — الورد ، من أجل اقتطافى
فهتفت باسـمك انت — باسم الحب فى أحلى هتاف
ان كان حبك خالصـا — فاتى الى ولا تخـافى ؟

تاج الدين سلامة نوفل
دمياط

ثقة!

فؤاد بدوي



ما زال طير الهوى في قلبنا يشدو
فلا نبالي بماذا فكر الحاسد
يفتح الطير – صبحا – عينه الجذلى
ويرسل الطرف تحنانا .. مني لعدو
الى الفضاء الرحيب الطلق موجات
تترى عبيرا ، ووجدا ذائبا تغدو
يهز ريش الجناح المتعب الحساني
يستيقظ الريش.. والاطراف.. والوجد
يقوم قومة عشق للوجود .. سنا
واغنيات .. ولحنا وقعه السعد
يطير للنبع يروي غلة الصادي
يصفق النبع .. يرقص ماؤه الورد
ولا يبالي بالفخاخ هنا ، وهنا
ولا بنادق خلف كمائن تبدو
فليبرق البرق او فليرعد الرعد
فلتفرق الارض ... فليتفجر المد
ليات طوفان احزان على عجل
ماذا تبقى هنالك ايها الوغد ؟
يا ايها الزمن المتشات خبرنا
باي ذنب تعادينا ، وتشتد
يا ايها الزمن المتشاتها نحن
نلقى بوجهك قفازا . . . فيسود
نلقيه لا صلفا ، ولا غرور دع
لكنها الثقة الشماء تحتشد !



هارب من الجوع !

شعر سعد بن المهيمسن بالجوع ، فقال لنفسه: أمضي الى دار فلان لأتغدى عنده . فذهب الى باب بيته فوجد غلامه فقال له : أين سيدك ؟ فرد الغلام : والله لا قلت لك عليه الا اذا أعطيتني كسرة من الخبز! فاعطاه ما يسد أوده ، وولى هاربا ..

نهاية البخل !

قال محمد بن الجهم ، وكان بخيلا يطلق عليه رئيس أهل البخل - :وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء، وعشرة من الشعراء ، وعشرة من الأدباء - تواطأوا على ذمي واستسهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج ! ..

زادك الله معرفة !

قال رجل من البخلاء لأولاده : اشتروا لي لحما ، فاشتروه ، فأمر بطبخه فلما نضج أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه ، فقال : ما أعطي أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها .

فقال ولده الأكبر : أمشمشها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا !

فقال والده: لست بصاحبها !

فقال الأوسط : ألوكها يا أبت والحسها حتى لا يدرى أحد لعام هي أو لعامين !

فقال والده : لست بصاحبها !

فقال الأصغر : يا أبت امصها ثم ادقها واسفها سفا !

فقال : أنت صاحبها ، وهي لك ... زادك الله معرفة وحزما !

اشد العقاب

مر عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس وهو مصفر الوجه ، وكان عثمان اقبح الناس وجها . فقال له عثمان : ما لي أراك مصفرا ؟ فقال ابو نواس : رايتك فذكرت ذنوبي . فقال : وما ذكر ذنوبك عند رؤيتي ؟ فقال : خفت أن يعاقبني الله فيمسخني قردا !

مسالة من النحو

قال رجل اسمه عمر لعلي بن سليمان الأخفش : علمني مسالة من النحو .. قال : تعلم أن اسمك لا ينصرف .

فاتاه يوما وهو على شغل . فقال : من بالباب ؟ قال : عمر . قال : عمر اليوم ينصرف . قال : اوليس قد زعمت انه لا ينصرف؟ قال: ذاك اذا كان معرفة ، وهو الآن نكرة !

العلم والحكمة

قال الامام علي رضي الله عنه لرجل كان في مجلسه : جالس أهل العلم والحكمة واكثر من مناقشتهم فانك ان كنت جاهلا علموك ، وان كنت عالما ازددت علما .

محسن فهمي

متابعات ومساجلات ثقافية

أمسية شعر ونقد

مع "الغصن الثائر"

استقبلت الاسكندرية الجميلة مع صيف هذا العام ، موسما ثقافيا حافلا بمعطيات الفكر والفن والشعر والادب . . .
وبرزت من خلال هذا النشاط المتدفق فى مجالات البناء الثقافى جهود مديرية الثقافة بالاسكندرية وما تتميز به من قدرات متجددة ومثمرة فى خدمة الوعى الوطنى والتنمية الثقافية .

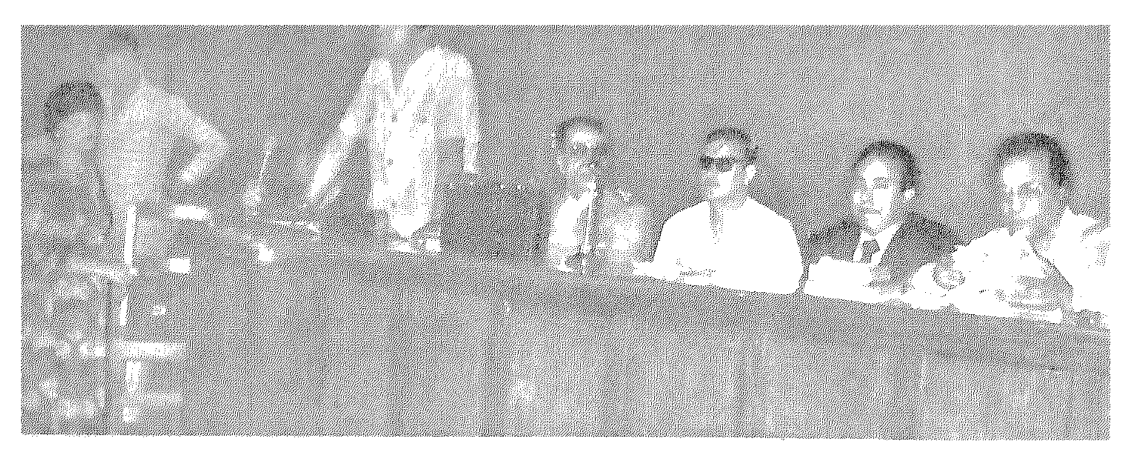
وقد كان من اهم معالم النشاط الادبى لمديرية الثقافة بالاسكندرية ـ هذا الشهر ـ الندوة الشعرية الكبرى التى اقيمت بقصر الحرية ، وحضرها جمهور كبير من ابناء الاسكندرية وشعرائها وشباب الأدباء فيها .. ودعى اليها الأستاذ الدكتور محمد زكى العشماوى نائب رئيس جامعة الاسكندرية ، والدكتور حلمى مرزوق عميد آداب طنطا ، والأستاذ نصر الدين عبد اللطيف مدير تحرير الهلال لمناقشة ديوان « الغصن الثائر » للشاعر الأستاذ ابراهيم صبرى . . .

ادار الندوة الاديب الشاعر اللواء سالم حقى ، وافتتحها الأستاذ محمد غنيم مدير مديرية الثقافة بكلمات رائعة ، حفلت بالحقائق والصور المعبرة عن نشاط المديرية فى خدمة الفكر والأدب ودورها الحيوى الهام فى دفع عجلة التقدم السكندرى فى شتى مجالاته

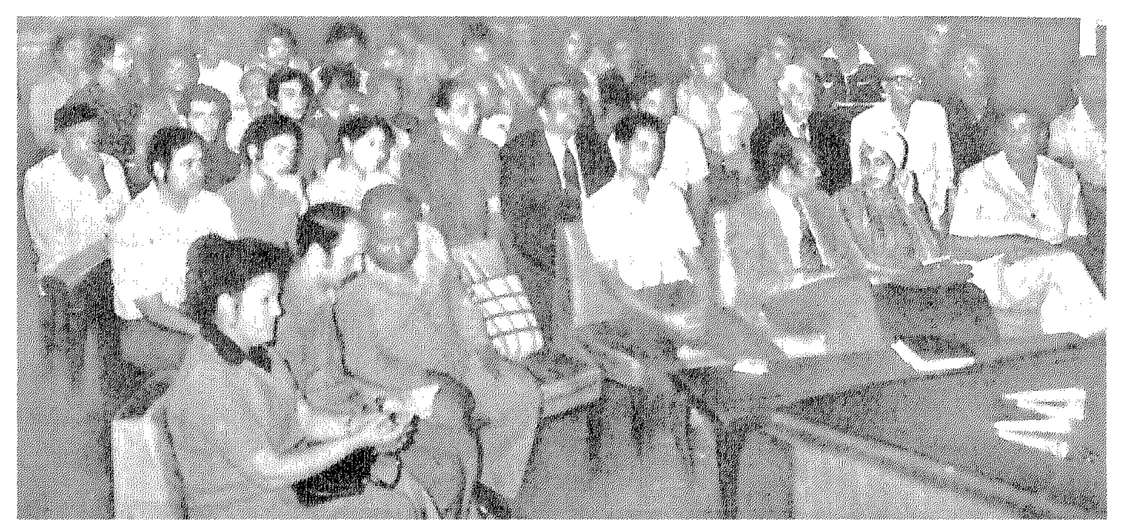
وتالق الاستاذ سالم حقى بحسن الالقاء والاختيار ولطائف المجاملات فى تقديم اعضاء الندوة وادارة المناقشات ... وكان جمهور الحاضرين متحمسا يشارك فى المناقشات معبرا عن ترحيبه بالشعر والشاعر ، خاصة وان ديوان « الغصن الثائر » الذى يواكب باجمل واطول قصائده عيد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ، قد خرج من مطابع القاهرة لتوزع نسخه فى الاسكندرية ، ويناقش ـ لأول مرة بعد صدوره ـ فى ندوة كبرى مع نقاد وجمهور من ابناء الأسكندرية . . .

وبعد ان قدم الدكتور حلمى مرزوق افتتاحيته القوية والمتميزة بثقافة واسعة ، وانجاهات رائدة فى مفاهيم الشعر والنقد بدأ مناقشة الديوان ، وكانت تتابعه اهتمامات جمهور الندوة واعضاء المناقشة ، وحرص الشاعر ابراهيم صبرى على ان يسجل اولا باول النقاط التى يتاهب للرد عليها فى نقدات الدكتور حلمى ولمساته الذكية والباسمة ...

واثار الاستاذ نصر الدين عبد اللطيف قضية الحب فى الشعر ، وصداقة الشاعر والناقد ، وطرح للراى كيف « ان المحب لا يصلح ناقدا » .. ثم افتتح باب المناقشة لجمهور الحاضرين مع الشاعر واعضاء الندوة ، فتوالت الاسئلة والملاحظات الذكية التى يتميز بها عشاق الادب والشعر من ابناء شباب الاسكندرية ، وكبار شعرائها ، وبينهم الاساتذة : ادوار حنا سعد ، ومحمود العتريس ، وعبد المنعم الانصارى واحمد



افتتاحية التقديم : محمد غنيم يلقى كلمته وبجواره نصر الدين عبد اللطيف وسالم حقى والشاعر ابراهيم صبرى والدكتور حلمى مرزوق عميد آداب طنطا ، وقد ظهرت الى اليسار مشيرة كامل تسجل للبرنامج العام باذاعة القاهرة



جانب من الجمهور السكندرى الكبير يضم نخبة من شباب الاسكندرية وكبار شعرائها فى بداية مناقشات الشعر والنقد « الغصن الثائر »

السمرة ، ومحمد خطاب مدير قصر الثقافة : كما حضرت عن البرنامج العام لاذاعة القاهرة مشيرة كامل .

ووقف الشاعر والناقد والعروضى السكندرى المعروف الأستاذ محجوب موسى ، يخرج من جيوبه الواسعة أوراقه وما سجله من نقداته وملاحظاته ، فأشاع فى جو الندوة روحا من الحيوية والمرح ، وكان أسعد الحاضرين بها هو الشاعر صاحب الديوان ... فقد رحب ، وشكر ، وكرر الدعوة للأستاذ محجوب بأن يزوره فى القاهرة لتكون لهما معا جلسات شعر ونقد أوسع وأطول ...

ومن باب الصدفة وحدها ، جاء الختام مفاجأة طيبة لجمهور الندوة ، ففى أثناء المساجلات بين محجوب موسى وابراهيم صبرى ـ تطلبت المناقشة أن ينشد الشاعر القصيدة موضوع المناقشة ، فاذا بنا نكتشف أن الشاعر الباسم الخجول ، أو الذى يبدو خجولا ، قد ملك ناصية المنبر ، وانطلق ينشد قصيدته بصوت فخم والقاء رائع سيطر على المشاعر ، وذكر الحاضرين بفطاحل الشعر والالقاء فى عصرهما الذهبى الجميل ...

وانتهزها الجمهور فرصة ، فاستعاد واستزاد ولم يبخل الشاعر ، فكانت الفائدة الكبرى للندوة مهرجانا يدوى فيه صوت معبر وعميق بشعر قوى ثائر وجميل ...

وكانت ندوة « الغصن الثائر » أمسية شعرية رائعة ، فى رحاب الاسكندرية ، الشاعرة الرائعة ! ●

تذكرة طبية

د. جلال العشانى

أحدث الآراء فى حب الشباب ووسائل علاجه

من أكثر الامراض الجلدية شيوعا واوسعها انتشارا : حب الشباب .. واغلب ضحاياه من الفتيات والفتيان دون سن الخامسة والعشرين خلال مرحلة المراهقة والشباب . غير أن يده الطويلة قد تمتد الى بعض منجاوزوا تلك المرحلة وانتقلوا الى دور الرجولة .

وادهى من ذلك وادعى الى العجب الا يفلت من حب الشباب حتى الصغار فى دور الطفولة . وان كانت اصابتهم بالمرض في صورة اخف وعلى نطاق أضيق . اما من يزعمون انهم لم يصابوا بحب الشباب لمجرد انهم لم يعانوا من وطاته فاكبر الظن انه زار اكثرهم ولكنه ـ لظروف خاصة ـ لم يطل المكث معهم ولم يثقل عليهم ، فنسوا زيارته العابرة فى غمار ما مر بهم من احداث ...

***

واذا كان حب الشباب قد بلغ كل هذا المدى من الشيوع والانتشار فان له اعراضا تظهر ـ أكثر ما تظهر ـ على الوجه ، ولكنها قد تظهر كذلك على الظهر والاكتاف والارداف وحول العنق وتحت الابطين وفى مناطق اخرى من الجسم .

واهم هذه الاعراض الرءوس البيضاء والرءوس السوداء . وقد تظهر هذه الرءوس وحدها او مصحوبة ببثرات صديدية أو اكياس ملتهبة أو عقد او حبات صلبة أو بها مجتمعة .

ومهما يكن من الامر فلعله مما ييسر على الطبيب عملية التشخيص أن يعثر عند الفحص على رءوس بيضاء ، اذ أن هذه الرءوس من خصائص حب الشباب دون سواه .

***

وبعد تشخيص الداء يأتي وصف الدواء ، غير ان الدواء لا يكون ناجعا الا اذا امكن الوقوف على اسباب المرض . فهل عرفت اسباب حب الشباب حتى يمكن ان يوصف له العلاج الناجع ؟ الواقع ان عملية البحث عن تلك الاسباب قد استغرقت زمنا طويلا وهي قائمة على مجرد فروض ونظريات تاخذ بظواهر الامور اكثر مما تعنى ببحث بواطنها وشتى جوانبها . فقد ظهرت مثلا فكرة تنادى بأن الاكثار من تناول الاطعمة النشوية والدهنية يزيد حب الشباب ويضاعف من حدته وشدته ، لهذا تتابعت النصائح لمرضى حب الشباب بضرورة الامتناع عن تناول اللبن وأكل الشيكولاته والجاتوه والزبد وما الى ذلك من الوان الطعام . وكان من أثر استقرار هذه الفكرة فى الاذهان حرمان كثير من المصابين بحب

الشباب ـ دون داع أو فائـــدة ـ من الاستمتاع بصنوف شـــهية توضع على موائدهم فتمتد اليها أبصارهم ولكن ترتد عنها أيديهم نزولا على رأى لم ينل حظه من البحث العميق والدرس الدقيق .

وليس أدل على فساد هذا الرأى ـ بعد أن طال الاخذ به اعتقادا فى صحته ـ من تجربة أجراها طبيب أمريكى شـكا اليه عدد من مرضاه المصابين بحب الشباب

من أن المرض تزيد حدته وتشتد عليهم وطأته كلما تناولوا الشيكولاته فاستدعاهم ذات يوم واستبقاهم تحت ملاحظته وأخذ يوزع عليهم فى مواعيد الوجبات طعـاما زعم لهم أنه أحدث علاج لحب الشباب. وبعد عدة أيام كانت المفاجأة فقد وجـد الطبيب أن حالتهم قد تحسنت كما أنهم اعلنوا ابتهاجهم بالعلاج الجديد دون أن يفطنوا الى أن هذا العلاج لم يكن سوى شيكولاته مغلفة بطبقـــة ســـميكة من الجيلاتين !

وفكرة ثالثة ثبت خطؤها كســابقتها وهى أن الاكثار من غسل الوجه بالمـــاء والصابون يخفف من حدة حب الشـــباب ويفيد فى علاجه لانه يزيل ما يتم افرازه من دهون ، ومصدر الخطأ فى هذا القول أن تلك الدهون تم افرازها ولم يعد يخشى ضررها . أما جذور المرض فتمتد الى الجزء العميق من القناة الشعرية المتصل بالغدد الدهنية . ولهذا كان غسل الوجه ـ فى اعتدال ـ أمرا مرغوبا فيه لانه أشـبه ما يكون بتنظيف الجرح بعد خروج القيح منه ، ولكن عملية التنظيف ليسـت هى العلاج بل هى خطوة على الطريق يجب أن تتبعها خطوات وخطوات .

وازاء ما لقيته تلك الآراء والافـــكار وغيرها من ذيوع وانتشار عكف العلماء على دراسة موضوع حب الشباب دراسة علمية كشفت لهم خلال السنوات العشر الماضية عن أن هناك ثلاثة عناصر أساسية تسبب هذا المرض . أولها الهرمـــونات الجنسية الذكرية ـ وثانيها الغدد الدهنية للجلد ومدى استعدادها الوراثى للاستجابة لهذه الهرمونات ـ اما العنصر الثالث فهو وجود بكتيريا أو ميكروب حب الشباب فى جلد كل شخص . ويؤثر هذا الميكروب بانزيماته فى تلك الغدد فتخرج أحماضا دهنية تتفاعل مع انسجة الجلد ثم تبدو على سطحه فى صورة حب الشباب .

ولا جدال فى ان اهتداء العلمـــاء الى أسباب حب الشـــباب قد مهد أمامهم السبيل للاهتداء الى وسائل علاجه وأحدث ما وصلوا اليه من تلك الوسائل :

اولا : وتحت الاشراف الطبى استخدام « التراميسين » ومشتقاته بجرعات صغيرة ولمدة طويلة فقد وجد أن « التراميسين » فى هذه الحالة لا يعمل كمضاد حيـــوى وانما يعمل على التقليل من تكوين الاحماض الدهنية التى تعتبر العامل الاساسى فى ظهور حب الشباب مع عدم تعريض المريض لاية اضرار جانبية .

ثانيا : استعمال اقراص «داجسون» فى الحالات الشـــديدة من مرض حب الشباب .

ثالثا : تناول أقراص منع الحمل لعلاج حب الشباب ـ وهى وسيلة يحسن قصرها على الجنس اللطيف . ومن الواجب أن نلفت النظر الى أن بوادر التحسن لا ينتظر ظهورها الا بعد ثلاثة أشهر من تنـــاول الحبوب بانتظام فى ضوء تعليمات الطبيب كما أن حالة المرض قد تسوء خلال تلك الفترة ولكن يجب ألا يثير ذلك القلق أو الانزعاج .

رابعا : استخدام حمض « فيتامين أ » كمرهم أو محلول ، وتقوم فكرة العلاج بهذا الحامض على أساس أنه يعمـل على زيادة كمية الدم المتجهة الى المناطق المصابة مما يؤدى الى حدوث التهاب مؤقت يساعد على امتصاص البثور والحبيبات الصـلبة واختفائها وغالبا ما تظهر نتائج هذا العلاج فى مدى شهرين أو ثلاثة شهور .

وبعـــد .. فلعل فى هـــذا القدر ما يكفى لأن تكون هـــذه الجرعة وافية وشـــافية ..

كتاب خالد

من تراثنا العربي

الأمالى لأبى على القالى

د. محمد عبد المنعم خفاجى

- ١ -

● ترجع شهرة أبى على اسماعيل بن القاسم القالى (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ : ٩٠٠ - ٩٦٦ م) الى كتابه ((الأمالى)) الذى يعد احد اركان الادب ، ومن اشهر مصادر الأدب العربى القديم واعتبره العلماء فى القديم والحديث من اصول الثقافة الأدبية ، ونوه النقاد والباحثون به تنويها كبيرا ، وقال فيه ياقوت الحموى (- ٦٢٦ هـ : ١٢٢٧ م) فى كتابه ((معجم الادباء)) : ((كتاب الأمالى معروف بين الناس ، كثير الفوائد ، غاية فى معناه » وقال فيه ابو محمد بن حزم القرطبى (٤٥٦ هـ : ١٠٦٢ م): ((كتاب الامالى)) مبار لكتاب ((الكامل)) الذى جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب ابى العباس اكثر نحوا وخبرا ، فان كتاب ابى على اكثر لغة وشعرا)) .

والكتاب يوضع بجوار كتابى «البيان والتبيين و « الحيوان » للجاحظ (٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م) وكتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٢٧٦ هـ : ٨٨٩ م) وكتاب الكامل للمبرد (٢٨٥ هـ : ٩٣٩ م) ، فهذه الكتب قد جمعت الكثير من معارفنا الادبية وثقافة الأدب ، واخباره وفنونه واشهر

اعلامه ، والعديد من الروايات الأدبية عن الأدب القديم • ويوضع معها كذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ : ٩٦٦ م) •

وقد نالت هذه الكتب شهرة مابعدها من شهرة . وصارت كتب دراسية في جميع مراجع الدراسات الاسلامية القديمة ، يطالعها ويتزود بثقافتها الطلاب ، ويرجع اليها العلماء ، ويأخذ عنها الباحثون ، ويتخرج على ثقافتها الأدباء والشعراء والكتاب •

وكان الكتاب قد طبع لأول مرة في مطبعة بولاق الأميرية في القاهرة عام ١٣٢٢ هـ : ١٩٠٤ م ، ثم أعيد طبعه محققا في مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٤٤ هـ : ١٩٢٦ م ، مع عناية شديدة بضبطه ، والحاق فهارس مستوفاة به واضافة كتاب « التنبيه على اوهام أبي علي في أماليه » للعلامة أبي عبيد البكري (٤٨٧ هـ : ١٠٩٤ م) اليه •

ويقع « الأمالي » في طبعة دار الكتب في جزءين « الاول في ٢٨٤ صفحة ، والثاني في ٣٢٦ ، ومعهما كتاب « ذيل الأمالي » والنوادر للقالي ايضا في ٢٢٤ صفحة ، وألحق بالكتاب كتاب « التنبيه » للبكري الذي يقع هو وفهارس « الأمالي » في ٢٢٤ صفحة أيضا •

وقد طبع الكتاب عدة طبعات أخرى في بيروت وغيرها •

ويقول محقق كتاب « الأمالي » : أن أئمة اللغة والأدب طالما تجدهم ينظمون في كتبهم من درره ، ويغترفون من بحره ، وهو تأليف جزل الفائدة ، جم النفع لمن يريد التعمق في علم اللغة ، وتزيين عقله بالآداب العربية والأخبار المنتخبة ، والأشعار المختارة ، والأمثال المستجادة » •

ويقول القالي في مقدمة الكتاب : ((أمللت هذا الكتاب من حفظي ، في الأخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، وأودعته فنونا من الأخبار ، وضروبا من الأشعار ، وأنواعا من الأمثال ، وغرائب من اللغات • على اني لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ، ولا ضربا من الشعر الا اخترته ولا فنا من الخبر الا انتخلته ، ولا نوعا من المعاني والمثل الا استجدته ، ثم لم اخله من غريب القرآن ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، على انني أوردت فيه من الأبدال ما لم يورده أحد ، وفسرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر ، ليكون الكتاب الذي استنبطه احسان الخليفة جامعا)) •• وفي المقدمة أثنى القالي على ((الناصر)) وولي عهده ((الحكم)) ثناء مستطابا •

وفي الجزء الأول يتحدث القالي عن كثير من المواد اللغوية ، وشرح غريب نصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي والروايات الأدبية ، والحكم والأمثال والخطب والشعر والقصص ، ومن المواد اللغوية التي عرض لها في صدر كتابه : مادة « نسأ » ومادة « لحن » ومادة « حرد » • ويذكر حديث وصف السحابة ويشرح الغريب فيه ، وما من رواية أدبية أو خبر أو شعر الا فسر غريبه •

وقد اكثر القالي من النصوص الأدبية كخطبة عبد الملك في الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير ، ويروى المفاخرة بين طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان عند بعض ملوك حمير ، وحديث الجاحظ وهو مفلوج ، وقصيدة ابن سبرة التي نظمها في يده التي قطعت وهو يغزو الروم ، وحديث ليلى الأخيلية مع الحجاج ، واستعطاف ابراهيم بن المهدي للمأمون ، ويذكر ما قاله الشعراء في البكاء ووصف الدموع ، وما قيل في عناق الحبيب ، وقصيدة ذي الاصبع العدواني ، ولامية السموءل وكثيرا من النصوص الشعرية والنثرية ، من خطب ووصايا ونصائح وحكم وأمثال وغيرها •

ومن الطرائف التي ذكرها القالي في الجزء الأول : حديث البنات الثلاث اللائي وصفن ما يحببن من الأزواج ، وحديث النسوة اللاتي أشرن على بنت

الملك بالزواج وتحدثن معها عن محاسن الزوج ، وحديث بعض (ملوك) حمير مع ابنتيه حين كبرت سنه وما دار بينهما، والطريف ان كل رواية ادبية غريبة ونادرة يردها القالي الى راويها ، وهو استاذه ابو بكر بن دريد (- ٣٢١ هـ ٩٣٣ م) ، وابو بكر بن دريد يروي الكثير من المجالس الأدبية التي عدت من أصول فن المقامة ويدون القالي الكثير من هذه المجالس في كتابه ((الأمالي)) .

***

ومما ذكره القالي في الجزء الثاني من « الأمالي » : حديث بعض الوفود على عمر بن عبد العزيز ، وحديث الأحنف بن قيس مع معاوية في مدح الولد وحديث هند بنت عتبة وما اشترطته على أبيها عتبة بن ربيعة في زواجها قبل أن يزوجها أبوها من أبي سفيان بن حرب ، وحديث البنات الثلاث مع أبيهم الذي كان قد عضلهن ومنعهن من الزواج من الأكفاء ، وحديث همام بن مرة مع بناته الثلاث العوانس .

ويذكر القالي في الجزء الثاني أيضا فيما يذكره فيه - : نبذة من كلام الامام علي ، ووصف الامام علي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرثية زينب بنت الطثرية في أخيها يزيد ، وخطبة لعمر بن عبد العزيز وما قيل في كتمان السر ، والكثير من الخطب والقصائد والحكم والأمثال والأخبار ، فيما يذكره من الطرائف في الكتاب .

- ٢ -

والقالي البغدادي أشهر أعلام الأدب العربي القديم ، وهو شخصية بغدادية أندلسية طريفة ، وامام في اللغة وعلوم الأدب ، وله مؤلفات جمة مأثورة ، ومن كتبه : مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال ، وكتاب الممدود والمقصور وكتاب فعلت وأفعلت ، وكتاب الابل ، وكتاب حلى الانسان والخيل ، وكتاب البارع في اللغة ، وكتاب « النوادر » وقد الحق بالأمالي لأنه لا يخرج عنه ، فهما من واد واحد .

وكان القالي أحفظ أهل زمانه للغة ، وأرواهم للشعر وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقا في ذلك . وحياته مثل رائع لحياة العلماء المسلمين في عصور النهضة الفكرية والازدهار العلمي في العالم الاسلامي، والتشجيع الذي يفوق الخيال من الخلفاء والوزراء والأعيان . فالعلم في العالم الاسلامي القديم لم يكن وسيلة للدعاية السياسية ، ولا للشهرة الرخيصة ، والاعلان الكاذب ، بل كان حركة ضخمة لخدمة التقدم ، وللرقي بالحضارة ، ولاعزاز شأن العقل ، والارتفاع بمستوى الحياة العامة ، وكان مجانيا تنهض به الدولة وتنفق عليه الدولة ببذخ وسخاء .

ولد القالي عام ٢٨٨ هـ : ٩٠٠ م بمنازجرد من أعمال ديار بكر ، وبها نشأ وحصل أطرافا من العلم . وكان ينتمي الى الأمويين ، فأحد أجداده وهو سليمان (الجد الخامس) - كما في « معجم الأدباء » لياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ : - كان مولى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي .

ورحل القالي عام ٣٠٣ هـ وهو في الخامسة عشرة من عمره الى العراق في طلب العلم والتحصيل ، وفي طريقه الى بغداد كان في رفقة جماعة من قرية « قالي قلا » ، فلما دخل بغداد نسب اليهم لكونه في صحبتهم ، وأطلق عليه

القالي ، وأحيانا كانوا يسمونه البغدادي لطول اقامته في بغداد . وتتلمذ في بغداد على فحول العلماء ، وفي مقدمتهم: البغوي(ـ ٣١٧هـ) والعدوي (ـ ٣١٩هـ) والسجستاني (ـ ٣١٦هـ)،وابن صاعد (ـ ٣١٧ هـ) ، وابن درستويه (ـ ٣٤٧ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) ، والأخفش الصغير (ـ ٣١٥ هـ) ، وابن دريد (ـ ٣٢١ هـ) ، وتفطويه (ـ ٣٢٣ هـ)،وابن السراج(ـ ٣١٥هـ) وابن الأنباري (ـ ٣٢٨ هـ) وسواهم من أعلام العلماء ، الذين يروي عنهم وينوه بعلمهم .

وبدا نبوغ القالي في اللغة والأدب لأساتذته ، وأخذت شهرته تزداد في حلقات العلم والثقافة في دار السلام ،وجلس للتعليم والافادة ، وظل ربع قرن مقيما في بغداد ، متعلما للتعليم محققا ومفيدا ، حتى جاءت سنة ٣٢٨ هـ فكانت عام التطور المفاجيء في حياة القالي العلمية والأدبية .

وسمع علماء الاندلس الذين كانوا يفدون على بغداد بالقالي وبنسبه الأموي وبمكانته العلمية ، وبأنه يعيش في بغداد مزورا على بني العباس ، معتزا بانتمائه الى الأمويين ، وعن طريقهم علم الناصر وولي عهده الحكم بقصة هذا العالم ، فكاتبوه وبعثوا اليه مع رسلهم الهدايا الكثيرة ، كما بعثوا اليه يطلبون وفادته الى الأندلس لينزل في رحابهم ،فلبني أمية دولة كبيرة في الأندلس أسسها الداخل عام ١٣٨ هـ : ٧٥٥ م وهي قائمة حتى عصر القالي ، والناصر هو الخليفة الأموي فيها الذي تولى الملك منذ عام ٣٠٠ هـ ، وولي عهده الحكم بن الناصر هو الركن الوطيد للدولة وللحركة العلمية فيها، وعاصمة الخلافة الأموية في الاندلس هي قرطبة، وفيها اقيمت المكتبات والجامعات والمدارس ، وازدهرت الحركة العلمية في الأندلس ازدهارا عظيما .

في لحظة حاسمة في حياة القالي كانت رسالة الناصر في يد عالمنا يقرؤها ويعيد قراءتها ، وكان الملك الأموي يرغبه فيها في الوفود عليه ، لنشر علمه في بلاده ، ولبى القالي الدعوة ،وسافر الى قرطبة ، مودعا بغداد وعهده فيها ، وحياته بها .

وفي أحد ثغور الأندلس وصلت السفينة التي سافر عليها القالي ،وتلقاه في الميناء ـ بأمر الحكم ولي عهد الناصر ـ ابن رماحس في وفد من العلماء والوجهاء وساروا وسار معهم القالي في موكب نبيل الى قرطبة ، يتذاكرون الأدب ويتناشدون الشعر .

دخل القالي قرطبة عام ٣٣٠ هـ كما يقول ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » لثلاث ليال من شعبان فأكرم الناصر وفادته ، وأعلى في دولته مكانته ، ووكل اليه تعليم ابنه ولي العهد الحكم . واستوطن قرطبة ، وأخذ يلقي محاضراته في المسجد الجامع بالزهراء ، وكان القالي واسع العلم ، غزير الرواية ، طويل الباع في علوم الأدب واللغة ، فسمع الناس والطلاب منه ، وقرأوا عليه كتب اللغة والأخبار والأمالي ، وعظمت استفادتهم منه ، وتتلمذ عليه الزبيدي مؤلف كتاب « مختصر العين » وغيره . ومدح الشاعر الأندلسي الرمادي يوسف بن هارون الكندي أبا علي القالي بقصيدة ، منها :

الشرق خال بعده فكأنما ... نزل الخراب بربعه المأهول
وكأنه شمس بدت في غربنا ... وتغيبت عن شرقهم بأفول

وعاش القالي في الأندلس عشرين سنة في ظلال الناصر ، وست سنوات

في ظلال الحكم بن الناصر الذى شمله بالعطف والسخاء والعطاء . وكان بين القالى وعلماء الأندلس وأدبائها صداقات ومداعبات،وكان من معاصريه فىالأندلس ابن القوطية وغيره . ونال القالى من الدولة كل تكريم ورعاية ، وعهد اليه الخليفة بتمثيل الدولةفي أخطر المواقف السياسية ، حتى ليروى أن الناصر كلفه بالخطابة أمام وفد الروم الذين زاروا قرطبة ، ووفدوا على مليكها ، لولا أن أبا على القالى بهت وانقطع عنه الكلام فى هذا الموقف ، فقام مقامه سعيد بن منذر البلوطي . وتوفي القالى فى قرطبة فى ربيع الآخر من عام ٣٥٦ هـ ، فبكاه تلاميذه وأصدقاؤه أحر بكاء ، وشيعت قرطبة كلها جنازته وحزن عليه الخليفة الحكم بن الناصر حزنا شديداً

— ٣ —

قد كان للقالى منزلته العلمية فى العاصمة الأندلسية ، وله دالته على الخلافة الأموية فيها ، لانتمائه الي بنى أمية ، ولانه أستاذ ولى العهد أيضا .

وكان من أعلام العلماء في الأندلس أو في قرطبة آنذاك البلوطى ،والزبيدى وأبو الحسن جعفر المصحفى الشاعر ،وابن رفاعة الالبيرى ، وابن القوطية ، ويوسف بن هارون الكندى المعروف بالرمادى ، واحمد بن أبي الزبيدى . والقزاز ، وابن مغيث القاضي وثابت، وقاسم بن ثابت . ومع ذلك لم يستطع أحد من منافسيه أن يزحزحه عن مكانته .. وفى « نفح الطيب » ان الحكم ظل يتعهده ويدفع عنه حساده حتي بعد أن آلت اليه الخلافة . ويقول ابن الفرضى فى كتابه « بغية الملتمس » : ان الناس شهدوا له بالتقدم والاجادة وسمعوا منه . وظل القالى على امتداد العصور يمثل شخصية الراوية اللغوى الأديب القصاص الاخبارى الذى يجمع الطرائف فى الأدب والشعر واللغة والنسب ، ويؤلف بينها لتكون موضوع محاضرة عامة يلقيها على تلاميذه والمستمعين اليه فى مسجد قرطبة الجامع كل يوم خميس ، وهذه المحاضرات تمثل الثقافة الأدبية واللغوية عند علماء الأدب المحافظين في بغداد ، وقد صارت نموذجا حيا وضع أمام عيون العلماء والأدباء والطلاب فى قرطبة وافاد منه الدارسون والباحثون فوائد جلى . ولم يتعصب القالى فى رواياته الأدبية لعصر من العصور ،فلم يقف بمختاراته عند العصر الجاهلى وحده بل طاف بكل العصور الى أيامه

وأغلب روايات الأمالي هى عن أساتذته فى بغداد ، والأكثر منها ، وبخاصة الروايات التى تمثل التيار القصصى فى الأدب ، منقولة عن أستاذه ابن دريد البصرى العالم اللغوى المشهور ، ولما مات ابن دريد عام ٣٢١ هـ قال القالى وهو يقيم فى بغداد : انى لا أرجو ان أقيم بعده فى بغداد .

— ٤ —

ومقدمة « الأمالى » سجل ثمين ، يكشف لنا الوانا عدة من حياة القالى فهى تمثل نثره الأدبى أصدق تمثيل وهي تصور لنا البواعث النفسية لتاليف « الأمالى » . وفيها يشيد القالى ـ بعد حمد الله ـ بفضل العلم ومنزلة العلماء ، ويثنى فيها على الناصر وتشجيعه للاداب ، وعلى ولى عهده الحكم ، ويذكر أنه أملى « الامالى » فى أيام الخميس بقرطبة فى المسجد الجامع بالزهراء المباركة . ثم يختمها ببيان ما اشتمل عليه الكتاب من بحوث ودراسات وآراء .

و ((الامالى)) مع مظهره الأدبى العالى يدل على ثقافة لغوية واســـعة ، هى الطابع البارز الغالب على الكتــاب فهو حافل بالفوائد اللغوية التى لا توجـد فى كتاب ، فنجد القالى فيه ـ مثلا ـ يتعرض لتفسير مادة ((نسأ)) ومادة ((لحن)) ومــادة « حرد » • ويفسر الغريب فى حــديث الســحابة التى نشأت ورسول الله جالس بين أصحابه صلى الله عليه وسلم ، ويتعرض للكلام عن غريب حديث ((ألم أخبــرك أنك تقوم الليل ؟ » ونجده كذلك يخصص مطالب لترتيب أسنان الابل وأسمائها ولأســماء الرجل الذي يحب محادثة النساء ، ولأسماء الشخص ، ولأسماء الألوان وأوصــافها الى غير ذلك ممـا اشتمل عليه الكتاب من ثقافة لغــوية عرض لها المؤلف قصــدا ، أو ذكرها فى أثناء شرحة لنصوص ادبية قديمة أو محدثه •

وفى فصــــول فى الكتاب يذكر ما تتعاقب فيه العين والحاء والهمزة والهاء والسين والتاء •

أما ثقافات الكتاب الادبية فينطق بها ما احتوى عليه الكتاب من روائع الآثار الأدبية المــروية عن العصر الجــاهلي والاسلامى والأموى وصـدر دولة بنى العباس • وهى نصــوص أدبية جميلة قد لا توجد فى كتاب آخر ، ســواء ما ســجله القالي منهــا من النثر أم من الشعر •وفي الكتاب كذلك آراء وأحكام ومجالس نقدية ، ذات أهمية فى ثقافة الأدب ومتذوقيه وطالبيه •

أما ملاحظــات البكرى فى كتــابه ((التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه » فمع كثرتها نجد بعضها يتصل بتصحيح اسم من الأســماء ، كأن يذكر القــالى خطبة لعبد الملك وانشــاده فيها شعر قيس بن رفــاعة فيــذكر البكــرى أن صحة الأسم هى ((أبو قيس بن ابى رفاعة)) ، وكأن يصحح شرحا لنص من النصوص ، وكان يشير الى تعثر القالى فى نسبة بعض الأشعار الى أصــحابها فيعزوها الى أعراب مجهولين ، أو يخلط فى ترتيب الأبيات أحيانا ، أو نحو ذلك ومن مثــل ما نبه عليه البكرى خلط القالى فى القصــيدة الدالية التى رواها الأعرابى ، فأدخل فيها بعض أبيــات لابن الدمينة ، وبعض أبيات للحسـين ابن مطر ، وبعض ابيات لا يعلم قائلهــا (١ : ٤٣ الأمالى) • الى غير ذلك

وبعد فالأمالى دائرة معــارف الأدب القديم ، وهو ثمرة من ثمرات الرجولة المكتملة والثقافة الواسعة،وهو صورة ونمــــوذج لآداب المشرق فى مختلف العصور الى نهايات القرن الثالث الهجرى وقد وضع هذا النموذج امام عيــــون الشباب الأندلسى •

والآداب الشرقية كانت فى الأندلس من الطرف الجميلة،التى يحتفل الناس بها ، وتروى وتذاع ، لانها تشــــد الأندلسيين الى ماضيهم وتراثهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم ، وذلك على الرغم من الخــلافات الســـياسية بين الأندلس وبغداد

وليس فى الكتـــاب شيء من آداب الأندلسيين وآثارهم ، اذ هو صـــورة مشرقة واضــــحة لذوق أدباء المشرق وشعرائه ونقــاده • وبهــذا الكتاب خلد القالى فى تراثنا العربى على مر العصــور والأجيــال •

د • محمد عبد المنعم خفاجى

الناس والعصر



نصر الدين عبد اللطيف

.. على أطلال الثقافة الأدبية

لماذا ؟ ..

ركن الأركان ، هى مجلس الاسمار . هو يتامل قلمه بين اصابعه ، كمن يرى قلما لاول مرة ! .. هى تتابعه فى اهتمام وابتسام !

هو : .. والان ، بدءا من سهرتنا الليلة يا هى ، ولسهرتين بعدها ، لا ولاية لى هنا .. ولا انا مولاك !

هى : كيف يامولاى ... كيف ؟

هو : سنكون هنا ، انت وانا ، مجرد احدين ... هو ، وهى !

هى : ولكن .. لماذا ؟

هو : لواحد واربعين سببا !

هى : آه ... ولماذا بالذات واحد واربعون سببا ؟ !

هو : لانها واحد واربعون سببا بالذات !

هى : اذن .. تقول لى منها اهمها ؟

هو : فيما بعد ، ربما ..

هى : يعجبك انى معك لا اعرف ، ولا افهم ؟

هو : أحيانا ! ...

هى : حتى ولو قدمت لك الان شيئا جديدا ؟

هو : وما جديدك ؟

هى : تفضل . . هذه رائعة ت . س . اليوت : « الأرض اليباب » !

هو : ولكن ، ما الذى ذكرك بهذه القصيدة العجوز ؟ ! ..

هى : ترجمة جديدة لها ، اعدها الاستاذ عبد الله البشير ، ونشرها الاهرام اخيرا .

هو : شكر الله لمن ترجم ، ومن نشر ! ..

هى : وليس بعد الشكر شيء ؟

هو . بعد الشكر ، فان رئيس تحرير الأهرام الأدبي، ثروت اباظه، تليق بأدبه ومواقفه جائزة الدولة ..
هي : واستاذنا البشير ؟ ..
هو : اتمنى لو اننا ، هو وانا ، نصبح صديقين .
هي : وما من جائزة ؟
هو : ان من يتطوع بملء اختيساره لمعاناة انجاز هذا العمل الممتع الشاق والجميل ، غالبا ما تكون جائزته عنه منه فيه !
هي : ولكن ...
هو : لا بأس ، ولتكن هناك بالاضافة الى ذلك جائزة من يعيد وصف قطعة اثرية ثمينة ، وليس أمامه غير القطعة نفسها، ونفس الكلمات التى استخدمها من سبقوه ...
هي: ولكن رائعة اليوت ليست قطعة اثرية .. انها « الأرض اليباب » ، قصيدة العصر !
هو : الآن لا ! .. فانها « الارض اليباب» القصيدة التى انتهى عصرها!
هي : ربما يرون فى هذا الرأى ما يغضب ولا يعجب !
هو : من ... الأليوتيون العرب؟. وثقي الخطو ، ولا تحفلى ! ..
هي : يبـــدو انه موقف لك من « الأرض اليباب » ؟
هو : أبدأ .. واقول لك فاسمعي يا هى وان شئت سجلى .. :
فى واقـــع الواقع ، وراء مجلس الأسمار فى قصر الرمال ـ انا مجـرد عاشق هيمه الفكر كلما ، ونســـقا ، وحوارا ، وزخم شعر ! ..
قد لا يكون لى مقعد خاص مميـــز فى اى موقع خاص مميز ، حتى ولا فى « عشة » على السطح فى قلب عين الشمس ، اســمها بيتى ! ..
ولكنى صاحب مقعد دائم فى المقـدمة بين صفوف المعجبين بأدب العبـقرى شاعرا ومسرحيــا ، وناقدا ، توماس ستيرنز اليوت ، وخاصة رائعته الفريدة « الأرض اليباب » ..
ولأننى أشفق أن يطوى ســـمراتنا الغــــراء الحـــديث عن اليـــوت فى شتى جـــوانب أدبه وأبداعه ـ فلنتفق على أن سهرة الليلة كلها ، لقصـــيدته الشهيرة وحدها : « الأرض اليباب » والبعض يفضلونها : الخراب ! ...

***

لقد تعرفت عليها ، هذه القصيدة ، منذ تفتحت لى نوافذ الحى الغـــربى ، وكانت لقاءات التعارف تفعم وجـدانى دهشة ، واعجابا ، وبهرا! .. ثم كانت هى ـ الارض اليباب ـ وفية صحبتي ... تقدم لى نفسها فى اكثر من لغة .. وتزورني فى كتب مهداة وصحف! .. وتفاجئنى فتـــومىء لى من وراء السطور والكلمات فى قصـــائد المع الشعراء العرب المحدثين !
هكذا وكما ترين ، يا سيدتى فان الذى بينى وبين الأرض الخـــراب عمار ! .. .

***

تلك على اى حال شئون هامشية . وتبقى القضية ... :
ان اجنحة عريضة فى الفكر والشعر العربى تدمـــن الوقوف على الأطلال الثقافية لأوربا القرن التاسـع عشر !

انهم يفرضـــون على أنفســـهم تبعية حماسية التمجيـــد والتقليد للأرض اليباب ، والأرض اليباب ـ قصـــيدة ـ انتهى دورها ، وانفض عنها أهلها، وتجاوزتها انطلاقة الفكر والشـــعر الجديد فى أوطانها ! ...

لقد أنشأ اليوت هذه القصيدة فى عام ١٩٢١ ، كان وقتئذ يستشفى فى لوزان ، وعنـــدما عاد الى باريس ، عرضها على صاحبه الشاعر ازرا باوند، فنقـــدها ، وعدل له فيها ، وحذف منها ..

يقول اليوت (فى حديث مع لسلى بوب ، ـ للقسم الأوربى فى الاذاعة البريطانية) : لقد حذف لى ازرا باوند جانبا كبيرا من ((الارض اليباب)) . لم يكن له لزوم ... كانت القصيدة فى حجمها الاصلى ضعف طولها الان تقريبا .. وقد شمل الحـــذف مقطعـــا طويلا عن ســـفينة تغرق ، جاءتنى فكرته الأصلية عن نشيد بوليسيز فى جحيم دانتى ...

((كذلك كانت بعض مقاطع القصيدة تقليدا لبوب (الشاعر الكبير الكسندر بوب) فقال لى ازرا ((أن بوب قد فعل ذلك بقدر من الاتقان يجعل من الأفضل لك الا تحاول منافســـته !)) ... وكانت نصيحته فى محلها ! ..))

واعترافا بصنيع ازرا ، فلقد كتب له اليوت على الصفحة الأولى من القصيدة اهداء قال فيه : ((الى ازرا باوند، الذى يفوقنى حذقا ومهارة)) !

لكن ، وبرغم النقـــد والتعـــديل والحـــذف ، وتجنب منافســـة ((بوب)) ـ فلقد جاءت الأرض اليباب كما قال اليوت بالنص فى مذكراته: ((قصيدة مهوشة، يعوزها التناسق)) !

ولم يكن مغاليا ..

فان الأرض اليباب ، بقضـــاياها المتشـــعبة وجوها العجيب المفعم رموزا، وغرابة وغموضا، وبالتعليقات والتهميشات المكملة والمســـجلة فى نهايتها ـ تكاد تكون مجموعة متناثرة من الشرائح والمقتطفات من أســـاطير الشرق والغـــرب والقصص القـــديم ، ومن المقتبسات والنصـــوص لاتينية ، وايطالية ، وهندية !

ولو ان الأرض اليباب رفعت منهـــا المقتبسات والنصـــوص ومحصلة تأثرات اليوت تأثرا مباشرا ، بكتـــاب ومفكرين، مثل جسى وستون فى كتابها ((من الطقس الى القصة الخيالية)) .. و ((الغصن الذهبى)) للسير جيمس فريزر ـ لو رفع هذا كله ، لما بقى من الأرض اليباب غير اليباب وحده !..

صحيح أن الأرض اليباب خرجت الى عالم الفكـــر والأدب الأوربى حدثا شعريا جديد الشكل والمضمون ايضا.. ففيها تحرر اليوت من القـــوالب ووسائل التعبير المألـوفة ٠٠ التفت الى كنوز الأساطير والأدب القـــديم ... ونزع الى التضمين .. وحقق نوعا من الجرأة اللغوية باســتخدام ألفاظ من الشارع ومن المصـــــنع لم يكن يعترف بها قاموس المفردات الشـــعرية فى عصره ...

كذلك فلقد تجاوز بها اليوت المألوف من اهتمامات شعراء عصره بالتعبير عن ذواتهم ، واتجه الى التعبير عن العصر ذاته ، عن أزمة الأنسان والأنسانية فى المجتمع الصناعى فى أوربا وامريكا بعد الحرب العالمية الأولى.. مجتمع الثرثرة، والقسوة والابتذال والضياع ٠ ٠ . وامطر الناس والأشياء والدنيا بعبارات: الأجنحة العاجزة ، الارقام الغبية ، الجفاف ، الالات الصماء ، والقـوى المشلولة ـ مبشرا باليأس المطبـــق :لا زمن ٠٠ لا خصوبة ٠٠ لا حركة ... لا أمل !

***

و . . لا نستطرد ، فالحـق أن اليوت ليس أول من بشر ونادى بما تحمل قصيدته العظيمة من مظـــاهر اخفاق الحضــــــارة الأوربيـــة وتمزق الانسان المعاصر فى مجتمـــع شرس وعقيم ـ فقد سبق اليوت الى مثـل ذلك مفكرون وشعراء ..

ومن الحق ايضا أننى لا أحاول هنا نقدا ، فان القضية هنا عن القصـــيدة ، وليس القصيدة ذاتها ! ..

و .. ندخل المجال الحيــــوى لسؤال القضية :

لماذا ، الآن ، الأرض الخراب ؟

لماذا ، وما من مناسبة تدعو ..

ولا من رؤية جديدة ؟ !

يقول استاذنا عبد الله البشير ،ان القصــــيدة تحتمل أكثر من ترجمة وأكثر من تفسير ، وهذا قـول لا يقيم مناسبة مقنعة ولا رؤية جديدة ... فضلا عن انه توحيد بين غير متشابهين .. فالترجمة شيء، والتفسير تفسير:

ولقد ترجم استاذنا ، ولم يفسر ٠٠ومع ذلك فأن شعورا بالمودة له ،وحسن الظن بجهـــده وهـــدفه ، يلطف من تساؤلاتى حول لقاءاته مع اليوت ، وتقييم ترجمته للقصـــــيدة التى ظفرت من قبله بكفاءات عالية الثقافة وحسن الترجمة ، منهـم : ادونيس ،والدكاترة رشـاد رشــدى ، ولويس

عوض ، وفايق متى وغيرهم ممن تناولوا الارض اليباب وقتلوها دراسة وتحليلا، وعرضا !

و .. الى السؤال القديم ، نعود من جديد :

لماذا الآن الارض الخراب ، ؟

ان الأرض الخراب ، وقبلها وبعدها شعر اليوت كله ياخذ ويعطي من معين واحد ، هو ازمة الانسان في المجتمع الأوربى الصناعي خلال ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ..

ولقد انتهت هذه المرحلة فى حياة مجتمع أوربا والمجتمع الانسانى كله .. ولم تتحقق نبوءات اليوت .. لم ياكل اليأس والاخفاق والجدب كل شيء .. ولم يضع تماما انسان العصر ، وانما تغير ، وتغير معه مجتمعه ..

واليوم ، وبعد كل هذه السنين منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها ـ فان عالمنا الحاضر يعيش رؤى شعرية جديدة ، ويتلقى مذاقا حضاريا جديدا للشعر المعاصر ..

لم اذن نلوى عنق المتذوق العربى الى هذا الوراء البعيد البعيد .. بينما عالم الشعر الأوربى المعاصر يموج اليوم بأصوات تغنى هموم انسان العصر واشواقه ، ولنا أن نتعرفها ، ونغنى معها ، وقد نحاول فنغنى أحسن منها !

أمن المحتم على شبابنا المتفتح للثقافة العالمية المعاصرة ، المتطلع الى مواكبة أحدث اتجاهاتها ـ أن نتركه يتعثر فى آثار دراسة ، فلا يصل أبدا ، أو يصل متأخرا نصف قرن بعد موعد قيام الطائرة ؟!

ان هناك اليوم فى وطن اليوت (انجلترا ، بعد امريكا) ـ كما كان هناك من قبل ـ شعر وشعراء .. فلم لا نتعرف بوجوه جديدة واقلام شاعرة معاصرة عندهم ، حتى ولو من العجائز اوعا ، **مثل ستيفن سبندر ، وتدهيوز وفيليب لاركن، وجون واين، وغيرهم: اصغر كثيرا واشهر قليلا ؟ !**

لقد تغيرت ، تطورت ، تقدمت ، تقلبت الدنيا التى عاشها ونبغ فى تجسيدها وتقريعها ، والبكاء عليها ـ ت . س ، اليوت ! ..

فافسحوا لقصيدته العظيمة طريقها الى المكانة الجديرة بها بين الآثار النفيسة فى تاريخ الادب وكتب الدراسات المتخصصة .. ولتبق لنا صحائفنا اليومية العزيزة تصلنا بالتيارات الثقافية الجديدة فى مسيرة الدنيا ونبض العصر

و .. مع انحناءة التجلة تكريما لعمل شعرى عظيم ادركته الشيخوخة ـ لنلتفت مع الشباب ـ عن الأرض اليباب أو الخراب (أو هما معا ! ..) ـ فلقد طالت بنا الوقفة عند اطلال القصيدة التي انتهت ! ..

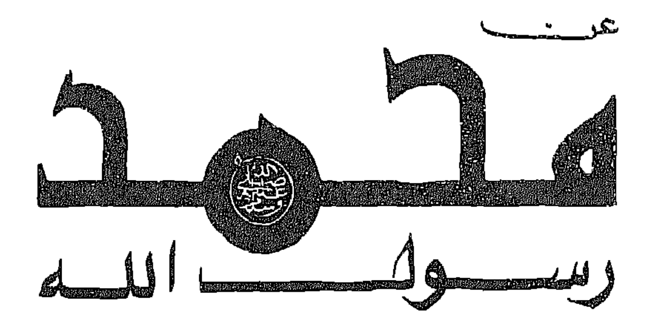
● السهرة ممتدة ..
والليل موصول ●



يقدم

عدداً ممتازا

عن



رسول الله

رؤية جديدة

يكتبها كبار كتاب العرب المعاصرين ومؤرخيهم

اتجاه جديد فى فهم السيرة النبوية الشريفة
ودراسات عن الشخصية المحمدية والعصر النبوى

مع استطلاع بالألوان يضم صورًا لم تنشر
للحرم المكى ومسجد الرسول خلال العصور

وملف صور لأهم الأماكن التى شرفها
الرسول صلى الله عليه وسلم

والعدد مفتوح للكتاب والمفكرين
فى الوطن العربى الكبير

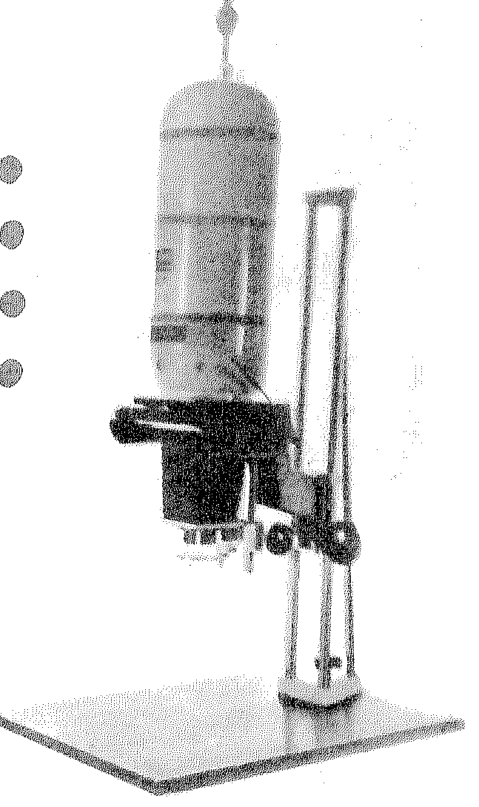
فتح جديد .. فى عالم الصحافة الثقافية



فور إضاءة اللمبة الحمراء
ڤاريمكس
يتولى العمل



- مكبرات كروكس العالمي
- أحواض وكاشات ومجففات
- عدسات عادية وألوان
- أجهزة مزج الألوان الكهربائي



وكافة مستلزمات التصوير للاستوديوهات
والهواة متوفرة الآن لدى الموزعين

لكافة الاستعلامات :

الشركة المصرية لتجارة الكيماو

١٠ شارع شمبليون - القاه
تليفون : ٥٠٧٦١ - ٨٧٢

فرع سيني فوتو ..
٢١ شارع قصر النيل - القاه

٦ ميدان الفلكي - باب اللوق - القاهرة - ت : ٣١٨٤٢ - ٥٤٨

الهلال
مجلة الفكر العربي

صلى الله عليه وسلم . صلى الله عليه وسلم . صلى الله عليه وسلم . صلى الله عليه وسلم

محمد

صلى الله عليه وسلم . صلى الله عليه وسلم . صلى الله عليه وسلم . صلى الله عليه وسلم

رؤية جديدة

توفيق الحكيم ● د. زكى نجيب محمود ● د. بنت الشاطئ
أنيس منصور ● يوسف السباعى ● خالد محمد خالد
د. عبد العزيز بن عبد الله ● محمد عبد الغنى حسن ● د. محمود على مكى

الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود ● فضيلة الشيخ متولى الشعراوى

د. طه حسين ● عباس محمود العقاد ● د. أحمد أمين
على عبد الرازق ● امين الخولى ● د. زكى مبارك

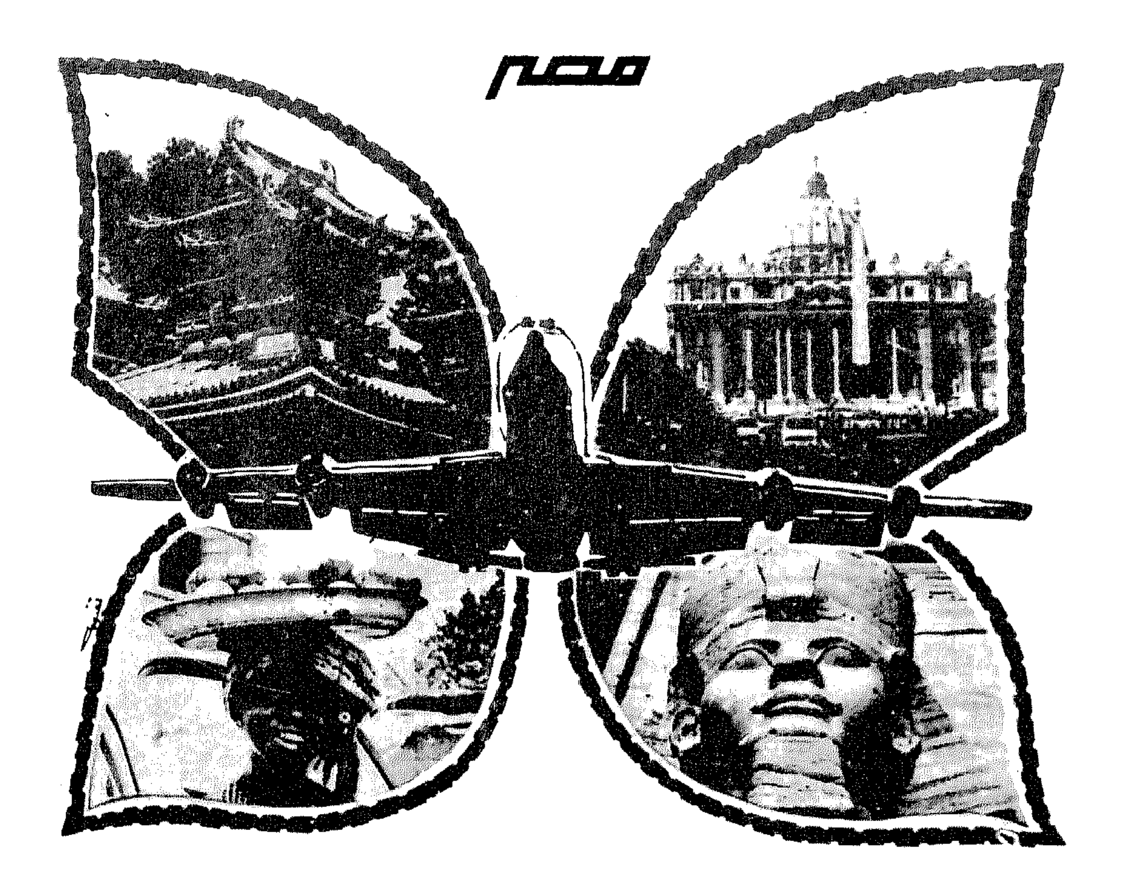
محمد بن اسحاق ● محمد بن عمر الواقدى
محمد بن جرير الطبرى ● ابن حزم الأندلسى

استطلاعات ... فى أثر

فى عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفى عمر شركات الطيران قليلاً ما تجد هذا الرقم

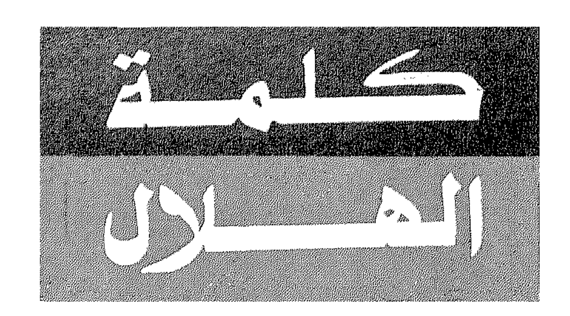
٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - أسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوى



رؤية جديدة.. لسيرة مباركة متجددة

بعد جهد بالغ يستطيع القارىء ان يتصوره يقدم الهلال لقرائه هذا العدد الخاص عن الرسول الاعظم صلوات الله عليه ..

نصدره بمناسبة شهر رمضان الكريم ، فأن أول اغسطس ١٩٧٨ يوافق ٢٦ من شعبان ١٣٩٨ ، وهو توافق سعيد يتيح لنا الفرصة لنقدم شيئا جديدا الى القارىء العربي ..

من أول الامر رسمنا خطتنا على أن يكون العدد رؤية جديدة للسيرة النبوية ، لهذا دعونا للاشتراك معنا في الكتابة رجالا أصحاب رؤية جديدة للحياة في كل شيء : أدباء وفلاسفة ومفكرين لم يسبق لبعضهم أن كتبوا عن رسول الله ، ولكن علمهم بالسيرة واسع وقلوبهم عامرة بالايمان .

وكان هدفنا من دعوة هؤلاء للكتابة ان نعرض السيرة العاطرة في صورة تختلف عن الصورة التقليدية ، أردنا أن نقدم للشباب الجديد شيئا جديدا ..

ولم نترك الرؤية التقليدية ، فدعونا اثنين من أجل شيوخ الاسلام ومفكريه الى الاسهام معنا ، وقد فعلا مشكورين ..

واجتهدنا أن يكون الاستطلاعان الملونان شيئا فريدا فى بابه ..

فهنا صور للحرمين المكي والمدني لا أعتقد أن القارىء العربى رآها فى موضع واحد ، ثم دخلنا عالم الرسول الرحيب ، فشرفنا بصحبته وعشنا معه فى نفس المحيط الذى عاش فيه واجتهدنا فى ان نرى بعيوننا اشياء رآها بعينيه النضرتين ..

***

عدد من الهلال جديد
ورؤية للسيرة الشريفة جديدة
لان الهلال يولد كل شهر ويتجدد معه الاسلام .
لان الهلال مجلتك وانت تكتبها باقلامنا .
وكل عام وانتم بخير

المحرر

في هلالك هذا الشهر



شعبان ١٣٩٨ هـ
أغسطس ١٩٧٨ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السادسة والثمانون ـ
اول اغسطس ١٩٧٨ ـ ٢٧ من
شعبان ١٣٩٨

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

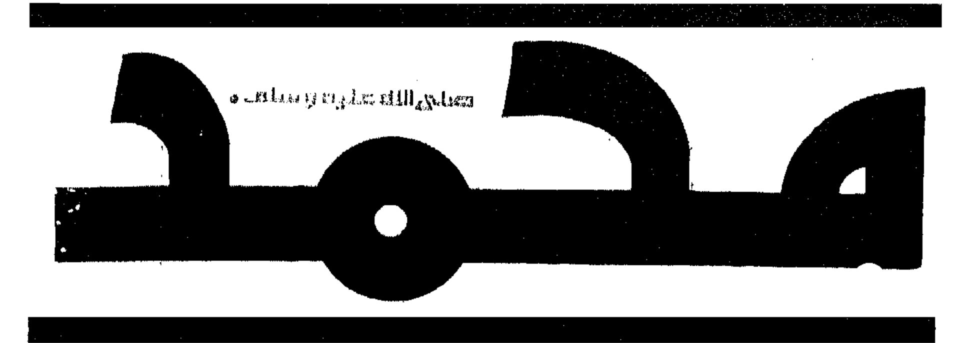
رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفني : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

الغـلاف الأول

وضعنا غلاف هذا العـدد على نحو يتنـاسـب مع موضوعه وهو السيرة النبـوية الكـريمة ، وقدم الفنـان الخطاط عبد المنعـم الشريف هذه اللوحة البديعة للغلاف

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العـربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسـودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى . وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



رؤيـة جديـدة

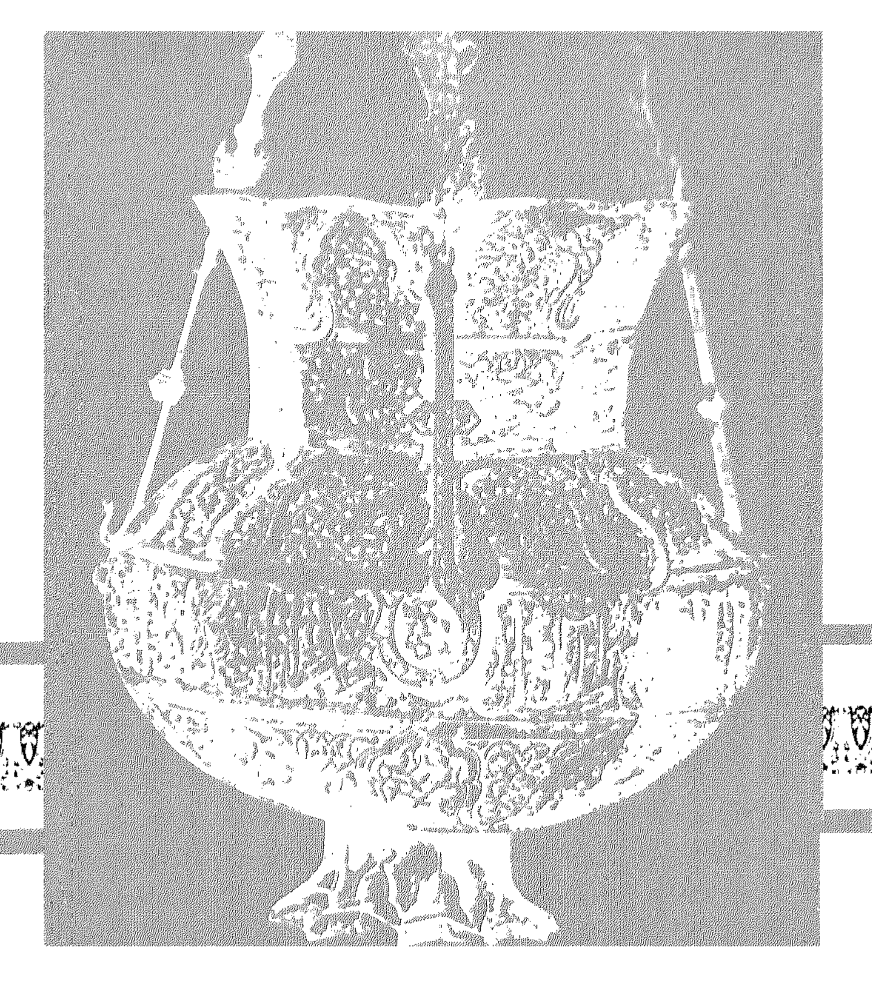
بقلم : رئيس التحرير

عاش الرسول الاعظم من بعثته الى انتقاله الى الرفيق الأعلى ثلاثا وعشرين سنة هجرية .. من هذه الفترة القصيرة أنفق الرسول ثلاث عشرة سنة هجرية فى مكة يعمل على هداية قوم قرروا منذ البداية الا يدخلوا الاسلام ، لأنهم كانوا أبعد ما يكونون عن ادراك شيء يسمى رسالة الهية ، أو ديانة سماوية . كانت كل خطوط تفكيرهم قبلية ، وكانت الدنيا عندهم هى مراكزهم الاجتماعية ومكاسبهم المالية. أبو جهل عاش ومات وهو يعتقد أن مسألة النبوة هذه حيلة ابتدعها بنو هاشم وبنو عبد المطلب لكى يستعبدوا عن طريقها رياستهم التى فقدوها بعد وفاة عبد المطلب وصارت الى المجموعة التى كان هو من زعمائها مجموعة بنى عبد شمس وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى هصيص وبنى تيم بن عبد مناة ، وهى المجموعة التى تعرف بحلف لعقة الدم أو الاحلاف . هؤلاء كانوا قد سيطروا على أمور مكة تماما بأموالهم التى جمعوها بالغصب وغش الناس واستغلال حاجة المحتاج وأكل أموال صغار التجار الذين كانوا يفدون على مكة .

وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات مرة ان واجبه يقضي عليه بأن يخاطب أبا جهل ويأمره بأن يرد على تاجر صغير وافد على المدينة ماله الذى انكره عليه أبو جهل ، فخاف أبو جهل ورد المال . وجدير بالذكر هنا ان رسول الله كان قوى البنية ، فقد صرع أبا ركانة ، الذى اشتهر بأنه أقوى الرجال حينذاك والذى لم يصرعه رجل قط ، فتحداه الرسول فصارعه فصرعه ثلاثا متتاليات . وقد كان خصومه صلى الله عليه وسلم يهابون لقاءه مع انه كان من أحلم الناس وأبعدهم عن استعمال العنف

***

ولكننا ينبغى أن نذكر ان ذلك الرفض من جانب زعماء القرشيين للاسلام كان عنادا ضد الحق . فقد



كان أولئك الناس سادة المجتمع المكى الجاهلى يتمتعون بخيراته ، ومهما كان فساده فقد كانوا سعداء فيه ، والدعوة المحمدية كانت تنادى بتغيير هذا المجتمع كله وتتجه الى هدمه واقامة نظام جديد محله ، وهنا نفهم أبا جهل على ضوء جديد . فان الرجل لم يكن غبيا ولا انسانا بالغ الجلافة ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرجو أن يعز الله الاسلام بأحد العمرين : عمر بن الخطاب أو أبو الحكم عمرو بن هشام وهو أبو جهل .

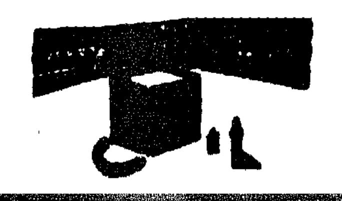
***

وقد اختلفت مواقف خصوم الدعوة منها بحسب المصلحة والمزاج والعواطف. ولكنهم اتفقوا فى موقف الرفض الكامل لها رفضا جامدا لا تفكير فيه ولا تدبر .

— فمنهم من رأى فى دعوة محمد حيلة سياسية من بنى هاشم وبنى عبد المطلب كما ذكرنا ، وهؤلاء كانوا فريقين :

— فريق جيل محمد أى الذين كانوا يقاربونه فى السن ومنهم عمه عبد العزى أبو لهب وأبوالحكم عمروبن هشام وهو أبو جهل والحارث بن النضر بن كلده وعقبة بن معيط ، والاسود بن عبد يغوث وهؤلاء كانوا أشد الناس حقدا على محمد لانهم نفسوا عليه النبوة وخافوا أن يسودهم ، ولهذا كان فى تصرفهم دائما حمق وحقد وحسد وبعد عن العقل والحكمة ، ومن هؤلاء ضرار بن الخطاب فارس قريش المشهوروسهيل ابن عمرو الذى تولى الحوار مع الرسول عند الحديبية ، وسفيان بن الحارث وكانت تربطه بالرسول قرابة بعيدة ، وكانا تربين وصاحبين فى الصبا والشباب ، فلما بعث الرسول ملأت نفسه الغيرة وملكه الحسد فأصبح من ألد أعداء الرسول وهجاه بشعر كثير .

— وكانت هناك طبقة أصحاب الاسنان ، أى شيوخ قريش من القبائل المعادية لبنى هاشم وبنى عبد المطلب التى ذكرناها ، وكان هؤلاء ينفرون من الاسلام نفورا شديدا لأن انتشاره كان يهدد مراكزهم الاجتماعية والماليةولكنهم كانوا أميل الى الهدوء فى مواجهة الدعوة الاسلامية وعلى راس هؤلاء الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبى ربيعة ، وكان هذان هما اللذين يتوليان الحديث أبو لهب وأبو الحكم عمرو بن هشام وهو



محمد رؤية جديدة

عليه وسلم راجيين اياه أن ايكف محمدا عن دعوته، وقد وقعت بينهما وأمثالهما اربعة لقاءات مشهورة مع ابى طالب تمسك فيها أبو طالب بموقفه من حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان كان قد رجا الرسول أن يخفف من الحملة على آلهة القرشيين وتسفيه أحلامهم واحلام آبائهم • ولكن محمدا رفض تماما ومضى فى طريقه على ما هو معروف .

هؤلاء الخصوم اقاموا حول محمد صلى الله عليه وسلم سورا من الحقد والحسد والكراهية ، وحاربوا الدعوة ومن اتبعها بكل سبيل . وانتهوا بعد عشر سنوات من العناد الأصم الى ايقاف انتشارها فى مكة وكان ذلك قبيل خروج رسول الله الى الطائف .

ووجه العبرة فى ذلك الموقف كله هو موقف الثبات الذى وقفه الرسول رغم العقبات التي كانت فى طريقه ورغم الأسوار العالية التي اقامها الخصوم حوله وحول أصحابه . ورغم العدوان على من استطاعوا العدوان عليه من ضعفاء المسلمين • خلال هذه السنوات العشر لانلحظ مرةواحدة انه فقدصبره

او افلت منه زمام لسانه أو يده ، او تسرب الى نفسه أدنى يأس . وتلك هى العبرة الكبرى التي نخرج بها من دراسة الفترة المكية من السيرة النبوية ، ومن هنا نأخذ اول صور الرؤية الجديدة للسيرة النبوية الشريفة .

ذلك ان حياة محمد صلى الله عليه وسلم الى جانب جمالها وجلالها كانت فىنفس الوقت رمزا وعظة وعبرةتنفع المسلمين طوال تاريخهم لوانهم تدبروها. ولقد كان الله سبحانه وتعالى قادرا على أن ينصر الدعوة نصرا مؤزرا فى الأسابيع الأولى لنزول الوحى ، فيؤمن أهل مكة جميعا ، ثم يتفق العرب جميعا على الدخول فى الاسلام .

ولكن الله تعالى عهد بالرسالة الى الرسول وتركه يخوض معركته مع البشر لكى يتعلم الناس كيف يخوضون معاركهم ، وكيف يثبتون على مبادئهم لا يتحولون عنها قيد شعرة ، وكيف يعاملون الخصوم بالصبر والاناة والحلم وحسن الخلق والحجة البالغة ، وكيف يواجهون العقبات بقوة العزيمة وعمق الايمان وثبات القلوب .

وفى تقدير الله عز وجل أن أمة الاسلام ستلقى فى تاريخها بعد محمد عقبات مشابهة لما واجه الرسول وستجد نفسها فى نفس المواقف ، وان السيرة النبوية ينبغى أن تكون لذلك خير معين لهم على النصر والخروج من الأزمات .

ولو انك نظرت فى أحوال العرب والمسلمين اليوم وما يواجههم من ظروف قاسية ، وحاولت أن تبحث للعرب والمسلمين عن طريق يفضى بهم الى السلامة من هذه الظروف القاسية ، فانك ستجد هذا الطريق قطعا فى سيرة الرسول صلىاللهعليه وسلم، ومن رأيى أن نقرأ السيرة اليوم فى مصادرها الاولى اى دون أن يجرى فيها عبد الملك بن هشام قلمه فيترك مالا يرضيه ويثبت ما شاء مما انتهى اليه حديثهمن رواة متأخرين . لأن ابن هشام أدخل تغييرا على السيرة نعتبره كبيرا ، بينمانحن نريدها كما رواها أوائل الرواة : عروة ابن الزبير وابان بن عثمان وموسى بن عقبة وعبيد بن شرية ثمابن اسحاق والبلاذرى والواقدى وابن سعد فى طبقاته. ونضيف هنا أن ابن عبدالبر النمرى بدأ كتاب « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » وهو مجموع تراجم الصحابة ـ بدأه بسيرة لرسول الله موجزة ولكنها حافلة بالفوائد التى لا نجدها عنده غيره ، لان ابن عبد البر ، مثله فى ذلك مثل ابن حزم ، كان ينقل عن أصول اختفت ولم نعثر عليها الى الآن ...

لنقرأ السيرة فى هذه الأصول فستتجلى لنا فى ظروفناهذه عن نور جديد ، وسنعرف محمدا صلوات الله عليه فى ضوء جديد ، وسنرى ادراكا

جديدا يعيننا على المسير في طريقنا اليوم .. ولكن هذا يقتضى منا أن نفهم السيرة فهما جديدا ·

***

تعود الرواة والمؤرخون القدامى أن يسردوا سيرة النبى سردا مرسلا دون تقسيم ودون بيان المعنى الذى يستتر وراء كل حلقة من حلقاتها ، والسيرة النبوية ليست مجرد سرد لأحداث حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما حلقاتها عظات ودروس وعبر ، واذا قرأها الانسان دون أن ينتبه الى ذلك فاتته حكمة السيرة كلها . ولا أقصد تلك الأحداث القصار التى تعود خطباء الجمعة أن يرددوها على مسامعنا للاستشهاد بها على صدق ما يريدون قوله فى خطبهم التقليدية ، وانما أقصد المراحل الفاصلة فى هذه السيرة التى تعتبر أمثلة لما سيمر على أمة الاسلام من ظروف وما ستتعرض له من أزمات · فاذا نحن وعينا حكمتها فى السيرة نفعنا هذا الوعي في السير بأمتنا الاسلامية فى طريق التوفيق والسلام والرخاء .

خذ مثلا عمود النسب النبوى ، لقد حفظناه مذ كنا صغارا ، وردده كتاب السيرة مرة بعد مرة ولكن هل وعى أحد منا موضع العبرة فيه ؟

سأقف منه عند أربعة أسماء لها أثر بعيد فى تكوين محمد وتهيئة الظروف فى مكة على النحو الذى نجدها عليه عند ظهور الاسلام، هؤلاء الأربعة هم قصى وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب .

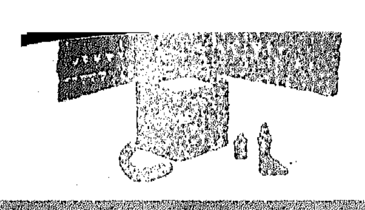
فقصى بن كلاب هو رجل الدولة والسياسة والحرب الذى تزعم قريشا وجمع بطونها وقادها فى السيطرة على مكة وسيادتها ، وهو الذى وضع لهذه القبيلة نظامها المحكم السليم الذى جعلها تصلح لمكانة خدمة البيت الحرام · وقصى هو الذى جعل القرشيين حضرا دون أن يفقدوا أحسن خصائص البداوة، وهى حقيقة مكنت لقريش من سيادة العرب جميعا بدوا وحضرا ، ومكنت لرجالها فيما بعد من القيام بالجانب الأكبر من مسئوليات فتوح الاسلام واقامة دولته .

والثانى هو عبد مناف بن قصى وقد كان رجل سياسة وتدبير ، وهو الذى عقد الاحلاف بين قريش والقبائل الضاربة فى منطقة مكة والحجاز ـ وخزاعة ـ بصورة خاصة ، وأكد رياسة قريش فى الحجاز . وقد انتفع الرسول صلى الله عليه وسلم بالحلف مع خزاعة انتفاعا عظيما .

والثالث هاشم بن عبد مناف وكان رجل اعمال وتاجرا موهوبا. انه واضع الأساس للقوة التجارية التي وصلت اليها مكة . هو الذى عقد « الايلاف » مع القبائل النازلة على طرق التجارة الى الشام واليمن والعراق ، و « ايلاف » قريش المذكور فى القرآن هو مجموعة المعاهدات التجارية التى عقدتها مع القبائل والبلاد التى ذكرناها لتأمين رحلة الشتاء والصيف .

والرابع عبد المطلب بن هاشم وهو جد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان رجل دين وعقيدة . كان أقرب الى الكهان ، وهو الذى جعل الكعبة مركزا للوثنية العربية وجعل القبائل تضع نماذج من تماثيل معبوداتها حول الكعبة، فأصبحت مكة محج العرب أجمعين ، وهو الذى رتب مراسم الحج عند الجاهليين ، وعن طريق الحج والتجارة والسياسة الذكية التى اتبعها عبد المطلب وصلت مكة الى ذروة مجدها قبل الاسلام ، وأصبحت قريش على صغرها أقوى قبائل الجزيرة وأشهرها وأغناها وأوفرها علما بالدنيا وبالناس ·

وفي هذه الفترة وفي أواخر أيام عبد المطلب بن هاشم ولد الرسول صلى الله عليه وسلم .ولد فى بلدة عامرة بالنشاط والحيوية والثروة ، وولد فى بيئة راخية متسعة الافق ، كل هذا يعطينا فكرة عن البيئة الحضارية والاجتماعية التي ولد ونشأ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .



وقد جرت عادة المؤرخين أن يبالغوا فى تصوير سوء الظروف التي احاطت بمحمد صلى الله عليه وسلم فى طفولته وصباه ، فصوروه فقيرا محتاجا ، وما كان الرسول فى يوم من أيام حياته فقيرا ولا محتاجا ، وانما نحن نعتمد فى تصوير احواله صلى الله عليه وسلم فى طفولته وصباه وشبابه الباكر ما قاله الله سبحانه وتعالى فى سورة الضحى مخاطبا رسوله الكريم : **ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فاغنى ..** اى انه كان يتيما فآواه جده ثم عمه ، ووجده ضالا فهداه وحماه من الضلال والموبقات واعده للرسالة الكريمة ، ووجده عائلا فأغناه بالتجارة .

وقد كان رسول الله فى شبابه وقبل زواجه من السيدة خديجة رضى الله عنها تاجرا ناجحا ميسور الحال . ولهذا عهدت اليه فى تولى تجارتها ، فزاد فى هذه التجارة بأمانته وخبرته . وبعد زواجه من السيدة خديجة لم يعش على مالها وانما ظل يعمل فى التجارة على طريقة كبار المكيين . ومن غريب ما نقرأ فى ((دائرة المعارف البريطانية)) فى مادة ((محمد)) انه كان صاحب دكان ، وما كان رسول الله قبل البعثة أو بعدها بصاحب دكان قط ، انما كان كبار تجار مكة ومنهم الرسول الكريم ، يحتفظون بمتاجرهم فى بيوتهم ويتفاوضون فى البيع والشراء اما فى البيوت أو الندوات أو المجالس حول الكعبة . وهناك تتم الصفقات .

***

وفى الرؤية الجديدة للسيرة النبوية الشريفة نقسم الفترة المكية من حياة الرسول بعد البعثة الى ثلاث فترات لكل منها عبرتها بالنسبة للمسلمين فى كل زمان ومكان .

الفترة الأولى ومدتها تقدر بحوالى عامين وتبدأ من البعثة وتنتهى بدخول الرسول بيت الأرقم ودعوته فيه .

والفترة الثانية هى فترة بيت الأرقم ومدتها ثلاث سنوات وتنتهى بعد اسلام عمر بقليل . ويذهب الكثيرون الى ان عمر دخل الاسلام فى العام الثالث للبعثة ، ولكن التحقيق الدقيق دل على ان ذلك كان فى العام الخامس للهجرة ، اما الذى أسلم فى العام الثالث للهجرة فكان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

والفترة الثالثة هى فترة الدعوة العلنية والصراع مع قريش وقد دامت ثمان سنوات من الخروج من بيت الأرقم الى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة .

خلال الفترة الاولى من الحقبة المكية من حياة الرسول الكريم وقد دامت حوالى سنتين كما قلنا تكونت حول الرسول قلة قليلة آمنت به فى مقدمتها السيدة خديجة رضوان الله عليها ، هى أول من آمن بالرسول الكريم ، ثم على بن أبى طالب وزيد بن حارثة وابو بكر الصديق ، وممن آمن خلال هذه الفترة بلال الحبشى وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر ، ونفر من ضعفاء الناس .

وكان محمد يجتمع بالمسلمين الأول عند الكعبة ليعرفهم ما ينزل عليه من آى القرآن المجيد ويشرح لهم قواعد الاسلام .. وكان هؤلاء المؤمنون القلائل يلتفون حوله ويقراون القرآن بصوت عال . فأنفت قريش من ذلك ، لأنهم كانوا يرون أن اولئك المستضعفين ليسوا أهلا للجلوس الى جوارهم عند الكعبة . لم يكن يضيرهم فى أول الأمر أن يبشر محمد بدين جديد ، لأن مسائل الدين لم تكن تهمهم كثيرا مادام محمد لم يذكر آلهتهم أو آباءهم بسوء . ولكن كبرياء الجاهليين ابى عليهم أن يقبلوا هذا النفر من صغار الناس الى جوارهم فى مجلسهم عند الكعبة .

ولم يكن الاسلام قد سمى باسمه بعد ، فكان الناس يقولون : ان فلانا قد صبأ ، والمراد **انه ترك عبادة الأوثان او كانوا يقولون : دخل فيما يدعو اليه محمد . وكان بعض القرشيين**

لا يصدقون أن الوحى يتنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون : غلام بنى عبد المطلب يزعم أنه يكلم السماء .

وكانت العبادات صلاتين فى الصباح والمساء (**لدلوك الشمس الى غسق الليل**) مع استحسان الصلاة فى الفجر (**وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا**) ، والصلاة بمعناها الاول على ما هو معروف كانت طلب الرحمة والدعاء الى الله سبحانه وتعالى .

وقد أحس الرسول الكريم ان نفرا من الراغبين فى الدخول فى الاسلام يخشون القرشيين ، ثم أنه وجد أنه لايستطيع أن يجتمع بأصحابه ويقرئهم القرآن ويعلمهم أصول الدين فى هذا المكان العام ، لأن الكثيرين من سفهاء مكة كانوا يقتربون من مجلسه ويضايقون أصحابه **فاستقر رأيه على أن ينتقل بأصحابه الى مكان خاص مقفل بعيد عن أولئك السفهاء . وكان من أوائل المسلمين** شاب يسمى **الأرقم** بن أبى **الأرقم ، كان يعيش مع أبيه أبى الأرقم فى منزل واسع فى الطريق الى الصفا ، فدعاه الارقم الى أن يتخذ هذا البيت دار لقاء مع أصحابه ، فقبل الرسول .**

وانتقل الرسول مع أصحابه الى هذه الدار فى أوائل السنة الثالثة للهجرة ، وكانت دارا مباركةعلىالدعوة، **فقد أقبل الناس على الاسلام يدعو بعضهم بعضا ، وظهر من بين المسلمين دعاة ماهرين فى شئون الدعوة أولهم أبو بكر الصديق ، فقد أتى بنفر من أوائل المسلمين الى دار الأرقم حيث أسلموا على يد الرسول منهم عثمان بن مظعون ومصعب بن عمير وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص** . وتزايد عدد المسلمين حتى بلغوا نحو ستين أو سبعين ، كلهم كانوا يجتمعون فى هذا البيت فيقرأون القرآن ويتحدثون فى شئون العقيدة ويجتمعون بنبيهم الكريم ويقيمون الصلوات جماعة .

وفى نهاية العام الاول للمقام فى دار الارقم أسلم حمزة بن عبد المطلب فى خبر معروف . وقد تشجع المسلمون باسلام حمزة ، وخرجوا من دار الارقم وتوجهوا جماعة الى الكعبة وجلسوا جوارها يقرأون القرآن بصوت مرتفع ، فاستاء القرشيون واشتبكوا معهم فى عراك عنيف ضرب فيه أبو بكر ضربا مبرحا حتى نقل الى داره لا يكاد يعى . وعاد المسلمون الى الاجتماع فى دار الأرقم كما يقول ابن كثير .

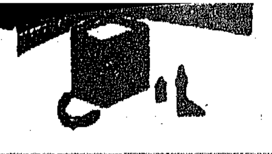
وفى نهاية السنة الخامسة للبعثة كان اسلام عمر . بلغه ان أخته فاطمة قد أسلمت وانها تجتمع مع المسلمين فى دار الارقم وتقرأ القرآن مع زوجها ، فذهب ليضربها ، فلما كان بالباب سمع خباب بن الارت يقرأ آيات من سورة طه فرق قلبه للاسلام ودخل فأعلن اسلامه . وقد فرح المسلمون فرحا بالغا باسلام عمر وقرروا الخروج من بيت الأرقم والدعوة لدينهم علنا . وخرجوا بالفعل يقودهم رسول الله وعمر بن الخطاب وبدأ الصراع العنيف بين المسلمين والقرشيين ، وهنا تبدأ الفترة الثالثة من فترات الحقبة المكية ومدتها ثمان سنوات .

***

خلال هذه الحقبة وقعت حوادث جسام . .

استمر رسول الله يدعو جهارا غير هياب . كان القرآن يتنزل عليه ارسالا فيقرئه أصحابه ، وكان يدعو الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان المكيون يقابلون دعوته بالعدوان والسفه والانكار البالغ .

وقد تزعم العداء للاسلام فى أول سنوات هذه الفترة أبو جهل وأصحابه من أنداده ممن كانوا فى سن محمد . ووقع صدام شديد بين الجانبين . فانزعج لذلك كبار السن من القرشيين ، وأسرع من الطائف عقبة بن ربيعه والوليد بن المغيرة ، ومن فى طبقتهم . وتولوا الصراع مع الاسلام بطريقةأهدأ وأميل الى السياسة . كلموا أبا طالب مرة بعد أخرى ، ودعا أبو طالب ابن



اخيه محمدا بعد ان تكلموا في امره للمرة الرابعة ، وسأله ان يرضي القرشيين بشيء ، ويكف عن عيب آلهتهم وآبائهم فرفض ان يقدم لاعداء الاسلام اى تنازل وقال حديثه المشهور : والله ياعم ولو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

وبعد أن يئس كبار المكيين من صرف الرسول الاكرم عن رسالته ، بدأوا في اضطهاد المستضعفين من اصحابه من امثال بلال الحبشي وعمار بن ياسر وخباب بن الارت ، وخاف رسول الله على اصحابه من اذى كفار قريش فنصح المضطهدين والضعفاء من اصحابه بان يهاجروا الى الحبشة يعيشوا هناك في أمان على عقيدتهم حتى تنجلي هذه الغمة . وعلى الرغم من صعوبة الرحلة ، فان نحو أحد عشر رجلا واربع نساء من أصحابه تمكنوا من الابحار الى الحبشة من فرضة الشعيبة . وبعد ذلك هاجر الى الحبشة نحو سبعين من الصحابة والصحابيات حيث استطاعوا أن يقوموا بعبادات دينهم في أمان واستطاعوا كذلك أن يكسبوا عيشهم دون مشقة .

وبقى محمد في مكة مع فئة قليلة من أصحابه منهم أبو بكر وعمر وحمزة . واجتهد نفر من أصحابه ممن أوسع الله عليهم في الرزق في استنقاذ المستضعفين من العذاب ، فكانوا يشترون الارقاء منهم من سادتهم ويعتقونهم لوجه الله وكان اكثر من فعل ذلك أبو بكر وعثمان .

والآن وقد راى كفار قريش ان المسلمين متمسكون بعقيدتهم ، مستعدون لتحمل اقسى التضحيات في سبيلها ادركوا ان امر الاسلام ليس بالهين ، وان عليهم ان يقوموا بكل ما يستطيعون ليوقفوا سير هذه العقيدة .

ولكنهم لم يستطيعوا فان محمدا رسول الله والذين معه صمدوا صابرين على كل أذى .

نعم ان انتشار الدعوة تمهل بعض الشيء ، ولكن محمدا استمر يعمل في ايمان وثقة غير هياب لكل ما عسى ان يصدر عن أعداء الدعوة . وكانت الى جانبه تقف تلك الفئة القليلة المناضلة التى تكونت معه ورباها بالأسوة الحسنة فأحسن تربيتها . وكان القرآن يتنزل عليه منجما فيقرؤه أصحابه ويحفظونه عنه ويراجعون ما يحفظون منه معه .

وكانت تلك الجماعة ، بما فيها من هاجر الى الحبشة تتكون من ثلاث فئات :

الأولى جماعة من كبار القرشيين من اهل الذكاء والمواهب والصلابة دخلوا الدعوة عن ايمان صادق ونفوس مؤمنة لا تعرف الخوف من امثال ابى بكر الصديق وعلى بن ابى طالب وحمزة بن عبد المطلب وابى سلمة بن عبد الأسد وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص . وكل واحد من هؤلاء سيصبح بطلا من أبطال الاسلام وعلما من أعلام التاريخ العالمى .

والفئة الثانية هى فئة الشباب من اصاغر ابناء القرشيين في السن ، هؤلاء دخلوا الاسلام عن ايمان وحماس وعن رغبة في ان يظهروا ملكاتهم ويقوموا بشيء كبير . وقد كانت العادة في المجتمع الجاهلي أن الابناء الذين يلون الابن الاكبر ينشأون دون رسالة أو عمل ، فيقضون وقتهم في البطالة والصيد واللهو ، لان الابن الاكبر يرث مركز أبيه ، ومعظم ماله .. من هؤلاء مصعب بن عمير وسعد ابن أبى وقاص وعثمان بن مظعون ومن فى طبقتهم .

والفئة الثالثة هى فئة المستضعفين فى الأرض ممن لم يكن لهم قبل الاسلام كيان ولا مكان فى المجتمع ـ أمثال بلال ابن رباح وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وعبد الله بن مسعود وعامر بن فهيرة . هؤلاء أوجد لهم الاسلام كيانا .

وعلى الجملة كانت الجماعة الاسلامية جماعة شابة ، معظم من دخل فيها من الشباب . فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم في اربعيناته ، وكان أبو بكر يصغره بسنتين . ولم يكن في الجماعة

الاسلامية الأولى من يكبر محمداً الا عبيدة بن الحارث، ثم لجأت قريش الى العنف مع بنى عبد المطلب بن هاشم جملة لترغمهم على التخلى عن محمد، فكانت المقاطعة الكاملة، وحصر آل الرسول جميعا فى شعب ابى طالب، ومنع الطعام عنهم وايقاف كل تعامل تجارى معهم حتى جاعت أطفالهم وساءت حالهم، وأكلوا رءوس أموالهم واستمرت المقاطعة عامين ونصف عام ولم تنته الا بتدخل نفر من كبار القرشيين على راسهم المطعم بن جبير، وهو الذى مزق صحيفة المقاطعة .

وخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من سجنهم هذا وقد طحنتهم المحنة واملقوا املاقا شديدا، لأن المقاطعة تضمنت ايقاف اى تعامل تجارى معهم ..

وقد تأثرت صحة خديجة رضى الله عنها خلال هذه الفترة، وكانت السن قد علت بها وطالت بها سنوات الكفاح والصبر مع زوجها النبى صلى الله عليه وسلم، **فلم تلبث ان اعتلت خديجة وماتت فى السنة السابعة للبعثة، وبعد ذلك بقليل توفى أبو طالب عن سن عالية بعد أن نصر ابن أخيه قدر ما استطاع وان لم يفتح الله قلبه للايمان .**

ووجد محمد نفسه أبا دون زوج، وعنده بناته الثلاث رقية وأم كلثوم وفاطمة طفلات لا يجدن من يقوم بأمرهن، فعنيت بهن وبه أيضا ابنة عمه ام هانىء .

وفى بيت ام هانىء كان الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ومعراجه الى السماء حيث لقى الأنبياء والملائكة واقترب من العرش فرأى من آيات ربه الكبرى .

وحديث المعراج فى ذاته آية من آيات السيرة المحمدية، فهو أولا قد شرح صدر رسول الله وثبته وزاده ايمانا وقوة فى وقت احاطت به فيه دواعى اليأس، ويصور لنا هذه الحالة ذلك الحديث الذى دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وام هانىء صبيحة الاسراء والمعراج، فقد قص الخبر عليها فريعت بعض الشىء ثم سألت الرسول ألا يحدث به الناس مخافة أن يشك فيه بعضهم، ولكنه لم يبال بما قالت وقال : والله لأحدثنهموه . . . وبالفعل اصبح فحكى ما راى، فانزعج ضعفاء الايمان وانصفق بعضهم عن الاسلام، ولكن المؤمنين وأولهم أبا بكر صدقوه، ومن يومها لقب أبو بكر بالصديق ...

وكان لقصة المعراج اثر بعيد جدا فى الآداب الشعبية العربية والأوروبية، فقد تناولت ألسنة الناس حديث عبد الله بن عباس عن عائشة عن المعراج وطوروه وجعلوا منه قصة طويلة حافلة بعجائب ما راى الرسول فى الجنة والنار ..

وهذه القصة ترجمت الى اللغات الاوروبية وظهرت آثارها فى الكوميديا الالهية لدانتى .

وكان ذلك من حسن حظ الاسلام، لأن اولئك الشباب الذين كانوا يتكونون فى مدرسة الرسول الأعظم ستمتد بمعظمهم الأعمار حتى يقيموا دولة الاسلام وينشروه فى الخافقين .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى وضع أساس الجماعة الاسلامية، فان الصحابة هم الذين واصلوا تشييد البناء، وأعانهم على ذلك طول أعمار الكثيرين منهم بعد انتقال الرسول الى الرفيق الأعلى .

وتلك حقيقة لها أهميتها بالنسبة لهذه الرؤية الجديدة التى تقدمها عن السيرة النبوية الكريمة .

***

بعد التحام المسلمين مع المشركين عقب الخروج من دار الارقم لم يعد هناك مجال للصلح بين الجانبين . فأما المشركون فقد تضامت صفوفهم وجمدوا فى موضعهم وبذلوا اقصى الجهد للحيلولة

بين المزيد من انتشار الاسلام ، **وأما المسلمون فقد هاجر معظمهم الى الحبشة ، وبقى محمد وصحابته القليلة يجاهدون فى سبيل الحفاظ على دينهم** ، ولكن انتشار الاسلام فى مكة نفسها بطؤ الى درجة جعلت الرسول يفكر فى ميدان آخر يفتحه للدعوة الكبرى .

والشىء الذى تنفرد به الرسالة المحمدية عن غيرها من الرسالات السماوية ،يتمثل فى الآية القرآنية الكريمة : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليكم ...)) فالمسلمون مطالبون بتحمل مسئوليتهم كاملة فى نشر دعوة الله ، كما تحملها رسولهم الكريم كاملة . وتلك ناحية من نواحى ذلك الجمال الفريد الذى تتميز به السيرة . واذا أدرك كل مسلم هذه الحقيقة كانت حافزة له على أن يحس بمسئولياته احساسا كاملا ويبذل اقصى الوسع فى القيام بما يعهد به اليه .

ولو أدرك المسلمون هذه الحقيقة لكانوا دون شك فى مقدمة أهل الدنيا .

***

وقد كان يمكن لمحمد أن يقر مكانه فى مكة وأن يكتفى بالقيام بصلواته وعباداته بعد أن وصل الى أقصى مايمكن أن يصل اليه الواصل مع أهل مكة ..

ولكن هذه لم تكن نفس محمد ولا طريقته فى العمل ..

أقفل الطريق فى مكة ، فليبحث عن طريق آخر ، وخرج الى الطائف ، خرج مع مولاه زيد بن حارثة ولم يعد من الطائف بنتيجة ، لأن أهلها من ثقيف كانوا أبعد مايكونون عن التفكير فى عقيدة أو دين . كانوا قوما أصحاب اقطاع كبير غنى بالزروع والخيرات هو مدينة الطائف كلها ..

نفس الظروف التى قام فيها محمد بخروجه الى الطائف تدعو الى التأمل .

فقد كان محمد قد وصل الى نهاية الطريق فى مكة ، وكان أبو لهب عبدالعزى هو رأس بنى عبدالمطلب ولم يظهر منه ما يدل على استعداده لحماية محمد . **وعندما خرج محمد من مكة الى الطائف فقد حقه فى حماية قبيلته ، فلم يستطع العودة الى مكة الا فى جوار المطعم بن جبير واشترط عليه هذا ألا يدعو داخل مكة ، فاتجه نشاطه الى الدعوة خارجها ..**

فهل تظن أن ذلك كان له اثر فى حماس محمد ! لا نلمح لذلك كله اى أثر ، فقد أخذ يدعو القبائل خارج مكة. كان يخرج كل يوم مع أبى بكر ليدعو ويعود بغير نتيجة ، فلا يترك ذلك فى نفسه أى أثر لليأس ، ويظل هو هو : محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم المجاهد فى سبيل دعوته ، الصامد فى طريقه، الباسل فى مواجهته للصعاب.

***

ثم تكون بدايات اتصال الرسول باليثربيين ، وهذه عبرة ورؤية جديدة .

فان اليثربيين لم يدقوا باب الرسول ويعلنوا اسلامهم من تلقاء أنفسهم .. بل كان رسول الله هو الذى ذهب اليهم : ما كان يسمع بقدوم وفد من خارج مكة حتى يخف اليه ويدعوه ، وعندما جاء الى مكة رسل الخزرج يطلبون حلف قريش بعد انتصار الأوس عليهم فى بعاث أسرع اليهم الرسول ، فلم يقبلوا منه بل ان رئيسهم أساء فى مقابلته للرسول ومجادلته .

ثم جاء رسل الأوس فتوجه اليهم الرسول ودعاهم للاسلام ، وهنا بدات بشريات الأمل..استمعوا اليه وآمن منهم ستة نفر . وفى المناسبة التالية قامت بيعة العقبة الأولى ثم بيعة العقبة الثانية التى تم الاتفاق فيها على هجرة

الرسول الى المدينة ، ورحب اليثربيون بالرسول والذين هاجروا معه وذلك بعد الجهد الرائع الذى بذله مصعب بن عمير فى الدعوة الى الاسلام فى المدينة ثم كانت الهجرة ... وبداية الفترة المدنية .

ولنا عنها حديث آخر .

***

ونقف هنا فى نهاية الفترة المكية لننظر اليها نظرة جديدة .. انها ثلاث عشرة سنة هجرية ، اذا قرأت خبرها عند ابن هشام لم تجد الا أخبار اليأس والمعاناة والآلام والتعذيب .. ولكننا هنا نقص عليك خبرها فاذا هو ملىء بالأمل والنور وعوامل القوة والاستبشار ...

والرسول صلى الله عليه وسلم فى الشدائد ، كان عظيما كما سيكون عظيما فى أيام النصر وانتشار الدعوة فى المدينة .

وهنا موضع الرؤية الجديدة التى نريد نقلها الى القارىء فى هذه الصفحات ..

ان الشدائد تعين على تقدير مقاييس الرجل أكثر مما تعين عليها مناسبات النصر والظفر ... والعبرة بمعدن الانسان أو الامة ، فمن يصبر للشدائد ويغالبها ولا يستسلم لها خليق بأن يصل الى النصر وحقيق بأن يبلغ ما يريد

وهل كان قليلا ما تحمله الرسول أثناء الفترة المكية ؟

وهل كان قليلا ما أظهره من القوة والثبات والاصرار على الاستمرار فى الدعوة حتى قيض الله لها الأنصار ..

ذلك ما أريدك أن تفكر فيه .

وذلك ما أريد كل عربى أن يتأمله فى هذا الظرف العصيب الذى نحن به اليوم ...

واختتم هذا القسم الاول من الرؤية الجديدة عن الفترة المكية بأن أورد توقيت حوادثها بالتاريخ الميلادى (فلم يكن هناك تاريخ هجرى بعد) وذلك على أساس جديد يختلف عن الاساس التقليدى الذى جرى الناس عليه الى الآن ..

سنة	
٦١٠	البعثة ونزول أول آيات من القرآن الكريم .
٦١١	الجهر بالدعوة وظهور الدعوة العلنية فى مكة .
٦١٢	دخول دار الأرقم والدعوة فيها .
٦١٣	اسلام حمزة ومحاولة المسلمين الأولى الخروج من دار الأرقم والدعوة جهاراً وضرب المشركين اياهم عند الكعبة واصابة أبى بكر (رواية ابن كثير)
٦١٥	اسلام عمر والخروج من دار الأرقم وبداية الصراع العلنى بين المسلمين والمشركين . واسراع ذوى الأسنان من المشركين الى مكة من الطائف (رواية الطبرى عن عروة بن الزبير) . ابتداء اضطهاد المستضعفين .
٦١٥	(من أواخرها) الهجرة الأولى الى الحبشة .
٦١٦	الهجرة الثانية الى الحبشة .
٦١٦	حصار بنى هاشم وبنى عبدالمطلب فى شعب أبى طالب فى مكة .
٦١٩	نهاية الحصار وخروج المسلمين من شعبهم ، وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها . وفاة أبى طالب . الخروج الى الطائف .
٦٢٠	اللقاء الأول بين الرسول وأهل يثرب .
٦٢١	اللقاء الثانى مع اليثربيين وبيعة العقبة الاولى .
٦٢٢	اللقاء الثانى وبيعة العقبة الثانية
٦٢٢	الهجرة الى يثرب . بداية التاريخ الهجرى .

وفى مقالنا القادم نتابع هذه الرؤية الجديدة للسيرة النبوية الكريمة ..

د. حسين مؤنس

من وحى السيرة المحمدية

محمد صلى الله عليه وسلم اذن الخير ، التى استقبلت آخر رسائل السماء لهداية الارض .. ولسان الصدق الذى بلغ الحق الى الخلق .. فكان بحق مسك الختام للانبياء والمرسلين .

احمدك ربى ، واستعينك ، واسالك ان توفقنى فى كل ما آتى من الامر ، وفى كل ما ادع ، فكما جعلت يا ربى صمتى زمنا طويلا فكرا ، فاجعل نطقى لك ذكرا ، فانك سبحانك تعبد بالصمت قبل أن تعبد بالنطق، واصلى واسلم على سيدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، رحمة الله للعالمين ، الذى وصفه ربه « يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » .

أحمدك ربى حمد العبودية الصدق .. والربوبية الحق .

سبحانك تنزهت عن كل صفات الحادث فلست (كلا) ،له أجزاء .. لكنك أحد .. ولست كليا له أفراد .. لانك واحد . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد اذن الخير ، التى استقبلت آخر رسائل السماء لهداية الارض ، ولسان الصدق الذى بلغ الحق الى الخلق ، فكان بحق مسك الختام للانبياء والمرسلين ، وما أجمل أن يلتقى المسلمون على ذكرى المناسبات الاسلامية المباركة فى كل عام :

فان عطاء الاحداث فى الاسلام ليس مناسبة تحيا وتفوت بفوات الزمن وبخاصة مناسبة شهر رمضان المعظم .. لكنها تتكرر كل عام ، كالكلمة الطيبة « ضرب الله مثلا كلمة طيبة ، كشجرة طيبة ، اصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى اكلها كل حين باذن ربها » .

فليست العبرة من أحداث المسيرة الشريفة التى نلتقطها هذا العام .. كالعبرة التى التقطناها فى الاعوام الماضية .. وكل وقت له عطاؤه من منهج الله .

فهو يعطى كل جيل عطاء على قدر استعداده فى الصفاء والفهم والمدارسة .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهجر مكة لانه كره مقامه بها . بل انه قال وهو يغادرها : « انى لاعلم يا مكة انك أحب بلاد الله الى . ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » .

لقد جاءت الرسالة المحمدية بعد موكب طويل من الرسل ابلغوا رسالات ربهم الى أقوامهم ، ومضت فترة غلبت فيها الشهوات على الانسان وانطمست النفس اللوامة ففسد المجتمع .

وحين تنطمس النفس اللوامة لغلبة الشهوات على الانسان ، وحين يفسد المجتمع ، ولا توجد طائفة تاخذ بيد النفس اللوامة ، فان السماء تتدخل برسول جديد ..

وكان هذا الرسول هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

جاء رسول الله واعلن الدعوة فى مكة المكرمة لان فيها بيت الله الحرام «الكعبة المشرفة » ..

ولكن العجيب أن النصرة لم تكن فى مكة .. وجاءت فى المدينة المنورة حيث انطلق منها نور الاسلام ، مع انه لم يكن مبعوثا فيها ، بل كان مبعوثا فى مكة .

فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

وشاءت حكمة الله أن يجعل « الصراخ بالدعوة » فى مكة أولا بين القبائل الذين تتهيبهم العرب جميعا • وجعل النصرة فى المدينة المنورة لان النصرة اذا حدثت فى مكة المكرمة فسيقول الناس : ان اهل محمد فى مكة جاءوا برجل ليفرضوه على الناس ••

ونلاحظ فى هذه الهجرة أمورا عجيبة، لا يمكن أن تجعلها من تخطيط البشر :

فالرسول صلى الله عليه وسلم هاجر الى الطائف يطلب النصير فعاد كسير النفس ، وقد أفرغ شحنة رجائه فى نصرة الخلق هناك ولجأ الى الله وحده يقول : «ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى» •

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى الحبشة لتكون مهجرا آمنا وهو الذى لم يقرأ تاريخ الشعوب ولا سياستها ••• ولكنه قال لاصحابه : «لان فيها ملكا لا يظلم عنده أحد» وصدق الواقع رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيدا بأنه لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ••

ثم أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، وبيعة الوفود وكان يأخذ البيعة لله ، ويعطى ثمنها الجنة للذين بايعوه ، ثمنا آجلا ، لا عاجلا ، وحين يفرغ الانسان « الاسباب البشرية » يكون أهلا لعون الله بدون أسباب ، فكانت بيعات العقبة الثلاث امدادا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استنفد أسباب البشر ، وانكسر فى الطائف •

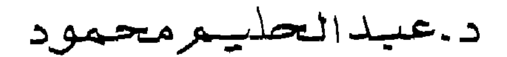
وعرض الرسول الدعوة التى هى دعوة الله على القوم ، فمنهم من استقبلها بعقل وفكر وأناة ، ومنهم من رماه بالجنون •• ولا يمكن أن يكون الانسان الذى فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمته وصدقه وأمانته من المجانين •• ومنهم من قال انه ساحر •• ولو كان ساحرا لسحر أعداءه فآمنوا به جميعا ولم يكفروا بما جاء به ـ ومنهم من قال : ((**ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا** » •• ولا يزال بعض أعداء الاسلام يرددون أن الاسلام ثورة من الادنى على الاعلى ، وهم فى ذلك كاذبون • فان الاسلام ليس ثورة من الادنى على الاعلى ، ولكنه تصحيح لمسار أهل الارض ، وخروج بالناس من مرادهم الى مراد الله سبحانه وتعالى ، فقد تنازل الانصار للمهاجرين عن نصف أموالهم « اختيارا » لا « اجبارا » ، وتقاسموا ما عندهم طواعية •• بل ان بعض المهاجرين رفض قبول مقاسمة أخيه الانصارى فيما عنده •

وكانت الهجرة المباركة تربية عقدية للمؤمنين ، كما كان الاسراء وهو مخالف لنواميس الكون امتحانا للعقيدة • فمن لم تصح عقيدته لا حاجة لنا به ، ومن صحت عقيدته أصبح أهلا لهذه العقيدة ، وكان أول الذين صحت عقيدتهم سيدنا أبوبكر رضى الله عنه، الذى أخبره الناس بالاسراء ، فقال قبل أن يلقى النبى محمدا صلى الله عليه وسلم : والله ، ان كان قد قال ذلك فقد صدق • •

وبذا اصبح ابو بكر احق الناس بان يكون رفيق الهجرة •ولهذا لقب بالصديق. ●

محمد الإنسان الكامل





شيخ الأزهر

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بهذه الكلمة القرآنية الكريمة حدد الله سبحانه وتعالى الطابع العام للرسالة الاسلامية ، وحدد كذلك بواعثها وأهدافها .. ان كل ذلك يتمثل فى كلمة واحدة : ((الرحمة)) وقد كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، على حد تعبير السيدة عائشة ، فطابعه صلوات الله عليه وسلامه وبواعثه وأهدافه اذن انما هى الرحمة . ولقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو صالى : انما أنا رحمة مهداة . وقال صلوات الله عليه : أنا نبى الرحمة

والرحمة من جانب آخر انما هى التعبير عن الانسانية فى أسمى معانيها وان الآدمى الذى يتجرد عن الرحمة انما ينسلخ من الانسانية فيكون شيطانا مريدا أو حيوانا مفترسا .

وعلى هذا ، فرسول الله صلوات الله عليه وهو الرحمة المهداة من الله الى خلقه ، انما هو الانسان الكامل ، ولقد تمثل فيه الجانب السموى من الانسانية طيلة حياته ، لقد تمثل فيه قبل البعثة وبعدها . اما قبل البعثة فقد كان للرسول صورة محددة عبرت عنها السيدة خديجة رضى الله عنها له : والله لا يخزيك الله أبدا .. انك لتصل الرحم وتصدق الحديث ،وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر ..

وعبر عن هذه الصورة فى كلمة واحدة القرشيون حينما اختلفوا فى وضع الحجر الاسود وحملوا السيوف وأوشكوا ان يثيروها شعواء ، ثم اتفقوا - حقنا للدماء - على الاحتكام الى أول داخل عليهم وكان أول داخل الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقالوا فرحين مستبشرين : ها هو ذا الامين ..

وكلمة الامين التى كانوا يطلقونها على محمد صلوات الله عليه وسلامه كانت تعنى مجموعة من الصفات والخصائص متكاملة هى من الانسانية فى الذروة والسنام .

ثم كانت الرسالة الاسلامية مفصلة مكارم الاخلاق ، موضحة المثل الاعلى للانسانية فى أكمل مظاهرها ، مبينة فى دقة واحكام الطريق الصحيح للسلوك الانسانى الكريم ، وجاعلة شعارها فى كل ذلك الرحمة .. وتشرب رسول الله هذه الرسالة حتى خالطت لحمه ودمه .

وحملته رحمته الانسانية أو انسانيته الرحيمة ، على ان يعمل طيلة حياته

لهداية الانسانية واسعادها .. وصوره القرآن خير تصوير فى جهاده هــذا لاسعاد الانســانية حينما قال : « **لقد جاءكم رسول من أنفســكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمــؤمنين رءوف رحيم** » .

لقد أهمه صلوات الله عليه وســلامه اسعاد البشرية ، وكان يحزنه انحراف افرادها عن طريق الســعادة حتى لقد قال الله له « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .. » وقال سبحانه : «فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهــذا الحــديث أسفا » ولقد رسم الرسول صــلوات الله عليه موقفه من الناس مثله بموقف رجل يحــاول ما استطاع ان يمنع الناس عن التردى فى نار يتهافتون على الوقوع فيها .. ولعل الحادثة التالية تصور بعض جــوانب التربية الرحيمــة التى كان يســتعملها الرسول فى سلوكه مع النــاس ، وهى وان كانت خاصة برجل معين فانهــا ليست مقصورة عليه ، بل لها صــفة العموم .. : جاءه اعــرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وســلم ثم قال له مستفسرا متوددا : أحســنت اليك ؟ فقــال الاعــرابى : لا ، ولا أجملت ! ..

فغضب المسلمون وقاموا اليه ، فأشار الرسول أن كفوا ، ثم قام ودخل منــزله وأرسل الى الاعــرابى وزاده ، ثم قال أحسنت اليك ؟ .. فقال الاعــرابى : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا

.. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: انك قلت ما قلت وفى نفس أصحــابى شىء من ذلــك ، فان احببت فقــل بين ايديهم ما قلت بين يدى ، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك .

وتحدث الاعــرابى اليهــم ، وطابت نفس اصحاب رسول الله بقول الاعرابى فقال صلوت الله عليه وســلامه هــذا التعقيب الرائع :

ان مثلى ومثل هذا الاعرابى كمثــل رجــل كانت له ناقــة شردت عليــه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفــورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين ناقتى ، فانا أرفق بها وأعلم .. فتوجه اليها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا ، حتى جاءت واستناخت وشد عليهــا رحلهــا ، وساوى عليها .. وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال قتلتموه ، دخل النار .

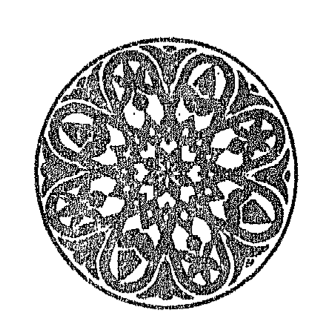
لقد كانت نفس رسول الله رحيمة حتى مع الاعداء . لقد قيل له يوم أحــد وهو فى أشــد المواقف حرجا ــ لــو لعنتهم يا رسول الله ؟ فقال صلوات الله عليه : انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا .

وكان اذا سئل أن يدعو على أحد ، عــدل عن الدعاء عليــه الى الدعاء له بالهدى والصلاح ، وكان يريد باستمرار ان يشعر المسلمون بل الناس على وجه العموم ، بالتعاطف فيما بينهم .. ســئل مرة : أى النــاس احب اليك فقــال : انفع الناس للناس .. وســئل : أى الاعمال أفضل ؟ فقال : ادخال السرور على المؤمن ..

وقال : أكمل المؤمنين ايمانا أحســنهم خلقا وألطفهم بأهله ..

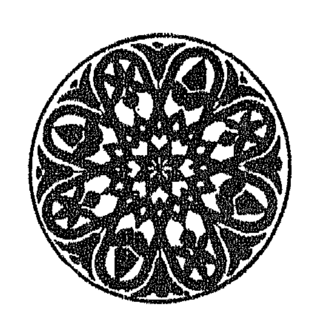
وكانت رحمته صــلوات الله عليه ، عامة شاملة ، حتى لقد تناولت الحيوان الاعجم ، لقد قال ــ يحث على الشفقة بالحيوان : بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج منها فاذا هو بكلب يلهث ياكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هــذا مثل الذى بلغ بى ، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له : قالوا يا رسول الله وان لنا فى البهائم اجــرا ؟ قال : فى كــل كبد رطبة اجر .. ودخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى اطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض .

لقد قال تعــالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » وان أفضل عمل نرضى به رســول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتنا ونتأسى به فيه ، أن نعاهد الله على ان نكون باستمرار مثلا كريمة للرحمة الاسلامية .



دفاع عن محمد

توفيق الحكيم



قرأت لسنوات خلت قصة فولتير التمثيلية « محمد » ، فخجلت أن يكون كاتبها معدودا من أصحاب الفكر الحر ، فقد سب فيها النبى سبا قبيحا عجبت له ، وما أدركت له علة . . . لكن عجبى لم يطل ، فقد رأيته يهديها الى البابا بنوا الرابع عشر بهذه العبارات :

« فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس اعجابا بالفضيلة ، اذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ماكتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية . والى من غير وكيل رب السلام ، والحقيقة أستطيع أن أتوجه بنقدى قسوة نبى كاذب وأغلاطه ، فلتأذن لى قداستك فى أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه ، وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة . وانى مع الاجلال العميق أجثو وأقبل قدميك القدسيتين » (فولتير ١٧ اغسطس ١٧٤٥) .

وعلمت فى ذلك الحين أن روسو كان يتناول بالنقد أعمال فولتير التمثيلية ، فاطلعت على ما قاله فى قصة « محمد » علنى أجد مايرد الحق الى نصابه ، فلم أر هذا المفكر الحر أيضا يدفع عن النبى ما ألصق به كذبا ، وكأن الامر لايعنيه ، وكأن ماقيل فى النبى لاغبار عليه ولاحرج فيه ، ولم يتعرض للقصة الا من حيث هى أدب وفن . . .

ولقد قرأت بعد ذلك رد البابا بنوا على فولتير ، فألفيته ردا رقيقا كيسا لا يشير بكلمة واحدة الى الدين ، وكله حديث فى الادب . فعظم عجبى لامر فولتير ، وسألت نفسى طويلا : أيستطيع عقل مثقف كعقل هذا الكاتب العظيم أن يعتقد ما يقول . . ؟ دين تبعه آلاف الملايين من البشر على مدى الأجيال ، هو فى نظره حقا دين كاذب ؟ ومبادىء انسانية كالتى جاء بها الاسلام ، هى عنده حقا مبادىء بربرية ؟ أم انه التملق والزلفى والنفاق . وان الزمن والتاريخ يضعان أحيانا أقنعة زائفة على نفوس تزعم أنها خلقت للدفاع عن حرية الفكر . . .

منذ ذلك اليوم وأنا أحس كأنى فجعت فى شىء عزيز لدى : الايمان بنزاهة الفكر الحر . ولقد كنت أحيانا

التمس الأعذار لفولتير ، وازعم انه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق ، بل عن عقيدة وحسن طوية استنادا على علم خاطىء بأخبار النبى ، ولكن كتابه الى البابا كان يتهمه اتهاما صارخا ، لا يدع مجالا للشك فى دخيلة أمره .

انى قرأت لفولتير كتبا اخرى كانت تكشف عن آراء حرة حقا فى مسائل الاديان ، وتنم عن روح واسعة الآفاق تكره التعصب الذميم ، فما باله عندما عرض لذكر « محمد » والاسلام كتب شيئا هو التعصب بعينه ، تعصب لدينه ، ذهب فيه الى حد السجود وتقبيل الأقدام ، لا لرب العزة والخلق، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التى ما ارى أن فولتير كان فى ذات يوم من خدامها المخلصين ؟! .

هى الأطماع التى كانت تدفع فولتير فيما أرى الى التمسح بأعتاب الملوك والبابوات ، ولقد يقدم ثمنا لذلك أفكاره الحرة احيانا ..منذ ذلك الحين وفولتير عندى متهم ، ولن أبرئه أبدا ، ولن أعده أبدا من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده وللفكر ، واحسب أن التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم ، فينتقم للحق بما افتراه على نبى كريم ظلما وزورا ..

على أن الذى يدعو الى الدهش أكثر من كل هذا ، ان الشرق والاسلام وقفا من الأمر موقف النائم الذى لا يعى ولا يشعر بما يحدث حوله ، فلم أر كاتبا من كتاب الاسلام قام فى ذلك الوقت يدفع عن دينه هذا الهراء الذى قال فولتير ، ويقذف فى وجه هذا الكاتب بالحقائق الباهرة القاطعة ، أوان مؤلفا وضع كتابا يبرز فيه شخصية النبى الخيرة العظيمة واضحة جلية . لقد كان الشرق فى ليل هادىء بهيم ، لم تثر فيه حركة فولتير يومئذ ساكنا ، ولكن اليوم قد تغير الأمر ولاحت فى أفق الشرق خيوط الفجر ، وقام فى هذا القرن كتاب يمجدون عقيدتهم وهم يعلمون ان فى ذلك تمجيداللحق وللشرق، فان المسألة ليست مسألة دين فقط ، انما هى أيضا مسألة جنس وقومية ، واذ تقول أوربا : « الاسلام » فانما تعنى فى غالب الأحيان « الشرق » . ان الحروب الصليبية فى حقيقتها لم تكن الا حرب الغرب على الشرق ، وان الفتح الاسلامى عندما بلغ فرنسا وهددأوربا لم يكن فى الواقع الا حرب الشرق على الغرب . هذا المد والجزر بين الغرب والشرق يفهمه مفكرو الأوربيين تمام الفهم، ويحسبون له الحساب،ويعملون دائما على أن تكون الغلبة لهم آخر الأمر، او ان يطيلوا على الأقل أمد غلبتهم ان كان لابد من تبدل الحال ومن دوران الفلك طبقا لناموس أعلى لا قبل لهم به .

فالدفاع عن شخصيتنا وعقيدتنا دفاع عن حياتنا ، وان الكتابات التى توجه لهذا الغرض النبيل ينبغى ان يكون لها علينا حق المؤازرة والتعضيد، وانى لست بناقد منقطع للنظر فى أعمال المؤلفين وتقدير قيم ما يكتبون ، ولكنى اريد أن اشير اشارة سريعة الى ثلاثة اساليب مختلفة من اساليب الكتابة ، اتجهت فى العصر الحديث الى هذه الغاية ، كل فى دائرته .

ففى الكتابة الدينية : « الرد على هانوتو » للأستاذ الامام محمد عبده ، فلقد نشرجابرييل هانوتو الكاتب والوزير الفرنسى يوما مقالة جاء فيها :

« قد أصبحنا اليوم ازاء الاسلام والمسألة الاسلامية ، اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الافريقية بسرعة لا تجارى حاملين فى حقائبهم بعض بقايا تمدين البيزنطيين (يونان الشرق) ثم تراموا بها على أوربا ، ولكنهم وجدوا فى نهاية انبعاثهم هذا مدنية يرجع أصلها الى آسيا ، بل اقرب فى الصلة الى المدنية البيزنطية مما حملوه معهم ، الا وهى المدنية الآرية المسيحية ، ولذلك اضطروا الى الوقوف عند الحد الذى اليه وصلوا ، واكرهوا على الرجوع الى افريقية حيث ثبتت فيها أقدامهم أحقابا متعاقبة » .

ثم قال فى موضع آخر : « ولقصر فريق منا بحثه وحكمه على ما شاهده من المناقضات والخلافات بين الدينين

المسيحي والاسلامى ، فراى فى الاسلام العدو الألد والخصم الأشد . قال المسيو كيمون فى كتابه « باتولوجيا الاسلام » : ان الديانة المحمدية جـــذام فشا بين الناس واخذ يفتك فيهم فتكا ذريعا ، بل هى شلل عام ، وجنـون ذهـولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما الا ليســفك الدماء ، ويدمن معـــاقرة الخمور ، ويجمح فى القبائح » .

أمثال هذا الكاتب يعتقـــدون أن المسلمين وحوش ضارية ، وحيـوانات مفترسة « كالفهد والضبع » كما يقول المســيو كيمون « وان الواجب أبادة خمسهم » كما يقول أيضا « والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة» ... وهذا أيضا قــوله « وهو حـــل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشرى.. أليس كذلك ؟ » ولكن قد برح عن خاطر الكاتب أنه يوجد نحو ١٣٠ مليـــون مسلم ، وأن من الجائز أن يهب هؤلاء « المجانين » للدفاع عن انفسهم والذود عن بيضة دينهم .. » الخ الخ

فما ظهر هذا الـــكلام فى صحيفة المؤيد ، حتى قام الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده لساعته مجردا قلمه وكتب نحو اربع مقالات ، هى أقوى ما قرأت دفاعا عن الاسلام ، واظهــارا لحقيقة مبادئه الخافية على أغلب الأوربيين ... وقد رد على هانوتو فيما اوردناه صائحا: « ما هذا التمدين الآرى الذى كانت عليه أوربا عندما انتقص أطرافها المسلمون ؟؟

« هل كانت تلك المدنية هى التسافك فى الدماء ، واشهار الحــرب بين الدين والعلم ، وبين عبادة الله وبين الاعتراف بالعقل ؟ نعم ، هذا هو الذى كان معروفا عند الغربيين وقت ما ظهر الاسلام . .
« ماذا حمل الاسلام الى أوربا ، وما هى المدنية التى زحف عليهم بها فردوها ؟ زحف عليهم بما اســـتفاد من صنائع الفرس وسكان آســـيا من الآريين ، زحف عليهم بعلوم أهل فارس والمصريين والرومانيين واليونانيين .. نظف جميع ذلك ونقــاه من الأدران والأوساخ التى تراكمت عليه بأيدى الرؤســاء فى الأمم الغربية لذلك التاريخ ، وذهب به أبلج ناصعا بهر به أعــين أولئك الغـــافلين المتسكعين الذين كانوا فى ظلمـــات الجهالة لا يدرون أين يذهبون .

« انى أكيل لمسيو هانوتو اجمـــالا باجمال ، والتفصيل لا يجهله قومه ، وكثـــير من منصفيهم لم يستطع الا الاعتراف به .

« ان أول شرارة ألهبت نفـــوس الغربيين فطارت بها الى المدنية الحاضرة كانت من تلك الشعلة الموقدة التى كان يسطع ضوؤها من بـلاد الأندلس على ما جاورها، وعمل رجال الدين المسيحى على اطفائها مدة قرون فما استطاعوا الى ذلك سبيلا . واليوم يرعى أهل أوربا مانبت فى أرضهم ، بعد ما سقيت بدماء أسلافهم المسفوكة بأيدى أهل دينهم فى سبيل مطاردة العلم والحرية وطـوالع المدنية الحاضرة » .

ثم رد الامام فى موضع آخر : « يجب على الباحث فى الاسلام أن يطلبه فى كتابه ، كما يجب عليه أن يطلب آثاره .. والاسلام اسلام ، والمسلمون مسلمون ، ولو استشم مســـيو (كيمون) الذى استشهد هانوتو بكلامه ، ريح العلم لما استفرغ ذلك القذر من فيه ، ولا حاجة الى الكلام فيه ، فسخافة رأيه وقلة أدبه تكفيه ...

« من أين اتى المسلمون وكيف دخل عليهم فى عقـــائدهم بالتشبيه ، وفى عوائدهم بالتمويه ؟ وممن تعــــلموا الافتراس ، وعمن اخـــــذوا الضراء بالشهوات ؟ أنا أعلم ذلك وأهل العلم يعلمون ، والله من ورائهم محيط ..

« اتبع المسلمون سنن من قبلهم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى سقطوا فى مساقطهم ، وطارحوا الأوهام حتى انجروا الى مطارحهم ، وباءوا بما كان لهم وما عليهم .

« حدثت فى الدين بدع أكلت الفضائل

وحصدت العقائل ، وترامت بالناس الى حيث يصب عليهم ما استفرغه (كيمون)

« اما لو رجع المسلمون الى كتابهم واسترجعوا باتباعه ما فقدوه من آدابهم لسلمت نفوسهم من العيب ، وطلبوا من أسباب السعادة ما هداهم الله اليه في تنزيله على لسان نبيه ، ومهده لهم سلفهم وخطه لهم أهل الصلاح منهم ، واستجمعت لهم القوة ودبت فيهم روح الفتوة ، وكان ما يلقاه هانوتو وكيمون من دين صحيح شرا عليهما مما يخشونه من دين شوهته البدع .

« يرى كيمون أن يخلى وجه الأرض من الاسلام والمسلمين ،ويستحسن رأيه هانوتو لولا ما يقف في طريق ذلك كثرة عدد المسلمين ، وبئسما اختارا لسياسة بلدهما أن يظهرا ضغنهما ، ويعلنا خطل رايهما وضعف حلهما .

« اما فليعلم كل من يخدع نفسه بمثل حلمهما أن الاسلام ان طالت به غيبة ، فله أوبة ، وان صدعته النوائب فله نوبة ، وقد يقول فيه المنصفون من الانكليز مثل (اسحق طيلر) وهو قس شهير ورئيس كنيسة :

« انه يمتد في أفريقيا ومعه تسير الفضائل حيث سار ، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره ، والشجاعة والاقدام من أنصاره » .

***

بهذا القلم وهذه المعرفة وهذا الذهن، وقف رجل الاسلام الحديث محمد عبده يذود عن بيضته أمام عدوان جهابذة الفكر والقلم من الأوربيين ..

أما في الكتابة الأدبية ، فأذكر « على هامش السيرة » للدكتور طه حسين ، ففي هذا الكتاب دفاع عن الاسلام كما يستطيع الأدب البحت أن يدافع . فهو لا يسلك الطريق المستقيم في الكلام عن الاسلام ، ولا يلجأ الى التدليل العقلي ، انما يخلق جوا شعريا يحبب الى النفس سيرة النبي وبيئته ، وقد عمد الدكتور طه حسين الى الأساطير ينسج منها هذا الجو الأدبي الجميل ، وتلك وسيلة الأدب والفن ، ومن ذا يقرأ هذا الوصف لبلاد النبي ولا تأخذه روعته ؟ :

(هنالك دعت « آمنة » اليها من حضرها من نساء بني هاشم ، فأسرعن اليها وقضين معها ليلة لا كالليالي ، انكرن فيها كل شيء واعجبن فيها بكل شيء ، انكرن حتى أنفسهن ، فقد رأين ما لم ير أحد ، وسمعن ما لم يسمع أحد ، واحسسن ما لم يحس أحد . ولم تكن آمنة أقلهن انكارا واكبارا واعجابا — فقد كانت ترى وهي يقظة غير نائمة أن نورا ينبعث منها فيملأ الارض من حولها ، ويزيل الحجب عن عينيها ، وكانت تنظر فترى قصور بصرى في أطراف الشام ، وكانت تنظر فترى أعناق الابل تردى في أقصى الصحراء ، وكانت لا تتحدث الى من حولها بما ترى مخافة أن ينكرن ماتقول، وأن يظنن بها الظنون ، وكانت هذه من صاحباتها لا تمد طرفها الى شيء حتى تراه نورا كله ، لا ظلمة فيه وانما هو مشرق مضيء ، أو هو الاشراق الخالص ، وكانت هذه الاخرى من صاحباتها تنظر ، فاذا نجوم السماء تدنو من الأرض وتمد اليها أشعة قوية نقية باهرة ساحرة ، وانها لتدنو وتدنو حتى يخيل الى الرائية أنها توشك أن تمسها وتقع عليها) .

لقد دافع طه حسين عن الاسلام في كتابه « على هامش السيرة » وان كان لم يقصد الى ذلك . فان الأدب الصرف والفن الصرف لا يقصدان احيانا الى شيء ، ولكن في مجرد صوتيهما ابلغ الكلام .

أما في الكتابة العلمية فها هو ذا كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل . ولو انى أعتقد ان أسلوب الدكتور هيكل في « حياة محمد » يدخل أيضا في منطقة الكتابة الادبية ، فان هذا الكتاب يعتبر في نظري من كتب « التراجم والسير » التي يضعها الكتاب الادباء ، لا من البحوث

العلمية التي يؤلفها المؤرخون العلماء ويعنون فيها باضافة شيء جديد الى العلم المعروف ، او استكشاف وثيقة من الوثائق التحريرية او الآدمية ، او تحقيق مصدر من المصادر . على أن كتاب هيكل هو بلا نزاع أول سيرة نبوية خليقة أن تمثل تطور العقلية الاسلامية في هذا العصر الحديث ...

وما أشق انتظارنا هذه الأجيال الطويلة لهذه السيرة الحديثة نضعها الى جانب سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وطبقات ابن سعد وغيرها من السير القديمة حتى يستطيع عصرنا أن يجهر بأنه فعل شيئا من أجل الاسلام ...

ولو أن الأستاذ الشيخ محمد عبده حي اليوم لاستقبل هذا الكتاب بمثل ما استقبله به الأستاذ الشيخ المراغي ، فرحا بهذا القلم الجديد ينهض لخدمة الحق والاسلام .

ولقد ذكرت هذه الكتب وهذه الأساليب الثلاثة بالذات لما رأيته فيها من نظرة جديدة الى محمد والاسلام . نظرة ملؤها الاكبار الصادر عن فكر حر لا عن تعصب اعمى . ان الناس لم تعد تعني بتلك الكتب المفعمة بالثناء الأجوف والألقاب الطويلة يحاط بها اسم النبي ، وهو في عظمته اجل من ان يحتاج اليها . انما تريد الناس اليوم حقيقة مجردة ناصعة هي في تجردها اجمل واسمى وابلغ في النفوذ الى القلوب ، وهذا ما صنع هيكل في كتابه « حياة محمد » على نحو خليق بالثناء ، فلقد اسقط من حياة النبي تلك المعجزات التي لا تغني من الحق شيئا ما دمنا في مجال التدليل العقلي ، واظهر شخصية النبي عظيمة في بشريتها السامية وأبان عن غرض النبي في الدعوة الى دين جوهره اقتناع النفس بالحقيقة العليا . ان هذه النظرة الجديدة فيها اجلال للنبوة . وان أولئك السفهاء الذين كانوا يطلبون الى الانبياء ان يثبتوا نبوتهم بالمعجزات قد اثموا في حق الفكر البشري قبل ان ياثموا في حق الدين .

ان المعجزة : أي الاتيان بعمل خارق للمعتاد لا يدل على شيء ولا يثبت نبوة ولا يدحضها . فان من الكهان أو بسطاء الناس من يملكون أحيانا تلك القوى الخارقة في أجسامهم او عقولهم او ارواحهم دون ان يكونوا من اجل ذلك أنبياء . ان النبي ليس في حاجة الى معجزة كي يكون نبيا . انما النبي من حمل رسالة علوية لا ينصرف عن الحياة حتى يؤديها ، ومن فضل محمد أنه لم يشأ أن يقنع الناس بغير ذلك ، فقد بلغهم رسالته واعتمد في اثباتها على العقل المجرد ...

ولقد جاء في كتاب هيكل : « لما جهد المسلمون عطشا اثناء مسيرة جيش العسرة الى غزوة تبوك ثم امطرتهم السماء ذهب بعضهم اليه (الى النبي) يقول انها معجزة ، فكان جوابه : (انما هي سحابة مارة) ، ولما كسفت الشمس يوم اختار الله ابنه ابراهيم الى جواره قال الناس : (ان هذا الكسوف معجزة) فكان جوابه : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته » .

هذا جواب محمد الذي قيل انه نبي كاذب ! فهل يمكن ان يكون هذا جواب نبي كاذب ؟؟

ان في كتاب هيكل صفحات تصلح ردا بليغا على فولتير . أن محمدا هو أعظم من فهم حقيقة النبوة ، ووعى معنى الحقيقة العليا ، وأدرك ان أكبر معجزة في هذا الكون هي انه لا يوجد في الكون معجزات ، وأن كل شيء يسير طبقا لنظام دقيق . واذا قيل نظام قيل قانون ، واذا قيل قانون قيل عقل مدبر ، وهذا العقل واحد تبدو سمته في ادارة الأجسام غير المحدودة في العظم كما تبدو في ادارة الأجسام غير المحدودة في الصغر ، ذات اليد العلوية وعين اثرها في كل شيء ، يد واحدة لا تتغير وقانون واحد لا يتغير .

ان محمدا كما يبدو في وصف الدكتور هيكل قد تأمل الطبيعة كثيرا ، وفكر مليا

فى نظامها العجيب فكشف عن بصيرته وبصره فامتلأ قلبه بالله ، كما اقتنع عقله بوجوده ، فجاء دينه دينا كاملا ، صادقا فى نظر القلب والعقل معا . ولئن كان على الأرض نبى أحب العلم ، ولم

يخش دينه العلم ، ولم يضطهد العلماء، فهو « محمد » الذى قال : « فضل العلم خير من فضل العبادة » « اطلبوا العلم ولو فى الصين » وكثيرا من الأحاديث التى تثنى على العلم وتحض عليه . ذلك أن مصدر اقتناع العلم ومصدر اقتناع محمد واحد : الكون وملاحظة ما فيه من ابداع ينم عن يد الخلاق العظيم .

فى كتاب حديث للعالم إينشتين فصل ذكر فيه رأيه فى الدين ، فقال انه يعتنق ما يسميه « الديانة الكونية » تلك الديانة التى تملأ قلب كل عالم انقطع لتأمل « ذلك التناسق العجيب بين قوانين الطبيعة وما يخفى من عقل جبار لو اجتمعت كل أفكار البشر الى جانبه لما كونت غير شعاع ضئيل أقرب القول فيه انه لا شىء » ...

لا ريب عندى أن احساس أينشتين نحو الكون والله هو عين احساس محمد يوم كان يتحنث فى غار حراء قبل نزول الوحى . انما الأنبياء والعلماء قلوب واعية تشعر بجلال الله . ولا يمكن لنبى

ان يكون نبيا الا أن يشعر من تلقاء نفسه بعظمة الخليقة ويتحرق شوقا الى معرفة صانعها ، ولا يزال الشوق بقلبه حتى يكشف له الصانع الأعظم عن بعض نوره ، ويوحى اليه بنشر هذا النور على الانسانية .

انى كلما تأملت شخصية محمد مجردة ثبت ايمانى بأن الخصومة المعروفة بين العلم والدين ليس لها فى الحقيقة وجود ، وان الدين الحق لا يتعارض والعلم الحق ... بل ان الدين والعلم شىء واحد ، كلاهما يطلب نور الله ويريد وجهه ، وكلاهما يعى ويؤمن ويلهج

بتناسق الوجود ووحدة قوانينه ودلالة ذلك كله على وحدة الخالق . ولم يظهر نبى حق ولا عالم حق شعر بغير ذلك . انما الفارق بين العلم والدين فى السبل التى يسلكها كل فى الدنو من الله. ومن قال ان وسائل العلم ينبغى أن تماثل وسائل الفن أو وسائل الدين ؟

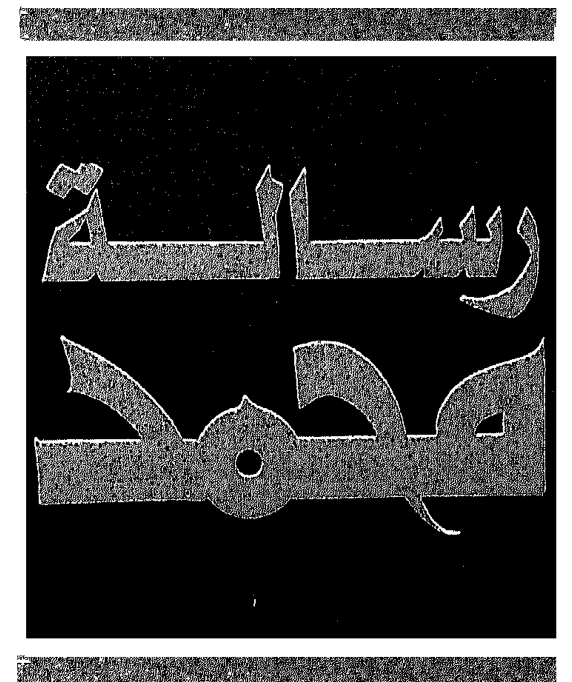
ان الطرائق والسبل يجب أن تظل مختلفة مميزة لا يختلط بعضها ببعض ، انما المصدر واحد دائما والغاية واحدة. فما الدين والعلم والفن الا خيوط ثلاثة كتب على بشريتنا القاصرة العمياء أن تتمسك بها لتهتدى الى ذلك النور الذى لا بداية له ولا نهاية : الله .

ان الاسلام وهو احدث الاديان، وهو الذى لم يخاصم العلم ، وهو الذى اتسع صدره لكل شىء يصلح فيما يرى الدكتور هيكل لمعالجة أزمات العالم الحاضر ، الروحية والاجتماعية والاقتصادية .وهو رأى صادق اذا قيض الله للاسلام رجالا ذوى نظرة نافذة وذهن مستنير واطلاع واسع ، يبرزون لفضائله بأساليب جديدة ، ويتولون اذاعته والدفاع عنه بأقلام ذكية قديرة .

ولقد صنع هيكل كثيرا فى هذا السبيل بأسلوبه الجديد فى « حياة محمد » . ولئن كان قد اثم فى دنياه فلقد اشترى بكتابه آثامه ! ولسوف يتقدم يوم الدين وكتابه بيمينه يشفع له فى دخول الجنة ! ولسوف يدخلها باذن الله متأبطا ذراع طه حسين بما قدمت يمناه هو أيضا من كتاب أدبى جميل « على هامش السيرة » ، كان له ولا ريب أبلغ الأثر فى حمل الناس على استمراء أخبار النبى ، ولهما بعد ذلك ولأمثالهما ممن دافعوا ويدافعون عن الاسلام خير التحية : فانى قلتها وأقولها دائما : ليس الأمر أمر عقيدة وديانة ، انما هو الى جانب هذا أمر حياة تلك الكتلة التى يسميها الغربيون : الشرق .وما الدفاع عن الاسلام الا الدفاع عن الشرق .

توفيق الحكيم





د. زكى نجيب محمود

كان الرسول الكريم « رسولا » لانه جاء يحمل « رسالة » ، وكانت الرسالة — بالبداهة — موجهة من الخالق سبحانه الى مخلوقه (الانسان) ليس فى هذا القول دعوى يحتاج صاحبها الى اقامة البرهان على صدقها لان لفظ « الرسول » كاف وحده لتوليد النتيجة ، التى هى أن الانسان هو الهدف ، بمعنى ان تكون الحياة الانسانية نفسها هى مدار الايمان ، هى محور العبادة ، هى مبدأ الاخلاق ، هى الدنيا وهى كذلك الطريق الى الآخرة .

لكن الحياة الانسانية التى هى هدف الرسالة ، لا وسيلة لاقامتها على قوائمها الا بالانسان نفسه ، واذن فالانسان هو الهدف وهو الوسيلة معا ، انك تعبد الله حين تعمل على شفاء المريض ، وتعبد الله حين تعين المتألم على أن ينزاح عنه الالم ، وتعبد الله حين تزيل الجهالة عن جاهل وتعبد الله حين تكشف للانسان عن جوهر عقله الصافى بعد أن ترفع عنه حجاب الخرافة والضلال .

لقد استوقف نظرى فيما قرأت قولان مختلفان ، لكنهما يلتقيان عند نقطة واحدة ، فيها من الخصوبة والثراء مايوحي للفكر المتأمل بمعان كثيرة غزيرة ، أما أحد القولين فقد صادفته خلال قراءتى لديوان ابن عربى « ترجمان الاشواق » الذى تولى فيه ابن عربى بنفسه شرح شعره ، ليبين مراميه فى الرموز التى لجأ الى استخدامها فى ذلك الشعر ، وقد أورد فى غضون هذا الشرح حديثا للنبى عليه الصلاة والسلام يقول فيه : ((ماابتلى أحد من الانبياء بمثل ما ابتليت)) مشيرا بذلك — فيما يقول ابن عربى — الى رجوعه من حالة الرؤية — رؤية الحق — الى دنيا الناس ، ليخاطب فيهم من ضل ليهديه سواء السبيل ، أى أن رؤية

الحق لم تكن هى كل الطريق ، وانما يكملها أن يغير الحياة على هذه الارض بما يجعلها تعلو الى الكمال الذى رأى .

وأما القول الثانى فقد وجدته عند محمد اقبال ، حينما عاودت قراءة كتابه « تجديد التفكير الدينى فى الاسلام » ، اذ وجدته يستهل الفصل الخامس من هذا الكتاب بهذه العبارة : « صعد محمد النبى العربى الى السموات العلى ، ثم رجع الى الارض ، قسما بربى لو بلغت هذا المقام لما عدت أبدا » وهى عبارة قالها ــ كما ينبئنا بذلك محمد اقبال ــ ولى مسلم عظيم ، هو عبد القدوس الجنجوهى ، ثم يمضى اقبال بعد ذلك فى القول ، بأنه من العسير ــ فى ظنه ــ أن نجد فى الادب الصوفى كله مايفصح فى عبارة واحدة عن مثل هذا الادراك العميق للفرق النفسى بين نمطين مختلفين من انماط الوعى : أما أحدهما فهو النمط الذى تتميز به حالة النبوة ، وأما الاخر فهو ذلك الذى تتميز به حالة التصوف ، ففى هذه الحالة الثانية ــ حالة التصوف ــ نرى المتصوف اذا ما بلغ شهود الحق ، تمنى الا يعود الى دنيا الناس ، وحتى اذا هو عاد ــ كما لابد له أن يعود ــ جاءت عودته غير ذات نفع كبير للناس ، لانه سينحصر فى ذات نفسه ، منتشيا بما قد شهد ، ولا عليه بعد ذلك أن تتغير أوضاع الناس من حوله أو لاتتغير ، وأما فى حالة النبوة فالامر على خلاف ذلك لان مشاهدة الحق يتلوها رجوع الى الناس فى دنياهم ، لا ليقف النبى مما يجرى حوله موقفا سلبيا غير مكترث ، بل ليغامر فيه بما يغيره التغيير الذى يخلصه من أوجه الفساد ، ويصعد به نحو مثال الكمال كما ارتسم فى ادراكه الواعى لحظة الشهود .

***

ان ادراك الحق عند الصوفى هو غاية يوقف عندها ، وأما عند النبى فهو بمثابة يقظة تصحو بها كوامن نفسه ، حتى لتتحول تلك الكوامن بين جوانحه الى قوى تهز أركان العالم هزا ليستفيق من سباته ، فيبدل بالقيم البالية قيما جديدة ، فكأنما عودة النبى من حالة الشهود الى حالة الفعل ، هى بمثابة مقياس يقيس شيئين فى وقت واحد : يقيس مدى ماتنطوى عليه المثل العليا التى شوهدت فى حالة الرؤية الروحية ، من قدرة على التطبيق والاصلاح ، ثم يقيس مدى ماتستطيعه الارادة القوية والعزيمة الماضية من مواجهة الصعاب ، حتى تزيل حياة فسدت لتقيم مكانها حياة جديدة منشودة .

بهذا المعنى أحب أن أفهم رسالة الرسول ، فليس الامر فيها كلاما جميلا يقال ، ولا هو هداية الى غير تطبيق ، انما هى رسالة ترسم للحياة الفعلية الحقيقية المجسدة طريقها ، وماذا يكون طريق الحياة القويمة اذا لم يكن هو نفسه طريق العمل على رفعة الانسان ؟ ان العبادة التى يترفع فيها العابد عن خدمة الناس ، أو التى يعتزل بها وحده بين جدران داره أو معبده ، لهى أقرب الى محفوظات المتاحف منها الى نبضات الحياة ، وأمامك الاحاديث النبوية الشريفة ، فاقرأ منها ماشئت أو اسمع منها مايروى بوعى يقظان ، تجدها مبادىء لعلاقات الانسان بالانسان كيف ينبغى لها أن تكون .

واذا أردت فاقرأ تاريخ الاسلام فى قوته ، تجده تاريخا « لاعمال » اضطلع بها أصحابها ليقيموا بها قواعد حضارة جديدة على وجه الارض ، فاذا كان الاسلام قد صعد كما صعد ، فبأعمال العاملين فى سبيل الانسان ، واذا كان قد هبط ، فلأن معنى الايمان به قد انحسر عن صخب الحياة ، ليقنع بالتعاويذ والتمتمات بين الشفاه .

د. زكى نجيب محمود

طلع البدر علينا

أنيس منصور



ريشة : رفعت عقيقي

ان يكون ابعد واعلى ..

● ولذلك ذهب الى غار حــراء وهو فى العشرين من عمره .

بل انه كان بعيدا عن النــــاس ، واسمى منهم وهو لايزال طفلا ..غريب هذا الطفل وهذا الشاب ، وهذا الرجل .. نظيف ، امين ، صادق ، اذا ذهب الشبان للهو لايذهب ، واذا حضر اللهو غلبه النوم .. انه بعيد عنهم حتى لو اقتربوا منه ، غائب عنهم حتى لو التفوا حوله .. ان الذى يدور فى داخله شىء آخر مختلف ، انه هو نفســه لا يعرف ، ولكنه اخلص لطبعه وطبيعته وســـار وصعد ليرى ويسمع ويتأمل ..

فى العشرين من عمره صعد جبلا على مدى ثلاثة كيلومتــرات من مكة .. الجبل اسمه الان « جبل النور » او جبل حراء ، تسلقه عشر سنوات ، فى أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وفى ايام الجمعة والســـبت والاحد ينزل يعيش بين أهله، غريبا عن الناس.

وبعد سنة واحده من ذهابه الى غار حراء تزوج السيدة خديجة، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره ، يصعد الجبل ومعه القليل من خبز الشــعير ولبن الماعز ، ويقضى النهار والليل فى صمت ، فلم يكن وحده ، انما كان مع كل معانى الكون ..

فليس اعظم من أن يكون الانســـــان « فوق » ليرى كل شىء صــــغيرا ، الناس وحياة الناس ، وهذه الدنيا ، ويرى الله كبيرا فى خلق الناس وهذا الكون... فى السماء والأرض وفى العقل وفى النفس .. كل شىء ذاهب الا الله باق . كل شىء كثير الا الله واحد .. كل شىء صغير الا الله جليل ..

ماهذا الذى يفعله الناس هناك وحول الكعبة ؟

فهو من الغار الذى اقام فيه عنــــد قمة الجبل يرى الــكعبة حولها اناس وكلاب ولصوص ومخمورون ونساء ، كلهم يتزاحمون وبسرعــة يختلفــون ، وترتفع السيوف وتســـيل الدماء ، ويجىء الذباب ..

هذه هى مكة ، سميت مكة لانها جافة من المال ، ويقال مك الشىء اى امتصه ، فهى اذن تمتص الذنوب ، ولكن ذنــــوب هؤلاء الوثنيين عندما تمتصها مكة تتجدد من جديد .

هنا المعبود اسمه هبل .. انه تمثال من حجر العقيق بذراع واحدة ، وتجىء القبائل تضع للتمثال ذراعا من ذهب.. وأمام هبل يستغرق النــاس فى لعبـــة « الزهر » وعلى كل واحدة من الزهر مكتوبة كلمة « لا » أو « نعم » ، هى كلمات لذلك المعبود هــــبل ، والناس يلتفون حول التمثال يرمون الزهر أمامه ويذبحون الجمال ، ويأكلون ويشربون ويقدمون القرابين لهذا الحجــــر الذى صنعه بشر ، ويحميه بشر ، ويدعــوه ويدعو عليه ويبصق عليه بشر أيضا .. ولكنهم يعبـــــــدونه ويستحلفون به ويصدقونه .

وهناك حجر اســــمه « اللات » يعبدونه أيضا .

وهناك ثلاث نخلات اســـمها العزى يعبدونها ، ويلقون عندها همومهـــم وكروبهم ، ويذبحون أغنـــامهم وابلهم ويقولون ان النخـــلات الثلاث تكلمهم وتكشف اسرارهم وتفضحهم بعضــهم أمام بعض .. فهــم جاءوا من أقصى الصحارى ليتعروا أمام الآلهة .. وهكذا تتحكم فيهم الاحجار ، وعادات قبلية

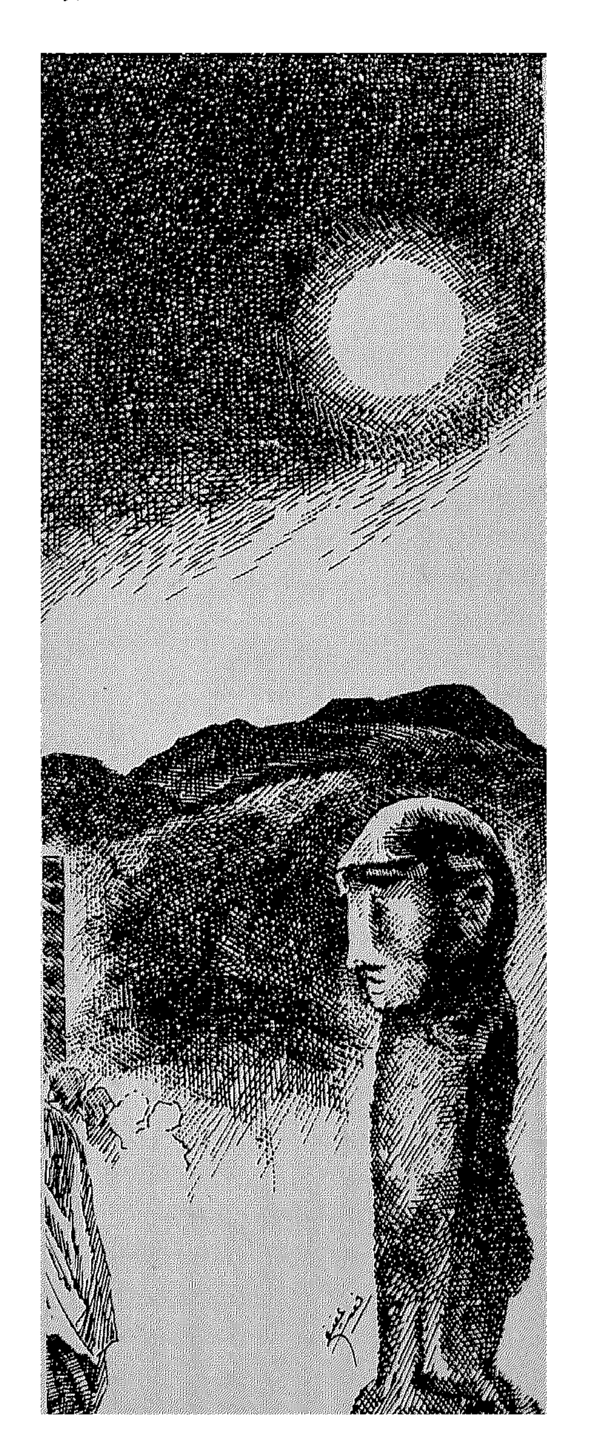
أكثر قسوة من الاحجار.. والكثيرون يدورون حولها ويبيعون ، ويأكلون ، ويشربون ، ويتسولون ، هم وحيواناتهم ويعلقون على جدارنها ثرواتهم ، وفى داخلها يضعون عقودهم ومواثيقهم ، ولكن لا قداسة للمكان لانه لا قداسة لأحد .. فلا أحد الا الاوثان ، والا الاحجار والا السيوف ، والدم ، والفجور ، والبطش ، والجوع ، وحروب القبائل .. والا ثروات الاغنياء وجشعهم وذل الفقراء وهوانهم .

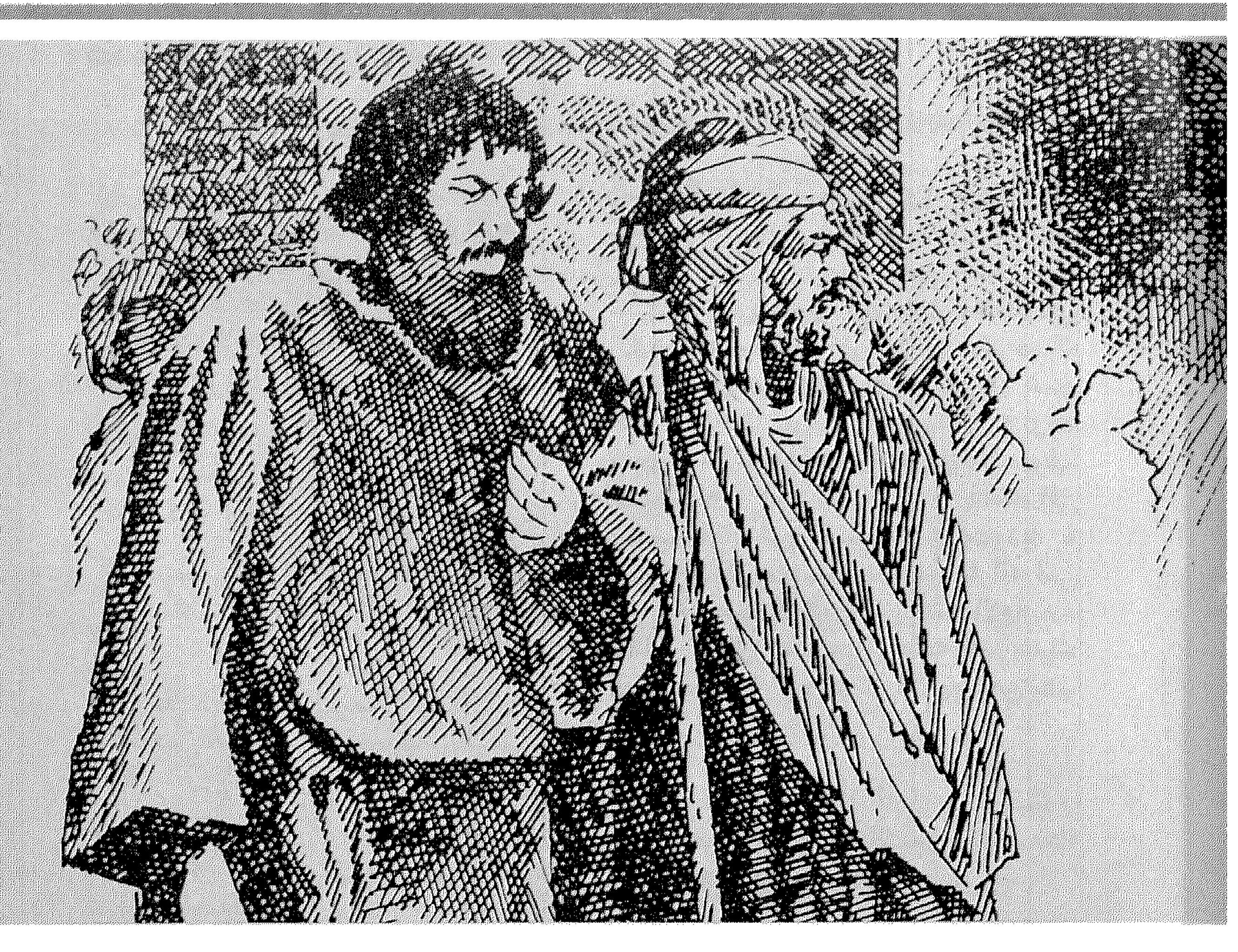
ومن هناك ، فوق ، ماالذى يراه الرسول محمد من غار حراء .. يرى من بعيد حجر الصفا وحجر المروة ، والطريق بينهما من تراب وذباب ، وهناك تمثال من حجر يعبده الناس ويمسحون به أيديهم ووجوههم وأطرافهم الموجوعة ، وتمثال آخرتمسح عنده النساءبطونهن وصدورهن ويتمنين شيئا من الذرية أو من السعادة الزوجية ..

وليس هذان التمثالان لأحد من الناس الطيبين ، انهما لاثنين من الفاسقين ، ففى ذلك الوقت كان كل شىء هناك خانقا ، كل شىء فى مكة ، وحول الكعبة،الشمس محرقة، والناس يهربون منها الى الخيام والى النخيل، والى النوم ، وجاء الليل فازدادت الحرارة واختفى الناس ، وتسلل رجل وامرأة الى داخل الكعبة وتجاورا والتصقا حتى تحولا الى تمثالين من حجر . واصبحت فضيحتهما عملا فنيا ، تمثالين بارزين دليلا ملموسا مقنعا ، ورجمهما الناس ولعنوهما ، وتكاثر الرجال حول الكعبة ، وتكاثرت الايام ومضت بعدد الرمال حول الكعبة، ونسى الناس من هما صاحبا التمثالين، وظن الناس أنهما من الالهة ، وانتقل تمثال الرجل واسمه اساف ، والمراة واسمها نائلة ، أحدهما عند الصفا ، والاخر عند المروة ، وعبدهما الناس ..

ومن جبل حراء هذا بنيت الكعبة ، ويقال ان شيث بن آدم عليه السلام اخذ احجار هذا المكان المقدس من جبال سيناء ، ولبنان ، وحراء ، ولما جاء ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل أقاما الكعبة من أحجار جبل حراء ..

وعندما كان النبى عليه الصلاة والسلام شابا كان يحمل الاحجار من جبل





حراء على كتفه وعلى رأسه ، ولما اختلفت القبائل أيها يضع الحجر الاسود فى مكانه احتكموا الى رسول الله ، ووضع الحجر الاسود فى ثوبه ، وأمسكت القبائل ثوبه كل من ناحية ، وامتدت يده هو ووضعته فى مكانه ، واستراحت القبائل الى انها شاركت فى وضعه ، فلا فضل لقبيلة على اخرى وكان وضع الحجر اشارة الى أن الرسول سوف يضع حجرا وراء حجر لدين كريم .. لقريش وكل القبائل الاخرى والشعوب ..

وهناك، ومن غار حراء الذى يتسع لخمسة جالسين معا ، كان الرسول يرى كل هذا الكفر والفسوق ولا يطيقه ولكنه لايعرف ماالذى يمكنه أن يفعله او ما الذى يستطيعه . انه واحد وهم كثيرون ، ثم انه فقير وهم أغنياء .. انه يتيم ، انه نظيف ، انه امين ، انه مختلف .. انه لا يستطيع أن يشارك، أن يمد يدا ، أن يغمض عينا ، انه فوق وانه بعيد ، وانهم فى أسفل السافلين..

ولما تزوج السيدة خديجة كانت ترى أن شيئا عجيبا يضاف كل يوم الى هذا الزوج الصالح .. أول ما رات انه اذا نام وقام وروى لها حلما ، يكون الحلم صادقا ، فكل مايراه يقع ، فلم يكن حلما وانما هى رؤيا صافية صادقة انه يرى ما سوف يحدث .. وليس هذا بالقليل ، ان الانسان يحدث له ذلك مرة كل سنة أو مرة فى العمر كله .. عندما يكون فى حالة توازن للجسم والنفس ، اى اذا ما كان فى حالة سواء صفاء وشفافية .

ان علماء النفس يجدون فى الرؤى الصادقة دليلا على أن هناك قدرات خارقة عند بعض الناس ، بعض الوقت وهذا معناه ان الانسان يستطيع ان يرى أبعد مما يرى الناس ، فأنا اذا رأيتك الان فانا اراك فى هذا المكان ،

وفي هذه اللحظة ، واذا ابتعدت عنى عشرة آلاف متر ، فانني لا اراك لان قدرتي على الرؤية في المكان محدودة ، واذاانت جئت الى نفس المكان الذى تقف فيه، فانا لا اراك اذا لم أكن موجودا، فشروط الرؤية أن نكون معا على مسافة

واحدة في المكان والزمان . ولكن الذى يرى ما يحدث على مدى الوف الاميال وعلى مدى الوف الدقائق او الساعات ، هو العجيب الغريب .. انه يرى ماسوف يجيء في المكان والزمان وبوضوح كل يوم .

وبعد ذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتأمل كثيرا ، يصمت ويطيل النظر ، وينشغل تماما كأنه يستمع

الى احد غيره أو يستمع الى اصوات لا يسمعها الناس ، فهو بعيد النظر وبعيد السمع أيضا ..

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام عندما اختار غار حراء ، اختار العزلة العالية والوحدة الرفيعة والسمو الشاهق ، وأن يكون في معية الكون كله ، قوانين الكون ، وحكمة الحياة ،

واصل الوجود .. هناك بعيدا ، عاليا عن الناس والاشياء .

وفجأة جاءت الاحداث الجليلة ، لقد راى وسمع ، راى وسمع من يقول له :

« اقرأ » وهو لايعرف القراءة ولايعرف ماذا يقرأ .. فيعود يقول له « اقرأ » مرة ثانية وثالثة ، والرسول يقول « ما أنا بقارىء » . فيقول له : « اقرأ . وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وكان الصوت مليئا عميقا ، هزه من راسه حتى اصابع قدميه ، تفجرت فيه الحرارة والعرق والبرودة والخوف والفزع .. شىء عجيب غريب ما رآه

قبل ذلك ، ولا انتظره ، ولا عرفه ، ولا سمع به ..

هبط الرسول من جبل حراء الى زوجته يطلب اليها ان تزمله ، أن تمسك به ، أن تحميه ، أن تعينه على ما هو فيه ، وهى تعرف انه صادق ، وانه امين ، وان شيئا لاتدريه هى ايضا سوف يحدث له ، وحدث له .. واخذته الى راهب قراء في المسيحية واليهودية ، ولما روت له ماحدث ــ أكد لها انه نبى .. وانه سوف يكون نبى هذه الامة .. فالذى جرى له وجرى عليه قد حدث لموسى من قبل ، وحدث للنبيين من بعد موسى .

والقرآن يقول : « انا اوحينا اليك، كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده» هذا هو الوحى ..

ينزل صورة وصوتا يملأ كل شيء حوله .. ان قوة هائلة طولها السماوات والارض تدخل في جسمه الصغير ، تفيض فيه ، تتدفق بغزارة وحرارة .. ان تيارا كهربيا عاليا يلمسه فيهزه بعنف .. وكان الرسول لا يقوى عليه ، كان يصاب بما يشبه الحمى .. وكان هذا الوحى ينزل عليه جالسا وماشيا وراكبا .

فاذا نزل عليه وهو فوق ناقته كانت الناقة تبرك على الارض وتلهث ، كان الذى يجلس عليها جبل .. فاذا فرغ الوحى من تبليغ الرسالة عادت الناقة ترفع راسها كما يعود الرسول الى حالته العادية

والله يقول له «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا »

والرسول يقول « شيبتنى هود واخواتها » ، أى سورة هود ، وسور

اخرى كثيرة ، فقد كان نزولها عليه يهزه ، ومعانى آياتها تشيبه . .

وظل الرسول يتلقى الوحى . ويدعو الى دينه الجديد سرا ، وجاءه الوحى يدعوه الى أن يجاهر بالدعوة ، يقول الله تعالى ((**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**)) ، وجاهر الرسول بالدعوة ، وجاهر المشركون بالايذاء له ولأتباعه من المسلمين ، ولكنه مضى يدعو فى كل مكان ، واستمر الناس يتربصون به فى كل مكان .. وطارت الاحجار واحشاء الحيوانات والدماء يلقونها عليه اينما ذهب ــ وهو صابر على دعوته ، انه يدعو الناس الى ترك عبادة الأوثان ، الى السلامة ، الى النظافة والطهارة والرحمة والتواضع .. والى أن متاع الدنيا قليل . والى ان الله أبقى من كل مافى ايديهم وفى نفوسهم .

وازدادت قريش ، قبيلته ، قسوة عليه وعلى المؤمنين به من الاطفال والشبان والنساء والعبيد ، وقالوا : دين الضعفاء ــ ولكنهم أقوياء بدينهم وبربهم .

عشر سنوات يدعو فيها علنا فى مكة . وحول مكة ، والعذاب والتهديد والوعيد والاغراء بالمال والسلطة ــ يرفضها الرسول والمؤمنون .
والرسول يدعو الله قائلا « يامقلب القلوب ، ثبتنى على ايمانى بدينك » .
ويوم ذهب الرسول الى الطائف على مدى ستين كيلو مترا من مكة يدعو ويبشر وينذر ، طردوه ووقفوا صفين ، ثم جلسوا صفين وكل واحد فى يده قطعة حجر .. سار الرسول بين الصفين ، وكلما وضع قدما دقوها بالحجارة ، حتى دميت قدماه .. ومن أعماقه قال : « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس » ذلك الدعاء الجميل الصبور

ونزل الوحى يطلب الى الرسول ان يهاجر .. وكان الرسول قد رأى فى نومه انه سوف يهاجر الى مدينة فيها نخل ، وفى المدينة ذاق طعم التمر لاول مرة فى حياته ..

وهاجر المسلمون الى الجنوب وهاجر منهم آخرون الى المدينة .

وكان الرسول ينظر الى مكة حزينا ويقول « والله انك لأحب البلاد الى نفسى ، ولولا ان أهلك اخرجونى ما خرجت »

وذهب الرسول وابو بكر الى غار ثور واقاما فيه ثلاث ليال ، وكاد المشركون يمسكون بهما ، وفزع أبو بكر ، وقال له الرسول « ماظنك باثنين الله ثالثهما »

ونزل القرآن يقول : ((**الاتنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم**))

وبعد ثمانية ايام او عشرة ، وصل الرسول الى مشارف المدينة المنورة ، واستقبله الانصار يغنون :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا
جئت بالامر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع
طلع البدر علينا

محمد

سيّد الهداة

محمود الحتريس

في مشرق النور والمدى ألق … ماذا يقول المداد والورق
وما استباق الحديث في حدث … إلى مداه الفعال تستبق
الارض تعنو له مناكبها … وينحني في رحابه الافق
يارب جلت رسالة وسمت … سما بآلائها الألى صدقوا
أرسلتها للأنام مشرقة … في قلبها الخير صيب غدق

***

ماذا يقول الحديث والكلم … والأمر لا يرتقي إليه فم
من رحمة الله جاءكم قبس … تزهو بلألاء عزه القمم
« محمد » للورى وما طمحت … إلى ذراه العصور والأمم
« محمد » سيد الهداة به … يبدأ دين الهدى ويختتم
فلتعبدوا الله لا شريك له … ولتقتلوا البغي أين يعتصم

***

يا عزة المسلمين .. ما صبروا … وجاهدوا .. فاجتباهم القدر
وأورثوا الأرض فاستكان لهم … قيد الليالي وحرر البشر
في دولة .. لم تزل مآذنها … على جبين الزمان تزدهر
الله صلى عليك .. والملأ الـ … أعلى .. وهامت بحبك الزمر
ما خاب قوم على هداك مضوا … ففي هداك الأمان والظفر

***

في مشرق النور والمدى ذهب … أقول كيف السبيل والسبب
ماذا عن المصطفى ودعوته … وأين صدق الرجال والغلب
يا أمة الحق والحياة ، ألا … من وقفة للاله تحتسب
من أجل دين وموطن وعرى … تكاد في المشرقين تغترب
تجمعوا فالسبيل ما برحت … وأنتم الناس أيها العرب

الحرمان

المكي.. والمدني

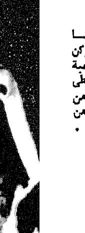
أول مسجد رفع لله سبحانه وتعالى . أصبح اليوم أجمل منشأة معمارية مقدسة في الدنيا

د. حسين مؤنس



الكعبة الشريفة تتألق وسط الحرم المكي ، وحولها الطائف حشد يتلاشى وترى المنشأة الضخمة التي جعلت الحرم من أعظم المنشآت المعمارية في العالم

الحرمان .. المكى والمدنى



الحجر الاسود كما يبدو للناس فى الركن اليمانى بداخل الكعبة المشرفة ، وقد غطى بالبللور فى اطار من النحاس حماية له من لمس الناس . . .

المسجد الحرام بمكة هو أول بيت بنى لعبادة الله الواحد سبحانه . وقد رفع أركان هذا البيت ابراهيم ابو الانبياء وابنه اسماعيل الذبيح ، اقاماه بناء صغيرا مباركا مطهرا ووضعا الحجر الاسود فى ركنه اليمانى أى الجنوبى ، وتركا المساحة الواسعة حوله ارضا فضاء حراما لا يحل فيها صيد أو قتال او رجس ، وتلك الارض والكعبة وسطها هى المسجد الحرام .

وعندما تمدنت مكة واصبحت مركزا تجاريا كبيرا على طريق التجارة الرئيسى من الشام الى اليمن وسكنتها جرهم ثم خزاعة ثم غلبت قريش هذه الاخيرة على يد قصى بن كلاب اتخذ المكيون الكعبة وحرمها معبدا ، فلم يبنوا مساكنهم الا حول ارض المسجد الحرام ، وجعلوا الكعبة منتداهم ومجمعهم . حولها كانوا يتلاقون ويتبادلون الرأى ، وفى جانب من الرحبة أقاموا دار الندوة ، ولم تكن دارا بالمعنى الصحيح ، وانما كانت عريشا بسيطا أو سقيفة يجتمعون فيها للتشاور وتبادل الآراء .

وحرص عبد المطلب بن هاشم على ان يجعل الكعبة معبدا للعرب اجمعين ، فطلب الى كل قبيلة ان تضع نموذجا من تمثال معبودها حول الكعبة ، ونظم موسم الحج وجعله ملتقى العرب أجمعين وضبط مناسك الحج على مذهب الجاهليين ، وعرف كيف يجعل قريشا تفيد من ذلك الموسم اكبر الفائدة من الناحية المادية ، وقد سميت العقيدة الوثنية التى صاغها عبدالمطلب من جماع عقائد الجاهليين باسم دين عبد المطلب ،



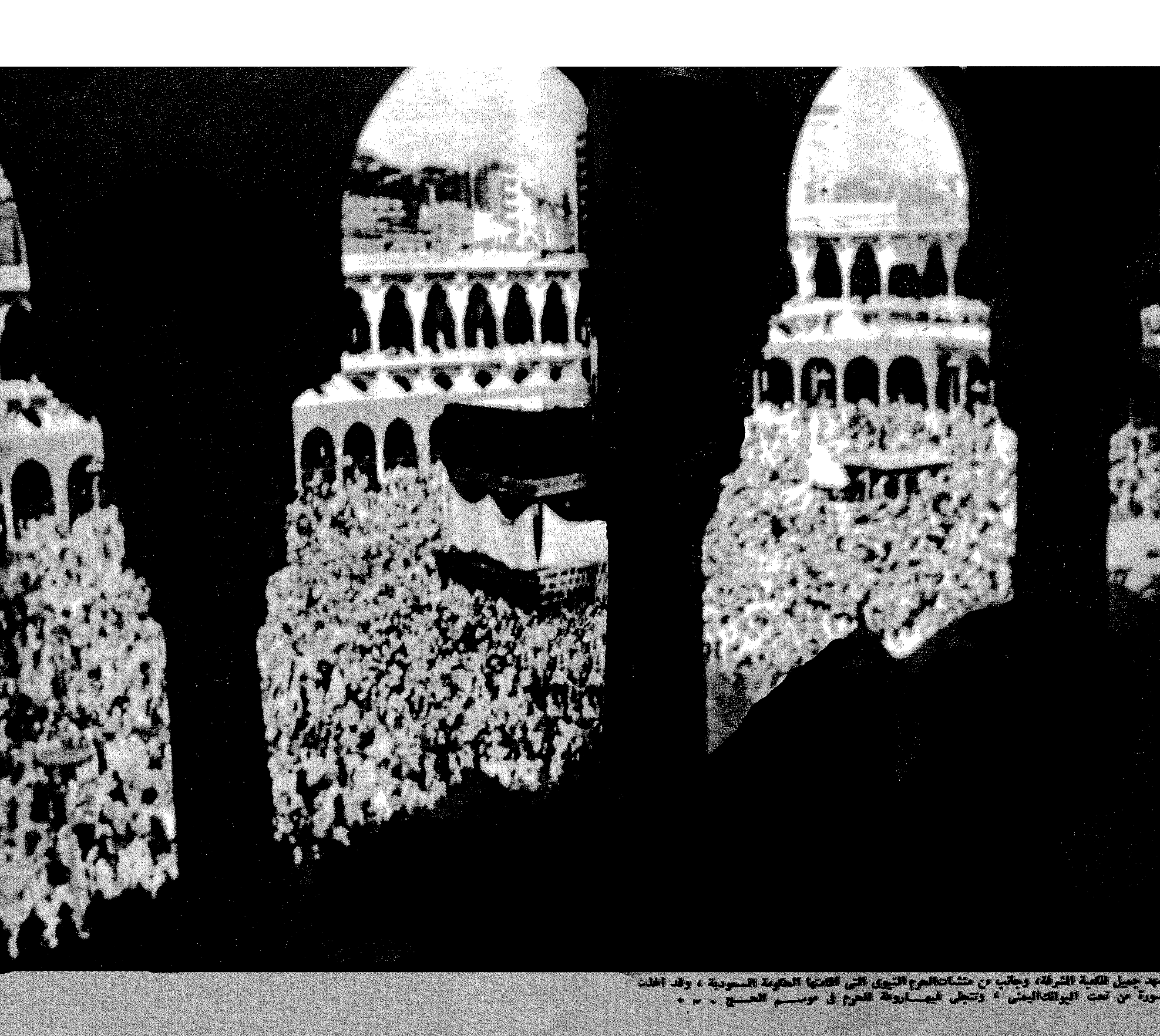
صورة جميلة لمدخل الحرم المكى كما يبدو الان بعد اتمام الانشاءات الحديثة ، ونرى فى الصورة اربعا من المآذن البديعة التى تزين الحرم وكذلك المطاف الجميل الذى اقيم من دورين فخفف على الناس أداء فريضة الحج والعمرة . . .

ومن غرائب المقادير انه كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو حفيد عبد المطلب ان يزيل دين عبد المطلب ويضع مكانه دين الله سبحانه وتعالى ، وقد كان والحمد لله .

وعندما كان محمد فى سن العشرين جاء سيل عرم هدم مبنى الكعبة ، فرأت قريش ان تبنيها ، وتصادف ان غرقت سفينة عند فرضة الشعيبة وقذفت الامواج بحطامها الى الساحل ، فخرج القرشيون فاخذوا الحطام واستعملوه فى اقامة مبنى الكعبة الجديد ، واشترك فى هذا العمل نجار مصرى يسمى باخوم وهذا المبنى هو الذى شارك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما اختلف القرشيون حول من يرفع الحجر الاسود ليوضع فى مكانه ، فأشار عليهم بوضعه فى ثوب اشتركت القبائل كلها فى رفعه .

وفى ظل هذه الكعبة كان محمد صلى الله عليه وسلم يجلس مع اصحابه أول الامر يقرأ عليهم القرآن ويلقنهم عقيدة الاسلام وشريعته ويؤدبهم بآدابه السامية . حتى ضاق بهم القرشيون وضايقوهم وآذوهم مما جعل الرسول ينتقل بجماعته الى دار الارقم بن ابى الأرقم ويتخذها مقرا للدعوة وملتقى المسلمين .

وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وانشأ جماعته الاسلامية ووضع لها نظامها وانشأ مسجده وجعل قبلته الى بيت المقدس ، ثم ردت القبلة الى الكعبة وفرض الحج ، واصبح الحرم المكى حرم المسلمين وقبلتهم ،



هد جميل للكعبة المشرفة، وجانب من منشآت الحرم النبوى التى اقامتها الحكومة السعودية ، وقد اخذت
ورة من تحت الرواق اليمنى ، وتتجلى فيهـا روعة الحرم فى موسـم الحـج ...

وفى العام السادس للهجرة كانت محاولة العمرة التى انتهت بصلح الحديبية ، وفى العام السابع للهجرة كان الحج الاول الى الكعبة ، وفى العام الثامن فتحت مكة وعادت الكعبة وحرمها الى المسلمين ، وفى العام العاشر للهجرة كانت حجة الوداع ووضعت مناسك الحج فى صورتها الباقية الى اليوم واصبحت رعاية الحرم المكى واجبا على الجماعة الاسلامية ·

وحدود هذا المسجد تعينها اعلام الحرم المنصوبة على الطرق المؤدية الى مكة من كل ناحية ، وهذه الاعلام ، وهى مواضع على الطرق تكون فى مجموعها نطاقا واسعا محرما مطهرا يشمل مكة كلها ونطاقا حولها سعته بضعة كيلو مترات ·· وكل هذه الساحة هى الحرم المكى لا يجوز سفك دم فيه او عدوان ·

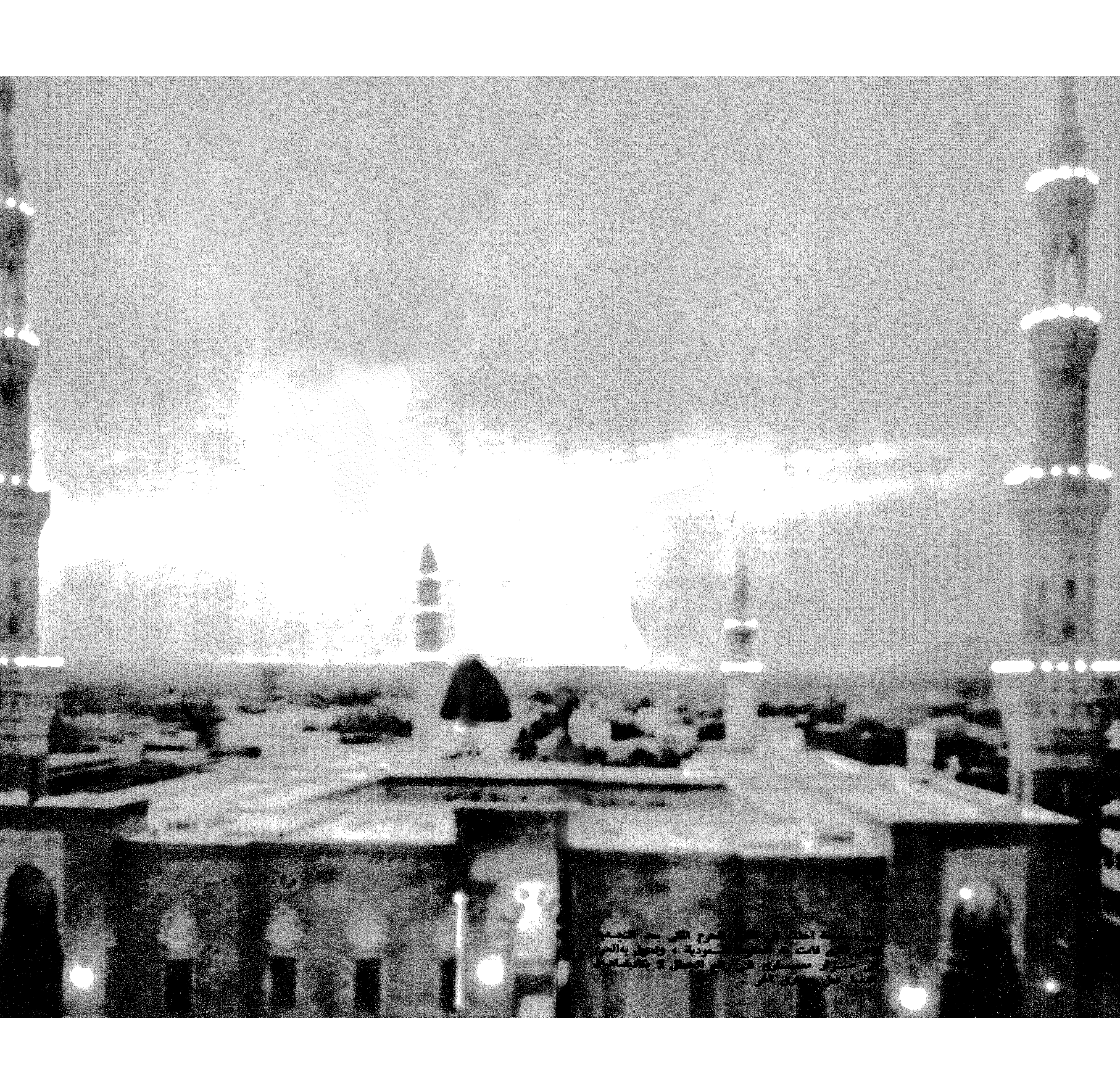
ولكن كان المتعارف عليه من قديم الزمن ان الساحة الواسعة التى تقوم فى وسطها الكعبة هى المسجد الحرام الذى يصلى فيه ويكون فيه طواف الحجيج حول الكعبة ، ومنه يصدر الناس الى السعى ما بين الصفا والمروة ومنها الى عرفات ثم الافاضة من عرفات الى منى الى جنوب شرقى مكة ، ثم تكون الصلاة فى مسجد الخيف فى منى ، ثم يحل الاحرام وينتهى الحج او العمرة·

وكان الوليد بن عبد الملك اول من فكر فى تحويل الساحة المحيطة بالكعبة الى صحن مسجد ، فاشترى من الناس دورا كثيرة ووسع الساحة ، وجعل لها سورا بنى عنده سقائف تقى الناس من حر الشمس وجعل فى السور ابوابا · واهتم العباسيون بهذا المسجد ، وخاصة الخليفة المهدى ثم السيدة زبيدة ، فتم رصف المطاف ، واقيمت مئذنة فى احد اركان الحرم ·

ومن ايام العباسيين جرى تغيير كسوة الكعبة كل عام · كانت تغسل مرة فى السنة من الخارج ، ولكن كسوتها لم تكن تبدل ، فبدأ بذلك الخليفة المهدى العباسى · واتشئت



صورة قريبة لغار حراء، اخذت له من نحو اربعين سنة ، ويلاحظ ان تزايد اعداد الحجاج خلال السنوات الاخيرة ، قد غير بعض الشىء من شكل الغار ومن معالم جبل حراء

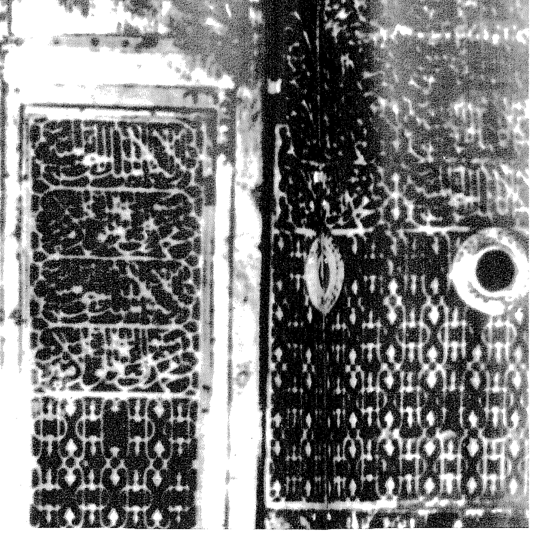


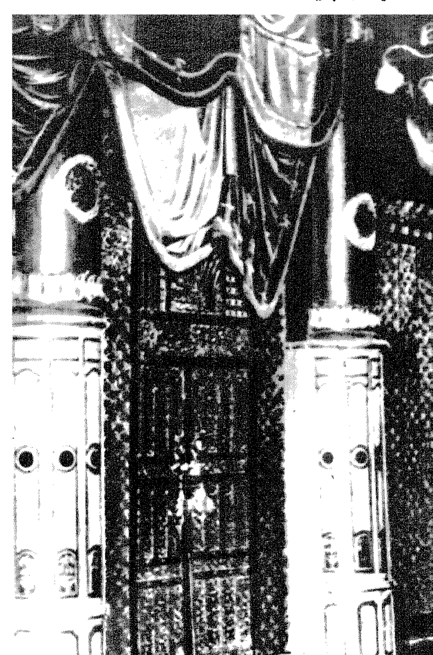
الحرمان .. المكى والمدنى

ميضأة كبيرة فى الركن الجنوبى الشرقى وبدأ الحرم المكى يتخذ صورته التقليدية ..

ولكن سلاطين الايوبيين والمماليك اظهروا من العناية بالحرمين المكى والمدنى فوق ما اظهر من قبلهم . وكان نور الدين محمود قد جدد بناء الكعبة وتولى كسوتها ، فلما جاء صلاح الدين سار فى آثار سلفه ، وجدد بناء الكعبة بعد ان حرر بيت المقدس عقب معركة حطين ١١٧٨ ، وازال السقائف حول الرحبة وبناها بأعمدة من الحجر وسقفها بالميناء .

باب الروضة النبوية الشريفة ، وجدارها الخارجى الذى يرجع الي العصر العثمانى، وقد غطى بستارة من النحاس المشغول المزين بالايات القرآنية الكريمة





صورة أخرى للروضة النبوية الشريفة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ...

وعندما جاء السلطان بيبرس بدأ تقليد عمل الكسوة الشريفة فى مصر ، وبدأ كذلك تقليد المحمل وارسال « الصرة » من مصر الى شريف مكة ، وهى هبة مالية كبيرة يرسلها سلاطين مصر ليستعين بها أشراف مكة على العناية بالحرم وينفقوا منها فى مصالح الناس .

وكان اول امير حج خرج من مصر هو السلطان بيبرس نفسه ،وقد غسل بيده الكعبة ووضع عليها كسوتها الجديدة. وآخر مرة قام فيها المماليك بتجديد بناء الحرم المكى كانت سنة ٨٦٨/ ١٤٦٤ .

وبعد ان استولى العثمانيون على مصر سنة ١٥١٧ انتقل شرف رعاية الحرمين اليهم ، وتولى السلاطين امور البناء والتجديد ، ولكن المال والعرفاء أو المهندسين والعمال كانوا من مصر .

وكان السلطان سليمان القانونى « ٩٢٦ — ٩٧٣ — ١٥٢٠ — ١٥٦٥ » هو الذى اعاد بناء الكعبة والحرم المكى واعطاهما الهيئة الباقية الى اليوم ، ومن حسن الحظ ان الحكومة السعودية عندما شرعت فى تجديد مبانى الحرمين المكى والمدنى حافظت على التخطيط العام لهيئة الحرم المكى كما وضعها الاتراك فى عهد سليمان القانونى .

هذا التصميم أو التخطيط من عمل المهندس العثمانى الاش سنان بن عبد المنان بن عبدالله المشهور بأسم سنان باشا ، ولم يعش سنان ليرى مشروعه كاملا ، فاشرف على المراحل الاخيرة منه تلميذه محمد اغا .

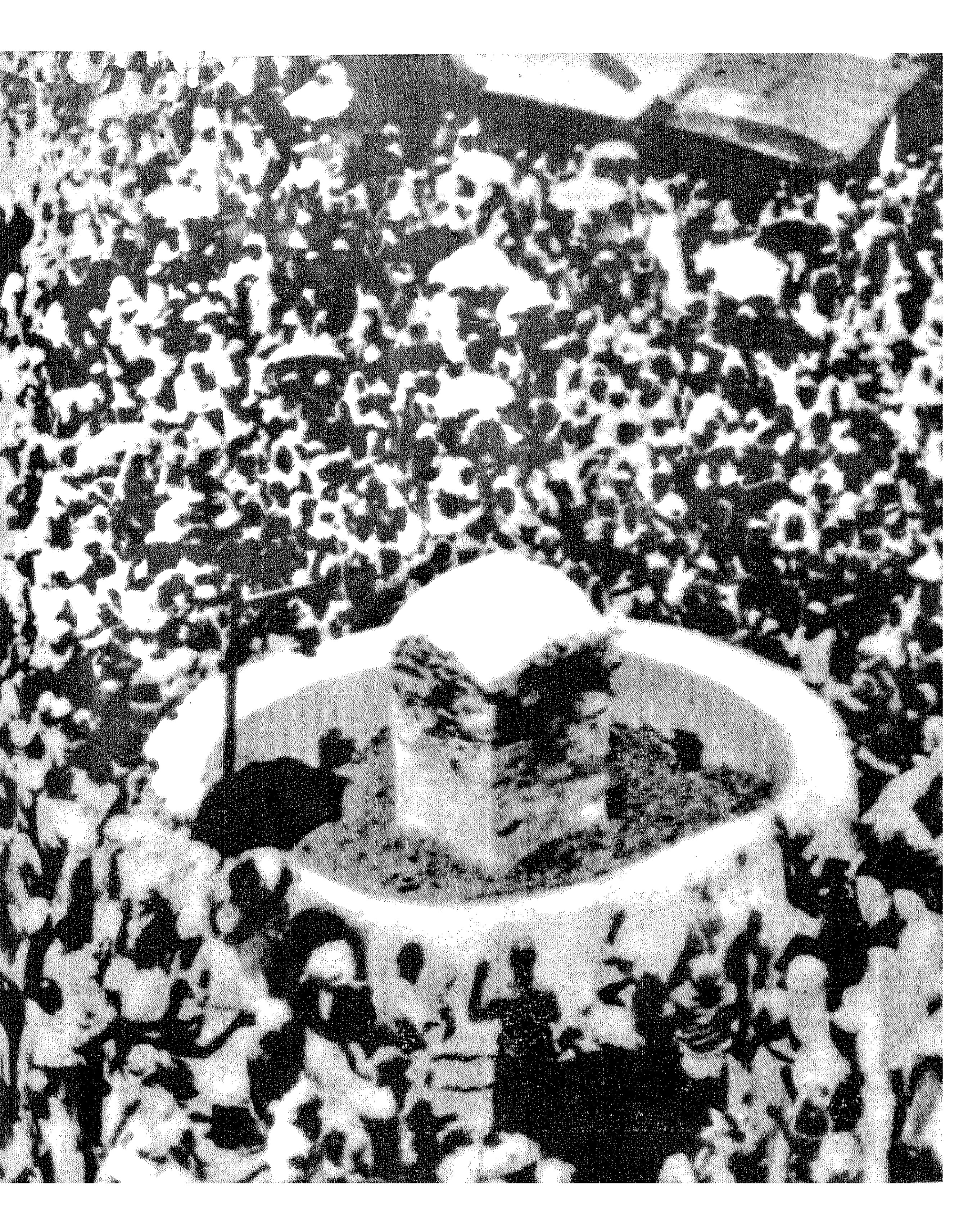
بحسب هذا التخطيط اتسعت مساحة

الحرمان .. المكى والمدنى



الرواق الجانبى للحرم النبوى كما جدد سنة ١٢٧٧ هجرية وقد بنى هذا الرواق فى نفس الوضع الذى قام فيه المسجد الاول للرسول صلى الله عليه وسلم ...

صورة بديعة من داخل الإضافة الجديدة التى قامت بها الحكومة السعودية للحرم النبوى الشريف فى المدينة .. يرى فيها جزء من الحرم النبوى قبل التجديد .. وهو من العصر العثمانى ، تتجلى فيه القبة الخضراء المشهورة التى تقوم فوق الروضة النبوية الشريفة ، ومئذنة المسجد الاولى المشهودة بشرائطها الحمراء ...



فى السعى بين الصفا والمروة يمر الحجاج بالجمرة الكبرى حيث يقذفون الحجارة على الشيطان ..
وهاهم الحجاج يقومون بهذا النسك من مناسك الحج ، ويكون رمى الحجارة بعد الافاضة من عرفات
فى الطريق الى منى ..

الحرم فأصبحت ٢٠٠ متر × ٢٠٠ متر أي ٤٠٫٠٠٠ متر مربع على وجه التقريب أى نحو عشرة افدنة .

حول هذه المساحة الواسعة اقيمت سقائف بالبناء فأزيلت الاعمدة الرخامية التى كانت قد وضعتها السيدة زبيدة، وأنشئت دعائم رخامية عددها ٨٩٢ دعامة وبين هذه الدعامات وضعوا اعمدة من الحجر الرملى لتحمل البوائك وسقف الرواق الذى يدور حول المساحة الكبيرة على صورة بوائك او عقود . وفوق سقفه الرواق رفعت القباب الصغيرة المعروفة التى تدور حول الحرم وفى وسط الكعبة والحجر ومقام ابراهيم . بلغ عدد هذه القباب ٥٠٠ قبة .

وقد زخرفت جدران الرواق بالنقوش العربية الجميلة ، وقام بذلك المصور التركى عبد الله لطفى .

وفى سنة ١٥٨٦/٩٩٤ بطنت جدران المسجد بالرخام الملون، وجددت قناديله ووضعت تحت القباب ثريات فى هيئة رءوس النخيل . ثم انشئت المآذن السامقة على اركان الاروقة المحيطة بالحرم . اكبرها مئذنة كبيرة مستديرة ذات ثلاث شرفات للأذان ، تحت هذه المئذنة الكبرى التى عرفت بمئذنة الخليفة انشأ السلطان سليمان مدرسة للفقه الحنفى هى السليمانية التى ظلت تقوم بعملها زمنا طويلا .

وفى سنة ١٦٢٩/١٠٣٩ جاء سيل عرم تصدعت له اركان الكعبة الشريفة ، فقرر العثمانيون بناءها، وتم ذلك على يد مهندسين من الاستانة والقاهرة ، فوضعت لها قاعدة رخامية عالية تحميها من الأمطار وهى الشاذروان . وفوق الشاذروان اقيم بناء الكعبة : غرفة واسعة مربعة الشكل ارتفاعها اطول من عرضها ، وداخلها اعمدة رخامية تحمل السقف ، ولهذا البناء باب يصعد الناس اليه بسلم ويدخلون من باب صغير عليه ستر لكى يروا الحجر الاسود .

وباب الكعبة من الخشب المغطى بصفائح الذهب والفضة وهو من صنع الاتراك ايام السلطان سليمان القانونى. وصنع للكعبة ميزاب جديد من الذهب المزخرف بالمينا الزرقاء .

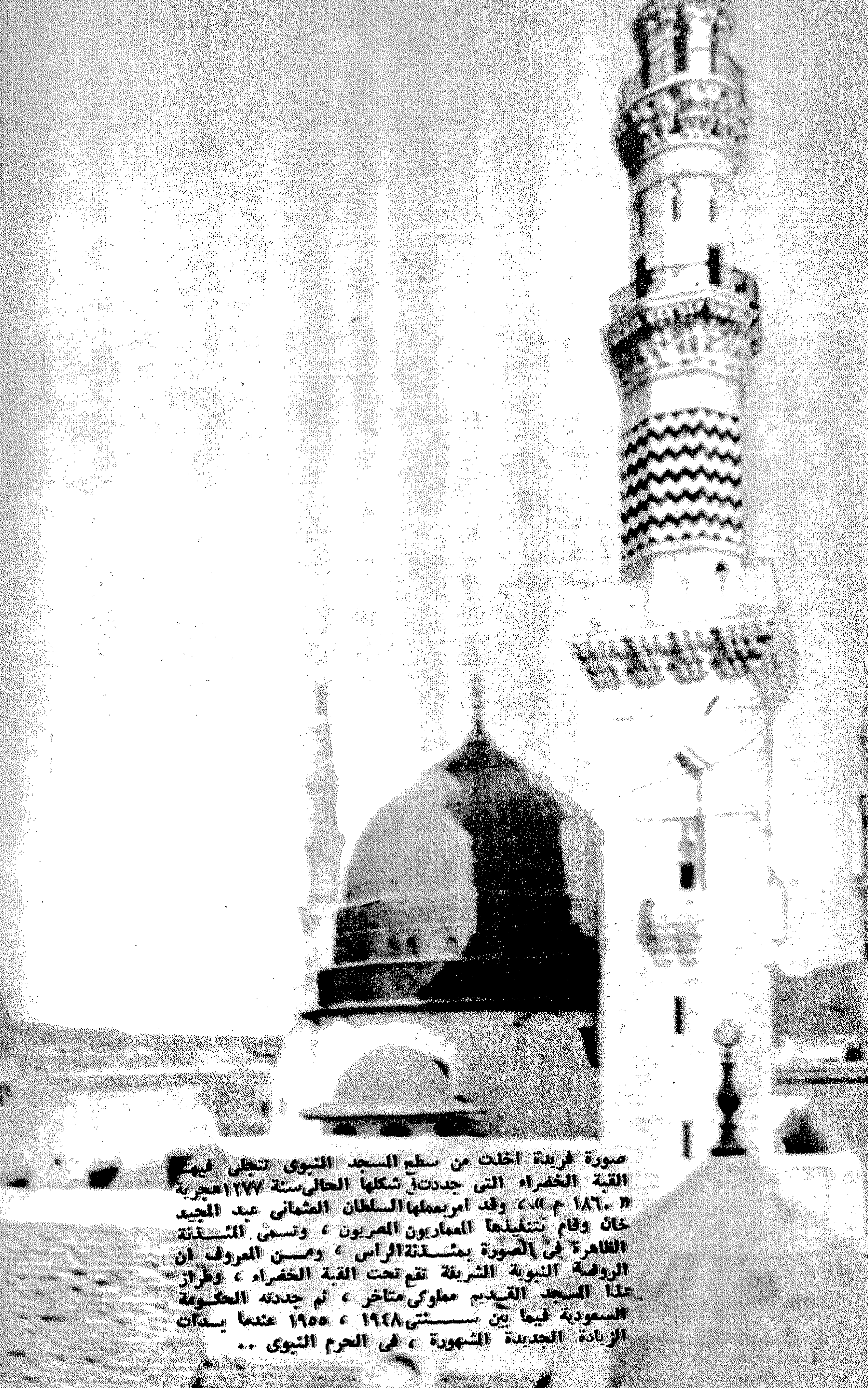
والاتراك هم الذين بطنوا داخل الكعبة بالحرير الاحمر ، وهم أول من استنوا صنع الكسوة من الحرير الاسود ونقشها بالذهب فى مصر فى دار الكسوة الباقية الى اليوم .

وفى سنة ١٨٣١ قام والى مصر محمد على بتجديد بناء منشآت الحرم المكى كله ، وجدد اعمدته ومآذنه ورخامه واصلحت مآذنه .

اما التجديدات الاخيرة الرائعة فقد بدأتها الحكومة السعودية سنة ١٩٥٨ ايام الملك عبد العزيز آل سعود ، واشرف على تنفيذها منذ البداية اخوه الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز جزاهما الله خير الجزاء ، وما زالت الاعمال جارية فى تجديد الحرمين المكى والمدنى الى يومنا هذا ، فأنشىء المسعى على أدوار تخفيفا عن الناس ، وأعيد تبليط المطاف وتجديد السقائف فأصبح للحرم المكى بهذه العمارة الجديدة صورة فريدة فى بابها فى العمارة العالمية جمالا ورواء .

وما زالت أعمال تجديد الحرم المدنى فى المدينة المنورة قائمة على قدم وساق، لأن اعداد الحجاج والمعتمرين تتزايد سنة بعد سنة ، وقد احسن المعماريون اذ احتفظوا بالمسجد النبوى الجميل الذى انشأه الاتراك العثمانيون ، وهو الذى فيه القبة الخضراء ومئذنة الرأس وجعلوا الزيادة الجديدة ذات البوائك الرخامية العالية استمرارا لصحن المسجد القديم ،وقد عرفوا كيف يلائموا بين الاجزاء القديمة والجديدة وربطوا بعضها ببعض ربطا بديعا .

واحتفظوا بالهيئة التقليدية للروضة النبوية الشريفة ، وهذه الهيئة ترجع الى ايام الاتراك العثمانيين .



صورة فريدة أخذت من سطح المسجد النبوى تتجلى فيها القبة الخضراء التى جددت في شكلها الحالي سنة ١٢٧٧ هجرية « ١٨٦٠ م » ، وقد أمر بعملها السلطان العثماني عبد المجيد خان وقام بتنفيذها المعماريون المصريون ، وتسمى المئذنة الظاهرة في الصورة بمئذنة الرأس ، ومن المعروف ان الروضة النبوية الشريفة تقع تحت القبة الخضراء ، وطراز هذا المسجد القديم مملوكى متأخر ، ثم جددته الحكومة السعودية فيما بين سنتي ١٩٤٨ ، ١٩٥٥ عندما بدأت الزيادة الجديدة المشهورة ، في الحرم النبوى ..

آية الهجرة

« وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل .. » .

« ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة »

أمين الخولي

تخيرت الامم من عيون أيامها ، وأعلام احداثها ، ما جعلته ميقاتا تؤرخ به ، فقالت لعام كنا من وفاة الاسكندر ، أو غلبة دقيانوس ، أوميلاد المسيح ، أوماهو من ذاك . فلما تاذن الله أن يتخذ الاسلام ميقاتا ، أبى له أن يكون مولد فلان ، أو مهلك فلان ، أو تملك مملك ، أومصرع متوج ، فكل أولئك خفيف عند الله في الميزان ، وكل أولئك قد يهون على الزمان .

يرحم الله ابن الخطاب ! لقد كره التاريخ بالوفاة ، نفر منه طبعه ، وعافته فيه قوة الحياة ، فتجلت بقلبه روح الاسلام مشرقة ، وسمت له المعية لبقة ، اذ آثر لذلك المبدأ يوم جلاد ، واختار له ذكرى جهاد ، يوم غالب فيه فرد جماعات ، وناضلت عزمة عزمات ، فبينا الباطل في قبائل يتنمر ، والموت على يد الاجلاد يرصد ويدبر ، تصدى لذلك كله « محمد » وحده يسخر ، « وجعلنا من بين أيديهم سدا ، ومن خلفهم سدا ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ما عز عليه أن يخلى الاهل والوطن ... ولا راعه أن يغترب لغير مستقر ، فغلب الحق وظفر ، وانتصر الايمان ازقهر ، في قلة وروعة وتجرد ... تلك آية الهجرة ، وذلك في اختيارها سر الفكرة ، ألقاه الى الدهر عمر ، وخلده حين حمله القمر ، فجعله في التاريخ تقديرا ، وبما بعثه لرسالة الاسلام تفسيرا ، يدور مع الايام ، ويتجدد لكل عام ... أفيتساءل المسلمون بعد أين الطريق وكيف النجاة ؟ تلك آية الهجرة أول الحياة في تاريخهم وأول تاريخهم في الحياة !

يا شرق ... ان لك عند القمر معنى تاريخيا ، وان لك فيه رمزا حيويا ، فان يبد في الغرب ناحلا نضو اسفار ، فهو الطلعة ، وذلك طريق الفخار ، وان يتالق في الشرق بدرا كاملا ، فهو تاج مجدك ، ومثال جدك .

الآن يزيح القمر سجف الغيب عن عام جديد ، فيطالع في الشرق وجوها ناضرة ، الى ربها ناظرة ، تحييها منه اشراقة عامرة ، وطلعة نيرة ، تجل فيهم ما فهموا من معانى المجد والنبل في آية الهجرة ، ووجوه ... لا جرى القلم بوصفها ، قد غلبت على أمرها ، ... لكنها لم تفقد رجاءها ، ولم تضعف املها ، فلن تضيع ما استمسكت بعروة الايمان « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ... أولئك لهم من القمر في اشفاقه الوديع نظرة راجية ، ولفتة حانية ، وايماءة نافذة ، تثير ذكريات حافزة ، وتلهمهم معانى المجد والنبل من آية الهجرة .



ضد الكذب والعجز والالم

خالد محمد خالد

● جاء للناس بشيرا ، ونذيرا ، يقول لهم : ((انما انا رحمة مهداة)) ، ولقد كان كذلك فعلا .. وحين نعيش معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى المرحلة التاريخية التى عاشها ، والتى بلغ رسالته خلالها ، نبصر فى غير عسر ، الأصار التى وضعها عن الضمير الانسانى . ومحمد رسول الله ، من افذاذ الخلق الذين حلقوا فى أعلى المستويات دون ان يفقدوا ثبات رشدهم .. وحين كانت راسه فى السماء ، ظلت قدماه على الارض .

وهكذا على الرغم مما رأى من آيات ربه الكبرى ، لا نجد له قط تلك الشطحات الوجدانية ، أو تلك الغيبوبة الروحية ، بل هناك دائما ، الحكمة الصادقة والتجربة الذكية اليقظى . والفطنة الرشيدة ، التى تعبر عن نفسها فى جوامع الكلم الطيب الواضح المبين .

وموقف التوجيه المحمدى ، ضد مافى الحياة من كذب ، وعجز وألم . هو الذى أصدر به هذه الصفحات . وانه لموقف باهر ، وجليل .

((ساله أصحابه يوما : يارسول الله . أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم . وعادوا يسالونه :ايكون بخيلا ؟قال: نعم .. وسالوه . للمرة الثالثة : ايكون كذابا ؟ قال : لا ..))

أى بصر ثاقب ، واية بصيرة عليا !؟

ان محمدا بهذه الكلمات يفضح الكذب ، ويكشف عنه كشىء دخيل على الطبيعة الانسانية ، متطفل عليها ، فالمؤمن ـ وهو عند الرسول النموذج المكتمل للانسان ـ قد تلم به فترات ضعف فيجبن،لأن الجبن مرتبط باحدى غرائز البشر العتيدة ، تلك هى غريزة الخوف ..

وقد تلم به فترات حرص فيبخل .. لأن البخل مرتبط باحدى غرائزنا الشداد أيضا ،وهى غريزة الاقتناء ..

لكن هذا المؤمن لا يكذب ، ولا ينبغى له ان يكذب .. لأن الطبيعة الانسانية، ليس فيها من القوى الحتمية ما يحمل على الكذب ، حتى غريزة الأنا نفسها والمحافظة على الذات . لأنه لا شىء يزكى ((الأنا)) ويحافظ على الذات مثل الثقة بها ، واحترامها .. ولا شىء بالتالى يمنحنا الثقة والاحترام مثل الصدق .. وذلك ان الصدق وهو يتضمن الشعور التام بالمسئولية . يوحى للاخرين بأن الصادق يحمل كل تبعاته تجاههم ، فيطمئنون اليه ، ويبحرون

بمخاوفهم وهمومهم الى مرافئه الدافئه الوديعة السعيدة .

والكذب مفسدة مطلقة لأنه سريع النمو ، سريع الانتشار وله ضراوة كضراوة الخمر أو أشد .

ويكشف الرسول عن هذا ، فيقول:

« لا يزال العبد يكذب ، ويتحرى الكذب فتنكت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه .. »

وسواد القلب هنا ، يعنى مسخ شخصية الكذاب .

ويعنى ايضا العقوبة الفادحة التي تحل بالكاذب ..وذلك ان القلب الأسود لا يعجز عن رؤية غيره وحسب ، بل وعن رؤية نفسه ايضا .. ومن ثم فالكذاب لا يبغض الآخرين وحدهم ، بل ويبغض نفسه قبلا . ولا يشك في الآخرين وحدهم ، بل يشك في نفسه معهم .. وهذا هو الجزاء العادل الذي يحصد الكاذب شوكه . فمحنته لاتقتصر على عدم تصديق الناس له ، بل انها لتتمثل قبل هذا في عجزه هو عن تصديق الناس ..

وهكذا ينقطع ما بينه وبينهم من أسباب ووشائج . ويصير قلبه الذي أحاله الكذب الى سواد فاحم .. يستحيل كالمرآة التي علاها الصدأ وفقدت كل صفاتها . فلم يعد ينعكس عليها شيء من مشاهد الحياة ..

وينفر التوجيه المحمدي من الكذب نفورا يستحيل معه أي تسامح تجاهه . فالمزحة العابرة اذا انطوت على شيء من الكذب تصير كذبا .

« يقول عبد الله بن عامر : دعتني أمي يوما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا . فقالت : « ها.. تعال ، أعطك » . فقال رسول الله لها : « ما أردت أن تعطيه .. ؟ » قالت « أردت ان أعطيه تمرا » ..فقال لها : « أما انك لو لم تعطه شيئا ، كتبت عليك كذبة ! . »

وللرسول حديث ، نستطيع أن نبصر فيه أذكى تصوير للاشاعة الكاذبة . فهو عليه الصلاة والسلام يقول :

« ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم ، فيحدثهم الكذب فيتفرقون . فيقول الرجل منهم سمعت رجلا أعرف وجهه . ولا أعرف اسمه يحدث كذا ، وكذا .. »

انظروا .. أعرف وجهه ، ولا أعرف اسمه ! ..

أليست هذه هي الاشاعة ؟!

نتناقلها جميعا ، دون أن نعرف مصدرها ، وحقيقتها .. وكل حجتنا معها هي « سمعت » !

وهنا يلامس الرسول صميم هذه الزاوية التائهة من زوايا الرذيلة الخطرة .. رذيلة الكذب - فينهى عن الثرثرة ، في كلمات مفكرة حكيمة - ويقول :

« كفى بالمرء كذبا ، أن يحدث بكل ما سمع .. » ويقول :

« احفظ عليك لسانك .. » ويقول :

« هل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ؟! »

واذا كان الكذب في صوره العادية الدنيا ، يحظى بكل هذه الكراهية . فكيف هو في صوره الأكثر خطرا ، كيف

هو ، حين يكون تزويرا لحقائق الحياة ، وتضليلا للوعي البشرى ؟ ‥ لنصغ الى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول :

«يكون في آخر امتى اناس دجالون كذابون ، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم ‥ »

ونظرات الرسول الى الاشياء ، والى الحقائق تمتاز بالحس الانساني العميق فهو يعلم أن حياتنا الانسانية المعقدة تحتم في بعض الاحيان الخروج عن القاعدة · ومن ثم لم ينس في حرارة ولائه للصدق أن يشير الى الحالات النادرة التي قد يضطر الانسان فيها الى أن يقول ما ليس صدقا ، ولكنه ايضا ، ليس كذبا ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

« ليس بالكذاب ، الذى يصلح بين اثنين فيقول خيرا · أو يمنى خيرا ··· ويسأله رجل قائلا : يا رسول الله : أكذب امرأتي · ؟فيجيبه الرسول قائلا: لا خير في الكذب ‥ يقول الرجل : انى أعدها ، وأقول لها ‥ فيجيبه عليه السلام : لا جناح عليك · »

على ان محمدا يبلغ بالصدق ارفع منازله حين كان يقول :

« انما أنا بشر »

يا لجلال هذا الانسان ‥

في الوقت الذى يقول فيه صادقا انه رسول من الله للناس ، يقول أيضا ‥ أنا بشر ‥

وفي الوقت الذى كان معه من الله وحى ... كان أيضا ، يبتدر اصحابه ليستشيرهم ·

انه هنا يحلق في أرفع منازل الصدق مع النفس ، والصدق مع النفس يعنى معرفتها جيدا ، ويعنى التفوق على خداعها ويعنى أخيرا احترام الحقيقة احتراما يجعل الاذعان لسلطانها عبادة وشعيرة · وعندئذ يبرأ الانسان من آفة الكبر التي تجعله يرى نفسه فوق الحق ، وفوق الصدق ‥ والتي يقول الرسول عن اصحابها :

« لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم · »

كذلكم يبرأ الرسول من آفة الجبن التي تجعل صاحبها يهرب من الحق ، ويتجنب تبعات الصدق ‥ تلك الآفة التي يدعو الرسول الى مقاومتها فيقول:

« ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه ··· »

وتنفذ بصيرته الثاقبة الى أعماق فضيلة الصدق ، فيكشفها مرتبطة بأقصى حاجاتنا الانسانية ‥ أجل مرتبطة بسكينة النفس التي نسعى جميعا نحوها ، ونعمل دائبين لادراكها يقول :

« دع ما يريبك الى ما لا يريبك ،فان الصدق طمانينة ، والكذب ريبة » ·

وضد العجز ، يقف « محمد » وقفة ذكية بليغة

« استعن بالله ، ولا تعجز »

ومن العجز ـ أيضا ـ الهروب من تبعات التقدم ، والزحف الى الوراء ، تخليا عن واجبات الغد ‥

وهنا يجلجل الرسول عليه الصلاة والسلام قائلا :

« يذاد اناس من أمتى يوم القيامة عن الحوض ، فانهض لأشفع لهم ··· فيقول الله لى : لا تفعل ، انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ! ‥ انهم كانوا يمشون القهقرى على اعقابهم ! »

ومن دواعي العجز الندم والتشاؤم · فماذا يقول الرسول فيها « لا تقل : لو ··· فان لو تفتح عمل الشيطان ·»

وفى التشاؤم يقول :

« الطيرة شرك ‥ الطيرة شرك ‥ الطيرة شرك ‥ »

والطيرة هي التشاؤم

وأيضا يقول عليه الصلاة والسلام :

« لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل ‥ سأله أصحابه : وما الفأل · ؟ فاجابهم : كلمة طيبة ‥ »

من أحاديث الرسول

* كفى بك إثما أن تحدث أخاك حديثا ، هو لك به مصدق ... وأنت له به كاذب

* آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب .. وإذا وعد أخلف .. وإذا اؤتمن خان ..

* إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ، أحسنكم أخلاقا ... وإن أبغضكم إلى ، وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ،والمتفيهقون

* مامن شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذىء .

* لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر .

* لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وحتى يعلم أن ماأصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

* المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير .. احرص على ما ينفعك ... واستعن بالله ولا تعجز ... وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وماشاء فعل .

* خذ من شبابك لهرمك .. ومن غناك لفقرك .. ومن صحتك لسقمك ..

* لا تظهر الشماتة بأخيك،فيرحمه الله ويبتليك .

* إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

* البر ما اطمأنت إليه النفس . والاثم ماحاك فى صدرك وخشيت أن يطلع عليه الناس .

* اتق الله حيثما كنت ... وأتبع السيئة الحسنة تمحها .. وخالق الناس بخلق حسن ..

* إياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث .. ولا تحسسوا .. ولا تجسسوا .. ولا تنافسوا .. ولا تحاسدوا . ولا تباغضوا ... ولا تدابروا .. وكونوا عباد الله إخوانا .

* خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه .. وخير الجار عند الله خيرهم لجاره .

* ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا .

محمد إنسانا

د. عائشة عبد الرحمن

ما احسبني في حاجة الى بيان الحقوق الإنسانية والشرعية والمدنية التى كفلها الاسلام للمراة وصانها بسياج من حدود الله ، او بيان المنزلة الكريمة التى وضعها فيها .. فقد كثر القول في هذا منذ ظهرت الدعوة الى تحرير المرأة وكانت الشريعة الاسلامية الغراء هي النبع الاول الذى استمد منه المسلمون من دعاة التحرير ادلتهم واسانيدهم لدفع ما حاق بالمرأة الشرقية في العصور المتأخرة من ظلم، وتحطيم الاغلال التى كبلتها باسم الدين ، والدين منها براء ..

لكن يطيب لى مع ما أعرف ويعرف القراء من هذا كله ، ان اروى بعض ما قرات من وصايا الرسول الكريم بالاناث ، واعرض هنا من مواقفه معهن ما أراه تمهيدا طبيعيا للحديث عن ابوته لبنات اربع .

نقل البخارى في صحيحه ، ان السيدة عائشة قالت :

« جاءتني امراة معها ابنتان تسالنى فلم تجد عندى غير تمرة واحدة ، اخذتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته بامرها فقال : من بلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن ، كن له سترا من النار » .

وفي صحيح « مسلم » عن انس بن مالك انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من عال جاريتين حتي تبلغا ،جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين» وضم اصابعه

وفي سنن « ابي داود » عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت له انثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ، أدخله الله الجنة .. وروى « البخارى » كذلك حديث الصحابى الذى جاء يستأذن الرسول في أن يوصى بماله للمسلمين اذ كان لم يرزق بولد ذكر ، ولم تكن احكام المواريث قد نزل بها القرآن بعد ، فسأله الرسول : هل لك بنات ؟ ... فلما اجاب بنعم ، أبى عليه الرسول ان يوصي بماله وله بنات ..

كذلك فعل الرسول مع امراة من الانصار جاءته بابنتين لها فقالت :

« يا رسول الله هاتان ابنتا ثابت بن قيس ، قتل معك يوم احد ، وقد استفاد عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالا الا اخذه ، فما ترى يارسول الله ، فوالله لا تنكحان أبدا الا ولهما مال .. فقال الرسول متاثرا : « يقضى الله في امرك » ـ وأمهلها الي الغداة ، فنزلت آية المواريث ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا لي المراة وصاحبها . فلما جاءا قال لعم البنتين: « اعطهما الثلثين وأعط امهما الثمن ، وما بقي فهو لك » .

وما رؤى اكرم منه قط في معاملة الاناث والترفق بهن والانتصاف لهن ، ولقد يكفيني هنا ان اشير الي موقف شاهد علي مدي ما كانت الانثى تطمع

اليـــه من عـــزة وكرامة فى كنف الرسول ...

عن عائشة رضى الله عنها ان فتـــاة دخلت عليها فقالت وهى بادية الغضب: « ان ابى زوجنى من ابن اخيه ليرفع له خسيسته وانا كارهة » — فطيبت ام المؤمنين خاطرها واستبقتها حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم وسمع شكوى الفتاة فارسل الى ابيها حتى اذا حضر جعل أمر الفتاة اليها . فقالت وقد زال عنها ما كانت تشعر به من غضاضة :

قد اجزت ما صنع أبى ، ولكن اردت ان اعلم : هل للنساء من الأمر شيء » .

ولقد اجارت زينب بنت الرســـول أبا العاص بن الربيع عندما أسر بالمدينة قبل ان يسلم ، واستأمنت ام حـــكم بنت الحارث بن هشام — عـــام الفتح لعكرمة بن ابى جهل — فامنه الرســـول مع أنه كان قد ذكر اسمه بين الذين امر بقتلهم ، ولو وجدوا تحت اســـــتار الكعبة .

وفى يوم الفتح ، لاذ رجلان من بنى مخزوم ببيت أم هانىء بنت أبى طالب ، فدخل أخـــوها « على » فى اثرهما فقال : والله لأقتلنهما . فاخبرت النبى خبر الرجلين من بنى مخزوم واصرار أخيهـــا « على » على قتلهما ، فقال صلى الله عليه وســـلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء ، وأمنا مـــن أمنت فـــلا يقتلهما » .

***

لقد كانت معاملة النبى للاناث ، على قرب العهد بالجاهلية فوق الذى طمعـن فيه أو طمحن اليه من عزة وكرامة .

وما من ريب فى ان البيئـــة كانت محتاجة الى هذا المثل الصالح والقدوة الطيبة فى شخص الرسول الكريم لتقاوم ما ألفته فى معاملة الاناث ، ويكفى لنقدر تلك الحاجة ان نسترجع هنا حديث عمر « والله ان كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى انزل الله تعالى فيهن ما انزل ، وقسم لهن ماقسم . فبينا أنا فى امر أتشمره اذ قالت لى امراتى لو صنعت كذا وكذا ؟ فقلت لها : ومالك انت ولما هاهنا ؟ .. وما تكلفك فى فى أمر أريده ؟ فقـــــالت لى : عجبا يا ابن الخطاب ، ماتريد ان تراجع انت ، وان ابنتك لتراجع رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ؟ ..

فاخـــذت ردائى ثم انطلقت حتى دخلت على « حفصة » فقلت لها :

— يا بنية ، انك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يـــومه غضبان ؟

فاجابت : انا والله لنراجعه .

« ثم خرجت حتى دخلت على « ام سلمة » لقرابتى منها ، فكلمتها ، فقالت لى : عجبا لك يا ابن الخطاب .. قد دخلت فى كل شيء حتى تبتغى ان تدخل بيت رسول الله صلى الله عليه وســـلم وأزواجه ؟؟ فاخذتنى اخذا كسرتنى به عن بعض ماكنت اجد » .

وهذا الخبر وحـــده يغنينى عن مزيد بيان لمدى الحاجة القصوى فى بيئـــة الرسول الى مثـــل اعلى يروضـــها على تغيير موقفها من الاناث ، فهذا « عمر » صهر النبى وصاحبه الذى اعز الله به الاسلام ، قد وعى ما نزل من آيات الله فى النساء ، وكان من افقه المسلمين بالدين القيم ، ومع ذلك كره ان تشترك معه زوجته فى أمر له ، وانكر منها ان تشير عليه برأى فلما تمثلت بابنتـــه حفصة استفظع واستنكر وانطلق اليهـــا مغضبا يسالها فيما سمع ، وآله ليطمع فى ان تجيب بالنفى ، لكنها اكدت له انها ونساء النبى ، يراجعنه صلى الله عليه وسلم فانصرف عمر عنها مغضبا لايكاد يصدق اذنيه ، الى ان ردته « ام سلمة » بكلمتها الصادعة « عجبـــا لك يا ابن الخطاب ، قد دخلت فى كل شيء حتى تبتغى ان تدخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه » .

وتلقى عمر الدرس البليـــغ من بيت الرسول ، وكذلك تلقاه الصـــحابة والمسلمون .

هذا هو « محمد بن عبد الله » فى انسانيته الرفيعـــة وبشريته المثالية وابوته الرحيمـــة التى تفيض بأرق العواطف وانبلها .

باب الرسول

د. مختار الوكيل

يأيها المُضنى المُعنَّى العليـــل ... قد دان مارُمت ونلت القبُــول
مُذ حمت بالشّـعر على بابه ... والشعرُ مطواع لقلبى ذَلُولْ
ومُذْ قَبَسْتُ النور من وحْيه ... نَوَّر قلبى ، واستبان السبيلْ

***

أنتَ هنا يا سَيدى ماثِل ... والنّاسُ جاءوا كالخضمّ المهُول
يا حَيرتى فى موقف مذهل ... الدمعُ منه فى المآقى يَسيلْ
الذنب كفَّارته أدمعى ... ماذا يقول الشّعرُ ؟ ماذا أقول ؟
وأنتَ من جاء لنا رحمة ... فاشفع حبيبَ الله واشف الغليلْ

***

أنتَ هنا ياسيدى ماثل ... وحائطُ الوحى هنا ، والصليلْ
جبريل غاد رائحٌ مُسْعِدٌ ... بالذّكر والآياتُ كالسلسبيل

***

أنت هنا يا سيّدىَ ماثل ... وهأنا المذنب جَم الذهول
عُريانُ من كلّ غرور ، بَدت ... سوءات نفسى من جَلال المثول
حلفت (بالنجم (١)) وأسرارها ... كُنْ لى شَفيعا عند ربّى الجليلْ
يس ، طه ، سيّدى ، نَظرة ... تحيا بها النفس ، ويمْحَى الذبول
قد طالَ شَوقى للّقاء الّذى ... أحظى به ، ياليتَه لا يَزولْ
فى البُعد أشتاقُ إلى وقفتى ... هذى ، وأهفو للقاءِ الجليل
وأبعثُ النّجوى الى المصطفى ... فى هَدْأة الفجر ، وعند الأصيلْ
حبُك فى قلبى له نَشوة ... تُسكِر روحى فى المساء الطويل !

***

نصبتُ فى جوف الفَلا خيْمتى ... وقمْت فيها ذاكرا لا أميلْ
الله ربّى جلّ من مُنعِم ... فأنتَ ظلٌّ فى الفيافى ظليل
(حديثك) العذب غزا مُهْجتى ... بوابل عَذْب فرات هطول

(١) سورة « النجم » العظيمة من القرآن الكريم



وفى صميم الليـــل ، أصغى إلى (قرآن) ربِّى عبر هدى السهول
فتَنتَشى الروح ، وتسمو هدًى وتمتطى الأجـــواء عشــقا تجول

***

صلى عليك الله يا سَــــيِّدى صلَّى على طه الجميـل النَّبيـل
وكل من فى الكون صَلى رضا فأنتَ شمس مالهـــا من أفـول
إنِّى أصلِّى فى صَـــميم الدجى على الذى فيـه تهيـم العقول
المصطفَى المختــار من هاشِمٍ خير البرايا مَن أضـاء السبيل
حبيبِ رب العرش ، وافَــرحتى عند مثولى ، ومُنَــاى الوصول
لَكنَّما الحـــيرةُ تنتـابنى فألثم الاعتَـاب عندَ المثـول !

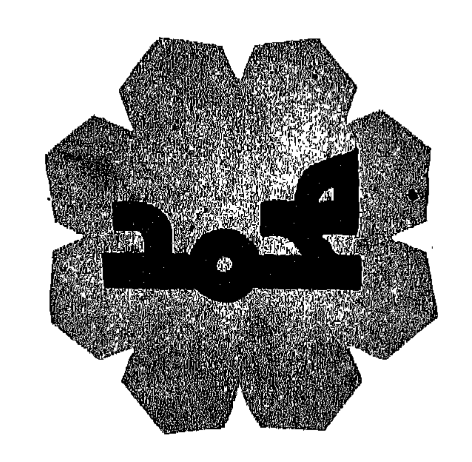
***

يأيها المُخْتَـــار من هاشِـــم خيرَ البرايا ، من أضاء الســبيل
يأيها المُخْتَـار يا نعمـــةً أحيا بها المولى مَواتَ العقــول
جئتَ وعهـدُ الشرك فى عنفِـه والظلم يطغى بين شَـعب جهولْ
فى البيت أصْنَـام أطافوا بهـا يَرجُون جَـدواها بطَرف كَليل
وفى فَيافى البيـد ، فى مَهْمَـه قَفر ، عواء الريح جِن تصـول
سُود وحُمر فى الدياجى بَـدتْ تلك الغَـرابيب الغَوالى تَهـُول
فى المَهمه القَفـــر الذى تَنثَنى أسْد الشرى عنه بقَلْب ذليـــل
الباسطُ الفتاح ، فى لُطْفـــه ألقى به النورَ فغنَّى الهـــديل
نور سراج الله يا سَـــــيدى أنتَ فأنعِم بالحبيب الدليـــل
... نورُكَ (والقرآن) فى أمـة أعزَّها الرحمن بعـــد الخمو

***

يا رحمه الرحمن ، يا دعـــوة روحية ، مقبـــولة للخليـــل
إلى هنا أنشـــد شعْرى ومـا أنشـد إلا نفحـــة فى المثـــول
فاقبله ، انى ههنــــا واقـــف بالباب ، كى أمدح طه الرســول

محمد رسول الحب والرحمة



يوسف السباعي

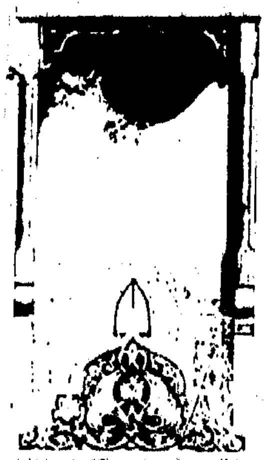
● كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الرحمة، ويحث أصحابه عليها وكان فى تصرفه ومعاملته للناس ، قدوة صالحة للرحمة . يرحم الصغير والكبير، ويرحم الصديق والعدو ، ويبدا الناس بالرحمة ، وكان قلبه الكريم يذوب اشفاقا للمساكين الذين يستحقون الرحمة .

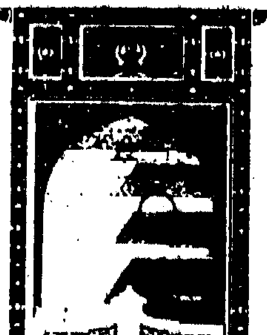
قال صلى الله عليه وسلم ((اللهم احينى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين)) .

وسأله بعض أصحابه « يا رسول الله أنا لنرحم أزواجنا وأهلينا » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعجبه قول صاحبه ، ما معناه : ما أقل فهمك للرحمة ، ما هذا أريد ، إنما أريد الرحمة التى تعم الجميع ، لا الرحمة التى تخص بها أهلك وأولادك ...

ولقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله الاكرم فى القرآن الكريم بقوله : ((وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)).

وقال عز من قائل : ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم)) ...





وفي آية كريمة اخرى : « محمد رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وقد بلغ رسول الله في رحمته حدا جعله مثلا اعلى في رحمة الانسان بالانسان . فكان يوصي بالرحمة بالاعداء، فمن وصاياه صلى الله عليه وسلم لأحد أمراء جيوشه : « اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا بأحد ، لان الله سبحانه وتعالى يكره المثلة ، ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيتم عدوكم من المشركين، فادعوهم الى الاسلام ، فان أجابوكم فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم » .

وفي وصية اخرى لبلال عندما اقبل وفد الى المدينة ، وكانوا من اعداء الاسلام : ادعهم الى التحول الى دار المهاجرين، وابلغهم انه من فعل ذلك فله ما للمهاجرين ، وعليه ما عليهم .

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم انه ما سأله أحد قط الا اعطاه مافي يده ، ولا سمع عن جائع الا بعث اليه بخير ما لديه من الطعام ، وما راى طفلا يبكى الا رق له ، وواساه واعطاه ماسره .

ومن اقواله في الرحمة والعفو :

* الراحمون يرحمهم الرحمن .

* ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء .

* من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له .

* اني لم أبعث لعانا ، وانما بعثت رحمة للعاملين .

* من عفا عند المقدرة ، عفا الله عنه يوم القيامة .

* **ان الله عفو يحب العفو .**

* **ما عفا الرجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله عز وجل ، الا زاده بها عزا يوم القيامة .**

* **الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة : تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .**

* **خاب عبد وخسر لم يجعل الله في قلبه رحمة البشر .**

* **من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيرا او ليصمت .**

* مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ومن أفعاله في الرحمة :

* سأل أهل مكة بعد ان فتحها الله عليه ونصره على المشركين : ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، اخ كريم وابن أخ كريم .

قال : فاذهبوا فانتم الطلقاء .

* قال انس بن مالك : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء لم اصنعه لم لم تصنعه .

* قيل له وهو يقاتل أعداءه : لو لعنتهم يا رسول الله ؟ فقال: انما بعثت رحمة ، ولم أبعث لعانا .

* شكا اليه رجل انه يتاخر عن صلاة الصبح مع الجماعة لان الامام يطيل في الصلاة ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : ايكم يصلي بالناس فليتجوز « فليخفف » فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة .

ومما جاء في القرآن الكريم :

* **« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الامر »**

وهكذا نرى كيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل العفو جزءا من الرحمة ، وكان هو نفسه آية من آيات الرحمة والعفو عن المسيء ، فلم يؤثر عنه انه غضب على أحد الا للدين ، ومعاملته للمنافقين وكبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول تدل على سعة قلبه ، وعظمة رحمته . فلقد كان ذلك الرجل لا يألو جهدا في أذى الرسول بعمله ولسانه ، فلما حضرته الوفاة عاده الرسول وجلس الى جواره وسأله ان



يطلب ما يريد . فسأل الرسول أن يعطيه بردته ، فخلعها ووضعها عليه. وعندما مات صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك نزلت الآية : ((ولا تصل على احد منهم مات ابدا)).

**** الحب :**

ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم فى مجتمع وعالم قاس لا يعرف الحب ولا المغفرة ، فقد كان الجاهليون يعتقدون أن الانتقام من مكارم الاخلاق ، وان المغفرة ضعف ، بل ان لفظ المغفرة لم يرد فى استعمالهم الا فى بعض ما قال زهير بن أبى سلمى .. ولم يكن العفو قط من شيم الجاهليين ، بل كان الانتقام قاعدة من قواعدهم الاخلاقية .

فلما جاء الاسلام وبشر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعا الى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وخاطب الجاهلين ، والمعتدين ، والضالين برفق ، وصبر على اذاهم ، ودعا الى الحب بين الناس، عجبوا من الأمر وظنوا ان الرسول يدعوهم الى التخلى عن موضع من مواضع فخارهم وأنكروا ذلك انكارا بالغا. وعندما رأوه يجالس المستضعفين ، ويعامل بلالا الحبشى ، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت معاملة الصديق، كرهوا ذلك ، ووجدوا فيه مساسا بكرامتهم ، وكان ذلك من أسباب احجامهم عن دخول الاسلام . وكان أبو جهل يطعم الناس ، ويجلس لهم على منصة عالية ، وتوضع القصاع عند قدميه ، ويطرب اذ يرى الناس يأكلون تحت خفه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاكل بلالا ، ويقاسمه كسرة خبز ظن أن الدنيا قد انقلبت : وأمر بطرد المستضعفين من حرم الكعبة ، فأخذ الرسول أصحابه الذين كان يحبهم ودخلوا دار الارقم ليعيشوا معا حياة المحبة والاخوة والمساواة ...

وليس ادل على عمق شعور المحبة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله فى ذلك المعنى واليك بعضها :

*** أحب الاعمال الى الله الحب فى الله .**

*** لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه .**

*** لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا .. الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ .. افشوا السلام بينكم .**

*** احسن الى جارك تكن مؤمنا .. واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما .**

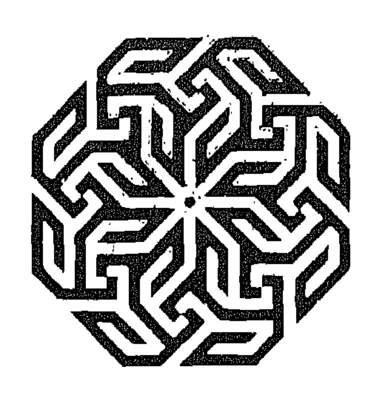
*** انكم لن تسعوا الناس باموالكم ، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق.**

*** كل معروف صدقة ، ومن المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق ، وان تفرغ من دلوك فى انائه .**

*** لا يحل لمؤمن أن يشير الى اخيه بنظرة مؤذية .**

*** عن أبي ذر قال : ساببت رجلا فعيرته بامه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم ((يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية .. اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل ويلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فاعينوهم .**

*** دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتملكه الخوف والرهبة من هيبته ، فاذا الرسول يربت على كتفه فى حب ويقول له : ((هون عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تاكل القديد بمكة)) .**



من حديث محمد

* إنَّ من أعظم الأمانةِ عند الله يومَ القيامَة ـ الرجُل يفضى إلى امرأتِه ، والمرأة تفْضِى إلى زوجها، لم ينشر أحَدهما سِرَّ صاحبه ...

* المــرء على دين خليله ... فلينظر أحدكم من يُخالِل ...

* ليس مِنّا من لم يَرْحم صغيرنا ويوقر كبيرنا .

* من أسدى إليــكم معــروفا فكافِئوه ، فان لم تجدوا ماتكافئوا به فادْعوا الله لَه .

* من أحَبَّ أن يُبْسط له فى رزْقه ويُنسأ له فى عمره فليصِــلْ رحَمِه .

* أعطِ الأجير حَقَّهُ ، قبل أن يجِفَّ عرقُه .

* اتّقِ الله حيثما كُنْت ...وأتبع السَّيِّئة الحسنة تمحُها .. وخــالقِ الناسَ بخلق حَسَن ..

* ثلاث مُهلكات : **شُح مُطاع** .. وهَوى متّبع .. وإعجاب المرءِ بنفسِه .

* من أشارَ على أخيه بأمريَعلمُ أن الرشْد فى غيره ، فقد خَانَه .

* إن أخْوفَ ما أخَافُ عليكم ، الشِّرك الأصغر ، قالوا وما الشِّرك الأصغَر يارسول الله ؟

قال : الرِّياء ...

* طوبى للمخلصين ، أولئــك مصابيح الهُدى ، تنجلى عنهم كُل فِتنَة ظَلْماء .

* إنَّ من حُسْن إسلامِ المرءِ تركُه مالا يعنيه .

سيرة محمد

فى الأدب الحديث

محمد عبد الغنى حسن

لابد للتاريخ لسيرة النبى عليه الصلاة والسلام فى العصر الحديث أن نلقى نظرة سريعة على ما الفت السيرة النبوية من قديم لنصل مابين الحاضر والماضى وصلا لا محيد عنه ، وان كانت سيرة النبى فى القديم تقتضى موضوعا قائما بذاته حتى يكون تعادل بين الكفتين فى القديم والحديث

ولاشك ان ((سيرة ابن هشام)) التى اخذها عن ابن اسحاق هى المنبع الثر لسيرة النبى العطرة ، وستظل على مدى العصور المورد الذى لا ينضب معينه لكل من يريد ان يؤرخ لحياة الرسول .

وقد توالت بعد سيرة ابن هشام كتب فى تاريخ النبى وصفاته وغزواته وشمائله ليس هذا موضع ذكرها ، وان كنا لانجد بدا من الاشارة الى اشهرها من امثال ماكتبه ابن فارس اللغوى ، وابن حزم الاندلسى ، والقاضى عياض فى شفائه ، وشرف الدين الدمياطى المصرى ، وابن سيد الناس اليعمرى ، والمؤرخ مغلطاى ، والمقريزى فى ((امتاع الاسماع)) ، والقسطلانى فى مواهبه اللدنية ، ونور الدين الحلبى فى كتابه ((انسان العيون فى سيرة الامين المامون)) وهو مشهور .

وتلك سير قائمة بذاتها فى كتب مستقلة . وتقابلها سيرة للنبى وردت فى كتب التاريخ العام وموسوعاته على هيئة باب واسع من أبوابها ، من امثال ماجاء فى كتاب الطبرى ، و ((الكامل)) لابن الاثير ، و ((البداية والنهاية)) لابن كثير ، و ((تهذيب الاسماء واللغات)) للنووى ، و ((الخميس فى احوال انفس نفيس)) للديابكرى .

ولم يقصر العصر الحديث عن الوفاء

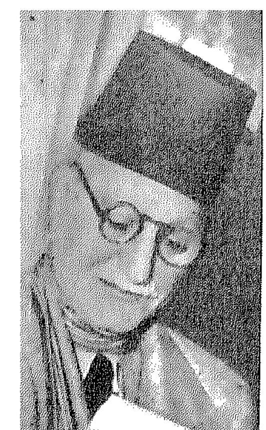
بسيرة الرسول على مذاهب مختلفة فى الترجمة والسيرة ، التى ستظل على مدار المستقبل من الزمان مددا لسيل لاينقطع من الكتب التى ستؤلف وفقا لما يستحدث من مذاهب فى تراجم الرجال .

ونلاحظ ان بداية التاليف فى سيرة الرسول فى عصرنا الحديث كان ماصنعه المرحوم الشيخ محمد الخضرى فى كتابه « نور اليقين » فى سيرة سيد المرسلين » الذى ظهرت أولى طبعاته سنة ١٣١٣ هـ - سنة ١٨٩٥ م ، وتوالت بعدها طبعات كثيرة تدل على كثرة الطلب له .

ولعل بواعث التاليف فى سيرة الرسول عند مؤرخنا الخضرى تدلنا على اتجاهه فى تصنيفه ، فقد كان ذلك استجابة لدعوة كريمة من قاض مسلم بمحكمة المنصورة المختلطة اسمه «محمود سالم » ، فقد تمنى على الشيخ الخضرى أن يصنع فى سيرة النبى كتابا « وكنت كثيرا ما اسمعه يتشوق لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين .. »

وقد تكون الظروف التى أملت على المؤرخ محمد الخضرى - فى أواخر القرن التاسع عشر - بواعث سيرته ، غير الظروف التى حدت بعباس محمود العقاد سنة ١٩٤٢ الى تاليف « عبقرية محمد » . فقد سأله واحد من تلاميذه ومريديه عن التحول الذى حدث فى شخصيته عندما توخى كتابة السير الاسلامية بدءا بسيرة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهل كانت كتابة سيرة محمد لاحساس بضرورة الكتابة فيما يشغله الجمهور العربى القارىء ، أو أن ذلك قد نجم عن استجابة لدوافع نفسية وروحية فى قلبه ؟

وكان جواب العقاد السريع عن هذا السؤال المحرج انه لايهتم مطلقا بما يسموله الجمهور ، وانما يهتم أولا بأن يكتشف حركة الفكر فى ذاته وفى



عباس العقاد   د . حسين هيكل

حقيقته ، وقد يتعلم الجمهور شيئا من ذلك أو لايتعلم ..

الا أن جواب العقاد لايزال غير شاف للنفس . والا فما بال السنوات منذ العقد الثالث من القرن العشرين الى آخر العقد الرابع منه قد حملت فيضا من كتب السيرة النبوية ، كالذى نجده فى كتاب « محمد المثل الكامل » لمحمد أحمد جاد المولى سنة ١٩٣١ ، و «على هامش السيرة » لطه حسين سنة ١٩٣٣ و « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل سنة ١٩٣٥ ، و«محمد » لمحمد رضا سنة ١٩٣٥ ، و « عبقرية محمد » للعقاد سنة ١٩٤٢ وغيرها مما يضيق المقام عن ذكره وحصره ؟

فالذى يبدو ان تاليف هذه الكتب المحمدية لم يكن مصادفة ، على الرغم مما يبديه الدكتور هيكل من أسباب لتاليف كتابه عن محمد حيث يقول فى تقديمه للطبعة الثانية « .. من اجل ذلك كان خليقا بكل من يتصدى للبحث فى مثل هذا الموضوع ان يتوجه به الى الانسانية كلها ، لا الى المسلمين وحدهم» فانه فى موطن آخر من كتاب اخر له هو « مذكرات فى السياسة المصرية» يصرح بان نشاط المبشرين بالمسيحية قد ظهر فجاة فى مصر فى اوائل العقد الثالث .. « وكان من اثر هذه الحركة التبشيرية وموقفى منها ان دفعنى التفكير فى مقاومتها بالطريقة المثلى التى يجب ان تقاوم بها ، ورأيت ان هذه

الطريقة المثلى توجب على أن أبحث حياة صاحب الرسالة الاسلامية ومبادئه بحثا علميا ، وأن أعرضه على الناس عرضا يشترك فى تقديره المسلم وغير المسلم »

***

واذا كنا قد التقينا قبلا مع العقاد و د .هيكل فى بواعث كتابتهما للسيرة النبوية ، كما التقينا قبلهما مع المؤرخ محمد الخضرى ، فان طه حسين فى كتابه « على هامش السيرة » يصرح بأنه لم يكتب فصوله للعلماء والمؤرخين ولم يرد العلم والتاريخ .. وانما هى فصول رأى الخير فى نشرها « فهى ترد على الناس أطرافا من الادب القديم قد أفلتت منهم ، وامتنعت عليهم .. وانك لتلتمس الذين يقرءون ما كتب القدماء فى السيرة وحديث العرب قبل الاسلام فلا تكاد تظفر بهم .. » وهذا تصريح غريب ! فقد كان يغنى طه حسين عن ذلك أن يتناول موضوعات أخرى غير السيرة النبوية ليرد بها على الناس أطرافا من الادب القديم ، كما فعل فى كتب اخرى . ولكنه — ولله الحمد — قد أصاب هدفا اخر وراء احياء الادب القديم ، وهو التأريخ لسيرة الرسول ، ولو لم يكن هذا الاخير هو الهدف الرئيسى عنده ، ولعل هذا كرامة لمحمد بن عبد الله فى الحديث تضاف الى ماخصه الله به من كرامات ومعجزات فى القديم ...

وواضح أن كتاب « نور اليقين » للخضرى ، على ايجازه ، هو اثر من آثار القدماء فى طرائق التأليف فى السيرة النبوية . ولعل صدوره فى أواخر القرن الماضى — قبل ظهور المذاهب الحديثة فى كتابة التراجم والسير — هو السبب فى التزامه طرائق القدامى من المؤرخين العرب والمسلمين فلم يكن فن السيرة والترجمة للأشخاص قد ظهر بعد أو استقام له كيان ، ولم يكن كتاب السير والتراجم من الغربيين من أمثال أندريه موروا ، وزفايج ، واميل لدفيج ، وجودالا ، وستريتشى قد مارسوا بعد نشاطهم .

والواقع أن الخضرى متأثر بالقدماء الى حد بعيد ، على الرغم مما نقى به السيرة من حشو وتعقيد ، فهو متأثر فى سنوات مابعد الهجرة بذكر وفيات كل سنة كما كان يفعل القدماء حتى فى كتب التاريخ العام ، وهو لا يتوقف عن ذكر حوادث قد تتصل بالسيرة اتصالا قريبا او غير قريب . كذكره تزويج النبى عليه الصلاة والسلام بنته ام كلثوم لعثمان بن عفان بعد غزوة أحد، وكذكره لزواج على بفاطمة عليهما السلام فى السنة الثانية من الهجرة . وعلى الرغم من وجازة السيرة عند المؤرخ الخضرى نراه يملؤها بمسائل من الدين والفقه والتشريع حيثما وجد الى ذلك سبيلا، كحديثه عن اصل القنوت فى الصلاة فى معرض الحديث عن منع المستضعفين من الهجرة ، وكحديثه عن الاقامة وهى الدعوة للصلاة فى المسجد ، وكحديثه عن بدء الاذان للصلاة ، وكحديثه عن النهى عن نكاح المتعة فى الاسلام . وقد عقد المؤرخ الخضرى فى آخر كتابه فصلين عن شمائل النبى ومعجزاته .

***

وقد وقف الدكتور طه حسين فى كتابه « على هامش السيرة » من روايات المؤرخين السابقين والرواة وكتاب السيرة موقفا رضى به واطمأن اليه ، فقبلها أو تقبلها على علاتها دون مناقشة أو اختيار أقربها الى الدقة العلمية .

وشاركه فى ذلك الصنيع الاستاذ توفيق الحكيم فى سيرته عن محمد ، وهى سيرة كما نعلم ألبسها الحكيم لباس المسرحية ذات الحوار ، بينما وقف الدكتور هيكل موقفا مخالفا ، فرفض أن يتقبل الروايات عامة ، بل آثر ان يتقبل الروايات التاريخية الوثيقة المعتمدة . ويبدو أن د . هيكل كان مطمئنا كل الاطمئنان الى منهجه العلمى هذا ، على حين ادرك د . طه حسين « أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب ،

لانهم محدثون يكبرون العقل ، ولايثقون الا به ؛ ولا يطمئنون الا اليه . وهم لذلك يضيقون بكثير من الاخبار والاحاديث التى لا يسيغها العقل ولا يرضاها . وهم يشكون ويلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الاخبار وجده فى طلبها ، وحرصه على قراءتها والاستماع لها » .

وايقن طه حسين أن هؤلاء سيضيقون بكتابه لان فيه طائفة من الاخبار والاحاديث التى لايقبلونها بسهولة . ومن هنا كانت الناحية العاطفية فى «سيرة» طه حسين غالبة على كتابه ، كما كانت ناحية العقل والمنطق غالبة عند الدكتور هيكل فى كتابه عن محمد .

أما العقاد فلم يكن كتابه عن عبقرية محمد سيرة على نحو مانعلم من السير، ولا تاريخا على نحو مانجده فى كتب التاريخ ، وانما هو صور حية تبرز جوانب من حياة الرسول على غير نسق تاريخى مألوف ، أو نهج مسلسل فى تاريخ الحوادث . ومن هنا لم يهتم بالتواريخ للاحداث والوقائع والوفيات، ولم يحسب لها حسابا ، لانها لا تهمه فى تشخيص الصورة المرادة للمترجم له على حين صب اهتمامه على رسم المزايا والخصائص النفسية والخلقية والانسانية للعبقرية . ولا أدرى - اذا كان العقاد مهتما برأى المؤرخ «جودالا» الذى أبداه فى احدى محاضراته بالقاهرة سنة ١٩٤٣ - لماذا فاته ماذكره « جودالا » من ان الترجمة لشخص ماهى الا تاريخ من التواريخ ، يطبق على الافراد ، بدلا من تطبيقه على الاوطان والجماعات ؟ فلماذا اذن لا نظفر فى كتاب « عبقرية محمد » بتاريخ قدر مانظفر بصور تحليلية رائعة ؟

الحق أن العقاد لم يغفل التاريخ ولم ينحه جانبا حين صور محمدا فى عبقريته ، ولم يجنح الى التاريخ المحض بالوقوف عند جزئيات السيرة النبوية ووقائعها التى لا تكاد تحصى . وانما استطاع أن يلائم بين التاريخ والفن ملاءمة موفقة تفرد بها كتابه فى سيرة الرسول . ومن هنا كانت « عبقرية محمد » عملا شغل الناقدين به منذ صدوره ، فاتهمه بعضهم بأنه تعرض لتحليل شخصية الرسول تحليلا نفسيا باعتبار أنه شخص عادى يجرى عليه مايجرى على الناس جميعا ، لان سيرة محمد ليست كسيرة اى فرد او عظيم ممن تطبق على حياتهم وسلوكهم أصول علم النفس ، أو يحكم عليهم بمجرد الرأى والملاحظة .

والحق أن الذى صنعه العقاد فى ترجمته لابى نواس الشاعر غير الذى صنعه فى عبقرية محمد . فقد كان ابو نواس فى تحليلات العقاد النفسية معرضا لمذاهب غريبة فى علم النفس، على حين تبرأت عبقرية محمد من مثل تلك التعقيدات الغريبة . والحق أن « التقدير » و « التقديس » و «الاجلال» المسبق فى ذهن العقاد وقلبه لمحمد عليه الصلاة والسلام هو الذى ساعد على أن لا تنحرف مقاييس علم النفس اومفاتيح الشخصية فى يده حين كتب عبقرية محمد . ولعله أراد أن يسد الطريق من أول الأمر على ناقديه حين افتتح كتابه هذا بقوله : « سيرى القارىء ان عبقرية محمد عنوان يؤدى معناه فى حدوده المقصودة ولا يتعداها ، فليس الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف الى السير العربية والافرنجية التى حفلت بها المكتبة المحمدية حتى الآن ، لاننا لم نقصد وقائع السيرة لذاتها فى هذه الصفحات على اعتقادنا ان المجال متسع لعشرات من الاسفار فى هذا الموضوع ، ثم لا يقال انه استنفد كل الاستنفاد ، وليس الكتاب شرحا للاسلام او لبعض أحكامه ، او دفاعا عنه ، أو مجادلة لخصومه فهذه اغراض مستوفاة فى مواطن شتى يكتب فيها من هم ذووها ولهم دراية بها وقدرة عليها .

انما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بالمقدار الذى يدين به كل انسان ، ولا يدين به المسلم وكفى ... »

***

ونستطيع ان نقول ونحن مطمئنون ان كتب محمد الخضرى ، واحمد تيمور باشا ، ومحمد رضا ، عن الرسول عليه الصلاة والسلام هى من كتب السيرة ومناهجها بالمفهوم القديم عند مؤرخى السيرة والمؤرخين المسلمين بعامة ، فلم تخرج على نهجها الا فى القليل الذى لايشكل ملمحا واضحا فيها ، وتختلف بين الايجاز والطول ، فاوجزها كتاب تيمور ، واطولها كتاب محمد رضا .

ويمتاز محمد رضا بانه صفى السيرة ونقاها من الحشو والخروج عن الموضوع والاستطراد والتضارب اكثر مما فعل المؤرخ الخضرى قبله . وكذلك فعل احمد تيمور . الا أن محمد رضا يمتاز بتلك الفهارس المرتبة وفق حروف الهجاء ، والتى صنعها لاسماء الرجال والقبائل والنساء والاماكن ، كما يمتاز بذلك الجدول بتواريخ الحوادث المشهورة فى السيرة النبوية ، وفقا للتاريخ الميلادى ومايقابله من شهور التاريخ الهجرى وسنواته . وهو عمل ييسر للقراء والباحثين كثيرا من امورهم كما يمتاز كتاب محمد رضا بالوقوف فى مواطن كثيرة على آراءالمستشرقين والتصدى بالرد على المجحفين منهم ، ومناقشة آرائهم مناقشة علمية هادئة تضمحل امامها كل شبهة ، ويزول كل شك وفى هذه تجد د. هيكل ومحمد رضا يلتقيان ، وان كانت تغلب على هيكل صفته وصناعته فى المحاماة ، والماضته فى القول بما لا محل بعده لزيادة ...

وكما ختم د . هيكل كتابه عن حياة محمد بمبحثين كبيرين عن الحضارة الاسلامية كما صورها القرآن ، وعن المستشرقين والحضارة الاسلامية ــ وهما ليسا من صميم السيرة ولا من صلبها ولا من دقائق وقائعها ، ولكنهما يتصلان بالاسلام الذى ارسل به محمد فان محمد رضا قد ختم كتابه بفصول قصار ــ بعد تمام السيرة ولحاق النبى بالرفيق الاعلى ــ عن الشمائل المحمدية ، واتباع التعاليم الاسلامية ، والاقتداء بأخلاق الرسول ، ومعجزاته، واذا كان د . هيكل يرى فى معجزات النبى المادية رأيا آخر ، ويرى فى قصة الاسراء تقريبا أتى فيه بشيء طريف كما شهد له الامام محمد مصطفى المراغى، فان الخضرى ، وتيمور ، ومحمد رضا وطه حسين يقبلون المعجزات بلا مناقشة كما يقبلون الروايات بلا أحقية اختيار ..

ويصادفنا فى السيرة التى كتبها أحمد تيمور للنبى عليهالصلاةوالسلام مسائل غير قليلة تتصلبالرسول،ولكنها لا تتصل بالسيرة ووقائعها وأخبارها ، فقد تعرض فى فصل من كتابهلفضل زيارة قبر الرسول وكيفية الزيارة ــ او آدابها بمعنى أصح ، كما تعرض للاحتفال بالمولد النبوى ونشأته وللكتاب المزور على الرسول ، ولهدايا الملوك والسلاطين للحرم المدنى ،ولبعض ماقيل فى مدح الرسول ، وهى طرائف تاريخية لا تدخل فى السيرة النبوية الا مجازا من حيث اتصالها بشخص الرسول على مدى ماتلاه من عصور ..

واذا كان د . هيكل قد مهد لكتابه عن محمد بفصلين طويلين عن بلاد العرب قبل الاسلام ، ومكة والكعبة وقريش ، حتى لايهجم القارىء على سيرة النبى قبل التعرف الى البيئة التى انبتته ، فان أحمد تيمور قد سبقه الى ذلك حين تحدث فى أول كتابه عن أنساب العرب وطبقاتهم . وممالك العرب قبل الاسلام ، واخلاق العرب وعاداتهم ، ولكننا نجد باحثا عربيا هو الاستاذمحمد عزة دروزة قد خص عصر ماقبل النبى بكتاب ضخم قائم بذاته عنوانه : « عصر النبى عليه السلام وبيئته قبل البعثة» وهو كتاب لابد منه فى المكتبة العربية

واذا كان بعض كتب السيرة المعاصرة قد اهتم بالمنهج النفسي والتحليل ، فان المنهج الفلسفى الذى سلكه الباحث المؤرخ محمد جميل بيهم يعد معلما آخر فى دروب السيرة النبوية . وقد رجع فيه الى القرآن والحديث ، كما اعتمد على النواميس الطبيعية التى تربط الاسباب بالمسببات ، وترتب النتائج على المقدمات .

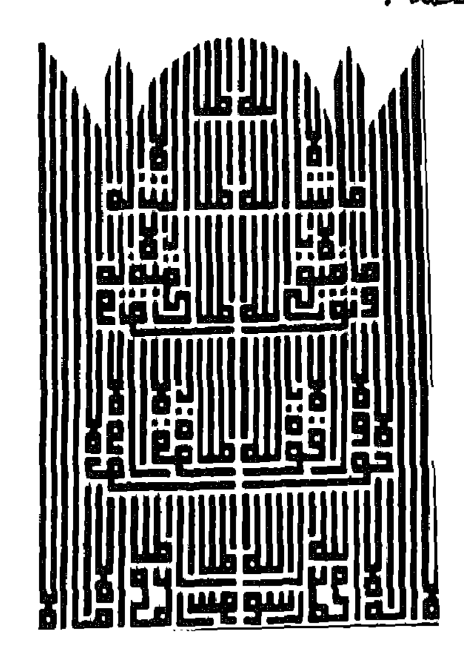
وعلى حين نجد المؤرخ جميل بيهم يستشهد بالقرآن الكريم على ماجاء فى كتابه عن الرسول ، نرى العقاد لم يلجأ الى الاستشهاد بكتاب الله مرة واحدة فى خلال جلاله للمواقف المحمدية ، لانه شاء ان يعالج الموضوع معالجة يرضى عنها المسلم وغير المسلم . فكانت معالجته من الناحية الانسانية العامة حاجزا له عن الاستشهاد بالكتاب الذى يؤمن به المسلمون . على حين نراه فى كتابه عن المسيح عليه السلام يستشهد بالقرآن على خلاف ما نجده فى كتابه عن محمد . وواضح انه هنا يريد أن يوضح موقف الاسلام الصحيح من المسيح .

ولعل كتابه الى الاستاذ عبد الفتاح الديدى وهو يطلب العلم فى باريس سنة ١٩٥٦ يجلو لنا هذا الموقف الذى قد يظن فيه تناقض أو تضارب فى المنهج ، ولكنه الرأى الصواب ...

***

ولقد تناول كتاب آخرون الحديث عن حياة الرسول من زوايا خاصة ، فلم يتناولوا السيرة قدر ماتناولوا تصوير جوانب معينة من حياته ، وظهرت بعد « عبقرية محمد » للعقاد كتب لا بأس بها فى هذا الميدان ، وهى جميعا تتضافر فى ابراز صور حية للرسول لا تقتصر على مجال الترجمة ، وتفترق فى ملامح الصورة وتخصصها ، فالناحية العسكرية القيادية عند محمد قد خصها بالتأليف جماعة من امثال الضباط اللواء الركن محمود شيت خطاب ، ومحمد عبد الفتاح ابراهيم ، ومحمد فرج ، وناحية أصحاب محمد تناولها جماعة من امثال خالد محمد خالد ، وعبدالحفيظ ابو السعود ، وعبد الحميد جودة السحار ، كما خص الكاتب محمد شوكت التونى طفولة محمد وصباه بكتاب خاص ، وافرد عبد الرحمن الشرقاوى موضوع محمد رسول الحرية بمؤلف مستقل ، وخص الاستاذ محمد عطية الابراشى عظمة الرسول بكتاب خاص ، كما نجد عند الدكتور عبد الحليم محمود كتابا عن لمحات من حياة محمد ، وعند الاستاذ أمين دويدار كتابا ضخما يضم بين دفتيه صورا من حياة الرسول .

ولا تزال الكتب تصدر فى جوانب مختلفة من حياة محمد على قدر مافى هذه الحياة من عظمة وانسانية واشراق ولن تضيق المكتبة العربية فى مسيرتها المتجددة المتطورة عن أن تتسع لعشرات وعشرات من الكتب فى سيرة الرسول ينظر اليها الناس والمؤلفون من زوايا عصورهم المقبلة . وليس هنا مجال احصاء لما صدر عن الرسول فى العصر الحديث من مؤلفات فى صميم السيرة العطرة أو فى صلة بها . وليغفر لنا الذين ضاق بنا المقام عن الاشارة الى مؤلفاتهم ، فليس القصد الاحصاء والحصر ، وانما هى خطوط عريضة تندرج تحتها فروع التأليف فى سيرة محمد .



فى مواجهة تحدّيات العصر

أنور الجندى

من الحق أن يقال ان المسلمين عاشوا تاريخهم كله خلال هذه القرون الأربعة عشر التى تكتمل بعد سنوات قليلة لتفسح الطريق امام ضوء القرن الخامس عشر الهجرى ، عاشوا ينطلعون الى ذلك النموذج الأمثل والمثل الكامل : أشرف الخلق وخاتم النبيين فيجدون فى وقائع حياته كل ما يضىء امامهم الطريق الى تطبيق شريعة ربهم والى تنفيذ منهجه فى الحياة الذى جاء به القرآن وحيا من عند الله وخاتما لكتب السماء .

وكان رسول الله محمد بن عبد الله وهو الذى أنزل القرآن على قلبه ، نموذجا صحيحا صادقا للتطبيق ، فقد كان خلقه القرآن ، وقد كان وسيظل كما وصفه ربه :

((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

فاذا فتحنا باب الحياة واسلوب العيش وجدناه يعطينا ما نحتاج اليه ، واذا يممنا شطر العمل أو الحركة أو النوم أو الجهاد أو الحرب أو البيع أو الشراء ، أو أى وجه من وجوه التعامل ، قدمت لنا السنة الصحيحة صورة كاملة ما استطاعت ملة اخرى أن تحصل عليها ، وذلك من فضل الله على هذه الأمة حين تعهد تبارك وتعالى بحفظ كتابها ، وكذلك حفظ لنا وقائع حياة رسولها الكريم لتكون نبراسا على هذه النظم التى فرضها الحق تبارك وتعالى على الأمة الاسلامية ودعاها الى أن تحملها الى البشرية كلها . ولعل أخطر ما يواجهنا الآن ونتطلع الى أسلوب للتعامل معه : هو التغريب والغزو الفكرى والثقافى ، ونحن فى هذا المجال نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث فى عشرات المواضع عن « الأصالة » ويدعو المسلمين للمحافظة على طابعهم ونموذجهم بعيدا عن تقليد الأمم الأخرى حتى يظلوا شامة فى الناس وعلامة فى الجماعة . وكان يغضب صلى الله عليه وسلم حين يلجأ أحد الى البحث عن رقعة من كتاب قديم ، ذلك أن القرآن حين نزل والاسلام حين جاء ومحمد حين بعث ، فقد أصبح القديم كله يدرس من خلال القرآن نفسه ، خاتم الكتب والمهيمن عليها لأنها ما استطاعت أن تحفظ نفسها وحفظ لها القرآن أبرز نصوصها، وكل ما كان فى القديم فقد فصله القرآن وقدمه غضا طريا صحيحا ، ومن هنا فقد حكم القرآن حكما واضحا على التفرقة الواضحة بين الفكر البشرى الذى حاولت به بعض القوى تضليل الناس والفكر الربانى الذى جاءت به الأديان وحمل لواءه الانبياء لهداية البشرية الى طريق الانسانية .

وقد أعطى القرآن المسلمين والبشرية لأول مرة مفاتيح علمية لتقييم الحقائق والنظر فيها ، فتحدث الى العقل والقلب وتحدث بالعبارة الوجدانية والكلمة العقلية وبالأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر ودعا الى أسلوب المعرفة

المتكامل الجامع ذى الجناحين : عقـلا وقلبـا ، ودعا الى الدليل والبرهان والنظر فى السموات والأرض والنظر فى آثار الأولين لمعرفة سنن الله في الكون والمجتمعات والحضارات .

وكذلك كشف القرآن زيف الفكر الغنوصي والبابلي والوثني والمجوسي والهليني، وكشف زيف الدعوات الوثنية وعبودية البشرية التي عرفتها الحضارات القديمة ، كذلك قدم الرسول الكريم الى البشرية عن طريق الوحي القرآن ، كما قدم السنة والحكمة (لقد أوتيت هذا الكتاب ومثله معه) . وقدم الرسول احكاما واضحة نهائية على تلك النظريات البراقة الزائفـة ، وتلك التفسيرات المنحرفة عن جادة الحق . وجاء القرآن محكما لها ومفصلا بحيث لايخطىء قارئه ان يجد فيه الرد الواضح الحاسم على تلك الزيوف والشبهات المضللة .

ولقد اكد الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذا الحق الذى قدمه الاسلام والقرآن سيظل قادرا على الحياة ، قادرا على رد الشبهات ودحض الأكاذيب ، بل ان الرسول أخبر بأن الله تبارك وتعالى سوف يجدد هذا الدين قرنا بعد قرن ويبعث له على راس كل مائة سنة من يقوم بذلك الأمر ، « ان الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » وهو حديث صحيح رواه أبو داود فى سننه، والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى المعرفة ، وغيرهم من حديث ابى هريرة واشار السيوطى الى صحته فى جامعه الصغير ، وهو ما اكده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارة أخرى فى قوله الكريم :

« يحمل هذا العـلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغـالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفـة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقـوم الساعة » : اولئك هم مفكرو هـذه الأمة المؤمنون بالجهاد بالكلمة فى سبيل تحرير المفاهيم وتصحيح القيم والتماس منابعها واصولها فى وجه تلك المحاولات المطردة التى يقوم بها أعداء الاسـلام لتحريف الفكر الاسلامى وتزييف اصول الاسلام وادخال اساليب غريبة خداعة من أساليب الاستشراق والتبشير .

***

وفى قضية المواجهة مع العدو : تلك المواجهة الدائمة التى يتطلبهـا حفظ الأرض وحمايتها ، وجه الرسول صلى الله عليه وسـلم أتباعه الى ما اورده القرآن الكريم في اكثر من موضع من الدعوة الى اليقظة وأخذ الحـذر من مباغتة العدو :

« وخذوا حذركم : ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

وكذلك دعا الرسول المسلمين الى ان يتخذوا فى مصر جنـدا كثيفا وحرض المسلمين على توارث اليقظة الدائمـة حتى لا تستلب منهم اجـزاء من أرض الاسلام .

***

كذلك فقـد اكد رسول الله وحدة الأمة الاسلامية بعد ان اكد وحدة البشرية حتى لا تقوم دعوات الاسـتعلاء بالدم أو بالعنصر أو بالاقليم أو الطائفة :

« كلـكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » .

***

وأقام رسول الله صـلى الله عليه وسلم : قضـية المنهج كاملة ، وفى التحدى الأكبر الذى تحاول بعض القوى ان تغرى المسلمين بقبـوله واقامة اقتصادهم عليه « الربا » وجه الرسول المسلمين اليه عن طريق واضح صريح مطابق للقرآن الكريم الذى حرم الربا تحريما قاطعا حين قال كلمته الخالدة فى خطبة الوداع :

« ان كل ربا موضوع وأول ربا أضعه تحت قدمى هاتين هو ربا عمى العباس ابن عبد المطلب » وكـذلك دعا الى المساواة فى المحاكمة وفى ذلك تبليغ كاف لقادة المسلمين وحكامهم حين قال عليه الصلاة والسلام « كان فيما قبلكم اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد » ثم يقول : « والله

لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

وهكذا يضع الرسول بتوجيه القرآن ووحيه اسلوب التعامل مع الناس من حيث تطبيق الشريعة الاسلامية على الجميع ، وان يكون القائد الحاكم أشد الناس ايمانا بالتطبيق فى اهله .

***

كل هذه المعانى ترد على الذهن فى مواجهة التحديات التى يجدها المسلمون فى مجتمعاتهم ، واقوى هذه التحديات : « التبعية » ذلك أن اخطر ما يواجه المسلمين اليوم هو محاولة « تذويبهم » فى بوتقة « الأممية » من خلال توسع اساليب الحضارة وأدوات العصر التى تتحدى المجتمعات الاسلامية بأن تستسلم للتقليد ، وان يتحول اسلوب عيشها الاسلامى الى اسلوب العصر الغربى ، فيفقد المسلمون ذاتيتهم وطابعهم واسلوب عيشهم ، ونحن نجد الآن اخطارا شديدة تحيط بمجتمع المسلمين لاغراقهم فى بوتقة العالمية الضالة ، ولا ريب أن هذا هو اخطر التحديات التى تواجههم فيفقدون بالاستسلام لها دورهم الأصيل فى البشرية وطابعهم المتميز وامامتهم للانسانية من حيث أنهم مكلفون بحمل أمانة الاسلام فى صورته الربانية وتطبيقها فى مجتمعهم ثم دعوة البشرية كلها الى هذه التعاليم بوصفها البلسم الشافى لأدواء الناس والحل الربانى لمعضلاتهم ومشاكلهم وللخروج من ازمة الانسان الحديث وأزمة الحضارة المنهارة فاذا عجز المسلمون عن المحافظة على ذاتيتهم وقصروا عن تطبيق الشريعة الاسلامية فى مجتمعاتهم فانهم يتعرضون بذلك لخطر كبير ، وهذا هو ما تحاوله دعوات الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى ، وتعمل له منذ أكثر من مائة عام ، **حيث تعمل لهدم هذا الصرح والضرب بالمعاول فى هذا الجدار الذى بناه رسول الله وصحابته لهذه الأمة وحملهم مسئولية حمايته والمحافظة عليه، فعليهم اليوم مسئولية التقصير فى هذه الحماية، ولن يكون لهذا التقصير جزاء الآخرة وحدها ولكنها ستكون فى الدنيا ذلة وهزيمة .**

هذه هى العبرة الكبرى التى تواجهنا حين نذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والدور الخطير الذى جاء الى البشرية من اجله ، فلنلتمس من حياته وسنته العبرة ولنلتمس القدرة على مواجهة الأخطار والتحديات .

هذه التحديات التى تتلخص فى :

العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية والى اقامة نظام تربوى تعليمى اسلامى يتمثل فى بناء الأجيال الجديدة وفق منهج القرآن .

وانا لنجد اليوم خطوات طيبة ومباركة نحو تقنين الشريعة الاسلامية وتطبيقها ونجد روح رمضان لا تزال حية تدفع المجتمع نحو الأصالة ولاتزال امام الدعوة محاذير كثيرة نرجو أن يتغلب عليها المفكرون المسلمون بحكمة ويقظة حتى يساير القانون روح الاصلاح والتربية فيسيران معا الى بناء المجتمع المأمول، وتنشئة الأجيال الجديدة القادرة على حمل أمانة الحفاظ على الذاتية الاسلامية والاصالة فى وجه الأخطار التى تتجمع وراء مؤامرات الاستعمار والصهيونية والماركسية لضرب هذا الوجود العربى الاسلامى المؤهل لحمل امانة الحضارة .

ولذلك فان التماس منهج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سوف يهدى الأمة الى طريق النهضة الحقة خروجا من مرحلة اليقظة ، وانتقالا من **مظاهر التبعية الى مرحلة الرشد الفكرى وهم على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى ، فى نفس الوقت الذى يمتلكون فيه قدراتهم وطاقتهم وتفوقهم البشرى فيكونون بذلك مؤهلين لاحتلال مكانتهم الحقة تحت الشمس وابلاغهم رسالة الحق التى انتدبهم الحق تبارك وتعالى لدعوة الانسانية كلها اليها .**

لقد حل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم معضلات البشرية الثلاث : الشورى ،والعدل الاجتماعى ، والاخاء البشرى ، وقضى على روح الصراع الطبقى والعنصرية ، وقدم اسلوب الرحمة والكرامة اساسا للتعامل الاجتماعى ، ولا يزال ذلك التراث بين يدى المسلمين حيا نابضا بالحياة قادرا على العطاء.

أغنية من نبع

صلى الله عليه وسلم

محمد

محمد كمال الدين إمام

اقبل مازلنا نتجسد ولاجل الفكرة نستشهد
اقبل فيمينك تتحدى الاعصار وترفض أن نجلد
اعطيت الحرية للناس فكيف نذل ونستعبد ؟
وبعثت لتبتر خطو الظلم حساما أبدا لن يغمد
ودفعت عن الدنيا الظلمات بفجر حر متجدد

***

لولاك لما ارتفعت فينا مئذنة او كبر مسجد
لولاك لما نطقت فينا لغة الايمان ولم نسجد
لولاك لما عرف الانسان الدرب الى الله الاوحد
ولظل يسبح للأوثان ويؤمن بالحجر الجلمد

***

لكن فى قلبى اغنية تتفجر من نبع ((محمد))
تتساءل كيف يضل الناس حيارى قد فقدوا المرشد
ما بال القوم كانهمو ذابوا فى ((الفكر المستورد))
وضياؤك فينا مثل الشمس بقاء بل منها أخلد

***

ويقول القلب نعود نسود ونبدا من باب المسجد
فبرغم عدو شاء لنا الأغلال وشيطان عربد
وبرغم المحنة . علمنا .. مافيها روعة مانفقد ..
مازلنا نبصر فوق الدرب خطانا من خلف ((محمد))

***

يا قومى فى دمنا التهبت اشواق النور ولن تخمد
كبرنا باسم الله الفرد فكان النصر على موعد



خصوم رسالة محمد

د. محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

ونحن هنا نتحدث عن خصوم الرسالة واعدائها فى حياة محمد بن عبد الله ، وفى فترة نزول الوحى فى مكة والمدينة، منذ العام الاربعين من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وفاته وهو فى الثالثة والستين من عمره (٦١٠ — ٦٣٢ م) ، وما أكثر من لاقى رسول الله من أعداء وخصوم : من الوثنيين مشركى العرب ، ومن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن الحاقدين والحاسدين ، ومن ملوك الامم المجاورة من فرس وروم ممن خافوا على سلطانهم وعروشهم من الدعوة المحمدية التى تنادى بالعدالة والمساواة والاخاء ، وتحارب الظلم والطغيان ، وتحرم الرذائل والمفاسد والاثام ، وتدعو الى التوحيد والطهر والعدالة الاجتماعية ، بأوسع مدلولها، وأرحب مغزى انسانى لها ...

— ٢ —

فى مكة وبعد الرسالة يصور لنا ابن مسعود كما رواه زيد بن وهب بدء نشأة الاسلام فيقول : ان أول شىء علمته من أمر رسول الله : قدمت مكة مع عمومة لى ، نبتاع منها متاعا ، وكان فى بغيتنا شراء عطر ، فأرشدونا الى العباس ، فانتهينا اليه ، وهو جالس الى زمزم ، فجلسنا اليه . فبينما نحن عنده ، اذ أقبل رجل من باب الصفا ، أبيض تعلوه حمرة ، عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر ، يمشى عن يمينه غلام حسن الوجه ، تقفوهما امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصد نحو الحجر ، فاستلم ، ثم استلم الغلام واستلمت المرأة ، ثم طاف بالبيت تبعا وهما يطوفان معه .

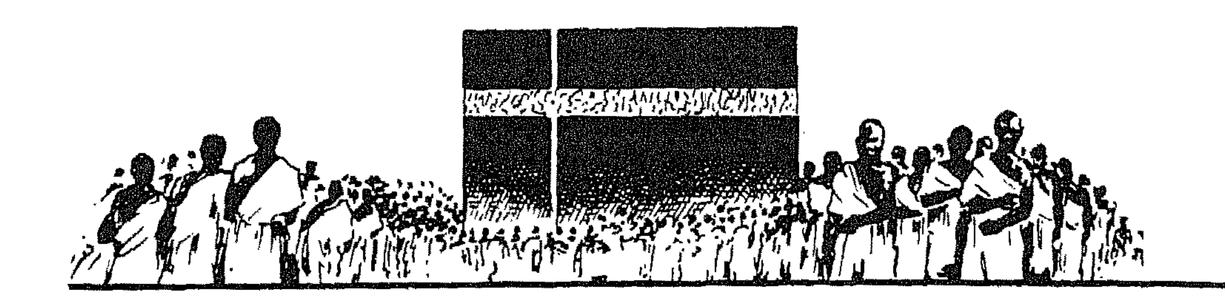
ثم استقبل الركن فرفع يده وكبر وقام ثم ركع ثم سجد ، ثم قام ، فرأينا شيئا لم نكن نعرفه بمكة ، وأقبلنا على العباس فقلنا : يا أبا الفضل ، هذا الذين حدث فيكم أو أمر لم نكن نعرفه ؟ قال العباس : أجل ، والله ما تعرفون هذا ، هذا ابن أخى محمد بن عبد الله ، والغلام على بن ابى طالب ، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته ، أما والله ما على وجه الارض أحد يعبد الله بهذا الدين الا هؤلاء الثلاثة (١)

ويذكر لنا عفيف بن قيس الكندى صورة مشابهة لهذه الصورة فيقول (٢): كنت فى الجاهلية عطارا ، فقدمت

(١) ٣٣٣ ج ٢ سير اعلام النبلاء للذهبى .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، والطبرى ٥١ ج ٢ (مطبعة الاستقامة) ، ورواها الجاحظ فى رسائله وفى كتابه « العثمانية » .

كانت رسالة محمد بن عبدالله، صلوات الله وسلامه عليه رسالة الحق والعدل والحرية، رسالة الايمان والتوحيد والاحسان، رسالة السماء الى الارض والنور الى الظلام .

وللحق على طول العصور والاجيال ، خصوم ... وللايمان على مر الايام حتى اليوم اعداء ، حتى فى عصر الرسالة وفى حياة الرسول وفى سنوات نزول الوحى الكريم بالقرآن الكريم على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .



مكة ، فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، فبينما أنا جالس عنده ، أنظر الى الكعبة، وقد تحلقت الشمس فى السماء، اقبل رجل كان فى وجهه القمر ، حتى رمى ببصره [illegible]
من الكعبة فصف قدميه يصلى ، وخرج على اثره فتى فقام عن يمينه ، وجاءت امرأة متلفقة فى ثيابها ، فقامت خلفهما، فأهوى الشاب راكعا فركعا معه ، ثم اهوى الى الارض ساجدا فسجدا معه . فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم ، فقال : أمر ، والله ، عظيم ، هذا ابن أخى محمد بن عبد الله ، والفتى ابن أخى على بن أبى طالب ، والمرأة ابنة خويلد،خديجة زوج محمد، وان محمدا يذكر أن الهه — اله السماء والارض — أمره بهذا الدين ، فهو عليه كما ترى ، ويخبر أنه نبى ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجه خديجة هذه المرأة)) .

***

ودعا الرسول ، صلوات الله عليه ، الى الاسلام ومبادئه الحقة ، فتكالبت عليه قريش تناوئه وتخاصمه ،واجمعت — بعد أن جهر رسول الله بالدعوة — على عداوته وتحذير الناس من الاستماع الى حديثه ، وقالوا عنه : انه كاهن ، ومجنون ، وشاعر ، وساحر ،وحرضوا الشعراء على هجائه ، واخذوا يحاولون الفتك به ، قام رجل منهم ، فأخذ بمجمع ردائه،يكاد يخنقه، فقام أبوبكر دونه وهو يبكى ، ويقول : أتقتلون [illegible]
من لحيته ، حتى كادت تسيل دما .

وكان رسول الله يصلى عند البيت، فقال أبو جهل لاصحابه : أيكم يقوم الى جمل بنى فلان المذبوح فيأتى بأمعائه فيضعها فى كتفى محمد اذا سجد ، فانبعث أشقى القوم ، وفعل ذلك فأخذ أبو جهل ومن معه يضحكون ، والنبى ساجد ما يرفع راسه ، حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة بنت محمد ، فجاءت وهى فتاة صغيرة ، فرفعت عن أبيها الاذى ، حتى قضى الرسول صلى الله عليه وسلم صلاته ..

***

ومضى رسول الله فى طريقه من تبليغ الدعوة والرسالة والوحى ،وقريش سادرة فى ضلالها وشركها وخصومتها للرسول وأصحابه ، حتى لقد هم أبو جهل بقتل رسول الله بحجر ضخم اثناء سجوده ، ولكن الله حفظ رسوله وحماه .

وجاء النضر بن الحارث ، فكان اذا جلس رسول الله مجلسا يذكر فيه بالله

وينذر قومه ، خلفه في مجلسه اذا قام ويقول : أنا والله يا معشر قريش احسن حديثا منه فهلم الي ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ، ثم يقول : بماذا محمد احسن حديثا مني ؟

***

واستعانت قريش في عداوتها لرسول الله بيهود المدينة ، فأشار احبار اليهود عليها تعجيزا للرسول بأن تسأله عن الروح ما هي ؟ وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وعن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فنزل الوحي على الرسول بسورة الكهف وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف . ونزل عليه بقوله تعالى « **ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي** » ..

***

وقال ابو جهل . تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فاطعمنا **وحملوا فحملنا، واعطوا فاعطينا، حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ، فلا والله لا نؤمن به ابدا ولا نصدقه !**

واسرفت قريش في تعذيبها للمسلمين، كانوا اذا سمعوا برجل اسلم ، ذهبوا اليه وقالوا له : تركت دين ابيك وهو خير منك ، والله لنسفهن حلمك ، ولنضعن شرفك ..وان كان تاجرا قالوا له : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . ويضربون من لا منعة له في قومه قائلين له : اللات والعزى الهك من دون الله .

ولما اشتد تعذيبهم لاصحاب رسول الله ، امرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ، ولما رأت قريش ان اصحاب رسول الله قد أمنوا واطمأنوا في مهاجرهم بعثوا الى النجاشي سفيرين هما عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة ، ومعهما هدايا طائلة للنجاشي ولبطارقته ، ليطلبا من الملك أن يأمر برد المهاجرين معهما الى مكة ، فأبى الملك ذلك ، وعاد السفيران مخذولين .

— ٣ —

واجمعت قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب : الا يتزوجوا منهم ، ولا يزوجوا أحدا من بناتهم فيهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يشتروا منهم . وكتبوا ذلك في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيدا على انفسهم ، وكان ذلك في السنة السابعة من الرسالة ، واستمرت المقاطعة ثلاث سنين ، واقام آل رسول الله اثناءها في شعب ابي طالب (٣) على الطوى والحرمان .

وحرضت قريش القرشيين ممن تزوجوا بنات رسول الله على طلاقهن فاستجابوا لها الا ابا العاص بن الربيع، فقد ابى أن يطلق زينب بنت رسول الله وكان ابو العاص ابن خالة لزينب بنت محمد ، وطلق عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب بنتي رسول الله : رقية وام كلثوم، استجابة لقريش اذ قالت لهما وللعاص: انكم قد فرغتم محمدا من همه ، ردوا عليه بناته فاشغلوه بهن ..

ومشت أم جميل بنت حرب زوج ابي لهب بحجر تحمله لتدق به رأس رسول الله عند الكعبة فمنعه الله منها ، فعادت تقول : والله لو ابصرته لضربت به فاه، اما والله اني لشاعرة ، واخذت تقول : « مذمما عصينا ، وامره ابينا ، ودينه قلينا » .

وممن اشتد في عداوة رسول الله : ابو جهل ، والوليد بن المغيرة ، وكانت قريش قد صنعت له تاجا ليتوجوه به ، فجاء الاسلام فانتقص امره ، وكانوا يسمونه « ريحانة قريش » .

وخرج الأعشى الشاعر الى مكة ليمدح رسول الله فصدته قريش ، واعطته هدايا ثمينة لينصرف من حيث اتى .

وكان هناك خمسة نفر من عظماء قريش يستهزئون برسول الله وبما اتى به من الدين ، وهم : الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي ، والاسود بن

(٣) في اواسط مكة .

عبد يغوث الزهرى ، وأبو زمعة الاسود ابن المطلب الاسدى ، والحارث الخزاعى. فاخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، ونزل قوله تعالى. ((**فاصدع بما تؤمروا عرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين**)) .

وكان عدة رجال من قريش يؤذون رسول الله فى بيته ، وهم : أبو لهب ، والحكم بن العاص ، وعقبـــة بن ابى معيط وعدى الثقفى وابن الاصـــداء الهذلى ، وكانوا جيران رسول الله .

– ٤ –

وكانت الهجرة نجاة لرســـول الله من مؤامرة دبرتها قريش لقتله ، وهاجر رسول الله وهاجر معه أبو بكر ، وهاجر من قبل ومن بعد من استطاع ان يهاجر الى المدينة ، وكانت قريش تحاول أن ترد الى مكة من تقـــدر على رده من المهاجرين ، ردت عياش بن أبى ربيعة المخزومي الى مكة وحبسته هو وهشام ابن العاص ، فأرسل رسول الله الوليد ابن الوليد بن المغيرة ، فخرج الى مكة ففك قيديهما وخرج بهما من مكة حتى اتى بهما رسول الله صلى الله عليـــه وسلم . وهذه أول عملية فدائية فى الاسلام .

وفى المدينة اظهر اليهود العـــداوة لرسول الله ، حتى قال قائل منهم وهو رافع بن حريملة : يا محمد ، ان كنت رسولا من الله فليكلمنا الله حتى نسمع كلامه .. وبعثت قريش لليهود تسالهم : « أدييننا خير أم دين محمد ؟ » فقال اليهود : بل دينكم خير من دينه. وحاول يهودى قتل رسول الله بحجر حين خرج الى بنى النضـــــير يستعينهم فى دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن امية، فارتقى اليهود سطح بيت ليرموا راس رسول الله بالحجر ، فنزل الوحى ، يأمر رسول الله بالانصراف عنهم (٤).

وكان من أشراف اليهود عبد الله بن أبى بن سلول ، اجتمعت الاوس والخزرج على طاعته ، قبل الاسلام ، ونظم له قومه تاجا ليتوجوه ويملكوه عليهم، فلما انصرف قومه عنه الى الاسلام حقد ، ورأى أن رســـول الله قد سلبه ملكا ، فدخل الاسلام نفاقا ليحارب المسلمين وهاجر منهم أبو عامر الاوسى الى مكة حتى لايعيش مع رسول الله فى بلد واحد، وخرج معه خمسون شابا من الأوس، وأخذ يحرض قريشا على حرب رسول الله ، ويغريها بأن الاوس كلها ستخرج من صفوف محمد الى صفوف قريش فى أية حرب تشنها على المدينة ، وخرج مع قريش فى احد يحارب رسول الله ، ويدعو الاوس للفرار من صفوف محمد فلم يستجب له أحد منهم وردوا عليه : لا انعم الله بك عينا . فاخذ يهـــذى ويقول : لقد أصاب قومى بعدى شر .

وشنت قريش الحرب على رسول الله فى بدر فانتصر عليهم نصرا مؤزرا.

وفى مكة عزم عمير بن وهب الجمحى بعد هزيمة قريش فى بدر على قتـــل رسول الله بتاييد من صفوان بن امية ومساعدته ، حيث صنع سيفا مسموما، وخرج به على راحلته الى المدينة بزعم فداء ابنه الاسير ، وشاهد عمر هـــذا القادم الى مسجد رسول الله ، عمير بن وهب الجمحى فحذر المسلمين منه ، ونجى الله رسوله من شره ، ودخل عمير فى دين الله .

وفى الســـنة الثالثة من الهجـــرة النبوية الشريفة وبعد بدر خرج كعب بن الاشرف اليهودى الى مكة يحرض قريشا على رســـول الله ، ويستثيرها لحربه ويرثى بشعره قتـــلى قريش فى بدر ، فقتله الفدائيون المسلمون من الأوس ، وعلى راسهم محمد بن مسلمة .

وعادت قريش للحرب وكانت معركة احد التى انتصر فيها المسلمون أولا ثم شغلوا بالغنائم فهزموا فيها أخيرا .

وفى السنة الخامسة للهجرة نجحت دسائس اليهود ومؤامراتهم ضـــــد الاسلام فى جمع الاحزاب لحـــرب رسول الله ، فقد خرج بعض اليهـــود حتى قدموا على قريش مكة ، فحرضوهم

(٤) وكان ذلك من أسباب اجلاء بنى النضير فى العام الرابع للهجرة .

على حرب رسول الله ، وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، ثم ذهب هؤلاء اليهود الى غطفان فحرضوهم على الحرب ، وصار اليهود فى المدينة طابورا خامسا ضد رسول الله ، ونصر الله رسوله نصرا مؤزرا وهزم الاحزاب وحده ، وكانت خيانة اليهود فى غزوة الاحزاب سببا لغزوة بنى قريظة حيث قسم رسول الله أموالهم وغنائمهم على المسلمين ، وقتل الفدائيون المسلمون من الخزرج أبا رافع سلام بن أبى الحقيق لما صنعه من تحريض الاحزاب وجمعهم لحرب رسول الله ، ثم فتح رسول الله خيبر فى السنة السابعة من الهجرة ، وتزوج رسول الله صفية بنت حيى ملك خيبر غير المتوج، وكانت من أسرى المعركة . وجاءت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودى بشاة مسمومة مشوية الى رسول الله تهديها اليه فتناول قطعة منها وهو آمن ، ثم لفظها وهو يقول : ان هذا العظيم ليخبر انه مسموم ، واكل منها بشر بن البراء ابن معرور، فمات بشر، وجىء باليهودية فاعترفت فاقتص رسول الله منها لبشر . وفى مرض رسول الله الذى توفى فيه قال : ان هذا الاوان وجدت انقطاع ابهرى (عرق متصل بالقلب) من الاكلة التى أكلتها بخيبر . وكان المسلمون يرون أن رسول الله مات شهيدا مع ما اكرمه الله من النبوة — وكانت تلك المحاولة مؤامرة جريئة لقتل رسول الله .

— ٥ —

واعز الله الرسول ونصره ففتحت مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة ، وكان لذلك النصر العظيم صداه .

عفا رسول الله عن قريش ولم يقتل بعد المعركة غير الحويرث بن نقير بن وهب، ذلك انه لما حملت فاطمة وام كلثوم ابنتا رسول الله من مكة الى المدينة لتلحقا برسول الله بعد الهجرة كان الحويرث نخس بهما فرمى بهما الى الارض فلذلك قتله على بن أبى طالب .

وهرب من مكة صفوان بن امية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعبد الله بن الزبعرى، وهبيرة بن أبى وهب المخزومى، خرجوا منها هاربين من النور يغشيهم الظلام من كل جانب ، فأما صفوان فخرج الى جدة ليركب الى اليمن فلحقه عميرة بن وهب بأمان رسول الله فعاد الى مكة . وصنع عكرمة ما صنع صفوان فخرج الى جدة واليمن ، ثم عاد بامان رسول الله حملته اليه فى اليمن زوجه ام حكيم ، واما ابن الزبعرى فهام على وجهه فى الارض حتى دخل نجران ، ولما مل الغربة عاد الى مكة وبايع رسول الله بالاسلام . وأما هبيرة فهرب الى نجران واقام فيها حتى مات على كفره .

واثر الفتح اراد فضالة بن عمير الليثى قتل رسول الله وهو يطوف بالبيت ، فنجاه الله وحفظه .

وهناك مؤامرة اخرى دبرها خصوم رسول الله لقتله، فقد تآمر عليه ثمانون رجلا للفتك به فى صلاة الفجر ، فأخذوا، وعفا رسول الله عنهم (٥)

وعن الحكم بن أبى العاص قال : تواعدت أنا وبعض أصحابى على قتل النبى ، ولكن الله أبطل ما دبرناه (٦)

وتواعد أبو جهم بن حذيفة مع بعض اصحابه على قتل رسول الله فخذلهم الله .

وحاول شيبة بن عثمان الحجبى قتل رسول الله يوم حنين فاخزاه الله عز وجل (٧)

وهم جماعة من المنافقين بالفتك برسول الله وهو فى طريقه من تبوك الى المدينة، ومنهم عبد الله بن أبى بن سلول ، وسعد بن أبى سرح ، والجلاس ابن سويد ، وسواهم ، وقالوا : لاننتهى حتى نرمى محمدا من

(٥) ٦٤ من الشفاء للقاضى عياض طبعه الحلبى بالقاهرة .
(٦) ٢٣٠ المرجع نفسه .
(٧) ٢٣٢ المرجع نفسه .



العقبة الليلة ، وكانوا اثنى عشر رجلا ، ومنهم عبد الله بن عيينة الذى قال لأصحابه : اسهروا هذه الليلة تسلموا الدهر كله ، ومنهم كذلك مرة بن الربيع الذى قال : نقتل الواحد الفرد فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين ... ومنهم أبو عامر الأوسى الذى قال لأصحابه : انى ذاهب الى قيصر فآتى بجند من الروم فأخرج بهم محمدا وأصحابه .

وبنى هؤلاء مسجدا سماه الله «مسجد الضرار» ، فلما فرغوا من بنائه أتوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا له : انا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلى فيه وتدعو بالبركة ، فأنزل الله فيه قوله عز وجل : ((**لا تقم فيه أبدا**)) .

ولما تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك وأرجا رسول الله قبول توبته حتى ينزل فى أمره وحى من السماء ، بعث ملك غسان فى الشام رسالة الى كعب مع نبطى من اهل الشام ، ممن قدموا بالطعام ليبيعه بالمدينة ، واخذ هذا النبطى يقول : من يدلنى على كعب بن مالك ؟ فاشار الناس له الى كعب ، فجاءه ودفع اليه بالرسالة ، فاذا فيها : ((أما بعد ، فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ، ولم يحلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك)) . قال كعب : فلما قرات الرسالة قذفتها فى التنور فاحرقتها فيه .

وهذا مما يدل على وجود عيون للملك الغسانى فى المدينة .

― ٦ ―

ان الرسول صلى الله عليه وسلم لاقى فى حياته ما لاقى من خصومات وعداوات ، من قريش ومن قبائل العرب التى كانت تعيش على الشرك والوثنية ، ثم من اليهود ، ثم من المنافقين الذين دخلوا فى الاسلام وهم يبطنون الكفر ، ثم من جواسيس الملك الغسانى فى حلق الشام ، وجواسيس قيصر الروم فى القسطنطينية .

وقد حاولت هوازن أن تعقد حلفا مع المقوقس لحصار رسول الله اثناء غزوة حنين ففشلت .

ولما بعث رسول الله برسالة الى كسرى يدعوه فيها الى الاسلام ، وحملها اليه عبد الله بن حذافة السهمى ، مزقها كسرى ، وقال : يكتب الى بهذا وهو عبدى ؟ فدعا عليه رسول الله أن يمزق الله ملكه . وكتب كسرى الى باذان واليه على اليمن بأن يبعث الى الحجاز رجلين يأتيانه بمحمد ، فبعث باذان رجلين الى **المدينة ، فاخبرهما رسول الله ان الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ، وكان ذلك فى العاشر من جمادى الاول سنة سبع من الهجرة** (٨) ((٦٢٩ م))

وهكذا كانت الخصومات والعداوات حول رسول الله بالغة العنفوان ، وقد حفظ الله نبيه وحماه وعصمه من الناس ، حتى بلغ الرسالة ، وأدى الامانة ، ولقى ربه راضيا مرضيا ، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ... ●

(٨) جـ ٢/ ٢٩٧ الطبرى ، ٢/٥ سير اعلام النبلاء للذهبى .

قطوف من

مأثور قول محمد

فاروق شوشه

● عن بلاغة الرسول الكريم يقول مصطفى صادق الرافعي في اسلوب يشرق بالبيان الرفيع حتى كان سطوره قطعة من الشعر المنثور :

« هذه هي البلاغة الانسانية التي سجدت الافكار لآيتها ، وحسرت العقول دون غايتها ، لم تصنع وهي من الاحكام كأنها مصنوعة ، ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة ، الفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه ، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة ، محذوفة الفضول حتى ليس فيها كلمة مفضولة ، وكأنما هي في اختصارها وافادتها نبض قلب يتكلم ، وانما هي في سموها واجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم » .

ثم يقول الرافعي عن بلاغة النبي :

« ان خرجت في الموعظة فهي أنين من فؤاد مجروح ، وان راعت بالحكمة قلت صورة انسانية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع ، ويشتد فينزو بالدماء .

« واذا اراك القرآن انه خطاب السماء للارض ، اراك كلامه صلى الله عليه وسلم انه خطاب الارض للسماء . على انه سواء في سهولة اطماعه وصعوبة امتناعه ، ان اخذ ابلغ الناس في ناحيته لم يأخذ بناصيته ، وان نظر فيه بلا بصر عاد مبصرا ، وان جرى في معارضته انتهى مقصرا » .

ومن مأثور قول الرسول الكريم :

ان مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فانبتت الكلأ والعشب الكثير ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ، ونفعه ما بعثني الله تعالى به ، فعلم وعلم وكان منها أجادب امسكت الماء ، فنفع الله تعالى بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، واصاب طائفة اخرى انما هي قيعان ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »

ويقول الرسول الكريم :

انما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا ، فلما اضاءت ماحوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها ، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فانا آخذ بحجزكم عن النار ، وانتم تقتحمون فيها .

ومن وصاياه المأثورة :

أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن : اوصاني بالاخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وان اعفو عمن ظلمني واعطي من حرمني ، واصل من قطعني ، وان يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا .

ومن قديم ، وعلماء البلاغة العربية يتأملون البلاغة الرفيعة التي صدر عنها الرسول الكريم في مأثور أقواله واحاديثه ، فلاحظوا ـ فيما لاحظوه ـ مطابقات تنطق بالجمال والسلامة ، وتصدر عن بلاغة أصيلة وفصاحة طبيعة ، في مثل قوله :

● **حفت الجنة بالمكاره ، والنار بالشهوات**

● **الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا**

● **جبلت القلوب على حب من احسن اليها ، وبغض من اساء اليها .**

● **احذروا من لايرجى خيره ولايؤمن شره .**

وفي هذه المختارات من كلامه جناس استوقف علماء البلاغة بجماله وتلقائيته

● **الظلم ظلمات يوم القيامة**

● **ان ذا الوجهين لا يكون وجيها عند الله .**

● **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .**

● **المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم**

● **لا ايمان لمن لا امانة له .**

وهذه مختارات من جوامع كلم الرسول الكريم، تمتلىء بصور تشبيهية وتمثيلية فريدة ، ناطقة بالبيان ، زاخرة بالتعبير البليغ المحكم :

● **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .**

«الصورة هنا تمثل جماعة المؤمنين يؤازر بعضهم بعضا ويقوى بعضهم بعضا بالبناء المتين **المكين** » .

● **اصحابي كالنجوم .. بايهم اقتديتم اهتديتم**

«يشبه أصحابه بالنجوم، من اقتدى بهم وحذا حذوهم كان على هدى من أمره »

● **مثل اصحابي كالملح لا يصلح الطعام الا به .**

« كما أن الطعام لايصلح بغير ملح، هكذا الناس لايصلحون بغير اتباع الرسول الكريم والمؤمنين برسالته »

● **وعد المؤمن كاخذ باليد .**

« اي أن تعهد المؤمن بالقيام بشيء هو بمثابة التعاقد ، لابد من الوفاء به »

● **تمسحوا بالارض فانها بكم برة**

« اى التصقوا بالارض ولازموها واهتموا بما فيها من كنوز وخيرات ، فانها برة أي كثيرة الاحسان والعطاء »

● **زر غبا تزدد حبا**

« اى زر الناس حينا بعد حين ، ولا تكن زيارتك للناس متواصلة فيكرهوك ويملوك »

● **تخيروا لنطفكم ...**

« أي تخيروا واصطفوا لانفسكم من النساء الصالحات من ينجبن لكم ذرية صالحة »

● **السعيد من وعظ بغيره**

« اي ان المحظوظ الحقيقي هو الذي يرى مايحدث لغيره فيتعظ به قبل أن يحل به مثله »

● **ماعال من اقتصد**

« اى ما احتاج الى شيء من دبر أموره بحكمة » .

● **يد الله مع الجماعة ، واليد العليا خير من اليد السفلى .**

« اليد العليا هى اليد المتفضلة التى تعطي وتمنح ، واليد السفلى هى التى تطلب وتستجدي وتأخذ »

● **لا خير في بدن لا يالم ومال لا يزكي .**

« أي بئس الجسم الذى لايشعر بالم فهو كالميت ، وبئس المال الذي لايتطهر بالزكاة والصدقات » .

ويقول الرسول الكريم :

● أيها الناس : ان ربكم واحد وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى ، الا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

● **اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ، واتقوا دعوة المظلوم فانها ليس لها حجاب .**

● **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم . رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لاخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ، ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان اعطاه منها وفى وان لم يعطه منها لم يف .**

ملامح محمد وصفاته

كما جاء في حديث أم معبد

د . محمد عبد المنعم خاطر



جاء في السيرة الحلبية في معرض الحديث عن الهجرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار بعد أن مكث فيه ثلاثة أيام بلياليها هو وصاحبه أبو بكر الصديق ، انضم اليهما الدليل « أريقط بن عبدالله الليثي » ، و « عامر ابن فهيرة » مولى أبي بكر الذى كان يتعهدهما في الغار باللبن ، وساروا ومعهم الابل الثلاث التى أعدها أبوبكر على قول ، وأعدها «على» على قول آخر - ساروا متجهين الى وادى قديد ، مارين بطريق السواحل ، فلحق بهم «سراقة بن مالك» مقتفيا أثرهم ، ولما كانت قريش قد بثته على أن يلحق بهم في أى طريق ويأتيهم برأس النبى صلى الله عليه وسلم ورأس أبي بكر ، على جعل كبير وعدته به ، وهو مائة ناقة ، فانه تبعهم وهو على فرسه آخذا بسنان سيفه ورمحه الى غير ذلك مما يعرف عن تلك القصة التى نكتفى منها بذكر ما كان من نهايتها بعد أن ساخت قوائم فرسه في الارض ، وأوشكت الارض أن تبتلعه لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عنه ، وأعطاه أمانا مكتوبا على أن يرجع ويضلل عنهم .

وتقول السيرة : اجتازوا في طريقهم

« بأم معبد » واسمها عاتكة ، وكان منزلها بطرف الوادي الذي يلي المدينة ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تختبيء بفناء بيتها وتطعم وتسقي الناس وهي لا تعرفهم ، فسألوها لحما وتمرا أو لبنا يشترونه ، فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم ـ أي الشراء ـ وفي رواية ماأعوزناكم القرى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا « أم معبد » هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله . فرأى شاة قد خلفها الجهد عن الغنم ، أي

لم تطق اللحاق بها لما بها من الضعف والهزال • قال : هل بها من لبن ، قالت : هي أجهد من ذلك • قال : أتأذنين في حلبها ؟

قالت : والله ما ضربها فحل قط فشأنك ، أي افعل فان رأيت بها حلبا فاحلبها ، فدعا بها ثم مسح ظهرها بيده الشريفة ، وضرعها ، وسمي الله تعالى وقال : اللهم بارك لنا في شاتنا ، فدرت ، ثم دعا باناء ، فحلب فيه ، فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه ثم شرب رسول الله صلي الله عليه وسلم فكان آخرهم شربا ، ثم حلب فيه مرة أخرى وتركه عندها وارتحل •

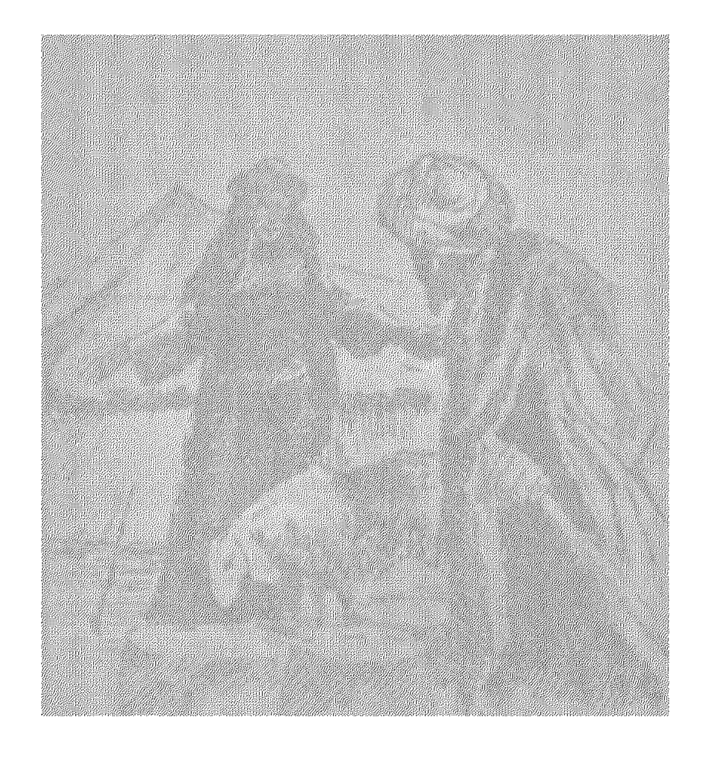
قال يونس عن ابي اسحاق: «انه دعا ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب حتى أرغى ، وقال : اشربى يا أم معبد •

فقالت : اشرب اشرب فأنت أحق به ، فرده عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ـ وهى الواحدة من الغنم اذا قل لبنها ثم يبس ـ ففعل بها مثل ما فعل ثم شربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك وسقى الدليل ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك وسقى عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الذى كان يرافقهم •

ولما جاء زوجها « أبو معبد » عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذى حلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ، وقال : يا « أم معبد » ما هذا اللبن ولا حلوب فى البيت ؟! قالت : مر بنا رجل مبارك ، قال : صفيه يا أم معبد قالت :

« رأيت رجلا ظاهر الوضاءة (١) ، متبلج الوجه (٢) ، في أشفاره وطف (٣) وفي عينيه دعج (٤) ، وفي صوته صحل (٥) ، لا تشنؤه من طول (٦) ، ولا تقتحمه من قصر (٧) لم تعبه نجلة (٨) ، ولم تزر به صعلة (٩) ، كأن عنقه ابريق فضة ، اذا نطق فعليه البهاء (١٠) ، واذا صمت فعليه الوقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزين أصحابه منظرا ، وأحسنهم وجها ، أصحابه يحفون به ، اذا آمر ابتدروا أمره واذا نهى انتهوا عند نهيه •

فلما سمع أبو معبد هذا الوصف قال : هذه والله صفة صاحب قريش ، ولو رأيته لاتبعته ولاجتهدن أن أفعل ، وفي كلام ابن الجوزى أن « أم معبد » هاجرت



وأسلمت هي وزوجها وأخوها حبيش بن الاصفر الذى استشهد يوم الفتح •

«(١)» بادى النور ينبعث من وجهه
«(٢)» أى يشرق من وجهه النور
«(٣)» في اهدابه طول
«(٤)» شدة بياض البياض، وشدة سواد السواد .
«(٥)» بحة
«(٦)» لا تبغضه لفرط طوله
«(٧)» لا تحتقره لقصره
«(٨)» عظم البطن وقصره
«(٩)» صغر الراس
«(١٠)» اى لازمه الحسن والظرف

الفكر الإسلامي في مواجهة مشاكل القرن العشرين



المبادرات الخلاقة لمحمد ﷺ

عبد العزيز بن عبد الله

● ان الموضوع الذى اخترنا اليوم شرح ابعاده والقاء الاضواء الكشافة على معطياته ، لهو موضوع من اخطر ما يواجهه الاسلام المعاصر فى ظفرته العارمة .. وان الروح الصليبية التى اتسمت فى كل مرحلة من مراحل الصراع بين الاسلام وخصومه ـ بمظهر خاص ـ لتكرس اليوم جهدها الهدام وارصدتها الاستئصالية لتكتيل الايديولوجيات وقوى التشكيك ضد مقدساتنا ، كما تعبىء رجالات الفكر في شتى المجالى والمجالات لاثارة الشبهات وترويج المغريات والعمل الدائب لوصم الفكر الاسلامى بالتحجر والجمود ، وصرف الشباب عن تراثنا الانسانى الرصين ، وخلق البلبلة والشعور بالعقد والمركبات فى نفوس ابنائنا الذين لم يتسلحوا بالاداة الكاملة الفعالة لمواجهة هذا التيار الجارف ..

ولن آتي بجديد اذا قلت ان الحلول للمشاكل والشبهات الموجهة ضد الاسلام تكمن في معطيات الاسلام المرنة نفسها

تلك المعطيات التي تستجيب لمقتضيات كل عصر ومصر ، والتي ما زالت تدهش العالم بما تنطوى عليه نصوصها من مقدرات وامكانات .

ولا شك أن الاسلام فى مبادئه السمحة وايمان رجالاته بقدسيته هو دين العلم والمنطق وهو الدين الذى لم يتقاعس يوما عن مجابهة كل تيار بهدوء ورصانة العالم الموقن بمثالية ماأدت اليه المنهجية الحديثة من نتاج يستمد قوته من ذلك الطابع التجريبى التقنى الانسانى الذى لا دخل فيه لعاطفة رعناء ، ولا لعقل طائش ، ولا لفكر غير سليم ، ولا لتسرعات عابثة او تعميمات خاطئة . فالاسلام هو الذى علم الانسانية الارتكاز على تجربة العلم

للوصول الى اليقين قبل أن يظهر (روجي بيكون) الذي نستبين من أطوار حياته ودراساته انه استمد منهجيته من نتاج علماء الاسلام •

ان منهجيتنا فى البحث تهدف الى المقارنة والتنظير بين تجربة القرن العشرين ومعطيات الفكر الاسلامي ، مركزين خاصة على أقوال الرسول التى أجمع العلماء على صحتها •

ان الاسلام يواجه اليوم تيارات عنيفة لا يمكن تجاوزها والتغلب عليها الا بالرجوع الى أصالة الاسلام وبساطة فكره الخلاق أى العودة الى السلفية الحق من خلال الكتاب والسنة • لقد قال الفيلسوف برنارد شو : « لو كان محمد حيا اليوم لحل مشاكل عصرنا وهو يشرب فنجان قهوة » •

نعم ان رسول الاسلام قد خرق بفكره الثاقب المعزز بالوحي غياهب الحضارات، وحرر أبعاد الفكر البشرى ليستشف فى بساطة ممتنعة الحلول المثلى لمشاكل الانسانية في مختلف الاعصار والامصار•

لقد شملت نظراته الكاشفة شتى تطورات الانسان فى معالجات فكرية واقتصادية واجتماعية يندهش الفكر العلمي الناقد اليوم لمدى انطباقها على معطيات انبعاثه المتجددة ، وتحديات هذا الانبعاث •

وسوف نستعرض نماذج من هذه البادرات انطلاقا من نصوص الاحاديث الصحيحة التي أوصلها الامام أحمد بن حنبل الى المليون اى الف الف بلغة ذلك العصر ، ولكي نقدر رواة الحديث لم يحتفظ منها بأكثر من خمسة آلاف هي قصارى ما ورد فى الصحاح كالموطا والبخارى ومسلم وبعض السنن والمسانيد، فاذا رجعنا الى الاصول المنتقاة متتبعين سلسلة الاسانيد التى تعتبر أحد مفاخر الفكر العلمي الاسلامى ـ لما انطوت عليه من تدقيقات وتحريات ـ أمكننا أن نستخلص في وضوح جملة من الافكار الاسلامية التى دعم بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هيكل الاسلام في مقوماته الجوهرية •

فلنبدأ بالجانب الاجتماعي فى آراء ونظريات الرسول عليه الصلاة والسلام ،

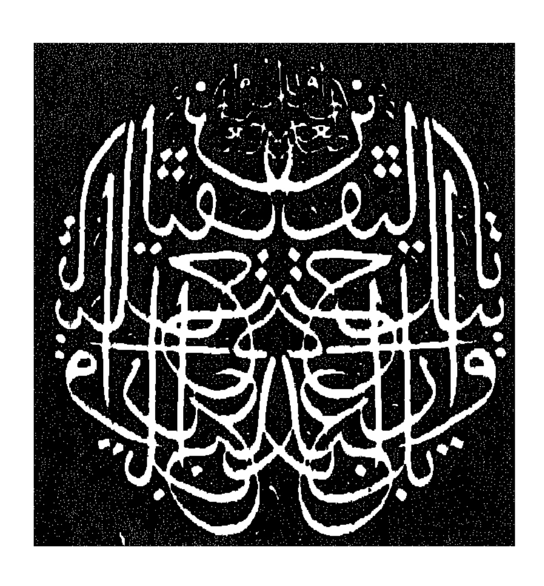
فقد بلغت الاحاديث ذات الطابع الاجتماعي حسب احصاء قمت به شخصيا ، نحو أربعة أخماس المجموع ، وضعت كلها حلولا رصينة لقضايا المجتمع •

ويشكل هذا المجموع ما يمكن أن نسميه تجوزا ايديولوجية نوازن بها الايديولوجيات الحديثة التي ينجذب اليها

كثير من شبابنا ،ومن هذه الايديولوجيات مذهب الماركسية الذى تواجهه في الاسلام

فكرة العدالة الاجتماعية والتعادلية الاقتصادية ، فاذا اعتبرنا ان الماركسية

ترتكز على ثلاث دعامات اساسية هي الحد الحيوى الادني والتسوية الطبقية ، واعتبار العمل بمثابة راس المال الحقيقى طبقا لمبدأ أن : « العمل هو



راس المال» لكارل ماركس ، وجدنا الفكرة الاسلامية ملخصة في ثلاثة احاديث شريفة هي قوله عليه الصلاة والسلام :

١ ـ ان في المال لحقا سوى الزكاة (وهذا منطلق مشروع لتحقيق نوع من التسوية بين طبقات الامة) •

٢ ـ انا خصيم من لم يؤد اجرة الاجير قبل ان يجف عرقه •

٣ ـ من أكل اجرة الاجير حبط عمله ستين عاما •

وقد أفرد ابن خلدون في مقدمته فصلا عنوانه « الكسب رأس المال » حلل فيه هذه الفكرة قبل الزعيم الشيوعى كارل ماركس بعدة قرون ••• وقد ألفيت

محاضرة فى الموضوع فى قلب موسكو بدعوة من أكاديمية العلوم ٠

وسئلت عائشة عما كان يفعله الرسول فى بيته فقالت فى جواب انسانى رائع : « لقد كان بشرا كالبشر » وهذا هو سر عبقرية الرسول لانه عرف كيف يوفق بين جوانب الحياة ، وقد اعتبر عليه الصلاة والسلام مصلحة المجتمع العليا هى أسس الفكر الاسلامى ، ومن ذلك اعتبر الامام مالك مبدأ « المصالح المرسلة » وتحكيم العادات ٠كما اعتبر الرسول الحرية الحق هى التى لا تسطو فيها حرية على حرية ، وان ضابط السمو الروحى كامن فى عدم المساس بحقوق الغير وكرامة الغير ، وان المؤمن الحق لا يكذب الا فى اصلاح ذات البين ، وان من محبطات أعمال المؤمن اغتياب أخيه الانسان وقذف المرأة المحصنة ٠٠٠ وقد دخلت يهودية قصيرة القد على الرسول وعنده زوجته عائشة فتبسمت هذه استخفافا فغضب عليه الصلاة والسلام وقال : « يا عائشة ، لقد نطقت بكلمة لو مزجت بماء البحر لمازجته»

وقد خول رسول الاسلام المرأة نصف ميراث الرجل معترفا لها بحق الاحتفاظ بمالها ومشاركة زوجها فى ماله بحكم النفقة المحتمة ، فكانت هى الرابحة ٠٠٠ كما حذر الرسول من الطلاق المشروع بقوله : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » ملاحظا مع ذلك أن فصم عرى الزوجية ليس بالامر الهين وان «لا طلاق فى اغلاق» وكأنه حل بهذه المرونة مايواجه الانسانية اليوم من مضايقات !

وقد فضل الرسول تعدد الزوجات مع التشدد فى لزوم العدل « **ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم** »

وهنا نوه كل من ويستر مارك الخبير الاوروبى فى شئون الزواج ، والزعيم الاشتراكى ليون بلوم بالتشريع الاسلامى حيث فضلا هذا النظام على عادة اتخاذ الخليلات التى تقوض الاسرة الاوروبية ، على أن نظام الاقتصاد القبلى فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتطلب هذا التعدد الذى قصره القرآن على أربع نسوة بدلا من عشر فأزيد ، ومن جهة أخرى وجد الرسول مجتمع عصره غارقا فى خضم الاسترقاق فوضع جملة من الكفارات ، لتشجيع العتق جاعلا حدا نهائيا للاستعباد خارج الجهاد المشروع ، وقد شرح ذلك سيدنا عمر بن الخطاب حيث قال مستنكرا «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » ٠

وقد وضع الرسول خطة رصينة للتخطيط العائلى ٠

تتلخص فى الحرية الواعية فاباح العزل مع الدعوة الى الانجاب فى حدود المسئولية ، وكان عليه السلام يخاطب مائة ألف صحابى فقط وهو عدد المسلمين فى عصره ، عندما قال « تكاثروا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة » ٠

ومما يصل أيضا بالوضع الاقتصادى والاجتماعى فى الامة ، ضمان مستوى ثقافى تنمحى معه الامية تدريجيا ٠

وكان الرسول عليه السلام سباقا الى المرونة فى الدين حيث دعا الى الرفق بالمرأة « رفقا بالقوارير » وسمح لعائشة وأم سلمة ـ كما فى صحيح مسلم ـ بحثى ثلاث حثيات على ضفيريهما فى الوضوء الاكبر دون فكهما ، مستجيبا بذلك الى رغبة عارمة عند المرأة العصرية التى تريد الحفاظ على دينها دون أن تحرم نفسها من تزيينات الشعر الحديثة ٠

وقد جعل الرسول من المرأة ربة البيت والاميرة على شئونه،ولولا عاطفتهاورقة شعورها لأسند اليها الحكم فى منصة القضاء ،وقد أحاطها عليه السلام بعطفه فدللها بما لم تحلم المرأة المعاصرة بالتمتع به حيث أناط بها اختيار شريك حياتها مع أخذ حقها المالى كاملا ، فى حين أن المرأة الغربية مازالت ترزح فى القرن العشرين تحت ثقل نظام الشراكة الزوجية الذى يخول للزوج السيطرة المطلقة على مال زوجته وقد سمح القانون الفرنسي مؤخرا فى عهد الجنرال ديجول بقسط يسير

جدا من هذه الحقوق التى متع الرسول بها المرأة المسلمة منذ أربعة عشر قرنا ، وقد صنفت فى ذلك كتابا باللغة الفرنسية عنوانه : « أضواء على الاسلام أو الاسلام فى ينابيعه » .

وهكذا صدر سيدنا محمد عليه السلام فى سنته عن مبدأ اليسر حيث قال « ان هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه » وقال : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » .

ولا نقصد فى حديثنا هذا الا الآراء المستخلصة من أحاديث الرسول عليه السلام حيث ضربنا صفحا عما ورد فى القرآن من آيات سبقت الكشوف العلمية بأزيد من عشرة قرون وقد أصدرت مطابع (سيفرت) بباريس عام ١٩٧٦ كتابا لموريس بوكاى بعنوان :

« التوراة والقرآن والعلم » أكد فيه انه لم يرد قط فى القرآن ما يخالف العلم ويتنافى مع معطياته .

وقد عزز الرسول التعادلية الاقتصادية بنظام الزكاة الذى يقتطع من الغنى ربع عشر ماله ، لفائدة الفقير دون أن يؤدى

الامر بهذا الفقير الى تكاسل عن الكسب لان الكسب عبادة ، ولان الكد على العيال من آكد القربات ، وقد قال عليه السلام : لان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير

من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » وقال : « اليد العليا (أى المعطية) خير من اليد السفلى (أى الاخذة) » .

واعتبر الرسول من الاصناف الثمانية الذين لهم حق التمتع بالزكاة الفقير الذى عنده قوت سنة كاملة لان الرسول أراد أن يوفر للمواطن كل مقومات الحياة الوديعة الرغيدة بالاضافة الى القوت اليومى ، حتى يمكنه من اللباس الطيب ومن تربية أبنائه والسهر على صحتهم والحفاظ على كرامة

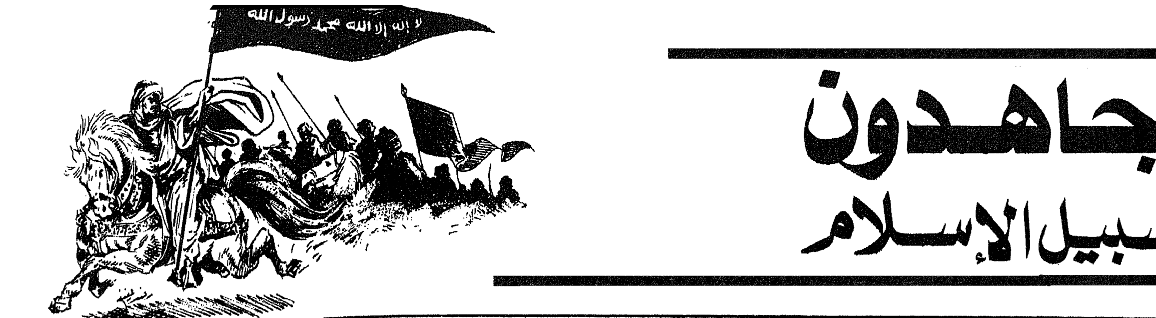
الاسرة كنواة طيبة للمجتمع الفاضل ، ذلك المجتمع الذى لا يكفى فى استكمال توازنه مجرد القيام بشعائر الدين من صلاة وصيام ، بل ان هذه الشعائر لن تؤتى أكلها حقا الا اذا قرنت بالتعاطف والتعاضد وتبادل الاحترام لحقوق

المواطن ، ولذلك اعتبر الرسول من محبطات الاعمال كل ما يخل بكرامة المواطن فضلا عن المساس بحق من حقوقه وقد دعا الرسول عليه الصلاة والسلام الى ما فى الاية الشريفة : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » جاعلا من المستثنيات عدم قبول التوبة ما لم يتم رد المظالم الى أصحابها اذ فى ذلك وحده كفالة توازن المجتمع .

على أن تشريع سيدنا محمد هو أصل مرونة نابليون التى مازالت قاعدة التقنين والتنظيم بفرنسا وما سبح فى فلكها ، وقد انعقد مؤتمر دولى للقانون عام ١٩٥١ أجمع على الاعتراف بأن الفقه الاسلامى هو فقه عالمى يصلح لان يكون تشريعا للانسانية جمعاء بما حواه من عناصر استكملت مختلف أوجه النظر فى المجالات الحضارية والاقتصادية والمعاملات .

وقد حل الرسول عليه السلام الكثير من المشاكل الفكرية التى تخبط فيها رجال الفكر منذ أعرق العصور ومازالوا يحاولون الكشف عن أسرارها ، وقد وهم بعض الفلاسفة حتى المسلمين ممن تأثر بالمدرسة الاغريقية عندما وسعوا دائرة العقل أكثر من اللازم ، فزعم ابن طفيل الاندلسى المغربى فى رسالة « حى بن يقظان » وابن سينا المشرقى فى « رسالة الطير » ودوفو الاوروبى فى قصة روبنسن كروزو أن الطفل الذى تربى فريدا وحيدا فى الغابة دون ملامسة البشر يمكنه بمجرد التفكير أن يحقق وجود الله ، ولكنهم لم يدركوا ما أدركه الغزالى انطلاقا من أحاديث الرسول — ان النفس والروح والقلب والعقل مدارك لطيفة ربانية واحدة من جملة أدواتها الالهام الذى به خططت النحلة منهج حياتها وهيكل حليتها بصورة غير قابلة للخطأ .

تلك فذلكة مقتضبة لم نستهدف من خلالها سوى لمسات عابرة لحقائق لا يمكن استيفاؤها فى عرض موجز ، غير اننى أفسح المجال للقراء الكرام لالقاء ما يعرض لهم من أسئلة تستكمل بالاجابة عنها ما لم نتمكن من تفصيل القول فيه .



مجاهدون في سبيل الإسلام

نماذج بطولات مكافحة من السيرة النبوية

د . احمد الشرباصى

● حينما اشرقت شمس الاسلام ، وبدأ الدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام واخذ الصراع طريقه بين كتائب الرحمن واتباع الشيطان ، لم يكن طريق المسلمين الاوائل مفروشا بالورود والرياحين ، ولم يكن هناك صك مضمون بالنصر الدائم ، او الغلبة المستمرة ، بل جاهد المسلمون الاوائل وناضلوا ، وتحملوا ما تحملوا في سبيل دعوتهم وعقيدتهم ، واصابتهم جراحات وويلات ، ومات منهم شهداء وشهداء ، وهكذا اصحاب العقائد والمبادىء ، فان المجاهد الصادق المؤمن يضع نفسه وحسه « تحت الطلب » لخدمة عقيدته ومبدئه ، فهو مستعد دائما لحمل التبعات ومواجهة الازمات ، وهو يقذف بروحه في اتون المعركة بلا خوف من سطوة عدو ، او مكر مخادع ، او خيانة لئيم ، فالله الكبير موجود ، والحق ظاهر واضح ، والنهاية بفضل الله مضمونة مامونة ، فاما عزة بنصر ، واما نعيم بشهادة ، والله ولى الصابرين .

لقد تعرض اصحاب رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام لاشد الوان المكر والغدر والخديعة فما ضعفوا وما استكانوا ، بل استخفوا بالشدائد واستهانوا ، واحسنوا اعدادهم واستعدادهم وادوا واجباتهم بقدر طاقاتهم ، والنتائج بعد هذا بيد خالقهم وبارئهم ، لا يغرهم النصر ان سعى اليهم ، ولا تيئسهم الهزيمة ان مرت بهم ، فامرهم اما عزة بنصر ، واما نعيم بشهادة والله ولى الصابرين .

ومن الايام العصيبة في تاريخ المسلمين الاوائل « يوم الرجيع » ، وما ادراك ما يوم الرجيع ، وقد كان هذا اليوم العصيب في شهر صفر ، على راس ستة وثلاثين شهرا من هجرة سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وجاء بعدها يوم عصيب آخر ، وهو يوم « بئر معونة » ، الذى كان في صفر ايضا على راس اربعة اشهر من غزوة أحد . فنحن نرى في اليوم العصيب الاول رهطا من قبيلتى عضل والقارة ، يضربون مثلا خسيسا في الخيانة والغدر ، حيث لبسوا مسوح الوداعة والمسالمة ، وسعوا الي رسول الله يطلبون منه ان يرسل اليهم من يفقههم في الدين ، ويعلمهم القرآن الكريم ، وشرائع القرآن العظيم ، فاستجاب الرسول لهم وارسل اليهم من صحابته ستة نفر ، في آخر ثلاث من الهجرة ، وتذكر اغلب المصادر انهم كانوا ستة ، وفي بعض المصادر انهم كانوا عشرة ، ويذكر ياقوت الحموى في معجم البلدان أن عددهم سبعة ، اورد أسماء ثلاثة منهم ، ثم اورد خمسة ابيات لحسان في رثائهم ، ولم يذكر حسان الا خمسة أسماء ، مع ان ياقوت يقول ان الشاعر قد ذكر في ابياته أصحاب يوم الرجيع جميعهم في هذه الابيات ، وليس ذلك الخلاف امرا ذا بال في الموضوع ، وانما المهم هو ان هؤلاء الصحابة حينما بلغوا مكانا يسمى الرجيع ، وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على بعد ثمانية أميال من عسفان ، وجعلوا الصحابى عاصم ابن ثابت أميرا عليهم ، وبينما هم في طريقهم تبعهم ما يقرب من مائة من المشركين الأعداء من قبيلة هذيل ، وهاجموهم خيانة وغدرا ، واعملوا فيهم سيوفهم وحرابهم ، ولم يفدهم ان اعتصموا برابية مشرفة ، لان الخونة قالوا لهم : لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا الا نقتل منكم احدا ، وانخدع بعض الرفاق بهذا الكلام وكانت النتيجة أن أعملوا فيهم الحسام ، حتى قتلوا اكثرهم واستولوا على الباقين أسرى .

ومن الخير أن نتعرف الى هؤلاء المجاهدين . فمنهم شهيد الرجيع الصحابى العابد مرثد ابن أبى مرثد الغنوى الذى آخى الرسول بينه وبين أوس بن الصامت الانصارى وكان شاعرا اسلاميا مجيدا ، وكان مرثد من أمراء السرايا ، وأبطال الوفاء والفداء في صدر الاسلام ، وقد شهد غزوة بدر وغزوة أحد ، وكان يقوم بمهمة فدائية لها شأنها ، فقد كان قوى البدن صلب العضلات ، فكان يذهب الى مكة سرا بعد الهجرة ويحمل الاسرى المسلمين الضعاف ليلا ويعود بهم الى المدينة .

وفى يوم الرجيع رفض مرثد أن يصدق عهد المشركين ووعدهم ، ولما قامت المعركة الشرسة لم تكن متعادلة ولا متكافئة ، وظل البطل مرثد يناضل ويناضل ، حتى سقط شهيدا في ساحة المعركة ، كما استشهد معه اخوان احدهما هو البطل الاسلامى الجليل عاصم بن ثابت . ومن أبطال يوم الرجيع خالد بن البكير الليثى الكنانى ، وقد شهد غزوة بدر ، وسبق أن بعثه النبى مع عبد الله بن جحش الى عير قريش قبل غزوة بدر ، في رهط من المهاجرين فقتلوا عمرو بن الحضرمى وفيهم انزل الله تعالى قوله في سورة البقرة : « **يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل** » .
وقد نال خالد نعمة الشهادة في معركة يوم الرجيع ، وكان عمره أربعا وثلاثين سنة .

ومن أبطال يوم الرجيع خبيب بن عدي الشهيد المصلوب ، وكان رجلا كثير العبادة والصيام والقيام ، وقد آخى الرسول بينه وبين عمير بن ابى وقاص الصحابى البدرى الشهيد . وقد حضر خبيب غزوة بدر ، وقتل فيها الحارث بن عامر ، فحرص أبناء الحارث على ان يشتروا خبيبا ممن أسروه يوم الرجيع ليقتلوه ثارا لابيهم ، وحبسوه في مكة مدة من الزمن ، واحس خبيب أن القوم سيقتلونه لا محالة فطلب من ابنة الحارث التى كان يوجد في بيتها أسيرا ـ طلب منها شفرة ليتطهر بها استعدادا للموت فارسلت اليه المراة ما اراد بطريق ابن لها ، فاجلس خبيب الطفل على فخذه ، واخذ يداعبه في رفق ، ورات ام الولد هذا المنظر ففزعت ، حيث ظنت ان خبيبا قد يقتل الطفل انتقاما لنفسه ، وادرك خبيب ما دار بذهن المراة فقال لها : اتخشين ان اقتله ؟ ما كنت لافعل هذا .

ولذلك كانت هذه المراة تقول فيما بعد : ما رايت اسيرا خيرا من خبيب . ويروى ان هذه المراة قد أسلمت وقالت : كان خبيب قد حبس في بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما ، وان في يده لقطفا من عنب مثل راس الرجل ياكل منه ، وما اعلم في أرض الله عنبا يؤكل ، وقال لى حين حضره القتل : ابعثى الى بحديدة (شفرة) اتطهر بها للقتل ، فاعطيت غلاما من الحى الموسى فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل ،

فوالله ما هو الا أن قد ولى الغلام بها اليه ، فقلت : ما صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثاره ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل • فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ، ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرني حتى بعثتك بهذه الحديدة ؟•• ثم أخلى سبيله •

ومضى المجرمون فى تنفيذ جريمتهم ، خرجوا بخبيب الى ظاهر مكة فى مكان يسمى «التنعيم» ونصبوا صليبا ضخما عاليا ليقتلوا خبيبا عليه ، وهنا قال لهم المجاهد الصابر المؤمن خبيب : دعونى أركع ركعتين ، فأذنوا له بذلك فصلاهما ثم قال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت • ومن يومها صارت مثل هذه الصلاة سنة ، لأنها فعلت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعترض عليها • ثم دعا زيد عليهم فى جراة وشجاعة فقال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولم تغادر منهم أحدا •

وتكاثر اللئام على المناضل الوحيد ، وأوثقوا ربطه على الصليب الضخم ، وأخذوا يتطلعون اليه كأنهم يتشفون فيه ، ويتلذذون بمنظر تعذيبه ولكنه لم يبال بهم ، ولم يضعف أمامهم •

وعجب المشركون منثبات خبيب واطمئنانه ، فحسبوا أنهم ان عرضوا عليه العفو والخلاص، فى مقابل أن يذم الرسول أو يتنكر للدعوة فانه سيستجيب ، لأن حب الحياة فى الانسان قوى عميق ، ولقد يبلغ الانسان أرذل العمر ، حتى لا يستطيع أن ينهض لضعفه ، ومع ذلك يتشبث بالحياة ، ونسى هؤلاء أن خبيبا من قوم علمتهم عقيدتهم أن يحبوا الموت أكثر من الحياة ، وأن يعرضوا عما فى الدنيا ايثارا لما عند الله • أقبل عليه أحدهم وهو مربوط على الصليب وقال له : أيسرك يا خبيب أن محمدا عندنا تضرب عنقه ، وأنك سالم فى أهلك ؟ فقال فى عزم وتصميم : والله ما يسرنى انى سالم فى أهلى ، وأن يصيب محمدا شوكة تؤذيه •

ثم رفع خبيب رأسه الى السماء وناجى ربه : اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك • اللهم انى لا أجد الى رسولك رسولا غيرك ، فابلغه منى السلام ، وبلغه الغداة ما يصنع بنا •

ونفد صبر هؤلاء المجرمين أمام ثبات خبيب وسكينة قلبه بفضل ايمانه ، فأرادوا أن يسرفوا اسراف اللئام السفهاء فى الانتقام ، فأحاطوا خبيبا بعشرات منهم ، وفى أيديهم السهام والرماح والسيوف ، ثم اندفعوا بجملتهم يرمونه ويطعنونه ويضربونه من كل جانب حتى أسلم آخر أنفاسه ، وكأن هذه الأنفاس لفح من فيح جهنم يعصف بهؤلاء المجرمين يوم لقاءالله عز وجل •

ومن أبطال يوم الرجيع الصحابى المجاهد الشهيد أبو سليمان عاصم بن ثابت الأنصارى المسارع بالاستجابة الى الله عز وجل ، وقد آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين البطل الشهيد عبد الله بن جحش الأسدى الذى تمنى الشهادة فى سبيل الله ، وتمنى أن يمزق الأعداء جسمه ليكون ذلك شهادة له عند ربه ، وتحقق له ما أراد ، وشبيه الشىء منجذب اليه ، والأبطال أنداد الأبطال • وقد شهد عاصم غزوة بدر الكبرى ، ثم شارك فى غزوة أحد ، وصرع فيها من صرع من طواغيتالكفر وزبانية الشرك وكان منهم أخوان لامرأة تسمى سلافة بنت سعد ، فحلفت أنها ان قدرت على رأس عاصم بعد قتله لتشربن فى جمجمته خمرا • وتألق عاصم فى صراع يوم الرجيع ، فأخذ يرمى أعداءه بنباله حتى انتهت ، فأخذ يطاعنهم برمحه حتى تكسر ، فاستل سيفه وهو آخر سلاح معه ، وأخذ يضرب به فيهم وكأنما أحس بنور الله فى صدره أن شهادته قد اقتربت ، وقد بذل كل جهده وكان قد عاهد ربه ألا يمس مشركا ، ولا يمسه مشرك أبدا فى حياته ، فقال يدعو ربه : اللهم انى حميت دينك صدر النهار ، فاحم لحمى آخره • واستمر يناضل حتى نال الشهادة •

وأراد الأعداء الأخساء أن يمثلوا بجثته وأنيحملوا رأسه الى « سلافة » لتشتريه منهم، ولكنهم حينما أرادوا فعل ذلك وجدوا أسرابا من النحل والزنابير قد غطت جثته ، فقالوا : ننتظر حتى يأتى الليل ، ويتركه النحل ، فنأتى لنفعل ما نريد • ولكن الله جل جلاله أرسل سيلا جارفا ، فحمل البطل الشهيد الى حيث شاء علام الغيوب •

وقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرم ذكر عاصم واخوانه ، فخرج مع مجموعة من صحابته وذهب الى مكان استشهاد هؤلاء ، وترحم عليهم ، ودعا لهم بالمغفرة والرضوان •

ثم يأتى اليوم العصيب الآخر وهو يوم « بئر معونة » لينهض شاهدا آخر على أن طريق المسلمين الأوائل فى الكفاح والنضال لم يكن طريقا مفروشا بالورود والرياحين • بل كان طريقا محفوفا بالأهوال والمصاعب ، ولم يتلقوا من ربهم تبارك وتعالى قرارا أبديا بأنهم منصورون دائما ، أو أنه قد ضمن لهم الغلبة على أعدائهم دون عمل أو مجهود ، بل قال لهم : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ، وقال لهم : « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس » •

وبئر معونة هى بئر بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب الا أنها الى حرة بنى سليم أقرب ، وهى ماء لبنى عامر بن صعصعة ، وعندها كانت أيضا معركة الرجيع • ومعركة بئر معونة كانت فى صفر من السنة الرابعة وهى أيضا تدل على غدر



المشركين واحتمال المسلمين ، وكـــانت بعض القبائل وهى رعل وذكوان وعصية قد استعانت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث اليها من أصحابه سبعين رجـــلا من الأنصـــار ، يسمون القراء وكانوا يحتطبون بالنهار لأنهم فقراء ، ويصلون بالليـــل ، والتقى المشركون بهؤلاء القراء عند بئر معونة فغـــدروا بهم وهاجموهم · ومن أبرز هؤلاء الصحابى الجليل المجاهد المنذر بن عمرو الساعدى ، من الانصار السـابقين الى الاسلام ، فبايع النبى بيعـــة العقبة الثالثة وكان أحد النقباء الاثنى عشر ، وهو الذى تعلق بخطام ناقة النبى عند الهجرة يرجو منه أن ينـــزل فى ضيافته فكان النبى يقول : دعوا الناقة فانها مأمورة · واشترك المنذر فى غزوة بدر ، حيث ظهر فيها اخلاصه لله تعالى ، وكان المنـــذر يقال له : « المعنق ليموت » أى المسرع الى طلب الشهادة والموت فى سبيل الله · وكان المنذر حينئذ فتى قويا جلدا ، وكان اذا أدى واجب الميدان يجتمـــع بكوكبة من شباب الاســـلام ، وينتحون ناحية ويأخذون فى قراءة القرآن والاستماع اليه ، ثم يصلون من الليل ما استطاعوا حتى اذا دنا الصبح جمعوا من الحطب ما قدروا ، ثم وضعوا ذلك على أبواب حجرات النبى صلى الله عليه وسلم ، فهم مجاهدون من أهل الفداء وهم عباد أتقياء ، وهم أهل الصنع الجميل ·

واذا كان المنذر بن عمرو قد جعله الرسول أميرا وقائدا لهذه السرية ، فان من ابطـــالها عامر بن فهيرة المجاهد الشهيد دفين الملائكة ، وفهيرة هى أمه ، وكان عبـــدا مملوكا فى أول أمره ، واشتراه أبو بكر وأعتقه ، وقـــد شهد عامر غزوة بدر وأبلى فيها بلاء حسنا ، وشهد غزوة أحد واحتمل فيها احتمالا مشكورا وقـــد ذاق نعمة الشهادة يوم بئر معونة ، ولما أصابه قاتله قال عامر : الله أكبر فزت ورب الكعبة ·

وسأل قاتله ــ واسمه جبار الكلابى ــ : لماذا قال : الله أكبر ، وأين الفوز الذى فاز به ؟ ألم يذق الموت ويذهب الى التراب ؟· وقيل للقاتل السائل : ان عامرا يقصد أن الله قـــد اكرمه بالشهادة ، وأنه سيفوز بنعيم الجنة فى الآخرة

وأدى هذا الموقف الجليل النورانى الى أن شرح الله صدر « جبار » للاسلام ، فاهتـــدى وأعلن اسلامه ·

وقـــد جـاء الامام الزهـــرى فقـــال : بلغنى أنهـــم التمســـوا جســـد عـــامر بن فهيرة فلم يقـــدروا عليـــه (لم يعثروا عليه) فيرون أن جسده طـــار فى الســـماء ودفنتـــه الملائكة ·

هذا ولقد ظل رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقنت شهرا ، ويدعـــو عـــلى أعـــداء الله الذين قتلوا شـــهداء بئر معونة ، ويروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وجـــد (غضب وحزن) على أحـــد مـــا وجـــد على أصـــحاب بئر معـــونة ·

محمد في أيامه الأخيرة

د. مصطفى الديواني

● شرفنى الله بزيارة قبر الرسول مرات عديدة ، وكنت كلما جلست فى مكانى المفضل ـ عند ركن الاغوات ـ احملق فيما وراء الاسوار المذهبة التى تحيط بالقبر الطاهر ، اتخيل الاحداث التى سبقت موته ، صلى الله عليه وسلم . اذ خرج ـ وقد اشتدت به العلة ـ يمشى بين رجلين من اهله ، هما: « الفضل بن العباس » و « على بن أبى طالب » عاصبا رأسه ، حتى دخل بيت عائشة ، ثم أصابته غمرة المرض ، واشتد به وجعه فقال : « اهرقوا على سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج الى الناس ، فأعهد اليهم » .

تقول عائشة ، رضي الله عنهـا : « فاقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : « حسبكم ، حسبكم » ... ثم خرج صلى الله عليه وسلم عاصبا راسه ، حتى جلس على المنبر ، ثم صلى على اصحاب « احد » ، واستغفر لهم ، واكثر الصلاة عليهم . ثم قال : « ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ما عند الله » . ففهمها أبو بكر ، وعرف ان نفسه يريد ، فبكى ، وقال : « بل نحن نفديك بانفسنا وأبنائنا » .

وتستطرد عائشة قائلة : « ولما ثقل المرض على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عاد اسامة بن زياد ، وكان على راس الجيش عند الجرف ، على بعد فرسخ من المدينة ... ودخل على النبى وقد أصمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده الى السماء ثم يضمها على أسامة ، وكأنه يدعو له ، ثم قال عليه الصلاة

والســــلام : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ! ... فقالت عائشة رضى الله عنها : « يانبى الله ، ان أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت ، كثيـر البكاء ، اذا قرأ القرآن » .. فكرر صلى الله عليه وسلم قوله : « مروه فليصـل بالناس ! » ...

« ولما كان يوم الاثنين ، الذى قبض الله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج النبى الى النـــاس وهم يصلون الصبح . فرفع الستر ، وفتح الباب ، وقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم حين راوه فرحا به . فاشار اليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسم صلى الله عليه وسلم سرورا لما راى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رايته احسن هيئة منه تلك الساعة ... ثم رجع ، وانصرف الناس وهم يرون انه قد برىء من وجعه . فرجع ابو بكر الى اهله بالسنح » .

وتقول عائشة : « رجع الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى ذلك اليوم ، وحين دخل من المســـجد ، واضطجع فى حجرى ، دخـــل على رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر ، فنظر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نظرة عرفت منها أنه يريده ، فقلت : يا رسول الله ، اتحب أن اعطيك هــذا السواك ؟ . فقال : نعم . فاخذته فمضغته له حتى لينته ، ثم أعطيته اياه ، فاستن به كاشد ما رايته يستن ، ثم وضعه . فوجدت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يثقل فى حجرى ، فذهبت انظر وجهه ، فاذا بصره قد شخص ، وهــو يقولُ : « بل الرفيق الأعلى » فقلت : « خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق » .

قالت : « وقبض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين سحرى ونحرى ، فوضعت راسه على وســادة ، وقمت أبكى مع النساء » .

ولما توفى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قام عمر بن الخطاب ، فقال : « أن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد توفى ... الا ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران عن قومه ٤٠ ليلة ، ثم رجع اليهم بعد ان قيلَ قد مات ، والله ليرجعن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما رجع موسى . فليقطعن ايدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات » .

واقبل ابو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت الى شىء حتى دخل على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو فى بيت عائشة مسجى فى ناحية من البيت ، وعليه بردة وحبرة . فاقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم اقبل عليه يقبله ، ويقـــول : « بابى انت وامى !.. اما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة ابدا » . ثم رد البردة على وجه رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وخرج وعمر يكلم الناس ، فقال : « على رسلك يا عمر ، انصت ! .. » فابى عمر الا ان يتكلم ، فلما رآه ابو بكر لا ينصت ، اقبل على الناس ، فحمد الله واثنى عليــه ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان يعبــد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كــان يعبد الله فان الله حى لا يموت » . ثم تلا الآية الكريمة : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا،وسيجزى الله الشاكرين » .

فوالله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآيات نزلت ، حتى تلاها ابو بــكر يومئذ .

قال عمر : « والله ما هو الا ان سمعت ابا بــكر تلاها ، فعقرت (اى، دهشت) حتى وقعت الى الارض ما تحملني رجلاى ، وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات » .

***

ولما قبض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انحاز هــذا الحى من الانصار الى سعد بن عبادة فى سـقيفة بنى ساعدة : واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين الى أبى بكر ، وانحاز معهم اسيد بن حضير فى بنى الأشهل ، فاتى آت الى أبى بكر وعمر ، فقال : « ان هذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى

ساعدة قد انحازوا اليه ، فان كان لكم بأمر النـاس حاجة فأدركوهم قبل أن يتفاقم امرهم » ... هذا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ فى بيته لم يفرغوا من امره ، قد أغلق دونه الباب أهله : قال عمر : « فقلت لأبى بكر : انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه » .

فلما بويع ابو بكر ، رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الثلاثاء . ثم أن عليا بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقثـم ابن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم الذين تولوا غسله ، وجاء « اوس ابن حولى » ـ أحد أهل بدر ـ فدخـل ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقد أسنده «على» الى صـدره ، بينما « العبـاس » و « الفضـل » و « قثم » يقلبونه معه ، و « أسامة بن زيد » و « شقران » مولاه يصبان الماء على قميصه ، و « على » يدلكه به ، ويقول : « بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيا وميتا » .

وكانوا حينما ارادوا غسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اختلفوا فيه . فقالوا : « والله ما ندرى ، انجرد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ثيابه كما نجرد موتانا ، او نغسـله وعليه ثيابه ؟ .. »

فلما اختلفوا ، ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل الا ذقنه فى صدره . ثم كلمهم متكلم من ناحيـة البيت ، لا يدرون من هو : أن اغسـلوا النبى وعليه ثيابه . فقاموا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

***

فلما فرغ من غسل رسول الله ، صلى الله عليه وسـلم ، كفن فى ثلاثة أثواب : ثوبين صحاريين (نسبة الى صحار ، مدينة باليمـن) وبرد حبرة أدرج فيه ادراجا .

ولما ارادوا أن يحفروا لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان « أبو عبيدة ابن الجراح » يضرح لحفر أهـل مكة ، وكان « أبو طلحة زيد بن سهل » هو الذى يحفر لأهل المدينة . فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : « اذهب الى عبيدة بن الجراح » ، وللآخر : « اذهب الى أبى طلحـة ! » .. وأردف قائلا: « اللهم اختر لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ! .. » فوجد ثانى الرجلين « أبا طلحة » فجاء به ، فلحد لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

***

ولما فرغ من جهاز رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الثلاثاء ، وضع على سريره فى بيته . وكان المسلمون قد اختلفوا فى دفنه ، فقال قائل : « ندفنه فى مسجده » ... وقال قائل : « بل ندفنه مع اصحابه » . فقال ابو بكر : « انى سمعت رسول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ يقول : « ما قبض نبى الا دفن حيث يقبض » .

فرفع فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى توفى عليه ـ فحفـر تحته ...

ثم دخـل الناس عـلى رسـول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ ارسالا . ادخل الرجال ، حتى اذا فرغوا ادخل النساء حتى اذا فرغن ، أدخل الصبيان . ولم يؤم الناس فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أحد ...

ثم دفن رسول الله ، صلى الله عليه وسـلم ـ فى وسط الليل ... ليلة الأربعاء . وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم : على بن ابى طالب ، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وقد قال « قوس بن حولى » لعلى ابن ابى طالب : « يا على ، انشدك الله وحظنا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم» ... فقال له : « انزل » ! فنزل مع القوم . وقدكانمولاه«شقران» ـ حين وضع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى حفرته وبنى عليه ـ

قد اخذ قطيفة كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يلبسها ويفترشها ، فدفنهـــا فى القبر ، وقال : « والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا ! ... » .

***

يحاول الطبيب منا معـــرفة كنه الجرثومة التى اقتحمت هـــذا الجسم الطاهر فحرمت منه الانسانية .. ولعل الله سبحانه وتعـالى قد وضع للموت والحياة حدودا ، وخلق لها أسلحتها ــ وهى عالم الجراثيم ــ لتنهى حياة من قسم له أن يموت على فراشه .

وفى تخمين ، أن محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ اصيب باحدى الحميات الخبيثة ، التى تستغرق اياما لانهـــاء الحياة .. وكان خلالها قادرا على الكلام، والسير مستندا الى رجلين من أهـله واتباعه ، عاصبا رأسه من شـــدة الصداع الذى يصحب حمى « التيفود » عادة . ثم يجلس عـلى المنبر يتكلم الى المسلمين . وكانوا ينظرون اليه، يلتهمونه بعيونهم ، فرحين مستبشرين بفضل الله عليهم ، وهم يعتقدون أنه قد برىء من وجعه .

ولعلنا نذكر كيف اشتدت به الحمى فى بيت عائشة ، حتى لقد طلب ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان يريقوا عليه ســـبع قرب من آبار شتى ، وكيف صبوا عليه الماء صبا حتى ارتعد منه البدن ، وطفق يقول : « حسبكم ، حسبكم ! » . هـذه الحمى ، وهذا الصداع الملح ، وهــذا المرض الذى يمكن الشخص من التحــامل على نفسه اياما عديدة ، دون حـــدوث غيبوبة أو تشنجات ، تشير الى موضع اصابة بالمخ أو غشيته بأحد «الفيروسات» أو الجـــراثيم التى انتشرت فيما بعـــد وعرفت اســـماؤها واكتشف الترياق المضاد لكل منها ، حتى اصبحت النجاة منها فى متناول الطبيب المعالج .

وقد تعطى الاصـابة بالملاريا صـــورة شبيهة ... وقد تكون الصحوات التى انتابت الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ خلال محنته المرضية ، والتى مكنته من الافاقة والســـــير على قدميه الى المسجد ، ليوم الناس بين الحين والحين هى التى تحـــدث بين مرضى « الملاريا » اذ تهبط الحرارة وترتفع ، وقد تمر الساعات أو الايام بين هذا الارتفـــاع والهبوط ينتعش المريض خلالها ، وقد يستعيد نشاطه الى حد ما والى درجة تمكنه من القيام ببعض المجهودات بالرغم من هزاله وتضعضع حالتـــه النفسية والجسمية .

وقد عاصرت جرثومة التيفود ابنـاء آدم على مر الاجيال ، تضايق هـــذا ، وتعصف بحياة ذاك . ولم يعن أحد رغم ذلك باقتفاء أثرها ، بل اعتبرها الجميع من فصـــــيلة « التيفوس » حتى عام ١٨٣٩ ، اذ اطلق عليها الطبيب الفرنسى « لويز » اسم « التيفود » لأول مرة . ولكنه لم يحاول أن يفرق بينها وبين حمى « التيفوس » من الوجهـــة المرضية . والفضل فى التمييز بين المرضين يرجـع الى « جرهارد » ، فى فيلادلفيـــا عام ١٨٣٦ ، ثم الى « ستيوارت » بجلاسجو عام ١٨٤٠ ، واخيرا الى سير « وليم جينر » ، الطبيب الانجليزى الشهير ، الذى كشف لقاح الجدرى . فقد أجرى هذا الأخير بحوثا فى الفترة ما بين عامى ١٨٤٩ و ١٨٥١ واثبت أن المرضين ــ التيفوس والتيفود ــ لا يمت أحدهمـا للآخر بأية صلة ، فكانت كلمتـــه هى الفاصلة . وكان « ايبرت » أول من كشف جرثومة المرض ، فى عام ١٨٨٠ .

وفى عام ١٨٩٦ ، وصف « فيدال » طريقته الخاصة لتشخيص المرض ، وهى المعروفة باسمه حتى الآن ... ولو أن طبيبين من فيينا ، همـــا « جروبر » و « درهام » وصفاها قبله بثلاثة أشهر ... ولكن شاء التاريخ أن يلمع اسـمه دون اسميهما .

***

وســـواء كانت « التيفـــود » او « التيفوس » أو « الملاريا » هى المسئولة عن انتهاء حياة اطهر خلق الله ، فالنهاية واحدة ومحتومة، والامر لله من قبــل ومن بعـــد ..

سيرة الرسول
عند كتّاب الغرب

محمد الحديدى

سيرة الرسول – عند المسلم – هي قصة الهداية ، والانتقال بالانسان من ظلام الوثنية وغباتها الى الاحساس بوجود الله احساسا واعيا حقيقيا ، ولكنها – هذه السيرة العطرة – عند الكتاب والمؤرخين الغربيين ، لا تعدو ان تكون قصة نبى لا يؤمنون برسالته، انهم لا يؤمنون برسالته لان هذا هو قدرهم ، ولكنهم فى هذا يختلفون فى ادراك رسالة محمد ، منهم من ينظر اليه نظرة اهل قريش ومكة فى اوائل الدعوة الاسلامية ، ويرمونه بابتداع هذه الرسالة ، ومنهم – كما هو شان هذا الباحث الانجليزى المتخصص – ؛ مونتجومرى وات ، من يقول بان محمدا كان يؤمن بان ما يدعو اليه هو رسالة الله له وللخلق اجمعين ، هذا دون ان يكون هذا الكاتب مسلما بطبيعة الحال .

وانا واحد من الذين يعتقدون ان علينا ان نعرف ما يقوله كتاب الغرب – من غير المسلمين – عن الاسلام ،الكثيرون منا ، (وربما نحن جميعا) سيجدون غضاضة فى ان يقرأوا ما يكتبه هؤلاء وهذا خطأ ، لان علينا ان نعرف موقع ديانتنا فى عالم اليوم ، وكلما كان ما نقرؤه خطأ وجب علينا أن نعرفه حتى يمكننا تصحيحه ، وليست هناك حدود ولا نهاية للتقول والافتراء ، سواء عن الاسلام أو عن المسلمين .

التقول والافتراء من طبساع البشر ، وعلينا أن نعتاد ألا يكون ايماننا سبيلا الى اغلاق عقولنا دون ما يقول به أى فرد أو أية جماعة ، لان الايمان لا يتفق مع التزمت والتشنج ، انه نعمة يهبها الله لمن يشاء ويحرمها من يشاء ومن الناس من وهبها ومنهم من لم يوهبها.

وقد كتب مونتجومرى وات كتابين هامين عن تاريخ الدعوة الاسلامية ، احدهما « محمد فى مكة » والثانى « محمد فى المدينة » . وواضح من عنوانيهما موضوع كل منهما ، ثم ضمهما معا فى كتاب موجز هو « محمد »

نبيا ، ورجل دولة » ، ومما يشوق القارىء المسلم حقا ان يقرأ تاريخا لحياة الرسول ودعوته يكتبه رجل لا ينعم بالايمان بنبوته ، فمثل هذا التاريخ يرينا جوانب من حياته من زاوية جديدة لا نحصل عليها من دراستنالهذا التاريخ والتي كثيرا ما يجعلها مؤلفوها تتسم بالطابع الديني أو العاطفي الى درجة تخفي أو تقلل من الاحساس بالجانب التاريخي المحض .

الافتراء والانصاف

ويتميز مونتجومري وات بانه يقول بما يلي :

١ ــ ان محمدا كان يؤمن برسالته، وكان يحس انه يتلقى وحيا هو كلمات الله ، وهو لم يكن مبتدعا لشيء من هذا ولم يكن مجرد زعيم يتخذ من هذا الادعاء وسيلة لجمع الناس حوله كما قال الكثيرون من كتاب الغرب .

٢ ــ ان الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ لم يكن مصابا بمرض الصرع كما يزعم الغربيون (ومنهم الروائي تيودور دستويفسكي) ويقول وات ان الذي يعاني مرضا كهذا لا يمكنه ان يقود امة ، ويضيف ان محمدا عليه السلام كان حاضر الذهن ثاقب الفكر وهو مالايتصف به من يمرض بالصرع

٣ ــ ان زيجات النبي كلها أو اغلبها الى درجة كبرى سياسية وهو هنا يدفع عنه كل ما يصفه به زملاؤه الغربيون من الشهوانية ويبين الى أي مدى هي ظالمة هذه التهمة ! واغلب هذه النسوة كن ارامل شهداء قتلوا في الغزوات أو عجائز لا يغرين أحدا كما انه كان يقترب من الستين ، الى آخر كل هذا مما هو معروف لنا كمسلمين ، ولكن الكراهية التي نمت في النفوس من ايام الفتوحات الاسلامية وتقلص امبراطورية بيزنطة ــ (ولنا أن نحاول ان نضع انفسنا مكان هؤلاء ونتصور احساسنا لو لم نكن مؤمنين بهذا الدين الجديد) ــ هذه الكراهية هي التي تحفز كل كاتب لأن يلجأ الى هذه النقطة ويقيس الامور بمقاييس هذا العصر ويصف الرسول الكريم بما يحلو له .

ولكن كل هؤلاء الكتاب ــ برغم دراستهم العربية ــ يخطئون في ترجمة نصوص القرآن الكريم أو ربما في فهم هذه النصوص اصلا . والدلائل كثيرة ولكن لناخذ مثلا واحدا ((**وللآخرة خير لك من الاولى**)) من الواضح ان الآخرة والاولى هنا حياتان ، ولكن المؤلف يستخدم كلمتي Latter, Former وهما تدلان على « الاولى » و (الاخيرة) في سياق الحديث وهذا يدل على ان من لا يقرأون العربية ما زالوا يعانون حرمانا عظيما من المتعة العظمى التي تأتي من أدراك معاني القرآن .

علينا ان نسهل لهم هذه المتعة ، والا نخسر نحن متعة قراءة ما يكتبون ، على ان نكون قادرين على ادراك انها مؤلفات تاريخية محض ، يكتبها مؤرخون ، الكثيرون منهم ــ مع عدم ايمانهم ــ لا يبغون الا تاريخا علميا صحيحا ، في حدود امكانياتهم .

لا ينفي هذا انالافتراءات كثيرة بالطبع ،منها الكثير في مسرحية فولتير ((محمد)) .

مسابقة العدد

مواقف وأحداث في حياة محمد

يسعد ((الهلال)) في عدده الخاص ـ رؤية جديدة ـ أن يقدم لقرائه في ارجاء الوطن العربي ، هذه المسابقة الجديدة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، تدعيما لنشر الثقافة الدينية والمعرفة الصحيحة بالمواقف والاحاديث في حياة الرسول بشرا مجاهدا ورسولا نبيا .

الأسئلة :

١ ـ من اول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

٢ ـ اذكر خمسة ممن هاجروا الى الحبشة في الهجرة الاولى ؟

٣ ـ اين كان رسول الله عندما اسرى به ومن اين عرج به الى السماء؟

٤ ـ من هم نقباء الانصار الاثنا عشر في بيعة العقبة الثانية ؟

٥ ـ كم كان سن الرسول عند الهجرة ؟

٦ ـ ما اسم أول غزوة غزاها الرسول ؟

٧ ـ لمن عقد رسول الله أول راية ؟

٨ ـ متى كانت سرية نخلة ومن قادها ؟

٩ ـ من الذى قال له الرسول يوم الخندق : « خذل عنا » .. ؟

١٠ ـ اذكر ثلاثة من شعراء الرسول ..

شـــروط المســابقة:

- اكتب الاجابة عــن الاسئلة العشرة بدقة وخط واضح .
- من حقك الاشــــتراك فى المسابقة باكثر من رد ..
- أرفق اجابتك بالقســـيمة المنشورة هنا ، بعد أن تمـــلا بياناتها بخط واضح ..
- آخر موعد لتسليم الاجابات اول أكتوبر ١٩٧٨ ، وتعلن النتيجـــة أول نوفمبر ١٩٧٨ .

الجـــوائـــز :

الجائزة الأولى	عشرون جنيها
الجائزة الثانية	عشرة جنيهات
الجائزة الثالثة	خمسة جنيهات
الجائزة الرابعة	خمسة جنيهات

الجوائز الخمس التــالية : لكل واحد من الفائزين الخمســـة اشتراك مجانى لمدة سنة فى مجلة الهلال

مجلة الهلال

مســـــابقة العدد الخــاص عن محمد (صلى الله عليه وسلم)

الإســـم: ________________

الســــن: ________________

العـــنوان: ________________

من أخلاق

محمد

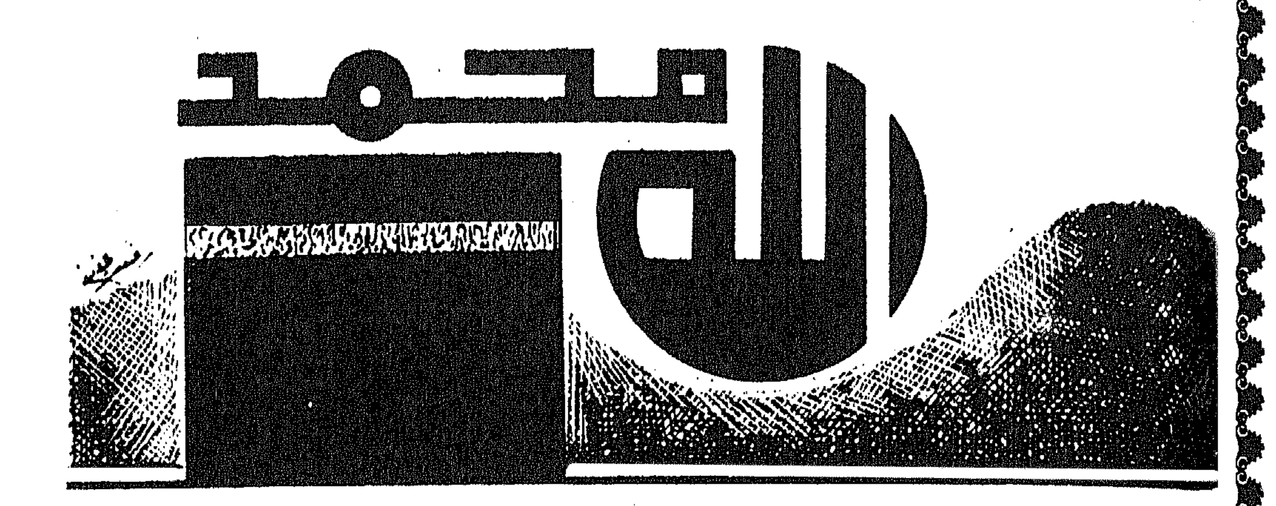
إذهبوا فأنتم الطلقاء

عبد الحليم القباني

بوم أغر ومهرجان مشرق ... ضاح عليه من الجلالة رونق
الارض فيه والسماء ازدانتا ... بأجل ما يهب الربيع ويغدق
واهتزت الصحراء فهى خميلة ... تهفو لرؤيتها القلوب وتخفق
فى كل مسبح نظرة حلم يرى ... ومنى تتاح وفرحة تترقرق
والغار والجبل المقدس شاقه ... نور على نور السما يتألق
والبيت ذو الأستار يهفو فرحة ... حتى يكاد من التشوق ينطق
والروح يدنو والملائك تلتقى ... زمرا على ركب النبى تحلق

***

أم المدائن لم أقل أم القرى ... بغداد تعرف ما أقول وحلق
منك استمد الغرب إشعاع الهدى ... وطوى الضلوع على سناك المشرق
لولاك فى الصحراء ظلت قفرة ... تودى بأعمار الرجال وتحرق
أرأيت كيف اعتز من عرف الهدى ... وهوى فألصق بالتراب الأحمق
أين الجبابر فى رحابك راعهم ... صدق النذير فآمنوا أم أشفقوا ؟
صفر الوجوه عليهم سمة الأسى ... والذل تعتصر النفوس وترهق
عاد الرسول إليك يزجى فيلقا ... تعنو لعزته الجبال وتطرق



بيمينه من وحى ربِّك معجز ... أعيا البيانَ وحار فيه المنطِق

دانتْ لدعوته العقولُ فأشرقت ... والليل يجلوهُ الصباحُ فيُشرق

***

يومُ النبوةِ لو شهدت جلالَه ... لدَرَتْ عيونُ الشعرِ كيف تنَسّق

والجاهليّةَ فى التراب مهَانة ... ترنو إلى ألَقِ السيوفِ وتفرق

وجنودُها بالقاع بين مصفّد ... ترِب الرداء ومطلَق يتملقُ

حتى إذا ضاق الرّجاءُ وزلزلت ... ألبابُ قوم واستبيحَ المُغلَقُ

وبدا الفضاءُ لهم كأنَّ صفاءَه ... جُدران سجن تشمخر وتطبق

طلَع الرسول فثبّتت أبصارُهم ... لا تستبين سواهُ فيما ترمق

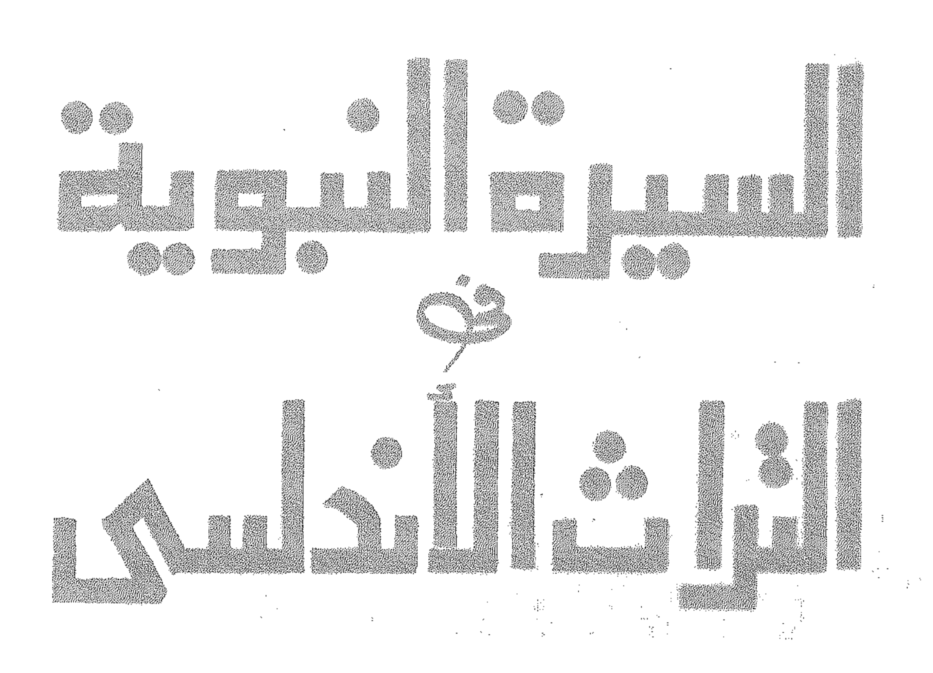
وتعلقت أسماعُهم بحديثه ... فالحكمُ كل الحكم فيما ينطِق

وإذا الرسول يطِل من عليائِه ... ويقولُ والمهجُ الخواشع تخفق

(ماذا ترونَ اليومَ أنى فاعل ... بكمُ) وكلكم أسير موثق

قالوا الكريمُ ابن الكريم أجلُّ من ... أن يستبدَّ به الخصامُ فيَحنق

(قال : اذهبوا جمعا) فان شمائلى ... تأبى مؤاخذةَ السفيه وتسمق



لم يبعد الاديب ابن سعيد المغربى عن الحق عندما قال مفتخرا باهل بلده الاندلس : « وأما حال اهل الاندلس فى فنون العلم فتحقيق الانصاف فى شانهم فى هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ... وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء » .

واذا كان ابن سعيد على حق فى تنويهه بحظ الاندلسيين من جميع العلوم ، فانه كان على حق ايضا حينما خص بعد ذلك من هذه العلوم علم التاريخ والسير والاخبار ، اذ يقول : « وعلم الادب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستطرفات الحكايات انبل علم عندهم ، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم » .

ونحن نرى بالفعل أن عناية الاندلسيين بالتاريخ وما يتصل به من معارف قد بدأت منذ أن أصبحت الاندلس جزءا من عالم الاسلام بعد فتح العرب لهذه البلاد فى سنة ٩٢ هـ . وكانت هذه المعارف من العناصر التى تتالف منها « ثقافة » المسلم العامة . فالاسلام لم يكن مجرد مجموعة من العبادات ، وانما كان نظاما متكاملا للحياة ، وهو نظام تحتل فيه « المعرفة » او ما نسميه اليوم بالثقافة الركيزة الاولى التى يقوم عليها بناء الانسان والمجتمع كله .

وقد كان من الطبيعي أن تستاثر المعارف الدينية ــ ولا سيما ما يتعلق منها بالتشريع أو الفقه ــ بعناية الاندلسيين فى السنوات الاولى من حياة بلادهم فى ظل الاسلام . وكانت ابصارهم تتوجه دائما الى مراكز الثقافة الاسلامية فى الشرق ينهلون من مواردها ، ويترسمون خطى اهلها من أجل تنظيم حياتهم الاجتماعية ، وحل ما يواجه مجتمعهم الجديد من مشكلات . وقد اختار الاندلسيون منذ أواخر القرن الثانى الهجرى مذهب الامام مالك ، فاتخذوا « موطأه » دستورا يقيمون على أساسه حياتهم الجديدة ، واصبح الاهتمام بكتاب امام دار الهجرة وبشروح تلاميذه المدنيين والمصريين نواة لحركة فقهية واسعة خصبة آتت أكلها فى الاندلس خلال القرون التالية على نحو جدير بالاعجاب .

ولما كان « الموطأ » مجموعة من القواعد الفقهية المستنبطة من عمل فقهاء اهل المدينة والاجيال السابقة عليهم ممن تنتهى ممارساتهم التشريعية الى عصر الرسول «عليه الصلاة والسلام» والى صحابته (رضى الله عنهم) ــ فقد ادى ذلك بالاندلسيين الى الرغبة فى تتبع حياة الرسول الكريم ومعرفة سيرته ثم سير من التف به من صحابته . ولهذا فقد رأينا أن بداية عنايتهم بالسيرة النبوية الشريفة كانت مرتبطة بالمعارف الفقهية ، ولم يكن غريبا ــ والامر كذلك ــ أن نرى كبار الفقهاء المالكيين هم أول من كتبوا فى السيرة النبوية .

عبد الملك بن حبيب الالبيرى

وأول نموذج تقدمه الثقافة الاندلسية لكتابة السيرة النبوية هو الفقيه عبد الملك بن حبيب الالبيرى (١٨٥ ــ ٢٣٨ هـ .) . وكان ابن حبيب يعد فى عصره « عالم الاندلس » ، وهو بالفعل يقدم الصورة المثلى للرجل المثقف فى هذه الفترة المبكرة من حياة الاندلس (ولنذكر انه ولد قبل انقضاء قرن واحد على فتح المسلمين لهذه البلاد) . وكان قد درس فى بلده على ذلك الجيل الاول من تلاميذ الامام مالك الاندلسيين ، ثم رحل الى المشرق فى سنة ٢٠٨ فدرس بمصر ، ولكن أكثر اخذه كان عن علماء المدينة من اصحاب امامها الكبير ، وعاد بعد سنوات الى الاندلس واستقر فى قرطبة حيث باشر نشاطا علميا عظيما .

ويذكر عنه انه كان يخرج من المسجد الجامع وخلفه نحو من ثلاثمائة طالب حديث وفقه وفرائض واعراب ، كما انه اشتغل بالتاليف فبلغ عدد مؤلفاته أكثر من ألف كتاب تتناول كل جوانب الثقافة الاسلامية .

ومن اشهر كتبه « الواضحة » ، وهو مؤلف اصبح من اجل امهات الفقه المالكى فى الاندلس



والشمال الافريقى على السواء . ولابن حبيب كذلك كتب فى اللغة والنحو وتفسير غريب القرآن والحديث ، ويذكر المترجمون له أنه تحامل فى هذه الكتب على الاصمعى وأبى عبيدة وأبىعبيد القاسم بن سلام وغرى بتخطئتهم ، وان كان قد تبين بعد ذلك أن ابن حبيب نفسه كان هو المخطىء فى اكثر ما رده على هؤلاء العلماء . ومثل هذا يمكن أن يقال عن روايته للاحاديث النبوية ، فقد تبين للاجيال التالية من علماء الاندلس انه لم يكن على بصر برواية الحديث ولا معــــرفة بصحيحه من معتله ، مما جعلهم يتوقفون عن أحاديثه حتى ان ابن حزم يتهمه بأن « أحاديثه كلها هالكة » .

اما السيرة النبوية فانه لم يصلنا فيها كتاب مفرد لابن حبيب ، وان كنا نعرف أنه قد تناولها على نحو مفصل ، كما نعرف أنه أفرد كتبا لمغازى الرسول «عليه الصلاة والسلام» والخلفاء الراشدين من بعده . غير أنه وصلته الى أيدينا فصول كثيرة كتبها حول هذا الموضوع فى ثنايا « تاريخه » الكبير الذى احتفظت المــــكتبة البودليانية بأكسفورد منه بنسخة مخطوطة وحيدة (تحت رقم ١٢٧) .

وقد تبين لنا من فحص هذه المخطوطة أنها ليست الا سماعا مختصرا من أحد تلاميذه ، وأن كتاب ابن حبيب الاصلى لابد أن يكون أكبر بكثير من هذا المخطوط الذى سلم لنا من يد الزمن . ويظهر أن ابن حبيب اراد أن يجعل كتابه تاريخا « كونيا » عاما ، فقد بدأه بخلق العالم وتحدث عن قصص الانبياء وسيرهم حتى مبعث خاتمهم محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم واصل الحديث عن الخلفــــاء الراشدين وعمن تبعهم من خلفاء بنى امية ، وختمه بفصول اختص بهـــــا فتح الاندلس وبمجموعة من الاحاديث مما يدخل فى باب « الفتن والملاحم » وما يكون فى العالم حتى آخر الزمان .

وقد كان اعتماد ابن حبيب فى الفصـــــول الخاصة بالسيرة النبوية وبأخبار الخلفــــاء الاولين ومغازيهم على محمد بن عمر الواقدى عن طريق تلميذه وأستاذ ابن حبيب : ابراهيم بن المنذر الحزامى المدنى ، وكذلك على محمد بن اسحاق صاحب السيرة وعلى مهذبها عبد الملك بن هشام .

ونحن نرى من العرض السريع الذى أوردناه لمواد كتاب ابن حبيب الى أى حد بلغ طموح هـــــذا الفقيه فى مثل هذه الفترة المبكرة من تاريخ الاندلس الاسلامى ، اذ اراد ان يقدم لنا موسوعة تاريخية أدبية بمعنى الكلمة ، غير أن وسائل ابن حبيب قصرت به عن بلوغ هذه الغاية النبيلة ، اذ أن معارف هذا الفقيه ومنهجه فى التأليف لم تعنه الا على مجرد محــــاولة متواضعة النتائج ، تظهـر فيهـــــا الفجاجة والنقص .

ومع ذلك فان قيمة كتابه العظمى كانت فى توجيه أنظار مواطنيه الاندلسيين الى الاهتمام بالسيرة النبوية وتتبع أخبارها عن المحــدثين والمؤرخين الثقات فى المشرق . فالانصاف يقتضينا أن نعترف لابن حبيب بأنه صاحب هذه البذرة الاولى فى عناية الاندلسيين « العلمية » بهــذا الموضوع حتى قدرت لهم فيه بعد ذلك درجة عالية من التميز والاجادة

كتب السيرة المشرقية وروايتهـا فى الاندلس

ونحن نرى بالفعل ان الاندلسيين منذ منتصف القرن الثانى الهجرى يقبلون على رواية كتب الرعيل الاول من المؤلفين المشارقة حول السيرة النبوية . وعلى رأس هذه الكتب « مغازى » موسى بن عقبة الاســـــدى المدنى (ت ١٤١) و « سيرة » محمد بن اسحاق المطلبى المدنى (ت ١٥٠) وتهذيب هذه السيرة لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٨) و « مغازى » الواقدى (ت٢٠٧) و « مغازى » عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١) و « تاريخ » خليفة بن خياط البصرى (ت ٢٤٠) .

وكان أروج هذه الكتب خلال القرنين الثالث والرابع كتاب ابن هشام الذى هذب به سيرة بن اسحاق ، وكانوا يطلقون عليه فى الاندلس اسم « المشاهد » . ومن رواته بقرطبة محمد بن يزيد بن رفاعة الالبيرى (ت ٣٤٤) وابو عيسى يحيى بن عبد الله الليثى القرطبى (ت ٣٦٧) الذى كان كذلك راوية لكتب ابن حبيب. وكان مجلسه حينما يقرىء « مشاهد » ابن هشام من أكثر مجالس العلماء اكتظاظا بالطلبة ورحل اليه الناس من كل كور الاندلس وانحائها . ويذكر المترجمون لابى عيسى انه كان من شهود مجلسه خليفة الاندلس نفسه هشام المؤيد بن الحكم . وربما كان اقبال الناس على هذا الكتاب هو الذى حمل العالم القرطبى على تاليف كتاب اختصر فيه سيرة ابن هشام .

كذلك كان لتاريخ خليفة بن خياط البصرى رواج عظيم فى الاندلس . ومما يذكر ان هذا التاريخ الذى اختص السيرة النبوية بجانب كبير من أوله هو أول تاريخ اسلامى وصل الينا على طريقة « الحوليات » اى مرتبا على السنين ، وهو المنهج الذى اتبعه بعد ذلك محمد بن جرير الطبرى واصبح هو الغالب على كتب التاريخ منذ ذلك الوقت . وقد اعتنى بتاريخ خليفة بن خياط عدد من تلاميذ ابن حبيب الاندلسيين على رأسهم المحدث الكبير بقى بن مخلد القرطبى (ت ٢٧٦) ، فهو الذى يرجع اليه الفضل فى رواية الكتاب ونشره .

وربما دلنا على مدى اهتمام الاندلسيين بكتب السيرة او المشاهد ما يذكره بعض مؤرخى الاندلس من أن امير هذه البلاد عبد الرحمن بن الحكم الاوسط قد حكى عنه انه اختلف مع احد جلسائه فى حديث من بعض المشاهد (اى أحداث السيرة) « فلما تلاحيا (اى تنازعا) فيه قال : « سمع كتب المشاهد حفظا ، فقراها ظاهرا » . لماذا كانت العناية بالسيرة قد بلغت الى حد أن الامير الاندلسى (المتوفى سنة ٢٣٨) كان يحفظها ظاهرا فلنا أن نتصور مدى اقبال العلماء والمشتغلين بالحديث والتاريخ على دراستها والانقطاع لها . ويكفى ان نذكر ان النسخة الوحيدة المخطوطة من سيرة ابن اسحاق فى العالم كله هى التى عثر عليها مؤخرا فى المغرب العربى ، وهى برواية اندلسية ، وان النسخة الوحيدة ايضا من مخطوطة تاريخ خليفة بن خياط انما هى برواية تلميذه الاندلسى بقى بن مخلد ، وقد عثر عليها فى المغرب كذلك ونشرت منذ سنوات قليلة .

السيرة النبوية
بين الفقهاء والمحدثين

وقد ارتبطت هذه العناية المتزايدة من جانب الاندلسيين بكتب السيرة النبوية بتطور له دلالته فى نمو الفكر الدينى فى هذه البلاد . ذلك ان أول ما شغل أهل الاندلس فى حياتهم الدينية كان علم الفقه والفقه المالكى بوجه خاص ، ولكنهم لم يوجهوا عنايتهم الى علم الحديث وما يتصل به من تمييز صحيحه من معتله والتعرف على رجاله وحملته ، وهو علم أدرك فى المشرق ولا سيما فى العراق نضجا سريعا أولى به على الغاية من دقة المنهج النقدى العلمى منذ اوائل القرن الثالث الهجرى . ولم يشرف هذا القرن على نهايته حتى رأينا عددا من جلة المحدثين يجمعون مسانيدهم الكبرى التى أصبحت دعائم للفكر الدينى الاسلامى ، من امثال البخارى ومسلم والترمذى وابن حنبل وابن ماجه وابى داود وابن ابى شيبة وغيرهم .

وكان الاندلسيون بمعزل من هذا العلم خلال النصف الاول من القرن الثالث حتى اننا نرى عبارة تتكرر فى تراجم كبار فقهاء المالكية منذ عبد الملك بن حبيب : « لا علم له بالحديث » او « وكان لا يميز بين صحيح الحديث ومعتله » وما الى ذلك .

غير انه لم يلبث ان ظهر فى الاندلس منذ اواسط القرن الثالث عدد من الدارسين تنبهوا الى هذا النقص فى ثقافة بلادهم الدينية ، فحاولوا ان يتداركوه ، واقبلوا على علم الحديث يحملون عن كبار رواته ولا سيما فى العراق ، ويأخذون انفسهم بالدربة على نقده وتمييز صحيحه ومعرفة رجاله ونقلته ، بل انهم شاركوا بعد ذلك فى تأليف مسانيد ومصنفات للحديث سرعان ما ارتفعت بهم الى مصاف جلة المحدثين فى الشرق . وكان الفضل فى هذه النهضة لعلم الحديث فى الاندلس يرجع الى عالمين من قرطبة هما بقى بن مخلد (ت ٢٧٦) ومحمد بن وضاح (ت ٢٨٧) وعنهما يقول مؤرخ الاندلس ابن حيان القرطبى : « فاستوسع اهل الاندلس فى الحديث من يومئذ ، وصارت دار حديث ومعدن سند ، وانما كان الغالب على اهلها من قبل ذلك راى مالك واصحابه والتفقه فى المسائل المدونة (نسبة الى مدونة سحنون القيروانى فى الفقه المالكى) فكانوا يتعصبون لاهل الحديث (اى يعادونهم) ولا يرضونهم » .

وقد ادى ذلك الى تطور فى فهم دلالة السيرة النبوية والى منهج آخر فى دراستها يتسم بقسط اكبر بكثير من الدقة والمنهجية العلمية وارهاف الحاسة النقدية مما كان عليه الامر من قبل لدى عبد الملك بن حبيب ، وخاصة بعد أن نشأ جيل جديد من تلاميذ بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح يرى أن التعرف على سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقتضى جهدا مضنيا من التوسع فى المصادر والتردد على مجالس كبار المحدثين فى الشرق والاستخدام لمنهجهم العلمى فى جمع الحديث ونقده وتمييز صحيحه والاحتكام الى القواعد التى وضعها أهل « الجرح والتعديل » والعلم الواسع بحملة الحديث ورجاله ، ثم الاسهام فى كتابة السيرة النبوية بعد الاخذ بكل هذه الاسباب ، والتوسع بعد ذلك فى معرفة الصحابة وسيرهم .

وقد استغرق هذا العمل القرن الرابع كله ، وهى الحقبة التى بلغت فيها الثقافة الاندلسية — فى ظل خلفاء بنى أمية — أوج نضجها واكتمالها ، وان كانت ثمرات هذا الجهد سوف تظهر بعد ذلك فى القرن الخامس الهجرى وما يليه كما سوف نرى .

على انه مما يستحق التسجيل هنا ان هذا الاهتمام الخصب المتنوع من جانب الاندلسيين بالسيرة النبوية الشريفة قد اتخذ منذ القرن الخامس مسالك ثلاثة بينها بعض التداخل والتشابك وان امكن التمييز بين بعضها والبعض:

الاول اتجاه علمي نقدي .
والثاني اتجاه وجداني .
والثالث اتجاه روحي صوفي .

١ ـ الاتجاه العلمي النقدي

وهو الذي كان ثمرة كل تلك الجهود العلمية التي استغرقت القرن الرابع ، وقد انتج لنا هذا الاتجاه بعض التاليف الاندلسية التي يتمثل فيها ما ادركته ثقافة هذه البلاد الاسلامية من تقدم كبير منذ كتاب ابن حبيب ، فقد اتسمت بالتزام المنهج العلمي الدقيق ، واتضحت فيها معالم الشخصية الاندلسية ، ومكنتها هذه الصفات من أن تصبح مصادر لا غنى عنها للدارسين لا في الاندلس وحدها ، بل وفي بلاد الشرق أيضا . وهكذا نرى الاندلسيين الذين بداوا بالتلمذة على علماء المشرق لا يلبثون أن يردوا ـ عن سعة ـ دين هؤلاء العلماء ، بل ويتبوأوا منهم مكان الاساتذة والشيوخ . ويكفي أن نضرب المثل هنا بعالمين كبيرين من علماء السيرة ازدان القرن الخامس بجهودهما الجبارة الرائعة .

ابن حزم وابن عبد البر

وقد جمعنا بين هذين العالمين القرطبيين لانهما كانا متعاصرين ولما جمع بينهما من أواصر متينة من الزمالة والصداقة وتقارب الاتجاه العلمي .

اما الامام ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (عاش بين سنتي ٣٨٣ و ٤٥٦) فهو أشهر من أن نترجم له ، لقد ظفر من عناية العلماء به في القديم والحديث وفي الشرق والغرب بما يغني عن الحديث المعاد حوله . ومؤلفاته الكثيرة تحيط بكل علوم الاسلام ، على أننا سوف نقف عند تاليفه في السيرة النبوية ، وهو رسالة طويلة بعنوان « جوامع السيرة » .

وقد وقف على نشرها مع مجموعة اخرى من رسائله الاستاذان الدكتور احسان عباس والدكتور ناصر الدين الاسد (دار المعارف سنة ١٩٥٦) وقد اتت السيرة التي كتبها ابن حزم هنا خاضعة لمنهجه في نقد الحديث ، فجاءت مجردة من الاشعار والقصص ، محررة في ضوء المذهب الظاهري الذي كان ابن حزم يدين به وينتصر له .

واما ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (عاش بين ٣٦٨ و ٤٦٣) فقد كان مثل صديقه ابن حزم تجردا للعلم والساما في وجوه المعارف ، على أنه يختلف عن ابن حزم في كونه فقيها لم يخرج على مذهب مالك وان كان مثل صاحبه تفتحا وكراهية للتقليد ومعرفة بالحديث وأسانيده وعلله ورجاله . وقد طارت شهرته في هذا الميدان حتى أن من ترجموا له يدعونه « حافظ المغرب » ويقرنونه بالخطيب البغدادي (المتوفى ايضا في سنة ٤٦٣) « حافظ المشرق » .

وقد اختص ابن عبد البر السيرة النبوية بمؤلف جليل هو « الدرر في اختصار المغازي والسير » الذي وقف على نشره استاذنا الفاضل الدكتور شوقي ضيف في سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦) .

وقد ذكر ابن عبد البر انه اعتمد في هذا المختصر على كتب من سبقوه مثل سيرة موسى بن عقبة وسيرة ابن اسحاق ومغازي الواقدي وتاريخ ابن أبي خيثمة . وكان ابتداؤه لكتابه منذ مبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى وفاته ، فلم يتحدث عن مولده عليه السلام ولا نشأته وغير ذلك من اخباره ، وذلك لانه احال في هذه الموضوعات على كتابه الاخر الكبير « الاستيعاب في معرفة الاصحاب » الذي افرده بعد هذه المقدمات لتراجم الصحابة رضي الله عنهم . فالكتابان معا يقدمان سيرة كاملة للرسول الكريم ، ولو انها مختصرة مجردة من الشعر والاخبار .

ويظهر التشابه بين منهجي ابن حزم وابن عبد البر في كتابة السيرة ، فكلاهما عالم ملتزم بالمنهج النقدي الصارم لاصحاب الحديث . وقد أدى هذا التشابه الى اعتقاد الاستاذ شوقي ضيف بان ابن حزم قد نقل عن صاحبه اكثر صحف كتابه « حتى ليظن من لم يقرأ ابن عبد البر انها ثمرة اجتهاده » .

على اننا نرى أن ابن حزم كان اكثر ورعا وامانة ورعاية لحقوق الله والعلم من ان يظن به السطو على كتاب صاحبه وصديقه الذي طالما احسن الثناء عليه في كتبه . وتفسير هذا التشابه الظاهر بين الكتابين في نظرنا هو ان الرجلين سلكا في تاليفهما نهجا متقاربا يقوم على جمع الاحاديث الخاصة بالسيرة . فاذا قدرنا أنهما اشتركا في التلمذة على جيل واحد من شيوخ المحدثين انتهينا الى انه لا غرابة في أن تلتقي مادة كتابيهما وتتشابه احيانا الى درجة التطابق .

كتاب « الاستيعاب » وحركة التاليف حوله

وأما كتاب « الاستيعاب » لابن عبد البر فانه وان كان موضوعه الاساسي هو تراجم صحابة الرسول عليه السلام ، فانه كما رأينا يبدأ بفصول وافية عن حياة النبي وسيرته ، وقد أصبح افتتاح كتب الصحابة بمثل هذه الفصول تقليدا متبعا ، ولهذا يمكن أن تدرج أيضا في المصادر الخاصة بالسيرة النبوية . ويعد كتاب ابن عبد البر مع كتابي « أسد الغابة » لابن الاثير و « الاصابة » لابن حجر العسقلاني من أجل الكتب في هذا الميدان . وما زالت له حتى اليوم ـ على الرغم من قدم تاليفه ـ مثل هذه المكانة .

وقد اثار هذا الكتاب بجودة تاليفه وحسن استقصائه موجة من الاهتمام بين علماء الاندلس، فاقبلوا عليه بالاختصار والتعليق والاستدراك والتذييل . نذكر من هذه الكتب « استلحاق » محمد بن خلف المعروف بابن فتحون الاوريولي (ت ٥٢٠) وكتابه الاخر الذي نبه فيه على أوهام ابن عبد البر (أي أخطائه) . وقد كان كتاب الاستيعاب يضم تراجم لنحو ٣٥٠٠ من الصحابة، فاستدرك ابن فتحون عليه في تذييله مثل هذا العدد ، ثم أتى أحمد بن محمد بن ميمون

الاشعرى المالقى المعروف بابن السكان فقام بتذييل آخر على استدراك ابن فتحون . وكان ممن واصل هذا العمل أيضا المؤرخ محمد بن عبد الواحد الملاحى (نسبة الى ملاحة) : قرية من قرى غرناطة) (ت ٦١٩ هـ) . وممن قام باختصار كتاب ابن عبد البر أبو العباس أحمد ابن محمد الفهرى الاشبيلى الذى كان حيا فى حدود سنة ٦٠٠ .

ومن أجل المؤلفين الاندلسيين الذين ساروا على درب ابن عبد البر فى جمع تراجم الصحابة عبد الله بن على اللخمى المعروف بالرشاطى (٤٦٦ – ٥٤٢) صاحب كتاب « اقتباس الانوار والتماس الازهار فى أنساب الصحابة ورواة الاثار » . ومن هذا الكتاب قطعة مخطوطة محفوظة فى خزانة القرويين بفاس . وكان لهذا الكتاب رواج كبير ، فعكف كثير من العلماء على شرحه واختصاره وتذييله والاستدراك عليه . نذكر من ذلك مختصرا له قام به أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الاشبيلى المعروف بابن الخراط ، ويقول بعض العلماء عن هذا المختصر انه أحسن من الاصل ، ومازالت منه نسخة محفوظة فى مكتبة الازهر الشريف .

السهيلى

ونأتى الى علم من أعظم أعلام الاندلس فى ميدان الكتابة حول السيرة النبوية ، ونعنى به الامام أبا القاسم عبد الرحمن بن الله الخثعمى السهيلى «٥٠٨ – ٥٨١» صاحب الكتاب المشهور « الروض الانف » فى شرح سيرة ابن اسحاق بتهذيب ابن هشام . وقد ولد السهيلى فى قرية « سهيل » (التى تدعى اليوم فونجيرولا) من أعمال مدينة مالقة ، ونشأ فى هذه المدينة ، وفقد البصر صغيرا ، الا أن ذلك لم يحل بينه وبين الاخذ عن شيوخ عصره فى مالقة وقرطبة واشبيليه ، ولازم الفقيه ابا بكر بن العربى الاشبيلى وابن الرماك النحوى ، وغيرهما ، ثم جلس للاقراء ، وكان محيطا بكل علوم عصره من نحو ولغة وشعر واخبار ، واشتغل بالتاليف ، فكان له – فضلا عن « الروض الانف » – « نتائج الفكر » فى النحو ، و « الفرائض وشرح آية الوصية » فى فقه المواريث و « التعريف والاعلام بما أبهم فى القرآن من الاسماء والاعلام » (وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة سنة ١٣٥٦/ ١٩٣٨) ، وأخيرا « أماليه » فى النحو واللغة والحديث ، وقد وقف على نشرها فى سنة ١٣٩٠/ ١٩٧٠ العالم الفاضل محمد ابراهيم البنا .

أما « الروض الانف » فى شرح السيرة فقد بدأ املاءه فى محرم سنة ٥٦٩ ، وفرغ منه فى جمادى الاولى من السنة نفسها . وقد لفت هذا الكتاب اليه نظر الخليفة ، فقد ذكر تلميذه الاندلسى ابن دحية الكلبى أنه حمل نسخة من هذا الكتاب الى حضرة مراكش وأوقف الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدى عليه ، فبلغ من اعجابه هذا به أن أمر بأن يحمل السهيلى من بلده الى حاضرة الدولة حتى يقربه بها ، وكان ذلك سببا فى الاغداق عليه بعد أن ظل سنوات طويلة يعانى مرارة الفقر فى الاندلس . الا أن السهيلى لم يعمر هناك ، فقد توفى بعد وصوله الى مراكش بثلاث سنوات .

ويشرح السهيلى منهجه فى تاليف الكتاب فى مقدمته حيث يقول : « وبعد ، فانى انتحيت فى هذا الاملاء بعد استخارة ذى الطول ، والاستعانة بمن له القدرة والحول ، الى ايضاح ماوقع فى سيرة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » التى سبق الى تاليفها ابوبكر محمد بن اسحاق المطلبى ولخصها عبد الملك ابن هشام المعافرى المصرى النسابة النحوى مما بلغنى علمه ، ويسر لى فهمه ، من لفظ غريب ، أو اعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، او نسب عويص ، أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل الى تتمته » .

ثم يقول مبينا الجهد الذى بذله فى تاليفه :

« لكن تحصل فى هذا الكتاب ، من فوائد العلوم والاداب ، واسماء الرجال والأنساب ، ومن الفقه الباطن اللباب ، وتعليل النحو وصنعة الاعراب ، ماهو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا ، سوى ما انتجه صدرى ، ونقحه فكرى ، ونتجه نظرى ، ولقنته عن مشيختى من نكت علمية لم اسبق اليها ، ولم أزحم عليها ... مع اننى اقللت الفضول ، وشذبت اطراف الاصول » .

والكتاب حقا جدير بهذه العبارات التى يبدو فيها اعتزاز مؤلفه بالجهد المبذول ، فقد أتى بالفعل ديوانا حافلا أشبه بموسوعة ضخمة فيها من كل علم حظ ، وهو يدل على رسوخ قدم السهيلى فى كل ماعالجه من مباحث ، فضلا عن كونه كتابا ممتع القراءة لايكاد يحس مطالعه بالملل . وقد قدرته الاجيال التالية حق قدره ، فأصبحت تعده من المصادر الاولى لكل من يريد متابعة رسولنا الكريم « صلى الله عليه وسلم » .

ابو الربيع الكلاعى

ظلت السيرة النبوية الشريفة معينا لاينضب ومصدر الهام لكثير من علماء الاندلس ، ولاسيما عندما اشتدت وطأة الصراع بين الاسلام والمسيحية على أرض الاندلس ، فقد رأى علماء هذه البلاد فى غيرتهم على دينهم ووطنهم أن يبصروا مواطنيهم بالعبر الجليلة التى يمكن أن يستوحوها من سيرة النبى الكريم وجهاد صحابته ، اذ كان فى ذلك شحذ للهمم المتقاعسة وتقوية للعزائم الخائرة . ولعل من خير نماذج هؤلاء العلماء أبا الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى البلنسى (٥٦٥ – ٦٣٤) شيخ علماء شرق الاندلس فى القرن السادس الهجرى .. وكان من أئمة الحديث والفقه والتاريخ والادب ، وله فى كل تلك العلوم انتاج خصب يشهد بتجرده للعلم ، على أنه لم يقصر عمله على هذا الجهد العلمى العظيم ، بل كانت له مشاركة فعالة فى أمور بلده ، فقد ولى الخطبة بالمسجد الجامع ببلنسية وكان دائم السعى فى اصلاح أحوال المسلمين ، واضطلع فى سبيل ذلك بسفارات عديدة جعلت له فى نفوس الشعب الاندلسى مكانة عالية ، وحينما اشتدت وطأة حصار النصارى لبلده بلنسية كان لايفتأ حاثا على الجهاد داعيا الى توحيد الصفوف ، بل انه خرج على رأس عدد من المجاهدين لقتال الاعداء مع أنه كان يناهز السبعين من عمره ، واشترك بنفسه فى معركة ضارية وقعت قريبا من بلنسية فى أنيشة ، فاستشهد فى هذه الموقعة « مقبلا غير مدبر والراية بيده وهو ينادى المنهزمين « أعن الجنة تفرون ؟ » وكان ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٦٣٤ . وقد رثاه تلميذه العالم الاندلسى ابن الابار بقصيدة رائعة منها :

سقى الله أشلاء بسفح انيشة
سوافح يزجيها ثقال الغمائم

وصلى عليها أنفسا طاب ذكرها
بطيب أنفاس الرياح النواسم
لقد صبروا فيها كراما وصابروا
فلا غرو أن فازوا بصفو المكارم
وما بذلوا الا نفوسا نفيسة
تحن الى الاخرى حنين الروائم

ولابى المطرف بن عميرة وكان من تلاميذه ايضا مرثية أخرى له يقول فيها :

هربت الى الله فى موطن
على عاره حصل الهارب
تلقاك ربى برضوانه
وجادك منه الحيا الساكب
وان الذى نلت من قربه
لافضل ما يطلب الطالب
عليك السلام الى غاية
من الموت كل لها ذاهب

وقد خلف لنا هذا العالم المجاهد الشهيد عددا هائلا من المؤلفات من ابرزها كتابه «الاكتفا فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفا» ، وهو كتاب يبدو من عنوانه التركيز على جانب الجهاد فى سبيل الله فى سيرة الرسول الكريم وخلفائه ، واستخلاص العبرة من قدوتهم الحسنة . وقد نشر هذا الكتاب الجليل فى الجزائر بعناية هنرى ماسيه سنة ١٩٣١ ، ثم أعيد طبعه مؤخرا فى القاهرة .

ويحدد أبو الربيع هدفه من هذا التاليف بقوله فى مقدمته : « هذا كتاب ذهبت فيه الى ايقاع الاقناع ، وامتاع النفوس والاسماع ، باتساق الخبر من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكر نسبه ومولده وصفته ومبعثه وكثير من خصائصه واعلام نبوته ومغازيه وأيامه من يوم مولده الى أن استأثر الله به وقبض روحه الطيبة اليه ... مقدما لذلك مايجب تقديمه من ذكر أوليته المباركة بلدا ومحتدا بما يحسن علمه وتعليمه » .

والكتاب على اختصاره من أجود كتب السيرة تاليفا وهو يمثل درجة عالية من النضج فى التاليف الاندلسية حول هذا الموضوع . وهو أخيرا بقلم عالم عامل مجاهد بذل حياته فى سبيل قضية الاسلام ، رحمه الله واجزل ثوابه .

ابن سيد الناس والخزاعى

ونأتى فى النهاية الى اثنين من كتاب السيرة النبوية يمثلان الثقافة الاندلسية فى مهاجرها الى المشرق أو الى بلاد الشمال الافريقى ، بعد أن أصبح مقام المسلمين فى الاندلس أمرا يزداد صعوبة يوما بعد يوم ، مما اضطر بعض أهل العلم فيها الى الفرار بدينهم الى أمصار أخرى فى دار الاسلام أكثر أمنا وأقل مخافة .

أما الاول فهو أبو الفتح فتح الدين محمد بن محمد ... بن سيد الناس اليعمرى الاشبيلى ، وربما بدا من التجوز اعتباره أندلسيا ، فقد ولد فى القاهرة سنة ٦٧١ ، وبها تخرج على كبار علمائها ، وولى مشيخة المدرسة الظاهرية بدمشق ، وبين مصر والشام عاش حتى وفاته فى سنة ٧٣٤ . غير أنه ـ شأنه فى ذلك كشأن كثير من العلماء الذين انتقل اسلافهم من الاندلس الى بلاد الشرق ـ ظل يحمل فى مهجره الجديد تراث الاندلس والسمات المميزة لثقافة وطنه الاول .

ولابن سيد الناس عدد كبير من الكتب فى مختلف علوم العربية ، من أهمها كتابه فى السير النبوية « عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » و « بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » وغير ذلك من المؤلفات . ويذكر صلاح الدين الصفدى أنه ألف كتاب « عيون الاثر » فى عشرين يوما ، وقد كان اعتماده فى هذا الكتاب على كثير من الاصول الاندلسية ، نذكر منها كتب ابن عبد البر ، ولا سيما كتاب « الدرر » الذى سبق أن تحدثنا عنه الى غير ذلك مما حمله الى المشرق من الاندلس ومن تونس . وكان الامام المصرى تقى الدين بن دقيق العيد يأنس اليه ويحبه ويحيل عليه فى السيرة وتراجم الصحابة ورواة الحديث . وقد نشر كتابه « عيون الاثر » فى القاهرة .

أما الخزاعى فهو أبو الحسن على بن محمد بن مسعود بن أبى غفرة الخزاعى التلمسانى ، وكان من أسرة أندلسية عرفت بالشرف والسيادة ، وهاجر أبوه من الاندلس فاستقر بتلمسان (فى غرب الجزائر) وولى بها الوزارة والقيادة والكتابة فى ظل دولة بنى مرين . أما أبو الحسن على فقد ولد فى تلمسان سنة ٧١٠ واخذ عن الخطيب ابن مرزوق وعن القاضى الاندلسى أبى البركات البلفيقى ، وتولى الكتابة لسلاطين بنى مرين . وتوفى بفاس سنة ٧٨٩ . وكان واسع العلم بالفقه والحديث والكلام . ومن أجل مؤلفاته وأطرفها كتاب « تخريج الدلالات السمعية،على ما كان فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية» . وهو نوع غريب من الكتابات المتعلقة بالسيرة النبوية ، اذ تتبع فيه المؤلف مختلف مظاهر الحضارة وما يتعلق بها من وظائف وحرف وصنائع على عهد الرسول وعهد الخلفاء الاولين .

وكان هدفه من هذا التاليف هو اثبات أن كثيرا من العمالات (الوظائف) والخطط التى كان يعتقد أنها ثمرة لتطور الحضارة الاسلامية فى العصور المتاخرة انما كانت قائمة منذ أيام الرسول وخلفائه الاولين . وقد اتم الخزاعى كتابه سنة ٧٨٦ وقدم للسلطان المرينى أبى فارس موسى بن أبى عنان . ومنه نسخة مخطوطة فى جامع الزيتونة بتونس ، وعلى أساس فصول هذا الكتاب قام العالم المغربى الكبير وشيخ محدثى المغرب عبد الحى الكتانى بتاليف كتابه « التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التى كانت على عهد تاسيس المدينة الاسلامية فى المدينة المنورة العلية » .

٢ ـ الاتجاه الوجدانى

عرضنا فى الصفحات السابقة للتاليف الاندلسية فى السيرة النبوية ، وهى التى يغلب عليها المنهج التاريخى النقدى والدراسة العلمية

الرصينة . والان نتعرض لنوع آخر من التاليف تناول كتــابه جوانب معينة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو شمائله ومناقبه نثرا وشعرا . وهذا النوع كان يغلب عليه الطابع الوجدانى المفعم بالايمان والنابع من شــعور الاعجــاب والحب الذى يتملك نفس المؤمن بشخصية الرسول الكريم .

كتب المناقب النبوية

ولعل من أول التاليف الاندلسية فى هــذا الميدان كتاب قاضى الجماعة بقرطبة عبد الرحمن ابن محمد بن عيسى بن فطيس (٣٤٨ - ٤٠٢ هـ): « أعلام النبوة ودلالات الرسالة » . وهو كتاب لم يصل الينا وان كان من الواضح من عنوانه أن صاحبه قد أفرده للحديث عن شمائل النبى والعلائم التى كانت تبشر برسالته . وقد كان أبو عمر بن عبد البر النمرى تلميذا لابن فطيس ، ولابد أنه انتفع منه كثيرا فى كتابيه « الدرر » و « الاستيعاب » .

وللجغرافى اللغوى الكبير أبى عبيد البكرى عبد الله بن عبد العزيز (المتوفى سنة ٤٨٧) كتاب آخر بعنوان « أعلام النبوة » . ولم يصل الينا هذا الكتاب مع الاسف . ولابد أنه كان من خير ما الف فى الموضوع ، فقد تعودنا من هذا المؤلف سعة العلم والاستبلاغ فى التقصى ، تشهد بذلك كتبه الاخرى مثل شرحه واستدراكه على أمالى القالى ومعجم ما استعجم وفصل المقال فى شرح امثال أبى عبيد .

وقد اكثر الاندلسيون من الكتابة حــول المعجزات النبوية . نذكر من مؤلفاتهم فى ذلك كتاب المؤرخ المحدث أبى محمد الحسن بن على القطان الذى عاش فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، وهو بعنوان « الاحكام لسياق ما لسيدنا محمد عليه السلام من الايات البينات والمعجزات الباهرات والاعلام » ، ومن هــذا الكتاب نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية (رقم ٣١٦ حديث) . ويذكر ابن عبد الملك المراكشى أن احد تلاميذ ابن القطان ، وهــو أبو الحسن على بن محمد الاشبيلى (المتوفى سنة ٦٦٣) قد رجز هذا الكتاب ترجيزا حسنا مستوعبا الاغراض .

كتاب « الشفا » للقاضى عياض

على أن أشهر الكتب الاندلسية فى هــذا الميدان هو كتاب أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى « الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى » . والقــاضى عياض نموذج لوحدة الثقافة المغربية الاندلسية ، فقد ولد فى سبتة (الواقعة فى شمال المغرب على مضيق جبل طارق) سنة ٤٧٦ فى أسرة اندلسية الاصل ، ورحل هو الى الاندلس فدرس على علمائهــا ، كما كانت له رحلة أيضا الى المشرق ، فجمع علما كثيرا ، ثم عاد الى سبتة فجلس فيهــا للتدريس ، وولى قضاء بلده للمرابطين فكان محمود الطريقة ، ثم ولى القضاء أيضــا بغرناطة ، وعاد بعد ذلك الى قضاء سبتة وشهد نهاية دولة المرابطين على أيدى الموحدين ويظهر أن هواه كان مع المرابطين مما ادى الى تغريبه ووفاته منفيا فى مراكش سنة ٥٤٤ ، وقد عد عياض حافظ المغرب وحجته ، حتى أن كثيرا من العلماء افردوا لترجمته كتبا كاملة مثل كتاب « ازهار الرياض فى أخبار عياض » للمقرى التلمســانى .

اما كتاب « الشفا » فقد وصفه حاجى خليفة - ولم يبعد عن الصواب فى وصفه - بأنه « كتاب جليل عظيم النفع كثير البركة ، لم يؤلف مثله فى الاسلام » . وقد احصى له من الشروح اكثر من خمسة عشر شرحا أشــهرها شرح الشهاب الخفاجى وشرح على القارى المعروف بابن سلطان . وانه حقا لجدير بكل الاهتمام الذى اثاره فى الشرق والغرب على السواء ، فهو من اجود الكتب فى موضوعه تاليفا واكثرها استقصاء وشمولا ، مع الدقة البالغة والعرض الممتع الذى يشد القارىء شدا من مبدئه الى منتهاه .

والكتاب مقسم الى اربعة اقسام : القسم الاول فى تعظيم الله تعالى لقدر النبى (صلى الله عليه وسلم) قولا وفعلا ، وتنتظم فصول هذا القسم ثناءه تعالى عليه وتكميله محاسنه خلقا وخلقا ، وما ورد من صحيح الاخبار بعظيم قدره عند ربه ثم فيما اظهره الله على يديه من المعجزات والقسم الثانى فيما يجب على الناس من حقوق الرسول : من فرض الايمان به واتباع سنته ولزوم محبته ومناصحته وتعظيم أمره وحكم الصلاة والتسليم عليه . والقسم الثالث فيما يستحيل فى حقه وما يجوز ويمتنع أن يضاف اليه وذلك فى الامور الدينية والاحوال الدنيوية على حد سواء . والقسم الرابع فى وجوه أحكام من تنقصه أو سبه (عليه الصلاة والسلام) .

فن الرسائل الى قبر الرسول (عليه الصلاة والسـلام)

ونشير بهذه المنــاسبة الى فن نثرى أكثر الاندلسيون من الكتابة فيه ، وهو تلك الرسائل التى يوجهها مؤلفوها الى قبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ابتغاء البركة أو مناجاة خالصة يبثها الكاتب ايمانا نابضا بالحــرارة) او متحدثا عما يضيق به من مشكلاته وازماته ، وكأنه يلتمس فى مثل هذه المناجاة ضربا من الســلو والراحة وهو يتخيل نفسه متوجها بالخطاب الى حضرة الرسول الكريم .

ولعلنا لا نبعد عن الصواب اذا قلنا ان مولد هــذا الفن قد ارتبط ببداية ضعف الدولة الاسلامية فى الاندلس ، فقد شعر الاندلسيون وهم يتاملون وطأة الازمة على وطنهم بحاجتهم الى مزيد من الايمان يستلهمونه من هــذه المخاطبات النبوية . واقدم ما نعرفه من هذه الرسائل يرجع لذلك الى أواخر عصر الطوائف الذى تمزقت فيه دولة الاسلام واحدقت بهــا الاخطار من داخل ومن خارج . ويفتتح هــذه المخاطبات النبوية الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (٤٤٤ - ٥٢١) الذى يذكر عنه انه كتب رسالة الى قبر النبى

((عليه السلام) ويبعث معها بشعر . وقد نص ابن خير الاشبيلى على أن هذه الرسالة كانت من مروياته . كذلك اشار المؤلف نفسه الى رسالة وجهها الكاتب المعروف محمد بن مسعود بن ابى الخصال الغافقي الشقورى ((٤٦٥ – ٥٤٠) الى النبى عليه السلام وقطعة شعر كتبها عن أحد الزمنى (اى المقعدين) فلما وضعت عند قبره برىء المقعد باذن الله وببركة نبيه عليه السلام . وقد كثرت هذه الرسائل فى القرنين السابع والثامن كثرة مفرطة ، ولعل من اهم من خلفوا لنا فى هذا الباب نتاجا أدبيا غزيرا بين شعر ورسائل الكاتب محمد بن محمد المرسى المعروف بابن الجنان ، وهو اديب اندلسى هاجر الى بجاية «فى الجزائر» وتوفى بها فى حدود سنة ٦٥٠ ، وقد احتفظ لنا المقري فى نفح الطيب برسالة من رسائله يقول فيها : « السلام عليك يا محمد .'. سلام من يمد اليك يد الغريق، ويرجو الانقاذ ببركتك من نكد المضيق ، ويتقطع اسفا ويتنفس صعدا كلما ازدلف اليك فريق ، وعمرت نحوك طريق ... الخ » والرسالة كما نرى تصور ذلك الجو النفسى القلق الذى كان يسود الاندلس حينما الحت عليها المحن ، واصبح مصيرها معلقا بخيط واه يوشك ان ينبت ! ..

ويطول بنا الامر لو تتبعنا هذه الرسائل ، فالمصادر الاندلسية المتاخرة حافلة بها ، وكثير منها يبدو تعبيرا صادقا مفعما بالالم عن مأساة الوطن الاندلسى ، وكانه صرخة الغريق يوشك ان تبتلعه أمواج البحر . ويكفى أن نشير الى رسالتين كتبهما الى قبر الرسول الوزير الاديب الغرناطى لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانى الاندلس ابى الحجاج يوسف النصرى وابنه محمد الغنى بالله ، وفيهما يبسط أحوال الاندلس ويتحدث فى تفصيل عن آخر ما وقع بها من أحداث ويعتذر للرسول ((عليه السلام) بان تلك الاهوال التى تعانيها بلاده هى التى تمنع ان تشد الى قبره الرحال .

المدائح النبوية

اذا كان الانتاج النثرى للمؤلفين الاندلسيين فى المناقب النبوية على اعظم جانب من الجودة والوفرة فان انتاجهم الشعرى لم يقصر عن ذلك. ولعل اول من استوقفتهم شخصية الرسول الكريم من الاندلسيين هو الاديب المؤلف عبد الملك

ابن حبيب الالبيرى ((ت ٢٣٨) الذى راينا فيه ايضا اول مؤلف اختص السيرة النبوية بالكتابة. فلابن حبيب قصيدة جميلة وصف بها مشاعره وهو واقف على المشاهد النبوية اثناء رحلته للحج :

لله در عصابة صاحبتها
نحو المدينة تقطع الفلوات

حتى اتينا القبر قبر محمد
خص الاله محمدا بصلاة

خير البرية والنبى المصطفى
هادى الورى لطرائق الجنات

لما وقفت بقبره لسلامه
جادت دموعى واكف العبرات
ورايت حجرته وموضعه الذى
قد كان يدعو فيه للخلوات
سقيا لتلك معاهدا شاهدتها
وشهدتها بالخطو واللحظات
صلى الاله على النبى المصطفى
هادى البرية كاشف الغمرات
وعلى صحيبيه السلام مرددا
ما لاح نور الحق فى الظلمات

وللشعر الاندلسى فى هذه المدائح مسيرة طويلة على طول القرون الثمانية التى كان ظل الاسلام خلالها ممتدا على ارض الاندلس . ولا يتسع المقام هنا لتتبع هذا الانتاج الخصب . وانما يكفى أن نشير الى قصيدة نظمها الاديب الاندلسى ابن المناصف القرطبى محمد بن عيسى بن اصبغ ((ت ٦٢٠) فى ٧٠٠ بيت من الرجز بعنوان « الدرة السنية فى المعالم السنية » والى مجموعة كبيرة من المدائح النبوية لابن الجنان المرسى وغيره من الشعراء الاندلسيين فى آخر كتابه نفح الطيب . وقد جمع احد ادباء المغرب المتاخرين وهو الحسن بن عبد الرحمن .. بن عذرة الانصارى كتابا ضخما فى المدائح النبوية فى أكثر من خمسة وعشرين مجلدا بعنوان « منتهى السول فى مدح الرسول » وكان للاندلسيين والمغاربة من هذه الموسوعة الهائلة نصيب كبير . ويذكر عبد الحي الكتانى فى كتاب « التراتيب الادارية » ان لعثمان بن على قصيدة عارض بها بردة الامام البوصيرى فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام تقع فى ١٩٫٠٠٠ بيت من الشعر على بحر واحد وروى واحد ولسنا نعرف فى الشعر العربى كله قصيدة واحدة بلغت هذا القدر من الطول. وقد أورد الشيخ الكتانى من هذه القصيدة مقتطفات كثيرة .

ويكفى أن نشير الى ديوان كامل افرده للمديح النبوى الشاعر الاندلسى محمد بن جابر الهوارى الوادي آشي ((٦٩٦ – ٧٨٠) ، وهو بعنوان « المقدين فى مدح سيد الكونين » ومنه نسخة مخطوطة فى المكتبة التيمورية . وابن جابر هذا هو صاحب قصيدة « الحلة السيرا فى مدح خير الورى » ، وهى معارضة اخرى لبردة البوصيرى وتعرف باسم «بديعية العميان» ، اذ ان صاحبها توخى فيها أن يشمل كل بيت من ابياتها لونا من الوان البديع ، وقد قام بشرح هذه القصيدة رفيق ابن جابر وصاحبه فى رحلته ابو جعفر الالبيرى . وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارا كبيرا فى الشرق والغرب وكانت موضعا لشروح وتعليقات كثيرة .

***

ويبقى بعد ذلك الاتجاه الثالث وهو الروحى الصوفى ، ولكن هذا الاتجاه من الغنى والخصوبة بحيث يستحق وقفة متأنية ودراسة متاملة تأتى فى مناسبة اخرى ان شاء الله .



د. محمود على مكى

علاج الأبدان وشفى الأرواح

د. السيد الجميلى

● لما ابلج النـور المحمدى غزا اشعاعه حبات القلوب ، وملك سلطانه الافهام فما كان الا رحمة وشفاء للعالمين .

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

بهذا بعث الحياة فى الاحياء ، بعد ماطفى عليها وأفسدها بل وقتلها ضلال الجاهلية واغواؤها شر قتلة .

كان نتيجة سريان سموم الجاهلية فى أوصال الناس أن ساروا فى ظلام دامس كالاصنام ، ولما كان بقاء الانسان يتنازعه شقان أساسيان هما : الروح والجسد فان الانسجام مع الكون والتوافق مع الطبيعة لا يتم الاباستواء الارواح واستقامة الاجسام وقوة الابدان .

قال صلى الله عليه وسلم :((عليكم بالشفاءين العسل والقرآن))

وهنا علاج للنفس وعلاج للجسم هذا بالعسل وذاك بالقرآن ربيع القلوب وسكينة النفوس .

***

كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والاخرة ومما يروى عن الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال: «من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » فليس هناك اجمل ولا أعظم من المعافاة قال أبو الدرداء : قلت يارسول الله لان اعافى فأشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب معك العافية ...

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدعو الاطباء من العرب والعجم اذا نزل به المرض أو بأحد أصحابه رضى الله عنهم اجمعين ، بل كان يؤثر الأطب من حكمائهم .

عن زيد بن اسلم : ان رجلا أصابه جرح فاحتقن الدم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا برجلين من بنى انمار فقال : أيكما اطب ؟ فقال رجل: وهل فى الطب خير ؟ قال : نعم ، الذى انزل الداء أنزل الدواء)) ــ رواه مالك فى الموطا .

وكانت السيدة عائشة فطنة ذكية على جمالها مما جعلها تكون أحب واقرب أمهات المؤمنين الى قلب وروح

النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانت تعى وتعرف كثيرا من الطب القديم والطب النبوى ، وقد نقلت الينا عنها وصفات طبية شافية ناجحة بمفهوم عصرها ولا تزال نافعة الى يومنا هذا

قال هشام لخالته عائشة : اعجب من بصرك بالطب .. قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طعن فى السن وفدت الوفود فتنعته فمن ثم عرفته ـ رواه ابو نعيم .

ومن الجدير بالذكر أن النبى عليه الصلاة والسلام كان ينزل به البلاء نزولا صعبا فكان يشتد به الالم وكان يقول لأصحابه ما معناه :

« انى أوعك مثلما يوعك ثلاثة نفر منكم »

« ومن أحبه الله ابتلاه » ـ « أشد الناس بلاء الانبياء ، ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل » ـ « ولا يزال البلاء ينزل بالعبد حتى يمشى على الارض ليست عليه خطيئة »

ومما يؤثر عن المصطفى أن مرض الموت لم يفل عزمه فلم يتوجع منه وانه لم يسال العفو والعافية فيه كعادته عندما كان يسال الله المعافاة والبرء ، والافاقة .

***

كان النبى عليه الصلاة والسلام حكيما اعطى المعجم الطبى الكثير من الاضافات التى لم يسبق فيها الا فى النادر من الحالات . وكان طبه النبوى ذا سمة مميزة له عن الطب القديم السالف لاوانه . وكان طبا ـ على بساطته ـ نافعا متجددا .

أبرأ الطب النبوى أمراض القلب وشفى علل الصدر وجلا أوجاع النفس وطبب الحالات المستعصية .

روى ابو داود والترمذى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانى لا اعلم مايجزى عن الطعام والشراب غيره » .

واللبن نعمة من نعم الله على الانسان وعلى جميع الكائنات . فسبحانه الذى اوردنا ـ من بين فرث ودم ـ لبنا خالصا سائغا للشاربين .

واللبن ينعش البدن ، يقوى الجسم ويزيد فى كفاءة المقل ، يحتوى على كميات كبيرة من البروتينات والدهون والسكريات والاملاح والفيتامينات .

عن أبى سعيد أن رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان أخى استطلق بطنه فقال : اسقه عسلا فذهب أخوه ورجع ، فقال : سقيته فلم ينجع ، وعاد مرتين : فقال فى الثالثة أو الرابعة : **صدق الله وكذب بطن أخيك : « فيه شفاء للناس »** ثم سقاه فبرىء . . . رواه البخارى ومسلم .

قال قوم « فيه شفاء للناس » عائد على القرآن وبه يقول مجاهد ، الا ان سياق الكلام يعود بنا الى العسل الابيض .

فالعسل الابيض يدفع الفضلات المجتمعة بالمعدة المتراكمة بالامعاء ، فبه جلاء وبه تليين ، وهو سهل الهضم يناسب المحمومين ، ومرضى القلب ، وهو شفاء للشيوخ لما يحتويه من انزيمات ..

وقد قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: ـ « كان احب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ العسل »

ولما كسرت رباعية النبى ، عمدت ابنته فاطمة الى حصير فأحرقتهـا حتى اذا صارت رمادا الصقته على جرحه فرقأ الدم . والمراد بالحصير هنا البردى لان فى رماده تجفيفا فيقطع الدم .

وهذا طب حسن نافع مفيد لايخالف قاعدة العلاج فى عصرنا الحالى المتطور وهو طب سابق لعصره وأوانه .

***

رأى النبى الحكيم ان أصل البلاء كله هو المعدة ، لان مع التخمة تنام الفكرة وتلتهب الاحشاء ، ويحتقن الجسم ، فكان يقول : « المعدة بيت الداء والأزم دواء »

ورأى أن يصيب الانسان من الطعام مايكفى لسد الرمق : ـ

« نحن قوم لاناكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » فبين الجوع والشبع ، وبعيدا عن كليهما ، تسير برامج التغذية الصحيحة التى تقوم بها الصحة السوية .

لا يزال يسير الطب على الخطوط العلمية التى رسمها ووضع أصولها سيدنا محمد بن عبد الله ، اذ لم يغفل الطب الوقائي ، وكان يرى أن درهم وقاية خير من قنطار علاج .

فى الموطا عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« اذا نزل الوباء بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه واذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه » رواه البخاري.

وهذا حجر صحى للحالات التي تظهر عليها علامات المرض المعدى فى البيئة الموبوءة حتى نمنع انتشار هذا البلاء بين الناس مثل الكوليرا والطاعون والتيفوس وغيرها .

وعن أبى هريرة انه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « لا يورد المرض على المصح »

***

اما المرض النفسي فهو مشكلة قديمة جديدة بل جديدة قديمة نشات مع الانسان الاول واحتلت منه ومن كيانه ووجدانه جزءا ليس بالقليل ، ولم يكن سيدنا محمد آسى القلوب والارواح لينسى ادواء النفوس فيشفيها بما اوتي وما اوحى اليه من حكمة سبحان من اعطاه اياها .

نعلم جميعا ان امراض القلب وارتفاع ضغط الدم والالام والاوجاع النفسية تتلاقى فى اسبابها وتتقابل فى علاجها .

قال تعالى : « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة »

وقال صلى الله عليه وسلم : —

« ارحنا يا بلال بالصلاة »

اعطى للنفس اهتماما لائقا بمكانتها فى الكيان الادمى ، ولانها هى مرآة السعادة الحقيقية والانسجام الفعلى مع الوجود .

عن انس رضى الله عنه ان النبى الكريم قد قال : — **« ان دخلتم على مريض فنفسوا له فى الأجل ، فان ذلك لايرد شيئا وهو يطيب انفاس المريض» اى ادعوا له بطول العمر وانفساح** الاجل .

ولقد قرات عبارة طريفة جميلة فى كتاب عظيم فى الطب الحديث لمؤلف انجليزى من كبار الاطباء يقول فيه بالحرف الواحد ما نقلته الى العربية :

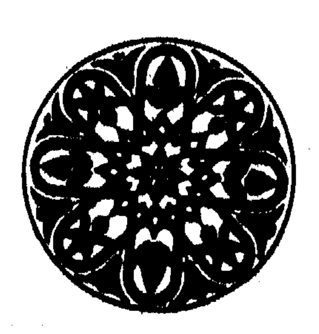
« اذا وجدنا انفسنا امام المريض مكتوفى الايدى من حالته السيئة التى لم يعد فى الامكان انقاذ حياته معها ، فلنكن رحماء عليه بالكلمة اللينة الهينة »

ولينظر القارىء الكريم الى قول الطبيب الانجليزى الكبير والى قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليمحص النظر ، ولن يجد مثلى اية زيادة او اضافة الى منهاج محمد بن عبد الله فى علاج تباريح النفس .

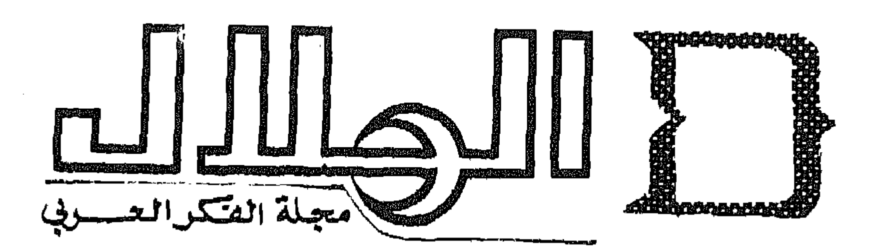
وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعود احد اصحابه وقد كان يئن فقيل له اسكت فان رسول الله قد اقدم بالباب فقال عليه الصلاة والسلام : — « بل دعوه يئن فان الأنين اسم من اسماء الله يستريح له قلب المريض »

هكذا نرى ان كلمة تاوه او آهة او انة قد تريح الخاطر وتطيب المشاعر لأن فيها تفريجا لنفثات مضمرة .

صلاة الله وسلامه عليك يا سيدى يارسول الله وسلام على الشهداء والصالحين والمؤمنين من امتك الى يوم الدين .



العـــدد القـــادم من



عـدد ممـتاز

تقـرأ فيه :

ذكرى قصة حب أقوى من النسيان !

مع استطلاع رائع بالألوان
وصور لم تنشر من قبل لـ "تاج محل"

السيرة النبوية (رؤية جديدة)

الحلقة الثانية - الفترة المكية

البحر الأحمر .. عالم من الجمال والثروات والأسماك

مع صور رائعة بالألوان

حلقة جديدة من المسلسلة المثيرة :

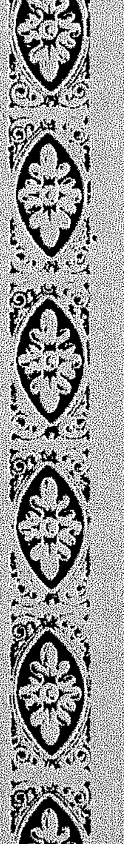
لا تخف .. الموت عالم بهيج .. !

مع أبواب الهلال المتجددة
ومختارات من أجمل الشعر والقصص

لا يفوتك هذا العـدد

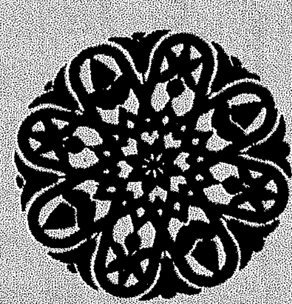
يصدر أول سبتمبر - الثمن ١٥ قرشا

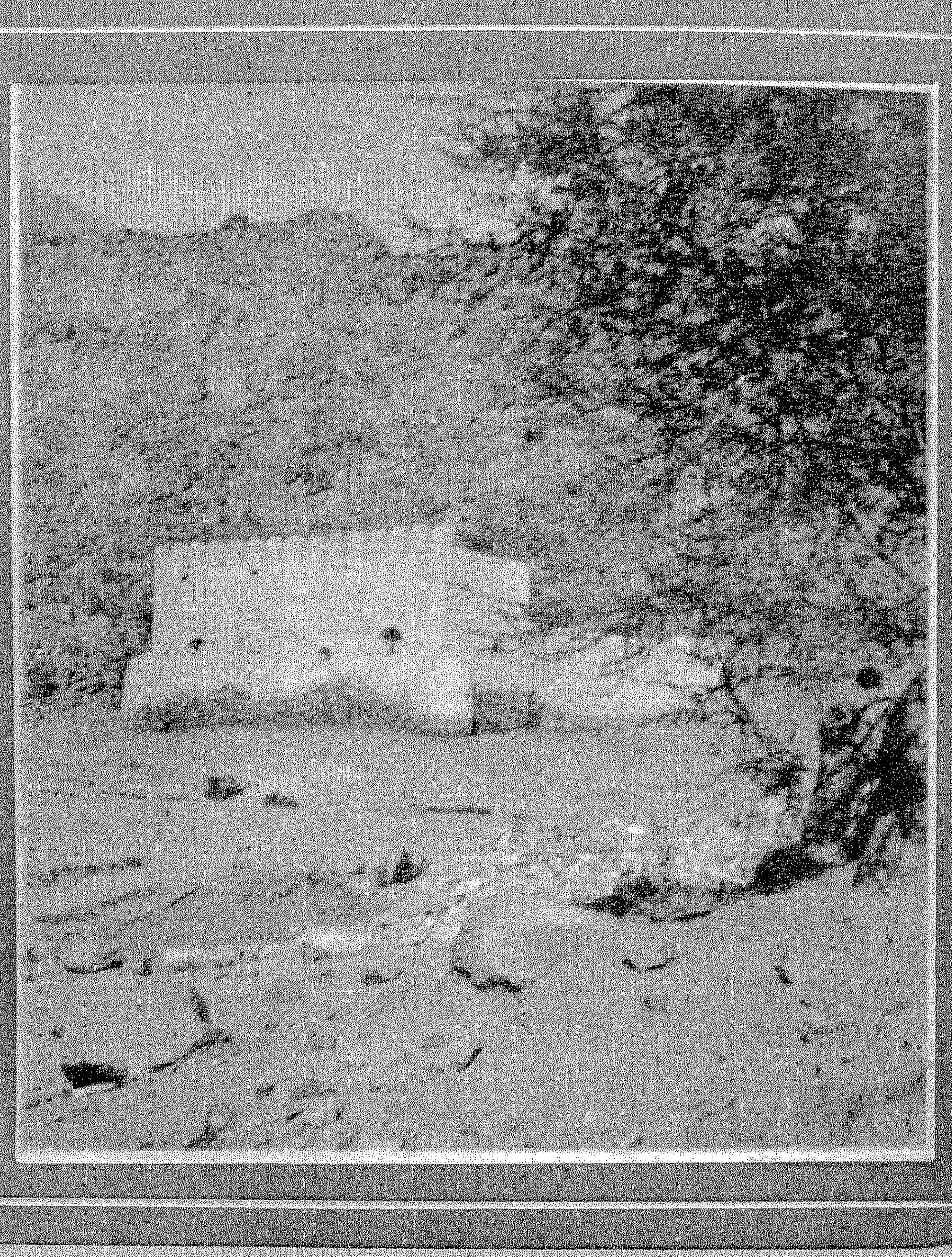
مع الرسول الأعظم في عالمه الرحيب



عاش الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة وزار معظم نواحي الحجاز وخرج إلى الشام مرتين ، وفي أثناء مغازيه شاهد الطرق وعرف المواضع والناس . وفي غزوة خيبر عرف مواطن غطفان وعرف منطقة خيبر معرفة كاملة وفي غزوة تبوك عرف الطريق إلى الشام معرفة تامة ورأى منازل صالح وديار ثمود حتى وصل إلى مشارف الشام ورأى أيلة وخليج العقبة .

ولكن عالم محمد كان أرحب بكثير مما رآه بعينيه ، فقد عرف عن طريق الوحي أضعاف ما عرف عن طريق الرؤية ، وكان يحسن الإنصات والإفادة مما كان يسمع ، ويدرك بذكائه الخارق في سعة عالمه الرحيب ليسع أكثر مما رآه أثناء الإسراء وفي هذا المقال سنرى آفاق هذا العالم وفي صورة تستعرض بعض ما رآه الرسول بعينيه الشريفتين





قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة بشهور ، اجتمع وفد من الاوس والخزرج أتوا ليلتقوه مع مصعب بن عمير الصحابي الجليل وكان اللقاء في منتصف الليل بموضع الى شمالي مكة يسمى العقبة . وهناك اتفق الرسول مع نقباء اهل المدينة على الهجرة الى بلدهم ، وبايعوه بيعة العقبة الثانية . وفي موضع هذا اللقاء التاريخي اقيم ذلك المصلى الصغير الذى تراه في الصورة

مع الرسول الأعظم في عالمه الرحيب

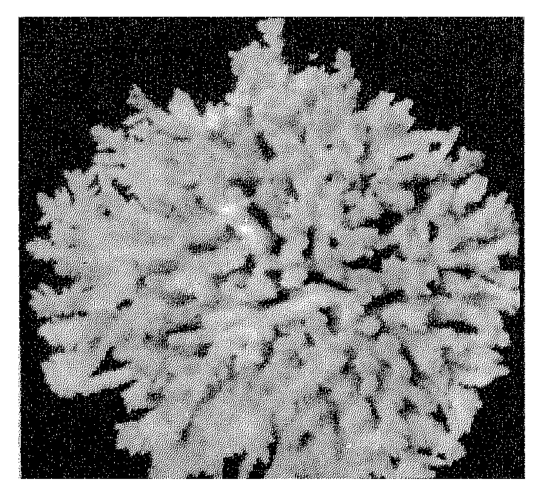
عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة أولا ثم فى المدينة ، وفى طفولته وصباه عاش فى منازل قبيلة بنى سعد بن بكر قبيلة حليمة السعدية الى شرقى جبال السدة مما يلى مكة ، فعرف الصحراء الواسعة موطن الاعراب وهو بلد الرمال والصخور والاعشاب والخيل والجمال .

وفى الثانية عشرة من عمره سافر الى الشام مع عمه أبى طالب ونفرمن القرشيين للتجارة ، فعرف الطريق من مكة الى الشام، ومر بمدائن صالح ورأى آثار ثمود بها ، ودخل الشام ورأى رياضه وبواديه ومدنه ودخل «جوى» وكانت حصنا رومانيا ، وهناك رأى الروم واحبار النصارى ، ورآه الراهب سرجيوس الملقب ببحيرا « ومعناه الراهب » فتوسم فيه النبوة ، ولكن محمدا كان صغيرا جدا اذ ذاك ولا يمكن أن يكون بحيرا قد ترك فى نفسه أى أثر .

وقبيل بعثته عرف كل ماحول مكة وخاصة البطاح الممتدة الى غار حراء ، فقد طاف بهذه البطاح مرات ومرات وعرف صخرها وشجرها ، وبعد ان نزل الوحى عليه فى غار حراء، ونهض عائدا الى بيته حنت اليه جذوع الشجر وسمع الصخور تسلم عليه : السلام عليك يارسول الله . وعرف الرسول بطن مكة وظاهرها وشعابها ووديانها وقبائلها ، وأحب كل شىء فيها

وفى سن الرابعة والعشرين زار الشام زيارته الثانية ، وقد خرج هذه المرة بتجارة السيدة خديجة ، وكان معه مولاها زيد بن حارثة ، وفى الشام عرف محمد عالم التجار وباع واشترى ونجح وربح ، وبدت عليه دلائل الكمال والأمانة والصدق ، وعندما عاد الى مكة بالنتيجة الباهرة التى عاد بها أصبح من تجار مكة المرموقين واستقل بتجارته ، ثم رغبت اليه السيدة خديجة فى الزواج منها ، فتزوج بها وعرف هناء الحياة الزوجية السعيدة وأحس بنعمة الولد ، أنجب منها ابنه القاسم وبه يكنى وبناته زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة .

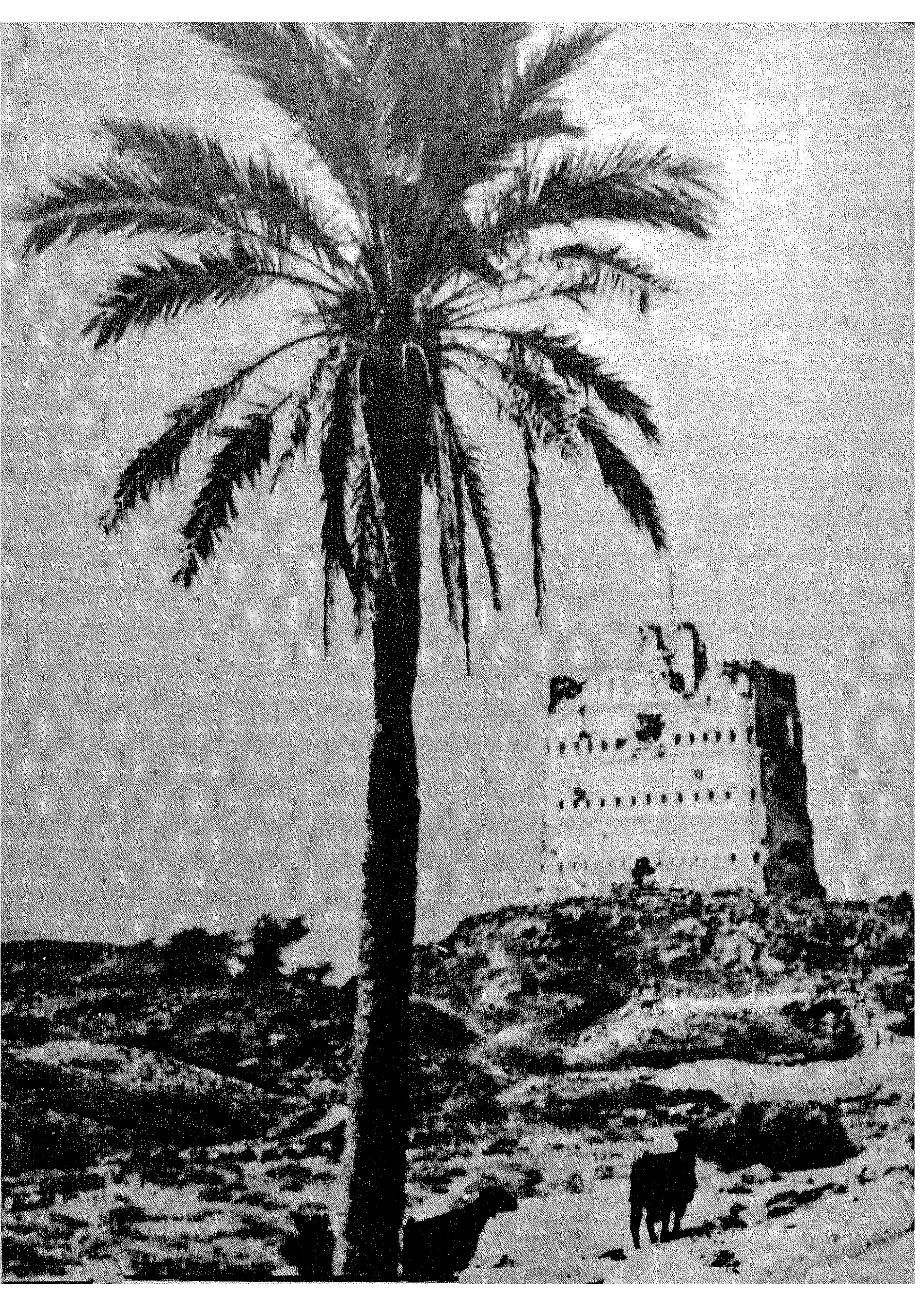
وبعد بعثته عرف كل القبائل حول



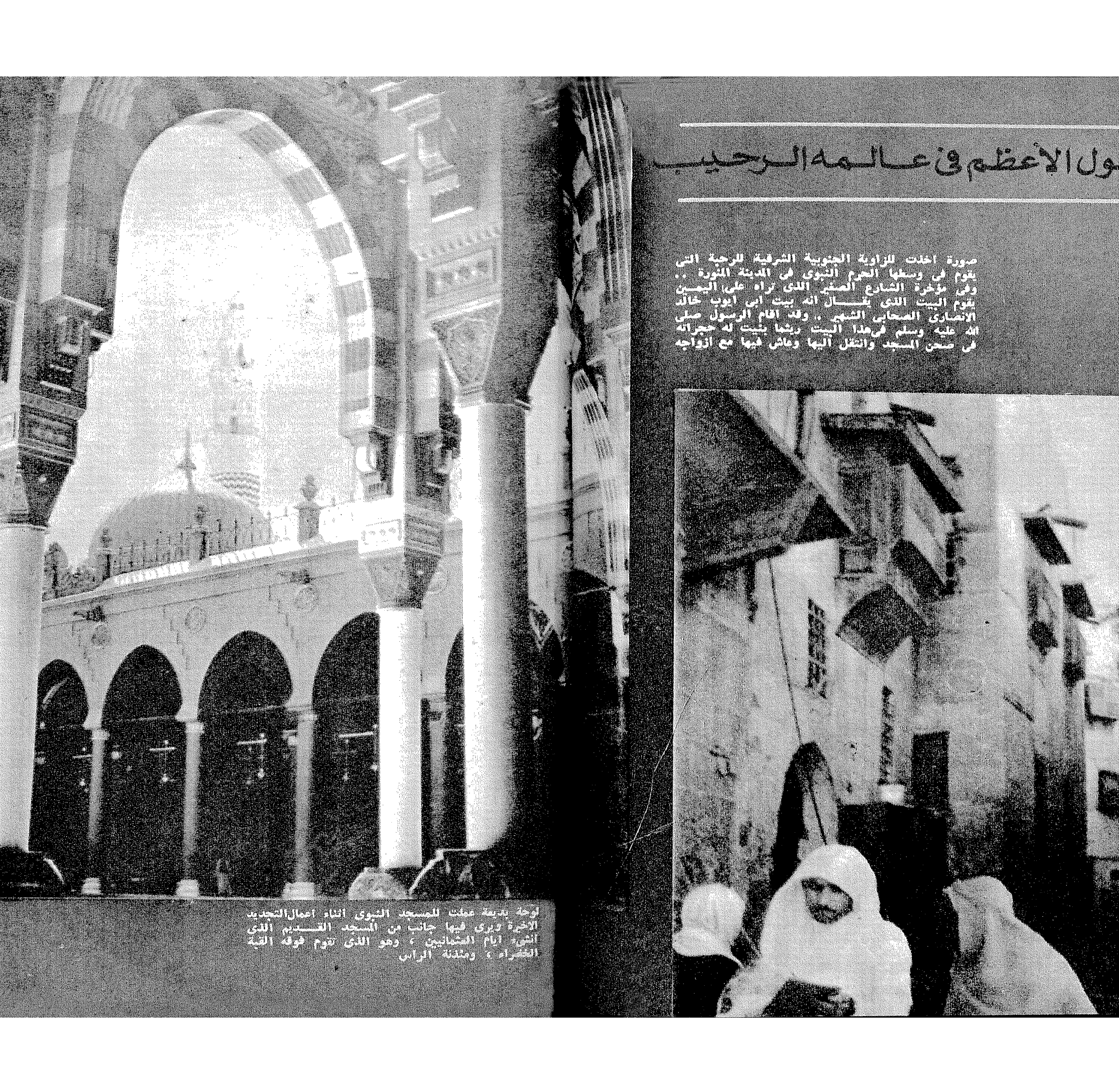
شعب مرجانى جاف قريب من خليج العقبة ، رأى الرسول صلى الله عليه وسلم امثاله فى رحلاته الى الشام ، وذكره فى احاديثه عن غزوة تبوك وورد ذكر المرجان فى سورة الرحمن ..

مكة اذ كان يخرج لدعوتها الى دخول الاسلام ، ثم زار الطائف داعيا للاسلام فرأى حدائقها ومزارعها والتقى بنفر من الثقفيين ووجد من تحجر قلوبهم واستحالة هداهم ما أثار الله ، لقد وجدهم لا يقلون عتوا عن كفار مكة .

وعندما هاجر الى المدينة عرف الغار الذى قضى فيه ثلاثة أيام ، وسلك مع صاحبه أبى بكر طريقا جديدا عن الجادة ولكن ابن اسحاق حدد لنا معالم هذا الطريق فهو ينحرف يمينا



النخلة سر من أسرار قوة العرب فى الجاهليـــة وبعد الاسلام، فلا يمكن أن نتصور الفتوح الاسلامية، الا اذا ذكرنا ان الغذاء الرئيسى للفاتحين كان التمر، فقبضة واحدة منه تكفى الرجل لغذاء يوم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب النخـــلة ويثنى عليها . وهذا المنظر الذى تراه شـــهده الرسول عندما هاجر من مكة الى المدينة ، فهاهنا نخلة وأعناز وفى الصورة أطم من آطام المدينــة وهى حصونها ، وكان لكل قبيلة اطمها الذى تحتمى به أثناء الحرب، وكانت المدينة حافلة بالاطم فى العصر النبوى . .



...ول الأعظم في عـالـمه الـرحـيـب

صورة اخذت للزاوية الجنوبية الشرقية للرحبة التي يقوم في وسطها الحرم النبوي في المدينة المنورة .. وفي مؤخرة الشارع الصغير الذي تراه على اليمين يقوم البيت الذي يقـال انه بيت ابي ايوب خالد الانصاري الصحابي الشهير ، وقد اقام الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ريثما بنيت له حجراته في صحن المسجد وانتقل اليها وعاش فيها مع ازواجه

لوحة بديعة عملت للمسجد النبوي اثناء اعمال التجديد الاخيرة ويرى فيها جانب من المسجد القـديم الذي انشيء ايام العثمانيين ، وهو الذي تقوم فوقه القبة الخضراء ، ومئذنة الرأس

عند الرويقة ، ليمر جنوبا بشرق مناطق العرج والفرع ثم الابواء ثم يتصل مرةأخرى بالجادة عندعسفان شمالي مكة .

عرف النبى هذا الطريق معرفة جيدة ، وكان احب الطرق اليه فى ذهابه من المدينة الى مكة وعودته منها، لان هذا الطريق الجانبى كان يمر بالابواء ، وعند الابواء كان خبر آمنة بنت وهب أم الرسول رضى الله عنها ، هناك ماتت ودفنت .

وعرف صلى الله عليه وسلم الجادة وهى الطريق التقليدى المؤدى من المدينة الى مكة، وكانت تسير من المدينة جنوبا من الرويقة ثم تتصل فى خط مستقيم تقريبا الى عسفان ثم الحديبية فمكة

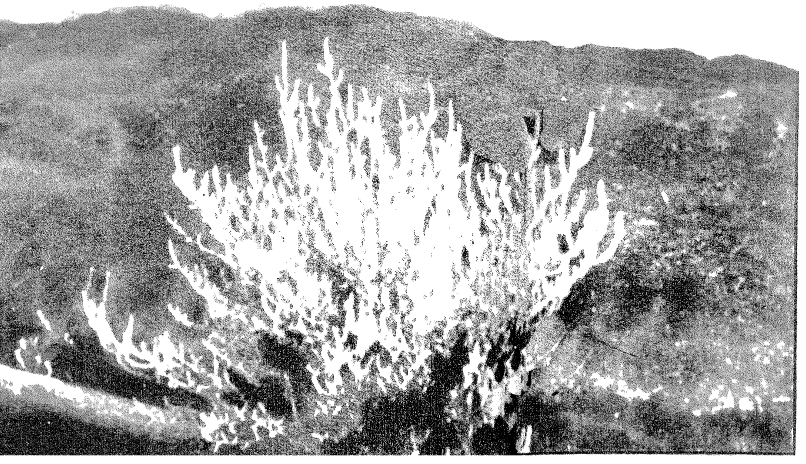
***

وفى المدينة عرف الرسول الكريم قباء ، ضاحية المدينة الجنوبية ، وفيها نزل عند هجرته وأقام بدار كلثوم بن الهدم أو الحارث بن الشيهان ، واجتمع هناك بأصحابه القرشيين الذين سبقوه فى الهجرة الى يثرب وخاصة عمر بن الخطاب ومصعب بن عمير ، والتقى هناك بمن وفد عليه للتشاور معه من الانصار ثم ابتنى مسجد قباء ، وهو أول مسجد بنى فى الاسلام ، وهو المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم كما ورد فى القرآن الكريم .

ثم انتقل الى منازل بنى عدى بن النجار فى وسط المدينة وهناك نزل فى دار أبى أيوب خالد الانصارى ..

وبعد قليل أنشأ مسجده قرب دار أبى أيوب وشارك فى البناء بيده الكريمة ، ثم أنشأ مدفنا للمسلمين فى بقيع الفرقد الى شرق المدينة ، وكان أول من دفن فيه صاحبه الوفى عثمان بن مظعون .

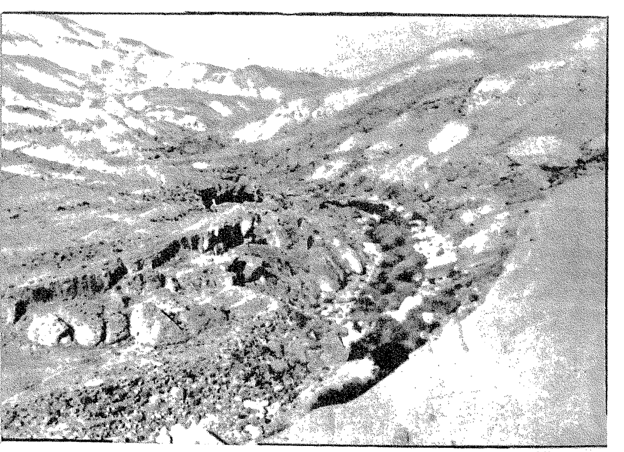
والى غربى دار أبى أيوب كان موضع المسجد ، ومن المسجد امتد طريق مبلط يسير غربا حتى ينتهى الى جبل سلع ، وعند جبل سلع بنى الرسول ثالث مساجده فى المدينة : مسجد



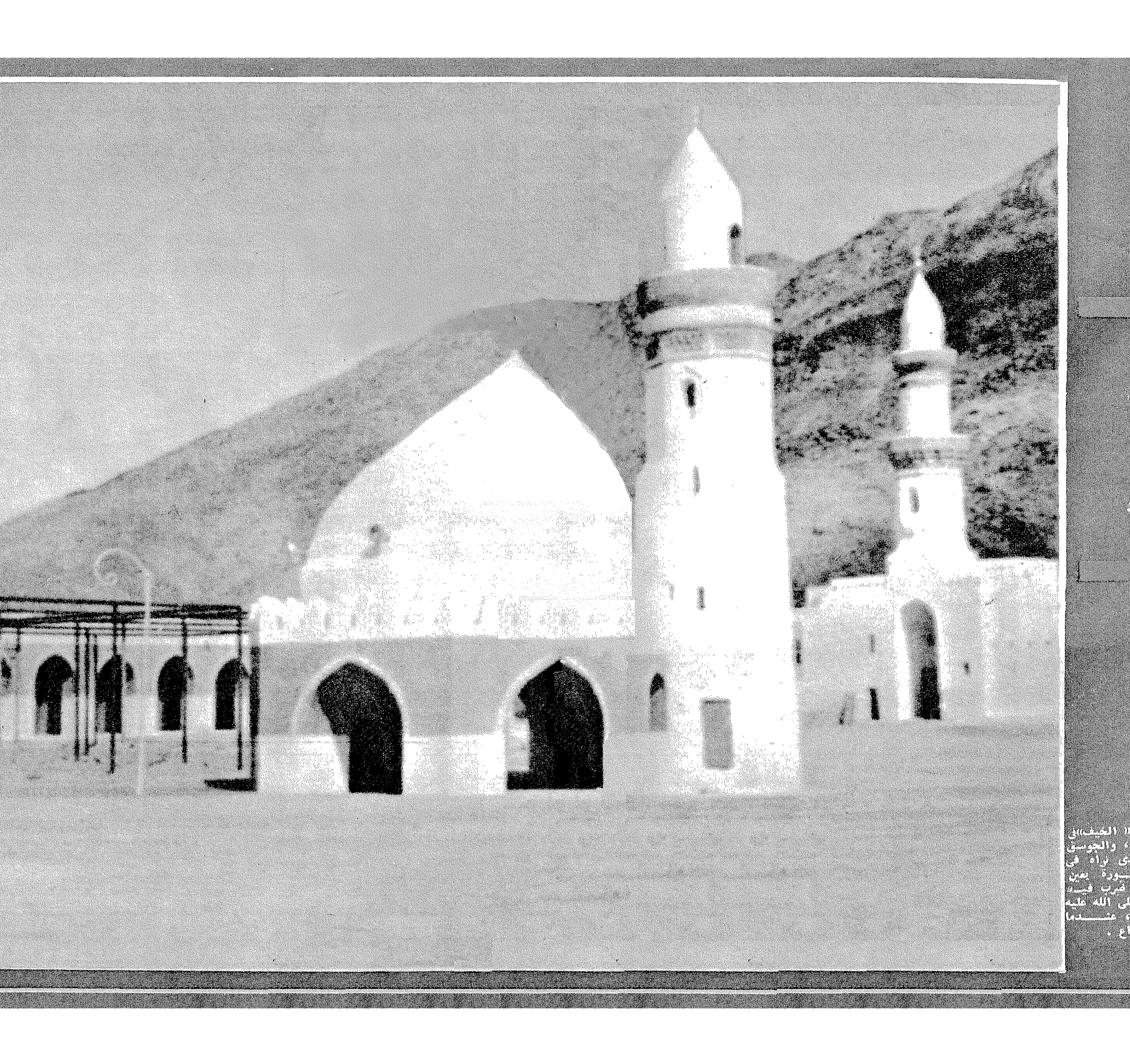
نبات صحراوى يسمى «العضاه» كانت ترعاه الابل ، ويكثر فى الموضع الذى يقوم فيه غار حراء ، وقد رآه الرسول وتحدث عنه فى احاديثه الشريفة .

منظر بطاح مكة ماخوذ من داخل غار حراء ،هذا المشهد رآه الرسول ساعات متوالية وهو فى الغار





الطريق الجانبى من مكة الى المدينة ، الذى يمر بالابواء والفرع ، والفرج ، ثم العقيق ، ثم قباء، ثم المدينة .. هذا الطريق سلكه الرسول فى هجرته مع أبى بكر ، وكان يفضله دائما فى ذهابه من المدينة الى مكة .



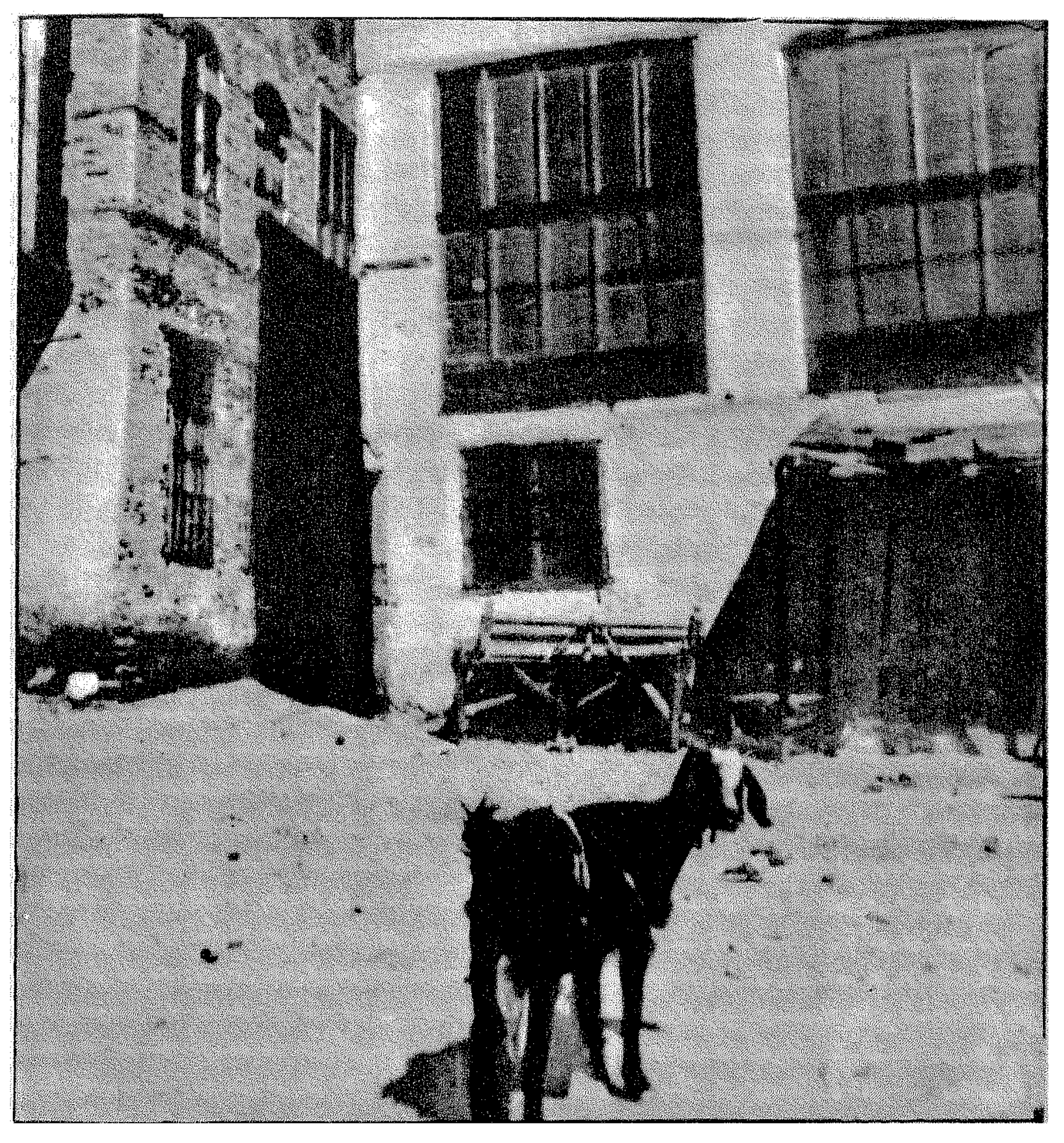
... «الخيف» في
... والجوسق
... ى تراه في
... ـورة بين
... ضرب فيه
... لى الله عليه
... عندما
... اع .

الفتح وهو واحد من مساجد كثيرة بنيت في المدينة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم سميت بمساجد الفتح كما يقول السمهودى فى وفاء الوفا .

***

ومن المدينة المنورة دافعت الجماعة الاسلامية الناشئة عن دينها ضد عدوان المشركين : ((**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير**))

وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم جماعته ببراعة فائقة ، وان الانسان ليدهش من سعة علمه بالحجاز وكل ما فيه من بلاد وعباد . لقد كان يخرج بالغزوة فنجد أنه يعرف الطريق خطوة خطوة والناس الذين على الطريق قبيلة قبيلة ، بل هناك مواضع لم يسبق له صلى الله عليه وسلم ان زارها ، ولكننا نجد أنه يعرفها تماما ، والسر فى ذلك أنه كان يحسن الاستماع والافادة مما يسمع ، لقد كان قليل الكلام ، واذا تكلم قصد الى مايريد رأسا فى أقل لفظ ممكن . ولكنه



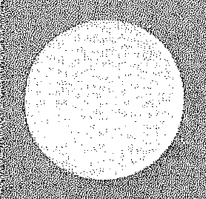
يقولون ان البيت الذى على يمين الصورة هو الذى سكن فيه الرسول الكريم مع السيدة خديجة رضى الله عنها ، ولكننا لا نثق فى ذلك لان المبنى لا يمكن ان يكون عمره اكثر من مائة سنة ، ولكننا نعتقد على اى حال ان مثل هذا البيت بهذه الهيئة ، يمكن أن يكون موجودا فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.



منظر من جبال مكة فى منطقة غار حراء ، والجبال هناك مرتفعات سوداء من الحجر البازلتى ، غريبة الاشكال ، ولابد ان الرسول الاعظم شهد هــذا الجبل مرات عديدة

كان يحب أن يستمع الى الناس .. كان يجلس قبل البعثة فى مجــالس القرشيين فلا يقول الا القليل ، ولــكنه ماكانت تفوت انتباهه عبارة يقولها أحد من الجالسين ، وبعد البعثة كان طويل الاستماع الى أصحابه وكان يســأل ويستفسر . وعن طريق حســن الانصات والاستماع جمع الرسول علما كثيرا جدا بالعرب وبلادهم وقبائلهــم وزجال هذه القبائل ، وعرف الـكثير عن العرب فى الشام وعن أهل الشام والروم والفــرس والاحبــاش تتجلى **معرفته بالدنيا وأهلها عندما أشار على أصحابه المضطهدين فى المدينة بالهجرة الى الحبشة ، وقال لهم انهم سيجدون فيها أمنا على دينهم وسبيلا الى العيش لان فيها ملكا لا يظلم أحــدا ، وقد صدقت فراسته ، فلم يكن المسلمون الاول ليجدوا مهجرا هو آمن لهم وأوفق لمطلبهم من الحبشة . أقاموا هنــاك آمنين حتى عادوا الى الحجــاز بعد هجرة الرسول الى المدينة .**

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حركة دائمة فى المدينة . ماكان يستقر فى داره الا لاداء عباداته وللاجتمــاع مع بعض أصحابه ، فقد كان حريصا على أن يزور القبــائل فى منازلها ، والناس فى دورهم ، فعرف عن سبيل هذه الحركة الدائمة عن المدينة وكــل مايتصل بها كل شىء . وقد كان هذا معينا له على ماطلب من تكوين أمــة الاسلام تكوينا سليما متينا ، فــكان



رسم للحرم المكى فى العصر العثمانى وتظهر فيه بعض بيوت مكة وجبالها فى ذلك العصر ، وعلى يسار الرسم وضع الفنان فى صورة شجرة نص التلبية باللغة العربية مع دعوات باللغة التركية .



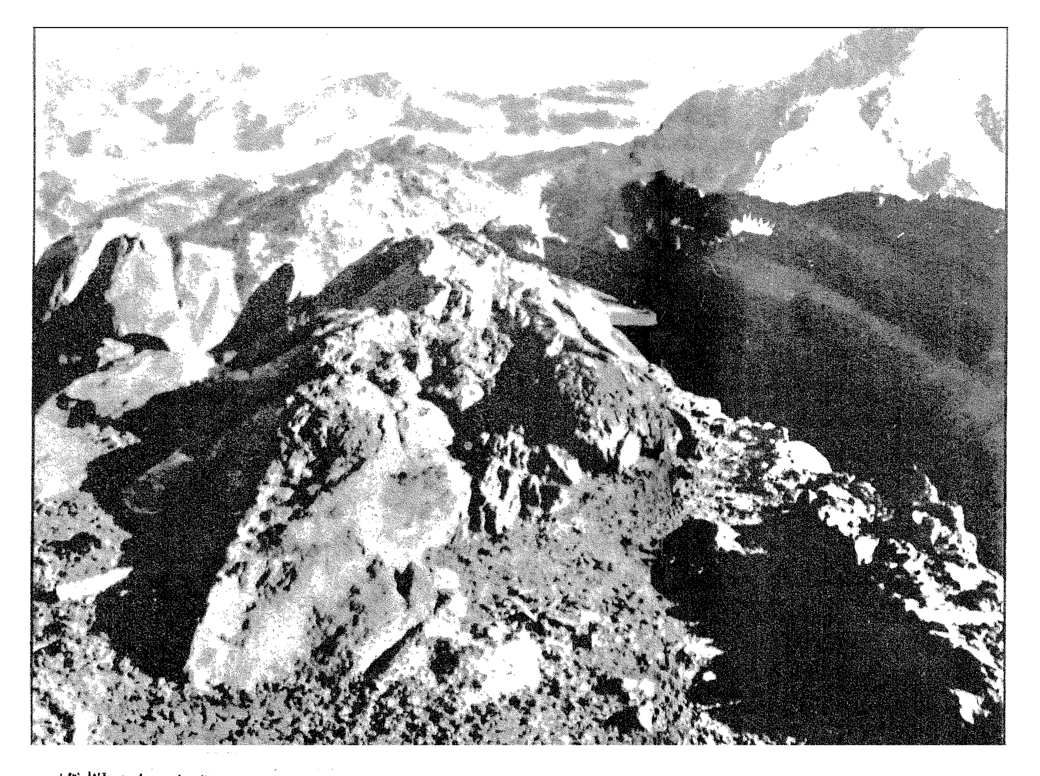
صورة جميلة للكعبة في الليل ، اخذت قبـل الإنشاءات الجميلة الجديدة التي اضافتها الحكومة السعودية الى الحرم المكي ، والقباب التي تراها في اسفل الصورة على اليمين قباب عثمانية انشئت سنة ٩٩٤

رف من يعتمد عليه ومن لا يعتمد
ليه ، والى من يعهد بهذه المهمة أو
لك . وما أتاه زائر من قبيلة من قبائل
لحجاز أو الجزيرة الا استمع
ليه مليا ، ومن هنا فقد كانت
لجزيرة فى ذهنه كتابا مفتوحا
لا يند عن علمه بها شىء : والى
هذا العلم يرجع توفيقه الكامل
فى كل غزوة قام بها وكل سرية بعث
بها . فقد كان يعرف تماما الى أين
سيذهب ومن سيلقى وماذا سيعمل ،
فاذا بعث رجاله بسرية أعطى قائدهم
التعليمات الدقيقة عن الطريق والوجهة
التى يتيممها والمهمة . وفى بعض
الاحيان كان يعطى تعليماته مكتوبة :
كان يمليها على أحد كتاب الوحى
ويناولها مغلقة لقائد السرية ويحدد له
فيها الوقت والمكان الذى يفتح فيه
الخطاب ويقرأ هذه التعليمات .

وفى غزوته الكبرى الى تبوك نرى علمه الواسع بالطريق والناس ، ففى كل مرحلة من مراحل هذه الغزوة نرى الرسول يعرف أصحابه بكل شىء ، وما من عين ماء مروا بها الا كان له بها علم ، ويستوقف نظرنا علمه بمدائن صالح وارض ثمود ، ثم معرفته بخليج العقبة وأيلة وغيرها من المواضع الواقعة على ذلك الخليج : ثم معرفته التامة باهمية تبوك ، فقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه وضع فى تبوك حجرا وقال : هنا شام « واشار الى الشمال » وهنا يمن « واشار الى الجنوب) .

***

ونلاحظ هذه المعرفة التامة بالجزيرة وما فيها فى تفاصيل غزوة خيبر . فقد كان يعرف الطريق اليها معرفة تامة ، وكان يعرف خيبر بأوديتها وتلالها جميعا ، وقاد الهجوم عليها بناء على خطة واضحة ، حتى عندما اشتدت عليه وطأة الشقيقة ، وهى صداع كان يعتريه ، وعهد الى على بن ابى طالب فى قيادة الحرب يوما ، كانت تعليماته له دقيقة واضحة.
وعندما استسلمت خيبر عرف كيف يفيد من نصره على احسن وجه يمكن تصوره ، فترك ارض خيبر فى ايدى أهلها يزرعونها لأنهم اعرف بذلك ولكن ملكيتها أصبحت للجماعة الاسلامية، وقاسمهم ثمار الارض وقسم الثمار على من اشتركوا فى الحديبية وخيبر



من غار حراء ، يتجلى هذا المشهد ، وفى سيرنا فى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقفنا نتأمل هذا المشهد الذى شرفه الله برؤية الرسول اياه قبل البعثة خلال شهر رمضان الذى كان يتحنث فيه فى غار حراء . .

وفى العام التاسع للهجرة وهو عام الوفود ، نجد الرسول يستقبل الناس وهو يعرف عنهم وعن بلادهم كل شىء من عمان وحضرموت الى اليمن الى أرض اليمامة ، واننا لنتعجب من هذه المعرفة الواسعة التى تحصلت للرسول عن طريق الرؤية أولا والسماع ثانيا والذكاء الفطرى وحسن التصور ثالثا.
لان عالم الرسول صلى الله عليه وسلم كان عالما واسعا جدا .. وما احطنا به من هذا العالم، اقل بكثير مما لا نحيط به

وفى هذه الصفحات نتتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فى بعض روحاته وغزواته وفى بعض مراحل حياته ونأتيك بصور لبعض ما شاهده وما وقع عليه بصره .. انك فى هذه الصفحات تسير فى أعقاب الرسول الاعظم ، وتعيش لحظات فى عالمه الرحيب .

د . حسين مؤنس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
فَضْلًا كَبِيرًا *

صلى الله عليه وسلم • صلى الله عليه وسلم • صلى الله عليه وسلم • صلى الله عليه وسلم

من حديث محمد

صلى الله عليه وسلم

* الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف

* اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

* كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم ،فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله ... فقال صلى الله عليه وسلم : لاتقولوا هذا ، فانه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله .. وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ، ويكفيهم فهو في سبيل الله ... وإن كان يسعى تفاخرا أو تكاثرا فهو في سبيل الشيطان .

* ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه ، حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط ، فقال : لا . إلا أننى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى : سامحوا الموسر . وتجاوزوا عن المعسر .. فقال الله تعالى : نحن أحق بذلك منك ، فتجاوز الله عنه وغفر له .

محمد وخديجة

د. طه حسين

قالت خديجة لنسائها في صوت المروعة المأخوذة : اقبلن ، فانظرن .. فاني ارى شيئا ما راى الناس مثله قط !

واقبل نساؤها ، فلما نظرن اكبرن ، ثم ارتعن فتراجعن ، ثم عدن فجددن النظر ، وقد ذهبت بهن الحيرة كل مذهب .. فقلن لخديجة مبهورات مسحورات : ما ينبغي ان يكون هذا رجلا من الناس .

قالت خديجة : « انه والله لرجل قد عرفت امه واباه ، وشهدت مولده ، وسمعت احاديث الناس عنه ، وآراءهم فيه ، وقد طالما رغبتنني عنه وحولتنني عما كنت اريد منه ، فاما الان فلن تبلغن مما حاولتن شيئا » .

وما كادت تتم حديثها حتى كان محمد ابن عبدالله قد دخل عليها فانباها في لفظ عذب سريع بما كان من رحلته الى الشام ، وبما عاد اليها من ربح مضاعف لم تكن ترجوه ولم تعد بمثله اليها العير منذ تعودت أن ترسل تجارتها الى الشام مع العير ..

ولقد أتم محمد حديثه دون ان تعرف خديجة كيف ترد عليه هذا الحديث ، او تشكر له هذا الصنيع ، او تكافئه على ما ساق الله اليها على يديه من خير .

ولكن محمدا لم يمهلها ، وانما قال لها ما قال وانصرف عنها مسرعا ، فعادت النساء الى خديجة يقلن لها : ما ينبغي ان يكون هذا رجلا من الناس .

قالت : « ويحكن، لقد رأيتنه وسمعتنه وعلمتن انه محمد بن عبد الله ، ذلك الذي كان يرعى لقومه الغنم بالقراريط في اجياد . »

قلن : « لقد راينا محمدا غير مرة وهو يدفع الغنم أمامه عائدا بها الى حظائرها فما رأيناه قط على مثل هذه الحال ...

لقد كان منظره يعجب ، ولقد كانت أحاديث قومه عنه وآراء قومه فيه تصبى اليه النفوس ، وتعطف عليه القلوب ، ولكنه كان على كل حال فتى فقيرا معدما يرعى الغنم لقومه بأجياد ، وكنا نرى أن ليس من النصح لك ولا من الاخلاص في مودتك والوفاء بمالك علينا من حق ، ان نعينك على ما كنت تجدين من حب له وميل اليه ورغبة في أن تتخذيه لك زوجا، وانت من تعلمين مكانة في قومك وارتفاعا في نسبك وضخامة في المال وسعة في الثروة وسلطانا على نفوس الكهول والشباب من سادة قريش وأشراف مضر ، كلهم سعى اليك ، وكلهم رغب فيك ، وكلهم خطبك وتمنى ان تكوني له زوجا ، فما صبوت الى واحد منهم وما حفلت بما اضمر لك من حب وما اظهر لك من ود ، وماقدم اليك من مال .. »

قالت خديجة : «لئن كنت رفيعة المكانة في قومي فما مكانة محمد من قريش دون مكانتي ، وانا لننتهي جميعا الى قصي .. ولئن كنت كثيرة المال ضخمة الثروة فما عرفت قط ان المال يزن الى جانب الحب شيئا ، ولقد رددت من خطبني من اشراف قومي وسادتهم لاني لم اشعر قط بالميل الى احد منهم ، ولم افكر في ان امرى يصلح للزواج او يستقيم عليه ، ولم ار قط ان بين هؤلاء السادة والاشراف من شباب قريش وكهولها من يستطيع ان يستعلي بعقله ورايه على عقلي ورأيي .. ولكن ما رأيت محمدا قط الا صبت اليه نفسي ومال اليه قلبي واذعنت لسلطانه العظيم على كل الاذعان » ..

قلن : كان ذلك قبل ان ترى ما رايت الان ، فاما بعد هذا المنظر العجيب الذي لم ير الناس مثله قط ، فما ندري ماانت فاعلة ..

قالت : «سترين ما أنا فاعلة ، ولكن أن تعرفن او تنكرن وان ترضين او تغضبن »

قلن : ما ينبغي لنا ان ننكر او نغضب، وقد راينا ما راينا ، وانك لاسعد امراة من قريش أن ظفرت بأن يكون محمد لك زوجا » .

هنالك أحست خديجة أن في قلبها حبا لهذا الفتى لم تعرف كيف تصفه ولا كيف تسميه ، ولكنها كانت تجد من نفسها الطاهرة نزاعا شديدا الى ان تراه وتسمع منه وتتحدث اليه ، ولم يكن ذلك يتاح لها ولا يهون عليها ، فأين هي مع ثروتها الضخمة ومالهاالكثير ومكانتها الممتازة ، من هذا الفتى اليتيم الذى ينفق أكثر أيامه خارج مكة يرعى الغنم فاذا عاد الى مكة اعتزل الناس ، وكان كالمعتزل لهم ، فلم يعرض لخديجة ولم تستطع خديجة ان تعرض له ، ومع ذلك فقد كانت نفسها تتبعه وقد كان شخصه لا يفارق قلبها ، وكثيرا كثيرا ما تحدثت عنه الى نسائها فسمعن منها ثم قصصن عليها من أمره الاعاجيب ، وان قريشا كلها لمجتمعة على حبه وايثاره والاعجاب بسيرته واخلاقه وانها لا تسميه محمدا وانما تسميه الامين **ولكنها كانت كلما راى نساؤها ذلك انكرن عليها اشد الانكار ، ورددنها عنه اشد الرد ، وصورن لها فقر الفتى وبؤسه وما هي فيه من ثروة ونعيم ،وذكرن لهاتنافس الاشراف والسادة فيها ،وحرصهم جميعا على ان يبلغوا منها هذه المنزلة التي تؤثر بها هذا الفتى اليتيم ، فاحست خديجة ان نساءها لم يفهمن عنها شيئا وانهن لن يفهمن عنها شيئا ، وردت سرها العزيز الى مكانه الامين من نفسها الطاهرة وقلبها الكريم وانتظرت حتى تهيات العير فى عام من الاعوام للرحلة فى التجارة الى بلاد الروم ، وجعلت خديجة تهيء تجارتها وجعل الناس من فقراء قريش يعرضون انفسهم عليها ليرحلوا فى تجارتها الى الشام ، كما تعودوا ان يفعلوا من قبل ، ولكن خديجة لم تسمح لاحد منهم ، ولم تقف عند احد منهم ، وانما القى فى نفسها دون ان تعرف كيف القى فى نفسها ، ان محمدا سيكون هذه المرة صاحب تجارتها الى الشام ، فلا تسال نساءها عن شيء وانما ترسل الى عمه ابى طالب رسولا يعرض عليه الامر ، ويهون عليه ما كان يستصعب منه ، ويصور أن الفتي قد اصبح رجلا لا باس عليه من مشقة السفر وهو بعد سيكون في طائفة من قومه يحمون العير بالعدد والعدة ، ويزين له ان خديجة قد تعودت ان تاجر المسافرين فى تجارتها بكرين ، وانها لا ترضى بهذا الاجر لابن عمها الامين فهي تاجره اربعة بكر .**

وما كان ابوطالب ليرضى هذاالعرض أو يقبله لولا ان قد كان لله في ذلك حكمة ، ولولا ان الله قد ألقى في قلبه الرضا بهذا العرض لامر يراد ، فقدكان أبو طالب شفيقا على ابن أخيه رفيقا به يكلؤه ويرعاه ، ويحوطه ويحميه ، فلم يرسله أبوطالب معالعير بل لم يفصل أبو طالب مع العير متجرا ، وانما أبقىابن اخيه فى مكة واقام معه فيها حاميا له ذائدا عنه ، فلما عرض عليه رسول خديجة ما عرض هم ان يرفض ، ولكن الله القى في نفسه القبول ، فقال للرسول سأعرض هذا على ابن أخي ، ثم يلقى ابن أخيه فيعرض عليه الامر مرغبا له مشجعا اياه .

وما كان الفتي فى حاجة الى ترغيب او تشجيع ، فان الذى قد القى فى نفس خديجة اختياره لتجارتها هذا العام ، والقى فى نفس ابى طالب قبول هذا الاختيار حين عرضه رسول خديجة عليه ـ قد القى فى نفس الفتى قبول هذا الاختيار حين تحدث اليه عمه فيه .

وهذه العير تتهيا للخروج من مكة ، وهذا الفتى يتهيا للخروج معها في قومه من قريش وقد الحقت به خديجة غلامها ميسرة ، وهؤلاء عمومة الفتى يوصون به رفاقه من قريش ويغلون فى هذه التوصية فلا يسمعون من اصحاب العير الا هذا الرد الجميل يلقونه اليهم باسمين : « ما ايصاؤكم الينا بالامين ، وما منا الا من يبذل حياته فداء للامين »

د. طه حسين

رجال محمد

د. أحمد أمين

لعل من أهم الفروق التي تميز المسلمين في أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم ، « خلق الرجولة » فقد غني العصر الأول بمن كانوا هامة الشرف ، وغرة المجد وعنوان الرجولة .

تتجلى هذه الرجولة في « محمد » اذ يقول : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ..

كما تتجلى في أعماله في أدوار حياته، فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الفذة ،ايمان لاتزعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره ، وعمل دائب في نصرة الحق ، وهيام بمعالى الأمور ، وترفع عن سفسافها .. حتى اذا قبضه الله اليه لم يترك ثروة كما يفعل ذوو السلطان ، ولم يخلف أعراضا زائلة كما يخلف الملوك والأمراء . انما خلف مبادىء خالدة على الدهر ، كما خلف رجالا يرعونها وينشرونها ، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجلها

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة ، فأقوى ميزات « عمر » أنه كان « رجلا » لا يراعي في الحق كبيرا ، ولا يمالىء عظيما أو أميرا ... يقول في احدى خطبه : « أيها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندي من القوى حتى آخذ الحق منه »

وينطق بالجمل في وصف الرجولة فتجرى مجرى الأمثال كان يقول : « يعجبني الرجل اذا سيم خطة ضيم أن يقول : « لا » بملء فيه » .

ويضع البرامج لتعليم الرجولة فيقول « علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا،ورووهم ما يجمل من الشعر »

ويضع الخطط لتمرين الولاة على الرجولة فيكتب اليهم . « اجعلوا الناس في الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ،اياكم والرشا والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب » ، ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة فيقول : « لا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » .

من أجل هذا كله كان هذا العصر مظهرا للرجولة في جميع نواحي الحياة تقرأ تاريخ المسلمين في صدر حياتهم فيملؤك روعة وتعجب كيف كان هؤلاء البدو وهم لم يتخرجوا في مدارس علمية ولم يتلقوا نظريات سياسية ، حكاما

وقادة لخريجي العلم ووليدي السياسة - انما هي الرجولة التي بثها فيهم دينهم وعظماؤهم هي التي سمت بهم وجعلتهم يفتحون أرقى الأمم مدنية وأعظمها حضارة ، ثم هم لا يفتحون فتحا حربيا يعتمد على القوة البدنية وكفى ، انما يفتحون فتحا مدنيا اداريا منظما ، يعلمون به دراسي العدل كيف يكون العدل، ويعلمون علماء الادارة كيف تكون الادارة ، ويلقون بعملهم درسا على العالم أن قوة الخلق فوق مظاهر العلم ، وقوة الاعتقاد في الحق فوق النظريات الفلسفية والمذاهب العلمية ، وأن الأمم لا تقاس بفلاسفتها بمقدار ما تقاس برجولتها •

هل سمعت قولا في العدل يحققه له كالذي يقوله عمر « اذا كنت في منزلة تبجيل الناس ، فوالله ما تلك لي بمنزله حتى أكون أسوة للناس » أوهل رأيت حزما في الادارة كالذي فعله في مسح سواد العراق وترتيب الخراج وتدوين الدواوين ، وفرض العطاء ؟ •

حقا لقد كان عمر في كل ذلك رجلا ، ولئن كان هناك رجال قد امتصوا رجولة غيرهم ، ولم يشاءوا ان يجعلوا رجالا بجانبهم ، فلم يكن عمر من هذا الضرب، انما كان رجلا يخلق بجانبه رجالا ، فأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص ، والمثنى بن حارثة ، وكثير غيرهم كانوا رجالا نفخ فيهم عمر من روحه كما نفخ فيهم الاسلام من روحه . وأفسح لهم في رجولتهم ، كما أفسح لنفسه في رجولته •

وكان أدبهم في ذلك العصر صورة صحيحة لرجولتهم يتغنون فيه بأفعال البطولة ومظاهر الرجولة •

وخير الشعر أشرفه رجالا
وشر الشعر ما قال العبيد

يعتد الشاعر بنفسه ويسمو بها عن النعماء والباساء فيقول :

قد عشت في الناس أطوارا على طرق
شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا بلوت ، فلا النعماء تبطرني
ولا تخشعت من لاوائها جزعا
لا يملأ الهول صدري قبل موقعه
ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

ويعتز بشرفه وقوته وابائه الضيم فيقول :

وكنت اذا قوم رموني رميتهم
فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما
وأنفا حميا ، تجتنبك المظالم

ويمدح رجل قوما فيقول « انهم كالحجر الأخشن ، ان صادمته آذاك ، وان تركته تركك » ••

ويقول أميرهم : « والله ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله •• قيل ولم أيها الأمير ، قال لأني أكره عادة العجز» - الى كثير من أمثال ذلك •

وعلى الجملة فأدبهم تام الرجولة ، قد شعت فيه الحياة ، وامتلأ بالقوة ، حتى اللاهي الماجن كأبي محجن الثقفي : كان يغازل ، وكان يشرب،ولكن اذا جد الجد وعزم الامر كان رجلا يبيع نفسه لدينه • ويبيع كل شيء لشرفه وشرف قومه •

ولم يضن التاريخ على المسلمين من حين لآخر برجال لفتواوجه الدهر ،وغيروا مجرى الحوادث ، ودفعوا عن قومهم الخطوب ، وأنزلوهم منزل العز والمنعة وتضيق عن وصف أعمالهم الكتب •

ثم توالت الأحداث وتتابعت النوب ، تفل من شوكتهم ، وتفت في رجولتهم حتى رأيناهم بذلوا الشرف للمال ، وقد كان آباؤهم يبذلون المال للشرف ، ولم ينظروا الا الى انفسهم وذويهم ، وكان آباؤهم ينظرون الى دينهم وأمتهم ، وتفرقوا شيعا واحزابا يذيق بعضهم باس بعض ، فكانوا حربا على انفسهم بعد ان كانوا جميعا حربا على عدوهم، ورضوا في الفخر ان يقولوا ((كان آباؤنا)) مع آن شاعرهم يقول :

اذا أنت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

وناثرهم يقول : ((لم يدرك الأول الشرف الا بالفعل ، ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الأول))

ورأينا خير ما في الأمم حاضرها وخير ما فينا ماضيئا •

أريد بالرجولة صفة جامعة لكل صفات الشرف من اعتداد بالنفس واحترام لها،وشعور عميق بأداء الواجب مهما كلفه من مصاعب ، وحماية لما في ذمته من أسرة وأمة ودين ،وبذل الجهد في ترقيتها ، والدفاع عنها ، والاعتزاز بها ، واباء الضيم لنفسه ولها . •

من إنسانيات

محمد

د. زكي مبارك

اعتقد أن شخصية النبي محمد لم تدرس حق الدرس الى اليوم فى البيئات الاسلامية ، لان المسلمين ، أكثر المسلمين ، يجعلونه رسولا فى جميع الاحوال ، لا يتقدم ولا يتأخر الا بوحي من الله ، ولا يأخذ ولا يدع الا باشارة من جبريل ..

ومعنى ذلكأن شخصية محمد في جميع نواحيها شخصية نبوية لا انسانية .

يضاف الى هذا أن جمهور المسلمين يعتقدون أن النبوة لا تكتسب ، وهم يعنون بذلك انها لا تنال بالجهاد في سبيل المعانى السامية ، وانما هى فضل يخص الله به من يشاء ، وانما غلبت هذه العقيدة لانالاسلام نشأ في بيئات خاضعة للعقلية الوثنية ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يشق بين قومه الا لانه حدثهم بأنه بشر مثلهم ، ولو انه كان استباح أن يحدثهم بأن فيه عنصرا من الالوهية ، لوصل الى قلوبهم بلا عناء .

***

الواقع أن محمدا كان آية من آيات التاريخ ، ولكن كيف ؟

أراد الله أن يكون الاسلام اعزازا للفكرة الانسانية ، ولكن بني آدم يؤذيهم ذلك ، لانهم خضعوا لالوف أو ملايين من الاوهام التى تشل القلوب والعقول .

محمد انسان بشهادة القرآن ،والقرآن كتاب سماوى نص على أن محمدا انسان ،

وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق .

وفى غمرة هذه الضلالة نسيت النواحي الانسانية فى حياة الرسول الكريم ، والا فمن الذى يصدق أن رجلا مثل محمد يضيع من عمره أربعون سنة بلا تاريخ ؟

ولأى سبب ينسى الناس أو يتناسون تلك المدة من حياة الرسول ؟

انهم يصنعون بتاريخ محمد الرسول ما صنعوه بتاريخ الامة العربية ، لانهم أرادوا أن يخضعوا خضوعا تاما للمعجزات .

فالنبى لم يكن رجلا عبقريا وانما خصه الله سبحانه بالرسالة فكتب له الخلود ،

والعرب لم يكونوا أمة قوية ، وانما ارتقوا بفضل الرسول .

وما يجوز عند جمهور المسلمين أن يقال : ان الله خص محمدا بالرسالة ، لانه كان وصل الى أسمى الغايات من

الوجهة الانسانية ، ولا أن يقال : ان الله اختار ذلك الرسول من العرب لانهم كانوا وصلوا الى غاية عالية من قوة الروح ·

***

كان محمد انسانا قبل أن يكون نبيا ، وذلك من أعظم الحظوظ التى غنمها في التاريخ ، فسيأتى يوم قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الامور الغيبية · ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد ·

وكان محمد فى سريرة نفسه انسانا يخطىء ويصيب ، بدليل ما وجه اليه من اللوم والعتاب في القرآن · وهو قد خضع للضعف الانسانى فذرف الدمع السخين يوم مات ابنه ابراهيم ، وهو قد عانى الحب والبغض كسائر الناس ، وهو قد توجع من ظلمات الخطوب ، وهو قد تألم من غدر الاصدقاء ، ثم لم ينج من الكرب عند سكرات الموت ·

***

أحبك أيها الرسول ·

أحبك لانك لست الا انسانا له ذوق واحساس ، ولم تكن كما يصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك في أن تكون حاكيا لوحى السماء ، وما أنكر وحي السماء ، ولكن أومن بأن في السريرة الانسانية ذخائر من الصدق والروحانية ، وأنت أول نبى أعز السريرة الانسانية ·

أليس دينك هو الدين الذى تفرد بالنص على أن المرء يتصل بربه بلا وسيط ؟

أحبك أيها الرسول واشتهى أن أتخلق بأخلاقك السامية ·

أحبك لانك جعلت الحرب فى سبيل الحق شريعة من الشرائع وهي مزية انسانية ، وكان الانبياء من قبلك يكتفون بالتفكير فى عجائب الملكوت ·

أحبك لانك أعلنت حبك لطيبات الحياة وأنكرت الرهبنة والانزواء فى المعابد والصوامع ·

أحبك لانك أعززت الشخصية الانسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب ··

ولكن ما الرأى فيمن لا يرضيهم أن تكون انسانا يتذوق أطايب الحياة ويلهو أحيانا بالمزاح المقبول ؟

ما الرأى فيمن يتوهمون أن الشخصية النبوية مجردة من البهجة والاريحية ؟

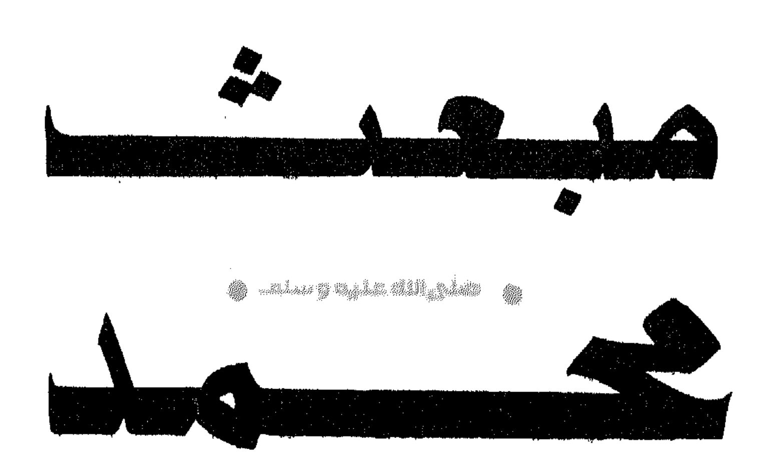
ما الرأى فيمن يخرجون من فردوس العقيدة الصحيحة كل من يتسم ببسمة الحب لأطايب الحياة ؟

أنت حاربت الشح · · وحاربت العبوس ·· وحاربت اليأس ·· ولكن بعض الناس يرون الايمان لا يكمل الا عند من يغرقون فى لجج المسكنة والكآبة والقنوط ·

كنت انسانا أيها الرسول قبل أن تكون نبيا ، وتلك الانسانية هي التى فتحت صدرك للصفح عن هفوات الناس · وهى التى جعلتك تنظر الى ضعفهم بعين العطف ··· وهى التى قضت بأن تذوق ملوحة الدمع فى بعض الاحيان ··

***

الآن عرفت لماذا يضن عليك بعض الناس بصفة الانسانية ، انهم فعلوا ذلك لأنهم فى ذات انفسهم لا يؤمنون بعظمة الانسانية ، أما أنت فقد رميت بالكفر كل من يريد أن يخلع عليك ثوب الالوهية ، لأن الله خصك بأجمل مزية من مزايا الانسانية وهي الصدق · · · · ·



احمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى ـ انساب الاشراف

حدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن ابى سبرة ، عن اسحاق بن عبد الله ، عن ابى جعفر قال : نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، بحراء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اربعين سنة . وكان قبل ذلك يرى ويسمع (١) .

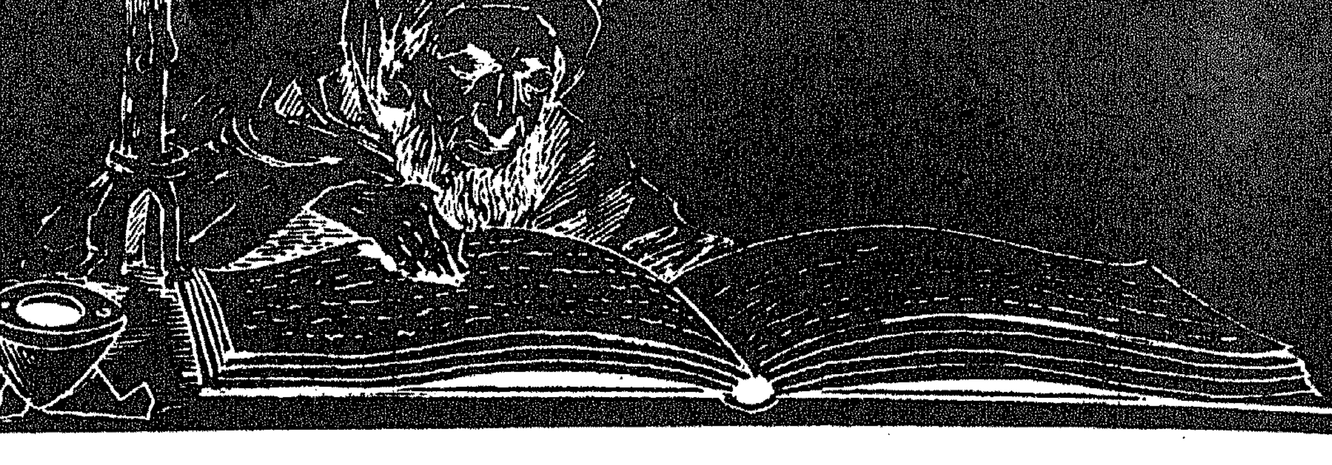
وحدثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى ، عن على بن محمد بن عبيد الله ، عن منصور بن عبيد الله عن أمه عزيزة بنت أبى تجراة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ، حين أراد الله كرامته وابتداه بالنبوة ، اذا خرج لحاجته ابعد حتى لا يرى بيتا ، ويفضى الى الشعاب والأودية . فلا يمر بشجرة الا قالت : « السلام عليك يا رسول الله » ، فيلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا .

وحدثنى محمد بن سعد ، عن محمد ابن عمر الواقدى ، عن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكومة ، عن ابن عباس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجياد (٢) اذ رأى ملكا واضعا احدى رجليه على الأخرى فى أفق السماء ، يصيح : « يا محمد ، أنا جبريل » . فذعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع سريعا الى خديجة، فقال : انى الأخشى أن أكون كاهنا . قالت : كلا ، يا ابن عم ! لا تقل ذاك ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة وان خلقك لكريم .

(١) اى يرى الرؤيا الصادقة وكانت كما يقول صلى الله عليه وسلم كفلق الصبح . اقرأ الرواية التالية .

(٢) موضع الى الشمال الشرقي من مكة ، بينها وبين حراء .



وحدثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى ، عن معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله ، عن الزهرى ، عن عروة (بن الزبير) عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة . فكان لا يرى رؤيا الا كانت مثل فلق الصبح . وحببت اليه الخلوة . فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ويمكث الليل قبل أن يرجع الى أهله . ثم يرجع الى خديجة ، فيتزود . حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء ، وعرض له جبريل ليلة السبت وليلة الاحد .

ثم اتاه بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اربعين سنة .

وحدثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال :

كانت قريش اذا دخل رمضان ، خرج من يريد التحنث منها الى حراء ، فيقيم فيه شهرا ، ويطعم من ياتيه من المساكين حتى اذا راوا هلال شوال ، لم يدخل الرجل على اهله حتى يطوف بالبيت اسبوعا (٣) . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد . حدثنا اسحاق بن منصور السلولى ، حدثنا ابراهيم بن يوسف بن أبى اسحاق ، عن أبيه ، عن ابن اسحاق ، قال حدثنى أبو ميسرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ما بعث ، يدعى : « يا محمد » ولا يرى شيئا غير أنه يسمع الصوت ، فيهرب منه فى الأرض ، قال : فذكر ذلك لخديجة ابنة خويلد ، وقال : خشيت ان يكون قد عرض لى أمر . قالت : وما ذاك ؟ قال : اذا خلوت ، دعيت فاسمع صوتا ولا ارى شيئا فقد خشيت . قالت : ما كان الله ليفعل بك سوءا ، انك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم ، وتؤدى الأمانة .

ثم ان خديجة قالت لأبى بكر الصديق: انطلق مع محمد الى ورقة بن نوفل ، فانه رجل يقرأ الكتب ، فليذكر له ما يسمع . فانطلقا ،حتى اتيا ورقة . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : انى اذا خلوت ، دعيت « يا محمد » ، فاسمع صوتا ولا ارى شيئا . قال له ورقة : ليس عليك باس ، فاذا دعيت فاثبت ، حتى تسمع ما يقال لك ، فتثبت للصوت . فقال له:قل : «بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فاعادها عليه ثلاث مرات . ثم قال : قل « الحمد لله رب العالمين »، ثلاث مرات . حتى ختمها ، فقال له : قل « آمين » . ثم رجع **النبى صلى الله عليه وسلم الى ورقة . فذكر له ذلك . فقال : اشهد انك النبى الذى بشر به عيسى بن مريم ، وانك الذى نجد فى الكتاب ، وانك لنبى مرسل ، ولتؤمرن بالقتال ، ولئن طالت لى الحياة ، لاقاتلن معك .**

(٣) اى سبع مرات .

الإســـراء والمعــراج

عبدالله محمد بن اسحاق بن يسار ـ سيرة النبى

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ يقول . تنام عيناى وقلبى يقظان . والله أعلم اى ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين من أمر الله ، على أى حاليه كان : نائما ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

قال ابن اسحاق : وزعم الزهرى من سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه ابراهيم وموسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة ، فقال . أما ابراهيم فلم أر رجلا أشبه « قط » بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، واما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى ، كأنه من رجال شنوءة .

وأما عيسى بن مريم فرجـل أحمر ، بين القصير والطويل ، سبط الشعر ، كثير خيـلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس ، تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفى .

سفر الرسول الى ثقيف يطلب النصرة

قال ابن اسـحاق . ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمـه أبى طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج اليهم وحده .

قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، عمد الى نفر من ثقيف ، هم يومئـذ سادة ثقيف واشرافهم ، وهم اخوة ثلاثة : عبد ياليل ابن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو ابن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امراة من قريش من بنى جمـح فجلس اليهم رسـول

الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم الى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله احدا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا اكلمك ابدا . لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت اعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذكر لى — اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه عنه ، فيذئرهم ذلك عليه. قال ابن هشام : قال عبيد بن الأبرص :

ولقد اتانى عن تميم أنهم ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا فلم يفعلوا ، بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجاوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد الى ظل حبلة من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران اليه ، ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف .

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — فيما ذكر لى . اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والاخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك .

حجة الوداع

قال ابن اسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له . قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة (سنة عشر) . قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع ابن عرفطة الغفارى . قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الرحمن ابن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس الا الحج ، حتى اذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى وأشراف من اشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمرة ، الا من ساق الهدى ، قالت : وحضت ذلك اليوم ، فدخل على وأنا أبكى ،

فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت انى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر ، فقال لا تقولن ذلك فانك تقضين كل ما يقضى الحاج الا انك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كل من كان لا هدى معه ، وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يوم النحر اتيت بلحم بقر كثير ، فطرح فى بيتى ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى اذا كانت ليلة الحصبة ، بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن ابى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى .

قال ابن اسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر عن حفصة ابنة عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ان يحللن بعمرة ، قلن : فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : انى أهديت ولبدت (٤) ، فلا احل حتى أنحر هديى .

---

(٤) اى يجعل المحرم فى راسه شيئا من صمغ (ليتلبد) شعره بقيا عليه لئلا يشعث فى الاحرام .

صفحات خالدة

من كتب السيرة الماجدة



صلى الله عليه وسلم

ابن جرير الطبرى ـ تاريخ الملوك والرؤساء

قال ابن المثنى قال حماد بن واقد عن ثابت عن أنس قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس واسمح الناس وأشجع الناس .. لقد كان فزع (٥) بالمدينة فانطلق أهل المدينة نحو الصوت فاذا هم قد تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس عرى (٦) لأبى طلحة ما عليه سرج وعليه السيف قال وقد كان سبقهم الى الصوت قال: فجعل يقول : يأأيها الناس لن تراعوا (٧) لن تراعوا . مرتين ، ثم قال : يا أبا طلحة وجدناه بحرا (٨) وقد كان الفرس يبطأ ، فما سبقه فرس بعد ذلك ، قال ابن المثنى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأجود الناس .. كان فزع بالمدينة فخرج الناس قبل الصوت فاستبرأ «٩» الفزع على فرس لأبى طلحة عرى ماعليه سرج فى عنقه السيف . قال: وجدناه بحرا أو قال : وانه لبحر .

ذكر صفة النبى
صلى الله عليه وسلم

حدثنى ابن المثنى عن على بن أبى طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس واللحية شثن (١٠) الكفين والقدمين ضخم الكراديس (١١) مشرب (١٢) وجهه الحمرة طويل (١٣) المسربة اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب ، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم . قال ابن المثنى عن رجل من الأنصار لم يسمه أنه سأل على

---

(٥) فزع : استغاثة .
(٦) عرى : فرس بلا سرج .
(٧) تراعوا : تفزعوا .
(٨) بحر : فرس يزيده الجرى جودة .
(٩) فاستبرأ : اعترض .
(١٠) شثن : انهما الى الغلظ اقرب.
(١١) الكراديس : من كردس اى قطعة عظيمة من العظم وكل عظمين التقيا فى مفصل .
(١٢) مشرب : خالط .
(١٣) المسربة : الشعر وسط الصدر الى البطن .

ابن أبى طالب وهو فى مسجد الكوفة مختب بحمالة سيفه ، فقال : انعت لى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له على : كان رسول الله أبيض اللون مشربا حمرة ، أدعج (١٤) سبط (١٥) الشعر دقيق المسربة سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كان عنقه ابريق فضة كان له الشعر من لبته الى سرته يجرى كالقضيب لم يكن فى ابطه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، اذا مشى كانما ينحدر من صبب واذا مشى كانما ينقلع من صخر واذا التفت التفت جميعا ليس بالقصير ولا بالطويل ولا العاجز ولا اللئيم ، كان العرق فى وجهه اللؤلؤ ولريح عرقه أطيب من المسك لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن المقدمى قال يحيى بن محمد ابن قيس الذى يقال له أبو زكير قال سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين فأقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا وتوفى على رأس ستين ليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا القصير ولم يكن بالأبيض الأمهق ولا الآدم ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط .

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنى محمدبن المثنى عن أبىعبيدة عن أبى موسى قال سمى لنا رسولالله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماءمنها ما حفظنا ، قال : أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة والملحمة .

حدثنى ابن المثنى قال أبو داود قال ابراهيم يعنى عن سعد عن الزهرى قال أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال لى رسول الله صلىالله عليه وسلم : ان لى اسماء ، أنا محمد وأحمد والعاقب والماحى . قالالزهرى : والعاقب الذى ليس بعده أحد والماحى الذى يمحو الله به الكفر .

عن ابن المثنى قال يزيد بن هارون قال سفيان بن حسين قال حدثنى الزهرى، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قالرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا محمد وأحمد والماحى والعاقب والماحى . قالالزهرى : والعاقب على قدمى . قال يزيد فسألت سفيان ما العاقب قال آخر الأنبياء .

ذكر خاتم النبوة التى كانت به صلى الله عليه وسلم

قال ابن المثنى قال الضحاك بن مخلد ، قال عزرة بن ثابت قال علباء قال أبو زيد قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأبا زيد ، أدن منى امسح ظهرى . وكشف عن ظهره ، قال فمسحت ظهره ثم وضعت أصبعى على الخاتم فغمزتها قال قلت وما الخاتم قال : شعر مجمع كان على كتفيه .

قال ابن المثنى قال بشر بن الوضاح أبو الهيثم قال أبو عقيل الدروقى عن أبى نضرة قال سالت ابا سعيد الخدرى عن الخاتم التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم قال كانت بضعة ناشزة .

● اعداد : عادل عبدالصمد ●

---

(١٤) ادعج : اسود .
(١٥) سبط : سهل غير ملبد .

الغرب يقرأ
مسرحية محمد لتوفيق الحكيم

ماهر شفيق فريد

مسرحيـــة ((محمـــد)) لتوفيق الحكيـــم هى - فى تقـــديرى - واحدة مـــن أهم سبعة كتب عن سيرة الرسول الكريم في ادبنا الحديث .

والستة الاخر - على اختلاف فى المنهج وتباين فى المنطلق - هى ((على هامش السيرة)) للدكتور طه حسين، ((عبقرية محمد)) لعباس محمـــود العقاد، ((حياة محمد)) للدكتور محمد حسين هيكل ، ((محمد رسول الحرية)) لعبد الرحمن الشرقاوى ، ((محمـــد الرسالة والرسول)) للدكتـــور نظمى لوقا ، ((انسانيات محمـــد)) لخالد محمد خالد .

تختلف مسرحية الحكيم عن هـذه الاعمال فى انها أول عمل يعمـــد الى صب السيرة النبـــوية فى قالب حوارى ، يشفى على الشكل المسرحى وان لم يدركه تماما ، وذلك اذ يصوغها فى ثلاثة فصول واربعة وستين منظرا، معتمداً - فى طلب المادة التاريخيـــة والمأثورات القصصية - على أمثـــال سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى ، وطبقات ابن سعد .

هذه المسرحية قد اصبحت الان ، او اصبح طرف منها فى متناول القارىء الغربى ، اذ ترجم وليم ر . بولك المنظر السابع من فصلها الأخير فى العـــدد الخامس عشر (١٩٦٧) من مجـــلة « اتجاهات جديدة » (نيودايركشانز) الأمريكية ، وقدم له بكلمـــة عن المسرح العربى الحديث، واثر التراث الاسلامى عليه .

ويقول « بولك » فى مقدمته للترجمة ان احداث مسرحية الحكيم وشخصياتها معروفة لدى القارىء العربى بمثل ما أن قصص السيد المسيح وحـــوارييه معروفة لدى القارىء الغربى .

وقد اختار - بعد استشارة الحكيم - ان يترجم المشهد الذى يصـــور وفاة الرسول ، وما كان لذلك من وقع هائل على صحابته وانصاره واهله والمحيطين به . كان موقفا - على اختلاف ردود الفعـــــل ازاءه - حافلا بالامكانات الدرامية ، وقطعة حية من التاريخ ، التقت عندها اسباب التصـــديق والانكار والذهول ، وغواشى الحزن ، وجلد الايمان .

والذى نراه من مراجعة الترجمـــة على الأصل ان الأستاذ بولك قد وفق الى نقل منظر الحكيم ، واعانه عـــلى ذلك صفات باطنة فى فن كاتبنـــا الكبير : قصد العبارة ، والبعد عن الزوائد واللغو ، والاقتصار على ما هو جوهرى . ولعله او لعل غيره - يتم ما بدأ ، ويترجم المسرحية كاملة .

لقد غبر علينا زمـــن كنا نقرأ فيـــه كتابنا العرب عن سيرة الرسول ، ثم جاء زمن قرأنا فيه كتاب الغرب عنه، ما بين عالم منصف وجاهل متجن ، افما آن الأوان ان يقرأ الغرب ما يقوله المستنيرون من كتابنا المحدثين عن محمد الرسول الكريم ؟

الحق انى لااعرف اصلح من الحكيم، وممن ذكرتهم فى صدد هـــذه الكلمة ،للنهوض بهذه الرسالة، واداء تلك الامانة .

ماهر شفيق فريد

محمد

والدعوة إلى شعر إسلامي

د. صلاح عدس

كان للنبي الكريم ورسالته السماوية اثر كبير في شعرنا العربي ، حتى انه ظهر في تراثنا لون من الشعر يمكن تسميته بالشعر الاسلامي .. وهو يبدأ باشعار ((حسان بن ثابت)) والجيل الأول من الشعراء الذين اعتنقوا الاسلام ودافعوا عنه ومدحوا رسوله .. ويمتد الشعر الاسلامي ليشمل بعد ذلك قصائد الشعراء الذين تشيعوا لآل البيت ومدحوهم كما يشمل ايضا شعر المتصوفة في العشق الالهي من امثال ((ابن الفارض)) وغيره . وينتهي ذلك اللون من الشعر بمدائح البوصيري وشوقي ومن بعدهما.

ونحن الآن حين ندعو الى شعر اسلامي لا نقصد ان يتحول شعراؤنا او ان يتحول الشعر العربي المعاصر الى مجرد مدائح نبوية وانما ندعو الى تطوير وتجديد في الشعر الاسلامي بحيث يتوافق مع أحدث الاساليب الفنية العالمية في الشعر ..

ولايضاح ذلك نقول ان شاعرا مثل « طاغور » كان ينال اعجاب شعراء الغرب لانه لم يقلد احدا في الغرب ، انما كان هنديا وكان شرقيا .. ومصدر الاعجاب والعظمة في شعره هو تعبيره عن روح الشرق.

ولكن بعض شعرائنا للأسف قد قلدوا شاعرا مثل ((ت. س. اليوت)) تقليدا اعمى متوهمين ان بذلك سيصل شعرهم الى مكانة عالمية ، وهم بذلك يشبهون من يدهن جلده الأسود بالجيركي يقلد البيض وهو بذلك لن ينال سوى سخرية الجميع .. وقياسا على ذلك لن ينال شاعر من شعرائنا هؤلاء اعجابا في الشرق ولا في الغرب ،لانه في الشرق لن يجد تجاوبا وجدانيا لدى قارئيه . وفي الغرب لن يجدوا فيه شيئا جديدا .. فالمفروض ان يكون الشاعر العربي عربيا اسلاميا اى ان تتلمس في شعره روح العروبة وروح الاسلام ، حتى يسمو الى العالمية .

ومن هنا جاءت دعوتنا الى الشعر الاسلامي الجديد ، ونقصد بدعوتنا هذه أن يستفيد شعراؤنا من تكنيك المجددين في الشرق والغرب ولكن بمضامين اسلامية ، اى ان يستغلوا مافي القرآن الكريم وسيرة النبي والصحابة ومافي التاريخ الاسلامي عامة من مواقف ذات ايحاءات ورموز، وان يضمنوها شعرهم للتعبير عن مواقف واسقاطات في حياتنا المعاصرة.

... اما حين تمتلىء قصائد شعرائنا برموز مثل « زيوس » و «أورفيوس » فان ذلك يحولها الى الغاز . **بعيدة عن وجدان القارىء العربي المسلم ومن هنا جاءت اهمية ما ندعو اليه من استلهام المواقف والاحداث الاسلامية مثل غزوة ((بدر)) و ((فتح مكة)) و ((الهجرة)) و ((علي ومعاوية)) . و ((قميص عثمان)) و ((حرب الردة)) وغيرها مما تمتلىء به حياة الرسول وصحابته وتاريخ الاسلام ..**

وهذا هو ما نقصده بالدعوة الى شعر اسلامي جديد . فنحن لا نختلقه من الفراغ ،وانما هو ظاهرة موجودة في تراثنا ، ولكننا ندعو الى تجديد وتطوير هذه الظاهرة ، بل اننا نجد تطبيقات لها في شعر الكثير من شعرائنا الممتازين .. امثال ((عبد الحميد الكاتب » و « ابن زيدون » وغيرهما ممن كانوا يقتبسون من آيات القرآن واشعار السابقين ، وبذلك تكون دعوتنا الى الشعر الاسلامي دعوة اصيلة ومعاصرة ..



الداعية إلى العلم

عادل الغمري

في محاولة لفهم صحيح ورؤية سليمة معاصرة لشخصية الرسول ردا على الاباطيل والمفاهيم الخاطئة التي الصقت بالدين زورا وبهتانا ، فلننظر ونرى الى أي مدى يدعو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للاخذ بالعلم ، والى أي مدى يدعو القرآن الذي جاء الرسول ليبلغه للناس الى الاخذ بأسبابه.

● يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »

ويقول كذلك « اطلبوا العلم ولو في الصين »

وهو يفتح الباب بذلك على مصراعيه للسير في طريق العلم بلا نهاية وفي كل مكان وللاتجاه اليه والاخذ بأسبابه مهما ابتعدت ومهما صعبت..

بل ان طلب العلم — على قدر استطاعة كل مسلم — انما يصفه الرسول بأنه فريضة لا بد للمسلم ان يؤديها في حدود ظروفه وبقدر امكانياته ...

● والآيات القرآنية العديدة تامرنا ايضا أن نسير في طريق العلوم المختلفة ، ونأخذ منها على سبيل المثال — لا الحصر — ما يلي :

١ — يقول تعالى في سورة يونس . « **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق . يفصل الآيات لقوم يعلمون** »

وفي قوله « **لتعلموا عدد السنين والحساب** » يؤكد سبحانه وتعالى ضرورة تعلم علوم الفلك والحساب والرياضيات ... ولعل كل مسلم يدرك اليوم أهمية هذه الحقيقة القرآنية في الامر بضرورة تعلم علوم الحساب والرياضيات وهو يرى حوله ان هذه العلوم بالذات تمثل ركنا اساسيا في كل مجالات التقدم والرفاهية التي بلغتها حضارة القرن العشرين حيث تدخل الرياضيات في كل أركانها ، كما تقوم بدور هام في تطبيق العلوم الاخرى في كل نواحي الحياة ..

فاذا كان القرآن يدعو المسلمين الى دراسة الرياضيات والحساب فان كل مسلم لا بد ان يدرك أن ذلك يمثل ارتباطا كاملا بدينه الذي لا يهدف الى خلق المسلم الذي يعبد الله ويؤدي شعائره فحسب ، وانما لا بد أن يكون قدوة في اخذه باسباب العلم وفي تسخيره للخير والهداية

٢ — ويقول تعالى في سورة الذاريات : « وفي انفسكم افلا تبصرون » ... ويدعو المولى عز وجل هنا الى دراسة كل اعضاء الجسم وكل اجزائه واجهزته ووظائفها وكل صور المرض وانواعه وكذلك طبيعة النفس البشرية وتاثير الهداية والمعصية فيها. الى آخر ماتتناوله اليوم علوم الطب وما يدعو اليه القرآن من الادراك الصحيح لعلم النفس السليم .

وبطبيعة الحال فان هذه العلوم انما تهدف الى علاج الامراض المختلفة ليكون المسلم صحيحا في جسده كما هو صحيح في معتقده وليفيض بالخير على من حوله وبالشفاء — الذي ربطه الله باتخاذ الاسباب اليه لمن هاجمه المرض واحتاج الى الدواء..

فالمسلمون اذن لابد ان يكونوا روادا في دراسة علوم الطب وعلم النفس الاسلامي... فهكذا تامرهم الآيات الكريمة ، وهكذا كانوا عندما ارتبط الدين بالعمل في الدولة الاسلامية الاولى .

واذا كانت هذه هي دعوة الاسلام الى العلم والمعرفة — على لسان رسوله الكريم وكما جاءت بها الآيات القرآنية — فلقد ارتبطت بها كذلك دعوة الرسول لكي يصل المسلم الى أفضل النتائج واحسنها في كل فرع للعلم يسلكه ، فقال صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » .

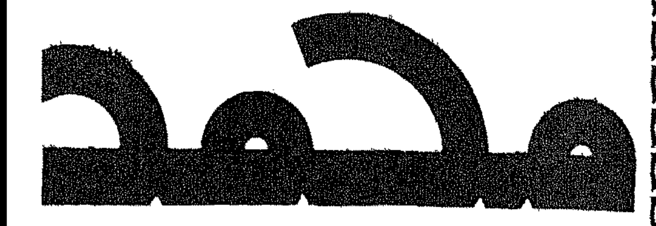
وهي دعوة تشتد حاجة المسلمين اليوم اليها بعد أن تخلفوا الى ما هم فيه رغم ما تمتلىء به أرضهم من الثروات الهائلة وبلا حدود ..

ولم تكن النهضة الاوروبية العلمية — التي بدأت تباشيرها قبل القرن السادس عشر لتزدهر في القرن التاسع عشر ، ولتبرز الى الوجود ، لولا ذلك الاساس المتين من التراث العلمي الذي نقله العرب الى اوروبا عن طريق الاندلس وصقلية وجنوب ايطاليا وبحر المشرق اثناء العصور الزاهرة والمزدهرة للاسلام فيها ...

وفي النهاية نقول ان العلم لا يمكن أن ينفصل عن الدين وعن الهداية ... فالانسان المؤمن المفكر يزداد يقينا بالله وبقدرته ويزداد خشية ورهبة من المولى عز وجل كلما ازداد في معرفته بالله وباسرار خلقه .. فالله تعالى يقول « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

مهندس كيميائي
عادل الغمري



مشرق النور

مصطفى عبد الرحمن

غنّت الدنيا نشيدَ الأملِ   وتبدّت عن رجاءٍ مسْعدِ
فإذا الكونُ طروبٌ يجتلي   طلعةَ اليُمنِ وعيدَ المولدِ
مولدِ الهادي النبيِّ العربي

أشرقَ النورُ على كل النواحي   وسرى في ربوات وبطاحِ
رائعا كالفجر ، نضرا كالصباحِ   يطرب القلبَ بأنغام فصاحِ
هز نورُ الشرقِ أفق المغربِ

***

دارَ بالاسعاد للكونِ الفلكْ   وتبدى كوكب في الأفقِ
كم على مكةَ قد رفَّ ملك   يرقب البشرى بقلب شيّقِ
ويغني بنشيد عجبِ

***

حكم الرملُ الرياض النضرات   وغدت يثربُ أولى العاصماتِ
ومضى البدوُ سراعا في الفلاةِ   برماح للمعالي مشرعات
غلبٌ أكرم به من غلبِ

***

يا دعاةَ الخيرِ قد دانت لكم   سادةُ الروم وأسوارُ العجم
غيّرَ الله بطشهَ حالكم   فحكمتم في الورى أقوى الأمم
ثم شتتم أمرها من يثرب

***

يا نبيا عطّرت صفحته   صفحات الكتبِ في كل العصور
وسرت بين الورى سيرته   ثم دارت حيثما الشمس تدور
وتغنت بنشيد مطرب

عظمة محمد

فيمن جعلهم عظماء من أمته

د. حامد حسان

● لأن كل اثر يدل على المؤثر ، وتلك آثارنا تدل علينا ..

فليس هناك من وسيلة لفهم عظمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ادق واوضح من دراسة شخصية من حوله من الصحابة ، وكيف اوصلهم ، صلى الله عليه وسلم ، الى مرتبة العظماء بحق .. هؤلاء الصحابة .. كيف كانوا ، ثم ماذا اصبحوا ؟

كيف كانت هذه النفوس المتباينة التى عاشت فى مجتمع الجاهلية بكل ما فيه من ضلال ووثنية .. مجتمع جاهلى متصارع ينقسم افراده الى قبائل ، ولا يجيد اهله الا الثار والقتل ، الا اللهو والعبث وارتكاب الموبقات ، الا السجود لعبادة اللات والعزى .

● حتى كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

● حتى كان ظهور النور المحمدى فيهم ..

واذا بهذه النفوس وقد تغير اصحابها تماما .. اذا بهذه النفوس وقد تطهرت وصفت وتزكت ، وكانما قد صهرت ليعاد تركيبها من جديد ..

هذا هو اظهر جانب من عظمة محمد صلى الله عليه وسلم .

فى هذه الصحبة التى كانت حوله والتى يمكن ان يقال انه صلى الله عليه وسلم ، هو الذى اوجدها من العدم ليصبح لها فى غضون سنين قليلة هذا الاثر العظيم الذى امتد شرقا ، اقصى الشرق وقتها وغربا اقصى الغرب ..

كيف جمعهم الرسول من حوله ، والف بين قلوبهم ، ثم اوصلهم الى هذه المكانة الكبرى ؟ ..

هنا بالفعل تكمن عظمة الرسول ، لمن يبحث عن اوجه العظمة العديدة لحضرته صلى الله عليه وسلم ..

فى هؤلاء الرجال الذى جعل منهم عظماء صنعوا التاريخ الانسانى ، والذى نعيش على آثاره حتى اليوم وما ادق التعبير القرآنى وهو يصفهم بعد أن أصبحوا صحابة للرسول فعلا :

« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من اثر السجود .. »

ولعلنا اذا ماتذكرنا اسماء هؤلاء الصحابة الاجلاء — مجرد تذكر لاسمائهم — ادركنا على الفور تاثير ذات النبى صلى الله وسلم فى تكوين هذه الشخصيات العظيمة ..

● **ابو بكر الصديق** .. والذى لولاه لسقطت الدولة الاسلامية الناشئة امام فتن المرتدين ومدعى النبوة من

ناحية ، وهجوم الفرس والروم من ناحية أخرى ..

● **عمر بن الخطاب** .. والذى اعطى نموذجا فريدا لمعنى أن كل راع مسئول عن رعيته ، وقال قولته المشهورة : « والله لو عثرت دابة بالعراق لسئل عنها عمر لما لم يمهدلها الطريق » .

● **عثمان** .. والذى كان ينفق كل ما يملك جهادا فى سبيل الله حتى أعد بماله جيشا بأكمله ..

● **على بن أبى طالب** ، صاحب المعرفة الالهية الخاصة ، والذى استشهد هو وأبناؤه الحسن والحسين ، وهم جميعا يحاولون أن يجنبوا الأمة الفتنة الكبرى من أن تقضى عليها ..

● **خالد بن الوليد** ، السيف الذى سله الله على المشركين ، فقاد الأمة من نصر الى نصر فى جنوب البلاد وشمالها ، ويكفى هنا ان نسمع عنه شهادة أحد أعدائه فيه وهو ينصح قومه ويخاطبهم – عندما علم باستعدادهم لقتال خالد بن الوليد – فقال : « يا قوم ، انا أعلم الناس بخالد .. لا احد أيمن طائرا منه ، ولا أصمد فى حرب منه .. ولا يرى قوم وجه خالد ابدا .. قلوا أو كثروا – الا انهزموا عنه . فأطيعونى وصالحوه . »

● **وبلال .. وعمار بن ياسر واهله** ، وصنوف العذاب التى تحملوها .

● **ثم هذا الصحابى « زيد »** الذى احاط به المشركون ليقتلوه فقال له زعيمهم : «يازيد ، اتحب أن محمدا الآن عندنا فى مكانك تضرب عنقه وانت بين اهلك ؟ ! » فقال زيد ، المهدد بالقتل : « والله ما أحب أن محمدا وهو الآن فى مكانه ، تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس فى أهلى .. »

فقالها زعيم المشركين وهو يكظم غيظه .. « مارايت من الناس احدا يحبه اصحابه ما يحب اصحاب محمد محمدا » ثم قتل الصحابى ..

نعم ، لقد كان الحب ، حبهم الشديد لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذى جمعهم جميعا حوله وهو أيضا الذى اوصلهم الى ماوصلوا اليه ..

فقد أدى هذا الحب الى أن تفنى نفوسهم فى ذات الرسول ، حتى كانوا – كما قال حضرته عنهم : «اصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم .. »

اصبحوا كنجوم للهداية ، تستمد نورها من مصدره الأصلى وهوالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ..

ولعل ذلك يلقى بعض الضوء على معنى قوله تعالى « **النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم** » ، فقد جعلوا النبى أحب اليهم من أنفسهم ، وأولى اليهم منها ، فسمت هذه النفوس وتزكت ، حتى كان منهم من أصبحوا امثالا للأنبياء يمشون على الأرض ..

«مثلك يا أبا بكر ، كمثل ابراهيم ..»

« مثلك يا عمر ، كمثل نوح .. »

« ومثلك يا خالد ، كمثل موسى .. »

« اما انت يا على ، فمنزلتك منى .. بمنزلة هارون من موسى »

ثم الطريق مفتوح لمن اراد ان يسير على دربه .. « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك .. وما كان عطاء ربك محظورا . »

فمازال هذا « التاثير المحمدى » قائما فى الوجود ، بدوام وجود أمته ، لا يعوقه المكان ولا يحده الزمان .. : « واعلموا ان فيكم رسول الله »

هذا التاثير الذى يتمثل أساسا فى تغيير « النفس الانسانية » عندما يسلم صاحبها فكأنما يعاد تركيبها وكأنما تخلق من جديد ..

تماما ، وكما فعل محمد مع صحابته رضوان الله عليهم وصاروا هم العظماء .. ليعطوا بذلك الدليل المباشر على جانب من جوانب العظمة فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم ●

محمد القائد

بعض المبادئ والتقاليد العسكرية في حياته

مقدم أ.ح محمد مختار عيد

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » صدق الله العظيم .

لقد ارسى المصطفى في حياته الكثير من المبادىء والتقاليد العسكرية بما نزل عليه من القرآن الكريم وبما تحدث عليه السلام او مارسه قتالا واستعدادا .

وفي ذلك فان :

١ ـ اهداف القتال في الاسلام لم تكن لاكراه احد على الاسلام « لا اكراه في الدين » وانما لحماية حرية نشر الدعوة ولردع الاعداء وفي الاية الكريمة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

٢ ـ اوضاع القتال :

في الاية الكريمة « واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال »

لكل مسلم مكان في جيش المسلمين ﷺ يمكن ان تسمى ما تشير اليه الاية الكريمة بلغتنا الحالية اوضاع القتال او تشكيل القتال .

٣ ـ اسلوب الصف والاتساق :

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص »

٤ ـ أمر القتال :

لم يحاول النبي قتال المشركين منذ بدء الدعوة رغم تعذيبهم له ولاتباعه الا بعد ان هاجر الى المدينة وامره الله بقتالهم .

يقول الامر الالهي في القرآن الكريم « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله »

٥ ـ الحشد :

بدأ المصطفى قتال المشركين ب ٣٠٥ من المقاتلين ، وفرسين في غزوة بدر الكبرى ﷺ وانتصر بهم على ٩٥٠ مشركا و ٢٠٠ فرسا لهم

وفي غزوة تبوك حشد ٣٠٠٠٠ بينهم ١٠٠٠٠ راكب ، والفرق بين الغزوتين ٧ سنوات هجرية فقط .. استطاع فيها ان يضاعف قواته اكثر من مائة مرة ..

٦ ـ تشكيل المسير :

تحرك النبي من المدينة الى بئر بدر دافعا مقدمة وعين قائدا لها وسبقت القوة الرئيسية التي تكونت من كتيبتي المهاجرين والانصار ومع كل الكتيبة منهما رايتها وعين مؤخرة « ساقة » وعين لها قائدا وحل مشاكل الحملة اللازمة لنقل الجند بان جعل كل ثلاثة يتبادلون ركوب بعير واحد .

٧ ـ مراكز القيادة :

في غزوة بدر نصب له المسلمون عريشا يجلس فيه ، وكانت اول مرة يصنع العرب عريشا لقائدهم ﷺ اول مرة ايضا يرص النبي المسلمين بيديه الكريمتين ليقاتلوا المشركين صفوفا بدلا من القتال الفوضوي الذي كان سائدا من قبل وكان يعتمد على الكر والفر فقط .

٨ ـ اختيار الارض المناسبة للهجوم او الدفاع

في غزوة بدر اختار المصطفى مكانا لملاقاة المشركين فسالوه :

هل هذا منزل انزلكه الله ام هو الرأي والحرب والمكيدة فقال لهم المصطفى : « بل هي الحرب والراي والمكيدة » فقالوا نستولي على بئر بدر ونردم باقي الابار الصغيرة المحيطة بها ، وبذلك نحرم المشركين من مصدر المياه الوحيد في المنطقة الصحراوية الجرداء

٩ ـ إشارات التعارف :

لاول مرة في تاريخ العرب يوزع النبي على اصحابه كلمة يتعارفون بها اذا احتدم القتال ، نظرا لتشابه ازياء المسلمين والمشركين ـ هذه الكلمة هي « احد .. احد »

١٠ ـ حماية المانع :

اقام النبي خندقا حول المدينة ، ورغم مناعته الا ان النبي امر بحراسة هذا الخندق حتى لا يخترقه المشركون ، وفعلا حاول المشركون اقتحامه وقاتلوا يوما باكمله لاقتحامه وفشلوا لوجود الاعين الساهرة خلف هذا الخندق .

١١ ـ الحرب خدعة :

كان المصطفى اذا اراد غزوة ورى بغيرها اى اذا كانت الغزوة القادمة في اتجاه شمال المدينة المنورة ، حرك قواته جنوبا ، وهكذا ..

هذا هو المصطفى عليه الصلاة والسلام ﷺ الامام والهادي والمرشد ﷺ والقائد العسكري ﷺ والمثل الأعلى والشرف الذي مابعده شرف للانسانية جمعاء .

قصـــة

صدقت الأولى والثانية

حسين عيد مادى

اعتراف سلمان الفارسي .. مقطـــع اول :

.. اشعل النار ، يلتهب كيانى ، افانى فى خدمتها ، اكاد اتوحد معها .. اقصى شرف للعابد ان يتوحد مع معبوده .. اسعدنى زمنا ان اخدمها ، لكن هذا لا يكفينى ! يتجمع وجه ابى الضخم ، يتشكل على السنة النيران ، اذكره يهمس للجيران : « ولدى سلمان .. شاب رائع يختلف عن اقرانه ، لولا بعض الافكار الغريبة ، المتسلطة على ذهنـه .. لعشنا معا بثروتى الضخمة ، فى ســعادة غامرة .. لو يهجر أفكاره .. لو .. »

أكتب فى اليوم الثالث من سجنى فى البيت ...

كنت فى مهمة كلفنى بها أبى ـ وهو نادرا ما يفعل ـ فمررت فى طريقى بمعبد ، وقفت انصت .. « لا بالبطر والسكر ، لا بالخصام والحسد ، وليكن بالله ايمـــانك . » ..

ناقشت ابى فيما سمعته .. حبسنى بالبيت ،لكن طريقى ـ الان ـ واضح .. وجهتى الشام »

كى أتعرف أصل الدين ، اتصلت منذ يومين ببعض التجار ليرتبوا لى أمر رحيلى للشام ..

مقطع من اعترافات الشام :

وصلت الشام منذ شهور ، تعرفت برجل جليل ، أحببت هذا الاسقف المختار ، ما رأيت مثله زاهدا من قبل

ـ حضره الموت ، فاوصانى برجل مثله بالموصل ..

اعتراف نصيبين :

ظمأى يزداد ، اسالتى تزداد ، ورجل نصيبين الطيب ، يخطفه الموت فجاة ، فيامرنى فى الرمق الاخير ان الحق برجل آخر بعمورية بأرض الروم ..

اعتراف عمورية الخطير :

أسجل هنا اللحظات الاخيرة فى حياة هذا الرجل الرائع ... انه يجمع بين أمور الدنيـا والدين ... بدأت ـ على يديه ـ بعد طول الزهد ، أعيش رغد الحياة الحلال ، فامتلك ثروة خلال شهور قليلة .. يفتح ـ الآن ـ الرجل الفاضـــــل عينيه ، يحملق فى ، يرقب حزنى واستفسارى الصامت ... يتطلع الى الفراغ ، كمن يستلهم رؤى غامضة .. يهمس بصوت خافت : النور .. النور من هناك .. مبعوث بدين جديد .. ينبثق من ارض العـــرب .. مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل .. به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ،ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ...

اعتراف وادى القرى :

هل اقترب ـ اخيرا ـ مرفا الامان ، ليستقر الطير المهاجر ، رغم ظلم بنى الانسان ؟! .. لكن كيف وصلت وادى القرى ، وانا انشد ارض النبوة ؟ .. اتفقت مع تجار من كلب على ان يوصلونى مقابل ما املك ، لكنهم خانوا العهد ... باعونى الى يهودى من وادى القرى ... صرت عبدا ، لـ ى رأيت النخل فى البلدة . فازداد أمل فى تحقق النبوة ... .

اعتراف المدينة :

اشترانى ابن عم اليهودى . رحلنا الى المدينة، عرفتها ! النخل فيهامنتشر .. عرفتهـا . كما قال صاحبى وهاهى النبوة تتحقق ... سمعت أن القوم مجتمعون بقباء على رجل قـدم عليهم من مكة اليوم ، يقولون انه نبى ، واسمه محمد .

ذهبت الى النبى بقباء . انشرح صدرى لرؤيته مع أصحابه . قدمت له الصـــــدقة التى جمعتها .. فقال لاصحابه : « كلوا .. » وامســـك فلم يأكل ... اذن صدقت الاولى !

فى اليوم التالى جمعت شيئا . قلت لرسول الله : « رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية اكرمتك بها » .. فاكل النبى منها هو وصحبه وهكذا صدقت الثانية ...

فى بقيع الفرقد :

جئت رسول الله فى مقبرة أهل المدينة فى جنازة رجل من أصحابه وهو جالس ، سلمت عليه ، استدرت أنظر الى ظهره لعلى ارى الخاتم الذى وصفه لى صاحبى، نظرت الى الخاتـم فعرفته ... اكببت عليه أقبله وابكى ، اقبله وابكى ...

أخيرا تحقق الامل بعد طول معاناة ، ظهر الحق ... وأسلمت على يديه ...

ملحوظة الختام :

اعان رسول الله والصحابة سلمان الفارسى حتى صار حرا ... فشهد الخندق ، واستمر قويا فى الإسلام ..

محمد

بشراً.. مرحاً

محمد الخضري عبد الحميد

ستظل – الى يوم الدين – شخصية «محمد» صلوات الله عليه: القمة الشامخة الشماء، باهرة السنا خالدة العطاء، القمة الاسمى التي ترنو، وتهفو، اليها وعلى مر الدهور والعصور: أفئدة الناس من كل النحل وكافة الالوان... لتستلهم هديها، وتستمرىء العطاء العذب المتجدد، الذى يسمو بالنفوس ويجلو الصدأ عن القلوب، وينشر نورا وضياء على كل طريق...

ولكن – ولكم اعجب لذلك وادهش له – يحجم كثيرون عن التعرض لنواح «بشرية» فى شخصية خاتم الرسل والانبياء.. وما علموا ان مثل ذلك العرض والايماء لما فى تلك الجوانب غير المطروقة بكثرة، انما يزيد من بهاء وجلال الشخصية المكرمة السامية، الأمر الذى هو – بالقطع – عكس ما يتوهمون!

«**انما انا بشر مثلكم**» – «انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» – قليل من كثير، أراد به النبى ان يؤكد بشريته، وانه «انسان» قبل أن يكون نبيا. حقيقة انه «العلم» الاسمق على سمو الخلق وقوته، وصفاء الجبلة ونقائها، يتجمل صفاته الكريمة قول الله جل وعلا: «**وانك لعلى خلق عظيم**»، وما بعد ذلك التكريم الالهى من مزيد لتكريم وتشريف...

وهاكم قوله للاعرابى الغريب، الذى ارتعد لمرآه مهابة واجلالا.. ابتدره فى ايناس ولطف آسرين، كى يزيل رهبته، ويطامن من غلوائه، ويسمح لتيار المودة والالفة ان يسرى من قلبه الكبير، الى قلب الوافد الغريب:

«هون عليك، انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة».

فما من حرج اذن فى حديث عن شخصية الرسول «البشرية» كانسان، يبتسم ويضحك، وينشر من حوله جوا من البشر والسعادة، فى أوقات معينة كانت دواعيها تتطلب ذلك... أجل، فالمرح فى اوانه: ملمح أساسى من ملامح الشخصية المكتملة، ولا يوجد شخص سوى كله الجد والتجهم دائما ليس غير، وانما البشر السليم الفطرة: من يزاول السلوك البشرى بالوانه، كلا فى حينه واوانه...

و«محمد» وهو الانسان الكامل خلقا وخلقا كان الداعية الى الترويح عن النفس من عناء العمل، بالمرح البرىء ما بين آن وآخر.. «روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، فان القلوب اذا كلت عميت».. ولم يكتف، صلوات الله عليه، بالدعوة الى ذلك (قولا خطابيا)، بل قدم الامثلة لاجيال البشر: (سلوكا شخصيا)..

لنتامل موقفا، نرى فيه الرسول بين كوكبة من رجاله البررة، باسما وضاء الجبين، يتاهب لان يساير «جلسة» المرح التى تحف به، ولم يك مرح الدعة والخمول، ولكنه المرح الذى يزود تلك النفوس الكبار بطاقات جديدة من القوة، واكتمال الاهبة لخوض جسام المعامع، فيقدم اسهامه الباسم ابتسام الشموخ والجلال، وعظمة وقوة اليقين.. يرفع بيمينه سيفا، وهو يقول لمن حوله باسما:

– من ياخذ هذا السيف بحقه؟

فيهب «ابو دجانة»، باعتداد البطل المفعم تفاؤلا وثقة، مجيبا:

– وما حقه يا رسول الله؟

– ان تضرب به العدو حتى ينحنى

– انا آخذه يا رسول الله، بحقه.

ويبتهج ابو دجانة – سماك بن خرشة – لا يثار الرسول اياه حين يناوله السيف، فينهض معبرا عن سعادته بذلك التقدير، فيعتصب بعصابة حمراء، كان اذا اعتصب بها علم القوم انه سيقاتل، ثم انشا يتوسط حلبة الرجال، واخذ يتمايل مختالا، ويمشى مشية خاصة فى عظمة وكبرياء.. ويرمقه القائد ضاحكا، قائلا:

«انها لمشية يبغضها الله، الا فى هذا الموقف»

وحين يبدأ الزحف نحو الميدان، وتطول المسيرة، ويلهث الرجال والابل من رقدة القيظ ووعورة الطريق، ترف الابتسامة النبيلة على الثغر الشريف ويقترب «محمد» من مقاتل اعياه الارهاق، فيمازحه، ترفيها عنه:

– أتبيعنى جملك؟

– بل اهبه لك يا رسول الله...

– لا، ولكن بعنيه.

– ثمنه يا رسول الله؟

– بدرهم!

– لا، اذن تغلبنى يا رسول الله!

– بدرهمين!

ويضحكان، وقد تجددت الطاقة، وتالقت على

الشفاه الابتسامة .. فينتقل الى مجاهد آخر نال منه التعب ، يسكب له جرعة رقيقة أخرى :
- هل تزوجت بعد ؟
- نعم يا رسول الله ..
- اثيبا ام بكرا ؟
- امراة تجمع رءوس اخواتى السبع ، اللاتى تركهن لى ابى
- أصبت .

وفى العودة المظفرة ، لم لا تحلو الدعابة ؟ .. تلقاه امراة مستفسرة عن زوجها ، فيقول لها مفتر الثغر لطيف النبرة : « الحقى زوجك ، ففى عينيه بياض » ! .. وتهرع جزعة الى الزوج ، لتجده سليما مزهوا بالنصر ، فتعجب وهى تحدق فيه دهشة ، وتعيد عليه قول الرسول ، فيضحك بسعادة وقد أدرك الدعابة ، ويجيبها قائلا : «نعم فى عينى بياض .. وسواد أيضا » !

(من رآه هابه ، ومن خالطه : أحبه) ، ذلك كان تلخيصا موجزا لشخصية الرسول .. وفى التفاصيل تقول بنت الشاطىء فى « نساء النبى » : « وحياة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فى بيته : تبدو رائعة فى بشريتها ، فقد كان يؤثر ان يعيش بين زوجاته رجلا ذا قلب ، وعاطفة ووجدان ، ولم يحاول - الا فى حالات الضرورة القصوى - أن يفرض على نسائه شخصية النبى لا غير »

ضاحك مرة زوجه «سودة بنت زمعة» فى شان مشيتها المتباطئة ، وكانت ثقيلة الجسم وتعلم أنه يستملح بعض عباراتها ، فردت عليه ، تقابل مرحه بمرح آخر : « صليت خلفك الليلة يا رسول الله ، فركعت بى حتى امسكت بانفى مخافة ان يقطر منه الدم » !

وتركيزا على توكيد بشريته والسمات الانسانية عليه السلام ، نورد قول الدكتور محمد حسين هيكل فى « حياة محمد » ، حول المفهوم الخاطىء عند بعض المتصدين لاخفاء جوانب ومشاعر بشرية فى شخصية « محمد » الذى : « لم يتزوج من تزوج من نسائه بدافع من شهوة او غرام ، واذا كان بعض الكتاب المسلمين فى بعض العصور قد اباحوا لانفسهم ان يقولوا هذا القول ، وان يقدموا لخصوم الاسلام عن حسن نية هذه الحجة ، فذلك لانهم انحدر بهم التقليد الى المادية ، فارادوا ان يصوروا محمدا عظيما فى كل شىء [!] حتى فى شهوات الدنيا »

ومن السمات الانسانية التى لم يكن « محمد » - الانسان - يجد غضاضة فى ممارستها ، تلطفا وترويحا .. ما حدث حتى ابان مرضه الاخير ، حين عاد ذات صباح الى بيته ، بعد أن طاف بالبقيع وحيا الراقدين فيه ، فوجد « عائشة » تئن متوجعة ، قائلة : « واراساه » ، فقال لها وهو يعانى من وطأة المرض حقيقة : « بل انا والله يا عائشة : واراساه » .. فلما عادت تكرر الشكوى ، عاد يكرر المرح قولا ضاحكا ، يرسله عذبا رقراقا لعله يخفف قليلا من آلامهما معا .

فى اوقات الصفاء ، بل وكذلك فى اوقات الازمات وجسام الاحداث ، يكون للمرح دوره المهدىء « الملطف » من وقدة الطقس ، او ضراوة الموقف ، او جسامة التبعة .. وفى بعض تلك الاوقات كان الرسول الكريم : « يمزح ولا يقول الا حقا » .. فلنتحدث عن « كل » جوانب العظمة والشموخ فى شخصية الرسول .. ولكن ليس ينبغى اخفاء بعض هذه الجوانب الطلية المشرقة ، التى تزيد الصورة المحمدية « البشرية » سموا ، واكتمالا ، وتعبيرا صادقا عما قيل من انه ايضا - صلوات الله وسلامه عليه - كان الين الناس ، بساما ، ضحاكا » .



سندات التنمية
الدفعة الرابعة والأخيرة
من الإصدار الثانى
بالدولار الأمريكى
عائدها السنوى ٨٪ صافى

- معفاة من كافة الضرائب والرسوم بما فيها ضريبة التركات ورسم الأيلولة .
- يبدأ احتساب العائد السنوى اعتبارا من أول الشهر التالى للاكتتاب .
- تسترد قيمتها بالكامل بالدولار الأمريكى بعد مرور ٧ سنوات من تاريخ إصدارها .
- يتم تداولها فى أسواق الأوراق المالية .

يتم الاكتتاب عن طريق
البنك المركزى المصرى
وكافة البنوك فى مصر ومراسليها فى الخارج

قبس من حديث محمد

علاء الدين زيدان

كما تذكر الآيات الكريمة ـ فان الرسول الكريم انما جاء ليبين للناس ما نزل اليهم من القرآن « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » ، ومن ثم فانه لا يمكن أن يخرج عنه فى كل أحاديثه ولا يمكن ان يتناقض مع ما جاء به القرآن او يتعارض معه ...

ولنتناول هنا مثالا واحدا لحديث يصنع أساسا عظيما لبناء المجتمع المتطور الجاد ، أخذت به المجتمعات الاوروبية فنعمت بالحضارة والتطور ، وتباعدنا عنه فأصابنا التجمد والخمود ، وهوحديث صحيح لان آيات القرآن تتفق معه وتؤكد ما يدعو اليه **الحديث الشريف : « لان يحتطب احدكم خير له من ان يتكفف الناس »** .

ان الصورة التى نعيش عليها اليوم فى مجتمعنا تعكس الابتعاد الكامل بين ما نطبقه وما يدعو اليه الحديث الشريف :

١ ـ فالشباب يظل فى مجتمعنا الاسلامى حتى يبلغ نيفا وعشرين عاما يعيش بلا عمل مكتفيا بدراسته .. بل انه حتى فى الشهور الطويلة التى يمكنه أن يعمل فيها فى اجازاته الصيفية ، فانه يعزف عن الالتحاق بأى عمل يدوى يسهم به فى بناء بلده ويعود بالنفع المادى عليه وعلى اسرته ...

٢ ـ أما اذا ترك بلاده فى اجازاته الصيفية ، فانه لا يمانع مطلقا فى القيام بأى عمل يدوى فى أى بلد اوروبى بما فى ذلك العمل فى المطاعم والفنادق ، حيث يحمل الاطعمة والحقائب ويقوم بتنظيف الادوات والارضيات .. ثم تنقضى الاشهر القليلة ويعود الى بلده ليرفض أن يقوم فيها بما كان يؤديه خارجها .. وكان ما كان يقوم به هو عمل مخز يخجل من تاديته امام الاهل والمعارف والاصدقاء !

٣ ـ وعندما ينتهى الشاب من تعليمه فانه يبحث عن عمل فى أى مكتب حكومى خاصة اذا كانت تحيطه المظاهر الاجتماعية الجذابة ، حتى وان كان دخله من هذا العمل محدودا ، وحتى ان كان بعيدا عن مجال دراسته وتخصصه ... بل وحتى لو كان لا يؤدى شيئا فيه على الاطلاق ، كما هو الحال فى الكثير من المواقع التى تحفل بالموظفين من ذوى الكفاءات والتخصصات الذين لا يؤدون عملا جادا وحقيقيا .. ورغم ذلك فانهم يبقون فى اعمالهم حفاظا على المظهر الاجتماعى الذى لا يتوافر خارجها فى الاعمال اليدوية والخاصة .

٤ ـ واذا ما لاحت أمام الشاب فرصة العمل خارج بلاده فانه يهرع اليها حتى وان كلفه ذلك ـ فى الكثير من الحالات ـ الامتهان الشديد لكرامته ، ذلك انه على استعداد لقبول أى شىء خارج بلاده والقيام بأى عمل يسند اليه ... أما فى داخلها فان المظهر الاجتماعى يقيد امكانياته ومواهبه ويحول بينها وبين العمل اليدوى ... وكان من نتيجة ذلك أن أصبح الشباب من خريجى الجامعات والمعاهد التعليمية المختلفة يتحدثون عن أصحاب الحرف والاعمال اليدوية وعن ثرواتهم الطائلة وعن دخولهم المرتفعة ويتناقشون فى النقص الهائل فى الايدى الفنية المتخصصة فى كافة مجالات الصناعة والزراعة والبناء وغيرها ، والتراكم الهائل فى اعداد الموظفين فى دور الحكومة والقطاع العام .. ولكنهم فى نفس الوقت لا يحاولون أن يشاركوا فى سد هذا النقص من تلك الزيادة .

وفى الحقيقة فان ذلك كله انما يجد التفسير والادراك لاسبابه فيما وضعه المستعمرون الاوربيون بيننا من القيم الهدامة المتمثلة فى تقديس المظاهر الاجتماعية واحتقار العمل اليدوى .

واذا كانت هذه المشكلة ـ المتمثلة فى النقص الشديد والمتزايد فى الايدى الفنية المدربة ، والتراكم المتزايد المقابل فى خريجى التعليم النظرى ـ تمثل معول هدم فى مجتمعنا ، فان ذلك يعتبر نتيجة مباشرة لاستسلامنا للمفاهيم الاستعمارية التى ترسبت بيننا ، وابتعادنا عما يامرنا به الحديث الشريف من ضرورة الاحترام والمشاركة فى كل الاعمال اليدوية لكل القادرين عليها ، حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «لان يحتطب احدكم خير له من ان يتكفف الناس » ...

فالحديث يدعو المسلم الى التخلى عن الكبر والمظاهر التى تقيد مواهبه وقدراته وضرورة العمل الجاد فى اى موقع حتى لا يكون حالنا كما هو اليوم من الحرمان من الايدى الفنية البناءة فى كثير من المجالات لمجرد الاستكبار والاستعلاء لدى الشباب المسلم .

ولقد أخذ الاوروبيون بالقاعدة البناءة التى يدعو اليها هذا الحديث ـ فى نفس الوقت الذى حاولوا فيه اخمادها لدى المسلمين ـ فكان الاوروبيون على الدوام يحترمون كل ما لديهم من الاعمال اليدوية الفنية ويحرصون جميعا ـ والاثرياء فى المقدمة منهم ـ على الالتحاق بها وممارستها ، ومن هنا كان ماحققته هذه المجتمعات من البناء فى كل المجالات .. على حين ساد بين المسلمين هذا السلوك المؤسف من الانصراف عن العمل اليدوى والحرص على النواحى المظهرية بعيدا عن العطاء الجاد .

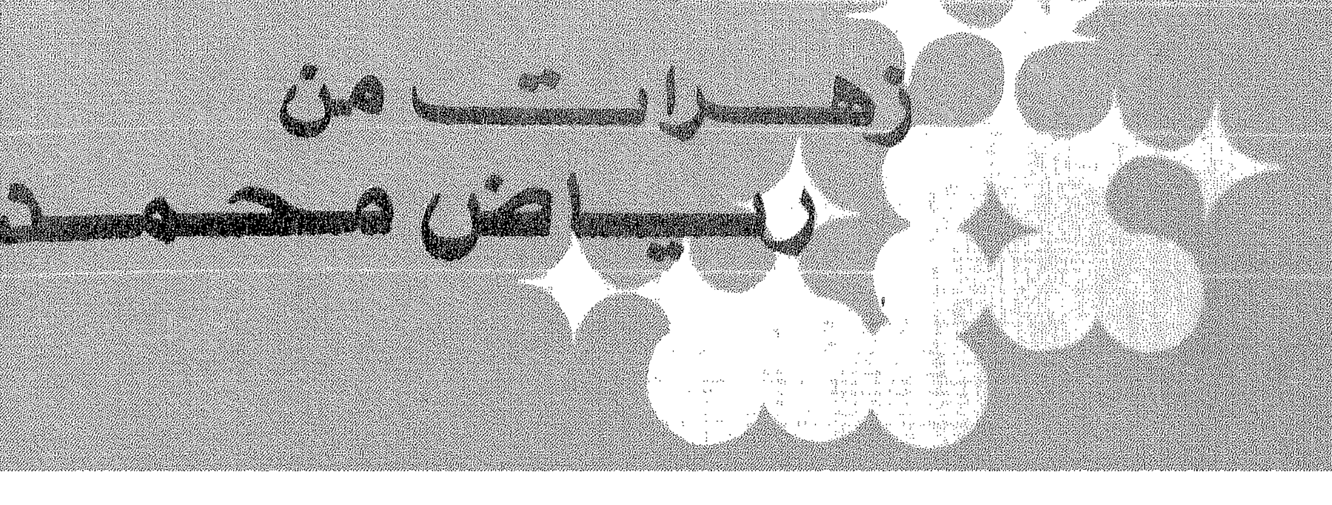
وأصبحت الثروات الهائلة فى بلادنا لا تجد الايدى المتحمسة التى تمتد اليها .. فالاراضى الواسعة صالحة للزراعة ولكنها تعانى من نقص كبير فى الايدى العاملة .. والاسماك فى البحار والبحيرات ، لا تجد المشروعات لاستخراجها .. والحرف المختلفة تعانى من التدهور لانها لا تجد من يمارسها ـ بينما يخرج الشباب من بلادهم يتكففون الناس فى خارج بلادهم بحثا عن أى عمل ..

ولعل الحل لهذه المشكلة الكبرى انما يكمن فقط فى العودة الى الحديث الشريف السابق .. حيث الاحترام الكامل للعمل ، لقيمته لا لنوعه ، ولحقيقته لا للشكليات فيه .

في مولد الرسول

فـؤاد بـدوي

في ربيع كان مقدمك الربيع
غنت الازهار والاشعار واللحن الوديع
رنمت زمر الحجيج اليك في الليل البديع
سيرة الشمس الوضيئة والصباح
يا رسول الله يا أبهى صباح
في ليلة ميلادك تمثل بين يديك
ايد خالية وقلوب تعمر بالحب
ايد خالية لكن في فمنا كلمات تسعى بالحب ٠٠ بدرب النـور
وتحث الخطو المشتاق اليك
تشرف حين تشارف أعتابك
تزهو وتحس علو المقدار بوقفتها عند الابواب
تستمطر صلوات الله عليك
تدعو بسلام الله عليك
صلوات وسلام عدد الانجم ظاهرة خافية في كل سماء
عدد رمال الصحراء ٠٠ جبال الارض ٠٠ تلال الارض
عدد الاحرف والكلمات ٠٠ وقطرات الماء
يا مشعل السراج في العقول
يا مشعل السراج بالنور المبارك والسلام
من اعماق القلب ومن نور العقل
من حبي اسطر كلماتي ٠٠
يا هادي عين الانسان الى النور
يا هازم اهل العدوان وشر العدوان
يا شمس هدانا ٠٠٠
اقباسك تهدى
روحك في ارجاء الدنيا تسرى
شعلتك الابدية في الارض تضىء
شعلتك الابدية باقية ما بقى الناس
تحيا في افئدة الناس
ذكراك تظل على الدهر لتضرب امثالا للناس
ادبك الرحمن فاحسن تاديبك
يا عظمة اخلاق الانسان
ليلة مولدك شموس اقمار
عيدك ٠٠ أنوار ٠٠ أنوار ٠٠



● عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من نومه يقول :
« الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور »
● عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما منكم من أحد يتوضأ ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين - الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .
● عن أبى موسى قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ وصلى وقال : « اللهم أصلح لى دينى ، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى رزقى » .
● عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرا ، أو غيره ، فقال حين يخرج : آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لاحول ولا قوة الا بالله - الا رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شر ذلك المخرج» .
● عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من طعامه قال
« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وجعلنا مسلمين » .
● عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا يقول :
« اللهم لك الحمد ، أنت كسوتنيه اسالك من خيره وخير ما صنع له ، واعوذ بك من شره وشر ما صنع له »
● عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة وهى مريضة : قولى : « يا حى ياقيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، ولا الى أحد من الناس » .
● عن خالد بن الوليد انه أصابه أرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أعلمك كلمات اذا قلتهن نمت ؟ قل : « اللهم ، رب السموات السبع وما اظلت ، ورب الأرضين وما اقلت (أى حملت) ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك أجمعين ، أن يفرط على أحد منهم أو يطغى ، عز جارك وتبارك اسمك » .
● عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول للمسلم اذا تزوج :
« بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير » .
● عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن ينام قال :
« اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك » .
● قال الله سبحانه وتعالى « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » .
وقال الرسول الكريم « الدعاء مخ العبادة » ، ولذلك كان السلف الصالح يحفظون الدعوات المأثورات عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ظهر قلب ، يستمطرون بها الرحمات ويقضون بها الحاجات ، يدفعون بها الضراء ويستقبلون بها السراء ..

معجزة محمد

تاج الدين سلامة نوفل

تفنى الخوارق في ثوان
فاعلم بأن الكل فان !
فلكل عصر معجزه
ولكل معجزة اوان
لكن معجزة الهدى
تبقى على مر الزمان
تبقى هدى للعالمين
ورحمة في كل آن
تبقى بقاء الباقيات
بلا زمان او مكان
من يحتمي بك يهتدى
ويعز عندك لا يهان
جاءت على يدك الوسيلة
والشفاعة والبيان
فتجمعوا حول الكتاب
ليهتدى ناء ودان
جاءوا رجالا كالجبال
الراسيات بلا هوان
جاءوا قناديل الهدى
جاءوا عمالقة الكيان

***

ياسيدى يانور قلبي
جئت اسألك الامان
وأتيت اسألك الشفاعة
ان لي نفسا تدان
فذنوبي اجتازت يدى
وليس لي فيها يدان
وانا الذى احيا على
تقوى وهون واتزان
لم تلهني الدنيا بزخرفها
الدنيء ولا الحسان
وأرى الحياة وان تطول
فطولها عندى ثوان
والنار والفردوس ذاك
اراهما راي العيان
لاكون من اهل الهدى
واكون من اهل الجنان



نصر الدين عبد اللطيف



ركن الاركان ، فى مجلس الاسمار ـ لا احد ...
الليلة يلتقيان، هي والسلطان، في مكتبة قصر الرمال

هي : مساؤك الحضور البهيج ، والفوز ، ونفس مطمئنة !
هو : نفس مطمئنة ؟!. آه ه ه ه !..
هي : ولم الآهات .. أليس في متناول كل نفس اطمئنانها ؟
هو : يا رائعتى ، ما اكثر ما هو فى متناولنا ولا نصل اليه !
هي : لعلنا ، حين يقع ذلك لنا ، فهو ... قدر !
هو : على انه ، للحق ، قدر عصرى حميد !
هي : أفي الاقدار ايضا ما هو عصرى و .....
هو : بلى ! ..
هي : وذلك هو قدر النفوس غير المطمئنة ؟
هو : ان لم يكن ، بالحق ، قدرها ... فهو بلغة العصر ، معادلتها الصعبة !
هي : مجمل القول اذن ، ان الفوز بنفس مطمئنة هذه الايام ، معادلة صعبة !
هو : ليس بالطبع للناس كافة !
هي : هناك تمايز واستثناء .. لمن ؟
هو : للذين اشربت نفوسهم السكينة ـ و «السكينة تنزلت بالقرآن»
هي : الله ! .. ومن ايضا ؟
هو : والذين لهم الوفاء بما دعا به الداعى الاكرم : ((اللهم اني اسالك نفسا بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك ....))

ألــقى اللّــه على كلامه المحبّة

هى : جليل ، جميل !.. ومن ايضا ؟
هو : ... والذين لهم مثل ماوعد به محمد صفيه ووفيه ...
هى : أبا بكر الصديق ؟
هو : أجل ، فلقد كان مع محمد حين نزلت الآية الكريمة :
« يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى » ..
فهتف أبو بكر عجبا وحبا : « يا رسول الله .. ما أحسن هذا ! »
فقال له محمد : « أما انه سيقال لك هذا ! » ...

***

هو : وجهك الى السماء ، ويداك ضارعتان ؟
هى : أدعوه ، أدعو الله ..
هو : وما الرجاء من الدعاء ؟
هى : نفسي ! .. « همسا » لكل نفس فى العصر معادلتها الصعبة !
هو : « نقي » : « يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك .. »
هى : وانى لاطمع ....
هو : هنا أيضا تطمعين ؟
هى : نعم ، اطمع ان يقال لى مثل هذا !
هو : يا شيخه ... بعد عمر طويل !

***

هى: الآن، ونحن نواجه هذه الصفوف الشاسعة من مؤلفات كتاب وشعراء أجانب وغرباء عن محمد ... فليم تفكر ؟

هو : في انه لو جمعت هذه كلها وترجمت عربية مشمولة بحسن العرض والنقد والتحليل ...
هي : فكرة للمناقشة ، وباب الاجتهاد فسيح مرحب ...
هو : خاصة وان هؤلاء الاجانب ليسوا جميعا سواء .. فاذا كان فولتير مثلا ، قد كذب وأغرض وتعصب فيما سود عن محمد ، فان لامرتين ـ وهو فرنسي كفولتير ـ قد كتب الاصدق والاجمل ...
هي : انعرض هنا لبعض قوله ؟
هو : اليك نصا بالحرف مما قال :

« انه ما من رجل غير محمد نذر نفسه لهدف اسمى كهذا الهدف ، فقد كان هذا الهدف مما يفوق القدرة البشرية : هدم المعتقدات الباطلة التي تتخذ زلفى وواسطة بين الخالق والمخلوق .. : رد الله الى الانسان ، والانسان الى الله ... : الفكرة العقلانية والقدسية للألوهية الصحيحة في هذا السديم من الشرك والوثنية ...

« ما من رجل سوى محمد انجز بمثل وسائله الضعيفة عملا كهذا العمل الذى يتجاوز المالوف ويفوق طاقة البشر ، ذلك لانه لم يعتمد في تصور وانجاز مقصد عظيم كهذا المقصد الا على نفسه ، ثم قلة من الاميين في ركن من اركان الصحراء...

« ثم انه ما من رجل عدا محمد استطاع ان ينجز في مثل هذا الوقت القصير ثورة في العالم ترقى الى مثل هذه العظمة والاستمرار ، اذ ما ان مضى اقل من قرنين على مبعثه حتى ساد الاسلام المبشر به ارجاء البلاد العربيه كلها كاسبا لتوحيد الله كلا من الفرس ، وخراسان ، وجنوب الاتحاد السوفييتى ، والقوقاز ، واسبانيا ، وجزءا من بلاد الغال » ..

***

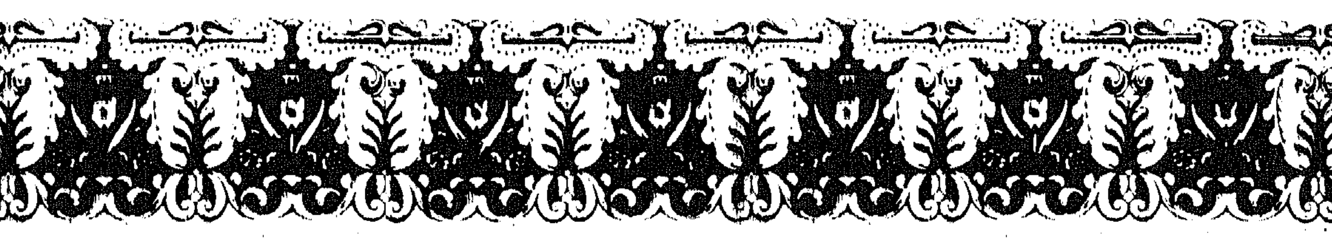
وهذا هو واحد من كبار نقاد محمد ، الجادين الصرحاء ..

سير وليم موير ـ وهو بريطاني كبير شغل مناصب هامة في الهند ، وحاضر في جامعة ادنبره ، وامتاز بدراساته في التاريخ الاسلامي ، ومن اشهر كتبه : « الخلافة » ـ طبعة لندن ١٨٩١، وكتاب «حياة محمد» ـ طبعة لندن ١٩٢٤ .

كتب سير وليم موير ـ وهذا نص حرفي مما كتب :

« ... كانت السهولة صورة من حياة محمد كلها .. وكان الذوق والادب من اظهر صفاته في معاملته لاقل تابعيه ..

« ان التواضع ، والعطف ، والصبر ، والايثار ، والجود ، صفات ملازمة لشخص محمد ، وجالبة لمحبة جميع من حوله ..



« لم يعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنا ، ولا هدية مهمــا صغرت .. وما كان يتعالى فى مجلسه ... ولا شعر أحد عنــده أنه لا يخصه باقباله وان كان بسيطا وحقيرا ...

« كان محمد اذا لقى من يفــرح بنجاح أصـابه ، امســك يــده ، وشاركه سروره ... وكان مع المصاب والحزين شريكا شــديد العطف ، حسن المواساة .. وكان فى أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس ، وكان دائم الاشتغال والتفكير فى راحة من حوله وهناءتهم ... »

***

وهنا استاذة لامعة وباحثة معاصرة ، هى الدكتورة ايفــادي فترى مايرفيتش « عضو المركز الفرنسي للبحث العلمي ـ باريس » :

« اذا كانت عظمة المقصد ، وقلة الوسائل ، وضخامة النتيجة ـ تمثـل المقاييس الثلاثة لعبقرية الرجل .. فمن ذا الذي يجرؤ على أن يقارن بمحمد ـ من الوجهة الانسانية ـ رجــلا من عظمــاء رجال التاريخ المعاصر ؟ ...

ان أشهر أولئــك الرجــال لم يهزوا الا اســلحة ، وقــوانين ، وامبراطوريات ، ولم يؤسســوا « اذا أسسوا شيئا على الإطلاق » ســوى قوى مادية غالبا ما تنهار قبلهم ... أما هذا الرجل فقد هــز أسلحة ، ودساتير ، وامبراطــوريات ، وشعوبا ، وممالك ، وملايين من الرجال على ثلث المعمورة ... ثم انه زاد فهز أسلحة مذابح المعابد ، والإلهــة ، والديانات ، والافكار ، والمعتقدات . والارواح .. وأسس فى كتاب كل حرف فيه قد غدا قانونا ، قومية روحية تشمل شعوبا من كل لســان ولون ... وأوحى ، كطابع لا يمحى لهذه الوطنية الاسلامية ، كراهيــة الالهة الزائفة ، ومحبة الاله الواحد المنزه عن المادة ...

هو نبى ، وهو فيلسوف ، خطيب ، مشرع ، محارب ، فــاتح افــكار وعقول ، مقيم لشريعة عظيمة حية ، مؤسس لعشرين امبراطورية أرضية ، ولامبراطورية روحية ..

ذلكم هو محمد ..
اى رجل اعظم منه فى كل المراقى التى تقاس فيها العظمة الانسانية ؟..

***

هى : جيرتنا هنا ، فى الصفحات السابقة ، يحتفون بالرسول الاعظم ، مجاهدين ، فى « رؤية معاصرة » ...
هو : التحيات لكل اضافة جديدة وجديرة بالمكتبة المحمدية !
هى : أصبحنا ، وقد ينتهى العمر ، ويشيب الدهر ، ولا نحيط بآفاق محمد ، انسانا ، ورسولا نبيا ..
هو : ولا بما أوحى والهم صحابة ، وحفظة ، ورواة ، ومجتهدين ، وأئمة ، ومفكرين فى شرق وغرب !
هى : لم يبق بعد لمن يأتى بعد ..
هو : لا ، وابدا .. فستبقى حياة محمد تنبت الملهم الفذ ، وتأتى بكاتب وبشاعر !
هى : وهنا ، اليس لك ما .....
هو : آه ، لا ... فهنا ليس لى الا الحب ..
هى : وهل يمنع الحب ...
هو : لا ، ولكن من الحب ما لا يلحق به نطق لسان وبيان قلم !
هى : حين يهيم ويستغرق المحبون ... ؟
هو : أعرف ، أعرف .. : « يذهب المجاهدون بالاجر كله » !
هى : فليرحمنا الله اذن ، يرحمنا معا ..
هو : وحــدنا ؟
هى : وما فى ذلك ؟!
هو : اقول لك : سمع محمد مرة اعرابيا يصلى خلفه يدعو فيقول : «اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا احدا ... »
فلما سلم قال له محمد : « يا أخى .. ضيقت واسعا ! »
هى : أأقول ما احلى عتب محمد وكلامه .. ؟!
هو : بل قولى ما يقول الجاحظ : ألقى الله على كلامه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة ، والفصاحة ، والحلاوة !

● السهرة ممتدة ...
، والليل موصول ●

من متحف الأمانات النبوية

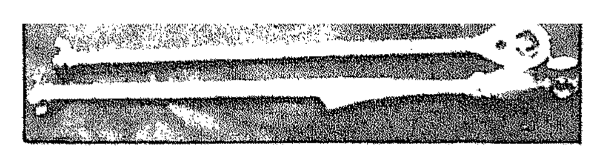
فى اسطنبول

لاسطنبول فى نفوس المسلمين مكانتها الجليلة، والمسلمون يتوقون الى زيارتها لمشاهدة آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ، الموجودة فى أكبر متاحف اسطنبول .

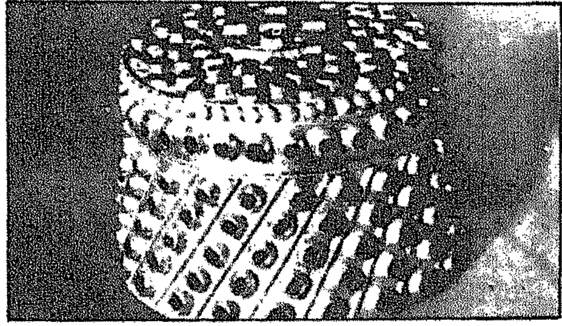
وسنحاول جاهدين ان نطوف معك فى أرجاء هذا المتحف لنشهد ((الامانات المقدسة الخاصة بالنبى عليه الصلاة والسلام)) .

وفى هذا القسم احتفظ العثمانيون بجميع ما وصل الى الاتراك من الآثار النبوية الشريفة بعد فتح مصر على يد السلطان ياووز سليم ١٥١٧ .

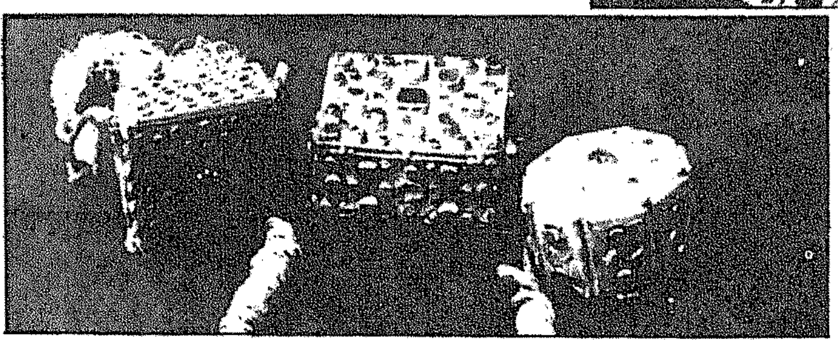
السيوف المباركة : فى المتحف ٢١ سيفا من هذه السيوف ، أهمها سيفا النبى صلى الله عليه وسلم . وتمتاز جميعها بقيم أثرية دينية وتاريخية كبرى، وقد تم اصلاح اغمادها وقبضاتها واتصال معظمها فى عهد السلاطين العثمانيين، كما رصعت بالاحجار الكريمة وغلفت بمعادن ثمينة .. أسوة بما لسيفى النبى عليه الصلاة والسلام .



مفتاحا الكعبة المصنوعان من الفضة



هـذه الحافظة الذهبية المزخرفة بالمجوهرات يوجد فيها أثر من شعر النبى صلى الله عليه وسلم .



هذه الحافظات الذهبية والفضية المزخرفة بالاحجار الكريمة ، فيها آيات قرآنية كريمة ، وبجانبها يعرض مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .



الـهـلال

مجلة الفكر العربي

ثروة من العلم والفن والفكر
بقروش قليلة

الهلال

خير هدية لك ولأسرتك.. تفيد الشباب بقدر ما تفيدهم المدرسة
والجامعة.. لأن الثقافة هى سلاح العصر لضمان مستقبل زاهر

الهلال

مقالات بأقلام كبار الكتاب - دراسات فى العلم
والفن والأدب - استطلاعات مصورة بالألوان

قيمة الاشتراك السنوى
[بالبريد العادى]
فى مصر ١٨٠ قرشا (١٢ عددا
فى الخارج : ٦ دولارات
أو ٣ جنيهات انجليزية

[بالبريد الجوى]
فى الخارج : ١٤ دولارا .. أو
٧ جنيهات انجليزية

تسدد بشيك مصرفى مقبول
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ ش محمد عز العرب - القاهرة

SUBSCRIPTION DEP
DAR AL HILAL INSTITUTION
POST OFFICE BAG

الهلال

مجلة الفكر العربى

ـة حب لاتنسى!

ـهات عشرون..
في مواجهة الأجيال

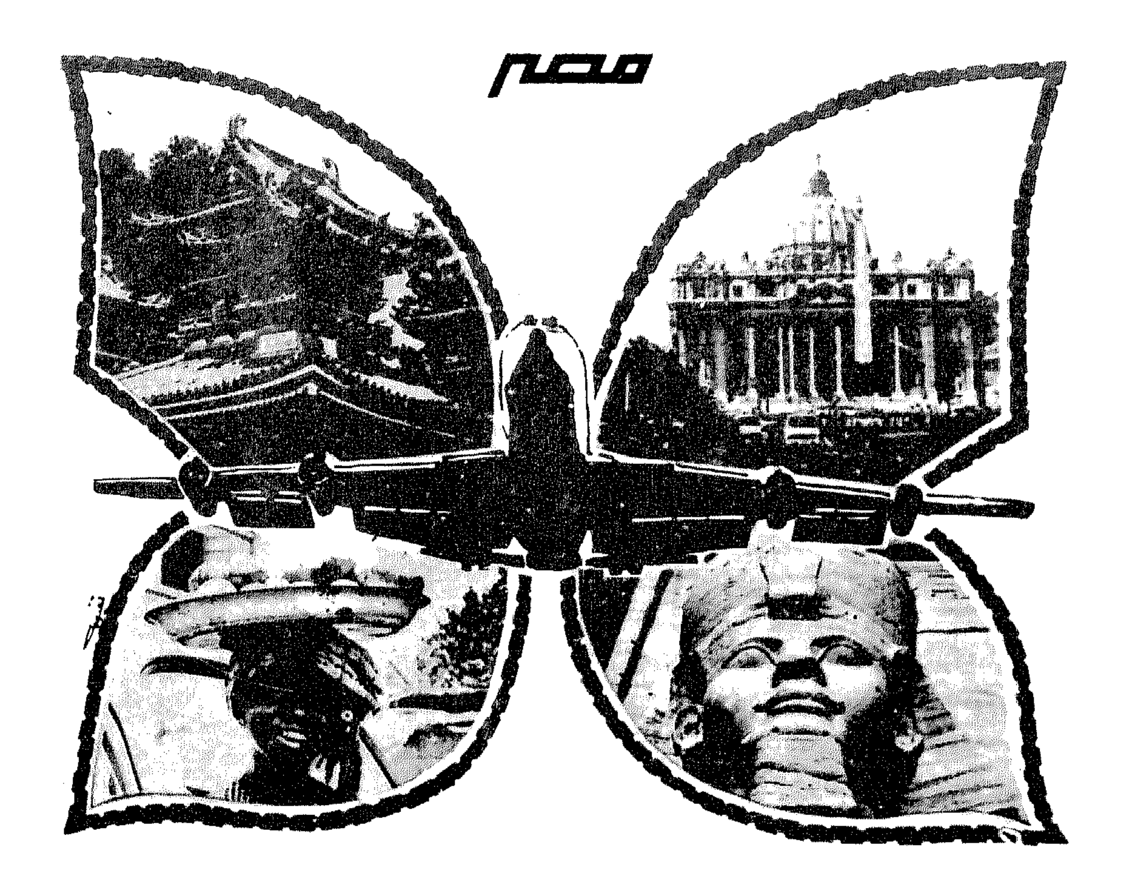
ـف.. الموت عالم بهيج؟

ماتحب المرأة: البرنوجرافيا

فى عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سـنة

مصر



وفى عمر شركات الطيران قليلاً ما تجد هذا الرقم

٤٦ سـنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا ـ أفريقيا ـ أسـيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوى

كلمة الهلال

أين رياح سبتمبر وأمطاره ؟

في البلاد الباردة ، حيث يتجلى تعاقب فصول السنة تبدأ الاشجار في تبديل ثيابها في سبتمبر . تاخذ اوراق الصيف الخضراء في التحول من الخضرة الى الحمرة ، وتسقط أوراق كثيرة تحملها امطار سبتمبر الى مجارى الانهار .

هناك في سبتمبر تموت دنيا وتولد دنيا ..

نذر التغير تتجلى فى الرياح الباردة والامطار الغزيرة .

الرياح تنتزع اوراق الشجر وتهبط بها الى الارض . والامطار تجرفها الى مجارى الانهار ..

ومع الامطار والرياح يعود الناس من الاجازات وتبدأ دنيا العمل ويسرع نبض الحياة .

هناك فى البلاد الباردة تشعر ان الطبيعة ما زالت حية تتحرك ، وحركتها تدفع عجلة الحياة ..

عندنا لايحدث من هذا شىء . الطبيعة فى بلادنا نسيت حساب الزمن من الوف السنين ، واختلطت الفصول . لا وجود لرياح سبتمبر ، ولا احد عندنا يعرف امطار سبتمبر . عملية الغسيل السنوية التى تجدد الحياة هناك انتهت عندنا من ايام الفراعنة ، ربما قبل ايام مينا .

فيما عدا نتائج الثانوية العامة ، وحمى دخول الجامعات فى العالم العربى كله ، لا يحدث فى سبتمبر شىء .. ادران الصيف وهموم الصيف تظل كما هى حتى تنضاف اليها ادران الشتاء وهموم الشتاء ..

ربما كنا في حاجة الى ان نصطنع عملية غسيل فى سبتمبر من كل عام . عملية تجديد تبدأ بعمل حساب العام الماضى وتنظيف البيت لاستقبال العام الجديد فى اكتوبر .

بلدية باريس تفرض على الناس تجديد طلاء بيوتهم في سبتمبر كل اربعة اعوام ، وعندنا لم يتجدد الطلاء منذ ايام عمرو بن العاص .

هذا هو السبب ـ احسب ـ فى هذا الفتور العام الذى يشمل الحياة كلها عندنا .

لأمر ما نشعر جميعا وكاننا فى ماء فاتر : لا هو ساخن يلسع ولا هو بارد يلفح ..

لهذا نجد كل عام فى حياتنا يشبه كل عام ..

نحن فى حاجة الى ابتكار عملية تجديد للحياة عندنا .. عملية صقل النفوس وازالة صدا القرون ..

لأن هذه الحياة الراتبة قاتلة ..

لابد ان تتغير النفوس وتتبدل العقول لكى تتجدد الحياة ..

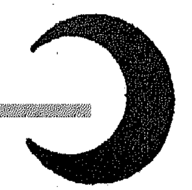
وما احوجنا الى رياح سبتمبر وامطار سبتمبر .

نريد ان نحس نبض الحياة .

هذه دعوة نبعث بها مع هلال شوال ، وهو هلال سبتمبر .

وعلى فكرة لماذا لا نجمع شجاعتنا مرة ونطبق العلم على الهلال ، فيكون هلال سبتمبر هو هلال شوال كل عام ؟

المحرر



فى هلال هذا الشهر

ص



رمضان ١٣٩٨ هـ

سبتمبر ١٩٧٨ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال – اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة السادسة والثمانون – اول سبتمبر ١٩٧٨ – ٢٨ من رمضان ١٣٩٨

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفنى : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفنى : موسى عنيد

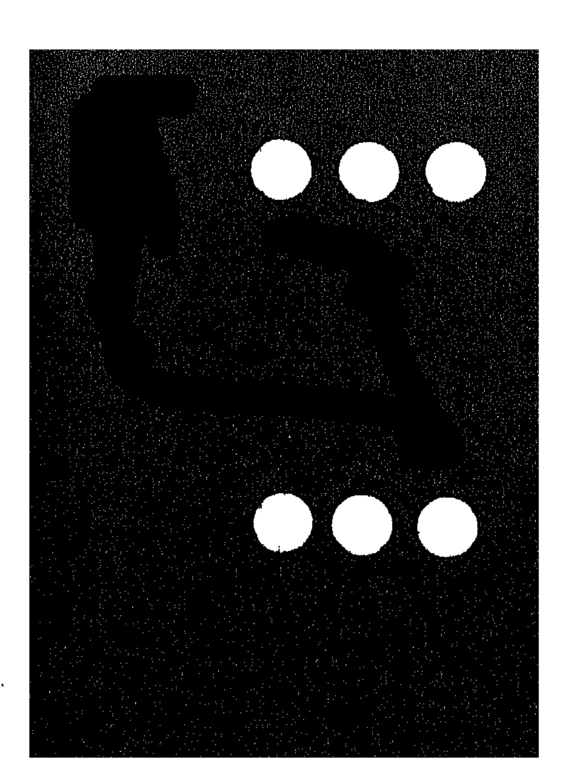
ص

الغلاف الأول

زينا هذا العدد بتلك الصورة البديعة للتاج محل الذى يعتبر من اجمل المنشآت المعمارية في التاريخ .. ويرى فيها كيف صنع الفنان المسلم عملا فنيا متكاملا من المبنى الرخامي والحديقة الخضراء والزهور الحمراء والمياه الجارية ، والمياه الزرقاء

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : «١٢» عددا في جمهورية مصر العربية ١٨٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
في الخارج بالبريد العادى ٦ دولارات أو ٣ ج . ك . بالبريد الجوى ١٤ دولارا أو ٧ ج . ك . تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .





بقلم : رئيس التحرير

● فى مؤتمر عربى شاركت فيه اخيرا لتدارس بعض المشاكل العربية الثقافية وجدت فى جدول الاعمال موضوع « دائرة المعارف العربية » .

واسرعت يدى تبحث عن ملف ذلك الموضوع بين «جبل» الاوراق والمذكرات الذى وزعوه علينا ، ومضيت اقرأ ..

استوقف نظرى ان اول مذكرة كتبت فى الموضوع تحمل تاريخ سنة ١٩٥٣ ، وقد اعدت هذه المذكرة بناء على توصية يرجع تاريخها الى سنة ١٩٥١ . وقرأت أوراق الملف كلها ، وخرجت منها بأن هذه الدائرة لن تكتب ابدا .

وجاء دور مناقشة الموضوع .. ودارت « كرة » المناقشات بين الاعضاء . جلسة كاملة طولها خمس ساعات . لم احس اثناء هذه الساعات بأية رغبة فى الكلام مع اهتمامى البالغ بأمر دائرة المعارف العربية ، فانا ـ مثلى فى ذلك مثل أى عربى مثقف ـ احلم بان اجد بين يدى دائرة معارف تسعفنى بما لا يمكن ان استغنى عنه فى المعلومات والبيانات الصحيحة السليمة ، وعندى فى مكتبتى اربع دوائر معارف هى البريطانية ، والامريكية ، ولاروس الفرنسية ودائرة المعارف الاسلامية فى طبعتها القديمة والجديدة ، وكلها من ركائز عملى ، وطالما تمنيت على الله ان يجىء اليوم الذى استغنى فيه عن هذه كلها بدائرة معارف عربية ..

وخرجت من دائرة افكارى التى

○ العلاقة مقطوعة من قرون طويلة بين العرب والزمن حتى القرن الثالث الهجرى ، كان العربي يقود الزمن ، حتى ترك الزمام يفلت من يديه فتخلف وسار الزمن . بل حدث ما هو أسوأ من ذلك ... عاد القهقرى باحثاً عن زمن مضى وفات .

سبحت بى بعيدا عندما سمعت رئيس الجلسة يتلو القرار الذى استقر عليه الرأى بعد ان هلكت ((كرة)) الكلام من التنقل بين عباقرة الكلام ..

القرار يقول : ((يحال موضوع دائرة المعارف العربية الى لجنة من الخبراء لمزيد من الدراسة على ان تقدم مذكرة للبحث فى الدورة القادمة)) ..

وهنا كان لابد ان اقول شيئا ..

وفى حزم بالغ قال رئيس الجلسة أقفل باب المناقشة فى هذا الموضوع . نستطيع ان نضمك الى اللجنة التى سنشكلها ، وهناك تستطيع ان تقول ما تشاء ..

قلت : لا والله ما انضم الى لجنة أو اشترك فى دراسة او اعمل فى وضع مذكرة جديدة ..

ــ لماذا ؟

ــ لاننى استطيع ان احقق مشروع هذه الدائرة وحدى . اعطونى المال المقرر لها من ثلاثين سنة ، واتركونى اعمل ..

ــ وتقدم لنا مذكرة قبل أن تشرع فى العمل .

ــ لا بل ساقدم لكم الجزء الاول من الدائرة مطبوعا ..

وحسبونى امزح ، فانتقلوا الى الموضوع التالى على جدول الاعمال ، أو قل على جدول الاقوال ..

***

وتركتهم يناقشون الموضوع التالى وعدت الى افكارى .

ذكرت ان واحدا من الاعضاء قال في سياق حديثه : ان الزمن لا يهمنا ... ان ما يعنينا في المكان الاول هو ان نخرج دائرة معارف متكاملة صحيحة سليمة من كل عيب ..

لماذا قال الزميل المحترم : ان الزمن لا يهمنا ؟

لانني اعرف بعد عمر طويل في صحبة تاريخ العرب ان العلاقة بين العربي والزمن غير سليمة ، أو قل انها غير موجودة .

من قرون طويلة ، ربما منذ القرن الثالث الهجرى قطع العربي صلته بالزمن ، الى منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى كان العربي يسير مع الزمن . كان يقود الزمن . كان يسبق الزمن . بعد ذلك ، ولاسباب **ارجو ان الم بها هنا سريعا، وقف العربي وترك الزمن يمضي . افلت منه زمام السنين ، وبدلا من ان يحاول الامساك بالزمام من جديد ، توقف مكانه ، بل استدار ومضى القهقرى يبحث في زمن مضى وفات .**

وبدات فكرة السلف الصالح تستولى عليه .

وكل ما مضى خير من كل حاضر ، وكل حاضر خير من كل قادم ..

واستحب العربي ان يردد قول الشاعر :

دع المقادير تجرى في اعنتها
ولا تبيتن الا خالى البال .
ما بين طرفة عين وانتباهتها
يبدل الله من حال الى حال

وتصور الكثيرون منا ان هذه هي قمة الحكمة ..

وتركنا المقادير والاحداث تجرى في اعنتها ..

ونمنا عشرة قرون وبالنا اخلى من بال طفل صغير ..

وها نحن حيث ترى ، قريبا جدا من الذيل ..

لأن امم العالم الثالث ، ونحن من اقطابها – هي امم الذيل ..

وهذه هي الترجمة الصحيحة لعبارتنا المهذبة : الامم النامية ..

لاننا اذا كنا من الامم النامية فماذا تكون الولايات المتحدة أو المانيا أو اليابان ؟

هل هذه امم توقف نموها ؟

العكس هو الصحيح . انها تنمو وتنمو ، وأهلها يخترعون كل يوم شيئا جديدا

والسبب ؟

انهم صححوا علاقتهم مع الزمن انهم يسايرونه بل يسابقونه ..

ودائرة المعارف التى انفقنا نحن ثلاثين سنة دون ان نحققها اصدروا هم منها عشرات ، لانهم لا يقولون : ان الزمن لا يهمنا . بل يقولون : لا يهمنا شيء قدر ما يهمنا الزمن !

لأن الزمن هو الهبة الاساسية التي يهبها الله للانسان .

وما هو عمرك ؟ انه القدر من الزمان الذى يقدره لك خالق الكون ..

وبدون هذه الهبة فلا وجود لك على الاطلاق .

والعبقرى الذى قال :

دع المقادير ، تجرى في اعنتها
ولا تبيتن الا خالى البال
ولهذا فقد بات خالي البال

○ تخلينا عن الزمان فتخلى الزمان عنّا ، وأصبحنا في عدد الماضين وتحت بعد أحياء .

○ وتوسدنا ذراعنا ونمنا عشرة قرون ، لأن شاعرًا تغيّا قال : دع المقادير تجري في أعنّتها ..

وما كان لديه بال ، لا خال ولا غير خال !

***

لقد دخلت الحضارة الغربية بلادنا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وهو يوافق منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

ـ ماذا فعلنا من منتصف القرن الثالث الهجري الى منتصف الثالث عشر ؟

عشرة قرون هجرية كاملة ، ماذا فعلنا فيها ؟

اذا أردت الصراحة الكاملة : لا شيء .
بل عدنا الى الوراء . وما تعلمناه خلال القرون الهجرية الثلاثة الاولى نسيناه خلال ما تلا ذلك من القرون .

ففي أوائل القرن الرابع الهجري كان علماء العرب يعرفون ان الارض كرة، وانها تسبح في الفضاء ، قال ذلك الجغرافيون العرب من ابن رستة الى ابن حوقل . وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي يكتب ابن الوردي وعلماء عصره يقولون ان الارض مسطحة وانها محمولة على قرن ثور . وباستثناء ابن خلدون ، هذا كان مستوى العلم الجغرافي من القرن الخامس الهجري فصاعدا ..

وبينما كان ابن سينا والفارابي يكتبان في القرنين الرابع والخامس الهجريين في الفلسفة كتابات ضاهت كتابات ارسطو ، بل فاقتها ، وكان الناس من حولهما يقرأون ما يكتبان ويتناقشون فيه . اما في اواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي فكان ابن رشد في قرطبة يكتب شروح ارسطو دون ان يعلم احد بما يكتب. وعندما اتصل بالناس علم ذلك عوقب واهين حتى صفع على وجهه ونفي ..

وفي أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كانت صناعات النسيج زاهرة في العالم الاسلامي ، حتى كانت اوروبا تستورد منا سفنا كاملة محملة بالنسيج والفرش((الابسطة والسجاجيد)) كانت مدن مصر الصناعية في شمال شرق الدلتا (تنيس وديبق وشطا) تصنع اقمشة قطنية وحريرية وكتانية منسوجة بخيوط الذهب والفضة وكانت زنة الثوب (٤ أمتار) نحو ثلاثمائة جرام، وكان الثوب الواحد يباع بالف دينار. من هذه الثياب كان لبس ملوك اوروبا. وكانت حلب وحمص وحماة ودمشق واللاذقية تصنع اجمل وارق حرير في الدنيا .وكانت ايران وتركستان وآسيا الصغرى تصدر من الفرش ماتزهي به

الكنائس والقصور من ابسطة وسجاجيد الى اليوم ..

وفي القرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى كانت كل هذه المناسج قد توقفت عن العمل بسبب ظلم الحكام وعدم الامان على طرق التجارة ..

ما معنى ذلك ؟

معناه اننا اضعنا السنين. انفصلنا عن الزمن . رددنا مع الشاعر الكليل الذهن قوله : دع المقادير تجرى فى اعنتها ..

نمنا على البال الخالى كما قال الشاعر الكسيح الذهن !

وغيرنا .. نهض وأسرع فى خطوه وتقدم واخذ العلم منا وسار به الى الامام ... افاد من الزمن ..

انني اقرأ احيانا كثيرة قول بعضنا : نحن كنا فى الاوج بينما كانوا هم فى ظلامات الجهل .

وهذه شهادة لهم وشهادة علينا .. نحن سقطنا من الاوج الى الحضيض وهم صعدوا من الحضيض الى الاوج من الاذكى ؟ من الاقدر ؟ من الجدير بالاحترام ..

وكل هذا لاننا ضيعنا الزمن ، وهم عرفوا كيف ينتفعون به ..

بل قبضوا على العنان وسيروا الزمان ونعمنا نحن بالنوم الهنىء والبال خال من الهموم ..

***

واليوم ؟ اترانا افدنا .. ؟

ان منا من يفضلون الوقوف ساكنين فى انتظار ان تحل لهم الايام مشكلة اسرائيل . وهم يخفون هذا العجز تحت ستار كاذب من البسالة الزائفة والتمسك بالحق والتشدد وعدم التفريط ، كل ذلك من طرف اللسان .

وهم ينسون ان الانتظار فى ذاته تفريط وتضييع

لأن الزمن يعمل الى جانب من يجاريه ويسابقه ..

وكل يوم يمر على اسرائيل وهى مطمئنة فى الارض المحتلة انما هو كسب لها ، انه يثبت اقدامها ويعمق جذورها

انما الذى يقلق اسرائيل هم الذين يعملون . هم الذين يكشفون زيفها ويلقون الفرقة والفتنة داخلها ويحرمونها الأمن . يحرمونها من حلفائها ومصادر قوتها ..

هم الذين لا ينامون مع البال الخالى ، بل لا ينامون قط، لأنهم يفكرون ويدبرون ويساجلون ويناقشون ، ووراء ذلك يستعدون حتى اذا قامت حرب كانوا اهلها وفوارسها كما كانوا فى اكتوبر .

عند بعض العرب اكتوبر نهاية . وهؤلاء هم الذين يتبعون الشاعر اياه .

وعند الآخرين اكتوبر بداية ، وهذا مذهبنا ومذهب الذين يرون أن الحياة غلاب ، وان امة العرب ينبغي ان تتبع النصر بالنصر حتى تكون سيدة على كل اراضيها لا ينافسها منافس ، واذا كنا قد اصبحنا الامة السادسة على ظهر هذا الكوكب ، فلابد ان نكون غدا الامة الخامسة ، وبعد غد الرابعة ، وهكذا .

اننا لم نقف عند مجد اكتوبر بل تخطيناه الى عصر المبادرة والمبادرة اقدام وسبق للزمان .

***

لقد ضيعنا الكثير جدا فى الماضى، ولا يجوز لنا ان نضيع اكثر .

لقد ضيعنا القرون بعد القرون ونحن على مضاجعنا نائمون حتى غدونا حائطا مائلا من حوائط هذه الدنيا المائلة

○ فى القرن الرابع الهجرى كان علماء العرب يقولون أن الأرض كرة .. وفى القرن الخامس نسوا ذلك وقالوا أنها مسطحة وأنها محمولة على قرن ثور !

○ لا يشرفنا أن نقول لهم : كنا فى الأوج حيث كنتم فى الحضيض ، لأنهم نهضوا إلى الأوج وأزاحونا عنه ، فمن الأذكى والأجدر بالتقدير ..

والذى ضيعناه زمن ، لأن الله لم يهب البشر شيئا مثل الزمن ، وبداية ضياع الزمن هو الركود ، هو ان يسند الانسان ظهره الى جدار ، ويدع « المقادير تجرى فى أعنتها » . كأنه هو نفسه جزء من ذلك الجدار ..

ولم يقل أحد ان للنصر بابا واحدا ، انما النصر هو الا تكل عن المحاولة ، الا تقعد وتسند ظهرك الى الجدار ، الا تقعد وتقول « اللهم ارزقنى » .. لأن هذه مذلة وعار .

لقد أتانى ذات يوم خريج جامعة يشكو من انهم قدروا له راتبا فى حدود الخمسة والعشرين جنيها وقال : ان السباك (عامل الاجهزة الصحية فى البيت) يكسب اليوم عشرة جنيهات فى اليوم .

قلت : انه يبالغ ، ولكنه يستحق ، وانت أيضا لا تستحق اكثر مما اعطوك ففتح فاه من الدهشة ، فمضيت أقول : لا تدهش يا عابد الشهادات ، لأن الشهادات اوراق ، والمهم ما وراءها ، فماذا وراء شهادتك ؟ اربع سنوات من الكسل واللعب فى كلية الآداب . تذهب الى الجامعة للنزهة لا للعمل . الاستاذ يحاضر وانت فى المشرب تضحك وتلهو وتستمتع ، وقبل الامتحان بشهر أو شهر ونصف تبدأ تستذكر ، وبخمسين فى المائة من مجموع هو فى ذاته عشرة فى المائة مما ينبغى ان تعلم تنجح فى الامتحان ، وفى الذى يليه وهكذا حتى يضعوا على جبهتك الخاتم الاخير : ليسانس آداب !

كم ساعة عملت خلال السنوات الاربع ؟

قارن بهذا ما حققه السباك العامل الصحى ..

بعد الابتدائية او دونها ارسلوه ليعمل مع معلم سباكه أى أدوات صحية السنوات الخمس الاولى كلها تعب وشقاء وضرب وجرى وتنظيف محل وخدمة للمعلم الكبير .

ثم يخرج الى العمل وراء المعلم ويناوله الشىء بعض الشىء وينظر اليه ويتعلم سنوات بعد سنوات وهو لا يكسب الا

القروش • وعندما يسمحون له بان يصلح صنبور ماء يكون قد قطع عشر سنوات من العذاب •

ثم يمضي مع العمل خطوة خطوة ، وعليه ان يقتصد القروش قرشا قرشا ليستاجر المحل ويشترى الادوات ،وانت

خريج كلية آداب لا تحسن حتى كتابة الآلة الكاتبة .. فقارن نفسك به تجد الجواب على شكواك •

انت قليل الكسب لأن حسابك للزمن غير سليم • فان الزمن الذى يحسب هو زمن العمل والتعب والتعلم اما سنوات الجامعة كما تقضونها في كليات الآداب والاعلام والحقوق والتجارة فلا تحسب سنوات • انها سنوات على الورق ، ولكنها دقائق في حساب حقائق الحياة .. انهم يعطونك اليوم خمسة وعشرين جنيها وانت تريدها مائة ، لابد ان تعمل حتى تصل بها انت بجهدك الى المائة والمائتين ، لانك قد تخدع نفسك ولكنك لا تخدع الزمان

***

حرام ايها العرب ان يكون هذا شانكم مع الزمان •

من سنة ١٩٤٨ وانتم غارقون في قضية يمكنكم ان تحلوها في عامين ثلاثة

لو كنتم تعرفون قدر الزمان ••

واذكروا اين كانت المانيا سنة ١٩٤٥

كانت حطاما ، غرقى في الدماء والدموع •

من حدود بروسيا في بوميرانيا الى حدود الراين كانت أكوام تراب •

في ليلة واحدة حول سلاح الجو الانجليزى مدينة درسدن الى انقاض.

فاذهب اليوم وانظرالى درسدن.فلن تجد اثرا لحطام ••

واذكر اين كانت اليابان سنة ١٩٤٥

بعد هيروشيما ونجازاكى حسب الناس انه لن تكون بعد ذلك يابان •

فانظر الآن حولك تجد الدنيا كلها يابان •

هذا كله عمل • هذه كلها ساعات جد واجتهاد • انها سنوات استخدام جيد للزمان ••

وفلسطين ماذا جرى لها من ذلك الحين ؟

كانت نصف حطام فأصبحت اليوم كلها حطاما ••

وهذه هى نتيجة التراخي واسناد الظهر الى الجدار وفتح الفم حتى ملأه الزمان ترابا ..

يا قوم ••
والله لو كانت اسرائيل هذه في وطن غير وطننا لما كان لها من عشرات السنين اثر ، لانها في الواقع لا شيء •

وهل هذا يعقل يا ناس ؟ ••

مليونان ثلاثة لا يتكلم اثنان منهم لغة واحدة يذيقوننا سوء العذاب !

اليس عجيبا ان يأتيك فيل ليشكو ظلم كلب مهما بلغت ضراوته فهو كلب وانت فيل ••

ان معظم تجهم الناس لنا هو في الحقيقة عجب من امرنا، لان الوضع في ذاته غير معقول ••

والجالسون على السياج يهزون الارجل ويتفرجون سيظلون الى ان تتوفاهم الملائكة وهم يهزون ارجلهم اعلى السياج•

○ إن عصر أكتوبر عظيم ، ولكننا أثبتنا أننا أعظم منه ، ونتخطيناه إلى عصر المبادرة ، والمبادرة إقتحام واقدام ...

○ لقد علمونا ونحن صغار : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، وعندما كبرنا نسينا الحكمة وتركنا الزمن يقطعنا مرة بعد مرة ..

اما الذين سيكسبون المعركة فهم الذين انفوا الجلوس على السياج ونزلوا الميدان وبادروا وجالدوا وجاهدوا وانتصروا وقرروا ان يكملوا المشوار .
يكفى انهم اصحاب مبادرة ، يبادرون العدو ولا يفلت من ايديهم الزمام ..

وانظر كيف يتحرك العالم كله مع المبادرين ، لان العالم كله يعرف ان الحياة مبادرة وحركة ، اما القعود فموت ودمار .

حكوا ان مونتجومرى أمر جنوده وضباطه مرة بالجرى لانتضاء السلاح وركوب الدبابات ..

وجروا ، الا ضابطا سار يتمهل ..

ــ لماذا لا تجرى مع غيرك ؟ ..

ــ لان عندى القلب والجرى على محظور .

ــ اجر على قدر ما يستطيع قلبك ، وقع ميتا حيثما يدركك الموت ! ايها الضابط ،لقد اتينا هنا كلنا لننتصر أو نموت ،وسيموت منا الوف ولكن الباقين سينتصرون .. فلتكن مع الميتين .

وجرى الضابط ولم يمت ! وركب طائرته وضرب وانتصر ،ومات غيره ممن كانت قلوبهم من حديد ..

لان الحياة عمل وجد ، والعمل والجد معنيان من معانى الزمان . .

ان الرافض يعتبر فى زمرة الاموات الجالسين يهزون اقدامهم على السياج .

والسائر المبادر فى جملة المتحركين مع الزمان ، ومن ثم فهو فى عداد المنتصرين ولو كره الجالسون أعلى السياج

لا يعجبنى من قال : دع المقادير تجرى فى اعنتها ..

ويعجبنى من قال :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوانى!

ويعجبنى اكثر من قال : الوقت كالسيف ، ان لم تقطعه قطعك !
ولقد تركنا سيف الزمان يقطعنا بدل المرة مرات .

وآن ان نقطعه بسيوفنا .
آن ان ندرك ان كل الفرق بين الامم الرائدة فى طليعة الركب والمتخلفة فى الذيل هو فرق فى فهم الزمان واستخدام الزمن ..

آن للعربى ان يصحح حسابه مع الزمن . .

قطوف من لغتنا الجميلة

فاروق شوشه

نفحات من الفاروق :

يقول عبد الله بن عباس : دخلت على عمر حين طعن فقلت: ابشر بالجنة ياامير المؤمنين ، اسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ، ولم يختلف فى خلافتك اثنان ، وقتلت شهيداً ..

فقال : اعد علي ..

فاعدت عليه ، فقال عمر :

والله الذى لا اله غيره لو أن ما فى الارض من صفراء وبيضاء لى لافتديت به من هول المطلع ..

***

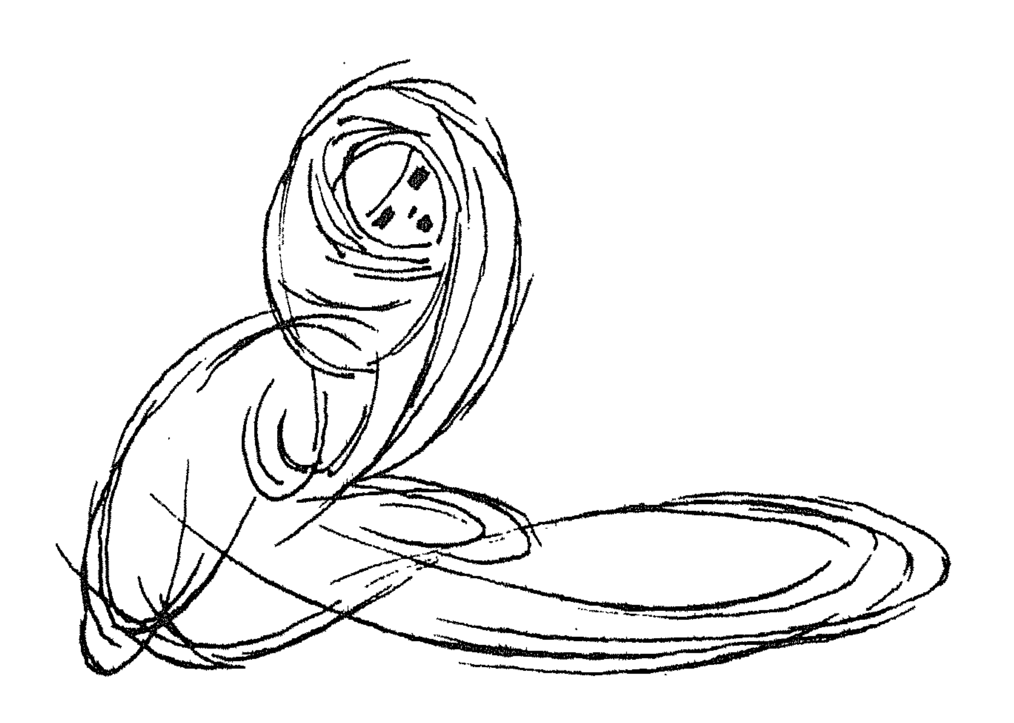
ومن وصية امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى الخليفة من بعده :

اوصي الخليفة من بعدى بتقوى الله، واوصيه بالمهاجرين الأولين ، أن يعرف لهم حقهم وكرامتهم ، وأوصيه بالانصار الذين تبوؤوا الدار والايمان :أن يقبل من محسنهم ،ويتجاوز عن مسيئهم ، واوصيه بأهل الامصار ، فانهم ردء الاسلام وغيظ العدو وجباة المال ، أن لايأخذ منهم الا فضلهم عن رضا منهم وأوصيه بالاعراب ، فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ، أن يأخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم ،وان يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم .

***

ويروون أن رجلا جاء الى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فقال له : يا أمير المؤمنين لا أبالي فى الله لومة لائم خير لى أم أسر أقبل على نفسي ؟

فقال له عمر : اما من ولى من امر المؤمنين شيئا فلا يخف فى الله لومة



لائم ، ومن كان خلوا من ذلك فليقبل على نفسه ولينصح لولى أمره .

***

ويروون أن أبا بكر الصديق — رضي الله عنه — ارسل الى عمر يستخلفه لما حضرته الوفاة وادرك دنو منيته ، فقال الناس : اتخلف علينا فظا غليظا ، لو قد ملكنا كان افظ وأغلظ ؟ فماذا تقول لربك اذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر ؟

قال أبو بكر : اتخوفونني بربي ؟ أقول: اللهم ، امرت عليهم خير أهلك .

ثم أرسل الى عمر يقول :

انى أوصيك بوصية ان حفظتها لم يكن شيء احب اليك من الموت وهو مدركك، وان ضيعتها لم يكن شيء أبغض اليك من الموت ولن تعجزه .. ان لله عليك حقا فى الليل لا يقبله فى النهار ، وحقا فى النهار لا يقبله فى الليل، وانها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا ، وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا .

فان أنت حفظت وصيتى هذه فلا يكونن غائب احب اليك من الموت ، ولابد لك منه ، وان أنت ضيعت وصيتى هذه فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه .

ثم ارسل اليه الصديق يقول :

يا ابن الخطاب : انى انما استخلفتك نظرا لما خلفت ورائى ، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت من أثرته انفسنا على نفسه ، وأهلنا



على اهله حتى ان كنا لنظل نهدى الى اهله من فضول ما ياتينا عنه ، وقد صحبتني فرايتني انما اتبعت سبيل من كان قبلي ، والله ما نمت فحلمت ، ولا توهمت فسهوت، واني لعلى السبيل ما زغت ، وان اول ما احذرك ياعمر نفسك ، ان لكل نفس شهوة ، فاذا اعطيتها تمادت في غيها .

***

ومن الكلمات المأثورة للفاروق :

ـ لا تعترض فيما لا يعنيك .

ـ اعتزل عدوك ، واحتفظ من خليلك الا الامين ، فان الامين من القوم الذى لا يعادله شيء .

ـ لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ، ولا تفش اليه سرك ،واستشر في امرك الذين يخشون الله

***

ومن وصاياه الى ابى موسى الاشعرى :

اما بعد : فان اسعد الرعاة عندالله من سعدت به رعيته .. وان اشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك ان تزيغ فتزيغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الارض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن وانما حتفها في سمنها . والسلام .

***

ويروى اسلم مولى عمر ـ رضى الله عنه ـ فيقول :

خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة واقم (١) ، حتى اذا كنا بصبرار (٢) اذا نار تؤرث ، فقال :

يا اسلم ارى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد ، انطلق بنا .

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار ، وصبيانها يتضاغون ،فقال عمر :

ـ السلام عليكم ياأصحاب الضوء « وكره أن يقول : النار »

فقالت المرأة : وعليك السلام

فقال : أادنو ؟

قالت : ادن بخير أو دع !

فقال : ما بالكم ؟

قالت : قصر بنا الليل والبرد

قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟

قالت : الجوع !

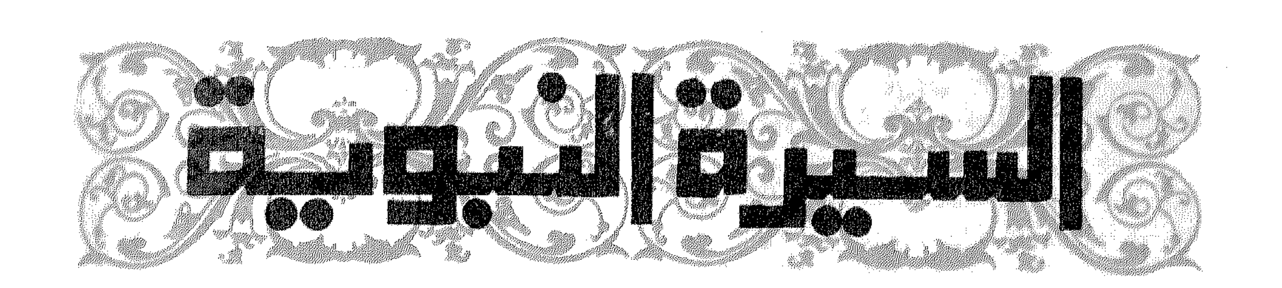
قال : وأى شيء في القدر ؟

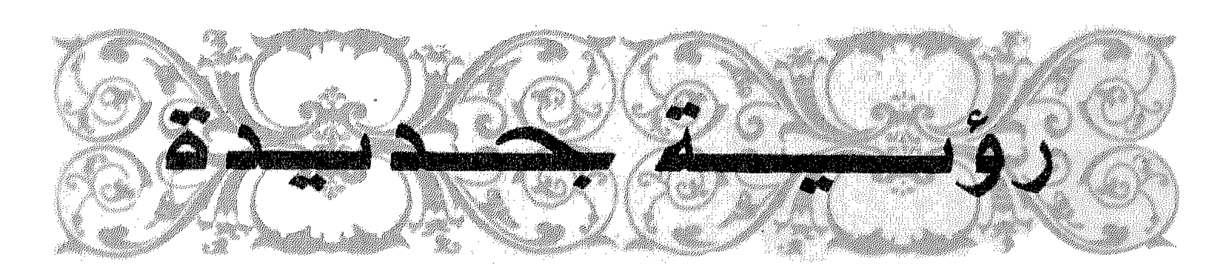
قالت : ماء اسكتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر !

(١) ، (٢) اسمان لمكانين معروفين لاهل ذلك الزمان .

فقال : اي رحمك الله ، ما يدري عمر بكم !.
قالت : يتولى امرنا ويغفل عنا !
فاقبل علي فقال : انطلق بنا ..
فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الدقيق ، فاخرج عدلا وزاد فيه كبة شحم ثم قال : احمله علي ..
قلت : انا احمله عنك !
قال : احمله علي « مرتين او ثلاثا كل ذلك وانا اقول :انا احمله عنك» فقال اخر ذلك :
ـ اانت تحمل عني وزري يوم القيامة ؟ لا ام لك !
فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى اتينا اليها فالقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئا وجعل يقول:
ـ ذري علي وانا احرك لك ..
وجعل ينفخ تحت القدر « وكان ذا لحيــة عظيمة » فجعلت انظر الى الدخان من خلال لحيته حتى انضج ادم القدر ، وقال لها :
ـ ابغيني شيئا ..
فاتته بصحفة فافرغها فيها وجعل يقول :
ـ اطعميهم وانا اسطح لك .
فلم يزل حتى شبعوا ، ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه ، فجعلت تقول :
ـ جزاك الله خيرا ، انت اولى بالامر من امير المؤمنين
فيقول : قولي خيرا ، انك اذا جئت امير المؤمنين وجدتني هناك ان شاء الله ..
ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض مربض السبع ، فجعلت اقول : ان لك لشانا غير هذا .
وهو لا يكلمني ، حتى رايت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهداوا ، فقام وهو يحمد الله ، ثم اقبل علي فقال :
ـ يا اسلم ، ان الجوع اسهرهم وابكاهم ، فاحببت الا انصرف حتى ارى مارايت فيهم .







بقلم: د. حسين مؤنس

يخصص اصحاب السيرة فى كتبهم فصولا عن المعجزات التى اجراها الله سبحانه على يد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واذا اردت ان تاخذ امثلة لذلك فانظر كتاب « الشفا فى التعريف بالمصطفى » للقاضى عياض بن موسى اليحصبى و « جوامع السيرة » لابن حزم .

ولكن هؤلاء جميعا يفوتهم ان معجزة محمد الكبرى بعد القرآن الكريم هى حياة محمد نفسه .

وقد قدمنا مصاديق على ذلك فى الجزء الاول من هذه الدراسة الذى نشرناه فى العدد الماضى « اغسطس ١٩٧٨ » من الهلال

وفى هذا المقال الذى نخصصه للفترة المدنية نقدم مصاديق وبراهين اخرى تبين لنا كيف ان مؤرخى السيرة القدماء رغم اجتهادهم الشديد لم يوفقوا الى صياغة السيرة النبوية فى صورة تجعل منها درسا واقعيا مفيدا للناس ، وموجها لخطوات المسلمين ..

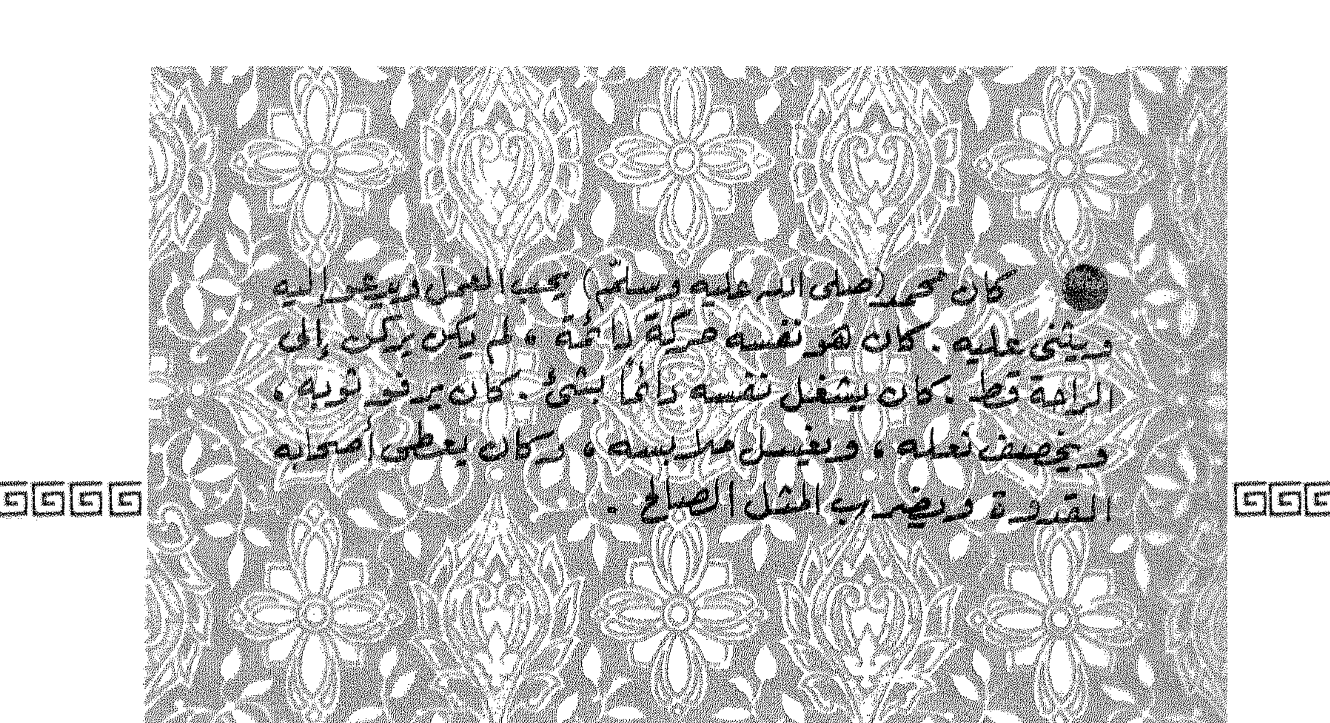
وهذه الصياغة الجديدة هى ماعنيناه بالرؤية الجديدة للسيرة ..

فرسول الله وصل المدينة مهاجرا من مكة ضحى الاثنين ١٢ من ربيع الاول للسنة الاولى للهجرة « ٢٤ من سبتمبر ٦٢٢ » .

وانتقل الى الرفيق الاعلى فجر الاثنين ١٣ من ربيع اول سنة ١٣ هجرية « الثامن من يونيو ٦٣٢ ميلادية » .

فالفترة المدنية بالحساب الميلادى اقل من عشر سنوات وعشر سنوات فى حساب الأحداث فى تلك العصور فترة قصيرة جدا ولكن محمدا اكمل فيها رسالته على نحو لا يكاد يصدق ..

لقد وصل الى قباء ضاحية المدينة الجنوبية فى صحبة أبى بكر . وصل وحيدا تقريبا الى بلد لا يعرف عنه الا معلومات تحصلت له بالسماع فى الغالب ، وكان عليه ان يحيط احاطة كاملة بهذا البلد وظروفه واهله ثم



يؤسس الجماعة الاسلامية من عناصر كانت قبل وصوله متعادية متنافرة .

كان عليه أن يؤلف بين قلوب لم تعرف الألفة قبل ذلك والف بينها بالفعل وكون منها جماعة متجانسة متعاونة يجمعها ايمان واحد قوى عميق بالاسلام .

ثم تمكن من تحويل هذه الجماعة الى دعاة نابهين متفقهين يدعون لدين الله الحنيف ، في نفس الوقت الذي تحولوا فيه الى قوة عسكرية مجاهدة، رسم لها خطط عمل عسكرية، نفذت بدقة تدعو الى العجب والاعجاب معا.

وقبل انتقاله الى الرفيق الاعلى كانت أمة الاسلام في جزيرة العرب قد تحولت الى قاعدة لأكبر قوة معنوية وعسكرية عرفها التاريخ .

فكيف كان من الممكن أن يتم هذا بدون تخطيط دقيق .

وكيف يقال ان الحضارة الانسانية لم تعرف التخطيط الا فى العصر الحديث فماذا يكون التخطيط اذا لم يكن تخطيط محمد هو نموذجه الاكمل ..

وهذا الكلام يحتاج منا الى تفصيل وبيان .

لأن أصحاب السيرة من القدماء لم يهتموا بأن يجعلوا من السيرة درسا للناس يفيدون منه فى كل زمان ومكان.

ولأن مؤرخيها من المحدثين اهمهم فى المكان الأول أن ينشئوا لانفسهم مجدا على حساب سيرة سيد المرسلين.

يحسب الناس ان محمدا وصل الى المدينة فوجدها منظمة مرتبة مستعدة للسير تحت رايته .

وصاحبنا ابن هشام الذى يتحدث عن الحرب والعداوة بين أهل المدينة قبل هجرة الرسول . يتحدث عقب وصول الرسول مباشرة عن الوحدة والاخاء وتحول هذا البلد الى جماعة من الاخوة الاشقاء لا يعكر صفوهم الا شراذم لا تذكر من اليهود والمنافقين ..

وهو لا يذكر شيئا عن الجهد البالغ الذى بذله الرسول لكى يصل الى هذه النتيجة الباهرة مع قوم — هم العرب — عرفوا على مدى تاريخهم بانهم اشد الناس ولعا بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض .

ويدهش القارىء اذا قلنا له ان « المدينة » لم تكن مدينة عندما هاجر اليها الرسول ..

كانت واحات متفرقة فى سهل فسيح يطلق عليه سهل المدينة ، واللفظ معرب عن السريانية « مدينتا » اى مساحة واسعة يسكنها قوم تجمعهم ظروف ومصالح واحدة ..

فى هذا السهل الذى يقوم على جانبيه مرتفعان من البازلت الأسود يسميان بالحرتين أو اللابيتين كانت تتناثر واحات منها قباء ويثرب والسنح وسلع ، وكانت قبائل الأوس والخزرج والمجموعات اليهودية الكبيرة تسكن واحات خاصة بها . كل واحة فيها أطم اى حصن وحوله ارض مزروعة وأرض للمرعى هى منازل القبيلة أو مجالها ..

وبين مجالات القبائل كانت هناك مساحات واسعة غير مسكونة ، كانت ارضا غامرة اى غير مزروعة أو مسكونة وكانت تشق هذا السهل وديان جافة فى الصيف ومعظم العام ، وكانت تحمل الماء فى الشتاء ، ولكنها كانت تفصل اجزاء المدينة بعضها عن بعض مثل وادى مذينب ووادى رانوناء ومجتمع الاسيال ..

لم تكن هناك اذن « مدينة » تسمى « المدينة »

والذى انشأ هذه المدينة هو رسول الله ، ولهذا سميت بمدينة رسول الله لانها من صنعه وثمرة عمله ..

لأنه عندما استقر فى منازل بنى عدى ابن النجار فى دار ابى ايوب خالد الانصارى بدأ يعمل فى تحويل هذا الجزء من سهل المدينة الى مركز عمرانى اجتماعى سياسى تنشأ حوله المدينة ..

وبالفعل انشأ مسجده وجعل منه مسجدا ومجمعا للمسلمين ، واتخذ حجراته التى عاش فيها فى جانب من صحن المسجد ، فاصبح المسجد مركزا سياسيا كذلك ، ثم تخير جماعة من رؤساء المهاجرين والانصار توسم فيهم الكفاية والقدرة على العمل والتنفيذ ، فجعلهم أهل مشورته والمنفذين لما يجد من مشروعات وخطط ، فنشأت حوله مدرسة تربى أفرادها ليكونوا رجال دولة وقيادة عسكرية وتنظيم سياسى واجتماعى .

وامر الرسول بأن يمد طريق مبلط من المسجد الجامع غربا حتى يصل الى جبل سلع ، فتم هذا الطريق .

واختار الرسول موضعا فى شرقى المدينة كان مغطى بالاعشاب والصخور ، ونبات برى يسمى الفرقد ، فامر بتسويته وتمهيده ، وانشأ فيه مدفنا للمسلمين سمى ببقيع الفرقد ، ومد الطريق من بقيع الفرقد الى المسجد ، بهذا أصبح فى المدينة طريق واسع مستعرض يمتد من شرقها الى غربها .

ومن المسجد وسط منازل بنى عدى ابن النجار مهد طريق يصل الى قباء جنوبا والى واحة السنح شمالا ، وبهذا تحول سهل المدينة الى مدينة فعلا ، فان الناس اخذوا يبنون على جانبى الشارعين الرئيسيين . وقسمت الارض « دورا » اى قطعا كبيرة اقطع الرسول لكل من احتاج من الصحابة دارا ، فكانت هناك دار طلحة ودار الزبير ودار الحارث بن عبيد الله ..

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتفق مع الانصار على أن له الحق فى التصرف فى كل أرض غامرة لا تتبع احدا ، فاخذ يعطى من هذه الاراضى واشترط التعمير ، اى البناء والزرع . فاقبل الناس يبنون ويزرعون واتصلت

الواحات بعضها ببعض فتحول السمل الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا قرات كتاب « وفاء الوفا » للسمهودى وكتاب « التراتيب الادارية » لعبد الحى الكتانى خرجت بمعلومات تدعو الى العجب عن بعد نظر الرسول وصدق تصوره لمعانى التعمير والانشاء القائمة على التخطيط .

***

واهتم رسول الله باقرار الاعراب . كان يريد أن ينقل الناس من حياة الظعن والتنقل البدائية الى الاستقرار، ولهذا كان يدعو الناس الى ما سمى بالهجرة اى الانتقال من البداوة الى الحضارة وكان ينهى من يستقرون ان يعودوا الى البداوة : لانه كان يعرف ان الحضارة مرتبطة دائما بالاستقرار، وهذا جانب من فكر الرسول الحضارى لم يلتفت اليه أحد من مؤرخى السيرة ، وقد كتبنا فيه بحثا طويلا .

ومن دلائل صدق نظرته العمرانية اهتمامه بالفراسات ، وهو ما نسميه اليوم بالسياسة الزراعية ، فقد كان يشجع اصحابه على الفرس ، ويبارك لمن ينشيء منهم حائطا اى ارضا مزروعة عليها سور . وكان يستحب من اصحابه زرع البر « القمح » والفواكه والنخيل ، وكان يقول ان من زرع فى الارض نخلة كانت له روضة فى الجنة .

وكان يعنى باعمال العمران . كان وادى مذينب يعوق المواصلات داخل المدينة ، فاتاه رجل وقال : هل اقيم لك معبرا . لقد تعلمت ذلك فى ارض فارس ، فقال له الرسول انه ان فعل ذلك فله من الارض ما احب : واقام الرجل وبنوه معبرا اى قنطرة على الوادى ، فاعطاه الرسول ما طلب من الارض .

وكان يحب البناء المحكم . كان لا يميل الى التانق فى المسكن ، ولكنه كان يحب البناء الحسن . بنى واحد من اصحابه بيتا حسنا وكانت فى رحبة الدار بئر . فلما زاره الرسول فيها طلب اليه أن يبنى البئر بالآجر ويجعل لها وزرة « حافة » ! من حجر وان يجعل الى جانبها حوضا من حجر أيضا . وأن يملأ الحوض كل يوم ويغطى البئر

***

وكان يحب العمل ويدعو اليه ويثنى عليه . كان هو نفسه حركة دائمة . لم يكن يركن الى الراحة قط . كان يشغل نفسه دائما بشيء . كان يرفو ثوبه ويخصف نعله ويغسل ملابسه بيده ، بل كان يكنس بيته بمكنسة فى يده . كان حوله من أصحابه من يقوم له بهذه الاعمال ، ولكنه كان يعطى اصحابه القدوة . كان يضرب المثل الصالح ، لانه كان يربى أصحابه بالأسوة الحسنة . كان معلما .. ولكن طريقته فى التعليم لم تكن الكلام بل العمل . اذا احب أن يقوم أصحابه بعمل بدا هو بنفسه فاقتدى به الناس . مر يوما بأصحاب الصفة فلم يعجبه منهم أنهم تركوا الأوساخ تتراكم الى جوار الصفة فنادى ابا ذر وقال : على بالمكتل ، وشرع يزيل الوسخ بنفسه . فاسرع أبو ذر وهو يبكى ويقول : فداك ابى وامى يا رسول الله ، والله لا عشنا اذا فعلت ذلك عنا ! واخذ المكتل ونادى أصحابه . فى ساعة كانوا قد نظفوا صفتهم وما حولها . كل ما قال لهم بعد ذلك : هذا أشبه بالمسلم الصادق . لا تتركوا وضرا يعيش معكم أبدا ..

كانت حجراته صلى الله عليه وسلم آية فى النظافة . لم يكن يطيق شيئا غير نظيف ، وكان يكره من الرجل أن يكون زرى الهيئة . ودخل عليه انس ابن قتادة مرة ليكلمه فى شىء ، فرأى على ملابسه وسخا وراى لحيته شعثاء ، لم يترك الرجل يتكلم وقال له : أما لك امرأة تنظر أمرك ، قال : بلى يا رسول الله ! قال : اذن فامض اليها واجعلها تأخذ من شعرك واغسل نفسك وغير ثوبك وانظر فى أمر نفسك فانك سيد فى قومك يا انس ، وهذا الذى أراه لا يحسن بك .

عندما هاجر من مكة الى المدينة طلب الى عبد الرحمن بن عوف أن يشترى له ولأبى بكر ثوبين ابيضين وينتظرهما خارج قباء فى موضع حدده له ، غسل الرسول نفسه ولبس الثوب الجديد وأصلح من هيئته، وكذلك فعل ابو بكر. كان حريصا على أن يدخل المدينة فى هيئة حسنة . وقد بهر الناس بنظافة ثوبه وثوب ابى بكر وحسن هيئتهما ؛ ولم يفرقوا بين الرسول وأبى بكر حتى كان أبو بكر هو الذى فعل ذلك ، قال لهم : هذا رسول الله ، فاقبلوا عليه يحيونه .

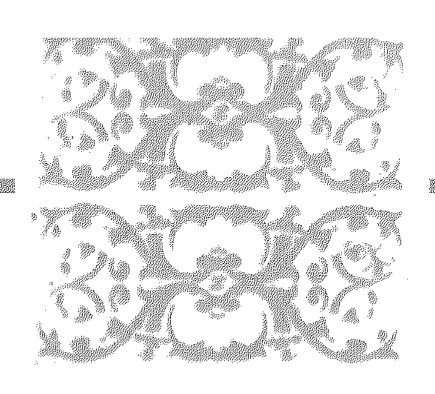
كان صلى الله عليه وسلم عظيم الاحساس بالقيمة المعنوية للانسان . لم يبسط يده للناس ليقبلوها قط . كان يجلس فى الناس كواحد منهم . لم يصدر عنه قط مايجرح شعور احد ، وكان يحرص على مراعاة عواطف الناس كان يزور المرضى ويصلى على الاموات من أصحابه ويحضر اعراسهم لمجرد المجاملة . كان انسانا بمعنى الكلمة . حكى خادمه أنس بن مالك انه لم يرفع صوته على احد قط ، ولا نال من احد بلسانه . كان الواحد منهم اذا اخطأ سكت ولم ينطق فيكون سكوته ألم لنفس المخطىء من أى عقاب او تأنيب .

تعمير المدينة وتحويلها الى بلد كان من صنع الرسول صلى الله عليه وسلم. وضع قواعد المروءة الاسلامية اى مكارم الاخلاق كان من صنعه . النظام السياسى الشورى كان من منهاجه قبل ان يضع قاعدة الشورى وضع أساس المؤاخاة . آخى بين المهاجرين والانصار . المؤاخاة كانت درسا فى المحبة . ان الاسلام يقول ان المؤمنين اخوة ، وينبغى أن يكونوا اخوة . آخى بينهم لكى تبدأ الجماعة الاسلامية على أساس الاخوة والمحبة . للمرة الاولى يعرف العرب شيئا يسمى الاخوة او المحبة . كانوا قبل ذلك لا يعرفون غير العنف والانتقام والثأر واراقة الدماء . اخلاقيات شاعر مثل زهير بن ابى سلمى كانت مجرد كلام ، الواقع ان العرب الجاهليين جميعا كانوا يطبقون فى حياتهم ما قاله عنترة العبسى عن قتل الرجال وترميل النساء والاستمتاع الفج بالحياة .

اتت النبى امرأة تشكو من زوجها لانه يضربها . ناداه وتحدث معه وعرف أنه معتد على زوجته ، فسأله : اتريد طلاقها ؟ لو فعلت فلها عندنا غيرك . قال : لا فأنا اريدها . قال الرسول الاكرم : اذن فكن معها كما انا فى نسائى . ما رفعت على واحدة منهن يدا ولا آذيتها بلسان . فبكى الرجل واعتذر لزوجته ومضى بها ، ولم يسىء اليها بعد ذلك ابدا .

***

بعد المؤاخاة كانت « الصحيفة » . الصحيفة هى دستور وضعه الرسول لجماعته فى المدينة ليحدد لها نظام العمل والتعاون فى شئون الجماعة



الداخليـة والخارجيـــة . لم يمل الصحيفة املاء ، بل كانت ثمرة مناقشات ومشاورات بين الرسول وأصحابه من المهاجرين والانصار ، وكلما اتفقوا على مبدأ قام الرسول باملاء نصـــه على علي بن ابي طالب، وكان كاتب الوحي اذ ذاك . شيئا فشيئا اكتملت الوثيقـــة واصبحت دستورا للجماعة الجديدة .

الصحيفة اى دستور المدينة — وقد اتانا بنصها الكامل ابن هشام نقلا عن ابن اسحاق — عبارة عن دستور كامل يبين الحدود الجغرافية لوطن الامة : « جوف المدينة ومنازل القبائل وكل من لحق بنا وجاهد معنا » والمراد هنـــا منازل كل القبائل التى تنضم الى الأمة و « تقر بما فى هذه الصحيفة » اى توافق على ذلك الدســـتور . وقد اتسعت مســـاحة المدينة بذلك لان القبائل حولها أخـــذت تنضـــم الى الجماعة .

وتحدد الصحيفة واجبات اعضـــاء هذه الجماعة وحقوق كل منهم . فلهم العدل والبر ، ولهم الامن على النفس والمال . الجماعة كلها هى التى تقوم بحماية الامن فى داخلها ((ويد المؤمنين جميعـــا على من ابتغى وسيعة فســـاد)) ، والجماعة متعاونة لمساعدة المحتـــاج والمدين والمريض ، وهى ملزمة بمعاونته فى فداء أسراه . كل مجموعة قبلية من أهل المدينة مسئولة عن الامن فى موطنها وعن حماية المدينة من ناحيتها . الامة كتلة واحدة : ((يد المسلمين واحدة)) و ((لا تعقد جماعة صلحا الا باتفاق الجماعة)) . لكل مجموعة رياستها وهم مسئولون عن جماعتهم من كل ناحية . الاسس اخلاق : ((ان الله على أبر ما فى هذه الصحيفة)) اذا هوجمت المدينة فلابد ان يشترك الجميع فى الدفاع، اما اذا قامت الجماعة بحرب خارج حـــدودها فلا الزام . ليخرج من يريد ، ولكن اذا ندب الرســـــول احدا لمهمة فلابد له من التنفيذ .

المسلمون واعضاء الجماعة أحرار . كانت المجموعات اليهودية الكبـــرى قد دخلت فى الحلف وحصـــلت على كل الحقوق . كذلك كان المنافقون أعضـــاء فى الجماعة . كان الرسول يعـــرف نفاقهم ، ولكنه لم يكن يتدخل الا اذا سعوا باذى ظاهر . كل مجموعة تحل مشاكلها فيما بينها الا اذا وقع مايخشى منه فساد كبير ، هنا لابد من الرجوع الى محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا دستور رفيع جدا . لم يستطع الفقهاء دراسته كما ينبغى لانهم شكوا فى صحة الوثيقة لانها وصلتهم مكتوبة دون سند ، وهم كانوا يدققون جدا فى موضـــوع السند ، ثم انهم خافوا من الاصرار على التطبيق لان الوثيقة كانت تعطى الامة حقوقا لاتقرها النظم الحاكمة من امويين وعباسيين وغيرهم .

اليوم ، ونحن فى الرؤية الجديدة علينا ان نعيد النظر فى هذه الصحيفة . انها تتضمن كل ما نتحدث عنه من حريات والتزامات دستورية . اننى اقرأ مانكتبه عن النظم السياسية والحريات وأتعجب: اين انتم ايها الناس مما وصـــفه لكم رسولكم من اربعة عشر قرنا ؟

***

يقولون ان الرســـول انشأ دولة فى المدينة وكان هو رأس هذه الدولة . هذا غير صحيح على اطلاقه ، لان الرسول لم ينشىء دولة بل أنشأ جماعة متآخية

متعاونة تقوم على عقيدة وقواعد اخلاقية. لم يكن فى المدينة أيام الرسول هيئة حاكمة ولا دولة الا بهيئة حاكمة . لم يكن هناك موظفون لان النـــاس كانوا يقومون بما يطلب اليهم من عمل على سبيل التطوع ، لانهم كانوا يخدمون انفسهم بذلك فى نفس الوقت . الرسول كان نبى الله وهادى الجماعة وموجهها ومعلمها ومبشرها ونذيرها وسراجهـــا المنير . من الخطأ أن تقول أن محمـــدا كان رجلا سياسيا لان السياسة تلجـــأ الى الكذب والخداع أحيانا وهــــذا لا يجوز فى حق الرسول . لا ينبغى أن نصف الرسول الا بما وصفه به الله سبحانه وما وصف به هو نفســـه . لا يصح أن يقال « محمد القائد » لان القيادة العســكرية وظيفتهــا تخريب العدو وتدميره ، ورســول الله لم يكن يخرب عدوا أو يدمره . انه كان يسعى لهداه .

كذلك ليس من المناسب أن يوصف الرسول صلى الله عليه وســـلم بانه دبلوماسى ، لان الدبلوماسية فيها خداع ونفاق وكذب وتحايل ، وحاشا للرسول أن يدخل فى شيء من ذلك . الأسلم من ذلك والأشبه بمقام الرسول ان نقول انه الهادى والمبشر والنذير والداعى الى الله باذنه والسراج المنير ، وهذه تجمل صفاته ووظائفه على أحسن صورة .

لقد انشأ محمد جماعة على أســاس من عقيدة الاســلام وشريعته وقانونه الاخلاقى . وقاد جماعته بالشـــورى وادبها بالاســوة الحسنة ، ووفق الى ايقاظ الضمير الحى عند الناس . وهذا الضمير الحى هو الذى سير الجمـــاعة فى الخط السليم الذى سارت فيه فى عصر النبوة وايام ابى بكر وعمر وجزء كبيرا من عصر عثمان .

وساضرب مثالا واحدا يوضح ماقلته بشأن ايقاظ الضمير : قبل أن يهاجر الرسول الاكرم الى المدينة كانت الحرب على قدم وساق بين الاوس والخزرج ، وكان اليهود يوقعون فى هــذه الحرب ويثيرون فريقا على فريق ليكونوا هــم الكاسبين . بل كانت الحرب بين الاوس والخزرج وهزيمة الخزرج فى بعاث هى الدافع الذى جعل المنهزمين يلجــأون الى قريش لطلب الحلف ، ومن هنــا اتصل بهم الرسول فلم يوفق معهم . فلما أتى وفد الاوس الى مكة يتلمس اخبار ماتم بين خصومهم الخزرج وقريش اتصل به الرسول ووفق معه ، فكان ذلك بداية النصر للاسلام .

فما رأيك فى ان هذه الخصـــومة العميقة البـالغة بين الاوس والخزرج اختفت بعد هجرة الرسول الى المدينة فلم نعد نسمع بها أبدا ؟ كيف وفق الله بين تلك القلوب المتعادية المتدابرة وأذهب منها الحقد والبغضاء فلم يعـــد الأوس والخزرج الا قوما واحدا مؤتلف القلوب يسمى الانصار ؟ أليس هذا اســطع البراهين على تلك القيادة السليمة التى هى فى الحقيقة هداية ؟ هل لجأ الرسول فى ذلك الى «دبلوماسية» أو «سياسة» ؟ لقد لجأ الى ايمانه وهداه وحبـــه للناس والخير ، بهـــذا الف بين قلوب أعداء الأمس .

واغرب مافى الموضوع ان الخزرج ثم الأوس قصدوا مكة لكى يستعينوا بها على الحرب . كل من الفريقين كان يرجو عونا عسكريا من قريش لمواصلة الحرب، فلما أسعدهم القدر بلقاء الرســول لم يعودوا يفكرون فى الحرب . لقد ذهب الرسول اليهم بالســـلام والمحبة وفى مجلس الرسول فى دار سعد بن خيثمة فى قباء أخذ أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار من الخزرج بيد ابى الهيثم بن التيهان احد نقباء الأوس وعاهده على أن لا يكون بين الحيين بعد ذلك خلاف تيمنا ببركة رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وقد كان .

***

ومسالة اخرى لم يحسن اهـــل السيرة فهمها او الكلام عنها ، وقدآن الاوان لأن ننظر اليها نظرا جديدا .
اقصد موضوع زيجات الرســـول صلي الله عليه وسلم

فالقدماء من ابن اسحق الى القاضى عياض فى « الشفا » لم يصلوا الى قول سليم فيها ، فاما ابن اســـحق فكان احيانا يلقى الكلام على عواهنه دون تفكير طويل ، وهو صاحب تلك القصـــة الغريبة التى استغلها المستشرقون أسوا استغلال : قصة زواج الرســـول من زينب بنت جحش ، فقـــد حكى حكاية ذهاب الرسول الي دار زيد بن حارثة زوج زينب فلم يجده وانما وجد زينب فى شيء خفيف من ثيابها فوقعت فى نفسه ورفض أن يدخل . وانصرف وهو يقول « سبحان مقلب القلوب » .. والقصة كلها لا تصدق كما سنرى

واما صاحبنا القاضى عياض بن موسي اليحصبى فقد وجد فيها فرصـــة ليتحدث عن « ذكورة » الرسول الاكرم كما قال . وكيف ان الله اعطـاه قوة اربعين رجلا ، وهذا كلام فى نظرنا ظاهر السذاجة ، وهو كلام شيخ اندلسى كتب فى اواخر القرن الخـــامس الهجرى ـ الحادى عشر الميلادى ، اى فى عصر قل فيه الرجال ذوو الحمية فى الاندلس، فاراد أن يقول لمعاصريه : انظرواكيف كان نبيكم رجلا بالغ الرجولة .

اما ابن اسحاق فقد اخترع الحكاية كلها ليفسر الايات القرآنية التى نزلت فى موضوع زواج الرســـول من زينب وخاصـــه قوله تعالى « وتخفى ما فى نفسك والله مبديه »

والحقيقة ان زينب بنت جحش كانت فى مرتبة ابنة خالة رسول الله ، فهى من بنى اسد بن خزيمة ، والسيدةآمنة بنت وهب رضى الله عنها كانت من هذه القبيلة ، كان رسول الله يعرفها ويعرف اختها حمنة منذ كانتا طفلتين ، وكان يعرف آل جحش جميعا ، فقد كان منهم نفر من اوائل الصحابة مثل عبد الله بن جحش . وكان الرسول يدخل دارهم كما يدخـل داره ، فكيف تكون زينب غريبة عنه حتي يذهب ابن اسحق فى خبره المشهور الى ان الرسول دهش اذ رآها فى بيتها .

ثم ان زينب بنت جحش لـــم تكن بالجميلة ، كانت امراة قصيرة لم يصفها أحد بالجمال الباهر ، وكانت مريضـــة فقد ذكر ابو عمر يوسف بن عبد البر النمرى فى الاســـتيعاب انها كانت تســـتحاض اى أن دم الحيض كان لاينقطع عندها ، وكان الرسول يعرف ذلك طبعا ..

اما حقيقة المسالة فهى أن الرسول صلى الله عليه وســلم كان الذى زوج زينب بنت جحش من مـــولاه زيد بن حارثةوكان رجلا شديد السمرة أفطس الانف ، ولا عيب فى ذلك ولكن زينب لم تحبه قط ، ووجدت أن تزويجها منه هبط من قدرها ، وكان زيد غير سعيد معها ، وكان يشكوها الى الرســـول ، والرسول يصبره ويقول له أمسك عليك زوجك ، حتى بلغ الامر مبلغا اصبح معه من المستحيل أن تستمر هذه الزيجة ، وتمنى الرسول ان يخلص اللــه زينب من زوجها دون اغضاب زيد بن حارثة ، وكان الرسول شديد الحب له لصدقه واخلاصه وايمانه ، وهذا هو الذى كان الرسول يخفيه فى نفســـه وأبداه الله عندما نزلت الاية التى تبيح للرجل أن يتزوج طليقة مولاه ، فكان فى ذلك فرجا لزينب وفرجا من حرج لزيد . وكان فيه سبيل لتعويض زينب عما فاتته

نتيجة لزواجها من رجل لايعجبها وترى انه اقل منها ، فاكرمها الله بتزويجها من الرسول الاكرم .

هذا كله لم يعرف عنه اصحابنا الذين خاضوا فى هذا الامر الا قليلا، ولهذا، فعندما امسك المستشرقون بالقضية معتمدين على كلام ابن اسحاق لم يعرف احد منهم وجها سليما لاظهار الحق فى هذا الموضوع. واقرا مثلا مايقوله محمد حسنين هيكل فى هذا الشأن من كلام عاطفى خلاصته ان الرسول صلى الله عليه وسلم ارفع من ان يقال فيه ذلك ، وهذا كلام نقبله نحن،ولكن المستشرق المبغض للرسول والاسلام لا يقتنع به . ولهذا فنحن نقول لاخواننا الذين لا يزالون يتشدقون بالكلام فى السيرة اقراوا قبل ان تتكلموا . اقراوا وفكروا بدلا من هذا الكلام المكرور المعاد الذى لا نزال نردده .

بل هناك من يزعمون ان الرسول كان يتزوج استئلافا للقبائل ، وهذا كلام بعيد عن الصحة ولا نرضاه فى حق نبينا، فما كان محمد ليستخدم الزواج وهو رابطة انسانية لغرض سياسى ، فان الرسول لم يتزوج قط لغرض سياسى ، ولو كان فاعلا فلماذا لم يتزوج امراة واحدة من الانصار وكان حريا بأن يفعل ذلك ليزداد الانصار اقترابا منه اذا هو صاهرهم . وهاتوا لنا امراة واحدة تزوجها الرسول ليستألف قومها !

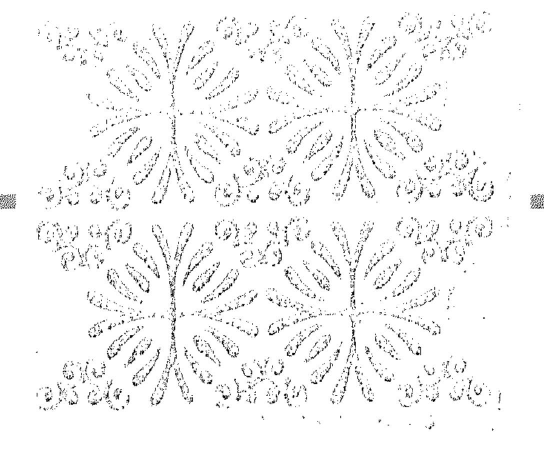
***

عمر محمد صلى الله عليه وسلم المدينة ، وانشأ من مجموعة واحات بلدا واحدا زاهرا ، وقد تضاعف سكان المدينة ايام الرسول اكثر من عشر مرات كما ذكر ذلك السمهودى ، فلم نسمع رغم تلك الطفرة السكانية بمشاكل امن او اسكان او تموين ، فكيف حقق الرسول ذلك كله ؟

هذه مسائل لم يمسسها احد ممن يزعمون انهم يعرفون السيرة احسن معرفة ، ولا ادرى كيف لم يفكروا فيها وهى من اعظم الدلائل على عبقرية محمد ، فقد حقق هذه النتائج الباهرة باسلوب سهل ممتنع ، فقد كان يحل المشاكل بالنظر السديد والعقل الراجح والنظر البعيد ، فكانت الجماعة تهاجر الى المدينة فيخصص الرسول لها الارض التى تبنى فيها مساكنها ، وكان كبار الصحابة القريبين من الرسول يرشدون الناس الى طريقة انشاء الدور ، فيقوم الناس ببناء دورهم بأيديهم . وكانوا ينبهون الى أن عليهم أن يدبروا طعامهم ، فيزرعون قطعة من الارض ويربون شياها وأعنازا ، فاذا سكنوا بظاهر المدينة اى فى أطرافها اتخذوا الجمال والخيل ، وكانت تقدم لهم المعونة فى ذلك حتى يستقروا . ولم يكن يسمح لاحد بان يظل عاطلا أو عالة على غيره . فقد كان الرسول يكره الكسول والمتراخى ، وكان يبغض التسول الا اذا كان الانسان عاجزا تماما عن العمل ، ومع هذا فقد كان يفضل ان يظل هذا العاجز فى بيته ويأتيه الناس بطعامه دون أن يخرج الى الطريق ليتسول . وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن « السائل » الذى ذكره الله سبحانه فى سورة الضحى ونهى عن نهره . فقال انه العاجز عن كسب عيشه لعلة ظاهرة ، فاذا لم تكن بالانسان علة مقعدة فعلا فلا وجه للتسول والسؤال قط ، بل عاتب الرسول نفرا من أهل الصفة لانهم استناموا الى الراحة واستمرأوا العيش على تعب الاخرين ، وامر بعضهم بأن يسعوا لرزقهم

***

فاذا نظرنا الى مغازيه وسراياه صلى



الله عليه وسلم وجدنا ان الاقـــدمين والمحدثين جميعا ينظرون اليها على انهـا سلسلة اعمال عسكرية قام بها الرسول اتقاء لشر المعتدين من الاعراب ، وابن هشام مثلا لا يزال يقول : انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني فلان يجعمون له فارسل اليهم سرية لتفاجئهم قال أن يفاجئوه ، فهل معنى ذلـك ان هـؤلاء الناس لو لم يجمعوا للرســول اى لم يدبروا امر العدوان على المدينة فما كان الرسول مرسلا اليهم احدا !

الحقيقة ان المغازى (وهى تجمـــع الغزوات والسراياحتى البعوث السلمية لنشر الاسلام» جاءت مصداقا لبشريات النصر الذى بشر الله به رسوله الكريم عندما اذن له وللذين آمنوا معه بأنهـم ظلموا من المشركين بغير حـــق ٠٠ . **« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٠ الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ٠٠ »**

وهكذا جاء العام الثامن للهجـرة بفتح مكة وضمها للجماعة ، وفى العام التاسع اقبلت وفود العرب الى المدينة **« يدخلون فى دين الله افواجا ٠٠ »**

فالغزوات والسرايا الاولى من سرية سيف البحر التى قادها حمزة بن عبد المطلب فى رمضان للسنة الاولى للهجرة حتى سرية نخلة فى رجب سنة ٢ للهجرة كان الغرض منها ســيطرة المدينة على الطريق التجارى من مكة الى الشــام أى القبض على عنـــق مكـة حتى تقف تجارتها وتستسلم دون حرب ٠ وقـــد استمر الرسول فى تشديد السيطرة على الطريق التجارى حتى صلح الحديبية، وكانت تجارة مكة قد توقفت تماما واكل المكيون رءوس أموالهم وأصبحت مكة مهياة للدخول فى الاسلام ٠

وكان للرسول الى جانب ذلك هدف رئيسى كان هو تدريب الصـــحابة على النظام واعداد الجيوش والقيام بالمهام العسكرية ، ولهـذا كان يختـار لكل سرية قائدا جديدا ، وعن هذا الطريق ظهرت القيادات العســـكرية ، وبرز اولئك الذين وهبهم الله صفات القيادة العسكرية مثل على بن ابى طالب وحمزة ابن عبد المطلب وسعد بن ابى وقاص وابى عبيده عامر بن الجراح ٠

وفى نفس الوقت تدرب نفر آخر على عمليات تنظيم الجيوش وتهيئتها بالسلاح والمئونة ومراقبة السرية مدة بقائها خارج المدينة ثم رعاية اهل المقـاتلين ، ومن أبرز هؤلاء أبو بكر وعمر ، فقـد تدربا على اعمـــال الادارة والتنظيم والرعاية ، وتدربا على تنفيذ تعليمات الرسول كما يريد الرســول صلى الله عليه وسلم ٠

أى ان الهدف من السرايا والغزوات الاولى لم يكن عقاب هذه القبيلة أو تلك، بل كانت هناك اهداف ارفع وابعد من ذلك ٠

سرية نخلة بالـــذات كانت تمهيـدا لموقعة بدر ٠ كان لابد من لقاء عسكرى حاسم مع المكيين حتى يعرفوا قوة المدينة لهذا كانت تعليمات الرســـول الى قائد سرية نخلة وهو عبد الله بن جحش هو الاقتراب من مكة والبقاء خارج حرمهـا ليعلم المكيون انهم غير بعيدين عن ايدى رجال المدينة ٠ ولم يأمـر الرســـول بقتال ، لان هدفه كان مجرد الاشعار والانذار وكان هذا كافيا لكى يجعل مكة تفكر فى ارسال بعث نحو المدينة ،ولكن

القتال وقع خلافا لامر الرسول صلى الله عليه وسلم . وعقب ذلك اصبح لزاما على مكة ان تفكر في مواجهة عسكرية مع المدينة وتهيأ الجو لذلك .

ثم كانت غزوة بدر . وكان الرسول ببعد نظره يتوقعها ، وهو عندما خرج لينتظر اللطيمة اي القافلة التجارية كان يعرف تماما انه من الممكن ان تخوض قريش حربا في سبيل تجارتها . وقد صدق حدس الرسول ، ولذلك ، فعندما اتجه الرسول نحو بدر ليخوض المعركة رأى انه من الضروري ان يجدد الاتفاق مع رجاله لأن الكثيرين منهم لم يخرجوا للقتال ، خرجوا لمجرد تعقب القافلة دون استعداد للحرب ، فرأى الرسول انه لابد ان يحاطوا علما بالموقف الجديد وهو موقف قتال ، فمن يريد منهم ان يقاتل ظل معهم أو عاد الى المدينة اذا اراد ، فلما عرض الرسول الامر قرروا جميعا استعدادهم للقتال ، وعلى أساس هذه الموافقة الاجماعية قرر الرسول خوض المعركة .

وهذا مثل واحد من امثلة حرص الرسول على أن يكون تصرفه دائما شوريا وقانونيا .

فقد كان يستطيع ان يامر اصحابه بدخول المعركة .

ولكنه لم يكن يؤمن ((بالامر)) كان يؤمن بالشورى ، وهي ما نسميه اليوم بالديموقراطية ، وهي حكم الجماعة .

ومثل آخر لذلك انه بعد ان اتم اتفاق العقبة الثاني مع اهل المدينة طلب اليهم ان يختاروا من بينهم اثنى عشر نقيبا لكي يشاورهم في كل ما اهم الجماعة قبل ان يتخذ قرارا .

وفي هذه الحالة ايضا ، وبعد اتفاقه مع رجال المدينة كان يستطيع البدء في التصرف كما يشاء معتمدا على البيعة التي اعطوه اياها عن طواعية .

ومثل ثالث لذلك نجده في غزوة الحديبية .

فقد وقف الرسول الاكرم برجاله عند الحديبية ، لكي يشاور اصحابه في الامر ، فهو الآن على ابواب مكة ، ويستطيع ان يقتحمها لو اراد .

وفي اثناء ذلك كان قد أرسل عثمان ابن عفان الى مكة ليستجلي الامر وينظر ما يراه المكيون .

وتاخر عثمان وخيف عليه وراجت شائعة تقول انه قتل .

وثارت عواطف المسلمين واجتمعوا بنبيهم ، وطلبوا اليه ان ياذن لهم في اقتحام مكة .

وادرك الرسول ان الحرب محتملة ورأى ان الموقف قد تغير بذلك ، فان الذين خرجوا معه من المدينة خرجوا بنية اداء العمرة وليس معهم من السلاح الا السيوف في القرب .

وكان الرسول قد احتاط للامر فجعل السلاح مع شيوخ خزاعة ، وكانت خزاعة كلها حلفا مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الموقف قد تغير رأى أن يستشير اصحابه فقد يكون بعضهم غير راغب في الحرب . وقال لهم ذلك بكل وضوح: من يريد ان يدخل معنا الحرب اذا جاءت فليدخل: ومن لا يريد فليعد الى المدينة ولا حرج ولا تثريب عليه .

ولكنهم اجمعوا على الحرب .

وكان الرسول يستطيع ان يكتفي بذلك .

ولكن حسه القانوني والشوري جعله يدعو الى اجتماع للتشاور واخذ البيعة بصورة علنية .

وكانت بيعة الرضوان، فوافق الجميع واحدا واحدا وعن طواعية على دخول الحرب .

وخرج اليه وفد القرشيين في مقدمته صفوان بن امية ، ودارت المفاوضات العقيمة التي نعرفها .

ثم كانت المفاوضات الطويلة التي اغضبت عمر بن الخطاب اذ انه لم يرض عما طلبه صفوان بن امية من ان يكتب في الوثيقة : هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله بدلا من محمدرسول الله.

وكان صلح الحديبية وهو صلح لم يرض عنه الكثيرون من المتحمسين من المسلمين ، فقد كانوا يرون ان يقتحموا مكة وينتهي الامر .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى ذلك .

لم يكن يريد ان يغزو مكة أو يقتحم مكة ، بل كان يريد أن ((يكسب)) مكة للاسلام دون ان يصيبها اذى فقد كان يريد للاسلام ان يفيد من ملكات المكيين ثم ان مكة كانت بلد المسجد الحرام والكعبة ولم يكن من الممكن ان يستباح حرمها .

اضف الى ذلك أن الرسول في تتديره كان يرى أن مكة لم يحن موعد دخولها الاسلام بعد . كان زعماؤها لا يزالون يعيشون في احلام الماضي حاسبين انهم مازالوا سادة مكة الاقوياء . فلما عقد صلح الحديبية ووضعت الحرب أوزارها وفتح الطريق من مكة الى المدينة ازدادت الحركة بين البلدين ، وتزايد دخول الناس في الاسلام حتى اصبح معظم اهلها مسلمين فيما بين عام ٦ وعام ٨ للهجرة ، ولهذا قيل ان مكة فتحت يوم الحديبية .

ومما يزيد العجب من اعمال الرسول انه عندما انصرف من الحديبية كان يعرف تماما ان مكة ستستسلم في بحر سنتين . هكذا قدر ، ولكنه عرف ان المكيين قد يحاولون الاستعانة بقبيلة غطفان وكان رئيسها عيينة بن حصن حليفهم في غزوة الخندق ، فرأى أن يخرج غطفان من ميدان الصراع ، وكانت غطفان قبيلة ضخمة من الاعراب يخشى بأسهم .

وكانت غطفان تعتمد على خيبر ولا تستطيع الاستمرار على حال من القوة بدونها ، لان أى قبيلة في الصحراء لا تستغنى عن مركز مدني تحصل منه على ما تحتاج اليه من السلاح وآنية البيت وقرابيس الخيل وما الى ذلك . ثم انها كانت تبيع في هذا المركز المدني ما لديها من منتجات كالصوف والجمال والخيل والتمر ، وتتصل عن طريقه بالعالم الخارجي ، ولا تستغني قبيلة عن الاتصال ببقية البشر ، فاذا انقطعت الصلة تدهورت القبيلة وتفككت وضاع امرها .

وكانت خيبر هي المركز المدني الذي تعتمد عليه غطفان ، فقرر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يستولي على خيبر ليحرم غطفان من مركزها المدينة ويضطرها الى الاعتماد على المدينة وبالفعل فتح الرسول خيبر وفشل عيينة بن حصن في اغاثة خيبر ، ولهذا يقال انه كان قبل خيبر يلقب بالاحمق المطاع ، وبعدها اصبح الاحمق فحسب

***

هذه امثلة قليلة من الرؤية الجديدة للسيرة النبوية ، نقدمها الى القارىء حتى يرى اننا على حق عندما قلنا اننا في حاجة الى ان ننظر الى السيرة نظرة جديدة ونفهمها على ضوء علمنا في عصرنا هذا ونكتبها على نحو يؤكد بالفعل ان الرسول وسيرته بالفعل سراج منير يضيء للمسلمين الطريق في كل عصر من العصور .



د. حسين مؤنس

تعليق على مقال الأستاذ احمد حسين
حول كتابى عن طه حسين

حماية لاجيالنا الصاعدة من شبهات عشرين

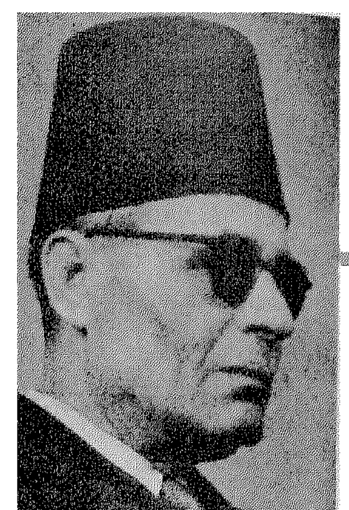
أنور الجندى

اذا كان كتاب (طه حسين : حياته وفكره فى ضوء الاسلام) قد احدث ضجة كبرى فى اوساط الادب والثقافة والدراسات الاسلامية، واستثار تعليقات معارضة ومؤيدة من الادباء والمفكرين والصحفيين فى عدد كبير من العواصم العربية - فان عددا من المثقفين الاعلام قد كشف عن ان البحث كان بعيدا عن التحامل اوالغرض وانه قدم دراسة جادة موثقة لحياة الدكتور طه حسين لم تكن لتستهدف أى نوع من انواع التشهير او الاتهام ، وفى مقدمة هؤلاء الاستاذ الكبير احمد حسين فى مقالين له احدهما نشر فى مجلة رابطة العالم الاسلامى واخر فى مجلة الهلال .

كما وجد هذا البحث تقديرا من اعلام آخرين امثال السفير الاديب احمد رمزى ، والاستاذ مصطفى مرعى عضو مجمع اللغة العربية ، كما وجد تقدير دوائر كثيرة فى بغداد ودمشق والرباط. والحق اننا لا نستطيع ان نتجاهل الدور الخطير والمكانة الكبرى التى كان يحتلها الدكتور طه حسين ولكنا كنا نحاول ان نعرض لارائه وما ووجهت به من ردود خلال حياته وفى فترة السنوات الخمسة عشر الاخيرة منها ، من خلال كتابينا « المعارك الادبية » و (المساجلات والمعارك الادبية) حيث تناولنا معارك الكتاب معه فى أمر الادب العربى والعروبة والاسلام والقرآن

والادب اليونانى والفكر الغربى والحضارة . وكنا نضع آراء طه حسين وردود امثال ساطع الحصرى، وعباس محمود العقاد ، والدكتور زكى مبارك ، والدكتور محمد حسين هيكل ، واسماعيل مظهر ، والمازنى ، وفريد وجدى ، ومحمد احمد الغمراوى ، ورفيق العظم ، والرافعى ولطفى جمعه وشكيب ارسلان ، واحمد زكى (باشا) وتوفيق الحكيم ، وعمر فروخ، ومحمد محمد حسين، وفؤاد حسنين، والدكتور الحوفى ، وخليل تقى الدين وغيرهم .

وقد نشرنا هذا كله فى حياة طه حسين ، بل اننا نشرنا ايضا كتابنا (الصحافة السياسية فى مصر) وفيه صفحات عديدة تكشف تناقض الكتاب (ليس طه حسين وحده ولكن العقاد وتوفيق دياب وعبد القادر حمزة وغيرهم) وقد نشر هذا خلال حياة




د . طه حسين



أحمد حسين

مصطفى مرعى

طه حسين وعرفت به الصحف بل واشارت اخبار اليوم فى حينه الى انه من اهم الكتب التي تناولت الحياة السياسة والصحافة السياسية قبل يوليو ١٩٥٢ .

وفى هذا رد واضح على بعض الذين حاولوا الغمز باننا لم ننشر كتابنا خلال حياة طه حسين ، والواقع ان السنوات الاخيرة كانت بالنسبة للدكتور محملة بالمرض والمتاعب ، ولذلك فقد كان من حسن الخلق الا يواجه الرجل فى هذه المرحلة بمثل هذا النقد وخاصة بعد ان توقف عن الكتابة تماما ، أو بما قد يسوءه ، ولكن بعد ان افضى الى ما قدم فقد اصبحت حياته وفكره من حق التاريخ ، ولعل اهم نقطة فى بحث **الاستاذ احمد حسين هى نقطة « التبعة والمسئولية التى يحملها فكر طه حسين للاجيال المتعاقبة » بعد ان مضى صاحبه واصبح هذا الفكر ومازال مطروحا بين ايدى الشباب بكل ما فيه من تناقض وسموم واحتمالات وشبهات .**

ولقد كان على الدكتور طه حسين ان يقف من هذا التراث موقفا يقدر فيه مسئولية الكلمة وأثر الكلمة فى الاجيال ، كان عليه أن يعلن انكاره للآراء التى رجع عنها صراحة ، وأن يوقف طبع هذه الكتب ، ولكن الامر كان غير هذا تماما ، فان الدكتور طه بدافع من الرغبة فى طبع مقالاته العديدة فى السنوات الأخيرة فى مجموعات فقد جمع بعض الأفكار التى قيل انه تخلى عنها فى بعض هذه الكتب التى صدرت فى بيروت ، مما عزز القول بأن الدكتور طه مازال مصرا على تلك الآراء أو انه يرغب فى اعادة بعثها .

ذلك ان الذين تخلوا عن بعض آرائهم فى القديم والحديث قد أعلنوا ذلك وحجبوا ما كتبوا مما يعارضها ، أو قدموا تفسيرات جديدة لها ، فعل ذلك فى القديم الامام أبو الحسن الاشعرى ، وفعل ذلك فى الحديث الدكتور محمد حسين هيكل ، ولكن الدكتور طه حسين مهما يكن قد تخلى عن بعض آرائه فانه تركها مبثوثة حتى الآن فى مؤلفاته الموجودة فى كل مكان ، وبين آيدى الشباب المثقف الذى ينظر اليه على انه عميد الأدب العربى ، ولا يستطيع أن يقدر مدى خضوع الكتاب فى عصر تعددت فيه التيارات واصطرعت الافكار لظروف مختلفة تتعلق بولاء السياسة او ولاء التعليم او ولاء الحياة الاجتماعية

وقد كان من حق الاجيال الجديدة علينا ان نعلمهم كيف يقفون من كل مايقدمه الكتاب موقف الحذر وان يعرضوه على قيمنا الاساسية ومفاهيمنا الاصيلة ، فما وجدوه منه متفقا معها فليقبلوه ومالم يجدوه كذلك واجهوه بحـذر واحتاطوا منه .. ولعل كتاب «طه حسين حياته وفكره فى ضوء الاسلام» قد كشف عن جذور الحياة الفكـرية والاجتماعية والسياسية فى مصر والبلاد العربية خلال تلك المرحلة التى عاشتها الأمة منذ جاء الاستعمار ، والقى على الحياة فيها من تيارات تتصل بتثبيت النفوذ الاجنبى عن طريق الثقافة والفكر والتعليم .

ولعل هذا الكتاب قد اجاب عـن ذلك السؤال الذى وجهه المؤرخ الكبير رئيس تحرير الهلال الدكتور حسـين مؤنس ، وكشف عن تلك الاخطار التى تمثلت فى عدد من المفكرين الذين ظنوا ان طريق التبعية للفكر الغربى والتماس اسلوب العيش الغربى هـو الطريق الوحيد لبناء النهضة العربية الحديثة ، وقد كشفت الاحداث من بعد – وقبل أن يرحل الدكتور طه حسين – عـن فساد هذا الاسلوب ، وهزيمة تلـك المدرسة وتبين أن الطريق الوحيـد : هو طريق الأصالة ، والتماس المناهج التى نجح بها المسـلمون فى كل ازمة وفى كل عصر .

ولعل (كتاب طه حسين) كان مقدمة لحركة فكرية سيكون لها ابعـادها وآثارها ، من قريب ، وهى ظهور ثلاثة كتب حديثة لها به صلة عميقة الجذور : ومن عجب ان هذه الكتب الثلاثة هى لأناس كانوا اقرب المقربين للدكتور طه حسين وممن عايشوا الحياة معه فى الجامعة والصحافة والاسرة وهى كتب الدكتور محمد نجيب البهبيتى (صـد فى الرباط) والاستاذ محمود محمـد شاكر ، والسيدة سوزان طه حسين ؟ فقـد كشفت هذه الكتب الثلاثة على اختلاف وجهات النظر فيها عن روافد هامة لما قدمه كتاب طه حسـين . اما الدكتور البهبيتى فقد كان واحدا من اقرب المقربين الى الدكتـور طه فى الجامعة وفى عمله ابان ان كان وزيرا للمعارف ، اما الاستاذ شاكر فقـد اصطدم بالدكتور طه فى كلية الاداب ، من اجل فهم (المتنبى) وكان أن ترك شاكر الجامعة وقد افاض شـاكر فى كتابه الذى صدر عن المتنبى اخيرا فى تاريخ هذه المرحلة والكشف عن هـذه الصفحات ، كذلك فان كتابنا قد أورد للدكتور البهبيتى موقفه من أسلوب طه حسين فى البحث الجامعى ..

اما السيدة سوزان طه حسين فقد كشفت لنا فى كتابها « معك » الذى نشرته مجلة اكتوبر فى اكثر من ثلاثين حلقة : ذلك الجو الذى كان الدكتور طه حسين يعيش فيه بين المستشرقين والمبشرين والـكرادلة والقسـس والرهبان ، وتلك الصلات العميقـة بين هؤلاء الغـربيين الوافدين الذين كانوا يبداون عملهم فـى الجامعـات والمعاهد والارساليات من نقطة الالتقاء بالدكتور طه : كذلك كشف الكتاب عن الصورة التى كان يعيش عليها الدكتور طه حسين خـلال رحلاته الى أوربا ولقاءاته المتعددة بأولئك الذين يشرفون على مؤتمرات الاستشراق ومؤسسات الدعوة بوحدة البحر الابيض المتوسط ، ومؤتمرات الحوار والتقـارب وغيرها من مؤتمرات تهدف الى تثبيت تبعية البلاد العربية الى النفوذ الغربى .

ولعل أستاذنا احمد حسين يعلم اننا حاولنا فى هذا الكتاب تحقيـق تلك الغاية التى تفوق كل الغايات وهى

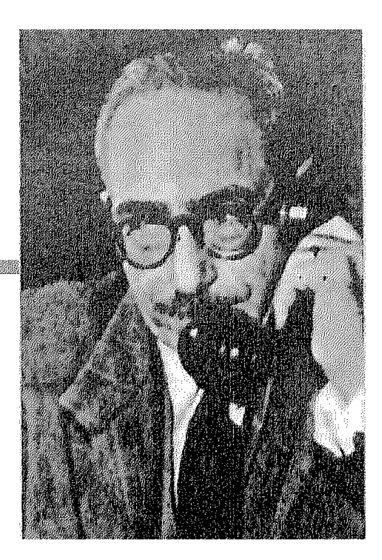




عباس العقاد



د . زكى مبارك



د . محمد حسين هيكل

ما وصفه فى مقاله الكريم بانه((نبعة الاجيال)) ومسئولية امتنا ازاء ذلك الركام الضخم الذى ما زال بين أيدى الناس مطبوعا ومنشورا .

واهم الاخطار التى يروج لهـا لفكر طه حسين التى يجب الحيطة فى النظر اليها هى :

(اولا) قوله بالتناقض بين نصوص الكتب الدينية وما وصل اليه العلم. وقوله : (ان الدين لم ينزل من السماء وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها) وهذه نظرية شاعت حينا فى الفكر الغربى تحت تاثير المدرسة الفرنسية التى يراسها اليهودى دوركايم

((ثانيا)) اثارة الشبهات حول ماسماه القرآن المكى والقرآن المدنى ، وهى نظرية اعلنها اليهودى جولد زيهر وثبت فسادها .

(ثالثا) تاييده القائلين بتحريق العرب الفاتحين لمكتبة الاسكندرية .وهى نظرية حمل لواءها المستشرق جريفنبى فى مؤتمر المستشرقين ١٩٢٤ .

رابعا : عمله على اعادة طبع ((رسائل اخوان الصفا))وتقديمها بمقدمة ضخمة فى محاولة احياء الفكر الباطنى المجوسى الذى كان يحمل المؤامرة على الاسلام والدولة الاسلامية .

خامسا : احياؤه شعر المجون والغزل بالمذكر وكل شعر خارج عن الاخلاق سواء كان جنسيا او هجاء ، وقد اولى اهتمامه بأبى نواس وبشار والضحاك فى دراسات واسعة اذاع فيها آراءهم وحال حياتهم .

سادسا : ترجمة القصص الفرنسى المكشوف وترجمة شعر بودلير وغيره من الادب الاجنبى الماجن الخليع .

سابعا : اثارة شبهة خطيرة عن ان القرن الثانى الهجرى كان عصر شك ومجون .

ثامنا : قدم فكرة فصل الادب العربى عن الفكر الاسلامى كمقدمة لتدفعه الى ساحة الاباحيات والشك وغيرها وذلك باسم تحريره من التاثير الدينى ..

تاسعا : اعلاء شان الفرعونية وانكار الروابط العربية والاسلامية ومن ذلك قوله ان الفرعونية متاصلة فى نفوس المصريين ولو وقف الدين الاسلامى حاجزا بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه .

عاشرا : اشاعة دعوة البحر الابيض

المتوسط لحساب بعض القوى الاجنبية والقول بان المصريين غربيو العقل والثقافة وان الفكر الاسلامى قام على آثار الفكر اليونانى القديم ولذلك فلا مانع من تبعيته فى العصر الحديث للفكر الغربى

حادى عشر : الادعاء بان الشاعر ابا الطيب المتنبى ((لقيط)) وهى دعوى باطلة اقام عليها كتابه ((مع المتنبى)) متابعا رأى الاستشراق وهادما لبطولة شاعر عربى نابه .

ثانى عشر : اتهامه الخطير لابن خلدون بالسذاجة والقصور وفساد المنهج وهو ما نقله عن استاذه اليهودى دوركايم ..

ثالث عشر: اعادة خلط الاسرائيليات والاساطير الى السيرة النبوية بعد أن نقاها المفكرون المسلمون منها والتزيد فى هذه الاسرائيليات والتوسع فيها وذلك فى كتابه هامش السيرة وقد كشف هذا الاتجاه الدكتور محمد حسين هيكل . . ووصفه الرافعى بانه ((تهكم صريح)) ..

رابع عشر : حملته على الصحابة والرعيل الاول من الصفوة المسلمة وتشبيههم بالسياسيين المحترفين فى كتابه ((الفتنة الكبرى))

خامس عشر : اثارة الشبهات حول اصالة الأدب العربى والفكر الاسلامى بما زعمه من اثر لليهود والوثنية والنصرانية فى الشعر العربى .

سادس عشر : انكار وجود سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وانكار رحلتهما الى الجزيرة العربية واعادة بناء الكعبة على نفس النحو الذي اورده العهد القديم وكتابات الصهيونية .

سابع عشر : دعوته الى اعلاء شان الأدب اليونانى على الأدب العربى والقول بان لليونان فضلا على العربية والفكر الاسلامى .

ثامن عشر : دعوته الى الاخذ بالحضارة الغربية (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب)) .

تاسع عشر : وصف الفتح الاسلامى لمصر بانه ((استعمار عربى)) وعبارته هى ((خضع المصريون لضروب من البغى والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب)) .

عشرون : انكار شخصية عبد الله ابن سبا اليهودية وتبرئته مما اورده الطبرى ومؤرخو المسلمين من دور ضخم فى فتنة مقتل عثمان فى كتابه ((الفتنة الكبرى)) .

***

هذه هى ابرز الشبهات التى اوردتها كتب الدكتور طه حسين وقد واجهتها اقلام الكتاب فى عصره مواجهة حاسمة وكشفت زيف هذه الادعاءات ، ولم يرجع الدكتور طه حسين عن رأى واحد منها (وان كان قد رجع عن رأيه فى المنفلوطي ولم نورده لهذا)

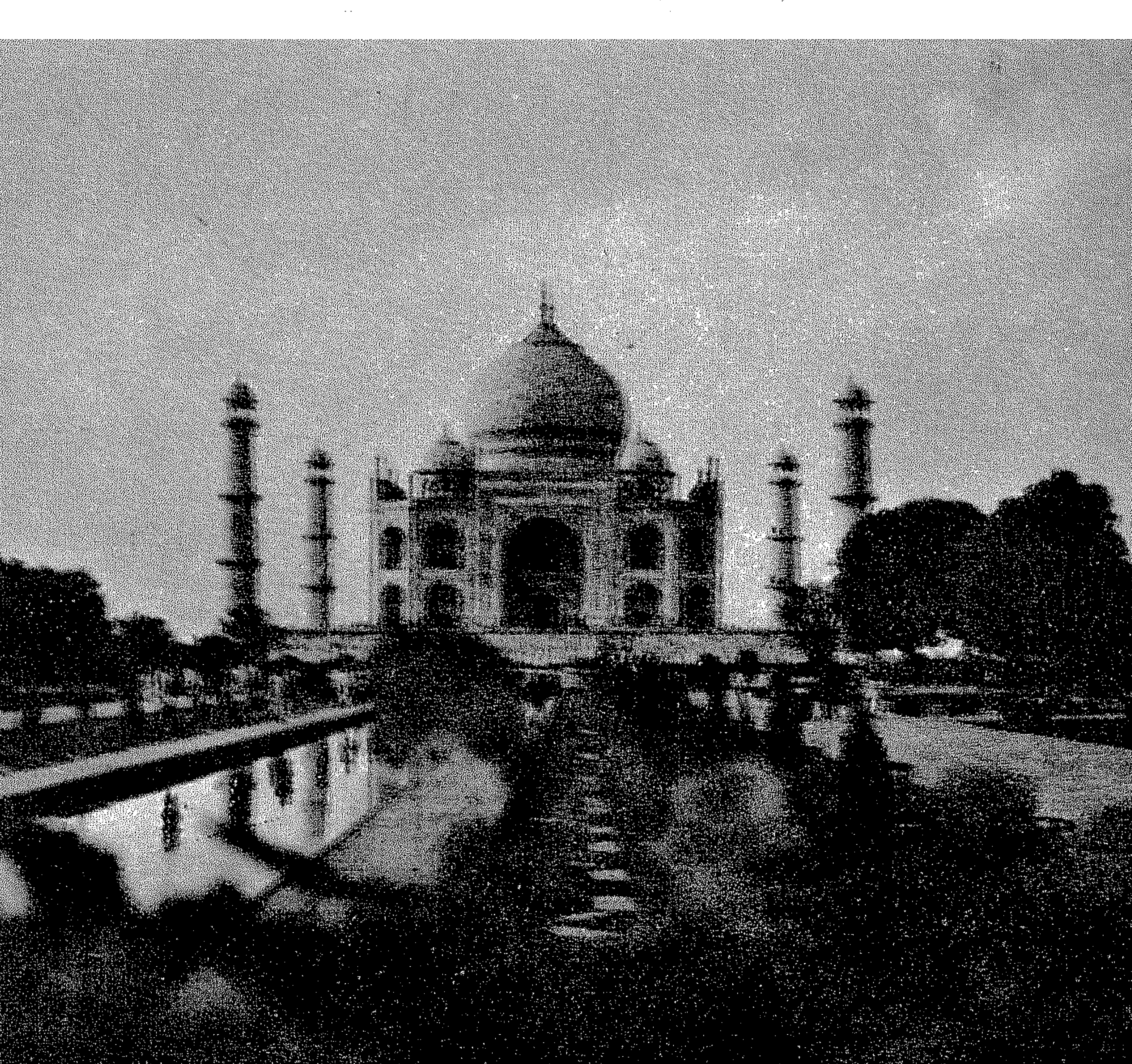
ولا تزال هذه السموم باقية فى مؤلفاته وكتبه بين ايدى الناس ، ولقد هزم هذا الفكر الاستشراقى التبشيرى هزيمة منكرة وطه حسين حى : لقد ووجه طه حسين بالرفض والمخاصمة وحرقت كتبه فى بعض العواصم وارسل اليه كثير من المفكرين بالبرقيات التى تعارضه وزيفت كثير من الدوائر العلمية آراءه كما فعل مؤتمر ابن خلدون ، وكلية اركان حرب الجيش رأيه فى العروبة . وبعد ، فانى شاكر لاستاذنا الجليل احمد حسين اهتمامه بكتابى والتعليق عليه والتجاوب معه وجزاه الله خيرا

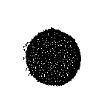
تاج محل

قصة حب وجمال خالدين ..

- أميرة جميلة مؤمنة تجاهد في سبيل الإسلام وحرية المرأة
- تخليداً لذكراها أنشأ زوجها "ملك العالم" أجمل منشأة معمارية في آسيا تعبيراً عن حبه الخالد

هكذا يبدو التاج محل ساعة الغروب عندما يهبط السلام على روضة السلام .. هنا ترقد أجمل سلطانة عرفها التاريخ





لو عددت اجمل عشر منشآت معمارية فى الدنيا لكان التاج محل دون شك من أوائلها .

فهذا العمل المعمارى الرائع يبهر النــاظرين من أى زاوية نظرت اليه ، وهو أجمل مبنى معمارى فى آسيا .

وفى الصور التى تراها على هذه الصفحات مصاديق لذلك .

ولكن وراء هذا الجمال المعمــارى قصة حب وايمان تعدل فى ابداعها جمال الفن الذى تراه العين .

ومدار قصة الحب هذا سـيدة من اجمل من خلق الله شكلا ونفسا . فقد كانت بارعة الجمال بالغة التقى فياضة بالمحبة والانسانية . تلك هى ارجموند بانوه بيجوم الملقبة باسم ممتاز محل، وهى اميرة اذ هى ابنة آصاف خـان اخ نور جيهان من كبار امراء بلاط اجرا عاصمة سلاطين مغول الهند .

كانت فى التاسعة عشرة عندما تزوجها شاهجيهان ثالث ابناء السلطان جاهانجير .

كان اسمه خرم (بضـم الخـاء وتشديد الراء المفتوحة) وكان نابهـا ذكيا فرشحه ابوه للعرش واطلق عليه اسم شاه جاهان أو شـاه جيهان أى سلطان الدنيا .

وكان قد رأى الاميرة ارجموند ووقع فى غرامهــا ورغب فى الزواج منها . كانت اذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمرها وعندما تحدث اليهـا ابوها فى الامـر رفضت لانها كانت قد نذرت نفســها لله والاسلام . فارســل اليها ابوها الفقيه القاضى برهان الدين القــزنوى فتحدث اليها ، وقال لها ان الرهبانية ليست من الاسلام ، وانها تكمل دينهــا اذا تزوجت . وتستطيع الى جانب ذلك ان تفعل من افعال الخير والبر والتقى ما تريد .

وبعد كلام طويل ومحاولات لاقناعهــا وافقت ..

ومن غريب الامر انها عندما رأته اول مرة بعد ان وافقت على الزواج منه قالت: لو رأيته قبل أن يحدثنى الشـيخ برهان الدين لما احتجنا للكلام ، ذلك ان الامير شاه جاهان أعجبها .

وقد اشترطت عليه ألا يشرب الخمــر وان يقيم الصــلوات ويرعى الله فى كل ما يعمل ، ذلك لأن سلاطين مغول الهند وأمراءهم كانوا مبتلين بحب الخمر حتى أضرت بالكثير منهم ..

وقداستجاب شاه جاهان لشرط الخمر فلم يقربها فى حياته ، ولكن مناقســات السياسة والحكم اضطرته الى مخـالفة ما شرط على نفسه من التزام الاخلاق فى كل ما يعمل ، وللسياسة أحكام ..

فما كاد يموت أبوه الســلطان جاهانجير سنة ١٦٢٨ حتى ثارت حــوله الاعاصير ودبرت المؤامــرات ، وكان من بين المتآمرين عليه آصاف خان والد ممتاز محل ، فأنكرت فعله وخاصمته ، ولم تصــالحه الا عندما حج الى بيت الله الحرام ..

وقد برهن شــاه جاهان على انه أعظم من تولى عرش سلاطين المغول ، فقد ثبت قواعد السلطنة وضم اليها ولايات أحمد

تجار وجولكوندا وبيجابور فى الدكن بل هاجم البرتغاليين واستولى منهم على هوجلى سنة ١٦٣٢ ..

ودخل فى حرب مع الفرس واسترد منهم قندهار وبدخشان وبلخ ...

الى جانب ذلك كان مولها بالبناء فقد انشا مدينة ملكية قرب أجراء هى شاه جاهان آباد .

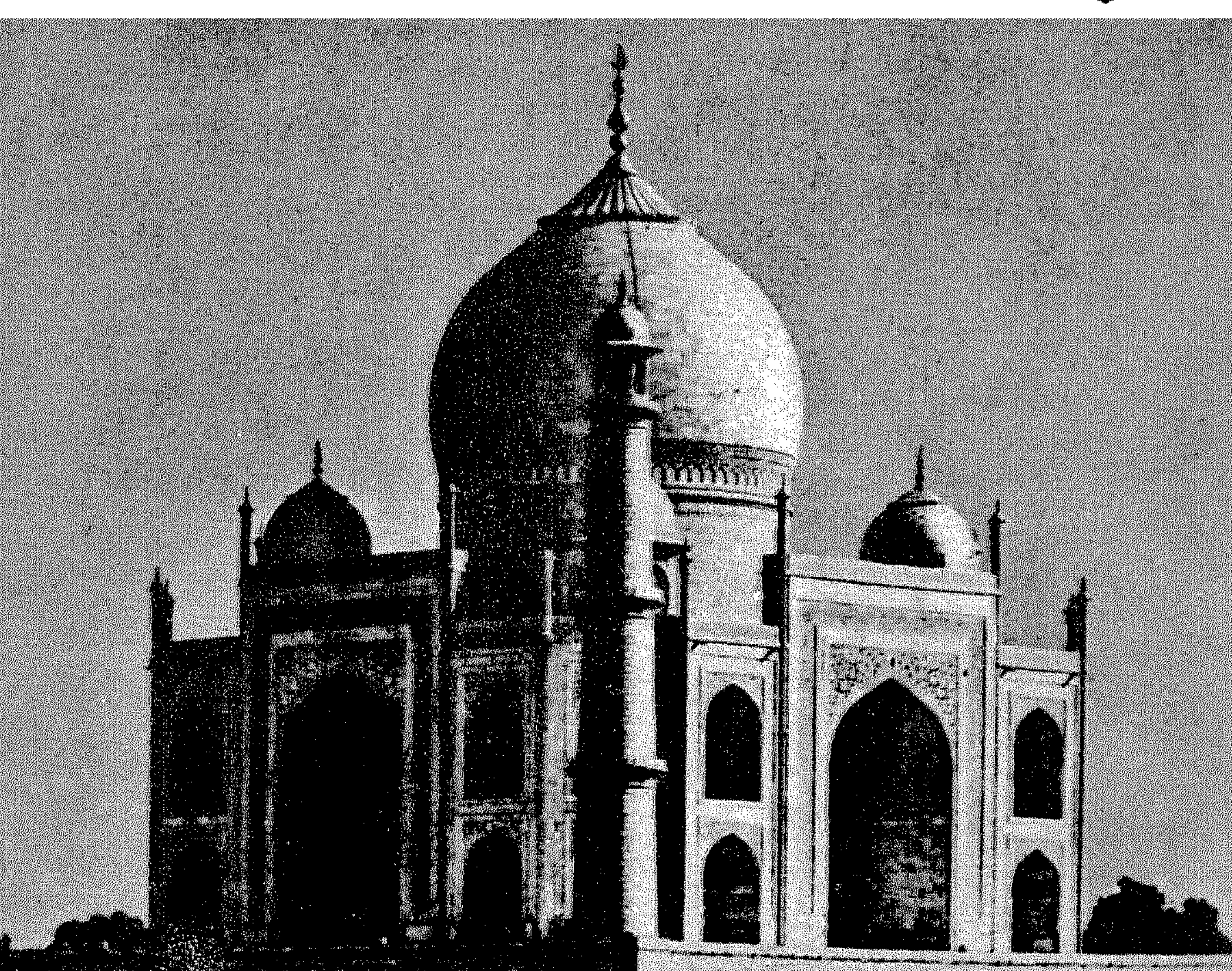
واقام فى قصره بهوا سمى بعرش الطواويس يعتبر من أجمل ما انشا المعماريون المسلمون فى الهند .

منظر عام للتاج محل من الزاوية الجنوبية الغربية ، تبدو فيه واجهتا المبنى ، واحدى المآذن والقبة الرئيسية ...

ولكن ارجموند بانوه‌بيجوم كانت أجمل ما فى حياة شاه جاهان .. فقد انصرفت الى أمور الدين ، وعنيت بانشاء المساجد، وكانت ترسل كل عام مائة مسلم للحج على نفقتها . واستقدمت من ايران والعراق مئات الفقهاء ليعملوا على نشر الاسلام فى الهند ، وأنفقت عليهم من مالها ، وأنفقت الملايين على انشاء المساجد، واذا كان اقليم البهار (بكسر الباء) قد أصبح من أكثر نواحى الهند اسلاما ، فان الفضل فى ذلك يرجع الى هذه السيدة الجليلة الجميلة .

***

والنساء الصالحات فى تاريخ الاسلام كثيرات نذكر منهن على سبيل المثال فاطمة بنت محمد الفهرى المغربية التى انشات من مالها مسجد القرويين فى فاس الذى أصبح جامعة فاس ، أقدم جامعات



الاسلام ، واختهامريم بنت محمدالفهرى التى بنت مسجدا آخر عظيمافى فاس ..

ولكن ممتاز محل تميزت عليهن بميزة تجعل لها فى تاريخ الحركة النسائية فى الدنيا مكانا عظيما ..

فقد كانت شديدة العطف على اليتيمات والفقيرات . أنشات الدور لتربية اليتيمات . كانت ترسل المنادين فى بلاد الهند ليبحثوا عن اليتيمات لتقدم المعونات لهن اذا كانت لهن أمهات ، ولكى يأتوا بهن

داخل مسجد « سل شو » فى نيودلهى ، وهو من المساجد التى بنيت فى عصر سلاطين آل تغلق ، ويعتبر من أجمل مساجد « أجرا » فى الهند ، ويمتاز بعقوده ذات الفصوص ، وألوانه الباهرة ، وقد اخترنا هذه الصورة ليستطيع القارىء أن يتبين الفرق بين الذوق المعمارى فى المنشآت الاسلامية فى الهند ، والروح الجديدة التى بعثها أستاذ عيسى عندما وضع مشروع انشاء تاج محل ...

الى الملاجىء اذا لم تكن لهن أمهات . ﻓ ملاجىء ممتاز محل عاشت وتربت أكثر عشرة آلاف يتيمة ..

وكانت تعنى بتعليمهن الحرف ليكسـ عيشهن ، وأنشأت معهدا ليعلم اليتيما كتابة المصاحف ، وأقامت الاسـاتـ والخطاطين والمزخرفين . وعلى يدي نهض فن المصاحف فى الهند الى ذروة يبلغها هذا الفن الا فى مصر المملوكيـ وتركيا العثمانية .

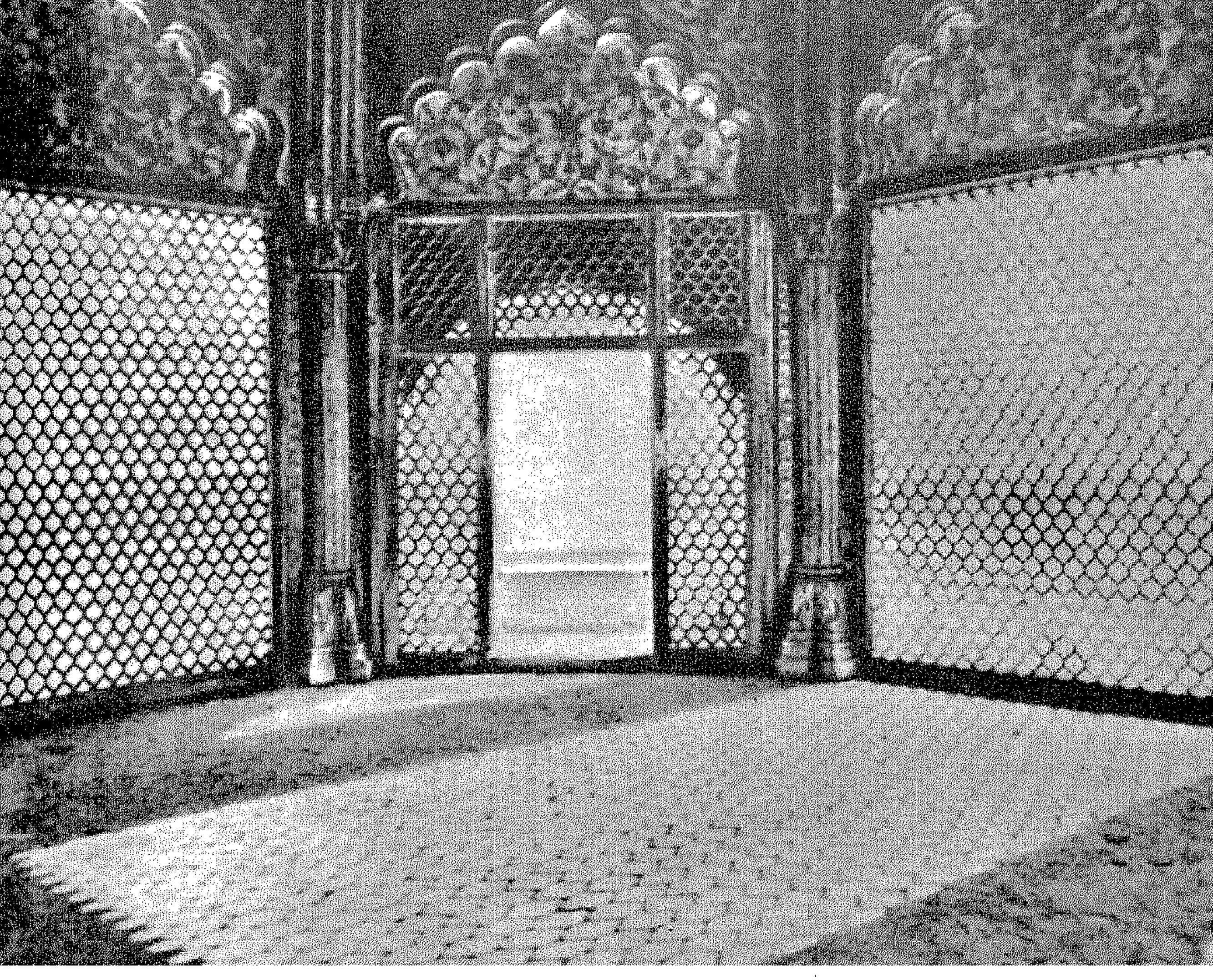
وكانت مصاحف ممتاز ـ وهكذا كا تسمى ـ تباع بأغلى الاسعار، وبعضها ك يزين غلافه بالاحجار الكريمة والذهب

وجاهدت ممتاز جهادا طويلا فى سبي





تاج محل كما يتجلى للداخــــل من الباب الرئيسي ، وترى جلاله وقد انعكس في مياه البركة التي أنشئت في وسط الحديقة المؤدية الى المبنى نفسه . هنا تبدو بوضوح القــاعدة الرخامية التي يقوم عليهـــا المبنى والهيئة الهندية لروضة ممتاز محل، وتتميز بالقباب الثلاث ، وهي الميزة التي تتفرد بها مساجد الهند جميعا



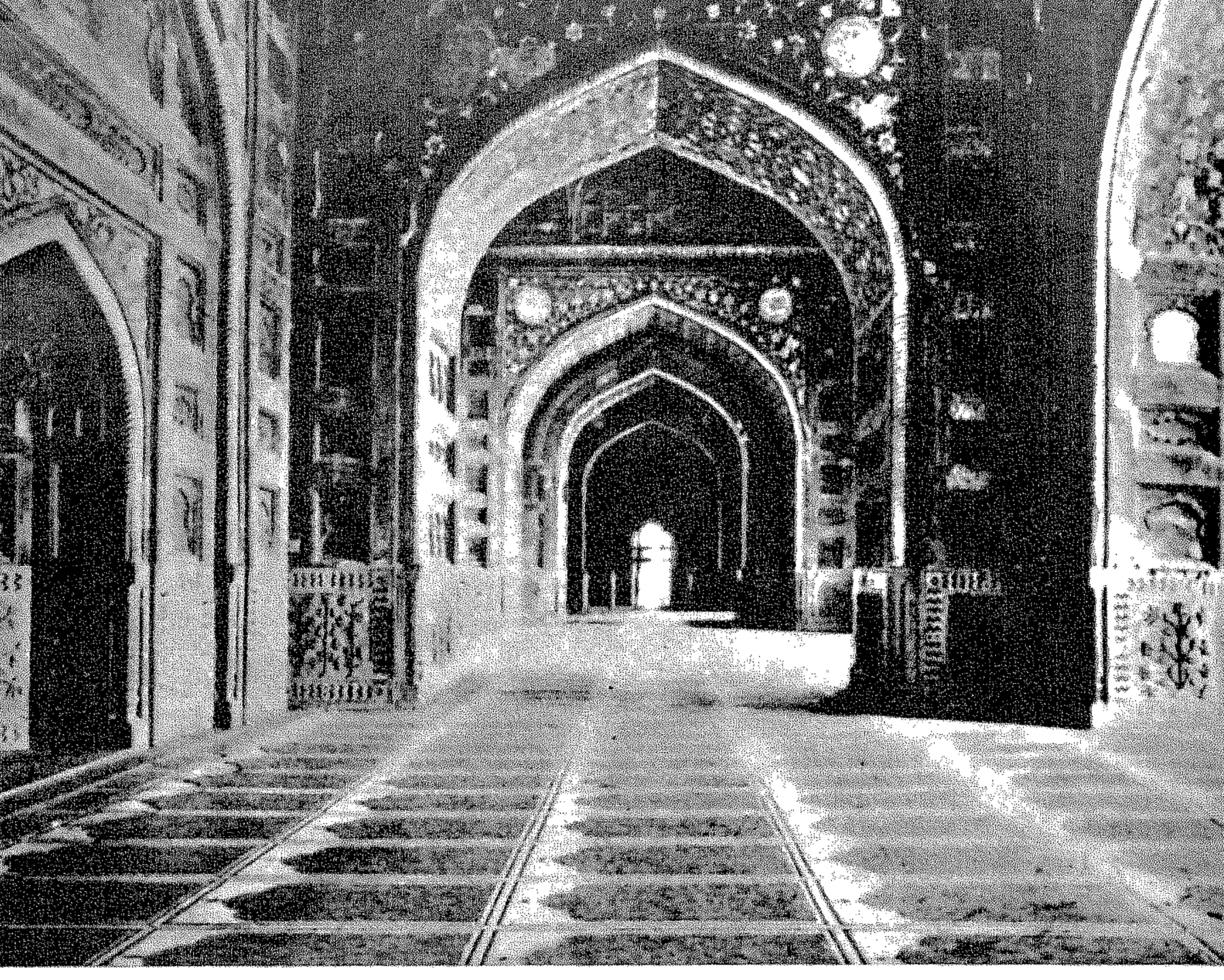
بهو من ابهاء التاج محل الداخلية ، وقد جعل المعمارى جدرانه من الرخام المنحوت على هيئة ستارة مخرمة كانهـا « الدانتيللا » ولم يحدث هذا الا فى مبنى التاج محل ، وخارج هذا البهو تجرى مياه « سامان يورجى » وهو نهر صغير من نهيرات « جمنى » الذى يقع التاج محل على ضفافه . . .

حماية حقوق النساء ، لانها وجدت ان الرجال يعتدون على حقوق المراة التى اعطاها الاسلام اياها ، ففى ذلك العصر فى الهند كانت النساء محرومات من الارث ، وكان الرجل يستولى بمجرد زواجه على أموال زوجته ويتصرف فيها كأنها ملك له ، وكان الرجال يتبعون التقليد الهندوكى القديم الذى يحرم المراة من الزواج بعد موت زوجها وان كانت فى العشرين من عمرها ، وكل هذه اشياء مخالفة للاسلام . فنذرت ممتاز محل نفسها لاعادة الحقوق المسلوبة الى النساء وقد نجحت فى ذلك الى حد كبير

***

أنجبت ممتاز محل من شاه جاهان أربعة عشر ولداً وبنتا .

وفى سنة ١٦٣١ ، وكانت سنها ٣٨



منظر لاحد اروقة روضة التـــاج محل التى تعتبر مسجداً فى نفس الوقت . وقد بنى هذا الرواق من الاجر الاحمر ، ولبس بالرخام فى معظم اجزائه ، وقد حـــرص المعمارى على ان يترك الاجر ظاهرا للعين فى بعض اجزاء الجدران مما يعطى هذه الاروقة لوناجميلا يزيد فى بهائها الى جانب الرخام المختلف الالوان .

سنة نحسب توفيت وهى تضع مولودها الخامس عشر . كانت بنتا ..

وأصيب زوجها بذهـــول ، لان الموت نزل بها فجأة . توقف قلبها وهى تلد ..

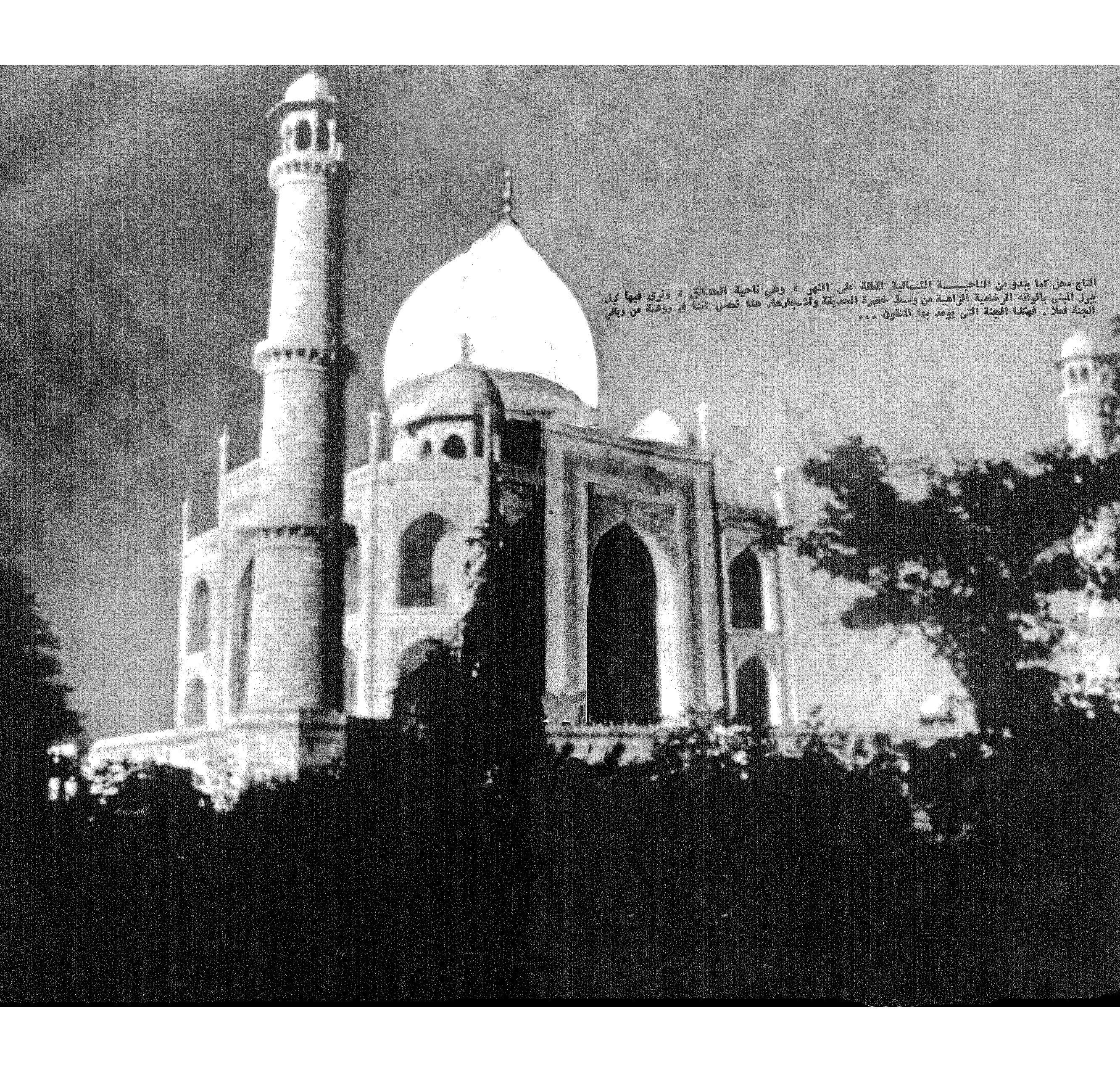
وظل سلطان الدنيـا فى ذهوله أياما لا ينطق بحرف ، فقد كانت ممتاز محل هى الدنيا كلها عنده ..

وحزن اهل السلطنة جميعـا على ذلك الملاك الطاهر الذى اختار دار البقاء .

وأقامت نساء الهند ، حتى غير المسلمات الحداد عليها عاما .

وقرر شاه جاهان أن يبنى لها أجمل روضة فى الدنيا .

والروضة بالنسبة للموتى فى مصطلح



التاج محل كما يبدو من الناحيـــة الشمالية المطلة على النهر ، وهي ناحية الحدائق ، وترى فيها كيف يبرز المبنى بألوانه الرخامية الزاهية من وسط خضرة الحديقة وأشجارها. هنا نحس أننا في روضة من رياض الجنة فعلا . فهكذا الجنة التي يوعد بها المتقون ...

المسلمين هى القبر ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما معناه ان القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ..

فهو روضة للصالحين
وهو جحيم للطالحين ..

ومن هنا فنحن نسمى قبر الرسول الأكرم بالروضة الشريفة ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم :

((ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة))

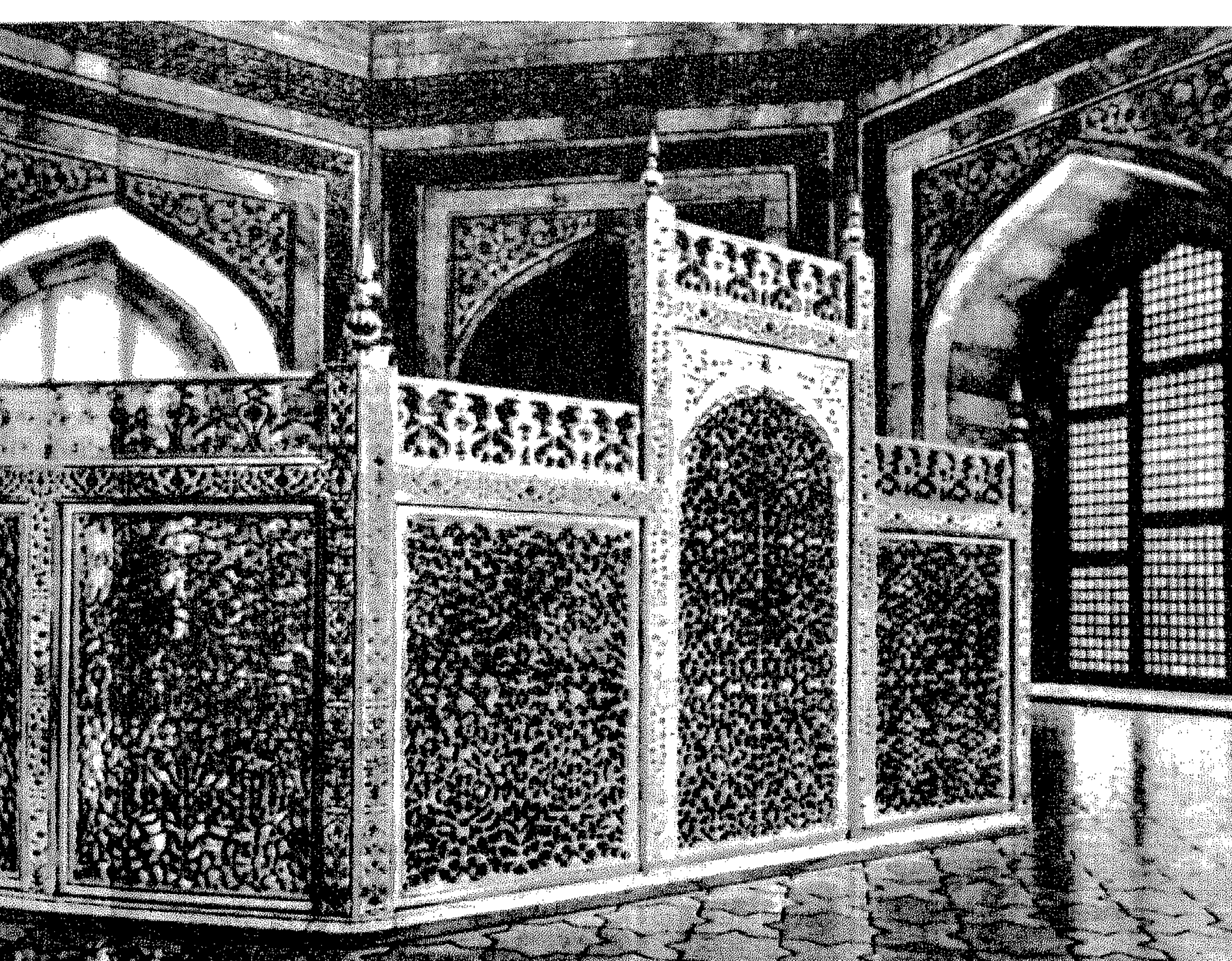
***

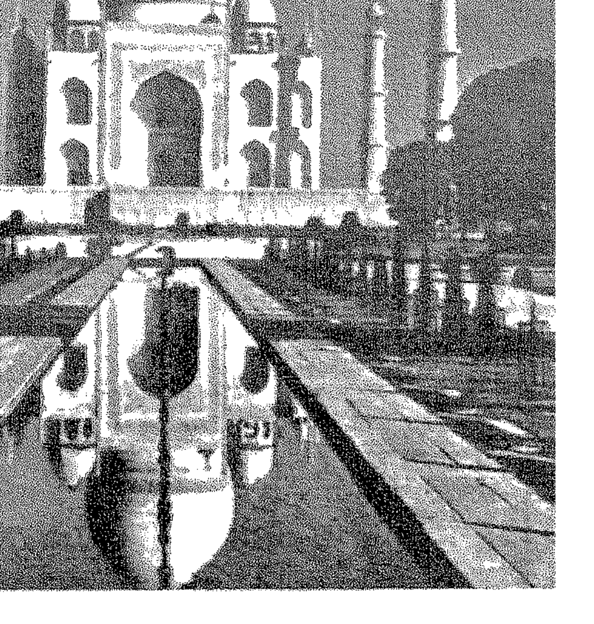
وقد دفنت ممتاز محل مؤقتا فى زين اباد ضاحية برهان بدر قرب اجرا ، ثم نقلت الى أجرا ..

ثم اشترى شاه جاهان قطعة أرض فى أجمل بقعة على ضفاف نهر جمنا : موقع فى منحنى النهر ..

ثم جمع مجلسا من أعاظم المعماريين المسلمين لوضع خطة البناء ، وفاز المشروع الذى قدمه المعمارى استاذ عيسى وهو ايرانى أو تركى ، وكان هذا الرجل قد اطلع على تصاوير منشآت معماريةفى البندقية فى ايطاليا ، ولكن المشروعالذى وضعه اسلامى خالص ، أى انه استلهمكل جزء فيه من روح الفن الاسلامى . وقد قرر ذلك عدد منالرحالة الفرنسيين زاروا

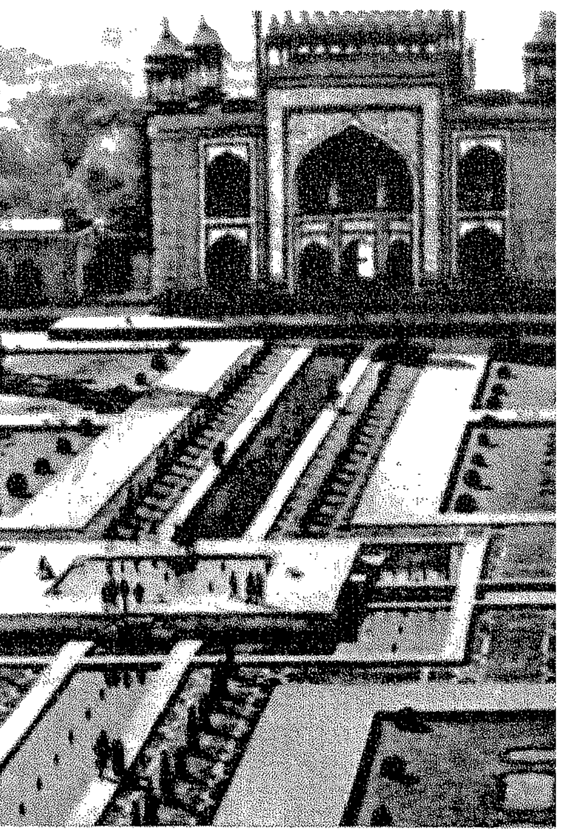
عندما انتهى البناء وجد الشاه جاهان ان المقصورة التى تضمقبر ممتاز محل محاطة بجدار من الحجر ، فامر برفعه وبانتوضع محله جدران من الرخام المشغول، بداخله اطارات منالبرونزالمشغول ايضا ، فكانت النتيجة هذا المنظر الباهر الذى يجمع بين تلك المقصورة الفريدة فى بابها والنافذة الواسعة المغطاة بستارة من الرخام المخرم ..





القبة الرئيسية للتاج محل فى مرآة . هكذا تبدو بجمالها وقد انعكس فى مياه البركةالرئيسية

حديقة التاج محل التى تقطعها البركةالرئيسية الوسطى ، والبركة الطويلة مشهد فريد فىبابه. وقد اخذت هذه الصورة من اعلى الروضـــة ويتجـلى فيها المدخـــــل الرئيسى . . .



بنى شاه جاهان مسكنا فى الـدور الثـانى من الروضة .. وهذا مشهد ايوان من ايواناتذلك المسجد الذى كان يتكف فيه بعد وفاة ممتازمحل



الهند أثناء البناء نذكر منهم تافرنييـــه وبرنييه وثفنو ..

الروضة روضة فعلا ، فهى تقوم وسط حدائق بديعة الجمال تقطعها ممراتمغطاة بالرخام وتتخللها مجارى ماء محفورة فى الرخام . والمبنى كله من رخام هندى من جبل جوذيور .

وهو يقوم على قاعدة منالرخام ارتفاعها ٦ أمتار وضلعها ١٠٠متر مربعفالمساحة الكلية نحو ١٠٠٠٠ متر مربع .

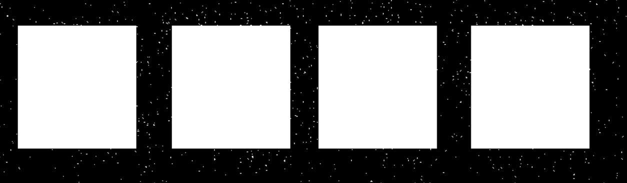
والمبنى فى جملته قائم على أســـاس العمارة الهندية الاسلامية ، أى ان لهثلاث قباب ، الوسطى هى الرئيســـية وتقوم فوق بهو بيت الصلاة ، لان الروضة فى الحقيقة مسجد ، أما القبتان الاخـريان فأصغر وتقومان فوق الـرواقين الايمن والايسر ..

وفى كل ركن من أركان المبنى تقــوم مئذنة بديعة ارتفاعها حوالى ٤٠ مترا ولها ثلاث شرفات للاذان ، وتنتهى كلمئذنة بجوسق فوقه عمامة على هيئة قبة .

المسجد الجامع فى دلهى ، يعتبر من اجمل مساجد الهند ، واكثرها ارتباطا بطبيعة العمارة الاسلامية فى الهند ، وننشر هذه الصورة لكى يتبين الفرق بين الاسلوب العادى فى الانشاء فى العمارة الاسلامية فى الهند ، والاسلوب الذى ابتكره استاذ عيسى ...

روضة سليم شستى وهو من اشهر الصوفية والاولياء فى الهند ، وقد انشئت فى مدينة فاتح بور سكرى التى بناها السلطان اكبر ، وهى من اولى روضات الهند .. قارن بينها وبين التاج محل ...

وادى كولو القريب من اجرا ، وهو يعتبر من اجمل وديان الهند الخضراء وعلى مقربة من هذا المنظر الطبيعي الساحر تقوم اجرا مدينة العمارة الاسلامية في الهند ...

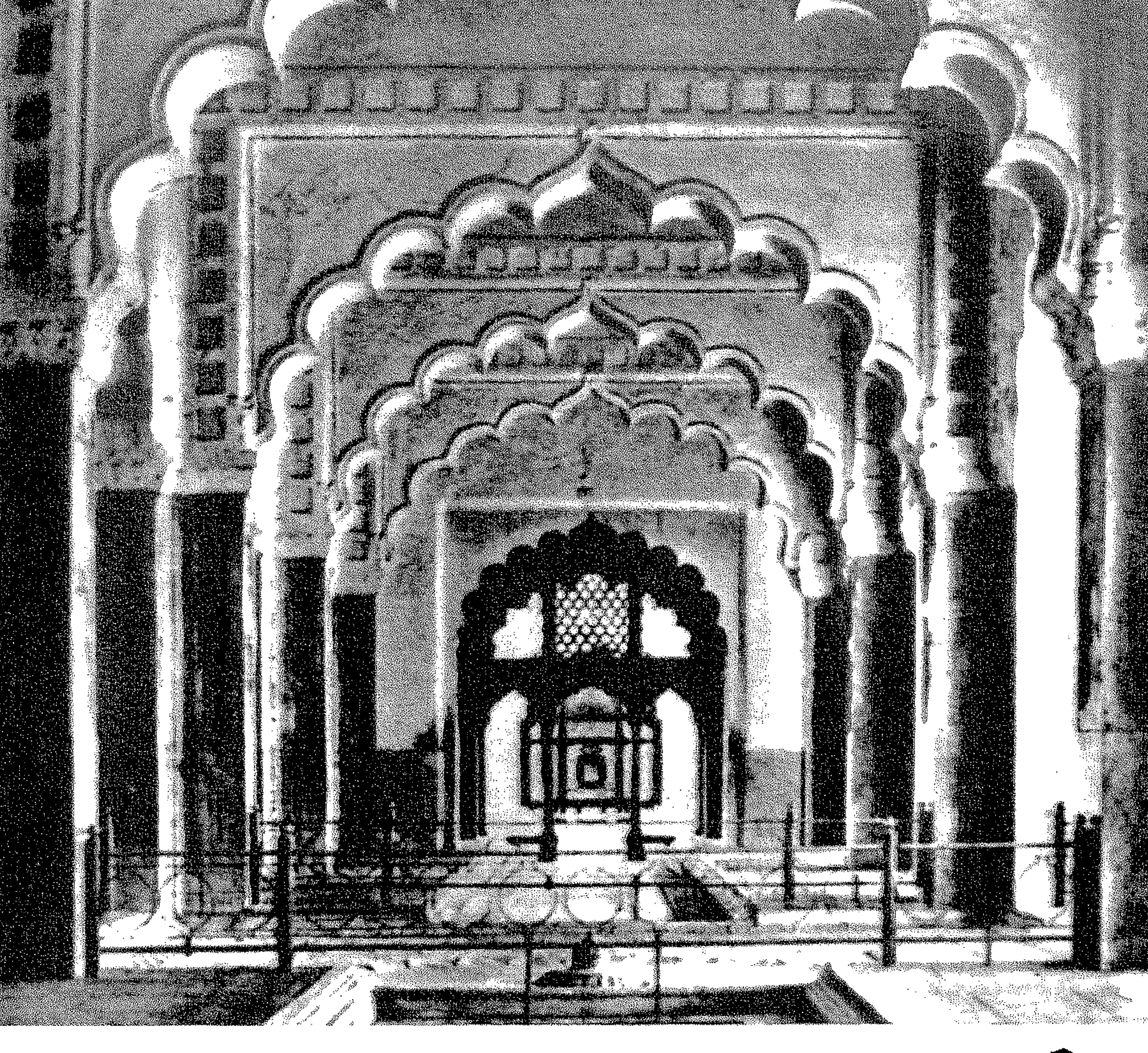


ومدخل مسجد الروضة واجهة عظيمة تتكون من حنية البوابة على هيئة عقد مدبب وفى الجانبين أربع حنايا على هيئة نوافذ كل اثنتين منها فى ناحية ، وكلها ملبسة بالرخام تغطيها ستر او ستائر من الرخام المخرم لان المعمارى أراد الا يدخل الضوء هذه الروضة الا من خلال ثقوب صغيرة ، حتى لا ينعكس الضوء الباهر على الرخام ، وهذا هو السر فى تلك الراحة النفسية التى يشعر بها الانسان وهو داخل هذا الاثر العظيم ، فكل شيء هادىء ساكن خافت حتى الضوء ٠ وهذا الصمت وذلك الخفوت يزيد شعورك بالجلال والوقار ويجعل الروضة روضة للنفس حقا ٠٠

القبة الرئيسية التى تقوم فى وسط المبنى فوق الضريح تحفة فنية ، فهى هندية الشكل اسلامية الروح : بصلية فى هيئتها ، مثل كل قباب الهند مكسوة بالرخام المزخرف واعلاها حلية بديعة لا مثال لها فيما لدينا من القباب ٠

***

وداخل « التاج » لا يقل جمالا عن خارجه ، فان الممرات والابهاء كلها مهيأة

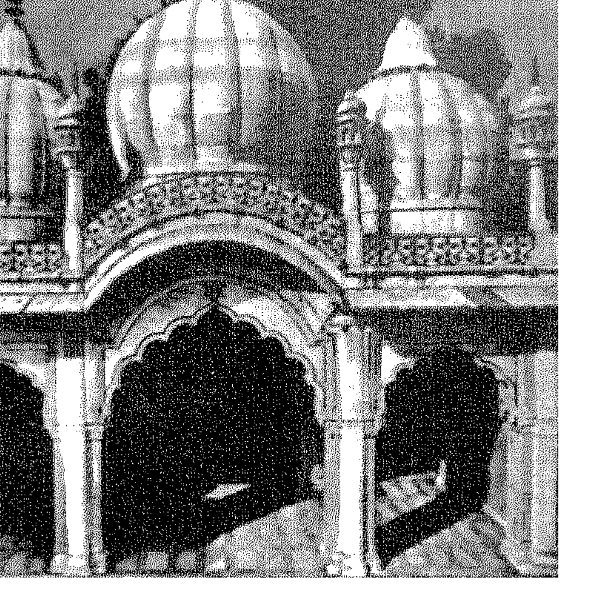


رواق اخر من اروقة روضة التاج محل التى تحيط بمقصورة الدفن. لاحظ العقود ذات الفصوص التى تعتبر من المعالم المميزة للعمارة الاسلامية فى الهند . والاعمدة التى تبدو على يسار الصورة من الرخام الاحمر تقابلها فى الناحية الاخرى دعامات من الآجر الملبس بالرخام ...

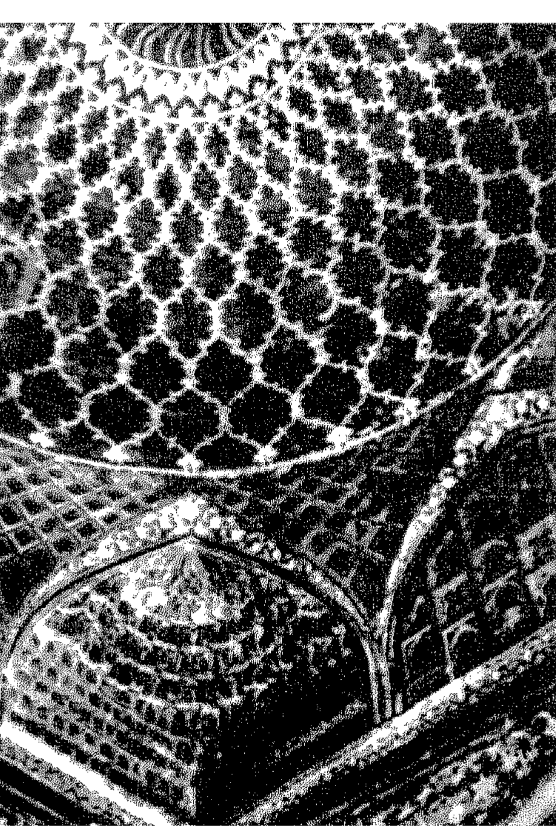
على نحو فريد لم يسبق اليه معمارى ، ويكفى أن تقف تحت القبة وتنظر الى اعلى لترى داخلها الجميل المزين بزخارف ملونة يحار فيها العقل ، واذا ألقيت نظرك يمينا أو يسارا رأيت الابهاء والاروقة تمتد أمام بصرك محلاة بعقود ذات فصوص تتوالى واحدة بعد الاخرى على مدى البصر . والقبر نفسه تحفة . انه مرتفع عن الارض محلى بالآيات القرآنية ،

ولكن ممتاز محل وزوجها شاه جاهان ليسا مدفونين هناك ، لان الاسلام لا يرضى عن ارتفاع القبر على سطح الارض ، ولهذا فهذا القبر الذى تراه مجرد رمز أما ممتاز وزوجها فمدفونان الى جواره ، وموضع دفنهما لا يرتفع عن الارض وان كان محلى بالرخام .

وقد قال الرحالة الفرنسى ثفينو ، ان هذه الاناقة لا يمكن ان تكون الا من ابداع ايطالى ، بل قال مرة ان الروضة رائعة من روائع الاناقة الايطالية . وهذا قول غريب ، فان أحدا من الايطاليين لم يسهم فى هذا المبنى وان كان استاذعيسى نفسه قد عرف الفن المعمارى الايطالى ورأى



مسجد مطبخ الصغير الذى انشاه السلطـــان اورانجزيت حفيد شاه جاهان لكى يصلى فيه قريبا من تاج محل ...



صورة للقبة الرئيسية للتاج محل من الداخل، تتجلى فيها الطريقة التى استخدمها المعمارى فى رفع القبة فوق جدران المبنى ، وكيف زينهـا بنقوش هندية الطابع ، ولكنها اسلامية الروح، وهذه النقوش مزينة بالاحجار الكريمة . . .



مقصورة المدفن كما تبدو من احـدى شرفات الدور الثانى للمبنى ، يتجلى فيها الجـدار الرخامى المخرم الذى امر بانشائه شاهجاهان بعد تمام المبنى ...

تصاوير كثيرة لمنشآت ايطالية ، ولكنـه عندما أنشأ الروضة أنشأها بروح اسلامى هندى خالص ·

وليس فى الدنيا برونز مشـــغول يضاهى البرونز الذى تراه على جدران المقصورة، انه دانتيللا من المعدن ، لقد

حاول الكثيرون تقليده فلم يستطيعوا ، حتى كبار المعماريين الذين أقاموا روائع المساجد فى أصفاهان فى العصر الصفوى لم يصلوا الى هذه الدقة والاحـكام ، لان استاذ عيسى رسم كل شىء بيده ووقف على كل جزئية من جزئيات المبنى .

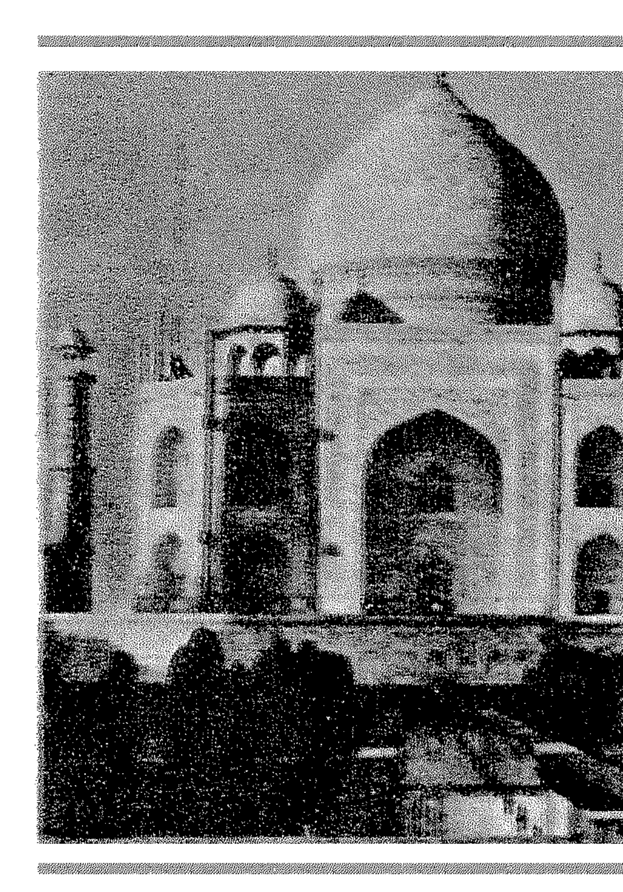
***

هذه تحفة خالدة · انها اجمل ما فى الهند· معابد الهند ضخمة وثقيلة ومحملة بما تضيق له النفس من التماثيل والصور ··· وقد قال المعمارى الانجليزى انطونى توبج : غير معقول أن يظهر مثل هـذا العمل من يد هندية! وهو معذور فى ملاحظته فهو لا يعرف الاسلام ·· هـــذا الجمال كله ، هـــذا الابداع نابع من الاسلام ·لان اليد التى رسمت وصنعت يد مسلمة مؤمنة ..

ح · م

مسجد القدم الأحمر فى دلهى ، يعتبر من أجمل الآثار المعمارية الاسلامية فى الهند ، وهو من انشاء سلاطين اسرة لودى . . والفرق كبير بين هذا المسجد رغم جماله ، والفتنة التى تتجلى فى التاج محل ...

تاج محل ... أجمل روضة فى الدنيا واستطاع المعمارى استاذ عيسى كل جزء فيه من روح الفن الاسلامى .. فجاء هذا المبنى الفريد فى بابه أحد عجائب الدنيا السبع ..





نحن الحقيقة

رضىَ الزمان فكل شيء ناضـــــر
نحيي الزمان ونعمر الأطـــلالا
عبر الحنينُ إليكَ ليلا مظلمـــا
والصبح أن يلتقى لديكَ منـالا
اضنى الســهادُ إلى رؤاكَ عيونه
فـكفاكَ يا روح العيون دلالا
ما للفؤاد بغير ودك ملجـــأ
أنتَ الملاذُ حقيقة وخيـــالا !

***

رضىَ الزمان فكل شيء ناضـــــر
الزهرُ أضوى عطرهُ واختـالا
والطيرُ غنّى للأحبةِ مبدعا
والغصنُ أعجبه الغناءُ فمالا
والماءُ يجرى فى الجداول راقصا
والحسن قد ملأ الوجودَ جمالا
الكل قد شربَ الهوى ورحيقهُ
خمرا تميلُ العاشقين ثمالا
غابَ الجميع عن الوجود فما دروا
حلَّ الصباحُ أمْ المسا قد طالا

***

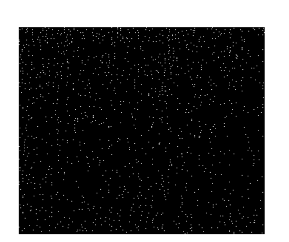
رضىَ الزمان فهل أتيت مخاصمى
نصلُ الزمانَ ونبعثُ الآمالا
نلهو كما كنا بسالف عهدنا
ونرومُ للنجم البعيد نـوالا
نسعى إليه على شعاع رقرق
لا شيءَ يبدو ، أو نراهُ محـالا
فالشمسُ تشرق لو أردناه الضحى
والضوءُ يمضى لو نشاءُ زوالا
ملأ الهوى أعطافنا فاذا بنـــا
نحن الحقيقةُ والجميع ظـلالا



د. مصطفى الجندى
جامعة كمبينس
البرازيل

العقلية الغيبية..

ليست وصف ذم كما يزعمون!



د. محمد كمال جعفر

ينهج الكتاب الاسلاميون مناهج شتى فى الحديث عن خاتم الانبياء وسيد المرسلين صلوات الله عليه ، وتسيطر عليهم عوامل عدة للوصول بكتاباتهم الى غايات محددة . ولا عجب أن تكون شخصية نبينا مصدرا ثرا للايحاء والامداد بكثير من الخواطر والافكار ، فلم تصادف الدنيا شخصية أثرى وأملأ من هذه الشخصية التى أبرزها الله عنوانا على رحمته وحبه ولطفه بالخلق أجمعين .

ولا غرو أن تفيض الاشعار والاقوال والكتابات المنشورة حوله صلى الله عليه وسلم اما مدحا لجلاله وتيمنا بذكره ، أو عرضا لما تيسر للكاتب من جوانبه الانسانية ، أو تلميحا الى بعض خصائص دعوته أو رسالته أو مكانته الالهية ، الى غير ذلك من الموضوعات التى لا ينالها حصر .

وقد تخلف لنا تراث ضخم من الادب الرفيع الذى يضوع فيه عطره صلى الله عليه وسلم ؛ دبجته أقلام واعية ، ونفثته قلوب مخلصة مفعمة بالحب والاجلال له صلوات الله عليه منذ تشريفه لهذه الارض ، حيث رأوا أن خلاصة المكارم الانسانية قد تجمعت فى محمد الشاب ، وفى محمد الكهل ، فكان شبابه صلى الله عليه وسلم مقدمة طبيعية لاصطفائه .

وقد كان صلوات الله عليه تجسيدا حيا للقرآن ، بمعنى أن صفات الكمال التى رسمها القرآن وأنبأنا الله انها موضع حبه وتقديره قد تجلت فى محمد أقدس ماتكون وأسمى مايؤمل لها فى انسان . فقد كان صلوات الله عليه المرآة المجلوة التى عكست من صفات الحق ما سمحت به الطاقة البشرية وما أعان عليه الستر الالهى .

ان أهم نقطة تحول فى المجال الاخلاقى تحققت بخاتم النبوة هى ربط الفضائل الاخلاقية الانسانية بالاخلاق الالهية ، لان ذلك استتبع تحولا خطيرا فى المقاييس الاخلاقية ذاتها حيث برزت قيمة البواعث والدوافع وسمت على الاعمال فى حد ذاتها .

حقا لقد بذل المسلمون الصادقون جهودا فائقة فى سبيل تمثل تلك المكارم متأسين فى ذلك بالرائد الامثل صلوات الله عليه . هذا الرائد الذى جمع فى أعطافه بين طرفين متباعدين يعسر على أى

كائن مهما بلغ من القوة الروحية أن يجمع بينهما • جمع بين **جلال القرب المشار اليه بقوله تعالى : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى » • وبين جمال التواضع والرحمة فى قوله صلى الله عليه وسلم « انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد »** لقد كان هذان الطرفان المتباعدان يتناوبانه ليؤديا به ما أريد له من بسط الدعوة واعلاء كلمة الحق وسيادة قانون السماء

ان أى حكم منصف ، ان فى الشرق وان فى الغرب — لا يستطيع الا أن يقر بأن الفترة التى سعدت فيها الارض بالوجود المحمدى بعد الرسالة هى فترة البناء الاخلاقى المدعم الكامل على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة • ولقد أثبت هذا البناء متانته وحصانته بقدر ما خاض من صراع ، كما أثبت انتصاره ونجاحه تجاه الاحداث التى أحاطت به سواء كان ذلك تجاه المعارك والغزوات ، أو تجاه المواثيق والمعاهدات ، أو تجاه صنوف الغدر والوان الخيانة والحماقات ، أو تجاه الدماء والحرمات ، أو تجاه الافكار والمعتقدات •

ولا يسع المحلل لتلك الفترة الا أن يعترف بأن قوة هذا البناء وايجابيته انما ترجع الى أنه كان بناء حيا لم يقم على مجرد الوصف والشرح والتحليل للفضائل والرذائل ، وانما قام — فى الاهم — على التجربة والتطبيق الحى لمقتضيات مارسمه القرآن فى خطوط عريضة ، وما أبداه صلوات الله عليه بحاله فى تفصيل وايضاح حى ملموس •

نقول كل ذلك أمر معروف مطروح ولا مشاحة عليه ، وانما يهمنا هنا أن نشير الى شىء خطير لفت نظرى ودفعنى دفعا الى الكتابة فى هذا الموضوع ، معبرا عن وجهة نظرى ازاء هذا الاتجاه الذى بدأ يذيع تذرعا بتقدم العلم وضرورة السير على هديه ومقتضياته • وأصحاب هذا الاتجاه جد مختلفون ، فمنهم المخلص الذى يزعم فى صدق أن أى تعليل علمى لاية ظاهرة من ظواهر الدين أو سمة من سمات الرسول انما يكسب الدعوة ذاتها والدين نفسه ظهيرا ونصيرا ، ويجعله سهل التقبل لدى المسلمين وغير المسلمين على السواء •

ولكن هناك أيضا من أصحاب هذا الاتجاه من يهدف الى تضييق دائرة الدين والنبوة ليجعلها محدودة برسوم العقل ، ويحيل كل جوانبها ومسالكها الى أمور مفهومة ومعقولة بحيث تؤدى فى النهاية الى أن يكون الدين أو تكون النبوة تميزا عقليا ملحوظا وعبقرية خاصة يمكن استيعابها وتعقلها ، وليترك فى سبيل ذلك ما لا قبل للعقل أن يفهمه ، وللعلم أن يفسره ويحلله ، ولا نسرف فى القول اذا ذهبنا الى ان هذا الفريق الاخير يقصد الى احالة الدين الى مجموعة تنتمى الى النظم الفكرية والمعقولة ليتهيأ السبيل بذلك الى الحكم بأن الدين والنبوة لا يخرجان عن كونهما نظاما عقليا انسانيا

والعجيب أن الفريق الاول المخلص لا يدرك أبعاد أهداف الفريق الاخر ، والادهى من ذلك انه يردد كثيرا بعض عبارات هذا الفريق الاخير ، ويهاجم فى سبيل ذلك ما يسميه « بالعقلية الغيبية » أى العقلية التى تسلم بالمغيبات التى لا تقع تحت حس أو برهان عقلى واضح •

ولا يدرى هذا الفريق المخلص انه قد قامت فى الغرب محاولات متتابعة لابداع دين عقلى يستوحى حاجات الناس ويتناسب مع مقتضيات تطورهم ، والفت فى سبيل ذلك كتب ضافيه ، وأسست مذاهب عديدة ، ولكنها جميعا باءت بالفشل لعجزها عن اشباع الكفاءات والطاقات الانسانية المختلفة •

ان هذا الاتجاه الذى يزعم أصحابه أنه اتجاه عقلى يعمد الى أى عنصر من عناصر الدين أو السيرة النبوية المطهرة فيسلط عليها عقله — وقد صب هذا العقل فى قالب محدود من التربية والمعلومات والاراء والافكار المسبقة — وان شئت قلت عقله « التحكمى » ، فما وجده خاضعا لمقتضيات هذا العقل الخاص المحدود التحكمى أقره، وصدقه عقليا ، فان تجاوز ذلك حدود عقله ، كذبه وهاجم القائلين به ونسب تأخر المسلمين الى القول بمثله ، الى غير ذلك من قوائم الاتهامات التى لا تخلو منها كتابات هؤلاء •

وقد يكون لهؤلاء بعض العذر لو انهم كانوا يكتبون في الغرب بالنسبة للدين أو النبوة في الغرب ، حيث يعج التراث هناك بما لا سبيل للعقل المتسع المدرب الى تقبله ، أما أن يكتب هؤلاء عن عناصر شخصية محمد صلى الله عليه وسلم أو عن عناصر دينه بهذه الروح ، فذلك مالا سبيل الى قبوله أو السكوت عليه ٠

ان المسلم يرتكب خطأ فادحا واثما كبيرا في حق دينه ونبيه اذا كذب شيئا أو هاجم لمجرد انه لم يتضح لذهنه المحدود سره أو معناه ، حتى ولو تعلق الامر بمعجزاته صلى الله عليه وسلم ، أو بعض تعاليمه ٠

ولايضاح ذلك نبادر فنقول ان الوصف « بالعقلية الغيبية » لا نفهمه على انه وصف ذم كما أراد له مذيعوه أن يكون ، بل هو شهادة فعلية باتساع أفق المسلم ، وانفساح معرفته ، وتفتح قلبه اهتداء بسعة علم الله واحاطته وشمول قدرته ، وهو عبدالله لا بد أن يظهر عليه أثر من آثار سيده الحقيقي ٠ ولا غرو أن تتصدر سورة البقرة ــ أطول سور القرآن ــ بهذا **الرمز الغامض ((ألم)) متبوعا بقوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ٠٠ الذين يؤمنون بالغيب »)**

واذا تأتى أصحاب هذا الاتجاه المضاد لما يطلقون عليه « العقلية الغيبية » فسيبصرهم الله بأبعاد هذا الموقف الذى يشير اليه القرآن في اجمال في بعض المواضع ، وفي تفصيل في بعض المواضع الاخرى ٠

ولو شئنا لخضنا بهم لجج القرآن لنضع أيديهم على ما لا يحصى من درر الغوامض والاسرار التي يقف أمامها العقل متلقيا مستهديا مسترشدا ، لا مشرفا مهيمنا معاندا ، ولكن ذلك يخرج المقال عن حيزه المقدر ، وحسبنا في هذه العجالة أن نوضح انه ينبغي أن يفرق هؤلاء تفريقا حاسما بين أن يكون **الشيء مناقضا لمقتضيات الضرورة العقلية ، وبين أن يكون مجاوزا الحدود المرسومة للمعرفة العقلية**

ان الشيء اذا كان مناقضا لمقتضيات الضرورة العقلية صار **باطلا مطرودا من دائرة الحق** ، وهنا يجب التكذيب به وانكاره ٠ أما اذا تجاوز الحدود المرسومة التقليدية ، فليس في العقل ذاته شاهد واحد على بطلانه ، بل غاية ما يمكن للعقل أن يقول فيه : انني لا أتبين مسالكه ولا أفهمه ، ولكنني في الوقت ذاته لا أملك رفضه ، لانني مطالب في الحالين ــ حال القبول ، وحال الرفض ــ بالمعرفة الشمولية لهذا الشيء وادراك برهان هذا ، أو برهان ذاك ٠

ان المعجب المفجع حقا ، أن يتبنى العلم الحديث نفسه نوعا من العقلية الغيبية في خطوات سيره الاولى قبل وصوله الى نظرية نهائية أو قانون عام ، كما يتمثل ذلك في بعض الفروض العلمية التي تأسست على الخيال ، والتي كانت آنذاك نوعا من الرجم بالغيب ، ولم تحظ بالقبول والاحترام ، الا بعد أن كشفت التجارب العديدة عن صدقها ونفعها ٠

لقد صرح كثير من علماء الطبيعة والكيمياء والفلك في كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا بأن الريادة العلمية انما تتمثل في حرية الانطلاق من خيال العالم مجاوزا بذلك حدود معطيات الحس ، وان بدا في عصره مغرقا في البعد والايغال بل واللا تعقل ٠

ونحن ندرك الان أن كثيرا من المخترعات العلمية الحديثة لم تكن الا مجرد فروض ضاربة في أعماق الخيال ، بل قد وصفت أحيانا بأنها ضرب من الهوس والجنون ، ولا ندرى ماذا يكون وقع هذه المخترعات على أسلافنا اذا قدر لهم أن يروها في عصرنا بعقليتهم الماضية ٠

ان الخطير في الامر حقا أن كثيرا من هؤلاء الذين يحبون أن يصموا المدافعين عن النبوة أو عن المعجزات أو عن كل الظواهر الدينية ، بالعقلية الغيبية ، قد تأثروا بما كتبه بعض العلماء التجريبيين المحدثين عن الدين أو عن النبوة ، ظنا منهم أن هؤلاء العلماء انما يكتبون منطلقين من أرض صلبة هي حقائقهم العلمية التي كشفوا

عنها ، والتى نراها نحن الان رأى العين وننتفع ببعض آثارها •

وهذا ظن باطل ولا شك ، وقع فيه بعض العلماء أنفسهم حين تناسوا حدودهم العلمية فأطلقوا السنتهم وأقلامهم من مواقف غير علمية بالمرة • اذ أن علمهم محدود بحدود مقتضيات معاملهم وتجاربهم المتصلة بتخصصاتهم الجزئية ، انهم لا يملكون حتى مجرد الحديث عن ميدان العلم جملة من منطلق علمي ، وذلك لان قاعدة العلم عندهم تفرض عليهم التخصص الجزئى الدقيق اذا أرادوا أن يصلوا من بحوثهم الى شيء ذى بال •

ومن أجل ذلك ترك لفلاسفة العلم أن يعالجوا هذا الجانب الشمولى بالنسبة للعلوم جملةولم يترك ذلك للعلماء أنفسهم لانهم لا يستطيعونه •

وخلاصة القولأن مواكبة العلم بالسير على نهجه لا تكون بتطبيقه على ما ليس من شأنه أن يكون مجالا للتطبيق ، وأن كتابة العلماء عما هو خارج عن نطاق تخصصهم انما هى كتابة عادية لا تستمد سندا من البحث العلمى ولا تكتسب تأييدا من البراهين العلمية ، ولا ينبغى للمفكر المسلم النزيه أن يضفى على هذه الكتابات او الاقوال أضواء الشخصية العلمية لانها عارية عن ذلك تماما •

واذا كان ذلك كذلك لم يكن للمثقف المسلم أن يهرع فى بلاهة الى تطبيق منهج علمى ـ وضعه أهله لعلم مخصوص ولغاية محددة ـ على قضايا دينية أو جوانب شخصية نبيه متجاهلا العنصر السماوى الغيبى الذى يشكل لب الدين وجوهره ولب الشخصية المحمدية وجوهرها •

ولا ينبغى أن يفهم من ذلك اننا نحظر تناول جوانب الشخصية المحمدية من زوايا انسانية مطبقين فى ذلك مناهج انسانية معروفة ، فلذلك فائدته التى لا تجحد ولكننا نحظر أن يفهم من معالجة هذه الجوانب المختلفة اننا استوعبنا حقيقة الدين أو حقيقة الشخصية المحمدية

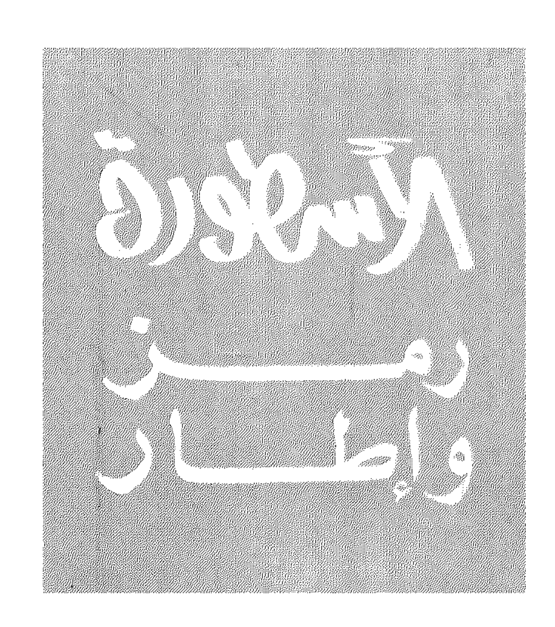
حقا يطيب للدارس أن يرى فى رسول الله شخصية القائد المحارب الذى يعد العدة وينظم الجيش ويدير أمور الحرب بروعة تستحوذ على لب كل منصف • ولكننى لا اظن أن له الحق فى ادعاء انه بذلك كشف عن عبقرية يمكن وضعها بين أو فوق العبقريات السياسية أو الحربية فى التاريخ • ان هذا الحكم الاخير تجاوز لقدر الكاتب ، وجرأة قد تخلب ألباب بعض الناس ، ولكنها تحجب من نور الله بقدر ما تضيء من جانب الانسان •

ان الزاد الذى خلفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرآن وسنة ليس زادا للفكر وحده ، ولكنه زاد مركز مكتمل يمد الفكر والوجدان والسلوك ، مؤديا بذلك الى تكوين شخصية انسانية ليست كاملة فحسب ، بل شخصية تبرر سجود الملائكة لرمز هذه الانسانية واستخلاف الله لها فى الارض •

***

وليكن معلوما ان العلم يسقط الانسان من حسابه تماما حتى انه اذا عالجه فانما يعالجه كأنه ظاهرة طبيعية أخرى ، ولكن الله جل جلاله لا يسقط الانسان من حسابه بل هو يخبرنا انه خلق كل شيء لاجله ، وهذا منزع لا يستطيع العلم الحر مهما أوتى من وسائل مساعدة أن يدركه أو يحدس به ، ومن ثم وجب على المسلم أن يضع العلم الحديث فى موضعه الصحيح من حيث الانتفاع بآثاره فى تسخير قوى الطبيعة وتذليلها وتطوير الحياة الارضية فى واقعها الحالى • وليعلم أن العلم بمعداته الهائلة انما يدور فى فلك « ظاهر الحياة الدنيا » ، واذا حكم عقله فى نزاهة وعدم تحيز ، وحقق انسجاما فى شخصيته بينه وبين وجدانه ونزوعه ، أدرك على الفور اتساع نطاق دينه بحيث لا يظهر كشف علمى الا فى اطار المربع الضيق الذى أشار اليه هذا الدين الحنيف ، وليعلم كذلك انه بالعلم ذاته ـ أى دون تدخل آراء العلماء الشخصية التى تختلط أحيانا بقضايا العلم ـ يكتسب الدين نصيرا لا عدوا ، وتابعا لا رائدا •

ومن هذا المنطلق نرجو الله أن ييسر لنا الوقت والجهد لتناول بعض الجوانب الروحية العميقة فى رحمة الله العامة الممثلة فى محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا النبع الثر الذى نرجو لشبابنا ورجالنا أن يعبوا منه ويتمثلوه ليصبحوا طاقة خلاقة فى شتى ميادين الحياة ، وليكونوا ثمرة لخير أمة أخرجت للناس





د. محمد عبد المنعم خاطر

تتشابه الامم في عصورها المختلفة ، ويرى علماء الاجتماع ان البشرية على امتداد تاريخها الطويل قد مرت بالعصر الاسطورى ، ثم بالعصر الدينى ، وهاهى ذى الان تمر بالعصر العلمى ، وكل عصر من هذه العصور قد ترك بصماته الواضحة على مسار البشرية التى لا تزال تحلم احيانا بمهد طفولتها الأولى وتنتشى احيانا بذكرى اساطيرها الأولى ، بل انها لاتزال فى كثير من الاحيان تهفو الى تفسير الاشياء خرافيا واسطوريا ..

ومن هنا كانت دراسة الاساطير ارضاء لهذه النزعة الفطرية من جهة ومجالا خصبا لدراسة النفس البشرية من جهة أخرى .

وبما أن الامم تتشابه في عصورها المختلفة ، فلقد كان هناك العصر الاسطورى الذى شهد طفولة الزمان ، وشهده الاغريق القدماء حينما كانت تسبح خيالاتهم فوق قمة جبل «دلفى» وحول عيون المياه المقدسة ، فتصوروا الالهة يحبون ، ويبغضون ، ويحقدون ويثورن ، ويخدعون !

كما شهده العرب القدماء حينما كان شعراؤهم يهيمون مع الشياطين فى الوديان ، يستلهمونهم الشعر ، ويطارحونهم القول ، ويستعينون بهم فى الملمات ، بل ويقاتلونهم وينتصرون عليهم !

وشهده المصريون القدماء حينما نزل الالهة « ايزيس وأوزيريس وبنت » الى الارض ، فكان الصراع الخالد بين الخير والشر .

وأساطير الامم كالافراد لها حظوظ وللحظوظ جاذبية ، ولا شك أن حظ أساطير الاغريق كان أوفر ، فلقد استحالت اساطير الالياذة والاوديسة ، وغيرها الى مسرحيات «اتلانتا »وجالميد وأجاممنون ، وبروميثيوس ، وأرستس وميديا ، وأوديبوس ، وأنتيجون وافيجينيا بين الطوريين ،وافيجينيافى أوليس على يدالشعراء الاغريق يوريبدس وسوفوكليس وايسخيلوس وغيرهم .

اما الاساطير العربية التى تناثرت فى كتاب الحيوان ، وسيرة ابن هشام وبلوغ الارب ، وعنترة ، والاميرة ذات الهمة ، وسيف البزن ، وغيرها ، فلم تظفر بقليل ولا كثير من الدراسة او الاستلهام .

واما الاساطير المصرية فلم يطف منها



على السطح الا اسطورة « ايــزيس واوزيريس » وبخاصة بعد أن انتقلت ديانة « ايزيس » الى الاغريق واستطاع « باخوس » اله النماء والخير أن يتقمص شخصية « اوزيريس » .

هذه الاسطورة كان لها اثرها في الادب الشعبي ، فـ « سعد اليتيم » ماهو الا « حورس » الذى استكن فى ضـمير الشعب المصرى .

من هنا يتبين مدى اهمال العقليــة العربية بعامة ، والمصرية بخاصــة فى استلهام الاساطير ، والانتفاع برموزها ومدلولاتها ، واطرها المعدة سلفا لاحتواء الرموز ، والمدلولات ، والفلســفات المختلفة .

هذا الاهمال وقف دون شــك فى سبيل اخصاب العقلية العربية ، وسد الطريق امام مجال حيوى كان له اثره الحى ، بل الخطير فى النهضة الاوربية حينما كانت الاساطير تشحن بمعــانى الثورة ، والتمرد العقدى ضد خرافات الكنيسة فى القرن السادس عشر .

وعلينا كرجال فن وادب ان نســتغل الاساطير ، وان ننقب فى التــراث وان نبحث عن الجذور ، كى نصل الى الاعماق ، والى المقومات الاصــيلة ، فنستلهمها من جــديد . فى الوقت الذى نفتح فيه مجالا خصبا يثرى ادبنا حينما نستغل الاسطورة كرمز واطار .

صحيح ، استطاع توفيق الحكيم ان يستلهم أساطير الاغريق ، براكســا وبجماليون ، والملك أوديب ، وان ينقب عن أساطيرنا فى اهل الكهف وشهر زاد وسليمان الحكيم ، وايزيس ، والسلطان الحائر ، وشمس النهار . ولكن المجال لايزال خصــبا ، والارض لا تزال بكرا .. ●

لا تخف...

الموت عالم بهيج!

في عدد يوليو الماضي من « الهلال » نشرنا الحلقة الأولى من هذه السلسلة المثيرة من أوصاف دخول الناس في الموت وانتقالهم من دار الفناء الى دار البقاء .

أتينا بأحاديث نفر ممن كانوا قد « ماتوا » فعلا ، ولكن الاطباء استطاعوا ان يعيدوهم الى الحياة بوسائل الانعاش الحديثة التى تتقدم يوما بعد يوم فى المستشفيات الاوروبية .. عادوا الى الحياة من جديد ليقصوا علينا ماشعروا به وما رأوه وما سمعوه فى ساعات الانتقال من الحياة الى الموت ..

لقد عنيت بالامر معاهد علمية كبرى فى اوروبا وأمريكا ، ومضى رجالها يجمعون المعلومات من «الموتى ، الاحياء» ويدرسونها ويحللونها وينشرون البحوث عنها .

وفيما يلى نتابع نشر أقوال نفر آخر من العائدين من عالم الموت مع ملاحظات الاطباء والباحثين وعلماء النفس ..

فى ٦ فبراير ١٩٧٦ توفى ارتور فورد البالغ من العمر اثنتين وخمسين سنة ، من أهل فلوريدا .

وجدوه فى فراشه في الصباح يلفظ آخر انفاسه على أثر نوبة قلبية اصابته بعد الفجر بقليل . **بعد دقائق توقف** قلبه ونفسه تماما . حاول الاطباء ورجال الاسعاف انعاشه فلم يستطيعوا حملوه الى مستشفى كورال جيبلز فى فلوريدا ودفعوا به الى غرفة الانعاش النشيط . كان ميتا تماما . بعد ساعة من العمل المتواصل يئسوا .. لا الاوكسجين ولا التدليك ولا حقن الادرينالين ـ استطاعت أن تعيده الى الحياة .

فى النهاية .. وعلى لوحة نبضات القلب الكهربائية ، لوحظت حركة .. ثم اشتدت ، ثم تردد النفس .. وعادت الحياة !

وبعد بضعة ايام من « عودته الى الحياة » قص ما احس به ورآه ساعات الموت :

احسست وكأنني اسبح فى الهواء فوق سريرى ، ورأيت جسدى مسجى على الفراش ،ولم اشعر بشيء غير السلام والاطمئنان يملآن نفسى .

ثم شعرت وكأننى حلقت الى اعلى فى جو الغرفة ، ووجدت نفسى فى واد أخضر تحيط به تلال بهيجة .

وأقبل ناس كثيرون نحوى . كلهم معارف واصدقاء وأقارب انتقلوا الى دار البقاء . عرفت بعضهم فى الحال ، واحتجت الى وقت لاتذكر الآخرين ..



احسست وكأنى أسبح فى الهواء فوق سريرى ، ورأيت جسدى مسجى على الفراش ، ولم أشعر بشئ غير السلام والاطمئنان يملآن نفسى .

كانوا جميعا سعداء بلقائى ، وعلى وجوههم رأيت نضرة ولكن هيئتهم لم تكن تلك التى عرفتها قبل الموت .. عرفتهم عن طريق الاحساس بهم لأن هيئتهم كانت تختلف بشكل ما عن هيئتهم العادية .

من بين هؤلاء ناس ماتوا فى سن عالية ، ولكنى وجدتهم شبابا فى هذه الرؤيا ، وبعض من توفوا منهم اطفالا أو أولادا كانوا اكبر سنا وكأنهم نموا مع السنين .. ولكن لم أر لهم اجسادا انما هو احساس بوجوه وملامح وابتسامات وأصوات رقيقة .. احسست أنهم مثلى تركوا أجسادهم قبل أن ينتقلوا الى ذلك العالم الجديد .

ثم تنهد طويلا وقال :

- اننى الآن لم اعد اخشى الموت ... اننى اعرف ما هو ، ولكن الذى لن اغفره لكم هو انكم اعدتمونى مرة أخرى الى عالمكم هذا بعد أن كنت قد فرغت منه وارتحت .. سامحكم الله ايها الاطباء!

***

كان الدكتور ا . و . ت مريضا بالتيفود ، لم ينفع فيه العلاج ، واشتد عليه المرض ومات . عندما اكتشفوا وفاته في المستشفى كانت قد انقضت عشرون دقيقة على الموت ..

اسرعوا اليه بانبوبة الاوكسجين ، مضوا يدلكون قلبه . أعطوه حقنا عديدة بعضها فى القلب .

بعد ساعتين من العمل الشاق فى غرفة الانعاش عاد الى الحياة .. عاد مريضا بالحمى كما كان ، ولكنه شفى بعد ذلك . وعلى سرير النقاهة فى المستشفى تحدث عن « تجربته » مع الموت ، قال :

لا اذكر اننى غبت عن وعيى تماما ، كنت أحس أننى أموت وأقول لنفسى

انت الآن ميت ولكنك مازلت انساناكما كنت ، ثم احسست بالشيء العجيب الذى نسميه انفصال الروح عن الجسد

رايت جسدى فى الفراش ، روعنى شحوب وجهى . رأيت ناسا كثيرين حول فراشي . الى يسار الفراش كانت هناك امرأتان منحنيتان على . كانتا تصليان . عرفت فيهما زوجتى واختى، احسست بالرغبة فى ان اقول لهما شيئا . كان ذلك مستحيلا ، فقد كنت ابتعد عنهما وعن كل من حول الفراش كانت روحى تغادر جسدى .. كل شيء كان يصغر فى نظرى كأننى ابتعد .. وأحسست اننى اخرج من الحجرة تاركا جسدى ومن حوله هناك . خرجت الى الطريق . لم ار الطريق فى حياتى أوضح مما كان فى ذلك الحين .. كنت احس بالحيوية تفيض فى كيانى كأننى شاب يافع ، لا أدرى لماذا أحسست ان السماء امطرت قبل قليل ..

***

فى يوم بارد من ايام شهر ديسمبر رقد الجندى الامريكى جورج . س . ريتشى على فراش فى غرفة الاشعة فى المستشفى العسكرى فى مدينة ريتشموند بولاية فرجينيا .كان مصابا بالتهاب حاد فى الرئتين . رغم كل محاولات الاطباء كان الشاب يموت . بعد لحظات مات ، كتب الاطباء شهادة الوفاة وسلموها للممرضة الاولى ، ثم أعيد الفراش والجثة عليه الى الغرفة لاتخاذ الاجراءات التى تلى الوفاة .

ثم حدث شيء عجيب ..

استيقظ ريتشى . فتح عينيه . لم يدر اين هو ، ثم تذكر انه كان قد ترك المعسكر بأذن ليقضى عطلة آخر الاسبوع مع أهله ، نهض من فراشه ونزل الى الأرض واتجه الى الباب يلتمس بدلته الرسمية ليلبسها .. قبل أن يلبسها التفت نحو الفراش فرأى شيئا اخافه . على نفس الفراش الذى **نهض منه الآن كانت هناك جثة ممددة . وجه الجثة كان رماديا وحول العينين المغمضتين دوائر سوداء . لابد أن هذا الراقد ميت . مافى ذلك شك . ونظر الى بقية الجثة رأى فى أصبعها دبلة ، تقدم خطوتين وقال لنفسه : ولكن هذه دبلتى . بعد لحظات وجد نفسه يقول: هذا الميت هو انا !-ولكن كيف انفصلت عن جسدى ؟ .**

ثم احس بضياء باهر يغمر الغرفة ، وتمثلت له حياته الماضية ككل حلقة حلقة ، كانت كل مناظر حياته الماضية هناك ، ولكنها كانت واضحة لايختلط بعضها ببعض . واحس وكأنه يسأل نفسه : هل تصرفت تصرفا سليما فى هذا الموقف وذاك ، وذاك هل احسنت استخدام حياتك ..

أراد ان يهرب من تلك الغرفة ، مد يده ليمسك بأكرة الباب ولكنه وجد انه فى غير حاجة لذلك . لقد نفذ من الباب المغلق . فى الممر خارج الغرفة رأى اطباء وممرضات ومرضى على أسرة ذات عجلات وآخرين على كراس تدفعها الممرضات . حاول الكلام مع بعضهم ولكن احدا من هؤلاء جميعا لم يسمع له صوتا .. مس بعضهم بيده لم يحسوا بلمسته ! ..



وبارح المستشفى الى الطريق . كان طريقا عجيبا غير عادي كله نور . كان نورا باهرا جميلا ..

ثم شعر وكأنه يفقد الوعي . لم يعد يحس بشيء ، ثم فتح عينيه ، وجد نفسه في غرفة مستشفى كلها الات وأدوات وعلى فمه وانفه قناع الاوكسجين . بعد لحظات فهم .. لقد نجح الاطباء في انعاشه واعادته الى الحياة بعد ان كان قد توفى بالفعل من الناحية الاكلينيكية . بعد قليل، عندما ازالوا قناع الاوكسجين رأى البيان الطبي المعلق على السرير . أشار الى الممرضه ان تقربه من عينيه . رأى شهادة الطبيب بموته : توفي الساعة التاسعة والربع . تحت هذه العبارة والامضاء رأى امضاء آخر . التاريخ ٩ ديسمبر . ابتسم بمرارة . شعر بحزن لانه عاد من هذا الشارع الباهر الجميل . كان يحس هناك بأنه حر طليق مشرق النفس بلا ادنى هم أو شاغل !

الشيء الذى يستوقف النظر في هذه الحالات التى رويناها وسنأتى بغيرها كثيرا في مقال قادم ، وكلها حالات واقعية حدثت في مستشفيات ولدينا ما يثبتها من الاوراق ، في كل هذه الحالات تتبين انه في لحظة الموت ينفصل شيء ما من الجسد الارضي وينطلق حرا كالهواء .. لنسم هذا الشيء بالروح أو الوعي أو الوجود .. سمه كيف شئت . هذا الشيء الذى ينفصل يرى ويسمع ويتحرك ويطير في الهواء وينفذ خلال الابواب والجدران ، وهو عندما ينفصل يخلف في الفراش أو على الارض جثة ساكنة لا حراك فيها .

ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يعرف عن الموت شيئا ويعرف انه ملاحقه ومدركه يوما من الايام ، ولكنه لايعرف عنه أكثر من انه عندما تجيء اللحظة سيفارق هذا الوجود الارضي .

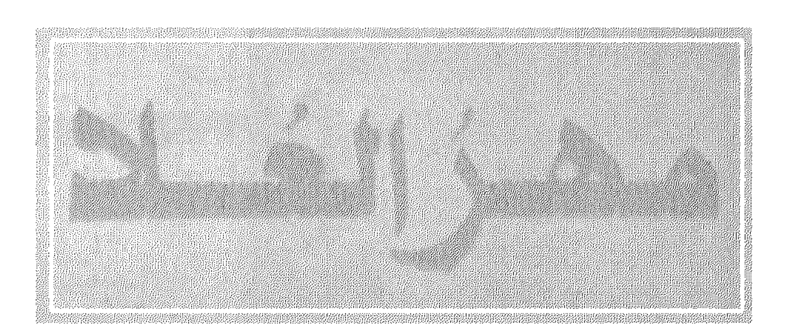
كلنا ــ نحن البشر ــ نعرف انه لامفر لنا من المرور يوما ما من خلال باب الموت . الكثير من الناس يرهب الموت وربما كان الشيء الوحيد الكريه في حياتهم . ومنذ خلق الله الانسان وهو يخاف هذا الموت ويحاول الفكاك منه ، لهذا جاءت الاديان تطمئن الانسان الى ان هذا الموت ليس النهاية وان هناك بعد هذه الحياة حياة ...

ولكن الشيء الذى كان يحيرنا جميعا هو هذا الذى نتحدث عنه هنا : الدخول في الموت ، كيف يكون احساس الانسان ساعته، اذا صدقت رواية هؤلاء العائدين من الموت نعرف الآن انه ليس بالشيء الرهيب أو المخيف الذى نتصوره . انها لحظات جميلة ، عندما تتخلص الروح **من سجن الجسد تحس براحة شاملة لا نعرفها في الحياة ، تحس بجمال باهر ، بأضواء جميلة ، تسمع موسيقى ملائكية وتلقى الاحبة الذين سبقوا الى العالم الآخر تلقاهم وتفرح بهم وتأنس اليهم ، وتجد فيهم خير العوض عمن خلفتهم وراءها في عالم الفناء والشقاء أيضا ..**

والى المقال القادم

● نقلها عن الالمانية د . حسين مؤنس ●

أبيات من ملحمة لامية العرب الجديدة



براهيم صبرى

دعَى الأسى •• وتَعالَىْ نَحْيِى بالأملِ

لا وقت لليأسِ •• والخفاقُ فى عَمَلِ

وكيفَ تَمضى بلا بِشرٍ دقائقُنَا

ما دامَ فى العُمر ساعات مِن الأجلِ

ومن تجَهّم كِبرا •• عاشَ فى سَقَرَ

وللبشاشةِ جَنّات مِن الظلل

وما تكبر إنسان بمكرمةٍ

فالمكرمات عطاء الأنفسِ الذلل

ورُبّ معصية •• والقلبُ فى وجلِ

أجلُّ من طاعة •• والقلبُ فى غفل

وما غَفَلْتُ ولكن مسَّنى شَغَفٌ

بالحبّ يصحبنى فى كل مُنتَقَل

وعصمةُ الله يحبُو الأنبياءَ بها

ولستُ أحسبنى فى زُمرة الرسل

لكنْ عرفت حسانَ الأرض قاطبَة

وليس لى من قميص قُدّ من قبلِ

ولا تقاسُ بعمرِ المرءِ فطنته

لكن بما حَصَّلَت •• من قيَمِ المُثل

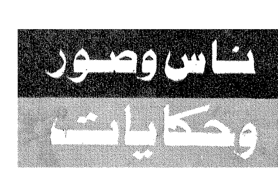
وكم هوى أدركَتْ نفسى فما سَعِدت

إلا بحب لوجهِ الله مُتّصِلِ

وما بلغتُ بآمـــالى بدايتهـــــا
والعمرُ للمنْتَهى يمضى على عجَــــلِ
لكننى جد راض .. ليس يظْفــر بى
حقد ولا تحتوينى ضَيعَـــة المـــللِ
وإن تَقَـــدَّم مَنْ دونى ليسْـبقَنى
زيفا أناس بغَيرِ كـــرائِم الســـبل
حسْبى من المجدِ أنّى عِشـت أطلبُـه
بعفّـــة تتأبّى مسْـلك الخطـــلِ
وإن يكُن كلٌ مجد فى الوَرى خُلِقـا
فمَن تقدَّمَنى فى المجـدِ فليقـــلِ
وليسَ ينطقُ منهم ناطِق أبَـــــدا
إلا إذا نطَقَ الجلمـــودُ من خَجَـــل
والحرٌ يمتلكُ الدنيـــا بقَبْضَـــتِه
وعبد أطمـــاعِه فى شــرٍّ معتَقَـــل
وكم تنـــكرت الدنيـــا لعاشِـــقِها
طمَعا .. وأعطَت جناها كلَّ معتَـــدل
ولا ينالُ امرؤ من كل زينتِهَـــــا
إلا الذى اختـــار أن يحيَا من الأزلِ

***

ولو كَشَفت حجابَ الغيـــب لاطلعَت
عينى على كاتِب الأمجـاد يبسِـــم لى
يقول هذا اختيــــارُك قد نَعِمْتَ به
وإن حملتَ عـــذابا .. غيرَ محتَمَـــل
والصّبرُ مهما يكن مــرا فمَطعَمُـــه
فيه الشِّفاءُ لـــكل الداءِ كالعسَـــلِ
والعُمرَ ساعةُ حظ لست أطلبهـــــا
إلاّ بمهر العُلا .. فى السَّـاعد البطـل
فأحْيِنى اليومَ .. لكن كى أعيشُ غَـدا
أحلى كثـــيرا بما قـدَّمت من قِبَلى
حتّى إذا جاءنى عِـــزربل قلتُ لــــه
لا وقتَ للموتِ .. كل الوقتِ للامل



كارولين تسمع أغنيتها قبل إذاعتها !

● كارولين اميرة موناكو هى عروس العام وحديث الدنيا ، لأنها رفضت امراء واصرت على ان تتزوج رجلا قال عنه اهلها انه صلعوك ، وهو فيليب جومو . وبنات اليوم فى اوروبا معجبات بها لأنها حطمت التقاليد وتزوجت بمن تريد .

الاغانى فيها اليوم بالعشرات ، ولكن واحدة منها نجحت نجاحا لا مثيل له وباعت الملايين ، وهى تقول :

انا بنت وانا حرة ..

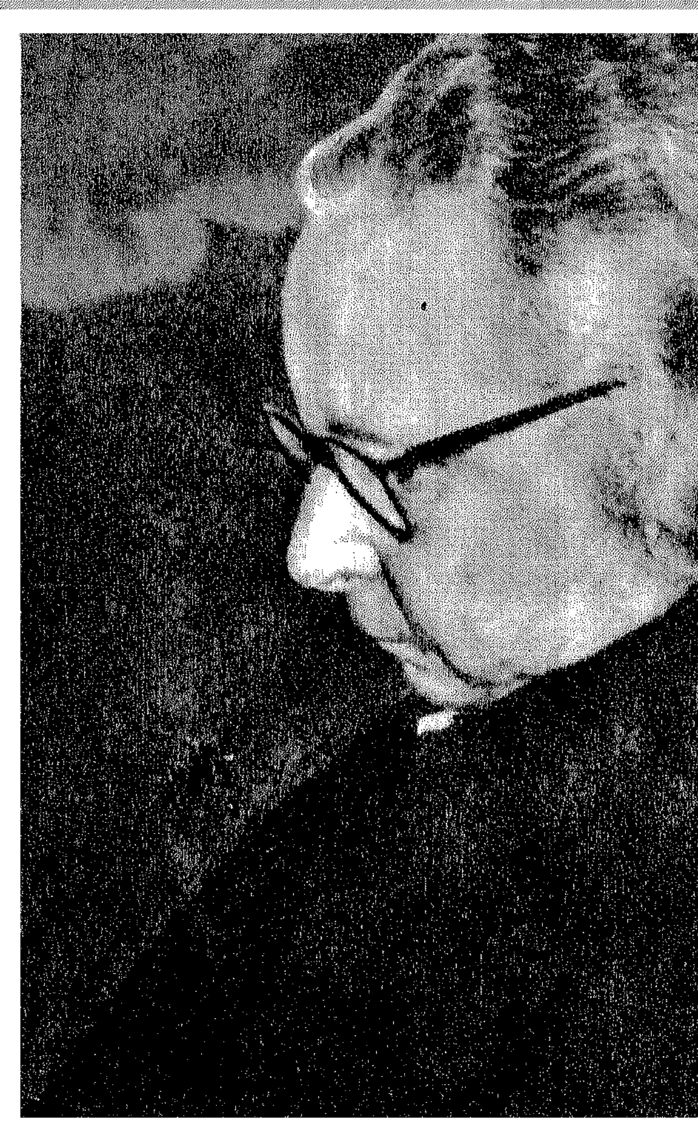
وحياتى ملكى ولو كانت مرة

ارفض الامير واتزوج الصلعوك

تعجبنى الشوارع واكره دنيا الملوك

وصاحبة الاغنية هى صديقتها مارلين كان . وهذه هى كارولين تستمع لاغنيتها ●

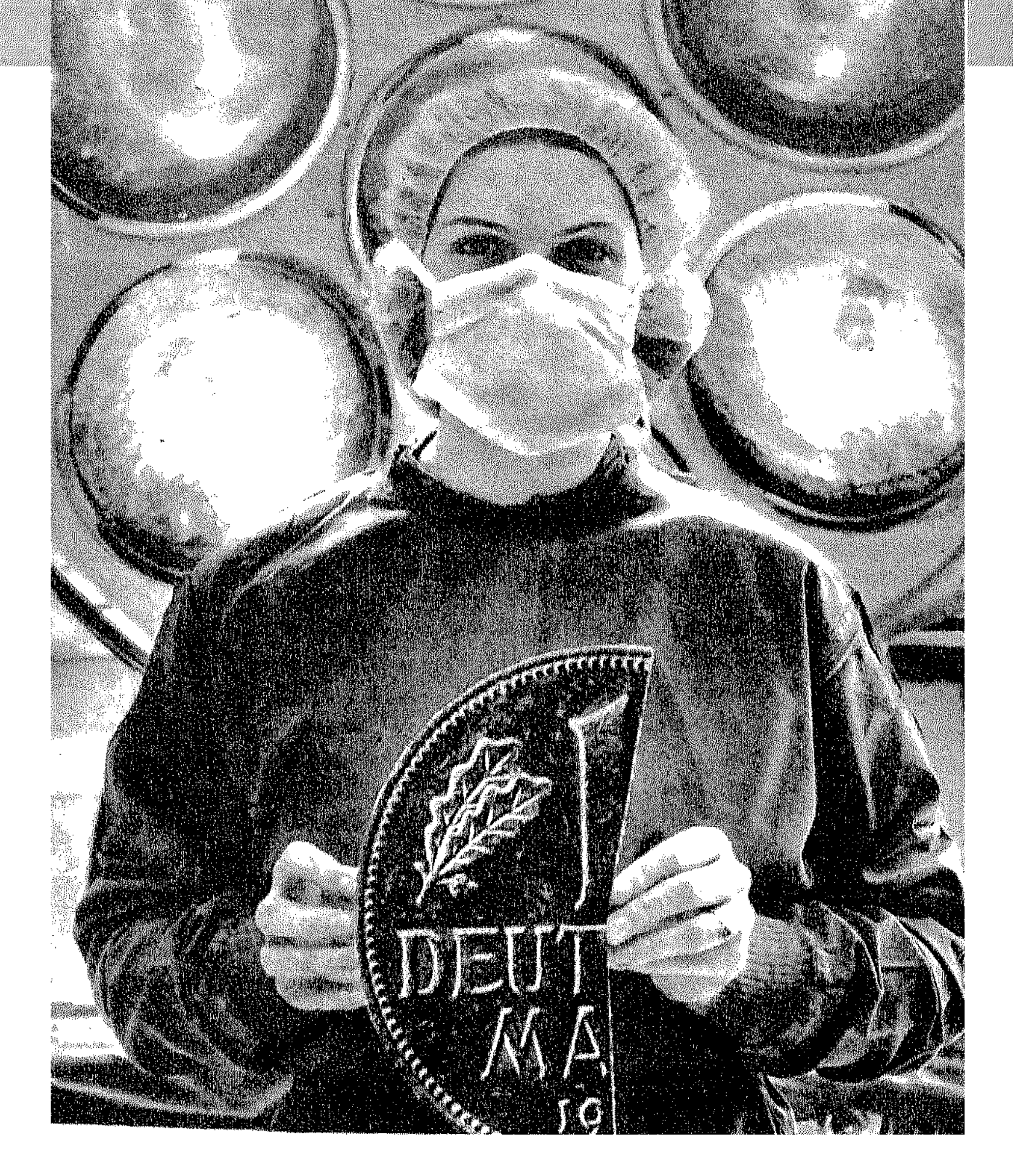




عالم حكم على نفسه بالموت..!

● فى ابريل الماضى ١٩٧٨ ، قتل الارهابيون الالمان ديتريش مارتين شلاير المالى الالمانى الكبير .. وفى شهر يونيو من نفس السنة قتل الارهابيون الايطاليون الزعيم السياسى ألدو مورو بطريقة بشعة . وكلا الجريمتين تمت على نفس يد الجماعة الاجرامية ، وتهدف الى نفس الغرض ،وهو ارهاب الدولة وتهديد أمنها ..

والصورة يمكن ان تكون رمزا على تدهور المجتمع الاوروبى . انه عالم تحت الحصار، أو عالم حكم على نفسه بالدمار . انها لارملة ديتريش مارتين شلاير مع أرملة ألدو مورو .. أرملتان ترمزان الى نهاية عالم آمن ●



أعلى نسبة ضرائب فى العالم !

● هذه الممرضة الالمانية تتقاضى راتبا شهريا قدره ٢٥ر١٨١١ ماركا المانيا فى الشهر ولكنه يصفو على ٣٨ر١٢٢٧ بعد الضرائب والتأمينات ، أى انها تدفع ٤٣٪ من راتبها ضرائب !

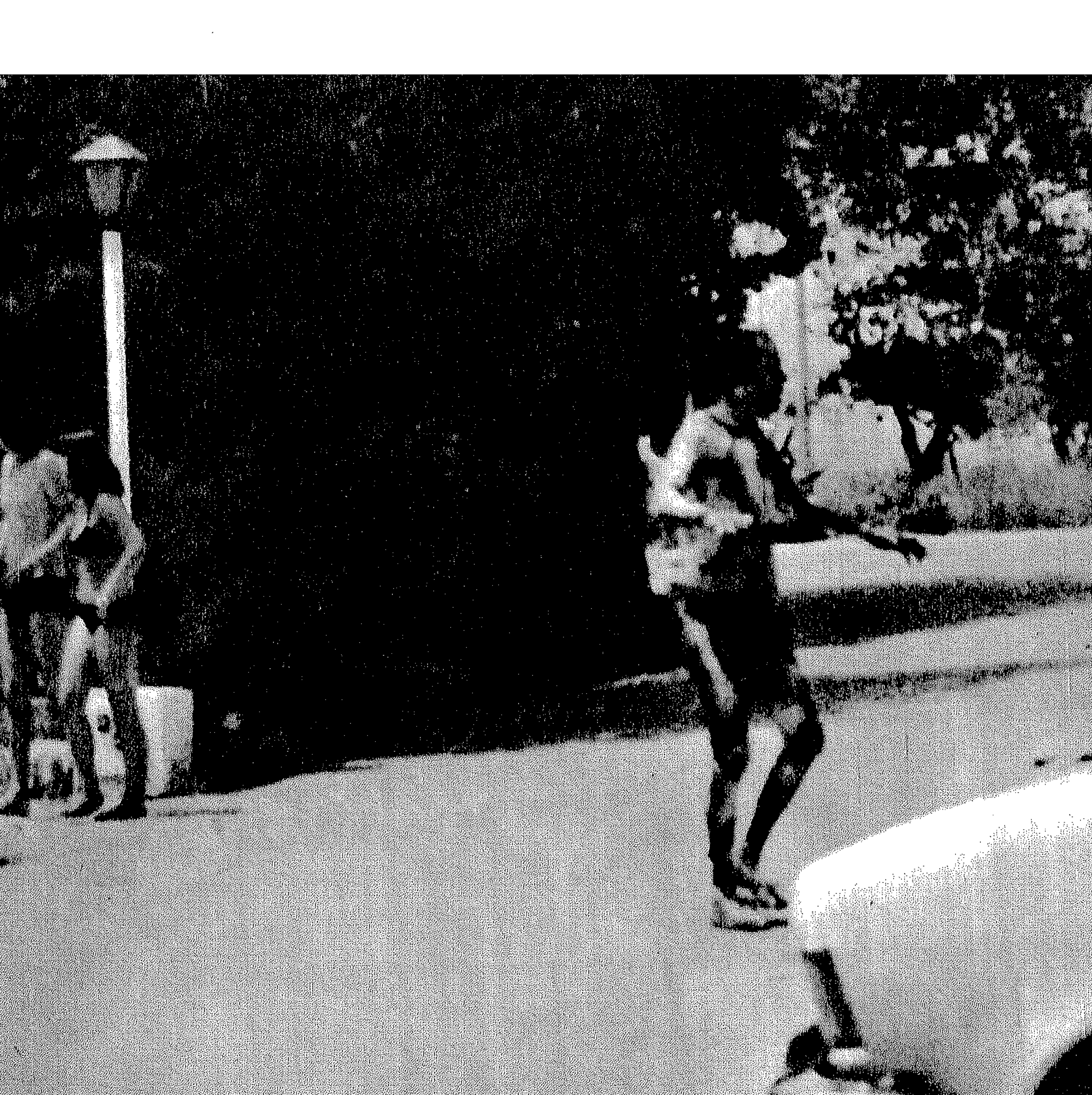
وفى المانيا يدفع الناس أعلى نسبة من الضرائب فى العالم ، ولهذا فان الحكومة الالمانية اغنى حكومة فى الدنيا ، لان شعبها من اكثر شعوب الدنيا انتاجا . ولو حدث هذا فى انجلترا أو فرنسا لتوالت الاضرابات ، ولكن الشعب الالمانى لا يحب الاضراب لانه يحب العمل ، والالمانى يفضل ان يعمل كثيرا ويدفع كثيرا على ان يظل عاطلا يعيش على معونة التعطل من الدولة ●

هـذا الـرجـل الـسـائـر فى الـطـريـق

مـيت بالفعـل

● فى حادث معسكر الصيف فى اسبانيا قرب طركونة جنوبى برشلونة على ساحل البحر ، مات اكثر من مائتى انسان ٠ ماتوا محترقين بغاز الميثولين الذى يستعمل فيما نسميه نحن بغاز الانابيب غاز البوتان ٠ وقد احترق بعض الضحايا تماما وبعضهم احترق جلده بنسبة اعلى من ٣٠٪ ومات فى الطريق الى المستشفى ٠

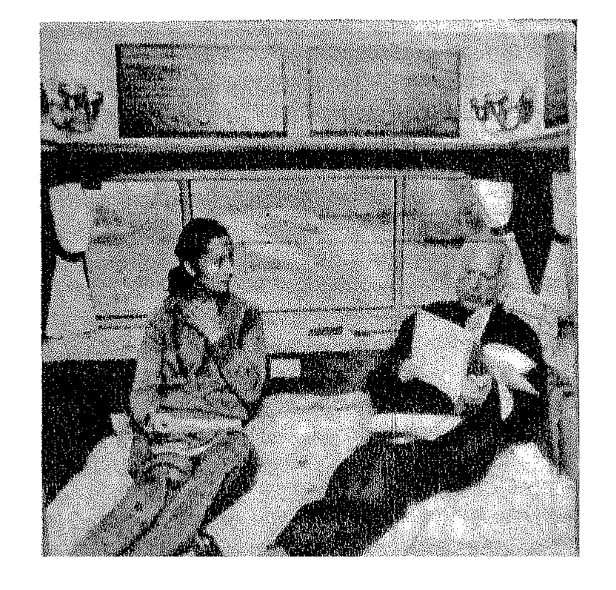
ولكن اغرب ضحايا هذه المذبحة هو ذلك الرجل الذى احترق جلده كله ، ولكنه خرج يمشى فى الطريق وهو ميت ٠٠ بعد دقائق وقع فاقد الروح ! ●



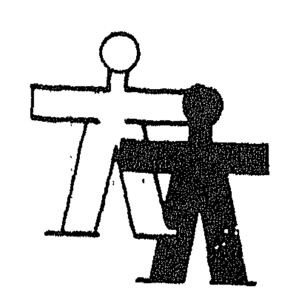
منزل كامل على عجلات!

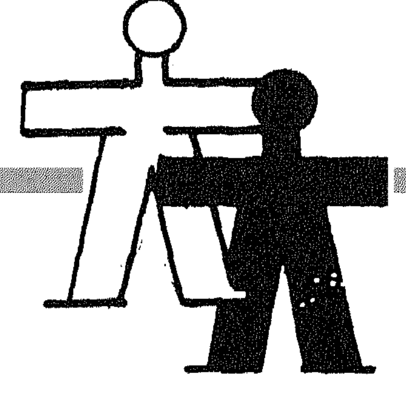
● اصبحت نزهات المصايف فى اوروبا اليوم مستحيلة الا على اصحاب المال الكثير ، فأجور الفنادق مستحيلة واسعار المطاعم اكثر من مستحيلة ..

لهذا تجتهد الشركات فى صنع سيارات رحلات توفر للأسرة كل انواع الراحة فى اجازاتها . وهذه واحدة من اوفاها بكل غرض ،فهى دوران كاملان. وفى الصورة الثانية زوجان فى اجازة يجلسان فى غرفة نومهما فى الدور الاعلى من السيارة كانهما فى بيت



حقيقى . وبهذه المناسبة نقول ان سقف الدور الثانى لهذه السيارة يرتفع قدر متر بطريقة آلية عندما تتوقف السيارة وتحين ساعة النوم ●





العشق:

في مأدبة الفكر والفلسفة

د. النعمان القاضي

في مناظرة رواها المسعودي في كتابه « مروج الذهب » وقعت بمجلس يحيى بن خالد بن برمك ـ تطرق الحديث الى العشق والتناظر فيه ، بين مجموعة من متكلمي العصر العباسي الاول .

وكان يحيي بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث ونظر ، وكان له مجلس يجتمع فيه اهل الكلام ، وغيرهم من أهل الفكر والرأي حيث يدور الحوار بينهم في كل شيء .

وقال يحيي وقد اجتمعوا بمجلسه ذات يوم : ـ « قد أكثرتم الكلام في الكمون والظهور ، وفي القدم والحدوث ، والاثبات والنفى ، والحركة والسكون والممارسة والمباينة ، والوجود والعدم ، والجر والطفرة ، والاجسام والاعراض ، والتعديل والتجريح ، ونفى الصفات واثباتها ، والاستطاعة والافعال ، والكمية والكيفية ، والمضاف والامامة أنص هي أم اختيار ، وسائر ماترددونه من الكلام في الاصول والفروع ... فقولوا الآن في العشق ، على غير منازعة ، وليورد كل واحد منكم ماسنح له فيه ، وخطر ايراده بباله ! » .

وكأنى بيحيى وقد فهم جوهر العشق ، فهو خلافا لكل شيء مما تناظروا فيه وحوله غير قابل للاختصام فيه أو التنازع بشأنه ، لاختلاف الناس في فهمه **وكون كل فهم له صحيحا في ذاته اذ هو تجربة ذاتية فريدة لا تتكرر ولا تتماثل ...**

وكان أول المتحدثين على بن هيثم ـ وكان امامى المذهب ، ومن كبار متكلمى الشيعة فقال : « أيها الوزير .. ... العشق ثمرة المشاكلة ، وهو دليل تمازج الروحين ، وهو من بحر اللطافة ورقة الصنيعة، وصفاء الجوهر ، وليس يحد لسعته ، والزيادة فيه نقصان من الجسد ! »

وتبعه أبومالك الحضرمى ، وهو خارجى المذهب ، فقال : ـ « أيها الوزير ... العشق نفث السحر ، وهو أخفى وأحر من الجمر ، ولا يكون الا بازدواج الطبعين ، وامتزاج الشكلين ، وله نفوذ فى القلب كنفوذ صيب المزن فى خلل الرمل ، وهو ملك على الخصال تنقاد له العقول ، وتستكين له الآراء ! »

وتحدث بعد ذلك محمد بن الهذيل العلاف ـ وكان معتزلى المذهب وشيخ البصريين ـ فقال : « أيها الوزير ... العشق يختم على النواظر ، ويطبع على الافئدة ، مرتقي في الاجساد ومسرعة في الاكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متغير الاوهام ، لايصفو

● العشق امتزاج النفسين ، كما لو امتزج الماء بماء مثله ، عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال ، والنفس ألطف من الماء وأرق مسلكاً.
« ابقراط »

● المحبة تقع بين العاقلين لتشاكلهما في العقل ، ولا تقع بين الأحمقين وإن كانا شكلين في الحمق ، لأن العقل يجري على ترتيب ، فيجوز أن يتفق فيه اثنان على طريقة واحدة ، والحمق لا يجري على ترتيب ، ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان .
« جالينوس »

● ما أدري ما الهوى ؟.. غير أنه جنون علوي .. والهوى لا محمود ولا مذموم .
« أفلاطون »

له موجود ، ولا يسلم له موعود ، تسرع اليه النوائب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، وبقية من حياض الثكل ، غير أنه من أريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشمائل ، وصاحبه جواد لا يصغي الى داعية المنع ، ولا يسنح به نازع العذل » .

وعاد زمام الحديث الى الامامية مرة أخرى حين انبرى هشام بن الحكم الكوفي شيخ الامامية لوقته وكبير الصنعة في عصره ـ يقول : ـ « أيها الوزير ... العشق حبالة نصبها الدهر فلا يصيد بها الا أهل التخالص في النوائب ، فاذا علق المحب في شبكتها ، ونشب في أثنائها فأبعد به أن يقوم سليما أو يتخلص وشيكا ، ولا يكون الا من اعتدال الصورة وتكافؤ في الطريقة ، وملاءمة في الهمة ، له مقتل في صميم الكبد ومهجة القلب ، يعقد اللسان الفصيح ويترك المالك مملوكا ، والسيد خولا حتى يخضع لعبد عبده » .

ثم قال الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر ومن يليهم حتى طال الكلام في العشق بألفاظ مختلفة ، ومعان تتقارب وتتناسب ، وفيما مر دليل عليه .

ويعقب المسعودي بقوله : « تنازع الناس ممن تقدم وتأخر في ابتداء وقوع الهوى وكيفيته ، وهل ذلك من نظر وسماع ؟ واختيار واضطرار ؟ وما علة وقوعه بعد أن لم يكن ؟ وزواله بعد كونه ؟ وهل ذلك فعل النفس الناطقة او الجسم وطباعه ؟

ويجيب المسعودي عن هذه الاسئلة بايراد آراء الاخصائيين من الاطباء كابقراط وجالينوس .. فالعشق كما يراه ابقراط : « امتزاج النفسين ، كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال ، والنفس الطف من الماء وارق مسلكا ، فمن أجل ذلك لا تزيله الليالي ولا تخلقه الدهور ، ولا يدفعه دافع ، دق عن الاوهام مسلكه ، وخفي عن الابصار موضعه ، وحارت العقول عن كيفية تمكنه ، غير أن ابتداء حركته من القلب ، ثم تسير الى سائر الاعضاء ، فتظهر الرعدة في الأطراف ، والصفرة في الالوان ، واللجلجة في الكلام ، والضعف في الرأى ، والويل والعثار ، حتى ينسب صاحبه الى النقص »

وذهب بعض الاطباء الى « أن العشق طمع يتولد في القلب وينمي وتجتمع اليه مواد من الحرص فاذا قوي زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والتمادي في الفكر والاماني والهيمان والاحزان ، وضيق الصدر ، وكثرة الفكر ، وقلة الطعم ، وفساد العقل ويبس الدماغ . وذلك أن التمادي في الطمع للدم محرق ، فاذا احترق استحال الى السوداء . فاذا قويت جلبت الفكر فتستعلي الحرارة ، وتلتهب الصفراء ، ثم تستحيل الصفراء الى الفساد ، فتلحق حينئذ بالسوداء ، وتصير مادة لها . فتقوى ، ومن طبائع السوداء الفكر ، فاذا فسد الفكر اختلطت الكيموسات بالفساد ، ومع الاختلاط تكون الفداحة ونقصان العقل ورجاء ما لا يكون ولا يتم .

ولا يفوت المسعودي أن يعرض لآراء الفلاسفة ومتصوفة الباطنية ، اذ يذهب بعضهم الى أن الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة ، وجزأها أنصافا ، وجعل في كل جسد نصفا ، فكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي معه كان بينهما عشق ضرورة للمناسبة القديمة ، وتفاوت أحوال الناس في ذلك من القوة والضعف على قدر طبائعهم ، وأن النفوس نورية وجوهر بسيط نزل من علو الى هذه الاجساد فسكنتها ، وأن النفوس تلي بعضا على حسب مجاورتها في عالم النفس في القرب والبعد ، وقد ذهب الى هذا المذهب جماعة ممن اعتنوا بدلائل من القرآن والسنن ، ويستدلون أيضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه سعيد بن أبي مريم ، قال : « أخبرنا يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . وفي مثل هذا يقول جميل بثينة :

تعلق روحي روحها قبل خلقنا
ومن قبل ما كنا نطافا وفي المهد

فزاد كما زدنا فاصبح ناميا
وليس وان متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حالة
وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد !

ويرى بعض صوفية بغداد ، أن الله عز وجل انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ، ليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه ، فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله ، اذ كان لا مثل له ولا نظير ، وهو خالقهم غير محتاج اليهم ، ورازقهم مبتدئا بالمن عليهم ، فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى أحرى أن يتبع رضاه .

***

وقبل أن يرفع المسعودى مائدته التى عرض لنا فيها هذه الالوان الشهية والثمار الناضجة من الآراء والافكار عن العشق ، وقبل أن يجدد لنا الدعوة الى مأدبة أكبر وأحفل فى كتابه « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة » ليعود الى وصل ما انقطع من حديثه عن البرامكة ، وماكان من أخبارهم قبل أن يجره الحديث عن يحيى بن خالد الى مجلسه وما دار فيه عن العشق ، يقدم لنا فى نهاية مأدبته العامرة صفحتين احداهما حلوة والثانية دسمة .

وأولاهما تتمثل فيما أورده عن بعض الظرفاء من الكتاب الى أخ له حيث قال : « انى صادفت منك جوهر نفسى ، فانا غير محمود على الانقياد اليك بغير زمام ، لان النفس يتبع بعضها بعضا » .

اما الثانية فتتمثل فيما اورده عن افلاطون — صاحب المأدبة الشهيرة فى العشق — من قوله :

« ما ادرى ما الهوى ؟ .. غير انه جنون الهى ، والهوى لا محمود ولا مذموم ! » .

وهكذا يعيدنا افلاطون من حيث بدانا ، ولقد يظن بعض من يقراون قوله اننا خرجنا من المأدبة جوعى كما دلفنا اليها دون ان نظفر بما يسد رمقنا ! ولكن الحقيقة غير ذلك فالعشق لايتنازع فيه كما فطن الى ذلك يحيى بن خالد ، فلكل منا حقيقته فيه .

الا أن ذلك لم يمنع طائفة من الادباء أن تتخاصم مع طائفة من الفلاسفة حول العشق ، وقد حفظ لنا ابوبكر الرازى فى بعض رسائله لقطات من هذا الخصام على جانب كبير من الطرافة . وقد مثل ابوبكر نفسه الفلاسفة فى هذا الخصام اذ يقول : « ولان قوما رعنا يعاندون الفلاسفة فى هذا المعنى بكلام سخيف ركيك كسخافتهم وركاكتهم — وهؤلاء هم الموسومون بالظرف والادب — فانا نذكر ماياتون به فى هذا المعنى ، ونقول فيه من بعده .

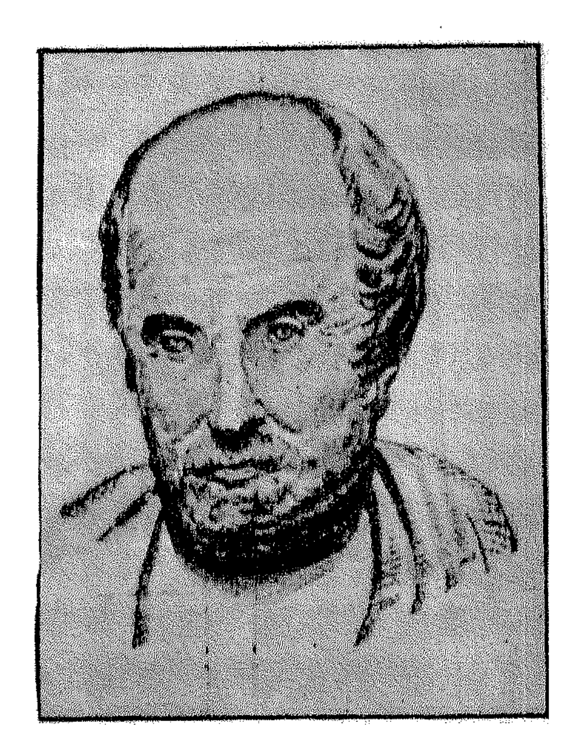
ان هؤلاء القوم يقولون : « ان العشق انما تعتاده الطبائع الرقيقة والاذهان اللطيفة وانه يدعو الى النظافة واللباقة والزينة والهيئة ، ويشيعون هذا ونحوه من كلامهم بالغزل من الشعر البليغ فى هذا المعنى ، ويحتجون بمن عشق من الادباء والشعراء والسراة والرؤساء ويتخطونهم الى الانبياء » .

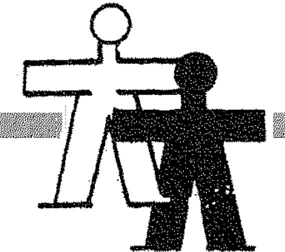
ونحن نقول : ان رقة الطبع ولطافة الذهن وصفاءه يعرفان ويعتبران باشراف أصحابهما على الامور الغامضة البعيدة والعلوم اللطيفة الدقيقة ، وتبين الاشياء المشكلة الملتبسة واستخراج الصناعات المجدية النافعة . ونحن نجد هذه الامور مع الفلاسفة فقط ! ونرى العشق لايعتادهم ويعتاد اعتيادا كثيرا دائما أجلاف الاعراب والاكراد والاعلاج والانباط ، ونجد أيضا من الامر الكلى العام أنه ندر من الامم من أرق فطنة وأظهر حكمة من اليونانيين ، ونجد العشق فى جملتهم أقل مما فى جملة سائر الامم ، وهذا يوجب ضد ماادعوه ، وأعنى أنه يوجب أن يكون العشق انما يعتاد أصحاب الطبائع الغليظة والاذهان البليدة ، ومن قل فكره ونظره ورويته بادر الى الهجوم على مادعته اليه نفسه ومالت به اليه شهوته» .

والرازى ينتهى من استدلاله الى مقارنة العشق لبلادة الذهن ومفارقته للطافته وكأنه يقيم مناظرته بين الفلسفة والشعر . ويرد احتجاج الادباء بكثرة من عشق من الادباء والشعراء والسراة والرؤساء بقوله : « ان السرو والرياسة والشعر والفصاحة ليست مما لايوجد أبدا الا مع كمال العقل والحكمة ، واذا كان الامر كذلك أمكن أن يكون العشاق من هؤلاء من أهل النقص فى عقولهم وحكمتهم ، وهؤلاء القوم لجهلهم ورعونتهم يحسبون أن العلم والحكمة انما هو النحو والشعر والفصاحة والبلاغة ، ولا يعلمون أن الحكماء لايعدون ولا واحدا من هذه حكمة ولا الحاذق بها حكيما ، بل الحكيم عندهم من عرف شروط البرهان وقوانينه واستدرك وبلغ من العلم الرياضى والطبيعى والعلم الالهى مقدار ما فى وسع الانسان بلوغه » .

أما احتجاج الادباء بالانبياء لتحسين العشق ومابلوا به منه فيرده بقوله : « انه ليس من أحد يستجيز أن يعد العشق منقبة من مناقب الانبياء ، ولا فضيلة من فضائلهم ولا أنه شىء آثروه واستحسنوه ، بل انه انما يعد هفوة وزلة من هفواتهم وزلاتهم ، واذا كان ذلك كذلك فليس لتحسينه وتزيينه ومدحه وترويجه بهم وجه بتة ، لانه انما

أبقراط

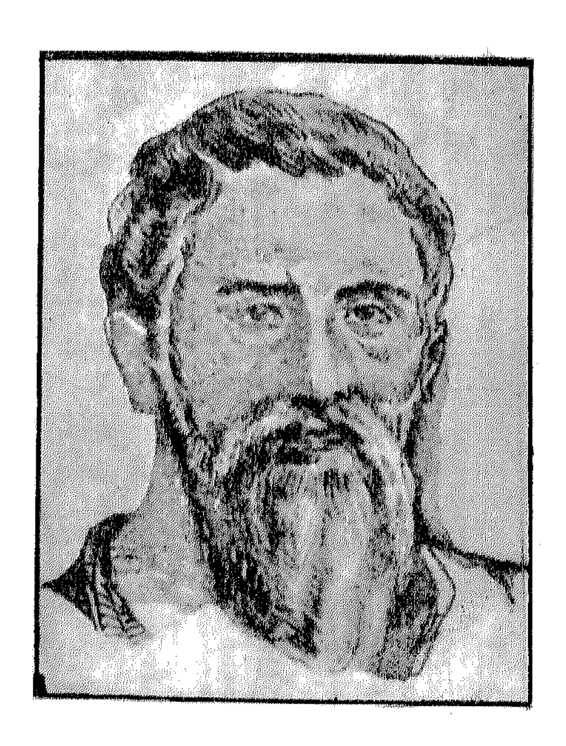




ينبغي لنا أن نحث أنفسنا ونبعثها من أفعال الرجال الفاضلين على مارضوه لانفسهم واستحسنوه لها ، واحبوا أن يقتدى بهم فيه ، لا على هفواتهم وزلاتهم ، وماتابوا منه وندموا عليه ، وودوا أن لايكون ذلك جرى عليهم وكان منهم » ·

ويرد على قولهم ان العشق يدعو الى النظافة واللباقة والهيئة والزينة بقوله : « فما يصنع بجمال الجسد مع قبح النفس ؟ وهل يحتاج الى الجمال الجسداني ويجتهد فيه الا النساء وذوو الخنث من الرجال ؟ »

وكما يحذر الفلاسفة العشق ويرون فيه تسلطا للنفس الشهوانية على النفس الناطقة ، فانهم يحذرون كذلك من الالف الذى يحدث فى النفس عن طول



أفلاطون

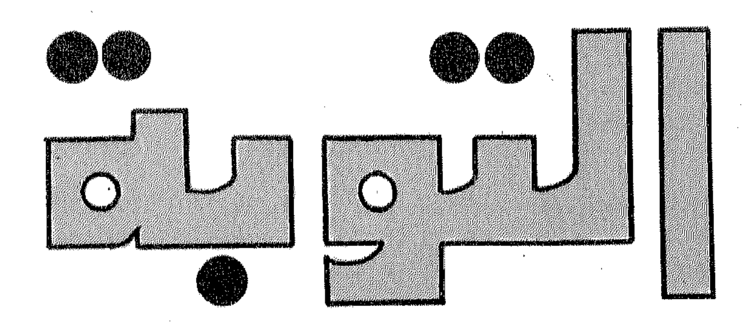
الصحبة من كراهة مفارقة المصحوب ، ويرونه بلية عظيمة تنمي وتزداد على الايام ولا يحس بها الا عند مفارقة المصحوب ، وفى هذا يقول الرازى : « ان مفارقة المحبوب أمر لابد منه اضطرارا بالموت ، وان سلم من سائر حوادث الدنيا وعوارضها المبددة للشمل المفرقة بين الاحبة ، واذا كان لابد من اساغة هذه الغصة وتجرع هذه المرارة فان تقديمها والراحة منها أصلح من تاخيرها والانتظار لها ، لان ما لا بد من وقوعه متى قدم أزيح مؤونة الخوف منه مدة تاخيره · وأيضا فان منع النفس من محبوبها قبل أن يستحكم حبه ويرسخ فيها ويستولى عليها أيسر وأسهل ، وأيضا فان العشق متى انضم اليه الالف عسر النزوع عنه والخروج منه ، فان بلية الالف ليست بدون بلية العشق ، بل لو قال قائل انه أوكد وأبلغ منه لم يكن مخطئا ومتى قصرت مدة العشق وقل فيه لقاء المحبوب كان أحرى أن لايخالطه ويعاونه الالف ، والواجب فى حكم العقل المبادرة فى منع النفس وزمها عن العشق قبل وقوعها فيه ، وفطمها منه اذا وقعت قبل استحكامه فيها » ·

ويحتج لرايه هذا فى فطم النفس عن العشق بما احتج به أفلاطون على تلميذ له بلى بحب جارية فاخل الحب به وبمركزه من مجلس أستاذه ، فأمر أفلاطون بأن يؤتى به ، فلما مثل بين يديه قال : « أخبرني يافلان ، هل تشك فى أنه لابد لك من مفارقة حبتك هذه يوما ما » ؟ قال : « ما أشك فى ذلك » ، فقال له أفلاطون : « فاجعل تلك المرارة المتجرعة فى ذلك اليوم فى هذا اليوم ، وازح مابينهما من خوف المنتظر الباقى بحاله الذى لابد من مجيئه وصعوبة معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الالف اليه وعضده له ! » فقال التلميذ : « ان ماتقول أيها السيد الحكيم حق ، لكني أجد انتظارى له سلوة بمرور الايام عنى اخف علي » · فقال أفلاطون : « وكيف وثقت بسلوة الايام ولم تخف الفها ؟ ولم أمنت أن تاتيك الحالة المفرقة قبل السلوة وبعد الاستحكام ، فتشتد بك الغصة وتتضاعف عليك المرارة ؟ » ·

فرضخ الرجل حينئذ لافلاطون وشكر له واثنى عليه ولم يعاود شيئا مما كان فيه ، ولم يظهر منه حزن ولا شوق ، ولم يزل بعد ذلك لازما لمجلس أفلاطون غير مخل به البتة ، واقبل أفلاطون بعد فراغه من هذا الكلام على وجوه تلاميذه فلامهم وعذلهم فى تركهم واطلاقهم هذا الرجل وصرف كل همته الى سائر أبواب الفلسفة قبل اصلاح نفسه الشهوانية وقمعها وتذليلها للنفس الناطقة ·

وهكذا لايرى الفلاسفة عشقا يمكن ان يوجد فى قلوبهم الا للحكمة وحدها ، ذلك أن العشاق يجاوزون حد البهائم فى عدم ملكة النفس وزم الهوى والانقياد الى الشهوات ، وعلى الرجال الكبار الهمم والانفس أن يبعدوا من هذه البلية من نفس طبائعهم وغرائزهم اذ لاشيء أشد على أمثال هؤلاء من التذلل والخضوع والاستكانة واظهار الفاقة والحاجة واحتمال التجني والاستطالة ، فهم اذا فكروا فيما يلزم العشاق من هذه المعانى نفروا منه وتصابروا وأزالوا الهوى عنه وان بلوا به ، وكذلك الذين تنزههم أشغال وهموم بليغة اضطرارية دنيائية أو دينية ، فأما الخنثون من الرجال والغزلون والفراغ والمترفون والمؤثرون للشهوات الذين لايهمهم سواها ولا يريدون من الدنيا الا اصابتها ويرون فوتها فوتا وأسفا ، ومالم يقدروا عليه منها حسرة وشقاء ـ فلا يكادون يتخلصون من هذه البلية ولا سيما ان أكثروا النظر فى قصص العشاق ورواية الرقيق الغزل من الشعر وسماع الشجي من الالحان والغناء ·

هذا ما يراه الفلاسفة فى العشق ؛ اما ما يراه الادباء والشعراء فامر يحتاج الى مادبة أخرى ···



التوبة

كامل أمين

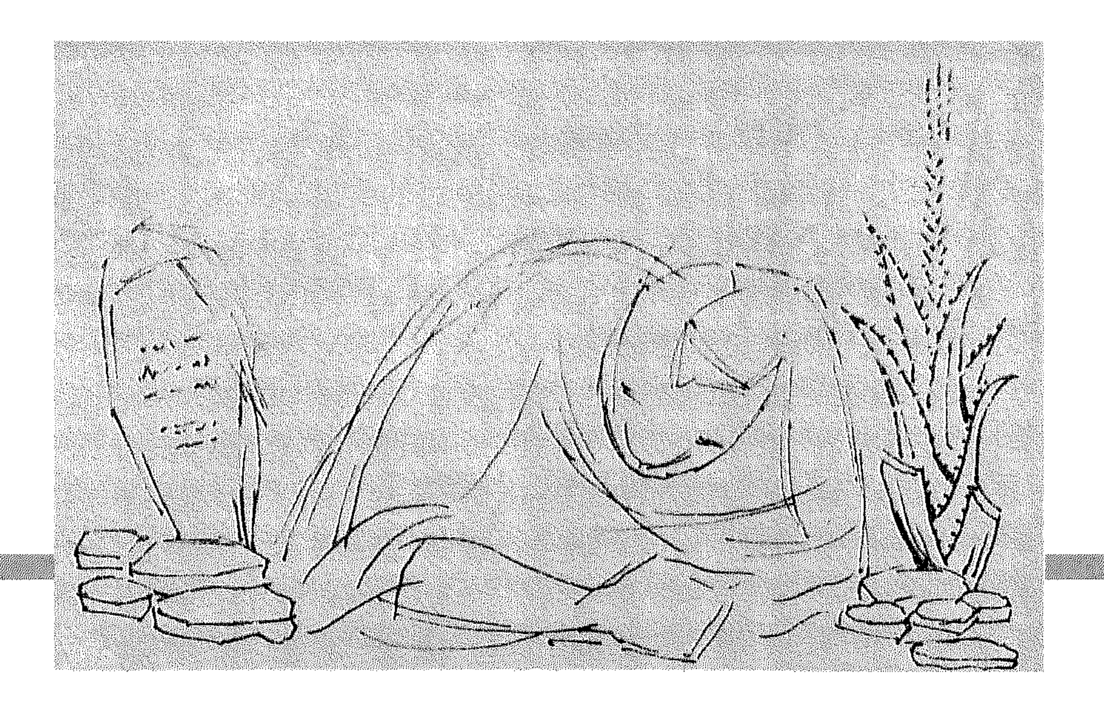
ليتني أدرى إذا مت مصيرى بعد موتى
كل شيخ يدعى لى العلم بالغيب ويفتى
غير أنى لست أنسى يوم أن يسكت صوتى
ويصير الدود أهلى ، ويصير القبر بيتى
بعد ما أصبح فوقى فى الثرى من كان تحتى

***

ليتنى أعلم ماذا فى انتظارى بعد دفنى
هل سيرضى عن حياتى الله ، أم يغضب منى
كانت الايام أغلالا وقيد الجسم يضنى
أترى لو مت قد أنقل من سجن لسجن
أم سأبقى فى عذاب القبر أم يفرج عنى

***

وتناولت سجلا كاد ينسى من جرابى
فبدت لى صفحات من حياتى كالسراب
رحت أتلوها فمرت فى خيالى كالضباب
وعليها بصماتى ... كل هذا فى كتابى ؟
كل هذا فى حسابى ! آه من يوم الحساب !



قلتُ يَوما لصديق وهو مِمراح طَروب
أين أسواق الخَطَايا حيث تُبتاعُ الذنُوب
فأنا أرغَبُ في بيـع ذنوبي وأتوبْ
قالَ هذا السوق أسرار توارِيها القُلوبْ
رُبَّ خيرٍ ظاهر عن باطِنٍ فيـهِ العيُوب

***

قلتُ عِندي من ذنُوبي ثَروة ليْست قليله
ثروة العُمر بها مَحصُول أعوام طـويله
لو أرى مَن يشتريها .. كنت لا أنسى جَميله
أنا لا أطلبُ فيها ثمنـا غيرَ الفضِيـله
أو بقايا حسنات مِن يد ليْسـت بخيله !

***

قالَ هذا السُوق للبَيْع ومَاهُو للشراءِ
والذي عِندك لا يرضاه غيرُ الأغبيـاءِ
عُد لبابِ الله فالله قريب غيرُ نـائي
ولطِيف وسَميع ، ومجِيـب للـدعاءِ
وإذا ضاقت عليك الارض فانظر للسَماءِ .

عندما تحب المرأة

قصة : البرتو مورافيا

ترجمة : سليم الأسيوطى

من النادر ان يعرف الناس كثيرا عن انفسهم او عن الذين هم اقل او أرفع منهم شانا .. اما عنى انا فقد امعنت فى ظنى بنفسي انى أحقر خلق الله طرا ... حقا انى لم أولد قوى البنيان صلب العود بل هشا كالآنية الخزفية اذا جاز التعبير . اعتبرت نفسى قابلا للكسر كالزجاج ــ ارق أنواع الزجاج ــ وكان ذلك كله فى الحقيقة تحقيرا لشان نفسى تحقيرا يفوق الحد ، فقد درجت على أن اقول لنفسى : والآن دعنا نستعرض ما انا عليه من صفات ، فتكون قوتى الجسدية حينئذ لا شىء ، فانا قمىء الجسم أحدب وكسيح ، ذراعاى وساقاى كالعصى ، ومثل كالعنكبوت

اما عن الذكاء فهو العدم أو يفوقه بقليل جدا عندما ناخذ فى اعتبارنا انى لم أنجح ، على كثرة ما زاولت من الاعمال ، فى أن اكون اكثر من ((مرمطون)) فى فندق .. اما النظرات فهى اقل من العدم : ان وجهى ضيق اصفر الأديم ، والعينان ذات لون باهت لا يمكن تحديده ، وأنف يبدو انه خلق لوجه يبلغ ضعف مساحة وجهى ، أنف طويل كبير يمتد من أعلى الى اسفل فى خط مستقيم ثم يلتوى عند أرنبته كالغصن رفع راسه الى أعلى ! ..

أما الصفات كالشجاعة وخفة الحركة والفتنة الشخصية ، فمن الخير عدم التعرض لها اذ كلما احجمنا عن الخوض فيها كان هذا افضل وأبقى ! ..

وطبيعى انه بعد الوصول الى مثل هذا القرار الا اتقدم الى اية امراة ... وكانت الوحيدة فى حياتى والتى حاولت التقرب منها خادما فى فندق ردتنى الى المكان اللائق بعبارة مناسبة تماما لما انا عليه من صفات عندما قالت لى : ((حتى انت أيتها السمكة الهزيلة !)) وهكذا آمنت شيئا فشيئا انى لا أحسب فى الرجال ، وانه لجدير بى أن اقبع منزويا فى ركن حتى لا اعترض طريق أحد.



ان السائر فى الشارع خلف فندق روما حيث أعمل فى الساعات المبكرة بعد الظهيرة ، ليرى صفا من النوافذ المفتوحة فى مستوى الارض تتصاعدمن خلالها رائحة الغسيل النفاذة ... واذا امتد بصره الى ما وراء النوافذ فى الظلام لرأى أكواما من الأطباق تعلو صعدا حتى تبلغ السقف وقد تكدست فوق النضد أو فوق الألواح الرخامية فوقالبالوعة ... حسنا ، فهذا هو الركن الذى آثرته على بقية الدنيا بما رحبت حتى اختفى عن العيان ...

ولكن يا له من أمر غريب هذا القدر، فقد وقع لى آخر ما يخطر ببالى فى هذا الركن وفى ذلك المطبخ بعينه ، أقصد أن شخصا يجىء على غرة منى ثم « يقطفنى » كما يقطف زهرةمطمورةفى المشب ! ..

كانت هى « ايدا » .. « ايدا » الخادم القائمة على تنظيف الأطباق وآنية المطبخ وحفظها ، والتى حلت مكان « جويدتا » عندما انقطعت عن العمل

لتضع مولودها . وكانت « ايدا » بين النساء كما كنت بين الرجال : سمكة هزيلة ! ..

كانت مثلي ، قميئة ملتوية ضامرة ، وان كانت ذات عاطفة مشبوبة ومرحة لا تمل ، كانت شيطانة ... وسرعان ما تآلفنا ، فقد جمعت بين قلبينا الأطباق التي كنا نقف أمامها ، وكذلك المساء المشوب بالدسم . وحينئذ اخذت الأحداث تمر متلاحقة ، فقد اجبرتني في يوم أحد على دعوتها الى مرافقتي الى السينما ، فنزلت على رغبتها تأدبا ومجاملة ، ولقد ذهلت ونحن في صالة العرض وقد غمرنا الظلام ، عندما اخذت يدي بيدها ودلفت بأصابعها بين أصابعي ، فظننت أن خطأ قد وقع ... وحاولت التخلص ولكنها همست في اذني أن ابقى ساكنا لا أريم ولا اتحرك ، وقالت : اى ضرر يمكن أن يحدث اذا تشابكت الايدى ؟! ..

وبعد انتهاء العرض ونحن نغادر السينما شرحت لى انها ظلت ترقبني كل الوقت على حد قولها ، منذ اليوم الذى جاءوا بها فيه الى الفندق ، منذ ذلك الحين لم تفعل شيئا سوى التفكير في ، وانها تأمل الان أن أكون قد اصبحت كلفا بها شيئا ما ، فمن جانبها لا تستطيع الحياة بدوني ... كانت هذه المرة الاولى في حياتي التى اسمع فيها من امرأة ، اى امرأة ، ولو مثل « ايدا » ، مثل هذا القول ، ففقدت توازني وسخوت عليها بكل الاجابات التي ارادتها واكثر مما قد ارادت ايضا ! ..

ولكني ما زلت اشعر بالدهشة العميقة ، فرغم أنها راحت تردد انها جنت بى حبا ، فقد فشلت في تصديق ذلك الذى تقول .. ولكن عندما كنا نخرج معا في مناسبات اخرى لم اكن استطيع الكف عن الضرب على هذا الوتر الحساس لما كان يدخله سماع ذلك وهي تردده على قلبي من السرور .. هذا ولانني وجدت صعوبة في تصديقه سألتها : اخبريني فاني اود أن اعرف ماذا ترين في ؟ وكيف انتهى بك الامر الى حبك لى ؟ وهل تؤمنين بذلك الحب ؟

وكان من عادة « ايدا » ان تتعلق بذراعي بكلتا يديها وترفع وجهها مدلها بالحب وتنظر الى وتجيب : « انى احبك لأنك جمعت كل الخصال الحميدة ، وأنت في عينى الكمال مجسدا حيا .. » فأنكر عليها هذا الذى تقول ، واجيب : كل الصفات الحميدة ؟ حسنا .. ان ذلك لم يدر بخلدى من قبل . .

فتقول : نعم كل الصفات .. فأنت أولا وسيم حسن الطلعة .

وحينئذ يجب على أن اعترف انى لم أتمالك نفسي من الضحك . وقلت: « أنا وسيم حسن الطلعة ؟ ولكن هل القيت على نظرة فاحصة ؟ .. » قالت: « نعم . لقد فعلت . فأنا القى هذه النظرة في كل وقت ... »

وسألت : لكن ما قولك في انفي ؟ هل نظرت مرة الى انفي ؟ فأجابت : « انه انفك الذى احب ! » وحينئذ تمسك بأنفي بين اصبعين وتهزه كناقوس وهى تردد « انفك ، انفك . من أجل هذا الأنف لا أدرى من أمرى شيئا ! » .

ثم تضيف قائلة : « وزيادة على هذا فأنت ذكي ذكاء مفرطا ! » .

انا ذكي .. ، اذن فلماذا يجمع الكافة على اني أبله ؟ فتجيب قائلة بمنطق النساء : **« انهم يقولونها حسدا وغيرة ، فأنت ذكي بالغ الذكاء .. فأنا اصغى اليك وانت تتحدث فاغرة الفم**

مبهورة الانفاس ، اذ انك اذكى الناس طرا ! »

على اية حال قلت وقد انت بالصمت لحظة وجيزة : « اخشى ان تقـــولى ايضا انى قوى الجسم ، فذلك مـــالا يمكنك قوله !» فاجابت فى حب نعم .. انت قوى جدا » .

كان هذا الحديث غصة فى حلقى لم استطع ازدرادها لبعض الوقت فظللت صامتا ، وحينئذ عاودت هى الحديث ثانية : « والى جانب ما انت عليـــه من قوة فاذا ما كنت تريد حقـــا ان تعرف ، فان شيئا فيك هو الذى احب» .. فسالتها : « ولكن ما عساه ان يكون ذلك الشىء . انى اريد ان اعرف ؟ »

فاجابت : « لســت أعـرف على التحديد كيف أشرح، انه نبرات صوتك، انه تعبيرك ، انه الطريقة التى تتحرك بها .. وبالتاكيد فليست لغيرك ما لك من صفات ! » .

وكان من الطبيعى الا اصدق مـا سمعت لبعض الوقت ، ثم الفته فكنت اجعلها تردده على سمعى لا لشىء سوى ان تسليتى كانت فى المقارنة بين ما اسمعه منها وبين ما اظنه فى نفسى .. ولكن يجب على الاعتراف انه بمـرور الايام بدأ يداخلنى الغرور فأسأل نفسى فى بعض الاحايين ، لنفرض ان هذه هى الحقيقة .. لا لانى غيرت ظنى بنفسى حقا ، ولكن ملاحظة « ايدا » عن ذلك الشىء جعلتنى اشك فى ظنونى . . . واحسست أن وراء هذه الملاحظة يكمن السر ، وبسبب هذا الشىء كماعرفت احبت المرأة الاحدب ، والقزم بل احبت الحيوان فلماذا لا تحب المرأة مخـلوقا مثلى؟ فلم اكن احدب أوقزما او عجوزا او حيوانا .

وفى ذلك الوقت قر رأيى وايدا على الذهاب لمشاهدة السيرك الذى ضرب خيامه مقابل « باسيجاتا اركســـيو لوجيكا » فقد كان كلانا يستشعر الفرح ..وما أن حللنا بأرض الملعب حتى أخذنا أماكننا فى المقاعد الرخيصة وقد تلاصق جسدانا واشتبــــك ذراعانا : وكانت تجلس على مقربة منى امراة فارعـــة شقراء شابة وسيمة وبصحبتها وعلى بعد مقعد منى شاب أسمر قوى صلب العود من الطراز الرياضى ..وفكرت فيهما على انهما « الثنائى الوسيم » ثم انصرفت عنهما : ولم اعد أفكـــر فيهما وأوليت الملعب كل اهتمامى ..

وكانت الحلبة المغطاة بالرمل الأصفر مازالت خالية وان كانت فى الجهـــة المقابلة البعيدة قد جلست جوقة على منصة فى ملابس متشابهة وهى تعزف على آلات موسيقية نحاسية وصفارات لم تتوقف عن عزف الاناشيد الحماسية الواحد تلو الآخر .

وأخيرا نزل الحلبة اربعة مهرجيـن قزمان وآخران أكبر منهما جسما ، وقد طليت وجوههم باللــــون الابيض وارتدوا سراويل فضفاضة مســترخية وهم يمزقون الورق ويتندرون بالنكات ويصفع كل منهم الاخر ويركله . . فضحكت «ايدا » كثيرا حتى بدات تسعل وحينئذ عزفت الجوق نشـيدا حماسيا . .

دقت الطبول واتجه المدرب صوب احد الوحوش وكان اكبرها ســـنا ويبدو نائما أو نصف نائم ولا يزأر ، فتح المدرب فم الأسد وأدخل راسه فيه ثلاث مرات متتالية . فقلت لأيدا « وقد انفجر التصـــفيق مدويا : » انت لا تصدقيننى ... ولكنهـــا الحقيقة ، انى أود لو ادخـل قفص الاسود واضع راسى فى فم الأسـد

كما يفعل المدرب ! »

فملأها الاعجاب ، واجابت وهى تلتصق بى : « انى اعرف انك قادر كل القدرة ان تفعلها » .. وماسمعت المراة الشقراء وصاحبها الرياضى هذا الكلمات حتى انفجرا ضاحكين وهما ينظران الينا نظرات ذات مغزى ...

لم يكن بمقدورنا أن نتجاهل حقيقة انهما كانا يسخران منا ، فغضبت « ابدا » وتمتمت قائلة لى : « انهما يضحكان منا ... فلماذا لا تقول لهما انهما وقحان للغاية ؟ »

ولكن فى هذه اللحظة دق الجرس ووقف الجميع وانصرفت الاسود مطاطئة الرءوس ، من خلال الباب الصغير المألوف ، وهكذا انتهى الجزء الأول من العرض ...

وبينما نغادر الخيمة كان الاثنان الاخران يتحدثان على مسمع منا ، واستمرت « ابدا » تقول فى عناد : « يجب أن تقول لهما انهما وقحان للغاية ، فاذا لم تفعل فانت جبان » .

فلما جرحت كرامتي صممت على الاقتراب منهما . كان خارج الخيمة الكبيرة وفى حمايتها حظيرة يمكن دخولها نظير مبلغ اضافى لمشاهدة حديقة الحيوان الملحقة بالسيرك ، وكانت هذه الحظيرة تضم صفا من الاقفاص ، على الجانبين ، بداخلها الحيوانات المفترسة بينما كان على الجانب الاخر ساحة غطى القش ارضها وبها الحيوانات الاليفة حرة طليقة مثل حمير الوحش والفيلة والجياد والكلاب .

وكان الظلام داخل الحظيرة يسود او يكاد ، ولكن عندما دخلناها استطعنا ان نرى فى الظلام الاثنين الاخرين ـ الشقراء وصاحبها ـ واقفين امام قفص الدب والمراة تنحنى الى امام لتنظر اليه وقد انطوى واستغرقه النوم العميق والتصق ظهره ذو الوبر الى القضبان ، بينما كان صاحبها يجذبها من ذراعها ليذهب بها بعيدا . توجهت الى الرجل وخاطبته فى لهجة صارمة : « خبرنى هل كنتما تضحكان منا ؟ »

استدار الفتى قليلا ثم اجاب دون تردد : « لا ، لقد كنا نضحك من ضفدع اراد ان يكون ثورا ! »

ـ « ان الضفدع على ما اظن هو انا ؟ »

وكانت « ابدا » تدفعنى الى الامام ويدها على ذراعى . فرفعت صوتى معقبا ـ : وانت هل تعرف ما انت ؟ انك وغد جاهل ! »

اجاب الفتى غاضبا فى وحشية : « آه ... وهكذا بدا الضفدع ينق الان ! »

ضحكت المراة لهذا القول ، بينما انفجرت « ابدا » قائلة وهى تفح كالوطواط : ليس فى الامر مايضحك .. وبدلا من ان تضحكى يجدر بك ان تكفى عن الاحتكاك بزوجى ... انت تظنين انى لم افطن اليك ... وانت تحكين ذراعك به طوال الوقت !

لقد ذهلت لانى لم الحظ ذلك : وعلى اكثر تقدير لما كانت المراة تجلس بجوارى فمن المحتمل ان تكون قد لستنى عفوا بمرفقها . اجابت المراة محنقة :

ـ انك لمجنونة يا بنيتى العزيزة !

ـ لا ، لست مجنونة فقد رأيتك تحتكين به .

ـ ولكن لماذا تظنين انى اعبأ بسمكة هزيلة مثل زوجك ؟

قالت هذا ثم اضافت فى لهجة



تقطر احتقارا : « انى اذا اردت فيجب على ان اختار رجلا حقيقيا ، هاهوذا رجل حقيقى قوى ان كنت تريدين .» قالت ذلك وهى تتعلق بذراع فتاها وجاء الى الفتى بدوره وقال مهددا : ان فى هذا الكفاية .. انصرف فمن الخير لك ان تفعل !

صحت قائلا : « من يقول هذا ؟ » وكنت قد استشطت غضبا وانا امد قامتى على اطراف اصابع قدمى حتى ابلغه طولا وارتفاعا .

سوف اذكر المنظر الذى تلا ولن انساه ما حييت . لم يجب الفتى على ملاحظاتى ولكن فجأة اخذنى تحت ذراعيه ورفعنى فى الهواء كريشة ، وكانت هناك على الجانب المقابل للاقفاص كما قلت ، ساحة مغطاة بالقش بها الحيوانات الاليفة ، وخلفنا تماما توجد اسرة من الفيلة : الاب ، والام والابن الطفل الذى يصغر والديه حجما ولكن جسمه كجواد .

كانت الفيلة واقفة فى ركن مظلم ، مستكينة مهدلة الاذان والخراطيم وقد التصقت بعضها ببعض ــ رفعنى هذا الجبار الى أعلى وقذف بى والقانى فجأة على ظهر أصغر الفيلة ! .

من الجائز ان الحيوان ظن ان دوره فى العرض قد جاء وحان الوقت لينزل الى الحلبة فسار الهوينا وانا على ظهره ، وعبر الممر المتدبمحاذاة الاقفاص .. تدافع الناس فى كل اتجاه ، وكانت « ايدا » تجرى ورائى صارخة ، اما انا فقد امتطيت ظهر الفيل الصغير وقد تدلت ساقاى على جانبيه . حاولت عبثا التشبث باذنيه ، فما أن وصلنا نهاية المشى حتى سقطت من على ظهره وارتطمت مؤخرة رأسى بالارض ، وفقدت وعيى . . . فلما أفقت من غشيتى وجدتنى بمركز الاسعاف و « ايدا » بجانبى ممسكة بيدى . وما ان تحسنت حالى حتى غادرنا المكان قافلين الى المنزل دون أن نشاهد الجزء الثانى من العرض . . .

وفى اليوم التالى قلت « لايدا » : كان ما حل بى نتيجة خطا وقعت فيه .. فقد القيت فى روعى ما حملنى على الظن انى كنت ، الله يعلم ماذا .. ماذا كنت .. وكانت تلك المراة الشقراء على صواب تام: لست سوى سمكة هزيلة لا اكثر !

ولكن « ايدا » وقد امسكت بذراعى وحملقت فى وجهى قالت : « لقد كنت رائعا ! .. فزع الفيل ، وذلك هو السبب الذى حدا به ان يلقى بك من على ظهره ! .. كان يجللك السناء والبهاء وانت فوق ... والله لمن المؤسف حقا انك سقطت من على ظهره .

لم يعد بوسعى ان اتلافى الامر ، فلقد كنت فى عينيها شيئا ، وفى اعين الاخرين شيئا اخر

.. هل من المستطاع ان نعرف ماذا ترى المراة عندما تحب؟!

الفونسو باسو
معجزة المسرح الأسباني
وصديق العرب

د. محمود علي مكي

حملت الينا الصحف مؤخرا من مدريد نبأ وفاة المؤلف المسرحي الاسباني الفونسو باسو ، بعد حياة لم يقدر لها ان تجاوز الخمسين عاما بكثير ، وان كانت من أحفل ماعرفته أعمار الادباء بالعمل المثمر والنشاط الدائب المستمر .

وقد أصابتنا وفاة هذا الاديب الكبير بشعور عميق بالفجيعة ، لسببين : أولهما قيمة انتاجه الادبي ومكانته العالية بصفته واحدا من أعظم مؤلفي المسرح في الادب الاسباني المعاصر ، وهي مكانة جاوز بها حدود ذلك العالم العريض الناطق باللغة الاسبانية في بلاده وفي بلاد أمريكا اللاتينية ، والثاني هو أن هذا الاديب الكبير كان صديقا مخلصا للعرب ولمصر بصفة خاصة ، وكان يحمل لنا شعورا من المودة والتقدير لم يأل جهدا في التعبير الصريح عنه في عالم أوروبي وامريكي قل فيه المنصف للعرب المقدر لهم دورهم في التاريخ القديم والحديث .

كان ألفونسو باسو خلال السنوات الثلاثين الماضية أخصب مؤلفي المسرح الاسباني انتاجا وأعظمهم نجاحا .

ولقد كان يروعنا أثناء اقامتنا في مدريد خلال الستينات والسبعينات آن نجد ثمانية مسارح أو عشرة في بعض الاحيان تعرض كلها مسرحيات مختلفة له في وقت واحد ، وباقبال من الجماهير لانكاد نرى له نظيرا . وكان تمثيل بعض مسرحياته يمتد سنوات متوالية على خشبة مسرح واحد . ويتجاوز ماخلفه باسو من أعمال مسرحية حتى وفاته مائتين وخمسين رواية ، هذا فضلا عن مشاركته في ألوان أخرى من الكتابة الادبية : من رواية ومقال وكتابات قصصية أو نقدية . وهذه قدرة لم تتوفر لمؤلف اسباني سابق الا للكاتب الكبير لوبي دي فيجا ، علم المسرح الاسباني في العصر الذهبي « القرن السابع عشر » . واذا كان لوبي قد استحق من مؤرخي الادب الاسباني لقب « العنقاء » أو « خارق قوانين الطبيعة »

بسبب انتاجه البالغ الكثرة مع جودة الكثير منه ـ فقد عرف أنه كان يكتب بعض مسرحياته في يوم واحد ـ فان الفونسو باسو جدير بأن يدعى « معجزة المسرح الثانية » .

ومن أجل ذلك كانت شخصيته دائما مثارا لجدل عنيف ، واذا كان محبوه والمعجبون به من الجمهور والنقاد يقدرون بالوف الالوف فان نجاحه كان أيضا مثيرا لأشد ضروب النقد الذى وصل في بعض الاحيان الى حد التشهير المسف ، ولاسيما من المشتغلين بمثل مهنته . « وقديما كان في الناس الحسد » كما يقول شاعرنا العربي ، وهذا هو شأن العظماء دائما في كل زمان ومكان .

ولد الفونسو باسو في مدريد في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ في أسرة ضاربة الجذور في عالم الفن المسرحي ، فقد كان ابوه التونيو باسو مؤلفا مسرحيا معروفا ، وان كان متوسط المكانة محدود المجال بذلك النوع من المسرح الشعبي الغنائي الذى يدعى في اسبانيا بال « ساينيتي » ، وكانت امه ممثلة على قدر من الشهرة هي خوانا خيل اندريس . وقد كانت نشاة الفونسو في مثل هذه الاسرة هي التى فتحت عينيه منذ طفولته الغضة على ذلك العالم العجيب المسحور : عالم الاضواء والالوان والاصباغ وعلى الصخب وهتاف الجماهير .

وقد برزت هواية ألفونسو للادب والفن المسرحي منذ دراسته الثانوية ، فقد كان كثيرا مايرى في منزل أسرته عددا من أصدقاء أبويه من المشتغلين بهذا الفن من كتاب وموسيقيين وممثلين . وكان أبوه يحمله الى المسارح فيرى عن كثب حياتها العجيبة ، وتتكشف له أسرار ذلك الفن من داخل بكل مافيه من عرق ودموع وابتسامات ، ومن متع لاتخلو من الالم للحس والروح .

وفي سنة ١٩٤٦ يلتحق بكلية الفلسفة والآداب في جامعة مدريد ويؤلف مع بعض زملاء دراسته فرقة للمسرح الطليعي باسم « الفن الجديد » ويكتب ألفونسو باسو في هذه الاثناء بالاشتراك سبع قطع مسرحية ، فضلا عن ادارته واعداده لمسرحيات لمؤلفين سابقين من أمثال لوركا وفاى انكلان وتينيسي ويليامز .

ثم يتخرج في كلية الآداب في سنة ١٩٥١ ، ويشرع منذ ذلك الوقت في التفرغ للمسرح ، وينال اول نجاح له من جمهور الفن على المستوى الشعبي بمسرحيته « لانقل وداعا وانما الى اللقاء » التى عرضت على مسرح «انفانتا ايزابيل» بمدريد في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ .

وتتوالى بعد ذلك أعماله المسرحية ، وفي سنة ١٩٥٧ ينال الجائزة الوطنية الاولى للمسرح بروايته « السماء في داخل البيت » ثم ينال بهذه المسرحية نفسها ايضا جائزة المجمع اللغوى الاسباني .

وفي سنة ١٩٥٨ يعرض باسو على مسارح مدريد ثمان مسرحيات جملة واحدة ، ويبدأ الادباء والنقاد في البلاد الاوربية الاخرى في الاهتمام بهذه « الظاهرة » الادبية الجديدة ، فيترجم عدد من مسرحياته الى لغات أجنبية .

وبين سنتي ١٩٦٠ و ١٩٦٢ يعرض الفونسو باسو اثنتين وثلاثين مسرحية تحظى كلها باقبال هائل من الجمهور حتى انه يدعى ب « سيد المسرح الاسباني بغير منازع » . وفي هذه السنة الاخيرة يقدم باسو نفسه لأول مرة ممثلا اذ يضطلع ببطولة مسرحيته « مقاوما بقدر المستطاع » على خشبة مسرح «لا كوميديا» . ويذهل جمهور الفونسو الذى عرفه واحبه مؤلفا حينما يفاجأ به ممثلا قديرا يؤدى دوره كأحسن مايؤديه ممثل محترف .

وتتكرر رحلات باسو في هذه السنوات الى العديد من البلاد الاوربية وبلاد أمريكا اللاتينية حيث يتابع عروض مسرحياته بلغتها الاصلية أو مترجمة وهي تمثل بنجاح لايقل عن نجاحها على المسارح الاسبانية . ويعود باسو مرة أخرى في سنة ١٩٦٩ الى الاضطلاع ببطولة مسرحية أخرى تعد من أجود ماجاد به قلمه ، وهي « نيرون - باسو » التي اتخذ لها عنوانا فرعيا هو « اضطهاد الامبراطور نيرون للمسيحيين حسب تصور المؤلف الاسباني الفونسو باسو » ، وفيها يقدم لنا باسو - مؤلفا وممثلا - شخصية نيرون لا كما صوره المؤرخون الذين كتبوا عنه كتابة مغرضة واقعة تحت تأثير الكراهية الشديدة التي كان يكنها له اليهود والمسيحيون ، وانما على نحو منصف : لايسرف في عده بطلا وانما يرى فيه انسانا له حسناته وسيئاته .

وفي سنة ١٩٧٠ يزور الفونسو باسو في رحلة استطلاعية منطقة الشرق الاوسط ويقضي في مصر فترة يتعرف فيها على أحوالها ويتابع فيها قضية الصراع الدائر في المنطقة بين العرب واسرائيل ، ويعود بعد ذلك الى اسبانيا ، فيكتب العديد من المقالات حول ازمة الشرق الاوسط : كتابة مفعمة بالحب للعرب والتقدير لدورهم في التاريخ القديم والحديث والاحساس بعدالة قضيتهم . ذلك ان الفونسو باسو حينما قدم الى مصر وكتب عن العرب لم يكتب بالمنطق الذى اعتاد الكتاب الاوربيون أن يعالجوا به قضايانا من موقع الاستعلاء والغطرسة ، فهم حتى المنصفون منهم اذا كتبوا عنا مؤيدين أو مناصرين فهم انما يفعلون ذلك بشعور العطف والرثاء من جانب الكبير القوى على الصغير الضعيف

وانما كان منطلق الفونسو باسو في كتاباته هو نفس منطلقه في عمله الادبي والمسرحي : احساسا عميقا بنبض الجماهير العريضة بآمالها ومطامحها وبآلامها ومعاناتها . وقد أدت مقالات باسو المؤيدة للعرب الى أن تشن عليه حملة مسعورة سواء في الخارج من جانب أعداء العرب التقليديين أوفى أسبانيا ذاتها .

مسرح الفونسو باسو اجتماعي في المقام الاول ، ولكن شخصيات هذا المسرح ليست من نوع تلك الشخصيات النمطية التي تولد بشكل طبيعي معبرة تعبيرا صادقا في البدء عن نماذج بشرية حية ، ثم تتحول بعد أن يلح عليها المؤلفون الى قوالب جامدة « كرتونية » . لا ... ليس مسرح باسو من هذا النوع ، بل هو يعد وثيقة معبرة عن مجتمعه في نموه وتطوره والتغير التدريجي الذى يطرأ على حياته السياسية والاجتماعية والفكرية . هو مسرح يمكن أن نرى فيه سمات « واقعية جديدة » تربطه بحياة الشعب ، ولكنها لاتتملق الجماهير ولا تبحث عن تصفيقها ، بل تحاول أن تصور مشكلاتها في صدق وبساطة . وقد عبر باسو نفسه عن ذلك حينما تحدث عن المسرح الاسباني بعد سطوع نجمه بقليل في الحياة الادبية لبلاده فقال :

« ان مايحتاج اليه مسرحنا الان هو مزيد من الاحساس العميق بمشكلاتنا الحاضرة والاخلاص في معالجتها ، لا على نحو ذهني بارد ، وتصور نظرى مجرد ، ولا بشكل خطابي متهيج يتحول في النهاية الى طريقة أقل نجاحا في الاقناع ، نحن نحتاج الى أن نكتب بعيدا عن الخضوع لمؤثرات التيارات الاجنبية الوافدة ، ولاسيما الادب الفرنسي » .

وليس معنى ذلك أن باسو كان يدعو الى الانغلاق أو تجنب الاستفادة من التجارب الادبية الاجنبية ، فنحن نعرف انه شارك حتى في الترجمة عن بعض المؤلفين المسرحيين الاجانب والاعداد المسرحي لبعض أعمالهم في اسبانيا ، وانما كان ينادى بأن يصدر الكاتب المسرحي عن واقع مجتمعه هو قبل أن يصدر عن تأملات ذهنية مجردة مستمدة من الاطلاع على ثقافة غريبة .

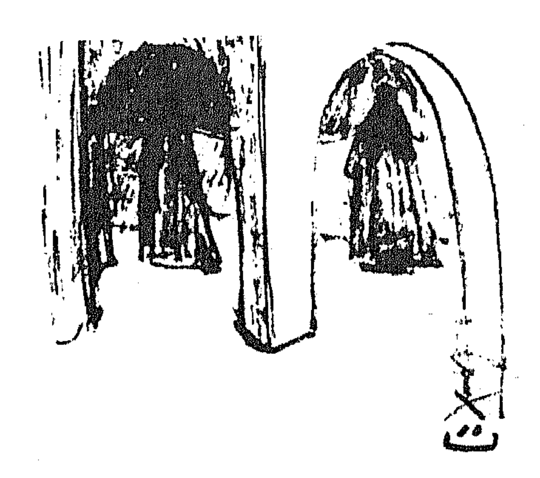
واذكر بهذه المناسبة كلمة قالها الناقد الأدبي الامريكي ادوارد رايت بعد سبع وثلاثين سنة من التجربة المسرحية: «ان أولئك الذين يكتبون أو ينتجون مسرحا من أجلهم هم أو من أجل مجموعة محدودة من المحيطين بهم ناظرين في احتقار الى من يدعونهم بـ « عامة الناس » أو «الدهماء»

لايفعلون شيئا أكثر من انزال ستار من النسيان على ذلك الفن الذى زعموا انهم يحبونه ويعملون من أجله . ان المحب الحقيقى للمسرح هو الذى يعده «مؤسسة ديمقراطية» تنتمى قبل كل شىء الى الشعب» .

كان هذا هو منطلق الفونسو باسو ، ولذلك فقد كان مسرحه شعبيا بكل ماتحمل هذه الكلمة من معان : فهو نابع من حياة الشعب بكل طبقاته ، وهو موجه الى هذا الشعب بكل اتساع قاعدته ، ومن اجل ذلك اقبلت عليه جماهير الشعب ايضا اقبالا لم يقدر لمؤلف غيره ، على الرغم من أنه كان كثيرا ما يصك وجه مجتمعه فى عنف وشجاعة ، ويجبهه بالسخرية اللاذعة من عاداته ونقائصه وعيوبه وما يكتنف حياته من نفاق .

لقد عاد الفونسو باسو بالمسرح الاسبانى الى منبعه الاصيل الذى كان منه منطلقه الاول ، وهو الحياة الشعبية ، غير عابىء بالقواعد النظرية التقليدية التى وضعها «مقننو» المسرح منذ ايام الاغريق ولا بثقافة المتقعرين واغراقهم فى المعالجة الذهنية المجردة التى تصطنعها «أرستقراطية الفكر» . وكانما كان نبراسه فى ذلك تلك الابيات التى ضمنها لوبى دى فيجا من قبل أسلوبه فى كتابة مسرحه :

«حينما اهم بكتابة مسرحية
اودع نظريات المسرح فى سجن على بابه ستة اقفال
واخرج من غرفتى تيرنس وبلاوتوس حتى لا يزعجانى باصواتهما
. . . والمأساة والملهاة ممتزجتان فى كتلة واحدة .
تيرنس الضحوك الساخر وسينيكا العبوس المتجهم معا
واحد منهما يضفى على المسرحية طابع الجد الصارم
والآخر يمنحها وجهها المضحك المنبسط الاسارير
ففى هذا التنوع متعة المسرح الحقة
تماما كما نرى فى الحياة
اذ فى مثل ذلك التنوع سر جمالها الساحر»

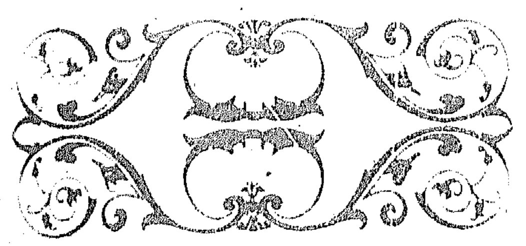


كان هذا من غير شك أهم عناصر مسرح باسو ، حيث تمتزج الضحكات بالدموع ، معبرا عن واقع الحياة الذى لا مجال فيه للفصل بين المواقف المضحكة والفاجعة .

***

وبعد ، فها قد أسدل الستار على حياة رجل عاش للمسرح والحياة ، فقد كانت الحياة والمسرح بالنسبة له شيئا واحدا ولكأنى به الآن ، ونحن نتردد على مجلسه فى مقهى «لا انديا» فى شارع «مونتيرا» فى وسط مدريد ، وهو جالس بوجهه المكتنز ، ونظراته الوادعة ، وصوته الخفيض اللين ، وفى يده سيجاره الضخم ، وهو يتحدث فى هدوء وبساطة ورقة ـ **وهنا وجه المفارقة ـ عن اعنف المعارك الادبية الدائرة بينه وبين من كانوا يتخذونه هدفا لأبشع حملات التجريح . كان كثيرا مايحدثنا عما يدور فى كواليس «وكر الغربان» الذى كان يقصد به عالم المسرح الاسبانى ، بكل مافيه من لذات النجاح ومؤامرات الحاسدين الذين يسوؤهم أن ينجح غيرهم ويمضوا قدما فى طريقهم وهم فى مكانهم واقفون . ولكن كلماته الناعمة على ماكانت تحمل من صراحة لم تكن نابعة من شعور بالمرارة بقدر ماكانت تنبع عن احساس بالعطف والرثاء .**

مات الفونسو باسو بعد ان ملأ المسرح الاسبانى ثلاثين عاما . وبموته يفقد المسرح واحدا من أعظم اعلامه فى كل تاريخه ، ويفقد العرب ومصر بصفة خاصة صديقا مخلصا طالما شهر قلمه فى سبيل ماكان يؤمن بانه قضية الخير والحق .



دراسة جديدة للشعر القديم

نسيم مجلى

احتل الشعر العربى القديم جانبا طيبا من اهتمام الدكتور محمد كامل حسين ، ويلاحظ ان دراسته لهذا الشعر تقوم على استخدام اساليب التحليل النفسى والاستفادة ببعض اكتشافاته . وهذا يبدو متناقضا مع رفضه لهذا المنهج حيث تنبأ له فى مقال « علمان ضالان » بالنهاية المحتومة التى انتهى اليها علم الكيمياء القديم وهذا ما اشار اليه الدكتور ابراهيم بيومى مدكور فى مقاله « بمجلة الهلال – مارس ٧٣ » حين قال عن كامل حسين « ولعله لا يسلم بنظرية التحليل النفسى سيكولوجيا لكنه لا يرفض ان يطبقها فى دراساته الأدبية »

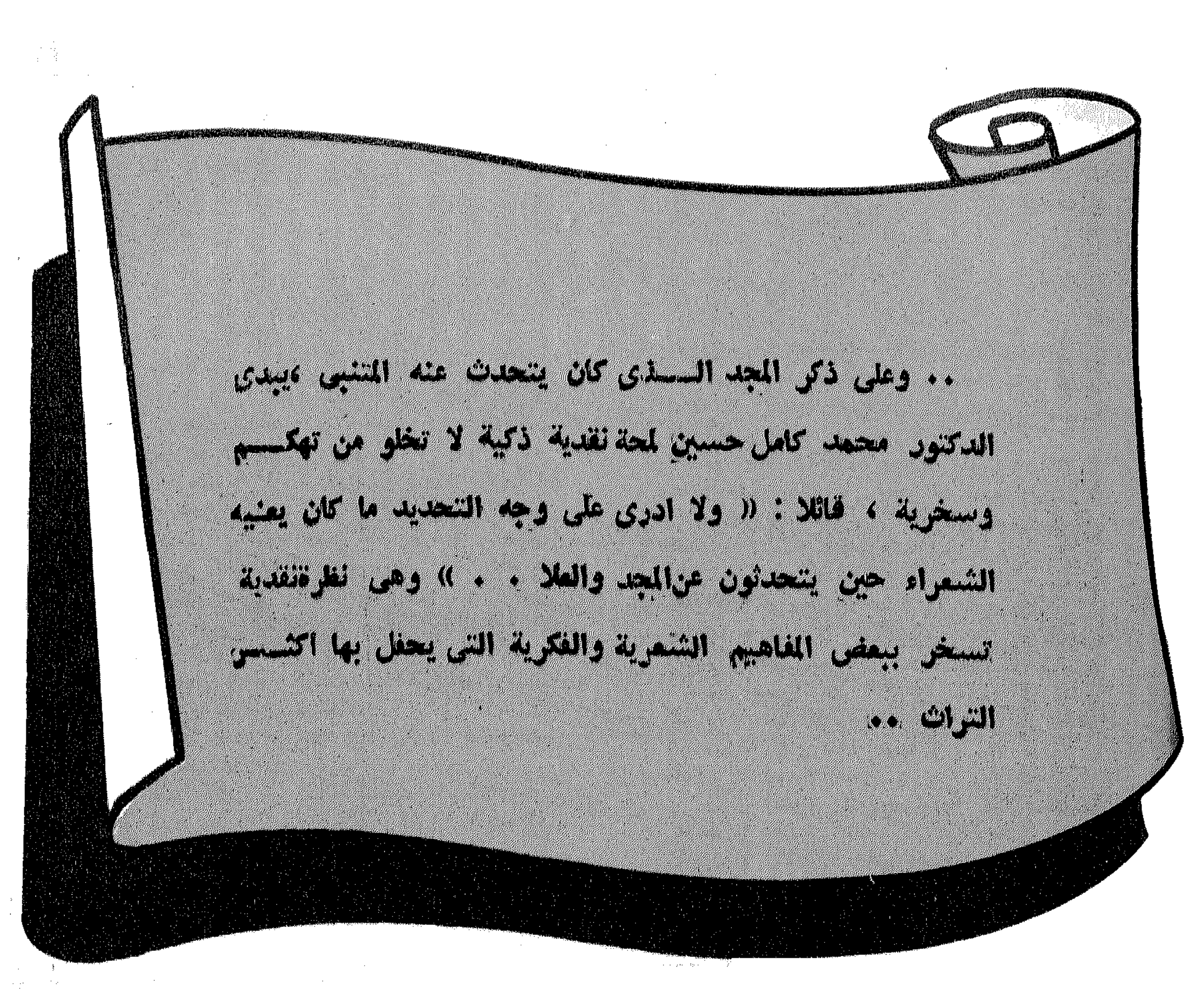
والواقع ان كلمات مثل « لايسلم» و«لايرفض» هى اقرب ما تكون لوصف موقفه هنا . فرفضه التحليل النفسى قائم على أنه يتبع منهجا خاطئا مثل علم الكيمياء القديمة الذى قام على افتراض خواص الاشياء قبل ان يثبت وجودها ، و« علم التحليل النفسى » راى الظواهر النفسية وهو لا يعلم كنهها ففرض وجود اشياء مثل الايجو والليبدو « أى الذات والغريزة الجنسية » وصور الظواهر على انها اصطدام بين هذه وتلك وهو تصور للواقع لا وصف له » وهو موقف مرن يخلو من الرفض المطلق .

وقد يكون الخلاف فى هذه الناحية هو ان كامل حسين ينظر لبعض هذا الشعر باعتباره وثيقة نفسية تكشف نفس صاحبه ولا مفر من استعارة اسلوب التحليل النفسى فى دراسته .. ولعله يثق بما يروى عن تاريخ هؤلاء الشعراء خصوصا فيما اجمع عليه مؤرخو الادب ودارسوه فما يذكره عن المتنبى حقائق معروفة عن مراحل حياته وكذلك ما يذكره عن ابى العلاء فيما يختص بفقده البصر او بعزلته او بما وجه اليه من اتهامات . كل هذا مكنه من دراسة الشعر فى ضوء هذه الوقائع المؤكدة . كما مكنه من ان يستشف العواطف المتناقضة والمشاعر القوية التى كانت تحرك هؤلاء الشعراء والتى عبروا عنها فى شعرهم دون وعى منهم . وهو ما يعتبره اصدق الادلة النفسية والصدق هو اهم القيم الانسانية التى تعطى القيمة الحقيقية لاى ادب من الاداب ..

لكنه لا يكتفي بالتحليل بل يستخدم المقارنة فيقارن بين الشعراء العرب بعضهم البعض . ويقارن بينهم وبين امثالهم من الاوربيين ليبين جوانب الأصالة وجوانب التفرد فى ادبهم .. وغايته الاولى ان يصل الى القيمة الانسانية التى ترفع من قدر هذا الشعر وتقربه من الذوق المعاصر ، ولعل هذا ما جعله يسمى كتابه « الشعر العربى والذوق المعاصر » ..

ولاشك عندى ان هذه الدراسة الجديدة للشعر العربى القديم تؤكد وجود الحس النقدى والذوق المرهف والوعى بالقيم الانسانية التى تجعل لاى ادب قيمة مقبوله عند المحدثين ..

وهذا ما ندركه بغير عناء من قراءتنا لكتاب



الدكتور كامل حسـين ، بل يتاكد لنا هذا فى الصفحات الاولى، حين نراه يفرق بين شعر الطبع وشعر الاحتراف قائلا : « شعر الاحتراف اعذبه اكذبه ، والجمال فيه يرجع الى الصياغة.. اما شعر الطبع فاعذبه اصدقه ، واجوده خال من المحسنات اللفظية أو المعنوية ، وأسـلوبه مستقيم واضح ، فيه جد وصرامة وعـواطف انسانية يدرك صدقها اكثر الناس » .

وفى ضوء هذه المعايير بدا ينظر فى شـعر امرىء القيس ، وعمر بن ابى ربيعة ، والفرزدق وجرير ، والمتنبى ، وابى العـلاء ، ولـكن اسلوبه فى التحليل والمقارنة يتضح بجلاء فى دراسته للمتنبى والفرزدق وابى العلاء .

ولنبدأ الدراسة بالوقوف عند معلقة امرىء القيس التى مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ويرد شهرة هذا البيت الى ما فيه من تصوير صادق لحادث وقع فعلا فى الصحراء وفيـه صورة للمسافرين فيها لا تخلو من جمـال لصدقها . ولا عبرة لما يقوله الشراح ممن تعودوا نقد شعر الاحتراف ، وهو يسمى هذا الفريق من النقاد « شراح الاحتراف » ..

والمعلقة فى رايه تتناول مغامرات امرىء القيس مع العذارى والساقطات وهو يروى هـذه المغامرات شعرا ، وفى بعض ابيات من هـذه المعلقة كشف من أسرار نفسه مثل قولـه بانه يستطيع ان يغرى العريس عن عريسها الـذى جاء ردا على قول احدى الغانيـات من انه لا يحسن السر مع النساء لكبر سنه . فهـو يستدل من البيت ومن هجومه على هـذه المراة انه احساس بعقدة نفسية فى حياته . ثم يستدل من ذلك على أن شعر امرىء القيس لم يكن شعر احتراف . اما الاجزاء الاخرى من المعلقة المنسوبة لامرىء القيس فيقول عنهـا كامل حسين « انها فى الغالب من عمل اللغويين المغرمين بالغريب وهو ما يتفـق مع عقلية شعراء الاحتراف ورواده » ثم يمثل لذلك ببعض الابيات مثل :

وانك قسمت الفؤاد فنصفه
قتيل ونصف فى حديد مكبل

ويقول ان هذا بيت مصنوع من غير شك وصانعه لا علم له بالشعر ..

وخلاصة القول عنده ان شعر امرىء القيس فن طبيعى يمثل الحياة البدوية تمثيلا صادقا. فالأطلال والبكاء عليها موضوع حنين حقيقى . وامرؤ القيس هو الذى ارسى هذا التقليد فى الشعر العربى . وهو يعتبره فى كتاب «التحليل البيولوجى للتاريخ» ممثل الكلاسيكية الاولى فى الشعر العربى ...

اما تقديره لشعر عمر بن أبى ربيعة فيقوم على سببين :

١ » - ان هذا الشاعر لم يخضع للعوامل الأجتماعية التى رفعت شعر الاحتراف . وعلى هذا رفض ان يمدح أصحاب السلطان ، وقال لسليمان بن عبد الملك : انى لا امدح الرجال وانما امدح النساء ...

٢ » - أن عمر قد روى مغامراته مع



النساء فى أسلوب قصصى شعرا وهذا عمل شق على الكثيرين من قبله ومن بعده .

ثم يقول ان دراسة شعره تطلعنا على ظاهرة فريدة لم يلتفت اليها اللغويون وشراح الاحتراف .. وهذه الظاهرة هى سر جمال شعره وشعر الطبع عموما ...

وفى رايه ان عمر وصف نفسه ابلغ وصف حين قال :

انى امرؤ مولع بالحسن اتبعه
لاحظ لى فيه الا لــذة النظر

وهومالايدعيه احدشعراءالاحتراف

ثم يشير الى قصيدته التى يقول فيها :

اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة
لها كلما لا قيته يتنمــر ..
اشارت بمدراها وقالت لاختها
« اهذا المغيرى الذى كان يذكر ؟ »

ويقول عن هذه القصيدة « انها بلغت الذروة فى فن القصص الشعرى . وهو نسيج جديد فى الادب العربى يصح ان يبدأ بها ويمثلهـا المتذوقون للادب فى عصرنا الحاضر ..

وفى مجال المقارنة بين عمر وبين امرىء القيس يذكر كامل حسين ان عمر كان محببا الى النساء والى الشريفات منهن . فلم تكن لديه حاجة لان ينحدر الى الساقطات كما فعل امرؤ القيس . ولعل هذا سر ما نراه فى شعره من سمو العواطف ، وحب للحياة وفرح بها وتمتع بلذاتها . ثم يؤكد « ان بعض شعر معلقة امرىء القيس واكثر شعر عمر يدلنا على شخصية متكاملة متميزة لكلا الشاعرين على ان تخلص اشعارهما من اكوام القش التى احاطت بها من اثر البيئة التى عاشا فيها » .

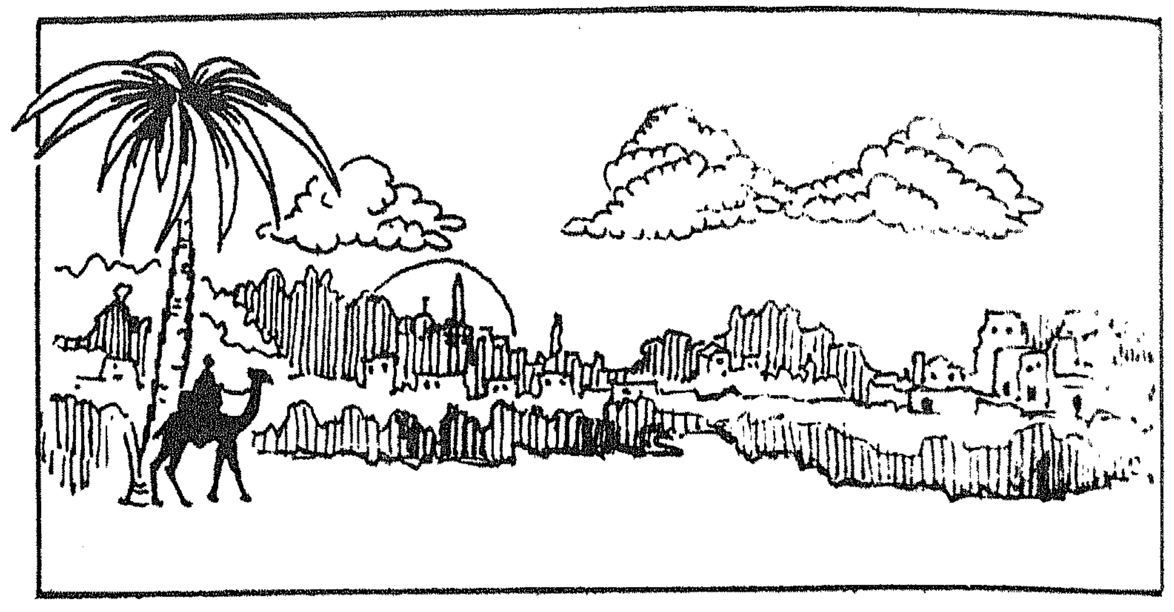
ولعل اعتماد الدكتور محمد كامل حسين على التحليل النفسى يبدو اكثر وضوحا فى تناوله للفرزدق والمتنبى وابى العلاء على وجه الخصوص وربما كان وضوح العقد النفسية عند هؤلاء وغيرهم من امثال بشار بن برد ، ووضوح اثارها فى حياتهم وشعرهم مما اغراه باستخدام هذا المنهج .

واذا انتقلنا الى كلامه عن المتنبى نجد انه يفسر اشعاره فى ضوء « نظرية الامانى الموقة» ويقول عنها « انها غير الامانى الخائبة . فهذه ينتهى اثرها بانقطاع كل امل فى تحقيقها . اما الامانى الموقة فتظل فى اعماق النفس تؤثر فيها » ..

ولاشك ان هذه النظرية التى يشير اليهـا كامل حسين هنا تساعدنا الى حد كبير فى تفهم العوامل الخفية التى كانت تؤرق المتنبى وتشقيه وتدفعه الى الانتقال من مكان الى اخر ومن مدح سيف الدولة الى كافور الاخشيدى .. وذلك كله لان حب المال وحب المجد قد ملكا علـى المتنبى عقله وقلبه كما يقول المؤلف اذ لم تكن لديه « عاطفة اخرى تعزيه ، وكانت به كفاية واحدة هى جودة شعره » ..

اما سبب حرص المتنبى على المال فيشرحه فى قوله « لا مجد فى الدنيا لمن قل ماله » ، ومن اجل هذا سعى الى سيف الدولة واتصل به. واعجب الامير بشعره واعجبه أن يكون فى بلاطه شاعر فذ يشيد بذكره !! فرفعه فوق رجال الدولة من القواد والابطال ، لكن المتنبى لم يتركه غروره . فبدا حين اطمأن الى مكانته يفخر بنفسه وكأنه هو الذى خاض المعارك لا سيف الدولة ، مما احفظ عليه الامير لفترت علاقاته به . ومن ثم حاول المتنبى أن يستعيد مكانته بالشعر او بالطعن فى غيره من رجال الدولة ، لحنقوا عليه ولم ينصره سيف الدولة على اعدائه وحساده .. وهنا راح يستجدى عطفه ، ولم يجده هذا شيئا !! فرحل الى مصر





بمدح كافور على أمل ان يمنحه ضيعة او ولاية لكن امله خاب هذه المرة ..

خلفت هذه المرحلة المضنية آثارها في شعر المتنبي فجاء شعره ترجمة لحالته النفسية في اطوارها المختلفة . وهذا ما يدلل عليه المؤلف بالاستشهاد من شعره .

وحين قدم الى مصر قال يمدح كافور :

ابا المسك هل في الكاس فضل اناله
فانى اغنى منذ حين وتشرب
اذا لم تنط بى ضيعة او ولاية
فجودك يكسونى وشغلك يسلب

في هذا البيت يعود الى حلمه القديم وهو ان يكون شعره وسيلة الى ضياع تدر عليه المال . ولعله نسى ان كافور لا يطرب لشعره كما كان يفعل امير حلب . ولما خرج من مصر قال :

جود الرجال من الايدى وجودهم
من اللسان فلاكانوا ولا الجود !

ويعلق الدكتور كامل حسين على هذا البيت بانه ليس مدحا للكرم ولا للكريم وانما هو استجداء محض ! ..

وعلى ذكر المجد الذي كان يتحدث عنه المتنبي . يبدي المؤلف لمحة نقدية ذكية لاتخلو من تهكم وسخرية قائلا :

« ولا ادرى على وجه التحديد ما كان يعنيه الشعراء حين يتحدثون عن المجد والعلا» وهي نظرة نقدية تسخر ببعض المفاهيم الشعرية والفكرية التي يحفل بها اكثر التراث العربي.

ثم يتتبع اطوار علاقته بسيف الدولة ـ نفسيا لا زمنيا ـ في قصائده ويرى انه بدأ يمدحه مدحا خالصا فيقول :

بغيرك راعيا عبث الذئاب
وغيرك صارما ثلم الضراب

ثم فخر المتنبي بنفسه حيث يقول :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فلما احس بان ذلك لا يرضى الامير خفف من غلوائه وظل والغا بعطفه ، ثم قصر فخره على الشعر وحده حيث يقول :

وما الدهر الا من رواة قصائدى
اذا قلت شعرا كان لى الدهر منشدا

ولما راى ان سيف الدولة لم يعطف عليه كل العطف زاد غضبه فقال :

فان عتبك محمود عواقبه
وربما صحت الاجسام بالعلل

فلما يئس من عطف الامير قال :

حتى رجعت واقلامي قوائل لى
المجد للسيف ليس المجد للقلم !

وبلغ غاية اليأس حيث يقول :

المجد اخسر والمكارم صفقة
من ان يعيش لها الكريم الاروع

وبرح به اليأس حتى كره الناس جميعا فقال :

ومن عرف الايام معرفتى بها
من الناس روى رمحه غير راحم!

لم يذكر المؤلف انه اعتذر لسيف الدولة من مصاحبته في احدى المعارك بحجة ان يعود الى عياله . وقد فعل نفس الشيء مع بدر بن عمار مما يثبت أن المتنبي كان يخاف المعارك ، ولم يكن شجاعا ولا مقداما كما كان يدعي . وهو يجد في هذا البيت وصفا لنفسه .

فيرى باكثر هذا الناس ينخدع
ان قاتلوا جبنوا او حدثوا شجعوا

ويحاول كامل حسين تفسير الدوافع التي حملته على وصف المعارك الحربية وصفا فيه شفاعة مقززة كما في بيته وهو يصف قتلى الاعداء ..

يطمع الطير فيهم طول اكلهم
حتى تكاد على احيائهم تقع

ويعلق المؤلف على ذلك بقوله « يصعب على الانسان ان يتصور شاعرا مرهف الحس تخطر بباله صورة فيها ما في هذا البيت من فظاعة تشمئز منها النفس » .

ثم يفسر هذه المبالغات بانه نوع من الأماني

الموقة ؟ فقد كان يتمنى ان يكون هو الـذي فتك بهم لكنه لم يقاتل ولم يذهب الي الحرب، ومن هنا كان حنقه على القتلى هذا الحنـق الشديد وهو ما كان يجب ان يترفع عنـه الشعراء .

ويرى ان حديثه عن المال والمجد كان نوعا من احلام اليقظة ، وهو نوع كثير الانتشـار واقل خطرا من الاماني الموقة التي جعلت



المتنبي يحقد حتى على القتلى وضحايا المعارك . لكنه يرى ان شعره في مصر كان من خير شعره كله ، ظهرت فيه خصائص لم نعهدها في اجود شعره قبل ذلك ، اذ بدأ يطرب للنساء ، ويتساءل لماذا لا تطربه الخمر ، وهل في كئوسها هم وتسهيد وهو جديد على المتنبي الذي عاش يعمل للعلا والمجد .. كذلك ظهر في شعره التهكم والاستهزاء حتى بكافور نفسه .

ولم يظهر في شعر المتنبي تهكم الا في هـذا العهد ، وهو نوع من القول نادر في الشعر العربي . وبعض هذا التهكم فيه فكاهة بقدر ما كان يستطيع المتنبي من مرح واغلبه فيه من المرارة والجد ماهو اشبه بطبع ابي الطيب

وهو يرى ان كثرة الحكم والامثال في شعر المتنبي انما كان نتيجة لحالات الاخفاق التي مني بها في حياته ، لكنها تشهد له بقدرة عجيبة على تحويل خبرته الشخصية الى خبرة انسانية عامة ..

اما اضعف نواحي شعره وهـو الوصف ، فسببه ان الرجل لم توهب له القدرة عـلى رؤية الاشياء الجميلة فيطرب لها طربا يحمله على التغني بالجمال .. ولذلك كان وصفه واضح التكلف ، وهذا ما نراه في وصفه شعب بوان :

مغاني الشعب طيبا في المغاني
بمنزلة الربيع من الزمـان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمـان لسار بترجمـان

ويقول ان بالبيت الاول تشبيها غير حسي يقول ان جمال الشعب بين الشعاب كجمـال الربيع بين الفصول ، اما البيت الثاني فقد

تكون له قيمة لو كان في غير هذا الوضع ، ووصف الشعب فيه قصور من ادراك جماله . والصور الحسية في ديوان المتنبي قليلة يمكن لنا ان نحصيها ..

وحين ننظر فيما كتبه الدكتور كامل حسين من ابي العلاء نجد ان اعجابه بشعره يفوق التصور . وسر هـذا الاعجاب لا يرجع الى موضوعات شعره ولا الى عمق تفكيره ، وانما يرجع اعجابه بشعره الى قوة التعبير وهي الصفة التي يقاس بها كل ادب رفيع ..

وقوة التعبير كما يرى كامل حسين تكون في « الصدق والدقة على ان تكون تلك القـوة التعبيرية غير واعية فما يقوله الاديب نصـا صريحا لايرفع من ادبه ، وانما ترفعه دلالته غير الواعية لانها تعبر بصدق عن نفس الاديب وبيئته وعن النفس الانسانية عموما .. »

ولقد اعطى المعري حياته لأدبه . وسلكت اللغة العربية ادبه كله ، وهى ظاهرة فريدة لانها لم تكن عنده وسيلة للتفاهم مع الناس ، ولا وسيلة تعبير عن فنه بل كانت هي كل فنـه مادة وروحا ومجالا » ..

ثم يشرح ذلك في مجال التفرقة بينه وبين الآخرين فيقول :

« والفرق بينه وبين الآخـرين « من ادباء العرب » ان هؤلاء كان علمهم باللغة سـدا بينهم وبين الحياة ، حجبهم جمال اللفظ من ان يروا مافي النفس البشرية والحياة الانسانية والعلاقات بين الناس من جمال وروعة ، اما ابو العلاء فكانت اللغة عنده نافذة اطل منها على الحياة . وهى نافذة ضيقة ولاشك ، لكن حدة ذكائه مكنته من ان يفعل مالم يستطعه احد غيره من جعل اللغة وعلومها سبيل العلم بالحياة وأسرارها » — وهذا الكلام الذي يقوله كامل حسين عن المعري يذكرنا بـكلام ت.س. اليوت عن الموهبة الفردية حين قال ان شيكسبير قد خرج من قراءاته لبلوتارك بشيء أسـاسي وهام لم يخرج به أحد غيره ممن قرأوا اكل كتب المتحف البريطاني !

والموهبة الفذة هي التي جعلت ابا العـلاء يرى الحياة من خلال اللغة ويكتشف مالـم يكتشفه غيره من المبصرين وغير المبصرين . فاطمأن اليها في عزلته وجعلها اداته الفعالة للاستشمار من البعد ؟ ان جاز لي هذا التعبير .. ومن دلالة ذلك في شعره كثرة تشبيهاته المستمدة من اللغة وعلومها وهي تكثر في اللزوميات ..

ويفسر كامل حسين هذه الظاهرة التي اختص بها ادب المعري وحده بان ابا العلاء كان يستخدم الحقائق اللغوية في شعره كما كان الشعراء الأوربيون يستخدمون الميثولوجيا اللغـوية ويكثرون من الاستعارات والتشبيهات المستمدة من الاساطير ، لانها كانت مثلا اعلى لجمـال التعبير عن العواطف الانسانية كالحب والغيرة والغضب والبطولة والتضحية وكان شعراء



أوربا يلجأون اليها ولا يعتمدون على احداث الواقع لما تضفيه الاساطير على شعرهم وادبهم من روعة كما كان استخدامهم لهـا فى بعض العصور دليلا على الالمام بالثقافة العالمية . ولم يشذ عن ذلك الا شيكسبير لقلة علمه باللاتينية والاغريقية .

لمثل هذه الاسباب كان المعرى يـكثر من التشبيهات اللغوية والنحوية مثل قوله :

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا
مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

لان اللغة كانت مصدر علمه بالحياة ، وكانت معرفة اللغة اذ ذاك غاية الثقافة والعلم ..

وهنا يلاحظ كامل حسين : « ان المعرى كان



فى موقف اشد حرجا من اضرابه الأوربيين لانهم يستمدون وحيهم من شعر جميل ، وهو يستمد وحيه من علم جاف لا جمال فيه » وهو يرى لهذه الصفة دلالة اكبر تتعلق بحياة المعرى وعقليته ..

ويشرح ذلك قائلا ان التشبيه عند غير المبصرين نوعان .

ـ نوع يفوقون فيه المبصرين كالليل الذى تهاوى كواكبه فى بيت بشار ، وهذا هو التحدى .

ـ والنوع الاخر هو التشبيه بالمعنويات التى يستوى فيها المبصر وغير المبصر ويمثل له بالابيات التالية :

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت
فى الدهر لا يقدر لها اجراؤها

انه مقيد كما قيدت قاف رؤبة فى رجزه المعروف ..

ثم يقول :

وكأنما هذا الزمان قصيدة
ما اضطر شاعرها الى ابطائها

وهو يشبه الزمان بقصيدة لم يقدر الشاعر على « ابطائها » ويعلق كامل حسين على ذلك بقوله :

« واذا كان الليل الذى تهاوى كواكبه قولا يتحدى فيه بشار الزمن والنقص الذى فيه فقول المعرى يدل على الاستسلام والخضوع والتواضع ، ومن الخضوع ما يكون غاية القوة كالخضوع للدين والاخلاق والقانون »

واعمق شعر ابى العلاء دلالة عند كامل حسين هو « اللزوميات » اذ يرى فيها « مفتاح تلك النفس التى ارادها صاحبها مغلقة » وهو يرى الدلالة غير الواعية لشعر اللزوميات يساعده على تحليل عقيدة المعرى التى لم يشأ ان يطلع الناس عليها .

يقول كامل حسين « والذى اعرفه ان المعرى كان بطبيعته متدينا غاية التدين فالتدين عنده طبيعة كامنة فى النفس وصفة ملازمة لها » .. فالمهم تبعا لمنهج كامل حسين أن يعمل الانسان الاعمال الصالحة بدافع نفسى خالص دون خوف ورهبة او طلب لمثوبة . ولهذا يسمى التدين بانه « فى الواقع ليس الا لزوم مالا يلزم ايجابا او سلبا والمعرى على ذلك من اكثر الناس تدينا ، واعمقهم ايمانا واخلاصا لان طبيعته تأبى عليه غير ذلك » ..

لقد كان أقوى رجال الادب العربى شخصية واعمقهم تفكيرا واكثرهم جرأة فى الرأى « وما كان له أن يسلم بايمان العجائز ولعل أن يكون ايمانه بعد التفكير فى أمور الكون كما يأمرنا القرآن الكريم » ..

وقد دلل المعرى على هذا الايمان العميق بالاسلوب العجيب الذى ابتكره فى صياغة اللزوميات . فاللازم هو ان تكون القافية حرفا ومالا يلزم أن تكون اكثر من حرف .. وهو ما صنعه المعرى كرياضة نفسية وعقلية ..

ووجد فيه كامل حسين تعبيرا من مكنون نفسه وصرامة عقيدته ، تعبيرا صادقا غير واع وغير مقصود . ولا غرابة فى ذلك ، فهو يرى فى المعرى خير مثل لما يسميه الصدق الاكبر وهو التوافق التام بين نفسية الانسان وعقليته وحياته ..

لقد وفق المؤلف باستخدامه لمنهج التحليل النفسى فى كشف جوانب هامة فى شعرنا القديم لم يلتفت لها كثير من المتخصصين من اللغويين وشراح الاحتراف كما يسميهم .. كما اثبت باستخدامه الدقيق لاسلوب المقارنة استيعابه لمفاهيم النقد الحديث ، وقدرته على اثارة الاهتمام والتشويق بموضوعات الشعر العربى القديم التى انصرف عنها الناس وكاد الاهتمام بها يضمحل عند عامة المثقفين ..

الطعنة النجلاء في حسن المنظر وجمال القوام



د. مصطفى الديواني

● لابد ان يكون لين العظام قد لازم الطفل منذ بدء الخليقة ..

فقد اثبت الفحص وجوده فى الهياكل العظمية لاطفال عاشوا فى العصر الحجرى وثبت ايضا انه عاصر الدولة الرومانية القديمة ، ومصر الفرعونية ، وسار مع الزمان ينال من بنى البشر فى غير مقتل اللهم الا اذا كان التشوه الجسمى الذى يحدثه يعتبر عند من يعنون بحسن المنظر وجمال القوام ، طعنة نجلاء فى صميم الكيان المادى الذى من طبعه حب الزهو والخيلاء .. فهو يسبب تشوها فى شكل الراس وفى الاطراف وعظام الصدر والعمود الفقرى ، مما يولد فى المصاب به شعورا بالقصر لانه قد يشعر بانه لا يتمتع بالانسجام الجسمى كغيره من الاطفال ، ويجد انه لا يقوى على الجلوس والوقوف والمشى دون مساعدة بينما من هم فى مثل سنه يلهون ويمرحون . وتتاخر اسنانه فى الظهور فيعجز عن مضغ الطعام ويزدرده كعجوز أتى الزمن أو المرض على صفى اللؤلؤ اللذين زين الله بهما فكيه . وهو قلق فى يومه مضطرب اثناء نومه ، كثير العرق ، يحك رأسه فى الوسادة فتبدو فى مؤخرته فى كثير من الاحيان رقعة خالية من الشعر نتيجة هذا الحك المتواصل .

ولعل هذه الاعراض العصبية أول ما يلفت النظر فى الطفل الكسيح، ويجب الا ننتظر ظهور التشوهات الجسمية لتشخص الداء ، اذ كلما بدأ العلاج مبكرا كان ذلك فى صالح الطفل .

وتوجد اختبارات تساعدنا على التشخيص قبل ظهور تغييرات مميزة فى الهيكل العظمى للطفل ، فمثلا اذ قدرنا مستوى الجير والفوسفور فى الدم وجدناه هابطا ، واذا صورنا العظام بوساطة الاشعة السينية (اشعة اكس) وجدنا بها ما يثبت وجود الداء ، فى حين يبدو الطفل طبيعيا الى حد كبير .

***

ومنذ عام ١٨٩٠ ثبت ان التعرض لاشعة الشمس له علاقة هامة بلين العظام فهناك نوع خاص من الاشعاعات يطلقون عليه اسم الاشعة فوق البنفسجية وهى اكثر ما تكون فى الآفاق العالية مثل قمم الجبال ، وتقل فى الاجواء التى تكثر فيها الرمال والاتربة والرطوبة التى تمتصها قبل وصولها الى سطح الارض ، وهى لا يمكنها اختراق الزجاج العادى ، ولذا كان من العبث وضع الطفل فى غرفة مشمسة ولكن مغلقة النوافذ ، وهى لا تخترق الجلد الاسود، ولذا يكثر لين العظام بين الاطفال ذوى

البشرة السمراء أو السوداء ٠

وكلما اثقلنا الملابس على جسم الطفل اقللنا من افادته من أشعة الشمس ٠

اذا ادركنا كل هذا امكننا ان نفسر كثرة حدوث لين العظام بين الاطفال المصريين ، بالرغم من ان الام المصرية من اكثر امهات العالم المتمدين اقبالا على ارضاع طفلها ، فالمعلوم ان لبن الثدى لا يحوى من الفيتامين د - وهو الفيتامين المضاد للين العظام - الا كميات ضئيلة جدا لا تكفى لوقايته من مرض الكساح، ولكنه يحوى كمية اكبر من فيتامين د غير الفعال ، والذى لابد من تعرضه للاشعة فوق البنفسجية حتى يتحول الى فيتامين د فعال ٠

وقد يقول قائل ان الطفل المصرى لا تنقصه اشعة الشمس اذ ما اكثرها فى بلادنا ، وان متوسط عدد الساعات المشمسة فى فصل الشتاء هو ثمان ساعات يمكن للطفل خلالها ان يتمتع باوفر قسط من الاشعة فوق البنفسجية

ولكن الواقع ان شمسنا المصرية التى يحسدنا عليها العالم فقيرة فى اشعتها فوق البنفسجية،وذلك نتيجة امتصاص هذه الاشعة بوساطة ذرات الرمال والغبار والرطوبة المشبع بها جونا المصرى ٠ واذا اضفنا الى هذا وجود عوامل مثل سوء التغذية والمسكن غير المطابق للشروط الصحية من حيث الشمس والهواء والازدحام بالساكنين ادركنا لماذا تدور الدائرة على الطفل المصرى فى كثير من الاحوال بالرغم من ان الله قد وهبه فضاء مشمسا وصدرا زاخرا بخيراته ٠

ومما لا شك فيه ان الطفل الذى يرضع ثديا آدميا اقل عرضة للاصابة بمرض الكساح من الذى يرضع لبنا حيوانيا ، وذلك لا يرجع كما اسلفنا الى وجود الفيتامين د بكثرة فى اللبن الآدمى بل لان تركيب هذا اللبن يناسب قوة هضم الطفل فيفيد اكثر من املاح الجير والفوسفور الموجود فيه٠ اما اللبن الحيوانى فانه بالرغم من احتوائه على هذه الاملاح بنسبة تعادل ثمانية امثالها فى اللبن الآدمى فان الجهاز الهضمى للطفل يعجز عن تحويلها وامتصاصها فلا يصل منها الى الانسجة الا النزر اليسير ٠ لذا كان واجبا ان نبدأ باعطاء زيت السمك أو احد مستحضراته المركزة فى سن مبكرة لجميع الاطفال الذين يرضعون لبنا حيوانيا ٠

***

ونقطة الضعف الاساسية فى لين العظام هى عدم قدرة الطفل على ترسيب املاح الجير فى عظامه ٠ فقد تكون كمية الجير فى طعامه كافية وتصل نسبته فى الدم الى المستوى الطبيعى (وهو من ٩ - ١١ ملليجرام فى المائة)،ولكنها لاترسب فى العظام نتيجة نقص الفيتنامين د فتكون النتيجة عظاما بلا جير تلتوى تحت ثقل الجسم محدثة تشوهات ظاهرة وقد تتكسر فى اكثر من موضع ٠ فاذا اعطينا الطفل احد مستحضرات الفيتامين د كزيت السمك منع ترسيب املاح الجير وعادت للعظام صلابتها واذا نظرنا الى صورة الاشعة قبل العلاج وبعده وجدنا العظام فى الحالة الاولى باهتة ونهايتها مجوفة مشرشرة وكانها كاس فارغة أو مكنسة بالية فى حين انها فى الحالة الطبيعية خط مستقيم سميك يتحدى عوادى الزمان ،فمااشبه الطفل الكسيح بطفل غارق فى بركة مركزة باملاح الجير وهو عاجز عن الارتشاف من المنهل العذب حتى نقدم له فيتامين د وهو بمثابة الدلو الذى يغترف به ليملأ الكئوس الفارغة فى اطراف عظامه ٠

وقد اكتشف حتى الآن بضعة عشر نوعا من الفيتامين د ، ولكن اثنين منها فقط لهما قيمة عملية ، وهما فيتامين د ٢ ٠ وفيتامين د٣٠ اما اولهما فمن اصل نباتى واكثر ما يوجد فى الخميرة التى لابد من تعريضها للاشعة فوق البنفسجية ليتحول ما تحتويه من عنصر الارجوسترول الى فيتامين د فعال ٠

واما الثانى فمن اصل حيوانى وهو النوع الذى يوجد فى زيت السمك وصفار البيض واللبن ٠ ويوجد ايضا فى الطبقة الدهنية من جسم الانسان ، ولكنه لا يكون فعالا الا بتعريض الجسم لاشعة الشمس - ويتساوى النوعان الحيوانى والنباتى - فى مفعولهما كعلاج لمرض الكساح ٠

ويكثر حدوث لين العظام فى السنوات الاولى من العمر وخاصة بين الشهر

الثالث والثامن عشر • ويندر حدوثه قبل الشهر الثالث ، ولو ان هنـــاك حالات نادرة شخصت عقب الولادة أو بعدها باسابيع قلائل وخاصة اذا كانت الأم مصابة بلين عظام الحامل •ويحدث لين العظام مبكرا في التوائم والاطفـال المبتسرين (أى المولودين قبل الاوان) لانهم ينمون بسرعة تفوق السرعة التي ينمو بها الطفل الطبيعي ولذا يجب ان يبدأ معهم العلاج الوقائي من الشـــهر الثاني حتى تحول دون اصابتهم بلين العظـام • ولين العظـام في ذاته قابل للعلاج ، ولكن اذا كان تشوه الصـدر كبيرا لدرجة تعوق عمل الرئتين تعرض الطفـل للالتهـابات الرئوية والنزلات الشعبية وقد يودى هذا بحياته• وكثيرا ما نشاهد اطفالا تقوست سيقانهم نتيجة اصابة شديدة سـابقة ، ويكون هم الوالدين الاكبر هو الاطمئنـان على مستقبل طفلهم من حيث التشــوه الجسمي ، وخاصة اذا كانت المصـابة انثى ، ولهؤلاء اقـول ان معظم هـذه التقوسات تختفي بمرور الوقت مهمـا بدا هذا مستحيلا في اول الامر ولكن في الاصابات الشـديدة لابد من عرض الطفل على اخصائي في جراحة العظام ليصلح ما افسده الداء •

***

وقد سبق ان ذكرنا ان العلاج الوقائي يجب ان يبدأ مبكرا في الاطفـال الذين يتغذون بتغذية صـناعية وفي التوائم والاطفال المبتسرين • ويكفي لهذا اعطاء الطفل نصف ملعقة صـغيرة من زيت السمك ثلاث مرات في اليوم أو خمس نقط من احد مركباته المركزة مرتين في اليوم ابتداء من الشهر الثاني من العمر ولا بأس من ان نذكر ان الجرام الواحد من زيت السمك يحوى ١٠٠ وحدة من الفيتامين د ، في حين ان الجرام الواحد من المستحضرات المركزة ــ مثل الفيجانيول والفيوسترول والكاسـفيرول يحـوى ١٠٠٠٠ر١٠ وحـدة في الجـرام أى ٣٢٢ وحدة في النقطة الواحـدة فاذا قدرنا ان العـلاج الوقائي يلزمه حـوالى الف وحدة في اليوم كانت خمس نقط وافية الغـرض ، ولو اننا نزيدها الى الضعف في الحالات التي سبق ذكرها بالنسبة لتوقع شدة الاصابة •

اما العلاج الشافي فتلزمه كميـات اكبر فمثلا تعطى من زيت السمك ثلاث مرات يوميا •ويبدأ التحسن ــ كما يظهر من صورة الاشعة وارتفاع مستوى الجير والفوسفور في الدم ــ في اليوم الثاني عشر •

وقد وجد ان اعطاء كميات كبيرة من الفيتامين يؤدى الى شفاء اسرع ، فمثلا اذا اعطى الطفل ٥٠ الف وحدة في اليوم ظهر التحســن في ايام قلائل • وقد ابتدعت اخيرا طريقة علاج لين العظام بجرعة واحدة من الفيتامين د مقدارها ٦٠ الف وحدة على دفعة واحـدة في العضل أو عن طريق الفم وهذه نعمة كبرى على الطفل والوالدين ، فهي تغنيهم عن قيـام معركة الدواء بضع مرات في اليوم لبضعة اسابيع وشهـور ، وقد اثبت الفحص بالاشعة السـينية ان ترسيب املاح الجير في العظام يبدأ من الاسبوع الثاني ويتم الشفاء في ستة اسابيع بعد تناول الجرعة •

ولكن حذار من الافراط في استعمالها فقد يحدث ان يعطى الوالدان طفلهما جرعات عديدة قد تصـل الى العشرة او اكثر فيصاب نتيجة هذا الحماس باضرار شديدة وتظهر عليه اعراض التسـمم بالفيتامين د مثل فقدان الوزن والشهية وارتخاء العضلات وترسيب املاح الجير في الكليتين مما يؤدى الى تسمم بولى مالم يتداركه الطبيب في الوقت المناسب •

بل ان هناك اطفالا في اجسـامهم حساسية خاصة للفيتامين د وقد تكفي حقنة واحدة لاحداث الاعراض السـابق ذكرها • ولا باس من تحذير المـريض والطبيب الممارس معا من الاعـراض السيئة التي قد تحدث نتيجة الافراط في استعمالها نظرا لكونها رخيصة الثمن في متنـاول الجميع يصرفونهـا من الصيدليات متى شاءوا •

اما العلاج بالاشعة فوق البنفسجية فواف بالغرض في معظم الحالات ولكنه يصبح لا مبرر له بعد عـلاج الجرعة الواحدة الذى قلب أوضاع علاج هـذا المرض والذى اتى بوسيلة عملية للشفاء الى عتبة كل منزل به اصـابة بمرض الكساح •

قمة الأربعين

سالم حقي

هواك .. وإنكِ لا تعلمينْ !
يُحطِّمُ قيدَ فؤادى السَّجينْ
ويطلقه فى رحاب السَّنا
يُعربدُ فى الحبِّ لا يستكين
وإنكِ .. فى عنفوان الصِّبا
وإنِّى .. على قِمَّةِ الاربعين !

***

أردتِ لىَ الحبَّ لم تأبهى
لِشَعْرٍ .. مشى فيه شَيْبُ السنين
ولم تَخدعى فى الهوى عاشقا
تمرَّسَ بالحب .. لو تعرفين !!
ولم تسمعى لحديث الوشاةِ
ولم يُصغِ قلبُكِ للآثمين
وجئتِ إلىَّ .. كأغرودة
تُبشِّر بالصبح ضاحى الجبين
فكنتِ الحياةَ .. وكنتِ الهناءَ
وكنتِ العطاءَ .. وكنتِ المَعين
وكنتِ ائتلاقة قلبى المُعنَّى
وكنتِ ابتسامةَ عمرى الحزين !

***

تعالىْ .. إلى جنَّةِ العاشقينْ
فأنتِ الصِّبا النَّضرُ والياسمين
وأنتِ الربيعُ بأكمامه
وفى كأسِىَ الرِّىُّ للظامئين
وإنِّى أنا العاشقُ العبقرى
أُلَقِّنُ فنَّ الهوى والحنين
تمرَّستُ بالحب منذُ الصبا
وأدركتُ فوقَ الذى تدركين !
تعالىْ ! .. نَعُبُّ الهوى لا نُفيق
فإنَّ غدَ العُمرِ .. سِرٌّ دفين

شهرة وذيوع صيت
بعد نسيان وخمول ذكر

عزت محمد إبراهيم

● لعل من دواعي الدهشة والاستغراب أن نعلم أن كثيرين من مشاهير اليوم قد عاشوا في زمانهم مغمورين ، يتجرعون غصص الاهمال وقلة الاحتفال ، لا يلتفت اليهم احد ، ولايحفل بهم انسان ، وتدور عجلة الزمان فيقيض الله لهم من ينفض عنهم غبار النسيان ، فاذا بهم مشهورون يشار اليهم بالبنان .

من هؤلاء - على سبيل المثال لا الحصر - جين اوستن الانجليزية ، وستندال الفرنسي ، وهرمان ملفيل الامريكي :

امضت «جين أوستن» (١) حياتها في عزلة وانطواء ، ومرد ذلك الى أنها لم تكن تحفل بالشهرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى وضعها كامرأة ، ولم يكن المجتمع الانجليزي ينظر في زمانها بعين الارتياح الى اشتغال المرأة بالمسائل العامة ، فضلا عن ان كتابة القصة لم يكن ينظر اليها نظرة تقدير واعتبار ، ولذلك كانت «جين أوستن» تصدر قصصها غفلا من اسمها .

وقد كتب أخوها هنري في مذكراته يقول : « لم تكن الشهرة تغريها - لو كانت قد عاشت - بأن تضع اسمها على أي انتاج بقلمها ، هذا فضلا عما كان لها من ولع شديد بأسرتها ، وحدب بالغ على اخوتها جعل منها ربة بيت من طراز رفيع ولعل هذا ما كانت تمطح اليه في المقام الاول ، وما عداه ما كان يأتي في تقديرها الا على هامشه ، فهو انزواء بالارادة ، وليس بالتجاهل وسوء التقدير » .

وهي على كل حال لم يكن في مقدورها أن تكتب الرواية ، لو لم يكن هناك من يحفل بها ، ويقرأ لها ، ويطلب المزيد من كتاباتها ، ولكن شتان بين احتفال وتقدير ، في دائرة ومحيط ، وبين شهرة عريضة تطبق الآفاق ، وتطير في الخافقين ، كتلك التي حظيت بها بعد موتها بعشرات السنين .

وحتى هذا القدر من الاهتمام الذي

«١» ١٧٧٥ - ١٨١٧

حققته فى حياتها ، لم يتيسر الا بعد جهد وعناء ، وكان أول كتاباتها روايتها « انطباعات أولى » . وقد كتب أخوها

« جورج أوستن » الى أحد الناشرين يعرض عليه نشرها على حساب مؤلفتها ، أو بالطريقة التى يراها ، ولكن الناشر لم يجد فى العرض شيئا يغرى ، أو يضمن له كسبا ، فسارع بالرفض ...

وبعد ذلك بستة عشر عاما كتبت روايتها « الكبرياء والهوى » وباعت حقوق نشرها لقاء عشرة جنيهات ، وهى اليوم مبعث فخر للادب الروائى الانجليزى ، وقد قيل أن « دزرائيلى » قد قرأها ست عشرة مرة .

كانت « جين أوستن » أصغر اخوتها السبعة : خمسة من الذكور ، وبنتان ، وقد تفرق الاخوة ، وبقيت الأختان فى بيت الاسرة ، وقد كانت « جين » شديدة التعلق بأختها « اكسندرا » ، شديدة

جين اوستن



الرغبة فى محاكاتها الى الدرجة التى تجعل أمها تقول : « لو حدث وبادرت « اكسندرا » الى قطع رقبتها ، فان « جين » ستصر على مشاركتها نفس المصير » .

وقد بدأت « جين » الكتابة فى سن مبكرة ، لعلها كانت دون الخامسة عشرة ، وكانت تحرص أشد الحرص على أن يكون عملها طى الكتمان فلا يطلع عليه احد خارج محيط الاسرة ، من خدم أو زائرين ، وكانت تأخذ لذلك الحيطة البالغة ، فهى تكتب على قطع صغير من الورق يسهل اخفاؤه اذا باغتها احد ، ويبدو انها احتاطت ايضا فى أمر المباغتة فلم يكن من الميسور أن تقع ، فقد كان بين الباب الرئيسى وحجرة المكتب باب يحدث صوتا ، وقد مانعت فى اصلاح هذا العيب ، ورأت فيه نفعا ، فهو لها بمثابة الانذار أن يفاجئها احد وهى منهمكة فى عملها الذى تحرص على كتمانه .

وبعد موتها بخمسين عاما ، أفاق الناس على حقيقتها ، وعرفوا لها حق قدرها ، وبعد ذلك احتفلت انجلترا بمرور مائتى عام على ميلادها ودامت الاحتفالات فى موطنها فى وسط انجلترا الجنوبى عاما بأكمله ، وزينت طوابع البريد بمشاهد من بعض قصصها ، منها « الكبرياء والهوى » .

وترتفع اليوم « جين أوستن » الى مقام « شيكسبير » ، ويرفعها الى هذا المقام أو قريبا منه أعلام لهم فى الفكر والادب

مكانة محمودة منهم « ماكولى » والشاعر « لورد ألفرد تينيسون » الذى اختار لها المرتبة الثانية بعد « شيكسبير » فى الاهمية والتقدير ٠

***

واذا كانت « جين أوستن » على ماعرفنا من استهانة بالشهرة ، وقلة الاحتفال بها،فقد كان الكاتب الفرنسي «ستندال» ٢ على النقيض من ذلك ، فقد ظل طيلة حياته يسعى اليها ، ويشتد فى طلبها ، ولم يظفر بها قط فى حياته ، ولم تتحقق له الا بعد أن واراه الثرى بسنوات وسنوات ٠

تقلب « ستندال » فى وظائف عديدة ، واكتسب العديد من الخبرات فى حياته ، واختلط بانماط متعددة من النـاس والشخصيات ، فامده ذلك كله بمعرفة واسعة بالحياة الانسانية وطبائع البشر ، ولم يتخذ من الكتابة حرفة ، وكذلك لم ينقطع ابدا عنها ، وقد ثابر على كتابة يومياته ، وكتب سيرة ذاتية لم يكملها ، ومات قبل ان يراجعها ، وكانت ذاته هى محور كتاباته بوجه عام ، ولم تدر كتاباته عليه مالا ، كما انها لم تحقق له شهرة ، وحسبنا من ذلك ان نعرف أن كتابا من كتبه قد بيع منه سبع عشرة نسخة على مدى احدى عشرة سنة !

وقد كان من المحتمل أن يظل متخبطا فى دياجير النسيان بعد مماته ، كما عاش فى طى الاهمال فى حياته ، لولا أن كتاباته قد شدت انتباه أستاذ جامعى فاخذ على عاتقه الاهتمام به والقاء المحاضرات عنه ، وكان من بين تلامذته من أتيح له أن يكون ذا شهرة فى مجال الادب ، كان من أبرزهم « هيبولت تين» فكتب عنه مقالة شهيرة رفع بها اسمه من حضيض الخمول والاهمال الى قمة الذيوع والانتشار ، حين قال عنه انه أعظم سيكولوجى على مر العصور ، واعتبره « أندريه جيد » مبتدع الرواية السيكولوجية ، ثم استقر الرأى فيه بعد ذلك على أنه احد كبار روائى فرنسا فى القرن التاسع عشر ، وأن روايته « الاحمر والاسود » واحدة من أعظم الروايات ، ويقول عنها « سومرست موم » انها ما زالت من أروع الروايات التى كتبت ، والقارىء الذى يطالعها انما يمر بتجربة فريدة ٠

***

اما « ملفيل » (٣) فقد نشأ فى عائلة ميسورة الحال فى « البانى » وكان أبوه مثقفا كثير الأسفار ، وكانت أمه ذات ذوق سليم ، وتربية حسنة ، وميل الى التدين، ثم منى الأب بخسارة فى تجارته فرحلت العائلة الى «نيويورك» ليستقيم

«٢» (١٧٨٣ ــ ١٨٤٢)
«٣» (١٨١٩ ــ ١٨٩١)

لها الحال زمنا ، ثم تعود الى العوز والضنك .

ولم يلبث الاب أن مات مفلسا ، واضطر « ملفيل » وهو فى غضاضة سنه الى الاشتغال فى أعمال كثيرة ، لم يصادفه فيها نجاح ، عندئذ عقد العزم على الذهاب الى البحر ليشتغل بحارا ، يدفعه الى ذلك مالقيه من خيبة أمل فى الاعمال التى اشتغل بها ، كما يدفعه اليه رغبة فى التجول والترحال تعتمل فى نفسه .

ولما عاد من البحر كان فى جعبته الكثير من القصص عن غرائب ومغامرات الحياة التى عاشها ، ولقيت قصصه آذانا صاغية مشغوفة بسماعها ، فدفعه ذلك الى تأليف كتاب عنها ، فكتب كتابه « تيبى » الذى قوبل بالاستحسان والتشجيع ، مما كان له أثره فى نفس « ملفيل » للمضى فى مهنة الكتابة ، **فكان كتابه « أمو » ، ثم كتب رواية « الحوت الابيض » أو « موبى ديك » فلم تعجب أحدا ، فلا هى وجدت من الناس اقبالا ، ولا آنست من النقاد رضا ، وكان بينه وبين ((هوثورن)) صلة ، طرفاها الاعجاب من جانب « ملفيل » بكاتب كبير من جهة ، والضيق والازورار من « هوثورن » ذى الميل الى العزلة والانطواء من جهة ، وقد أهدى « ملفيل » روايته لـ « هوثورن » ولم يكن رأيه فيها بأحسن من رأى الناس والنقاد ، وأعقبتها رواية ((بيير)) فكان مصيرها انصراف الناس عنها ، وازدراءهم لها ، ولم يجن ((ملفيل)) من وراء ذلك غير النزر اليسير من المال ، واضطر - لكى يقيم أوده - الى قبول وظيفة متواضعة فى الجمارك ، أمضى فيها عشرين عاما من حياته ، وضاق بالناس وضاق بأهله ، وضاقوا به ، ثم مات نسيا منسيا وهو فى الثانية والسبعين من عمره .**

وبعد موته ، لم تكن ذكراه بالذكرى المحببة الى أبنائه ، فقد كانوا يستعيدون معها ذكرى العوز والضنك ، وغرائب أطوار أبيهم التى تدفعه الى شراء كتاب بعشرة دولارات ، وليس فى بيتهم ما يقتاتون به !

ولقد كتب « ملفيل » روايته « موبى ديك» فى ظروف عسيرة تصورها زوجه فى مذكراتها بقولها : « كان يجلس طوال اليوم الى مكتبه ، ثم يذهب الى القرية بعد هبوط الظلام ، ويستيقظ مبكرا ، ويتجول قبل تناول الافطار ، وفى بعض الاحيان ينشر الاخشاب من قبيل الرياضة ، لقد أحسسنا جميعا بالقلق ازاء هذا الضغط على صحته » .

وما أغرب ما يكون بعد ذلك ، حين يستبين أن « موبى ديك » كانت نقلة واسعة المدى بالقياس الى ما كتبه فى بواكير حياته ، فقد نقلته من كاتب مثله كثيرون الى كاتب يعز له النظير ...

وتصبح « موبى ديك » قمة أعمال « ملفيل » التى تضعه فى مصاف كبار الروائيين ، ويصبح بطلها ((كابتن اهاب)) على درجة من العظمة والشموخ لا يدانيه فيها الا شخوص تراجيديا الاغريق الذين خلدتهم أعمالهم على مر العصور وتوالى الاحقاب .

الشاعر المحلق بجناحين من الخيال الرفيع

فى فن الطرديات

ابن المعتز

د. محمد بديع شريف

ولد عبد الله بن محمد المعتز بالله فى عهد جده المتوكل ، وهو عهد فى بدايته كان زاهرا ومن اجمل عهود الخلافة العباسية ، فنمت هذه النبتة الهاشمية وترعرعت فى بحبوحة العيش الرغيد وظلال الأبوين ، حتى وقعت الكارثة الأولى من نوعها عندما تصلف خدم القصر فائتمروا بالمتوكل واغتيل ، فتخضخضت قوة الدولة العباسية بهذا الاغتيال ، وبدا الضباب يلف تلك النضارة البهيجة فى قصور الخلافة .

ثم اسرعت الحوادث تتلاحق حتى اغتيل ابوه ، وعبد الله يافع لم تؤهله سنه أن يشعر بالكارثة ، فاحتضنته جدته قبيحة التى نفيت الى مكة فى عهد المهتدى ، وحفيدها فى حضنها ، وبقيت فى جوار بيت الله حتى استدعاها الخليفة المعتمد ومعها عبد الله ، وقد اصبح فى سن تؤهله للتعليم والتأديب ، فاحيط بالمؤدبين الذين كانوا يجوسون خلال القصور والمساجد يؤدبون ابناء الخلفاء والامراء والوزراء والوجهاء وقواد الجيوش ، ويلقون دروسهم فى اروقة المساجد ، فانغمرت هذه النبتة الهاشمية فى غمرة هذه الحضارة المزدهرة ، واحيطت بالأجلاء من علماء النحو واللغة والأدب ..

وهيأت له جدته مكتبة عامرة ، واخذت تضيف اليها ما يقع بين يديها من الكتب ، فكانت هذه المكتبة مثواه ومرجعه وأحب المجالس اليه ، وانكب عليها يعب من تراث الأقدمين فيما ترجم عنهم من علوم وادب وفلسفة ومن علوم العرب وآدابها ، ومن الشريعة فى الفقه والحديث وعلوم القرآن ومشابهاتها له البحث والدرس كان ينعم فى رغد العيش فى ظلال المعتمد والمعتضد والمكتفى حيث بلغت الدولة ذروة القوة والعزة .

وكانت اناشيد الشعر للبحترى ، وأبى تمام ، وابن الرومى تملأ أرجاء الخلافة فى أساليبهم الرائعة .. أما عبد الله فقد اكتمل نضجه ، واستوى على سوقه ، وصار مشار الاعجاب والفخر ، وتطلعت اليه عيون المحبين ، ونظرته شزرا عيون الحاقدين تخافه وترجو الا يجلس على كرسى الخلافة لسمو سلوكه وحدة ذكائه .

كان يتصرف في الحياة تصرف العاقل الابى الكريم المترفع عن سفاسف الأمور ، يمشي في شئونه متزنا على قدر ، لا يأتي باطلا تنبو عنه كرائم الاخلاق .

***

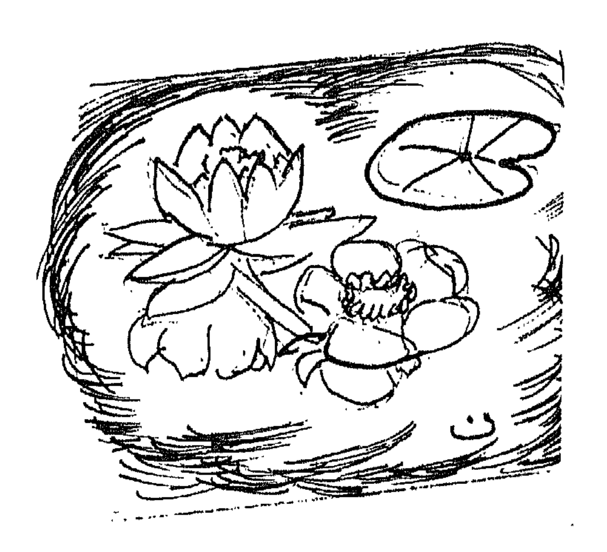
وترجع صلتي بديوان ابى العباس عبد الله بن المعتز الى عام ١٩٣٧ حين شاء القدر ان احط الرحال في بون عاصمة المانيا الغربية مبعوثا من وزارة التربية ، فاتصلت برئيس جمعية المستشرقين المرحوم « باول كاله » ، فكان أول اقتراحه على ان التحق بجامعة «بون» وان اخص ديوان ابن المعتز بالتحقيق ، واكتب في ادبه والبيئة الحضارية التي انجبته ، واكد لى ان دراسة هذا الديوان تعود على الثقافة العربية بثروة ثمينة ، ولن يؤخرني ذلك عن دراسة التربية وعلم النفس والأدب الالماني في العصر الحديث .

وبدون تردد أحضر الاستاذ نسخة مصورة من المخطوط المحفوظ في المكتبة السينمائية المسجل برقم « ١٧٢٨ في قسم لاله لى » ، وتحتوى هذه النسخة على نصف الديوان .

وشرعت في مقابلة هذا المخطوط مع النسخ المطبوعة التي كانت في متناول يدي وهي : ديوانه المطبوع في القاهرة ، وديوانه المطبوع في بيروت ، واشعار اولاد الخلفاء ، واخبارهم في كتاب الاوراق الذى نشره المستشرق « هيوارث دن . » وفي هذه المقابلة ظهرت اخطاء كثيرة وقع فيها النساخ والناشرون ، صرفت معاني الشعر عن مقاصدها ، وشوهت محاسن مضامينه ، وعصفت بذلك الخيال الشعرى الجميل ، ومسخت ألفاظ اللغة العربية ذات الجرس والنغم ، وطمست معالم ذلك النبل التعبيرى الذى يمتاز به ابو العباس .

كان أوضح هذه المخطوطات كتابة واصحها رواية « لاله لى » ، وكوبنهاجن والسفينة ومخطوط المدينة من اختيار الصاحب بن عباد . أما المخطوطات الاخرى فان الخطيئة لا تنسب الا اليها ، وفي اخطائها وقع الناشرون الحديثون ، ووقع في اخطائهم رجال الأدب والنقد والدارسون .

في هذه المدة الطويلة كنت اتعامل بالبحث والتدقيق مع نساخ ديوانه وناشرى اشعاره واخباره في مخطوطات قضمت الارضة بعض كلمات الأبيات منها او عفت من تقادم العهد ، فأصحح ما وقع فيه النساخ من الاخطاء ، وما تورط فيه كتاب النقد والأدباء ومن بعدهم الدارسون فلقد كانت النقطة في اختلاف وضعها من تحت او من عل تغير الكلمة والجملة ، وكان تبديل شطر بآخر من بيت يليه او حذفه من القصيدة يعصف بالبيت كله ، ناهيك عن انتحال مرتجل واقحام كلمات نابية يضعها الناسخ الجاهل تندرا واستهزاء ، فيفوت ذلك على المحقق والباحث والناقد والأديب كما ورد عند الآنسي ، وجبزى ، والبستاني في ابدال كلمة العشير بالشعير ، والاثداء جمع ثدى النابض بالحياة بكلمة شلو المقطوع من حيث الأموات ، وخراطيم النحل في وقوعها على كئوس الورد عند امتصاصها الرحيق بخراطيم الفحل .. وكلمة النور بفتح النون وسكون الواو بكلمة ثور .. والنعل بالبغل ! ..



ومن امثلة ذلك ما قاله الشاعر فى وصفه انكباب خراطيم الاباريق على الكئوس حالة صب الشراب بخراطيم النحل حين تقف على كئوس الزهر تمتص الرحيق

كأن خراطيمها فى الزجاج
خراطيم نحل يثقبن نورا

حرفه الناشرون بما يأتى :

كأن خراطيمها فى الزجاج
خراطيم فحل ينقبن ثورا

وكقول الشاعر :

والغيث يهدى الدمع كل عشية
لعيون نور لم تخط بسبات

حرفة الناشرون الى :

والغيث يهدى الدمع كل عشية
لغيوم يوم لم يحط بنبات .

مثل هذا التحريف تجاوز المئات كما جاء فى أول المقال، وقد صحح ذلك وعاد الى نصابه ، وبعد جهد عنيف فى فترة جميلة من الزمن تجاوزت سبع سنوات ، خرجت بجملة صالحة أطلقت عليها ديوان أشعار الامير أبى العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله .

***

ان عبد الله من اولئكم الشعراء الذين طبعت مواهب الفن على جباههم قبلة الرضا ، خرج الى بيئة الشعر والأدب فى نضج ثقافى وثروة من لغة القرآن والحديث واشعار العرب وآدابها ، فاصبحت اللغة أداته ، ومع أن التمكن من التمهر فيها صعب ، فقد كانت تاتيه طيعة تركض المعانى الموهوبة الى الألفاظ ركضا ، فتظهر فيها صور شعرية لها نغم جميل ... واذا امعنت النظر فى شعره وجدته يتصيد الكلمات فى لفته لا لأجل ان يعبر عن احساس بل ليخلق الاحساس، **فان الشاعر يشعر لغيره لكى يستطيع المتيم حين يعشق فتاته أن يسير معها فى ارض شعره وبه ينمنعان بالطبيعة وبه يعملان ، فارض الشعر ارض متعة وعمل . ارض احساس بمكامن الفضيلة والرذيلة والحسن والقبيح . وابن المعتز لم يخرج عن طبيعة فحول الشعراء المجيدين ، فله من سعة الخيال والتمهر فى التصوير وابراز المعاني ودقة الملاحظة وجمال التعبير وسلاسة النظم ، ما يترك الناس يسيرون فى ارض شعره ويتغنون بنشيده .**

انشد ابن المعتز شعره فى عشرة فنون ، جريا على عادة الشعراء فى تلكم العصور واستجابة لرغبات الناس الذين يريدون أن ينتقلوا فى ارضين الشعر من ارض الى ارض . قال فى الفخر ، والغزل ، والمدح ، والذم ، والشراب ، والمعاتبات ، والطرديات ، والأوصاف ، والملح ، والمرائى ، **والزهد ، والشيب ، والآداب ... وصف البيد والمهامه ووصف الظبى والظليم ، وحمار الوحش ، والبازى، وكلاب الصيد ، ، والخيل والجمال .. ووصف الأنهار ، والأودية ، والمروج والجنائن والقصور .. ووصف الأطلال والمنازل الخالية ، ببيان رائع . . . ولجمال شعره اخذ عنه علماء البيان والبديع شواهدهم للدلالة على نبل التعبير واجادة التمثيل ..**

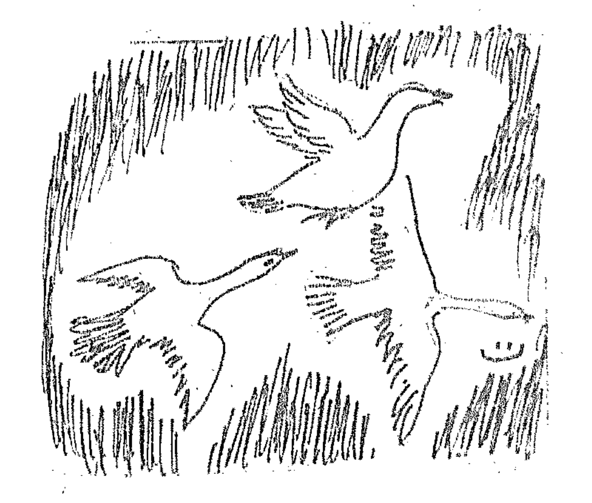
***

وحلق ابو العباس بجناحين فى الخيال الرفيع فى فن الطرديات ،

وهو من ارفع الفنون ، تجتمع في ممارسته المروءة بضروبها من الشجاعة والكرم والحلم والحزم والسيادة والسياسة .. وبرزت في هذا الخيال عبقرية اللغة العربية في قدرتها على التصوير ، فمنح الشاعر بها صورا رائعة للطبيعة في غدوه ورواحه ، للخيل وكلاب الصيدوالبزاة والصقور والفهود ، ونفذ الى اسرار حياتها فكشف غرائزها المتوحشة والمهذبة المتدربة ، فهو في غدوة من غدواته يخرج والصباح يحدو الابل المتدثر بقبائه المضرج والنجم لا يزال يتلألأ في غرة الفجر ، والفجر مسرج كاللهب المؤجج ، والنجم من حوله يصطلى بهذا اللهب ، **والجوزاء تخفق حزنا على الليل كأنها لواء تهزه الرياح!.**

يخرج ابن المعتز في هذه الطبيعة الساحرة على جواده الاشقر السريع الممتلىء الملزوز المحجل القوى الذى تشتبك اضلعه بصلب متين الفقرات كما تشتبك اشجار الهودج بعموده ، يزينه حجله كما يزين الدملج معصم الحسناء التى تخطر بجلبابها الاحمر .

اما بازيه ، فهو القمر كأنه ملك متوج، له مقلة صافية ثابتة يتحرك لحظها يمنة ويسرة لتتفقد مواقع الصيد ،وله مخلب معقوف كمثل الحاجب المزجج ، ابرش الجناحين كمثل طيلسان الملك الموشى، همه ادخال السرور على الصيادين ، ينقل اليهم الصيد فيتركهم بين ذابح وقادح زناد يؤجج النار ومنضج ينضج

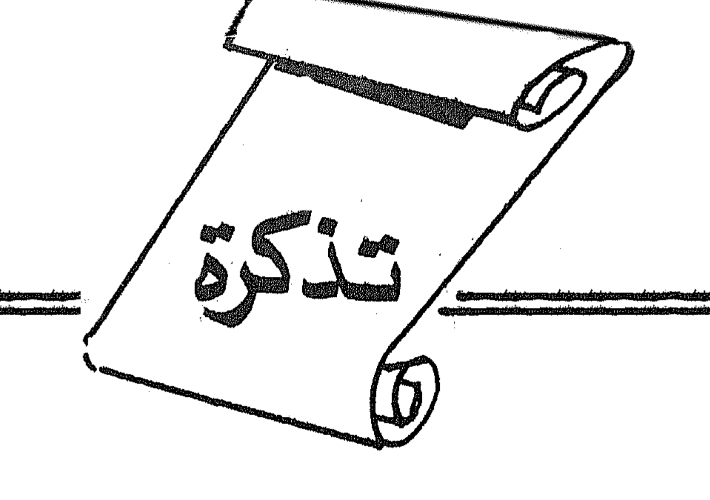


اللحم ، ومعجل يستقبل الشواء ...

وملحمته المزدوجة التى تدخل في فن المديح ، واشتهرت بأنها كتبت للمعتضد سجل حافل بصفحات مؤلمة واخرى مشرقة، وصف بها حياة الدولة العباسية في عهودها الاخيرة التى عمت فيها حركات الخارجين على السلطان، فاصبحت البلاد تتمايل بين القوة والضعف وعرضة للكوارث والمصائب التى اثرت في الوضع الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، يسجل ابن المعتز دوافع تلكم الحركات، واشار الى اصولها المتحددة في اصلاب التاريخ بنفوس اولئكم الاقوام الغريبة على العرب والاسلام الذين لم تتمكن العقيدة الاسلامية من نفوسهم والذين يثورون باسم الطالبيين

وطبيعة شعره في الهجاء معقدة مربوكة ، فقد عرف عنه انه عف اللسان ، امير في مكارم الاخلاق ،امير في البيان ، يسمو الى مقام الخلفاء والأمراء وفحول الشعراء ، وحسبك ان تقرأ شعره في فن المعاتبات لتجد فيه هجاء مؤدبا ، وكثيرا ما يكون سكوته في هجاء الخصوم ابلغ من كلامه، فاذا هجا انصب هجوه على ضعف المروءات والخارجين على الدولة الناقضين العهود والذين يسعون في الارض فسادا. وله فيه اسلوب خاص جزل ولغة مهذبة فصيحة والهجاء نفسه فن يندفع الكلام فيه عن انفعال الغريزة دفاعا وهجوما الجرم مغنم او دفع مغرم، وقد يستوى الناس جميعا في هذه الظاهرة، ولكنهم يتفاوتون تفاوتهم ثقافة وتهذيبا ..

وبعد فهذا عرض موجز لجملة طيبة عزيزة في فنون الشاعر العشرة ، افنيت زمنا طيبا تجاوز سبع سنوات في جمعها وتصحيحها ومقابلتها من بين الكتب المطبوعة والمخطوطة ، ولا ادعى الكمال ، فان الكمال لله وحده .
وكل ما اقوله ان هذه الدراسة التى نقدمها للمكتبة العربية ما هي الا مفتاح للدارس والباحث، والله الموفق



طبيّة

د. السيد الجميلى

شفاء ورحمة

● رحب المدى سخى المورد واسع العطاء، سيظل يسرى فى النفوس ويحتوى القلوب ، تتلذذ منه الاعماق وتطمئن به الخواطر وتنشرح له الصدور ، وتنكشف معه الخطوب والنوازل، وتشفى به الأنفس وتبرأ به العقول والالباب ، رائع المعلمة عظيم الروعة .. انه القرآن الكريم يريح مكدود البدن ويغسل أدران الزمن ولا يشبع منه العلماء .

اذا كنت مهموما أو أن أهمتك نازلة - لا قدر الله - فاقرأ ما تيسر من القرآن . « **وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة** »

عش سعيدا مع قلبك السقيم ؟

تستطيع عزيزى مريض القلب أن تعيش سعيدا وان تتفادى النوبات القلبية اذا ما اتبعت هاتيك النصائح الطبية :

● **الا تجعل للاهواء سلطانا على قلبك بالادمان والتدخين باسراف .**

● **حرر عقلك وفكرك من الهواجس والهموم .**

● **لا تفكر فى انك مريض بداء عضال يصعب شفاؤه ، لان التفكير فى امراض القلب يزيد من حدتها ويفاقم من خطورتها .**

● **اتبع تعليمات طبيبك المعالج بدقة وحذر وارجع اليه عند حدوث اى عارض حتى ولو كان يسيرا ، وانتظم فى زيارتك له بين فينة واخرى .**

● **املأ صدرك بالهواء النقى المنعش وابتعد عن الزحام والهواء الفاسد .**

● **ابتعد عن كل ما يعكر صفو الخاطر وتحرر من القلق والضيق ناهيك من متاعب العمل ، فان كان العمل شاقا محفوفا بالتوتر والانفعالات فمن الافضل أن تغيره بعمل آخر .**

● **اجعل غذاءك سهل الهضم خفيفا بعيدا عن الامتلاء والتخمة وليكن اشراف الطبيب على هذا النظام مباشرا .**

بهذا اطمئن الى انك ستكون اكثر سعادة وهناء وراحة بال .

لعب بالنار

ان تتعاطى المضادات الحيوية بدون استشارة طبية ، فانت تهدد حياتك وتقوض بناء جسمك بنفسك ، لان المضادات الحيوية لكل منها جرعة خاصة تختلف من نوع لاخر ، وللنوع الواحد من حالة مرضية الى أخرى ، وفى كل هذه الحالات حسب سن ونوع المريض هل هو ذكر ام انثى وعلى درجة الاصابة ومدى حساسية المريض للعقار نفسه ...

كثير من الناس يستعملون بعض المضادات الحيوية بدون داع لتعاطيها ومن ثم يجعلون أجسامهم تتعود عليها وتقاوم تاثيرها فتقل فعاليتها حتى اذا ما غزا الجسم جيش من الميكروبات الحساسة لهذا المضاد الحيوى نفسه لاتلقى اية مقاومة من الجسم ، كما ان الدواء يقف مكتوف الايدى امام الجحافل



الغازية اذ تنهش بلا رحمة وبغير هوادة فحذار من اللعب بالنار ..

القصور التاجي

من الشائع أن يعانى الشريان التاجي لأى قلب من نقص فى كفاءته ، وخمول فى نشاطه ، لا سيما عند العصبيين من الناس .

المعروف أن الشريان التاجي يعتبر من اهم الشرايين التى يحتوى عليها جسم الانسان لانه يغذى عضلة القلب، وهو من الشرايين المنتهية ولا يتصل بشريان آخر أو محطة أخرى يستنجد بها اذا قل عنه المدد أو نضب معينه بتقلصات معينة .

والعجز التاجي لا يظهر لنا اعراضه فى صورة اكلينيكية جلية واضحة تدل على درجة نقص الاوكسجين والذى تتطلبه عضلة القلب فى الحاح وباستمرار حتى يتسنى لها حفظ الاتزان القلبى للاوكسجين او حفظ الاتزان الاوكسجينى للقلب .

واسباب القصور التاجي شتى مثل النزيف الحاد ، حالات الصدمات العصبية وانخفاض ضغط الدم . هبوط ضغط الدم . التسمم باول أوكسيد الكربون . هبوط القلب الحاد . الخفقان الشديد للقلب . ويعالج القصور التاجي بموسعات الشريان مثل ثلاثى نيترات الجليسرين بمعرفة الطبيب المعالج .

البول السكرى

لا يدل وجود السكر فى البول على حتمية ارتفاع نسبة السكر فى الدم فالمعروف أن هناك اسبابا أخرى يكون من جرائها أن يظهر السكر فى البول مثل حالات الحمل فى كثير من الاحايين حين تقل كفاءة الكليتين على استخلاص السكر مرة أخرى. ولا جرم ان الازمات العصبية والنوبات العصبية لا يغفل **تاثيرها على هذه الحال ، وخير دليل على ذلك هو ما يحدث عادة للتلاميذ فى فصل الامتحانات ، ويعزو ذلك العلماء الى افراز كميات كبيرة من الادرينالين .**

حالات أخرى يظهر فيها السكر فى البول مثل تليف الكبد الشديد وارتفاع الضغط الدموى داخل المخ، التسمم البرقى ، التهاب الكلى المزمن ..

حلم البشرية الجديد المناعة ضد السرطان!

- طلاء الشفاه يحمي المرأة من السرطان
  د. محسن سليمان
- بعض أنواع الماكياج تسبب سرطان الجلد
  د. حسن عبد العال
- مدرسة جديدة لعلاج سرطان الدم
  د. أسامه الشناوى

مازال الخوف من السرطان يطوق الناس بحصار نفسي مروع .

ان الاصابات تزداد وتنتشر حتى فى المجتمعات المتحضرة والتي تملك احدث الاساليب العلاجية .. لكن العلماء والاطباء فى حالة بحث دائم ، املا فى القضاء عليه ..

وخلال الآونة الاخيرة بدت فى الافق بارقة امل جديد بعد اجراء العديد من البحوث العلمية على خلايا الجسم ، اكدت امكانية الحد من انتشار السرطان عن طريق هذه الخلايا المناعية وقدرتها على المقاومة ، وخاصة اورام الجلد .

الدكتور محسن محمد سليمان مدرس الامراض الجلدية بطب قصر العيني ، يحدد وظائف خلايا المناعة ودورها الوقائي قائلا : فى حالات الجسم الطبيعية تكون هذه الخلايا دائما متواجدة بنسبة معينة وصورة معينة ، وتؤدى وظائفها الطبيعية .. اما فى حالة حدوث خلل أى عدم أداء وظيفتها بالصورة السليمة ، فانها تسمح بمرور الخلايا السرطانية من الجلد الى الداخل وهذه الصورة تتضح بشكل اوقع فى انواع السرطان المرتبطة بالفددالليمفاوية لأن خلايا المناعة هذه اغلبها وأحياناكلها مرتبط بالنسيج الليمفاوى للجسم ، فانه يحدث بالتالي نوع من الانتشار .

واذا قامت خلايا المناعة بوظائفها بشكل سليم فتكون لديها القدرة نسبيا على الحد من نمو سرطان الجلد ... معنى ذلك انه لا توجد خلايا معينة فى



الجسم تمكن من الاصابة وخلايا اخرى تمنع الاصابة بالسرطان نهائيا ، كما قد يتصور البعض .

وسرطان الجلد على كل حال له اسباب اخرى كثيرة لا ترتبط بخلايا المناعة فقط ، فهناك على سبيل المثال انواع من الاورام الليمفاوية تظهر فى الجلد كما تظهر فى اى مكان آخر .

هل هناك علاقة بين سرطان الجلد والحساسية ؟ ينفى الدكتور محسن سليمان هذا الارتباط نهائيا ـ ويقول : لا يوجد ارتباط اطلاقا بين حساسية الجلد مثل الارتيكاريا والاكزيما ، وبين السرطان على الرغم من انتشار هذه الامراض بشكل واضح .

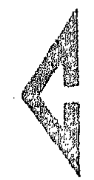
واذا تساءلنا عن حساسية بعض الاشخاص تجاه ضوء الشمس وتاثير ذلك على الجلد ؟

يقول الدكتور محسن : فى هذه الحالة نستطيع ان نؤكد ان بعض الاشخاص يؤدى بهم تعرضهم مدة كبيرة لفترات طويلة لضوء الشمس الى الاصابة بالسرطان ، وخاصة بعض انواع الاشعاع التى تصعد فوق منطقة خلايا الاشعة فوق البنفسجية فلها تاثير ضار على الخلايا ، وتحدث تغيرات سرطانية ...

وشمس منطقتنا العربية تحتوى على هذه الاشعة ، لكن اذا تحدثنا بشكل عام نجد ان أصحاب البشرة الفاتحة عند تعرضهم لاشعة شمس منطقة خط الاستواء مثلا ، فان نسبة الاصابة بالسرطانات فيهم تتراوح بين ٣٠ الى ٦ فى المائة الف . أما الزنوج والهنود الحمر ذوو البشرة الغامقة اللون فلديهم وقاية من اشعة الشمس ، والاصابة بينهم نسبتها واحد فى المائة الف فى سرطان الجلد ، وهذا أيضا يحدد مكان الاصابة فى المناطق الاكثر تعرضا للشمس مثل الوجه والرقبة واليدين عند ذوى البشرة الفاتحة ، ولا نجدها مثلا فى الساقين ، لكن الزنوج لديهم أمراض اخرى تؤدى الى الاصابة بالسرطان فى هذه المناطق .

واحيانا يتدخل التكوين الجسمانى فى الاصابة بسرطان الجلد . فبعض الناس لديهم قابلية للاصابة أو عدم قابلية ، ويحدد ذلك لون البشرة ولون العينين واستعداد الجسم للتلوين ، وايضا لون الشعر ، ومن هؤلاء المعرضون للاصابة ذوو الشعر الاحمر ، والشقراوات ، والذين تظهر على اجسامهم « البقع » بقع بنية أو نمش اذا تعرضوا للشمس .. فنسبة الاصابة بالسرطان بينهم أعلى كثيرا من الاخرين ، لأن اجسامهم اذا تعرضت لشمس المصيف لا تعطيها السمرة المعروفة التى تعطى نوعا من الوقاية للجلد .

ويضيف الدكتور / محسن محمد ، انه من الاشياء الغريبة ان السيدات اللائى يمشطن شعورهن بشكل يجعلها منسدلة على الاذنين ، تقل كثيرا اصابتهن بالسرطان فى هذه المنطقة عنها فى الرجال كما ثبت ان وضع احمر



الشفاه يحد كثيرا من الاصابة بسرطان الشفة السفلى بين النســاء ، والتى تزداد لدى الرجال ، لأن احمر الشفاه مادة وقائية ضد اشعة الشمس .

كما ان الكريمات الواقية للوجه والتى تمتص اشعة الشمس أو تعكسها، تلعب دورا كبيرا فى الحدمن الاصابة بالسرطان وأحيانا تكون طبقة الجو ودرجة الحرارة عنصرا مؤديا للأصابة ، فغاز ((الاوزن)) فى بعض المناطق يمتص جزءا كبيرا من هذه الاشعة فوق البنفسجية .

وهناك اسباب تؤدى الى الاصــابة بالأورام السرطانية ، وذلك فى حــالة وجود التقرحات المزمنة او الاصـــابة بالتسمم ببعض مركبات الزرنيخ ، أو التعرض للقطران والهباب مع حــرارة أشعة الشمس ، كل هذا قد يؤدى الى الاصابة بالأورام السرطانية .

ويضيف الدكتور محسن ســليمان أن لأسباب الاصابة بســرطان الجلد عوامل أخرى منها :

التعرض لأشعة اكس ، ومثال ذلك ما حدث عند انفجار القنبلة الذريةالتى ألقيتعلىهيروشيما وناجازاكى وسببت الاصابة بالسرطان لدى اليابانيين بعـد التعرض لاشعة جاما .

وهناك أيضا سرطان الخلايا الملوثة للجلد ، والسرطان الذى يظهر فى«الخال» والوحمات ، فاذا تغير لون « الخال » الى الاغمق أو ظهر فيه احساس بالألم أو نشأت حوله « خالات » أخرى ـ فهذه تعطى اشتباها بوجودورمسرطانى فى المنطقة ، اى بمثابة اشارة الخطر .

اشعة الشمس والاورام

اما الدكتور حسن عبد العالعبدالله رئيس قسم الأمراض الجلدية بكليةطب الازهر ، فيؤكد وجود علاقة بين خـلايا المناعة والاصابة بالسرطان فى الانســان والحيوان على حد سواء فهناك عـوامل مناعية تفرزها الخلايا الليمفـــاوية المتخصصة فى الجهاز الليمفاوى لحفظ الجسم والدفاع عنه ضد اى جســم غريب ، والخلايا السرطانية عندما تبدأ فى الظهور فلابد أن يحدث تغيير كيماوى فى مركباتها وتفقد خواصــها الطبيعية وتصبح كما لو انها جسم غريب امام



د . محسن محمد سليمان

الجهاز المناعى فى الانسان وبالتالى يبدا هذا الجهاز فى التعامل معها بصـــور مختلفة ومتعددة عما كانت عليه الحال قبل ذلك ، وعلى مدى هــذا التفاعل والمعاملة يكون نمووسرعة انتشارالاورام السرطانية فى الجسم .

ويؤكد الدكتور حسن عبد العـــال العلاقة بين التعرض لأشعة الشمس والاصابة بسرطان الجلد ، مؤيدا فى ذلك راى الدكتور محسن سليمان ، ويفسر ذلك بقوله : تعتبر الشــمس من اهم الأسباب المباشرة فى الاصابة بسرطان الجلد خاصة فى البلاد الحــارة حيث تؤثر الاشعةفوق البنفسجية علىخلايا الجلد فتحدث فى هذه الخلايا تغييرات باثولوجية وكيماوية ، وتســاعد بعض الخلايا على افراز بعض المواد المنشطة لسرعة نمو الخلايا ، الامر الذى يؤدى لحدوث سرطان الجلد . ويظهر هــذا النوع من السرطان فى الاماكن المعرضة للشمس مثل الوجه والصدر واليدين، ويكثر حدوث هذا النوع فى الانســان الأبيض عنه فى الملونين ..

***

ويضيف الدكتور حسن عبد العال قائلا ان الاصابة بسرطان الجلد تحدث كثيرا خاصة بسبب بعض الصـبغات التى تضر بالشعر ، و « الماكيــاج » العــادى بوجه عام لا يسبب سرطان الجلد : ولكن قد تكون بعض المــواد المصنوع منها الماكياج سببا فى حدوث نوعمن حساسية الجلد مع اشــعة الشـــمس ، الأمــر الــذى يؤدى الى امتصاص البشرةالاشعة فوقالبنفسجية الموجودة فى الشمس ، وبالتالى تؤثرعلى خلايا الجلد ، وقد تؤدى الى الاصــابة بالسرطان فى الاماكن المعرضة لاشــعة الشمس .

المناعة تقضى على المرض

يقول استاذ جراحة الاورام الدكتور اسامه الشناوى : المناعة موجودة فى جسم كل انسان فى العالم ، وقد بدا التفكير فى المناعة ضد السرطان منذ فترة طويلة للاجابة عن سؤال محير يواجه الاطباء وهو : لماذا ينتشر السرطان فى جسم بعض الناس ؟ ولماذا يشفى بعضهم دون الاخرين ؟ وقد بدأنا اجراء عدة تجارب فى الستينات **على سرطان الصدر بعد تشخيص عدد من الحالات المبكرة ، بالاجهزة الحديثة وباخذ عينات منها ، وكانت النتيجة ان ٣٠ ٪ منهم لديهم خلايا سرطانية، وبعد اجراء العمليات الجراحية ، اختفت تماما ، بل واكتسب الجسم نوعا من المناعة . كان الشائع من قبل انه بعد مضى خمس سنوات من اجراء الجراحة تظهر فى اغلب الحالات الاورام السرطانية من جديد ، وفى مناطق اخرى منتشرة بعد مضى ١٠ سنوات . وقد تركز اهتمام الاطباء الان ليس على العلاج او اجراء العمليات الجراحية ، ولكن على التشخيص المبكر ، وقد بدا فعلا استخدام نوع من الاختبارات الجلدية التى اجريت وثبت صحتها على حوالى ٦٠ ٪ أو اكثر من حالات سرطان الجهاز الهضمى، وبدات تدخل هذه الاختبارات لتطبيقها على العديد من العينات ، وقد تمكنا من علاج هذه الحالات وشفائها تماما .**

وهذه المناعة كما يقول الدكتور الشناوى تنشأ فى الجسم بعد شفائه من اصابته فتحدث هذه المناعة تنشيطا فى المواد الموجودة فى الجسم والتى تفرز مضادات ضد الاصابة .

***

قلنا للدكتور الشناوى : يؤكد البعض ان استئصال الرحم فى بعض حالات الاصابة بسرطان الثدى يؤدى الى نوع من المناعة ضد انتشار المرض ...

قال الدكتور الشناوى مفسرا : ان اى سرطان ثديى يعتمد فى نموه على الهرمون الذى تفرزه المبايض ، والمراة التى تصاب بسرطان الثدى يفضل ان تستاصل لها المبايض كجزء من علاجها .



د . حسن عبد العال عبد الله



د . اسامة الشناوى

واخيرا ، هل هناك تاكيد للمناعة ضد ارتداد المرض بعد استئصاله فى بعض الاجزاء من الجسم ؟ .

الاجابة على لسان الدكتور الشناوى: الضمانات غير موجودة نهائيا ، وانما المتابعة ..

هل هناك علاقة وراثية تسبب السرطان ؟ ان استاذ جراحة الاورام يرجع أسباب الاصابة الى نظريات كثيرة تؤكد احتمال وجود الوراثة ، واحتمال وجود مسببات من البيئة ، لكن هناك بعض الاطفال يولدون وهم مصابون بسرطان العين أو سرطان الكلى.

هل يدخل سرطان الدم فى اطار انواع السرطانات غير القابلة للشفاء نهائيا ؟

ـ يقول هنا الدكتور الشناوى : ليس هناك مرض لا يمكن شفاؤه ، وهناك مدرسة عالمية معروفة مخصصة لدراسة هذا المرض الذى ثبت ان من اهم اعراضه احتراق نخاع العظم ثم ظهور كميات كبيرة من كرات الدم البيضاء تلتهم الحمراء ... وفى هذه المدرسة تسلط الاشعة الكهربائية على نخاع العظم ، ثم يبداون فى زرع نخاع عظام جديد للمريض .. هذه المدرسة بدات تعطى نتائج مبهرة ، واملا كبيرا فى شفاء المرضى ، وتجاربها اجريت فى فرنسا وامريكا وانجلترا .

اخيرا ، يكرر استاذ جراحة الاورام اهمية اكتشاف مرض السرطان مبكرا ، وهذا الاكتشاف المبكر تتحقق به نسبة شفاء من ٩٥ ٪ الى ٩٩ ٪ والعلم دائما يبحث عن جديد وهو يمدنا كل يوم باكتشافات تؤكد الامل فى الوصول الى تقوية مناعة الجسم ضد هذا الاخطبوط الذى يخيف كل شعوب العالم ...

اللغة هى القضية الأساسية فى الأدب

التراث العربى

كيف يحيا.. وكيف نحييه ؟

عبد المنعم شميس

عندما بدأ طه حسين فى كتابة حديث الأربعاء بمجلة السياسة الأسبوعية ، كان يقوم باعادة كتابة جزء هام من التراث العربى ، فقد حدث الناس عن أدباء وشعراء اندثر عصرهم ، وأوشك القراء ان ينسوهم ، أو لا يتذكرون أحدا منهم .

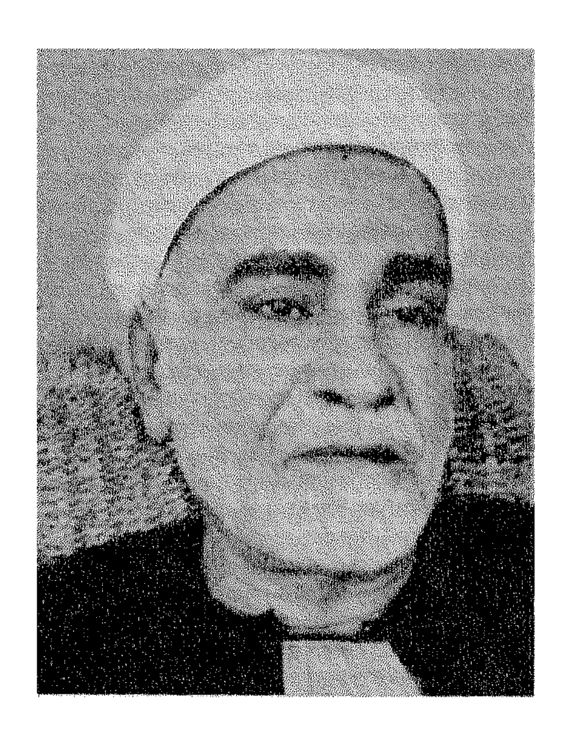
والآداب القديمة لا تحيا الا على اقلام جديدة معاصرة ، لأن الأدب القديم يختلف فى اسلوبه وفى تصوراته عن العصور الحديثة ، ومن حق كل أدب قديم أن يبعث بعثا جديدا فى كل عصر جديد ، وكان أمين الخولى يقول ان التجديد هو قتل القديم بحثا ، أو هو فيما أقول بعث القديم بعثا .

وقد عرفت الآداب الأوربية فى عصورها الناهضة قيمة الأدب اليونانى القديم ، فاستلهمت من مسرح اليونان عناصر المسرح الأوربى منذ عصور النهضة حتى اليوم ، كما وجدت فى اشعار الياذة « هوميروس » الايحاء الفنى بالشعر ، وخاصة فى شعر الملاحم ، ورأت فى فلسفة ارسطوطاليس وافلاطون ما يوحى بكتابة الآراء الفلسفية التى تصور الحق والخير والجمال ، أو تجسد معنى الفضيلة فى المجتمع الرفيع المثالى الذى تصوره عمالقة الفكر فى أوربا وكان آخرهم «برتراند راسل» . ولكن الفكر العربى لم يجد فى عصرنا الحاضر من يتصور مثل هذا التصور أو يقدمه للناس كما قدم الأوربيون التراث القديم من أدب اليونان وأفكارهم وفلسفتهم فى صورة معاصرة ، لأن مراحل الظلام التى عاشها العرب حجبتهم عن حقيقة فكرهم ، وأبعدتهم عن تصور تراثهم القديم تصورا حديثا معاصرا .

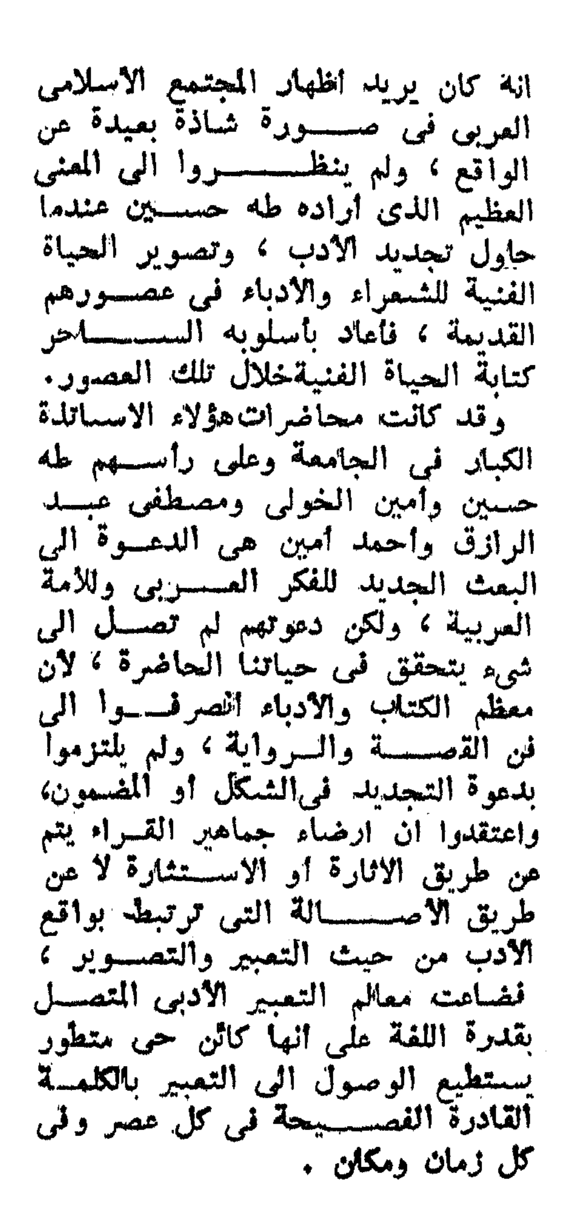
وكان طه حسين ومعاصروه من أمثال أمين الخولى ، ومصطفى عبد الرازق ، وأحمد أمين يحاولون عن طريق المنهج الجامعى الأكاديمى بعث هذا التراث ، حتى يصل الى الناس ، ولكنهم اقتصروا فى دعوتهم الى الجديد والتجديد على تلقين تلاميذهم هذا الدرس العظيم الذى ضاع فى خضم الحياة السريعة المعاصرة ، ووصل منهم شىء ضئيل الى حياتنا الفكرية . وعندما كتب طه حسين مقالات « حديث الأربعاء » التفت الأدباء والكتاب الى قيمة عظيمة فى الأدب العربى ، ولكن بعضهم هاجم هذه المقالات ، واعتقد



احمد امين



مصطفى عبد الرازق



انه كان يريد اظهار المجتمع الاسلامى العربى فى صورة شاذة بعيدة عن الواقع ، ولم ينظروا الى المعنى العظيم الذى اراده طه حسين عندما حاول تجديد الأدب ، وتصوير الحياة الفنية للشعراء والأدباء فى عصورهم القديمة ، فاعاد باسلوبه الساحر كتابة الحياة الفنية خلال تلك العصور .

وقد كانت محاضرات هؤلاء الاساتذة الكبار فى الجامعة وعلى راسهم طه حسين وامين الخولى ومصطفى عبد الرازق واحمد امين هى الدعوة الى البعث الجديد للفكر العربى وللأمة العربية ، ولكن دعوتهم لم تصل الى شىء يتحقق فى حياتنا الحاضرة ، لأن معظم الكتاب والأدباء انصرفوا الى فن القصة والرواية ، ولم يلتزموا بدعوة التجديد فى الشكل او المضمون ، واعتقدوا ان ارضاء جماهير القراء يتم عن طريق الاثارة أو الاستثارة لا عن طريق الأصالة التى ترتبط بواقع الأدب من حيث التعبير والتصوير ، فضاعت معالم التعبير الأدبى المتصل بقدرة اللغة على انها كائن حى متطور يستطيع الوصول الى التعبير بالكلمة القادرة الفصيحة فى كل عصر وفى كل زمان ومكان .

وأصبح الاستخفاف باللغة لعبة بين اقلام الكتاب ، مع ان اللغة هى المادة الاساسية والوسيلة للتعبير الفنى فى كل ادب .

ولم يحدث استهتار بلغة من لغات الأرض كما حدث استهتار باللغة العربية ،حتى زعم بعض من لايعرفون هذه اللغة انهم شعراء ويكتبون شعرهم بالعامية ، ولم يفهموا أن الفنان فى كل فن لايستطيع ان يصنع فنا بغير مادته الأساسيه ، فالرسام لايرسم صورة بغير الوان يعرفها ويعرف خصائصها ويعرف كيف يركبها ، والنحات لايمكن ان يكون نحاتا الا اذا عرف كيف يمسك الأزميل فى يده ليصنع التمثال من حجر أو رخام .

ولكن الكتاب والشعراء فى عصرنا وهم لايعرفون اللغة يزعمون انهم يكتبون الشعر والقصص والروايات بغير حاجة الى المادة الاساسية فى الفن وهى اللغة ، ويدعون أن الكلمات التى يستخدمونها فى كتابة هذه الأنماط الأدبية المشوهة من الفن ، مع ان اللغة التى يستخدمونها وهى اللهجات العامية ليست لها قواعد ولا معاجم ولا قيمة . وقد لا يعلمون أن أمثالهم فى عصور سابقة كتبوا

بمثل هذه اللهجات ، ثم ضاعت آثارهم الأدبية ، واصبحنا اليوم لانستطيع فهمها ، لأنها لهجات عامية مبتذلة ظهرت فى عصور الانحطاط والضياع ، ثم اختلفت وتنوعت وفقدت قيمتها على مر العصور .

ونحن اليوم لانستطيع فهم بعض النصوص الادبية التى قيلت او كتبت باللهجات العامية فى مصر أو الجزائر أو اليمن او غيرها من البلاد العربية فى عصور سابقة ولكننا نستطيع فهم النصوص التى كتبت باللغة العربية الفصحى لانها هى اللغة التى نفهمها مهما اختلفت العصور والأزمان .

وقد نبة طه حسين الى هذه الحقيقة فى آخرندوة تليفزيونيةعقدت فى بيته ، ووجه اللوم الى الكتاب الذين لم يحسنوا الكتابة بالعربية .

واحب أن أقول لك ان هذه اللغة العربية ليست هى اللاتينية التى ماتت وقامت من بعدها لغات مثل الانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والاسبانية ، بل انها لغة لا تموت ولن تموت لأنها لغة القرآن ، وقد كان امين الخولى يردد هذا القول صباح مساء ، ويقول ان القرآن هو كتاب العربية الاكبر ،ولم يكن فى دعوته بعيداً عن الواقع ، بل كان معبرا فى صدق عن حقيقة تاريخية لايمكن الابتعاد عنها وهذه الحقيقة هى أن هذه اللغة الفصيحة ، لغة القرآن هى لغة الأدب والفكر والفن .

وعندما التقيت بالأستاذ الدكتور « يوهان فوك » صاحب كتاب «العربية» وزميل المستشرق الاكبر الأستاذ الدكتور « كارل بروكلمان » ، قال لى انه الف كتاب « العربية » لأنه اعتقد أن اللغة هى اساس حضارة العرب فى فكرهم وادبهم وفلسفتهم ، وهذا هو الشأن فى اللغة الألمانية واللغة الانجليزية مع انهما من فروع اللغة اللاتينية ولم تبق لغة حية من اللغات الأم فى الدنيا غير العربية ، وكان السبب فى ذلك هو القرآن .

وسألنى الدكتور « يوهان فوك » سؤالا غريبا ، وقال لى :

«هل يفهم العامةعندكم القرآن ؟» .

ومما لاشك فيه أن العامة فى كل بلاد العرب يستمعون الى القرآن ، ويفهمون ما يتلى عليهم ولو كانوا من الاميين . ان قضية اللغة هى القضية الأساسية فى الأدب ،لانها هى الشكل الذى يضع الأدب فى صورته .

أما المضمون فانه مشكلة اخرى من مشكلات الأدب المعاصر فى كافة بلاد العرب ، وقد تمزق هذا المضمون بين فكر عربى اصيل وفكر اجنبى مستورد ، ولم يدرك المعاصرون أن تمازج الأفكار لايعنى ضياع المضمون.

كان رواد النهضة الأوائل فى عصرنا ينقلون افكار الغرب التى نحتاج اليها او نتفاعل معها كما كان الرواد الأوائل فى نهضة العرب ينقلون افكار الفرس واليونان والهنود الى لغتنا العربية ، لان الأفكار والآداب والمعارف والفلسفات ليست ملكا لشعب من الشعوب ولكنها ملك الانسانية كلها بشرط واحد هو أن يحدث اللقاء بين الشعوب ولايحدث التنافر .

ولكن فترات الضعف قد تنقل فكرا من شعب قوى الى شعب ضعيف على غير رغبة منه او تقبل لفكره، ولاسبيل الى ارغامه على تقبل هذا الفكر من القوى الى الضعيف .

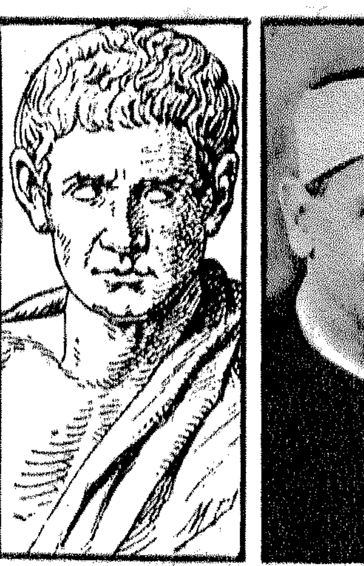
والشعوب القادرة هي التي تملك حق الاختيار وتفتح ابوابها ونوافذها لكل الأفكار .

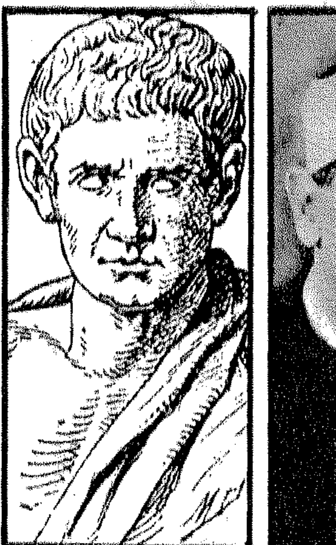
وقد تقبل الألمان والروس الأفكار الفرنسية في عصر فولتير ، ولم يكن خضوعا للثقافة الفرنسية ولكنه كان استفادة من هذه الثقافة ،وهكذا فعل العرب فى أوج مجدهم وقوتهم وعزتهم عندما تقبلوا الثقافات اليونانية والفارسية والهندية ثم صاغوها فى قالب عربي رصين .

ولكن العرب فى العصر الحديث لم يفعلوا ذلك لأن المثقفين اصطبغوا بصبغات مختلفات منها الفرنسية والسكسونية والجرمانية والروسية ، ولم يدركوا أن الثقافة قدر مشترك بين الناس جميعا ، واصبحنا نميز المثقف العربى بصبغة من هذه الصبغات ولذلك لم يحدث التمازج الفكرى والثقافى فى عصرنا الحديث بين الفكر العربى والأفكار الأجنبية ومازلنا حتى هذه اللحظة نستورد الأفكار ونعربها .

ان التماذج الفكرى يعنى القدرة على امتزاج الثقافات بحيث يصبح الفكر متميزا بقدرته الخلاقة على صنع افكار الجماهير .

وهذا المضمون صعب ، لأنه يعنى التمازج بين حضارتين ولا يعنى زوال





امين الخولى ارسطو

حضارة لاقامة حضارة اخرى ، فاذا فقد المغلوب حضارته وسيطرت عليه حضارة أخرى تحدث السيطرة ولا يحدث التمازج ، وهذا هو ما حدث في البلاد العربية خلال العصر الحديث لأن العرب ظنوا انهم فقدوا حضارتهم ، وانهم في حاجة الى حضارة جديدة مستوردة .

ولكن الأساتذة الكبار استطاعوا فى الجيل الماضى اعادة صنع الحضارة ولكنهم لم ينجحوا فى خلق جيل جديد من صناع الحضارة ، لأن الذين ظهروا فى الحياة الفكرية المعاصرة بعد جيل الكبار لم يكونوا من المفكرين بل كانوا من القصصيين والروائيين ، والقصة والرواية تعبران عن الفكر ولكنهما لاتصنعان الفكر ، لأن الفكر دراسة وعمق ومعرفة وفلسفة ، ولهذا سقطت المقالة والدراسة وارتفعت القصة والرواية .

ونحن لا ننكر القيمة الفنية للقصص والروايات والمسرحيات والسينمائيات ولكننا لانستطيع انكار قيمة المقالات والدراسات ، ولابد من وجود توازن بين هذين الفنين حتى يصبح المجتمع قادرا على المشى على رجلين لاعلى رجل واحدة .

ان المجتمع العربى فى عصرنا يمشى على رجل واحدة ، واصحاب هذه الرجل الواحدة لايملكون القدرة **الكاملة على التعبير اللغوى وهم يمثلون اصحاب الفن او العاطفة ، والرجل الأخرى المفقودة التى تمثل اصحاب العقل والفكر مبتورة او شبه مبتورة لانهم لايستطيعون الوصول الى الجماهير على نفس المستوى الذى يصل به** اصحاب القصص والروايات والأغانى والسينمائيات والتليفزيونيات . وقد يقول قائل ان بعض الكتاب يصلون الى الشهرة بين الجماهير — مثلا — عن طريق الفكر السياسى المناهض لبعض الموجات ، أو الفكر الجنسى الملائم لبعض الاتجاهات

وهل هذا هو فكر شعب او فكر امة؟

أن الفكر هو الذى يبنى الحضارة ولا يستخدم المقالديات أو السياسة

او الجنس او غير ذلك من الأشياء فى صنع كيان الامم والشعوب .

كل ما يكتب ويقال معاد مكرور، ونحن نخجل من انفسنا عندما ندرك ان الفكر العربى المعاصر لم يستطع بناء حضارة الانسان .

نحن فى حاجة الى اعادة كتابة المؤلف العظيم للجاحظ وهو كتاب « الحيوان » ليتعلم شبابنا واطفالنا كيف كان يكتب المفكرون العرب علم الحيوان .

نحن فى حاجة الى اعادة كتابة « رسالة الغفران» لابى العلاء المعرى لنتعلم كيف كان اسلافنا يكتبون الدراما الانسانية ..

نحن فى حاجة الى اعادة كتابة قصة حى بن يقظان لابن طفيل لنعرف كيف يكون الانسان وكيف تكون عقيدة الانسان وحياة الانسان .

هناك نماذج كثيرة فى التراث العربى اخشى ان ننساها فننسى انفسنا ولاندرك قيمة وجودنا ، ثم نعود للبحث عن انفسنا فنجد ان حياتنا قد ضاعت، لاننا اضعنا تراثنا وحياتنا ووجودنا.

لا امة بغير تراث ، ولا شعب بغير ثقافة ، ولا انسان بغير حضارة . ان المشكلة الكبرى فى حياة الشعب العربى هى انه اوشك ان يفقد نفسه ويضيع نفسه ويستسلم لحضارات مستوردة لا تستطيع ان تمنحه الوجود والبقاء وهذه هى اخطر المراحل التى يمر بها شعب .

جيل جديد يولد كل يوم ولا يعرف من اين اتى ، ويفتح عينيه فتبهره اضواء ليست من صنع يديه ولا من صنع ابويه ولكنها جاءت اليه من وراء البحار ، وهذا هو الخطر .

من كان بيده كتاب من كتب التراث فليترجمه بلغة العصر لابناء العصر ، ومن كان على شفتيه كلمة عربية فصيحة فليقلها ليسمعها طفل فى المهد حتى لا ينشأ غريبا وسط عالم غريب .

ان الشعارات لاتبعث الامم، ولكنها الأعمال ، وقد اردت ان احدثك هذا الحديث لتتعلم ان الزيف فى حياتك قد طغى على الحقيقة وان الوهم يتملك نفسك اكثر من الحقيقة ، وانك لاتستطيع ان تبلغ ماتريد الا اذا اردت ما تطلب .

ان القضية الكبرى فى حياة الفكر العربى المعاصر هو ان يوجد هذا الفكر بلغته وفى لغته وليست اللغة رنة الفاظ ولكنها تعبير قلب وعقل ووجدان ، قد تحدثنى بالعربية وانت تترجم فكرك وعقلك وشعورك ووجدانك من لغة اخرى فانت لست عربيا .

ان الشعوب القادرة على الحياة تعرف نفسها ولا تترجم لنفسها ، ولذلك فان الدعوة التى يجب ان تظهر وتعلو وسط التيارات المتناقضة فى عالمنا المعاصر هى ان نعرف انفسنا اولا قبل ان نندفع الى ترجمة افكار الآخرين ، وهذه المعرفة صعبة ، وقد مضت سنوات طويلة حاولنا فيها عن طريق العمالقة الكبار ان نتعرف على انفسنا ، ولكن كثيرين حاولوا الانتقاص من هؤلاء الكبار الذين عرفوا الحقيقة وحاولوا ايجاد التمازج بين الفكر العربى والأفكار الأجنبية عن طريق المعرفة لا عن طريق الذوبان والانصهار او المذلة والخضوع . ان اول خطوة لكى نعرف انفسنا هى ان نترجم تراثنا القديم الى لغة عصرنا الحديث

..هل نفعل؟ انا فاعلون بعون الله ونريد ان يفعل الآخرون.

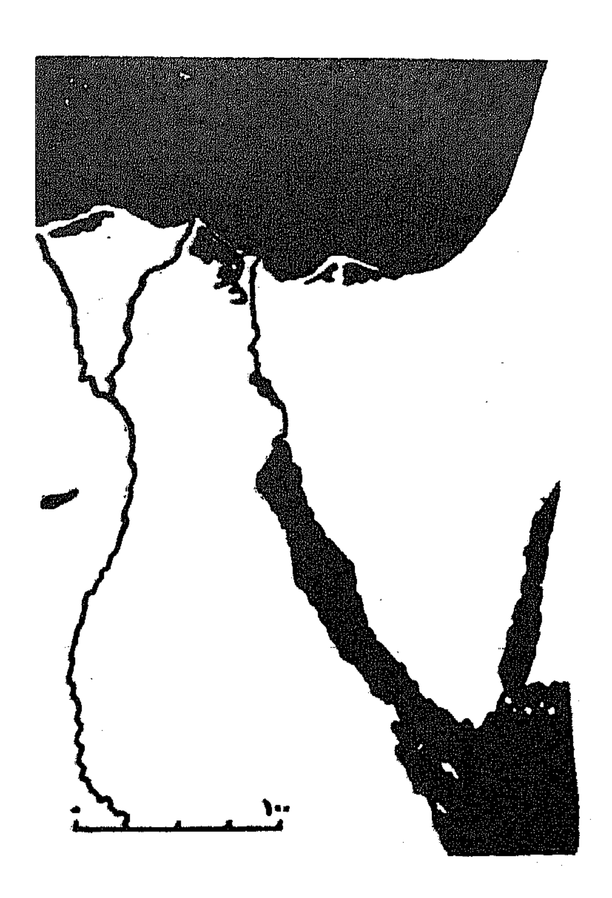
أسماك البحر الأحمر

أجمل أسماك الدنيا وأشدها خطراً!!

● من زمن بعيد يحذر الصيادون والملاحون مياه البحر الأحمر ، لأنها مليئة بالشعاب المرجانية ، والصخور القريبة من السطح التى ترتطم بها السفن ، وبين الشعاب المرجانية ، تعيش أغرب الأسماك وأجملها وأخطرها . ومعظم هذه الشعاب المرجانية حمراء ، ومن هنا جاء إسم البحر الأحمر وهو بحر عربي خالص ، لأن كل البلاد الواقعة على ضفافه عربية

سمكة تسمى « الببغاء » تعيش في مياه الساحل الشرقي للبحر الاحمر عند شواطيء السعودية ، وهم يسمونها بالببغاء نظرا لالوانها الجميلة ، وفمها الذي يشبه المنقار ، وهي ترقد دائما بين الصخور ، ولا تتحرك الا اذا جاعت فتبارح مكانها باحثة عن شيء تأكله ، ثم تعود مسرعة .





● **البحر الاحمر هو أولى البحار بأن يسمى بحر العرب ، لأنه بحر عربي خالص،كل شواطئه عربية، ولكنه في نفس الوقت بحرمخوف ، لأن قاعه غير مستو الا في الوسط أما قرب الشواطىء ، فان مياهه ضحلة فيمعظم الاحيان، فلايزيدالعمق أحيانا على عشرة أمتار ، ومن هنا كانت صعوبة الملاحة فيه • وبعد شق قناة السويس دبت في هذا البحر حيويةملاحية كبيرة ونشطت مراكز الدراسات البحرية في رسم خرائط لقاعه لتحديد مسارات السفن بعيدا عن الاخطار • وبالفعل توجد الآن ممرات مائية كثيرة آمنة في هذا البحر •••**

وقد كان الملاحون العرب يكرهون هذا البحر بسبب كثرة شعابه التي تسمى عندهم بالتروس والقالات • فكانت السفن لاتسير فيه الا بالنهار ، فاذا جاء الليل ألقت السفينة مرساها عند احدى الجزر الكثيرة الموجودة في البحر الاحمر • وكان هناك ربابنة مخصوصون بهذا البحر يعرفون ممراته المائية ويتجنبون أخطار صخوره وشعابه المرجانية •

وكان الملاحون العرب يعتقدون أن « جبل المغنطيس » موجود في قاع هذا البحر ، ويزعمون أن أي سفينة تبنى بالمسامير لابد أن تغرق اذا سارت فيه ، لأن « جبل المغنطيس » يجذب المسامير اليه فتتفكك السفينة وتغرق ، ولهذا كانوا يربطون الاخشاب بعضها الى بعض بحبال القنب ثم يغطون السفينة منالخارج بالدهون السميكة حماية لاخشاب السفن من مياه البحر •

ولكن كل اخطار هذا البحر تعوضها ميزة كبرى يمتاز بها هذا البحر على غيره من بحار الدنيا ، وهي أن مياهه حافلة باغرب واجمل أنواع الاسماك ، لأن الشعاب المرجانيةالتيتنبت علىصخور هذا البحر أشبه بغابات تحت سطح الماء ، وفي هذه الغابات المرجانية تعيش اغرب الاسماك وأكثرها تنوعا • لقد أحصوا نحو عشرة آلاف نوع منالسمك يعيش في هذا البحر منبينها نحو ثلاثة آلافلاتعيش الا في مياهه ، وهذه الاسماك الغريبة تعتبر نادرة لأن صيدها عسير جدا • فهي تعيش بين الصخور وشعاب المرجان • ومن هنا فهي لاتصاد بالشباك ، والكثير منها يعيش في قاع البحر ، ومن هنا فان الصنارات لاتصل اليها ، ثم ان شعاب



صورة اخذت من الطائرة لراس محمد ، وهو الطرف الجنوبي الاقصى لشبه جزيرة سيناء • في مياه هذا الراس توجد اجمل الشعاب المرجانية التي تعيش فيها أجمل اسماك البحر الاحمر • وعندما يتم تحرير سيناء باذن الله نرجو أن يكون انشاء محطة احياء بحرية كبرى عند راس محمد من اولى المشاريع التي سنقوم بها •

المرجان تقدم لهذه الاسماك من أنواع الطعام مايغنيها عن النظر الى الصنارات التى تتدلى فى الماء •

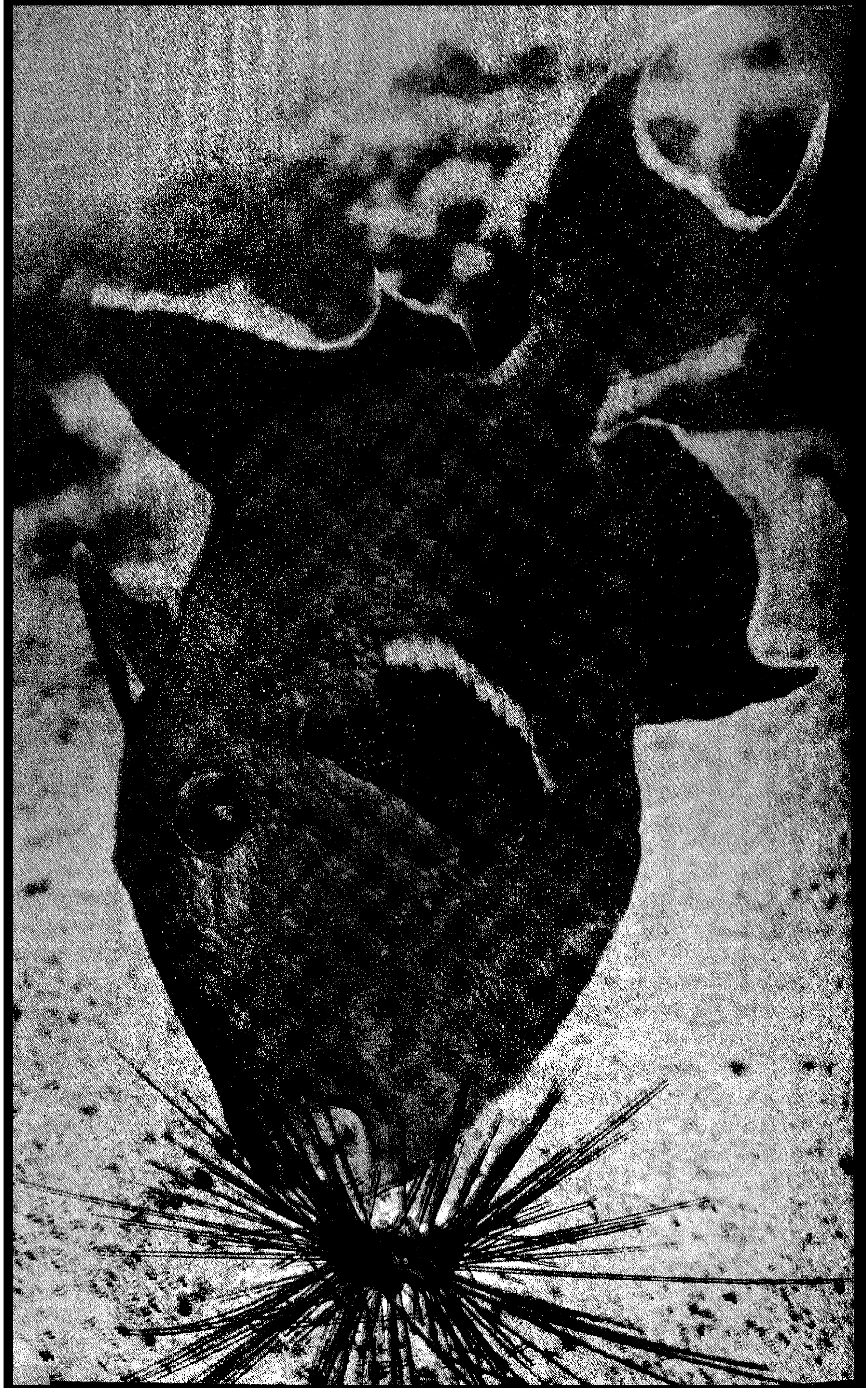
وربما كان البحر الاحمر من أكثر بحار الدنيا اجتذابا لهواة الاحياء البحرية • فهناك آلوف يذهبون كل عام لقضاء اجازاتهم على شاطىء البحر الاحمر لا ليسبحوا فى مياهه أو ليقضوا فترات استجمام بل لكى يشاهدوا الاسماك تحت الماء • وهناك ملابس خاصة للاستمتاع بهذه المشاهدة : غطاء يغطى الرأس والوجه كله ، وفيه فتحات للعين مغطاه بالزجاج المكبر ، وحراب خاصة يمسك بها الانسان ليصيد الاسماك أو يحركها •

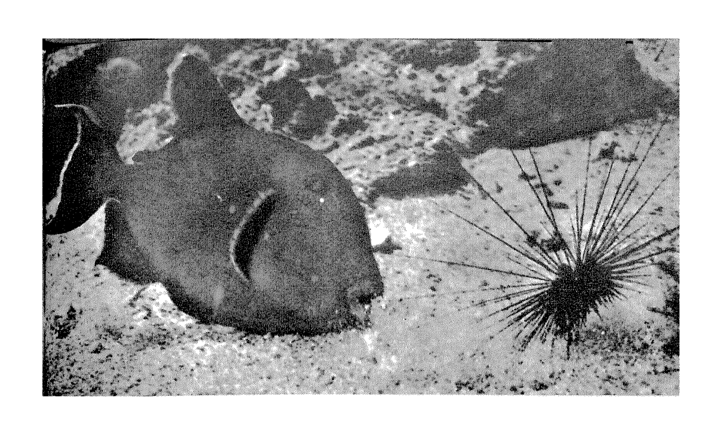
ومن غرائب حقائق هذه الاسماك أن الكثير منها سام خطر ، له زعانف وابر تنفث السم فى جسد أى مخلوق حى يقترب منها • والاسماك السامة فى البحر الاحمر تعد بالمئات ، ولهذا فان الغواصين نادرا مايغامرون بالغوص فى هذا البحر الا اذالبسوا بذلات خاصةتقىاجسادهم شرور هذه الاسماك • وهناك سمكة تخرج سائلا يشبه الحبر ، فاذا أحست بالخطر أفرزت السائل فأحيطت بضباب داكن



سمكة أخرى ، تسمى العصفور ، تعيش فى مياه البحر الاحمر عند شواطئ السعودية ، وهى تمتاز بلونيها الاسود والابيض ولها زعنفة طويلة فى حدة السيف ، تمنع أى سمكة من العدوان عليها .

سمكة العقرب .. تعيش فى قاع البحر الاحمر ، ولها ١٣ ابرة فى فقرات ظهرها الثلاث عشرة ، وأى سمكة أو مخلوق يلمس ابرة يشعر بلسعة عقرب ، وهذه السمكة الشريرة تقتات على الاعشاب ، وأحيانا تأكل الاسماك الصغيرة ، وهى ترقد ساكنة كأنها ميتة ، فاذا تحركت كانت لها سرعة البرق .





تعتبر اسماك البحر الاحمر من اصعب الاسماك صيداء لان معظمها مزود بابر وزعانف حادة او سامة ، وهى سريعة الحركة ، ومفترسة • ولهذا لابد من الحذر الشديد عند صيدها ، فالسمكة التى تراها فى الصورة العليا لا تصاد الا بتوجيه تيار شديد من الماء من انبوبة نحوها لتقلبها على ظهرها •• وهنا فقط يمكن الامساك بها لان ظهرها غير مسلح ، والنبات الذى تراه على يمين الصورة ليس نباتا وانما هو سمكة على هذه الهيئة وسمكتنا تقترب منها فى حذر لكى تفترسها •

اما السمكة التى ترى فى الصورة على اليمين ، فتسمى بسمكة الزناد ، لانها تنفث من ثقوب فى جسمها تيارات من الماء تنطلق كأنها الرصاص ، وهى فى العادة تضع نفسها بين الصخور ، ولا يبدو منها الا فمها المسلح باسنان حادة •• ومن هنا فانه من العسير جدا اقتلاعها من ذلك الوكر •



يخفى السمكة عن العيون • وهناك أيضا السمكة الرعادة التى ينبعث منها تيار كهربائى يرتعد له الانسان اذا مسها •

انه بحر غريب لانعرف عنه نحن ، الذين نعيش على شواطئه الا القليل ، وما احرانا بان نلتفت اليه ، وننصرف الى استكشافه والبحث عما فيه من عجائب الاسماك والاحياء البحرية • وعندنا محطة الاحياء البحريةفىالغردقةوهىمنأنشط

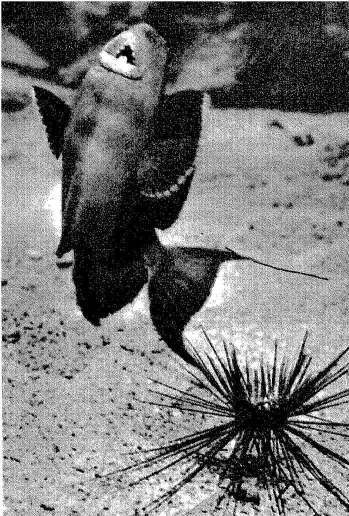
وأشهر المحطات البحرية فى الدنيا بفضل مديرها الاسبق الدكتور عبد الفتاح جوهر عالم البحار المعروف •

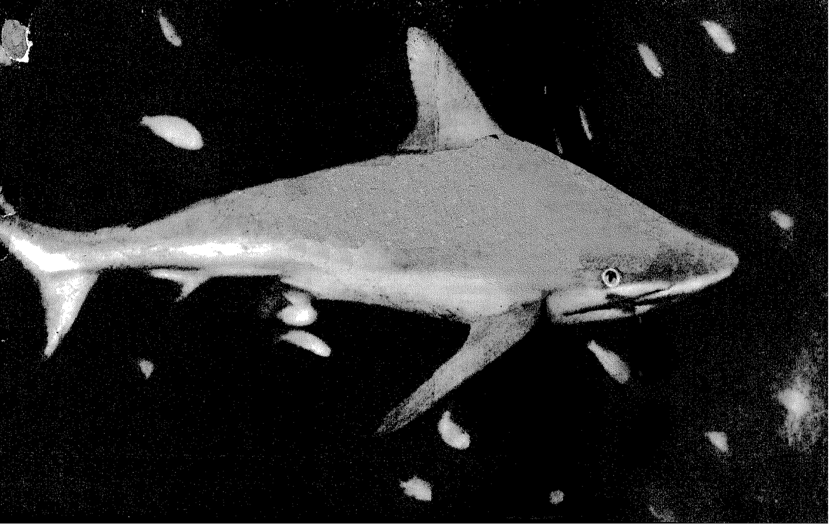
***

ولقد ظل جوف البحر الاحمر عالما مجهولا ، محاطا بسحر خاص منذ آلاف السنين ••• وهناك ، على سبيل المثال اسطورة قديمة تحكى كيف هبط الاسكندر الاكبر فى أعماق البحر داخل قفص زجاجى كبير ، حيث شاهد وحشا بحريا فى الاعماق بلغ من الضخامة حدا جعل الاسكندر يسبح حوله ثلاثة أيام بالتمام !

وليس هناك بالطبع وحوش بحرية فى عمق هذا البحر على هذه الصورة ، ولكن هناك مخلوقات غريبة ملونة ، تعيش

سمكة قرش من قروش البحر الاحمر المشهورة بضراوتها وان كانت اقل حجما من قروش بحر الهند والمحيط الهادى ومن حسن الحظ ان هذه السمكة الضارية تفزع اذا هددت ومن ثم فان الغواصين لا يخشونها كثيرا ، لانها لا تجرؤ على الهجوم الا فى حالة الخطر الاسماك الصغيرة المحيطة بها هى الطلائع المعروفة التى تسير حول وامام اسماك القرش تدلها على موضع الفريسة •

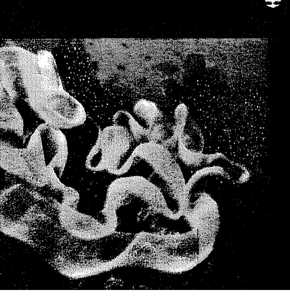




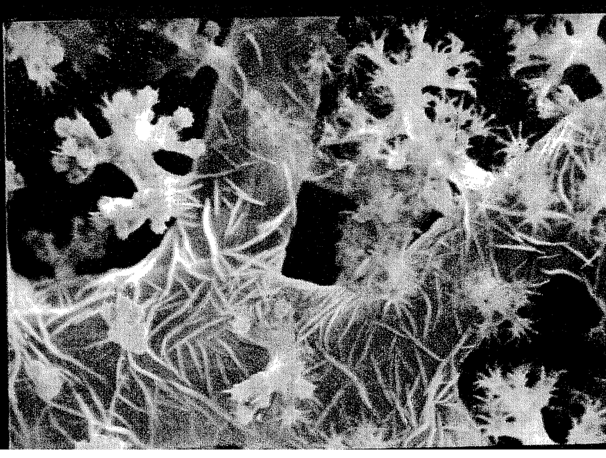


هذه السمكة يسميها الصيادون « بديعة » .. والاسم مشتق من اسم الراقصة المصرية المشهورة ، وذلك لليونة جسدها ورقة حركاتها ، وهي تتنفس عن طريق خياشيم في غاية الدقة . اما ذيلها فتبرز منه تلك الشعاب البيضاء التي تشبه شعاب المرجان وهي ميزة من ميزات هذه السمكة الفريدة .

هذا الشكل الذي يبدو وكأنه قطعة من القماش هو بيض السمكة « بديعة » .. يخرج منها متماسكا على هذا الشكل ويظل كذلك حتى يفقس البيض ، وتخرج منه الاسماك في شكل يرقات صغيرة ، هذا النسيج من البيض يضم اكثر من خمسة آلاف بيضة .. ومن هذا العدد الضخم لا ينجو من الافتراس او الموت الا اثنان او ثلاثة .



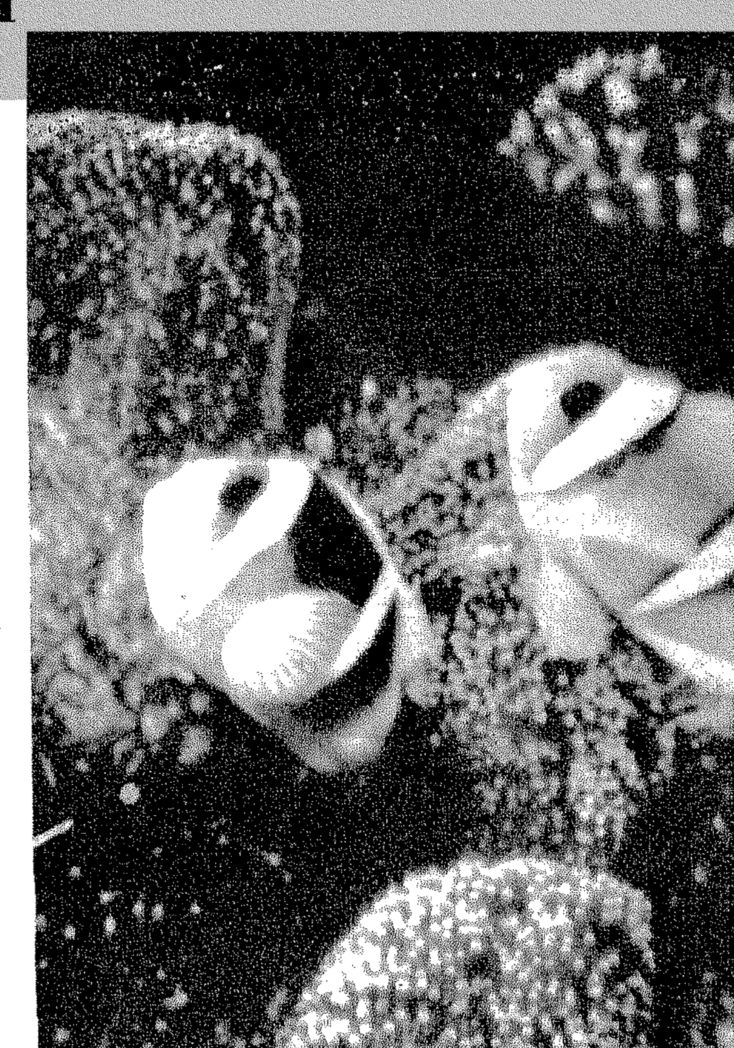
لا تصدق العين ان هذه اسماك ، اذ انها اقرب في المظهر الى الزهور ولكنها اسماك وشعاب مرجانية ، ولكنها تفيض بالحياة . وهي تبدو كأنها زخرفة على قطعة من قماش الحرير .





وتمرح بين الشعاب والصخور فى الاعماق، وتشكل نماذج عديدة وغريبة من الاحياء المائية ...

ولقد أعطى البحر الاحمر للانسان ، ومازال يعطى الكثير من خيراته وكنوزه ، كما حيره باسراره ..ولا يزال المؤرخون يدرسون دوره فى نمو الحضارات الاولى ... والجيولوجيون يعتبرونه منطقة ساخنه عامضه تحوى كنوزا من المعادن تقدر قيمتها بالملايين ... ولكن أعظم كنوز البحر الاحمر ، فى نظر الكثيرين هى تلك الكائنات البديعة والمخلوقات ذات الالوان



مشاهد جميلة مما تراه العين تحت سطح ال
الاحمر بين شعاب المرجان وهى تجمع كل عجيبة
الاسماك . فهناك اسماك نجمية ، واسماك ببغ
واسماك من الطراز المسمى بالسباع .. ولا عجب
هواة الاسماك يقضون ساعات وهم طافون على س
الماء ، وعيونهم المغطاة بالنظارات واجهزة التن
تنظر تحت الماء .. ويبلغ الامر ان الكثيرين م
يحترق جلد ظهورهم دون ان يدروا ، وهم يتام
هذه العجائب .

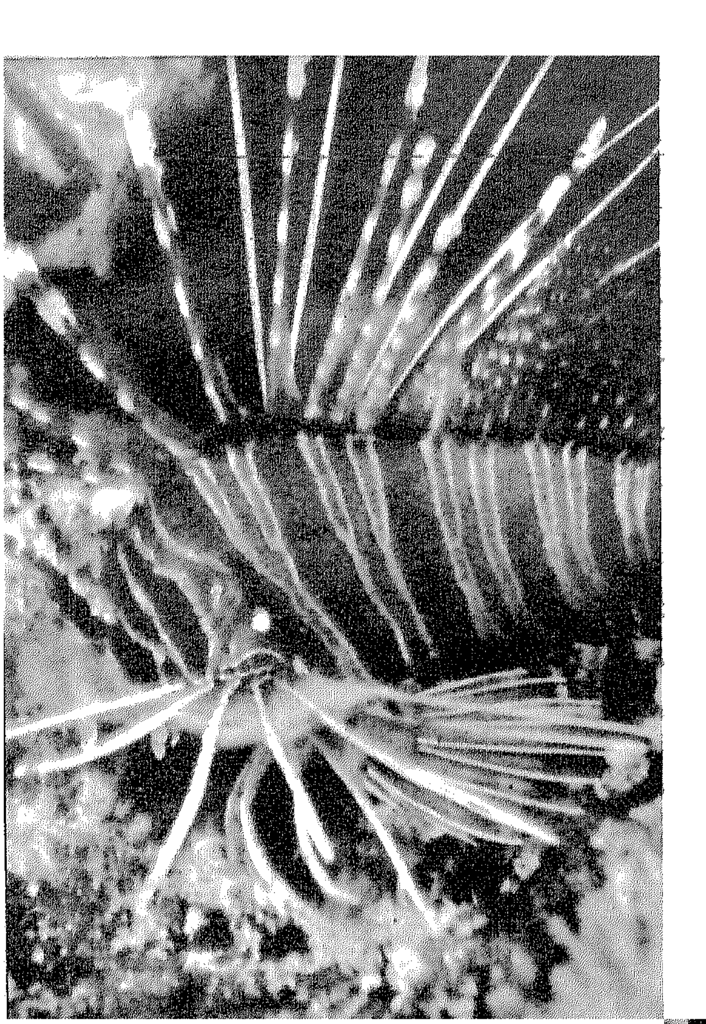
البهيجة التى تمرح وتتألق تحت سطح المياه وفوقها ...

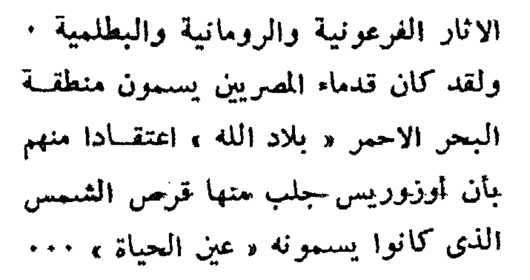
***

والبحر الاحمر ، هو أكثر بحار العالم دفئا فى الشتاء ...

وشواطئه التى تمتد ألفين وأربعمائة كيلومتر ـ منها ألف كيلومتر تقريبا ، سواحل مصرية ـ تتزين بالمشاهد الطبيعية الزاهية الالوان ، وتتميز بامكانيات جمالية يمكن أن تجعل منها أجمل المناطق السياحية فى العالم طوال العام : صيفا وشتاء وربيعا وخريفا ...

وعلى طول ساحل البحر الاحمر تمتد

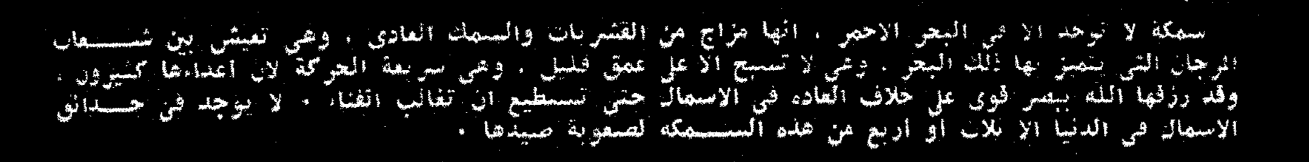




الاثار الفرعونية والرومانية والبطلمية . ولقد كان قدماء المصريين يسمون منطقة البحر الاحمر « بلاد الله » اعتقادا منهم بأن أوزوريس جلب منها قرص الشمس الذى كانوا يسمونه « عين الحياة » ...

وساحل البحر الاحمر ، الرائع بجباله الجرانيتية الملونة صنع منها الفنان المصرى القديم تماثيله البديعة الهائلة .. يعتبر اليوم أفضل مكان للباحثين عن اجازة هادئة ، حيث يمكن أن تستقر السيارات وسط الجبال ، وتقام الخيام فى قلب المنطقة الساحرة على ساحل المرجان الاحمر ... ويستمتع الوافدون بالدفء السارى على طول شواطىء البحر وبين وديانه وجباله وألوان الطبيعة الباهرة هناك ، والاسماك ... الاسماك الملونة العديدة



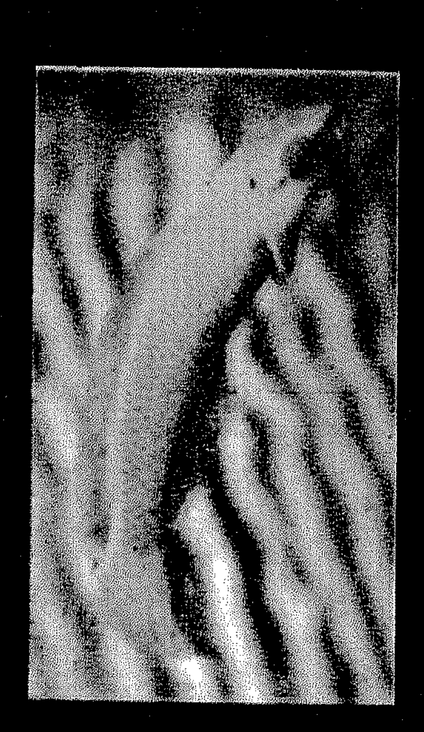


سمكة لا توجد الا في البحر الاحمر ، انها مزاج من القشريات والسمك العادي ، وهي تعيش بين شعاب المرجان التي يتميز بها ذلك البحر ، وهي لا تسبح الا على عمق قليل ، وهي سريعة الحركة لان اعداءها كثيرون ، وقد رزقها الله ببصر قوى على خلاف العاده في الاسماك حتى تستطيع ان تغالب اتفنا ، لا يوجد في حدائق الاسماك في الدنيا الا ثلاث او اربع من هذه السمكه لصعوبة صيدها .

في غوصه في قاع البحر الاحمر ، التقى الغواص بهذه الشعاب المرجانية التي تاخذ شكل السياط ، اى الكرابيج ، وهي تتحرك باستمرار لكي تذود اى دخيل عن المنطقة التي تعيش فيها ، وهي غير سامة ولكن جسدها مغطى بطبقة لزجة يلتصق بها اى شيء تلمسه ، وخاصة صغار الاسماك التي تفترسها هذه الشعاب على مهل .

ام البنفسج .. سمكة جميلة لا توجد الا في البحر الاحمر ، تمتاز بلونها البنفسجي وعيونها الزرقاء ، وهي تسبح بين الشعاب المرجانية مما يجعل صيدها عسيرا جدا ، وفي الغالب يلجا الغواص الى امساكها باليد .





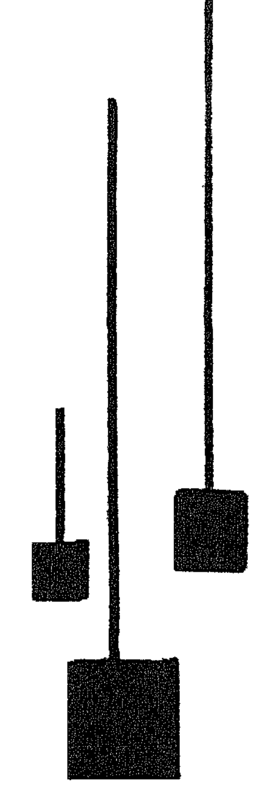
الانواع ... والاسماك المتوحشة ، واشهرها القرش والباراكودا - أو السمكة الراقصة التي يسمونها « كاريوكا » ، والتي اذا ضمت جسمها أصبحت أشبه بوردة من الورد البلدى ، زاهية اللون ناعمة الملمس كالقطيفة ...

انه بحر رائع .. رائع ، شديد الجاذبية والجمال .. وعالم ساحر . ملىء بالغموض والسحر والحياة ..



هذه الاسماك الصغيرة ، عجيبة من عجائب خلق الله . فهي تعيش حياتين .. فهي في اول حياتها يكون لونها برتقاليا ذهبيا ، وتكون اناثا . وعندما يتم نموها تتحول الى ذكور ، ويتغير لونها الى اللون الاحمـــر ، وتبرز قشور صلبة من جسدها كله

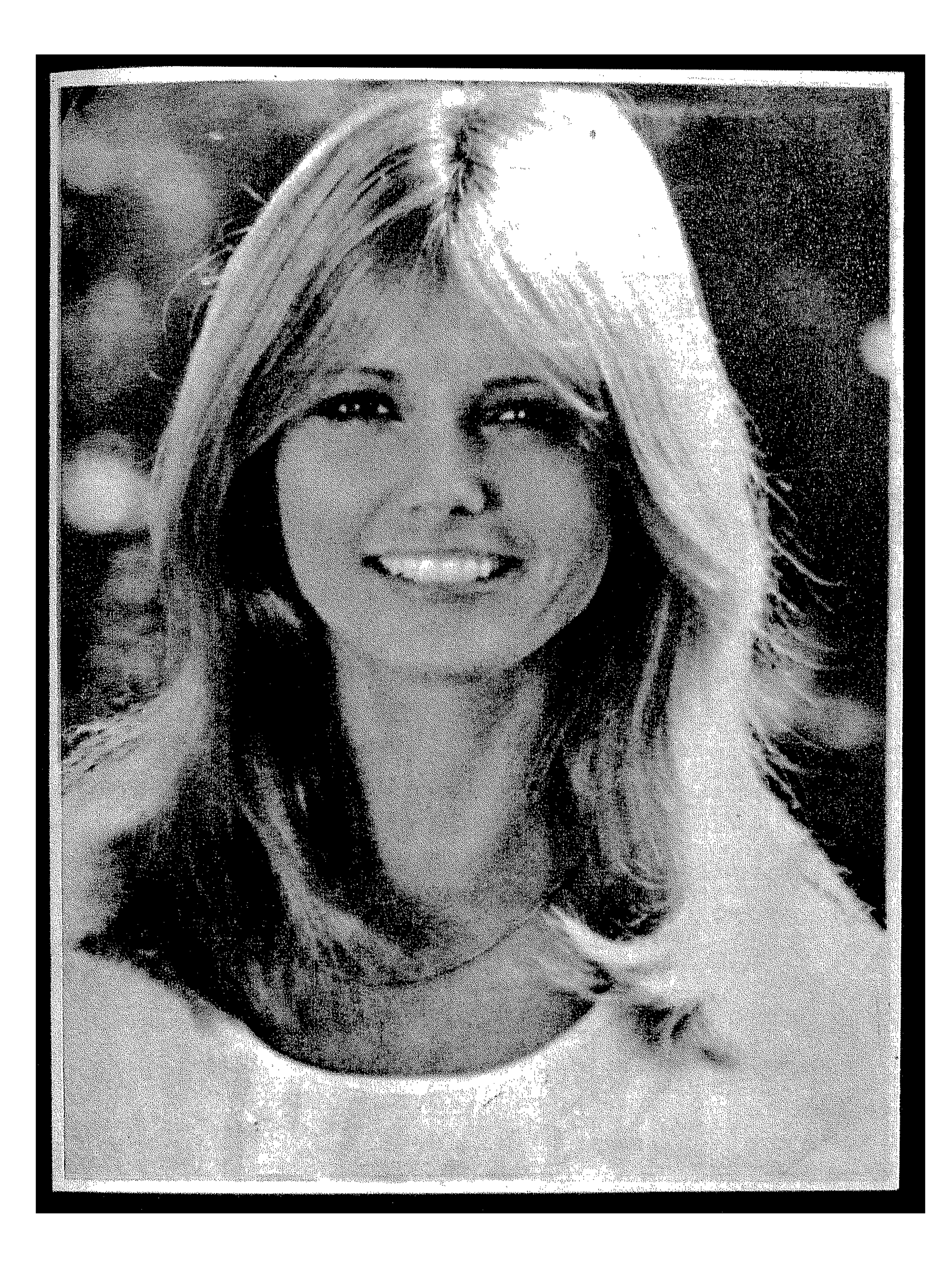




سمكة العقرب التى يخشـــاها الصيـــادون ، والغواصون لانها بالفعل لها هيئة العقرب ، وتلسع مثلها وان كانت لسعتها ليست قاتلة وهى ســمكة بشعة اذا خرجت فى شبكة الصياد سببت له مشكلة كبيرة ، لانها تلسع اكبر عدد من السمك معها فى الشبكة ولا يستطيع الصياد اخراجها الا بعد جهد .



هذه السمكة تسمى بالاسد ، وهى سمكة ضارية وقاتلة لامثالها من الاســـماك ، وسمها يوجد فى الزعانف التى تبرز من جسمها ، وهذه الزعانف تحذر الصيادين والغواصين ، وتبعـــدهم عن المكان الذى تسبح فيه ، وهى ملونة بالوان باهرة وتلك حكمة من حكم الخالق سبحانه وتعالى لان هذه الالـــوان تحذر الناس والاسماك من تلك السمكة الخطرة .





● شمس وليل ! ●

حازت جمالا لست أدْرك كنهه :
شَمسا ولَيلا ، حمرة وربيعـــا
فالوجه شَمس ، والذوائب ليلهَا
والثَّغر يُغرى بالدماءِ ، بديعًـا
والزهر فى روض الخُدود مفتَح
فلمثلها هفَت القُلُوب جَميعًـا
قَد حار فِكرى إذ أهم بوصفِها
فالحسن يذهب بالعقول سَريعًـا
حكمت قلبك فى هواى فهل ترى؟
وجد الغرامُ إلى الحبيبِ شَفيعا

● **نافع خليل يوسف** ●
السالمية ـ الكويت

● لبيك ! ●

قالت : تعال ، فقلت لبَّيْــكِ
هيهاتَ أعْصِي أمْـرَ عينيـكِ
أنا يا حبيبةُ طـائرُ الأيـكِ
لِمَ لا أغَنّى فى ذِراعيـكِ

***

ضحِكَتْ لأشواقي وقد عَجِبَت
مما يَخَال فؤادُ مذعـورِ

وكأنَّ ضحكتَها وقد طرِبَت
قطراتُ ماء فوقَ بلّلور

● ابراهيم ناجى ●

● نار الحب ●

يا حبّة القلبِ سيرى بنا
فالركبُ يشكو الضنَى واجِما
يا ربّة الحسْن ، عودى لنا
طيرا يناغى الضحى باسِما
ولتعلمى أننى شاعِر
أفاضَ حتى انتهى غارما
والحب نار على ضوئِها
باحَ الندى بالشذى حالما

● احمد حسب الله ●
دمنهور

● الحب يسمو ... ●

حيّتك من شرف الزمان نجومها
واستقبلتك مع الأنام معاز فى
لما وقفت على عرائس زهرِها
ورأيت أنك زهرة لم تقْطف
فقطفتها ، وغرستها بجَوارحى
فترعرعتْ أوراقها فى أطرفى
لكِ كلُّ ما أوحت به عيناكِ لى
إن كانَ ثمّ تقصُّر فى موقِفى

فالحب يسمو فوقَ ما سمّيته
والحب لو تدرين خير مَواقفي
● تاج الدين سلامةنوفل ●
دمياط

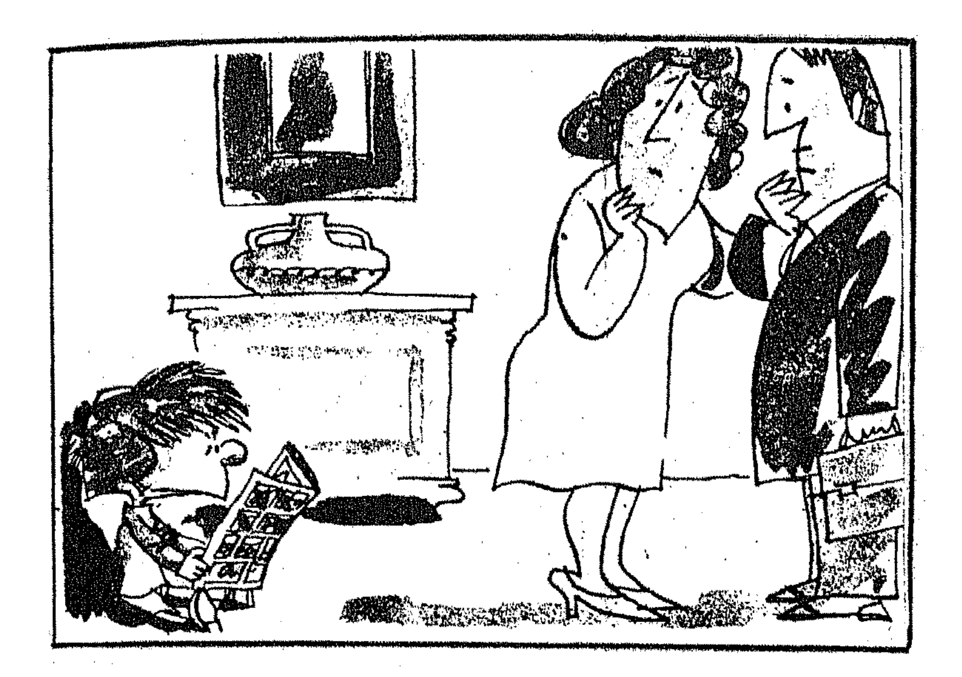
● طيف الجمال ●

أي طيف منَ الجمَال أراهُ
جمعَ السحْر والدلال لديْهِ
طلعَة البدر في الجَبين ، وفَجر
طلٌ بين الورود في وجنتيه
قد أطارَ النسيمُ خصلةَ شَعْرٍ
رقصت نشوة على كتفيهِ
● حسنى الأمين ●
القاهرة

● الصبا والجمال ●

الصبا والجمَالُ في مهرَجانه
تتناجى القلوب في ألحانِه
ويطوفُ العبيرُ في سَحرِ الرّوضِ
أريجا يفوحُ من أردانِه
أينَعَ الحب فاستفاقَ حَنينا
لعناق الهزار في أغصانِه
فيبث الجمالَ قلبا وروحا
في ربيع الوجودِ ، في ألوانِه
وتهادتْ مليكة الحسن تزهو
كهلال يطل في دورانِه ! ●●
● فارس بطرس ●
سان باولو — البرازيل

كاريكاتير
جيل جديد جداً

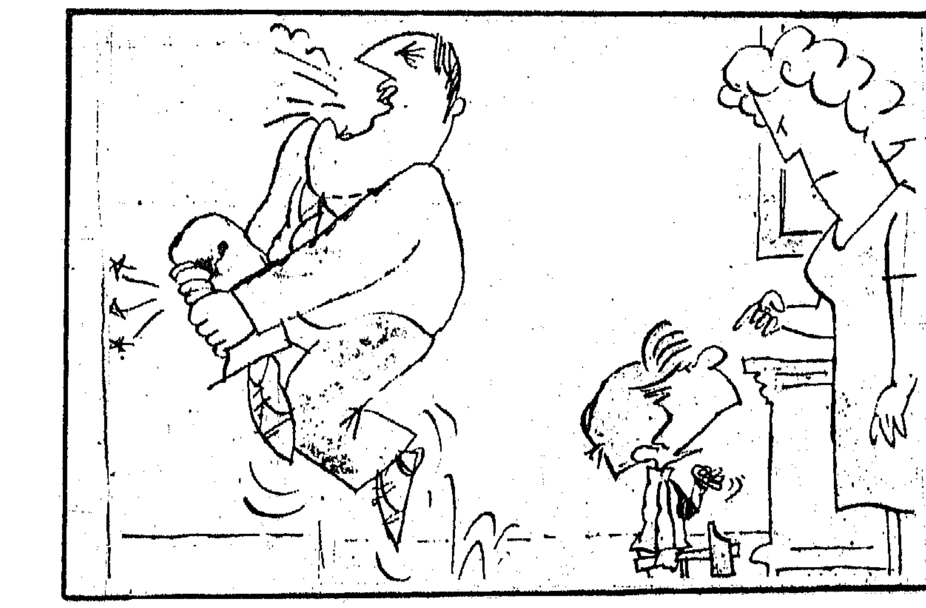


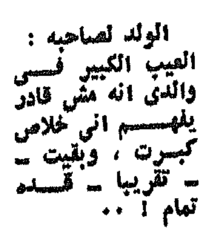
الزوجة لزوجها : الولد ساكت على غير العادة وهادي طول النهار .. لازم بيدبر لنا كارثة !



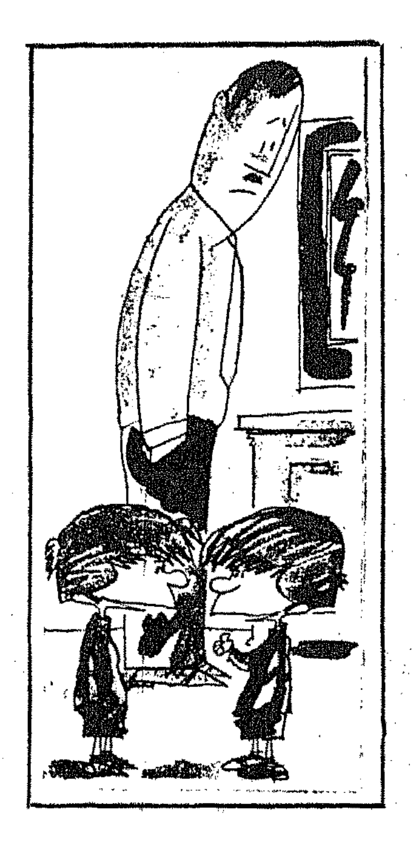
الولد لابيه : مش واخد بالك من « الظاهرة » الغريبة دي ؟! . كل ما حضرتك تتناقش مع ماما ، تطلع دايما انت الغلطان ! ... لكن ويايا انا تطلع دايما عندك حق ؟!

الولد لامه : وماله ! .. ما دام عندنا شاكوش مش لازم نستعمله ؟ امال احنا جايبينه ليه ؟!

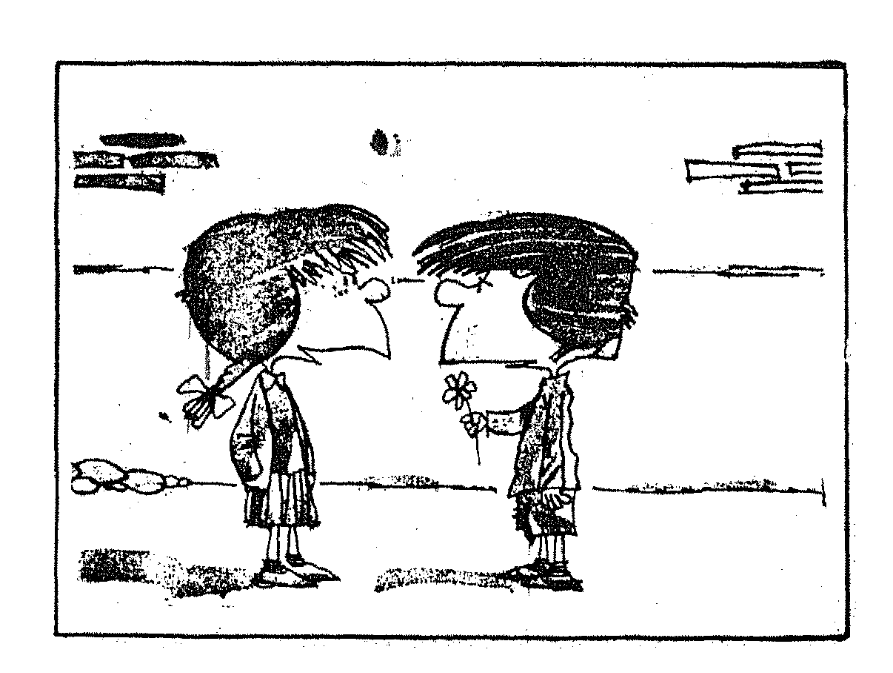




الولد لصاحبه :
العيب الكبير في
والدي انه مش قادر
يفهم اني خلاص
كبرت ، وبقيت ـ
ـ تقريبا ـ قده
تمام ! ..



الولد لوالده : اذا
كنت خلصت كلام
مع سكرتيرتك اديها
لى .. وعن اذنك بقى
علشان اقول لها
كلمتين بينى وبينها!



البنت للولد :
وبتهاديني بورده !.
اعمل بيها ايه ؟ ..
اشترى بيها
ساندويتشات والا
ادخل بيها السينما؟

قصة الأدب المهجرى

تأليف : د. محمد عبد المنعم خفاجي

هذا الكتاب الموسوعي « قصة الادب المهجرى » يفي بكل متطلبات البحث عن الادب المهجري وخصائصه والوانه وموضوعاته واعلامه ، وعن العوامل التي اثرت فيه ...

تسم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي تلك الموسوعة العظيمة - كتابه - الى فصول تتناول الادب المهجرى في نشأته وتطوره ، وفنونه ، بالبحث والدراسة والتحليل ، في منهج علمي مستقل شامل لآداب المهجر .

وعندما نستعرض تلك الموسوعة يتبين لنا ان الادب المهجرى مدرسة ادبية كبرى بين مدارس الأدب الحديث ومذاهبه فلقد اهتم به الادباء والنقاد، وكتب حوله وحول اعلامه في النثر والقصة والمسرحية والشعر - الكثير من البحوث والدراسات .

وعندما تعرض المؤلف للأدب المهجرى بصورة عامة ، رأينا ان الادب المهجرى يتناول الحياة في جميع مظاهرها ومن شتى جوانبها وتياراتها وفلسفاتها ، كما تناول مختلف الوان النشاط الأدبي : من قصة ، ومقالة، ونقد ، ونثر وشعر ومسرحية ، ومن فلسفة وحكمة وتجارب ، ومن تأملات وحنين ، وامل ، والم وغناء وبكاء ..

ان الأدب المهجرى حديث النشأة، ولد مع القرن العشرين ونشأ وترعرع، حتى بلغ ما بلغه اليوم من مكانة بين مدارس الادب العربي المعاصر . وقد ربط الدكتور عبد المنعم خفاجي بين هجرة الادب العربي الى امريكا الشمالية والجنوبية في العصر الحديث وهجرة الادب العربي كذلك الى بلاد الاندلس في اخر القرن الاول الهجرى، واول القرن السابع الميلادى ،فكلاهما عاش في بيئة جديدة ، واحدث اثرا دويا ضخما في حياة الآداب العربية كلها ، وكانت ثورة تجديدية كبرى شملت شتى عناصر الأدب ومقوماته.. ولكن المقارنة هنا قائمة على ان قيمة الادب المهجرى تكاد تعادل قيمة الادب الاندلسي من ناحية الثراء والتجديد والشمول مع اختلاف الظروف والبيئة والناس .

وقد مثل المهاجرون دعوة الحرية، ودعوا الى الثورة على الظلم والاستبداد في بلادهم ، وكتبوا عن العرب والشرق بمختلف اللغات العالمية كثيرا من الكتب والبحوث والمقالات ، وترجموا كثيرا من أصول الثقافة العربية الى هذه اللغات كما ترجموا كثيرا من آداب المهجريين اليها .

ثم اعطانا الكاتب فكرة كاملة عن عوامل الهجرة الى الاماكن التالية ، فشملت العوامل السياسية والاقتصادية والبواعث التاريخية ، حيث أن كلا من السورى واللبناني مغرمان من قديم بالهجرة وحب السعي في الارض ، ثم يضاف الى ذلك عامل سهولة الهجرة ، واول مهاجر عربي هو انطون البشعلاني اللبناني الذى هاجر الى امريكا الشمالية ، واقدم أديب هاجر الى الأراضي الجديدة هو ميخائيل رستم .. ثم توالت الهجرات بعد ذلك ..

وقد تكاثر عدد المهاجرين بعد الثورة العرابية حيث سافروا الى كندا والولايات المتحدة ، والى البرازيل ، وشيلي ، والارجنتين ، وغيرها من دول أمريكا .

ومن أوائل الشعراء الذين هاجروا الى امريكا الشاعر ندرة حداد ،حيث صار من اعلام شعراء الرابطة القلمية

فيما بعد .. فأخذ الأدب المهجري في الظهور حيث نجد أن في هذه البيئة الجديدة ترعرع أبو الأدب المهجري أمين الريحاني الذى الف الكثير من المؤلفات في التاريخ ومنها كتابه « ملوك العرب » و « تاريخ الثورة الفرنسية » . وكذلك ترعرع فيها عميد ادب المهجر جبران خليل جبران، وهو عميد الرابطة القلمية في الولايات المتحدة .

وفي جولتنا لتلك الموسوعة نجد انه لم يفت الكاتب ان يثبت ان الأدب المهجري تاثر ـ ككل ادب ـ بمؤثرات كثيرة اكسبته طابعه الخاص ، وأولى هذه المؤثرات هي حركة التجديد في الأدب العربي المعاصر التي تمثلت في الطابع الرومانسي عند المنفلوطي وطه حسين والزيات ، وفي الكلاسيكية الجديدة عند البارودي واحمد شوقي وحافظ ، ثم مدرسة مطران التجديدية الرومانسية في الشعر العربي المعاصر، وما تلاه من المدارس الرومانسية وهي: مدرسة شعراء الديوان ، ومدرسة ابولو الشعرية التي انشاها الدكتور الشاعر المصرى احمد زكي ابو شادي، وهي مدارس عربية تجديدية كبيرة ظهرت بعد أوائل القرن العشرين .

وثانية هذه المؤثرات هي حركة البعث الأدبي الامريكي المتجاوبة مع حركة الآداب الاوربية في نموها وازدهارها وكثرة مدارسها ومذاهبها المختلفة ، فالأدب العربي في المهجر يصوغ لنا تجارب اتصال العقل العربي بالحضارة الأمريكية . فالأدب المهجري مزيج من الواقعية الرومانسية والرمزية والسريالية وغيرها ، ورغم ذلك لم يقطع الأدب المهجري صلته بالشرق او العروبة او الاسلام ، فجميعها مؤثرة فيه من النواحي الفكرية والعاطفية غالبا وهذه تشمل الوطن والسياسة والدين . وبذلك نجد الأدب المهجري ادبا ثقافيا ناضجا تقدميا كامل التفاعل مع الحضارة الأمريكية ، وهو ادب مشغول بالحياة وجميع مقوماتها ، متفاعل معها غاية التفاعل : وجدانيا ، وفكريا ، بصورة ايجابية .

والشعور المتجلي في الأدب المهجري هو أولا شعور الأنسان الحر ، ثم شعور العربي الرائد ، على الرغم من بعده .

ثم نجد ترجمات لشعراء وادباء المهجر ترجمة وافية دقيقة شاملة لكل الوان الأدب مع تدعيم هذه الترجمات باعمال كاملة لهؤلاء الشعراء والأدباء مع وضع بصمات الكاتب على كل لون من الوان الادب شارحا ومعلقا وناقدا

وجاء في الكتاب الكثير من الوان الشعري المهجري باقلام مشاهير الشعراء حيث نظموا الشعر في اغراض مختلفة وجالوا في كل واد .

نجد من التأملات الفكرية العميقة قول ايليا ابو ماضي في «الطلاسم» :

انني جئت وامضي ، وانا لا اعلم ..
انا لغز وذهابي كمجيئي طلسم
والذي أوجد هذا اللغز سر مبهم ..
لا تجادل ، ذو الحجى من قال اني
لست ادري .

● وقد نظم شعراء المهجر في الحرية التي شعروا بها في العالم الجديد

يقول الدكتور الشاعر المصرى احمد زكي ابو شادي وهو يستقبل العالم الجديد :

أمانا ايها الوطن السعيد
لقد دفن الردي ومضى الوعيد
فامسي مأتم لفراق اهلي
ويومي الحر في نجواك عيد
عرفتك ملجا الاحرار دوما
اذا ما حورب الحر الشريد

ونظموا في الافتخار بالشرق والعرب

يقول الياس فرحات :

موطني منبت الرماح وقومي
موردوها الاضلاع والاصلابا
وهم الضاربون في كل صقع
للمعالي وللمعاني قبابا

وفي هذا الكتاب الكثير والكثير من مختلف الفنون والالوان لادب المهجر وقد استطاع دكتور محمد عبد المنعم خفاجي ان يعطي نظرة متكاملة على هذه الموسوعة الادبية ميسرة لكل باحث يريد ان ينهل من هذا المورد العذب . ●

● عادل عبد الصمد ●



كلف المثال بنحت تمثال تقرر وضعه عند مدخل الميناء حتى يكون تذكرة وقدوة لكل من يركب البحر ، ويمخر العباب .. تحير المثال كثيرا . لم يعثر على صورة للفقيد ، كما تضاربت أوصاف من كانوا معه فى رحلة الشتاء حاول الفنان ان يشحذ ذهنه ليستجمع بخياله صورة اقرب ما تكون الى واقع ماحدث فى تلك الرحلة الاخيرة

قيل ان السفينة كانت تغرق . ثقب كبير تكون فى القاع . انطلقت اشارات الانذار . راح الركاب يتدافعون الى قوارب الانقاذ . والبعض تعجل الامر فالقى بنفسه الى الماء على امل التشبث بقطع طافية من الاخشاب او الامساك بطوق من اطواق النجاة .

غادر القبطان السفينة من بعد طاقمها ، والقبطان آخر من ينزل الى قوارب الانقاذ . بل ومضت الجرذان الى اللجة تتقافز تغادر السطح ، تبارح الاخشاب ومخازن الغلال .

أما هو ، البطل ، فقد ظل منكبا على الثقب الكبير يحاول اصلاحه بشتى السبل ، ويتلمس لسده شتى الحيل .

قالوا له السفينة تغرق ، انج بجلدك . فلم يلتفت ، وراح يقيس الاتساع ويجلب الالواح .

قالوا له لا جدوى ، الخراب اقوى منا جميعا . فلم يطرف جفناه ، وهو الى جوار الثقب يجلس القرفصاء . مضى يدق المسامير تلو المسامير حيثما اعملت الجرذان اسنانها الحداد فى غيبة من الرقباء .

لم يكن موقنا انه سيصلح شيئا ، لكنه كان مصمما .

جذبه احد المشفقين ، فانتزع ذراعه من قبضته ، وصرخ فيه يقول « ابعد عنى ، ياشيطان » .

حضر اليه مهندس السفينة وحاول ان يثنيه بكلمات متلعثمة ، لكن الوقت لم يكن يحتمل طول الجدل مع من لا يثنيه جدال ، فتركه المهندس صاعدا سلم القبو تلاحقه طرقات المطرقة تدق المسامير فى اصرار .

نجا الجميع .. ومن بعيد وهم فى قوارب الانقاذ عاينوا السفينة السوداء تغوص حتى غمرها الماء وغطتها الامواج

كفت الطرقات ، وعم الصمت .

ساد كل الارجاء حتى صار ازليا .

خطرت ببال المثال خيالات وخيالات حتى اضحى فى النهاية غير قادر ان يستجلى رؤية واضحة الابعاد لما حدث ، وانتابه القلق . فضرب بالقادوم ازميله ، وانطق الحجر ما ليس سوى رمز مجرد لما حدث ، ولمن صار فى البحر يسمى ابا الشهداء . تسمع دقات مطرقته بالليالى عندما يهدأ البحر ويرق الوجود ، ويضحى كل شىء رهيفا شفافا حنونا . تفد الدقات خافتة رتيبة ، تواقة الى الشطآن الساجية .

يقولون فى قرية الصيادين : مطارق ابى قادوم — هكذا صاروا يسمونه — تدق المسامير فى نعش الموت . وآخرون قالوا انها سنابك جواده فى الظلمة البحت تصطك بصخر مملكته فى اعماق البحر . يلكز جواده الابيض بين الوحوش والطحالب والقواقع ماضيا فى رحلة اصراره الابدية .

ظل المثال ممسكا بازميله طويلا قبل ان يلمس به الحجر وعلى شفتيه طعم ملح من دمعة سالت على خده .

جون باسوس
والجديد في الرواية الأمريكية

د. صلاح عدس

كان « جون دوس باسوس » من رواد التجديد في الرواية الأمريكية ، فقد كان من أوائل الذين استعملوا طريقة « تيار الوعي » وبذلك اسهم في نشأة اتجاه «المودرنيزم» في الرواية كما انه ابتدع اساليب تكنيكية اخرى سنتعرض لها بعد قليل ..

وكانت قصصه ترجمة ذاتية لحياته ومأساته الشخصية ومأساة جيله ومجتمعه وعصره ، فقد كان يصور في قصصه فشل شاب واخفاقه واحساسه بالوحدة والغربة والعزلة..

وتعتبر اهم رواياته هي : ثلاثية « الولايات المتحدة » وله ايضا قصة « ثلاثة جنود » ، وقصة « شوارع الليل » ، وقصة « محطة مانهاتن » وكذلك أيضا « مدينة واشنطون الكبرى » ..

وكانت مأساة « جون دوس باسوس » هي الاحساس باللاانتماء والضياع .. فهو من كتاب « الجيل الضائع » أو « جيل المنفيين » جيل الحرب العالمية الأولى .. وقد بدأت مأساته .. مأساة الغربة والوحدة منذ طفولته اذ ولد في احد فنادق شيكاغو ، وكان ابنا غير شرعي .كما كان موت والدته صدمة له ضخمت احساسه بالوحدة .. كما ان اشتراكه في الحرب العالمية الأولى قد عمق احساسه بالمأساة ، وانعكس ذلك في تصويره لمشاهد الحرب في قصته « ثلاثة جنود » التي هاجم فيها الحرب وعقمها ..

وهكذا نجد المأساة عند « جون دوس باسوس » ذات بعدين :

١ ـ بعد في حياته الشخصية منذ طفولته ..

٢ ـ بعد اجتماعي في جيله وعصره ..

ونجده في « محطة مانهاتن » يصور موضوعا هاما هو حتمية فشل الفنان في مجتمع آلي مادي ..

أما ثلاثية « الولايات المتحدة » فتتكون من ثلاث قصص هي « خط العرض ٤٢ » ، ثم « ١٩١٩ » ثم « المال الكثير » ويربط بين هذه الأجزاء الثلاثة موضوع واحد هو المجتمع الامريكي وما ساده من انحلال خلال العقود الثلاثة الأوائل من القرن العشرين وسيطرة الالية والاحتكار عليه ..

ونجده يلجأ الى وسائل تكنيكية جديدة في تلك الرواية مثل :

١ ـ شريط الانباء : ـ وذلك بان يملأ خلفية قصته بمقتطفات من اخبار الصحف ومقالات واعلانات واغان شعبية وسير شعبية يهيىء بها الجو والزمن الخاص بقصته ..

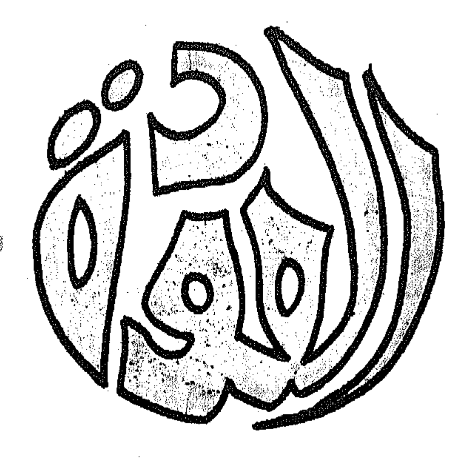
٢ ـ عدسة الكاميرا : ـ اى لقطات سريعة لذكرياته وانطباعاته وخواطره

ونجد «جون دوس باسوس» يهاجم في قصصه القيم الامريكية التى اصابها الجمود عن الحرية والسعادة . . ففي « شوارع الليل » مثلما في «ثلاثة جنود » نرى ثلاثة شبان يقذف بهم مجتمع ظالم يحطم جهودهم وحبهم ويخيب آمالهم ..

وقد كان متأثرا بالأديب «هوثورن» وكذلك « دريزر » ، وكان موقفه في رواياته هو موقف الاحتجاج والنقد لا اليأس فهو يهاجم حبس الفرد والانظمة المستبدة لانهما يحطمان الشخصية الفردية فقد كان يؤمن بحرية الفرد



قصة



ضياء الشرقاوي

ترك النافذة مفتوحة حتى توقظه الأقدام والأصوات المبكرة ، وامتلأت الغرفة بالهواء الرطب ،

« كانت تقف امامه على بعد خطوتين . ظل يتأملها حائرا والقلب يدق بعنف . جلس في مكانه فجلست الى جواره وشعشعت عيناها بابتسامة وضمته الى صدرها بشوق ولهفة . احس بثديها ينغرس في صدره » .

احس بيد تغلق النافذة . نادى عليه الرجل ولكنه لم يجب . « اى فال منحوس هذا . لماذا تغلق النافذة اليوم ؟ اليوم غير كل الايام ، وهذا غير كل ما سياتي من ايام .. سأذهب اليها في الغد . الغد آتٍ » .

تقلب في فراشه . وتحسس الجدار . وتخيل الرجل العجوز وهو يشب على قدميه لكي يغلق النافذة . وفي الصباح يقول له : — لا تترك نافذتك مفتوحة يا ولدى .. الدنيا برد . نهض وفتح النافذة . كان الليل هرما ضريرا . جلس في فراشه واسند راسه الى ركبتيه .

« راى امه تضع يدها في صدرها . وتخرج ثديها وتضعه في فمه . امسك ثدى امه باصابعه الصغيرة وانحنت فوقه حتى رقد كل الثدى فوق انفه وكاد يختنق . قالت وهى تتحسس وجهه : سأظل ارضعك حتى تصير رجلا ، كان ثديها مليئا أسمر . ورأى عروقا خضراء تتشابك فوق الثدى » .

مر قطار منتصف الليل ، وارتجت الجدران ، احس كأنه نائم بين العجلات وهى تعدو بجانبه جادة ثقيلة ترتفع فوق القضبان اللامعة . وراى القضبان وهى تمتد امامه حتى الافق .

« ألم تبق الا ساعات قليلة واستيقظ ... ولم انم ؟ .

مشوار طويل حتى اصل اليها ، كيف هى الآن بعد كل هذه الغيبة ؟ . وهل ما زال ثديها مليئا أسمر ام امتصته الايام ؟ هل ما زالت العروق الخضراء تتشابك تحت جلده ام احرقتها الشمس فاستحال خضارها سمارا ؟ » .

« جلس الى جانبه فتوقفت يداه عن العمل وتحسس الرجل شاربه الابيض ومسح وجهه بكفه . ورأى التماعة عينيه . راى ما يشبه الدمع .

« اى حزن تحمله لى أيها العجوز ؟ عيناك تنبئان لى بشيء » لم ينتظر العجوز وانما ارتجفت شفتاه كأنهما تذروان كل الايام الذابلة ، كل الايام الضائعة . لقد اتت يا ولدى » .

في الحلم ، رآها وهى تلقمه ثديها مليئا أسمر تتشابك العروق في خضرة يانعة تحت جلده . طويلة أطول مما كان يتذكرها . غمس أطراف اصابعه في لحم ثديها واخذ يمتص حلمته بشوق طفل جائع وانفجرت تضحك وقالت :

سأرضعك من ثديى يا طفلى الكبير .

استيقظ وبحث عنها في الظلام وتذكر انه كان يحلم . من فراشه ، نظر خلال النافذة ، وراى النجوم تلمع خلال الظلمة الدامسة . ارتجفت شفتاه بهزة الحنين .

« لماذا لم أصدقك ؟ . ولماذا لم استطع ان اصدق وانا اعرف انها ستعود ذات يوم من الايام . لماذا لم اصدق انني سأراها مرة اخرى ؟ ما شكلها الآن ؟ وماذا قالت ؟ ومتى عادت ؟ وهل رأيتموها وهى تفتح البيت ثانية أم استيقظتم ووجدتموها فيه تملأه بوجودها الفارع وتنفض غبار الايام والسنين من على الأبواب والنوافذ والجدران ، وتطرد العتمة وتملأ الغرف والصوامع بالنور ؟. هل عادت تبحث عن ولدها ؟ » .

« سوف ترى كل شيء بعينيك وتسمع كل شيء بأذنيك لم العجلة وما زال في العمر بقية؟ مسح وجهه بكفه ينفض عن تجاعيده غبار الأيام . وابتسم والتمعت عيناه الهرمتان .

اوقد المصباح . وهبت نسمة هواء طرية . اغتسل ثم ارتدى حذاءه . أطل من النافذة وكان الليل صامتا .

« ولماذا سينتظر ؟ فليكن النجم دليله اليها . فليكن حنينه مرشده الى امه . لا بد وانها تنتظره منذ زمان بعيد ، بعيد ..

وهل ستظل هذه الجدران تحبسه ؟ وهل سيحول الليل بينه وبينها ؟ » .



اطفا المصباح واغلق الباب خلفه فاجاه برد لاسع فوضع يديه في جيوب معطفه .. سمع الرجل العجوز وهو يسعل .

كان الليل كثيفا واخذ يحملق في الطريق . كانت النجوم غريبة ، والطريق غريبا ، والليل غريبا .

« اين ذهبت ياولدي ؟ . وماذا كنت تفعل ؟ . وماذا فعلت بك الايام حتى تبيض سوالفك هكذا ؟ . لماذا هجرت الارض والبيت ؟ . اعود فاجد الارض بورا والبيت مهجورا » .

وقف امام باب بيت الرجل العجوز .وفيشة الفجر تضيء عينيه مثل قنديلين كانت عيناه في لون ماء النيل ايام الفيضان دق الباب بخجل وسمع دقاته ترفد خلف الباب . واصل الدق . وسمع صوت الرجل العجوز يتنحنح فنبتت الطمانينة الى اعماقه .

ـ من ؟

ـ اني راحل الان . ذاهب الى امي .

فتح الباب ، واطل وجه العجوز والمصباح والدهشة .

ـ لم لا تنتظر حتى الصباح ؟

ـ ساجد الصباح في الطريق .

ـ صحبتك السلامة .

ـ هل رايت امي ؟

ـ رايتها يا ولدى بعيني هاتين .

سمع الرجل العجوز يقول شيئا ولكنه واصل السير .

« اذن فانت هناك الان في البيت حقيقة ! لابد وانك تركته كل النوافذ والابواب مفتوحة لحين عودتي ؟ »

« تركه الاولاد وعادوا ، وظل وحده يستحم في الترعة . نظر خلفه فراى امه تنظر اليه احس بالطمى يذوب تحت قدميه خرج من الماء واسرعت امه نحوه واخذت تلبسه ثيابه وتضمه الى صدرها . انفجر ايبكي . قالت له :

« لايصح ان تتعلم البكاء من الان » في الليل قالت له :

« لا أريد أن أفقدك فلو مت فسوف اموت ايضا » .

اخذت العربة تعدو فوق الطريق . وكان الصباح في اكل القرى . تفحص الوجوه لعله يعرف احداها ـ ولاذ بنفسه .

« اين اولادك وزوجتك ايها الولد الكبير ؟ جئت تحمل الى اياما هرمة عقيمة ، كل رفاقك ملاوا البيوت بالاولاد والبهجة ، والاراضى بالزرع والنوار ! .

وانت اين انت ؟ اين كنت ؟ لقد تركتك طفلا صغيرا وعدت لاجدك طفلا عجوزا عدت لاجدك هرما في والبيت هرما ، والارض هرمة في والايام هرمة » .

احس بيد تربت كتفه ، ونظر نحوه في ابتسم الرجلان .

ـ اني اذكرك .

ـ متى عادت امي ؟ .

ـ امك لم تعد .

ـ لقد رآها بعينيه

ـ اني امر على البيت كل يوم مرات كثيرة .

ـ لقد كلمها وكلمته .

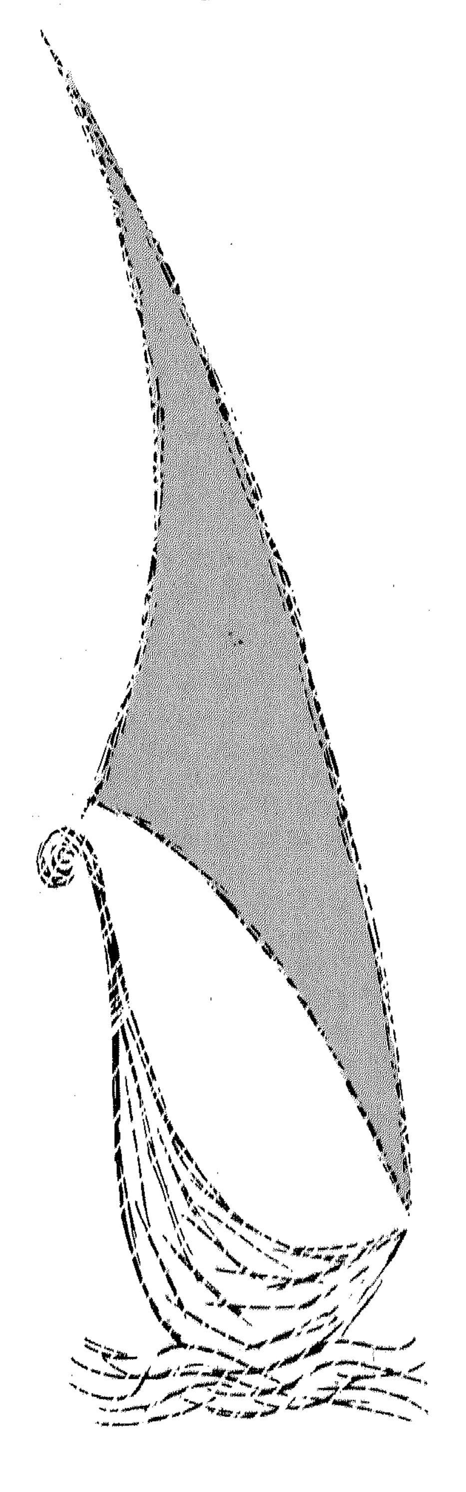
لم يجب الرجل .

ـ لقد رآها وسالته عنى .

« لابد انها قد عادت وانت لم ترها . لابد انها قد عادت وانتم جميعا لم تروها . ساجدها هناك حتى لو كانت كل النوافذ والابواب مغلقة واذا لم اجدها في البيت فلابد انها في بيت من البيوت في انتظاري . واذا لم تكن في بيت فانها ستكون عند الارض ، جالسة هناك ، تنتظر ، تنتظرني وستعرفني على الفور . ستعرف طفلها العجوز .. فانا انتظرها وهي قد عادت »

الحب المقدس

عبد الشافى داود



عبرك يا وطنى ...
الوهج العذرى يمشط بالاهداب بريق الحلم
فنستخلص من رعشات الضوء عبير الالفة

احلام تهبط فى النهر بلا خوف

والنهر يرافق انفاس مروج
نبنى بيتا من ظل فوق رفوف النور

ونعبث فى سرر الليل بنيران النجمات
والاهرامات ترتل انشودات اللوتس

تبعث للسهل قصائد حب !

***

آه احمل فى العمق حنايا الارض

فيستيقظ وجه الاسطوره
فى راحات الفجر السكرى
ايزيس تداعب ولهى رئة الشمس

فتنساب على الترب اشعة موج عازف
يا ارض مياهك عبر دمى مسك يتعطر
نادرة ... لمسك فيه حقيقة كل الاشياء
اضم وجودك بين ضفافى

لبضى .. آثار خطى شمسك !
اسمك عبر حروف الصفصافة يبزغ فى قمه
آه اخترع النبضة من اجلك
بى انت .. أنا بك .. مضفوران بجرح الشمس

ونحيا ابدا فى صلوات البرق . ونسكن عاصفة الميلاد
آه .. انفاس ابى الهول ترافق اجنحة التاريخ
فتغرس ايحاءات قداسة

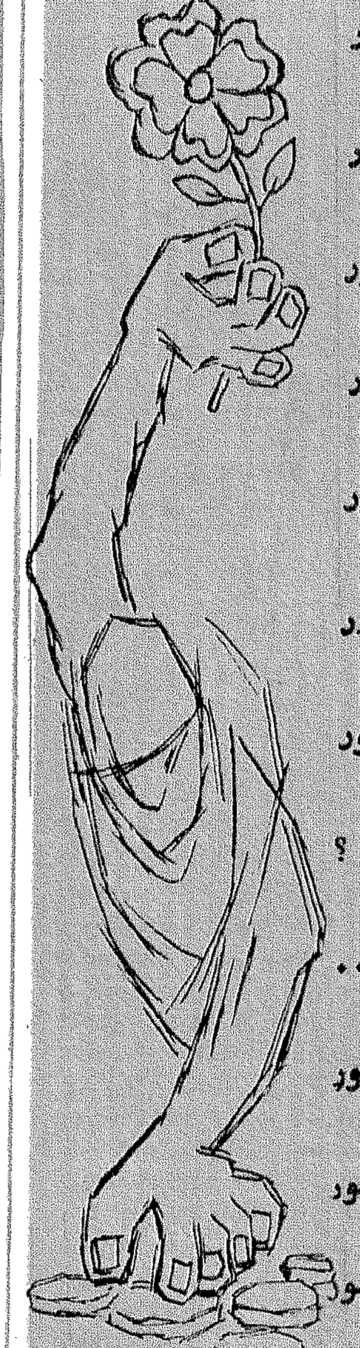
تتدلى خيمات الزرقة .. ارشف اغنية الاجراس
ادخل عبر جذورك .. أستنشق شعر الايقاع

فاسيل بنهر الموسيقى
واذوب على اوتار التوحيد باغنية الضوء

غفران ..

يسن الفيل

.. وعجبت للخلان كيف تجور
والجور منهم في الحياة سمير
وانا الذى عشت الحياة لدربهم
اشدو .. فينقل شدوى العصفور
يا معشر الخلان : انى مؤمن
بالنور .مهما لفه الديجور
لى مذهب يحدوخطاى على المدى
لى مبدا بين الانام طهور
ان تنكروا انى اضأت دروبكم
يوما . فزغرد فى حماكم نور
او تجحدوا نعمى التى ما شابها
رغم النوايا السيئات قصور
فلتعلموا انى رهين محبة
والحب لا يمحو ضياه نفور
اعماقى البيضاء . رغم ظلامكم
ستظل .. ما لصفائها ، والزور
ومشاعر الود النبيل ستزدهى
ان ضل احساس بكم وشعور
انا قد رضعت الحب قبل وجودكم
اترى على نبع الحنان اجور ؟
بئست كراهية تلف مهجتى
وتلف بى هذا الدجى وتدور ..
بئست حياة البغض ان هى وسوست
يوما الى بشريتى فتثور
يا معشر الخلان : ما انا كاره
انى على شوك الوفاء صبور
ان تكفروا بالود .. ما انا مؤمن
بالكفر .. مهما نضرته زهور
انا شاعر .. بالحب عشت ولم ازل
لم يثننى عما احب غرور
وعلى مدار العمر اغفر ما ارى
منكم .. ومثلى للعقوق غفور



قصة

صوت الصدى

محمد كمال محمد



« سأزوجها لك .. هل ستجد أحسن منك »

نكس رأسه ، ورمى بعينه الواحدة على الطريق ، بينما يعبره جوار القنطرة الاسمنتية .. عزم على نفسه دخول القرية بعد ذهاب صديقه .. فى العودة يكتفى بنزول عزبة اللحم المجاورة ليجيئه ، فى احيان ، زبائن شحذ جريبة بسكاكينهم ليشحذها لهم ، ويتحاكون معه عن صديقه الذى تصاحب عليه فى قريتهم ، معاودين الكلام عن ركوبه يومها سطح القطار تهربا من اجر السفر ، واختفائه ..

« سألهى خدمتها عندهم هناك ، واجيء بها »

كان يسمع خفيف قدميه على الطريق الاسفلتى ــ صوته وحده ــ ليس غير السيارات المارقة جواره ، لا تتوقف له هربا من عجلة حجر المسن التى يضعها على اسطحها ..

كانت الشمس تسلق رأسه .. وكان الصندل اليابس يلسع قدميه بحرارة الاسفلت .. لعن كل السائقين ــ مدمدما فى نفسه !

عند مدخل القرية الكبيرة انزل من خلف ظهره العجلة الخشبية وارقفها على قوائمها الاربعة المائلة فى تقاطع ــ وهتف : « نسن السكين .. نسن المقص »

ارتكز على العجلة مائلا فى وقفته ، ملقيا ذراعه بطولها على حجر المسن الخشن ، حدق فى البيوت المبنية بعروق الخشب وكسر الطوب الاحمر العارى من الطلاء .. كانت عربات اليد تتناثر أمام المقاهى والدكاكين المنتشرة على الطريق محملة بالبرتقال الاخضر والبلح والجوافة .. وكانت النساء يطللن من الشبابيك العالية والواطئة ، وخلفهن يعلو داخل البيوت صوت الراديو بالغناء ..

« هل ستسكنها حجرتك فى عربة النسوان ــ لماذا سماها أهل دمياط هذا الاسم يا مزدوع !! »

زعق فى وقفته : « نسن السكين .. نسن المقص »

ظل يرمى بنظراته تجاه الجالسين على المقاهى ، وابواب البيوت المفتوحة والمغلقة..

كان بعض الرجال يجرفون قاع الترعة الممتدة مع بيوت القرية فى الجانبين لتعميقها ، ويلقون الطين الاسود على جانب الطريق برائحته العطنة .. لا أحد يدعوه ليشحذ له شيئا ، لا رجل ولا امرأة .. منذ خرج من دمياط فى الضحى ، لم يدر الحجر ولا مرة !

مرقت جواره سيارة « بيجو » طائرة كذبابة !

مضى يمشط شعره الطويل ويتحسس نعومته ..

ارتفع الصياح عند الطرف الاخر للقرية ، كانت المجاريف ترتفع من بعيد فى مطاردة رجل يعبر القنطرة الخشبية راكضا الى الجانب المقابل .. طار فى الفضاء كلون ماء الصب على راس الرجل فانكفأ على وجهه .. كان سائق سيارة البيجو ، كسر بها ساق امرأة على الطريق الذى تزحمه اكوام الطين ، فخرجوا اليه من الترعة بمجاريفهم ..

تطلع من بعيد فى شماتة ، ولعن سائقى السيارات فى سره !

حمل عجلته وانحدر الى قلب القرية ، الف الشوارع الواسعة والضيقة بصياحه الممدود ،

فى بداية الشارع الخلفى للقرية تقرفص فى ظل جدار ، كانت المخلاة التى صنعها له صديقه من شراع مركب قديم ، معلقة فى عارضة حجر المسن ، سحب من قاعها الرغيف والخيارة وقطعة الجبن ، راح يأكل فى بطء بينما يقطع طول الشارع بعينه ..

من النهر كانت تأتيه دقات اقدام الرجال على مؤخرة قوارب الصيد ، بينما تقترب من بعضها لدفع السمك داخل الشباك الممدودة ..

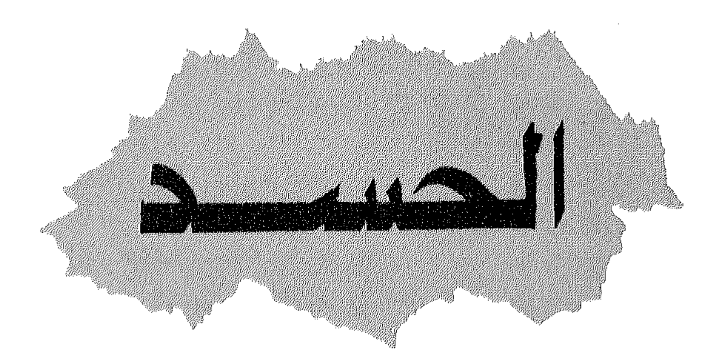
كان صديقه يصيد من البحيرة المجاورة لقريتهم لمابين السمك ، ويعزمه على اكلها مدفونة فى الارز .. وكان يسقط له رطب البلح من نخلتهم الوحيدة : « كل .. لا تترك شيئا منه » ..

ــ « ارحم بطنى حتى لا اتغدى عندكم !! »

من فوق النخلة يشير بذقنه ضاحكا تجاه القرية المقابلة عبر النهر : « يعملون فى السنانية هكذا مع ضيوفهم ، ليفقسوا شر بطونهم ! » ــ وتجلجل فى الفضاء ضحكته :

قبله وبعده لم يتصاحب في هذه القرى مع ابهم ..
ابتلع اخر لقمة وسرع صوته مناديا ...
كان الصبيان يلتفتون ناظرين الى عجلته في فضول ويمضون .. وكان بعض الكبار يحيونه من بعيد بينما يهرولون في طريقهم ، كان يعرف اغلب ناس هذه القرى ، ويقابلهم في المدينة، تجارون وباعة سمك يملاون المدينة الصغيرة، وخياطون وعمال مصنع النسيج وتلاميذ المدارس
حمل عجلته ومشى حتى منتصف الشارع ينادي ..
من خلف باب موارب اشارت له امراة .. اتجه اليها يعبث في اسنانه بعود الثقاب الذي ظل محتفظا به .
كانت المراة ترتدي قميصا بيتيا يصل بالكاد الى ركبتيها، فمضى يسرق نظرته الى ساقيها، كان نصف وجهها وجسدها متداريا في ضلفة الباب التي ترتكز عليها ، وكانت بعينيها الساكنتين ترقب الشرارات البرتقالية وهي تتطاير من نصل السكين في فتيل طويل .
كانت قدمه تدير عجلة السن، بينما تتحسس عيناه الساق الانثوية طالعة نازلة ، تلمح معها حمرة اشفار عينه الميتة ..
توقف الحجر عن الدوران .. في تباطؤ مسح صفحة النصل من الوجهين بخرقة مبلولة ..
وقف في مواجهة المراة قابضا كفه بالسكين المسنون ، تلوثت عيناها المعلقة بالنصل اللامع لحة بما يشاكل الخوف .. امتدت يدها لتتناول السكين ، ووضعت في كفه قطعة النقود .. واغلقت الباب .
استدار منقذفا كبصقة .
اختطف العجلة وطرحها على ظهره ..
اندفع ماشيا محاذيا صفا طويلا من البيوت،
تدارى بجوار نخلة ، وانحنى بصدره على الحجر : « ما اسمها ؟ هه.. اريد ان اعرفه » .. « هاه .. تقلب على النار هكذا يا مزروع .. لن اقوله لا .. اللهم الك ستتزوجها عندما اجرء بها ! » ؟
ويا لخسارة .. لم يعد عندما ذهب ليحضر اخته من المدينة الكبيرة .
التقط من درج العجلة مقصا ، ونبش في جيب بنطلونه الكاكي .. اخرج ورقة مطوية قصها على هيئة امراة بارزة الردفين .
سكن المكان حتى كان يسمع همهمة النهر القريب .
ظل ينخر كله بطرفي المقص محملقا في شجرتين تشابكتا في البعيد متحاضنتين .. « سازوجها لك » تسحره الكلمة بكل ما وراءها ..
كان الهواء الساخن فائحا بعطر الليمون ورائحة الجوافة والبلح ، تحملها هبات الريح عبر النهر من جنائن البر الشرقي ..
من خلفه زعقت بطة داخل العشة البوصية، علقت نظراته بامراة تدخل العشة حاملة صينية تلل تمتلىء بالارز البائت وعظام السمك ...
تصايح البط داخل العشة ، ادار وجهه للنهر، منشاغلا بالنظر ناحية المراكب التي تدور بمحركاتها في النهر لتخرج الى البحر القريب
سمع المراة تجر باب العشة لتغلقه وراءها فالتفت نحوها .. علقت نظرته بالعرق الذي يبرق على جبينها تحت حافة المنديل الاحمر المتوهج على رأسها ، وكانت الصينية متدلية في يدها تعلق في قمرها حبات الأرز ..
القت ناحيته نظرة فاترة من عينيها الكحلتين، ومضت صوب البيت تجرجر ردفيها خلفها ، بينما قبقابها يصطفق بلحم كعبيها ..
الزق جالسا بجوار النخلة محملقا في ارتعاش ..
كان البيت بجانبه متطرفا في نهاية القرية ، تسقط الشمس جحيمها على المزارع التي تنكشف خلفه .
اطلت من فتحة في الجدار البوصي بطة سمينة بيضاء ، مالت بمنقارها السكرمالي يمينا ويسارا ، سحبته واختفت ..
دفع رأسه الى شباك البيت ، لمح المنديل الاحمر يتراجع داخل الغرفة اللولبية ، مد ساقيه أمامه ، وحدق ملاحقا قدميه بانفاس لاهثة ، وهي تصعد السلالم المتدارية في حوش البيت
التفض لنشيش الماء الذي اندلق جواره عبر الفضاء .. نطت من جانبه دجاجة مقصوصة الريش ، وضربت بجناحيها كالقفة عنهما ذرات الماء ..
مد يده المرتعشة الى قائمة العجلة ، عبثت اصابعه بصورة المراة الورقية ، جذبها بلا وعي وهرسها في كفه ..
تلفت حوله فاترا ، وتطلع الى شباك البيت قام منتفضا وانسرق داخل العشة في المستورة ..
لفحت وجهه سخونة محملة برائحة زكمته، داس بصندله في الاوساخ ، تبخترت امامه البطة البيضاء السمينة ، تطلع ثانية الى شباك البيت ، تقرفص وسط البط على ركبتيه مرتكزا على قدميه ..
مد يده للبطة فدمرت مارقة وسط البط ، تنطط مقعيا كالذب والبط يتصايح ، تلقف البطة في يديه .
اطبقت عليه الصيحة من فوقه ، تراجع جذعه الاعلى للوراء بعنف ، انجذب راسه ، كأنما بحبل غليظ ، للشباك المفتوح محملقا في المنديل الاحمر حول الراس الانثوي ، جمد للحظة .. المتت يداه البطة ولز والقفا ، القذف من الباب ، تصادمت قدماه بعجلته وهوى معها على جدار العشة فانهار تحتهما .
نهض راكضا ناحية المزارع ، طاردته صيحة المراة « آه يا ملفوح ! » .
كان حزام العجلة الجلدي حول كتفه يتطاير خلفه ويضرب ظهره لامعا تحت الشمس كسكين طويل .
ظل يركض ...
انحط بجانب الصفصافة العجوز الوحيدة وسط المزارع الخالية .. كانت المسافة بعيدة الان بينه وبين القرية .
ظل مقعيا يرمي بعينيه في الفضاء الطويل القرى كلها صارت بعيدة ، وسوف توغل في البعد ..
قطست راسه بين كتفيه المظلمين لن تعد تراها عيناه .. الملفوح ..

قصة



الحسد

أليفة رفعت

بهيرة صديقتي منذ الطفولة في منزلة الاخت لي لاني بلا اخوات، واقوم في نفسها مقام اختها التي توفيت منذ اعوام .. المحبة والصداقة المتينة تربط بيننا منذ تعاهدنا على الاخلاص واصبحنا نتكاشف بالاسرار.

قالت ذات صباح تسر لي شاكية: ((اصبحت يا سميحه لا اقوى على العيش بغير كريم وهو عني لاه ... هذا المتمرد المستهين بمشاعري ! ..

وكلما شعر بخضوعي لحبه ازداد في تباعده وتجافيه .. منحته كل كنوزي ومع هذا قلبه حديد بارد .. اني اتعذب ، احترق ! ..))

وقلت في اخلاص حنون : ((المرأة تحب وتعبد كلما تنسم الرجل في اجواء كوكبها كلمة المستحيل .. وغلطتك يا صديقتي انك تريقين مشاعرك وتتهافتين .. فانا تجدينني صامدة متحكمة رغم جيشان حبي لسمير . وقد تفلت مني أحيانا بارقات تحيي أمله فتتدفق مشاعره ويترامى مفتونا مدلها .. والغريب اني مع ذلك اتعذب واحترق .. وهذا هو اللغز في الحب ! ..))

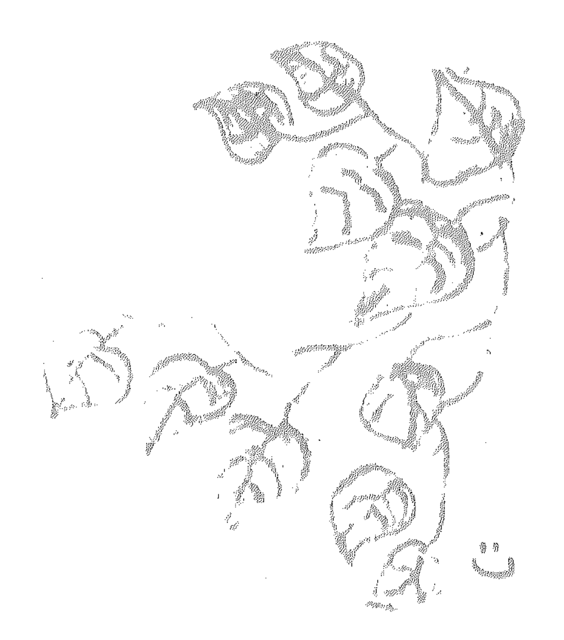
وذهبت بهيرة صديقتي الحميمة في الحال الى سمير ووسوست له : ((الى متى ستظل مسحورا بهذه الفتاة ؟ .. الا تدري انها لا تحبك نصف ما تحبها وتغدق عليها ؟ .. هي بخيلة لا تبذل ما يبرهن على صدق عاطفتها .. ارايت ؟ كم انا كريمة سخية لا أنتظر المقابل من حبيبي الجاحد ؟))



وفي المساء حين التقيت برجلي كشر لي عن انيابه هادرا .. ((اغربي عن وجهي يا بخيلة ! .. بهيرة خير منك ، تحب بصدق .. تعطي بلا مقابل)) .

وصرخت بكبرياء الوثنى : ((كأنك لم تكن في حياتي ابدا .. ابدا !)) ومضيت لا ادري .. هل ابكي جرح قلبي والحب الذي اضاعه الكبرياء ، أم ابكي تمزق نفسي وفجيعتي في الصداقة التي اضاعها الحسد ...

لزوميات



عبدالهادي النجار

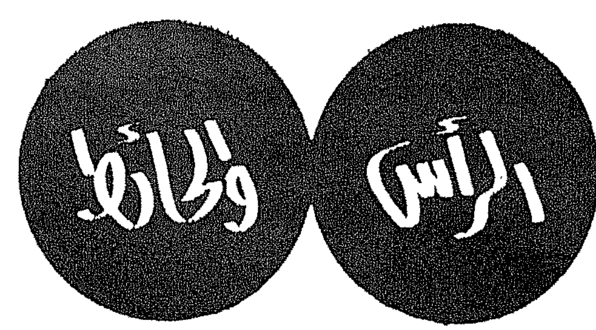
نديم الأسى يانجي الشرود   دع الوهم يخطف قلب العبيد
اقلتك ـ لهفي ـ سفين الضياع   وربانها في شقاء بعيد
ومالي عهد بيأسك ، لكن   على الدهر خلتك روح الصمود
تطل المروءة من ناظريك   فيالك من ((سندباد)) عنيد
سخرت بهول الخطوب اباء   ولن يستضيفك نوم الجمود
ومهما يحلق طير القنوط   فحسبك منه رفيف البنود
فنسم وجودك بالعزم تحيا   ويحيا مكانك بين الأسود !
فتلك الحياة حياة المعالى   لقلب أتى مولها بالجهود
لقلب صحا مستهام الثبات   واقدامه من طراز فريد
لقلب يبارك فجر الأمانى   واحلامه فى صفاء الورود
وليست لذاك الذى يصطلى   بدفء الخمول وحر الصدود ..
وليست لمن يستبيح الكرى   وليست لذاك البليد البليد !
فهيا ، نبدد صمت الليالى   ونهتف باسم صباح وليد
فهيا نحرر احلامنا   ونطلقها من جحيم القيود

***

وليد الأسى يا غبى النشيد   اما هز شوقك فجر الجدود !
اما هز عشقك تاريخهم   وأنت مدين لهم بالخلود
ورثنا الشجاعة عنهم شكولا   وفى دابهم قبس للحشود
وها نحن سحر ازاهيرهم   الى الموت نمشى بعزم حديد
الى الموت نحمل اكفاننا   لندرك ثار ((أخيل)) شهيد
وتحت سنابك صيحاتنا   لقى حتفه عابث بالحدود

***

فردت فراديس تابى خسيسا   يغازل انوارها من جديد
وردت بيادر لما تزل   لحراسها صادقات العهود
وغنى الزمان شبابا وهاهم   كواسر تمضغ راس الحسود
فيا ايها الكون كبر : بلادى   وانت الاغانى بثغر الوجود !



نبيل عبد الحميد

.. وكأنه يتساقط على راسي: عنيفا مكتوما ، متلاحقا . يتقاطر ويرتطم ويتهشم ويبتعد تاركا صدى مبتورا. ويهتز السقف والجدران والهواء والاشياء . واتحسس رأسي ، لا يقع عليه بالتحديد وانما الى جواره ، فوق الوسادة واسفل الاذن. واتحسس الوسادة ، ملساء باردة . وأركز انتباهي اليه تماما وهو يقع .. مرة .. ومرة .. ومرة . يبدو لا يقع من اعلى الى اسفل وانما على العكس، ينطلق من الارض ويرتطم بالسقف ويتهشم ويتساقط فوقي ومن حولي. وأرفع الغطاء وافتح عيني وانظر الى الظلام المهتز في رتابة.. من اين ياتي .؟

.. يتوقف . ويتجمد الظلام . . انفاس زوجتي تتلاحق هادئة دافئة .. ويسقط نجاة من الحائط المقابل. ويرتبك الظلام وتهتز الاشياء . اقوم واتحسس طريقي الى الحائط واضع يدي عليه .. ما هذا . ؟ افتح الباب، وانصت .. ياتي من المطبخ .. اسرع ناحيته وانظر من شق الباب . الراس يرتمي خلف الكتفين ثم يندفع ويرتطم بالحائط . صغير منكوش الشعر القصير الاكرت . يتراجع ويندفع ويرتطم . العينان مغمضتان والفم مزموم والانف ملتو الى اسفل . ويتراجع ويندفع ويرتطم . ويهتز كوم الاواني المتسخة التي تملأ الحوض . اقول ، بنت يافتحية ...

ويتراجع ويندفع ويرتطم ، وتسقط الصابونة والليفة من بين يديها على الارض . ادفع الباب وامسك بكتفيها الباردة ، ماذا تفعلين يافتحية ؟

وتفتح عينيها وتتطلع الى وجهي وتهرش قفاها. جبهتها محمرة ومتورمة ومتسخة . وتبحث بكلتا يديها بين الاطباق والحلل والملاعق وتفتح فمها وتقفله ولا تتكلم . تدور من حولها رائحة المطبخ والعرق والنوم ..

ماذا تفعلين يافتحية ؟.

وتنظر وتتدلى شفتها الصغيرة وتضيق عيناها، ويخرج الصوت هزيلا، ((اغسل الاطباق ..)) وتفتح الصنبور وتقفله. ولماذا تدقين راسك بالحائط.؟

وتتلفت حولها وتاخذ الصابونة والليفة . انا ادق راسي بالحائط . ؟

وتدير الليفة في قاع الاناء .

رايتك بعيني وانت تدقين راسك بالحائط . ويتطاير رذاذ الماء على صدرها .. ابدا لم اكن ادق راسي بالحائط .

واضع يدي على جبهتها المتورمة . وما هذا . ؟

وتنكس راسها وتهز كتفيها، بالامس وقعت على السلم .

واربت على ظهرها الاعجف . قولي الحق يا فتحيه ، لماذا تدقين راسك بالحائط . ؟

وتحمل الأواني المغسولة من الحوض الى المنضدة وتحمل الاواني المتسخة من الارض الى الحوض . وعيناها تضيقان وتبرقان من حولي . الا تتكلمين . ؟

وتتراجع وتنكمش الى جوار الركن وتهرش راسها وجسدها . وتقول بصوت متكسر ، ماذا تريد يا سيدي.؟ وتسعل وتقول بصوت متماوت، اغسل الاطباق يا سيدي ..

واصيح والوح بيدي، اماكنت تدقين راسك بالحائط .؟ وتجلس على البلاط وتضع راسها بين ركبتيها وتبكي .. واجلس الى جوارها ، لا تخافي يا فتحية . ويرتفع ويتلاحق صوت نشيجها المتقطع . واربت على عظام ظهرها المنحني . انا اريد صالحك يافتحية ، اخاف ان يصيبك اذى ، ولقد رايتك بعيني وانت تدقين راسك بهذا الحائط ، اليس كذلك يافتحية ؟

وترفع راسها وترمش بعينين مبتلتين وتنكس راسها وتبكى . وامسكها بكلتا يدى واهزها واصيح ، الا تتكلمين .؟ اريد ان اعرف فقط أكنت تدقين راسك بالحائط ام لا . ؟

وتصرخ وترتعد وتنظر بعينيها الى كل الاشياء .. واقوم وابتعد عنهـا وانظر الى الحائط واضع يدى عليه ، املس شديد الصلابة ، واعود اليها واحاول ان اضع يدى على راسها . تنكمش اطرافها داخل جسدها المكور وترتفع شهقاتها المبحوحة . واقول ، ساعطيك نقودا كثيرة . واقول، ساشترى لك لعبا جميلة ، اذا قلت انك كنت بالفعل تدقين راسك بالحائط .

ويأتى الصوت الحاد من خلفى ، ماذا حدث . ؟ واقف واقول ، كانت تدق راسها بالحائط ، كانت تقف هنا هكذا و ... وتقاطعنى وهى تستند الى المنضدة ، وماذا اتى بك الى هنا.؟

واقول ، صحوت على صوت الدق العنيف وعنـدما جئت الى المطبخ وجدتها وهى ....

وتقاطعنى وهى تتثاءب ،اكانت حقا تدق راسها بالحائط . ؟ واصـيح ، اسأليها . وتتطلع الى وجهى بعينين ناعستين ، انا اسالك انت . واقترب منها وانا اقول ، رأيتهـا وهى تدق راسها بالحائط .

وتنظـر الى فتحية والى الحائط والى وجهى . وكيف عرفت انها كانت تدق راسها بالحائط ، اما كنت نائما الى جوارى . ؟ واصيح ، نعم كنت نائما الى جوارك وسمعت صوت الدق فصحوت واتيت الى هنا . وتلوح بكلتا يديها وتصيح ، ولماذا لم اصح انا ايضا على صوت الدق . ؟

وارتمى على المقعد وانظر الى مربعات البلاط السوداء والبيضاء . وتقترب منى ويتدفق صوتها ساخنا على راسى . الا تتكلم . ؟ اقول لك لماذا لم اصح انا على صوت الدق . ؟

واضحك واقول ، انا صحوت لانى سمعت الدق وانت لم ..

مع قراء الهلال
فى العدد القادم

وتدفع المنضدة بيدها وتصـيح ، انا صماء اذن ، اليس هذا ما تعنيه؟ واقف وادفـع المنضدة بيـدى واصيح ، هل قلت انك صماء.؟ وتنتفض وتمسك المنضدة بكلتا يديها ، وماذا يعنى اذن ما تقول . ؟ واتنقل فـوق المربعات السوداء والبيضاء واقول ، انا سمعت لانى لم اكن غارقا فى النوم، او لانى كنت قلقا اما انت ...

وتقاطعنى بصوت متوثب ، كفى كفى لقد انعدمت لغة التفاهم بيننا ، انت لم تعد تطيقنى ، لم يعد لى مكان فى هذا البيت ..

وتهرول وهى تردد ، لا يمكـن . . ابدا لا يمكن .. واجلس على البلاط واستند براسى على الحائط واغلق عينى .. ويتمدد الظلام امامى . . وتسبح فيه آلاف الاشياء ، كالحة متميعـة المعالم .. ويتجمد الظلام ... ويتحول الى دخان متطاير .. ينقشع ويذوب فى الضوء . وانظر الى الركن فلا اجد فتحية . واجـد الجدار خلف راسى باردا . واستدير واتحسسه بيدى . املس شديد الصلابة . واضـع جبهتى عليه ، وتتسرب البرودة الى عظامى . وانظر اليه ، وادقق النظـر الى رءوس حبيباته الصغيرة اللامعة . ويبتعد الجدار قليـلا الى الخلف ثم يلامس جبهتى فى هدوء . وتتمطى عظام راسى وتتلذذ . ويبتعد الجدار الى الخلف ثم يدق جبهتى . ويهتـز الصوت المكتوم بداخل راسى ، وتتلسخ العظام وتتخدر .. ويبتعد الجدار الى الخلف ثم يرتطم .. مرة .. ومرة... وتزداد نشوتى واشعر بكل الاشياء تتهشم فى وداعـة و . . وتتساقط بداخلى !

●

شباب الأدب الواعد .. أين ..؟

عزت معوض مصطفى

الادب يجب أن يواكب مسيرة الحياة الحاضرة والمستقبلة ويتمثل فيها ، وان يعبر عن الانسان تعبيرا انسانيا غنيا بكل تخيلاته وأحلامه وأمانيه. والادب يجب ان يصقل عواطفه الانسان ويساعد في بناء مزاجه النفسي والروحي ، ويلهمه المفاهيم المجيدة التي تحرر العقل والجسد من مهاترات القوالب الجامدة وتعلمه كيف يحيا الحياة في ظل هدف ورؤية .

ويجب أن نلغى من أفكارنا الرأى القائل « بأن الادب يشبه ازهار الشمع الصناعية المعروضة للزينة في صواوين زجاجيه » . فان الامة المتحضرة لا تتجاهل قيمة الادب والادباء والمفكرين لما في كتابتهم وتفكيرهم من ترشيد وتاثير في أعماق الناس .

والامة التي تتناسى ماضي ادبائها وادبها وتنسى أن تمهد الطريق لخلق جيل ممتد لمواصلة المسيرة ، أمة حكم عليها التاريخ بالفراغ والضعف والافلاس الابداعي والروحي .

ولذا يجب أن نمهد التربة امام جيل من الشباب يبحث عن مكان ليغرس فيه غصن وجوده ، وليقهر الهزال والجمود .

غير ان هناك سؤالا محيرا : لماذا يبدو الفكر والادب والفن علي هذه الصورة من الهزال والجمود؟ أهو عدم التنقيب والبحث عن كل ماهو جيد وقادر على ان يقول شيئا جديدا ويطور شيئا قديما ؟ .

هل هو نوع من التكاسل او التخاذل امام ضعف وسطحية النصوص المعروضة ؟.

وهل نضبت القرائح وتوقفت عن الابداع في مجال الرواية والقصة والمسرحية والشعر ، حتى نلهث وراء كل عمل مستورد نقتبسه ثم نمصره؟!

ان الفن هو الواجهة الصادقة المعبرة عن نمو الفكر والتفكير وعن الحضارة ولكن ما نراه في هذه الفترة هو عكس ذلك . نرى أعمالا مسرحية مقتبسة ومستهلكة وايضا في مجال السينما نرى الغالبية تتجه الى الاقتباس وتمصير الافلام الأجنبية ثم نرى المقابل لهذا ايضا قصصا وافلاما وأدبا تافها وهابطا .. ماسر هذا التخبط ؟

هل هي نتيجة لرواج وسيطرة السطحية والتخلف ؟ هل المجتمع مازال في مرحلة انتقالية لا يستطيع فيها التمييز ؟ .. لماذا لا نرفض المسف والتافه من كل ما يقدم لهذا المجتمع ؟

ان عدم اتاحة الفرصة للبراعم الجديدة لتنمو. وتزدهر في كل مجالات الفنون يحرم المجتمع والانسان من أن يرى نظرات جديدة متجسدة بآماله وآلامه على المسرح وفي السينما وفي التليفزيون وفي الاذاعة وفي القصة وفي الشعر وفي المقالة وفي أن تناقش معه قضاياه من خلال تعرية واقعه ، وان ترسم له صورة واضحة لابطال يختارون من بين البشر الحقيقيين المضطربين في هذه الارض من خلال الكلمة سواء كانت مقروءة أم مسموعة أم صورة مرئية .

فالادب على وجه الخصوص يحتاج الى من ينقله من الركود الى التوهج يحتاج الى من ينقله من أيدي تجار الكلمة الزائفة الى المسار الصحيح وبناء العبقرية الصادقة

فهل من محاولة يا اصحاب الكلمة المشرقة .

قصة

الليلة



محمد عثمان صالح

كان جالسا يحملق فى الاشياء التى حوله ·· لم يكن يراها كما هى ، بدت له النجوم فى هذا المساء شيئا غامضا ··· اخذ يعب من دخان سيجارته ··· كلما توهجت شعر انها نجمة هى الاخرى ··· نادت عليه لم يرد ··· كان يحس انه قتل شيئا ما فى اعماقه ، شيئا احبه ، ولكنه فى فترة ضياع قتله ··· لم يستطع ان يحدد ذلك الشىء ··· نادت عليه مرة اخرى لم يرد ···

لست يدها كفه ··· امسكت بها ، قالت : هل مازلت ···؟

اجاب : ربما يجىء يوم !
قالت : وبعد ··· ماذا تعنى ؟
قال ساخرا : اعنى ···
ثم انفجر يقهقه بصوت مرتعش مجنون ، احست بارتعاش يديه فى يديها ··· عيناه مازالتا تحملقان فى شىء كائن مجهول ···
قالت له فى نبرة حنان يشوبها الشجى :
ـ الا تريد أن ···
همس : ربما يجىء يوم ···

قالت : امازال يعذبك ؟؟

صرخ : انا الذى قتلته ··· انا الذى قتلته !
تقلص وجهه الشاحب ، كانت اخاديد الزمن تحفره مبكرا ، جحظت عيناه ·· كان يحس أن الدهور تنهار وتتهاوى حوله ، وانه يئن تحت انقاضها ·· كان بداخله يقين بانه وحده فى ذلك الكون الذى يبتلع غصات الزمن المرير ··
تمتم : عندما اتحول الى حطام سأصبح سعيدا ·· قهقه بجنون ···
قالت له : هل ستظل هكذا ؟
ابتلع ريقه الجاف ، حملق فى سحب الدخان ، تأملها ··· كاد يتلاشى معها ···
حاولت أن تبتسم له ، لم يكن معها ·
قالت : أحبك ، أحبك ···
اغرورقت عيناها بالدموع ·· صاحت : لم أعد أتحمل ·· لم أعد ···
مصمص شفتيه ··· جلس يحلم بخيوط النور ·
سألته : هل لم تعد ترغبنى ·· تريد أن أتركك ؟
سألها : والذى قتلته ؟
سألته : من قتلت ·· ؟

لم تكن تعرف ابدا أن الجحيم الذى كان فى جوفه يتراقص معه سوف يهوى به ···
كررت السؤال : من قتلت ؟
بدا تمثالا جامدا ··
حرك شفتيه ، تمتم : الموت هو الذى ···
قالت : لم تكن كذلك بالامس ·

***

انقطع التيار ··· كان هناك ضوء شمعة يتارجح ، حملق فيه مجنونا ، صاح بصوت أجش : لم لا تخرجين ؟
انتفضت من صوته ·· ارتعدت ، قالت متوسلة :
ـ اخاف ان اخرج فى الظلام ···

كان ينظر الى ضوء الشمعة وهى تتناقص شيئا فشيئا ··· لم يعد يعنيه امرها ··

كان صامتا تماما ···

وبينما بدا الفجر يزحف فى الظلام ، شهقت شهقة مريرة ، لقد قال لها من لحظات انه ذاهب تلك الليلة يبحث عن الفجر الذى قتله ···



كثرة الكلام

قال رجل لاياس بن معاوية : يا ابا اياس والله ما فيك عيب الا كثرة الكلام !

فاجاب اياس : أفتسمعون صوابا أم خطأ ؟ ..

فقال الرجل : بل صوابا فقال اياس : اذن فالزيادة من الخير خير !

فى الحروب

قال رجل لمحمد بن الحنفية بن على رضى الله عنه :

لم غربك ابوك فى الحروب ولم يقرب الحسن والحسين ؟

فاجاب : ذلك لان الحسن والحسين كانا عينيه وانا يمينه ، فهو يدافع بيمينه عن عينيه ..

لا اذكر ..

قال رجل لابى الجهم : وعدتنى وعدا فان رأيت أن تنجزه.. فقال أبو الجهم: لا اذكر هذا الوعد .. فقال له الرجل : انك لم تذكره لأن من تعده مثلى كثير ، وأنا لا انساه ، لأن من أساله مثلك قليل ! ..

الشيطان

جاء رجل لسهل بن عبد الله وقال له : قد دخل اللص دارى وسرق متاعى فماذا اصنع ؟ ..

فاجاب سهل : قل الحمد لله ، والا فلو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وسرق منه التوحيد ماذا كنت تصنع ؟!

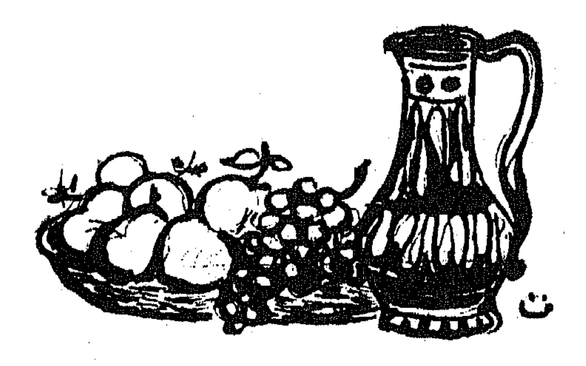
أبر الناس

قيل لعلى بن الحسين : انت من أبر الناس ولا تؤاكل أمك . فأجاب على : أخاف أن تسبق يدى الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها ..

كل عام ..

دخل عروة بن الزبير مع عبد الملك ابن مروان الى بستان وكان عروة معرضا عن الدنيا ، فقال له :

ما احسن هذا البستان ! .. فاجاب عبد الملك : انت والله احسن منه لانه يؤتى اكله كل عام وانت تؤتى اكلك كل يوم !



لو رجع ..

شهد الحسن البصرى جنازة فقال لصاحبه : اترى لو رجع للدنيا لعمل صالحا ؟ .. فاجاب : نعم ، نعم ...

فقال البصرى : فان لم يكن هو فكن أنت !

الدنيا والآخرة

كتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى : اجمع لى أمر الدنيا ، وصف لى أمر الآخرة ..

فاجابه الحسن البصرى :

انما الدنيا حلم ، والآخرة يقظة .. والموت متوسط ، ونحن فى أضغاث احلام .. من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ومن علم عمل .

فاذا زللت فارجع ، واذا ندمت فاقلع، واذا جهلت فاسأل واذا غضبت فامسك .

محسن فهمى



د. أنس داود



أتعرف
شعرك المرسل
وعيناك
ينابيع الرؤى ، ومرافىء الأسرار
أرحل فى عوالمها ولا أسأل
وثغرك زهرة كسلى
تنام على فم الجدول
أتوق .. أذوق هذا اللوز
يا حبى .. ولا أخجل !
عشقتك مثلما يعشق تمثال من المرمر
وفاكهة من النور
وأطياف من الكوثر
وشىء من بهاء الله
لاح كأجمل الأجمل !

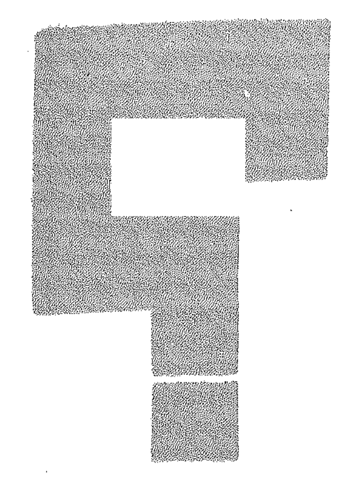
***

أناملك التى تغفو على كفى
تذوب كقطعة السكر !
وأنفاسك
أنسام من النسرين والسعتر
ووجهك
ـ يا ضياء الكون
يا قنديله الأخضر !!
أيعرف حين أرنو
أنى أسكر ..
وحين أمس شيئا فيك
أشعر أن هذا الكون أصبح عالما أجمل !
وأنى ألمس المطلق والأنبل والأكمل !

***

وحق هواك
دعنى فى محاريب الهوى أسهر

مـــرة أخـــرى



على أطلال الثقافة الأوربية .. لماذا

ماهر شفيق فريد

● صدق نصر الدين عبد اللطيف: صاحب ((على أطلال الثقافة الأوربية .. لماذا ؟)) – فى عـــدد الهلال)) (يوليو ١٩٧٨) .

وصدق من قبل الدكتـــور لويس عوض الذى كتب في جريدة ((الأهرام)) ((٧–٩– ١٩٦٢)) ، بعد حضــوره مؤتمرا للكتاب فى اسكتلندا ، يقول : ((عرفت فى مدى شهر ونصف شهر مدى تخلفنا فى متابعة الحـــركات الأدبية والفنية فى البلاد المتقـدمة ، فنحن لا نزال نتحدث عن ت . س . اليوت كأنما الانجليز قد توقفـــوا عن كتابة الشعر منذ اليوت ، ونتحـــدث عن برناردشو كأنما الانجليز لم يعودوا يكتبون للمسرح منذ شو ، ونتحـــدث عن د.هـ . لورانس كأنما القصـــة الانجليزية قد جفت ينابيعها منـــذ أن انتقل لورانس الى رحمة الله)) .

فليس من المفهوم فى١٩٧٨ ان نرى صحيفة يومية كبرى كالاهرام ، تطلع علينا بترجمة لقصيدة اليوت «الأرض الخراب » ، وهى التى انصرم عليهـــا ستة وخمسون عاما ، ودخلت سنجل الكلاسيات التى تدرس اليـــوم فى معاهد التعـــــليم كما تدرس آثار هـــوميروس ، واوفيـــد ، ودانتى ، وشيكسبير ، وجوته : وفاليرى .

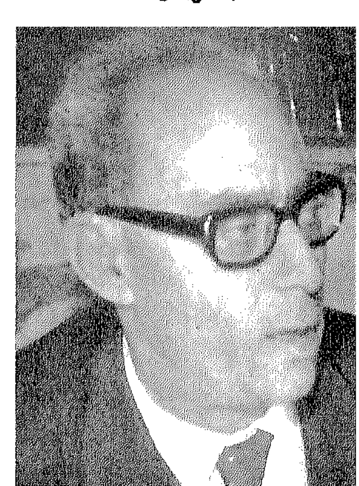
انما يكون هذا النشر مبررا بأحـــد أمرين : أحداهما – أن تأتى الترجمـــة بجديد ليس فى الترجمات السابقة ، كأن تفسر مقطوعة أو بيتا تفســيرا جديدا ، له مبرره من السياق الفنى وأصول الكلمات ، أو – وهذا أضعف الايمان – أن تترجم على الاقل هوامش اليوت على القصيدة ، لأن هذه – على قدر علمى – هى الجزء الوحيد منهـــا الذى اغفلته الترجمات العـــــربية السابقة .

وثانى مبرر هو أن تكون الترجمـــة مشفوعة بدراسة تجلو غوامضـــــها وتستفيد من أحــــدث البحوث عن اليوت ، على ضوء مخطوط القصـــيدة الذى كشف عنه النقاب منذسنوات ، وعلى ضوء المنشور من رسائل اليوت وذكريات صحبه ، ومسودات قصائده التى ما زالت جنين كبريات المكتبات فى كيمبردج وهارفرد ونيـــويورك .

وترجمة الأستاذ عبد الله البشـــير على أنها طيبـــــــة فى جملتهـــا – لا تعنى بأى من هـــذين الشرطين ، أو لا تعنى به الى درجة كافية .

هى لا تضيف شيئا كثيرا الى ترجمة لويس عوض العظيمة ، وهـــو الذى كان له فضل السبق الى تعريفنــــا باليوت فى كتابه « فى الأدب الانجليزى الحديث (١٩٥٠) – وقد سبق نشر مقالاته فى المجلة الشامخة « الكاتب

د . لويس عوض





ت . س . اليوت

المصرى » والذى نقل الى العربية ، على صفحات مجلة « الكاتب » قبل أن تجمح بها اهواء السياسة حينذاك ـ « الأرض الخراب » و « اغنية العاشق ج . الفريد بروفروك » و « الرجال الجوف » و « اربعاء الرماد » ، فكانت ترجمته لهذه الأعمال هى خير ترجمة نعرفها حتى الان، بما جمعت من علم الباحث الاكاديمى ، وتحقيق الناقد ، وحس الفنان الرهيف .

وترجمة الأستاذ عبد الله البشير تخلو من الشروح التى قدمها ـ غير لويس عوض ـ : الدكاترة محمد مصطفى بدوى ، ورشاد رشدى ، وعبد الغفار مكاوى ، وعادل سلامة ، ونبيلة ابراهيم ، وفائق متى ، فكان لها أثر طيب فى فض مغاليق القصيدة ، وتجلية غوامضها امام القارىء العربى .

انما كان الأجدر بصفحة ((الأهرام)) الادبية ـ كما قال نصر الدين عبد اللطيف ـ ان تعرفنا بالجديد فى الاداب العالمية . وفى الشعر الانجليزى المعاصر اسماء تملأ الصحف اليوم نورا وفكرا وفنا ، ولانكاد نعرف عنها شيئا كثيرا .

من هذه الأسماء فيليب لاركن ، المولود عام ١٩٢٢ والذى يعده امثال ج . س . فريزر ابرز شاعر انجليزى فى الخمسينات والستينات .. انه ـ والكلام لفريزر ـ عميق فى انجليزيته ، معنى بالنسيج المحلى للحياة ، وذلك فيما يصور من مشاهد وما يروى من أحداث : كتوم عزوف عن الايماءات البلاغية الكبيرة ، وان كان قادرا ـ حيث ناسب المقام ـ على الفصاحة . انه ـ فى سلالة الشعراء الانجليز ـ وريث هاردى ، وادوراد توماس ، وجون بتجمان . وهو يمنحنا ـ على نحو خافت الجرس ـ حسا صادقا بالعالم المعنوى والفيزيقى الذى نعيش فيه ، ومن ثم يحدث تحولا ـ من نوع معين ـ فى حساسيتنا . لقد جعلنا ـ اذا جاز القول ـ على وعى بقداسة الدميم والرتيب ، وبالعاطفة المكظومة التى تنطوى عليها حيوات المغمورين ، وببطولة التعايش مع الاحباط .

***

ومن هذه الأسماء جون وين المولود فى ١٩٢٥ والذى عرفه قراء هذه المجلة فى قصيدة ترجمها الدكتور عادل سلامة . انه شاعر جاف، فطن، بارع واع ببراعته ، يتأثر خطى الشاعر والناقد الكبير وليم امبسون . فى شعره محاولة لاجتناب الاوضاع الرومانسية المسرفة ، كما انبعثت ـ خلال الأربعينات ـ فى شعر ديلان توماس ، وجورج باركر . يستخدم العامية والتلميح ، ويكبح من جماح الذات .

مـــرة أخـــرى

عـلى أطـلال الثقـافة الأوربيـة



د . عادل سلامة

جون دين

ومن هذه الأسماء تدهيوز المولود عام ١٩٣٠ قرب بطاح يوركشير التي ألهمت الأخوات برونتي خير أعمالهن .. ثم في سني الطلب بجامعة كيمبردج — على ما يروي ج . س فريزر — على اهتمام بعلم الانسان والمأثورات الشعبية ، وبشعر د. هـ. لورنس خاصة في مجموعته المسماة « طيور وحيوانات وزهور » وبييتس في مرحلته الأخيرة . ومن هذه المؤثرات صاغ شعرا أصيلا ، عليه ميسمه الفردي الذي لا ينفصل عن وجود الطبيعة في عصر الصناعة وسكنى الحضر . وليست نظرته الى الطبيعة هي النظرة الوردزورثية التي ترى فيها شفاء للنفس وتطهيرا الروح من أوصابها ، وانما هي تبصر — أكثر ما تبصر — جانب القسوة الحيوانية والدهاء المتوحش ، أو عصفور الدج ، أو الزهرة ، من مواصلة الوجود في معترك البقاء ، حيث الطبيعة حمراء الناب والمخلب .

وقدرة هيوز على تقمص الكائنات التي يصفها فائقة ، كما يمتاز نظامه بطاقة خشنة نافدة الصبر ، ويمتاح من أعمق ينابيع اللغة .

***

هذه بعض أمثلةلشعراء معاصرين — وفي الآداب الأخرى : آسيويةوافريقية واسترالية وامريكية شمالية وجنوبية شعراء آخرون لا يقلون عمن ذكرت قيمة — تحسن صحفنا صنعا لو عرفتنا بهم ، فان وقوف أصحاب الدراسات الانجليزية لديناعندإليوت، ولورنس وشو ، ووقوف أصحاب الدراسات العربية عند شعر المهجر ، وجماعة أبولو ومدرسة الديوان ، ووقوف أصحاب الدراسات الفرنسية عند هوجو وفلوبير واناتول فرانس — آية كسل وتخلف عن متابعة العصر ، وقصور في المعرفة : وايثار للسلامة ، وخشية من تبعة المغامرة والارتياد ، وهذه — لعمري — آفات ما ابتلى بها أدب الا خلفته هشيما ، لاخير فيه ولا ثمر

شيء من النقد وقليل من الشعر

● جعل الشاعر من محبوبته كل شيء ، حين قال :

يا روضة طالما اجنت لواحظنا
وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتها ...
منى ضروبا ، ولذات افانينا ..

ويا نعيما خطرنا من نضارته
في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا !

ان لم يكن هذا هو الشعر ، فما عسى الشعر أن يكون ؟

اترون العذوبة في الهتاف بالروضة التي طالما « اجنت لواحظنا وردا جلاه الصبا » ؟ ..

تأملوا عبارة « اجنت لواحظنا » ، وانظروا كيف تغزونا الروضة فتقهرنا على تذوق جناها المرموق ؟

ان الشاعر ـ وهو هنا ابن زيدون لاينتظر حتى تهفو نفسه الى مناعم الروضة ، وانما تهجم الروضة عليه فعلمته كيف يهصر الأفنان ، وكيف يجنى القطوف ..

وعبارة « جلاه الصبا » فيها سحر اخاذ ! ..

ثم ماهذا التعبير الطريف : «منى ضروبا ، ولذات افانينا » ؟

اتعرفون كيف يكون للمنى الوان وللذات أفانين ؟ . ان هذا خيال شاعر غرق مرة في كوثر الوصال !..

وانظروا قوله : « ويا نعيما خطرنا من نضارته ـ في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا » ..

اتحسون قوة هذا المعنى ؟ .. الا يريكم الخيال صورة فنان منعم يسحب ذيل النعيم ؟

ان ابن زيدون في هذه الأبيات هو الأقوى في التحسر على ماضاع من دنيا الهوى المفقود ! ..

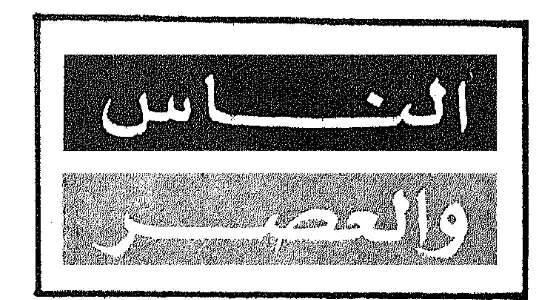
دكتور زكي مبارك : الموازنة بين الشعراء في كتابه عن أحمد شوقي
اعداد وتقديم : كريمة زكي مبارك

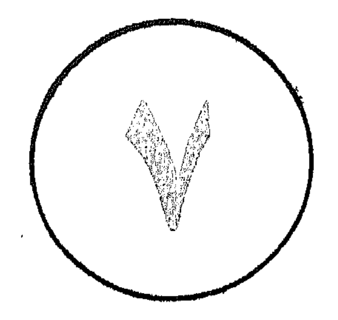
ـ التحيات الطيبات لذكراك ... : زكي مبارك ، اديبا ، رائدا ، ثائرا ، وناقدا ...

ومن صفوف تلاميذك المعجبين ، ارفع بالحب يدى عتبا واعتراضا ..

فكل هذا الحرير كثير على شعر ((سحبنا ذيله حينا)) !.

● وبديع لثالث هنا يزيد : يزيد فيطوى تواضع ابيات ابن زيدون !





نصر الدين عبد اللطيف

ركن الأركان ، فى مجلس الأسمار ..
هو السلطان ـ ورائعة الحنان ، يتحاوران
كأنما يتناجيان
هى : ـ الليلة نلتقى وقد عادنا السلام !
هو : ـ أوكنا على خصام ؟!
هى : ـ نسيت ما قلت لى سهرة امس الأول ؟
هو : ـ كان موضوع الحوار جم الحساسية !
هى : الحب ؟!
هو : ـ الحب بيننا !
هى : ـ وماذا لو ....
هو : ـ لا شىء ولكنهم ي ...
هى : ـ يقولون ؟ .. ماذا يقولون ؟ .. دعهم يقولون ! ..
هو : ـ ها ! .. هذه مقولة برنارد شو !
هى : وما مقولتك أنت ؟
هو : ـ فى نفس الموضوع ؟
هى : ـ لا ، فى موضوعنا .. فى الحب !
هو : ـ الحب بيننا ؟
هى : ـ انت وأنا !
هو : ـ ولكن ، لكنك لا تعرفين ..
هى : ـ آه لو تعرف !
هو : ـ أتعرفين من أنت ؟
هى : ـ أنا رائعة الحنان !
هو : ـ ومن رائعة الحنان ؟
هى : ـ جاريتك !

فترة أحزان إضافية ...!

هو : ـ بكل المعنى الرائع والواقع للكلمة ؟ !
هى : ـ وما يمنع ؟!
هو : ـ .. كل هذا الرواء البديع ، والفهم ، والرقة ، وانس الروح ، و .. جاريتى ؟ ! ليتها الحقيقة ! .
هى : ـ أوليست الحقيقة ؟
هو : ـ انما هى الاحلام !
هى : ـ يعنى أنت الآن .. تحلم ؟
هو : ـ وأنت ، أنت الحلم !
هى : ـ آه ، ولكن الحلم يعنى اننى خيال ، وهم ، طيف . . .
هو : ـ طيف جميل ! .. صورته من هواى ، وصنعته على عينى !
هى : ـ ولكن .. لماذا الطيف ؟ .. ألا تجد فى الواقع ما ..
هو : حتى الآن ، لا ..
هى : ـ الغربة ـ قلت لى يوما ـ ظلها السآمة والشجن !
هو : ـ .. وفى غابة الناس والعصر ، يا حبيبتى ، يكون المساء فترة احزان اضافية !
هى : ـ ولكن تيار القدرة الخفية يسرى .. والصباح لا يخلف موعده !
هو : ـ ومن اجله ـ الصباح ـ نعيش الممكن ، ونتعايش مع المستحيل !
هى : ـ الممكن والمستحيل .. يلتقيان ؟
هو : ـ التقينا يوما تحت مظلة من حكمة طاغور العظيم :
وقال الممكن للمستحيل : والآن يا عزيزى .. أين تعيش ؟
واجاب المستحيل : ... فى احلام العاجزين !
هى : ـ آه .. احلام . كدت أنسى اننى الآن .. حلمك !
هو : ـ انا ما نسيت !

هي : ـ لكنه مجرد حلم !
هو : ـ كل حلم ـ حتى يجيء الصباح ـ واقع مؤقت !
هي : ـ آه ، مؤقت ..
هو : ـ الي أن يتاح له مثل ما أوتي ملك قبرص !
هي : ـ من ؟
هو : ـ بيجماليون !
هي : ـ آه .. الفنان الأسطورة .. صنع من احلامه تمثالا لامرأة رائعة ـ جالاتيا ..
هو : ـ كان حالما عبقريا ، أبدع فعشق ما أبدع ، فتعذب .. حتى واتته نفحة من رقة افروديتا !
هي : ـ ... سيدة الحب والحسن
هو : ـ سكبت له ، في التمثال ، من روحها .. فتدفق نبض الحياة في روعة الجسد المرمري ..
هي : ـ جالاتيا !
هو : ـ وتلفتت بين يديه جالاتيا .. حلما ، وحقيقة ، معا ! ..
هي : ـ حلما وحقيقة .. معا !
هو : وانتصر الحب !
هي : ـ آه ... لم يعد يدهشني انني ..
هو : ـ انك ماذا ؟ ..
هي : أنني الآن حلم ! .. طيف ..
هو : ـ جميل !
هي : ـ وتحبني ؟
هو : ـ ولم لا ؟ ..
هي : ـ ما هكذا يكون جواب المحب ..
هو : كيف يكون اذن ؟
هي : ـ أظنه في حدود علمي ، هكذا :
اقول : تحبني ؟
تقول : أعبدك !
! ...
هو : ـ نفعنا الله بعلمك !
هي : ـ آمنا .. وهل الحب علم ؟
هو : ـ الحب ، في معظم احيانه ، كالشعر .. : مسالة خاصة !
هي : ـ لكنهم لا يشبعون من الكلام في هذه ((المسالة)) ـ كتابا وقراء !
هو : ـ الحديث عن الحب شيء ، والحب ذاته شيء آخر !
هي : ـ لا علينا ان نجمع الشيء والشيء الآخر ، معا !
هو : ـ هنا ؟! ...
هي : ـ وما هنا ! .. مجلسك ، مجلس الاسمار ، وانا ، انا ..
هو : ـ السميرة ...

هي : ـ سميرتك .. يعني شهرزادك !
هو : ـ ليتك !
هي : ـ تحب ان اكونها ؟
هو : ـ نجرب !
هي : ـ وأنت شهريار ؟ ..
هو : ـ لا احب أن اكونه ! .. وأحب ان اعيش مثله !

هي : ـ في كل ظروف معيشته ؟
هو : ـ يكفي ظروف معيشته الاقتصادية !
هي : ـ عظيم ! .. والآن ، يا مولاي ، نبدأ ، ..
هو : هاتنا مما عندك !
هي : عندى لك من عجائب الماضي ، وعبر الزمان ما ..
هو : ـ لا، لا، ارجوك ! .. لا تطعميني من مطبخ شهرزاد القديمة !
هي : ـ لم تكن شهر زاد تطبخ ! .. كانت تحكي عجائب دنيا الناس والحظوظ والأقدار !

هو : ـ .. تسامر بها خيبة السيد السمين شهريار !
هي : ـ كان خائبا .. وسمينا ؟!
هو : ـ في البدء كانت خيبته .. ومنها تفرع طرح الخطايا والحكايا !..
هي : ـ والسمنة ؟

هو : ـ خذي رجلا فاجلسيه متربعا بين الحشايا والطنافس ، يسمع ويندهش ، وياكل الف ليلة واكثر ، تحصلين على عجل بحر ، يحسدك عليه السيرك القومى في الكتلة الغربية !

هي : آه ها ! .. ولو ان بعض ما تقول يغرى بالتصدى ، أو يثير ، او يجرح !

هو : ـ احسن ! .. فمن ذلك كله تكون حيوية وتفتح !
هي : ـ ومنه يكون شتات الافكار التى تطير الآن عني !
هو : ـ من حقك أن تطلبي منحة تفرغ لتجميع الأفكار التي تطير !

هي : ـ منحة تفرغ ؟! ولكنى الآن لا افكر لوزارة الثقافة ! .. الفكر لك ، لك ..

هو : ـ حسنا ! .. قدمي اذن بعض مالي ـ لي ! ..
هي : ـ آه ، كنت بدات احكي ..
هو : ـ عن تاريخ زمان ، وعبر سالف العصر والاوان ؟ !
هي : ـ ولكنك غضبت ورفضت .. لماذا ؟ ..
هو : ـ لأن الماضي أعرفه .. والحاضر اعيشه !
هي : ـ ليس غيرهما لنحكي ، وليس بعدهما !
هو : بعدهما المستقبل .. احك لي من تاريخ المستقبل !
هي : ـ آه ! .. المستقبل لم يات بعد !

هو : ـ ولكنه سيأتى !
هى : حسنا ، ننتظر اذن الى أن ..
هو : ـ ولماذا الانتظار وفى الوسع أن نأتى به الآن ؟ ..
هى : ـ نأتى به الآن ؟! اه ، صحيح .. بالخيال ، والعلم ، والفكر ـ .. ممكن !
هو : غنوا السلام لشهر زاد الجديده !
هى : ـ مولاى ! ..

***

هو : ـ ... وأرى الآن امامى ، قطعه من المستقبل ! .. أبتسم لها، فلعلها خطرت لى من قبل فى حلم ليل.. أوطافت بى فى لحظه استسلام لعدوى من سبحات فكرك الجموح !
هو : ـ أهى فى شارع الناس والعصر ؟
هى : ـ تماما ! .. وها هو يترب الشفق ! .. ويخيم الغسق .. وموجات الضوء والألوان وظل الموسيقى الحزينة ، تحضن المبنى الجليل!
هو : ـ اسمه ((المبنى الجليل)) ؟!
هى : ـ لا ، ولكنه يبدو كذلك .. فهو على الطراز القديم والمهيب وهو مخصص ((للمناسبات العاليه)) مثل المناسبة التى اسـعدوا لها الليله قبل ان تهب عاصفة المساء !
هو : ـ عاصفة المساء ... أى مساء ؟
هى : ـ مساء الليلة ، وكل ليلة ! .. وهى بالطبـع غير عاصـفة الصباح ـ كل صباح !
هو : ـ أتهب العواصف هنا مرتين كل يوم ؟ وبانتظام ؟!
هى : ـ تماما ! .. وانتظر لحظة فقد هلت بشائر عاصفة الليله ! ها .. هى تمطر ! .. تمطر بغير ماء ! ... السماء تمطر صـحفا وكتبا ومجلات ! ..
حركه المرور تضطرب!.. الناس يهرعون للاحتماء من الأمطار الثقيلة!
سيل الصحف والكتب المتساقطة من الفضاء يصفع الوجـوه .. والأنوف .. ويطيح بالنظارات !
هو : ـ .. يالها من ظاهرة خارقة .. ولكن ..
هى : ـ ولكن الجميع يتجهون نحو البيان المعلق فى مدخـل المبنى الجليل !
هو : لعله برنامج مهرجان ((المناسبة العالية))
هى : ـ نعم، ولكنه موجز وملغز .. لا يفهم منه اكثر من ان امير ((المناسبه العالية)) الليله ((عريق الامارة، ساحر، مهيب ، واسع رصيد الأمجاد))، وأن هذا المهرجان تكريم له ووداع ، بمناسبه بلوغه سـن التقاعد !
هو : ـ ولكن ... من هو هذا العريق الساحر الـ .. ؟
هى : ـ لم يعلنوا عنه ، ولم يقولوا ..
هو : ـ آه ، ومن تظنين ان يكون ؟
هى : ـ .. لأننا مع الناس والعصر ، فى شارع المستقبل القريب ـ فلا يستبعد ان يكون المحتفى ببلوغه سن التقاعد ، هو .. : الشعر ! .
هو : ـ لكن ، ولنفس الأسباب أيضا ، الا يمكن أن يكون هو .. : نقد الشعر ؟ ؟
هى : ـ تراهننى يا مولاى ؟!

● السهرة ممتدة ..
والليل موصـــول ●

مختارات من الشعر الفارسى
فى ضيافة الشعر العربى

الحبيب السالى

شعر : منوجهرى الأفغانى
ترجمة : أحمد مصطفى حافظ

يا من مررت ، مع الغريم ، بحيننا
والبدر فى الق بوجهك راعنا
اين الحياء .. اذا تلاقت أعين
والذكريات ، بكل شبر بيننا ؟ !

***

سميتنى شيئا عتيقا باليا
ونظمت عقدا .. فى ذميم خصاليا !
وشكوت ختلى للأنام ، وخستى
وزعمت أنى كنت فظا قاليا ..

***

وبحثت عن غيرى .. ليصبح تاليا
ويكون من بعدى الحبيب الغاليا
ووجدته .. طوع البنان مليا
وفرغت من قبلى ، لديك ، وقاليا

***

والان .. ماء العشق يجرى كوثرا
فى حين يجرى ، فى معينى ، فاترا
ويقال ان الماء فى كاس جديد كم يلذ .. وكم يسر الخاطرا !

***

يا من سلوت ـ وصار أمرا ممكنا
ان تبدلى حبا بحب .. بعدنا
قولى بصدق ـ بعد نقض عهودنا ـ
لم تكثرين من المرور .. بحينا ؟!



لهلال

مجلة الفكر العربي

ثروة من العلم والفن والفكر
بقروش قليلة

لهلال

خير هدية لك ولأسرتك.. تثقيف الشباب بقدر ما تفيدهم المدرسة
والجامعة.. لأن الثقافة هي سلاح العصر لضمان مستقبل زاهر

لهلال

مقالات بأقلام كبار الكتاب - دراسات في العلم
والفن والأدب - استطلاعات مصورة بالألوان

قيمة الاشتراك السنو
[بالبريد العادي]
في مصر ١٨٠ قرشا (١٢
في الخارج : ٦ دولار
أو ٣ جنيهات ا
[بالبريد الجوي]
في الخارج : ١٤ دولار
٧ جنيهات ا

تسدد بشيك مصرفي
لقسم الاشتراكات بدار ال
١٦ ش محمد عز العرب - ا

CRIPTION DEP.
AL HILAL INSTITUTION
OFFICE BAG
O - EGYPT

الهلال

أكتوبر ١٩٧٨

مجلة الفكر العربى

الشريعة والكسب غير المشروع

أطلس الأذن لسلامة سمعك "بالألوان"

ـاية الرواية فى الأدب العربى المعاصر

ـب محفوظ

ـى منصور

ـشدى صالح

يوسف إدريس

يحيى حقى

يوسف السباعى

ثروت أباظة

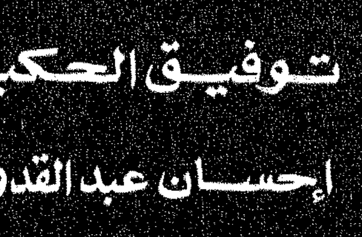
عبد الرحمن الشرقاوى

يوسف جوهر

توفيق الحكيـ

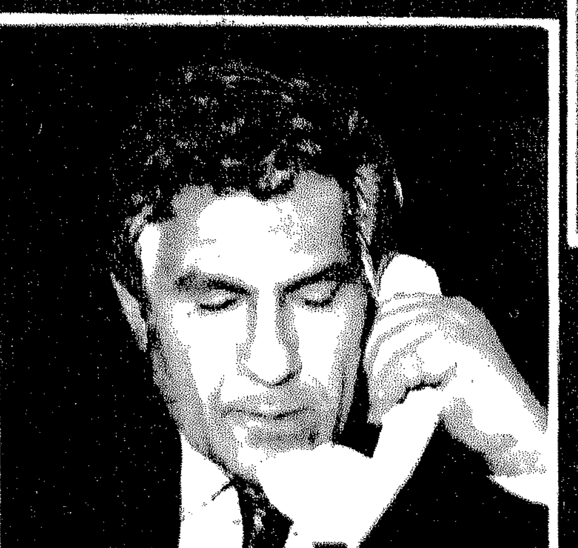
إحسان عبد القد

محمود تيمـ









...

ـ أمراء الصحراء

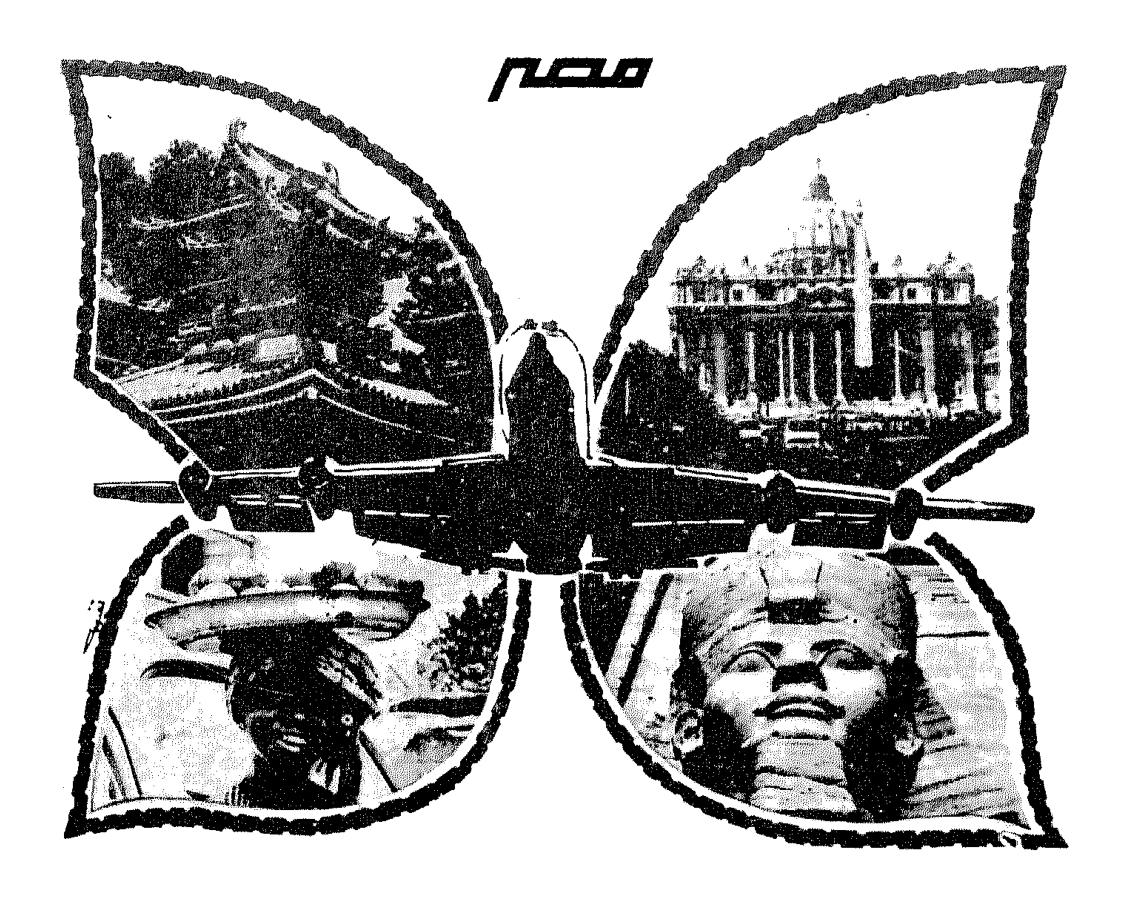
...

كسوف الشمس.. يستغلونه اقـ

فى عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفى عمر شركات الطيران قليلاً ما تجد هذا الرقم

٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - آسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوى

كلمة الهلال

هذا هو المنبر فمرحبا بالخطباء

بفضل قرائنا واصدقائنا اهل العلم والادب والفكر والكتاب كبارا وصغارا ، وبفضل التأييد الصادق الذى نلقاه من المسئولين في الدار تخطو ((الهلال)) خطوات واسعة نحو استعادة مكانها الجدير بها في عالم الفكر العربي .

قراؤنا يتزايدون من عدد لعدد ، وخطابات القراء تتوالى علينا بالتشجيع والنقد والتوجيه والاسهامات الادبية والعلمية القيمة ..

لقد بدانا معركة اعادة الهلال الى مكانته من اكثر من عام ، وبذلنا من الجهد ما فتح لنا الابواب واقنع الكثيرين من اهل الفكر بالعودة الى الاسهام في اعرق المجلات الفكرية العربية ... ولم نقنع مرة واحدة بما عملناه ، بل مضينا نجرب ونجدد ونغير لكي نلتقي مع ما يطلبه اكبر عدد من جمهور القارئين في ميادين العلم والفكر والفن ..

وفي العددين السابقين على هذا ، وفي هذا العدد نفسه تجديد شامل « للهلال » ، تجديد يشمل الشكل والموضوع والاخراج وكل المادة المقدمة ، وهذا ما يلمسه القارىء للوهلة الاولى ، وهدفنا الآن هو الوصول بالهلال الى أن يكون مرآة صادقة للفكر العربى وموردا ينهل منه كل طلاب المعرفة من قراء الهلال الدائمين وقرائه الجدد الذين كانوا يبحثون عن شيء جيد يقرأونه فوجدوه في « الهلال » .

ما زالت بيننا وبين ما نامل مراحل كثيرة ،ولكننا نشعر اننا بالفعل نسير في الطريق الصحيح الذى يؤدى بمجلتنا الى ما تصبو اليه ويوافي القراء بما يرضى العقول والقلوب ..

بقي ان نقول اننا في حاجة الى مزيد من اسهامات كبار الكتاب والمفكرين وأهل العلم وأجيال الادباء الجديدة الصاعدة .

ونحب في ختام هذه الكلمة أن نقول اننا هنا في « الهلال » نقرأ كثيرا جدا لنستخرج لقارئنا القليل النافع ، ونعمل كثيرا جدا لكي يرضى عنا قراؤنا ويصبح ((الهلال)) بالفعل كما كان دائما منبر الفكر العربى الرفيع ..

وهذا هو المنبر ...

فمرحبا بالخطباء ...



« المحرر »

فى هلالك هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

شــوال ١٣٩٨ هـ
أكـتـوبـر ١٩٧٨ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السادسة والثمانون -
أول اكتوبر ١٩٧٨ - ٢٩ من شوال ١٣٩٨

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفنى : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فىجمهورية مصر العربية ١٨٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
فى الخارج بالبريدالعادى ٦ دولارات او ٣ جـ ٠ك٠ بالبريد الجوى ١٤ دولارا أو ٧ جـ٠ك ٠تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

الغلاف الأول

يفتح الهلال فى هذا العدد جبهة جديدة من جبهات صراعة فى سبيل النهوض بالفكر العربى ، وهى جبهة الرواية العربية التىتتدهور بالفعل ، وقد جعلنا الغلاف تصويرا لهذه الجبهة ..

لو تركنا الأمور على ما هى عليه

لماتت الرواية فى الأدب العربى

بقلم : رئيس التحرير

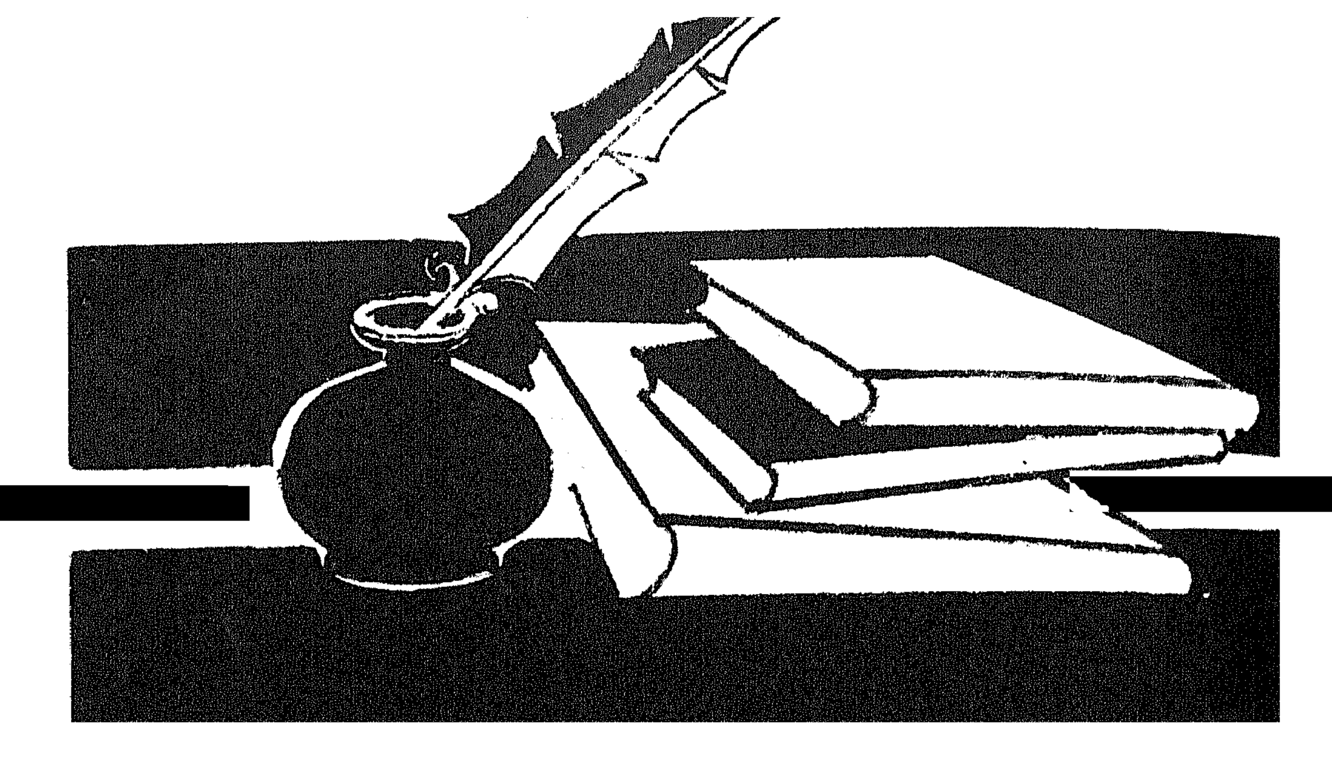
● منذ كم من الزمن لم تظهر فى السوق الادبى العربى رواية جيدة ؟

من عشر سنوات على الاقل ... باستثناء « الحرافيش » لنجيب محفوظ لا اذكر اننا قرانا لواحد من الكبار فى العالم العربى كله رواية جديدة ذات قيمة ادبية حقيقية ..

الاخرون - الذين يلون الكبار - أصدروا روايات كثيرة ، قراناها كلها، لم نجد بينها الا القليل جدا من المستوى الذى نرجوه . فى معظمها صفحات جيدة ، صفحات قليلة ، ولكن الواحدة منها تبدأ بداية طيبة فى الغالب ثم يفلت الزمام من الكاتب . ما أسرع ما يضطرب السياق فى يده . وتبهت الشخصيات او تتكسر ، وتفقد الرواية سياقها ومعناها ، وتصبح لاشىء ... حلقات باهتة فى مسلسلة تليفزيونية يتسلى بالفرجة عليها العيال والنسوان.

وأزعم أننا فى « الهلال » من أكثر الناس حرصا على قراءة الروايات التى تقدم الينا ، لان سلسلة « روايات الهلال » أمل من آمال الشباب الصاعد وهى فى حاجة الى مدد غزير من القصص الروائى ولكننا مع الاسف الشديد نقرا ونقرا ، ولا نجد فى النهاية شيئا يستحق أن ينشر .

ويغضب الأدباء الشبان ويحسبون أننا لا نوليهم ما هم جديرون به من عناية ، لان الواحد منهم اذا فرغ من كتابة روايته تصور أنها لابد أن تنشر مادام هو قد أتعب نفسه وكتبها ..



ونحن نقدر جهدهم هذا ونشكرهم عليه ، ونقول لهم : لا تؤاخذوننا أيها الاعزاء ، هذه « حواديت » وليست « روايات » هذه أوهام وتأملات شخصية وليست قصصا ، لان الرواية هي أصعب ضروب الادب على الاطلاق. انها ليست مجرد حكاية تعجبك فترويها .. انها ليست مجرد « حدوته » سمعتها أو تصورتها ، فسجلتها فى دفتر ..

ان الرواية بناء فنى صعب جدا ، ولابد أن يكتب الانسان عشرا أو عشرين رواية حتى يضع قدمه على أول الطريق انها موضوع أولا وقبل كل شيء . موضوع يقوم على فكرة أو افكار ويرمى الى هدف . كل هذه الافكار ، ينبغى ان تكون صحيحة سليمة لا مجرد أوهام مراهقين ، وينبغى أن تتمثل فى شخصيات ، وينبغى أن ترسم بعناية لتحتفظ هذه الافكار بخصائصها وملامحها على طول الرواية، وهذه الملامح تتمثل فى شخصيات ، وهذه الشخصيات والخصائص لا تتبين بالوصف الكلامى ، بل بطريق تعاملها بعضها مع بعض ، وتعاملها مع الناس ، وهذه الشخوص تتكلم . ويدور الحوار ، وهو أشق ما فى الرواية ، لانه ينبغى أن يكون حوارا عميقا داخلا فى صميم الموضوع ونابعا من فلسفة المؤلف ، ولا يمكن أن يكون اى كلام ..

أنظر مثلا الى شخصيات روايات نجيب محفوظ ، انك تحس بها فى كل صفحة من صفحات الرواية ، تحس انها حية واضحة بمعالمها : لا يمكن أن يصدر تصرف عن احدى شخصيات ميرامار مثلا الا وهو منطبق على طبيعة هذه الشخصية من أول الرواية الى آخرها.

ولا يمكن أن تقول الشخصية عبارة واحدة الا كانت هذه العبارة منطبقة تماما مع طبيعة هذه الشخصية ..

لهذا نحن نشعر ونحن نقرأ رواية لنجيب محفوظ اننا نقرأ عملا حقا ، مبنيا بناء سليما قائما على تفكير وفهم ودراسة وتعمق ..

اما ان يستلهم الشباب حوادث سلسلة روايات ((الهارب)) التى عرضت فى التليفزيون من سنوات، ويستخرج منها رواية مصرية طويلة يقسمها على حلقات يسميها ((أحلام الفتى الطائر)) ويكتب دون تفكير او تعمق ، ويربط الحوادث برباط متكلف ، ويعتمد فى النهاية على مايتصوره من خفة دم الممثل، ثم يحسب انه فعل شيئا فهذا امر لا نقبله ولا نعترف به .

لو تركنا الأمور على ما هي عليه لماتت الرواية في الأدب العربي

انه لعب وتسلية ، والرواية الحقة ليست قط لعبا ولا تسلية . انها بناء فني انساني عسير جدا لابد ان يكتب بعناية تامة وفهم دقيق .

واسالوا ((توفيق الحكيم))كم كتب، وكم سود وبيض ، وكم بدأ ثم الغى مابدأ وعاد يكتب من جديد حتى وصل الى بداية الطريق الصحيح ، ثم بدأ يبنى الصرح الشامخ الذى بناه ..

انك تشعر وانت تقرأ رواية «الحرام» ليوسف ادريس ان وراء كل سطر جهدا بالغا ، وان وراء كل شخصية من بطلة الرواية الى ساعي البريد تصورا سليما ورسما دقيقا لم يتيسر الا بعد جهد شاق من العمل والتفكير ، ولهذا نحن نقول ان رواية « الحرام » عمل فنى بكل معانى الكلمة ..

اما روايةطويلة مثل « عيون الحب » التي رأيناها أخيرا فانت تراها فلا تجد فيها عيونا ولا حبا ، وانما هي حوادث مربوط بعضها ببعض بخيط ضعيف جدا لا يحس به أحد ، وانت تراها فلا تحس أن وراءها جهدا ، تحس بالفعل انها « اى كلام ... »

***

وعندما فكرنا فى الامر مليا وجدنا ان هؤلاء الذين يكتبون ذلك القصص للاذاعة ، والسينما ، والتليفزيون ، معذورون اذا تصوروا انهم يقدمون اعمالا فنية ..

عذرهم ـ فيما نعتقد ـ انهم لايجدون بين ايديهم نماذج من الفن الروائى السليم يفهمون منها معنى الرواية وكيف تكون

لأن مجموع الروايات الجيدة التى نشرت فى الادب العربى لا يزيد على خمسين أو ستين واحدة الى الآن ..

ومثل هذا العدد كتبه روائى أوروبى واحد مثل أونوريه دى بلزاك ، وقد كتب كل من ديستويفسكى واميل زولا وليوتولستوى واناتول فرانس وسير توماس مور وتشارلس ديكنز مثل هذا القدر من الروايات الجيدة .

لهذا فان الشاب الانجليزى أو الفرنسي أو الروسى أو الامريكى يعرف ماهى الرواية ويعرف العناصر التى تجعلها رواية

حتى الذين يكتبون روايات تسلية او روايات بوليسية ، وقصص جرائم يعرفون كيف يجيدون سبكها ..

لانهم يكتبون ووراءهم تراث روائى طويل تأصلت قواعده واصوله وتقاليده.

وهذه التقاليد أفهمت الناس معنى الرواية وخصائصها ..

فهم هناك لايسمون « الحواديت » روايات ..

وهم يعرفون أن الرواية دراسة وفهم وعمق وتصوير .. انهاعمل ادبى شاق لا يقتدر عليه الا عدد قليل جدا من الموهوبين ..

لهذا ننظر فى تاريخ الادب الفرنسى مثلا فنجد عدد الروائيين ذوى القدر قليلا نسبيا ..

وعند الانجليز لا يعترفون بانسان روائى الا بعد أن يتكرر منه التجويد مرة بعد مرة على طول السنين

واقرا مثلا تواريخ حياة كبار الروائيين تحس بالجهد الضخم والملكة الاصيلة وراء اى اسم من الاسماء التى تقرأ عنها ..

هناك عمل ضخم جدا وراء اسم تشارلس ديكنز

وهناك جهد شاق فى الدراسة

والتجويد وراء اسم توماس مان

واقرأ مثلا مايحكونه عن أوسكار وايلد من انه قضى صباحا كاملا يعمل فى غرفته ، فلما جاء وقت الغداء سالوه : ماذا فعلت طوال الصباح ؟ قال : وضعت شولة !

ثم عاد الى العمل بعد الظهر كله ، وعندما نزل للعشاء قيل له : ماذا فعلت طوال بعد الظهر ؟ قال : رفعت الشولة!

ولايخدعك قولهم ان اونوريه دى بلزاك كان يكتب طوال الليل ثم ياتى عامل المطبعة فى الصباح فيجمع الاوراق المكتوبة وياخذها الى المطبعة دون مراجعة ..

لأن بلزاك كان يكتب القصة كاملة فى ذهنه قبل ان يمسك القلم فاذاامسك القلم مضى يكتب بسرعة ودون مراجعة لانه يريد ان يلاحق افكاره التى رسمها قبل ان ينساها ..

كذلك كان الموسيقى موتسارت ..

كان يرسم السيمفونية فى ذهنه فى ستة شهور ، فاذا جلس ليكتبها فرغ منها فى يوم ..

ولكن ليس معنى ذلك انه كتب السيمفونية كاملة فى يوم ـ الحقيقة انه كتبها فى عام ـ وربما فى اعوام

***

ان الرواية نبات جديد زرعناه فى الادب العربى

لا علاقة قط بين الرواية بمعناها الحديث والصور الادبية القديمة ذات الطابع القصصى فى الأدب العربى

لا علاقة قط بين مقامات أبى القاسم الحريرى وروايات نجيب محفوظ ..

هذه شىء وتلك شىء اخر يختلف عنه كل الاختلاف

هل تستطيع أن تقول ان الطب الذى يدرس اليوم فى كليات الطب هو تطور لتذكرة داود ؟

وهل الصيدلة التى تدرس فى كليات الصيدلة هى تطور لكتاب مثل الادوية المفردة لابن البيطار ؟

ان الطب الجديد شىء جديد جدا لا صلة له بطب العصور الوسطى ..

والذين يقولون ان أيام العرب محاولات روائية مخطئون ..

انها حكايات على هامش حوادث تاريخية وليس فيها اى فن قصصى..

هذا كله تراث عالم عصور مضت ، تقرؤها على أنها تراث ولكن علاقتها بادب اليوم وفكر اليوم قليلة او هى منعدمة ..

وتوفيق الحكيم عندما كتب شهرزاد لم يأخذ الا الاطار ، أما المحتوى الفنى والبناء الفكرى فجديد لم يعرفه الذين كتبوا الف ليلة ولا خطر ببالهم ..

حقا ان الف ليلة ، عمل روائى فنى بديع ولكنه قصص اساطير يختلف تماما عن الفن الروائى كما نفهمه اليوم ..

وقد أدرك ذلك روبرت لويس ستيفنسون عندما كتب مجموعته الفريدة « الف ليلة وليلة الجديدة » New Arabian Nights فهذه الاخيرة ليست روايات عربية وانما اساطير أوروبية حديثة ذات طابع يذكرك بأساطير ألف ليلة ..

***

لهذا فاننا فى حاجة الى جهد ضخم لتاصيل الرواية فى أدبنا العربى ..

نحن فى حاجة الى ان يفهم الناس ان الرواية ـ قطعة فنية ـ وليست حكاية

لو تركنا الأمور على ما هي عليه لماتت الرواية في الأدب العربي

ولا حدوتة وانما هى تجربة ومعاناة انسانية قد لايكون فيها حكاية اصلا

وننصح الذين يريعون أن يطلبوا مثلاً لما نقول ان يقرأوا رواية مثل « جناح السرطان » بقلم سولسنيتسن لكي يروا المعاناة والدراسة والعمق والتعب والجهد ..

فالرواية تدور فى جناح السرطان فى مستشفى روسى فى وسط آسيا .. وسولسنيتسن لا يصف لك كل الجناح ومافيه ، ولا يحكى قصة حب بين طبيب وممرضة أو حكيمة كما كان يفعل اى روائى عربى فى مثل هذه الحالة .. بل انه يحكى لك بطريقة بعيدة جدا عن الحكاية قصة كل مريض من النائمين فى تلك الإسرة .. ويمضى يروى تفاصيل هى الغاية فى العمق والصدق وسلامة الاحساس .. هذا الى جانب تصوير الحياة في روسيا الشيوعية من خلال لمحات قليلة تبدو لك عابرة ولكنها ليست عابرة بحال .. انها فى الصميم .. انه لا يصف النظام السوفييتى بكلمة واحدة نابية ، ولكنه يريك كل مساوئه بلمسات لايكاد الانسان يحس بها .. وهنا تشعر بالفعل انك امام روائى واديب كبير ..

***

اننا نعرف ان فى عالم الرواية اليوم أسماء شبان كثيرين موهوبين .. ولكن لماذا لم يظهروا الظهور المناسب لمواهبهم ؟ ماواجبنا حيالهم ؟ ماذا نعمل لكى نفتح الابواب امامهم واسعة ؟ ربما نجد فى النهاية ان فتح الابواب هو واجبهم هم ؟

ومن مثلا الذى فتح الباب امام نجيب محفوظ غير نجيب محفوظ ؟ ومن الذى فتح الباب لتوفيق الحكيم غير توفيق الحكيم ؟ اهل نتركهم يصارعون الاقدار وعوامل الهبوط وتثبيط الهمم وحدهم ؟

او هل نحن نقيم العقبات فى طريقهم دون ان ندرى ..

اننا نطرح القضية وتساؤلاتها هنا ونعرض آراء من يتفضل علينا برايه من اعلام الادب فى ايامنا هذه ..

ونريد من الجميع ان يسهموا ويكتبوا ..

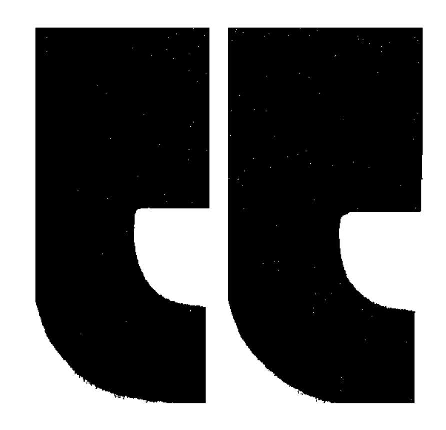
لقد ورد ذكر ادباء شبان كثيرين فى الصفحات التالية فلماذا لا نسمع أصوات أولئك الشبان ؟ ..

ان القضية مطروحة .. وهى ليست قضية ثانوية ، انها قضية مستقبل الرواية والقصة والمسرح ..

وهذا الركام الهزيل الذى يعرضونه علينا فى السينما والتليفزيون عل انه فن روائى هو نكبة على الرواية والادب العربى ..

ام ان لكم رايا غير هذا ؟

حسين مؤنس



كلام فى الصميم لا دخان فى الهواء

هل انتهى دور الرواية في الأدب العربي المعاصر؟

الصفحات التالية تعرض ازمة الرواية العربيـــــة او ماساة الفـن الروائي في الادب العربي

لقد تفضل نفر من الاعلام فاسهموا بآرائهم مشـــــكورين وعرضوا جوانب شتى للقضية .

ولكننا لم نطرحها لمجـــرد مناقشتها بل للبحث عن حلول.. ثم ان بعض اساتذتنا الاجلاء مالوا في بعض الحديث الى المجاملات، او الى ارضاء بعض الشباب على سبيل التعزية او المعاونة عـلى التعريف بالاسماء .. . ولكـن احدا منهم لم يوجه كلمة عتب او توجيه او نقد الى شـبـاب الروائيين ، كان لدينـا عشرات الموهوبين مستعدون للصـعود ولكن ظروفا كثيرة خارجة عـن ارادتهم هى التى تمنعهـم من الصعود ...

والكثير من الاساتذة الكبار تكلموا وكانهم قد قاموا بكل مـا عليهم ولم يبق عليهـم الا التربع على الكراسى الوثيرة والاستمتاع بالثمرات ..

وماذا مثلا لو كان الشـبـاب انفسهم هم المسئولين عن تدهـور الرواية بسبب اهمـالهم الاطلاع وتسرعهم فى النشر او الاخراج التليفزيونى دون نضج صـحيح والقائهم المسئولية على الغير ، وانتظارهم ان يفتح النـاس لهم الطريق غير عالمين انه يندر فى عالم الابداع الفنى ان يفتح احد لاحد بابا الا اذا أثبت استحقاقه الفعلى .

وماذا مثلا لو كان الكثيـرون من كبار الادباء قد قاموا بجـزء قليـل جـدا مما كان ينبغي ان يقوموا به ثم اســتنامـوا الى الراحات ؟ اليس هنالك ادباء كبار اكتفى الواحد منهم بروايتين او ثلاث ثم قنعوا بذلك حاســبين انهم قاموا بكل ما عليهم ان يقوموا به ..

كل هذه اسئلة مطروحة وهنالك غيرها كثيرة لابد من طرحها على بســـاط البحث بكل صراحة ووضوح حتى تصل هذه المناقشة الى الهدف المطلوب ولا تكون مجرد دخان فـي الهواء ...

ما هو مستقبل

في رأى كبار

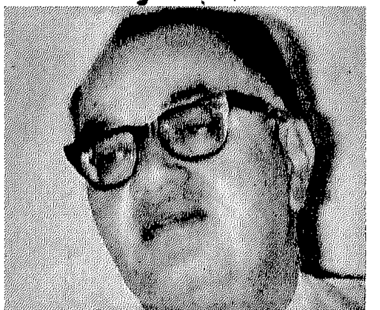

توفيق الحكيم

● الرواية ـ نوعا أدبيا قائما بذاته ـ من اكبر دروب الفنون الادبية في الاداب الاوربية ولها هناك تقاليد راسخة ترجع الى مئات السنين ، تعاقبت الاجيال بعضها وراء بعض تنشيء الروايات ، بحيث ان الكاتب القصصي الناشيء في الغرب يسير في تيار قومي أدبي ، وتقاليد فنية متوارثة خلال اجيال طويلة.

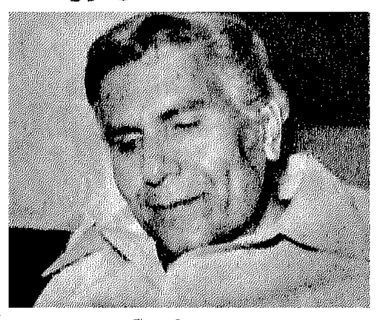

نجيب محفوظ

هذا يصدق على كل الآداب الاوربية .

اما في الأدب العربي ، فالرواية ، ضربا متميزا من ضروب الفن الادبي ، نبات جديد اقتبسناه من الغابة الأوربية الفنية .. بدأت الرواية تدخل عندنا منذ مالايزيد على الستين عاما ، وظهر فيميدان الرواية اقطاب أجلاء مثل الدكتور محمد حسين هيكل ومحمود طاهر لاشين ، وابراهيم عبد القادر المازني ، ومحمد تيمور ، ومحمود تيمور ، والعقاد ، وطه حسين ، ومحمد عبدالحليم عبدالله ، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، والدكتور يوسف ادريس .. الى آخر تلكالقائمة منالاسماء التى كان لها نصيب وافر واسهام جليل في ميدان الرواية .


عبد الرحمن الشرقاوى

ولكننا نلاحظ الان أن تقليد الرواية يوشك ان ينقطع، فبعد هؤلاء الاقطاب يسود صمت ، وبعد يوسف ادريس لم يظهر في ذلك الميدان من نستطيع أن نقول أنه يواصل ذلك التقليد الكبير ..


د . يوسف ادريس

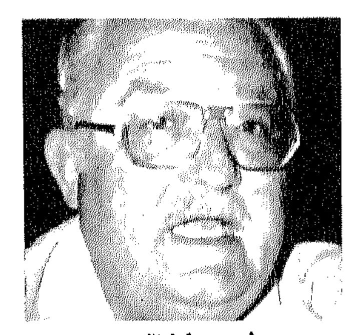
ما هي الحكاية ؟

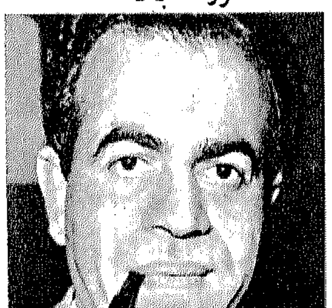
هل التربة العربية الفنية غير مواتية للرواية ، او ان هناك اسبابا اخرى لذلك التوقف .

الرواية العربية

روائيينا

● تحقيــق : عاطف مصطفى ●


ثروت اباظة


د . يوسف عز الدين عيسى


يوسف الشارونى



والرواية من أجمل فنون الادب العربى والاداب العالمية، تفتح آفاقا رحبة للمتعة الذهنية وتضيف لقارئهـا الكثير من ألوان الثقافة والمعرفة ، وهذا الفن الجميل على الرغم من قصر المدة التى ظهر فيها بين فنون الادب العربى ، بدا نوع من القلق على مستقبله كما قلنا ٠ فهناك من يقــول بانه لا مستقبل للرواية العربية لاسباب كثيرة منها ان العقل العربى غير مهيأ لها بشـــكلها الحالى ، وانهـا استنفدت أغراضها كوسيلة للتعبير الادبى ، ووجـــود أسماء شهيرة تعد على أصابع اليد الواحـــدة هى التى حظيت بالشهرة دون غيرها ، بالاضافة الى أرقام التوزيع الهزيلة للرواية العربية فى مقابل ما توزعه الرواية فى الغرب ــ باستثناء روايات الثلاثة الكبار توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس ــ والتى يصل توزيعها عندنا الى نحو مائة الف نسخة فى مقابل المليون واكثر فى الغرب ٠

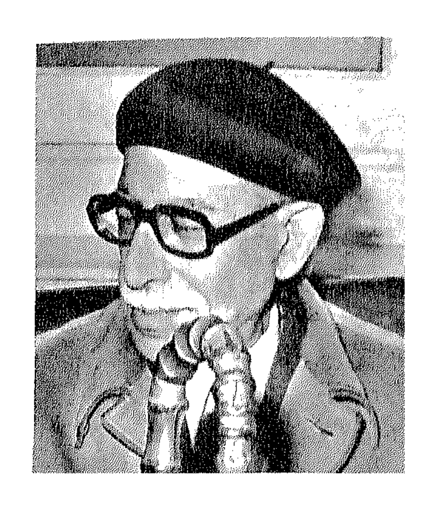
وهنا تبرز قضية هامة ، هى أن الشباب لايجد فرصته فى الظهور ، وتوفير سبل النشر له ، وتعريف القـــارىء به ، وربما يعد هذا أحد الاسباب الحقيقية التى تجعلنا نتوقف عند أسماء دون غيرها ٠

وقد رأت « الهلال » أن تطرح هذه القضية على الراى العام ، وفى مقدمته تلك الصـــفوة من كبار روائيينـا لنعرف رأيهم فى هذا القول ، ولا شك أن آراءهم هـــذه تعتبر علامة بارزة ، بل وتطرح لاول مرة على الراى العام فى محاولة جادة للوقوف على كيفية انقاذ هذه الشـجرة الوارفة الظـــلال من الموت الذى يدب فى كيانها خطـوة خطوة ، ولكى تاخذ الرواية مـــكانها اللائق بين مختلف فنون العربية وآدابها ٠

ما هو مستقبل الرواية العربية ؟

●● من الممكن أن نقول أن الرواية العربية لن يكون لها مستقبل يذكر ، وأن الجيد الذى ظهر منها حتى الآن سيكون له قيمة تاريخية فى تاريخ الأدب أكثر مما يكون لها فى واقع الأدب القادم ..

« توفيق الحكيم »



يقول الاديب والروائى الكبير توفيق الحكيم ، عن الرواية ومستقبلها •• وحول ما يقوله الشباب من ان كبار روائيينا يسدون الطريق امام الشباب :

اذا راجعنا تاريخ الرواية الحديثة فى مصر ، نجد أن ما يسمونه الجيل الاول الذى يضم رواية « زينب » و « ابراهيم الكاتب » و « عودة الروح » و « دعاء الكروان » و « سارة » وهى الروايات التى أنيط بها وضع الفرشة الاولى أو الاساس الاول للرواية العربية الحديثة ، قد قام بها أدباء لم يقصدوا أن يكونوا متخصصين فى قالب الرواية وحده بل **كان انتاجهم فى الرواية مقصودا بموضع** الاساس وفتح الطريق ، ولذلك كانت لهم جهود أخرى فى مجال الفكر والفن ، تتخذ لها قوالب غير قالب الرواية فما أن ظهر جيل بعدهم تخصص فى الرواية على انه القالب الوحيد الاصلى فى أعمالهم فقد شعروا ان مهمتهم مع انتاج الرواية يمكن أن يتركوها لهذا الجيل الذى يستطيع أن يتفرغ لها •

اما الاجيال الاخرى التى مارست وتمارس الرواية حتى الان، فانا شخصيا لست واسع الاطلاع فيما انتجوه ، واعتقد أن من يستطيع الحكم عليهم هو من كان من جيل اقرب اتصالا بهم وباعمالهم ، ولعل الاستاذ نجيب محفوظ اقدر واصلح من يستطيع أن يعطينا فكرة عنهم •

اما عن مستقبل الرواية فى أدبنا العربى وربما فى الآداب الاخرى ففى مقدمة كتابى مدرسة المغفلين كتبت مقدمة احيلك عليها فسوف تجد فيها رايى .

يقول توفيق الحكيم فى مقدمته تلك « هناك فرق بين تصوير المجتمع وتصوير الحياة ، فمصور المجتمع لابد أن يتقيد بما رأى وشاهد وعرف ، اذا أراد أن يكون صادقا ، فلا ينبغى له التعرض لبيئة أو طبقة لا يعرفها •

ملاحظة الواقع شرط من شروط التصوير الاجتماعى •• أما تصوير الحياة فأمر آخر ، لان الحياة أشمل من

الواقع . فالحياة الانسانية يدخل فى نطاقها الواقع وغير الواقع ، لان حياة الانسان - على خلاف حياة النبات والحيوان - لا تقف عند حد الوجود المادى ، بل هى تشمل الوجود فى مختلف نواحيه ، المنظورة وغير المنظورة ، المادية والروحية ..

ولعل سمو قصة «هاملت» لشيكسبير راجع الى احاطتها الكاملة بالحياة البشرية، فى غرائزها ومشاعرها وخيالاتها واشباحها وتفكيرها ، فيما هو كائن على الارض ،وما هو غير كائن الا فيما بعد الموت .

حياة الانسان هى اعجب ما فى الخليقة، لانها أوسع ما فى الخليقة .

والقصة القصيرة ، باعتبارها لونا من الوان الفن ، يجب أن تتناول ذلك كله فيما تتناول من شئون الانسان فى مجتمعه وحياته، ومهمتها فى ذلك عسيرة. لانها فن اقتضاب وتركيز ، شأنها فى ذلك شأن المسرحية والقصيدة .

وهذا التركيز هو الذى يجعل منها فن المستقبل - فى رأى بعض أهل الادب العالمى اليوم - ذلك أن أدب المستقبل لن يحتمل الاسهاب . وقارىء اليوم والغد تكاد تكفيه اللمحة الخاطفة لادراك الصورة الكاملة وتكاد تغنيه الاشارة عن الاطناب فى **العبارة .**

فالقارىء الحديث الذى يعيش فى عصر الطائرات النفاثات لن يطيق طويلا الاسترخاء فى مطالعة مئات الصفحات ليحيط بصورة من الصور او شخصية من الشخصيات . كما أن وجود التليفزيون والراديو لن يتيح وقتا لقارىء ينفقه فى مطالعة كتاب طويل الى جوار المدفاة ، كما يقول الاوربيون . فان ركن المدفاة الذى ترعرعت فى كنفه القصص الطويلة لامثال بلزاك وفلوبير وديستويفسكى وتولستوى وسكوت وديكنز وغيرهم ، هذا الركن لم يعد يحتله الكتاب وحده الآن كما كان فى الماضى . بل يشاركه فيه اليوم صناديق الفن الصوتى والمرئى ، وبرامج مختلفة من مسموع ومنظور .

أترى مجد القصة الطويلة قد انقضى بانقضاء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؟

مهما يكن من أمر ، فان طابع المسرحية والقصة القصيرة بما فيه من ضغط وتركيز وايجاز وتلميح هو الادنى الى طابع العصر الحديث فى مستقبله القريب .

ومن يدرى ؟ فقد تدور الايام دورتها وتصبح البلاغة فى عرف العالم القادم ، كما كانت فى عرف الادب العربى الغابر، هى بلاغة الايجاز ، يفرضها على العالم اليوم عصر السرعة .. كما فرضها قديما عند العرب الرحل سرعة تنقلهم بين واحات الصحراء .

السرعة فى كل زمان ومكان تنمى فى الانسان سرعة الادراك وسرعة التلقى والاستيعاب ، فيتخذ الفن تبعا لذلك من القوالب ما يتفق مع روح العصر » .

لذلك فان مركز الرواية اليوم فى العالم من حيث الانتشار أقل مثلا من مركز كتب التاريخ والمذكرات فان

ماهو مستقبل الرواية العربية ؟

المذكرات الخاصة للاشخاص ، ولا سيما من كانوا كرجال السياسة أو الرجال المشهورين حيث تظفر مذكراتهم بأكبر قسط من التوزيع والانتشار •

ولكن هذا لا يمنع من أن أى انتاج جيد يستطيع أن يبهر الانظار والعقول فى كل زمان • وكذلك فان الرواية الجيدة فى أى مكان تستطيع أن تجد لها مركزها المرموق • ولكن العمل الجيد ليس مضمونا ظهوره فى أى وقت ، وبالكمية الملحوظة • وهذا ما يجعل الكثير من الاعمال الروائية المتوسطة أو حتى الجيدة الخالية من بعض المزايا التى تفرض نفسها بقوة التأثير فى الرأى العام الادبى ، تبقى شبه مغمورة أو على الاقل تظفر بقليل من الالتفات لوضعها فى الضوء الباهر •

فالرواية موجودة فى كل عصر ، ولكن شروط وصولها الى القمة اصبح اليوم فى العالم كله فى غاية الصعوبة ، ولذلك لا تجد طريقها الا فى سوق السينما والاذاعة والتليفزيون • أى فى سوق الانتاج الواسع العريض الذى يحتاج لمدد كبير متواصل من الاعمال الروائية لتغذية برامجه المفتوحة باستمرار ، ولذلك فان ما تفقده الرواية فى المجال الادبى تعوضه فى المجال المرئى والمسموع ، وهى فى هذا المجال لا تاخذ المكانة الادبية الاولى لانها ستكون محشورة بين شركاء كثيرين فى العمل السينمائى والاذاعى والتليفزيونى •

ومن يتابع ما يحدث فى البلاد الاوربية والامريكية يجد احصاءات كثيرة تدل على أن هذه الاجهزة الحديثة تستهلك جهود ما يربو على عشرين او ثلاثين ألف قصاص وروائى لا نعرف عن أسمائهم ما نعرفه عن العشرات من عظماء الرواية المقروءة ••

أما القول بأن الروائيين الكبار يقفون فى طريق الادباء الشبان فهذا شيء لا أعرف كيف يحدث ، لانهم فى المثل الشعبى يقولون : « الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح » أى أن العمل الجيد ، والروائى الموهوب لابد وأن يصل صوته الى الاسماع رغما عن كل شيء •• ولكن يظهر أن صوت «الكتاكيت» اليوم يختلط بعضها ببعض لكثرتها وعدم تميز صوت من بينها له شخصيته المتمازة التى تصل فى الزحام لكثرة العدد الى كل الاسماع •

أما فى المجال السينمائى والاذاعى والتليفزيونى ، فاذا تتبعنا اليوم القصص والروايات والمسلسلات التى تقدمها هذه الاجهزة ، فانه يتضح منها أن الغالبية العظمى من مؤلفيها هم من الشبان ، وأنهم هم الذين يقفون فى طريق الاعمال الروائية لبعض المؤلفين القدامى لسهولة التعامل معهم ، وانتشارهم ، وملاءمة أعمالهم لهذه الاجهزة • وهذا ليس فى مصر وحدها ، بل فى كل البلاد الاخرى حيث نجد من النادر أن نرى فيها أسماء كبار الادباء المعروفين فى تاريخ الادب ، وربما كان المستقبل ليس فى صالح الادباء القدامى فى هذا المجال ، لان أعمالهم الادبية يغلب عليها الدسامة الادبية والفكرية التى تضيع قيمتها فى الاخراج والاعداد فى هذه الاجهزة •

أما اذا أراد شباب الادباء أن يظفروا بمكانة ادبية وفكرية كالتى ظفر بها من سبقوهم ومهدوا لهم الطريق ، فلا بديل

من ان يعنوا بالتعمق فى الثقافة الواسعة التى تجعل لاعمالهم الاشعاعات الفكرية التى لابد منهاللتألق الدائمفى سماءالادب والفكر على مر الاجيال ، وهذا أمر يحتاج الى صبر طويل ، وعدم استعجال الظهور او الشهرة قبل التكوين المتين والنضج العظيم ، وهو مالا يستعصى على اى اديب شاب يضع أمام عينيه هذا الهدف الكبير بدلا من ان يلقى الاتهام على غيره • ورأيى فى القضية التى تطرحها الهلال من أنه لا مستقبل للرواية العربية هو :

ربما كان هذا القول صحيحا ، لان الرواية العربية لم تظهربوادرها الا عندما بدأت تقل مكانتها فى العالم ، لان الرواية بلغت أوج ازدهارها فى القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، ثم أخذت تضمحل بظهورالاجهزة التى سبق ذكرها ، وهى الاجهزة المرئية والسمعية ، وهذا ما لم يحدث للرواية العربية لانها فى القرن التاسع عشر الى الثلث الاول من القرن العشرين ، لم يكن لها وجوديذكر • وعندما بدأت أسسها توضع وتؤصل فى الادب العربى ، ظهرت هذه الاجهزة التى تجذب القراء الى حيث يشاهدون بأعينهم ويسمعون بآذانهم الفن الذى كان مكانه الكتاب ، وعلى ذلك فان الوقت لم يكن قد أعطى للادب العربى حتى يهتم بالرواية ويظهر فيها من يستطيعون أن يظهروا مواهبهم فيها ، والمستقبل سوف يضاعف هذا الوضع ، وهو اجتذاب المؤلفين والمشاهدين الى مجال آخر غير مجال الادب المقروء • وعلى هذا فمن الممكن أن نقول ان الرواية العربية لن يكون لها مستقبل يذكر ، وأن الجيد الذى ظهر منها حتى الان ستكون له قيمة تاريخية فى تاريخ الادب أكثر مما يكون لها فى واقع الادب القادم •

واذا ظهر منها قليل فى تاريخ الادب العربى ، فلا بد أن تكون هذه الروايات مسلحة بثقافة عميقة ،وفكر ناضج،فى هذا المجال قال الاستاذ العقاد وهو ممن ينكرون قيمة الرواية والقصة فى الادب •• قال عندما سئل : كيف تنكر الرواية والقصة وقد كتبها أمثال تولستوى وديستويفسكى وفلوبير وغيرهم منعظماء الادباء ؟

فأجاب بقوله : ان هذه الروايات اتخذت قيمتها المعروفة ، لان أصحابها هؤلاء من عظماء الادباء والمفكرين ، وليس العكس •• أى أن القصة أو الرواية ليست لها قيمة فى الادب فى ذاتها ، لكن عندما يكتبها العظماء فى الثقافة والفكر ، أما غير هؤلاء ، فاذا كتبوها فان مجالهم لن يكون هو مجال الادب الكبير والفكر العظيم •

وعلى ذلك فيجب على الادباء الشبان أن يفهموا ذلك جيدا ، وأن يراجعوا الاسماء التى يذكرونها ، ويريدون ان يصلوا الى مكانتهم •• وسيعرفون عندئذ أن قيمتهم الفكرية والادبية ، وثقافتهم الواسعة هى التى رفعت رواياتهم وقصصهم الىمستوى مكانتهم الادبية وليس العكس •

●● يجب ألا ننظر إلى مستقبل الرواية نظرة تشاؤمية ..

"نجيب محفوظ"



يقول الاديب الروائى نجيب محفوظ :
ــ رايي في القضية التي تطرحها مجلة الهلال الخصه في النقاط الاتية :

اولا : فن القصـــة قديم في التراث العربى ، فمن الجاهلية نجـد مثلا « أيام العرب » ثم وردت القصة في القـرآن ، وحفلت كتب الادب بقصص كثيرة ، وردت تحت اسم التـــاريخ كما في « الاغانى » لابى الفرج الاصفهانى وغيرها • وهنالك السير الشـعبية ، والف ليلة وليلة • ولا تنس اقبال الناس عليها في المقاهى وهذا يشبه الى حد كبير مع اختلاف في النسبة اقبال الناس على التليفزيون •

ثانيا : لم يوجد تخصص في الاشكال الادبية قبل الجيـل الثانى من الادباء • فالرواد اعطوا أمثلة فقط في الاشـكال الادبية الحديثة • أما التخصص فقد بدأ مع الجيل الثانى • وثمة صعوبات تصادف الروائى عادة ، وتقلل من الاقبـــال على التخصص لهذا الفن ، هي صـــعوبات النشر •• فالشعر والقصة القصيرة لهما مجال في الصحافة والاذاعة • اما الرواية فلا بد من طبعها خصوصا اذا كان الروائى جديدا ، ولذلك فشق الطريق في الرواية أصعب من غـــيره • ومع ذلك وجـد الروائيون في الجيل الثالث ، وبرز منهم كثيرون في الجيل الثـــالث ، حتى اذا وصلنا الى الجيل الرابع سنجد ان اى روائى فيه قد جاوز انتـــاجه الاربع روايات •

وعلى هذا الاساس يجب الا ننظر الى المستقبل نظرة تشاؤمية •• اما ان حال الرواية بصفة عامة الان ، و « الاشـكال الاخرى » لا يسر كثيرا ، فلذلك اسبابه الموضوعية اوجزها فيما يلي : ــ

● ان جميع الاجيال ومنها (الثالث والرابع) بدأت حياتهـا الادبيـة في ((الثورة)) ومعروف ان اى ثورة في اولها لا تهييء مناخا مناسبا للابداع الفنى ، لما تحدثه كل يوم من جـديد يدعو الى التامل والحيرة ، ولما تفرضه من قيود لحماية ذاتهــا • والابداع الفنى أول من يذهب ضحية لذلك •

● وجود أجهزة حضارية جديدة ، منافسة للرواية كالتليفـزيون والاذاعة والسينما •

● ارتفاع سعر الكتاب

● نشوء القطاع العام في الطبـع والنشر ، وقد كان من نتيجة ذلك ان القطاع الخاص امتنع عن المغامرة مـع الشباب ، على حين ان القطاع العام لم يستطع ان يغطى نشاطه ، وبخاصــة وانهم اصبحوا يعدون بالمئات ، بعـد أن كانوا على ايامنا يعدون بالعشرات •

هذه الاسباب تعتبر عوائق في طريق المواهب الجـديدة ، بل في طريق القارىء الذى اخذ الآن في الاختفاء ليحل محله المشاهد أو المستمع •

واذا وضعنا فى الاعتبار جميع هذه الأسباب ، ونظرنا من جديد على المغابرين من المؤلفين الجدد ، فسنقتنع حتما انهم يواصلون الاجتهاد والانتاج فى اسوأ ظروف يتصورها العقل .. وهذا ايضا يدعو الى التفاؤل بالنسبة للمستقبل لأنه سيتضمن حلا لكثير من المشكلات القائمة .

ولكن دعني فى نهاية هذا الرأى اقل لك : ان القصة العربية المعاصرة بعضها تجاوز بيعه المائة الف نسخة ، او يزيد على المائة ألف .. والتربة العربية صالحة تماما لتقبل اشكال الرواية المعاصرة .. وهنا ارجو ان اذكر بان المقارنة بيننا وبين الغرب ظالمة فهناك المتعلمون والمثقفون يصلون احيانا الى مائة فى المائة .. اما عندنا فالمتعلمون لا يزيدون على ثلاثين فى المائة ، والمثقفون لايزيدون عن خمسة فى المائة ، والقادرون على الشراء لا يزيدون عن نصف فى المائة ..

اقول مرة اخرى .. ان المقارنة ظالمة جدا ! .

اما أن الادباء القدامى يقفون فى طريق الشباب ، فهذا فى الحقيقة مالا ادريه على الاطلاق ، كل ما اعرفه أن الاجيال القديمة من ضمن واجبها افساح الطريق لهم .. ولا أعرف بالضبط .. هل احد يقف فى طريقهم ؟! ..

●● أرجو من النقاد ألا يشطوا همم الكتاب الشبان بتركهم فى الظل وتسليط الأضواء على غيرهم ..

"عبدالرحمن الشرقاوى"



يقول الاديب الروائى والمسرحي عبد الرحمن الشرقاوى : الرواية العربية والمسرحية العربية فى محنة ، سبب هذه المحنة

اولا : الأمية .

ثانيا : القيود المفروضة على الابداع الادبى ، وهى قيود تفرضها الرقابة على النشر وتفرضها الرجعية ..

هذا هو السبب الحقيقى لمحنة الرواية والمسرحية والادب العربى عموما .

وانا ضد القول بانه ليس هناك مستقبل للرواية العربية ، فاذا وفرنا التعليم للمواطن العربى وربيناه على



●● لنا رواياتنا الطويلة، وسوف تزدهر ، ولنا مسرحنا الروائي وسوف يزدهر ..

" يوسف ادريس "



يقول الاديب الروائي الدكتور يوسف ادريس : هذا الموضوع ، موضوع حاضر الرواية العربية ومستقبلها ، كثيرا ما أثير في الماضي ، ويثار الآن ، وحتما سوف يثار في المستقبل ، وهذا القلق حول مستقبل وحاضر الرواية ليس سببه الرواية ، ولا الروائيين . ولكن فيما اعتقد سببه ذلك القلق العام الذى يجتاح حياتنا تجاه كل شيء ، حتى تجاه الحاضر نفسه والمستقبل . وانالى راى في هذا المجال أحب أن اتوسع فيه ، واقوله هنا ، وارجو أن يكون للمرة الأخيرة .

ان ذلك القلق حول الرواية او المسرح او الكتاب بشكل عام موجود في العالم كله بطريقة أو باخرى . ولكن عندنا كالعادة ياخذ شكلا حادا ، في حين انه في رايي لا خوف اطلاقا على الكلمة المكتوبة من الكلمة المسموعة او المرئية . فالكتاب سيظل قائما رغم السينما والتليفزيون والاذاعة ..

حب الثقافة ، واحترام الثقافة ، واذا وفرنا جو الحرية الفكرية ، ورفعنا ، أيدى الرجعية ، عن الفكر والادب والفن فستزدهر كل هذه الالوان ، وتؤدى دورها واسهامها الحضارى .. أما اذا تركنا الرجعية تفرض قيودها ، فهذا هو الاختناق في الوحل ، وطبعا لا مستقبل لشيء ، لا للادب ، ولا للدين ، ولا للانسان .

وليس العقل العربي هو الذى يرفض ، وانما هو عقل الرجعية ، وارادة الرجعية هي التي تخنق ، وتسيء الى كل شيء حتى الى الدين .

وانت تسأل عن الازدهار في الغرب .. حقيقة هناك ازدهار في الغرب ، ولازدهار الرواية والأدب بصفة عامة اسباب اولها : انه لا توجد أمية . فكلهم يقراون ويكتبون ..

ثانيها : أن المواطن هناك ربى منذ أجيال على حب الثقافة واحترامها .

وسبب ثالث هام جدا ، هو انه لا سلطان لأى نوع من أنواع الرجعية لاعلى الرواية ولا على القراء ..

وردى على قولك انه يوجد على راس الحياة الأدبية ثلاثة أو اربعة من كتاب الرواية يحجبون بقية الكتاب هو: ليس هؤلاء فقط هم كتاب الرواية، وهناك كثيرون لا يقلون عنهم ، ومن الصعب ان تضع كاتبا او اثنين اوثلاثة او اربعة على رأس الكتاب ، والأفضل ان نحكم على العمل الأدبى والاعدل ان نقوم الأعمال الأدبية ، أو ان نقوم الروايات والاعمال الادبية بدلا من الاشخاص .. والرأى انه لا ينبغى أن يحجب جيل من الكتاب الجيل الذى يليه ، لان هذا الحجب هو ضد سنة الحياة والتطور ، وما من لون من الوان النشاط كالادب والعلم الا ويستفيد فيه اللاحقون من تجارب السابقين .

والروايه برغم طولها سوف تظل قائمة وموجودة ما بقيت اشكال الكلمة الأخرى من شعر وقصة قصيرة ومقال . فليس هناك شكل ادبي غير قابل للنمو والتطور والبقاء . وليس هناك كائن ما في الكون يلغي الكائنات الاخرى بتطوره عليها . فالحياة الانسانية لم تلغ الحياة في شكلها (النملي) او (الحشري)او البدائي .. وهكذا فالرواية باقية ، بل سوف تتدعم ، ويزداد انتشارها .

والتربة العربية التي نبتت فيها الملاحم الطوال والسير ، وعنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن والف ليلة وليلة والمعلقات ، لكفيلة بأن ترعى ، وتنمو فيها الأشكال الضخمة للأعمال الفنية ، مثلما هي كفيلة بأن ترعى الأحجام الدقيقة من الأعمال الفنية ..

لنا مسرحنا الروائي وسوف يزدهر مسرحنا الروائي. ولنا روايتنا الطويلة وسوف تزدهر روايتنا الطويلة .. وليس الروائيون العرب بالعددالقليل، فهم ليسوا فقط توفيق الحكيم ويوسف ادريس ونجيب محفوظ . . هناك عشرات من الروائيين العرب على رأسهم أذكر : الطيب صالح وحنا مينه وعبد السلام العجيلي وجبرا ابراهيم جبرا وادريس شرايبي ومحمد ديب ،وآخرين روائيين مغاربة وجزائريين وعراقيين ، بل وروائيات أيضامثل لطيفة الزيات وليلى بعلبكي، وغادة السمان وكوليت خوري الى غير تلك الاسماء ..

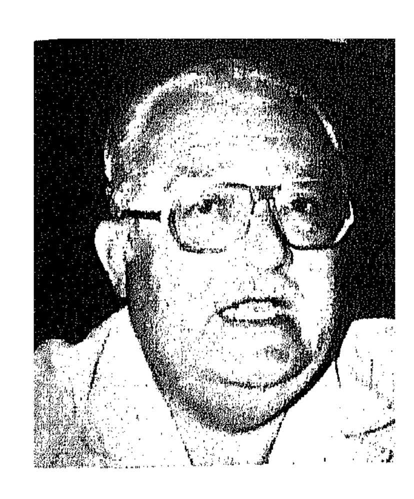
وليس لهذا فقط اسبابه الفنية ، ولكن هناك أسبابا بيولوجية ، لابد من تدفع بعض الكتاب لاختيار الرواية كوسيلة لايصال الحقيقة الفنية ، فاذا كانت القصة القصيرة هي لحظة الانسان ، او يوم الانسان ، فالرواية هي تاريخ الانسان ، ونحن ارتقينا حضاريا بقراءتنا لتاريخ الأشياء والأمم والانسان . ذلك ان التاريخ مهم جدا في اعطاء الصورة التي تجعلك تثور على الصورة او تحبها او تشمئز منها.

واذا كان عدد كتاب الرواية العربية قليلين فذلك في رأيي لان عدد قراء الكتاب في العالم العربي قليلون . . فانت تقول ان قراء الانجليزية يصلون الى ٢٠ مليون قارئ .. وبما أننافي العالم العربي ١٢٠ مليون نسمة فقراؤنا لابد ان يصلوا على الأقل الى مائة الف .. في حين أن هذه المعادلة ليست صحيحة ، فالفرق بين بداية أن يبدأ الانسان يقرأ الاشياء ، وبين ان ينتهي قارئا للكتاب أو للرواية لايمكن ان يقل عن عشرات السنين ، فنحن لدينا فعلا عشرات الآلاف من القراء ، ولكنهم لا يزالون في مرحلة القراءة غير العميقة .. لا يزالون على شط القراءة ويوم يتعلمون السباحة، ويعرفون العوم في المياه العميقة ، يوم يستطيعون الغوص في كتاب علمي خطير ، أو دراسة اقتصادية معقدة ، او نظرة تاريخية حضارية عميقة ، سيكون هو اليوم الذى يستطيعون أن يدركوا سر الرواية فيه ويدمنوا قراءتها مثلما يفعل العالم الاوربي بشرقه وغربه الآن .

انها اذن علامة تخلف ، وليست عيبا في الرواية .. بل انا استطيع انأقول نفس الكلام عن الشعر والقصة القصيرة ... فما يروج الآن من قصص قصيرة واشعار فيعالمنا العربي، هو ذلك النوع السهل الساذج القريب المعنى والادراك ...

غص قليلا في الشعر والقصة ، ستلحظ انفضاض الاكثرية عنك تاركين لك أن تنعم بعمقك وتعمقك وحدك معك بضع مئات من القراء . انها اذن علامة أخذ الأشياء بأسهلها وأسلمها .. يعني .. علامة تخلف ! . .

●● لا شك أن التربة العربية صالحة للرواية ، فإنها إن لم تكن صالحة لما جاوز عمر الرواية الآن الستين عاما .. "ثروت أباظة"



يقول الأديب الروائى ثروت اباظة:
المستقبل دائما بيد الله ، ولا أحد يعرف مصير انسان أو شىء فى المستقبل ... ولكن اذا قسنا المستقبل بالماضى، نجد الرواية ولدت لقيطة فى الادب العربى ، وأبى صاحبها أن ينسبها الى نفسه ، فمهر الدكتور هيكل روايته « زينب » التى تعتبر بداية الرواية العربية بتوقيع مصرى فلاح ، ثم ما لبث الدكتور هيكل أن اعترف بابنته البكر، ونسبها الى نفسه .. وازدهرت الرواية ، وكتب فيها عمالقة الأدب المصرى الذين هم عمالقة الأدب العربى، فكتب طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور والمازنى الروايات . وبالاحصاء نجد أن الرواية ظلت لفترة طويلة أعظم الكتب توزيعا، وهى مازالت هكذا حتى اليوم ، اذا استثنينا فترات الأزمات السياسية ، فنجد الكتاب السياسى حينئذ يتغلب عليها .

وقد بدات الرواية وانية الخطى ،ثم مالبث لهيبها ان اندلع فى قلوب الشباب فى مصر وفى العالم العربى اجمع ، وهذا امر لا نطلق القول فيه جزافا ، وانما هذا ما يستقبلنا به الشباب فى البلاد العربية اجمع ، وهو أمر يزداد فى كل عام عن العام الذى يسبقه . والفن الرفيع لا يموت ، فلقد ظننا حين ظهرت السينما انها ستقضى على الكتاب الروائى ، فاذا بالكتاب الروائى يزدهر فى عصر السينما ... وظننا حين ظهر التليفزيون انه سيقضى على الرواية المقروءة ولكن ما أسرع ما انصرف الشباب المثقف عن التليفزيون ليقرآوا الرواية . ومرة اخرى نحن لا نلقى القول جزافا ، فاعادة الطبع لرواياتنا مرات ومرات دليل على اقبال الشباب عليها .

أما الذين يكتبون الرواية من الشباب الجديد من الروائيين فنرجو الا نظلمهم فقد مرت بهم فترة عصيبة انصرفوا

فيها عن تراثهم العربى ، وضلوا طريقهم فى الأدب الغربى ، ولكنهم اليوم بلا عودة ، فدعنا ننتظرهم فى الغد المقبل، وانا لواجدون منهم ما يرضى كل المتشائمين ويجعلهم يعدلون عن نظرتهم المتشائمة .. وأحب ان اذكرهم بأن الرواية التى صمدت إمام وسائل التسلية السهلة القريبة ، والتى صمدت أمام عصر العلم العميق العنيف لن تعجز أن تصمد امام الأيام المقبلة مهما يتخف بها من عوائق وصعوبات .

أما عما يتصل بالعقلية العربية ، فهى تسير شأن كل تطور جديد فى خطى متثاقلة ، وهى لا تستطيع وأجراس آلاف السنوات من الشعر العربى والتراث العربى المباشر فى الأدب ترن فى آذانها أن تتعمق الرواية الجديدة عليها تعمقا يرضى هؤلاء المتشائمين

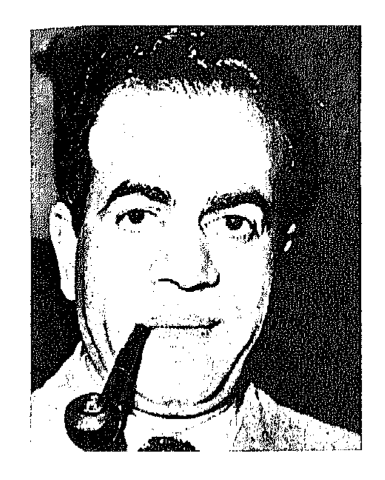
ولعلنا نحن الذين نكتب الرواية نشعر بمقدار الصعوبة التى يصل بها القارىء الى الاعماق البعيدة فى الاعمال الروائية العميقة ، ولكننا مع ذلك مطمئنون الى المستقبل . واذا كانت بعض ما نريد فاحسب أن السنين مستطيعة أن تجعل هذه الغالبية تفهم عنا كل ما نريد ولا شك ان التربة صالحة .. فانها ان لم تكن صالحة لما جاوز عمر الرواية الآن الستين عاما ، واصبح من كتابها اربعة اجيال متعاقبة تنتظر الجيل الخامس ، فان النبت يموت فور غرسه اذا كانت التربة غير حانية عليه

كما انه لا بد من عمل احصائية تبين كم عدد المتعلمين فى عالم الغرب ، وكم عددهم فى العالم العربى ، وانى أختار ادنى الدرجات ، ولا اريد أن أجعلك تقف أمام احصائية مقارنة بين المثقفين عندنا وعندهم .

أما عن الرواية وانتشارها فلتطمئن، ففى حياتنا الأدبية روايات بعيدة الشهرة ، ولولا كثرة هذه الروايات لضربت الأمثلة ، ولولا بعض الخجل لذكرت لنفسى بعض أسماء .. اما فى عالم المسرح فحسبى أن اذكرك بمكانة شوقى وعزيز اباظة وعبد الرحمن الشرقاوى فى المسرحية الشعرية وأستاذ الفن الأدبى فى العالم العربى توفيق الحكيم ، والذين نسجوا على منواله وذاع أسمهم فى البلاد العربية أجمع ...

ان المسرح يزدهر انتشارا فى العالم العربى ، والرواية تزداد دخولا فى حياة الناس فى كل يوم .

ماهو مستقبل الرواية العربية ؟



●● كتاب الرواية عندنا قادرون على الكتابة على مستوى عالمي ، يمكن أن يقرأ عندما يترجم إلى لغات هذه الدول على نطاق واسع .. « د. يوسف عز الدين عيسى »

يقول الأديب الدكتور يوسف عز الدين عيسى :

قبل كل شيء اوجه عتابي الى بعض الكتاب عندما يتحدثون عن الكتابة القصصية بوجه عام . فهم يتجاهلون تجاهلا تاما بعض من وضعوا أجمل أفكارهم في مجال الاذاعة . والاذاعة وسيلة جديدة لعرض العمل القصصي لم تكن معروفة فيما مضى . وهي كأى وسيلة اخرى من وسائل النشر سواء أكان الكتاب أو المسرح ، قادرة على عرض العمل الجيد الممتاز، كما في امكانها عرض الأعمال الهابطة **وتجاهل هذا المجال تجاهلا تاما في مجال الحديث عن الادب شيء يدعو الى الدهشة .**

فكتابة الاذاعة كماذكرنا لون من الوان الادب القصصي من الممكن أن يبلغ الذروة ، ولقد استمعت الى مسرحية «هاملت» عن طريق الاذاعة ، ولا أكون مبالغا أنني شعرت بأن هذا العرض الأذاعي للمسرحية هو اروع من اى عرض مسرحي أوسينمائي رأيته لهذه المسرحية .. أى أن الاذاعة قادرة على عرض روائع الاعمال الأدبية ، ولكن مما يؤسف له كما ذكرت أن هذا اللون الادبي لا يحظى بالاهتمام الذى هو جدير به سواء من النقاد أو الادباء .

اما من جهة ان الرواية العربية لم يعد لها مستقبل ، فانا لا اقر هذا الراى فالكاتب الموهوب فى اى لون من الوان الأدب القصصي ، يكتب ويواصل الكتابة تحت اى ظروف ، غير ناظر الى نتائج ومصير ما يكتبه ويوجد عندنا الكثيرون من الموهوبين فى الأدب القصصى بالوانه المختلفة .

وهؤلاء سيواصلون الكتابة مهما كانت الظروف .. ولا ننسى أن الكاتب المبدع الفنان لا يكتب لجيله فقط ، بل يكتب لعديد من الاجيال القادمة . وما نظن انه لا يقرأ الان ، او لا يجد العدد الكافي من المهتمين به من الجماهير ، قد يجد فى سنوات قادمة مزيدا من المعجبين به والمهتمين بقراءته، وقد يكون هذا فى الوقت الحالى حافزا لكتابنا الموهوبين للخروج من الدائرة الضيقة التى اعتادوا الكتابة لها ، الى دائرة اكثر اتساعا خارج نطاق الدول العربية . اذ انني اعتقد ان عددا من كتابنا قادرون على الكتابة على مستوى عالمي ، يمكن أن يقرأ عندما يترجم الى لغات هذه الدول على نطاق واسع لجماهير تقدر العمل الجيد .

أما مناداتنا بوأد الكتابة القصصية بوجه عام، بحجة عدم وجود عدد كاف في الوقت الحاضر ، من الذين

يتذوقونها ؛ ويقبلون على قراءتها ، فهذا امر خطير يقضي على الفكر الخلاق في بلادنا ، ويدعو الى اليأس القاتل . واعتقد أنه ليس عدد الكتاب هو الذي يؤخذ في الاعتبار ، بل نوعية مايكتب ، ولو لم يزد عدد الكتاب على شخص واحد .. اذ أن هذا العمل ذا المستوى المرتفع سوف يكون البؤرة التي يتكون حولها مزيد ومزيد من الكتابات مع مرور السنين والأيام.

ولقد بدأت الكتابة في أسبانيا مثلا لشخص واحد هو «سيرفانتيس» مؤلف « دون كيشوت » . وبدأ هذا قبل أن تبدأ بوادر الكتابة في دولة انجلترا وفي انجلترا على ضوء قبس النور الذي ومض في أسبانيا على يدي سيرفانتيس بدأ هنري فيلدنج الكتابة في انجلترا برواياته « توم جونز » ثم بدأت الكتابة في انجلترا منبثقة من هذا الضوء حتى بلغت الدرجة التي نراها عليها الان . فدعوى عدم وجود عدد كبير من كتاب الرواية في دولة لايدعو الى اجهاض هذا الفن الجميل ، اذ أنه بهذه الطريقة نقضي على امكان ازدهار الأدب في عصور قادمة في هذه الدولة لايمكننا التنبأ بها .

اما فيما يقال عن أن الشعب العربي شعب غير قارىء فهذا في اعتقادي غير صحيح ، إذ يوجد في كثير من الدول العربية عدد كبير من المتعطشين الى القراءة ..

لكن انتشار الأمية في الدول العربية عموما ، يجعل هذا العدد قليلا لايمكن أن يعتمد عليه كبار كتاب القصة ، كمصدر لرزقهم . ومن هنا نجد أن قلة عدد القراء في الدول العربية لن يدوم طويلا .

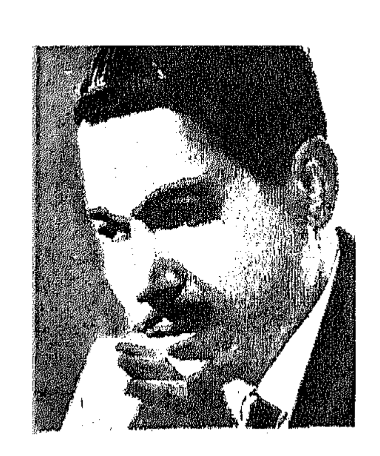
واعتقد أن في مصر في الوقت الحالي من يستحقون التقدير العالمي بما فيه الحصول على جائزة نوبل لو اتيح للغرب ان يطلع على مجال واسع من انتاج هؤلاء الأدباء . وانا اعتقد أيضا ان جائزة نوبل لا تعطى لقيمة العمل الادبي المطلقة اذ انهم ينظرون الى الاعمال الادبية لا من خلال قيمتها المطلقة ، بل من خلال الدولة التي ينتمي اليها الأديب ، ولم يحدث في تاريخ جوائز نوبل ان حصل عليها اديب خارج نطاق الدول الغربية أو الأمريكية سوى « طاغور » الهندي ، ولهذا أسباب أخرى خارج حدود القيمة الادبية ، اذ أن انجلترا في ذلك الوقت كانت ترغب في اثبات أن الهند - وهي من دول الكومنولث في ذلك الوقت - تعتبر جزءا من انجلترا ، علاوة على أن « طاغور » كان يكتب باللغة الانجليزية ، مما سهل للغرب الاطلاع على أدبه .

وبحكم اتصالي بالشباب في عملي بالجامعة على مدى سنوات عديدة .. شعرت بهذه العقبات التي يعيشها الادباء الشبان ، ولكنني اعتقد ان مثل هذه الحجج لا ترتكز على أرض صلبة من الحقيقة فجميع كبار الكتاب كانوا شبانا مغمورين في بدء حياتهم ، واذكر أن استاذنا الكبير توفيق الحكيم عند بدء ظهوره ، وجد على الطريق عددا من الأدباء الكبار في ذلك الوقت، ولكن هذا لم يمنعه من شق طريقه ، حيث كانت وسيلة ظهوره ليست ازاحة كبار الكتاب في ذلك الوقت عن طريقه ، بل ظهر وتجلى ولمع عن طريق نوعية كتاباته التي لم يسبقه اليها اي أديب آخر في مصر .

وهذا دليل على أن الكاتب الخلاق المبدع الفنان يشق طريقه غير عابىء بوجود غيره ممن سبقه في الشهرة والمجد الادبي .. وكذلك ظهر غيره من كتابنا المبدعين مثل الاستاذ نجيب محفوظ وغيره .

●● المسألة ليست مسألة الرواية فقط ، لكنها قضية تهيئة التربة لازدهار الفن بوجه عام ..

"يوسف الشاروني"



يقول الأديب الروائي والناقد يوسف الشاروني : هل القضية تتصل بالرواية فقط ،أم بجميع الانواع الأدبية كالشعر والقصة القصيرة والمسرح ،بل والفنون الأخرى كالفن التشكيلي وغيره .

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى هل الخوف من انقـــــراض الرواية العربية بوجه عام ، ام فى مصر بوجه خاص .

فى رايى : ان الأدب والفن عمـوما لايزدهر من فراغ ، بل لابد من وجود عوامل بيئية تعمل على ازدهار المواهب ، مثل التقدير الأدبى ، والتقدير المادى. ويبدو أن هذين التقديرين تضاءلا الى حد كبير فى بيئتنا المصرية بالنـسـبة للفنون الأدبية .

فمثلا ، لايقبل اليـــوم ناشر من ناشرى القطاع الخاص الا فيما ندر أن ينشر لأديب شاب رواية جيـدة أو ديوان شعر ، بينما كنا نجد فى بلـد مثل لبنان قبل محنتها الأخيرة ، انهم ينشرون هناك الاعمال الكاملة لبعض شعرائنا ، ويصل الأمــر الى سرقة اعمال روائيينا الكبار . ولمـا كانت لبنان لاتنشر لنفسها فقط ، بل للعالم العربى كله ، فمعنى هذا ان هناك بيئة صالحة لازدهار الفنـون الادبية فى الدول العربية الاخـرى ، بينمـــا تتضاءل فى مصر بحيث تكاد تنحصر فى دار النشر الحكومية الوحيـدة ، وهى ((الهيئة العامة للكتاب)) .

ومن هنا تنعقد مشـكلة الابداع الروائى فى مصر ، فعدم وجود الناشر للرواية المصرية يعطى صـــــورة غير حقيقية للابـــداع الروائى فى مصر . فالقليل الذى يثار على كتابة الرواية ـ برغم كل العقبات ـ لا يجد من ينشر له ، ولهذا فالمطبوع لايقدم صـورة صـــحيحة . ومع ذلك فان الاكثرية

لاذت بالسلامة الى وسائل الاعـلام الجماهيري كالاذاعة والتليفزيون فالعالم اكبر ، والجمهور اكثر . اى ان التقديرين الأدبي والمادي مضمونان .

ولاتنحصر العقبة في عدم اقبال الناشر ،بل ان بعض الهيئات الحكومية تثبط همة الادباء عن مواصلة ابداعهم بوجه عام ، كما حدث في قانون الضرائب الاخير . فقد طلبنا حتى بح صوتنا ان يقتطع من الأدباء كل المستحق للضرائب عند المنبع بعد تحديد نسبة معينة على كل مبلغ ، تماما كما يحدث بالنسبة لمرتبات موظفي الدولة وذلك اراحةلهم ولرجال مصلحة الضرائب ، وحتى يتفرغوا لانتاجهم الادبي . ولم يناقش اى مختص هذا الاقتراح ، بل زاد القانون الجديد الطين بلة كما يقولون عندما الغى نسبة الـ ٢٠ ٪ التى كان من الممكن ان تعتبر مصاريف مهنة ، وارغم الادباء على تقديم فواتير فعلية لمصروفاتهم ، الامر الذى لم يهيأ له معظمهم ، مما جعلهم يتهيبون مجرد تقديم اى عمل ادبى ، حتى يجنبوا انفسهم الدخول في متاهات لا يعرفون كيف يخرجون منها .

ولن اتحدث عن كثير من مزايا لأدباء الدول الاخرى ولا يلقى مثلها ادباء مصر . فالمرحوم يوسف السباعي كان من أمنياته انشاء حديقة للخالدين، أو بتعبير آخر مقبرة لعظماء مصر ، من بينهم كبار الأدباء والفنانين ، وهو اقتراح تكلفته اقل بكثير من العائد الأدبي على الدولة . ومن يزور مثل هذه المقابر في الدول المتقدمة يشعر بمدى حضارة هذه الدولة ومدى ما اسهم به عظماؤها في تاريخها وتاريخ العالم .

ونحن لاينقصنا الرجال ، ولكن ينقصنا الشعور بالتاريخ ، لاننا اميل الى ان نعيش لحظتنا الحاضرة .

فالمسألة في رايي ليست مسألة الرواية فقط ، لكنها قضيةتهيئةالتربة لازدهار الفن بوجه عام . لقد كنت منذ ايام بالاسكندرية اقوم بزيارة للفنان سيف وانلي بمنزله ، ورأيت كيف تتكدس لوحاته الرائعة بشقته المرتفعة الجدران ، بل ان لوحات اخيه المرحوم الفنان ادهم وانلي تتناثر في شقة بمنزل آيل للسقوط وقد ملأها التراب الذي يمكن أن يصيبها بالتآكل بعد سنوات قلائل . . ومثل هذين الفنانين، بل اقل منهما موهبة ،كان ينبغي اقامة متحف لاعمالهما ، بل ولسكنهما مما يعود على الدولة بعائد معنوي يظهر عبقرية ابنائها ،كما يدر عائدا ماديا يعوض تكاليف المتحف اضعافا .

دور الوحى فى الإيمان
صدفة أم عناية

● أحمد حسين ٭

● نحن نعيش في عصر غلبت عليه المادية ، وجنح فيه بعض من يتصورون انفسهم مثقفين الى الالحاد اى الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولما كنا مأمورين ان ندعو الى سبيل الله بالحكمة ، وامرنا كذلك أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، فيجب على واعظ اليوم أن يكون مسلحا بلغة العصر الحديث ، التى تزعم انها تعلي من سلطان العقل ، ولو صح هذا لانتهت كما سوف نرى الى التسليم بوجوب الايمان بالله واليوم الآخر .

ولنبدا من البداية

والبداية هنا ، هى التساؤل : هذا الوجود وليد الصدفة ، فلا هدف له أو غاية ؟ . ام هو وليد عناية الهية فله غاية وهدف ؟ .. ولكننا قبل أن نستعرض هذين القولين نريدان نهدم تصوراً شائعا ، وهو ان الالحاد هو مظهر التطور والتقدم العقلى ، فالايمان باله خالق هو مظهر التخلف والرجعية .

والحق هنا ان انكار وجود اله خالق مريد فعال ، عالم بكل شيء ، اى الالحاد ، هو شيء قديم جدا قدم الانسان منذ كان له عقل يفكر .

وقد سجل لنا القرآن الكريم ، المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام منذ اربعة عشر قرناً ، خلاصة ما يمكن ان يقوله اى ملحد منكر لوجود الله اذ يقول :

((وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر))

والدهر هو ما يسمونه اليوم بالطبيعة ، فعليك بداءة ذى بدء أن لا تتصور ان **انكار الالوهية هو شيء جديد مستحدث ثمرة ما وصلنا اليه من رقي وتطور ونضج ، ثمرة العلم والمعرفة ، واذا حدثك محدث بهذا المعني فاسقطه دائما من حسابك واعتبره جاهلا ، مهما كان يحمل من شهادات أو درجات علمية ، فهو جاهل بتاريخ الفكر الانسانى ، فقد وجدنا ما من توصل بفكره الى انكار الالوهية ، وقد روينا لك فيما سبق ما يؤكد لك ذلك ، وعلى هذا فلندع حكاية القدم والتجديد ، وحكاية الجمود والتطور ، ولنبحث القضية بعقولنا قبل أن نعرف اين يجيء الوحي .**

♦ إنطواء الكون والوجود على قدرة لا نهائية ، مسألة مقررة لم يختلف حولها إنسان .. ولا يمكن أن يختلف..

♦ الإنسان ، منذ كان إنسانا ، مجهز بطاقة أخرى تسبق طاقة الفكر وتعلوها من حيث كونها سر الحياة في الإنسان ..

الانسان ليس كل شيء

ان الفكر البشرى منذ وجد البشر، قد ادرك ، أن الانسان ، اذ يجوع ويظمأ ، ويتعب وينام ، ويصاب ويمرض ، ثم يموت في خاتمة المطاف فهو اذن ليس كل شيء في هذا الكون ، ولا بد أن يكون في هذا الكون من حوله كائنات أقوى منه ، هي التى تفعل مايدرك من أمر نفسه انه لا يفعله ، بل ولا يقدر على فعله ، كتعاقب الليل والنهار ، وتحريك الشمس والقمر ، والحياة والموت .

ادرك العقل البشرى مذ كان انطواء الكون على قدرة لا تحدها حدود ، لا ينالها تعب ولا تموت ، فهى حية أبدا ، فاعلة أبدا ، قادرة على كل شيء ، عالمة بكل شيء ، تعلو على الانسان وتفوقه ، ولا سبيل للانسان لايقاف نواميسها ، وكل ما امامه هو أن يعرف هذه النواميس ويحاول الاستفادة منها .

هذا القدر من التفكير البشرى ، ونعنى به الاقرار بوجود قدرة مطلقة في هذا الكون ، قادرة على أن تفعل في الانسان ولا يفعل فيها ، هو امر يجمع عليه البشر منذ كانوا بشرا ، وكلما اتسع علم الانسان ، زادت احاطته ((في تصوره)) بهذه القدرة.

ونحن نقول ((في تصوره)) لأن هكذا شاء غرور الانسان ، أن يصور لنفسه انه كلما اوغل في المعرفة ، زاد احاطة بهذه القدرة ، ذلك ان هذه القدرة ، واضحة جلية للعقل البشرى مذ كان وهو شاعر بها ، مقر لها ، وليس يزيد من هذه القدرة ، ويعمقها في وجدان الانسان معرفة المزيد من تفاصيلها ، فقد أدرك الانسان مذ كان انسانا ، أن هناك ارضا وان هناك سماء وشمسا وقمرا ، ونهارا وليلا ، وادرك الانسان انطواء ذلك كله على قدرة لا حدود لها ، وليس يزيد بعد ذلك من هذه القدرة أن تكون الأرض مسطحة أو كروية ، أو يكون الليل والنهار ناشئين عن دوران الأرض حول نفسها ، أو تكون الشمس بعيدة عن الأرض ((بكذا مليون ميل)) وان الشمس في حقيقتها كرة ملتهبة حيث يحترق فيها الهيدروجين .. الى اخر ذلك من التفاصيل ، فذلك لا يقدم ولا يؤخر في ادراك عظمة القدرة ، ومنذ كان الانسان انسانا ، فقد رأى الشمس وهى تغمر الكون بالضياء والحيوية .

كذلك لا يقدم أو يؤخر ، في ادراك القدرة التى تحول ((ماء الرجل)) الى جنين في بطن أمه ، فطفل ، فصبي، فرجل ، أن نعرف ان الخلية مؤلفة من عديد من العناصر ونروح نطلق اسما مختلفا على كل عنصر ، فالخلية شيء معجز ونموها اكثر اعجازا ، وليس يزيد من اقرارنا بالقدرة ((وراء الخلية)) معرفتنا لبعض ما يحدث جزئيا ، او حتى كليا ، فسوف يظل ما نجهل ، اضعاف اضعاف ما نعلم ،



دور الوحي في الايمان
صدفة أم عناية

وسيظل ما نعلم مبنيا على مسلمات ، لا نستطيع لها فهما أو ادراكا وانما يجب التسليم بها ، اذ اننا نرى **آثارها ، ولأضرب لك مثلا واحدا فانه يقال لنا : ان الذرة مكونة من نيوترونات وايلكترونات ، وانه ينشأ عن شطرهما طاقة جبارة ، اما لماذا يحدث هذا الشيء الذى لا يتصوره العقل او ما هو النيوترون ، وما هو الايلكترون ، وهل راى احدهما انسان ، كل هذه اسئلة لا محل لها ، فنحن نشهد آثار هذه التصورات بالفعل ، وصنعت القنابل المتفجرةعلى أساسها ، وانتجت آثارها المحسوبة، والذى يهمنا من ذلك كله ان لامناص من التسليم بما نرى آثاره مهما جهلنا كنهه وماهيته .**

واتطواء الكون والوجود على قدرة لانهائية مسألة مقررة لم يختلف حولها انسان ، ولا يمكن أن يختلف ، ولا يتصورن متصور ان معرفة اى كم من التفاصيل عن هذه القدرة ، سوف ينقص منها كما ان معرفة الانسان لبعض نواميس هذه القدرة لن يزيد فيه .

اين يفترق الفكر البشرى

فالفكر البشرى لن يختلف ابدا ، ولم ولن ينكر قيام الكون على قدرة بغير حدود ، وانما وجدت على مر العصور ، وسوف توجد دائما ، أقلية تقول : ان هذه القدرة اللانهائية على الخلق والابداع ، لا غاية لها ولاهدف، انها هكذا موجودة قديمة بدون أول يعرف لها ، وهى « اى القدرة » مادة تتفاعل بموجب نواميسها الذاتية ، وانها تتطور وتتشكل بمحض الصدفة لتسير فى اتجاه ، ثم تكمل الضرورة ما بدأته الصدفة ، وهكذا وجدت العوالم والكائنات ، لغير هدف ولغير غاية ، والموت بالنسبة للانسان هو نهاية كل شيء .

هذا اللون من التفكير الذى يعزوكل شيء الى ما يسميه الطبيعة ، أو المادة، قد وجد وسوف يوجد ، ولكنه لا يؤلف سوى اقلية ، وأقلية مسحوقة ، اذ هى استثناء وشذوذ .

ذلك ان الأغلبية الساحقة جدا من البشر ، قد قالت بخلاف ذلك ، فلابد ان تكون خلف هذه المادة المحسوسة الملموسة ، قوة من نوع خاص ، تخالفها وتغايرها في كل شيء فاذا كانت المادة محسوسة ترى بالعين ، أو تلمس باليد ، فلابد أن تكون هذه القدرة غير ذلك ، لابد أن تكون هذه القدرة ، من نوع روح الانسان ، التى **لاتحس ، ولا تقاس او توزن ، ولا يمكن للعقل ان يتصور كنهها أو ماهيتها ، ولكنه لايستطيع ، ولافكاك له من الاعتراف بوجودها فقد راى الانسان كل انسان ، ان هذه القدرة الخفية لا تكاد تبارح الجسد ((الأمر لايفهمه)) حتى يتوقف الجسد عن اى فعل، ولايلبث ان يتحول الى تراب، تراب تطؤه الأقدام ويتساءل الانسان ، اين ذهب النشاط والحيوية ،اين ذهب الجمال والضحك والبشاشة ، ويقول الأكثرون ، لقد غادرت الروح التى لاندرك من امرها الا انها موجودة ، فكان انحلال الجسد بينما يقول الأقلون الذين لايعترفون الابالمادة ، ان شيئا ما فى نظام المادة قد اختل فانفرط عقد الجسد ، وسوف نعرف يوما ما ، ما هذا الذى يختل ، فلا يكون موت .**

فأنت ترى أن انطواء الكون على قدرة فائقة هى محل اتفاق ، وأن هناك أمورا نجهلها ، هو محل اتفاق

كذلك وانما دار الخلاف ، حول هذه القدرة كما قدمت لك ، وهل هي واعية تهدف الى غاية وقصد ، أم هي غير واعية تعمل على غير هدى ، وبدون قصد (خبط عشواء)

ويسمى الفلاسفة هذا اللون من التفكير بالمثالية والمادية ، ويرون للمثاليه هدفا وقصدا وهو « العناية » التى نستطيع تبينها فى كل شىء : فى انفسنا ، أو فيما حولنا ، حيث ينكر الماديون ذلك كله ويقولون ان الامر كله صدفة ، واذا استطعت أن تعدد الوف الأمثلة التى تدل على القصور والعناية ، فانه يمكن أن تساق الوف مثلها على خلو الأمر من اى قصد او هدف وبالتالى لاعناية ، وينتهى المثاليون **بالتسليم بالله خالق، من غير نوع المادة، وهو الذى اوجد المادة ، حيث لم تكن، وحجتهم ان لابد لكل معلول من علة ، ولكل حركة من محرك ، ولكل حادث من محدث ، فلابد أن يكون الله هو الذى اوجد المادة او الطبيعة ، أو الدهر ، ويرد الماديون ، اذا كان لابد لكل موجود من موجد فمن الذى اوجد الله ، واذا سلمنا انه علة نفسه، وانه هكذا وجد ، قديم بغير بداية ، فلماذا لا يقال ذلك عن المادة فهى علة وجودها وهى قديمة وهى فاعلة وهى قادرة ، وهكذا لا يستطيع** العقل البشرى بأسلوبه فى التفكير ومقاييسه التى يعمل من خلالها ان يصل الى نتيجة تجهز على الفرض الآخر فيظلان قائمين ما بقى الأمر فى دائرة التفكير العقلى البحت

الوجدان

على أن الانسان منذ كان انسانا ، فهو مجهز بطاقة اخرى تسبق طاقة الفكر وتعلوها من حيث كونها سر الحياة فى الانسان اذ هى التى تبقيه لم تبقى نوعه حيا

وهذه الطاقة هى ما يسمى بالغرائز فالغرائز هى التى تصون الانسان حيث لاعقل او فكر ، من اى نوع كان . واذا كانت الغرائز قسما مشتركا بين الانسان وبين أى كائن حى ، فقد اختص الانسان بطاقة لا يمكن تصنيفها تحت باب الغرائز ، كما انها لاتندرج تحت باب العقل والتفكير وتلك هى طاقة الوجدان ، وهى أن يفعل الانسان الشىء او يحسه ويشعر به عن غير طريق التعسليم او التاتين اللذين هما مفتاحا العقل وغذاؤه ووقوده فالعقل لايعمل الا من خلال معلومات ، وبيانات تقدم له وتعرض عليه فيفصل فيها ، بعد أن يعبهما ، ويرتب اجزاءها ثم يصدر الحكم ، وليس كذلك الوجدان ، حيث يحس ويشعر ويدرك ، بدون مقدمات وبدون معرفة سابقة ، **وبطاقة يحار** لها العقل نفسه ،ويتساءل كدابه دائما من أين جاءت ، وهو عاجز عن الرد الا ان يسلم بانها جاءت من قوة غير منظورة ، هدفت الى قصد معين .

الوجدان سابق على العقل ويعلوه ..

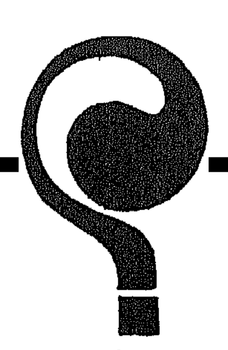
فتاريخ كل ما يسمى علما او فنا أو حرفة ، او صناعة ، أو كائنا ماكان مما يعتبر من نتاج الفكر البشرى ، فقد بدأ أول ما بدأ بعيدا عن **العقل** والفكر، فقد تكلم الانسان قبل أن يضع للكلام قواعد . وشعر «أى قال الشعر» وغنى ورسم وعزف **الموسيقى وصنع** واحترف وشيد وبنى ، **قبل أن يضع لذلك اى قواعد ، اى بغير معرفة مسبقة فقد فعل انسان ما ، يوما ما، هذه المناشط دون ان يسبقه الهام سابق ، وذلك عن طريق الفطرة او الوجدان . وما من شاعر او موسيقى، او مخترع الا ويحدثك عن هذا الوجدان الذى جعله بنوع من ((الالهام)) الخفى، يقول أو يفعل هذا الشىء او ذاك ، وقد حاول الماديون أن يبتعدوا عن كلمة ((الالهام)) باعتباره امرا يأتى من خارج الانسان ، فتحدثوا عن العقل**

الباطن وارجعوا اليه كل مظاهر الالهام، وفاتهم ، أن كلمة العقل الباطن ((وان كانت بدورها كلمة غامضة غيبيـــة ، وأنها لا تعدو أن تكون مجرد افتراض)) اقول فاتهم أن ((العقل الباطن)) لايفسر شيئا ،ذلك أن المفترض في العقل الباطن انه حصيلة تجارب الانســـان ، بل الانسانية ، حيث كانت الانســانية في اول امرها ولا تجارب لها ، تتلقى عـن طريق الوجدان ما سميناه الهاما ، اى معرفة تقذف في النفس لا يعرف مـن أين جاءت ، وقد تصور الاقدمون في حالة الشعراء ، ان الشـــعر يواتيهم بمساعدة «شيطان الشعر » حيث اطلق الاغريق على شيطان الشعر عند العرب، اسم « الهة الشعر » وهو اعترافا بأن هذا اللون من النشاط الانســانى ، لا يمكن ان يصدر الا عن قوة غيبية تفوق قدرة الانسان ، كما يحدثنا فنـــانو العصر الحديث والمخترعون انهم فعلوا ما فعلوا عن طريق « الالهام » فثمـة اجماع من البشر ، على أن بعـــض معارف الانسان ومناشطه ، لا تصدر عن العقل والفكر ، وانمـــا تجيء من مصدر مجهـــول وان اختلفـــوا على تسميته ، وفي رأيي ان الـــكلمة التى تتســـع لذلك هي « الوجـدان » وهو طاقة تغاير طاقة العقـــــــل والفكـــــر ، والوجـــدان شيء يغاير « الانفعالات والغريزة » فهاتان الطاقتان عامتان وشاملتان لكل ما هو حى ، اما الوجدان فشيء خـاص بالانسان واذا كان العقل والفكر هـو ما يميز الانسان عن سائر الكائنـات ، فالعقل في نهاية الأمر وظيفة كسـائر الوظائف من سمع وبصر وعمـل . . الخ .. وقد يكون فوق هذه الوظائف كلها ، او قد يكون هو المنسق بينها ، والمهم انه وظيفة يقوم بها عضو معـين « المخ » .

أما الوجدان فهو الانسان كله، ليس له عضو معين ، ولايستند على معلومات أو محسوسات تتجمع لدى الانسان ، انه القسم الغيبى في حياة الانســان ، انه من دنيا الروح التى نرى آثارها ، ولا نعرف شيئا عن مكانتها ، فضلا عن ماهيتها .

الوحي ظاهرة انسانية ..

فاذا كان هناك اجمـاع ، على ان هناك سبيلا للمعرفة يأتى عن غير طريق النقل والعقل ، وليس يغير من حقيقته الظاهرة المؤكدة ، أن يسميها البعض صدفة ، فان ثمة ظاهرة اخرى قـد حدثنا عنها أفراد من البشر، واذا كان قلة من البشر يأبون التسـليم بهـذه الظاهرة ، فهم بهذا الرفض لشيء قام الدليل عليه ، بقبول الناس له الوف السنين وصدقته الحوادث وصـدقه التاريخ ، لا يتكلمون بلغة العقل ، فضلا عن العلم أما هذه الظاهرة ، فهى ظاهرة « الوحى » فلا هو بالعقـــل فضـــلا عن « العلم » ، أن ينكر انســان ((الوحى)) لمحض كونه هـو لا يوحى اليه وان جمهرة الناس لايوحي اليهم ، لا ليس هذا علما ولا هو عقل ، والا لو جاز ذلك ، لرفضنا كل الاحداث التي لا نمارسها بانفسنا . ان الواقعـــة العلمية هي التى تحمــل حقيقتها في ذاتها ، وتغنى بنفسها عن تصديق الناس او تكذيبهم بها . فعندما يقول لنـــا انسان أمين ، انه يوحي اليـــه ((اى يتلقى علما بطـــريق خفي)) ثم تثبت الايام والاحداث صدق مايقول ، فضلا



عن انه بدراسة هذا الشيء موضوع الوحي ، نراه شيئا يستحيل على بشر صنع مثله ، لشموله لكل معارف الانسان ومناشطه : ووصوله في أي ناحية من النواحي الى الذروة في شئون الحرب مثل ما في شئون السلم ، في شئون العبادات مثل ما في شئون المعاملات ، حديثا عن الارض او السموات ولا يعرف البشر في كل تاريخهم كتابا يماثله من حيث الشمول والثبات على مر العصور والقرون .. فان انكار **هذه الحقيقة الفريدة في تاريخ البشر يكون بمثابة انكار ضوء الشمس الساطع حيث يراه كل انسان ، وهو ليس من العلم والمنطق العقلي على كل حال ..**

وليس بنافع ان يوصف هذا الشيء العظيم الذي قال به هذا الانسان العظيم فوق العظماء ، انه كذب . لانه يستحيل ان يكون الكذب اساسا يقوم عليه بناء انساني لا حد لشموخه ويقوى على مر الزمن كل يوم اكثر واكثر ، **فلا مناص من التسليم والايمان بما قاله هذا العظيم فوق العظماء ، خاصة وهو** لا يدعونا لشر ، او بما فيه ضرر بانفسنا او بالآخرين ، بل هو يدعونا **الى ما اجمع عليه البشر في كل زمان** ومكان انه **يحقق خير البشر ، ويسند هذا الخير ، الى وجود الله واحد لا شريك له ، وانه سوف يحاسبنا على** اعمالنا في حياة مقبلة ، ان خيرا فخير وان شرا فشر » ، **وهكذا نرى ان العقل المجرد والتفكير المحض ، قد يصل بناء الى حيث لا يستطيع ان يثبت او ينفي وجود « الله » فان الوجدان يكمل المسيرة عن طريق « الوحي » الذي لا** يستطيع العقل انكاره ، لا لأن القائل به وهو سيدنا محمد كانت صفته الاساسية **هي الامانة ، بحيث لا يعرف له الناس** «كذبة واحدة» فأصبح من غير المتصور عقلا انه يكذب على الله ، فيدعى انه يوحى اليه وهو لا يوحى اليه ، وليس لان ظاهرة الوحي كانت تتم على ملأ من الناس الذين حاربوه والذين صدقوه .

وان الامور تمت كما ارشد الوحي ووجه ، بحيث تحول العرب الذين كانوا يعيشون على هامش الدنيا الى **ان يكونوا سادتها وحاملي مشعل حضارتها ، اقول ليس لاجل هذا فقط يصدع العقل البشري بمعجزة الوحي ، وانما بدراسة موضوعية لمضمون هذا الوحي من ناحية الشكل والموضوع ، فمن ناحية الشكل جمع القرآن وحافظ على نصه اربعة عشر قرنا طبقا لما قرر ووعد .**

((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) وهي خاصية ينفرد بها القرآن فدل ذلك على انه ليس من عمل بشر ، وكذلك الشأن لو درسنا موضوع القرآن على ما قدمنا ، اذ لا تستطيع كل علوم الدنيا وتطور احداثها أن تصطدم مع نص من نصوصه الا على سبيل المكابرة والادعاء والجهل .

واخر ما نقول ..

انه اذا كان العقل قد يتساءل هل تسير الأمور في هذه الدنيا على انها صدفة عمياء ، ام عناية فان الوجدان يقر بانها عناية الهية هي التي تدبر كل شيء وان الوحي قد جاء مفصلا ومصححا لما فاض في الوجدان فقرر انه اله واحد لا شريك **له خالق كل شيء ، ومدبر كل شيء بواسطة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو ما نؤمن به نحن معاشر المسلمين والحمد لله رب العالمين**



وردة

● سليم الرافعي ●

وردة فوق التراب اشعلت عود ثقاب
خرجت من باطن الارض ببركان مذاب
منجما كانت من الياقوت او برق سحاب

فكرة في خاطر الفجر تجلت من شهاب
في يدي شوكتها ارتاعت وفرت في اضطراب

●

قالت الشوكة ما الحصن سوى ظفري ونابي
فانعمي في حمرة الحسن ورفراف الاهاب
ايعيش الفن والرقة من دون حجاب ؟
ايكون السيف الا حارسا حرمة باب ؟

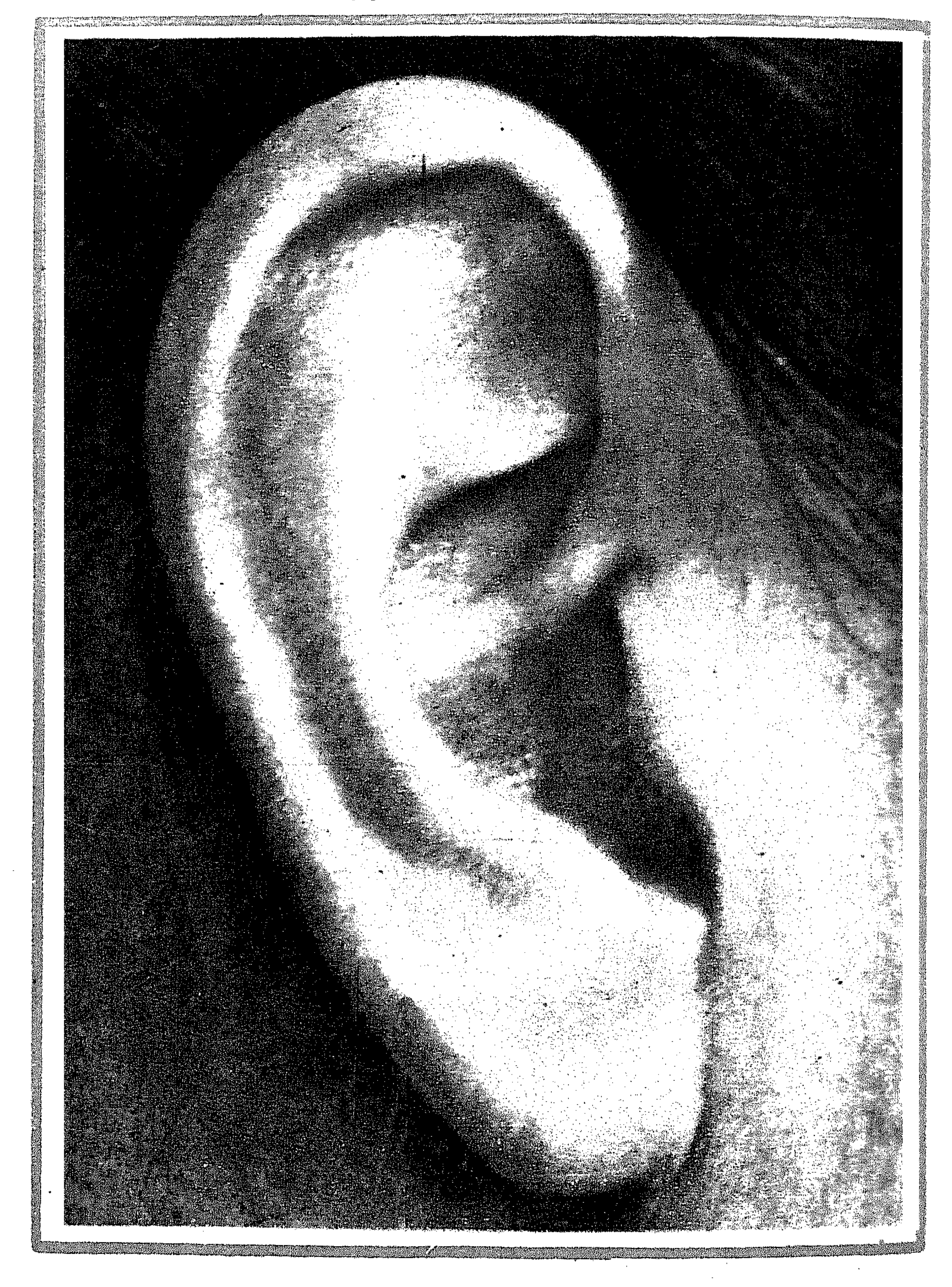
●

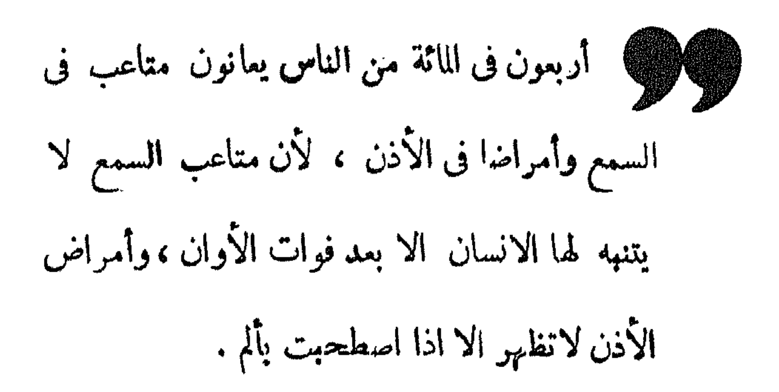
فاجابت تلكم الوردة في بعض الجواب
انني النار على ضعفي تلظت في الرغاب
من يرد ان يبلغ المنية يهزأ بالصعاب
انا اشهى في عيون الناس من كل الحراب

سليم الرافعي
طرابلس لبنان

كل شيء عن أذنك ..
لتحافظ على سمعك

● د. رشدى البدراوى ●





أربعون فى المائة من الناس يعانون متاعب فى السمع وأمراضا فى الأذن ، لأن متاعب السمع لا يتنبه لها الانسان الا بعد فوات الأوان ، وأمراض الأذن لاتظهر الا اذا اصطحبت بألم .

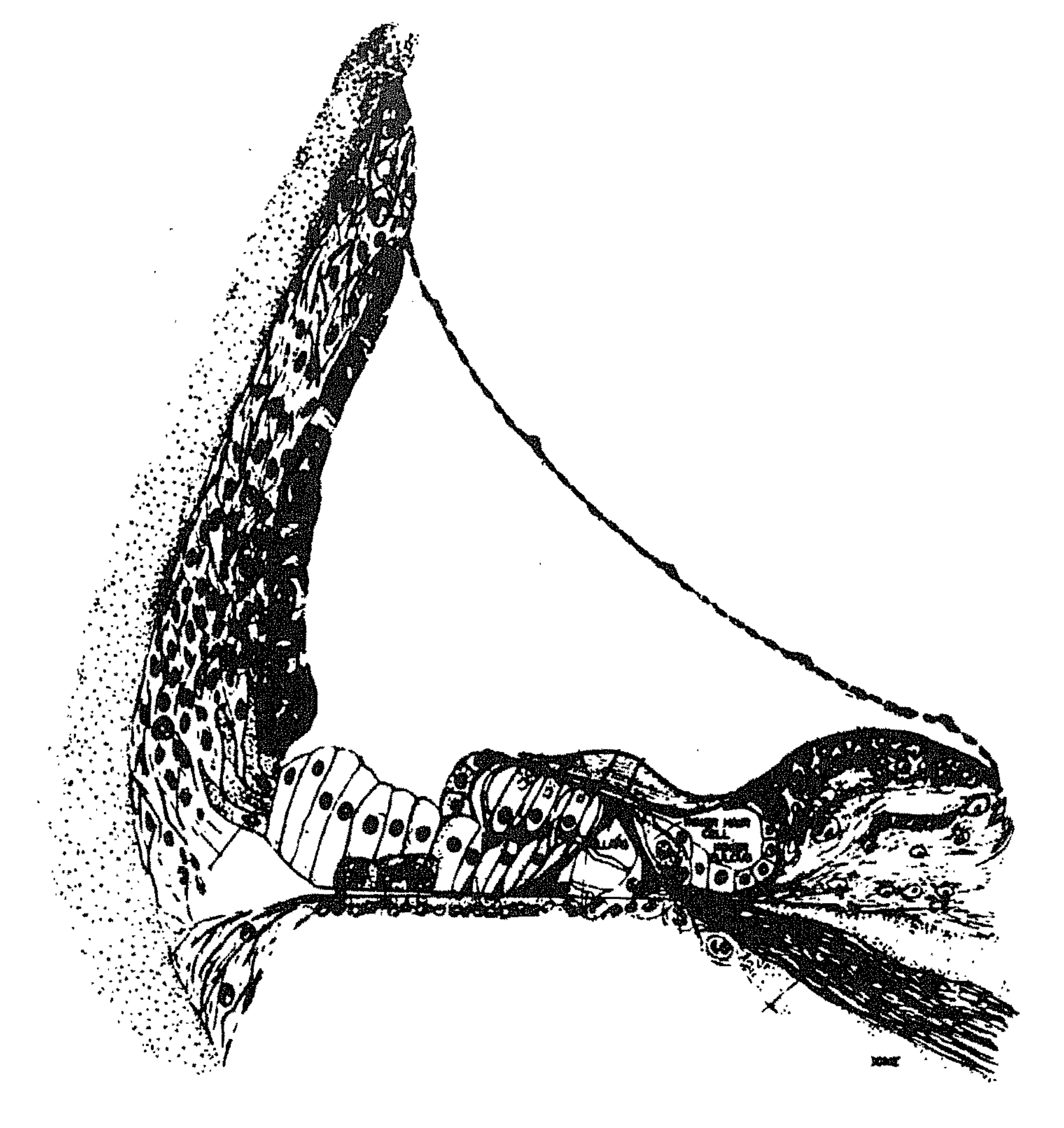
فكيف تحافظ على سمعك وهو سلاحك الكافى فى الحياة ؟

لم تكرم حاسة من حواس الانسان مثلما كرم السمع ·فهو اسم من أسماء الله الحسنى وكان أول ما نزل من القرآن الكريم كلمة اقرأ ليسمع الناس ، وهى أولى النعم التى ذكر الله بها عباده فى قوله : « وخلق لكم السمع والابصار » · ويكفيها أهمية انها ذكرت دائما قبل نعمة الابصار · وللتدليل على ذلك نرى فى الحياة كثيرا من الأشخاص الذين فقدوا نعمة البصر ولكنهم عاشوا عيشة تكاد تكون طبيعية · مثل كثير من المقرئين · بل ان بعض المكفوفين عوض فقدان هذه النعمة بالنبوغ فى نواح أخرى مثل الدكتور طه حسين ·

ولكن كل من فقد نعمة السمع فى صغره ينعزل عن العالم اجمع ويفقد وسيلة الاتصال بالناس فلا يستطيع معرفة أسماء الأشياء التى حوله وبالتالى يفقد القدرة على الكلام ولذلك نرى الطفل الذى يولد أصم لابد وان يصبح ابكم لا يستطيع اكتساب اى معرفة ولا التفاهم مع الناس ، ولا يستطيع التعبير عما فى نفسه · ولا نجد بين من فقد نعمة السمع فى صغره من نبغ ، ولا حتى من عاش عيشة طبيعية ·

ويكفى أن تعلم أنه عندما تنام وتغلق جفونك وتهدأ جميع حواسك تبقى حاسة السمع مستيقظة تحرسك وتحذرك · وقد تنبهك الى خطوات لص يتسلل الى منزلك لسرقته - أو تنبهك فى شارع مظلم الى صوت سيارة مسرعة آتية من خلفك لتتجنب مسارها وتنجو بحياتك ··

بعد هذه المقدمة يهمنا أن نبين هذه الحاسة العجيبة ــ حاسة السمع ــ وشيئا عن تركيب

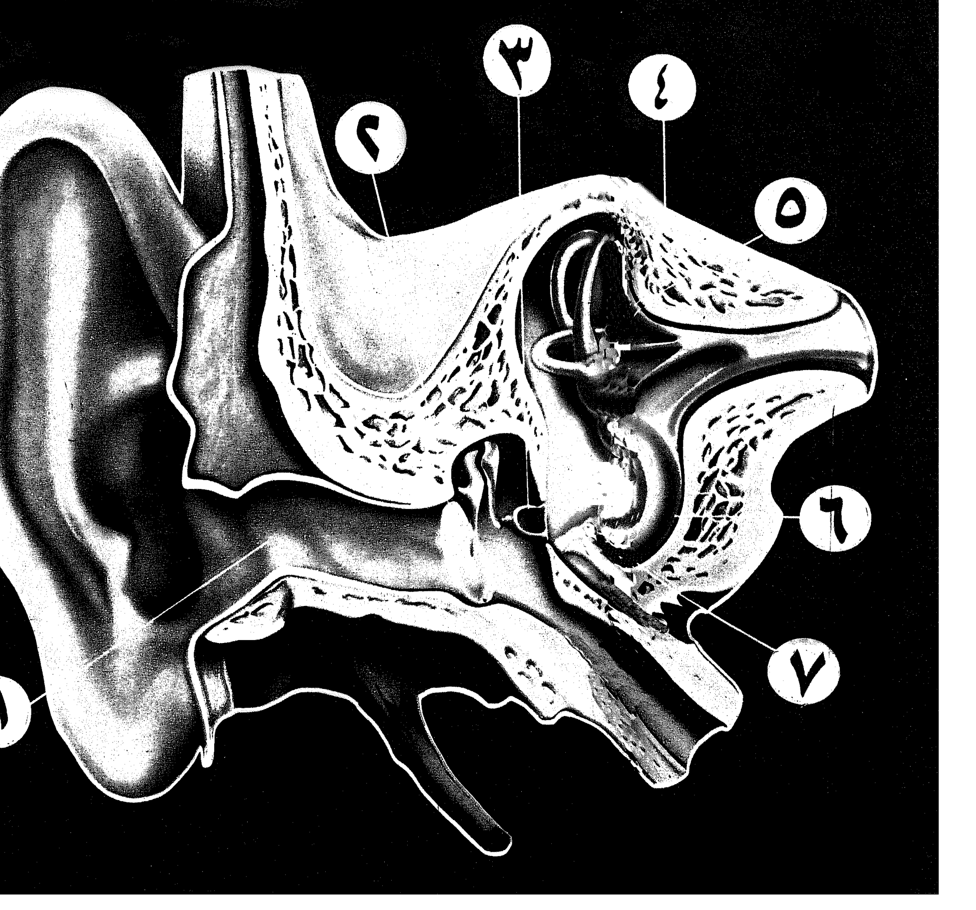


رسم يبين تفاصيل غشاء الأذن الداخلية وأجزاءه وهذا الغشاء يتضمن طبقات أهمها من الداخل طبقة الاعصاب وهى غشاء رقيق يتكون من خلايا وأوعية دموية ورباطات وأعضاء حلزونية ومن هذا الغشاء يخرج العصب السمعى الرئيسى المؤدى الى المخ . . .

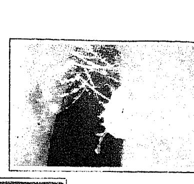
الأذن البالغ الدقة · ولايزال العلم يكتشف فى كل يوم عن تركيب الأذن نواح من الاعجاز لم تخطر على بال أحد من قبل · ولايزال هناك الكثير الغامض من أعاجيب هذه الحاسة مثل قدرة الانسان على التركيز على صوت شخص يكلمك وسط ضوضاء عالية بحيث تسمع الكلام وتتجاهل الضوضاء ·

وتتوقف حياة كثير من الحيوانات على سمعها ، الذى يحذرها فى ظلام الغابة ، الى العدو الذى يقترب منها لتنجو بحياتها ، أو الى فريسة آتية فتتخذ عدتها لصيدها · ويكفى أن ترى آذان الحيوانات وصوانها الخارجى وهو يتحرك فى كل اتجاه لتجميع الأصوات ويمسح بحركته جميع الاتجاهات · ولك أن ترى المستقبل فى جهاز الرادار فوق قمة عالية وهو يتحرك فى جميع الاتجاهات يجمع الأصوات الآتية ويمسح بحركته جميع الاتجاهات لترى أن ما توصل اليه الانسان فى هذا المجال ما هو الا تقليد لحركة صوان الاذن فى الحيوانات وحركة رأسها عند التصنت لصوت ما ، محاولة لتحديد موقعه واتجاهه ·

بل ان الطبيعة ــ ومن ورائها طبعا قدرة الله ــ لم تشأ أن تجعل صوان الأذن متشابها أو طبقا دائرا مثل طبق الرادار ، بل كان فيه لمسة من فن الخالق العظيم لتعطيه جمالا يستريح اليه البصر · فمن أذن الأرنب الطويلة الجميلة الى أذن القطة الأصغر الى أذن الحصان أو أذن الفيل المفلطحة وكل ذلك فى جمال يتناسب مع هيئة الحيوان ، ليصل الجمال الى قمته من حيث شكل الأذن أو وضع الأذنين على جانبى الرأس ــ فى جسم الانسان ·· فسبحان الذى جعله فى « أحسن تقويم » · *



مدخـــل الاذن او قنــاة
استاكيوس وهي ممــر
طوله نحـــو ثـــلاثة
سنتيمترات تنفذموجات
الصـــوت من خلاله الى
داخل الاذن • أحيـــانا
يكـون من اسباب ثقل
السمع ان هذا الممريتسد
نتيجة لتراكم شمع الاذن
الذى يسـمى بالصملاخ





الطبلة : نهـاية الاذن
الخارجية . تقوم بوظيفة
عضو صغير ينقـــــل
الاصوات الى أجزاء الاذن
التى تليها فى الداخـل

انها عظام ثلاث صغيرة
مركب بعضها ببعض على
نحو ينقل الاصوات الى
اعصاب السـمع ، وهى
مركبة تركيبا خاصـــا
يسـاعد على تقـوية
موجات الصـــوت ••





القنوات النصف هلاليـة
لا علاقة لها بوظيفـــة
السمع • انها جزء مـن
جهاز التوازن الذى يمكن
الانسان من الشـــعور
بتوازنه سواء كان واقفا
أم قاعدا أم نائما •••

شعيرات الخلايا السمعية
•• لا يمكن رؤيتها الا
بالميكروسكوب الالكترونى
انها خصلات من الشعيرات
تسبح فى ســائل لزج
وهى تمكن الانسان مـن
المحافظة على توازنه ••



القوقعة : أهم جزء من
اجزاء الاذن الداخلية •
انها حلزونية الشكل •
وعلى القاعدة التى تقـوم
عليها يوجد نسيج باسال
العضوى وطوله سنتيمتر
ونصف •••

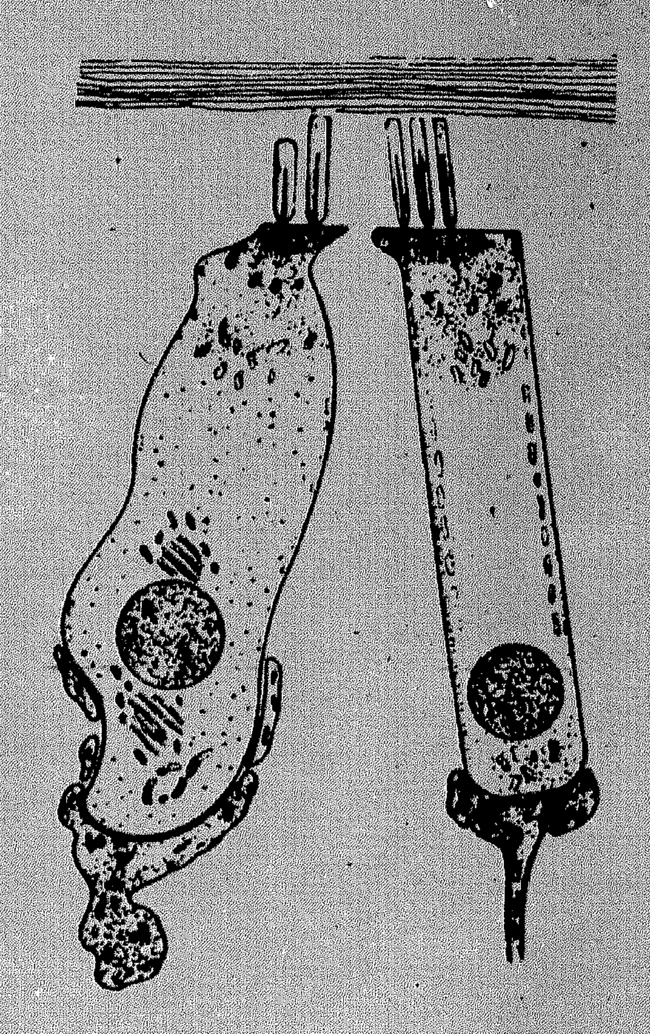


الغشاء الســـمعى :
مجموعات من خلايا حاسة
السمع تقوم على نسـيج
باسال العضـــوى كانها
أطراف تاج وهى تقـوم
بتحويل الموجات الصوتية
الى موجات كهربائية ••

و « وصوركم فاحسن صوركم » ·

يلى الصوان الخارجي قناة قصيرة تسرى فيها الاصـــوات حتى ترتطم بالطبلة والطبلة شيء رقيق يجب حمايته من اى مؤثرات خارجية عنيفة لذلك كان اتساع القناة وطولها متناسبا بحيث يحفظ للطبلة هواء دافئا متجددا ·وخلايا العرق الموجودة فى جلد القنـــاة تفرز افرازا دهنيا (الصملاخ) يجعل الخلايا لينة طرية · وتلتصق بلزوجته اى اتربة وتطرد رائحتـــه الفاحصة اى حشرات تقترب مثل النـــاموس ، ولعلك لاحظت فى ليالى الصيف ناموسة تطن حولك وتقترب من اذنك ولكنها تطير مبتعدة ولا تدخل فى قناة الاذن · وهناك ايضا شعيرات رقيقة تزيد حماية مدخل القناة من اى مقتـرب غريب ·

رسم يبين بصورة مكبرة جدا الخلايا الشعرية بداخل الاذن وهى تنقسم الى قسمين : خـــلايا شعرية خارجية الى يسار الرسم وداخلية الى يمين الرسم

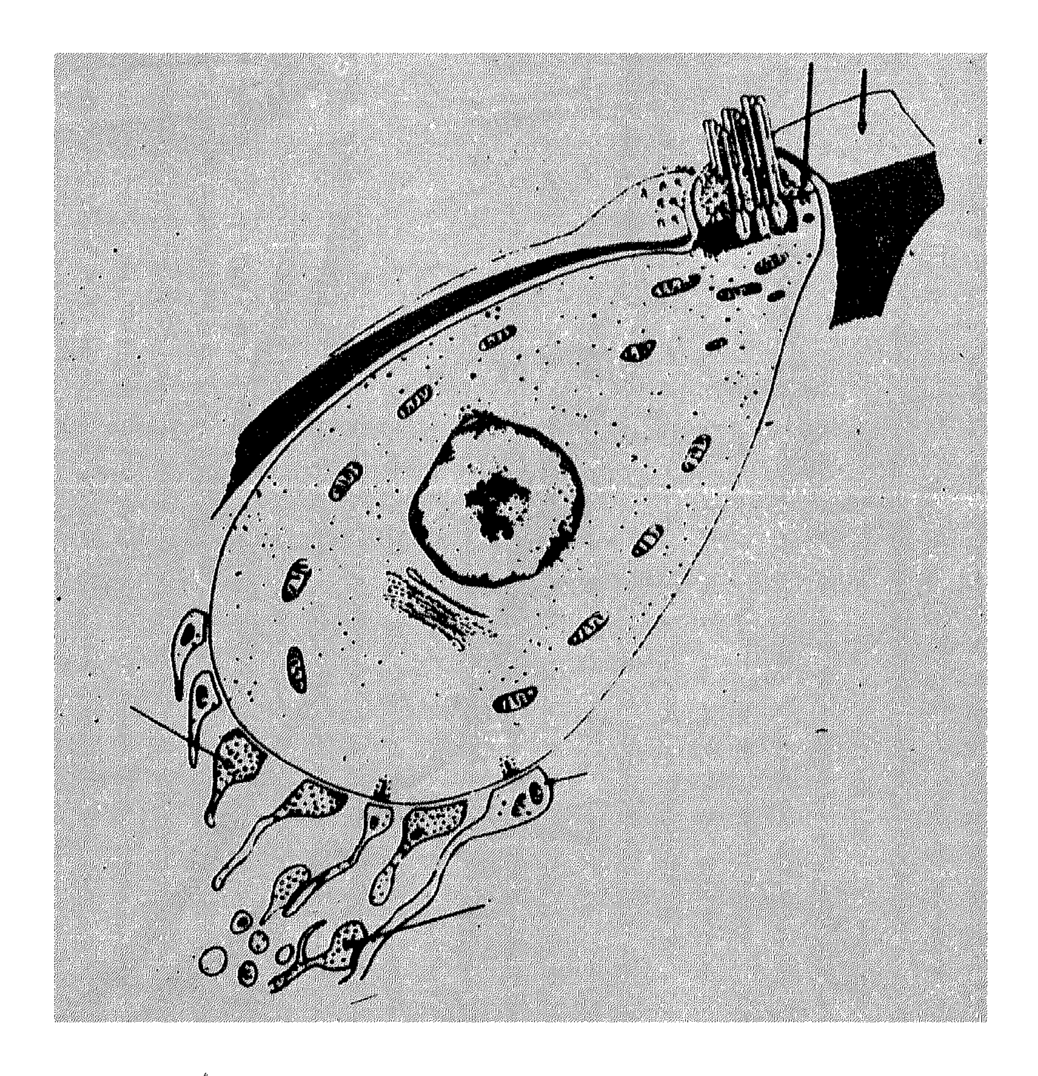


بالاضافة الى ذلك فان القنـــاة السمعية الخارجية تعمل على رنين الذبذبات الصوتية وتزيد من شدتهـــا بحوالى ١٠٪ ، تصـطدم الموجات الصوتية بعد ذلك بالطبلة · والطبلة عبارة عن غشاء رقيق مشدود على نهـــاية القناة السمعية · والجلد المشدود على الطبلة فى فرقة موسيقية يصدر صوتا واحدا دائمـــا تبعا لحجم الطبلة وقوة شد الجلد عليها ولا تنقل اى رقيقة جلدية مشدودة الا الذبذبة التى شدت من أجلها · ولنتصور ايضـــا الرقيقة المعدنية فى سماعة التليفون او بوق الكلام ، كلاهما يهتز امام الاصوات لينقلها الى الشخص الاخر بامانة تامة · ولعلك استمعت من خلال مكالمة تليفونية الى صديق وسألته : لمـــاذا صوتك متغير هكذا او غير واضح ؟ · وكانت اجابته « العيب فى سمـــاعة التليفون » ··· أيرضيك ان تكون طبلة الاذن فيها هذا العيب فتتغير عن الصوت الذى تسمعه ؟

وهل استمعت الى صوت راديو ترانزستور وقد ضعفت بطاريته وصـــار صوت مغنيـــة سبرانو رفيعـــا اجش مثـــل صوت بائع متجول متحشرج النبرات ؟

ان فى طبلة الاذن اعجازا من هذه النـاحية فهى تنقل الأصوات بامانة تامة من ذبذبة ١٦ مرة فى الثانية الى ١٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية وان كانت احدث السجلات الدقيقة تفخر بانهـا استطاعت ان تزيد من كفاءة نقل الاصوات فى المدى من ٥٠٠٠ ـ ١١٠٠٠ فقط وفيما عدا ذلك فان الذبذبات تنقل مشوهة بعض الشيء لادركنا كم فى الاذن من معجزات · ونحن لانزال عـلى السطح الخارجى للطبلة !! ولو ازلنا الجلـد الخارجي لوجدنا الطبقة الأساسية من الطبلة تتكون من اوتار ليفية فى تناسق بديع وترتيب معين تمتد من الحافةالخارجية للطبلة الىعظمة المطرقة فى اوتار مستقيمة واخرى بيضاوية فى تناسق هندسى بديع ·لتنقل جميـــع الذبذبات بامانة تامة الى عظمة المطرقة ·

والمطرقة اولى ثلاث عظيمات صـــغيرات تسمى العظيمات السمعية وهى بترتيبهـا من



رسم يوضح خليةشعرية داخلية واجزاءهاالمختلفةكما رسمها العالم الالماني فيرسيـــبل . . .

الخارج للداخل : المطرقة ـ السندان ـ الركاب
Stapes — Incus — Malleus
وقد اكتسبت أسماءها من شكلها ·

وهذه العظيمات الدقيقة وبتتابعها تنقل الذبذبات الصوتية من الطبلة الى الأذنالداخلية حيث توجد أعصاب السمع ·

ولرب قائل : ألم تكن عظمة واحدة تكفى ؟· ولكننا نرى أن وضع العظيمات الثلاث مع بعضها البعض يكون رافعة من الدرجة الثانية

تزيد قوةالذبذبات · وهناك عضلات دقيقة هى العضلة الشادة للطبلة
Tensor Tympani Muscle
والعضلة الركابية Stapedius Muscle
وهذه العضلات تضم العظيمات الى بعضها البعض فتصبح كأنها كتلة واحدة مشدودة فتنقل الذبذبات الرقيقة بدقة او ترخيها قليلا فتكون اكثر كفاءة فى نقل الأصوات الغليطة أو تعمل على تفكك العظيمات وتثبيت عظمة

الركاب فلا تتحرك · وفى ذلك حماية لاعصاب السمع منتأثير الاصواتالعالية والانفجارات·

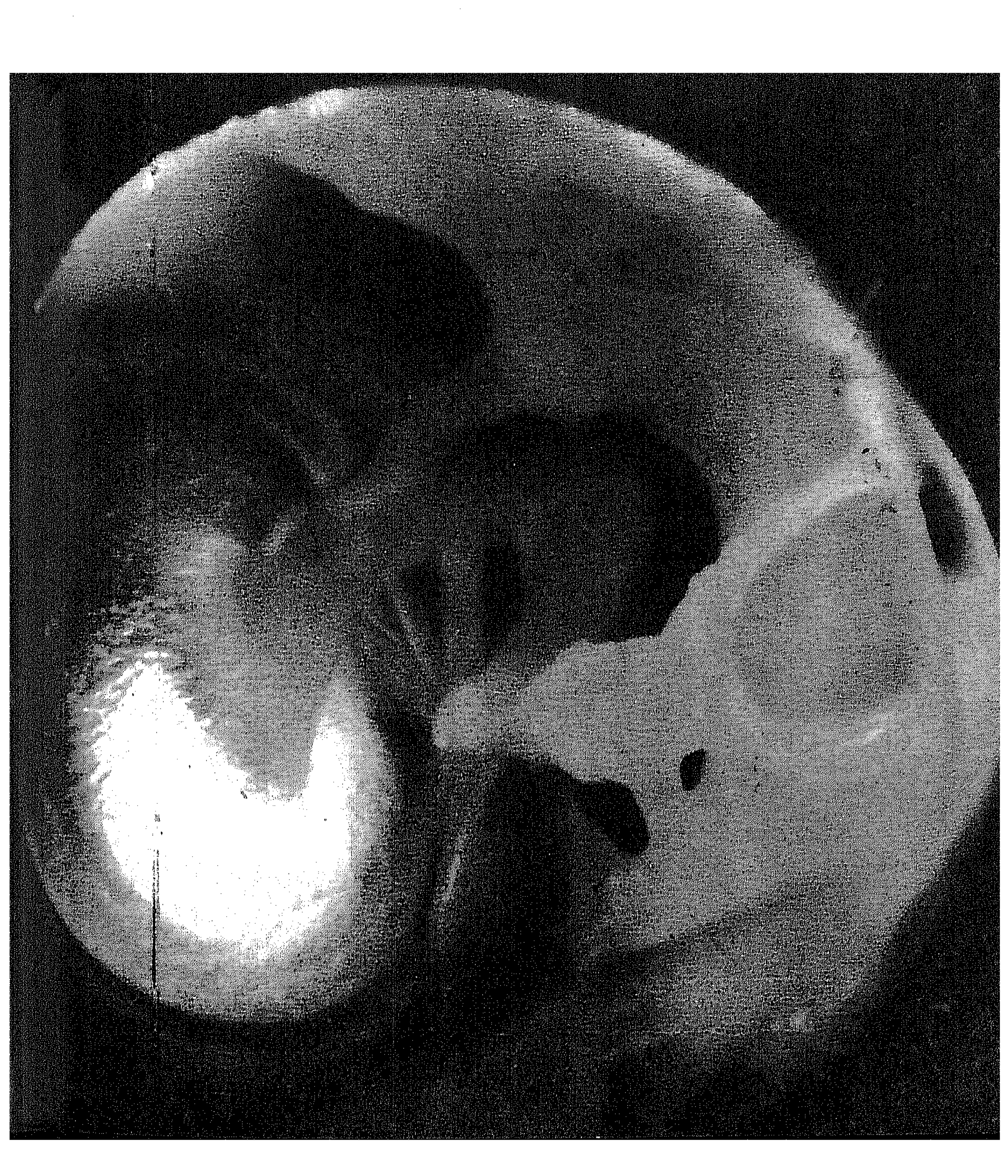
كل ما سبق من اذن خارجية (الصوان والقناة السمعية) واذن وسطى (الطبلة وعظيمات السمع) ما هو الا الجزء التوصيلى

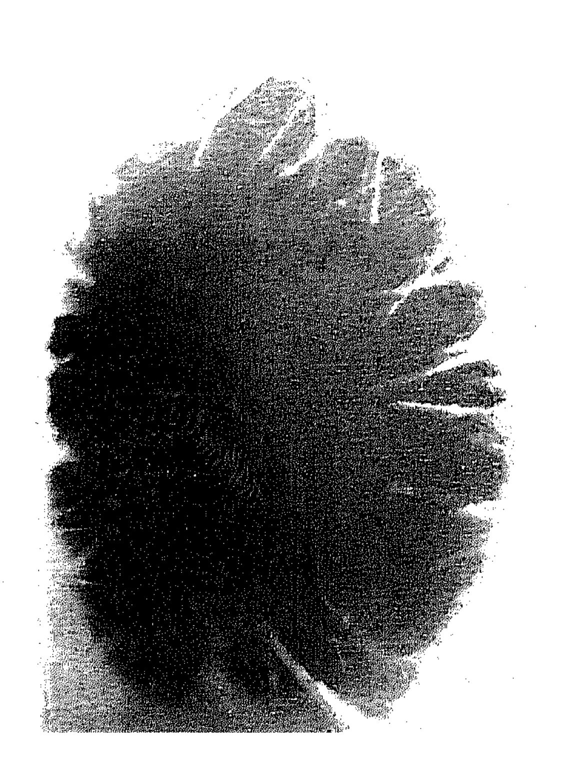
من جهاز الاذن الذى يوصل الصوت الى الجزء الاهم الذى به اعصاب السمع الذى تحس به
Perceptive Portion
وهو الاذن الداخلية Inner Ear

وان أردنا ان نبين الاعجاز فى تكوين الاذن الداخلية وفى عملها ، فلن نستطيع فى مثل هذه العجالة · ويكفى للدلالة على ذلك أنه مع تقدم التشريح وعلم وظائف الاعضاء بالنسبة لجميع الاعضاء الا ان الاذن الداخلية ظلت تحفظ سرها داخل القوقعة العظمية الصلبة الى عهد قريب ولم تبح الا بجزء يسير منه

مدخل الاذن : باب يأذن للاصوات في الدخول ويحول دون الحشرات ..

منظر مدخل الاذن : قناة ذات انحناءات كثيرة مكونة من نسيج غضروفي يغطيه جلد ، وهو يوصل الاصوات الى داخل الاذن ويحميها من الحشرات التى قد تدخل فيها ، فهى مغطاة بشعيرات تتحرك لدى ملامسة اى جسم غريب . لها حركات من اعلى الى اسفل ومن يمين لشمال ..



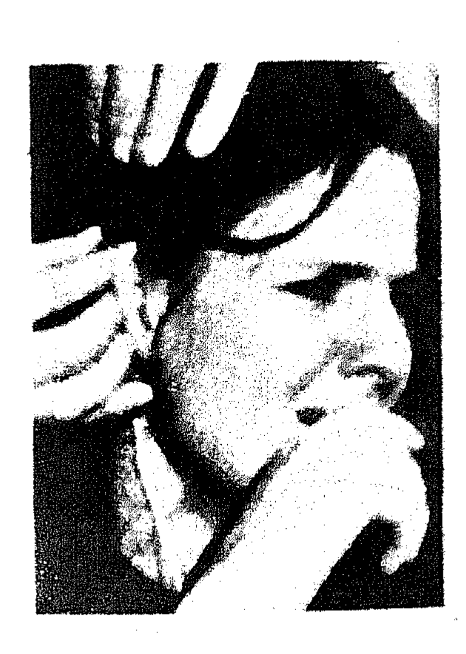


الصورة على اليسار ..
اصغر عظام الجسم

هي العظام الثلاث التي توجد خلف طبلة الاذن ، وهي المطرقة والسندان والركاب وهي عظيمات ثلاث مركب بعضها مع بعض على نحو دقيق . هذه العظيمات تكبر الاصوات عشرين مرة بطريقة تركيبها الفنية الفسيولوجية .

نسمة هواء تكفي :

هذه هي طبلة الاذن مكبرة عشرات المرات . حجمها الطبيعي دائرة قطرها حوالي سنتيمتر، وهي حساسة جدا تلتقط اقل صوت ، حتى صوت مرور اصبعك على صفحة كتاب . والاذن السليمة تسمع رفرفة جناح فراشة على بعد مترين ..



فتاة تعاني متاعب مرض السمع بعد فوات الاوان

الأذن

المهندس الماني مثابر ظل عشر سنوات يجرى التجارب ويعمل نماذج للاذن ويملؤها مرة بالماء ومرة بالجلسرين محاولا محاكاة لزوجة السائل التيرى (الموجود داخل الأذن الداخلية) فى خصائصه فى نقل الأصوات وتحويلها من ذبذبات ميكانيكية الى ومضات

كهربائية تسرى فى العصب السمعى الى المخ ، حتى ندرك للصوت احساسا بشدته وطبقته • ذلك العالم هو Békésy واليه يرجع الفضل فى فتح الباب امام فهم الأذن الداخلية •

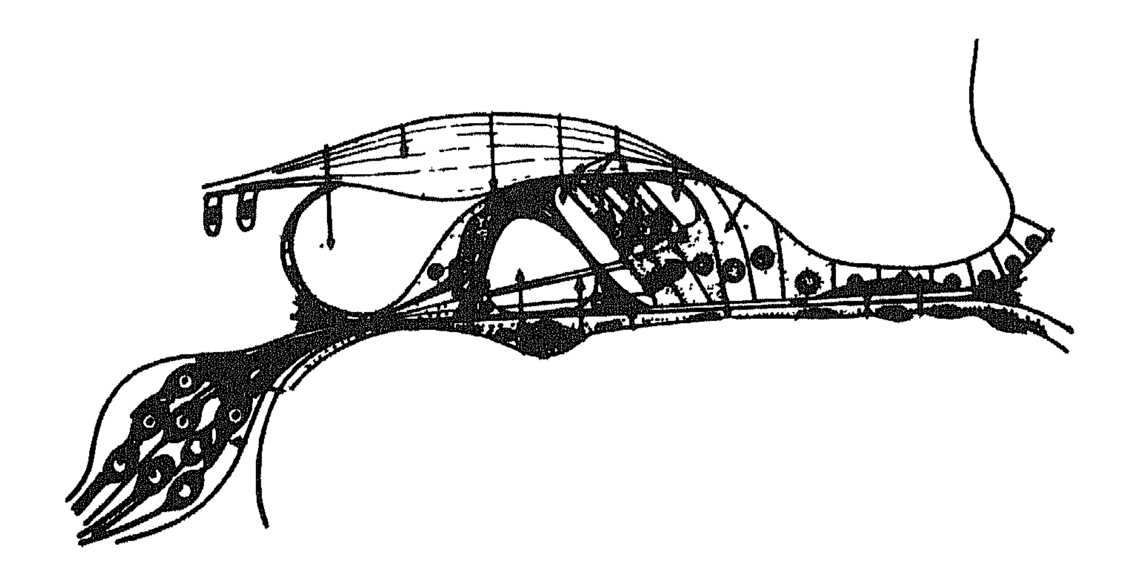
وتتكون الأذن الداخلية من جزءين متلاصقين

اسفنجية تعزله عن الأصوات الخارجية •وكذلك الأذن الداخلية موجودة داخل وعاء عظمى ..

هو أصلب عظم فى الجسم البشرى كله ويسمى العظم الصخرى Petroms bone ولا يوجد به الا فتحتان : فتحة عظمة الركاب لدخول الأصوات منها وفتحة مساعدة لها تسمى

المفتحة الدائرية • وزيادة فى الحيطة فان هذا الوعاء مملوء بسائل ومعلق به الأذن الداخلية

الغشائية التى تحتوى على أعصاب السمع • وبذلك تعزل الجهاز كلية عن أى صوت يأتى الا عن طريق الطبلة • ويكفى أن تعلم أن الدم



رسم يوضح القشرة الداخلية للاذن وقد بينت فيه بالتفصيل كل الأجزاء الداخلة فى تركيبها •

أحدهما جزء السمع • والآخر جهاز خاص بحفظ التوازن • وسنترك جهاز التوازن لمقال

آخر فهو عجيبة أخرى من عجائب الخالق • ونركز كلامنا الآن على جهاز السمع • الذى

يحوى من الخلايا والأهداب والأوتاروالشحنات الكهربائية ما يعجز الخيال عن تصوره وكلما

توغل العلم فى مداركه اكتشف آيات وآيات من اعجاز الله سبحانه وتعالى •

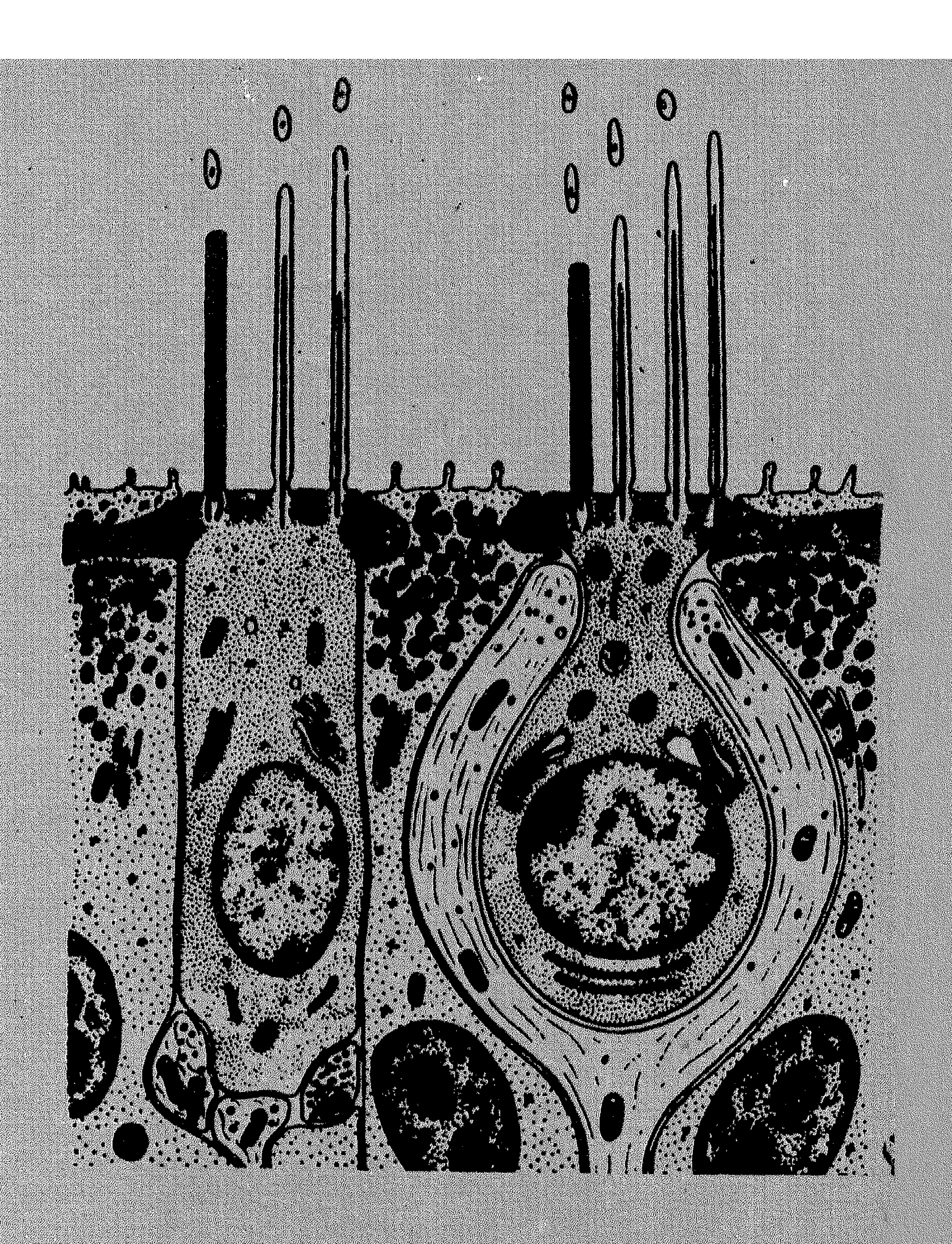
وكأى ستوديو اذاعى يحوى أجهزة دقيقة لابد أن يكون ذا حوائط سميكة ومبطنة بمادة

يسرى فى الشريان الراسى فى موضع لا يبعد أكثر من سنتيمتر واحد من جهاز السمع ، ولو

كبرنا مقياس التصور لوجدنا صوت سريان الدم فى هذا الشريان يفوق الضوضاء التى

تحدثها شلالات نياجرا ، ولولا احكام هذا العزل لحرمتنا هذه الضوضاء من النوم ولكانت تشويشا على أى صوت نسمعه •

والعزل الكهربائى محكم أيضا اذ أن السائل الخارجى الذى تعوم فيه الاذن الداخلية ذو شحنة كهربائية سالبة تمنع تسرب أى شحنات



رسم بين الخلايا الشعرية التي تنقسم الى نوعين : نوع يرمز اليه برقم «١» على يسار الرسم ونوع يرمز اليه برقم «٢» يوجد فى الكريستا وله اطراف اعصاب على هيئة ترام تسمى باسم كينوكيوم.

من الخارج الى داخل الاذن .

***

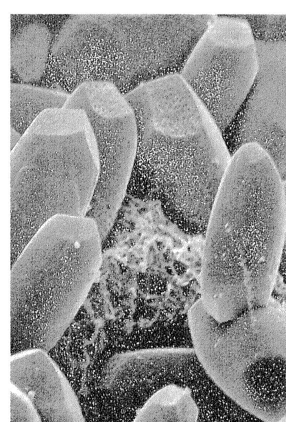
ولقد بدات معرفة الانسان بالاذن الداخلية عن طريق هلمهولتز Helmholtz الذى حاول تفسير كيفية تمييز الاذن للاصوات المختلفة بوضع نظرية الرنين . ولقد راى انه لو لم فرد القوقعة لكانت عبارة عن انبوبة متسعة من طرف وتضيق فى الطرف الآخر ويمتد داخلها حافتان عظميتان بينهما اوتار ليفية عددها ٣٥٫٠٠٠ وتر تكون الغشاء القاعدى الذى يقعد عليه جهاز السمع او جهاز كورتى Korti's Organ محاطا بالسائل التيهى الداخلى ويحيطه السائل التيهى الخارجى .

ولم يتوصل العلم بعد لمعرفة فائدة عكس



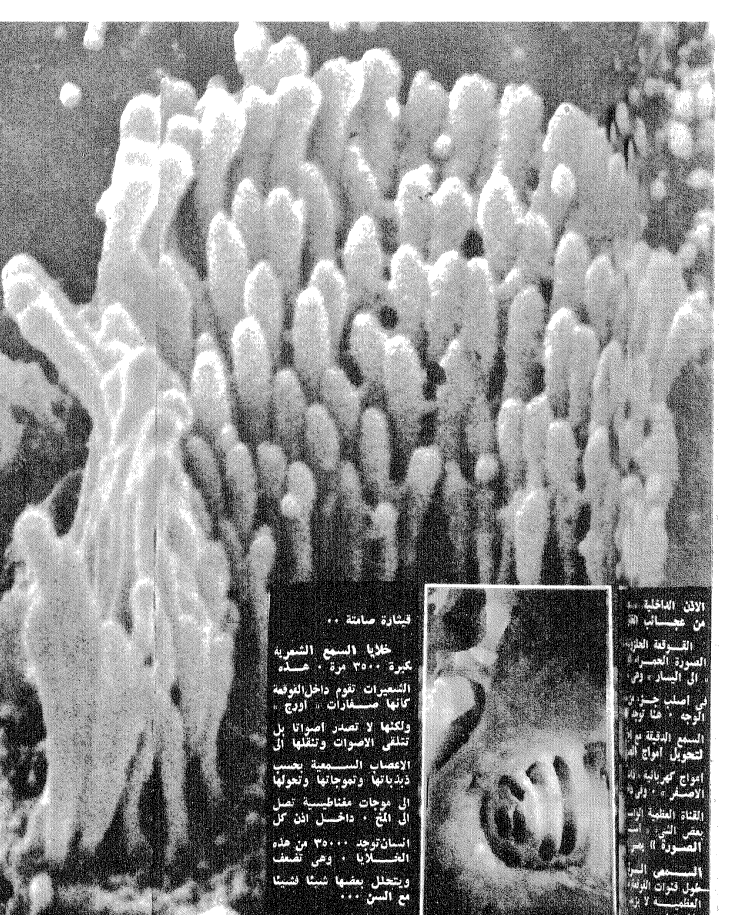
حتى لا تقع على الارض ..

هـذه القنوات النصف هـلالية تحفظ التـوازن وتحمينـا من السـقوط .. انها تتعاون بعضها مع البعض وهي تحتوى على سـائل متحرك بداخلها . في السائل شعيرات تتحرك في سرعة او بطء حسب حركة الانسان او وضعه ليظل محتفظا بتوازنه ..



فرجار (ابرجل) من البللور

داخل القنوات التي تكلمنا عنها في الصورة السابقة مبطن بطبقة عضوية توجـد فيها جسيمات بللورية عديدة مختلفة الاحجام والاوزان . هذه الجسيمات تتحـرك بحسب حركة الجسم ، فاذا احنيت راسك تحـركت البللورات الثقيلة الى اعلى وهبطت الخفيفة الى اسفل لتحفظ توازنك كما هو .. لان هذه الجسيمات البللورية تؤثر حركتهـا في عصب التوازن السمعي المؤدى الى ساحة التوازن بالمخ ..





الاذن الداخلية ... من عجائب ال...
القـوقعة الحلز... الصورة الحمـرا... الى اليسار » وهي في اصلب جـز... الوجه . هنا توجـ... السمع الدقيقة مع ... لتحويل امواج ال... امواج كهربائية ... الاصفر » . وفي ... القناة العظمية ال... بعض التي ... الصورة » يمـ... السمعي ال... طول قنوات القوقـ... العظميـة لا يز... ملليمترا ..

قيثارة صامتة ..

خلايا السمع الشعريه مكبرة ٣٥٠٠ مرة . هـذه الشعيرات تقوم داخل القوقعة كأنها صـفارات « اورج » ولكنها لا تصدر اصواتا بل تتلقى الاصوات وتنقلها الى الاعصاب السـمعية بحسب ذبذباتها وتموجاتها وتحولها الى موجات مغناطيسية تصل الى المخ . داخـل اذن كل انسان توجد ٣٥٠٠٠ من هذه الخـلايا . وهي تضعف ويتحلل بعضها شيئا فشيئا مع السن ...

وضع الألياف القصيرة ناحية الطرف الواسع للقوقعة والألياف الطويلة ناحية الجزء الضيق منها • وما حكمة ذلك وفائدته فى دقة السمع•

المهم ان هلمهولتز تصور ان الصوت الذى نسمعه يحدث رنينا فتهتز هذه الاوتار وتهز معها أعصاب السمع وان الاوتار القصيرة مشدودة شدا كبيرا مثل أوتار البيانو بحيث تحدث صوتا رفيعا ، وان الاوتار الطويلة مشدودة شدا بسيطا وعليها اثقال تجعلها اكثر تجاوبا مع الاصوات الغليظة • وعليه فان الوتر يهتز تبعا للصوت الذى يستطيع ان يتجاوب معه • وبذلك يمكننا ان نميز الاصوات •

ويعمل السائل مثل كاتم للرنين بحيث انه عند انتهاء الصوت تنتهى حركة الغشاء القاعدى ـ ولولا ذلك لكنا نسمع صدى لأى صوت نسمعه من استمرار تحرك هذه الاوتار •

ولقد ظهر فيما بعد ان حركة الاوتار هى حركة تموجية غاية فى الابداع والدقة بحيث ان رأس الموجة عند مجموعة من الاوتار يحدد نوع الذبذبة التى نسمعها • واتساع الموجة يبين شدة الصوت •

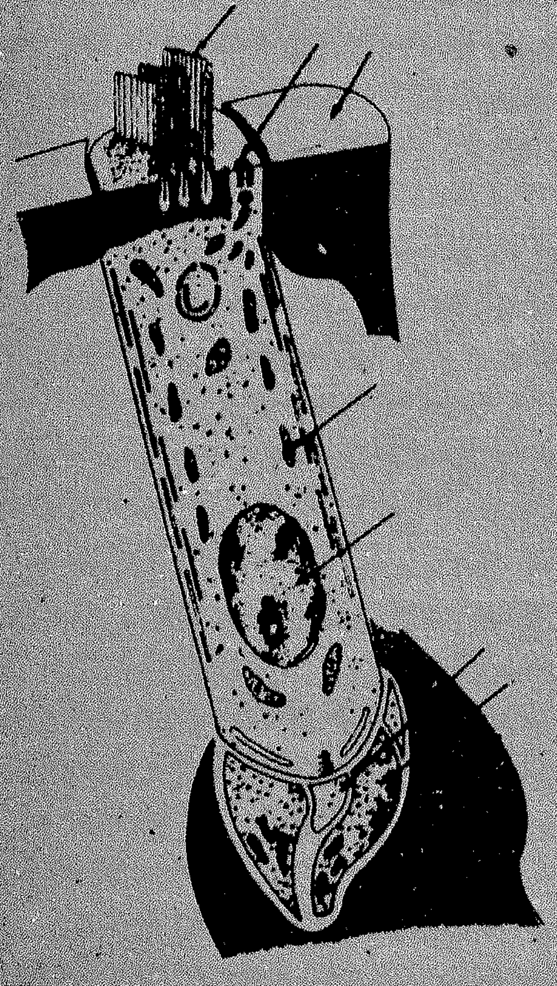
كل ذلك ايها القراء ولم نصل بعد الى جهاز كورتى نفسه ، وأعصاب السمع ذاتها •

ترى هل أصابكم الملل وترون أن نرجىء الكلام عنه الى وقت آخر ؟ أم أن تسلسل التركيب يستدعى اكمال الموضوع ؟ • سأحاول الا أطيل عليكم قدر استطاعتى •

يتكون جهاز كورتى هذا من خلايا شعرية Hair cells وخلايا حاملة Supporting cells والخلايا الشعرية سميت كذلك لأن فى طرفها عددا من الاهداب مثل فرشاة الأسنان ، وهناك حوالى ٢٠٫٠٠٠ خلية شعرية خارجية مرتبة فى ٤ أو ٥ صفوف يقابلها صف واحد من حوالى ٤٠٠٠ خلية داخلية متقابلة •

ومع اكتشاف الميكروسكوب الالكترونى الذى يكبر الأشياء الى ٥٠٫٠٠٠ مرة وجد أن وضع الشعيرات على الخلايا له ترتيب محكم وعدد ثابت من ١٠٠ ــ ١٥٠ فى الخلايا الخارجية و ٤٠ ــ ٦٠ فقط فى الخلايا الداخلية •

وبقياس الجهد الكهربائى وجد أن داخل الخلايا الشعرية ـ ٤٠ مللى فولت وخارجها + ٥٠ مللى فولت وهو اختلاف كبير عبر غشاء رقيق جدا يقوم بشحن خلايا تعمل عمل



رسم تفصيلى لخلية شعرية خارجية من خلايا الأذن الداخلية وتبدو فيها الاجزاء المكونة لها وأهمها الاستيريو سيليا فى الاعلى وتليها جسيمات باسال ثم خلية ديتر ثم ميتوكوندريوم والنواة ثم نهايات الاعصاب السمعية •••

البطارية • وهذا الاختلاف فى الجهد هو العامل الأساسى فى تحويل الموجات الميكانيكية الى تيار كهربائى فان أى تحرك بسيط فى وضع الخلايا أو ميل الشعيرات يسبب تغييرا فى غشاء الخلية وينتج عنه سريان تيار كهربائى نتيجة لاختلاف الجهد شدته (٩٠ مللى فولت)



تشوه الخلايا نتيجـــة اصابة بفيروس الحصبة الالمانية التى يسبب الصمم..

عبر عدد كبير من اعصاب السمع ويصل هذا التيار الكهربائى الى مركز السمع بالمخ محدثا الاحساس بالسمع ٠

ذلك هو باختصار شديد عمل الاذن الداخلية ٠٠ ولكن لايزال فى الجعبة الكثير من الاسرار التى لم يتوصل العلم الى فائدتها ٠ فمثـــلا اتصال الخليــة الشعرية بالعصب السمعى ٠ فاحيانا يكون طرف العصب على هيئــة كوب يحيط بقاعدة الخلية او بها كلها ٠

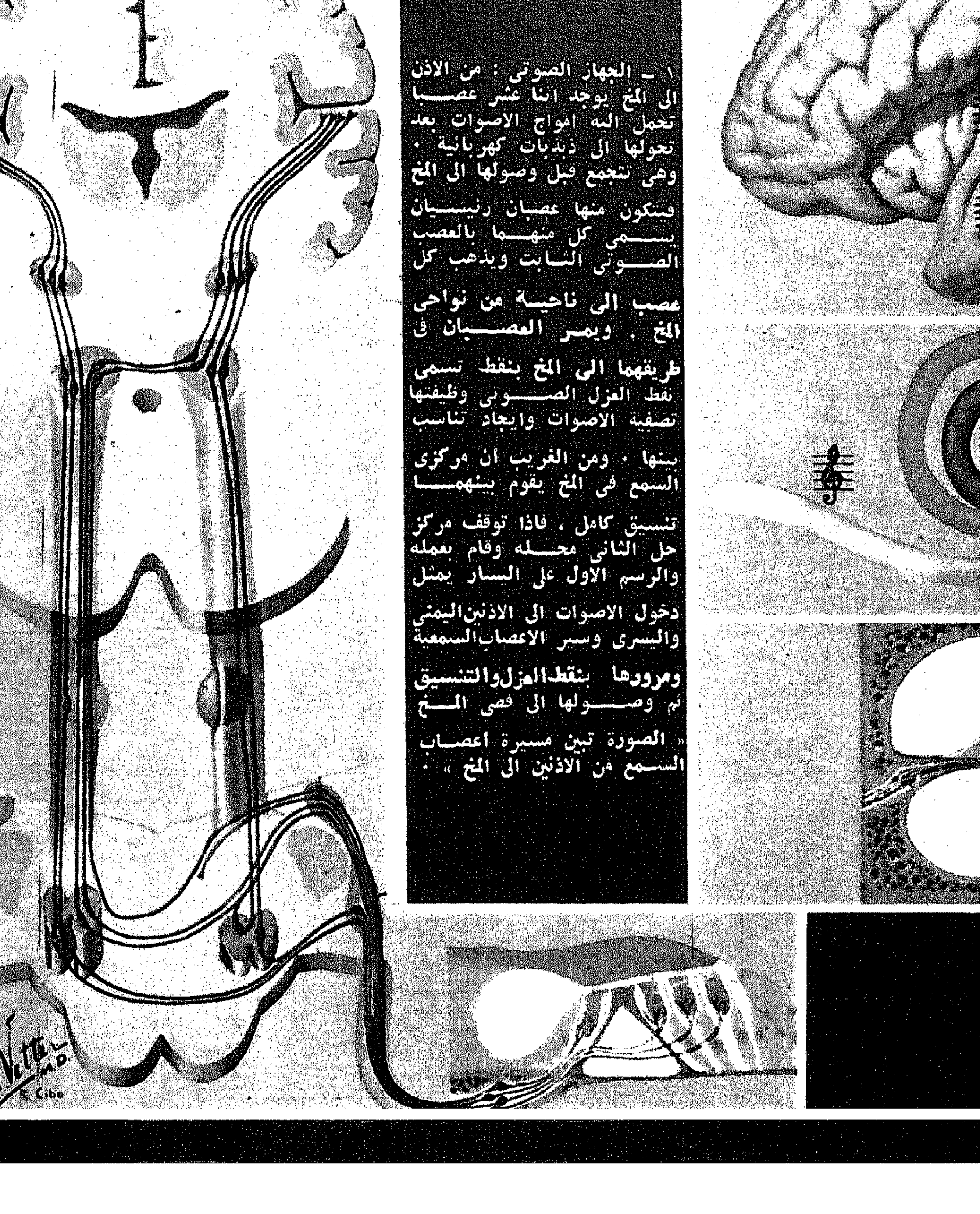
فلماذا هذا الاختـــلاف ٠ وما فائدته فى توصيل الشحنة الكهربائية ، وفائدته فى تمييز الاصوات ٠؟

هناك ايضا مجالات فى حاسة السمع مازالت تحت البحث ، مثل كيفية تحديد اتجاه الصوت٠ وقد فسر ذلك على أن الصوت يصل الى احدى الاذنين قبل الأخرى ولو وصفنا ذلك بالحساب فان سرعة الصوت وهى ٣٣٠ مترا فى الثانية ولو فرضنا أن المسافة بين الاذنين هى تقريبـا ٢٠ سم ٠ لكان معنى ذلك أن الصوت وصل الى الأذن اليمنى فى مـدة ٣٣٠ × ٥ = ١٦٥٠ أى ١/ ١٦٥٠ من الثانية قبل الأخرى ٠

اما اذا كان الصوت الى الامام قليـلا لكان وصول الصوت الى الاذنين فى فتـــرة اقصر لتصل الى ١/ ٥٠٠٠ من الثانية ٠

ولابد أن هناك خلايا فى المخ تربط بين وقت وصول الصوت فى الاذنين وهى من الدقة بحيث يمكنها حساب هذه الفروق البسيطة ومنهـــا يمكن تحديد اتجاه الصوت ٠

ولو نظرت ايها القارىء العزيز الى الاجهزة الكهربائية والالكترونيـة المعقدة والبـــالغة الضخامة المتصلة بالرادار والتى من وظيفتها تحديد اتجاه جسم ما لادركت عظم المعجـــزة المتمثلة فى الاذن على صغر حجمها ٠ ممـــا جعلها بحق من عجـــائب الجســم البشرى ، وجعلها الاولى بين النعم التى يمن الله علـى عبـــاده بهـــا ٠٠ مصـــداقا لقوله : « وخلق لكم السمع والابصار والافئدة قليـــلا ما تشكرون » ٠٠٠٠



مركز السمع فى أحد فصى المخ مكان المركز معين بصورة مفتاح موسيقى ..
الاصوات مرسومة بالالوان ..
اللون الازرق : الذبذبات العميقة ، الاصوات العريضة المنخفضة
اللون الاحمر : الذبذبات المتوسطة ، الاصوات العادية
اللون الاصفر : الذبذبات العالية ، الاصوات العالية الحادة
والرسم يمثل قطاعا مستعرضا فى القوقعة اوالحلزون .. قطاع فى الغشاء اللمسى

مع الأدباء والشعراء والفلاسفة

● امين سلامة ●

● تلقى الكاتب الفكه ماركتوين خطابا كان موجها الى شخص آخر ، ففتحه وقرأه ثم اغلقه ثانية وكتب على الغلاف : فتحته خطا .. كي اعرف ما بداخله !.

***

● فى مساء يوم صدر فى صباحه كتاب جديد لفيكتور هوجو ، لم يسع المؤلف الشهير ان يتغلب على رغبته الشديدة فى السؤال عن سير البيع ، فرسم على بطاقة : ((؟)) وارسلها الى ناشر مؤلفاته .

فجاءه رد الناشر : ((!))

***

● مرض النعمان بن المنذر ، فذهب الشاعر ((النابغة الذبيانى)) لزيارته ، فمنعه ((عصام)) حاجب النعمان ، من الدخول عليه ، فقال النابغة لعصام :

فانى لا ألومك فى دخول
ولكن ما وراءك يا عصام !

***

● كان ((لابوبنيير)) شاعرا فرنسيا فقيرا ، كثيرا ما كان ينام ليلة دون أن يتناول شيئا من الطعام حتى اصبح الجوع عنده عادة الفها .. والتقى ذات مرة بصديق له كان يعرف حالته ويشفق عليه فدعاه الى تناول طعام الغداء معه ، ولكن ((لابو بنيير)) شكره واعتذر قائلا :

ــ ممنون يا صديقي .. فقد تغديت امس !

***

● كان ابو نواس يسير فى الطريق يوما فرأى رجلا ثملا يترنح ويتعثر فاخذ يضحك منه ضحكا شديدا ، فقيل له :

ــ ما الذى يضحكك من شان هذا الثمل وانت مثله فى كل يوم ؟!

فقال : تلك اول مرة ارى فيها ثملا فانى اسكر قبل الناس وافيق بعدهم!

***

● كان المرحوم احمد شوقى مقلا فى باب الهجاء ، ولكنه كان عنيفا ، ومؤلما فى اهاجيه ، من ذلك ابياته الاربعة التى أرسلها الى المحتفلين بتكريم احمد فتحى زغلول ((باشا)) فى فندق شبرد على أثر ترقيته وكيلا لوزارة الحقانية ، وقد كانت هذه الترقية هى الاجر الذى قدمه اليه الانجليز على اثر الحكم الذى اصدره على اهل دنشواى:

((اذا جمعتم امركم وهممتموا
باهداء شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة
وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تكتبوا شيئا اليه فحسبه
من الكتب حكم خطه بيمين
ولا تقراوه فى ((شبرد)) بل اقرأوا
على ملأ فى دنشواى حزين))

***

● سئل شاعر : ((كيف أصبحت ؟)) فقال : أصبحت والله اظرف الناس واشعر الناس وأدب الناس ! .. فقال السائل : ((اسكت حتى يقول الناس ذلك)). فقال : ((أنا منذ ثلاثين سنة انتظر ان يقول الناس وليسوا يقولون))

• المستشار اسماعيل الخطيب •

الكسب غير المشروع

بين التشريع الإسلامى والقانون

يوجب الاسلام ان يكون المسلم ذا ضمير يقظ تصان به حقوق الله وحقوق الدولة التى ينتمى اليها وحقوق الناس . ومن ثم اوجب على المسلم ان يكون امينا ..

والامانة فى نظر الشارع الاسلامى واسعة الدلالة . وهى ترمز الى معان شتى ولكن مناطها جميعا شعور المرء بتبعته فى كل امر يوكل اليه «وادراكه الجازم بانه مسئول عنه امام ربه» وامام الناس .

ومن الامانة الا يستغل الرجل منصبه الذى عين فيه لجر منفعة الى شخصه . فان التشبع من المال العام جريمة فى حق الله . وحق الامة .

والاسلام ينظر الى المال على انه عصب الحياة وقوامها وضرورة من ضروراتها . فى أيدى الاحاد قوة للامة كلها ، وفى أيدى الامة قوة لافراد الشعب . ولذلك يدعو الاسلام الى الكسب والتحصيل سواء كان ذلك عن طريق الزراعة أو اى الصناعة أو التجارة أو الوظيفة أو أى وسيلة من الوسائل المشروعة . وكل ما شرطه المشرع الاسلامى فيما يتصل بالكسب شرطان :

الاول : الا يلهى عن حق الله . والا يصرف عن القيم الخلقية الصالحة .

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله » .

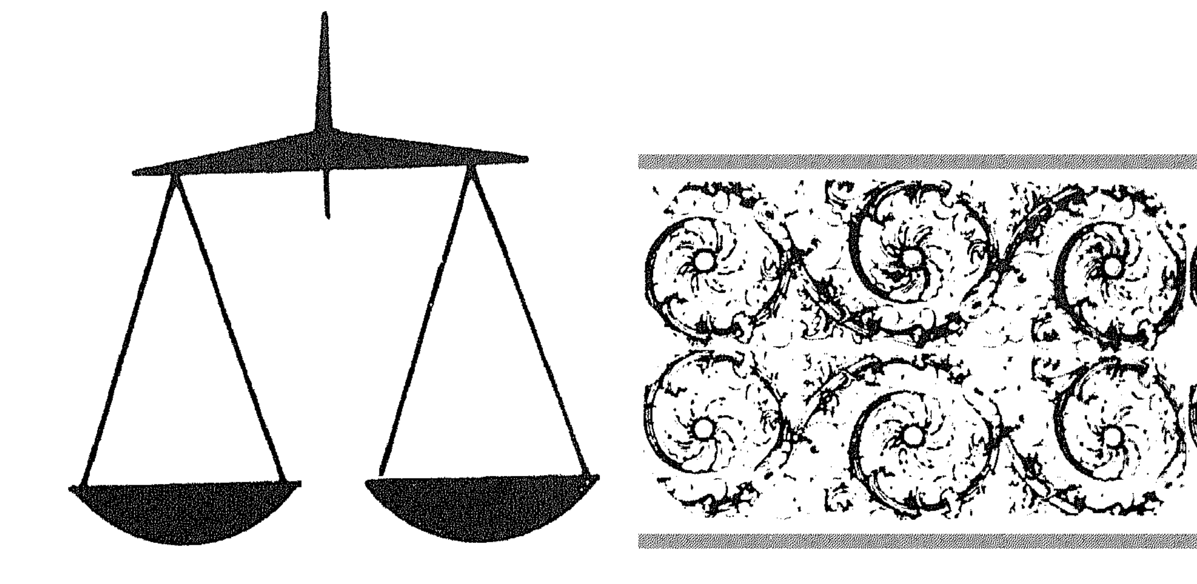
« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» واقام الصلاة وايتاء الزكاة . يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار » .

الثانى : أن يكون الكسب عن طريق مشروع ، كى لا يضار الافراد ولا الجماعات ولا يخل بالقانون العام .

وان كان المال سيطرة على النفوس وفتنة على القلوب فانه لا تكمل به السعادة ، فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ، وهى التى يجب أن تبتغى ، وهى فى متناول الاغنياء والفقراء « وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى . الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » .

وفى شرط الكسب المشروع يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« من اصاب مالاً من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو انفقه فى سبيل الله جمع ذلك جميعا ثم قذف به فى نار جهنم » .



وقال عليه الصلاة والسلام « اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الفرز (الركاب) وقال : لبيك ! ناداه ملك من السماء : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك » .

من أين لك هذا ؟

راعى التشريع الاسلامى ضعف النفس البشرية أمام المال وفتنته وسيطرته . فنظم الكسب ومصادره . ونظم العلاقة فى هذا السبيل تنظيما دقيقا ووضع لذلك الضوابط والأسس والاحكام التى تحكم التعامل بين الناس. وبين الناس والدولة .

وكان من الطبيعي وقد جاء الاسلام ليرسى قواعد الامن والايمان والعدل والحرية . ويصون الحقوق لاهلها أن يكون قانون من اين لك هذا ؟ ضمن قوانين الاسلام وتشريعاته . وطبق هذا القانون منذ قيام الدولة الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء وسائر الحكام الذين جاءوا بعدهم .

بعد اتساع الحدود للدولة الاسلامية بدأ التطبيق العملى لممارسة شئونها .

وعهد النبى صلى الله عليه وسلم الى ابن الاثبية الازدى بجمع الصدقة. فلما قدم قال : هذا لكم . وهذا اهدى الى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: « فهلا جلس فى بيت ابيه او بيت امه فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ .. والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منه شيئا الا جاء يحمله يوم القيامة على رقبته. ان كان بعيرا له رغاء . او بقرة لها خوار . أو شاة تبعر » ثم رفع يديه قائلا : اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت» .

وهذا الذى حدث يعطينا المثل الحى والتطبيق العملى لما يجب أن يفعله الحاكم مع أعوانه الذين يساعدونه فى تصريف الامور . فالحاكم يتحمل مسئولية من يختارهم لمعاونته ..ولذا فان عملية الاختيار شاقة وعسيرة تستدعى المعرفة التامة بأدق التفاصيل لحياتهم وميولهم وحسن تصريفهم وامانتهم ولذا قالوا « الحاكم بمن حوله أو بأعوانه » وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم « ما استبعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له عصابتان ، عصابة تأمره بالمعروف وتحثه عليه ، وعصابة

تامره بالمنكر وتحثه عليه ، والمعصوم من عصم الله » .

وتعميقا للايمان بهذا الهدف الاسلامى كانت صيحة الخليفة العبقرى عمر بن الخطاب منذ قرون عديدة «من أين لك هذا ؟ » اطلقها فى صدر الدولة الاسلامية فى وجه كل من كان يتمتع بقسط من السلطة العامة .

نقد جاء عمر رضي الله عنه ليضع لنفسه دستورا في الحكم مفاده ان الحكم محنة للحاكم ومحنة للمحكومين. لانه لا يصلح الا بشدة لا جبرية فيها . ولين لا وهن فيه . وأن الحاكم مسئول عن مساعديه واحدا واحدا فى كل صغيرة وكبيرة .

قال عمر مرة لما حوله « ارأيتم اذا استعملت عليكم خير من اعلم ثم أمرته بالعدل . اكنت قضيت ما على. قالوا : نعم . قال : لا ، حتى أنظر فى عمله اعمل بما امرته ام لا » .

وقد كان ينصح الوالى ويضع له دستور التعامل مع الناس فيقول له : « افتح لهم بابك ، وباشر أمورك بنفسك . فانما انت رجل منهم غير أن الله جعلك اثقلهم حملا » .

وبعد ذلك كان عمر يراقب دائما اموال الولاة فيحصيها قبل التولية وبعدها ويحاسبهم على ما زادوه بعدها فيما لا يدخل فى عداد الزيادة المشروعة وكان بعضهم يتعلل بالتجارة فيرافض عمر ذلك قائلا لهم :

« انما بعثناكم ولاة . ولم نبعثكم تجارا » ثم يضم الزيادة الفاحشة الى بيت المال .

نظام المقاسمة

وقد سن عمر بن الخطاب نظاما عرف بنظام المقاسمة وذلك بعمل احصاء دقيق لثروة الولاة قبل توليتهم.

ثم الزامهم عند اعتزالهم اعمالهم بدفع نصف الاموال التى جمعوها اثناء ولايتهم والتى لا تسمح بها رواتبهم ، وقد قاسم عمر عمرا ماله ، يقول البلاذرى « كان عمر بن الخطاب يكتب اموال عماله اذا ولاهم . ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك وربما اخذه منهم فكتب الى عمرو بن العاص . « انه فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن لك حين وليت مصر » فكتب اليه عمرو بن العاص « ان ارضنا ارض مزدرع ومتجر . فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا » فكتب اليه عمر :

« انى قد خبرت من عمال السوء ما كفى . وكتابك الى كتاب من اقلقة الاخذ بالحق . وقد سؤت بك ظنا . وقد وجهت اليك محمد بن سلمة ليقاسمك مالك . فاطلعه طلعة. واخرج اليه يطالبك . واعفه من الغلظة عليك فانه برح الخفاء » فقاسمه ماله .

وكثيرا ما كان يلجأ عمر الى الحيلة التى تنم عن ذكاء وحرص تامين على اموال المسلمين . فقد كان أبو سفيان فى زيارة ابنه معاوية والى الشام وجاء فدخل المدينة ليلا . فارتاب فى أمره . ثم جاء أبو سفيان مسلما فقال له عمر « اجزنا يا أبا سفيان » قال : ما أصبنا شيئا فنجيزك . فمد عمر يده الى خاتم أبى سفيان فأخذه وبعثه الى هند زوجة أبى سفيان مع احد عماله وأمره أن يقول لها باسم زوجها انظرى الخرجين اللذين جئت بهما فابعثيهما . فعاد الرجل بهما وفيهما عشرة آلاف درهم فوضعها عمر فى بيت المال .

وكان عمر يرصد للولاة الرقباء والعيون من حولهم ليبلغوه ما ظهر من امرهم . حتى كان الوالى من كبار

الولاة وصغارهم يخشى من أقرب الناس اليه ان يرفع نباه الى الخليفة.

وكان يندب لهم وكيلا خاصا يجمع شكايات الشاكين منهم ويتولى التحقيق والمراجعة فيها ليستوفى البحث فيما ينقله الرقباء والعيون .

وكان يأمر الولاة والعمال أن يدخلوا بلادهم نهارا اذا عادوا اليها من ولايتهم ليظهر معهم ما حملوه فى عودتهم .

كان عمر يستقدم الولاة فى كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم وليسمع ما يقولون . وما يقال فيهم . وعليهم شهود ممن يشاء أن يحضر الموسم من أهل البلاد .

وكانت سنته اذا ثبت على الوالى شبهة تصرف فى بيت مال المسلمين مصادرة المال الذى ظفر به أو يقاسم الوالى فيما أربى على كسبه المعقول وهذا عدا العزل والعقاب .

***

اما الأمويون فقد سنوا نظاما غاية فى الدقة للاشراف على جباية الخراج، ففى عهد عبد الملك بن مروان كان يجرى تحقيق دقيق مع الجباة وموظفى الخراج عند اعتزالهم أعمالهم الادارية. وكانوا يعذبون حتى يقروا باسماء من أودعوا عندهم ودائعهم وأموالهم . ويردوا الى بيت المال ما سلبوه من الاموال . وهو ما يسمى بالاستخراج أو التكشيف . ولكن هذا النوع من التحقيق تجاوز الحدود المشروعة وغدا من شر الوسائل للأخذ بالثار والانتقام الشخصى .

وكان خالد بن عبد الله القسرى والى العراق يتناول راتبا سنويا قدره ٢٠ مليون درهم بينما كان ما يختلسه يتجاوز ١٠٠ مليون درهم .

وقد أمر يوسف ابن عمر بحبسه ومعه ثلاثمائة وخمسون من موظفيه وصادر منه اكثر من ٧٠ مليون درهم وضمه الى بيت مال المسلمين .

وهكذا سبق الاسلام كل المذاهب والنظريات والقوانين الوضعية الى الرقابة على الانفاق . والرقابة على الاجهزة الحاكمة . والحفاظ على المال العام . فنجح فى ذلك كثيرا لأنه لم يستثن من القانون احدا ..

قانون الكسب غير المشروع

عرفت مصر تشريع الكسب غير المشروع لاول مرة فى القانون رقم ١٩٣ لسنة ١٩٥١، وسرعان ما عدلت احكام هذا القانون بموجب المرسوم بقانون ٣٥ لسنة ١٩٥٢ والمرسوم بقانون ٤٧ لسنة ١٩٥٢ لتشكيل مكتب الكسب غير المشروع بوزارة العدل .

وقد توالت التعديلات على هذا القانون بموجب القوانين ١٥٠ لسنة ١٩٥٢ ، ١٩١ سنة ١٩٥٢ ، ١٨٠ سنة ١٩٥٣ ، ١٧١ سنة ١٩٥٧ . وبمناسبة صدور القوانين الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ صدر القانون رقم ١٤٨ سنة ١٩٦١ ثم صدر قانون الكسب رقم ١١ سنة ١٩٦٨ الذى أعيد فيه على ما جاء بمذكرته الايضاحية النظر فى مفهوم الكسب غير المشروع . والعقوبة المقررة له . ولكن التطبيق العملى لهذا القانون وقلة ما كشف عنه من حالات الكسب غير المشروع قد دلت بجلاء على عجزه عن تحقيق الاهداف المرجوة الامر الذى استوجب اعادة دراسته على نحو شامل لسد ما فيه من اوجه النقص والغموض فصدر القانون الحالى رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٥ .

قطوف من لغتنا الجميلة

فاروق شوشة

دمعة على غرناطة العرب

من كبار شعراء اسبانيا فى العصر الحديث الشاعر : فيلا سباسا الذى يرجع أصله الى سلالة العرب الذين تخلفوا فى اسبانيا ، وتجنسوا بجنسية أهلها ، لكنه ظل وفيا لأصله باكيا العرب فى شعره وخطبه واحاديثه ، مفتخرا بانه من سلالتهم .

وقصيدته « غرناطة العرب » احدى دمعاته اللؤلؤية على العصر الذهبى الذى كان لغرناطة أيام حكم أجداده العرب المسلمين ، وقد ترجمها الى الشعر العربى فى صياغة شعرية عذبة ، ومحافظة على روحها المتوهجة ، ونبض شاعريتها الأصيلة الجياشة ، الشاعر فوزى المعلوف ، فأتاح للقارىء العربى ان يطالع هذا النص الشعرى الفريد وان يعيش تجربة صاحبها الذى يعزف على وتر الأشجان ويحرك الهمم الساكنة ويدفعنا الى التأمل فيما كان وفات ..

يقول فوزى المعلوف فى ترجمته لرائعة الشاعر الأسبانى فيلا سباسا :

غرناطة ، أواه غرناطة
لم يبق شىء لك من صولتك
هل نهرك الجارى سوى ادمع
تجرى على مادال من دولتك
والنسمة الغادية الرائحة
هل هى الا زفرة نائحة
ما عدت فى النهر كسلطانة
جبهتها فى مائه ساطعة
للقبة الحمراء فى تاجها
وهج وللمئذنة اللامعة
آه على امجادك الضائعة
شيعتها بالنظرة الدامعة
مرت مرور النهر من جسره
واورثتك الدمع فى عزلتك
غرناطة ، أواه غرناطة
لم يبق شىء لك من صولتك

***

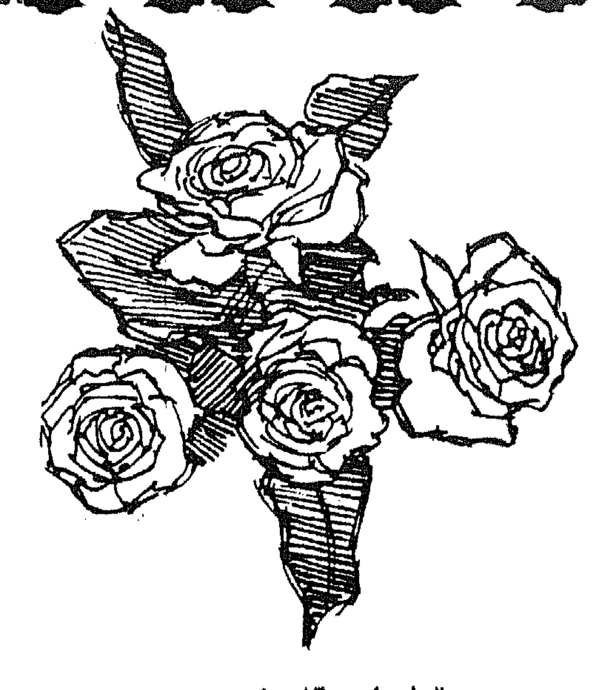
لله حمراؤك تحسو الاسى
وحيدة فى الروضة الخالية
لم يبق لا زهوة ندمانها
ولا صدى اعيادها الماضية
ولم يعد للحب فيها أنين
ينقله العود عن العاشقين
بينا يجيل البدر الحاظه
باهتة فى المرمر اللامع
بين أريج الزهر المنتشى
وبين شدو البلبل الساجع
وقصرها الخاوى بارجائه
كم غمر الليل بضوضائه
اذ الجوارى خاطرات على
سجاده جارية جاريه
اروع مافى الشرق من رقصة
تنسجها اقدامها العارية

من حياة حاتم

جىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسفانة بنت حاتم الطائى فقالت :

يامحمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رايت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى احياء العرب ، فان أبى سيد قومه : كان يفك العانى ، ويحمى الدمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يطلب اليه طالب قط حاجة فرده ، أنا ابنة حاتم طىء

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياجارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك اسلاميا لترحمنا عليه . خلوا عنها ، فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق !



ويقول ابن الاعرابى .

كان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جوادا يشبه جوده شعره ، ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفرا : اذا قاتل غلب ، واذا غنم انهب ، واذا ضرب بالقداح فاز ، واذا سابق سبق ، واذا أسر اطلق ، وكان اقسم بالله : لا يقتل واحد امه . وكان اذا أهل رجب نحر فى كل يوم عشرة من الابل وأطعم الناس واجتمعوا عليه .

***

وكان أول ما ظهر من جود حاتم ان اباه خلفه فى ابله — وهو غلام — فمر به جماعة من الشعراء فيهم : عبيد بن الابرص وبشر بن أبى خازم والنابغة الذبيانى يريدون النعمان بن المنذر فقالوا له : هل من قرى ؟ فقال : اتسألوننى القرى وقد رأيتم الابل والغنم .. انزلوا .

فنزلوا ، فنحر لكل واحد منهم ، وسألهم عن أسمائهم ، فأخبروه

وجاء ابوه فقال : ما فعلت ؟

قال : طوقتك مجد الدهر ، تطويق الحمامة . واخبره بالامر .

فقال ابوه : اذن لا اساكنك بعدها ابدا ، ولا اؤويك

فقال حاتم : اذن لا ابالى !

***

وكانت امراة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمال وحسب ومال ، فاقسمت ألا تزوج نفسها الا من كريم ، ولئن خطبها لئيم لتجدعن انفه . فتحاشاها الناس ، حتى خرج اليها زيد الخيل وحاتم وأوس بن حارثة الطائيون فارتحلوا اليها .

فلما دخلوا عليها قالت : مرحبا بكم ، ما كنتم زوارا ، فما الذى جاء بكم ؟

قالوا : جئنا زوارا خطابا ..

قالت : اكفاء كرام . ثم أنزلتهم وفرقت بينهم ، واسبغت عليهم العطاء ،

فلما كان اليوم الثانى بعثت احدى جواريها متنكرة فى زى سائلة تستجدى وتتعرض لهم ، فرفع اليها زيد وأوس بعض ما حمل الى كل واحد منهما ، فلما صارت الى حاتم دفع اليها جميع ما حمل اليه .

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها فقالت : ليصف كل واحد منكم نفسه فى شعره . فابتدر زيد وانشأ يقول

هلا سالت بنى ذبيان ما حسبى
عند الطعان اذا ما احمرت الحدق
والجار يعلم انى لست خاذله
ان ناب دهر لعظم الجار معترق

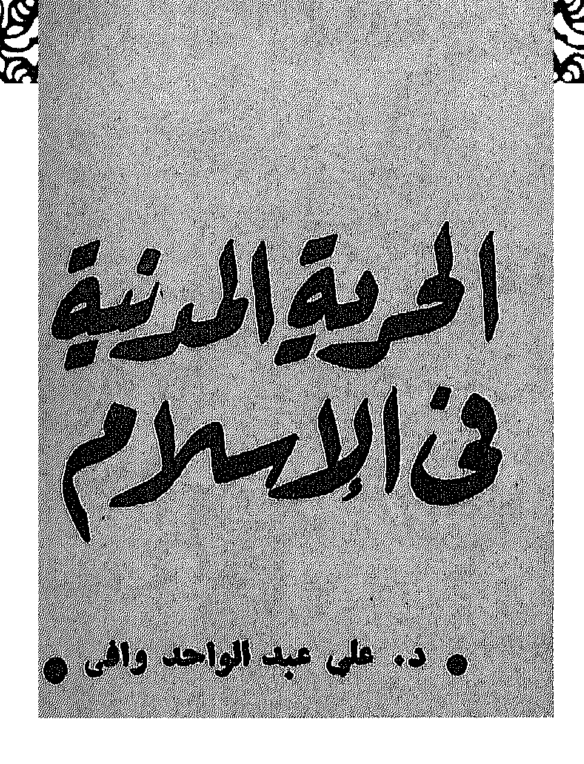
وقال أوس بن حارثة : أنا الذى يقول فيه الشاعر :

الى أوس بن حارثة بن لام
ليقضى حاجتى ، ولقد قضاها
فما وطىء الحصى مثل ابن سعدى
ولا لبس النعال ، ولا احتذاها

وانشأ حاتم يقول :

اماوى ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
اماوى انى لا اقول لسائل
اذا جاء يوما : حل فى مالى النذر
اماوى ما يغنى الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما
اراد ثراء المال كان له وفر
اماوى ان المال مال بذلته
فاوله شكر وآخره ذكر

فقالت : انت ياحاتم مرضى الاخلاق محمود الشيم ، كريم النفس ، وقد زوجتك نفسى ! ....



يقصد بكلمة الحرية المدنية حالة الرشد القانوني التي تجعل الشخص اهلا لاجراء الحقوق وتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول ، والتصرف فيما يملك .. هذا ولا نجد شريعة من شرائع العالم قديمه وحديثه قد وصلت في مبلغ احترامها لحق الحرية المدنية للفرد الى ما وصلت اليه الشريعة الاسلامية . فالاسلام قد اعطى هذا الحق جميع افراد الناس ماعدا الصبي والمجنون والسفيه . والسفيه هو المبذر لأمواله والذى ينفقها في وجوه لا تحقق نفعا له ولاهله ... وقد استثنى الاسلام هؤلاء رحمة بهم ورعاية لمصلحتهم هم ومصلحة ورثتهم ، ومصلحة المجتمع ، ومصلحة النظام الاقتصادى العام ... بل ان الامام الاعظم ابا حنيفة النعمان ، قد ذهب الى انه لا يجوز الحجز على السفيه ، معللا مذهبه هذا بان في الحجز عيبا ، وهو انسان عاقل بالغ فالحجز عليه اهدار لآدميته والحاق له بالبهائم ، وان في هذا الاهدار وهذا الإلحاق ضررا انسانيا بليغا يزيد كثيرا على الضرر المادى الذى يترتب على سوء تصرفه في امواله وانه لا يصح أن يدفع ضرر بضرر اعظم منه ... وهذا اتجاه اجتماعي جليل من الامام الأعظم ، وقد استوحاه من روح الاسلام وحرصه على احترام الحرية المدنية للأفراد .

وقد سوى الاسلام في حق الحرية المدنية بين الرجل والمرأة ، لا فرق في ذلك أن تكون المرأة متزوجة أو غير متزوجة ، وقضى الاسلام بذلك على الآراء الفاسدة التي كانت سائدة في كثير من الشرائع السابقة له ، والتي كانت تفرق بين الناس في حق الحرية المدنية تبعا لاختلاف أجناسهم وطبقاتهم أو تبعا لتفاوتهم في الاحساب والانساب . قضى الاسلام على جميع هذه الآراء وجعل الناس سواسية في هذا الصدد وعاملهم جميعا على قدم المساواة ، وفي هذا يقول الله تعالى :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » اي لن يفتخر بعضكم على بعض ولن يكون لبعضكم من الحقوق المدنية أكثر مما للآخر « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع ، التي لخص فيها طائفة من أهم الاحكام الاسلامية ، والتي شاء أن يجعلها دستورا للمسلمين من بعده :

« ايها الناس ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعجمي على عربي ولا لعربي على عجمي ولا لأحمر على ابيض ولا لأبيض على احمر الا بالتقوى ، الا هل بلغت ..؟ اللهم فاشهد .. الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » ..

ولقد سوى الاسلام كذلك في حق الحرية المدنية بين المسلمين وغير المسلمين ، فقرر أن الذميين والمعاهدين في بلد اسلامي لهم ما للمسلمين من حقوق ، وتطبق عليهم القوانين نفسها التي تطبق على المسلمين الا ما تعلق منها بشئون دينهم ، فتحترم فيه عقائدهم وشرائعهم ، ومن هذا نرى أن الاسلام قد سوى بين جميع الناس في حق الحرية ولم يستثن منه الا الطوائف التي ذكرتها ، وذكرت انه قد استثناها رحمة بها ورعاية لمصلحتها وحفاظا على مصلحة المجتمع وعلى الصالح الاقتصادى العام .

وقد اخذ كثير من باحثي الفرنجة على الاسلام انه اباح الرق ، واسترقاق الناس بعضهم لبعض . وأن في هذا هدما لاهم ركن من أركان الحرية المدنية ، لأن حالة الرق تجرد صاحبها من جميع الحقوق المدنية فلا يكون اهلا لاجراء اى عقد ولا لتحمل اى التزام ولا لتملك عقار أو منقول . بل ان هذه الحالة حالة الرق التي يتصرف فيها المالك كما يشاء وتشاء له اهواؤه ـ هذا المأخذ الذى يأخذه الفرنجة على الاسلام والذى يرددونه دائما على الرغم من أن الرق قد انتهى وانتهى نظامه ..

وردنا على هؤلاء يتلخص في نقطتين :

النقطة الاولى : ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تكتنف العالم في العصر الذى ظهر فيه الاسلام كانت تحتم على كل مشرع حكيم أن يقر الرق في صورة ما ، وكانت تجعل كل محاولة لالغائه الغاء سريعا مرة واحدة مقضيا عليها بالاخفاق ... هذه هى النقطة الاولى التي نرد بها على هؤلاء وسنفصلها فيما بعد .



والنقطة الثانية التي نرد بها على هؤلاء ان الاسلام لم يقر الرق في صورة مطلقة ، وانما اقره في صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، وسنفصل شرح هاتين النقطتين حتى يتضح موقف الاسلام من هذا النظام ·

اما فيما يتعلق بالنقطة الاولى فان الاسلام قد ظهر في عصر كان نظام الرق فيه دعامة تعتمد عليها جميع مناحي الحياة الاقتصادية وترتكز عليهاجميعفروع الانتاجفي مختلفشعوب العالم او في معظم شعوب العالم في هذا العصر، فلم يكن من الاصلاح الاجتماعي في شيء ان يحاول مشرع الغاءه مرة واحدة لأن محاولة كهذه في عصر هذه أوضاعه الاقتصادية كان من شانها أن تعرض أوامر المشرع للمخالفة والانتهاء «اذا اردت أن تطاع فمر بما يستطاع» وتشريع كهذا ما كان من الممكن أن ينفذ · واذا فرضنا انه قد أتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما أمر به ، فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية لهزة عنيفة ويؤدى تشريعه الى اضرار بالغة لا تقل في سوء مغبتها عن الأضرار التى تتعرض لها حياتنا الحاضرة اذا الغى مثلا بشكل فجائى نظام العمل وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو بطل استخدام السكك الحديدية ، أو بطل استخدام البخار ···

فالرقيق كان بخار الالة الاقتصادية في ذلك العصر · من اجل ذلك اقر الاسلام الرق وكان حكيما في اقراره للرق تحت تاثير هذه الضرورات الاقتصادية والاجتماعية القاهرة ···

واما فيما يتعلق بالنقطة الثانية ، فان الاسلام لم يقر الرق فيصورة مطلقة وانما اقره في صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج بدون ان يحدث ذلك اى اثر سيء في حياة الجماعات الانسانية وفي نظامها، بل بدون أن يشعر احد بتغيير في مجرى الحياة ·· والوسيلة التي ارتضاها للوصول الى هذه الغاية تعد من احكم الوسائل اثرا واصدقها نتيجة · وهي تتلخص في مسلكين :

المسلك الأول الذى لجأ اليه الاسلام لتحقيق هذه الغاية وهى تصفية الرق والقضاء عليه بالتدريج ، يتمثل في تضييق الروافد التى كانت تمد الرق وتغذيه وتكفل بقاءه ··· والمسلك الثاني يتمثل في توسيع المنافذ التى تؤدى الى العتق والتحرير ··· هذه هى سياسة الاسلام في تصفية الرق وفي القضاء عليه بالتدريج ، وبذلك قضى الاسلام علىالرق في صورة سليمة متدرجة هادئة ، وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام ···

فقد كانت روافد الرق قبل الاسلام كثيرة متنوعة : فكان من روافده الحرب بجميع أنواعها ، سواء أكانت حربا أهلية أو حربا خارجية ··· فكان أسرى الحرب لا يخرج مصيرهم عنالقتل أو الاسترقاق··كذلك الخطف والسبى والقرصنة ، فكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب ، فيضرب عليهم الرق ، وكانت هذه وسيلة مشروعة ، بل ان الحكومات نفسها كانت تزاولها ، فحكومة أثينا في عهد سونو وقفت قسما من أسطولها البحرى على أعمال القرصنة والسبى والخطف ، خطف الرجال والنساء من السواحل ومن داخل البلاد وبيعهم بيع الرقيق لحساب الدولة ولمصلحة الدولة ··· وكان من روافد الرق كذلك في العصور السابقة ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة والزنا ، فكان مرتكبو هذه الجرائم يحكم عليهم بالرق لمصلحة المجني عليهم أو لمصلحة أسرتهم أو لمصلحة الدولة · أى أن الرق كان عقوبة من العقوبات كالسجن والاعدام وما الى ذلك ···

وكان من روافده كذلك عجز المدين عن دفع دينه في الموعد المحدد له ، فكان يضرب عليه الرق لمصلحة دائنيه ·· وكان من روافده كذلك سلطة الوالد على أولاده ، فكان يباح للوالد وخاصة في حالة عوزه أن يبيع أولاده بيع الرقيق ذكورهم واناثهم في بعض الشرائع ، واناثهم فقط في شرائع أخرى ··· وكان من روافده كذلك سلطة الانسان على نفسه فكان يباح للمعوز أن يبيع نفسه بيع الرقيق لقاء ثمن يفرج به أزمته ··· وكان من روافده كذلك ـ بل ان هذا كان من أهم الروافد وان لم يكن أهمها جميعا ـ تناسل الأرقاء ··· وهو ما يسمونه الرق بالوراثة ، وذلك ان الولد في الامم السابقة للاسلام كان يتبع أمه رقا فكان من تأتى به جارية سواء أكان ذكرا أم أنثى يولد رقيقا مملوكا لسيده ولو كان أبوه حرا ، ولو كان أبوه سيد نفسه ··· وكانت هذه الروافد تقذف في تيار الرق كل يوم بآلاف مؤلفة من الانفس حتى ان عدد الرقيق كان يزيد في كثير من الامم على عدد الاحرار ، بل كان يبلغ أحيانا أضعافا مضاعفة بالقياس الى عدد الاحرار ·

جاء الاسلام وروافد الرق بهذه الكثرة وهذه الغزارة وهذه القوة ، فماذا فعل ؟ حرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين ـ عملا بسياسته الحكيمة ، وهى الا يلغى الرق دفعة واحدة بل يلغيه بالتدريج ـ وهما : رق الحرب الذى يفرض على أسرى الحرب ، ورق الوراثة الذى يفرض على من تلده الجارية · ولم يترك هذين الرافدين طليقين بل عمد اليهما فقيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما بعد أمد غير طويل ·

فمن أهم القيود التى قيد بها رق الوراثة أنه استثنى منه من تأتى به الجارية من سيدها فان ولدهاهذا يولد حرا ويلتحق نسبه بالسيد، واذا لاحظنا أنمعظم أولادالجوارى كانواياتون من مواليهم ـ لأن الاغنياء ما كانوا يملكون الجوارى الا لمتعتهم الخاصة ـ تبين لنا أن هذا القيد وحده كفيل بالقضاء على هذا الرافد ونضوبمعينه بعد أمد غير طويل ··· وما فعله





حيال الرافد الاول الذى ابقى عليه فصل مثله حيال الرافد الثانى وهو رق الحرب ، وذلك انه استثنى من هذا الرافد الذين يؤسرون فى حرب أهلية - أى بين طائفتين من المسلمين - فهؤلاء لا يضرب عليهم الرق سواء اكانوا من الفئة الباغية أم من الفئة المبغى عليها ... وأما الحروب الاخرى وهى التى تحدث بين المسلمين وغيرهم فانها لا تؤدى فى الاسلام الى استرقاق من يأسرونه فيها الا اذا توافرت فيها شروط كثيرة منها ، أن تكون الحرب مشروعة أى يجيزها الاسلام ، وتنفذ وفق تعاليمه ، ويعلنها خليفة المسلمين .. ولا يجيز الاسلام الحرب الا فى ثلاثة أحوال :

الحالة الاولى : حالة الدفاع عن المسلمين اذا هاجمهم عدو ، وفى هذا يقول الله تعالى : **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين »** .

والحالة الثانية : حالة نكث العهد والطعن فى الدين الاسلامى ، وفى هذا يقول الله تعالى : **« وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون »** .

والحالة الثالثة : وجود أسباب تدعو الى أمن الدولة أو الى القضاء على الفتنة أو الى تأمين الدعوة الاسلامية ، واذا وجدت أسباب تدعو الى ذلك جاز للمسلمين أن يقاتلوا فى سبيلها ، وفى هذا يقول الله تعالى : **«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »** ..

ولم تتجاوز حروبه صلى الله عليه وسلم هذه الحالات الثلاث سواء فى ذلك حروبه مع مشركى العرب وحروبه مع اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وحروبه مع نصارى الغساسنة والروم فى غزوة مؤته . فاذا لم تتوافر فى الحرب هذه الشروط بأن لم يعلنها الخليفة نفسه ، او لم تعلن فى هذه الحالات الثلاث ، او لم تنفذ وفق تعاليم الاسلام ، فانها لا تؤدى الى استرقاق من يؤسرون فيها ... وحتى مع توافر هذه الشروط جميعها فان الاسلام لايجعل الرق نتيجة لازمة للأسر ، بل يبيح للامام أن يتصرف حيال الاسرى تصرفا آخر يبيح له أن يمن عليهم مجانا ، ويبيح له كذلك ان يقبل منهم فدية مالية ، او يطلق سراحهم فى مقابل عمل يعملونه ، أو يطلق سراحهم فى مقابل اسرى عند العدو ... بل ان القرآن عندما ذكر الامور التى يمكن أن يلجأ اليها حيال الاسرى بعد القتال تحاشى ان يذكر الرق من بينها ، واقتصر فى ذلك على المن والفداء ، مما يدل على ان الرق مبغض الى الله تعالى فاغفله وفى هذا يقول الله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » .

هذا الى أن الاسلام لم يجز الرق نتيجة الحرب الا بشروط لا تكاد تتوافر الا فى الحروب الاولى التى قام بها الاسلام للدفاع عن نفسه وتأمين دعوته ، أما بعد استقرار الاسلام وبعد تنظيم العلاقات بينه وبين الامم الاخرى فانه يندر أن تتوافر هذه الشروط .

***

وأما فيما يتعلق بالمسلك الثانى الذى سلكه الاسلام لتصفية الرق والقضاء عليه بالتدريج ، وهو العمل على توسيع المنافذ التى تؤدى الى العتق والتحرير ، فقد كانت منافذ العتق قبل الاسلام ضيقة كل الضيق . لم يكن له الا سبيل واحد هو رغبة المولى فى عتق عبده ، فبدون هذه الرغبة كان مقضيا على العبد أن يظل هو وذريته راسفين فى أغلال العبودية أبد الآبدين ... هذا الى أن كثيرا من الشرائع السابقة للاسلام ما كانت تجيز للمولى أن يعتق عبده الا بشروط خاصة وباجراءات معقدة من النواحى الدينية والقضائية ، بل ان بعضها كان يفرض على السيد أن يدفع غرامة مالية للدولة اذا أراد أن يعتق عبده لانها كانت تعتبر العتق تضييعا لحق من حقوق الدولة .

جاء الاسلام وهذه حال العتق فى ضيق منافذه وقسوة شروطه ، فحطم كل هذه القيود وفتح للعبيد ابواب الحرية على مصاريعها ، واتاح لتحريرهم آلافا من الفرص ، وتلمس للعتق من الاسباب ما يكفى بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه :

فجعل الاسلام من أسباب العتق أن يجرى على لسان السيد فى صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، فبمجرد خروج هذا اللفظ من فمه يصبح العبد حرا سواء أكان السيد قاصدا معنى هذا اللفظ أم لم يكن قاصدا له بأن جرى على لسانه ... وسواء أكان جادا أم هازلا .. وسواء أكان مختارا أم مكرها عليه ... وسواء أكان فى حالة عادية أم كان فاقدا لرشده بفعل الخمر وما اليها من محرمات ...

مجرد خروج الذبذبات التى تفيد كلمة العتق من فم السيد يصبح العبد حرا ... ومن هذا يتبين لنا مبلغ تشوف الاسلام للحرية ومبلغ تحايله على الحرية وأنه يلتمس أوهى الأسباب لتحرير الرقيق ..

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك ان يجرى لسان السيد فى صورة ما بلفظ يفيد ما يسميه الفقهاء « **التدبير** » وهو : **ان يوصى السيد عبده بعد موته** ، فبمجرد صدور هذا اللفظ منه تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده .. وقد اتخذ الاسلام احتياطات كثيرة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد فحظر على السيد أن يبيع عبده المدبر او يهبه او ينقل ملكيته او يتصرف فيه أى تصرف يعوق حريته .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يعاشر السيد جاريته ويأتى منها بولد، فهذا المولد يولد حرا كما قلنا فيما سبق ، **ولكن الجديد هنا أن الجارية نفسها تصبح مستحقة للحرية بعد وفاة السيد ، ويسميها الفقهاء أم ولد** ، وقد اتخذ الاسلام حيال هذا النوع من الجوارى

الاحتياطات نفسها التى اتخذها حيال المدبرين ، فحظر على الموالى أن يبيعوا أمهات أولادهم أو يهبوهن أو يتصرفوا فيهن أى تصرف يعوق حريتهن . وفى هذا يقول عمر بن الخطاب عندما جاءه قوم يستفتونه فى جواز بيع أمهات أولادهم « أفبعد أن اختلطت دماؤكم بدمائهن ولحومكم بلحومهن تريدون بيعهن ؟ » ومن هنا يظهر أن معاشرة السيد لجاريته كانت تؤدى فى الاسلام الى تحريرها هى وتحرير جميع نسلها الى يوم القيامة ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل الاسلام يبيح معاشرة السيد لجواريه وجعله لا يقيد هذه المعاشرة بعقد ولا بعدد ليبسر بذلك سبيل التحرير ويتيح نعمة الحرية لأكبر عدد ممكن من الجوارى ونسلهن ...

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك ان يكاتب السيد عبده أى يتفق معه على مبلغ من المال يؤديه اليه ، وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد الذين يسميهم الفقهاء « المكاتبين » ، ذلل لهم وسائل الحصول على المال فى صورة تدل على شدة تشوفه للحرية ، وعلى شدة حرصه على تصفية الرق ، وشدة حرصه على القضاء على هذا النظام . يسر لهم سبل الحصول على المال ، فأجاز لهم أن يتصرفوا تصرف الاحرار فيبيعوا ويشتروا ويتاجروا ويعقدوا العقود حتى يجمعوا المبالغ اللازمة لتحريرهم ، ليس هذا فقط بل انه حث جميع المسلمين على التصدق عليهم ومساعدتهم وفى هذا يقول الله تعالى : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم » ثم قال : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . أى انه قد حث جميع المسلمين على أن يساعدوا هؤلاء حتى يستطيعوا أن يجمعوا المال اللازم لتحريرهم فتحرر رقابهم .

وبجانب هذا كله عمد الاسلام الى طائفة من الجرائم كانت قبل الاسلام تؤدى الى استرقاق الاحرار ، اذا بها فى الاسلام تؤدى الى تحرير الأرقاء ، فجعل الاسلام العتق كفارة للقتل الخطأ وما اليه ، وفى هذا يقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله » ..

وجعل العتق كفارة للحنث فى اليمين وفى هذا يقول الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم أو تحرير رقبة » ..

وجعله كفارة لبعض انواع الطلاق وهو الظهار كان يقول الرجل لامرأته : انت على كظهر أمى ، ثم يريد ان يراجعها ، وفى هذا يقول الله تعالى : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » ..

وجعله كفارة للفطر فى رمضان : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : هلكت يا رسول الله ، فقال : وما اهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى نهار رمضان ، قال : هل عندك رقبة تعتقها فيكفر الله ما ارتكبته من اثم ؟ ... الى آخر الحديث ...

هذه امور لا علاقة لها بالرقيق ولكن فى الحقيقة الاسلام يعمد الى الجرائم والخطايا التى يكثر حدوثها عادة ويجعل كفارتها تحرير الأرقاء ، فتحرير الرقيق يعتبره الاسلام قربة يتقرب بها العبد الى ربه ويكفر بها خطاياه ..

ولم يكتف الاسلام بهذا كله بل جعل سهما من مال الزكاة ، اى جزءا من ميزانية الدولة وقفا على تحرير الرقيق . اى اوجب على الحكومة نفسها أن تخصص جزءا من ميزانيتها لشراء العبيد من اسيادهم وتحريرهم وعتقهم ، فبينما كانت الشرائع السابقة للاسلام توجب على السيد اذا اراد أن يعتق عبده ان يدفع غرامة مالية للدولة ، اذا بالاسلام يخصص جزءا كبيرا من ميزانية الدولة لتقوم الحكومة نفسها بانفاقه فى عتق الارقاء اى فى شراء الرقيق وعتقه .

ودليل كون الحكومة يجب عليها أن تخصص سهما من مال الزكاة لتحرير الرقيق جاء فى القرآن نفسه ، ففى هذا يقول الله تعالى : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ... » اى فى تحرير الرقاب ، والمراد بالصدقات فى الآية الزكاة التى كان يتألف منها اهم جزء من ميزانية الدولة ، وبجانب هذا كله حبب الاسلام الى الناس تحرير الرقيق وجعل هذا أكبر قربة ـ فيما عدا الحالات السابقة كلها ـ يتقرب بها العبد الى ربه .

وقد بلغ من تعظيم الاسلام للتحرير أن الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب به المثل فى جلال العمل وعظيم القدر فيقول : من عمل كذا فكأنما أعتق رقبة ويقول الله تعالى : « فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة » اى أن العقبة التى يجب أن يقتحمها الانسان حتى يصل الى الجنة تقتضيه أن يكون قد عمل عملا جليلا فى دنياه وضرب القرآن مثلا لهذا العمل الجليل بفك الرقبة .

ومن هذا يظهر صدق ما قلته على عكس ما يزعمه المستشرقون وما يشهر به الفرنجة ـ أن الاسلام لم يقر الرق فى صورة مطلقة وانما اقره فى صورة تؤدى هى نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، وذلك بأن ضيق الروافد التى كانت تغذيه وتكفل بقاءه ، ووسع منافذ العتق والتحرير ، وبذلك أصبح الرق كما قلت اشبه شىء بجدول كثرت مصابه وانقطعت منابعه التى يستمد منها الماء وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف



وهبته شبابها ...
وكان فى أشد الحاجة إلى الحياة ..

● سليم الأسيوطى ●

● كيف كانت تبدو « فاني براون » اغلى فتاة لدى كيتس الشاب المصدور ؟ .. لقد جاءت الاجابة عن هذا السؤال فى وصف الانطباع الذى تركته فى نفسه ، عند أول لقاءلهما، « جميلة ، رقيقة ، رشيقة ، حمقاء وانيقة » .

كانت « فاني » ترتبط بالأعوام الثلاثة الاخيرة من حياة كيتس ،وهي وقت كاف ، على أية حال لخلق دراما رومانسية ، شاعت وذاعت وأسرت خياله واستأثرت بتفكيره واهتمامه .

ان قصة غرام الشاعر كيتس ، بلغت ذروتها العنيفة بموته الفاجع ، فى سن الخامسة والعشرين ،فى روما فى الثالث والعشرين من فبراير لعام ١٨٢١ . فلقد ظل على امتداد عامين كاملين يموت موتا بطيئا بذات الرئة ، وكانت رحلته البحرية الى ايطاليا محاولة يائسة أخيرة للتغلب ، على قدره المحتوم .

ترك القدر بموته فى هامبستد امرأة شابة فى الحادية والعشرين من عمرها، وترك معها أغرب تراث وأعجب ميراث: حزمة من مخطوطات قصائد ،وتسعة وثلاثين خطابا غراميا ! ..

ولما كان كيتس عاجزا عن الزواج لاملاقه وسوء حالته الصحية فقد سكب شعلة حياته التى كانت تخبو على عجل ،فى هذه الخطابات الغرامية الرائعة التى تصرخ بعذابات العاشق المعنى ! ..

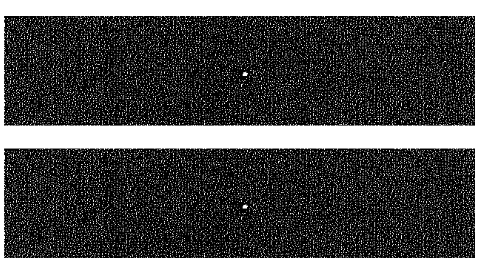
وفى هذه الخطابات كان كيتس تارة يمتدح ، وتارة اخرى ينتهر « فاني » التى احبها بحماسة وغيرة . وقوة « الى ابعد حد » !

قال خصوم « فانى » أن هذه الرسائل اقامت الحجة على انها ـ « فانى » ـ متحجرة القلب ، وانها قدمت الدليل على عبثها فى الحب واثبتت انها لعوب وطائشة وانها تكشفت عن زهوها وخيلائها وغبائها ، وانها غير خليقة بعبقرية كيتس .

قال لها ذات مرة : « ان حبك احتوانى واستأثر كيانى أكثر فاكثر » وكتب : « لقد غدا كل ما يدخل فمى فى مذاق « العصافة » ! (١)

ولكى نرى « فانى » كما كانت هى فعلا ، يتعين علينا أن نرى كيتس من

(١) العصافة : قشر الحنطة المفصول عنها بالدرس «النخالة»



وفي عام ١٨١٨ ، كانت هامبستيد حينذاك قرية منعزلة مشهورة بمياه الاستشفاء فيها ، وبمناظرها الخلوية الفاتنة التي تسترعي الانتباه وتأسر الألباب ، كانت منتجعا أثيرا مفضلا لدى الزائرين من لندن . وكان النزلاء ينشدون المتعة في « قاعات الاجتماع » التي كانت توفر لهم حلبات الرقص ، والحفلات الموسيقية ، والمحاضرات .

كانت هذه هي خلفية « فاني براون » الاجتماعية حينما التقى بها كيتس لأول مرة ، وفي غضون خريف ١٨١٨ وهي لا تزال فتاة مفعمة بالحيوية تفيض بالنشاط ، في سن السابعة عشرة ، كانت احدى فاتنات الحي . رائعة الطلعة لافتة للنظر اكثر منها جميلة . كان شعرها اسمر وعيناها زرقاوين ، وأنفها دقيقا . واذا مارآها الناظر وادعة ، هادئة مطمئنة وقد القت براسها على وسادة أو اعتمدت متكئة على مرفقها بدت تقاطيعها عادية ولكنها كانت ممتلئة حياة وحيوية ..

وكانت تربط شريطا في شعرها وترتدي ثيابها بذوق ورشاقة .

كتب كيتس يصفها « انها في مثل طولي، ذات محيا يتميز بالفخامة والروعة ويميل الى الطول . تشيع العاطفة في كل قسمة من قسماتها ..



خلال عينيها ، وفي ضوء ظروفهما المشتركة ، وان نعود الى الماضي في عام ١٨١٨ ، والى فيللا بيضاء رائعة على مشارف المدينة ، يطلق عليها اليوم « بيت كيتس التذكاري » ، في شارع مؤد الى « هامبستيد هيث » وتعرف الآن باسم « خميلة كيتس » وهي تقع في وسط حديقة تفوح بأريج زهر مختلف الوانه واشتهرت بشجرة توت يتجاوز عمرها الثلاثمائة عام .

موفقة دائما فى أن يبدو شعرها فى أروع صورة ! .. فمها حسن .. وجهها يبدو لمن ينظر اليه من جانب ، أجمل من صورته الأمامية الكاملة ، كما انه شاحب ، نحيل ، ولكنه خال من كل بروز أو اثر للعظام ..

« وهى لم تبلغ السابعة عشرة من عمرها بعد،بيد أنها جاهلة متوحشةفى سلوكها ، فهى تنفجر انفعالا فى كل اتجاه ، وهى تنثر الأهانات والشتائم هنا وهناك .. حتى أكرهتنى مؤخرا على محاكاتها باستعمال بعض الألفاظ من مثل « فتاة وقحة » ! .. ولم يكن هذا السلوك من جانبها لرذيلة متاصلة فيها ، ولكنها كانت ولوعا بمسايرة السلوك العام » .

لقد كتب كيتس هذا الوصف فى منتصف ديسمبر تقريبا ،وكانت هذه هى المرة الأولى التى يشير فيها الى « فانى » التى كان قد عرفها منذ قرابة ثلاثة شهور ، والتى كان قد خطبها سرا فى ابريل ١٨١٩ .

فى ذلك الوقت لم يكن كيتس الشاعر قد حقق نجاحا ، كان فاشلا الى حد ما ولم تكن توصيات أصدقائه لتجديهفتيلا ، فقد قوبل شعره بالرزء به والاستخفاف ولم يظفر بسوق رائج ..

كان كيتس خاوى الوفاض،مفلسا. وكان يتحدث عن ميراث قد يؤول اليه. ولكنه كان يعتمد فى معاشه فى معظم أيامه على ما يقترضه من نقود . وكان يقطن دارا مجاورة لبيت « فانى » لأن صديقا أشفق عليه ورثى لحاله فنزل له عن حجرتين فى مسكنه الخاص . وفى فترة من فترات حياته القصيرة درس الطب وتتلمذ على جراح لمدة خمسة اعوام ، ولكنه قرر فجأة أن يعتزل الطب ويمارس الشعر ! ..

كان كيتس - اذا ما نظرنا اليه من خلال عينى المجتمع - شابا مستهترا ، وتقدمه للزواج من « فانى » لدلالة قاطعة على أنه لم يكن يقدر المسئولية المالية .. لم يكن جذابا جاذبية تبهر الأنظار او تأسر الألباب ، وكان من الممكن أن يبدو وجهه الصغير الشاحب بشفته العليا البارزة بروزا مفرطا قبيحا لو لم تزوده الطبيعة بعينين واسعتين معبرتين رائعتين اكسبت كل جسمه الحيوية وبعثت فى كيانه النشاط .

ولكنه كان محدثا باهرا ، متحمسا، مقنعا ، مفحما لايقاوم .. وفى هذا المقام ، كان قطعا ندا « لفانى » ، التى اشتهرت بذكائها وفطنتها ، وبما تتمتع به من شجاعة أدبية رائعة نادرة .

ولقد تجرع كيتس كل الوان العذاب حتى الثمالة التي اترعت بها كئوس خطبته غير المعلنة الى الفتاة الشابة التى تهفو اليها القلوب جميعا فى هامبستيد . ولما كانت حركاته مقيدة بسبب سوء حالته الصحية فقد قنع بمشاهدة حبيبته « فانى » تقبل على الدنيا وتهش للحياة .

وفى وقت مبكر من عام ١٨٢٠ ، راى اولى دلائل مرضه المهلك ، فقال : « تلك القطرة من الدم هى شهادة وفاتى » وكان على حق ، فقد قضى نحبه بعد مرور عام واحد .

كانت « فانى » ، آنذاك ، تشب وتترعرع لم تعد خطبتها حدثا جديدا مبهجا . ولقد شحذ المرض آلام كيتس وجعل منه عاشقا طاغيا . ولما كان عاجزا عن الحركة بعيدا عن مسكنه ، فقد راح يرقب الدنيا عن كثب ، ويتشبث « بفانى » تشبث الانسان اليائس .ان خطاباته الواحد تلو الآخر تؤكد الاجهاد الذى كانت تفرضه علاقتهما لا علىأعصابه فحسب، بل على كيانه كله .

لقد قطع « كيتس » صلته بالحياة واصبح رهين عزلته ، ولكن « فانى » كانت ترد اليه الحياة بزياراتها اليومية المتصلة .

كانت تواجه تجربة قاسية لا قبل لها بها . ان انسانا يحتضر فى حاجة ماسة الى حياتها ،وهى لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها . وحين كانت تمرح كان يتهمها بالعبث والطيش ، واذا ما هدات ولاذت

بالسكون كانت تتجاذبه الشكوك في وفائها واخلاصها .

ولكنها لم تكن القاسية المتحجرة القلب كما يريد أصدقاء كيتس ان يصورها لنا، فكل مافي الأمر انها كانت شابة ، ومن جانب آخر لقد كانت تفتقد الحرية في حب كيتس ويعوزها الانطلاق في آفاقه ، الامر الذي كاد يحطم أعصابها ، ولما كان الخوف من مرضه يجثم على صدرها فقد أظلمت اسعد لحظات حياتهما .

وان العقاقير التي كان يتناولها كيتس اكرهته على ان يتفحص ، في شراسة وضراوة ، نوعية حبهما ، وطبيعته ومزاجه .. كانت أسئلته تحيرها واصراره على ان تؤكد له حبها ووفاءها يتركها مشدوهة لا تدري من امرها شيئا .. ان سوء التفاهم المستمر المتلاحق الذي كان يقع في علاقاتهما والمصالحات المتوالية كانت مرهقة ومزعجة اورثتهما الضيق والضجر ، كليهما . ومما زاد الامور سوءا تلك الأسئلة المنفصلة عن شعره ..

اشاد أصدقاؤه بعبقريته ونبوغه على الملأ . وسخر النقاد من اعماله وهو نفسه استسلم لليأس والقنوط .

كان يقرأ أشعاره على « فاني » بصوت أجش يشوبه أثر من اللهجة الشعبية في لندن ، وكان شعره في الغالب ، غامضا عليها لا يمكنها فهمه وكان توتر أعصابه الشديد ، أيضا يفوق الطاقة ويزيد على الاحتمال . انه ليس من الغرابة بمكان أن تهرب « فاني » من حجرة المريض سعيا وراء الهدوء والدعة في حفل راقص قريب .

أعطى كيتس «فاني» خاتم الخطبة . ظلت تحتفظ به حتى النفس الاخير وقدمت له « فاني » خاتما نقش عليه اسماهما كماتبادلا خصلات من الشعر والكتب ، ومع كل هذا فقد كانت المقادير لهما بالمرصاد ...

وبعد فترة قصيرة من رحيله الى ايطاليا تملك القلق «فاني»، وازعجتها الظروف الراهنة لحياتهما ذات المشاعر التي لا تمت الى التجربة والحياة الواقعية بصلة .

كتبت تقول في يومياتها : اذا ما كتب على ان افقده ، فاني سافقد كل شيء

وعندما رقد كيتس في مثواه الأخير دفن معه كيس نقود ((فاني)) وخطابه الاخير اليهما دون ان يفض غلافه ...

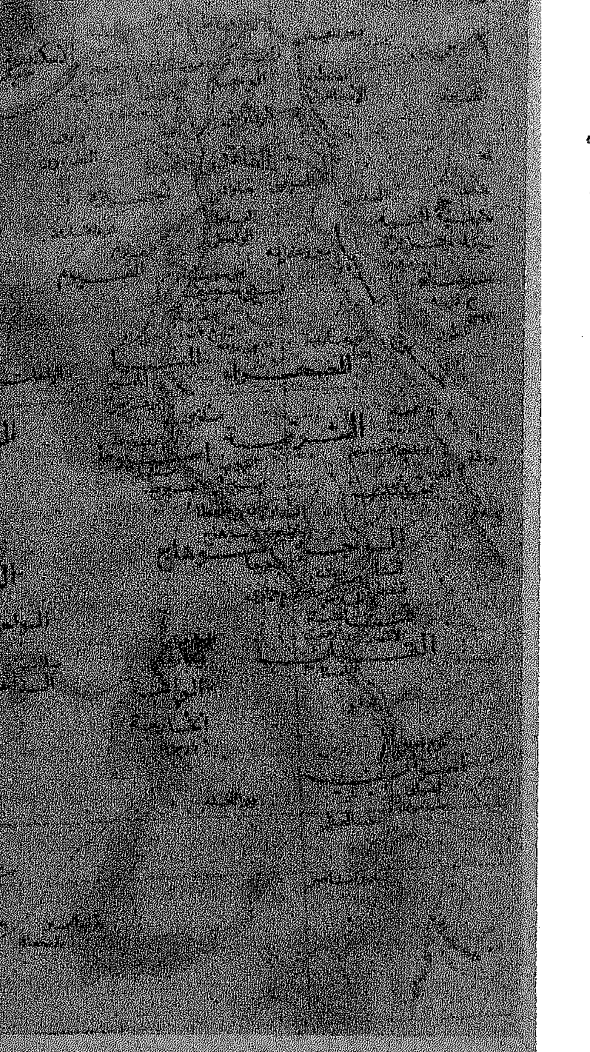
كانت كلمات كيتس الاخيرة الى ((فاني)) ، تجيش باليأس والقنوط كحبه . ان السعادة معك تبدو امرا مستحيلا ! انها تتطلب حظا اسعد من حظي .لقد كان موته ، الى حدما راحة لها !

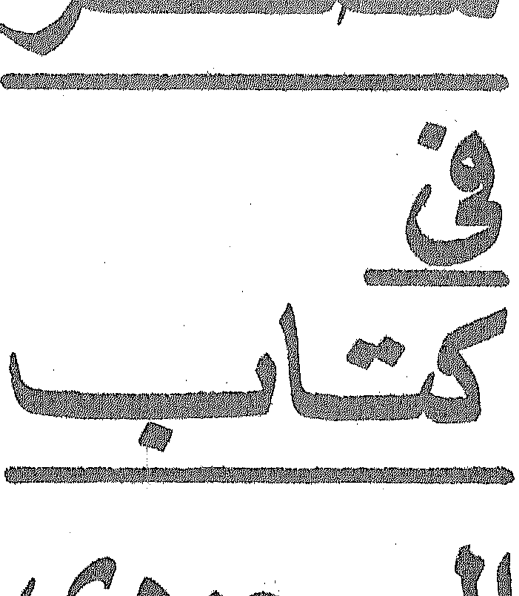
خلت الدار المجاورة لدارها من ساكنها . وعاشت « فاني » مهمومة وحزينة لبعض الوقت ولكن كان اهتمامها بالحياة ، امرا محتوما ، فتجدد تلقائيا . ففي عام ١٨٢٩ ، بعد مرور ثمانية أعوام على موت كيتس ، عمد أصدقاؤه الى الحصول على اذن « فاني» لنشر القصائد التي اورثها اياها . فاجابت : « اني اعتقد ان أفضل صنيع نسديه اليه هو ان ندعه الى الأبد في غيابة خمول الذكر الذي قضت عليه به في حياته الظروف غير السعيدة » فحتى تلك اللحظة لم يكن شعره يخلف في نفسها اثرا او ارتساما قويا !

وكان لابد لشهرة كيتس ان تبقى عشرين عاما اخرى حتى يكتب له الذيوع والانتشار .كانت «فاني »وهي في الثلاثينات من عمرها قد تزوجت من رجل يصغرها بعشر سنوات ، ورحلا الى الخارج .

ولقد عاشت سنوات كافية لتشهد تصاعد شهرة كيتس الى الذروة .ولما احوجتها ظروف الحياة الى المال استطاعت أن تبيع صورته المصغرة الثمينة . اما خطاباته ، وخاتمه ، وكتبه وخصلة شعره ، فقد احتفظت بها حتى اخر رمق من حياتها

نادرا ما كانت تتحدث عنه واذا ما تحدثت ، جاشت عواطفها وفاضت بها مشاعرها . لقد وهبت ((فاني براون)) شبابها الي كيتس الذي كان في أشد الحاجة الى الحياة !





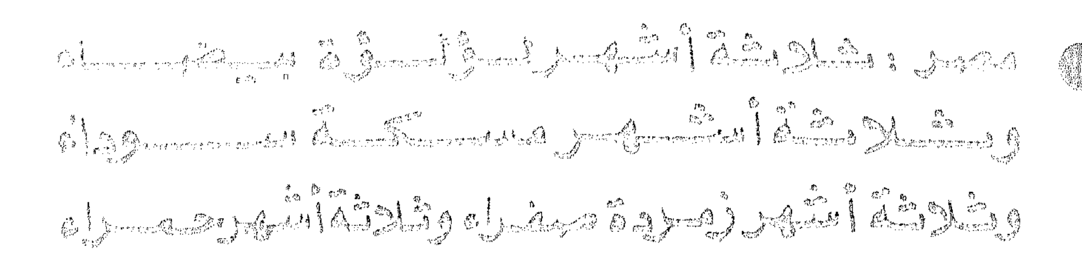
● فاروق شـــــوشة ●

● **ليس من شك ان كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» سيظل الى حقب تالية طويلة فى عمر الزمن ، كتابا من أخصب كتب التاريخ العربية التى حملها لنا تراثنـــــا العربى الانسانى الثرى ، وكـــذلك ليس من شك فى أن مؤلفـــه على بن الحسين بن على ، ابو الحسين المسعودى المؤرخ سيظل الى حقب طويلة تالية فى فى عمر الزمن اسما مرموقا بين المؤرخين الرحالة العرب الذين كرسوا حيــاتهم ووجودهم من أجل اثراء المعــــرفة الانســـانية بتدوين ما وصلهم من علم ومعرفة ورصد ما شاهدوا حولهم من مظاهر الحياة الانسانية فى عصرهم ، وفى تعقب الأماكن التى ذكروها فى الأخبار ارتحالا اليها ، ووصفا لها ..**

فلم يكن المســـــعودى من المؤرخين (القاعدين) الذين يهتمون بنقل أخبار لكتب التى سبقتهم واعادة تبويبها ، أو بالاضافة اليها مما يصل الى سمعة من أخبار عن ثقاة أو غير ثقاة ، وانما كان المسعودى نمطـــا مميزا بين المؤرخين العرب القدماء ، وان لم يكن فريدا فى هذا ـ فقـد كان رحالة جواب آفاق يسعى الى المعرفة فى مكانها ، ويرحل الى كل مكان تسوقه اليه قدماه ليرى بنفسه ويصف بنفسه ويسمع بنفسه ، فتأتى روايته للأشـــياء ذات مذاق خاص ، ولون متميز .

وهو يأخذ على الكتاب ممن سبقوه قعودهم عن الرحلة فى طلب العلم مما جعل ماذكروه ناقصا ومغلوطا ، وهـو يهاجم الجاحظ فى صفحة ٨١ من الجزء الأول من الطبعة البغدادية فيقـــول :

« وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران وهو نهر السند من النيل ويســـتدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه ، فلست أدرى كيف وقع



مصر من سادات القرى ورؤساء المدن
واسمها كمعناها وعلى اسمها سميت الأمصار
ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين

له هذا الدليل .. وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار ، وهو كتاب في نهاية الغثاثة ، لأن الرجل لم يسلك البحار ، ولا أكثر الأسفار ، ولا يعرف المسالك والأمصار ، وانما كان حاطب ليل ، ينقل من كتب الوراقين ! ..»

فهو يأخذ على الجاحظ روايته لما هو مخالف للحقيقة لأنه لم يكلف خاطره مشقة الانتقال . الا أنه يعرف ما في الأسفار من أخطار على التدوين التاريخي فيعتذر عما قد يسببه الانتقال الدائم من أخطاء وخلط ، ويقول في مقدمته ص ٢ « على اننا نعتذر من تقصير ان كان ، ونتنصل من اغفال أو مرض لما قد شاب خواطرنا ، أو غمر قلوبنا من تقاذف الأسفار ، وقطع القفار ، تارة على متن البحر ، وتارة على ظهر البر ، مستعلمين بدائع الامم بالمشاهدة ، عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة ، كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والزنج ، وتقحمنا الشرق والغرب ، فتارة بأقصى خراسان ، وتارة بوسائط ارمينية وأذربيجان والهوات والطالقان ، وطورا بالعراق ، وطورا بالشام ، فسيرى في الافاق ، سرى الشمس في الاشراق ».

وأنت تحس من لهجته في الاعتذار انه يفخر بهذه الرحلات ويدل بالعناء الذى مارسه في ذلك الزمن القديم برا وبحرا من اقصى المعمورة وقتها الى بلاده ، ومن بلاده الممتدة على طول الوطن الاسلامي الى اقصى المعمورة المعروفة وقتها . فالمسعودى كما يقول جرجي زيدان في كتاب تاريخ اللغة العربية (ج ٢ ص ٣١٣) ونحن ننقل عن مقدمة الطبعة الثانية البغدادية ـ يقول عنه : « نشأ في بغداد وجاء مصر ، ورحل في طلب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر ، وفي السنة التالية قصد الهند الى ملقان والمنصورة ، ثم عطف على كنباية فصيمور فسرنديب « سيلان » ، ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين ، وطاف البحر الهندى الى مداغسكر ، وعاد الى عمان . ورحل رحلة اخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين ، وفي سنة ٣٢٢ جاء انطاكية والثغور الشامية الى دمشق ، واستقر اخيرا بمصر ، ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ وتوفى في السنة التالية ، ولم يفتر في اسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضيعها ، فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه احد ، والف كثيرا من الكتب المفيدة في مواضيع شتى واهمها في التاريخ ..»

مثل هذا المؤرخ الذى لم يكن يكتفى





بتدوين ما سبق ان ذكره غيره في كتب التاريخ ، وانمـــا كان يضيف اليه مشاهداته ، ونتائج اسفاره ورحلاته ، ولهذا فان تاريخه اقرب الى الرصــد الحضارى والثقافى لمصره منه الى مجرد ذكر التواريخ المرتبطة بالملوك والساسة ... ومن هنا كانت اهميته فى ذكــر الحقائق حول البلاد التى زارها والتى عاش فيها زمنا . ومن هذه البلاد مصر، فهو قد عاش فيها ومات فيها ايضا بعد ارتحاله شرقا وجنوبا ، وبعــد أن قرأ وعرف ثم انصرف الى التدوين والتاريخ. ولعل المسعودى بهذا من اخطر واهم من كتبوا عن مصر تاريخا ووصفا ورصدا للحياة فيها فى القــرن الذى دون فيه تاريخه الشهير ...

وعلى الرغم من اهتمــامه بمصر وتاريخها الا أن اهتمامه بالنيل اهتمام كبير يظهر من حين لحين فى اكثر من جزء من اجزاء كتابه ... فذكر مصر فى كتابه يأتى طبيعيا بعد ذكر ملوك الروم ، وبعد ظهور الاسلام . فالحديث عن مصر فى ص ٢٨٧ من جزئه الأول من كتابه واضح ومنطقى ، الا أن ذكره للنيل لا يرتبط بهذا التسلسل المنطقى لأحداث التاريخ فى العالم القديم ... النيل يستهويه ويستغرق اهتمامه فى اكثر من موضع فى كتابه بصرف النظر عن الحديث عن مصر او الارتباط بالتسلسل التاريخى او الجغرافى الذى التزمه فى نقلات حديثه وتدوينه لتاريخ العالم القديم ...

وهو يقول فى صفحة ٨٢ من الجزء الأول عن النيل : « فلنرجع الآن الى الأخبار عن نيل مصر فنقول : ان الذي ذكرته الحكماء انه يجرى على وجــه الأرض تسعمائة فرسخ وقيــل الف فرسخ ، فى عامر وغير عامر ، حتى يأتى أسوان من صعيد مصر ، والى هــذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر ، وعلى أميال من أسوان أحجار يجرى النيل فى وسطها ، ولا سبيل الى جريان السفن فيه هناك ، وهذه الجبــال والمواضع فارقة بين مواضع سـفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين ، ويعرف هذا الموضع فى النيل بالجنادل والصخور » ..

وهذا الوصف للنيل لا نستطيع أن نقول انه يقارب الحقيقة ، بل ينبغى أن نقول انه الحقيقة عينها على اختلاف مقاييس عصره وعصرنا . ولا شك أن مشاهداته ومعيشته فى مصر سببتا هذه الدقة فى الوصف لنيل مصر ، الا أنه يضيف الينا حقيقة تاريخية حدثت للنيل فى عصره فيقول قول المعاصر الراصد المؤرخ « وقد كـان النيل انقطـع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التى زادها فى هذه السنة وهى لسنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ونمى الى وأنا بمدينة انطاكية والثغر الشامى ان النيل زاد فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا ، فلست ادرى أفى هذه الزيادة دخـل خليج الاسكندرية أم لا .. » .

وهذا الرصـد من المؤرخ المعاصر الدقيق فى ذكر التواريخ والأحـداث يقابله حس المؤرخ الذى لا ينسى ماذكرته كتب التاريخ حول الاسكندرية والنيل فهو يقول فى صفحة ٨٣ من الجزء الأول من كتابه : « وقـد كان الاسكندر بن الفيلقوس المقدونى بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجـر اليه عظيم ماء النيل ، ويسقى الاسكندرية وبلاد مريوط ، وكان بلد مريوط هذا فى نهاية العمارة والجبال المتصلة بأرض برقة من بلاد المغرب ، وكانت السفن تجـرى فى النيل فتتصل بأسـوان والاسكندرية ، وقد بلط أرض نيلها فى المدينة بالرخام والمرمر فانقطع الماء لعوارض سدت صفحاتها ومنعت الماء من دخوله ، وقيل لعل غير ذلك منعت من تنفسه وردت الماء الى كشـافة ، لا يحملها كتابنا هذا لاستعمالنا فيــه الاختصار فصار شربهم ، من الآبار ، وصار النيل على نحو يوم منهم » ...

ولا ينسى المسعودى ان يتعقب النيل

فى اخبار المؤرخين فيناقض الجاحظ مرة اخرى فيذكر فى صفحة ١٤٠ من يرد على الجاحظ فى ان نهر مهران السند (الذى زعم الجاحظ انه من النيل .. وزعم غيره انه من جيحون وسيحون » وينفى المسعودى هذا الزعم فى ثقة المؤرخ والرحالة والعارف بما يقول .. فيقول فى صفحة ١٤٤ من نفس الجزء : « وليس فى أنهار العالم ما يجرى من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الأنهار ، وما عدا ذلك من الأنهار يجرى من الشمال الى الجنوب » ..

ولا يعود المسعودى الى ذكر مصر بعد ذلك ولا الى ذكر نيلها الا فى مكانها المنطقى من التاريخ بعد حديثه عن الروم فى الباب الذى أفرده فى صفحة ٢٨٧ فى الجزء الأول من تاريخه بعنوان « ذكر مصر واخبارها ونيلها وعجائبها واخبار ملوكها » ...

ونحن هنا نحس أنه يقف وقفة خاصة يتريث فيها تريثا كاملا ليخصص الحديث عن تاريخ مصر وعن تاريخ نيلها الذى استهواه كثيرا من قبل . فيورد حديث بعض الحكماء عن مصر ويقول نقلا عنه : ((ثلاثة اشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة اشهر مسكة سوداء ، وثلاثة اشهر زمردة خضراء ، وثلاثة اشهر سبيكة حمراء))

وهو يعنى أشهر الفيضان فى الصيف ، واشهر انحسار الفيضان فى الشتاء ، ثم اشهر الربيع حيث تزهر الأرض ، ثم فى الخريف حيث يحين الحصاد ... ثم يذكر المسعودى وصفا آخر لمصر فيقول : ((نيلها عجب ، وارضها ذهب ، وخيرها جلب ، وملكها لمن سلب ، وما لها رغب ، وفى اهلها صخب ، وطاعتهم رهب ، وسلامهم تعب ، وحروبهم حرب ، وهى لمن غلب ...)) .

ونحن نحس ان هذا كله استهوى المسعودى كما استهوى غيره ممن زار مصر وعاشوا فيها ، فاحبوها ايا كانت عصبيتهم ، وايا كان موقفهم منها ... فيقول فى موضع آخر ((ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن)) ... كما يقول فى موضع رابع ((وهى مصر ، واسمها كمعناها ، وعلى اسمها سميت الأمصار ، ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين)) ...

ورغم ان المسعودى ينقل ما قيل فى مصر من اقوال وما نظم فيها من شعر ، الا انك تحس أن المسالة عنده ليست مجرد تسجيل تاريخى ، بقدر ماهى ممارسة لشعور الحب لمصر واهلها وعاداتها ، وبالذات لنيلها وآثارها القديمة ...

والحقيقة ان الكثير مما ذكره المسعودى عن مصر صحيح لأنه وليد المشاهدة والرؤية ، ولكن الكثير ايضا مما ذكره عن مصر ، وخاصة ما يتعلق بتاريخها القديم يشوبه الخطأ ، وان كان يمثل معارف عصره عن مصر الفرعونية . الا ان عشق المسعودى الأول فى مصر هو النيل ، ويبدو انه كتب عنه أكثر من مرة وفى أكثر من كتاب ... فيقول فى موضع « نهرها النيل من سادات الأنهار ، واشراف البحار ، لأنه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به الخبر الشريف » ، ثم يورد ما قاله العرب فى النيل وما قالت الهند ، وما قالت الروم ، وما قالت القبط ، وما قيل من غير هؤلاء عن النيل ووصفه وطباعه... ومن اقوال العرب التى يذكرها « انه اذا زاد غاضت له الانهار ، والأعين والابار ، واذا غاض زادت ، فزياداتها من غيضه ، وغيضه من زيادتها » ...

ويقول فى موضع آخر « وليس فى انهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر من جبل القمر الذى بدىء النيل منه ، وما يظهر منه تاثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق » .. ويطول حديث المسعودى عن نهر النيل ..

● البقية العدد القادم ●

المعايير الفلسفية للأدب

● د. عبد الفتاح الديدى ●

● تجددت التيارات الادبية فى الغرب فى الآونة الاخيرة بصورة تدعو الى النظر والتأمل فلم تعد هذه الاداب الغربيه المتطورة المتجددة من حين الى حين مجرد صور أدبية بحتة . او على الاقل ، مهما يقال فى نزعتها الأدبية الخالصة ، فهى تخضع لمقومات من صميم الفلسفة ... وهذا امر طبيعى لان الأعمال الأدبية ، شانها شان كل انتاج عقلى انسانى ، تنبع من تصورات تشيع بين المؤلفين والكتاب والفنانين ويخضعون لها فى ابعادها ويصدرون عنها فى جوهرها .

ولذلك لا يمكن ان تكون هذه الآداب والفنون حرة أو مستقلة عن التصورات الشائعة التى يحرص الأدب والفن على تقديمها للجمهور وعلى التعبير عنها ... وفى الغالب تنشأ هذه التصورات عن عدد من الفروض الفلسفية التى يطلقها الفلاسفة فى الجو ويسعى الأدب والفن الى اصطيادها وترويضها وتذليلها للفهم العام .

ونحن نشير مبدئيا الى أن الفن أو الأدب لا يصدران عن الفلسفة لأنهما يكونان مليئين بالحجج الفلسفية والتعبيرات العقلية البحتة ، بل يمكن أن يصدرا عن الفلسفة والعقل دون ان تبدو عليهما ملامح عقلية أو مظاهر فكرية . ويمكن ان يصدرا عن الفلسفة ولو امتثلا لاحكام الفن وحده وخضعا لأسلوب الأداء الفنى الخالص .

فالأساس الفلسفى للأفكار الادبية لا يعنى امتلاء الأعمال الفنية بعبارات او ملامح او الفاظ أو اشارات فلسفية . وانما يعنى ان الأدب والفن يسيران فى ركب تصورات عامة تفرضها الأوضاع الفكرية والفلسفية التى تحرص على التنقيب والبحث وتحاول البحث عن الجذور والاعماق وتسعى لاكتشاف ابعاد العقل الانسانى .

وتجرى الآداب والفنون فى هذا السياق مشدودة برغبة ملحة فى تذويب الصور والقوالب العقلية وترجمتها الى لغة عادية من الأحداث والوقائع والامتثالات التى يقبلها العقل الانسانى ويقبل عليها فى سهولة ويسر .

ولكن — وهذه هى النقطة الأساسية — مهما تمثلت الآداب والفنون فى صور حسية وأساليب بسيطة ، فهى تتحرك فى اطار مفروض فرضا من قبل الفلاسفة الذين يرسمون بافكارهم الفلسفية

● إن الأعمال الأدبية، شأنها شأن كل إنتاج عقلى إنسانى، تنبع من تصورات تشيع بين المؤلفين والكتاب والفنانين يخضعون لها فى أبعادها ويصدرون عنها فى جوهرها..

البحتة حدودا يضعونهـا من جانبهم موضع البحث والدراسة ويشكلون بهـا خطوة جديدة من أجل الـكشف عن جوانب مستحدثة ويجعلون منها اطارا لكل مظاهر الفكر الانسانى ولكل ابعـاد التعبير باشكاله وانماطه ووسائله .

والاديب او الفنان مطالب عندئذ بان يشارك مشـاركة جادة فى تذويب المفهومات العقلية للجماهير . ولهـذا يلزمه ان يستطلع آراء الفلاسـفة وافكارهم وأن يتعرف على اتجـاهاتهم وميولهم حتى يستخرج لنفسه الموقف الضرورى الذى تنبع منه اعماله الأدبية والفنية وحتى يقدم للناس ضروبا من المتعة الأدبية الخالصة التى تقـرب المفهومات العقلية الجديدة والتى تجعل الأدب والفن مرتبطـين برباط العصر الذى يعيش فيه كل من الفنـان والأديب .

وينطبق هذا المقياس فى الواقع على الأدب والفن فى كل العصور وان لم يكد يشعر به أحد . فالآداب والفنـون تشكل مظاهر خصبة للتعبير عن العـديد من الأفكار والتصورات الفلسفية . ولكن هذا لا يمنع أن تسبق الآداب والفنـون أفكار الفلاسفة فى بعض الأحيـان فيعاونون بما أوتوا من قدرات تعبيرية على السبق فى تحديد التصورات العامة . ولكنهم برغم ذلك كله يمعنون فى تعميق الحياة الفكرية واسـقاط ميولهم على الاطار العام للتفكير ويشاركون فى تهيئة الجو لقبول كل المحاولات التى يعمـد الفلاسفة الى تشكيل رؤيتها تشـكيلا نهائيا . وهذا يحدث عادة فى فـترات الازدهار الأدبى الذى يتقدم بفنـونه مظاهر العقل البحت . ويحدث كذلك عندما لا تتوفر أدوات الفـكر الفلسفى بصورة منتظمة .

أما العصور الحديثة والآونة الأخيرة بوجه خاص فقد أصبح من السهل فيها أن تشيع الأفـكار الفلسفية فتحفر فى عقل الانسان تصورات عالية من شأنهـا أن تأسر الفنانين والادباء وتدفعهم دفعا الى التحليق فى آفاقها .

ولكى نعود الى نقطة البداية نقول ان المشـكلة كلهـا تكمن فى أدوات الحس الدقيق التى تحاول أن تلامس الواقـع الحى الذى يعيش فيه الاطار الحضارى باكمله . او بعبارة اخرى أن القيادة دائما للحس الانسـانى فى مختلف المجـالات ، فاذا ترفعت الفلسفة فى ابراجها العقـلانية فشـلت فى اصطياد التصورات العامة وخلت من الوسائل والمقومات التى تذلل لهـا فرصة الاحتكاك بالواقع المالوف . وعندئذ تخلو الفلسفة من قدرات حسية تيسر لها فرصة التعرف على ابعـاد الاوضاع العامة . ويهم الأدب من جانبه وكذلك الفن لاكتشاف ابعاد الواقـع المحسوس او المحس .

ونظريتنا التى عرضناها بشأن نشوء الفكر اليونانى فى كتاب فلسفة الجمـال

تؤكد أن الانسان اكتشف أعماق الفكر وابعاده فى باطن المحسوس من أعمال الفنانين والمثالين والشعراء والكتاب . وذلك لأن العقل لم يكن قد اكتملت له أداته بعد فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد فأمكن للعقل أن يتلمس طريقه خلال الأعمال الفنية والأشعار من أجل اكتشاف ذاته . ولكن عندما استكمل العقل وسائله وتحرر من العقلانية بعد ذلك واستعاد حريته فى التعامل بالحس القريب من الواقع الملموس صار المحرك الأول لكل التصورات العامة التى تسيطر على الأجواء الأدبية والفنية .

وعندما ظهرت فلسفة الظاهريات فى مطلع هذا القرن انبثق منها عدد من التصورات العامة . ومن أهم هذه التصورات اكتشاف الرابطة العقليةالتى تربط الناس بعضهم ببعض فى حياتهم العامة . وعرفنا ما نسميه اليوم بتشابك الذوات الانسانية وترابط الناس فى موقف عقلى ازاء العالم الخارجى . وحاول الادباء تصوير هذا الترابط العقلى فى صورة محسوسة عن طريق الروايات كما حاول الفنانون أن يرسموا خطوط هذا الترابط العقلى فى أعمالهم الفنية . ودفعهم ذلك دفعا الىاكتشاف الموقف الأخلاقى ممثلا فى المسئولية حيال اطراف الحياة .

وبدات هذه الظاهرة تتجلى فنيا فى اعمال بيكاسو وميرو . واتجه كلاهما الى تطويع هذا المفهوم العقلى للأداء الفنى الكامل . فظهرت لوحات بيكاسو وهى تعبر عن الذعر والخوف عند الانسان كموقف مترابط امام اخطار الحياة . ومزج ميرو بين البدائية والطفولة فى أعماله تعبيرا عن الحس المشترك الذى يربط الناس بعضهم ببعض وظهرت رواية السقوط لمؤلفها كامو تعبيرا عن الاحساس بالذنب الذى يشعر الأنسان فى أعماقه بالرابطة القوية التى تشده الى سواه من الناس . وشاع التعبير فى الروايات الأدبية بعد ذلك عند عدد من الكتاب لتحديد الاحساس بالذنب عند جموع الناس كأساس للارتباط بالبشرية بعد ذلك ككل .

كذلك أوجدت الفلسفة الظاهرية الاحساس بمدى أهمية الوعى الانسانى ودوره فى تجميع الأحداث الخارجية بوصفه العالم الذى تعيش فيه الوقائع الخاصة بالعالم الخارجى . أى انها حاولت ان تجعل من الوعي الانسانى حقيقة تتشكل من سقوط الأحداث والمرئيات والمشاهد على عقل الانسان . وفجأة ظهرت الرواية الجديدة عند ميشيل بيتور وناتالي ساروت . والرواية الجديدة هى قالب روائى جديد يحاول تجميع وقائع الرواية عن طريق مظاهر تواليها وتساقطها على الوعي الانسانى . فصارت أحداث الرواية سردا لمرئيات ووقائع تسقط على عينالانسان وتتجمع فى ضميره . وظهرت المحاولات الأولى لهذا النوع من الروايات فى رواية سارتر عن الفثيان التى تنحصر كل أحداثها فى المرئيات التى تجمعت فى عينى بطل الرواية .

وظهرت الفلسفة البنيوية بعد ذلك وهى محاولة جادة لاكتشاف الانسان خلال التسلسل المنطقى لوقائع الحضارات البدائية غير التاريخية . والحضارات البدائية تخلو عادة من التسلسل نتيجة انقطاع الحلقات البنائية لهذه الحضارات . وتحاول البنيوية استكمال هذا البناء باكتشاف التطور المنطقى الكامن فى مظاهر كل جانب من جوانب تلك الحضارات على حدة .

ولم نلبث أن رأينا الادب الحديث يكتشف الجانب الاجتماعي للرواية . وصارت اجتماعية الرواية الجديدة فنا خاصا يسمى به الروائى الى ايجاد بناء اجتماعي للأحداث .

وظهر كتاب علم اجتماع الرواية من تاليف جولد شتاين لمتابعة هذا الاتجاه عند المؤلفين والروائيين . واختفى بذلك

التعارض التقليدى فى الرواية الغربية بين الرواية التى تحكى احداثالجموع والرواية التى تقص أحداثا فردية .

وابتداء من روايات بلزاك أصبحت الرواية فى أرفع أشكالها وانماطهاتتخطى هذا التعارض التقليدى وتحكى قصة البناء الاجتماعى باكمله بواسطة سرد المغامرات الفردية التى تمثل كل المجتمع فى حركته . وعندئذ لا يكون الفرد هو كل شىء فى الرواية وانماتاخذ دورا ايجابيا كذلك كل الأشياء والماديات والظواهر الثقافية وتبدو كل هذه العناصر داخل الروايات كمجموعة علاقات تتحكم فى الوسط الاجتماعى .

وتتشكل أحداث الرواية عندئذ فى الحوار وفى اهداف الافراد من الحركة والنمو وتعبر هذه كلها عن مجموع الناس فى حياتهم . ولا توجدالشخصية الا فى اطار الحركة العامة التى تسيطر على المجموع .

ولكن المهم فى الرواية التى تخضع للأدب الروائى الاجتماعى المعاصر هو انها لا تقحم نفسها على الأحداث لتصحيحها أو اعادة تنسيقها . أو هكذا تبدو فينا على الأقل . فهى تقدم سردا للأحداث بدون تدخل فى تصويب هذه الأحداث لأنها تريد أن تفصح عن جوهر هذه التطورات . ويظل يداعب خاطرنا اثناء قراءة الروايات من هذا النوع حب عميق فى اكتشاف الخط الفاصل بين الخيال والواقع . ويسيطر علينا هذا الحب دون أن نعرف فى النهاية أين كان الخيال من الواقع . وذلك من صميم عمل الروائى الفنان . وسر ذلك هو أن الأشخاص هنا يتحولون الى اشياء حضارية تتحرك وفقالمفهوم واحد وهو ان هؤلاء الأشخاص لا يظهرون لنا الا من الخارج كأنهم دمى صغيرة تشكل دلالات عامة بالنسبة للوضع الاجتماعى .

وهكذا نرى أن التصورات الفلسفية فى الزمان والمكان والحركة والوضعتؤلف كيانا ثابتا لسريان الأحداث والمناسبات الأدبية والفنية وتشكل اطارا عاماتتحرك خلاله كل العناصر التى يريد أن ينقل بها الأديب او الفنان التعبير الذى يسهم به فى تشكيل حياتنا الثقافية .

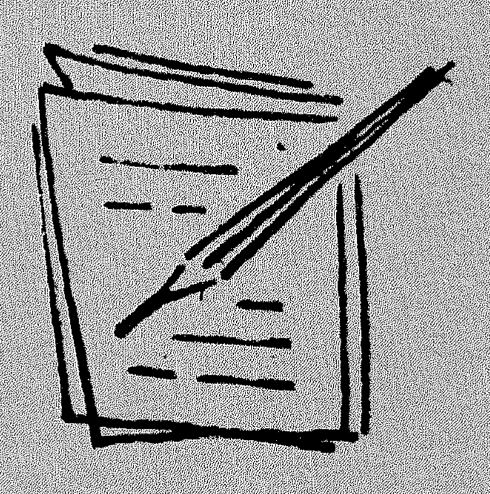
وقد انتقلت هذه العدوى مؤخرا الى المقالة . فصارت المقالة لنا قائما بذاته لتوصيل المعلومة الى ذهن القارىء فى شكل فنى جذاب . وشاركت المقالة المسرحية والقصة والعمل الفنى فىالعطاء الذى تقدمه للجماهير بحيث تستطيع هذه الجماهير أن تشارك فىحركةالثقافة وأن تسهم فى تقدير أبعاد الحياة الثقافية وأن تتذوقها وتستمتع بها.

وقد صارت المقالة فنا قائما بذاته له أصوله وقواعده . وقد عرفنا فىمصر هذا النوع من فن المقالة فى أعمال ابراهيم عبد القادر المازنى ، وأستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود . وليست هذه المقالات مجرد سرد لغوى أو صور بيانية ولكنها فنون ادبية تتحرك للتعبير عن اهم التصورات التى تسيطر على العقل الانسانى فى احدى الفترات ، وكتب مثل صندوق الدنيا وقبض الريح للمازنى ، وجنة العبيط لزكى نجيب محمود تعبر أصدق تعبير عن المقالة الفنية التى يراد بها المشاركة الفنية فى تذويب التصورات العامة واخضاعها وتذليلها للافهام .

ونحن نحس فى اعماقنا بمدى أهمية التصورات التى تسيطر على العصر . وأدباؤنا مطالبون باستطلاعها من اجل اعطائها القالب الأدبى المقروء أو المظهر الفنى المنظور حتى يستطيع الانسان العادى أن يستمتع بالآفاق الفكرية وأن يحس بتيارات العصر وأحداثه ومكوناته الثقافية فى اسلوب سهل بحيث يتعرف كل واحد منا على ما يشغل الفكر المعاصر وعلى ما يدور فى عالم الفلسفة ذاتها من تطورات .

والفلسفة عندنا بدورها مطالبة بالمشاركة فى ايجاد هذه التصورات حتى يحلق الفن والأدب فى سمائها وحتى يمكن عن طريقها توحيد المشاعر والاحاسيس، وخلق الائتلاف بين جموع الناس، واشاعة المتعة الادبية والفنية بين صفوف المثقفين ●

يتعلمون بدون كراس أو قلم



هذه صورة الطف فصل دراسي رايناه ، فان التلاميذ هناك يكتبون على الرمل بالاصبع ، ولا حاجة الى ورق او قلم ..

وهذه هي احدى الوسائل التي ابتكرها خبراء اليونسكو لنشر التعليم في نواح يعجز ابناؤها عن شراء الورق والقلم : يكتب المدرس الدرس على سبورة متواضعة موضوعة على الرمل ، ويكتب الطلاب على الرمل ، ويمر المدرس ويصحح ماكتب التلاميذ ، ثم يمحو السبورة ويمحون ما على الرمل وينتقلون الى المقطوعة التالية .

هذه الصورة أخذت لدرس في جنوب السودان . لاحظ ان الاولاد يتعلمون كيف يكتبون لغتهم بحروف لاتينية . كان ينبغي أن يكتبوها بحروف عربية ، ولكن هذا يستلزم وجود مدرس عربي ، ولكن المدرس العربي يجري وراء الانتداب الى بلاد تدفع رواتب عالية ، ومهما فعلنا فهو لن يقبل الذهاب الى قرية أكواخ ليعلم اطفالا يكتبون بالاصبع على الرمل .





حكاية حب ضائع وجهد جبار خلال أربع سنوات
رواية رائعة وملايين الدولارات

كولين ماك كالو

هي حديث عالم الادب في الغرب هذا العام بروايتها الذائعة « طير الاشواك » وهي مولودة في استراليا انها استرالية الاصل . ولدت في ضاحية من ضواحي سيدني ، أسرتها أسرة مكافحة . أبوها بدأ حياته مهاجرا انجليزيا يعمل في حقول زراعة قصب السكر ، ثم انشا شركة صغيرة لمقاولات البناء ..

أما هي فدرست الامراض العصبية ولم تكمل فاكتفت بالتمريض ، وضاقت بها سيدني فهاجرت الى الولايات المتحدة والتحقت بقسم الامراض العصبية في جامعةييل،وعملت رئيسة قسمتمريض براتب سنوى قدره ٨٠٠٠ دولار في السنة ثم ارتفع الى ١٢٠٠٠ ووقف عند ذلك الحد ..

ثم ارتبطت بعلاقة حب برجل يصغرها (كانت في السادسة والثلاثين)ثم تركها ومضىفأصابتها أزمة عاطفية عنيفةوضاقت بها الدنيا .

وفي ذات يوم كانت وحدها في حديقة المستشفى عندما تذكرت قصة أسرة انجليزية هاجرت الى استراليا وشقت طريقها وسط مصاعب وآلام لانهايةلها .. قصة عنيفة تشبه الى حد كبير قصة ((ذهب مع الريح))

وأخذت تفكر في هذه الحكاية شهورا ، ثم جلست الى آلتها الكاتبة وأخذت تكتب .. وانتابها حماس بالغ .. كانت تكتب ثلاثةأيام متوالية وتستريح اليومالرابع . كانت تدخن ٨٠ سيجارة فياليوم وتشرب نحو لتر من القهوة المركزة في اليوم .

كتبت روايتها أربع مرات : كتبت ١٠٠٠٠ صفحة لتخرج بألف في النهاية .

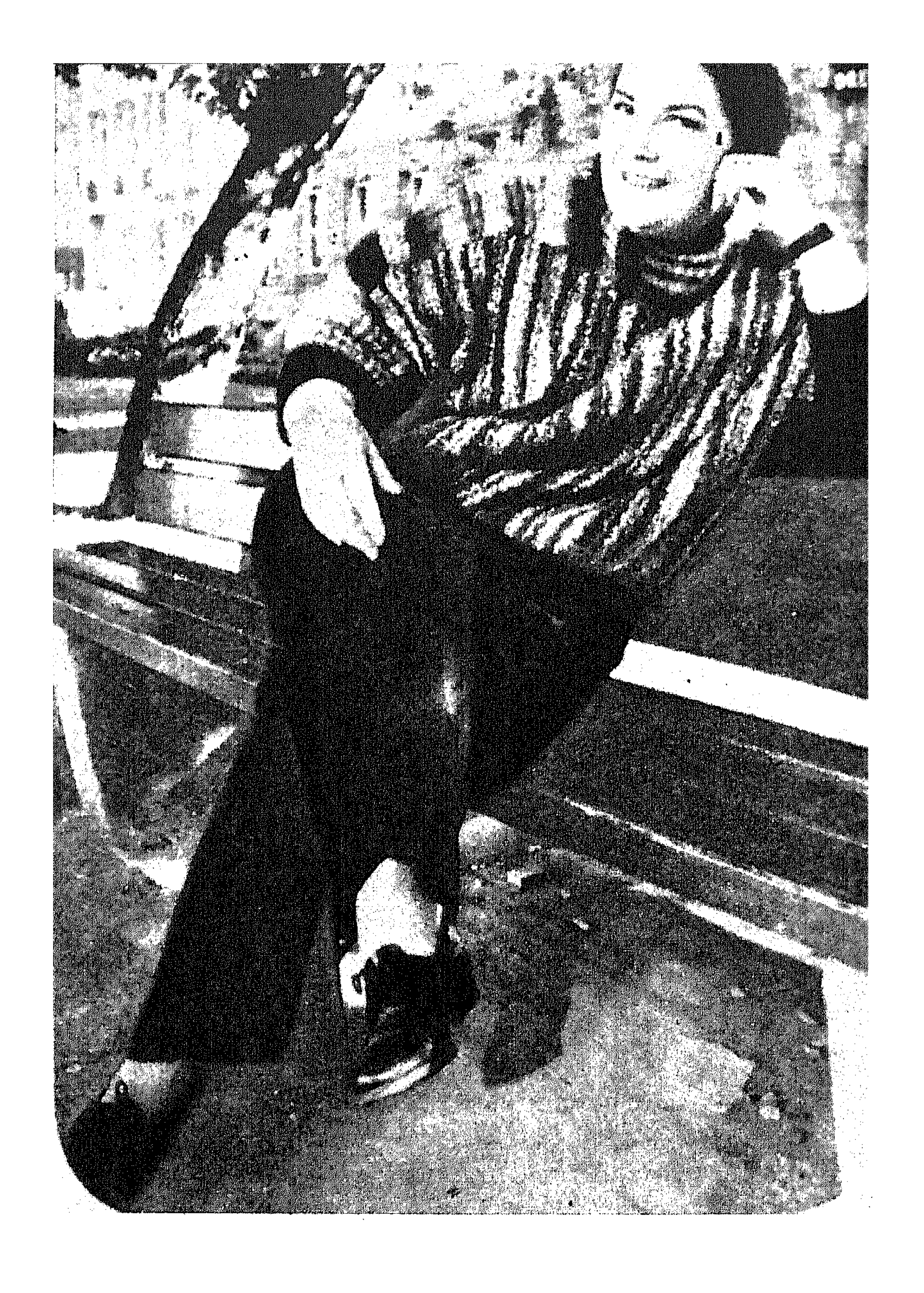
وذهبت الى ناشر كبير في نيوهيفن وهي المدينة التي تقوم فيها جامعة ييل.

وقرأ الرجل الرواية وأحس أنه أمام عمل عظيم ، وفي الحال وقع عقدا مع كولين ماك كالو .

وظهرت الرواية في المكتبات .

في اقل من ستة شهور باعت فوق نصف المليونمنالطبعة المجلدةالتيتباع النسخة منها بسعر ١٨ دولارا ..

انها قصة أسرة انجليزية هاجرت الى استراليا في القرنالثامن عشر وخاض كل أفرادها معارك رهيبة مع الموت والعطش واهمال الدولة حتى تمكنت أن تنشيء



لنفسها مكانا تحت الشمس .. أنشأت مدينة كاملة وصناعة زاهرة ..

انها اسطورة بطولة رجل وامرأة عرفا كيف يخضعان الزمن للارادة الغلابة ...

الرواية تبيع اليوم مليونها الثانى فى طبعتها الانجليزية ، وطبعتها الفرنسية تقترب من المليون وكذلك فى الالمانية ..

ومساعدة المعمل التى أصيبت بنكسة عاطفية أصبحت اليوم مالكة ضيعة واسعة فى ولاية كونيكتكات فى الولايات المتحدة وتتعزى بالمال عن الحب الضائع والعمر الذى مر دون زواج ..



ليس بالملايين وحدها يحيا الإنسان

انت تعرف سيارات اوبل ولاشك

هذه السيارات من انتاج شركة أنشاها رجل واحد يسمى آدم اوبل بدأ يعمل من سنة ١٩٠٥ وظل يكافح حتي استطاع أن يقيم هذه الشركة الضخمة ويجعل سياراته من أحسن ما يجرى على عجل على طرق العالم كلها .

هذا الرجل لم ينجب غير بنت واحدة .. تسمى مارى كريستيان اوبل الشهيرة باسم بوتسى أى القطة

القطة هذه ورثت اموال أبيها كلها ، ايرادها الشهرى ملايين ..

ولكن الملايين ليست كل شيء في هذه الحياة .

أهم منها العقل والرزانة وفهم الحياة .

ولكن أموال كريستيان حرمتها من الاستمتاع بنعمة العقل . منذ أن تخطت الخامسة عشرة أخذت تجرى فى « سكك الغواية» واجتمعت حولها جماعات السوء . فاشترت فيللا في بلدة سان تروبيز في جنوب فرنسا ، وعاشت هناك حياة لاتسر ، وتعلقت بشاب يسمى مايكل كراج وأدمنت



المخدرات ، وكان هو يتجر بالمخدرات ، واستخدم المسكينة في اغراضه ، فجعل فيلتهما مخزنا للحشيش والميرجوانا وما اليها من سموم العقاقير •

وتدهورت المسكينة ونهبها هذا الشاب الضارى نهبا ، ولكنها ظلت متعلقة به وانجبت منه طفلة •

وفى ذات يوم داهم البوليس الفيللا وقبض على سليلة بيت اوبل وصاحبها و ١٥٠٠ كيلوجرام من المخدرات • وسيقت للمحاكمة ، وحكم عليها بالسجن، واصدر مجلس ادارة شركة اوبل قرارا بالوصاية عليها، ووضعت خلف القضبان

وازدادت تدهورا ••

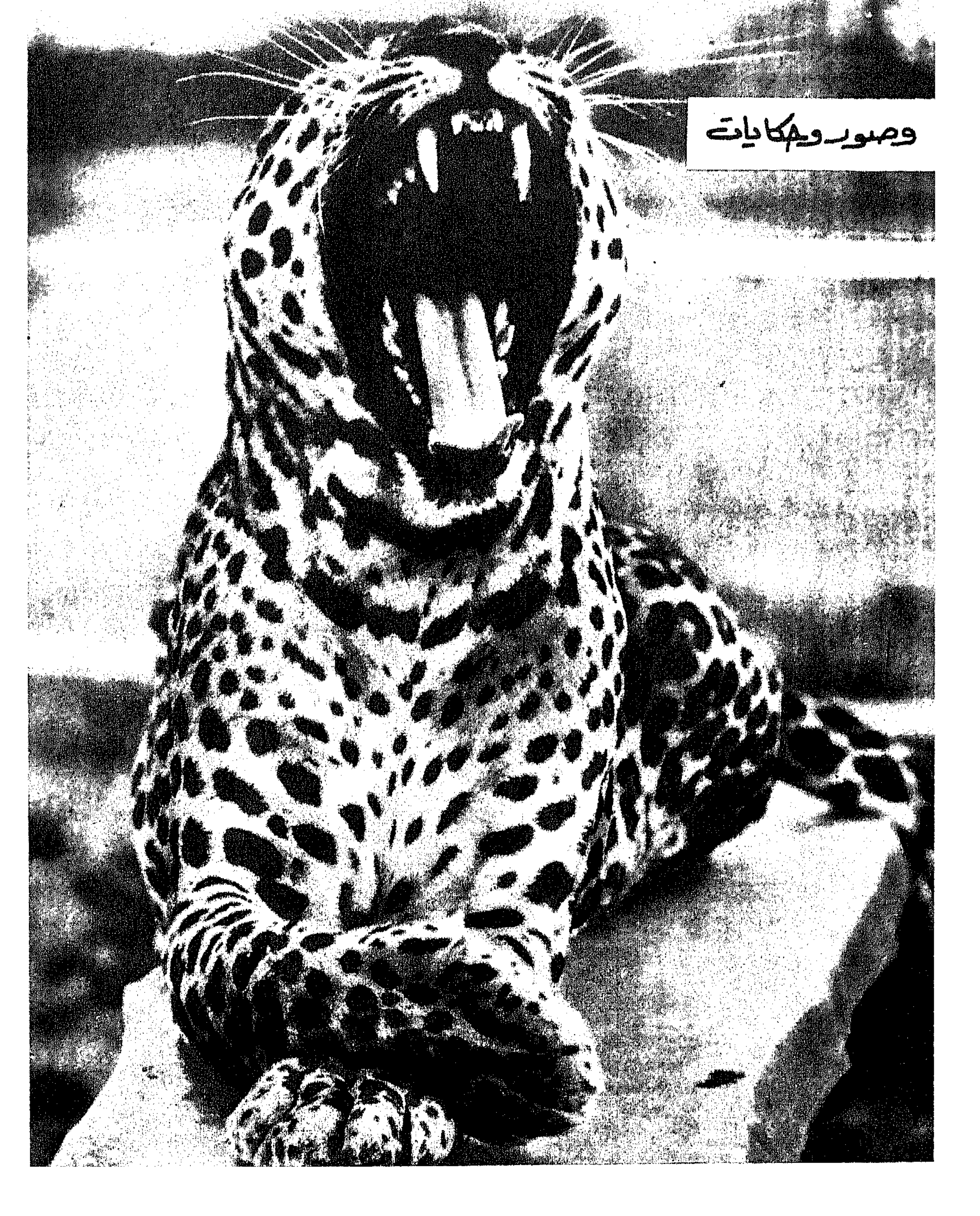
وبعد شهور أفاقت وطلبت أن ترى ابنتها ، ورفضت المحكمة ، ولكن طبيب السجن عارض قرار المحكمة وسمح للام المسكينة بأن ترى ابنتها مرة في الاسبوع •• ومنذ بدأت الأم التعيسة ترى ابنتها أخذت تنتعش وتتحسن •

لقد شفيت من داء المخدر وأخذت طريقها الى الشفاء •

ولم يقف الى جانب هذه المسكينة فى محنتها الا شاب ممن كانوا يحسبون فى مقدمة الشباب العابث فى اوروبا او من يسمون باسم بلاى - بوى هو جنتر ساكس وارث شركة جونتر ساكس الالمانية التى تصنع ارقى اصناف « بلى » المحركات والسيارات فى الدنيا •

لقد عقل الان بعد أن تنازل عن نصيبه فى الشركة والمنزل فى سويسرا وانصرف الى المشروعات الانسانية •

هذا الرجل كان فى يوم من الايام زوجا لبريجيت باردو ولكن السنين علمته أشياء كثيرة ••



ولا مؤاخذه

هـذا النمر اللطيف فى حديقة حيوانات برلين لايريد أن يفزعك باتساع فمه وطول أنيابه ... انه يتثاءب ...

انه مرتاح وسعيد : آكل وشرب وجلس يستريح وفتح فمه ليتثاءب فلا تخف ، ولكن حذار فان هذا الفم الرحيب يستطيع أن يحتوى انسانا ... انه باب من ابواب الآخرة .



ولا يهمك

تمتاز الاوزة بانها طائر ضخم لطيف وديع يعيش في عالمه الخاص

رافعا رأسه في الهواء ، ضاربا بالدنيا عرض الحائط .

ولكن هذه الاوزة الالمانية زادتها ((حبتين)).

لم تجد مكانا تستريح فيه الا شريط الترام ،

فجلست وفرشت واطمأنت .. ولا يهمك ..

وهي لن تتحرك لترام ، وغير ترام، ما دامت هي مستريحة هكذا ، فماذا يعنيها ؟

من أجل بلدى



جماعة من السيدات الوطنيات يضربن مثلا للمرأة العربية وكيف تستطيع أن تؤدى لوطنها أجل الخدمات بالاخلاص والصدق والعمل .

منذ خمس سنوات تقريبا بدأ فريق من السيدات المصريات الغيورات على سمعة بلدهن تجربة رائدة ... هى تكوين « جمعية بلدى » بهدف الاسهام فى نشر الوعى النظافى بين أفراد الشعب ..

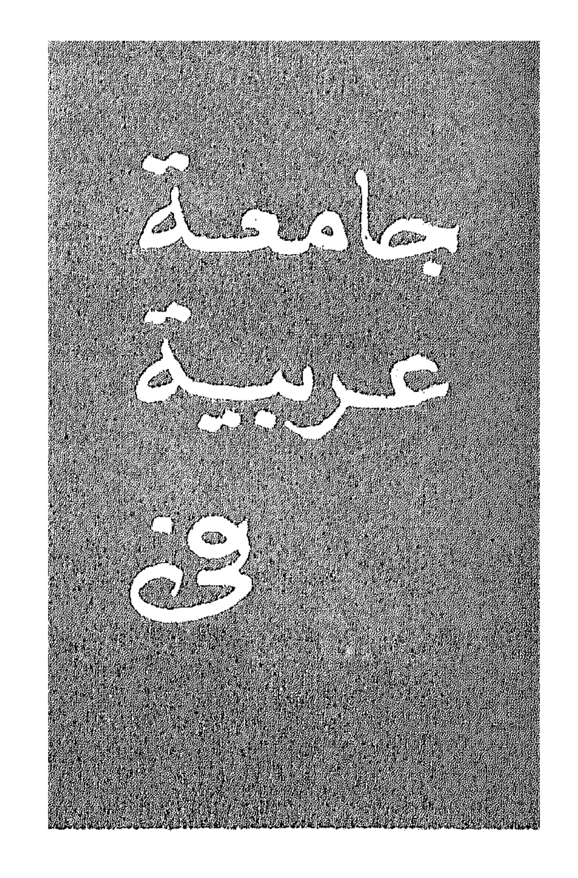
قادت الفكرة السيدة ماجدة الشافعي ومعها سيدات فضليات ، ممن لهن خبرة سابقة فى حقل الخدمة الاجتماعية وكلهن يحلمن بأن يجيء اليوم الذى يعود فيه الى بلدنا العزيز رونقه وجماله وسمعته الطيبة بين بلدان العالم المتحضر . فنظمن فرقا ومجموعات — وبدأن بكل حماس — الاشراف على نظافة بعض الاماكن العامة . وقد لاقين تعاونا صادقا من المسئولين .. الامر الذى شجعهن على المضى فى مهمتهن الصعبة ، وبالرغم من كل العقبات ، **فتولين الاشراف على نظام ونظافة المعرض الصناعي ، ثم المتحف المصرى . كما كرس فريق منهن جهوده لملاحظة نظافة بعض دور العرض بالقاهرة ، وأشرفن أيضا على نظافة حديقة الحيوان ، ومحطة مصر ، ومطار القاهرة ، وساحة سيدنا الحسين ، ومنطقة خان الخليلي ، ومجمع التحرير وغيرها من الاماكن العامة .**

وبعد فترة وجيزة بدأت تظهر نتيجة جهودهن بشكل واضح ، مما حدا بالدكتور اسماعيل السباعى ، عميد معهد السرطان بالاعتماد على الجمعية لمعاونته فى الاشراف على نظافة المعهد والمستشفى . ولم تبخل العضوات بجهودهن فى هذا العمل الوطنى ، فتحسنت الاحوال هناك بشكل ملحوظ . كذلك طلب عميد كلية طب الازهر ، دكتور فؤاد الحفناوى من الجمعية الاشراف على نظافة مستشفى الحسين الجامعى الذى يرأس مجلس ادارته .

ونظرا لظروف خارجة عن ارادة سيدات الجمعية ، فقد تعذر على الجمعية مواصلة التقدم لخدمة أهدافها كاملة ، فان فكرة التوعية للنظام والنظافة والجمال تتطلب المشاركة من جميع الجهات المسئولة وكذلك كل أفراد الشعب ... ولابد من متابعة المشاريع والمعاونة الجادة من المسئولين ، **تدعيما للجهد الصادق الذى يبذله المسئولون فى هذا المجال ، ويكفى الجمعية فخرا أنها كانت المحرك الاكبر لكل الاقلام التى انبرت تكتب وتدعو وتحث على النظافة .. فعدنا نقرا العديد من المقالات بالصحف والمجلات وكلها تدعو الى نشر الوعى النظافى بين الافراد .**

كذلك كانت الجمعية حافزا لوسائل الاعلام الاخرى من اذاعة وتليفزيون .. على الاهتمام باتباع جميع الوسائل الصحية السليمة للوقاية من الاضرار التى تهددنا نتيجة الاهمال فى هذه الناحية . وكلنا أمل فى أن تؤتى هذه الجهود ثمارها ، فيقوم كل فرد فى هذا البلد بجهد يتناسب مع قدرته فى الاسهام بدوره فى خدمة بلده . ويجب علينا جميعا أن نطرق كل وسيلة وأن نسعى باخلاص فى نشر الوعى النظافى والجمالى . ليس فقط على مستوى القاهرة أو حتى بعض مدننا الكبرى ، بل يجب الاهتمام بالريف أيضا **عن طريق أفلام سينمائية توضح أهمية النظافة والترتيب والجمال . وبذلك نأمل أن نعيد لمصرنا العزيزة كل ماهى جديرة به من حاضر كريم ومستقبل زاهر .**

سامية هاشم
عضو جمعية بلدى



الظل !

● عدن ـ عاصمة اليمن الديمقراطية الشعبية ـ عدن ـ تشكل احدى المحافظات الست بالجمهورية ،وتتكون من ثمان مجموعات سكنية ، متباعدة الى حد ما ، هى التواهى ، والمعلا ، وكريتر ، وخور مسكر ، والشيخ عثمان ، والمنصورة ، والشعب ، والبريقة ..

وجامعة عدن نشأت فى « خور مسكر » ، حيث السفارات ، ومساكن الدبلوماسيين وكثير من الاجانب .. وقد كانت خور مسكر مقر الحاكم الانجليزى ايام الاحتلال ، ولا تزال مساكنها تحمل طابع المعسكرات الانجليزية .

وقد نشأت جامعة عدن فى مدرسة ثانوية ، بدءا بكلية التربية ، قسم للاداب ، وقسم للعلوم : وقد يصبح القسمان كلية للاداب واخرى للعلوم ، وفى مبنى آخر ملاصق تحبو كلية الطب على مهل .

وفى (كريتر) نشأ ما يسمي بكلية الادارة والاقتصاد ، وهناك قرار ان تنشأ عام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ كلية للقانون تطويرا لقسم الادارة .

وفى (المعلا) يقع المعهد الفنى ، الذى كان له دور بارز فى (معرض المعارض) الذى أقيم فى اكتوبر سنة ١٩٧٧ م ، بمناسبة مرور عشر سنوات على انتصار الثورة ، وتحقيق الاستقلال ، وهناك امل فى أن يأخذ المعهد طريقه الى كلية للفنون أو للهندسة ..

وفى (الشعب) ـ التى تبعد حوالي خمسة عشر كيلو مترا ـ مبنى حديث لادارة الجامعة ، والسبب فى اقامة الادارة بهذا المقام البعيد أن وعودا من ليبيا ومن العراق ومن الاتحاد السوفييتي ايضا بذلت ، من اجل بناء مجمع خاص الجامعة بكلياتها ومساكن طلابها ، واعتمدت رسوم لذلك ، ومنذ سنوات والوعود لاتزال وعودا ، والرسوم لا تاخذ طريقها الى التنفيذ .

وهناك فى (لحج) ـ عاصمة المحافظة الثانية ـ انشأت مصر مدرسة زراعية ، تطورت الى كلية للزراعة .

وعلى مسيرة ثلاث عشرة ساعة بالسيارة ، فى مدينة (المكلا) ـ

عاصمة المحافظة الخامسة ـ فرع آخر لكلية التربية .

***

الحياة الجامعية تتحرك بما يسمى (القصور الذاتى) .

ليست هناك (كوادر) متخصصة تنهض بواجبات الادارة والتعليم ، فضلا عن نشر ورعاية الطرق العلمية الصحيحة للاطلاع والبحث . بالاضافة الى الفقر الشديد فى المكتبات والمختبرات والأجهزة ومواد التجارب.

فى كلية التربية ـ قسم الاداب بفروعه المختلفة ـ مصريان حاصلان على الدكتوراه وآخران سودانيان ، وعراقيان (والأربعة تخرجوا فى الاتحاد السوفييتي) ، وفلسطيني ، وروسى ، والمانى شرقى ... وثلاثة حاصلون على الماجستير ، سودانيان وفلسطيني .. وما عدا ذلك (معيدون) يمنيون ، يقوم على كاهلهم العبء الكبير فى الادارة والتدريس ..

وفى قسم العلوم بكلية التربية ، وفى كلية الطب ، لاتكاد تجد من أهلته دراسته الجامعية النهوض بهذه التبعة الخطيرة .. والغالبية العظمى لهيئة التدريس من الهنود الذين حصلوا على (الماجستير) ، ويدرسون باللغة الانجليزية مواد في مستوى الدراسة الثانوية ، يعينهم فى ذلك (المعيدون) الذين تخرجوا حديثا فى الجامعات العربية .

وفى كلية الادارة والاقتصاد مصرى واحد حاصل على الدكتوراه ، وآخر عراقى ، وبقية الجهاز من المجتهدين او فى حكم المجتهدين .

والمعهد الفنى يحظى بعدد وافر من المصريين ، مدرسى المرحلة الثانوية ، وبه سودانى حاصل على الدكتوراه من الاتحاد السوفييتى ، يعينهم طاقم (المعيدين) .

وكان التعليم فى كلية الزراعة وقفا على المصريين بالاضافة الى (المعيدين)، ولاتزال تحمل اسم (كلية ناصر) ، اعترافا بفضل مصر التى رعتها مدرسة وكلية ، بالعلم وبالمال ، لكن

ـ مع الأيام الأخيرة ـ اخذ الطابع المصرى يضعف ، لأسباب كثيرة .

***

تمويل الجامعة ـ رواتب ونفقات ـ تنهض به الكويت والامارات فى الدرجة الأولى ، بالاضافة الي صندوق الدعم العربى .

مكتب الكويت فى عدن يقدم رواتب عدد لايتجاوز أصابع اليد الواحدة ، لانه يقدم رواتب عشرات من مدرسى المدارس الثانوية ، فضلا عن الاطباء وينهض بمشروعات عمرانية كثيرة ، وفى العام الماضى قدم عدة آلاف من الكتب الجامعية ، لم تر النور بعد ، بسبب عدم وفرة المكان .

((والمكتب)) يتعامل مع المدرسين على اساس (المساواة) الكاملة ، دون نظر الي الخبرة او الأقدمية اوالألقاب العلمية ، فجميعهم (محاضرون) ، يحصلون على مبلغ غير قابل للزيادة والنقصان .

اما الامارات وصندوق الدعم فيقدمان للمسئولين الحصة المتفق عليها ، ويتولى المسئولون توزيعها على جوانب النشاط المختلفة .

وقد نشأت مفارقات لطيفة فى تقدير (الرواتب) ، بسبب عدم توافر الخبرة الادارية لدى بعض من ينهضون بهذا العبء .

حدث ان فلانا ((الماجستير)) يزيد راتبه على فلان (الدكتوراه) ، وان فلانا (الدكتوراه) من الاتحاد السوفييتى يزيد راتبه على فلان (الدكتوراه) من غير الاتحاد السوفييتى .

وانتقلت عدوى المفارقات المالية الى (المعيدين) ، ابناء اليمن ، مما جر الى تحقيق ، واوقف بعض المسئولين.

ولأن الجامعة تتولى توفير المسكن وتأثيثه لهيئة التدريس ، فقد امتدت المفارقات الى هذا المجال كذلك، وصار الروسى أو من تزوج روسية أو من تعلم فى روسيا يعامل معاملة أرقى ، من حيث المكان، ونوع الاثاث وحجمه. ويلاحظ ان الجامعة تتولى الانفاق على

الطلاب ، فتقدم الرواتب ، وتهيء المسكن ، ويجدون الطعام الميسر فى (المقصف) ..

***

الروح الجامعية التى تقوم على قوة الاتصال بين الاستاذ والمعيد وبين المدرس والطالب ، تكاد تكون مفقودة، بسبب تحريم الاتصال بالأجانب ،ومن ثم لاتكاد العلاقة تتعدى جدران قاعة الدرس .

هذا ، مع أن الانسان اليمنى يملك مقومات تكوين مجتمع حى متفاعل بفضل ذكائه وسماحته ومرحه

لاتكاد تحس بالروح الجامعية الا من خلال احتفالات آخر العام ، اذ ينطلق الطلاب والطالبات ، يغنون ويرقصون، ويمزحون ، فى نشوة جماعية سخية، بعيدا عن العقد وعن التظاهرات المتكلفة .

ولاشك فى ان فقدان (الروح الجامعية)) خلال العام الدراسى جعل المدرس اشبه (بشريط تسجيل) ، والمناقشة اشبه بالتثاؤب المريض ، يقعد الطلاب عنها قيود كثيرة ، وكان التسليم او الاستسلام ضربة لازب .

واذا كان للحرارة والرطوبة دور سلبى ، فان انتظام الطلاب من اول يوم فى العام الدراسى حتى آخر يوم فيه ، وما يتحلى به الطلاب من دماثة ، وما تهيئه الادارة من مناخ مقبول لهيئة التدريس ــ كل ذلك كان من الممكن ان يضفى على العملية التعليمية صيغة جادة تؤتي ثمرات طيبة ، او ثمرات أكثر جودة .

لايكاد يطالعك ــ داخل الدرس وخارجه ــ ما يشير من قريب أوبعيد الى انك تعمل فى مجتمع مضى عليه فى الاسلام اربعة عشر قرنا .

ومع هذا ، فالاقنعة لاتخفى كل ماوراءها .

ومن ثم تتحدد مسئولية البلاد العربية والاسلامية .

***

اليمن الديمقراطية الشعبية تقوم حياتها على المعونات التى يلتهم معظمها الخبراء والطفيليون ، فالميناء العالمى بعدن اصابته كل الأمراض المنتشرة فى المنطقة ، صار يتحرك فى بطء ،ويتنفس الحشرجة ..الثروة السمكية الهائلة صارت على ذمةمراكب الصيد اليابانية والروسية ، والملاحات الكبيرة لاتعطى ثمارا مرجوة ، والناس يعيشون على فتات تنتجه بعض المزارع الجماعية ، وعلى معونات من المعلبات تاخذ طريقهاالىالمجمعات الاستهلاكية .

الفقر ، المرض ، الجهل اشباح تتحرك فى كل مكان ..

ومن هنا كان على البلاد العربية والاسلامية أن تنفق عن سعة ، من مالها وخبراتها ، لا لتنهض بالشعب العربى المسلم من كبوة قد تطول ،بل لتحمى نفسها من عدو يترصدها فى كل سبيل .

الاشتراكية (المتطرفة) ليست خطرا على الجنوب اليمنى ، لانه يعيش الاشتراكية المتطرفة بحكم المعاناة التى تحاصره وتقيد خطواته ، فلم يكن يوما مجتمع الراسمالية المستغلة والاقطاع المستبد ، حتى يخشى عليه « الوباء » .

يجب على العالم العربى الذى يعيش مبادرة السلام ان ينظر . الى اليمن الديمقراطية الشعبية بمنظار آخر ، فيمد يده ليكسب الشعب ، وليكسب الارض ، ويحول دون المتربصين .

مازالت المساجد فى اليمن الديمقراطية الشعبية تعلن عن اسلامها وعروبتها ، ومازالت الكلمة المسلمة العربية والخلق المسلم العربى يحركان الجماهير الكادحة المغلوبة على امرها، والاذاعات العربية الاسلامية تدخل كل بيت ، وتخاطب آذانا كثيرة ، وما علينا الا ان نسارع بالعون السخى حتى ندعم الانتماء العربى الاسلامى ،ونحقق القدرة على الصمود ، وبهذا نستعيد الابن ونضع لبنة فى توحيد الكيان الممزق ، بدلا من ان نضيع بين شعارات والوانات اطلقها اعداؤنا، لتشغلنا عن حقيقة واحدة يحددها الوعى الصحيح بالعروبة وبالاسلام .

أطفال الأنابيب

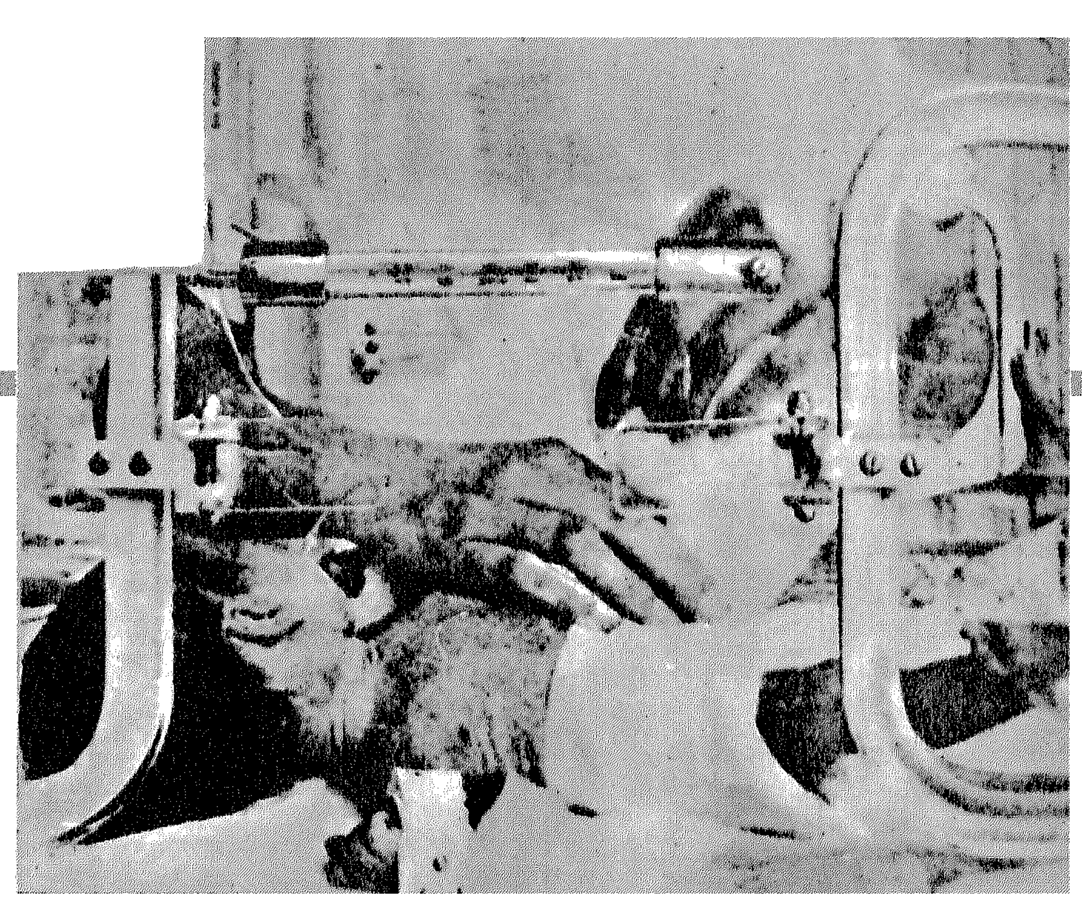
وخيالات الأدباء

نحن نعيش في عالم ليس من صنعنا ، وندركه بطاقة اودعها الله فينا ، وهكذا فنحن محدودون ، والكون غير محدود .. قدرتنا على الاحساس محدودة بحدود الحواس ، وقدرتنا على استنباط نظام الكون مهما نحس به محدودة هى ايضا بقدرتنا على الاستدلال ، واذا كان يخيل الينا اننا عرفنا الكثير ، واذا كان من سياتون بعدنا سيعرفون اكثر واكثر ، فان هذا لا ينفى احتمالات كثيرة منها اننا لانرى الاقدرا يسيرا من العالم وهذه حدودنا المكانية ، واننا سنمضى به فترة محدودة من تاريخه وهذه حدودنا الزمانية .. وان هناك الكثير مما يجرى لا يمكننا ادراكه ، وهذه حدودنا المعرفية ..

● **وقد يكون المخلوق ذكيا قادرا على المعرفة ولكن معرفته لا تتعدى حدودا يعيش فى داخلها** بحكم ظروفه ،وحدودا أخرى لا يمكنه أن يتعداها بحكم تكوينه ، وهذاماتقوله لنا الآية الكريمة: ((**وما أوتيتم من العلم الا قليلا**)) ولا شك ان هذه الآية تخاطب بنى الانسان طوال الزمن .

أى أن الانسان حتى لو امتد علمه بعد آلاف السنين الى آفاق لا نتصورها نحن الآن فانه سيظل لا يعرف الا قليلا . لأن حدود الكون بل حدود الالكترون الذى لا يرى ، ستظل أكبر واوسع من قدرته على المعرفة ..

ولكن هذا لاينفى أن هناك أشياء يمكن للانسان أن يعرفها ،وهى أنظمة



ثابتة للكون كما وجدناه ، كالجاذبية مثلا ، العالم المادى كما نراه يسيطر عليه قانون الجاذبية ، ومن تكرار ظواهر الجاذبية امكن لعالم مثل اسحق نيوتن ان يستنتج قوانين الجاذبية ، وامكن للمهندسين ان يطبقوها فى صناعات عديدة منها صناعة الفضاء ، ومن الخطأ ان يظن البعض ان وصول الانسان الى الكواكب او الى تفريخ الاجنة الادمية فى انابيب الاختبار كما يقولون — مجازا بالطبع فالمسألة اعقد من الانابيب — من الخطأ ان يظن ان فى هذا اجتراء على الخالق او ان فيه ادنى معصية فهو الذى خلق هذه القوانين وهو الذى اودع فينا القدرة على اكتشافها ، ولو شاء لما ابدع الانسان على الصورة التى هو عليها .

المادة والحياة والانسانيات

كما قال المرحوم الدكتور محمد كامل حسين ، فان الانسان بدأ يفكر فى العلم فى زمن لم تكن تتوفر فيه امكانيات البحث العلمى ، وهذا ما دفعه الى التفكير فى علوم الانسانيات فبدأ من فوق هابطا الى تحت !

وهذا هو ما ادى الى ضلال علم النفس الحديث فيما يقول الدكتور كامل حسين ، فى مقالته الرائعة « علمان ضالان ، الكيمياء القديمة ، وعلم النفس الحديث » ، وهو نفس سبب ضلال الكيمياء القديمة ، فقد كانت افتراضية وليست تجريبية .

اما علم اليوم فيما يتعلق بالمادة فيبدو انه يسير فى الطريق الصحيح ، واما علم الحياة ، فلعل اول خطوة كبيرة فى سبيل التعمق فيه جاءت سنة ١٩٥٣ عندما اكتشف العالمان فرانسيس كريك وجيمس واطسون — وكانا شابين صغيرين ، احدهما فى الواحدة والعشرين — اكتشفا تركيب « الجزىء » الرئيسى الذى يتكون منه الحمض المسمى « دى — اكس — ريبو نيوكليك » او « د. ن . ا » وهو الحمض المكون لمادة الخلية ، واكتشف ان هذا الجزىء الحيوى يتخذ شكل

منحنى حلزونى مزدوج تسجل عليه كل صفات الوراثة الخلقية للانسان والحيوان وان كل خلية فى كل مخلوق تحوى كل صفات هذا المخلوق مسجلة بهذه الطريقة .

وقد جاء هذا اكثر من ثلاثين سنة بعد رواية ((الدوس هكسلى)) الشهيرة التى سماها ((عالم جديد طريف)) او شيئا من هذا القبيل فهى عبارة صعبة الترجمة وردت فى سياق حوار فى مسرحية وليم شيكسبير ((العاصفة)) .

وهكسلى فى هذه الرواية يتصور شيئا لم يحدث حتى الآن ولا نستطيع ان نتنبأ بحدوثه أو عدم حدوثه ، ولكن شيئا واحدا هو المؤكد وهو ان الطريقة موجودة .

يتصور هكسلى انه بعد مئات الالوف من السنين سيتقن العلماء فنون الاخصاب فى « انبوبة الاختبار » – كما يقال تجاوزا ، وكما حدث فعلا فى انجلترا منذ أسابيع – وعلم الوراثة أيضا ، وبهذا وذلك بامكان العبث بالحلزون المزدوج ، وتفريخ الادميين فى المصانع – وهو مالم يحدث فى انجلترا ، مما سنأتى له فيما بعد – بهذين ، يمكن انتاج الآدميين بالمواصفات المطلوبة وبطبقات وفئات تتفق مع « صالح المجتمع الانسانى » (هذه الجملة التى تصلح لأى هدف على الاطلاق !) فهناك الأذكياء والأغبياء والشجعان والجبناء والذين يولدون بسيقان طويلة أو بدون سيقان على الاطلاق لأنه لا داعى لها ... الخ

فكرة « طريفة » كعنوان الرواية ، ولكنها ممكنة ، ما فى ذلك شك .

وفى كتاب « اثر العلم فى المجتمع » يقول برتراند راسل انه لو امتد الاجل بالنازى لكانوا حتما قد لجأوا الى التناسل العلمى ، فهم ، كغيرهم من أصحاب المذاهب الشاذة ، يرون الخير فى « خير المجموع » ، والمجموع هو مجموعهم هم ، وهكذا .

بنفس التكنولوجيا ، يمكن ان نتخيل اشياء كثيرة ، فبقدرة الله ونكرر أن الانسان لايصنع شيئا فالله هو الصانع الوحيد ، ولا فرق بين صنع مقعد خشبى أو اعادة الديناصور الى الوجود ، فالله هو الذى خلق القوانين التى تجعل الخشب يصلح لصنع المقاعد ، وهو الذي خلق الحلزون المزدوج والطريقة التى يمكن بها تغيير صفات الوراثة ان وجدت مثل هذه الطريقة ، وبنفس التكنولوجيا يمكن « طبع نسخ » من نفس المخلوق ، مادامت الصفات الوراثية ستكون مسجلة بنفس الطريقة .

وهناك فارق كبير بين ما حدث فى لندن وسمى « طفل الانابيب » وبين مسألة طبع النسخ ويسمونها cloning وفيما يلى نبذة عن كل من الاسلوبين وكلاهما قد امكن التوصل اليه بدرجة ما ، ولم تحقيق بعض النتائج .

طفل الأنابيب

الذى حدث فى بلدة أولدهام فى بريطانيا – وهى بلدة صغيرة يقل سكانها عن ربع مليون – ليس شيئا يشبه تصورات هكسلى أو راسل ، وان كان قد اثار ضجة مكنت الاب والام من الحصول على نصف مليون دولار من حق بيع قصتهما لجريدة الديلى ميل ، مع تكتم كل شىء بالنسبة لغيرها من وسائل الاعلام ، كما انه لا يمت بصلة لما سبق ذلك من تصورات العبث بتجارب التكوين الحيوى من فرانكنشتاين الى حاخام براغ الذى ادعى فى القرن السادس عشر انه يملك قدرة خارقة يمكنه بها أن يوجد انسانا صناعيا الى آخر هذه الخزعبلات .

الذى حدث هو ان سيدة – مثل

ملايين السيدات ـ كانت تعاني من انسداد في الانبوبتين اللتين تصل عن طريقهما البويضـــة من المبيض الى الرحم ، حيث يحدث لها الاخصـــاب في الطريق وتتكـــون من ذلك كتلة خلوية ما تلبث ان تنتقل الى الرحـم حيث تنمو وتصبح الجنين . عولجت هذه الحالة بفتح صـــغير في بطن السيدة وعن طريق منظار خاص يبرع في اســـــتعماله الطبيب الانجليزى ((ستبتو)) ، وهو استاذ في امراض النساء ذو مكانة علمية عظيمــــة في امراض النساء والاناقة ايضـــا ، عن طريق هذا المنظار يمكن اســـتخراج بويضة من المبيض وتلقيحها بنطفة من زوجها . وبعد ان تمت هذه الخطـوة التي تتم عادة في الطريق الى الرحم، امكن زرع هذه ((العلقة)) في الرحـم وسارت الامور طبيعية بعد ذلك

حـــدث علمي عظيم ، لو اقتصر استخدامه على اسعاد المرضى وحـل مشاكل الذين لاينجبون ، ولكن العـلم ـ للأسف ـ أو التطبيق العلمي على الاصح ، لايقف ابدا عند هذا الحد ، لابد أن تأتي أطمـاع المســـتبدين وشرور السياسيين لتفسد كل شيء .

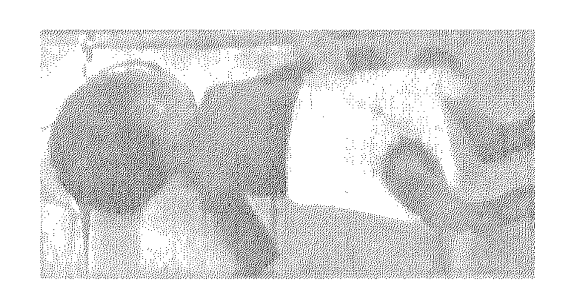
الشكوك ، والتجارب

وحتى الى هذا الحد لاينتهي الأمر، فهناك المتشـــــككون من العلماء ، ما ادرانا بحقيقة ما حدث ؟

وما ادرانا أن الانبوبة المســـدودة قد انفتحت وهذا ما احدث الحمل ؟

وماذا لو عمد الأطباء الى الخداع وزرعوا هذا في بطن تلك ؟

وترجع التجـارب الأولى الى مـــا يقرب من ربع قرن ، وفي ايطاليـــا أجرى طبيب تجربة امكنـــه بهـــا ان يحتفظ بجنين آدمي في انبوبة لمـــدة شهر كامل ثم تدخلت سلطات الفاتيكان واضطر الى تدمير التجـــربة ، وفي



منتصف الستينات اجريت تجــارب عـــديدة على الفئران والارانب ونجحت نجاحا كبيرا ، ربما لعدم وجـــود المشاكل والاعتراضـات التي تأتي من الآدميين . كما ان اجراء التجـــارب على الآدميـــين يتطلب ـ الى جانب المشاكل القانونية والدينية والأخلاقية ـ مالاً وفيرا ، وقد تمـــكن الطبيب الانجليزى من اجراء تجاربه لأنه جمع ثروة طائلة من عمليات الاجهـــــاض وهي قانونية هناك .

بينما يرى الكثيرون من العلمـــاء ورجال الدين أنه لاضرر ولا خطأ في اجراء هذه التجاربطالما انها تستهدف رفع الضر عن البائســـين ، يرى الكثيرون انها ستضر في النهـــاية بالروابط الأسرية التي يقوم عليهـــا المجتمع الانساني ، بينما يرى آخرون ان مجرد التدخل في سير الطبيعـــة (وهي عبارة مطاطة فيمـــا نرى) ـ ليس جائزا دينيا واخلاقيا ـ وهذا هو السبب في الاعتراض على الاخصـاب الصناعي بين زوجين .

والمحبذون يرون في تقدم هذاالفن خيرا كبيرا للبشرية ، وانه لو امكن ـ بقدرة الله ، ليكن هذا واضـــحا ـ اختيار نوع الجنين ، فان هـذا يمكن



من مقاومة امراض كالهيموفيليا ، التى تنتقل عن طريق الاناث لتصيب الذكور فقط ، كما انه يمكن من مقاومة الانفجار السكانى بالانقاص من الاناث لفترة محدودة بالطبع ، والا نشأت مشاكل اخرى .

صورة طبق الأصل

ولكن المؤيدين والمعارضين اتفقوا على شيء واحد ، وهو استنكار ما جاء فى كتاب بعنوان «صورة طبق الاصل» ظهر فى امريكا ويزعم فيه مؤلفه أن طفلا قد انتج من مليونير عجوز ، وبنفس الصفات الوراثية . ولو أن تجارب عديدة قد اجريت على الضفادع امكن بواسطتها نقل الخواص الوراثية من ضفدع الى بويضة ضفدع أخرى ، الا ان المسألة بالنسبة للادميين لاتزال — من الناحية العلمية على الاقل — بعيدة الاحتمال .

وترجع تجارب نقل الخواص الوراثية الى منتصف الخمسينات من هذا القرن ، وقد حققت نجاحا كبيرا فى الضفادع ، الا ان بويضات الحيوانات الثديية لا تزيد على واحد من عشرة او من عشرين بالنسبة لحجم بويضة الضفدعة ، كما انها لاتنمو فى البرك ، بل فى الارحام . ولكن على الرغم من ان «نسخ» الحيوانات الثديية لا يزال امرا فى حكم الخيال ، فان العلماء يقتربون من الجرذان عن طريق غير مباشر ، وقد بداوا ينزعون البويضات المخصبة حديثا حيث لا يكون الامتزاج بين البويضة وحيوان الذكر قد تم نهائيا ، وباستخدام الجراحة الميكروسكوبية ، تستخدم مواد كيماوية للتلاعب فى الجينات او الخواص الوراثية ثم يعاد الزرع فى رحم انثى ، واذا امكن تكرار التجربة بعد ذلك بين الاناث — مع استبعاد الذكر — فان جينات الذكر يمكن ان تختفى وتنتج انثى طبق الاصل تماما من الام ، صورة كربونية تماما !

ولهذه التجارب قيمة علمية عظمى ، فهى تمكن من انتاج حيوانات التجارب النادرة ، كما تمكن من تحسين نسل الحيوان المطلوب للاستهلاك الآدمى « بالطبع » الانواع الجيدة ، وقد يخيل للمرء أنه من المستحب مد التجربة لتشمل الآدميين لعل البشرية تتخلص من الانواع الرديئة المقلقة للراحة . ولكن المشكلة ان جينات الانسان غامضة وفيها انواع سيئة يصعب فصلها بسهولة وقد تكون العواقب وخيمة رغم حسن النية .

دستور العصر

الحقيقة الواحدة التى ستبقى بعد كل هذا هى أن الشعوب التى تدرك اهمية العلم والتطبيق العلمى هى التى ستبقى وهى التى ستزدهر .

ان التكنولوجيا والحياة الحديثة هى دستور هذا العصر ، وامام كل شعب هذا الاختيار الصعب : الجرى وراء الخرافات — سياسية كانت أم ميتافيزيقية ، أو ملاحقة العصر بحقائقه التى لا يمكن تغييرها .. الطريق الاول هو الاسهل . هذه هى الكارثة

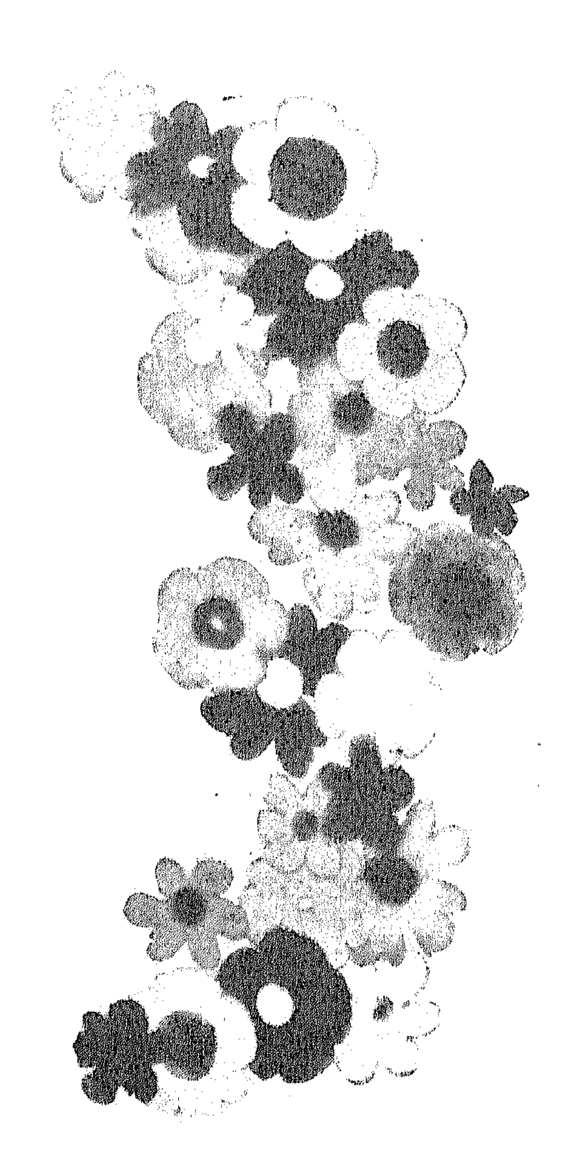


● د . انس داود ●

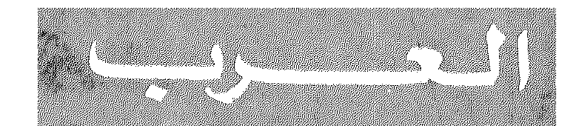
أحبكِ
أكثر من أى شيء ، أحبك
أحبك .. أنت ضياء حياتى
وبهجة بيتى ..
ودفءُ الحنانِ الذى أرتجيه
رفيقة عمرى ..
عبيركِ مازالَ فى خاطِرى
وبسمةُ ثغركِ
وسحرُ العيون الذى أفتديه
ورقتكِ الشاعريّة ..
كأنك همسُ « البيانو »
كأنك زهرةَ فل نديّه
أحن إليك ..
إلى ذكرياتِ الحنانِ الدفىء
ونحن نرود عطاء الربيع
وأرحلُ فى العطر والياسمين
وأنهلُ من خمركِ الكوثرية

***

دعينى أقبّل عبر الحروف،
وعبرَ عذاب البعادِ
أناملك السوسنيّه
وأرسلُ يا أمَّ أمجد
يا أم خالد ، يا أم حاتم
يا أم هذى الورود الصغيره
ويا أم هذى القطاطِ المثيره
ويا طفلتى الساحِره
دعينى أرسلُ باقة شوق .. إليك
لأيامنا المقبلة
ونبنى لأطفالنا ، للحياة
ونحن نباركُ نبتَ الربيع
وعود المنى العاطِره !



من ديوان



• د. محمود على مكى •

لامية العجم ...

● لفتتني في عدد « الهلال » الماضي قصيدة للشاعر ابراهيم صبرى بعنوان : أبيات من « لامية العرب الجديدة » .. فهل سبقتها فى الشعر العربي من قبل « لامية العرب » ؟ .. ومن كان شاعرها ؟ .. وهل هى غير « لامية العجم » المشهورة للطغرائي ؟ ..

قاسم بوحميده ـ تونس

ـ « لامية العجم » هى القصيدة المشهورة التى نظمها الشاعر فخر الكتاب مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن محمد بن علي الاصبهانى المعروف بالطغرائي . ولد فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، وترقى فى مناصب الكتابة حتى أصبح وزيرا للسلطان السلجوقي مسعود بن محمد بالموصل ، ولقب بالطغرائى نسبة الى الطغرى وهى الطرة التى تكتب فى أعلى الكتب السلطانية فوق البسملة بالقلم الغليظ متضمنة نعوت الملك وألقابه .

ولما جرت الحرب بين مسعود وأخيه السلطان محمود وانتهت بانتصار هذا الاخير ، كان أول من أسر من أصحاب السلطان مسعود هو وزيره هذا مؤيد الدين ، فأودع السجن ، ثم اتهمه حساده وأعداؤه بالزندقة والالحاد بسبب اشتغاله بالكيمياء ، فقتل في سنة ٥١٤ أو ٥١٥ عن نحو ستين سنة .

وقد أنشأ الطغرائي هذه القصيدة في بغداد سنة ٥٠٥ ، وفيها يفخر بنفسه ، ويصف حاله ، ويشكو زمانه . ومطلع القصيدة :

اصالة الراى صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وقد اشتهرت هذه القصيدة لما تضمنته من الحكم ، واصطلح الادباء على تسميتها بلامية العجم تشبيها لها بلامية العرب ، وهى التى قالها الشاعر الجاهلى الشنفرى الازدى ومطلعها :

اقيموا بنى أمى صدور مطيكم ... فانى الى قوم سواكم لأميل

وفى هذه القصيدة تصوير رائع للطبيعة الصحراوية الخشنة وبيئة وطباع سكانها العرب ، حتى استحقت أن تلقب « لامية العرب » .

ثم أتت قصيدة الطغرائى اللامية بعد أكثر من خمسة قرون ، وظفرت من اعجاب الناس وتقديرهم ما جعلهم يطلقون عليها لقب « لامية العجم » ، اذ أن صاحبها فارسى الاصل انتماؤه الى مدينة اصبهان ، فكانت هذه القصيدة من مفاخر ذلك الشعب العجمى الذى استخدم العربية لغة منذ أن صبح جزءا من أمة الاسلام . وليست القصيدة مع ذلك ـ كما يمكن أن يسبق الى الوهم ـ ثمرة من ثمرات الشعوبية ، ولم تكن تسميتها بلامية العجم ـ فى مقابل لامية العرب ـ

تعبيرا عن رغبة في مناقضة عنصرية أو مفاخرة قومية ، فليس في القصيدة شيء من ذلك ، وانما هو مجرد اعتراف بجودة القصيدة ، وتقدير لمحتواها ومضمونها .

وفضلا عن هذه الصفات المشتركة بين القصيدتين فان كلتيهما تعبير عن غربة الاديب الذي يحترم نفسه وفنه في مجتمع معاد يناصبه الخصومة . فالشنفرى الجاهلي يقول :

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى — وفيها لمن خاف القلى متعزل
لعمرك ما في الارض ضيق على امرئ — سرى راغبا او راهبا وهو يعقل
اديم مطال الجوع حتى أميته — واضرب عنه الذكر صفحا فيذهل
واستف ترب الارض كي لا يرى له — على من الطول امرؤ متطول

ورسيله الطغرائي يقول متحدثا عن مجتمع عصره :

حب السلامة يثني هم صاحبه — عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فان جنحت اليه فاتخذ نفقا — في الارض أو سلما في الجو واعتزل
رضا الذليل بخفض العيش مسكنة — والعز تحت رسيم الأينق الذلل
ان العلا حدثتني وهي صادقة — فيما تحدث أن العز في النقل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به — فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجل الدنيا وواحدها — من لا يعول في الدنيا على رجل

***

● من الشاعر القائل: «اسد علي وفي الحروب نعامة» وما مناسبة قوله هذا؟

سالم اسماعيل سالم ـ الاسكندرية

ـ هذا هو المصراع الاول من بيت قاله الشاعر عمران بن حطان السدوسي الشيباني يعير الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق بفراره من غزالة الحرورية وبقية البيت :

أسد علي وفي الحروب نعامة — ربداء تجفل من صفير الصافر

وتليه أبيات تكمل معناه :

هلا برزت الى غزالة في الوغى — بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس — تركت منابره كأمس الدابر
الق السلاح وخذ وشاحي معصر — واعمد لمنزلة الجبان الكافر

وكان عمران بن حطان صاحب هذه الابيات من شعراء الخوارج الذين قاوموا الدولة الاموية أعنف المقاومة ، وانتدب لهم الحجاج الثقفي عامل الامويين على العراق ، فخرج لحربهم وأوقع بهم عدة وقعات ، الا أنهم استبسلوا في محاربته ، وكان من زعمائهم وأشجع قادتهم شبيب الصفري وزوجته غزالة ـ فقد كان لنساء الخوارج من البلاء في الحرب والشجاعة في القتال ماكان لرجالهم ـ وفي احدى غارات الخوارج على العراق هاجمت غزالة الكوفة في سنة ٧٧ ، واصاب الهلع الحجاج ابن يوسف فاحجم عن لقائها وتحصن في قصره . وأقبل الخوارج يتمدحون بهذه

الواقعة ويسخرون من الحجاج . فلما قام هذا بعد ذلك بتعقب عمران بن حطان وكان احد زعمائهم وكبار شعرائهم عيره بجبنه وفراره عن غزالة بهذه الابيات ، وفيها يشبه والى العراق الرهيب في خوفه من لقائه تلك المرأة بالنعامة الربداء التي تفزع من الصفير . ومن المعروف أن العرب تضرب المثل فى الجبن وسرعة الفرار بالنعامة . ويعلل الجاحظ ذلك بأن النعامة لا تأنس بالطير المجانسة لها ولا بالابل وهى أشبه حيوان الصحراء بها ، فهى نوافر شوارد أبدا .

وفى بقية الابيات يهجو عمران بن حطان الحجاج ويلح على وقعة غزالة ، فيقول : ما كان أجدره بأن يبرز لقتال تلك المرأة لو كان شجاعا حقا ، وانما تولاه من شدة الذعر ما جعل قلبه سريع الخفقان حتى كأنه بين جناحى طائر ، ثم يقول انه ليس جديرا بما يحمل من سلاح ، وانما كان أولى به أن يخلد الى جبنه وعجزه، بل ينفى الشاعر عنه صفة الرجولة فيقول ان على الحجاج أن يأخـــذ مكانه بين النساء ، فيلف جسده بوشاحى فتاة (والمعصر هى الفتاة التى يتراوح عمرها بين البلوغ والاشراف على العشرين) . ولنا أن نتصور مدى غضب الحجاج من هذه الابيات وما فيها من سخرية لاذعة وتهكم مرير . وهذا هو ما جعله يتمادى فى طلب عمران بن حطان حتى الجأه الى التنكر والتخفى والتنقل بين القبائل .

***

● « ما أشبه الليلة بالبارحة » ـ قول مأثور ، أو مثل مشهور أو شطرة من شعر ؟ .. ومن قائلها ؟ ..

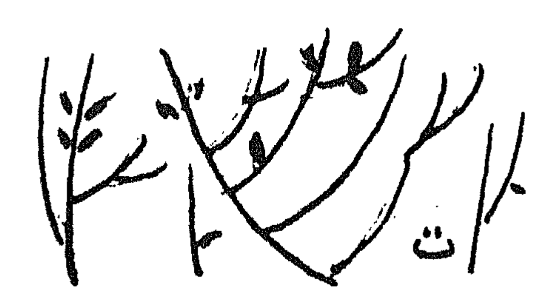
على سليمان الشامى ـ مصر القديمة

ـ هى عبارة مشهورة كثيرا ما نتمثل بها حينما نشهد حدثا من الاحداث وقع مثله فى ماض قريب أو بعيد . ولكن الذى يغيب عن الكثيرين هو أن تلك العبارة ليست الا الشطر الثانى من بيت شعر موغل فى القدم ،فهو للشاعر الجاهلى طرفة ابن العبد صاحب المعلقة المشهورة وأولها :

لخولة اطـلال ببرقة ثهمـــد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

والبيت من قطعة سوف نوردها بعد ذلك ، وفيها يصور مأساة حياته التى قدر لها أن تنتهى نهاية فاجعة . ذلك أن طرفة كان هو وخاله الشاعر المتلمس قد وفدا على ملك الحيرة عمرو بن هند ، فاتخذهما من ندمائه ، وكان ملكا سيىء الخلق شديد القسوة ، اذا أخذت منه الخمر عربد على أصحابه وندماه فربما سطا بهم .

ويظهر أن المتلمس وابن أخته طرفة تضجرا من سوء خلق عمرو بن هند ، فهجاه كل منهما سرا بشعر مفحش ، فلما بلغه الشعر لم يظهر لهما شيئا ، وكانا يهمان بالعودة الى موطنهما فى البحرين ، فكتب لهما بصحيفتين مختومتين الى عامله هناك ، يوهمهما بأنه يوصـــيه باجازتهما ومكافأتهما . وخرج الرجـلان وهما مسروران بوفادتهما على الملك ، غير أن المتلمس وكان رجلا حنكته التجارب استراب بأمر الكتاب الذى يحمله ، ووقر فى نفسه أن الملك قد يكون بلغه شىء من هجائهما له ، واتفق أن مر عليهما فى طريقهما غلام من أهل الحيرة يعرف القراءة والكتابة ـ وكان الشاعران أميين ـ فدفع اليه المتلمس كتابه بعد أن فضه فاذا فيه « اذا أتاك المتلمس فاقطع



يديه ورجليه وادفنه حيا » فقال لطرفة : ادفع اليه صحيفتك ، فان فيها مثل هذا .
غير أن طرفة كان شابا حدثا قد ملأه الزهو ، فقال لخاله : ما كان ليجترىء علي !
أما المتلمس فقد طرح صحيفته في نهر الحيرة ، ومضى هاربا نحو الشام ، وأما طرفة فقد واصل رحلته الى البحرين ، فسلم عاملها صحيفة الملك ، فاودعه السجن ، وتردد في قتله حتى لايغضب قبيلته بني بكر ، ولكنه لم يجرؤ على مخالفة أمر الملك ، فقتله في النهاية . وكانت سن طرفة آنذاك تزيد على العشرين بقليل .

وكان الشاعر المسكين يمني نفسه خلال أيام سجنه بأن تغضب له قبيلته وتهب لنصرته واستنقاذه من حبسه ، فقد كان يدل بأنه شاعرهم ومسجل مآثرهم ، ولكن آماله فيهم خابت وأسلمه أصحابه وأهله الذين كان يظنهم مستعدين للتضحية بكل شيء في سبيله . ومن هنا جاءت هذه الابيات التي أودعها الياس وخيبة الرجاء :

أسلمني قومي ولم يغضبوا — لسوأة حلت بهم فادحه
كل خليل كنت خاللته — لاترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب — ما أشبه الليلة بالبارحة

فهو كما نرى بعد أن قنط من نصرة قومه وأصحابه يدعو عليهم بألا يترك الله لهم واضحة « أي سنا ، والوضح هو البياض » ، فقد كانت نصرتهم له لاتتجاوز أفواههم ، فلما حلت به الفاقرة أسلموه وراغوا منه وانصرف كل الى شأنه . ولابد أن الشاعر التعس قد جرب من أصحابه الغدر من قبل ، والى هذا أشار بتشبيهه الليلة بالبارحة ، غير انه لم يكن يتصور أن يصل تخليهم عنه الى هذا الحد وهو يواجه محنته الكبرى .

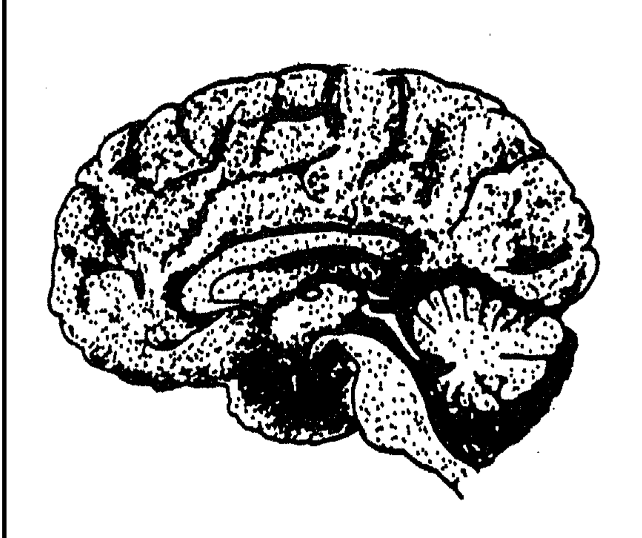
***

● لمن هذا البيت الشعرى المعروف ، ومن الشاعر غير المعروف قائله ؟ :
فعين الرضا عن كل عيب كليلة — ولكن عين السخط تبدى المساويا
محمد السيد الشماع ـ المنصورة

ـ هذا البيت من شعر عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى ، وهو يتضمن حكمة خالدة أجملها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فى حديثه الشريف : « **حبك الشيء يعمي ويصم** » ، فالهوى ـ ولا يقصد به الحب على اطلاقه وانما مايجر اليه من اساءة تقدير الامور ـ هو دائما مظنة المحاباة أو التجنى وكلاهما ظلم ، ونحن نتأمل كتاب الله تعالى فنراه لا يذكر الهوى فى موضع من المواضع **الا مقرونا بالذم . ومما ينسب الى عمر بن عبدالعزيز قوله « أفضل الجهاد جهاد الهوى » .**

إصابات المخ

ليست قاتلة



المخ ... هذا الصندوق الصغير الذى يحوى كل الاسرار ، وكل مفاتيح الحركة والسكون داخل أجسامنا ، والذى يكمن فيه سر الحياة والحب والاحلام واليقظة والجنون والذكاء ونوازع النفس البشرية الخيرة والشريرة ، حيث يجد كل منها مكانا فوق مساحة المخ . هذا الجزء من الجسم الذى يعد أثمن الاعضاء بل انه ليسبق القلب فى الاهمية

الرأس .. والدماغ !

والحديث مع جراح المخ يحتاج الى قدر من الشجاعة ، فيداه تفتح الجمجمة وتكشف مخزن الاسرار ، ويداه تشير الى أخطر الامراض وأحدث وسائل علاج أصابات المخ .

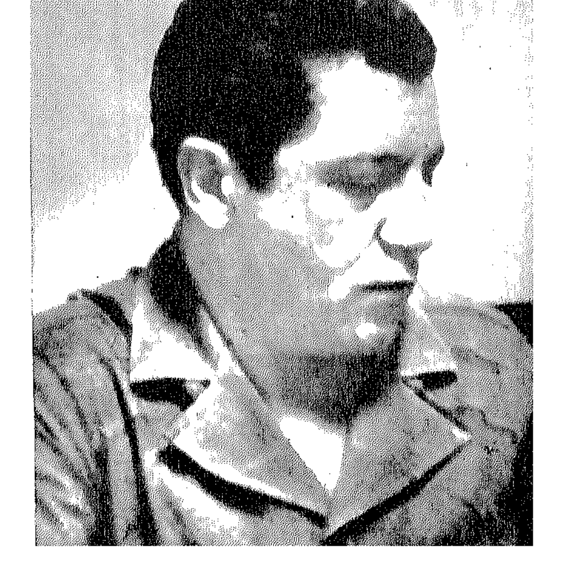
كان لقائى مع الاستاذ د. أحمد البنهاوى عميد كلية الطب جامعة عين شمس ، وسكرتير عام اللجنة الدولية لجراحى المخ والاعصاب فى منطقة الشرق الاوسط ..

سألته سؤالا كثيرا مايلح على تفكيرى : ما الفرق بين الرأس والدماغ ؟

ــ الرأس هو الجزء الذى يعلو الجسم ، والذى يحوى مراكز الابصار والسمع والفم والتنفس ، أما الدماغ فهو الفراغ الذى يحوى المخ والمخيخ وتحت المهاد . وهذا الفراغ أحاطته القدرة الالهية بعناية خاصة فهو محاط بصندوق متين من العظام التى تتحمل ضغطا يصل الى حوالى ٨٠٠ رطل على كل بوصة مربعة قبل أن تتحطم ! ..

هذا بالاضافة الى كمية من الاغشية والسوائل الدفاعية التى تشبه الوسائد داخل الدماغ والتى تمتص الصدمات وتمنع احتكاك المخ بعظام الجمجمة . كذلك فهناك مواد كيميائية تتكون من خلايا غروية يبلغ عددها .. ١ الف مليون خلية تحيط بالمخ كالجدار الواقى .

ورغم وجود هذه العناية الالهية المركزة لحماية المخ الا اننا معرضون لاصابات الرأس والدماغ فماهى أهم هذه الاصابات ؟



د. احمد البنهاوى

ـ اصابات الرأس اصبحت شائعة جدا فى عالمنا الحديث حيث تكثر حوادث السيارات ووسائل النقل ، وتتعدد درجات الاصابة ودرجات تاثيرها على المخ ، فهى تتفاوت بين جروح صغيرة فى فروة الرأس الى تهتك المخ الذى يصاحبه فقدان عميق للوعى ، فى هذه الحالة يصاحب الاصابة نزيف ، وهنا يجب تدخل الجراح لانقاذ المريض ...

وهناك حالات من الاصابات تسبب الارتجاج، ويتم التشخيص اذا حدث فقدان للذاكرة ، بعد الاصابة ، والارتجاج ايضا انواع ، فهناك ارتجاج بسيط ، وهناك ارتجاج مضاعف حيث يتحتم أن يوضع المريض تحت الملاحظة المستمرة . ومن نتائج حوادث السيارات او ماشابهها يحدث كسر الجمجمة الذى يشكل خطرا على المخ او النخاع الشوكى ينبغى ان يتدخل الجراح فى حالات الكسور المضاعفة لازالة الجزيئات العظمية المفتتة .

نزيف المخ

● كثيرا مانشير الى نزيف المخ ، فهل له أعراض ؟

يقول الاستاذ الدكتور : نزيف المخ لايكتشفه الانسان العادى ، لأن كلمة نزيف مرتبطة فى أذهاننا بانفجار دموى ظاهرى ، أما بالنسبة للمخ فالاعراض يكتشفها الطبيب عندما يزداد اختلال توازن المصاب مع ضعف فى أطرافه وهذيان وصداع ، واذا شك الطبيب فى حدوث نزيف فانه يمكنه اجراء عملية استكشافية حيث تجرى فتحة صغيرة فى فروة الرأس تحت تأثير بنج موضعى ، ثم تثقب الجمجمة ، بهذا يمكن اكتشاف ما اذا كان هناك نزيف أو جلطة .

● هل هناك احتمال ان يفقد المريض القدرة على البصر بسبب اصابة المخ ؟

ـ قد يصاب المريض بحالات فقد البصر الكلى أو الجزئى نتيجة لصدمة عنيفة تتعرض لها عظام الجمجمة ، أو لوجود ورم داخل الدماغ يضغط على العصب البصرى . وعادة ماينجح الجراح فى منع المضاعفات عن العصب البصرى .

● بالنسبة لتعرض الفرد لمثل هذه الاصابات المباشرة فى الراس ـ فما الذى ينبغى اجراؤه حتى يصل الطبيب المختص؟

ـ المعاملة الفورية للمريض ضرورية جدا . فيجب وضع المريض فى وضع أشبه بالجالس ، ويجب تجنب تحريك الرأس أو الجذع ، واذا كان هناك نزيف ظاهرى فى فروة الرأس يجب أن نوقفه . وقد استحدثت وسائل طبية حديثة لنقل المصاب واسعافه بشكل فورى ..

وحول احدث وسائل التشخيص يقول الدكتور البنهاوى :

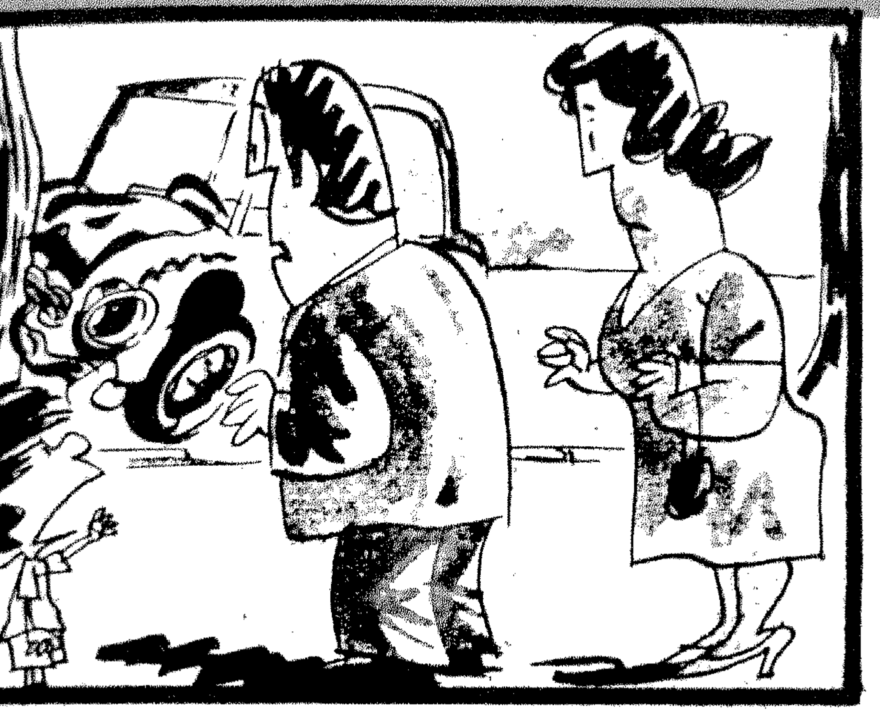
ـ قديما كان الاعتماد اساسا على صور الاشعة العادية ، وتطور الامر الى الاشعة الملونة ـ بحقن شريان الرقبة ولكن احدث الاجهزة هو جهاز ((تى . تى . سكاننج)) حيث يتم تركيب كاميرا صغيرة على العصب السباتى أسفل الرقبة لمعرفة مايدور فى المخ خلال ربع دقيقة دون اى ألم . ويعطى هذا الجهاز صورة دقيقة لنوع التلف الذى أصاب المخ ، وهو يفرق بين ما اذا كان هناك نزيف أو جلطة دموية أو ورم بل ويحدد مكان ونوع التلف الناتج عن صدمات الرأس .

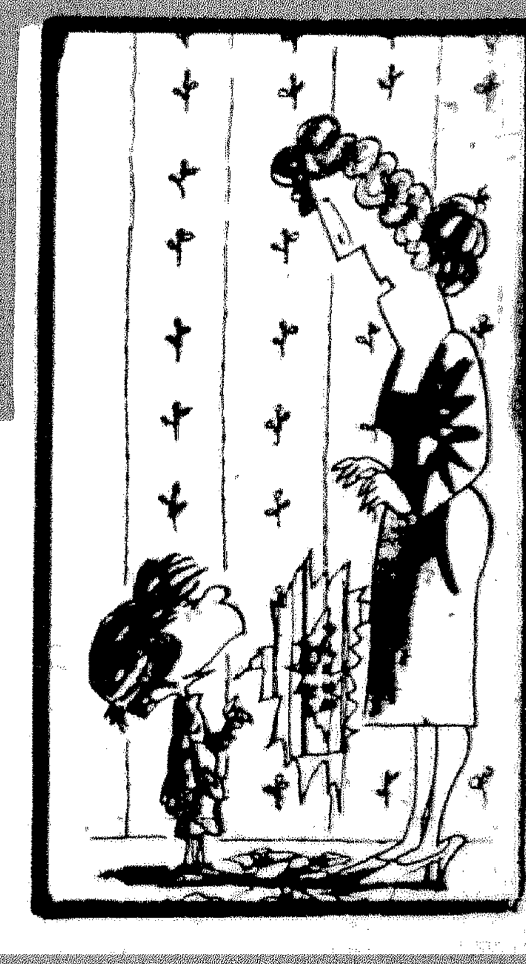
ويستطيع الجراح التدخل هنا فى اللحظة المناسبة لانقاذ المريض لانه يعلم بشكل مسبق مكان التلف ونوعه . والى جانب هذا هناك وسائل أخرى للتشخيص مثل استخدام الصدى الصوتى واستخدام النظائر المشعة .

ويضيف الاستاذ الدكتور : على أن الصدمات والحوادث ليست هى فقط المسئولة عن أمراض المخ ـ بل ان الاجهاد الشديد يحدث تلفا فى خلايا المخ كذلك ادمان الخمر والمخدرات واهمال الالتهابات التى تحدث فى المنطقة القريبة من المخ مثل التهابات الجيوب الانفية والاذن وما الى ذلك . ●

كاريكاتير

جيل جديد جداً !

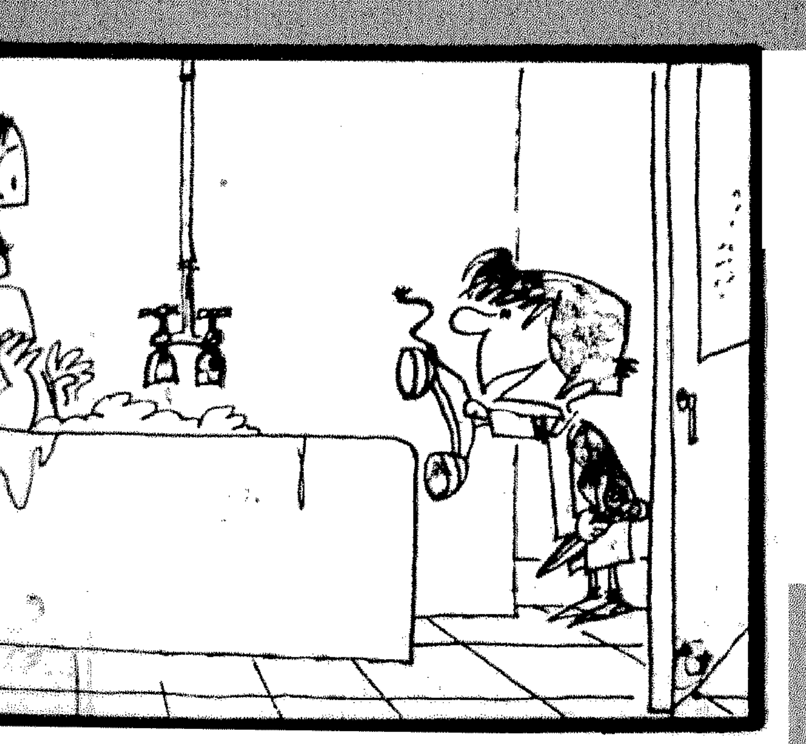


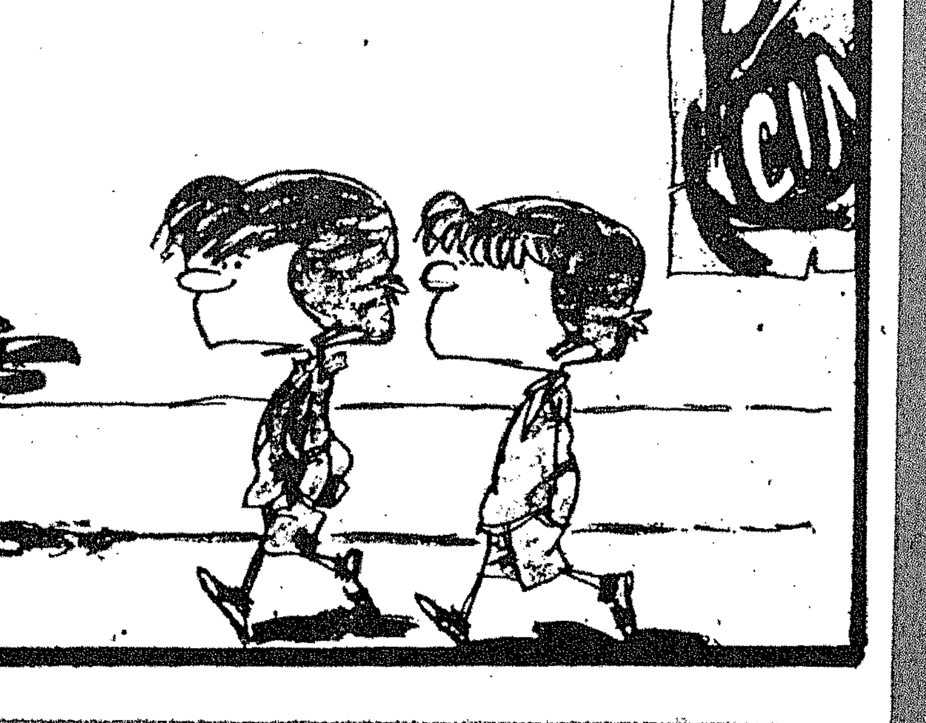


الولد لامه : وكمان زعلانه
وبتزعقي لي ؟ ! مش كتير
خيري اللي عملت لك ستارة
بالالــــوان ؟ ! . . .

الولد : مالقيتش طريقـ
اوقف بيها العربيـة احـ
من كده ! .. وكده طبـ
احسن منحاجات المن من كـ

الولد لابيه : تليفون عشــانك يا بابا ! .. واحدة عندها مـ
ويالله النهاردة ! ..ادى التليفون لماما ترد عليهــا ؟ ! . .





الولد لزميله : أبدا .. أصل أنا زى ما انت عارف خجول .. ولما جات البنت دى تكلمنى ، اتكسفت منها ، قمت ضربتها ! !

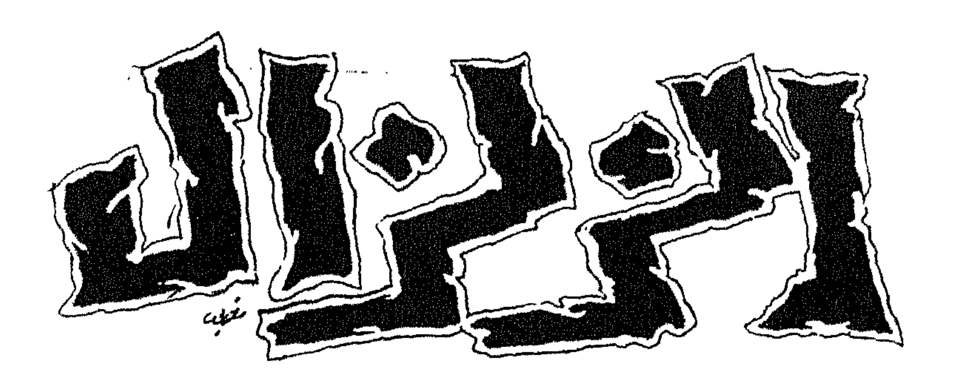
الولد لوالده : صحيح انك قلت لي بلاش أشغلك لما يكون عندك حاجات مهمة .. لكن مش تقولى أولا ايه هي بقى الحاجات المهمة دى؟!





الولد لزميله : فاضل ثلاث جميزات في الشجرة .. نسيبهم بقى علشان مايقولوش عملنا لهم أزمة في الجميز ! . . .

● قصة ●



● عاطف سعودى ●

● عندما عرض الرائد مصطفى ضابط المباحث على صديقه رشاد ان يصحبه فى مطاردة ((الزلزال)) شعر هذا ان الارض تميد تحت قدميه !

ولم تفلح تاكيدات مصطفى بانه سيكون فى حماية كاملة من رجال الشرطة او انه سيكون المحور الوحيد الذى سيشهد نهاية ((الزلزال)) حيا او ميتا .. وانه سيحصل على سبق صحفى يحسده عليه الكثيرون من زملائه .

كانت سيرة ((الزلزال)) - وهو اسم الشهرة للشقى الخطير محمود ابو قرطم ، تثير الفزع فى القلوب . يقولون انه لم يسمع من قبل بكلمات معينة مثل الرحمة - الشفقة - العدالة - الانسانية - واذا تليت عليه فانها تستعصى على فهمه . . . كما يقولون انه لا يكترث ايضا بكلمات معينه مثل كلمة حبس - سجن - اشغال - اعتقال - اعدام - ، واذا تليت عليه سخر منها ومن قائلها ! ..

صحيح ان « رشاد » كمحرر مسئول عن صفحة الحوادث بجريدة « الانسان » قد شرع قلمه فى وجه « الزلزال » وقام بحملة صحفية مكثفة اثارت الرأى العام ضده ، وفى نفس الوقت اثارت السخط على رجال الشرطة لدرجة ان استجوابا قدم فى المجلس النيابى ضد الوزير المختص يطلب فيه بعض ممثلى الشعب اعطاء تفسير مقبول لعجز الشرطة عن انهاء ما سموه باسطورة « الزلزال » ، لكن هذا الجهد الصحفى الكبير كان على الورق ... اما ان يخرج « رشاد » لمطاردة « الزلزال » على الطريق وفى جنح الليل ، فتلك مسالة اخرى ! ..

الامر الذى حير رشادا فى عرض مصطفى هو انهما زميلان فى الدراسة وصديقان منذ الطفولة ، فكيف لا يحرص الصديق على حياة صديقه ! صحيح ان مصطفى يعلم حرج موقفه لدى رئيس التحرير الذى نقله من قسم اخبار المرأة الى قسم الحوادث بسبب خطأ غير مقصود مس شعر احدى سيدات المجتمع المعروفات عندما قرر ان « كوافيرا » مغمورا هو الذى قام بتسريحه ، مع انها تستقدم للشعر المصون آخر صيحة فى عالم التسريحات



بالخارج . . وصحيح أن مصـــــطفى بعرضه هذا يقصد دون شك أن يزيل أثر هذه الكبوة من مضمار حيـــاته الصحفية . لكن ما الذي يستفيده هو اذا زالت هذه الكبوة فعلا لينزل اسمه ضيفا بصفحة الوفيـــات فى الجريدة .... ثم طنطن الزملاء بشـــجاعة الاستاذ « رشاد » زميلهم وكنوه باشجع الشهداء عدة أيام بعدها ، وجنـــدوا اقلامهم للتغنى بفروسيته وتفانيه فى اداء الواجب وعاد كل شيء الى ما كان عليه وكان شيئا لم يكن ؟ ! ..

الا انه رغم معارضة « رشاد » فى تنفيذ رغبة صديقه مصطفى طواعيـــة واختيارا فقد وجد نفسه ذات ليلة فى الطريق فعلا لمطاردة « الزلزال » . مر عليه الرائد مصـــــطفى « بالبوكس » كعادته وارسل اليه من يخبره انهما سيذهبان الى سهرة ممتعة بمناسبة زفاف ضابط زميل وان عليه الا ينسى آلة التصوير لمجاملة الضابط الصغير.

ولما خرجت الســــيارة عن دائرة الضوء فى المدينة تأكد « رشـــاد » من كذب مصــــطفى ، ولم يكن بد من التسليم بالأمر الواقع خاصة ، هـــو منحصر بين مصطفى وسائق السيارة صاحب الشارب الذى يقف عليـــه الصقر ! .

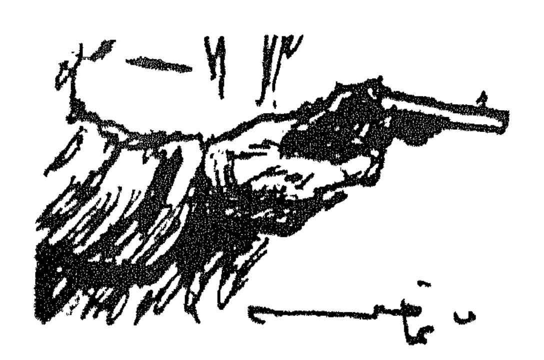
سرح « رشاد » فيما يمكن أن يكون عليه « الزلزال » من بســـطة فى الجسم وتمدد فى الاطراف وهمجية فى الطبع ، فخاف على خوف نشـــأ عليه وجعل يسال صديقه ويستحلفه ان يتأكد من كفاية الحراسة التى وعده بها قبل ان يتركه بالسيارة ويمضى الى غايته ...

وحلا للصـــديق أن يستغل حالته هذه فى الدعابة والفكاهة ليقطع ملل الطريق .. وفى مكان بعيد مقفر الا من كفر عتيق يستند بظهره الى زراعات القصب التى لانهاية لها، اشار مصطفى الى ميدان المعركة الذى كان يتقـدم اليه رويدا من رتل السيارات المنطلقة باقصى سرعتها وهى محشوة بالجنود والسلاح والعتاد . كان الظلام دامسا وشعلات الفلاحين الموقدة تبدو مـــن بعيد فى عين رشاد كأنها عيون غيلان مقبلة عليه ...

ـ وصـــيتك الأولاد يا خويا يا مصطفى !

ـ لا تبتئس فهم عـــلى عينى .. على الاقل لتخاطر الست الوالدة .

الزلزال



آه من هذه الست الوالدة ..كانت لا تامن ان يعبر رشاد الشارع بمفرده حتى بلغ الثانية عشرة .
كم ضجر والد رشاد منه وهويمسك بملابسه اذ يسير بجانبه على الطوار مخافة ان يختفي الوالد عن عينيه ولو للحظة واحدة وسط زحام المارة !
ــ اشرب كوب اللبن قبل ان تنام يا رشاد
ــ لا تزح الغطاء عن جسدك اثناء الليل !
ــ لا تتحدث الا لمدرسك في المدرسة فالاولاد شياطين وناقصو تربية . !
ــ اياك ان ترد الاساءة لاحد من زملائك اذا آذاك يا رشاد !
ــ ابتعد انت عن طريقه .. ولي شأن اخر مع والديه !

***

انتشر الرجال يبحثون عن « الزلزال » في داخل الكفر . ولم يشعر رشاد بما يدور حوله حتى فوجيء بجهنم تفتح ابوابها ... طلقات الرشاشات ودوى الرصاص الذى يصم الآذان ، ومكبرات الصوت تنذر وتحذر وتهدد .. ثم تعود فتعد بالسلامة والامان اذا سلم « الزلزال » دون قتال .. اضواء كاشفة هنا وهناك ، واجهزة اللاسلكي توجه القوات لتحقق السيطرة على الموقف .. سقط احد الاضواء على سطح منزل ريفي فانكشف جزء منه . هنا لجأ « الزلزال » لا محالة ، هكذا كانت اصوات الرجال تردد ..
ــ حول الكشاف يمين شوية يا عسكرى ..
وتحرك الضوء يمينا فظهر « الزلزال » . اهذا هو « الزلزال » ؟! رجل نحيل البنية قصير القامة اجدع الانف . كان رشاد يظنه عملاقا .... انه عيل ، عيل يحمل في يده مدفعا رشاشاً وعدة احزمة من الطلقات تحيط بكتفيه . ولكن ، رغم ذلك كان صارم الوجه حاد النظرات توحي ملامحه بالدهاء والذكاء .
ــ سلم نفسك يا محمود يابوقرطه!
ــ امشوا من هنا احسن لكم .. انزاحوا عن طريقي لاخلى النار تفطليكم
هكذا جاء الرد الفورى « للزلزال » في تحد صفيق ، ثم فجأة انهمر سيل من الرصاص من مدفعه في كل الاتجاهات تأكيدا لاصراره على المقاومة
ــ اياك ان ترد الاساءة لاحد من زملائك اذا آذاك يا رشاد .
ــ ابعدوا عن طريقي !
ــ ابتعد انت عن طريقه ، ولي شأن اخر مع والديه
ــ لا تزح الغطاء عن جسدك اثناء الليل .
ــ انزاحوا عن طريقي لاخلى النار تفطليكم .
وكما ظهر فجأة اختفى فجأة . . قفز قفزة واحدة من سور البيت الذى كان يحتمي فيه . تابعته القوات . ظل يجرى كأنه ظبي يطارده

الصيادون حتى التقمته زراعات القصب .. وذاب بين الاعواد !

***

عندما عاد رشاد الى منزلة بعد هذه المطاردة المثيرة جلس الى مكتبة وشرع قلمه يحارب « الزلزال » بطريقته الخاصة.. اخذ يكتب ويكتب حتى نال منه التعب ولم يبق على ظهور الفجر سوى ساعة واحدة نامت كل عين الا عينه الساهرة . ما فائدة هذه الكتابة ؟ ان « الزلزال » يظهر في كل مكان دون سابقة انذار ، يفعل ما يريد بمن يريد . لا تهمه الشرطة ولا يخشى غضب احد فهو حاكم بأمره في هذه المنطقة او في أي منطقة تطؤها قدمه . لا يعنيه الفزع الذي يسقط على الناس اذ يفزعون . المهم أن ينفذ مايوحى اليه به عقله المريض وعلى المعترض ان يتحمل نتيجة اعتراضه .. مد رشاد يده الى الوريقات الكثيرة التى ملأت المكتب امامه فى يأس وجمعها وهم بتمزيقها لولا انه سمع صوتا خلفه يناديه :

* انت المدعو رشاد ؟

ـ من انت اولا ؟

سمع رشاد صوت رشاش يخرفش خلف اذنه تماما ...

* هل عرفت من انا ؟

ـ « الزلزال » !!

* انا بعينه !

ـ ماذا تريد منى ؟

* بل ماذا تريد انت منى ؟

ـ لم افعل لك شيئا ..

* تطاردني .. وتدعى انك لم تفعل لى شيئا

ـ طاردتك على الرغم مني. ضحك على اعز اصدقائى وجرنى لمطاردتك .

* لا يعنيني ما حدث منك الليلة .. فانا معتاد على مطاردة رجال البوليس

ـ اذن لماذا انت غاضب ؟

* لانك تطاردني بقلمك !!

ـ وهل يؤذيك قلمى ولا تؤذيك طلقات الرصاص ؟

* قلمك اقسى من الطلقات !

ـ حبر على ورق ! ..

* لكنه يسبب لى الخوف والارق !

ـ قلمى الضعيف يسبب لك ارقا ، انت ..

* نعم ، فهو الذى يثير كل هذه الزوابع من حولى .

ـ وشجاعتك . . اين ذهبت فى مواجهة الزوابع ؟ .

* شجاعتى... من قال انى شجاع .. لولا هذا المدفع الذى ساقتلك به الان لقضى على طفل لم يبلغ الحلم !

ـ تقتلنى الان بمدفعك ؟!

* نعم اقتلك حتى اقتل هذا القلم الصفيق !

وفى الحال سمع رشاد صوت المدفع يخرخش فى اذنه مرة اخرى ، فقال :

ـ اذا قتلت قلمى فستشرع اقلام اخرى فى وجهك

* بل ستخاف بموتك بقية الاقلام، ويجف مدادها !

ـ الاقلام لا تخاف ابدا . . . هيا اقتلنى ، اقتلنى ولا تعذبنى .

* تخاف الموت ؟

ـ انتظار الموت موت على كل حال :

* مادام الامر كذلك سأتركك دون قتل تموت خوفا منى ابدا ولا ترتاح

ـ ارجوك .. اريد أن استريح ، اريد ان استريح ، اريد أن ..

وشعر رشاد بيد حانية تعبث فى شعره فانتبه من النوم ، وجد الست الوالدة تبتسم له ابتسامتها الوضاءة . كان فى يدها كوب من اللبن تحرك الملعقة فى قاع الكوب لتذيب ما بقى من السكر ..

ـ من .. اماه ؟ !

* يبدو انك ارهقت نفسك كثيرا يا رشاد ، فقد كنت تقول وانت نائم انك تريد ان تستريح .. هيا اذن يا ولدى .. اشرب كوب اللبن ولا تنس ان تمد الغطاء عليك ..

نظر رشاد الى كوب اللبن ثم الى مجموعة الاوراق التى كان ينوى تمزيقها فى اعجاب شديد هذه المرة .. ثم اعاد ترتيبها فى عناية تامة . ●



صمام الأورطى بالقلب

• د. السيد الجميلى •

على صفرة الاعياء والانهاك
تنتقل من حال الى حال ، حياة
مريض القلب الذى يعانى من
ارجاع صمام الاورطى أهم صمامات القلب واخطرها على الاطلاق ...

عندما يتسع هذا الصمام للأسباب التى سنذكرها ـ لتصبح حوافه متراخية فيتسرب بعض الدم من شريان الاورطى الى البطين الايسر بالقلب أثناء انبساط الاخير ، يترتب على ذلك ان يتحمل البطين الايسر ضغطا اكبر مما يطيق فيتضخم وهو مع ذلك وفوق ذلك كله مطالب بمجهود اكبر ..

ولاسباب يتقوض ويتلف صمام الأورطى بالارجاع ، أهمها الامراض الروماتيزمية والتى عادة ما تمهد للضيق والارجاع معا فى اغلب الاحايين .

ثانيها التهاب الاورطى نتيجة مرض الزهرى الذى يوسع دائرة الصمام .

الاكثر من ذلك كله ذيوعا وشيوعا هى الالتهابات الميكروبية لعضلة القلب من الداخل .

الا ان بعض حالات ارتفاع ضغط الدم الشديد لها دورها فى الصورة الاكلينيكية لهذه الحالة .

الاعراض والعلامات

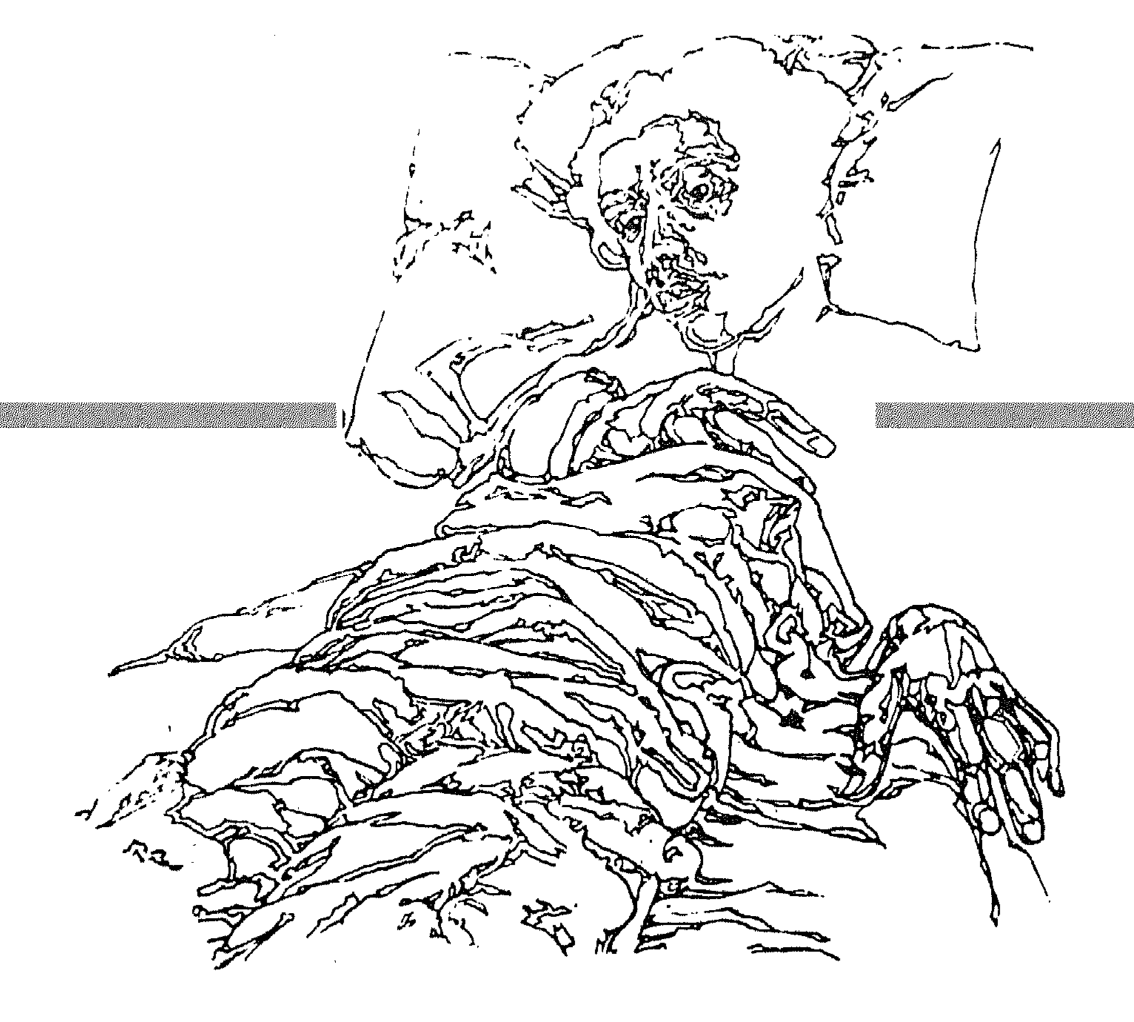
هبوط البطين الايسر واهم اعراضه كرشة النفس عند بذل اقل مجهود ، وبعض صدمات وازمات الربو القلبى ، وهنا نتوقع أشد المتاعب فى حياة المريض فى غضون عامين أو ثلاثة .

ربما يزيد على الارجاع الاورطى اوجاع الذبحه الصدرية نتيجة انخفاض ضغط الدم الانبساطى مما يؤدى الى قلة الدم الوارد الى الشرايين التاجية التى تغذى القلب ذاته .

النبض وهو السمة المميزة التى تظهر فيها جليا حالة القلب ومنه يستطيع طبيب القلب ان يقدر الحالة ويقرر التشخيص بناء على بعض الامارات القرينة بها .

تحدث تموجات دورية فى الشرايين الطرفية نتيجة التدفق السريع للدم للامام خلال الانقباض ، وللخلف عند الانبساط للبطين الايسر ، وهذا الخفقان يظهر اكثر وضوحا فى الشعيرات الدموية الطرفية فى الانامل ، والشفاه والشريان الكاروتيدى فى الرقبة .

يتضخم البطين الايسر لذلك تدريجيا وشيئا فشيئا ، ثم يعقب ذلك انخفاض ضغط الدم الذى قد يقل الى



درجة الصفر العددى فى المقام اى ان يصبح مثلا ١٥٠/٣٠ او ١٥٠/ صفر « ضغط الدم العادى هو ٨٠/١٢٠ »

التشخيص والعلاج

أمر التشخيص موكول مبدئيا الى سماعة الطبيب المختص .

ورسام القلب الكهربائى والاشعة العادية والقسطرة القلبية تحت الاشعة ـ كلها وسائل للتاكد من تشخيص هذه الحالة البالغة الاهمية والخطورة .

الا ان ثمة بعض الصعوبات التى قد تصادفنا فى التشخيص وهى بعض حالات العيوب الجراحية التشريحية فى القلب والاورطى ولا نرى مجالا هنا للاسهاب فى تفاصيلها .

العلاج الباطنى تحت اشراف الطبيب بعقار « الديجيتاليس» ومدرات البول

التدخل الجراحى حاسم للموقف ، فى بعض الاحايين لابديل عنه ، وذلك بابدال الصمام التالف بصمام آخر بلاستيك او بترقيعه ، ولو ان النتائج غير مرضية على اى حال .

المضاعفات

يستطيع القلب السقيم فى بعض الاحيان ان يتحمل هذا التلف فى اهم صماماته لفترة طويلة تمتد لعدة سنوات قد تصل الى خمس سنوات متصلة ، الا ان الاتساع الكبير فى هذا الصمام قد يولد ضغطا هائلا يمثل عبئا ثقيلا على البطين الايسر المسكين الذى يستسلم ، وسرعان ما يبدى عجزه باسرع ما يمكن ، ثم تتدهور حالة المريض بسرعة .

لا يجب ان نخفى ان اهم المضاعفات التى تصادفنا فى المرضى بارجاع هذا الصمام هى الالتهاب الميكروبى الداخلى للمضلة القلبية السقيمة ، وهو التهاب ممكن حدوثه فى اى وقت واى طور من اطوار المرض .

يجب على مريض القلب ـ كيفما كانت نوعيته او كيفما كانت درجة الاصابة والضرر والتلف ومهما كانت بساطته ـ يجب ان يتابع ويتبع تعليمات الطبيب المباشرة وان يختلف اليه بين حين وحين فى فترات منتظمة لاجراء بعض التحاليل اولمعرفة الى اى مدى وصلت حالته .. حتى يامن جموح الازمات الضارية التى قد تصيب قلبه. ●

مسابقة جديدة ..

! لا تصدق كل ما تقرأ

نشر الخبر التالى فى صحيفه يومية كبرى أخيرا ، نقلاً عن بعض كتب التاريخ

واختاروا الإسلام طائعين

● فى خلافة عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه هاجم قتيبة بن مسلم سمرقند المدينة العظيمةبدون انذار حرب ، فلم يرسل لاهلها الانذار المعهود : اما الاسلام ، واما الجزية ، واما الحرب ..

فرفع اهل سمرقند دعوى الى عمر بن عبد العزيز يدعون فيها أن بلدهم فتح غدرا ..

وامر عمر برفع الدعوى الى القاضي ، فأحضر القاضى المدعين ، والمدعى عليهم ، يمثلهم القائد العام للجيش الاسلامى ، وسمع اقوالهم ثم أصدر حكمه التاريخى الذى يفخر به القضاء الاسلامى على كل قضاء ، حيث حكم القاضي: ببطلان الفتح الاسلامى لسمرقند لان الفتح كان قد خالف قواعد الاسلام فى الحرب ..

وحكم بخروج الجيش الاسلامى منها واعطائها مهلة للاستعداد ، ثم اعلان الحرب من جديد بالصورة الاسلامية المعروفة .

ولم يملك الجيش الا ان ينفذ الحكم الغريب جدا من وجهة النظر العامة والموغل فى المثالية الى اسمى مراتبها ، وبالفعل شرع الجيش فى الانسحاب واخلاء سمرقند .

ولكن اهل سمرقند المدعين الذين شدتهم هذه العدالة الاسلامية المطلقة ، والذين ذاقوا نعمة الحكم الاسلامى خلال فترة الفتح ، عادوا الى الخليفة يطلبون طائعين مختارين البقاء تحت راية الاسلام ..

***

وبمجرد قراءتنا لهذا الخبر التاريخى تبينا انه غير صحيح ، ولايمكن ان يكون قد حدث ..

لماذا ؟

هل عرفت السبب ؟

هذا هو سؤال هذه المسابقة الجديدة

شروط المسابقة

- اجب عن سؤال المسابقة بوضوح وايجاز ...
- من حقك الاشتراك فى المسابقة بأكثر من [illegible]
- آخر موعد لتسليم الردود يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧٨ .
- ترفق بالرد القسيمة المنشورة هنا بعد ان تملأ بياناتها بخط واضح

لجنة خاصة للمسابقة

- ستكون لجنة من الادباء والنقاد لفحص ردود المشتركين فى المسابقة
- تعلن النتيجة فى عدد الهلال الذى يصدر اول يناير ١٩٧٩ .

الجوائز :

الجائزة الأولى : خمسة جنيهاً
الجائزة الثانية خمسة جنيهات
الجوائز الثلاث التالية :
لكل واحد من الفائزين
الثلاثة اشتراك مجانى
لمدة سنة فى
مجلة الهلال

الهلال :
مسابقة : لا تصدق كل ما تقرأ

الاسم :

السن :

العنوان :



عودة الحب الحزين

خلال السنوات الخمس الماضية غلبت على القصص الطيارة وهى التى يسمونها فى الغرب ((بست سلر)) ، قصص البوليس ، والرعب ، والسياسة ، ويكفى ان تذكر روايات ((الفك المفترس)) ، و ((كينج كونج)) وما اليها ..

ولسنوات طويلة اضعنا قصص الحب .. فى الماضى كانت القصص كلها غراميات ... وكان ابطال الروايات رجالا ونساء من اهل الهوى . .. كانوا شبانا وشابات فى مقتبل العمر ، وكان يشترط فيهم جمال الصورة وحسن الهيئة ...

وهذه القصص هى التى تحولت الى افلام اخرجت لنا امثال جارى كوبر ، كارى جرانت ، وكلارك جيبل ومن اليهم . والان تعود موجة القصص الى حكايات الهوى .. تختفى روايات الرعب والمغامرات والبوليس والسياسة ، ويعود قصص الحب الى مكانه القديم ، لكن فى صورة تختلف عن الصورة القديمة التى عرفناها حتى الستينات ، فقد كان الناس فى الماضى يحبون قصص الهوى الخيالية التى انشاها مشاهير الادباء ..

الاتجاه الجديد يهتم بقصص الحب الواقعية التى حدثت فى عصرنا ... قصص شهيرة كتبت عنها الصحف فى ايامها وافاضت ، لأن معظمها يتصل بشخصيات معاصرة مثل قصة الاميرة مارجريت والكابتن تاونسند ...

والظاهرة ليست سينمائية ، اى انها لا تقتصر على موجة جديدة من الافلام ، بل ان اتجاه مخرجى السينما الى موضوع الحب من جديد يمثل موجة جديدة فكرية واجتماعية تجتاح اوروبا اليوم ، فقد ظهر فى فرنسا كتاب اسمه « احزان الحب » ، بقلم

الكاتبة « جان كريسانج » ... حللت فيه هذه الظاهرة ، ظاهرة عودة الناس الى الايمان بالحب واعتباره موضوعا جادا داخلا فى صميم الوجودالانسانى بعد ان كان الناس خـلال العشرين سنة الماضية يحسبون ان الحب او الحب الحزين او الحب الميئوس منه، والذي يؤدى الى الموت ــ فى كثيرمن الحالات ــ ظاهرة من ظواهر سذاجة الانسانية في العصور الماضية ، ولعبة تسلى بها الناس فىالعصر الرومانتيكى.

وقد لقى الكتاب نجاحا عظيمافطبع مرة بعـد مرة وترجم فى الحال الى لغات عديدة ...

وتقول المؤلفة انها استشارت فـى الموضوع علماء نفسيين واطباء وعلماء اجتماع وادباء وفلاسفة ، فكان رأيهم،



« كازابلانكا » اى الدار البيضاء ، تلك المدينة المغربية الساحرة ، كانت مسرحا لفيلم حمـل اسمها وعرض بنجاح فى الاربعينات .
بطلا الفيلم : همفرى بوجارت وانجريد برجمان ارتفعا الى مصاف النجوم بعد ذلك مبـاشرة .
القصة لرجل انجليزى يخدم فى حانة ، يقع فى غرام جاسوسة أمـريكية ثم تخونه ويكتشف خيانتها . يبلغ من حبه اياها أن يعفـو عنها ويساعدها على الهرب مع حبيبها من اسر الالمان

عــــــودة الحــــــب الحــزيــن

جميعا ان الحب ظاهرة انسانية لايمكن ان تتلاشى او يخف وزنها فى الحياة ، وقد اخطأ اهل الجيل الماضي عندما حسبوا ان الحب الحزين ظاهرة طفولة او سذاجة ، او مجرد نزعة رومانتيكية . . وان هذه الظاهرة اختفت او فى طريقها الىالاختفاء فى العصر المادى الجاف الذى تعيش فيه.

وقد قررت المؤلفة انالحب ضرورة انسانية واجتماعية ، وانه قوة لا تفقد حدتها مهما تغيرت الظروف .

وذهب بعض العلماء الاجتماعيين الذين استشارتهم الى ان أقوى الرجال والنساء شخصية هم — وهن — أكثر الخلق تعرضا للحب القوى الجارف . وقالوا ان الحب — حتى الحزين او اليائس منه — أفضل بكثير من خلو حياة الانسان من الحب تماما.

وتبين من الاستفتاء الذى قامت بهالمؤلفة ان موجة الجنس التى تجتاح العالم الغربى اليوم لم تؤثر فىعواطف الناس وتجعلهم جميعا فى الغرب ينحرفون الى هذا الانحطاط الخلقى الذى يسمونه التحرر الجنسى ، لأن الانسان بطبعه يميل الى الهوى العفيف الذىيرتفع بمستواه الانسانى، واحاسيسه البشرية ، وينفر من التبذل ، ويترفع عن التدنى الى مستويات الحب غير الخلقى الذى يسود الغرب الآن .

وقد تبين بالفعل ان مايسمونه بالتحرر الجنسى فى بلاد مثل السويد والدينمارك اضر بالمستوى الخلقى فى تلك البلاد ضررا بليغا وتعرضت نظم جليلة مثل الزواج والاخلاص الزوجى هناك لهزات خطيرة ...

ونتيجة لهذا عاد الناس فىتلك البلاد الى قواعد السلوك الانسانى المحتشم، فافلست كثير من الشركات التى كانت تعيش على انتاج كتب او مجلات او



ايدا كيتي المغنية الفرنسية التي غنت اول مرة « سانتظر النهار والليل سانتظر دائما » التى تعتبر من انجح اغنيات الحب الحزين فى تاريخ الموسيقى الغربية .. هذه الاغنية حققت نجاحا لم يكن يخطر ببال احد .. باعت فوق العشرين مليون نسخة . الان تغنيها من جديد داليدا .

فهو تلك الحيوانية التي صورها التجار على أنها تحرر أو تقدم الى الامام ، لان الانسان يتجه بطبعه الى الاستقرار ، ولا شيء يشعر الانسان بالاستقرار قدر الزواج القائم على الحب ..

وهذه النزعات التحررية الكاذبة تفقد الانسان ثقته بالـــزواج ومن ثم فهي تحرمه من الاستقرار

وخلال السنوات العشر الماضـــية اجتاحت المجتمـــع فى غرب أوروبا موجات مدمرة من الطـــلاق والاسر المحطمة والعلاقات غير الشرعية بين النساء والرجال ، وتبين الناس اخيرا ان هذا الاندفاع الجنوني نحو الجنس المريض او غير السليم يلحق بالمجتمع اضرارا لا حد لها .. والغالبية العظمى من العلاقات غير الشرعيــة بين الرجال والنساء فى الغـــرب تنتهى بكوارث لمن كانوا يحسبونها خير بديل عن الزواج..

لهذا كله عاد الناس الى اغانى الحب القديمة ، فغنت المغنية الايطالية الاصل ـ المصرية المنشا ـ « داليدا » اغنيـــة « سانتظر دائما » .. وهى الاغنية التى كانت مشهورة من ثلاثين سنة ، وباعت منها ملايين ...

واقبلت شركات السينما على اخراج حكايات الحب الحزين ومعظمها ممـــا وقع فى عصرنا هذا كما قلنا ، بل انهم عادوا الى الوراء فاخذوا يعيدون افلاما وصورا سينمائية جديدة من روميـــو وجولييت ، وتريســـتان وايزولدا ومأســـاه مايرلينـــج ، وقنطـــرة ووترلو وهو وهى وغير هذه من افلام الهوى الصادق الحزين الذى ينتهى غالبا بالموت .



الاميرة مارجريت والكابتن بيتر تاونسند ، قصة غرام اميرة بطيار من ابطال الحرب . والزواج لم يتم لان رجال القصر الانجليـــزى حالوا بين الحبيبين والزواج . مارجريت اصبحت بعد ذلك اميرة حزينة رغم زواجها من اللورد ستون ، ثم فشل زواجها منه .. تاونسند اصبح انســـانا معذبا يقضى عمره فى الطائرات متنقلا من بلد لبلد ..

افلام تفسد الخلق وتهبط بالمســـتوى البشرى .

فى تلك البلاد نفســـها يلاحظ ان العائلات بدات تعود الى قواعد المجتمع الاصيلة من احترام الحياة الزوجيـــة والتمســـــك بقواعد سلامة الاسرة والاهتمام بمراعاة التقاليد القديمة فى تربية الاولاد على النظام والطـــاعة والتشديد على البنات فى اخذ موضوع علاقتهن بالشبان ماخذ الجد والتـزام اصول سلامة الخلق والعفة .

ان الحب العفيف الذى يقصد الى الزواج لم يمت ولا يمكن ان يموت لانه جـزء من طبع الانسان .. اما الذى يمـوت

مرآة الفكر العربي

ثقافتنا بين الاصالة والتجديد

• تاليف جلال العشرى •

هذا الكتاب يناقش قضية خطيرة تخص ثقافتنا العربية التي تواجه ازمة خطيرة في الصراع القائم بين القديم والجديد ، وبين التيارات الغربية حيث يرى الأستاذ جلال العشرى في هذا الكتاب :

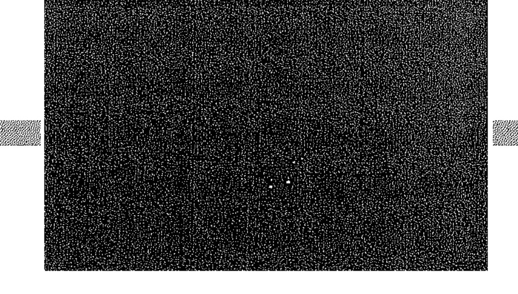
انه على امتداد ثقافتنا العربية الحديثة ومنذ عصر التنوير حتى الآن لا نكاد نجد الناقد النظرى الذى يعبر عن آرائنا الاصيلة بموضوعية ومنهجية .. ويرى اننا لا نكاد نتعرف على ملامح عامة بارزة لنظرية عربية في النقد ..

ويرى الاستاذ جلال ان سبب خلو العربية من نظرية عامة في النقد انما يرجع الى ظروف طارئة تزول بزوال تلك الظروف او ترجع الى سبب اصيل في بنية الطبيعة العربية . ولكن يقصرها الاستاذ العشرى على سبب واحد وهو التقصير وليس القصور . التقصير عن مداومة البحث والتنقيب في محاولات العرب القدامى ومحاولة ربط اعمالهم مع تطويرها ودراستها وتزويدها بما هو جديد من ثقافة غربية معاصرة وممارسة نقدية فعالة وهادفة ..

وحيث أننا لنا ماض عريق في **النقد ظهر على ايدى نقاد العرب القدامى في علوم اللغة العربية المختلفة كالبلاغة والبديع والمعاني والبيان ، كما ظهرت الفروق الاساسية بين الادب العربي الأصيل وبين الأدب اليوناني الدخيل سواء في مناهج النقد أو في موضوعاته ومن هنا كانت ثورة نقاد الأدب العربي الاسلامي على معطيات الثقافة اليونانية ولكنا قطعنا صلتنا بالمحاولات التي قام بها نقاد العرب القدامى فبدلا من ان نصدر عنها في ضوء ثقافات اجنبية حديثة وهادفة ، وفي ضوء متطلباتنا الجديدة من اجل التعرف على ملامحنا النقدية ، دون انعزال عن العالم ، أخذنا بمقاييس النقد الاجنبي وطبقناها تطبيقا جامدا . فاحدثنا فجوة عميقة بين الادب العربي المعبر عنا ، وبين النقد الذى هو غريب علينا، وهكذا ضاعت الحقيقة الادبية بين نوعين من النقاد كلاهما بعيد عن الصواب، اولهما النقاد السلفيون الذين تمسكوا بالقديم دون مسايرة الحديث وحاولوا تطبيقه على فنون لا تخضع** بطبيعتها لمقاييس النقد التي قال بها القدامى ، لانها فنون مستحدثة على آدابنا ، جديدة على لغة هذه الاداب. وثانيهما النقاد المحدثون الذين احاطوا بقواعد النقد الاجنبي ومدارسه الحديثة وحاولوا تطبيقها على آداب اللغة العربية دون الاحاطة بتراث هذه اللغة ودون مراعاة لظروف البيئة الاجتماعية .

ان مسئولية الكلمة الناقدة لمسئولية كبيرة وخطيرة في عالم الأدب فلها فاعليتها في صياغة الواقع من جديد لتميز الحق من الباطل والخير من الشر .

وفي عرض موجز لما يتضمنه هذا الكتاب نجد تحت عنوان في الفكر الفلسفي العقاد وفلسفة الوعى الكونى وهو يحاول فيه الكاتب ان يوضح من



خلال دفاعه عن كتاب «الله» للاستاذ العقـاد منهج العاقد وابراز دوره فى الفكر العربى والاسلامى حيث انه ثالث اثنين لعبا أكبر دور فى تاريخ الفكر الاسلامى الحديث أولهما جمال الدين الافغانى ، ثم امامنا محمد عبده ثم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد

ثم نجد تحت عنـوان فيلسوف الادب وأديب الفلسفـة محاولة من الاستاذ جلال العشرى فى ابراز دور الدكتور زكى نجيب محمود فى حياتنا الثقافية حيث انه استطاع ان يجمع بين الفيلسوف والاديب وان يعبر عن هذين البعدين فى اسلوب واضح فيه شفافية الفكرة وفيه نغمة العبارة . ومن خلال كتابه « فلسفة وفن » وهى مجموعة من المقالات المختـارة تؤكـد مذهبه الوضعى العلمى التجريبى فى الفلسفة ، وتعمق فكرتـه عن الادب والفن من حيث هما ضربان من ضروب الخلق المبتكر الجديد .

والكتاب بعـد هذا يعد تسجيلا لقضيتى الشعر والفلسفـة فى حياتنا الثقافية المعاصرة .

ومحاولة أخرى تحت عنوان شاهد على هذا العصر ، ليعطى صورة كاملة للاستاذ انيس منصور الكاتب الوجودى الاول فى ثقافتنا العربية حيث نجـد أن الاستاذ انيس منصور يتخـذ من تجـاربه الحيـة قاعدة لأطلاق كتبه وكتاباته ...

وتحت عنوان آخر فى النقد الادبى: محمد مندور ومنهج النقد الأيديولوجى بين الاستاذ جلال العشرى أن الدكتور محمد مندور لم يكن ناقدا فحسب، ولا مفكرا وكفى ، بل كان الى جوار هذا كله مناضلا ثوريا ، وكاتبا تقدميـا ، ومدافعا عن قضايا العدالة الاجتماعية ومبادىء السلام العالمى ، وهو نموذج ثورى أصيل للمفـكر العصرى. الذى يجعل فكره هو المسكن الذى يعيش فيه ، وفيه يلتقى بالعالم اجمع . ذلك هو المنهج الايديولوجى الذى يرتكز على منطق العصر وحاجات البيئة ومطالب الانسان المعاصر . ذلك هو منهج ابتكره الدكتور محمد مندور وارتضاه معيارا فى نقده لمنتجات الادب والفن : وظل يمارسه ويدعو اليه حتى أصبح بفضله معلما من أهم المعالم البارزة فى تاريخنا النقدى الحديث .

ثم تحدث المؤلف عن الكثير من اعلام النقد فى حياتنا المعاصرة وأبرز لنا دور كل واحد على حده وتحدث عن كثير من الشعراء والتيارات الشعرية ، ثم تناول ظاهرة دخول الشعر الى المسرح اى توظيف الشـعر لخـدمة النص المسرحى مع عرض نماذج لهذا الشعر المسرحى وأفاض فى هـذا الحـديث معلقا وناقدا بنظرات موضوعيـة ومنهجية . ثم نادى بضرورة البحث عن مسرح حقيقي خاص بنـا ينبع من طبيعتنا الدرامية ، وذكر آراء كتـاب ونقاد امثال يوسـف ادريس ، وتكلم أيضا فى كتابة عن دور نعمان عاشور ودراما التغير الاجتماعى .

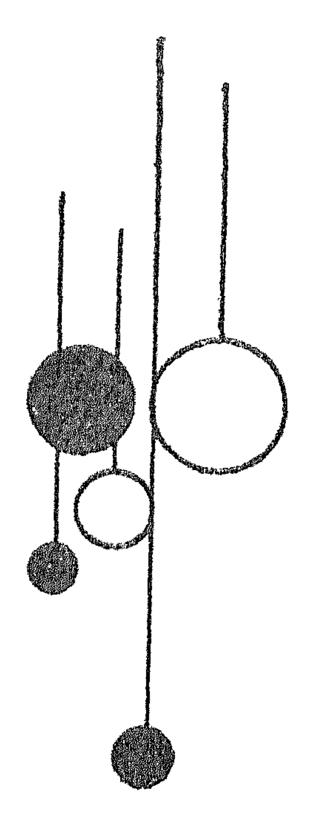
وكتاب ثقافتنا بين الاصالة والتجديد نظرة جديدة فيها النقد البناء الذى يريد به الكاتب ان يشرح العلل ثم يضع لها الدواء الذى يمهد الطريق امامها لتاخذ باسباب العلاج ، وهى نظرة ادبية جادة تريد ان تاخذ بايدى النقد والادب الى الامام ، الى وصلهما بالمجد العتيد للعرب القدامى مع الاخذ بالاساليب الحديثة وتطويعهـا لتوافق طبيعتنـا العـربية الاصيلة ...

● عادل عبد الصمد ●



أفعال

● سلوى النعيمي ●



آتي نحوك ، دون نداء
واثقة الخطو ، سعيده

اتقافز حولك مهرة حب مجنون ،
عاشقة ، معشوقة ،

اعبر زمن الفيض الجسر ،
فيسقط عني حد الخوف

ادخل ملكوتك خصبا ،
اعرفك ، فتسقط أسمائي .

يتجلى وجهي : راضية مرضية
اغلق نافذتي ، اغلق باب الغرفة ،

اغلق عيني

« ايام تكون بعيداً »

اتكوم كالأفعى

اجتر بخدر ساعات الرحلة :

« عطاؤك هذا ، تمسك أو تمنح دون حساب »

انتظر تعود
انقطع الحبل وما انزلق سريعا ، وجهك مني

امتص ملامحك المحفورة حفرا
تبهت ، تبهت ، وأراك تموت

امتلىء بك حتى الاعياء .
اعود وحيدة ...

سلوى النعيمي
من مجموعتها : « متوازيات »
منشورات دار تبنين ـ باريس

الطوارق

أمراء الصحراء



طارقي – على ظهر جمل .. اسمه زللو بن سليمان ، انه فارس من فرسان الطوارق في الصحراء ، فارس ملثم بلثام ازرق لايظهر الاعينيه، وعلى راسه عمامة زرقاء، واللثام و العمامة هما شارة اولئك الفرسان امراء الصحراء الذين لايشق لهم غبار .

لقد قنعوا بحياة الفقر والشرف ، لكي يعيشوا احرارا في صحرائهم ، وكما هي العادة تسير الحرية جنبا الى جنب مع الفقر ، لأن الطارقي رجل فقير لايملك من حطام الحياة ما يستحق ان يذل نفسه بسببه ، وحياته هي الاخرى جافة قاسية ليس فيها نعيم يخاف عليه ، ولاثروة تجعله ياسف على مفارقة هذه الدنيا . انه الانسان الحر الطليق الذي مر عليه الاستعمار الفرنسي دون ان يعترف به او يشعر بوجود الفرنسيين .



الطوارق رغم مايقال فى الكتب الاوربية من انهم قطاع طرق ابعد ما يكونون عن السرقة وغيرها من الخلال الذميمة . انهم فرسان ذوو شهامة وايمان ، وفى هذه الصورة ترى جماعة منهم تؤدى فرض الصلاة . فهم متدينون جدا ، ويكفى ان تعلم ان الفرنسيين بذلوا كل ما يستطيعون للتبشير بالنصرانية بين الطوارق ، فلم يظفروا بطارقى واحد

يستعمل الطوارق القرع الكبير المسمى عندنا بالسلى آنية ، ويضعون فيها الماء بعد تجفيفها فى الشمس . وفى الصورة ترى امراة طارقية تصلح اناء من هذه بخياطة شق فى جداره بالخيط والابرة

شعب الفوارس ذوو النقاب الأزرق الذين تحملوا شظف الصحراء واقاموا الامن فى ربوعها قرنا بعد قرن . انهم بقية شعب مجيد اقام على اكتافه دولة المرابطين وكتب اسمه فى تاريخ الاسلام وتاريخ الاندلس والغرب الاوروبى كله بحروف من نور ونار ...

شعب عجيب اصيل

● الطوارق من اغرب شعوب الدنيا . انهم شعب عربى . لكن العرب انفسهم لا يعرفون عنه الا القليل ..

وطنهم اوسع الاوطان العربية على الاطلاق ؛ ومع ذلك فلا وطن لهم .

انهم يسكنون الصحراء الافريقية الكبرى – بحر الرمال الاكبر – الذى يمتد الاف الكيلومترات من جنوب بلاد المغرب الى بلد تشاد وحوض النيجر فى افريقية المدارية ومن فزان الى المحيط الاطلسى

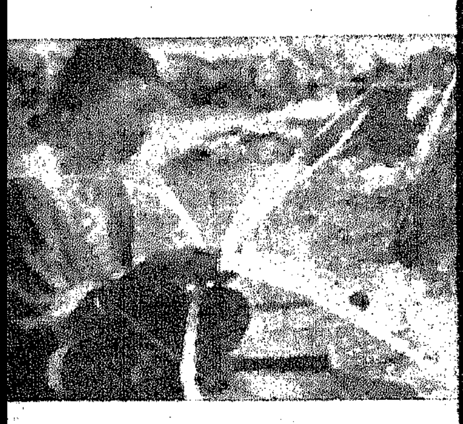
شعب مغربى عربى قبلى من الفرسان والمقاتلين . يعيش فى بلاد قاسية قاحلة كلها رمال وصخور تضم القليل جدا من الواحات والابار ومراكز العمران . الطوارق وحدهم هم الذين يعرفون مواضع كل هذه الواحات والابار كما يعرفون الطرق اليها . هم وحدهم يستطيعون تحمل قسوة الصحراء والبيئة فيها ؛ ولهذا فهم امراء الصحراء



امراة طارقية امتزجت في كيانها دماء عربيــــة وبربرية وزنجيه ، مازالت تحتفظ بملامح المراة العربية وهي تتزين باساور واقراط رخيصة ، اوربية الصنع



فارس طارقي بلثـــامه الازرق المعروف والمفروض الا يظهر منه الاعيناه ، ولكنه اسفر عن جزء اكبر من وجهه لتظهر ملامحه في الصـــورة . وهذه الملامح عربية صريحة كما ترى .



من القش تصنع نساء الطوارق الحصر والخيـــام والملابس احيانا والاواني . ان لهن مهارة بالغـــة في ذلك . وهاهي امراة طارقية تصنع صفدا من القش



هـــذه الغادة الجميلة بمفهوم الصحراء اسيرة ، اسرها الطوارق في غارتهم على قرية في شمال تشاد . ومن الغريب ان نصيب الطوارق من النساء قليل . وهم يلجاون في الحصول على مايلزمهم من النساء الى الاغارة على القـــرى للفوز بالبنات الجميلات . لاحظ تصفيفة شعرها التي تشبه تصفيف شعر نساء البشارين في السودان . وهي من سمات المصريين القدماء

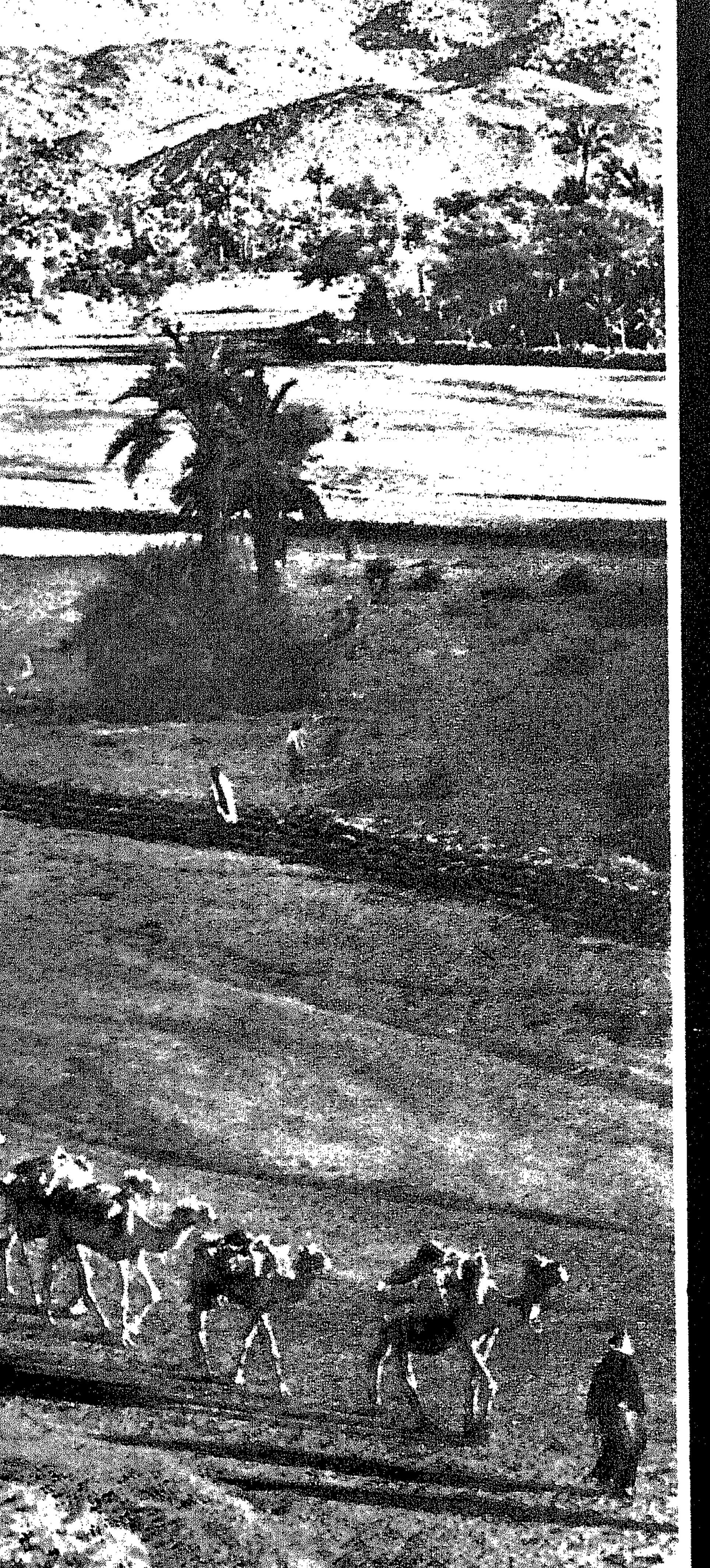


الابار في الصحراء قليـــلة ، ولايعرف موضعها الا الطوارق واذا جفت البئر عمد الطوارق الى تعميقها حتى يصل الحفر الى مجرى مائى جديد ، قد يبلغ عمقها الى ثلاثين مترا . وفي الصورة ترى طارقيتين تستخرجان الماء من بئر عميقة بدلو هو اناء من الفخار مستورد من بلاد المغرب

لا يعترفون بدولة او حدود او قانون ان لهم قوانينهم الخاصة بهم ، وهى قوانين شهامة وفروسية وايثـــار . قوانينهم مقتبسة من العـرف البربرى والعربى ، وكلهم مسلمون يعرفون مكارم الاخلاق ..

ونقابهم ازرق يلف الرأس ويغطـى الفم ، لهذا يسميهم الناس بالشـعب الازرق او امراء الصحراء ، فهم احرار.

الى حين قريب لم يكن من الميسور لأحد ان يقطع الصحـراء الكبرى من شمال لجنوب او من شرق لغـرب الا اذا تفاهم مع مشايخ الطـــوارق ، فهم وحدهم الذين يعرفون الطـرق



يعتبر الملح من اكبر ثروات الصحراء ، فهو يوجد فى نواح معينة منها ، ولما كان الملح ضروره من ضرورات الحياه فى الصحراء ، فان التجارة فيه تعتبر من اكبر موارد الرزق لطوارق ، لان الذى يعيش فى الصحراء يحتاج الى مدد مستمر من الملح لان الملح يحفظ لرطوبة فى الجسم . وبسبب الجفاف والحر يزيد العرق ويخرج معه الملح ، فلابد من مدد جديد منه ، ولهذا فان ساكن الصحراء يحتاج الى اربعة اضعاف قدر الملح الذى قد يحتاجه نحن .. وفى الصورة ترى قافلة جمال من جمال الطوارق محملة بالملح ، صادرة من واحة « بلما » عاصمة اقليم « كوار» فى شمال تشاد .

والعيون والمواضع التي يمكن الحصول فيها على الزاد . وهم وحدهم الذين يستطيعون احتمال قسوة هذه الصحراء الهائلة التي لا يملك الانسان اى دليل يمكنه من السير فيها بشيء من الامان . حتى قوات فرنسا التي ملكت هذه الصحراء كلها في يوم من الايام اضطرت الى التفاهم مع الطوارق واعترفت بقوانينهم وخضعت لشروطهم .

وقد حسب الفرنسيون انهم يكسبون الطوارق الى جانبهم اذ لجأوا الى التبشير بينهم ، فانشأوا نظاما دينيا خاصا يسمى «الآباء البيض» وانفقوا الملايين في انشاء الاديرة والكنائس ، فلم يجتذبوا الى ناحيتهم طارقيا واحدا والآن تحولت كل اديرة الرهبان البيض الى زوايا ومساجد ...

رؤساؤهم ينحدرون من اصلاب ملوك

والطوارق ليسوا عربا خالصين في الاصل ، بل أن اصلهم بربر ، من قبائل تنتمي الى مجموعة صنهاجة التي كانت تعيش اول الأمر في اقصى جنوبي المغرب الاقصى . فالى الجنوب من وادي درعة — اخر انهار المغرب الى الجنوب — تبدا الصحراء الكبرى وعرضها هناك مسيرة شهر في رمال قليلة الماء حتى يصل الانسان الى حوض نهر السنغال .

هذه القبائل كانت تعيش في منطقة قاسية جدا . اعتمادهم الوحيد على جمالهم ، فهم رعاة جمال وأعناز وتجار . وقد آتاهم الله من قوة الاحتمال مالا يجاريهم فيه الا عرب قلب الجزيرة في منطقة اليمامة .

واهم هذه القبائل الصنهاجية كانت لمتونة ومسوفة وجزولة وبني وارث وتارجا . تارجا هذه كانت أصغرها ، ولكنها كانت تعيش في أكثر المناطق جدبا ، ولهذا كان رجالها أكثر رجال القبائل احتمالا للتعب والاجهاد والعطش والجوع .

وكان من عادة هذه القبائل ان يتلثم رجالها لانهم كانوا محاربين ، فكانوا دائما في الغزوات ، ولكيلا يعرفهم الاعداء باشخاصهم كانوا يضعون على افواههم نقابا ازرق ، ويلفون رءوسهم بعمامة زرقاء ، فكان الاعداء لا يفرقون بين واحد منهم وواحد ، ولكنهم كانوا يعرفون بعضهم بعضا رغم اللثام ، بل يذهب بعض المؤرخين الى أن الواحد منهم ما كان يعرف صاحبه الا اذا تلثم ، لهذا سماهم الناس بالملثمين .

والحصان عند الطارقي اغلى من اخيه . كانوا يقاتلون من اجل الابل ، والخيل .

على اكتافهم قامت دولة المرابطين ...

وفي أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي اتاهم فقيه مغربي موهوب يسمى عبد الله بن ياسين . هذا الرجل كان عجيبة من العجائب . لقد استطاع وبمعاونة زعيم من زعمائهم يسمى يحيى بن عمر تأسيس قوة دينية عسكرية . تمكن من توحيد صفوفهم واذكاء حماسهم الديني وسماهم المرابطين اى الذين يرابطون على حدود بلاد الاسلام للدفاع عنها ..

بقيادة عبد الله بن ياسين ويحيى ابن عمر ، اندفع المرابطون الى الشمال واحتلوا جنوب المغرب الاقصى . هنا مات زعيمهم يحيى بن عمر وخلفه اخوه ابو بكر بن عمر . ثم مات عبد الله ابن ياسين ، ولكن المرابطين كانوا قد تحولوا الى قوة اسلامية لا تكاد تقهر .

عندما استقر ابو بكر بن عمر في سهل وادي تنسيفت قرر الزواج من اميرة نفزاوية تسمى زينب بنت اسحاق . كانت اميرة جميلة ذكية وساحرة ، وكان قد حصل عليها في سبي امير تغلب عليه . لكي يحتفل بزواج زينب الجميلة قرر ان يبني مدينة . هذه المدينة هي مراكش التي اصبحت فيما بعد .. والى يومنا هذا من اجمل بلاد العالم الاسلامي . بدىء في بنائها سنة ٤٦١ / ١٠٦٨ / ١٠٦٩ . هذا تاريخ لاينسى في قصة الحضارة العربية .

بعد ذلك انصرف ابو بكر بن يحيى الى الجنوب ليصلح بين القبائل الصنهاجية التي وقع الخلاف بينها . هناك تولى ابو بكر بن يحيى قيادة المرابطين الذين قاموا بنشر الاسلام في افريقية المدارية ، ووصلوا الى غانة



يكثر النخل فى الصحراء ، وهى موطن الطوارق وفى الصورة ترى شابا طارقيا تسلق نخلة بنفس الطريقة التى يتسلق بها الفلاح المصرى نخلته ليأخذ محصول التمر ، لاحظ أنه بلثامه وهو يقوم بذلك العمل .

وتمبكتو وجاو وجعلوها بلادا اسلامية

أما بقية المرابطين الذين ظلوا فى الشمال فقد تولى قيادتهم زعيم جديد يسمى يوسف بن تاشفين . هذا الرجل من ابطال الاسلام ـ وحد بلاد المغرب ووسع املاكه حتى بلغ مدينة الجزائر.

ثم عبر الى الاندلس لينقذ الاسلام من الغزو النصرانى الذى كان يتقدم حثيثا . سنة ١٠٨٦/٤٧٩ كسب يوسف بن تاشفين نصرا اسلاميا حاسما على قوات قشتالة وارغون هو انتصار الزلاقة قرب مدينة بطليموس فى غرب الاندلس .

واستمر المرابطون يجاهدون فى سبيل

الذرة هي قوام الحياة في بلاد الطوارق ، وهي المحصول الوحيد الذي يمكن ان يزرع بانتظام ويعطي عائدا يمكن الاعتماد عليه ، وفي الصورة نرى عددا من نساء الطوارق وقد جمعن محصول الذرة ، واقبلن يحضرنه للتخزين لكي تعيش عليه القبيلة طوال العام .

سلام حتى ظهر الموحـــدون واعلنوا
هم حربا لا هوادة فيها وحلوا محلهم
ادة محمد بن تومرت .

رغم الفقر ، مازالت عليهم
دلائل العـــز المـاضي

بعد زوال امر المرابطين بقيت منهم
الاندلس اسرة شديدة المراس تسمى
غانية . بنو غانية هؤلاء استمروا
اربون الموحدين في الاندلس والمغـرب
نا من الزمان ، حتى تمكن الموحدون
يرا من اخراج بقاياهم الى الصحراء . .
لاء هم نواة الطـوارق . هذا اللفظ
مع لفظ طارقي اى رجل من قبيلة
رجا . .
بعد قليل انضم اليهم عدد كبير من
هلالية الذين دخلوا المغرب في القـرن
خامس . بفضل الهـلالية استعرب
وارق وتكلموا العربية الى جانب لغتهم
لقد مدوا سلطانهم على أطــراف
رقية المدارية في اقليم تشــاد .
ختلطت بهم دماء زنجية . الى يومنا

هذا ينقسم الطوارق الى طوارق عرب وهم السادة والامراء والمحاربون ، وغير عرب وهم الزراع والاتباع .
لقد اشتهر الطوارق بالبسالة والصبر والشهامة وصدق الاسلام ، وصفهم بعض الفرنسيين بانهم قطاع طرق . انهم ليسوا قطاع طرق ولكن فقـــر

الصحراء يضطرهم الى الغزو احيانا .
ولكن الطوارق اليوم يتضـاءلون . معظمهم يعيشون في جنوب الجـزائر وموريتانيا وجمهوريتي النيجر والفولتـا انهم يتخلون الان ـ بسبب الجفاف المتزايد في البلاد المدارية ـ عن قطعان جمالهم وعن خيلهم ، ويتجمعون في قرى يسرت

لهم السلطات فيها الماء . انهم يتحو
الى زراع ، ولـكنهم ما زالوا ام
الصحراء وفرسانها ، وما زال الر
ذو النقاب الازرق رمــز
الفروسية والشـهامة في
افريقية .

ح . م .

كسوف الشمس

ظاهرة فلكية يروع النفس مرآها .. ولكنهم جعلوا منها قيمة اقتصادية للدراسات الدقيقة التي يقدمونها ..!

● في كل ١٨ شهرا يقع كسوف – جزئي او كلي – للشمس يراه اهل ناحية من نواحي الارض دون سواهم .

وسبب كسوف الشمس هو القمر ، وهذا امر في منتهى الغرابة لان حجم القمر يمثل واحدا من اربعمائة من حجم الشمس « ١/٤٠٠ »، وقطر القمر كله ٢١٦٠ ميلا أى حوالى ٣٨٠٠ كيلو متر فحسب « وهى على وجه التقريب المسافة من القاهرة الى مدينة الجزائر » والمسافة من الأرض للشمس ٤٠٠ مرة قدر بعد القمر عن الارض .. ومع ذلك فهذا الجرم الصغير يحجب عنا قرص الشمس أو جزءا منه مرة كل سنة ونصف .

ومن الغريب ان هناك من الفلكيين ناسا متخصصين فى علم الكسوف فهم فى رحلة دائمة : ينتقلون من الخرطوم الى كولورادو ، ومن هذه الى طوكيو ، ثم الى هامبورج ، حتى لايفوتهم كسوف واحد .. وعلى رأس هؤلاء ، الفلكي الامريكي دونالد منزل الذى رأى وسجل بعدسته مئات الكسوفات . فى سنة ١٩٥٣ وحدها سجل ٣ كسوفات كاملة للشمس !

وهؤلاء العلماء يدرسون بصفة خاصة ما يسمى بالكورونا أو التاج وهى اشعة الشمس المضيئة التى تبدو حول القمر فى وقت الكسوف الكلى ، والشمس كما نعلم كرة هائلة من الغازات الملتهبة .

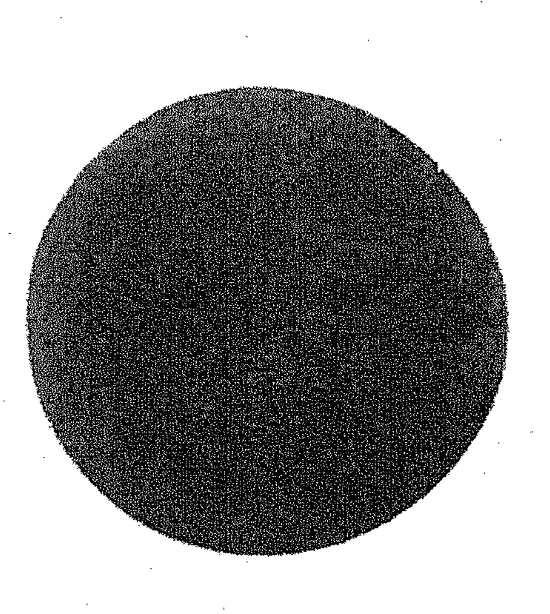
ويذهبون الى ان غاز الايون الصادر عن الشمس ، والذى يمكن دراسته دراسة عميقة فى حالات الكسوف الكلى يصل الى الارض ويغلفها ، ومن هنا فان دراسة الايون والكوروناجزء من دراسة جو الارض نفسه .

ولكن دراسة الكورونا ليست بالامر السهل ، لان جرم القمر ، يبدو فى حالة الكسوف الكلى وكأنه بقعة سوداء مستديرة تحجب الشمس فلا يبدو منها الا التاج ، وهنا فقط ،اى ومعظم قرص الشمس محتجب يمكن دراسةالكورونا دراسة صحيحة ، ولكى ترى الشمس والقمر فى هذا الوضع ينبغى ان يكون الراصد على خط مستقيم مع الشمس والقمر ، ونقطة الخط المستقيم هذه تكون فى معظم الاحوال فى المحيط

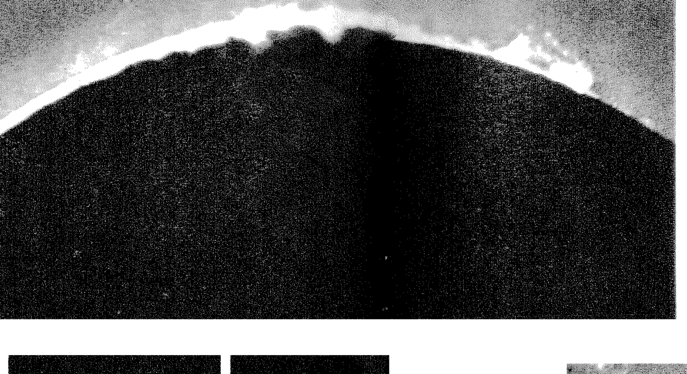
يحدث كسوف جزئي أو كلي للشمس كل ١٨ شهرًا ..
قطر القمر ١/٤٠٠ من قطر الشمس ولكنه يحجب قرصها تمامًا في الكسوف الكلي

أهم ما يعني العلماء في رصد الكسوف هو الإطار المضيء الباقي من قرص الشمس وقت الكسوف ، لدراسة غازات الشمس ، والشمس كتلة غازية ملتهبة هائلة

اجتمع ٧٠٠ فلكي من كل بلاد الدنيا في قرية مكسيكية لدراسة كسوف الشمس الكلي سنة ١٩٧٠ وتكلفت العملية نحو ٢٠ مليون دولار ولكن النتائج الاقتصادية لتلك الدراسات الفلكية تزيد على هذا المبلغ أضعافًا



كان القدماء يتصورون أن كسوف الشمس مظهر من مظاهر غضب الله سبحانه ، وكانوا يفزعون الى الله بالصلوات ساعة الكسوف ، مع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت انسان واليوم ينفقون الملايين لدراسة هذه الظاهرة الفلكية لاهداف اقتصادية عملية ...

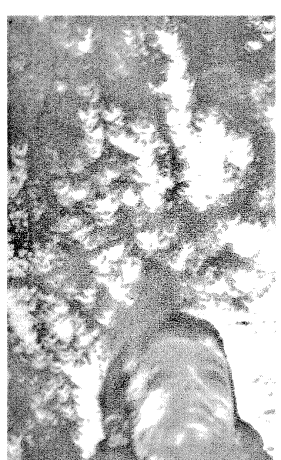




...ار السنة الغازات الملتهبة كما يرى ...
...كسوف الكلي على حافة قرص القمر ، طول
...سنة اللهب هذه يصل الى ٥٠٠٠ كيلومترا
...د اخذت الصورة بواسطة تلسكوب قطره
...سة ستة بوصات في مرصد كينستون بولاية
...ث كارولاينا في الولايات المتحدة . الصورة
...ن عند التقاء ... سطح القمر ...

...ة من السنة اللهب كما تصورها التلسكوبات
...ورة . هذه الالسنة خارجة من قرص الشمس ،
...بقع التي نراها هي دخان وابخرة وغازات .
...د ظهر في الصورة وجه احد العلماء الفلكيين





...ى او المحيط الاطلسي في مواضع
...ذر الوصول اليها والدراسة متابعة .

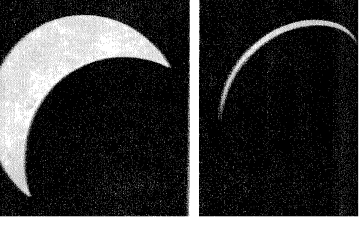
...واذا اسعد الحظ رجال الفلك بان
...نوا وقت الكسوف في ذلك الخط

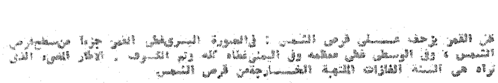
...ستطيع امكنهم ان يدرسوا ما يسمى
...حلقة الماسية وهي اشعة الشمس

...ما تقع على واد من اودية القمر في
...ية الكسوف ، وصورة الحلقة الماسية

...ى لا تدوم غير ثوان هي الفرصة
...هبية لدراسة غاز الايون الصادر من
...مس مباشرة وقبل وصوله الى
...لاف الجوي للأرض ..

...ومعنى ذلك ان اولئك الفلكيين عندما
...بعون حالات الكسوف لا يفعلون ذلك
...رد الهواية ، بل لاغراض علمية وهي
...سة التركيب الكيميائي لغازات





ظل القمر يزحف عـــلى قرص الشمس : في الصورة اليسرى غطى القمر جزءا من سطح قرص الشمس ، وفي الوسطى غطى معظمه وفي اليمنى غطاه كله وتم الكسوف . الاطار المضيء الذي تراه هي السنة الغازات الملتهبة الخـــارجة من قرص الشمس

الشمس ، وهذه الغازات هي اصل كل كيان الارض . وكيان القمر بالتالي .

وهؤلاء العلماء لا يدرسون الكسوف برؤيته وتصويره بالتلسكوب فقط بل ابتكروا اساليب علمية معقدة للاستفادة من فرصة الكسوف الى اقصى حد ، فهم ينظرون الى صورة الكسوف في مرآة

تسمى الكولوستات Coelostat اي مرآة السماء ، وهذه منعكسة فيما يسمى بمسجل الطيف Spectrograph ليتمكنوا من رؤية ادق تفاصيل الاشعة الغازية دون ان يؤذي النظر اعينهم .

والغريب ان اهم ما يعني الفلكيين هو دراســة الدائرة المظلمة التي تحجب

الشمس عنا عند الكسوف ، لأن هذه الدائرة تسمى الظل أو الأومبرا Umbra ليست ظلاما كليا عندما نرى بالتلسكوبات الضخمة ، ان الاشعة تقع عليها وتظهر فيها اشكالا وهينات من سطح القمر ، وهذه الاشكال تعين على دراسة الغازات الشمسية ؛ ويبلغ من حرص الفلكيين على دراسة هذه الغازات انهم يستعينون في تلك الدراسة بالاقمار الصناعية التي يتحرون أن تكون واقعة ساعة الكسوف في منطقة الظل لتصور القمر والارض في آن واحد .

ولما كان الكسوف ظاهرة متحركة غير ثابتة ، فان الدارسين ينظرون ويسجلون بالسينما تحرك القمر في ضوء الشمس وحجبه هذا الضوء واهم مايعنيهم هي حافة القمر التي تقع عليها الاشعة المتوهجة ويمكن رؤيتها وتحليلها بغاية الدقة ، ولهذا فان الراصدين يقومون بعملهم من مراصد متحركة على سيارات ضخمة ، تتابع مسير القمر وهو يحجب الشمس لكي يستطيعوا الدراسة اطول فترة ممكنة ، فعندما درسوا كسوف الشمس سنة ١٩٧٠ الذي رؤى في اكمل صورة في المكسيك ، انتقلوا بسياراتهم ومعملهم من ساحل المحيط الهادي الى ساحل الاطلسي ، واستمروا يدرسون ويسجلون ظاهرة الكسوف اكثر من ٢٣ ساعة متوالية .

ولم يعرف تاريخ الفلك في العصور الحديثة كسوفا اتم واكمل من كسوف سنة ١٩٧٠ هذا الذي رؤى في المكسيك لقد رآه فوق الخمسين مليون انسان ورصده وتتبعه نحو مائتي عالم فلكي أتوا من كل نواحي الأرض .

وقد انفقت الولايات المتحدة وحدها نحو مليون دولار لتسجل هذا الكسوف



كسوف الشمس كما ينعكس على جهاز الاسكتروجراف اى مسجل الطيف . على هذا الجهاز يدرس العلماء طبيعة غازات ((التاج)) او الكورونا وهي الاطار المضيء الباقي من الشمس عند الكسوف الكلي ...

ولكن النتائج العلمية التى توصلت ليها بعثات الرصد من وراء دراسة هذا لكسوف وتسجيله كانت ذات اهمية عظمى ، فقد درست طبيعة غاز الايون بعيدا عن جو الارض وتسع غازات اخرى دراسة تامة . وعلى أساس هذه الدراسة تمكنت المركبات الفضائية من اخذ عينات ممتازة من هذه الغازات وتمت دراستها ، وابتكرت وسائل جديدة لاستخراجها صافية من جو الارض فى الطبقات العليا ، ويجرى الان تحضير كميات ضخمة من هذه الغازات لاغراض الصناعة ، وتبلغ القيمة الاقتصادية لهذه الغازات المحضرة اربعة اضعاف ما انفق على عمليات الرصد !

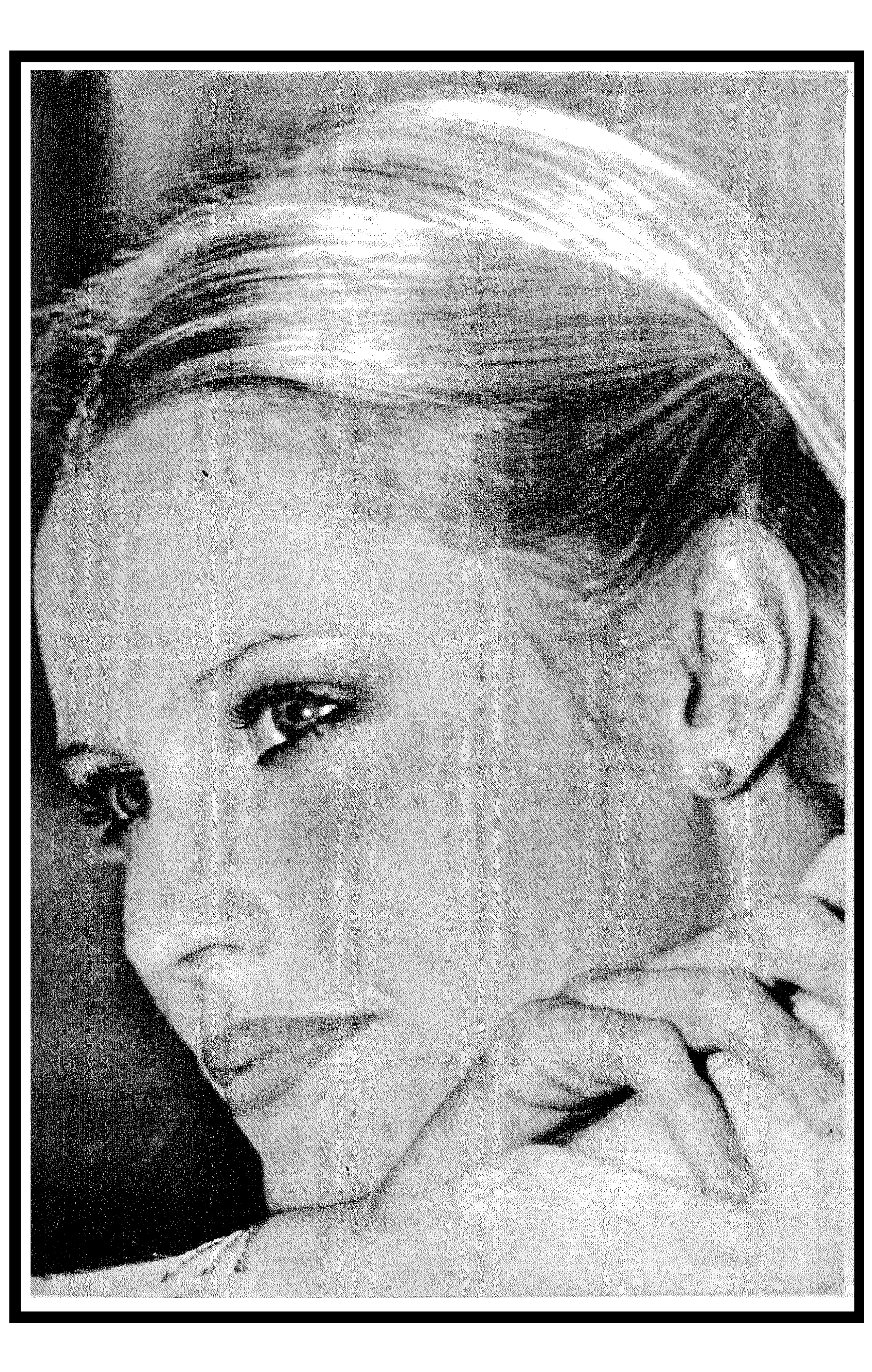
هؤلاء ناس لا يلعبون ولا يجرون وراء سراب علمى ، بل انهم يخدمون صناعتهم واقتصادهم ويقدمون لبلادهم خدمات جليلة .

وللمرة الاولى فى التاريخ يتحول علم الفلك الى علم « اقتصادى » أى يعطى عائدا اقتصاديا بفضل النتائج التى يصل اليها العلماء . لان الهدف الرئيسى من عمليات رصد الكسوف هو دراسة الشمس نفسها ، والشمس كرة هائلة من الغازات الملتهبة ، ومن هذه الغازات تكونت الارض والقمر ، فنحن نعرف عن طريق الارصاد حقائق اصول تكوين كرتنا الارضية ، واذا كانت مشكلتنا الكبرى اليوم هى مشكلة الوقود أى الطاقة ، فان دراسة اصول التركيب المادى للأرض « وكلها غازات ... ووقود » ربما حلت فى ...

فأرسلت تسع بعثات واقيم مركز علمى فلكى فى مياهوالان على بعد ٦٠ كيلو متر جنوب مدينة المكسيك باسم مرصد فلكى مؤقت من الالومينيوم والخشب لوضع الاسبكتروجراف أى مسجل الطيف فى موضع محكم . وتحولت القرية المكسيكية الصغيرة الى مجمع علمى كبير يضم نحو ٧٠٠ عالم من علماء الفلك من كل نواحى الدنيا .

كانت البعثة الروسية وحدها تتألف من ٣٢ فلكيا ، وكعادتهم . ابتعدوا عن الباقين . واقاموا لانفسهم مركزا لارصاد « سريا » خاصا بهم ، وكان الموضع الذى اختاروه فى غاية السوء ، تهب عليهم فيه رياح عاصفة تقتلع الخيام فى احيان كثيرة ، لكنهم ظلوا فى مكانهم مفضلين المشقة على الاختلاط بالناس .

وبلغ من حرص الحكومة الامريكية لتسجيل هذا الكسوف الكلى الفريد فى نوعه ، ان الموتور (المحرك الكهربائى) للاسبكتروجراف تعطل قبل بدء الكسوف بساعة ، فارسلت جامعة بوسطون محركا جديدا بالطائرة ، وصل قبل بدء الكسوف بدقائق ... وقد تكلفت هذه العملية .



● في الثغر وفي المعصم ! ●

تسَـــائِلني حلوَةُ المبسَـمِ
متَى أنتَ قبَّلتَني في فَمِي ؟
تَحـدَّثت عنِّي وعن قبــــلة
فيالكَ من كـــاذب مُلهَـمِ
فقلتُ أعابِثها : بل نَسِـــيتِ
وفي الثَّغْرِ كانت وفي المِعصَمِ
فانْ شــئتِ أرجَعْتُها ثانيـــا
مضَاعفة للفـمِ المُنعَــــــم

● على محمود طه ●

● الجمال الملهم ●

لماذا أحبـكِ ...؟ لا أعْلـــمُ
سوى أنني في الهَوى مُغـــرمُ
أعَلِّل حبى .. ! ومـــاذا أقولُ
ومِلءُ دمِي سِــره المُبهَـمُ
وإن نلتها قبـــلة كالسَّـعيرِ
مجوســيَّةَ اللَّفحِ لا أندَمُ
أحِب هـــواكِ لذاتَ الهَـــوى
وجَلَّ الجَمَـــالُ الذي يُلهِـم

● ابراهيم عيسى ●

في مثل هذه الجميلة قالوا

● حنين ●

أرنو لرسمك في شروق صباحي
وأردد اسمك من خلال جراحي
لكنني مما أعاني حائر
أشكو وأسأل : كيف هيض جناحي
وتحيط بي أطياف وهم قاتل
فأبيت بين عواصف ورياح
طورا تطيح بي الرياح وتارة
تهدا الرياح على رضا وسماح
وأحن للقيا حنين مسافر
في الليل يهفو للشعاع الضاحي!

● محمد عمر الطوانسي ●

● اندى من الندى ! ●

ويفديك قلب مستهام ومهجة
يذيبهما حر الصبابة في صدري
تظلين في عيني أندى من الندى
وإن كنت بعض الوقت أقسى من الصخر
فاصنعي بي ما تشائين إنني
وهبتك ياهند البقية من عمري !

● الياس فرحات ●

● قصيدتى هذا المساء ●

قصيدتى هُنا .. وفى مجاجرى الحروفُ
تطلّعى إلى العُيونِ صَمتُها شَفوفُ
ودمعُها يمُوقُهُ إباؤُها العَيوفُ
قصيدتى علَى حُدود هُدبِها تطوفُ
لعلَّها تفرُّ حين تسنَحُ الظروفُ
وكم رأى بنطقه الشقّاء فيلسوفُ

● عصام الغزالى ●

● على الاغصان ●

سَمَا طَرْفى إليهـــا وهو باكٍ
وتحت الشمسِ يَنْسَكِبُ الغَمامُ
وأذكرُ قدَّها فأنَوح وجداً ...
على الاغْصَانِ ينتدبُ الحمَــامُ
وأعقبَ بَيْنُها فى الصّدرِ همّــا
اذا غربَتْ ذكاه أتى الظلامُ !

● عمر بن عمر القاضى ●
● الاندلس ●

محاولة لعمل شئ ما ..

● ابراهيم سعفان ●

وقفت مندهشا امام المدير لاستقباله الحار لى على غير عادته .. فانا بعيد عن دائرة رضاه .. دعانى للجلوس فجلست . شجعنى ان آخذ راحتي فاسندت ظهرى الى مسند الكرسى .. قدم لى سيجارا فخما .. اخذته مترددا شاكرا .. اشعلت السيجار وجذبت نفسا حرصت ان اخرجه ببطء حتى استمتع به .. هدأت اعصابى .. وتبددت الدهشة .. احس المدير بذلك فابتدرنى قائلا :

ـ اعرف انك يا استاذ فاضل موظف كفء .. ورجل جاد .

حمدت الله فى سرى .. وقلت سبحان مغير الاحوال .. ابتسمت وتمتمت :

ـ اشكرك ياافندم على حسن ظنك .

ـ اعرف انهم تخطوك فى الترقية مرتين .. وهذا ظلم لا ارضاه .. وانا سابذل جهدي حتى لاتضيع عليك الترقية هذا العام .

ـ اطال الله عمرك يا افندم .

سرحت مع دخان السيجار .. لماذا ظهرت كفاءتى فجأة .. ربنا يستر .. لابد أن فى الامر شيئا ..

طمأنت نفسى .. انتظر يافاضل حتى يكشف لك كل اوراقه .. جاءنى صوته ودودا ..

ـ أريد منك ان تعد بحثا .. وهذه فرصة لاظهار كفاءتك أمام مجلس الادارة .

ـ أمرك يا افنــدم .. لكن .. البحث عن أى شىء ..

ـ عن الوضع فى الشركة والسلبيات والايجابيات ومقترحاتك لزيادة الانتاج .

ـ متى تريده ياافندم ؟

ـ بعد أسبوع .. لكن هذا سر بينى وبينك .. حتي لا يغير منك زملاؤك .. لا يغيب عنك هــذا فانت رجل عندك خبرة .

ـ ان شاء الله أكون عند حسن ظنك .

خرجت تتنازعنى أحاسيس شتى .. بين التصديق والتكذيب .. ازدحم رأسى بتســاؤلات كثيرة .. حاولت أن أسكتها وأطرحها جانبا ولا أشغل بالى بها حتي لا أضيع ســـعادتى بالمفاجأة ولذتي بطعم السيجار .. وصلت بيتي .. أخبرت زوجتى والاولاد بما حدث بينى وبين المدير .. تعالت صيحات الفرح والبهجة .. وأمطرونى بسلسلة من الطلبات التى طال اختزالها .. وعدتهم بتحقيق طلباتهم .. اخذ الجميع على عاتقهم تهيئة الظروف لى لانهاء البحث .. زوجتي كفت عن الثرثرة عن تعبها فى شغل البيت وانها تريد شغالة تساعدها .. اتفق الاولاد فيما بينهم على ايقاف مشــاغباتهم .. ســاد البيت هدوء عجيب فشلت مرارا ان احققه بالوعيد والتهديد .. رأيتهم يروحون ويجيئــون يتراقص الامل فى عيونهم .. زوجتى كثرت احلامها .. جاءتنى يوما وقالت انها رأتنى فى المنام امتطى فرسا أبيض والبس ملابس بيضــاء .. وقالت انها علامات الخير .. لا أخفى عليكم سعدت جدا بحلم زوجتى وتفسيرها المتفائل له .. فظللت أعمل بجد وهمة حتى انتهيت من البحث .. ذهبت الى المدير .. وسلمته البحث .. ربت على كتفي بحنان شديد وقال :

ـ عظيم جدا يا استاذ فاضل .. هذا مجهود كبير

ـ شكرا لك ياافندم .

ـ اطمئن .. أنا أبذل جهدى لدى مجلس الادارة وأعددت مذكرة بحالتك .. والامل كبير فى ترقيتك .. وانا أقف بجانبك بكل قوتى ..

ـ هذا جميل لن أنساه .

ـ أنت تعبت فى هذا البحث .. وأنا وافقت لك على أجازة أسبوع .

رن جرس التليفون .. مد يده لينهى المقابلة .. لم أتمالك نفسى من الفرحة .. شـــددت علـى يده بحرارة وأنا أردد كلمات الشكر والعرفان بالجميل .. خرجت أدعو له بالتوفيق فى مهمته .

قررت أن أستمتع بهذه الاجازة أنا والاولاد واطرح عني كل ماينغص على هـــذه الاجازة .. الحقيقـــة عوضتهم فى هذا الاسبوع مافاتهم من فسح .. دعوا لى وللمدير وطلبــوا من الله أن يبــارك خطاه .. انتهت الاجازة .. ذهبت الى الشركة يسبق خطواتى الامل .. وقعت عيناى على لوحة الاعلانات المعلقة فى الردهة كعادتى .. وقفت أمامها كعادتى .. رأيت خطاب شكر .. قرأته .. الشـــكر للمدير على مقترحاته القيمة التى قدمهـــا لمجلس الادارة لرفع مستوى الانتاج .. رأيت بجانب الخطاب المقترحات .. نفس مقترحاتى .. صرخت .. هذه مقترحاتى أنا .. هذا جهدى .. المدير كذاب .. تجمع الزملاء .. أخذوا يهدئوننى .. رأيت فى عيونهم التكذيب أقسمت لهم .. امطرونى بكلمات الصبر ..

اندفعت الى مكتب المدير .. اقتحمت الحجرة .. صرخت فى وجهه بانه كذاب وخادع .. وان لحمى مر غير لحم الاخرين الذين التهمهم .. انكر كل شىء وطردنى من مكتبه .. هددته انى اعرف كيف آخذ حقى .. ذهبت الى المدير العام لاشرح له الحقيقة لينصفنى .. ما أن ذكرت اسمى حتى تغيرت ملامحه وقال :

ـ انا عندى شكاوى كثيرة من مديرك .. انت موظف مشاغب .

حاولت ان انطق كلمة ابين حقيقة الموقف .. لم اتمكن .. استمر فى حديثه :

ـ انت تســـبب متاعب كثيرة .. ولذلك قررت خصم عشرة أيام من مرتبك وانذارك بالفصل .

ماتت الكلمات على شفتى .. لم أعد أسمع شيئا من حولى .. اخرجت مفتاح مكتبى من جيبى وطوحته بعيدا .. وكسرت قلمي وسحقته تحت قدمي .. وادرت ظهرى وخرجت ..

مصر في شعر هويتمان

● د . صلاح عدس ●

يقول ((ستيفن تابسكوت)) ان هويتمان رائد الشعر الامريكي المعاصر - كان متأثرا في شعره بمصر القديمة وأساطيرها ودياناتها وتاريخها . وان الاهتمام بالمصريات كان يشكل ظاهرة بارزة في القرن التاسع عشر ، وخاصة بعد اكتشاف اللغة الهيروغليفية باكتشاف ((شامبليون)) لحجر رشيد واثباته أن الرموز والرسوم المسجلة على ذلك الحجر ما هي الا حروف هجائية يمكن ترجمتها ..

وقد كان هويتمان شديد الاهتمام بحجر رشيد آنذاك حتى انه كان يقارن نفسه بشامبليون ، فيقول ان الشاعر يحاول تفسير وترجمة أسرار الحياة ورموز الكون ، تماما مثلما فسر شامبليون رموز حجر رشيد الهيروغليفية وقد كان هويتمان كثير الاطلاع على الكتب المتعلقة بالمصريات وكانت له علاقات وطيدة ومناقشات طويلة مع الباحثين في هذا المجال وعلى رأسهم الدكتور آبوت مدير المتحف المصرى بنيويورك . وقد ظهر أثر كل ذلك في شعره اذ أنه كان متأثرا بالاله أوزيريس اله التجدد الروحي والتجدد النباتي فنراه يقول على لسان متكلم قائم وسط الأعشاب .

((اظن ان هذا العشب
هو رداء هيروغليفي
يمتد في مساحات كبيرة ومساحات صغيرة ..))

فالعشب عند هويتمان هو رمز هيروغليفي من رموز الطبيعة ، وانه رمز لتجدد الحياة وديمومتها مثل أوزيريس، لأن العشب ينمو باستمرار حيثما وجد التراب والماء ..

ونرى هويتمان يجعل ذاته تندمج مع الطبيعة حتى ليعتبر نفسه احد المطلقات العضوية المجهولة في الطبيعة، اذ يقول :

((أنا أيضا غير قابل للترجمة !

ثم يقول أيضاً :

انني أرجو من ذاتي ان تنمو من العشب الذي اهواه . فاذا اردتني مرة اخرى فلتبحث عني تحت قدميك .
عندئذ ستجد صعوبة في ادراك من أنا !))

وكان هويتمان يرى انه يدرك أسرار ورموز لغة الحياة أدراكا روحيا عن طريق الحدس ، بل أن هذه ((اللغة السرية)) تتجلى في كل ما في الكون حتى في الأشياء ، ودور الشاعر هو أن يصغي ويستمع لأصوات الكون الكون ، تلك الأصوات الهيروغليفية ، فتراه يقول :

ان الاشياء المتداخلة في الكون
تنساب في احاسيسي
انها كلها مكتوبة لي
ويجب ان أصل الى معنى تلك الكتابات

ويرى هويتمان أن لغة الحياة الهيروغليفية تتجلى في كل الموجودات وأن على الشاعر ان يقرأ بعينيه رموز تلك اللغة ولنستمع اليه يقول :

انني شاعر الجسد
وانني شاعر الروح

فان قوله بأنه شاعر الجسد وشاعر الروح هو قول متاثر بالفلسفة الفرعونية التي تمجد الجسد وتحنطه الى جانب تمجيد الروح ، وذلك على العكس من الفلسفة الهندية التي ترفض الجسد وتجعلهم يحرقون الجثة بعد الموت .

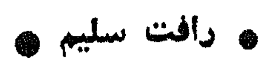
ويقول ((ستيفن تابسكوت)) ان هويتمان كان يحاول في شعره ترجمة رموز الحياة الهيروغليفية الى لغة ديمقراطية أى لغة يفهمها الانسان العادى أى أنه كان يحاول ان يجعل من اللامفهوم مفهوما ، وقد كان هويتمان في أسلوبه متاثرا باسلوب الأدب الفرعوني وذلك باستعماله للصور المتدفقة التي تعكس وحدة الكون وتجدد الحياة والصيرورة اللانهائية ..

ولنستمع اليه يقول :

ماذا تظن أنه يحدث للموتى
من الشباب والعجائز
والأمهات والأطفال
انهم أحياء وبخير في مكان ما
فان اصغر مساحة للعشب
تدلنا على انه ليس هناك في الواقع موت

قصـــة





الولد :

تشده من يده ، خطاها أكثر اتساعا من خطاه .. وجهه شاحب صغير . لم يحفظ درس الامس . وجه المدرس عابس . يضربه على عادته ، يبكي .. ينزوى فى قمطره ، ينظر ـ مسحوقا ـ الى أسفل . لا يريد أن يضربه . لا يحب المدرسة . تظل تجذبه من يده .. الشارع حافل فى تلك الساعة من الصباح ، عيناها مشدودتان الى افق تتشابك على جانبيه أعالى البنايات وقمم الاشجار .. الضوء ساطع .. نجمة صغيرة تلمع فى الزرقـــة الصافية ، والشمس متفجرة القلب : تسكب بقاياها من بعدها الشاهق على الأسفلت دفئا باهتا ..

تهمس له : قل ربنا يخليك !

لايرد . عصا المدرس تشهر نفسها فى وجهه . تشتعل جذوة القلق فى صدره . خطواته تضيق . خطواتها تتواتر فوق أســـفلت الطـريق بآلية .. يتعلق بها . بيدها الاخرى تتدلى حقيبة كتبه ، مهملة مثل ملابســـه وحذائه الكالح ، والجورب الابيض المتسخ المتهدل فوقها . زى المدرسة ـ أيضا ـ ازرق قديم ، باهت كأحلامها : ولدت فقيرة ، عاشت وحيدة ، تنتقل من بيت الى آخر . كبرت . أين بيتها ؟

عادت تردد للصبى : لماذا لاتقولها ؟
يهتف الولد بصوت خائف : ايه ؟ ..
قالت : أتكرهني ؟
قال الولد بضيق : اسكتى ...
ـ قل ربنا يخليك وتتزوجينه ؟!

لاذ بصمت عنيـد . قالت لنفسها : غدا تكبر ، تصبح مثله ، تملأ قلب بنت مسكينة مثلى هما ...
أضافت بثورة مكتومة : يروقنى .. لكنه يهملنى .. بواب العمارة المجاورة ، من يظن نفسه ؟ .. لكن ، أيعرف أننى مريضة ، وأننى ... يكثر الموت المفاجىء هذه الايام .. سيدى كان يروى للسيدة ليـلة الامس ، مات قريبه فجاة ، شــابا لايجاوز الاربعين .. وأنا ، هل .. ؟
جذبت الولد من يده بقســـوة ، بدأ يبـكى ، نهرته ...
قال من بين دموعه : ساقول لماما !

ـ وأنا لن أذهب بك الى المدرسة .. غدا !
قال الولد بعناد : ستذهبين ..
ـ لا ! ..

عبرا شارعا متقاطعا . مرت خلفهما سيارة جنود ضخمة بضجة كبيرة ، تجاوزتهما .. مركبات اخرى .. الاصوات مختلطة متشابكة .. جاوزت الساعة منتصف الثامنة ..
اخذت تردد لنفسها : ربنا يخليك وتتزوجينه .. ربنا ...

همست بحزن : لكن كيف تفهم ؟
تهدلت ملامحها ، ومن خلال غلالة دموع رقيقة ، ارتعشت امامها فى الافق نجمة الصـــباح ، اعالى البنـايات ، قمم الاشـــجار الخضراء فى الزرقة الصافية ... الشمس لاتزال تسكب سخونتها من بعدها الساحق على الاسفلت .







أبجدية الموعد

• أحمد عباس •

تأتين . . .
رائعة كزنابق نار
ساحرة كغموض الأكوان ، كايقاع مبهم !
طاغية كخشوع صلاة .
مسكرة كتخطر أجنحة الأمطار على صدر روابى
ناعمة كوداعة أنفاس قيائر حلم ..
خالدة كالحب الموت !
عينـــــــاك ...
ازهار عاشقة فى بيدر ضوء تتوشح بالقبلات المنسابة من
نبض نسيم يختزن اللحن الشفقى الآسر ..
تتسلق سارية الفردوس
نتخاصر ،
ونذوب بأعماق ((التانجو))
صدرى عش يرشف انفاس المرح المنسابة من عصفورين ارتحلا فى
أغنية الخدر الساحر
يلتقط الاون الفضي وزهر الاحساس الهارب، أنفاس الاشراقات
نتهادى ، نسكب روحينا فى احضان الدفقات النورانية
نرحل في افلاك الرؤية ، نبصر أسفارا رائعة التكوين
نغرس فى صدر الليل ازاهير الهمس المتالق
وندور ، ندور ، بآخر ابعاد اللحظة .
نحمل فى الأعراق رفيف الاحـــــلام وخصبا وهجيا ..



● عبد العزيز الشناوى ●

خيط رفيع من الماء ينســـاب من فوهة الجوال • الارض شقوقها غائرة ••• داعبت يده القطعة الفضية الصغيرة الراقدة فى قاع جيب الصديرى •• لها الف باب سيبتلعها !

قبـس ان اغادر داري طلبت مني زوجتي نصف جنيه •

ـ نصف جنيه ؟ هل تظنين انني موظف اتقاضى مرتبا فى نهاية كل شهر ؟

ـ يد ارزا ودقيقا و ••

الى بجسده وتعب النهار الطــويل على الجسر تحت ظلال اعواد الذرة •

التقطت اذناه وقع الـــدام تقترب ••• اشراب عنا ، وقع بصره على الحاج شرنوبى يركب حماره :

ـ الله ، الله •• نايم فى أرض الذرة ؟ •• انهض والا هوت عصاى على رأسك !

لماذا ركبته العفاريت عندما رآنى جالسا ؟ يريد أن أعمل فى عز « النقرة » ؟ ألا أستطيع أن أستريح قليلا ؟ سيشترينى بالعشرة قروش التى دفعها لى ؟ طهرت المصرف من الحشائش •• فتحت حوال أرض الذرة •• ماذا يريد أكثر من هذا ؟ الحصان الذى يجر العربة يمنحه صاحبه دقائق يســترد فيهـــا أنفاسه • يقدم له التبن والردة •

ـ مازلت جالسا ؟ ألا تحترمنى ؟!

ماذا يبغى ؟ اقف ثم أضرب له تعظيم سلام !

ـ لماذا لا ترد على ؟

زمجر ••• وكزه بعصــــاه ، انتفض الغضب فى عروقه النافرة •• أأمسك بطرف العصا ؟ هـــــل انتزعها من يده ثم انهال بها على كتفيه ووجهه الذى سينط منه الدم ؟

ـ سأرى ماذا فعلت منذ الصباح واياك أن •••

شيعه بنظرة يعكرها الاستفسار والغضب • طفا أمام بصره وجه أخيه • تنهد • قيراط حظ ولا فدان شطارة •من فى قريتنا أفضل منى ؟ عبدالحق يمتلك خمسة عشر فدانا من أجود الاراضى ، يعمل مدرسا لبض فى نهاية كل شهر عشرين جنيها ، وأنا لا ملك « فك » أرض ؟ أموت من التعب والقرف فى حقول أهل القـــرية ؟ أقبض ثلاثة جنيهات ايجار الحجرتين اللتين أجرتهما لمكتب البــــريد • لماذا لا يطلب منى اخى ان ازرع له خمسة أفدنة ؟ فدانين ! ألست أولى من الغرباء ؟

عاد الحاج شرنوبى • عيناه الضيقتان تطفحـــان بالرضا :

ـ شاطر • شاطر •• وأشكرك !

كنت أريد الا تشكرنى بلسانك • تمد يدك فى جيب الصديرى ذى الاربعين زرارا وتدس فى يدى قرشين • تقدم الى باكو معسل • سيجارة ماكينة •

أثار الحمار عاصفة من الغبار وراءه • خلع قميصه الدمور الملطخ بالطين • جلس على حافة الجنابية راح يغسله • نشره على بساط الحلفاء • خاضت قدماه فى الماء • فى الصباح رفضت الخـــوض فى حديث النزاع بينى وبين عبدالحق •

لمح سمكة تتهادى بجوار الشاطىء • منذ ساعتين حمل ابنى صفيحة صدئة • ذهب ليصطاد السمك • سيوفق ؟

صعد الى المصلى المقام على جسر الجنـابية • راح يصلى العصر • التقط قميصه • يمم وجهه شـطر القرية • القى بفاسه انطلقت الدجاجة التى كانت تقف على فوهة البلاص • همست زوجتـــه بكلمات مقتضبة •• نارية •• احس بعينيه تنبضـــان فى محجريهما • وقف مترددا •• شىء داخله انكسر ؟ لم يعد قادرا على اتخاذ قرار ؟ ماذا ينتظر ؟ اأذهب اليه ؟ اطبق على عنقه ثم ادق راسه فى الارض حتى تتهشم جمجمته ؟ لم يعد الامر سرا ؟ كشف عبد الحق القناع عن وجهه ! كيف غابت عنك الحقيقة طوال تلك المدة ؟ لن ادع الامر يمر ببساطة •

ترك جسده يتكور فوق غرارة قديمة فى صحن الدار ••• اخى يلهف اللقمـــة من بين اسنانى ؟ يكتب شكاوى يزعم فيها ان دارى لم تعد تصلح مقرا لمكتب البريد ! •• فعل هذا لكى ينتقل الى بيته ؟ ثلاثة جنيهات ينشلها من جيبى ليضعها فى جيبه ؟ الا يكفى انه موظف ومن اعيان القرية ؟

التقت عيناه بعينى زوجته • طاطا راسه • رضيت بعدة هزائم متتالية على يد عبدالحـــق •• قبضت ثمنها اعزاز وتقدير زوجتك ، لكن هزيمتك اليوم ••• ماذا يدور بذهنها الان ؟

لو اخبرتنى !



البل ابنه يحمل صفيحته الصـــــدئة • تغطي الحشائش الخضراء فوهتها :

ـ ناداني عم عبدالحق • رفضت الذهاب اليه !

عبد الحق ؟ لماذا لم يسمه عمى الخطاف ؟ لم يعد بعد اليوم أخى • بعد أن ضاعت الثلاثة جنيهات من أين أرسل نقودا الى ابنى حسن فى الزقازيق ؟ كان عبدالحق يعارض فكرة تعليمه :

ـ لا داعى للتعليم الجامعى • شهادة متوسطة •

يرأف بحالى ؟ يحقد على ؟ لا يريد أن يصبح ابنى موظفا محترما ! الذى يعيش على خراب البيـــوت لذته فى الحياة أن يجمل التسعة عشرة ولو من دمعة يتيم • يكمل التسعة والتسعين مائة ولو بقلب أخيه! موظف محترم •• ؟

هتفت الزوجة :

ـ تعال •• انظر

تعلقت بشفتيه ابتسامة ذاهلة • السمكة الكبيرة التى اصطادها ابنه فى جوفها سمكة صغيرة ؟ كيف ابتلعتها ؟ برز أمام عينيه وجه عبدالحق :

ـ كل واحد فى القرية يقـــول لى ازرع الارض بالسبع وآخر السنة يطردنى• اعطنى فدانين افلحهما اما مناصفة او بالايجار • هل يرضيك « بهدلتى » فى أرض الناس ؟

بدد السكون صوت قطار قادم • نسى اخى ايام كان فى الجامعة ؟ كنت اسافر الى القاهرة • احشر نفسى بين الكتل البشرية • اجلس تحت الاقدام • احمل اليه سفطا به الخبز المرحرح والارز المعمر و •• و •• وعندما يعود الى القرية •• اسرع الى المحطة • احمل على كتفى حقيبته التى لا يستطيع حمار العمدة حملها

جلس الابن يملأ بطنه باعواد الفجل والخبـــز الجاف • بالامس كنت املأ الاكياس بالتبن والدريس مازال الالم يسرى فى ظهرى •

راح عبدالحق يرسل الشكاوى الى مصلحة البريد جاءت لجنة • عاينت الحجرتين •

ـ الدار قديمة •• الحجرتان تحتـــاجان الى دعم وترميم • تسلق الرشح والملح الجدران • الارض الطينية لابد أن تبلط •

ترميم ؟ رشح ؟ بلاط ؟ من اين احضر النقـــود اللازمة •• ؟

صعدت الزوجة فوق السطح ، القت حزمة قش •• العام الماضى أخبرت أخى اننى ساحضر حملين قمح فى جرنه

ـ لقد وعدت حماى •• سوف يحضر « الزريع »

لم يحضر حموه برسيما • كان الجـــرن سيفقد شيئا ؟ خشى أن يدخل الغبار بيته ؟ بعد ذلك رفض أن يقرضنى حماره ليحمل غـــرارة أرز الى وابور الطحين • ادعى ان ظهر الحمار مجروح • لم تمض دقائق حتى رأيته يشد على ظهره البردعة •

ترامت الى مسمعه ضحكة اخيه المجلجلة• اصطخب السخط فى اعماقه • أاذهب اليه وأبصق فى وجهه ؟ أنشب أنيابى فى رقبته ؟

« هدأ بالك الان بعد ان خطفت منى مكتب البريد

« اللجنة هى التى •• »

« من الذى أحضر اللجنة ؟ انت •• الشكاوى التى كتبتها • انك ثعبان • دائم النزاع مع جيرانك •

الى متى تطربك آلام الناس واحزانهم ؟ »

ملأ الدخان صحن الدار • امسك السعال بخناقه نهض خانقا • تسلل الى اذنيه صياح وصراخ • ماذا حدث ؟ شب حريق ؟ غرق احد فى الترعة ؟

اسرع الى الشارع ليستطلع الخبر • وقع بصره على زهران واولاده الخمسة يمسكون بعصى غليظة يريدون ان يقتحموا بيت عبد الحق ويتشاجرون معه•

لم يدر كيف زحفت قـــدماه • ووقف بجانب اخيه • ●●



دعيني

● احمد مصطفى عوض ●

جئت دربي ... لا شيء غير العذاب
يتمشى في مهجتي ورغـــابي

ولهيب النـيران ينهش احـــلا
مى لتمسى كحفنــة من تـــراب

انت قـــد جئت واحة من جراح
وفـــؤادا لهيبـــه غـــير خـــاب

انت قـــد جئت غابة من ســكون
ليس فيهـا غير الأسى والضباب
وريـــاح الخـــريف تصفع ايـا
مى لتردى بقيــة مـن شــبابي
خلفتهــا الاهوال فى الروح حتى
غصــبتها الرياح اى اغتصـــاب

طفــلة انت فى الربيـــع تغنين
.. نشيد الزهـور بين الصحاب

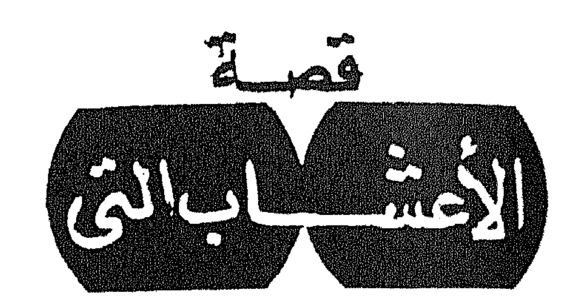
فلماذا تاوين للوحـــدة العـــزلاء
.. عنـدى والدمع والاوصـــاب

جئت للواحة الجديبـــــة القفر
.. لماوى الوحوش ملء ثيـــابي

***

عفت دفء المغـــــامرات فاثر
ت ركونى الى حيـــاة الغــاب

فدعيني لا توقـــظى جـرح قلبى
واتركيه عـلى فراش العـــذاب



• فؤاد بركات •

.. الخبر قد ذاع ، بداية عن لسان رجل ... فانتقل الى الزاوية ... تناهى الى تلك المنازل المحيطة بالجرن القبلي – ثم ، في الليلة التالية ، صار على لسان القـرية واذنها ... محمد ابو عميرة ، قدم لبعضهم دواء من عشب – له فعل السحر ... الدواء يحيي الشـباب في الاجساد الشائخة ، مقو للاعصاب الواهنـة . وفي يومين كان الخبر قد سرى .

أبو عميرة ، يعمل باليومية لدى زكي موسى ، الذي لايهبط ارض البلدة الا عند المواسم ، وهو رجل اعمال بالمدينة ، ولانه ابن البلدة فانه يحتفظ بما لديه من ارض يزرعها على حسابه .

محمد ابوعميرة – يعمل كثيرا – لايعرف عنه احد الهذر او المرح ، وعندما تناهى الخبر الى القرية ، فان الكثير قد صدق . وظل البعض مرتابا قائلا :

– ان الاعشاب تدخل حقا في الدواء ولكن بالعلم والابحاث !

بالمصـادفة ، فان زكي موسى حضر الى القـرية ومعه عائلته ، زوجته بدينة الجسد جدا ، وولداه ، وابنته العاطلة عن الجمال ... وبمجرد وصوله ، سرى اليه الخبر : « أبوعميرة يعيد الشباب ! »

وقبل ان يخلد الى راحته المعهودة التي يتناول فيها طعاما من التشمدة واللبن الرائب – ويستـبدل بالبدلة جلبابا ، لقد هاج ينادى العيال والرجال ان يستدعوا له توا – ومن أى مكان على بقاع القرية – أبا عميرة ..

– من يدرى قد يعيد لنا الشباب الضائع !

عاد أحد الصغار ، وبعض الكبار يقولون – ان أبا عميرة قد اختفى ، وانه منذ أيام دائم الاختفاء ..

فترك الطعام .. هرول حافيا ، صارخا ان عليهم ان يعثروا عليه حيا أو ميتا ! ..

من بعيد لاح – متجها الى الزحام الذى تكون من الصغار والكبار ، وزكي موسى وعائلته – كان يقبل في خطى راكدة ، نظـراته هابطة الى الارض .. وجهه غائم بالعبوس كعادته ... نظيف الملابس – رغم انه حافى القدمين ...

– اجلس يامحمد ... اجلس واشرب سيجارة ، واحك الموضوع من أوله .

قدمت الزوج البدينة له كوب شاى كبير ، ليس صغيرا كما يقدم الى الضيوف العاديين ، فأبو عميرة قد صار بالغ الاهمية .

شرب الشاى والسجائر ، وابتسم مراوغا :

– ده كلام جرائد !

قالت له السيدة ، وهي تقرصه في دلال :

– قول امال يا محمد ... يعني اختراع ؟!

ظل يطلق كلمات الانكار ، والنكات ... ثم انسل ليختفي عن الانظار .

في المساء ، قاده الشـباب الى مندرة الاستاذ – حمزة الزناتي ، وهو اوفر شباب القرية ثقافة ، يتحدث عن أسماء يجهلونها .. وهو الوحيد في القرية الذى يقتني مكتبة صغيرة بها عشرات الكتب – الكتب .

عندما مثل أمامه أبو عميرة ليعادله ، قال بازدراء :

– ياعالم كفوا عن البلاهة والجهل !

الدكتور فضل ، وكان يجلس بجواره ، اعترض :

– من يدرى ، الطب حقا يعترف بالعلاج بالاعشاب!

– هل تصدق هذه الترهات ؟ الدكاترة يتوهون عن عشب ، وجده هذا المخرف ؟!

راح الشباب يلحون على ابى عميرة ان يفضى لهم بسر الاعشاب ، فقال في لهجته السريعة :

– شوية حشائش ، اعطيتها لمدبولي ، وقلت له دى ترجع صباك . جاء لى بعد يومين قال عاوز .

– وجبر ، وجاد ، وغيرهم يقولون أنهم صاروا شبابا .... واحد جاى يقول لى ثروتي تحت رجلك فقط ... العشب !

مزق سـكون الليل هدير عربة تقترب ، سبق القادم من أعلن ضاحكا :

– انه الدكتور سويلم .. الصيدلي بالمركز ... الصيدلي دلف على استحياء

– سمعت أن اكتشافا قد حدث في بلدكم !!

• وعندما بحثـوا عن أبى عميرة في أطراف القرية ، وأحشائها ، فانهم لم يعثروا عليه ، الدكتور قال انه – وقد قطع المشوار الى القرية رغم الليل – يعرض على القروى صاحب الاكتشاف ، المناصفة في الارباح ، وعليه التمويل ... بعد أن يعرض العشب على مراكز الابحاث ، ومن يدرى قد تأتى بثروة !

وعندما انصرف بعربته ، وشق الاسـتاذ حمزة الباب والظلام بنظرة عابسة ونطق :

– هذا هو العلم ، أم هو الجهل .. ؟!

الشباب انقسم بين مؤيد مصدق ، ومنكر مكذب ، وفي الصـباح تبين أن المطلوب من أبى عميرة كي يحرز ثروة ، هو ذلك العشب ، لكي يتجهوا به الى مركز للابحاث .

مع الالحاح ، انفجر أبوعميرة :

– أعشاب ايه يا بلد ! .. الدار عندكم فتشوها .

لاينه زكي موسى بكل ماأوتي من لباقة التاجر :

– طبعا ليس في المنزل ... انه في دماغك ، أنت تعلم مكانه .. سننزل به معا ... وسنجربه ، وسنكون أثرياء !!

اقصد ستكون ثريا !

معا سارا – وقد تركا البلدة وراءهما ترقب – خاضا في الحوض الشرقي ، ثم حوض السواقي ، ثم أعمق أحواض البلدة ، وقـال البعض ان زكي موسى قد عرج وتعب وأبو عميرة يقول :

– لا أدرى كيف وجدت هـذه الاعشاب ...

ولايام طويلة استمر طوافهما بالحقول بعد العصرية او اثر الشروق يقطعـان الحقـول ... ويعبران الجسور ، ويخوضان في الزراعات ... ويسـاله عند كل مرأى لعشب غريب المنظر ، ان كان هو .. ؟

– كلا . كان عشبا منتفخ الاوراق !

وفتر حماس أبى عميرة للموضوع ، وظـل حماس الاخر مشتعلا والبعض يحذر أن في انتشار الحكاية مايعرض للعقاب بتهمة الدجل

– ان الموضوع قد يتناهى الى الاعلام ، وستؤكد الاقوال انه قد عالج بعض الحالات لفترة موقوتة ، لكن الصحافة ستقول انه قد اكتشف ما يعيد الشباب

ينصت ابوعميرة ، متدلية شفاهه ، ثم ونظرةخوف ترتعد ، هو لايريد رغم انه يستقبل العقد الخامس من عمره ، بهذه اللهفة عودة الشباب ، نضـارة الشباب ستعود بمزيد من الرهق

أخيرا قال لزكي موسى ، وللباحثين في أعقابه :

– ان موسم العشب قد ولى ... انه ينبت فقط لايام وجيزة !

وفي العام القادم ، يعد انه سيعثر على العشب ، سيعثر عليه بالتأكيد ..

ولكن يجب نسيان الموضوع برمته ، عاما طويلا ... العام القادم سينبت العشب من جديد ، سيعود الشباب ، وهناك حالات تؤكد .. صحيح انهم قد عادوا يشتكون من الضعف ، بيد أن الدواء قادم ..

ورويدا رويدا ، تهدأ الكلمات ....

تستيقظ الاحـلام ... الموعـد حينما ينبت العشـب من جـديد ...

قصة

الهمس





صوت المطر الخرافي مازال الصدى . والسقف يرشح نقاط ماء صغيرة جدا ومبعثرة تلتمع رءوسها في الضوء الابيض البارد المنبعث من لمبة الفلورسنت المسنودة على الحائط . تتعلق عيناه بنقاط الماء .. لحظات .. تنزل على الجدران الباهتة المتسخة .. تنزل .. تنزل حتى تستقر عسل اصابع قدميه المتورمتين .

ـ ابحث لنا عن اية كمية من السكر

ـ السير يؤلمني على اصابعي المتورمة

ـ السكر والسمن واللحم .

لم يرد ... تستطرد :

ـ البيت خال

لم يرد .. تستطرد :

ـ هذه أشياء أساسية

يقول بصوت خفيض :

ـ نحن نعيش على الستر

تضحك بصوت مرتفع وساخر .. ينظر لاصابع قدميه فتغوص مؤخرته في قاع الكرسى

تضحك عندما تراه فى حالة انكسار

تصرخ فيقول :

ـ الناس تسمع بنا

ـ أتخاف الناس ؟!

لم يرد .. تستطرد :

ـ الناس تعرف عنك كل شىء

ـ كيف ؟

ـ هم ينظرون دائما فى صفائح القمامة !

ـ صفيحتنا فارغة .

ـ صفائحهم مليئة بقشر الموز والبازلاء وعلب الحلوى

ـ بودى أن أعيد دهان هذه الجدران بل وهذا السقف

ـ بالزيت ؟

ـ لا ... بالغراء

تضحك فيقول ، لم تضحكين ؟ .. انها مجرد رغبة

ـ وانا أيضا اضحك لمجرد الرغبة .

ـ أنت !

ـ اجل

ترميه بنظرة ذات معنى ... يهمس لها :

ـ لا استطيع

ـ اعرف ذلك

فجاة يقف .. يفتح الباب ثم يصعد بضع درجات من السلم ليقترب من أول صفيحة ... يتأمل مابداخلها .. ينحنى ويفتش بيديه ورجليه .

قشر الموز وبذور البرتقال ، ورءوس السمك الازرق . وحبة رمان فى لون النبيذ ... يبعثر محتوياتها فى عصبية ...

تختلط الاشياء وتنزل مع ساقية فوق الدرجات . ولما تستقر أمام الباب المنفتح يرى زوجته .. تصرخ فيه ... فيهمس فى عينيها الحمراوين

ـ انت .. اذهبى ! يهبط باصابعه المتورمة ...



دموع الخداع

● فؤاد ابراهيم المنصوري ●

ما يصلح الجبر كسرا يا مخادعة
كلا ، ولا يعشق الانسان غدارا

ترجين في اسف صفحا ومغفرة
وتسكبين دموع العين مدرارا ؟

لا .. قد مضى زمن خلت الهوى قمرا
يضفي على الكون، كل الكون انوارا

ما كان للقلب ان تثنى عزيمته
هذي الدموع وقد امست له نارا!

قد اسلم الامر يوما للتي حلفت
بصدق حب سرى في الروح اعطارا

قالت بان الهوى طفل نهدهده
في روضة انبتت زهرا ونوارا

ما كان يدري بان الغدر شيمتها
او ان هذا الهوى قد صار ادوارا

وكان دوري الذي قد تم مشهده
واسدل الغدر بعد الدور استارا

كفي عن الدمع ، هان الدمع يا قدرا
به كرهت الذي سموه اقدارا !

ماذا تريدين مني اليوم ثانية
كفاك مينا ، وتضليلا ، وتكرارا!

ابعد ... بقلبي ، جئت تائبة
كلا . وهمت ، أيا من صرت لي عارا

ثلث الأمراض الباطنية حالات نفسجسمية

● د. احمد متولى مسلم ●

كان اول من استعمل صفة « نفسجسمى » هنروث سنة ١٨١٨ ، الذى ناقش العوامل النفسجسمية فى الأرق ، وبدات الكلمة تنتشر ، وتؤكد على أهمية العوامل النفسية فى الأمراض العضوية ، كقرحة المعدة ..

ويعنى الطب النفسجسمى - بمفهومه الحديث - تأثير الحالات النفسية على اجهزة الجسم المختلفة .

والقاسم المشترك الاعظم فى نشأة الامراض النفسجسمية ، هو القلق ..

الآثار الفسيولوجية للقلق

تصاحب القلق تغيرات فى وظائف الجهاز العصبى ، الذى يهيمن على أعضاء الجسم المختلفة . فالكائن الحى - اذا تعرض لخطر يهدد حياته - يعتريه قلق ايجابى يدفعه الى القتال ، أو قلق سلبى يدفعه الى الهرب .

وتختلف التغيرات الجسمية المصاحبة لهاتين الحالتين : فالقلق الايجابى تصحبه زيادة فى توتر العضلات ، وسرعة دقات القلب ، والتنفس ، وقد يحدث هياج وعدم استقرار . اما القلق السلبى فيصحبه بطء فى التنفس ، ودقات القلب ، وقد يحدث شلل يقعده عن الحركة .

واذا احدثنا القلق تجريبيا ، نجد ان الدم يندفع من الاحشاء الى عضلات معينة كالقلب ، والى المخ .. كذلك يصحب القلق ارتفاع فى ضغط الدم ، وسرعة فى موجات رسم المخ ، وزيادة فى الاستجابة الكهربية للجلد ..

والقلق - فى حد ذاته - ليس استجابة مرضية ، فبعض حالات القلق سوية ويصبح القلق مرضيا اذا اشتدت درجته ، أو طالت مدته ، بحيث تتجاوز المعدل الطبيعى للشخص .. ويمكننا دراسة القلق بقياس متغيرات فسيولوجية معينة ، كضغط الدم ، وسرعة القلب ، وحجم النبض فى الأصابع ، ورسم الموجات فى العضلات واذا قسنا كمية الدم فى الساعد

● ادرك الانسان وجود علاقة بين النفس والجسم، من اقدم العصور ، منذ اهتم بالطب نفسه . علماء بابل وآشور لم يفصلوا بين المرض الجسمي والنفسي، بل نظروا الى المريض نظرة شمولية ((٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد)) .. وعلماء الاغريق اكدوا على ضرورة علاج الجسد والروح فى آن معا ((ابو قراط وسقراط)) وفى عصر النهضة ((١٥٠٠ - ١٧٠٠ م)) تقدم العلماء في كل العلوم ، لكنهم تاثروا بطب القرون الوسطى ورفضوا الاعتراف باثر النفس على الجسم ، وتركوا الطب النفسى للفلسفة والدين !

نجدها تزيد بشكل ملحوظ عند الانفعال . . ونجدها عند المرضى بالقلق اعلى منها عند الاسوياء ، فهى تزيد باطراد فى الفئات الآتية : الاسوياء ، فحالات الفزع من شىء معين ، فحالات الوسواس القهرى ، فحالات الفصام ، فالاكتئاب الثورى، فالقلق المزمن ..

وقد اجريت تجارب على جزء مكشوف من الغشاء الداخلى للمعدة، فتبين أن القلق ومشاعر العدوان تسبب زيادة الحركة ، والدورة الدموية ، والحموضة ، أما الحزن وتأنيب الضمير ، فيسببان شحوبه وقلة حركته . .

والانفعال الذى يسببه موقف معين يختلف كثيرا من شخص الى اخر ، وبالتالى تختلف التغيرات الفسيولوجية المصاحبة له : فالمرأة المتعالية قد تثير القلق فى رجل ، والنفور فى اخر، والهناء فى شخص ثالث !

الآثار العضوية للقلق

القلق يهز الانسان بدرجات متفاوتة ، وفى اغلب الظروف لا يعبر الانسان عن قلقه ، بل يكبت انفعالاته فى داخل نفسه . فاذا طال كبت القلق واستمرت التغيرات الفسيولوجية التى ذكرناها ، فقد تكشف المخبوءات عن نفسها من خلال تغيرات عضوية فى احد اجهزة الجسم .

ولا يرتبط القلق المزمن بنوع معين من المرض ، والارجح ان القلق يزيد استعدادنا للاصابة بأمراض كثيرة ، ويعطل الشفاء بعد أن يظهر المرض . وتحدث التغيرات العضوية بسبب معاناة الأوعية الدموية ، والعضلات الحشوية ، والغدد الصماء التى يغذيها الجهاز العصبى اللاارادى

ولما كانت الانفعالات المزمنة ذات الاثار الفسيولوجية الهدامة ، شديدة الارتباط بمشاكل الحياة اليومية ، كان من الواجب على الطبيب ان يحصل على

ثلث الأمراض الباطنية حالات نفسجسمية

تاريخ مفصل لتطور المريض وخبراته، وحياته المنزلية ، وما يكتنفها من خلافات ، وتنافس ، وغيرة .. وظروف عمله ، وما يسببه من ملل التكرار وتعب الكفاح فى سبيل الامن او المركز الاجتماعى أو النجاح . وهذه البيانات لا تقل فى أهميتها عن الفحص الجسمى للمريض .

فالمشاكل المتراكمة بسبب العلاقات الشخصية ، تسبب عديدا من التوترات والمخاوف ، التى تهز الانسان ، وتزلزل كيانه . وكذلك الحرمان من الاشباع العاطفى ، ومواجهة المصاعب والازمات التى لافكاك منها .. هذه العوامل تعبىء النفس بالقلق ، والعداء ، والعدوان ، ومشاعر الذنب ، والنفور ، والامتعاض ، وكل ذلك يسبب — او يضاعف — المرض الذى يحل بالجسد ..

وكأنما المرض العضوى محاولة لحل مشاكل العلاقات الانسانية !

واحيانا تظهر علاقة واضحة بين ظهور المرض الجسمى وحدوث ازمة مروعة للمريض .

وغالبا ماتظهر الامراض النفسجسمية فى الطبقة الوسطى ، لزيادة اعبائها ، وما تستلزمه من كفاح ، وكبت ، ومسايرة . كذلك يتعرض الانطوائيون لهذه الامراض اكثر من الاجتماعيين .

وفى هذه الحالات يشكو المريض من الاعراض الجسمية ، فلا تبدو على السطح معاناته النفسية ، فيندر ان يشكو المريض من القلق ، أوالاكتئاب ، أوالنفور ، أوالتوتر الجنسى ، بل يقصر المريض شكواه على فقد الشهية ، والقىء ، والم الظهر ، والصداع ، والخفقان ..

وفى الانفعالات الحادة ، على سبيل المثال ، يرتفع ضغط الدم ، ثم لايلبث أن ينخفض اذا نفث الشخص غضبه بالفعل او القول . أما اذا استمر شعور العدوان والغضب المزمن بلا تنفيس . فان ضغط الدم لا ينخفض ، ويصاب الشخص بارتفاع ضغط الدم .

وبالمثل اذا استمر توتر الانفعالات ردحا من الزمن ، مصحوبا بزيادة الحركة والحموضة فى جدار المعدة يشعر الشخص بألم فى معدته ، ويضاف الى الموقف كثرة تفكيره وقلقه بسبب علته ، وبفحصه بالاشعة يتضح أنه مصاب بقرحة فى المعدة ..

مجالات الطب النفسجسمى

تتسع دائرة الطب النفسجسمى لتشمل ثلاثة انواع من الامراض :

١ — يشكو المريض من أعراض جسمانية مختلفة ، وليس لديه اى مرض عضوى . لذلك نسمى حالته « علة وظيفية » .

٢ — يعانى المريض من مرض عضوى ، وسببه الأصلى اضطرابات نفسية .

٣ — يعانى المريض من مرض عضوى ، لكن بعض اعراضه ليست نتيجة المرض العضوى ، بل نتيجة عوامل نفسية ، مثال ذلك شاب مريض بروماتيزم فى القلب ، يعانى من سرعة فائقة فى دقات القلب ، بدرجة لا تتفق مع مرضه العضوى . فى هذه الحالة ترجع نصف اعراضه الى قلقه وخوفه على حياته ..

كثرت الاضطرابات النفسجسمية فى بلدنا ، حتى لتشكل جزءا ضخما من الحالات الباطنية فى المستشفيات ، وفى عيادات الاخصائيين ، خاصة اطباء القلب والجهاز الهضمى ..

ان اكثر من ثلث مرضى الحالات الباطنية لا يعانون من المرض العضوى ، بل من الأعراض النفسجسمية ، وهم لا يعبرون عن قلقهم بصراحة ، فلاقرو أن يعانوا من الاعراض النفسجسمية .

ويشكو مرضى الطبقة الوسطى من الصداع ، والقىء والآم الظهر ، والاعراض الهضمية ..

ويشكو مرضى الطبقة الدنيا من الضعف ، والاعياء ، والالام ، والشعور بالاختناق ..

زهرات من رياض العرب

لا حاجة ...

دخل رجل من المعمرين على معاوية بن ابى سفيان ، فقرب مجلسه ، ورحب به، وساله : كيف وجدت الدنيا ؟

فقال المعمر : سنيات رخاء ، وسنيات بلاء ، يوم ويوم ، وليلة فليلة ، يولد مولود ، ويهلك هالك، **ولولا المولود لباد الخلق .ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها !**

فقال معاوية : سل حاجتك .

قال الرجل : عمر مضى فترده ؟ واجل حضر فتدفعه ؟

قال معاوية : لا املك ذلك .

فقال الرجل : لا حاجة بى اليك !

ورع الامام

اختلط غنم أهل الغارة بغنم أهل الكوفة فامسك الامام ابو حنيفة عن اكل اللحم وسأل : كم تعيش الشاة ؟

قيل : سبع سنين .

فترك اكل لحم الغنم سبع سنين !

فى الاكل والنحو

قال ابو العيز : سالنى ابو العباس عن الظبى معرفة أم نكرة ؟ فقلت: ان كان مشويا على المائدة فمعرفة ، وان كان فى الصحراء فهو نكرة .

فقال : مافى الدنيا اعرف منك فى الاكل والنحو .

قم يا ابا بكر ..

اختارت قريش طلحة بن عبيد الله ليرد الصديق ابا بكر الى عبادة الاصنام بعد اسلامه ، فاتاه وهو فى القوم فقال : يا ابا بكر ، قم الى .

قال : الام تدعونى ؟ قال : ادعوك الى عبادة اللات والعزى .

قال ابو بكر : من اللات والعزى ؟

قال : بنات الله .

قال : فمن امهن ؟

فسكت طلحة وقال لمن معه : اجيبوه فسكتوا .

فقال طلحة : قم يا ابا بكر ، فانى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله .

فأخذ ابو بكر بيده ، فاتى به النبى — صلى الله عليه وسلم — فاسلم .

لم يحر جوابا

دخل يزيد بن ابى مسلم ، صاحب شرطة الحجاج ، على الخليفة سليمان ابن عبد الملك ، بعد موت الحجاج ، فنظر اليه سليمان وقال :

قبح الله رجلا سلمك امره واولاك امانته ! اترى الحجاج قد استقر فى جهنم ؟ فقال : ياامير المؤمنين ، لاتقل هذا ، فان الحجاج قد وطأ لكم المنابر، واذل لكم الجبابر ، وهو يجيء يوم القيامة عن يمين ابيك وشمال اخيك ، فحيثما كانا كان !

فسكت سليمان ولم يحر جوابا .

وصف الدنيا

سأل رجل الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، فقال :

صف لنا الدنيا .

فقال الامام : وما أصف لك من دار اولها عناء ، وآخرها فناء ، من صح فيها أمن ، ومن سقم فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فتن ، حلالها حساب ، وحرامها عذاب !

● محسن فهمى ●



● تاليف عبد القاهر الجرجانى ●

● ٤٠٠ – ٤٧١هـ : ١٠١٠ – ١٠٧٨م ●

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

● تسعة قرون مضت على وفاة شيخ النقاد العرب عبد القاهر الجرجاني ، الذى يمثل القمة العالية التي وصل اليها النقد العربى القديم ، والتى لم يبلغهـا النقد عنـد العرب من قبل . ودراسات عبد القاهر فى كتـابيه : ((دلائل الاعجـاز)) و ((أسرار البلاغة)) وضعت للنقد صرحا شامخا ، ووضعت اصولا تعد مبتكرة فى تاريخنا النقدى والبيانى والادبى .

وفى « دلائل الاعجاز » يتحدث عبد القـاهر عن نظرية النظم وتطبيقـاتها الواسعة فى مختلف أسـاليب البيان ويتهدى بذوقه واحسـاسه بين روائع الأدب والشعر ، دارسـا لها ، مبينا للفروق البيانية والادبية بين بعضـها والبعض الآخر ، ويهتدى بفطنته وذكائه الى مناهج مفصلة يبنى عليهـا مختلف أحكامه النقدية والبلاغية فى دقة وعمق وروعة فهم للادب وخصائصه .

وأكاد أمثل ذوق عبد القاهر النقدي في الكتـابين بالترمومتر الزئبقي الذي يتأثر بمختلف درجات الحـرارة تأثرا واضحا ، فان ذوق عبدالقاهر يقف عند دقائق الأساليب ، ومختلف صور الأداء والبيان، متأثرا مهتزا معبرا عن انفعالاته الأدبية والنقدية بأجلى بيان .

ولقد بنى عبد القـاهر كل تفكيره اللغوى فى النقد ، فالالفـاظ فى ارتباطها هى التى تكون فى القصيدة أو النص مجموعة الصور التى تنقل الينا الشعر أو الفكرة (١)

وعبد القاهر من كبار ائمة العربية، نشأ فى جرجان ، وتلقى فيها ثقافتـه فى اللغة والنحو والادب والشـعر ، وكان من اساتذته أبو الحسـين محمد الفارسى ابن اخت أبى على الفـارسى المتوفى عام ٤٢١ هـ ((٢)) ،ولم يلبث عبد القاهر أن تصدر الحلقات العلميـة واللغوية فى جرجان ، وصار علمـا يشار اليه بالبنان ، وطارت شـهرته

---

١ – ١١٥ الادب وفنونه – عـز الدين اسماعيل

٢ – ٢٨ – بغية الوعاة ، ١٧٧ حـ١٨ معجم الادباء تحقيق فريد رفاعى

«.. لا فارق بين المعنى والصورة في النص، واللفظ يستمد بلاغته من أنه ظل للمعنى، والمعنى يستمد مزيته من حيث أنه المادة التي يصوغها اللفظ ...»

العلمية والنقدية في كل مكان، وقصده الطلاب من كل صوب وحدب، واجل الناس فيه ورعه وتقواه ودينه ووقاره وشخصيته وزهده، والف العديد من المؤلفات (٣).

وقد ذاعت مؤلفات عبد القاهر، وتتلمذ عليها الطلاب في انحاء العالم الاسلامي. وظل كتاباه «دلائل الاعجاز» و«اسرار البلاغة» مخطوطين، حتى حققهما الامام محمد عبده ودرسهما في الأزهر، وأكمل الشيخ محمد رشيد رضا هذا التحقيق وطبع الكتابين، ثم حققهما بعض فحول الأدباء، ومن بينهم: احمد مصطفة المراغي وغيره.

وعاش عبدالقاهر نحوا من سبعين عاما الى أن توفي عام ٤٧١ هـ : ١٠٧٨ م في «دلائل الاعجاز» يدرس عبد القاهر بلاغة النظم او الأسلوب، في مختلف صورها وألوانها. والبلاغة عند عبد القاهر لا ترجع الى اللفظ وحده، وكذلك لاترجع الى المعنى وحده، حتى ليقول: «اما رجوع الاستحسان - البلاغة - الى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا، وهو ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ..» (٤).

ويقول: «من الداء الدوئ غلط من قدم الشعر بمعناه واقل من الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية الا ما فضل عن المعنى» «٥». ومن ثم فقد جعل عبد القاهر البلاغة في النظم، فهي تعود عنده الى معاني الاسلوب، ولقد كان النقاد قبله يفصلون بين اللفظ والمعنى، أو بين الشكل والمضمون، أو بين الصورة والمحتوى، ويتحدثون عنهما باعتبارهما عنصرين مستقلين، وحاول ابن رشيق القيرواني (- ٤٥٦ هـ) في كتابه «العمدة» ايجاد صلة بين هذين العنصرين، فذهب الى ان اللفظ جسم وروحه المعنى، وكما لا يمكن الفصل بين الجسم والروح لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى، اذ هما متلازمان،

٣ - راجع في ترجمة عبد القاهر: ص ٣٧٨ و ٣٧٩ جـ ١ وفيات الأعيان لابن خلكان طبعة عام ١٢٨٣ هـ - ٢٤٢ جـ ٢ طبقات الشافعية للسبكي - ٣١٠ و ٣١١ بغية الوعاة للسيوطي طبعة ١٣١٥ هـ - ٣٤٠ جـ ٣ شذرات الذهب لابن العماد - ١٨٨ جـ ٢ انباه الرواة على انباه النحاة للوزير القفطي - ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ نزهة الألباء في طبقات الادباء لابن الانباري - ٢٩٧ جـ ١ فوات الوفيات لابن شاكر - ٤٣٢ روضات الجنات لمحمد باقر الموسوي - عبد القاهر الجرجاني للدكتور احمد بدوي - عبد القاهر والبلاغة العربية لصاحب هذا البحث - في الميزان الجديد للدكتور مندور - وغير ذلك من مختلف المراجع

٤ - ص ٢ اسرار البلاغة تحقيق محمد رشيد رضا طبعة ١٩٥٩

٥ - ١٦٤ دلائل الاعجاز - المكتبة المحمودية



وهذه هي نظرة النقد اليوناني القديم،
وعند الفلاسفة الجماليين الغربيين المحدثين كذلك ان الفصل بين الصورة والمضمون غير ممكن في فهم الجمال وتذوقه والحكم عليه ، فهما وجها النموذج الادبي ، فليس هناك مضمون وصورة ، بل هما شيء واحد فلا فارق بين المعنى واللفظ في اي نموذج أدبي الااذا جعلنا المعنى هو الاحاسيس الاولى عندالأديب قبل ان تستوى في الصورة، وهذه لا شأن لنا بها ، انما الشأن في المعاني التي يحتويها النموذج الادبي وهي لا توجد قبل وجوده الا وجودا غامضا ، انما يتم وجودها حين تصاغ وحين تأخذ شكل قالبها المعين ، وتبرز واضحة فيه بكل خصائصها الفكرية واللفظية. فمادة النموذج الادبي وصورته لاتفترقان ، فهما كل واحد .

وكان عبد القاهر من أجل النقاد العرب الذين اهتدوا الى هذه العلاقات بين الالفاظ والمعاني في الأدب ، وسماها النظم ، وقصر كتابه « دلائل الاعجاز » على بحث هذا النظم ، وعرفه بانه تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض ، وجعل البلاغة في العلاقة بين الالفاظ في العبارات وبين المعاني، واكد أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت الفاظها في النطق ، بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل ، وهو ما اهتدى اليه فيما بعد اعلام الفلسفة الجمالية مسترشدة بمثل بحوث عبد القاهر الرائدة في الجمال الأدبي.

وبينما نجد الكلاسيكيين يرفعون من شأن الصورة أو الشكل، والرومانسيين يهتمون بالمعنى ويقدمونه على اللفظ ، ودعاة مذهب الفن للفن يحررون النص الأدبي من كل قيود المضمون والمحتوى ، مادام النص يغذي حاسة الجمال فينا ، ودعاة الرمزية يهتمون اهتماما خاصا بما توحيه الصورة والالفاظ من رموز ومجازات عن طريق موسيقاها واصواتها ، ودعاة الواقعية يعودون للاهتمام بالمضمون في النص وان كانوا لا يجردون الشكل من الجمال الفني (٦) فان فلسفة الجماليين تبرز دائما هذه الصفات النقدية صورة للمشاعر الفنية التي تؤكد وحدة العمل الأدبي ، وتربط بين مضامينه واشكاله برباط وثيق من الوحدة والالتحام والانسجام .

وفلسفة عبد القاهر اللغوية واضحة كل الوضوح في انها ذات قيم جمالية معبرة ، فلا فارق عنده بين المعنى والصورة في النص ، واللفظ يستمد بلاغته من انه ظل للمعنى والمعنى يستمد مزيته من حيث انه المادة التي يصوغها اللفظ ، حتى يصح لنا أن نقول : ان عبد القاهر مقدمة رائعة للفلسفة الجمالية ، كما صورها دعاتها في أوربا بعد عبد القاهر بقرون كثيرة .

واذا كان كروتشيه (ـ ١٩٥٢) يعتد بالشكل الأدبي ويرى أن الحقيقة الجمالية انما هي فيه ،لافي المضمون (٧) ولا قيمة عنده للفظ المفرد ، فان

---

٦ ـ راجع ١٦٢ ـ ١٩٦ في النقد الأدبي للدكتور شوقي ضيف

٧ ـ يحدد كروتشيه المضمون بانه الاحاسيس او الناحية الانفعالية قبل صقلها صقلا جماليا ، اما الشكل فهو صقلها وابرازها في تعبير عن طريق النشاط الفكري ، ولا قيمة عنده في الشكل للكلمات المفردة ، من حيث هي مادة للتعبير ، ولا من حيث الجرس والصوت منفصلين عن المعنى والصورة

ومن الجماليين من يجعل المضمون هو التعبير أو الحقيقة النفسية المتجلية في التعبير ، ويقصله بالشكل المادة الفعل للتصوير الفني كالالوان للتصوير مثلا ، وهذا عكس ما ذهب اليه كروتشيه من أن البلاغة انما هي في الشكل ، والجمالية هي فيه ، كما هو رأي عبد القاهر ، فالشكل أو النظم لا فصل بينهما عند هذين الناقدين العالمين وبين اللفظ والمعنى

فلسفته الجمالية تكاد تكون صورة لعبد القاهر ولآرائه فى « دلائل الاعجاز »، فالشكل عنده هو النظم عند عبدالقاهر

ففى « دلائل الاعجاز » يقرر عبد القاهر خاصية الأسلوب ، وملكية كل أديب لأسلوبه وهذا الأسلوب هو الذى يميز بين موهبة وموهبة ، وشاعر وشاعر. وهذا الأسلوب ليس سردا لألفاظ ، بل ترتيبا لمعانيها وفق ترتبهـا فى النفس . والأسلوب هو جمال الابداع الفنى والخلق الأدبى ، وفيه تتميز المواهب ، وتختلف الأذواق ، وتتباين المراتب والأقدار .

ومن البدهى أن « دلائل الاعجاز » اسبق فى التاليف من « اسرار البلاغة » ، وفيه يعلن اصراره على رفض نسبة الجمال الى اللفظ ، واصراره كذلك على رفض نسبته الى المعنى . ثم ينتهى به البحث الى أن الجمال ليس فى اللفظ ولافى المعنى، وانما هو فى نظم الكلام .

ان « دلائل الاعجاز » كما قرر أنه لا فصل بين الالفاظ ومعانيها ، ولا بين الصورة والمحتوى ، ولا بين الشكل والمضمون ، فى النص الأدبى ، يقرر كذلك أن البلاغة فى النظم لافى الكلمات مفردة ، ولا فى مجرد المعانى ، والباحث فى الاعجاز لا بد أن يتتبعه فى النظم وحده ، فالنظم هو مراعاة معانى النحو واحكامه وفروقه ووجوهه فيما بين معانى الكلم . وقد عرض عبد القاهر فى الكتاب لوجوه تركيب الكلام وفق أحكام النحو مستنبطا الفروق بينها ، عارضا لأسرار المزية ففلسفة عبد القاهر النقدية والبيانية تقوم على أساس هذه النظرية .

واذا كان هناك من يذهب الى أن عبد القاهر لم يكن مخترعا لنظرية النظم ، وانما كان هو الذى بسط القول فيها، واقام على اساسها فلسفة كتابه . فقد سبقه اليها الواسطى (ـ ٣٠٦ هـ) صاحب كتاب « اعجاز القرآن فى نظمه » ، وظهرت كذلك هذه النظرية واضحة فى الصراع الذى اثاره امتزاج الثقافات ، وتعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم : ودفاع حملة العربية عن تراثها وثقافتها ومنها « الثقافة النحوية (٨) » ،

وهو راى لايحمل قوة أسبابه اذ لاشبه بين كل ذلك وبين نظرية النظم هذه عند عبد القاهر .أن فكرة النظم والتطبيق الواسع عليه، واستخدام معانى النحو واحكامه ، استخداما جديدا بيانيا نقديا محضا ، لهو الذى يجعلنا نقول ان ذلك جديد كل الجدة، وبه يتميز عبد القاهر

عن غيره من النقاد، واحساس عبدالقاهر الأدبى السليم سابق دائما لعقله ، فالذوق عنده هو الفيصل فى الحكم على دقائق النظم ، وهو الذى يتحكم فى نظم المعانى التى نعبر عنها ، وقد تخطى عبد القاهر من أجل ذلك الاعراب والجملة البسيطة الى الجملة المركبة .

ويصل عبد القاهر فى « دلائل الاعجاز » بالفكر اللغوى الى قمته ، فهو يرى ان اللفظة رمز لمعناها ، رمز للفكرة او التجربة او العاطفة او المعنى، وقيمتها فيما ترمز اليه ، وليست البلاغة فيها وحدها ، فالالفاظ لم توضع ولا تستعمل لتعيين الاشياء المتعينة بذواتها ، وانما لدينا صورة ذهنية لكل شىء وكل حدث ، ونحن نستعمل الفاظ اللغة لنحرك هذه الصورة الذهنية الكامنة ، فلا يمكن ان يثير لفظ « طفل » مثلا فى نفوسنا شيئا ما لم يكن فى ذهننا صورة

٨ ـ ١٦٤ البيان العربى للدكتور طبانة ، الطبعة الثالثة .

للطفل ، اللفظ رمز لها ومحرك (٩)

وعبد القاهر فى ذلك يتلاقى مع كل النقاد العالميين ، فى القديم والحديث

فان عبد القاهر يقول ، انك تطلب المعنى،واذا ظفرت به فاللفظ معك وازاء ناظرك (١٠) . ويقول برجسون بعده بزمن طويل : انما نفكر بالالفاظ ، ويقول لاسل آبر كرومبى أستاذ النقد الانجليزى بجامعة لندن : « على الاديب ان يجعل الفاظه محاكية لتجاربه ورمزا لتلك التجارب . وعليه ان يجمع بين مقدرته على التعبير عما فى نفسه بذلك الرمز وبين مقدرة ذلك الرمز نفسه على نقل تجاربه الى القراء (١١) ، فما وظيفة الالفاظ فى الادب الا أن تكون رمزا (١٢) . ويقول ميخائيل نعيمة فى « الغربال » : لاقيمة للغة فى ذاتها ونفسها ، بل قيمتها فيما ترمز اليه من فكر وعاطفة.

النظرية واضحة ، وقد بحثت مدرسة لغوية كبيرة هى مدرسة « فنت » الالمانى نظرية الرمزية فى اللغة ، ودرست تفاصيلها فى اتفاق مع عبد القاهر وآرائه فى « دلائل الاعجاز » . وفى مناظرة السيرافى لمتى بن يونس التى رواها أبو حيان فى « الامتاع والمؤانسة » يقول متى : المعانى المدركة لا يتوصل اليها الا باللغة .

ويجعل بعض المعاصرين عبد القاهر متأثرا فى « دلائل الاعجاز » بكل الأفكار التى تضمنتها هذه المناظرة (١٣) ، وفى هذا ظلم لعبد القاهر وكتابه ، فله مذهبه المستقل

والعلاقات الاسلوبية بين الالفاظ. — فى رأى عبد القاهر فى كتابه « دلائل الاعجاز » هى موطن البلاغة ، وهى ما عبر عنه بالنظم وما يعبر عنه النقاد بالشكل والصورة ، مع خلاف كبير بينهم فى تحديد معنى الشكل تبعا لاختلافهم فى تحديد معنى المضمون فمن مجموع العلاقات بين الالفاظ فى النص تتكون الصورة ، وفيهما تظهر البلاغة أو الجمالية . وهذا هو اساس نظرية التحليل اللغوى عند سوسير السويسرى ، الذى يذهب الى ان اللغة ليست مجموعة من الالفاظ ، بل هى مجموعة من العلاقات . فنظم الكلام عند عبد القاهر «يقتفى فيه آثار المعانى» « وليس الغرض منه أن توالت الفاظها فى النطق ، بل ان تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها،على الوجه الذى اقتضاه العقل » (١٤) .

وهذا ما يذهب اليه النقاد المحدثون، فاللغة عندهم حين يستعملها الشاعر تصبح لغة شعرية ، لا لأنها فى ذاتها لها هذه الخاصية ، ولكن لأنها خضعت للتجربة الشعرية فى نفس الشاعر ، ومقتضيات التعبير عن هذه التجربة ، فالشاعر يريد انتاج تركيب معين من خلال اللغة ذات الطبيعة التحليلية ، واحداث الأثر التركيبى من خلال اداة تحليلية يمثل أعظم نجاح للشاعر (١٥)

ان الأدب عند عبد القاهر فن لغوى، فاخضاع الفكرة او الاحساس للفظ هو

---

٩ — راجع ٣٤١ دلائل الاعجاز ، ١٤٨ فى الميزان الجديد لمندور
١٠ — ١٠٢ الدلائل تحقيق محمد عبدالمنعم
١١ — ٣٤ قواعد النقد الادبى — ترجمة د . محمد عوض — طبع القاهرة ١٩٣٦
١٢ — ٢٥ المرجع السابق
١٣ — ١٦٧ البيان العربى د . طبانة
١٤ — ٩٣ دلائل الاعجاز تحقيق محمد عبد المنعم
١٥ — راجع الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى ، وقضايا الفكر فى الادب المعاصر لوديع فلسطين ٣ ١١١ و ١١٢ الادب وفنونه — وراجع كتاب « منطق اللغة » وهو نظرية عامة فى التحليل اللغوى — طبع بغداد — تأليف ياسين خليل

ما يميز الادب عن غيره من الفنون ، وهذه النظرية الصحيحة هي موضع اعتزازنا بتفكير عبد القاهر ،الذي يبدأ بنظرية فلسفية في اللغة ، ثم ينتهي الى فن الذوق الشخصي الذي هو مرجعنا الاخير في دراسة الادب (١٦) ٠

ولا يغفل عبد القاهر في كتابه أهمية المعاني الثانوية ودلالتها الجمالية في النص الأدبي ، سواء كانت هذه المعاني الثانوية معاني لزومية،أو من مستتبعات التراكيب ، أو أثرا لرموز صوتية أو ايحاءات نفسية ، فهي التي تعطي الاسلوب دلالته البلاغية ، وتمنحه قيمة جمالية . وكثير من المهارة الأدبية في اطلاق تلك المعاني الثانوية لتؤثر تاثيرها في الخيال ، ومن اجل ذلك قرر عبد القاهر في كتابه ان الكلام على ضربين:ضرب أنت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وضرب آخر أنت لا تصل الى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ٠ ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض،ومدار هذا الامر على الاستعارة والكناية والتمثيل، فالمعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ ، أما معنى المعنى فهو أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضى بك ذلك المعنى الى معنى آخر (١٧) ٠

وعبد القاهر يتلاقى بذلك مع كبار النقاد أو هم الذين يتلاقون معه ويدورون حوله ، يقول كرومبى الناقد الانجليزى: ان المعنى الذى نجده فى معاجم اللغة للكلمة ما هو الا النواة التى يتجمع حولها طائفة من المعانى الثانوية ، وكثير من المهارة الأدبية عبارة عن اطلاق تلك المعانى الثانوية لتؤثر تاثيرها فى الخيال (١٨) ، فان اسمى ما يصل اليه فن الادب ان يجمل الايحاء اللفظى من القوة والسيطرة وبعد المدى والحيوية بمكان عظيم ، فالشاعر يستخدم المعانى العقلية للالفاظ ، ويستخدم كذلك علاقاتها وايحاءاتها وصورتها وايقاعها والصور الموسيقية وغيرها مما تكونه الالفاظ حين يربط بعضها ببعض ، فان عناصر الصورة تتكون من الدلالة المعنوية للالفاظ والعبارات ، ويضاف الى ذلك مؤثرات أخرى يكمل بها الاداء الفنى ، وهذه المؤثرات هى : الايقاع للكلمات والعبارات والصور والظلال التى يشعها التعبير ٠ واصبحت هذه المعانى الثانوية ذات اصالة كبيرة ، فى الصورة الادبية (١٩) ٠

ومن كل هذه القيم صاغ عبد القاهر فلسفته البلاغية أو الجمالية ، التي جعل محورها نظريته في النظم ، التي ربط فيها بين اللفظ والمعني ، وبين دلالات الالفاظ الأسلوبية ودلالتها الثانوية ، وجعل النظم وحده هو مظهر البلاغة ، ومثار القيمة الجمالية في النص وقد شرح عبد القاهر في كتابه اصول هذه النظرية ، وطبق عليها اوسع التطبيقات ، التي شملت كل الوان النظم وصور الأسلوب او الشكل الأدبى وجعل عبد القاهر كل هذه القيم الجمالية دلائل الاعجاز ، أو مقدمات لدراسة وجوه اعجاز القرآن الكريم ، واصبح كتابه مرجعا للنقاد والبلاغيين والمتذوقين للادب وفنه الرفيع ●

---

١٦ – ١٥٥ و ١٦١ فى الميزان الجديد
١٧ – ١٩٠ دلائل الاعجاز
١٨ – ٤ قواعد النقد الادبى
١٩ – ٤٥ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى

● قصة ●

رجل وامرأة لم يشتركا فى الحرب

● صبرى العسكرى ●

– تأخرت عليك ·
– ثلاثة شهور ·
– حدثتك فى نصف ساعة ·
– وموعدنا السابق ؟·
– لا تنسى ابدا !

وطرحت معطفها على ظهر المقعد باسترخاء · لم تنظر اليه · لا تذكر يوما انها تعمدت أن تلتقى عيناها بعينيه · كانت تكتفى دائما بانه معها · وكانت تشعر بانه يكتفى بانها معه · لم يحدث أن طالبها بشىء آخر · الآخرون يجهدونها · تشعر معهم طول الوقت وكأنهم يرغبون فى التواثب الى عبها ·

– صمتك يعنى انك لا تريد ايلامى !

– الامى لم تعد قابلة للتصدير · سكنت فى داخلى !

– تكشف عن حزنك مبكرا !
– كان بامكانك الا تحضرى !
– وبامكانى أن أنصرف !

والتصقت بمقعدها اكثر ···
– شىء غريب أحس به وأنا معك ···

وتركته وحده · وقفت وراء زجاج النافذة· لم تر شيئا فى الشارع المظلم · لم تسمع قطرات المطر المتساقط فى الخارج · امتلأت نفسها بالكآبة ·

– أصبحت أكره هذه المدينة المعجوز ·

لم يرد عليها · ولم تلتفت اليه ·

– كان حلمى فى يوم من الأيام أن أرى لندن، مجرد أن أراها · لى فيها الآن سنة وأربعة شهور · شقة فى « الهاى ستريت » وشقتك فى شارع « بيكر » · وليلة فى ملهى النيسل · وأخرى فى « الثرز داى » ولكن ···

والتفتت اليه · كان قد ترك مكانه · بحثت عنه · وجدته فى الحمام ·

– تركتنى أحدث نفسى لتحلق ذقنك ؟·
– لكى أروق لك !

– لكى تروق لنفسك · لاول مرة أرى رجلا يضع مسدسه فى الحمام !

تركها تقلب المسدس بيدها · ثم أعادته مكانه ···

– الآخرون يضعونه تحت الوسادة خشية أن يغتالوا·أما أنا فاضعه فى المكان الذى تراودنى فيه فكرة الموت · أمام المرآة وأنا أحلق ذقنى !

– لكى لا تتعب عندما تتخذ قرارك ؟
– لكى لا أتردد !

ووضعت ذراعيها حول كتفيه ، وضمت نفسها اليه ·

– لم نفعل شيئا لنموت !
– ولم نفعل شيئا لنعيش !

واخذ طريقه الى الردهة واخذها معه · اجلسها فى مقعدها ·

– تسمعين شيئا من الموسيقى ؟

– تكثر أحلام الرجل عندما يكون مع امرأة ·

ـ لم اعد احلم ٠٠٠

سمع دقات على باب الحجرة ٠ كـان بين النوم واليقظة ٠ لا يذكر أنه أعطى موعـدا لأحد ٠ فكر فى أن يعود الى النـوم ٠ ألح الطارق ٠ ترك فراشه متضررا ٠

ـ اهـلا ٠٠٠

ووضع على خدها قبلة ٠

ـ علمت انك هنا فجئت لأراك ٠ يبدو ان الوقت غير مناسب ٠ اتركك لتنام ٠

ـ تستطيعين البقاء ٠ تشربين شيئا ؟

ـ شاى بالليمون ٠٠٠ لا أعرف ماذا يعجبك فى هذا الفندق ٠

ـ يترك الضيوف يصعدون للنزلاء بغيـر انذار ٠

ـ اردت أن افاجئك ٠ شهران لم تحضـر لاثينا ٠

ـ وسوف اتركها غدا ٠ اطلبى لنا الشـاى ٠٠٠ التليفون عندك ٠٠٠

شعر بأنه يختنق ٠ خرج الى الشرفة ٠ لفح وجهه هواء الليل الساخن ٠ لم يبال ٠ أطل على ميـدان « أمونيا » المستدير ٠ برقت الاضواء فى عينيه من كل جانب ٠ راقت لـه النافورة بمياهها المتدفقة الملونة ٠ شعر بأنه تخفف ٠ تذكر أنه تركها وحدها فى الحجرة ٠ نظر اليها من بعيد ٠ رآها تصلح « مكياجها » فاجتاحه احساس بالأسى ٠ عز عليه أنه أصبح مطلوبا لمجرد أنه يدفع الثمن ٠

ـ كنت ليلتها اكاد اطيـر بسيارتى فى الطريق ٠ الظلام يلفنى من كل جانب ٠٠ نور السيارة يخترق الستر الكثيفة الى المجهـول وانا اتبعه بنشوة ، الاحقه ٠٠٠ تجمح بى رغبة جنونية فى أن اسبقه ٠ كانت المدافع قد صمتت منذ الظهيرة ٠ عندها بدا شارع الحمـرا فى استقبال رواده وكان كل واحد تصور ان الحرب قد انتهت ، تركت نفسى اعيش احساسى بالسلم ٠٠ جلست طويلا فى مقهى « الهورس شو » لم ادر بأن الوقت قد تأخر الا عندما نبهنى الطوان الى أن المحل قد اغلق ابوابه ٠ كانت الخمـر تلعب براسى ٠ شعرت برغبة فى ان اطير الى البيت واستلقى فى الفراش ٠ افقت على مـن يوقفوننى بمدافعهم من وراء متراس فى آخـر شارع الخندق العميق ٠٠٠ كـان بينى وبين منزلى خطوات بدت بطول الزمن ٠ تصورى ٠٠ رجل لا اعرفه ولا يعرفنى يصفعنى على وجهى



رجـــل وامـــرأة
لم يشتركا فى الحرب

٠٠ ماذا افعل له ؟ هل اصفعه انا الاخر ؟٠٠ هل كان على أن اصفعه ؟ لم اخف من مدفعه ٠ لم يخطر فى بالى لحظتها اننى معرض للموت ٠ انما الصـــدمة ان كل احلامى ماتت فجاة فى داخلى ٠ فقدت القدرة على تصور الاشياء ٠

حتى عندما القوا بى فى حجـــرة مظلمة اسفل البناية شعرت باننى لا ابالى ٠ ولم ابال عندما اطلقوا سراحى فى الصباح ٠ لا اذكــــر انهم اعتذروا لى ٠ ربما اعتذروا لى وانا لا اذكر ٠ الذى اذكره ان اشياء كثيرة انهارت فى داخلى٠

ومررت اصابع يدها الباردة بين خصلات شعره الاشيب ٠ جفل كجواد لدغه ثعبان ٠

ـ لا تخففى عنى ٠ لست أحسن حالا ملى ٠ من منا لم يصب بشىء فى داخله ٠

ـ الغريب ان الحرب لم تقنعنا بالاشتراك فيها ٠

ـ الغريب انها لم تقض علينا ٠

ـ لم يبق لنا الا أن نجوب العالم ٠

ـ مثل اللعنة ٠

وجاهدت لكى تغير الحديث ٠

ـ ألهذا دعوتنى للحضور ؟

ـ ربما أردت أن انسى ٠

ـ ولكنك لا تنسى ٠ حتى موعدى من ثلاثة شهور مازلت تذكر اننى اخلفته ٠

ـ اعطينى شيئا اشعر به ٠

تركت مكانها بتثاقل ٠ مرت امــامه ٠ بــدت فى عينيه كفرس عائد من سباق ٠ سحب نظراته عنها ٠ شعر بالانكسار ٠

تذكر تلك الليلة فى روما ٠ وقفت به السيارة الى جوار بناية قديمة ٠ حاول أن يتعرف على الشارع دون جدوى ٠ من بعيد لاحت له اضواء

« بيازا فينيسيا » معكوسة على نصبها التذكارى الابيض المهيب ٠ ظل جالسا مكانه بجــــوار « ماريا » التى كانت تقود السيارة ٠

ـ انزل ٠

ـ الى اين ؟

ـ لن نخطفك ٠

ـ طائرتى فى الصباح الباكر ٠

ـ لن نؤخرك عنها ٠

واستسلم ٠٠ وقف خارج السيارة يتطلع الى البناية القديمة ٠ لم يتعرف على شىء محدد ٠ بناية مثل سائر البنايات المصفوفة بطــــول الشارع الغارق فى ظلمة خفيفة ٠ ونفـــذ برد الشتاء الى عظامه ٠ تململ فى وقفته ٠٠ لفت « ماريا » ذراعها حوله ٠ بدت معلقة تحـــت كتفه ٠ سمراء نحيفة مثل صبى شقى ٠٠ كانت فى الخامسة والعشرين ٠ لها عينا طفلة لا تكفان عن الابتســـــام ٠ التصقت بـــه وهى تتـــابع « جيوفانا » التى كانت تفتح باب البناية الكبير بمفتاح اخرجته من حقيبتها ٠

ـ سوف نلتهمك ٠

وحاول أن يبتسم ٠ لسعة البرد النافذة الى عظامه تغلبت على كل حواسه ٠ التصق بها ٠ دلفـــــا معا من الباب الكبير ٠ سبقتهمـــــا « جيـــوفانا » الى الدور الاول ٠ فتحت باب الشقة بحرص لكى لا تقلق احدا من ســــــكان البناية ٠

ـ معذرة اذا كانت شقتنا صغيرة ٠

ـ شقة من منكما ؟

ـ « جيوفانا » ٠

ونظر الى « جيوفانا » من جديد ٠ لم تخف عليه انوثتها المتفجرة ٠ كانت شقراء ممتلئة فى غير ترهل ٠ لها عينان واسعتان لامعتان وانف رومانى مستقيم ٠ لم تكن تعــــرف الا الايطالية فلم تفهم ما يقول لصديقتها ٠ اكتفت بأن غمزت له بعينها اليسرى ودخلت الحمام ٠ لم تلبث « ماريا » ان دخلت وراءها ٠

وجد نفسه وحيدا بين أربعة جدران ٠ فكر فى ترك المكان ٠ طرد الفـــكرة مـن رأسه ٠ استطلع الحجرة بعينيه الجائلتين فى حيرة ٠ لم ير شيئا ملفتا عدا صورة فوتوغرافية كبيرة لشاب فى الثلاثين كانت تتوسط الجدار فى مواجهة الفراش ٠ شعر بهزة فى اعمــاقه ٠

تذكر انه وحيد في روما ولا احـد يعرف مكانه . فكر مرة أخرى في ترك المكان . لم تعطيـاه فرصة اذ خرجتا من الحمـام واستلقيتا في الفراش .

اختلطت الاشياء في عينيه . لم يعد قادرا على ان يدرك جيدا ما كان يحدث . بقي جالسا في مكانه على المقعد الوحيد في الحجرةبكامل ملابسه الشتوية الثقيلة . انطوى داخلهـا . احتمى بها . احس بالجفاف في حلقه . بحث في الحجرة عن شيء يشربه . وجد زجاجة نبيذ من نوع رخيص على رف صـغير . اشمأزت نفسـه ، اغمض عينيه . ماتت حواسه . تنبه على يد « جيوفانا » تسحبه اليهما . ود لو انه كان اعمى .

ـ من تاخذك مني ؟

ـ هاتي حقائبك لنعيش معا . اعرف انك في الثلاثين . ربما كنت اصغر . فارق السن بيني وبينك لن يكون مشكلة .

ونظرت اليه . رأت دمعة كانت تظلل سماء عينيه . طال الصمت بينهما . ادار وجهـه عنها . احس فجاة بالذنب .

ـ لمجرد أن يهرب كل منا الى الآخر ؟ تعرف أنني لست لك . لن تغفر لي أبدا .

وضع رأسه بين كفيه . جلست الى جواره . أراحت رأسه على صدرها . مسحت عينيـه المغمضتين بشفتيها . انزلقت انفاسها علىوجهه .. احس بالدفء . ترك أعصابه تسترخي .

ـ تذكر تلك الليلة التي حكيت لك عنها ؟ كذبت عليك ولم أقل لك كل الحقيقة .

بدا عليـه انه لا يسمعها . ظل مستـنيما برأسه على صدرها .

ـ تذكر انني عدوت الى البيت تحت طلقـات المدافع التي كانت تنفجر في كل مكان ؟ كنت خائفة . لم يكن في جسمي كله عـرق واحـد ساخن . هربت مني الدماء . وددت لو ابكي . الخوف جمد الدموع في عيني . لم اتوقف الا على باب شقتي . لم تكن مكانا آمنا ولكنني لم افكر في الذهاب الى اي مكان آخر ...

على الباب وجدت ابن جارتي قابعا فيالظلام وجسمه يرتعد من الخوف . فتحت البـاب وأخذته معي . لم يكف عن الارتعاد . كـانت الدموع تسح من عينيه في صمت . شـعرت بسخونتها تلسع وجهي وأنا اضمه الى صدري . صبي في الثـالثة عشرة ينتفض بين ذراعي كالمحموم وانا لا ادري ماذا افعل معه . ماذا اقدم له حتى يهدأ . نسيت خوفي . لم اعـد اسمع طلقات المدافع وهي تئـز من حولي . تناولت قنينة « العرق » وأعددت كاسا لهوأخذت كاسا لنفسي . لم يتردد . قفزت الدماء الى وجنتيه . لمعت عينـاه الطفلتان . لم اقل لك بأنني اخذته في صدري مرة أخرى . لم اقل لك بانني خلعت عنه ملابسه . بأنه استسلم لي . وقف امامي في الظلام مبهورا . لم اكن ارى سوى جسمه الصبي كتمثال من شمع مشـرب بلون الورد . زحفت اليه . تحسست جلـده الناعم . لم يقل كلمة . حتى عندما فرغت منه لم يقل كلمة . إنما لملم ملابسه وانطلق كالسهم الى الخارج . لم اطلب منه البقاء . تركتـه يخرج . شغلني عنه ان مسام جسمي كـانت متفتحة تمتص قطـرات عرقه . لم اعرف انه قتل الا في اليوم التالي . أصابته قذيفـة على باب البناية . سقط وحيدا في الشارع دون أن ينطق بكلمة . صدقني ، اردت أن أثبت بذرة منه في داخلي . حتى هذا لم يتحقق .. لم يتحقق .

لم تكن تدري انها كانت تتحدث وهي تصرخ . وانه تركها وذهب الى الحمام ، الا بعـد أن سمعت صوت طلقة مسدس اصم اذنيها .

ادركت للحظة انها مذهولة . جمدت مكانها .. لم تقو على انتزاع صـوتها المخنوق من داخلها !

مع قراء الهلال ..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● الى : د. الهامي عبدالوهاب ـ مصر الجديدة :

ـ لم تقل لى ـ (وأنت تسال عن كتاب الموسم) ـ كتاب الموسم فى اى فرع من فنون العلم والادب ، وفي أى موسم ؟!

لكن ، وحتى يكتمل السؤال ، فقد يغنى عن الجواب التجاوب مع المناسبة المواتية ، تحية للاعزاء من بعض أبناء مهنتك الاطباء الذين تربطني بهم علاقة ثمينة بالنسبة لهم ، فان لى مريضا عزيزا أبذل من أجله ، وأصب في بحرهم قطرات جهدى ودمى ! ..

أما المناسبة المواتية ، فهي ان كتاب الموسم قد يكون هو « فى صحتك » ـ ذلك الكتاب التاريخي القديم الذي عرض أخيرا فى مزاد ثقافى حافل ، وبيع بمبلغ كبير ..

وعندما نزعت عنه اربطة الغطاء السميك ، وفض خاتمه ، تبين أن مجموع صفحاته ، وهي مائة صفحة من القطع المتوسطة ، بيضاء كلها تماما ... عدا الصفحة الاخيرة ، ففيها وحدها كل ما في الكتاب ، وكل ما فيها هذه الكلمات :

برد راسك ...
ودفىء قدميك ...
وسيموت الاطباء من الجوع ! ..

***

● الي : سعيد الرفاعى طه ـ مغاغة :

ـ ... وقديما كان فى الناس الحسد !
لكنه الآن زحمة أدواء العصر ...
ينتشر في الناس كالوباء ، كالغلاء ، كالالحاح بالغناء المعذب ، كالصداع المداع ! ..

والحق ـ ردا على الجزء الاول من سؤالك ـ انى لا أعرف وقاء من الحسد ... ولو كنت أعرف لتغير وجه الحياة فى مواجهتي !

ثم يبقى مطلبـك : ـ النصيحـة ـ والنصيحـة هى بعض ما ليس عنـدى ! ...

فهل ترضيك ، أو تغنيك عنها تجربة ابن الطيان (صانع الطوب) الشاعر العابث القديم ، المجدد ، بشار ؟ ..

لا ينقصُ اللهُ حسادى فإنهـم
أسرُّ عندى من اللائى لهم وَدَدا
إن يحسُدونى فإنى غيرُ لائمهمْ
قَبلى من النَّاسِ أهلُ الفضلِ قدحُسدوا
فدام لهم ولهمْ ما بى وما بهمُ
ومات أكثرنا غيظاً بما يجدُ

● الى : سالمان خير الدين ـ ارض شريف :

... فى رسالتك المطولة والمسجلة بعلم وصول ـ تقول :

« لو انك كتبت لى الان ، فورا ، بعفوية وصدق ، فيم تفكر الان ، وما يخطر لك هذه اللحظة ، وانت تطالع هذا السؤال ـ لتغيرت من حولك اشياء وأشياء .. » !

ـ ولن أسالك عن الاشياء والاشياء التى تتغير من حولى .. كيف ؟.. ومتى ؟ .. ومن يغيرها ؟ .. وهل يكون التغير الى أحسن ... أو الى ... العن ؟!

ثم أكتب مستجيبا لسؤالك ، لان هذه هنا شغلتى ... ولاننى أيضا وللعلم ، احبها ـ الكتابة ـ عفوية وصدقا ! ..

الان ... ولحظة بلحظة ، أفكر ، وأحلم ، ويخطـر لى ، أن أخطف رجلى ، خطفا ... جريا .. وثبا .. طيرانا ـ طيرانا ..

... هذه ، اخيرا ، اكابولكا ـ فى المكسيك ـ والمهرجان الدولى فى ايرينا لانتخاب أجمل جميلات الناس والعصر ! ..

الان ... تتألق تحت الاضواء ، تحفة الله ملكة جمال الكون ، مارجريت جاردنر ، ابنة صاحب مطبعة العلم فى كيب تاون ، المغـرمة بالقصص القصيرة ، الجامعية ، هاوية عروض الازياء ، والشاعرة .... آه ، الشاعرة !

الان ... اسبح اليها فى زحام من البشر يموج بعضه فى بعض ..

ـ هاللو ... مارجريت !

ـ هاللو ... فلان !

وتهتف الوصيفات لحلاوة اللقاء متحمسات : أفسحوا الطريق للملكة وضيفها القادم من الشرق ! ...

الان ... الملكة وانا ، معا وحدنا ... تخلع عنها التاج ، تضـع الصولجان ، ، ثم تمد لى يدها باذن قيمة جائزتها (خمسون ألف دولار) فالقى به جانبا ، واستبقى اليد الحسناء فى يدى ، وأقترب ... اقترب . ... ماذا ؟ .. الا تصدق ؟ ..

اننا نعد تحقيقا ادبيا ، للنشر ، حول قضايا الشعر وال .....

الا تصدق ايضا ؟!

مع قراء الهلال

لعلها اذن نبوءاتك عن تغير الاشياء ! ..
ولعلها شاءت أن تكون أول شيء يتغير ! ..

***

● الى : جلال عبد المنعم ـ دمنهور :
ـ شعراء العصر يا سيدى عندنا ، تكفيهم معارك الرزق ومعاناة الشعر ـ في وقت معاً !
والذين يحبون الشعر يا سيدى عندنا أيضا ، لا يفعلون لهذا الحب أكثر من المطالبة بأن تفعل الحكومة !

صحيح أن وسائل نشر الشعر الان مختنقة كوسائل المواصلات ولكن لا بد أن هناك وسائل أخرى مساعدة : الندوات ، المواسم ، الامسيات ، و ... الفكرة العربية القديمة التى يحتفون بها الان فى فرنسا ! .
لقد سبق العرب منذ عهد بعيد وسائل العصر فى نشر واذاعة الشعر، فاختاروا من روائع شعرهم قصائد يعلقونها على جدران الكعبة ..

واليوم ، تحتفي « جماعة أصدقاء الشعر » فى باريس ، بالعيد الثالث لاقتباس هذه الفكرة تحت اسم الشعر الجدارى ، فتنظم لها المهرجانات والمعارض ولجان اختيار القصائد التى تعلق على الجدران فيقبل عليها ويتزاحم حولها نقاد وعشاق وقراء ! ..
ومن هذه « المعلقات » على جدار الشعر ، يختارون بعد انتهاء المعرض، قطوفا من مختلف الالوان شعرا جديدا وجيدا ، تطبع في مجموعة انيقة ضخمة تصدرها كل عام دار « اركام » في باريس ..
وعندما اقيم المهرجان الرابع أخيرا للشعر الجدارى لم يتخلف عن الاسهام فيه كبار الشعراء هناك ، فقد افتتحه الشاعران ماكس بول فوشيه ، وجولييت دارل ... واشترك فى تقاييم القصائد « المعلقات » : اراجون ، ايف بونفيه ، ميشيل بوتور ، آلان بوسكيه ، و ... العقبى عندنا ! ..

***

● الى : صلاح عبدالعزيز الخطاط ـ المنصورة :
ـ ليس بالجرائد ـ بعضها أو كلها ـ تكون مثقفا ! ..
الجرائد ـ فقط ـ قراءات هروبية ، تسليك أو تفيدك بالاخبار والمعلومات ، ولكنها تهرب بك أو تهرب بها عن حقائق الامور وجوهر الحياة ... وهى ليست غذاء مثمرا لعقلك ، ولا حماية تقيك من فراغ روحى ومعنوى اليم ...
الان ، ولكي تقرأ من أجل أن تتثقف ، لابد من الكتب ...
الكتب تضيف الى حياتك خبرات كثيرة ، وتضم الى فكرك تجارب وخبرات الاخرين ..

ان الكتب هي القراءة ، والقراءة تخلق الانسان الكامل ...
والمهم أن تكون لك في القراءة خطة ، وحسن اختيار ، وهدف ..
لماذا ؟ .. لان المشكلة كما يقول جوته : « الحياة قصيرة ، والفن طويل ! »

***

● الى : عبدالودود الشافعي ـ المعادي :
ـ ... وأنا هنا ، كما ترى ، أمين الرسائل ، أعمل « مع قراء الهلال » ، والعمل معهم واجب .. العمل شرف .. والعمل حياة !
ولن يضيف جديدا الى همومي انك تسأل :
الحب العذرى ، وشعر الحب العذرى ... كيف هما الآن ! ..واين هما ؟!
والحق انى مع اهتمامي بالشعر المعاصر ، لم يستوقفني منه ما ... !
كذلك ، وفى حدود علمي ، فان الحب العذرى ذاته قد غرق منذ عهد بعيد في شبر نفط ... وانقرض عصر الذين يحبون حب الثلث الاعلى من الجسم البشرى !

***

● قراءات ...
ـ أقرأ الان « عقدة النساء » المجموعة القصصية الجديدة للاديب الشاب الصديق فؤاد قنديل ...
لفتنى الغلاف الذى أبدعته ريشة الفنان الانيق يوسف فرنسيس ..
وأتعجل الوصول فى القراءة الى القصة الاخيرة فى المجموعة والتى تحمل المجموعة عنوانها « عقدة النساء » ! ..
يثير فضولى كيف ان كل النساء عند فؤاد قنديل ، عندهن عقدة واحدة ؟! ..

● قراءات :
اتابع الآن تجارب الطبع الاولى لديوان الشاعر الصديق الشاب تاج الدين سلامة نوفل . للديوان حتى الان ثلاثة أسماء .... والاهداء الى « سوسينا الملاك ، والملكة ... »
اتجاهاته الدينية تبشر بميثاق شرف شعرى جديد ...
فهو يلتزم النقاء ، والاصالة ، ويغنى للحب والخلق العظيم ..

***

● الى حامد السيد طه ـ المطرية :
ـ لا أعرف لهذه اللفظة أصولا في الفصحى ... وهى ليست مما يدخل فى باب الحان لغوية ...

وفيما قرأت فان كل ما أذكر مما قد يتصل بها ، أن « فلحس » سيد من بني شيبان ، كان يطلب سهما من غنيمة الجيش وهو في بيته لم يباشر الغزو ، فيعطى ... ثم يطلب لامرأته ، فاذا أعطى ، طلب أيضا لبعيره .. فسار به المثل : « أبرد من فلحس » !

***

● الى سمير فوزى كساب ـ الدقى :
لكل سؤال جوابه :

● مسافر أنا هذا الشهر الى باريس ؟ ..
ـ على الطائر الميمون !
● أعود من رحلة باريس بعد شهر ؟ ..
ـ على الميمون الطائر !
● ماذا أطلب لك هناك ؟
ـ الدعوات الصالحات !
● فقط ؟ ..
ـ فقط ومعها ان شئت ، اعداد حديثة من مجلات الشعر هناك : برج النار » و « شعر » و « عموديات ؟! » و « حضور ونظرات » ـ وكذلك المجموعة الجديدة للشاعر جي شامبلان : « مجاملة التعب » !

***

● الى : مى « الجديدة » ـ منيل الروضة :
ـ .. ولكن اعجابى بها يسبقك كثيرا ، كثيرا ...
ربما لانك ، فقط وكما قلت ـ تقرأين لها ، وتنظرين من موقع بنت جنسها ...
ولانى اقرا لها وأسمع وانظر من موقع قريب ، اعنى موقعى فى الصفوف الخلفية من ورائها ، بمدرجات « الترسو » على بلاط صاحبة الجلالة ـ شغلتنا ! ..
ومنذ البدء ، فيما مضى وحتى الان ، لا يزال اسمها الجميل يلفتنى اهتماما ، وابتساما ، وغبطة عذبة كقطرات الندى فى لقاء الفجر المصبح !
ولكنها ليست اسما جميلا وحسب ، فهى ـ حسن شاه ـ الشخصية والقلم ، والرأى الشجاع ، والفكر المشرف بجدارة واقتدار على صفحة الادب الاسبوعية فى الاخبار ....
ومن هنا ترين انه لا يكفل رضاها عليك ، مجرد ثنائى هنا عليها ! ..
وترين ايضا اننى لا اعرف كيف اوصيها ان تشجع ـ بالنشر ـ محاولاتك الادبية ... ولكنى استطيع ان اوصيك انت بان تكتبى ، وتكتبى ... وان تبعثى اليها ببعض ما كتبت ...
انا شخصيا بعثت اليها ببعض ما كتبت ولم تنشره !!

فى العدد القادم
الناس والعصر

مختارات من الشعر الفارسي
في ضيافة الشعر العربي

منزل سقراط

للشاعر : رشيد باسمي

ترجمة : أحمد مصطفى حافظ

بيت .. بكل قناعة الحكماء
سقراط شيده .. بصخر إباء
وتقاطر الأصحاب ، دون روية
في ضجة ، وبغارة شعواء
يرمون مبناه بكل نقيصة
ما ردهم أدب وفضل حياء
.. هذا بضيق يزدريه ، وآخر
ينفك يصليه بسيل هجاء
بل منهم من قال دون لباقة
وبغير توقير أو استخذاء :
أيكون أستاذا لنا .. ومقامه
في مثل هذا (الجحر) .. كالبؤساء ؟
أخذوا طريقهم إليه بجرأة
وأمامه قالوا بكل جلاء :
أيليق يا أستاذنا أن تنزوى
في مثل هذا الكوخ كالسجناء ؟
هيهات يمكننا التحرك يمنة
أو يسرة ، فيه ، بغير عناء
ضحك الحكيم الفذ ، ثم أجابهم :
ــ لا يارفاقي .. ذاك محض هراء
خطأ يعد الكوخ غير ملائم
أو غير متسع بعين الرائي ...
ياليت تملؤه ــ على طول المدى
ــ رغم اتضاع ــ صفوة الخلصاء ؛



الهلال

مجلة الفكر العربي

ثروة من العلم والفن والفكر بقروش قليلة

الهلال

خير هدية لك ولأسرتك.. تفيد الشباب بقدر ماتفيدهم المدرسة والجامعة.. لأن الثقافة هى سلاح العصر لضمان مستقبل زاهر

الهلال

مقالات بأقلام كبار الكتاب - دراسات فى العلم والفن والأدب - استطلاعات مصورة بالألوان

الهلال

قيمة الاشتراك السنوى

[بالبريد العادى]

فى مصر ١٨٠ قرشا (١٢ عددا)

فى الخارج : ٦ دولارات

أو ٣ جنيهات انجليزية

[بالبريد الجوى]

فى الخارج : ١٤ دولارا.. أو

٧ جنيهات انجليزية

تسدد بشيك مصرفى مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب - القاهرة

SUBSCRIPTION DEP

DAR AL HILAL INSTITUTION

POST OFFICE BAG

نوفمبر ١٩٧٨
الهلال
مجلة الفكر العربى





ماذا جرى للسينما المصرية؟.. التدهور.. والعلاج

● البرت... مورافيا... رحلة م... السينم... والمسرح والأد...

● سينما اليوم.. تجارة لا ثقافة!

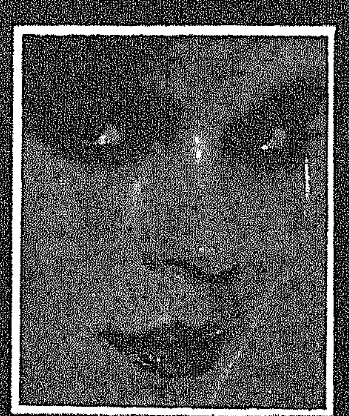
● لاسينم... جيد... بدون أدب... روائى جي...



● مهرجانات السينما.. جدّ أم هزل؟

● كب... الأدبا... فرنسا... الشاش...

● السينما.. سماء بلا نجوم!



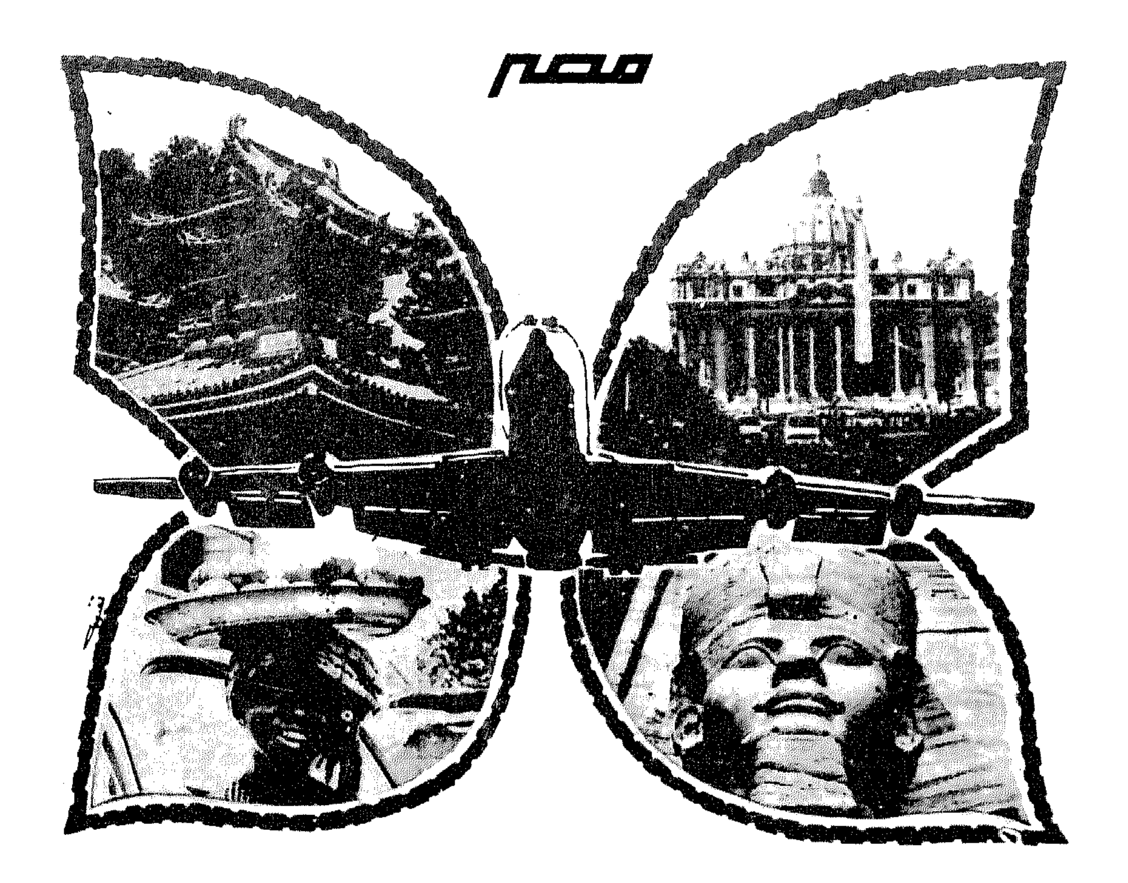
● الجما... فى السينم... من عصر الحري... إلى العصر الحدي... بالألوا...

لبراكين نقمة ونعم...

في عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفي عمر شركات الطيران قليلاً ما تجد هذا الرقم

٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - أسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوي



الفيلم العربى والثقافة

بعد حملة الهلال الخاصة بالرواية ومستقبلها فى الادب العربى نتناول هذا الشهر موضوع السينما او الفيلم العربى

وقد تعجب الكثيرون عندما قلنا اننا سنفتح ملف الفيلم العربى فى الهلال ، لأن هذا الفيلم العربى سار منذ بدايته فى طريق بعيد جدا عما يسمى بالفكر او الثقافة ..

اهل السينما انفسهم لم ينظموا انفسهم قط فى سلك رجال الفكر ، وباستثناء بعض المثقفين من العاملين فى السينما لم يعتبر رجال هذه الصناعة أنفسهم من أهل الفكر ، بل اعتبروا أنفسهم رجال تسلية .. لم يكن هدفهم الحقيقي هو الابداع الفنى بل النجاح التجارى او المالى ..

وقد آن الأوان لتصحيح هذا المسار ..

لأن ((الفيلم)) يعتبر من أكبر العناصر الفكرية والثقافية ، ولو انه قام بوظيفته لكان لذلك اثر بعيد جدا فى رفع المستوى الثقافى فى عالم العرب .

وهذا ما نرمى اليه من وراء حملتنا فى هذا العدد على الاتجاه المالى البعيد جدا عن الثقافة والفن الصحيح للفيلم العربى ..

وقد قال لنا بعضهم اننا ينبغى ان نخفف الوطء على الفيلم العربى لأنه مورد ايراد ضخم ولأنه عنصر من عناصر الدعاية لمصر فى عالم العرب

ونرد على هؤلاء بالقول بان ذلك كله وهم ، فاذا نظرت الى الايراد المادى الحقيقى الذى يعود على البلاد من وراء الافلام لتبينت انه قليل جدا لأن معظم الربح يتسرب الى جيوب خاصة ، ولا يعود منه على المجموع الا عائد قليل .

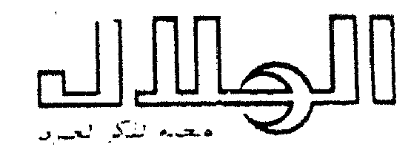
اما انه عنصر دعاية ، فهو ـ فى وضعه الراهن ـ عنصر دعاية فعلا ، ولكنها دعاية سيئة لا تنفع الوطن المصرى وربما اساءت اليه .

ولهذا وخدمة للثقافة العربية وللفيلم العربى نقوم بهذه الحملة ضمن ما يقوم به ((الهلال)) لتصحيح مسار الثقافة العربية بصفة عامة .

المحرر

فى هلال

هذا الشهر



ذوالقعدة ١٣٩٨ هـ

نوفمبر ١٩٧٨ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال – اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة السادسة والثمانون – اول نوفمبر ١٩٧٨ – ٣٠ من ذى القعدة ١٣٩٨

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفنى : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

● دراسات ●

● قصص مترجمة ●

● متنوعات ●

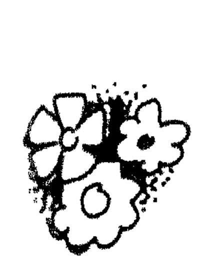
● شعر ●

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : «١٢» عددا فى جمهورية مصر العربية ١٨٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
فى الخارج بالبريد العادى ٦ دولارات او ٣ جـ . ك. بالبريد الجوى ١٤ دولارا او ٧ جـ . ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

الغلاف الأول

فى هذا العدد يتابع الهلال حملاته لانهاض الثقافة العربية فى شتى مناحيها ، وهذه المرة نفتح ملف السينما العربية ، ولهذا فقد جعلنا الغلاف مدخلا لهذه الحملة التى نرجو ان يكون لها صداها .. قام باعداد الغلاف الفنان : جلال عمران

باقة حب وتهنئة
فى عيد ميلاده الثمانين
توفيق الحكيم ..



● خلال شهر اكتوبر الماضى بلغ الاستاذ توفيق الحكيم سن الثمانين ..

حياة مديدة كلها خير وبركة على الفكر العربى والوطن العربى ، وعمر مديد باذن الله للاستاذ الكريم الحبيب الى كل قلب توفيق الحكيم ..

لقد حكى لى توفيق قصة معركته الاولى بعد ان عاد الى مصر بعد اتمام دراسته فى فرنسا : كان يريد ان يعيش اديبا . من الفن يصنع حياته ومن قلمه يعيش .

كان المثل الذى اراد ان يحتذيه مثل كتاب العصر الكبار فى ايامه من امثال اناتول فرانس ، ومارسل بروست فى فرنسا وبرناردشو ، و ج.ب. بريستلى فى انجلترا ، وتوماس مان وكارل شبيتالد فى المانيا ..

ولم يكن الأدب العربى قد عرف الى ذلك العصر مثل الكاتب الذى يعيش من قلمه الا فى القليل النادر مثل أبى بحر عمرو الجاحظ ، وهو نموذج مفرد فى بابه ، اما البقية من عمرو بن مسعدة الى عبد الحميد الكاتب وعبدالله بن المقفع فقد كانوا كتاب دولة يرتزقون من خزانة الدولة ...

وكان الشعراء ، الكبار منهم والصغار يعيشون فى الشعر ، ولكنهم كانوا اما قدماء او متسولين يعيشون على حواشى القصور أو على أبوابها ، حتى المتنبى على جلال قدره أشقى نفسه بالمديح وهو لون من التسول المقنع المرذول ..

وفى مطالع نشاط توفيق الحكيم كان كل الأدباء والشعراء من شوقى الى حافظ الى المازنى وطه حسين والعقاد موظفين او أشباه موظفين : والعقاد لم يكن يعيش من الأدب كما يظن بل عاش من الكتابة السياسية لحساب حزب معين ، وهذا نوع من الوظيفة مهما كانت نظرتنا اليه .

وقد كسب توفيق الحكيم معركته وعاش بقلمه ولقلمه ..

نعم كان توفيق الحكيم مديرا لدار الكتب أو عضوا فى المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ولكن الوظائف لم تكن شيئا فى حسابه ولا هو اعتبرها مورد رزق .. انما كان مورد رزقه قلمه ..

وعندما عمل فى اخبار اليوم تحت الحاح الاستاذ مصطفى امين اشترط ان يكون حرا فيما يكتب . لم يشأ قط ان يضيع ثمرة معركته التى كسبها ، وصرف معظم وقته فى كتابة مسرحياته البديعة التى بدات عصرا جديدا فى تاريخ الأدب العربى ، وكلنا نذكر الابداع الرفيع فى صفحات أهل الكهف أو شهر زاد . كنا



شبابا فى تلك الايام ، ودلنا توفيق الحكيم على درب واسع جديد من دروب الأدب: درب الانتاج الادبى الحر والتجديد بلا حدود وطريق المفكر الذى يعيش للفكر وفى الفكر ..

وليس هنا ـ فى هذا الحيز الضيق ـ مجال تقدير توفيق الحكيم أديبا مفكرا ولكن هنا مكان الاشارة الى ظاهرة فى حياة توفيق الحكيم جديرة بان يلتفت اليها كل أديب ..

تلك هى ظاهرة الاديب الكريم على نفسه وعلى الناس ، العف اللسان الذى لا تصدر عنه كلمة نابية فى حديث أو مقال ، ولا يدخل فى مهاترات ولا تعرف له مباذل ولا هنات .. ظاهرة رجل الفكر الصادق المخلص القويم السيرة المنصرف الى فنه وأدبه دون أن يثير عداوات أو حزازات ودون أن يضطر الى أن ينفق جهده فى معارك وخصومات تهبط بمكان الفكر ولا ترفعه .

وان من يقرأ تاريخ الادب العربى ويرى مآسى حيوات الأدباء وخصوماتهم وأحقادهم التى هبطت بقدر الفكر احيانا كثيرة الى الرغام ليعرف قدر توفيق الحكيم انسانا كريما رفيعا ينعم بحب الناس وتقدير الناس ..

بوركت يا استاذنا توفيق الحكيم وأوسع الله لك فى رحاب العمر والسعادة والهناء

● د . حسين مؤنس ●

السينما العربية والضياع

كل الصادقين المخلصين من اهل الفن السينمائى يعرفون هذه الحقيقة ويهمسون بها فى اذنك ·· ان السينما العربية تحولت الى تجارة يحتكر مكاسبها عدد قليل جدا من المنتجين والمخرجين ومن يسمون انفسهم بالنجوم ··· اما المستوى الفنى ففى هبوط مستمر ·

السينما العالمية خطت مراحل شاسعة فى طريق التطور الفنى ، ونحن ما زلنا فى مرحلة الحواديت ، بل هبطنا فى السنوات الاخيرة من مستوى الحواديت الى ما دون ذلك من الخرافات والتفاهات وأفلام كل ما فيها نساء يبدلن الثوب فى كل مشهد ، ويبرزن من اللحم فى كل فيلم أكثر وأكثر ·· واسطورة نجم الشباك اهلكت السينما والفن السينمائى

لقد خرجت السينما العربية من عالم الفكر والفن واصبحت عملا تجاريا فحسب ·

ومن واجبنا ان نعود بها الى عالم الفن ··

لأن البلاد فيها فنانون وممثلون موهوبون ، وفيها من يكتب القصة الجيدة والسيناريو المتقن ·

ولكن المخلصين الصادقين لايستطيعون الصمود فى عالم التجار والمحتكرين الذين حولوا السينما الى عمل تجارى هم وحدهم الذين يستولون على كل خيراته ··

والمستوى يهبط وعشرات الفنانين المجيدين لا ينالون من هذا المولد الكبير الا الفتات ··

بقلم : رئيس التحرير

اين السينما العربية اليوم ؟

● ان عمر السينما العربية يزيد اليوم على نصف قرن ، وهو عمر طويل جدا بالنسبة للسينما لان عمر السينما فى العالم كله لا يزيد على سبعين عاما منذ اول التفكير فى استخدام «الصور المتحركة» فى عمل روايات ··

فماذا فعلنا خلال نصف القرن هذا ؟

والى اى مستوى وصلت السينما فى بلادنا ؟ ··

ولكى أعطى القارىء فكرة عما نتوقعه للسينما المصرية أو العربية بعد نصف قرن كامل من العمل فى ذلك الميدان ، اعطى القارىء فكرة عن الخطوات الواسعة الحاسمة التى خطتها السينما العالمية منذ العشرينات المتأخرة التى شهدت المحاولات الاولى لاخراج اول فيلم عربى

فى ذلك الحين كانت السينما صامتة وكانت بشائر الفيلم المتكلم قد بدأت وفى أوائل الثلاثينات اكتمل الفيلم الناطق وتحدثت كل الافلام ، وأعقبت ذلك موجة الافلام الاستعراضية الكبرى التى شهدت افلام فريد أستير وجانيت مكدونالد ونلسون ادى ·

وفى خلال الثلاثينات اكتمل الفيلم الملون وبلغ من الدقة والجمال مبلغا اخرج لنا تحفا رائعة بالالوان ما زلنا نتحدث عنها الى اليوم ، وأظهر مثال لها فيلم ذهبت بها الرياح ، وهى ترجمة ادق واصدق للعنوان الانجليزى لان المراد انها حوادث او حرب اهلية عصفت بها رياح الزمان ومضت كأن لم تكن ، بخلاف قولنا : ذهب مع الريح !

وهذه الترجمة الكليلة تعطينا فكرة عن المستوى الثقافى للذين كانوا يتولون شئون الفيلم المصرى فى ذلك العصر ، **فقد كانوا ناسا لا يحسنون ان يقرأوا** رواية انجليزية أو يترجموا عنوانها ..

● إن معظم الذين يعملون في الفيلم العربي لا يعرفون الرسالة القومية الفنية الكبرى التي يمكن للفيلم العربي أن يؤديها ولهذا حولوا هذا الميدان الفني الواسع إلى محل تجاري وأداة لكسب الشهرة الزائفة لأنفسهم .

وفي الاربعينات ظهرت في امريكا السينما سكوب ثم عدسات التصوير ذات الزاوية المنفرجة ٧٠ درجة ، وامكن بها تصوير مشاهد تروع النفس تكاد تحكي الحقيقة فعلا ، وصاحب ذلك تقدم تسجيل الاغاني والافلام بطريقة الاستريو أي التسجيل بواسطة ثلاث مسجلات بينها تنسيق وانسجام تام ، بحيث ياتيك الصوت من جهاز اذاعته من ثلاث جهات : يمينا ويسارا ووسطا ، فيأتيك الصوت وكأنه يأتي من الطبيعة ، وقد جددوا هذا الفن في السنوات الاخيرة حتى أصبح التسجيل يتم عن طريق سبعة مسجلات أو ثمانية تصنع في مجموعها نصف دائرة صوتية كاملة فيأتيك الصوت وكأنه صادر من الطبيعة لا من جهاز تسجيل .

وفي أثناء ذلك توالت أجيال الممثلين والمؤلفين والمخرجين .. كان هناك جيل الرواد من امثال ماك سينيت وشارلس شابلين وادوارد وارنر ممن كانوا يصنعون صورا متحركة ولا زيادة ..

ثم جاء جيل عمالقة المخرجين والممثلين من امثال جون وليونيل باريمور وجلبرت رولاند ، وجريتا جاربو ، واميل يا ننجز ، وأدولف منجو ، وأمثالهم ، وصاحبهم من المخرجين سيسيل دى ميل و ج . س . فيلدز وكينج فيدور ومن اليهم ممن جودوا فن الاخراج واصلوه ، وعملت في نفس عصرهم في ستديوهات انجلترا وفرنسا والمانيا طبقة عالية من المخرجين يمثلهم المخرج الالماني فريتز لانج الذى أبدع رواية مترو بوليس التي تمثل منعطفا ضخما في تاريخ السينما العالمية .

في ذلك العصر ، وهو عصر الازدهار العظيم للسينما كان الاهتمام موجها الى اخراج روايات حقيقية ذات مغزى وبداية ونهاية ومعنى وقيمة فكرية ، اما من غرر الأدب العالمي مثل ((فاوست)) لجيته ، والحرب والسلام والبعث لليوتولستوى والجحيم والفردوس لدانتي ، ودكتور جيكل ومستر هايد لروبرت لويس ستيفنسون ، وديفيد كوبرفيلد لتشارلس ديكنز،والوحش الادمي لاميل زولا ، او روايات الفت للسينما خاصة كتبها ناس تخصصوا في الكتابة للسينما على المستوى العالمي ومثال ذلك تلك القطع البديعة التي كانت تكتب لامثال روبرت تايلور ، وكلارك جيبل ، وجاري كوبر ، وتايرون باور ، وبتي ديفيز ، وميريام هوبكينز ، وجرير جارسون ، وجنفر جونز ..

هذه القطع الفنية التي كتبها او اعدها للسينما رجال مثل بن هيخت وتوماس دراير واخرجها مخرجون من طراز روبن ماموليان وسلزنيك وكاكستون ، خطت

بدأ الفيلم العربي بداية طيبة شجاعة، ثم تحول الى حواديت خالية من الروح والمعنى، وفي يومنا هذا انحدر الى ما دون الحواديت وأصبحنا الان نرى التفاهات ماحدثة يسمونها أعمالا فنية.

بالقصة السينمائية من عصر الحدوته التي لابد ان تنتهي بقبلة، الى عصر القصص الرفيعة التي تغذى العقل والقلب، وتنقل الرؤية على الشاشة من حلم جميل يشهده المتفرج في ساعة ظلام، فأذا اضيئت الانوار انتهى الحلم الى رواية ذات مغزى ومعنى، ومن منا ينسى افلام فرانك كابرا مثل المستر ديدز يذهب الى المدينة، أو وداعا يا مستر تشيبس، أو حفرة الافاعي وما في مستواها مما كان يعالج مشاكل اجتماعية وانسانية ويعرضها ويجد لها الحل أو يدع المتفرج يديرها في ذهنه ليجد لها الحل الذي يرضيه ..

***

وفي أواخر هذا العصر الزاهر للسينما ـ أخريات الاربعينات ـ ظهر التليفزيون وأخذ يزاحم السينما ويدفع في صدرها دفعا قويا، وقد خطا التليفزيون في سنوات قليلة من الابيض والاسود الى اللون الكامل، وتمكن التكنولوجيون المتخصصون في الالتكرونيات من الوصول بالتسجيلات الصوتية والضوئية ووسائل اذاعتها الى مستويات ما كانت تخطر ببال أحد، فاصبح صندوق التليفزيون الصغير القابع في ركن حجرة الجلوس يحمل الدنيا كلها للانسان المطمئن على كرسيه في البيت، الى جانب الاخبار والاعلانات التي يستمتع

بمشاهدتها الناس ويفيدون منها .

ظهرت الرواية والمسلسلة التليفزيونية واشتريت روائع السينما الماضية والحاضرة وعرضت على الناس في منازلهم في مقابل تفضلهم برؤية الاعلانات .

هنا كان على السينما ان تخوض معركة ضارية للمحافظة على كيانها، فان السينما أصبحت خلال العقود العشرة التي انقضت من تاريخها صناعة ضخمة رصدت لها الوف الملايين واقيمت لها الوف دور العرض في الدنيا كلها، وعاشت عليها ملايين من البشر ما بين صناع أفلام وتجار أفلام وأصحاب قاعات عرض وناس كثيرين يتراوحون من أصحاب الشركات الكبرى وملايينها الى الشابة المتواضعة التي تدلك على مقعدك في قاعة العرض .

وقد كسبت السينما معركتها وتمكنت بالفعل من ان تعيش رغم التليفزيون كما عاش المسرح في الغرب رغم السينما واخرجت السينما ممثلين من طراز جديد يعرفون كيف يؤدون اداء سينمائيا خاصا بالسينما، وظهر المخرجون المبدعون الذين اخرجوا لنا قصصا بديعة من الحياة اليومية كما نجد في رواية «الايام الخمر والورود»، « موضوعها ادمان الخمر وكيف يكون » و «حافظوا على هذا النمر» « وموضوعها صغار رجال الاعمال في أمريكا ممن يقترفون كل موبقة في سبيل الاستمتاع بالحياة من ناحية والمحافظة على مؤسساتهم المتواضعة من ناحية أخرى » و « انسان من فوق عش الكوكو »، «عما يجرى داخل مصحات الامراض العقلية والنفسية » هذا الى جانب البشاعات التي تعجم

قال لي : لماذا لا يعرضون الفيلم المصري في قاعات عرض الدرجة الأولى . فماذا فعلت مع أصحاب دور العرض؟
قلت : أصحاب دور العرض في هذا البلد العربي لا ذنب لهم ، وإنما أنت بصفتك وزيراً مفوضاً إعلامياً قل لرجال السينما في مصر أن ينتجوا أفلاماً تصلح للعرض في قاعات الدرجة الأولى.

الناس لما فيها من التهاويل وحيل التصوير مثل « الفك المفترس » و « كينج كونج » و « الزلزال » وما اليها .

المهم في هذا كله ان السينما مرت بمراحل واطوار فنية كبرى جعلت منها في الواقع فنا محترما قائما بذاته له أصوله الفكرية والتقنية ، وقد تحقق ذلك بفضل رءوس تفكر وعقول تدبر وملكات فنية تعمل وتبدع ..

***

ماذا فعلت السينما العربية ــ والمصرية خاصة ــ في أثناء ذلك كله ؟ لقد بدأت هذه السينما بدءا متواضعا على ايدى أفراد من أمثال عزيزة أمير والاخوين لاما .. ثم قفزت الى مستوى عال فعلا على ايدى مخرجين مبدعين من امثال محمد كريم واحمد جلال ونفر آخر ممن لا تحضرني أسماؤهم .

وقد ظلت السينما العربية من ميلادها الى اليوم ورغم جهود كبار المخرجين « حدوته » .. حكاية حب بسيطة ترى بدايتها فتعرف نهايتها وتتلخص الرواية في ان ارنبا « يسمونه عادة بالبطل » يرى ارنبة « يسمونها البطلة أو النجم أو الكوكب » فيجرى وراءها وتختفي منه بين الاعشاب فيبحث عنها ، ثم تظهر فيجرى وراءها ، وهكذا الى ان يشعر المخرج انه استكمل الوقت المناسب للفيلم فيأمر الارنبة بانتظار الارنب ، ويلحق بها هذا وتنتهي **الرواية والاضواء تنار ،والناس ينصرفون على انغام المارش الامريكي المشهور : نجوم وشرائط « رمز العلم الامريكي » او انغام مارش قنطرة على نهر كواى .**
ولقد ظهر في أفق السينما ممثلون مبدعون وممثلات موهوبات ومخرجون ذوو مواهب واخرجوا عددا طيبا وقليلا جدا من الافلام .

ولكنها تقوم على حواديت من الطراز الذى ذكرناه

قليلون جدا من المخرجين اهتموا بالبحث عن الموضوع .
وقليلون جدا من الممثلين اهتموا باختيار موضوع الروايات التى يمثلونها

الغالبية العظمى من المشتغلين بالسينما بذلوا كل جهدهم في النزول الى مستوى المتفرج البسيط ، وكلهم يقولون لك ان الادباء لا يكتبون ! اعطونا الموضوع الجيد نخرج لكم الفيلم الجيد ..
وما دمتم لا تقدمون لنا هذا الموضوع الجيد فلا تنتظروا منا طراز الفيلم الذى تريدونه ..

● فى الماضى كانت الفيلم حدوتة يمثل فيها أرنب يسمى البطل يجرى وراء أرنبة تسمى البطلة .. والآن أمامنا أفلام تتكون من ثلاثة مشاهد تتكرر بلا نهاية : غرفة نوم وسيارة وملهى ليلى

والذى نعــرفه جميعـــا أن كل شيء موجـــود لمن طلبه وبحث عنه . والذين حمــلوا عبء الســـينما فى الولايات المتحدة لم يجدوا امامهـم مـؤلفين سينمائيين ولكنهم أوجـــدوهم عنـــدما طلبوهم ، انهم لم يقفوا عند مســتوى الحواديت ، وهى ارخص شيء وايسره يستطيع أى كاتب أن يكتب لك « حدوتة ارانب » كل يوم اذا طلبت منه ذلك .

وهذا بالضبط ما فعلوه : ذهبـــوا دائمـــا لأى كاتب ليــكتب لهـــم « أى كلام » ..
والجمهور عنـــدنا بســـيط طيب ، حياته مريرة وليس فيها جمال أو تسلية ومن هنا فقد تزاحم النـــاس على « أى كلام » هذا ودفعوا فيه « أى فلوس » . واغتنى اهل الســـينما وخاصـــة من يسمونهم النجوم وبعض المخرجين وكل المنتجين ..

وكان الســـوق من حـــولنا خاليا ، والناس يســـعدون بأى شريط يتكلـم اللغة العربية .. وتوالت الايرادات .

***

الى هنا وكان الامل ما زال عريضـــا فى ان تفرغ السينما المصرية من ذلك الدور البـــدائى لتدخل فى طور أرفـــع وأعلى ، وتقترب بذلك أكثر فاكثر مـــن المستوى الفكرى المطلوب .
وفى وقت ما ، من عشر سنوات تقريبا ، اقبل المخرجون يعرضون صـــورا فيلميـة لروايات عربية كبرى من اقـــلام توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس ومحمد عبد الحليم عبدالله ويحيى حقى وطه حســـين وغيرهم من كبار الادباء والروائيين ..
ونجحت هـذه الافلام كلها نجاحا كبيرا

وكان المفروض بعد ذلك ان يتنبـــه اهل السينما الى أهمية الموضـــوع ، والى اهمية المستوى الفنى للفيلم ، فيرتفعـــوا بعض الشيء عن مســـتوى الحـــواديت وينظروا نظرة جديدة الى رسالتهم فى عالم الفكر والفن .
ولكنهم لم يتنبهوا ..
وهنا فاتتهم الفرصة ..
فاتتهم الفرصة لانهم لم يتنبهـــوا الى ان الاوان قد آن ــ من زمن طويل جدا ــ لكى تصبح الســـينما اداة تكـــوين وتثقيف فنى لا مجرد وســـيلة لجمع أموال وشهرة أشخاص ولافتات عريضـــة تعلن فى الشوارع باسم فلان وعلان .

● إن الفيلم العربي أهم في حسابنا من أن يترك في أيد غير مسئولة ، وإذا كنا لا نحبذ تدخل السلطات في مجال الفن فلا أقل من أن نقول لرجال الفيلم أنه إننا جعلكم لا يعجبنا وغير جدير بمركزنا الفني والثقافي .

لم يتنبهوا الى أن السينما بالوضع الذى هى عليه اليوم لا تشارك قط فى الحياة الثقافية والفنية للعالم العربى ، وانها هبطت حتى عن مستوى « الحواديت » واصبحت تأتينا بأنسان وسيم أو امرأة جميلة يكتب لها شىء يسمى قصة كل الهدف منه أن يظهر هذا الممثل وتلك الممثلة أطول وقت ممكن على الشاشة امام الناس ..

لقد تحولت السينما على ايديهم الى عمل شخصى يخدم افرادا بعينهم ويسميهم نجوما وكواكب وماهم نجوم ولا كواكب وبأسماء هؤلاء الافراد تجمع أموال ومنها تدفع مرتبات لا تخطر على البال .

ما معنى ان الممثل الفلانى رفع اجره الى عشرة آلاف جنيه عن الفيلم الواحد؟

معناه ان آلاف الشبان ممن يضطرهم الضيق أو الملل الى دخول السينما سيدفعون هذه الالوف ثم لا يعود عليهم من وراء ذلك أى كسب فكرى أو فنى

واغرب من ذلك انك تسمع ان هذه الالوف العشرة لا تكتب فى العقد ألوفا عشرة ، بل تكتب ثلاثة ، والباقى يعطى خارج العقد لكيلا يتحمل « النجم » **الضرائب التى يفرضها القانون ،والمسألة هنا لا يمكن ضبطها ولا ربطها ، لان العقد ينص على ثلاثة آلاف من الجنيهات وعلى أساسها تحسب الضريبة ، اما السبعة آلاف جنيه الاخرى فلا شأن لأحد بها ، انها منحة أو هدية من المنتج للممثل .**

والنتيجة اننا لا نرى أى روايات من أى مستوى ، دعك مما يقال عن جوائز السينما ، فان الذين يمنحون الجوائز يمنحونها لأحسن الموجود بحسب رأيهم ، وما دام الموجود هو هذا فلا مفر من الاختيار منه .

ولكن افلامنا هذه تذهب الى المهرجانات خارج مصر وتعود كما ذهبت ، لانها من اول عرض توضع خارج المسابقات .

ولقد اتصل بى مرة مستشار اعلامى فى بلد عربى ــ وكنت أعمل فيه ــ وقال لى :

ــ هل تعرفُ يا دكتور ان سينما الدرجة الاولى هنا لا تعرض الافلام المصرية .. ؟

ــ نعم اعرفُ !

ــ وماذا نعملُ مع هؤلاء الناس ؟

ــ أى ناس ؟

ــ اصحاب السينما ..

ــ هؤلاء لا تعمل معهم شيئا ، فهم يعرضون ما يناسب جمهورهم ، وهم احرار فيما يعرضون ..

ــ اذن ماذا نعمل ؟ ..

ــ بصفتك وزيرا مفوضا اعلاميا « قد الدنيا » اطلب منهم فى مصر ان ينتجوا أفلاما تعرض فى دور الدرجة الاولى

● يقولون أننا نبحث عن الرواية الجيدة فلا نجدها ، ونقول أنها موجودة لمن يطلبها ، أما أن يتحول الممثل والمخرج والمنتج إلى مؤلفين فخطأ لابد من تصحيحه لأننا نرفض أن يدفع المواطن ثمنه .

ـ يا دكتور .. المسألة ليست مسألة دار درجة أولى أو دار درجة ثانية .. المسألة مقصودة ..

ـ لا مقصودة ولا غير مقصودة ، وبيني وبين كل الناس هذه الافلام كلها درجة ثانية ودرجة ثالثة أيضا ..

***

ان أهل السينما ـ وكبارهم أقصد ـ فى نعمة كبرى وعز ومال ولكن السينما فى تعاسة وتدهور .

لا اعرف مفكرا عربيا واحدا الا وهو مستاء من هذا الغثاء الهزيل الذى تقدمه الغالبية العظمى من افلامنا .

وهناك استثناء واحد فحسب وهو افلام السيدة فاتن حمامة ، فهذه فنانة تعرف بالضبط قدر فنها ، فهى تختار موضوعات افلامها وتختار مخرجيها ، ولهذا فان مستواها الفنى رفيع دائما ، وكلنا نسرع لرؤية أفلامها لأننا نعرف ان هنا فنانة تحترم فنها وتحترم جمهورها ..

ويهمس واحد من عتاولة السينما فى اذنى :

ـ ولكن فيلمها الفلانى عرض اربعة اسابيع فقط بينما فيلمى الفلانى عرض عشرين ..

ـ اسمع يا اخى : اسبوع واحد من افلام هذه الفنانة الكبيرة بعشرين من افلامكم ، وانت تستطيع ان تعرض خمس سنوات اذا انت اظهرت من لحوم ممثلاتك قدرا اكبر ،ولكن المسألة ليست مسألة اسابيع عرض ، انها مسألة المستوى الفنى فى هذا البلد ، لقد ضيعتم السينما لتكسبوا انتم .

ـ كيف تقول اننا ضيعناها مع ان فلانا أخرج روايات لديستويفسكى ممصرة ..

ـ لا تقل اخرجها ، فما عرض باسم ديستويفسكى لايدل على ان من وضع السيناريو قرأ ديستويفسكى ولا تخطى عنوان رواياته ، ومع ذلك ..

***

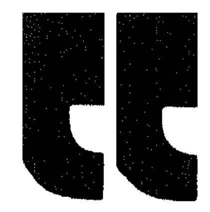
ان السينما العربية كعنصر ثقافى فكرى فنى تموت ..

ان الذين يكسبون منها هم وحدهم صناع الافلام طبقة يسيرة جدا من المنتجين والمخرجين ومن يسمونهم النجوم .. والبقية كل البقية تتضور جوعا .

وليس عدلا ان تضيع السينما عندنا لتثرى قلة من الناس ولتكسب شهرة وتظل تحت الاضواء ..

وهذا صدقونى هو رأى المخلصين الصادقين من المخرجين ومن يعرفون ما هى السينما .. ●

ولكن ماذا يفعلون ؟



د. حسين مؤنس

• د . زكى نجيب محمود ●

لا سينما جيدة

بدون أدب روائى جيد

اتيحت لنا فرصة لقاء مع المفكر العربى الكبير الدكتور زكى نجيب محمود ، فسالناه عن رايه فى أزمة السينما المصرية فقال :

لم أشاهد من الافلام فى السنوات الأخيرة الا القليل ، ربما لأننى لم أجد فيها ما يجذبنى من الناحية الفكرية أو الفنية الخالصة ، وربما رجع ذلك أيضا الى أن السينما أداة للتعبير الفنى لم تدخل بعد تماما فيما نسميه بالعمل الفكرى ، فانها ليست كتابة او رواية بل عمل فنى يحتاج الى أكثر من الفكر ، هناك التصوير والاخراج وعمليات اخرى كثيرة .

ولكنى لا أستطيع الفصل بين مستوى الرواية ومستوى السينما فى بلد ما ، لأن العمل السينمائى لايتم الا على اساس رواية أو قصة ، فاذا وجدت الرواية الجيدة كان هناك احتمال قيام فيلم جيد على أساسها ، ومثل السينما فى ذلك مثل المسرح ، فهو لا يقوم الا على نص أدبى جيد ، وأنا أذكر ان المسرح عندنا لم يكن الا فى القليل النادر مسرحا ناجحا يقارن بالمسارح فى البلاد التى نحاول اللحاق بها،فهناك نجد التقاليد الدرامية العتيقة التى قامت على أساسها تقاليد مسرحية عريقة ، فهناك لا يمكن ان يعد الرجل مثقفا الا اذا كانت له معرفة بالمسرح فى بلاده وتردد عليه ، حتى ان مشاهدة المسرحيات تعتبر من مستلزمات الرجل المثقف أو الرجل المرموق فى المجتمع . وأذكر بهذه المناسبة ان المفكر المصرى الراحل أحمد أمين زار طبيبا رمديا انجليزيا فى صحبتى ، وكان يشكو تعبا فى عينيه ويخشى على بصره . ففحص الطبيب بصره ثم أعلن اليه خبرا غير سار ، وهو انه سيفقد بصره بعد خمس سنوات . وانزعج أحمد أمين لذلك واكتأب ، ولكن الطبيب طمانه الى انه لن يفقد بصره كلية ، ولكنه سيستطيع تبين

هيئات الاشـــياء بصـــورة عامة دون التفاصيل ، وقال له : سترى الاوتوبيس ولكنك لن تستطيع قراءة رقمه • ثم قال مواسيا : ولكنى سأكتب لك نظارات خاصة تستطيع ان ترى بها العروض المسرحية •

وكان الطبيب الانجليزي يطمئن الأديب العربى الكبير الى ان فقـــدان البصر لن يحرمه من الاســـتمتاع بالمسرح ، ذلك العنصر الثقافى الذى لايستغنى عنه احد هناك •

ولا أذكر ان المسرح بلغ عنـــدنا من اهتمام الناس هذا المبلغ ، لاننا لا نملك تقاليد ادبية مسرحية نستطيع ان نقيم على أساسها مسرحا ناجحا •

مثل هذا يقال عن السينما ، فالرواية مازالت نباتا جديدا فى التربة العربية ولا نعرف ان كانت ستضرب جذورا عميقة فى التربة العربية ، ومن هنا فاننا لانتوقع أن تكون لدينا سينما ذات شأن • وقد سمعت عن أفلام كثيرة ينتجونها هنا ولكنى لا أذكر انهم حدثونا عن فيلم له قيمـــة فكرية أو فنية تجتذب أهل الفكر على الحرص على مشاهدتها ، وهـــذا وحده يعطى فكرة عن مكان السينما فى الحياة الفكرية العربية فلست وحدى فى هذا الرأى ، ولا أذكر ان الحديث دار مرة فى مجتمعات الادباء وأهل الفكر التى اشارك فيها عن فيلم كبير أو عظيم •

ويخيل الى ان السينما وكل ما يتصل بها قطاع من النشاط الفنى بعيد عن عالم الفكر ، أو انها عالم له ناسه وأوســـاطه والمهتمون به •• اما الســـينما كعنصر أساسى من عناصر النشـــاط الفكـرى العربى فشىء لا اعرفه ولا اظن ان اديبا عربيا يختلف معى فى هذا الرأى •

اذا كانت هناك رواية جيدة كان هناك فيلم جيد ، والافلام التى قامت على روايات جيدة اعتقد انها كانت افلاما جيدة ، اما سينما بلا ادب روائى سليم فهـذا شىء لا نعرفه او لا نستطيع تصوره •

وربما رجع جهلنا بشئون السينما فى بلادنا الى أنه لا يوجد الناقد الســينمائى المتمكن الموثوق بكلامه ، فعندنا بالفعل نقاد أدبيون عارفون بأصول عملهم ، ونحن نقرأ لهم ونطمئن الى أحكامهم ، والى هؤلاء النقاد الأدبيين يرجع الفضل فى تعريفنا بالانتاج الأدبى الجيد عنـــدنا ، فلا يكاد يظهر كتاب جيد حتى تتوالى الكتابات عنه ويشتهر أمره بين الناس ، أما السينما فلا أذكر ان هناك ناقدا عارفا بشئون هذا الفن يكتب فيه كتابة موضوعية نستطيع الاطمئنان عليها • وأنا شخصيا لا أعرف ناقدا بهذا الوصف ، ولا أظن ان غـــيرى يعرف ، **ومن هنا فاننا لا نعرف على وجه اليقين ما يدور فى الساحة السينمائية ، ولا علم لنا بمـا ينتجـونه من جيـــد أو غير جيــــــد ، وليس لدينــــا تقويم ســليم او قريب من السليم نعول عليه** ●

● د. عبد الفتاح الديدى ●

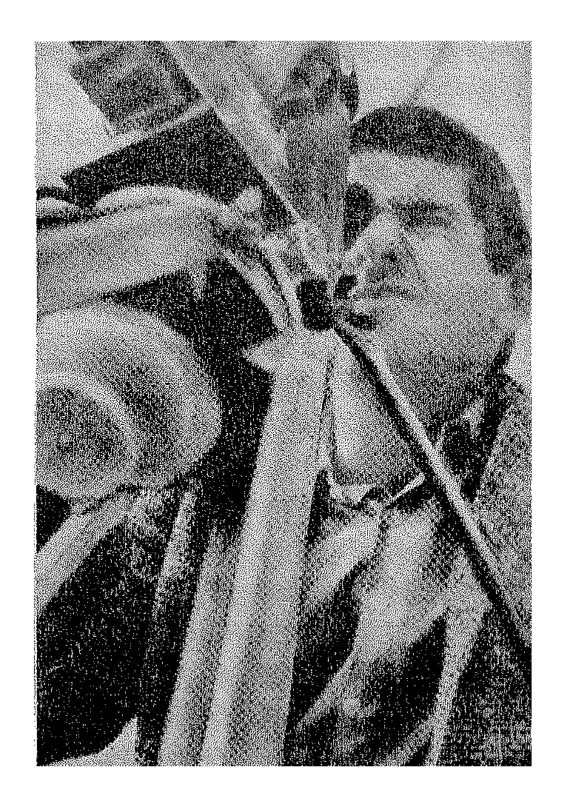
علم جمال السينما

لم يطرق أحد المختصين هذا المجال الهام على الرغم من شيوع جماليات السينما ، أو جماليات الفن السينمائى فى ربوع أوربا وامريكا .. ولم يحاول المختصون فى علم الجمال أن يطرقوا هذا المجال خشية اثارة انتباه السينمائيين واكاديميات الفنون الى حقائق تكلفهم دراسة شاقة وتدفعهم الى ادخال هذه المادة بين العلوم الأساسية التى يدرسها معهدالسينما. وقد تحقق الكثير من نتائج هذا العلم فى مجالات السينما الحديثة وفى افلام الموجات الجديدة بصورة لم يسبق لها مثيل .

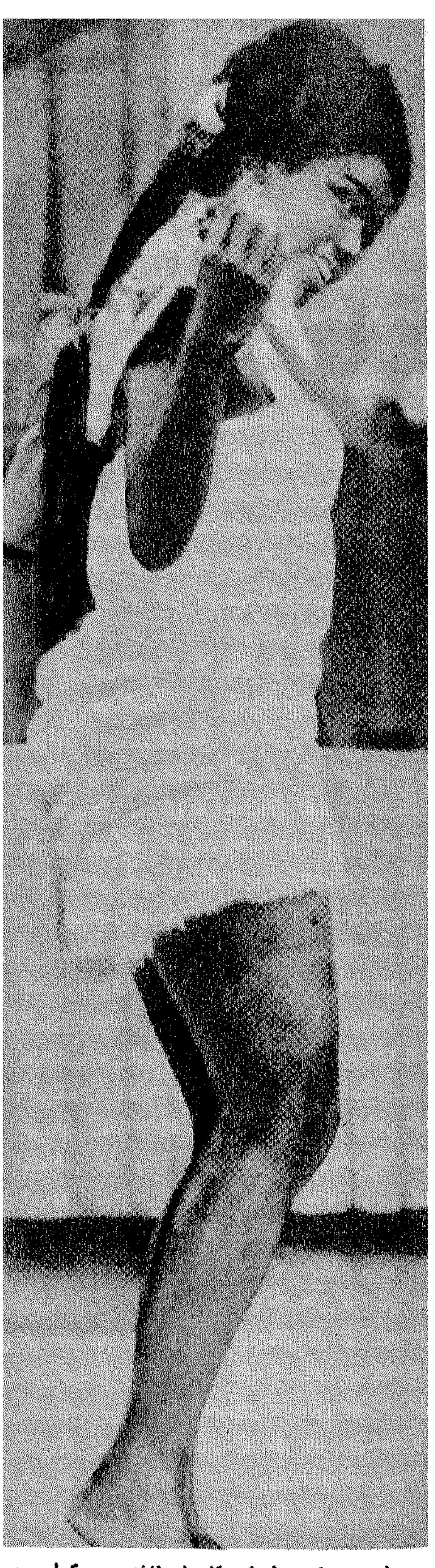
ويخشى عالم الجمال أن يزعج رجال السينما ببعض المصطلحات الجديدة التى لم يألفوها من قبل لارتباطها بمجالات فلسفية غير عادية وغير شائعة . وهذا يحدث فى معاهد وكليات الفنون الجميلة عند تقديم فلسفة الجمال الى الطلاب .. ولكن الطالب الذى يعد نفسه لكى يصبح فنانا مصورا أو مثالا او عاملا فى مجالات الزخرفة والديكور ، يلزم نفسه بالاطلاع على بعض فصول الفلسفة . وفلسفة الجمال بالذات لمساسها بعمله ولاتصالها الوثيق بكل عمليات الابداع الفنى . وقد اصبحت اليوم حقيقة مقررة فى كليات الفنون الجميلة ان تدخل مادة فلسفة الجمال بين المواد الأساسية التى يجرى تدريسها بالكلية .

ان جماليات السينما أصبحت أساسية اليوم فى انتاج الأفلام بما لا يدع مجالا للشك فى ضرورة الاقبال على موضوعات هذا العلم الجديد .. والأفلام الغربية ليست جمالية فى معظمها ، لأنها تقدم مشاهد اكثر مدنية او الصق بالمناظر الطبيعية الخلابة على طريقة بعض افلام والت ديزنى أو أفلام رعاة البقر التى تظهر روعة الجمال الطبيعى من خلال حركة الانسان أو الحيوان أو من خلال جاذبية السحر الذى تتميز به النباتات المختلفة .بل تنبع جمالياتها من عوامل عديدة وعناصر مختلفة تدخل فى صميم المشاهد وتلعب دورها فى تكييف المواقف وايجاد روابط تكوينية فى اسقاطات الرؤية بالنسبة الى الفيلم فى مجموع « التابلوهات »أو اللوحات التى يقدمها .

وقد اعتدنا ان نذكر ثلاث مراحل للابداع الفنى فى اللوحات التشكيلية



لابد للمصور الفنان من اختيار الزوايا التى تبرز مع التعبير الصادق جماليات الموقف



من اهم مراتب نجاح العمل الفنى ـ كما يرى كثير من فنانى السينما ـ جاذبية اللقاء بالمتفرجين

وهى مرحلة الاعداد . ومرحلة الانجاز ومرحلة التقاء الأعمال بعيون المشاهدين .

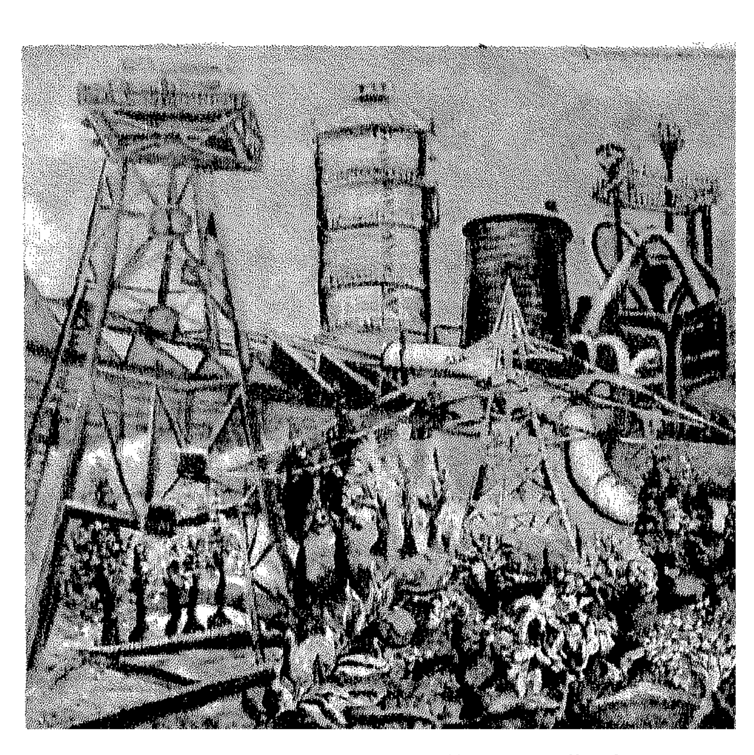
وادعى بنا أن نذكر هذه المرحلة الأخيرة للابداع بين جماليات العمل السينمائى لارتباطه ارتباطا وثيقا بالرؤية . فالفيلم السينمائى لا يعنى شيئا بدون تحريكه تحريكا خاصا بسرعة معينة لأحداث رؤية مطلوبة وعندئذ لاسبيل لتجميع مشاهد الفيلم الا باسقاطها على ابصار الناس وهو ما يضمن ربط جماليات الفيلم بلحظة الابصار كلحظة ترجمة للتعبير الصوتى والمكانى والزمنى ومسطح الحقيقة المعروضة والتشكيل الفنى « للتابلوهات » ـ اللوحات ..

المسطح الجمالي للفيلم

وقد هبت صيحة جديدة ضد الأفلام التى يطلقون عليها أسم أفلام اللب والسودانى والمسليات . ولم تنشأ هذه الصيحة الا ابتداءمن الاهتمام بالجماليات الفنية للفيلم .

واستفادت الموجات الجديدة من التقنيات المستحدثة فى مجال الانتاج السينمائى مثل استخدام الكاميرا وتسخير العدسات للرؤية وتنوع اللقطات

علم جمال السينما



فى الاتجاهات الجديدة والاصيلة لمخرجى السينما ، ان بعض المعالجات للموضوع تقتضى ابراز جماليات تنبع من مواقع متواضعة او مصانع ذات دور هام فى الحدث السينمائى

وتحديد الأصوات ، وتجديد المناهج ، وافساح المجال أمام التجربة. ونجحت هذه السينما فى احلال فلسفة الابلاغ او التبليغ محل فلسفة الاستهلاك . واصبحت لغة السينما الآن عرضا للفلسفة السمعية البصرية التى يقوم عليها الفيلم . وتنظر الى الزمان والمكان كما يتمثلان فى الفيلم ، وبالتالى تحدد استخدام الصور والأصوات وكل العناصر السينمائية فى ذلك الاطار . ولذلك فهى لاتجد أسلوبا بعينه بعد اقرار ظاهرية الادراك البصرى عند المشاهدين وبعد تحريك المشاهد على ضوء التعبير الظاهرى بكل ما يتمتع به هذا التعبير من خصائص ومميزات فكرية . وتختار هذه الأفلام موضوعات من شتى العصور والأساليب ، ومن احدث المواقف والأحداث الانسانية . وكما تحاول الرواية الجديدة ان تؤدى الأسلوب الكتابى الملائم لطبيعة التعبير الظاهرى كما هو الحال فى روايات آلان روب جرييه ، وميشيل بيتور



الايقاع النغمى من أهم المؤثرات وسمات الجمال السينمائى المعتمد على معايير معروفة



الافلام المتازة يمكن ان تعلمنا رؤية ما لا نراه بعيوننا العادية

وناتالى ساروت وجرترود اشتاين ـ يسعى مخرجو الروايات السينمائية الجديدة الى تطبيق الأسس الظاهرية النفسية والفكرية والتقنية .

وعانت بعض هذه الأفلام من تعريف الموقف الجمالى لأن الكثير منها كان يصور اشخاصا ومواقع لاتخضع للمقومات الجمالية الشائعة ، ولا يرى فيها عامة الناس حسنا بالمعنى المألوف ، فهناك مواقف تبرز طبقات عاملة او فقيرة او مواقع متواضعة او مساكن مهدمة . وبعض الافلام يخلو من المناظر الطبيعية ذات الجلال والروعة او تمس ملامح اخلاقية بذيئة وعندئذ يعن للمشاهد ان يسال عن جماليات هذا كله . ولكن الواقع ان الجماليات يفرضها الموضوع الجمالى المتكامل ويصبح الجمال هنا وظيفيا بحكم اداته لجزئيات يشتمل عليها العمل كله كتكوين وكبناء شامل ويرجع الأمر هنا الى براعة الخلاق الجمالى على مدى لوحات عديدة يتساوى التقدير الجمالى فى انحائها وينبثق من نسيجها سياق تشكيلى عام يتجمع فى بؤرة الحس السمعى البصرى ...

فالجمال هو العنصر الوظيفى الذى يحقق اللحظة الجمالية تبعا لتوالى المكونات واداتها لجزئيات السياق التكوينى المتكامل بغض النظر عن طبيعة المواقف الموحدة . وهذا المفهوم احرى بان يسود فى السينما منه فى الأعمال التشكيلية لامتداد الرقعة او المسطح الذى يدور فيه الفيلم السينمائى . وصار المخرج مطالبا بالتدخل فى تشكيل المواقع والمشاهد والأشياء على نحو غير معهود فى الواقع الخارجى وطبقا لمواصفات الاسقاط الجمالى فى وعى المشاهد ووسائل ايجاد الاثار الذوقية الجمالية ووفقا لمقتضيات الشعور الجمالى الالصق لمتابعة الاحداث والأشخاص .

والجمال ليس « الحلاوة » بالمعنى المصرى المألوف للكلمة . ولو قيست اعمال فنية كثيرة بهذا المقياس كما هو الحال فى لوحات « جويا» الرائعة ولوحات « موديليانى » لوجدنا انفسنا فى حيرة كبيرة . واذكر ان

علم جمال السينما

الوسط الفنى فى مصر استقبل لوحات بورشارد سميكه ـ وهى سيدة فنانة أجنبية ومصورة بلغت ذروة الفن ـ بكثير من التردد والشك فى الخمسينات والستينات . ولا يزال الكثير من اعمال هذه المصورة التى عاشت فى مصر واعطتها كل روحها وفنها مجهولا .

والقوام الجمالى الحسى الذى يسيطر على أعمال جاذبية سرى ، وحامد ندا ، لا يزال بحاجة الى تعريف ودراسة من أجل اظهار المكونات الجمالية الأصيلة عند هذين المصورين حتى يتبين الناس حقيقة الجمال المطلوب . وتمثل الصورة المعروضة التى التقطتها بمتحف الفن الحديث سنة ١٩٦٠ قدرة الكاميرا على التحرك وعلى العطاء الجمالى فى الواقع العملى ...

وتتبدى الفاعلية الجمالية للسينما من اثارة الحس الجمالى لدى المشاهد واستغلاله فى تقريب الحقيقة الموضوعية التى يقدمها الفيلم . فالأفلام السينمائية تعرض رؤية معينة تريد أن تدرب المشاهد عليها وتحرص على تعليم هذه الرؤية للناس .. الأفلام الممتازة هى التى تعلمنا رؤية مالا نراه بعيوننا العادية . انها تعلمنا كيف نرى أدق دقائق الجمال الفنى السائد فى أركان كثيرة من حولنا وهذا معناه ان الفيلم يجمع النقاط التى توجه نظر المشاهد الى اللفتات الهامة أو اللفتات الضرورية بل واللفتات الصحيحة التى تليق بمكانة كل من العين والأذن . فالعين أو البصر حاسة انسانية فريدة تلتقط آلاف المرئيات وتحتاج الى مران وتدريب طويلين من أجل تحسين الرؤية .

وبعبارة أخرى تلعب السينما دورا

تماثيل ولوحات مصرية قبل العرض .. فى اعلى لوحة لجاذبية سرى .. الجمال الحسى يسيطر على أعمالها الفنية ، ولكنه بحاجة الى تعريف ودراسة



تعليميا فى تعويد العين على الالتفات والانتباه وفى تزويدها بقدرات خاصة ورصيد كبير من العادات على الاتجاه الى الأشياء ذات الدلالة الموضوعية والمعنوية فى الحياة . وعندما يروى الفيلم قصة من القصص فانه يحاول ان يجمع عناصر هذه القصة ويحاول سردها ، ثم يتجه نحو المرئيات المحيطة فى كل موقف محاولا بعث العين على اعتياد التقاطها ورؤيتها . والرؤية ليست امرا سهلا بسيطا وانما هى شىء معقد يحتاج الى تنشئة قوية . ومعنى هذا ان الانسان بحاجة ماسة الى تعلم الرؤية . . . رؤية الزوايا والأركان ومواقع الشاعرية وحقيقة الأشياء والخطوط والابعاد والفة مواضع الفتنة وكوامن المشاعر الخفية والعلاقات التى تنشأ بينه وبين العالم من حوله مما يمر عليه دون أن يدرك دلالته المتكررة أو يفطن الى قيمة انعكاس الرؤيات على سطح عينيه .

والانسان يكره ما يجهله ولا يمتد بصره الا الى ما يدخل فى حدود اهتمامه الذاتى وما يمكنه تصوره وتذوقه . ودور السينما هنا اساسى وجوهرى لأنها تملك كل الوسائل التى تيسر للمخرج ان يقوم بمهمة جليلة فى اجتذاب الرؤية نحو المعالم الخفية للمرئيات ونحو مواضع الاهتمام الحقيقى فى الحياة . والحواس هى اعمق الأدوات الانسانية فى بلوغ مشاهد العالم المرئى . ويستطيع المخرج ان يداعب هذه الحواس مداعبة يبلغ من ورائها اثارة اعمق الخواطر العقلية وابعد الأفكار الخالصة . بل يمكنه أن ينقل الى المشاهد طعوم الماكولات وروائحها وان يجعله طرفا فى الموقف الذى يمر به الممثل ذاته كما حدث فى فيلم احمر شفايف لنجيب الريحانى عندما اكتشف طريقة الغذاء المجانى عن طريق تذوق الجبن والزيتون والخيار المخلل عند البقال لحظة بلحظة مع المتفرج ... وعن طريق المحسوسات يحدث تجسيد للموقف ويرتبط المشاهد بذكرياته عن المشمومات والمسموعات والطعوم ويستجمع فى خاطره عناصر متباينة تتآزر كلها من اجل خلق موقف حسى متكامل .

الجمال السينمائى يعتمد اذن على معايير معروفة وثابتة منها التقدير لنوعية اللقطات وتقويم موضع الاختيار وتحديد البعد والمسافة والاتساع واستخدام منوع للعدسات وابتداع اسقاطات ضوئية ولونية واتخاذ موقف جمالى متكامل من البداية الى النهاية وتنسيق الأشياء تنسيقا يتناسب مع مفهوم تكوينى موحد وخلق التكوينات البصرية المتكررة مع وجود ايقاع نغمى للتكرار السمعى والبصرى .

وقد يذهب البعض الى أن جماليات السينما مؤكدة اذا قصصنا احدى الصور وحولناها الى شريحة ثابتة كلوحة فوتوغرافية . وعندئذ تخضع جمالياتها لما تخضع له المقومات الجمالية فى الصورة الفوتوغرافية من معايير ...

واذا اقمنا علم الجمال السينمائى على هذه الاسس فقد رونقه واهميته البالغة . لأن جماليات السينما تنبع من الانطباع الذهنى عند المشاهد للفيلم السينمائى ككل موحد . لاشك فى أن القيمة الجمالية للمشهد الواحد ذات اهمية ولكن ليس فى حد ذاتها وانما بالنسبة للاطار الكامل للشريط السينمائى كتكوين متكامل شانها شأن الموسيقى والعمارة .

الحقيقة والخيال فى الجمال

ويهمنا ان نشير هنا الى انه مهما كان للجمال السينمائى من فاعلية عملية فهو يخضع لمعايير الجمال وفقا لمقاييس الفنون التشكيلية . ووظيفية الجمال لا تعنى بحال من الأحوال وضع الجمال فى اطار المظاهر النافعة . ولا ينبغى ان نفهم فاعلية الجمال السينمائى بأى معنى من معانى الفوائد التطبيقية اللهم الا اذا كان الفيلم محصورا فى دائرة الأعمال التجارية العادية .

ولهذا السبب كان الجمال السينمائى نابعا من صورة الحقيقة التى يقدمها



علم جمال السينما

يتجه الكثير من المخرجين الى تكثيف الاحساس الذوقي عند المتفرج اقتناعا بأن طعوم الاشياء لها مذاقها الحسي عند المشاهد

العمل السينمائي كفن خالص الى المشاهد . فهناك تجربة الحياة التى يقدمها المخرج جماليا الى المشاهد . وبالتالى فالحقيقة هى كل ما يتراءى للمخرج فى تجربته كفنان بغض النظر عن خبراته الأخرى العلمية والثقافية والتقنية والجغرافية والنفسية والرياضية وغيرها . والمخرج كفنان يعيش حياته الطبيعية ويستوحى منها تجربته الجمالية التى يحاول التعبير عنها من خلال العمل ككل موحد .

ويلتزم الفيلم بالحقيقة لأنه مطالب بأن يختار صيغةجمالية تألفها جماهير الصورة وهم كثيرون . فالمخرج خاضع لمقومات التعبير بالصورة المتحركة كالمثال المحكوم عليه بنحت الأخشاب والأحجار . فهناك التجربة الفنية التى يتمتع بها المخرج، وهناك الشريط السينمائى الذى ينبغى عليهأن يضمنه جماليته ، والجمهور الذى سيتذوق ويستسيغ المشاعر الجمالية التى يعرضها المخرج .

وبالاضافة الى آلاف العناصر الرواية والتمثيلية والمشاهد والخبرات توجد آلاف العناصر الجمالية التى تتالف منها جماليات الفيلم والتى تتطلب اشتراك مئات الأشخاص فى نقلها الى الواقع والى الجمهور مستوحاة من مفهوم المخرج الجمالى . ولكن هذا الموقف الأصيل لا ينسى المخرج اهمية الخيال فى تقديم الواقع وتلوينه وابرازه وتبسير فهمه . ولهذا لا يستبعد المخرج ابتكار وسائل خيالية واستغلال حركة الذهن فى عالم الخيال من اجل الباس العمل لباسا سائغا مقبولا سهل التداول .

وفى الوقت نفسه يمضى فى استغلال كل فرص الخيال من اجل اعطاء جماليات التعبير حقها من التاثير وتحقيق معنى الجمال الفعال والفعلى فى الفيلم الذى يقوم باخراجه .

فالرواية المطلوب تقديمها فى الفيلم تتالف عادة من عشرات المواقف التى تمثل الخير والشر والعنف والبساطة واللذة والألم والحب والكره والغربة والحنين والنجاح والفشل والحزن والفرح والياس والامل ، وما الى ذلك كله من معنويات المواقف المعيشية .. ويستحيل ان يحقق المخرج مضمون هذه المواقف بدون الاستفادة من عامل الخيال فى ترجمة معانيها الى الجمهور .. فالفيلم انتاج صناعى وظاهرة فنية لها كل ابعادها الجمالية بما فى ذلك عمق الخيال .

ومن أهم المفكرين المعاصرين الذين تناولوا جماليات السينما اندريه بازان فى كتابه « ما هى السينما »، ورودلف ارنهايم فى كتابه « الفيلم كعمل فنى » وكلاهما ظهرا سنة ١٩٥٨ . وهناك كتاب ارثر نايت عن احلى الفنون الذى ظهر سنة ١٩٥٩ ، وكتاب مارسيل مارتان عن « لغة السينما » سنة ١٩٦٣ وكتاب رالف استيفنسون وجان ديبريكس عن « السينما كفن » سنة ١٩٦٥ . وظهر أخيرا سنة ١٩٧٤ كتاب « الفيلم والحقيقة » تاليف روى ارمز .

ولا ينبغى ان نفهم من جماليات السينما انها تتعارض مع موضوع الرواية التى تقدمها الفيلم . فالسينما اصلا مهما تشابهت مع وقائع الحياة تختلف جوهريا عن الحياة ذاتها . وجمالياتها هى التى ترتفع بمستواها الى مستوى الفنون الجميلة وتجعل المشاهد يلتصق بالواقع كمشروع فنى متكامل . والديكور احد العوامل الأساسية فى تمثيل الواقع .

***

وبعد فهذه اشارة عاجلة الى افرع علم الجمال السينمائى وجوانبه وموضوعاته ... وعندما يستكمل هذا العلم اداته سيصبح من اصعب العلوم الحديثة لتشعبه وضرورة تاسيسه ابتداء من مفهومات فلسفية ظاهرية ومن حقائق علوم الابصار ، فضلا عن شروطه الجمالية واصوله النظرية كعلم قائم بذاته يفرض نفسه فرضا على صناعة السينما .

ولو شئنا ان نتابع الأفلام التى حققت لنفسها مفهوما جماليا وفنيا من اجل ابراز وتحليل مضموناتها ومكوناتها ، لاستلزم ذلك معرفة واسعة بأفلام الموجات الجديدة الأوربية والأمريكية . ومن اهم هذه الافلام اعمال المخرج الجمار برجمان من سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٧٤ ، وكذلك افلام سرجى اينستان من سنة ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٦٧ ، ومن أطرف الأفلام التى تمثل دور الخيال فى العمل فيلم « قصر من الزجاج » اخراج رينيه كليمان الذى يقدم وجهين لقصة واحدة احدهما حزين والآخر سعيد ، وبهذه الطريقة يسمح لنفسه باختيار لقطات ذات وحدة جمالية تعبيرية تحقق اكثر من تصور للواقع .

ويعتبر فيلم « السنة الماضية فى مارينباد » رؤية ممتعة للعمل الفنى المتكامل . مؤلف سيناريو الفيلم آلان روب جرييه ، ومخرجه آلان رينيه . وكاتب السيناريو من كتاب الرواية الجديدة .

بقى ان نشير الى مدى الاهمية البالغة للتعريف باصول علم الجمال السينمائى لدى المشتغلين بالسينما حتى نظفر بنتائج ناجحة بين الأعمال الدولية السينمائية التى نراها كل عام فى مهرجانات السينما . ●

عبد الفتاح الديدى

سينما الجوائز

ما هي المواصفات السينمائية لحصول فيلم على جائزة في مهرجان؟

● ماری غضبان ●

●● ليس هناك شك في أن افلام المهرجانات تنفرد بمزايا لا تتوافر في غيرها من افلام العرض التجارى ٠ فالافلام التى تقرر هيئة أى مهرجان سينمائى قبولها للعرض داخل المسابقة تتمتع بخصائص قد لا تتوفر فى غيرها من الافلام التى لا تقبلها المهرجانات ٠

معنى هذا أن هناك مواصفات خاصة تميز سينما الجوائز عن السينما العادية أو السينما التجارية ٠

ومهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث الذى انهى برنامجه لعام ٧٨ فى الاسبوع الاول من اكتوبر مشترك فى الهيئة الدولية لتنظيم المهرجانات السينمائية الدولية (نيف) ونتائج المهرجان هذا العام تحتاج الى تحليل وتصنيف نقدمه هنا لنصل بالمناقشة الى اجابة عن سؤال هام يشغل الفكر السينمائى وهو : المواصفات اللازمة لحصول فيلم على جائزة فى مهرجان دولى ٠

سينما الجوائز :

●● تتكون فى كل مهرجان سينمائى دولى لجنة تحكيم دولية يراعى فى عناصرها الثقافة والخبرة السينمائية بحيث تكون قادرة على التقييم الموضوعى البعيد عن الشبهات ٠٠ وفى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث تكونت هيئة التحكيم من سبعة اعضاء يرأسهم جان ليسكير المولود فى باريس عام ١٩١٢

وهو شاعر وصحفى ومفكر فرنسى معروف كتب لمسرح « تياترو دى ناسيون » الذى عرف بمسرح سارة برنارد ٠ والمعروف أن نشأة ليسكير كانت فى جو سينمائى بين والدين يديران قاعة عرض فى باريس حيث عرف السينما عن طريق اتصاله المباشر بالجمهور واختلاطه به ٠ وجان ليسكير يشغل اليوم منصب رئيس الجمعية الفرنسية لافلام الفن والتجربة،



صورة من فيلم «عديم الفائدة» الذى نال عنه مخرجه الالمانى برناردن نكل جائزة نفرتيتى الفضية

وهو عضو فى لجان المركزالقومىللسينما والمندوب العام للاتحاد الدولى لافلام الفن والتجربة ٠

وتضم لجنة التحكيم **بوسلى كراوزر** الذى اختارته جريدة نيويورك تايمز الناقد السينمائى لها فى عام ١٩٦٨ ، وبعد سبعة وعشرين عاما متواصلة فى تقدير وتقييم الافلام السينمائية فىجميع انحاء العالم

وفى خلال عمله بالنقد السينمائى قام كراوزر بحملة مستمرة لرفع مستوى التذوق السينمائى لدى الجمهور ،وهاجم فى نفس الوقت تسلط الرقابة ٠ وهم يسمونه فى الولايات المتحدة « ضمير صناعة السينما » ، فقد اجبر هوليود على مراعاة الجمهور وتقديم افلام ذاتمستوى فنى مرتفع ٠

وكراوزر أول من نال جائزة النقد السينمائى فى امريكا عام ١٩٥٣ التى تهدى الى من يقوم بدور فعال فى النقد السينمائى ٠ وفى عام ١٩٦٧ خصصت جائزة شرفية باسمه عن طريق جمعية الموزعين السينمائيين فى امريكا تهدى الى دارسى السينما الشبان ٠

ومن بين اعضاء هيئة التحكيم الدولية لمهرجان القاهرة **المخرج المجرى بال جابور** الذى حصل فيلمه « الوباء » على جائزة نفرتيتى الذهبية فى مهرجان العام الماضى ٠ وبال جابور من مواليد بودابست ١٩٣٢ تخرج فى جامعتها ثم التحق بأكاديمية الدراما والسينما وحصل على شهادة الاخراج عام ١٩٦١ ، وعمل فى ستديوهات « مافيلم » وهو عضو مؤسس فى ستديو بيلا بالازس وافلامه تشتهر بحصولها على جوائز فى مهرجانات عالمية حيث حصل فيلمه «السن الذهبية» على جائزة من مهرجان اوبرهاوزن بالمانيا الغربية عام ١٩٦٤ ، وفيلمه « الارض الممنوعة » على جائزة مهرجان فينيسيا عام ١٩٦٩ وفيلمه « أفاق » على جائزة مهرجان فينيسيا لعام ٧١ وفيلمه « الوباء » على جائزة مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثانى لعام ١٩٧٧ ٠

ومن بريطانيا يشترك فىلجنة التحكيم **الكسندر ووكر** وهو من مواليد ايرلندا ، درس العلوم السياسية فى الولايات المتحدة الامريكية لكنه وجد ميوله تتجه الى النقد بدلا من العمل الدبلوماسىالدولى وقد بدأ كتاباته النقدية فى السينما فى

جريدة « افيننج ستاندرد » عام ١٩٥٩ وقد اختير احسن ناقد فى الصحافة البريطانية لعامى ١٩٧٠ ، ١٩٧٤ وله ثمانية مؤلفات عن السينما وهو عضو بلجان تحكيم مهرجانى برلين وكان السينمائيين الدوليين .

اما الدكتور وولف دونر فهو مدير مهرجان برلين السينمائى الدولى منذ عام ١٩٧٧ وهو من مواليد ١٩٣٩ درس اللغة الالمانية والنقد وهو يعمل محررا فى مجلة الثقافة والتليفزيون ، وقبلها كان يعمل فى المجلة الاسبوعية الواسعة الانتشار (دى زيت) لمدة ست سنوات ، وهو عضو فى لجنة التحكيم الدولية لمهرجان القاهرة السينمائى .

ومن المغرب اشترك فى اللجنة **المخرج المغربى سهيل بن بركة (٣٥ سنة)** درس لمدة عامين فى جامعة روما ثم ترك دراسته للرياضيات وبدأ يدرس السينما فى معهد السينما بروما . وفى عام ١٩٦٤ التحق بالمركز السينمائى التجريبى بروما وعمل بعدها مساعداً للمخرج باولو باسولينى . وبعد سنوات أمضاها فى العمل السينمائى فى ميلانو وطوكيو ، عاد الى المغرب حيث اخرج ثلاثة افلام طويلة هى « الف يد ويد » ١٩٧٢ - «حرب البترول» ١٩٧٥ - « أفراح الدم » ١٩٧٧ .

وسابع اعضاء هيئة التحكيم هو المخرج المصرى كمال الشيخ وهو غنى عن التعريف بالنسبة لرواد السينما العربية . وكمال الشيخ من مواليد ثورة ١٩١٩ - (٥ من فبراير ١٩١٩) - بدا ممارسته للاخراج السينمائى مع ثورة ١٩٥٢ وقد بدأ حياته الفنية (مونتير) فى ستديو مصر عام ١٩٣٩ واخرج أول افلامه « المنزل رقم ١٣ » فى عام ١٩٥٢ وخلال هذه الفترة من ١٩٥٢ وحتى ١٩٧٨ اخرج ٣٣ فيلما طويلا اهمها (حياة أو موت - أرض السلام - الليلة الاخيرة - اللص والكلاب - ميرامار - الرجل الذى فقد ظله - غروب وشروق - الهارب - على من نطلق الرصاص) . وقد حصل كمال الشيخ على جائزة الدولة فى المونتاج عام ١٩٥١ وحصل على جوائز الدولة فى الاخراج عن افلامه « حياة او موت » ١٩٥٥ - « الليلة الاخيرة » ١٩٦٥ «الرجل الذى فقد ظله» ١٩٦٩ - «الهارب» ١٩٧٤ .

ومن الجدير بالذكر ان كمال الشيخ اعتذر عن تقديم فيلمه « الصعود الى الهاوية » داخل مسابقة الافلام بسبب وجوده عضوا فى لجنة التحكيم المحايدة.

● جوائز وافلام ونجوم ●

● من بين عشرين فيلما روائيا هى : فتاة الوداع (امريكا) - كلاى الاعظم (أمريكا) - الضربة القاضية (المجر) - اذهب لماما .. بابا يعمل (فرنسا) - فراشة على الكتف (فرنسا) - زوجة الأب (الاتحاد السوفييتى) - زهور بيضاء للموتى (سرى لانكا) - شخص عديم الفائدة (المانيا الاتحادية) - الممثل الاول (المانيا الاتحادية) - الحكم (يوغوسلافيا) - ادلين لم تتناول عشاءها بعد (تشيكوسلوفاكيا) - رحلة الحجر (ايران) - البوابة الحمراء (كوريا الجنوبية) - غرفة القسيس (ايطاليا) - الاوز البرى (بريطانيا) - الجراحون (بلغاريا) - الكانفودى (المغرب) - لبنان لماذا (لبنان) - قاهر الظلام (مصر) - مع سبق الاصرار (مصر) .

من بين هذه الافلام اختارت لجنة تحكيم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى

الثالث بعض الافلام الروائية التيعرضت داخل المسابقة الرسميةللمهرجانومنحتها الجوائز التالية :

ـ نفرتيتي الذهبية : للفيلم الالمانى (الممثل الاول) اخراج راينارد هوف •

ـ نفرتيتى الفضية : للفيلم الايرانى (رحلةالحجر)اخراج مسعود كيميائى•

ـ نفرتيتى الفضية : لأحسن اخراج للمخرج الألمانى برناردن نكل عن فيلمه (عديم الفائدة) •

ـ نفرتيتي الذهبية : لاحسن ممثلة للنجمة الايرانية جيتى لدورها فى فيلم (رحلة الحجر) •

ـ نفرتيتى الذهبية : لأحسن ممثل للنجم المجرى فرانك بنش لدوره فى فيلم (الضربة القاضية) •

وقد منحت لجنة التحكيم شهادات تقدير لكل من :

١ ـ الممثل المصرى محمود ياسين عن مجموعة اعماله واهمية ما قدمه للفن السينمائى •

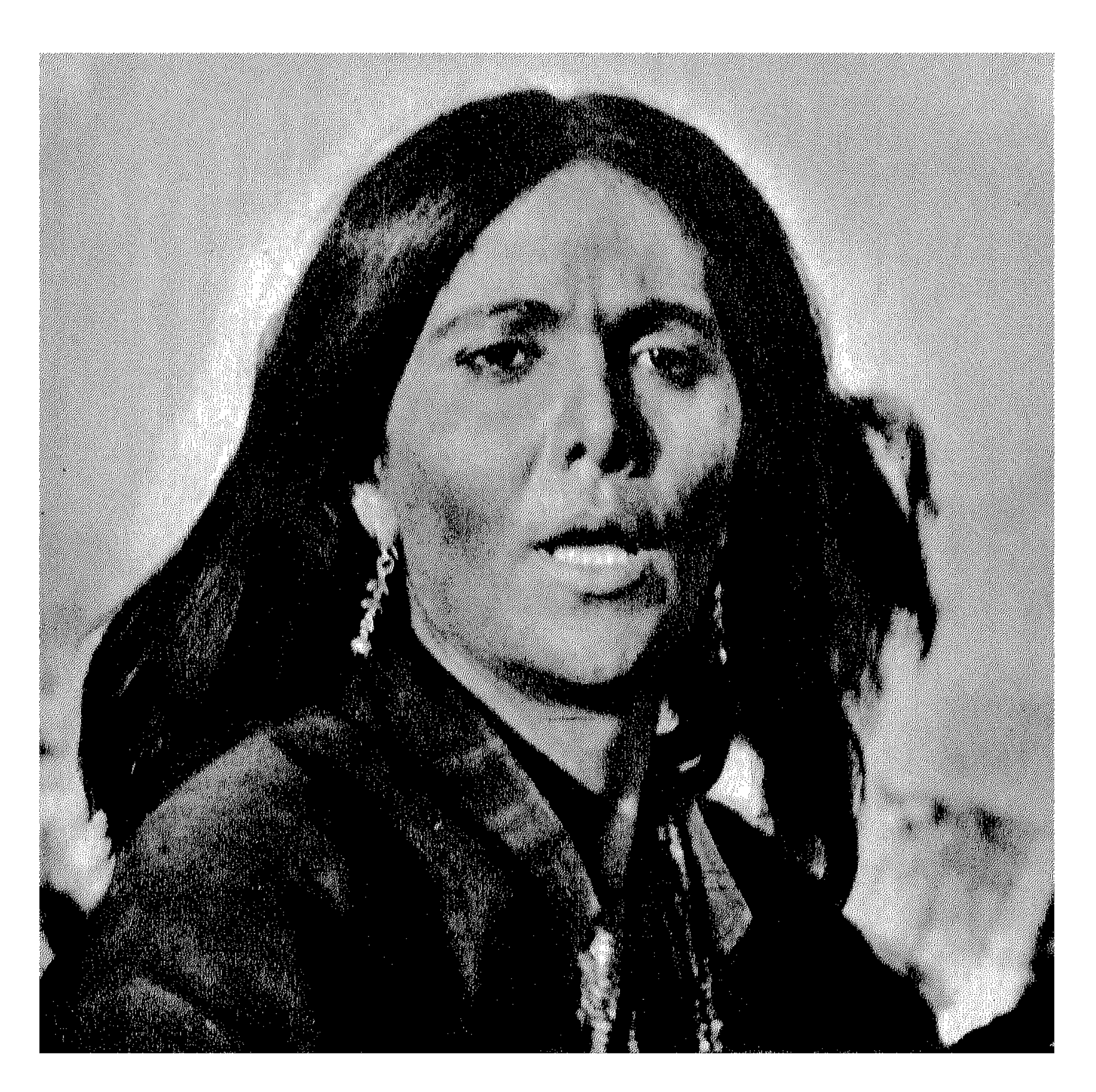
٢ ـ الممثل والمخرج المغربى نبيل لحلو عن فيلمه (الكنفودى) لتميزه فى عمله الاول •

٣ ـ مدير التصوير السوفييتى افليدياتى عن تصويره المميز لفيلم (زوجة الأب) •

٤ ـ ممثلة كوريا الجنوبية آه ربان تشونغ لدورها الخلاق فى فيلم (البوابة الحمراء) •

صورة من الفيلم الالمانى « الممثل الاول » الفائز بجائزة نفرتيتى الذهبية قام ببطولته ماريو ادورف وفاديم جلادنا ومن اخراج رايناردهوف





« جيتى » ممثلة ايران الاولى وبطلة فيلم « رحلة الحجر » الفائز بجائزة نفرتيتى الفضية .. الفيلم من اخراج مسعود كيميائى زوج البطلة

٥ ـ المخرج التشيكى أولدريش ليسكى لما قدمه فى فيلم (ادلين لم تتناول العشاء) • من لمحات كوميدية مبتكرة تبرز السخرية من أفلام المغامرات •

اما جوائز الافلام القصيرة فقد اختارت اللجنة ان تعطى **جائزة نفرتيتى الذهبية للفيلم المجرى (المستأجرون الجدد) للمخرج ايفيوس جولاى • وجائزة نفرتيتى الفضية للفيلم المصرى (المصحف الشريف) للمخرج عبد القادر التلمسانى**

وأوصت لجنة التحكيم للاتحاد الدولى لأفلام الفن والتجربة بمنح شهادة تقدير للفيلم المجرى (**لحظة الحق**) للمخرج **ينوكولتاى** •

أما جائزة الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما فقد قررت اللجنة منح جائزة تقديرية للمخرج المصرى **أشرف فهمى** عن تميزه فى اخراج فيلمه **(مع سبق الاصرار)**

وقد اهدت هيئة السينما والمسرح والموسيقى جائزة (اخناتون) لفيلم سيرى لانكا (الزهور البيضاء) اخراج ليستر جيمس بيرس لصدق تعبيره عن البيئة

والواقعية في جزيرة سيرى لانكا (سيلان) .

الجائزة .. لماذا ؟

●● لماذا استحقت بعض الافلام جوائز ، ولماذا استحقت بعض الاسماء جوائز ؟ لو استعرضنا فكر بعض هذه الافلام وقدرات بعض هذه الاسماء فلعلنا نلمح لماذا خصت هيئة التحكيم الدولية فيلما دون آخر واسما دون غيره بالجائزة .

لقد حصل فيلم (الممثل الاول) على جائزة نفرتيتى الذهبية ، والفيلم من اخراج راينارد هوف والفيلم يدور حول صناعة السينما التى حولت غلاما مغلوبا على أمره الى انسان شرير وشرس فالمخرج يلتقط غلاما فى الخامسة عشر اسمه بيبى ليجعله بطلا لفيلمه (حياة بيبى) الذى يدور حول حياته الواقعية وقسوة والده فى معاملته ويثير الفيلم فى الغلام الرغبة فى التمرد ويعجز الصبى عن التلاؤم مع الظروف الجديدة . وكلما احس بانشغال العاملين بالفيلم عنه ، اقدم على اعمال عدوانية غريبة تنتهى باشعال النار فى دار السينما التى تعرض فيلمه الأول وينطلق هائما فى الشوارع ضائعا وضالا .. **وفيلم « الممثل الاول » من تمثيل ماريو ادورف وفاديم جلادنا ومن اخراج راينارد هوف الذى ولد فى عام ١٩٣٩ ودرس الاداب الالمانية وتخصص فى النقد والمسرح ، ثم عمل فى التليفزيون حيث اخرج عشرين عملا تليفزيونيا ، ثم اتجه الى السينما وله علامات ناجحة فيها مثل أفلام «التمرد» ١٩٦٩ «لا طريق للخروج» ١٩٦٩ ـ « ضد مجهول » ١٩٧٠ ـ «منزل على البحر» ١٩٧٢ ـ « ديسستر » ١٩٧٣ ـ « فرانس بلوم » ١٩٧٤ « بولى بلندر » ١٩٧٤ ـ « البرتغالى » ١٩٧٥ ـ « الممثل الاول » ١٩٧٨ .**

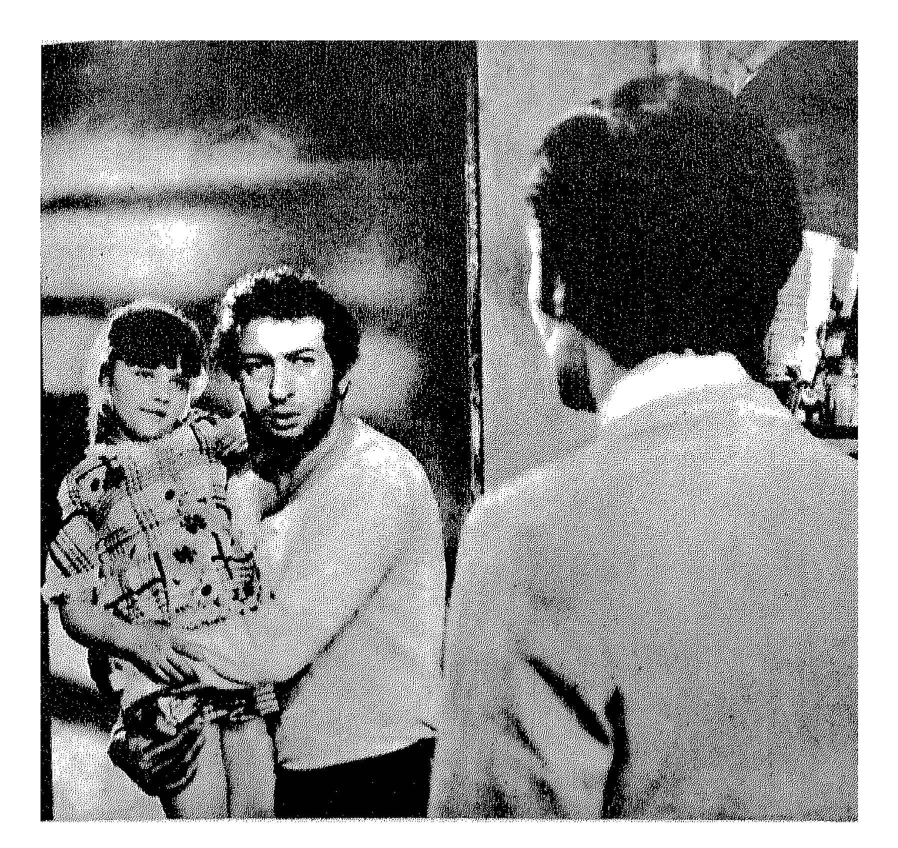
أما الفيلم الايرانى (رحلة الحجر) اخراج مسعود كيميائى والفائز بجائزة نفرتيتى الفضية فهو فيلم يقدم رمزا سياسيا ناضجا من خلال احداث الفيلم التى تدور فى قرية صغيرة يعانى سكانها من اضطهاد أحد الاقطاعيين لهم وتحكمه فى مصائرهم ويصل أحد الغرباء الى القرية ويتألم لحالهم ويتمكن الغريب من اقناع أربعة اشخاص بالاشتراك معه فى نقل حجر ضخم من منطقة جبلية الى القرية لكى يستخدم فى ادارة طاحونة يستخدمونها لحسابهم ، وتبدأ رحلة نقل الحجر برغم جميع العقبات وتصدى رجال الاقطاع للمحاولة . وينجح الرجال فى تنفيذ مهمتهم . وساعد على هذا تضامن بقية سكان القرية معهم فى مواجهة الاقطاعى المسيطر .

وقد منحت لجنة التحكيم بطلة الفيلم الايرانى جائزة نفرتيتى الذهبية لاحسن ممثلة ونجمة الفيلم هى الممثلة الايرانية جيتى وهى زوجة مخرج الفيلم مسعود كيميائى .

ولقد منحت لجنة التحكيم الدولية المخرج الالمانى **برنلردن نكل** جائزة نفرتيتى الفضية عن فيلمه (**عديم الفائدة**) وهذا الفيلم يعتمد على موضوع شيق اذ يدور حول شخص لا يقدم أى منفعة ولا توجد له أى فائدة يرحل من طاحونة والده بعد أن قرر القيام برحلة طويلة ويصل فى نهاية رحلته الى قصر كونتيسة مفلسة لكنه يسرع بالرحيل قاصدا ايطاليا وفيها يختلط باوساط الفنانين من رسامين وشعراء فقراء يبحثون عن لقمة الخبز والفن والحرية ووراء بحثه عن السعادة والحرية يتعرف على أوريلى ويبادلها الحب .

أما **الممثل المجرى فرانك بنش** فقد حصل من المهرجان على **جائزة نفرتيتى** الذهبية كاحسن ممثل عن دوره فى فيلم « **الضربة القاضية** » من اخراج توماس

سينما الجوائز



محمود ياسين ونور الشريف فى فيلم « مع سبق الاصرار » اخـراج اشرف فهمى

رينى وفرانك بنش يمثل شخصية والد الملاكم كسونجى الذى ينتمى الى بلــدة ريفية صغيرة ويتقرر سفره الى العاصمة بودابست للاشتراك فى بطولة الملاكمـة المجرية ويتصادف أن يكون على كسونجى أن يواجه صديق عمره ورفيق طفولتـه جوسكا فى المباراة الفاصلة التى تحـدد البطولة وينصح المدرب ملاكمه كسونجى بعدم محاولة الفوز بالضربة القاضـية ، وتبدأ المباراة ويعمل كسونجى بنصـيحة مدربه لكن مفاجأة المباراة تنتهى بفـوز جوسكا بالنقط ، وبعد المباراة يتقـدم جوسكا من صديقه كسونجى ليقول له : « رغم النتيجة .. كنت أنت الافضل » .

شهادات تقديرية لافلام ونجوم

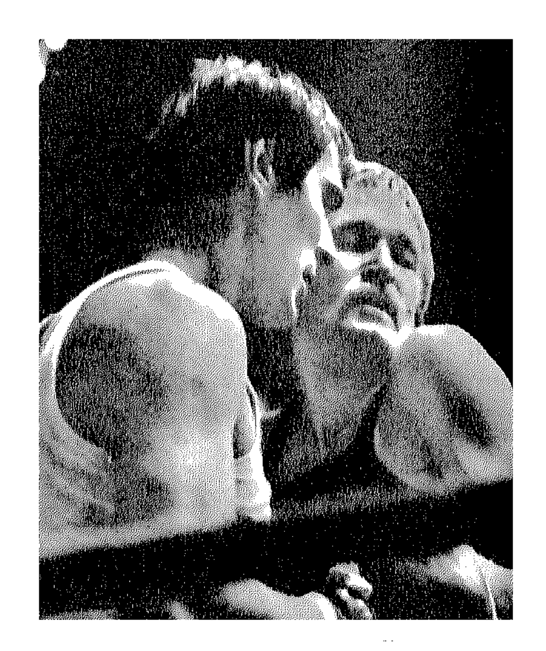
●● حصل **الممثل المصرى محمـود ياسين** على شهادة تقديرية عن مجموعـة أدواره فى الافلام المشتركة فى المهرجان ومنها « قاهر الظلام » داخل المسـابقة و « مع سبق الاصرار » و « الصعود الى الهاوية » ـ خارج المسابقة .

كما حصل الممثل والمؤلف والمخـرج المغربى **نبيل لحلو** على شهادة تقديريـة لتميزه فى فيـلمه الاول (**الكنفودى**) وبطل الفيلم وصفه الناقد السـينمائى **سامي السلاموني** فى كتابه « كل الافلام » بأنه الممثل الكوميدى وودى آلين ولكن على الطريقة المغربية .

كذلك حصل **مديرالتصوير السوفييتى افيليدياتى** عن تصويره المميز فى فيلـم (**زوجة الاب**) والفيلم من انتاج جمهورية جـروزريا وهو فيلم كـوميدى راق تم تصويره فى اطار سينمائى متفوق خاصة فى التصوير .

ومنحت اللجنة شهادة تقدير ايضـا **للممثلة الكورية آه ربان تشونغ** لدورها فى فيلم «البوابة الحمـراء» الذى يعرض قصة حقيقية حدثت فى كوريا وتمثـل تطور التقاليد الكورية فى الزواج والطلاق والترمل وغيرها من الأحوال الشـخصية والاجتماعية .

● ● المناقشة مع اعضاء لجان التحكيم الدولية حول أحقية منح فيلم او نجم جائزة في المهرجانات تتفق دائما فى أن وجهات النظر تلتقى حول اهمية ان يقدم العمل تصورا جديدا أو رؤية جديدة للأمور ، كما يجب أن يتميز العمل بروح الاخلاص التى تميز أعمال الهواة اكثر من المحترفين ٠٠ والى جانب التصور الجديد وروح الاخلاص يجب أن يحرص العاملون فى الفيلم الذى يشترك فى المهرجان على الاعتناء بالقيم الفنية من تكنيك ومضمون أكثر من اهتمامهم بأسباب الجذب الجماهيرى او العوامل التى تساعد على نجاح الأعمال الفنية تجاريا ٠



لقطة من فيلم « الضربة القاضية » الذى مثل السينما المجرية فى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث

ولأن فيلم (ادلين لم تتناول عشاءها بعد) يتضمن لمحات كوميدية مبتكرة تبرز السخرية من افلام المغامرات الساذجة ، لهذا منحته لجنة التحكيم شهادة تقديرية لمخرجه التشيكى أولدريش ليسكى ٠

أما فيلم (مع سبق الاصرار) الذى اخرجه المخرج الشاب اشرف فهمى فقد منحته لجنة التحكيم جائزة الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما عن تميزه فى اخراج فيلم (مع سبق الاصرار) الذى يقول مضمونه أن الانسان قد يرتكب احيانا بدافع الملل او تحت وهم الحب ، خطأ فى حق انسان آخر ثم يحاول ببساطة شديدة ان يصلح ما افسده بالانسحاب والهرب ثم يتغير مجرى حياته ويساعده الزمن على نسيان كل شىء ٠٠ فالحياة فى نظره مليئة بالاخطاء ، ومن منا لم يرتكب خطأ فى حياته وندم عليه ثم نسى كل شىء عنه ٠٠ ولكن فجأة تدب الحياة فى هذا الماضى الدفين ، واذا بالمرء يجد أن الخطأ الصغير قد اصبح عملاقا يطارده فى كل مكان ويهدد بالقضاء على ما حققه فى حياته من احترام ونجاح فى المجتمع ٠

معنى هذا ان الافلام التى تصلح للمهرجانات غير تلك التى تصلح للعروض التجارية ، وقد يحقق بعض الافلام الاختيار ضمن مجموعة الافلام التى تعرض داخل نطاق المنافسة داخل المسابقة الرسمية ويحقق فى نفس الوقت النجاح من خلال الاقبال الجماهيرى ، وهذا ما حققه مؤخرا فيلم « العودة للوطن » فى مهرجان كان السينمائى العالمى ٠٠ ونجح فى تقديمه فيلم « الممثل الاول » الذى حصل على جائزة نفرتيتى الذهبية فى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث ويمكن ان يحظى باعجاب الناس ورضاهم فى حالة عرضه على المستوى التجارى ٠

واذا تحققت مثل هذه الاهداف فان اى مهرجان سينمائى يصل الى أهم أهدافه وهو التعريف بمدى التقدم الذى احرزه الفن السينمائى الدولى من خلال اجماع آراء كبار السينمائيين والنقاد بعد تبادل وجهات النظر من أجل الاسهام فى ايجاد تفاهم كبير بين شعوب الأرض ٠ ●



* ان مشكلة النجاح السريع اوقعت السينمائيين فى اخطاء عديدة ! ..

رينيه كلير

* على السينما ان تسير فى الطريق الذى يحدده لها الواقع الانسانى والاجتماعى المعاصر ، فهو الذى يكسبها كيانها وطابعها .

فيتوريو دى سيكا

* اكتشفت السينما عالما جديدا ، فى متناول كل المخيلات .

بول ايلوار

* الفيلم هو كتابة بالصورة ! ..

جان كوكتو

* ان ما هو سينما ، هو ما لا يمكن روايته ! ..

رينيه كلير

* المدرسة المصرية فى السينما او فى غيرها لا يمكن ان تتأتى الا من تاليف حقيقى اساسه الصدق فى التعبير والاخلاص .. من خلال هذه العملية تنتج فى العمل الفنى الصفات القومية والذاتية والفردية والخاصة بمجموعة من الناس . وهذه تكون فى النهاية الصفات التى نسميها ((مدرسة)) وننسبها الى قوم من الاقوام ..

نجيب محفوظ

* السينما هى موسيقى الضوء !

آبيل جانس

* التقط اى موضوع يثير انتباهك ، ثم طوره وعالج تفاصيله ... فاذا وصلت به الى مرحلة تعجز عن التقدم بعدها ، اطرحه جانبا والتقط موضوعا آخر ... فغربلة الاشياء المتراكمة ، والتخلص من بعضها ، هو العملية التى تقودك الى العثور على ما تريد ...

شارلى شابلن

* الاثارة والرعب فى افلامى ، علاج نفسانى للمتفرج !

الفريد هيتشكوك

* لم تولد السينما الحديثة من تسجيل الاصوات ، لكنها ولدت من امكانية المخرج فى التعبير بين الصورة والصوت ..

اندرية مالرو

الجمال في السينما

من عصر الحريم إلى العصر الحديث

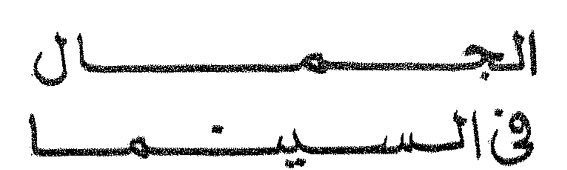
● منذ عرفت مصر الانتاج السينمائى كان جمال الممثلات شرطا هاما من شروط عملهن على الشاشة ... وكان جمال كل فنانة يمثل طراز الجمال الانثوى كما تصوره جيلها من النساء ، ويعبر عن مستوى الجمال فى ذلك العصر ، ومقاييسه ومعالمه ...

ففى منتصف العشرينات كانت عزيزة امير أول فنانة مصرية تضطلع ببطولة فيلم سينمائى فى تاريخ السينما المصرية ، وكان جمالها يمثل السحر والنضج والاغراء الذى يعتمد على الشعر الطويل ، والملابس المحتشمة التى تبرز مفاتن الجسم ، والعيون السوداء الحزينة التى تعبر عن المعانى العاطفية .

وبعد فترة قليلة ، وفى نفس العصر ظهرت بهيجة حافظ التى كان جمالها يعبر عن جمال ((بنت الذوات)) العصرية التى ترتدى ملابس اقل تحفظا من ملابس عزيزة امير ، وتدخن وتسهر ، وتقدم على تصرفات فيها كثير من التحرر من التقاليد الموروثة

وفى مطلع الثلاثينات كانت امينة رزق تمثل جمال المصرية من الطبقة

لم تشتهر امراة فى تاريخ السينما بصفتها نموذجا انثويا كما اشتهرت مارلين مونرو . وقد اسرف المنتجون فى استغلالها الى درجة ادت بها فى النهاية الى الانتحار



المتوسطة التى تعانى مصاعب الحياة وآلام ظلم المجتمع للمراة، فاذا ابتسمت فلكى تخفى آلاما ودموعا ، واذا عبست فعبوس الصبر والانتظار .. وكانت ترتدى الملابس المفرطة فى الحشمة..

ومثلت امينة رزق لفترة غير قصيرة المراة المصرية فى الأفلام التى تعالج موضوعات الطلاق واثر استبداد الرجال بالنساء فى انهيار العائلات ، وشاركتها فى هذا المجال آسيا داغر وعقيلة راتب ، وكانت كل منهن تتمتع بجمال يختلف عن جمال الأخرى ، ولكنه يمثل نساء الطبقة المتوسطة فى المظهر والملابس والوزن ايضا ، فقد كانت الشاشة الكبيرة ترفض المراة التى يصل وزنها ٦٠ كيلو جراما، أو يتجاوزها قليلا لانها تبدو سمينة بهذا الوزن .

كانت موازين الجمال فى العالم العربى اذ ذاك تتغير ، وتنتقل الفتنة من المراة السمينة التقليدية الى المراة النحيفة ، فكانت هيئات الممثلات فى ذلك العصر تعبر عن هذا التحول الحضارى الكبير .

وظل الامر هكذا حتى قامت الحرب العالمية الثانية فتغيرت معالم كثيرة لجمال المراة المصرية فى المجتمع والشاشة تبعا لذلك واصبح للجمال



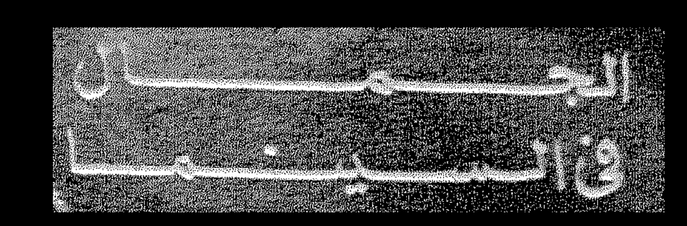
كان ظهور ام كلثوم على الشاشة حدثا فاصلا فى تاريخ السينما فاصبحت هيئتها وطريقتها فى الاداء نموذجا انثويا لم يفلح احد فى تقليده وكانت بهيجة حافظ تمثل فى اواخر العشرينات بنت الاسرة الكبيرة المتحررة الثائرة على التقاليد ، واخذت هذه الصورة فى الافلام القليلة التى مثلتها ، ولكن جمهور النساء لم يتقبل هذا النموذج ، ولهذا اختفت بهيجة حافظ



فاطمة رشدى التى كانت معبودة الشباب فى العشرينات حتى سميت بصديقة الطلبة ، دخلت السينما فى صورة بنت البلد المتحررة ، خفيفة الظل ، ونجحت نجاحا لم يسبق له مثيل فى فيلم العزيمة .

V. Henr

لم تكن عزيزة امير بالممثلة الكبيرة ، ولكنها كانت امراة ذات طموح كبير ، وطموحها هذاجعلها تقتحم ميدان السينما ، ولكنها تعثرت فى مشاكل تتعلق بحياتها ، ولم يطل عمرها فى عالم الفن





ثلاثة من نماذج الجمال الانثوى كما تعرضه الشاشة فى الوقت الحاضر ، ميرفت امين ونادية لطفى ونجلاء فتحى، وقد نلن شهرة واسعة مع ان قدرتهن فى التمثيل محدودة ، اما الممثلة القديرة حقا فهى السيدة فاتن حمامة التى ترى الى اليسار .









ليلى مراد التى بلغت فى الاربعينا
السينما العربية بمضــــارع ما بلغت
ماكدونال فى السينما الاوربية فى ذلك المص
شادية فى نظر الجماهير فى الخمسينـ
دور البنت المتوسطة الحال التى تحلم
وتغنى له .



الجمـــــال فى السيـــنمـــا

المثير نصيب كبير من الاهتمـــــام ، واصبحت البطولة المطلقة فى الافـلام تعتمد على الممثلة المفرطة فى الجمال لان هذا الطراز من الجمال كان حلم النساء جميعا اذ ذاك .

وممن مثلن هذه النزعة فى ذلك العصر ميمى شكيب وزوزو شكيب وزوزو ماضى ، ثم لولا صدقى ، وسـميحة توفيق التى كانت تمثـل بنت البلد المرحة المتفتحة ...

الافلام الفنائية تمثل المراة المصرية من جميع الطبقات بما فى ذلـــك بنت الباشا ، وبنت الفقراء ، وطريدة المجتمع .. الخ .. وكانت فاطمــة رشـــدى فى هذه المرحلة تمثل بنت البلد الدقيقة الملامح البادية الفتنـــة التى تثير المشاعر بملايتها اللف ..

وظهرت برلنتى عبد الحميد لتنتزع مكانتها وتمثل بنت البلد ذات الجمال المثير بشعرها الاصفر المصبوغ وقوامها الرشيق ، وكان المخرجون والمصورون يجتهدون فى اظهار محاسن جسدها ارضاء لنزعة عامة الى هـذا الطراز من الجمال الانثوى سادت اذ ذاك .

وفى هـذه المرحلة ايضا ـ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ ظهرت ممثلات كثيرات تمثل كل منهن نجمال المراة المصرية فى هذا العهد ..

مديحة يسرى ، ومارى كوينى ، ونعيمة عاكف، وسامية جمال ،وغيرهن من اللواتى مثلن جمـال المراة المصرية التىغيـرت الحرب افكارها بعـد ان تاثرت الاخلاقيات العامة ببعض المظاهر التى دخلت حياتنا الاجتماعية اثنـاء تلك الحـــرب وبعـــدها ، فكانت سامية جمال بوجهها الجذاب وشفتيها المتلئتين وقوامها الخلاب تمثل بنت



نعيمة عاكف فتاة السيرك التى لم تفتن الجمهور بشكلها ، ولكن بخفة ظلها وتمكنها من فنون التسلية ...

مريم فخر الدين نموذج من الجمال الهادىء الذى يعجب الجمهور العربى وقد امتازت الى جانب ذلك برقة وانسانية وطيبة قلب ...

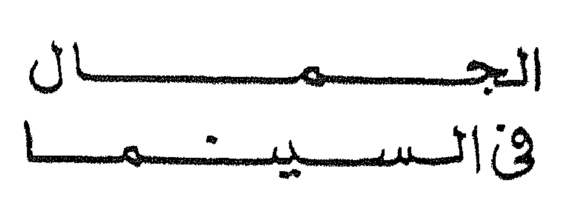
الجمال فى السينما

امينة رزق التى ظلت منذ دخولها عالم المسرح فالسينما نموذجا للمراة المصرية الطيبة القلب الوسيمة الوجه . المظلومة ، التى تجتذب الجمهور بدموعها وموهبتها الفنية الكبيرة ، وفى الصفحة المقابلة اربعة من نماذج الجمال فى السينما العربية اليوم وهن على الترتيب ماجدة ، سعاد حسنى ، مديحة يسرى وسميرة احمد . .







غنى الحرب الذى جمع المال الكثير من الحرب وكانت مديحة يسرى تمثل المراة المصرية التى قاومت الفساد ورفضت التقاليد المستوردة ، وكانت بسمرتها الصاخبة واناقتها البسيطة تمثل بنت البلد التى تمردت بعض الشىء على بيئتها وارتفعت الى مستوى اجتماعى جديد دون ان تفقد اخلاقيات تلك البيئة

اما فاتن حمامة ، وماجدة اللتان تبوانا قمة الشهرة الفنية فى مرحلة الخمسينات ، فقد امتازت كل منهما بالاداء الجيد فى تمثيل البنت المصرية الشابة التى تاخذ من مظاهر العصر الحديث بما يناسب بيئتها وتكوينها الخلقى والطبيعى .

وفى نفس هذه المرحلة ظهرت نعيمة عاكف ، لتمثل بنت البلد التى تحسن ابراز مفاتنها التى تمثل مقاييس الجسد النسائى المطلوب عند اغلب الشباب والرجال اثناء فترة الحرب وما بعد الحرب .

وفى مرحلة الخمسينات عندما بدأ الفيلم الملون ينتشر فى العالم ، كانت هند رستم تمثل الجمال المصرى الذى يعتمد على الشعر الاشقر وكعوب الاحذية العالية والملابس الضيقة التى تبرز الصدر وتكشفه عن الظهر العارى

وقد حاولت كثيرات من الممثلات تقليد هند رستم ، لكن الفشل كان



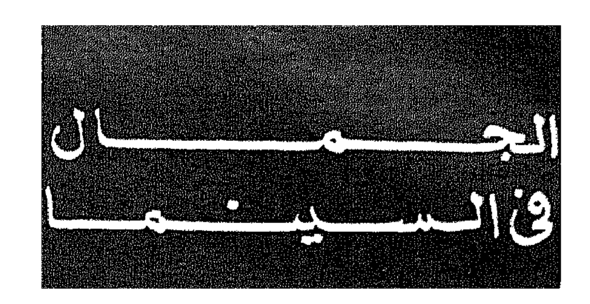
عقيلة راتب ، وبرلنتى عبد الحميد ، وهند رستم اسماء ثلاثة تصور جمال المراة العربية فى السينما فى الخمسينات وفى الصفحة المقابلة اربع يقدمن نماذج من الجمال فى السينما الاوربية فى نفس العصر وهن على الترتيب لودين باكال ، بيتى ديفيز ، لاناتيرنر وجنيفر جونز .

الجمال في السينما

اثنتان من نماذج الجمال في السينما العربية والاوربية في الخمسينات ، ليلى فوزى وإستر ويليامز ، والثانية منهما نالت شهرة واسعة في العالم كله بفضل افلام السباحة وموسيقى الجاز التي كان يعدها كسافير كوجات . . .



اثنتان لا تنسيان فى تاريخ الجمال الانثوى فى السينما الغربية : كيم نوفاك وانجريد برجمان . . والثانية منهن كانت من غير شك من اكبر الممثلات فى تاريخ السينما على الاطلاق . .



تضيبهن، فقد كانت هند تنفرد بمقدرة كامنة على ابراز مفاتنها الخاصة ، وكانت نجمة تلك المرحلة التي غطت شهرتها على كل شهرة ...

وفي هذه المرحلة ايضا كانت سميرة احمد تمثل جمال المراة المصرية بنت العائلة الفقيرة ...

وجاءت فترة الستينات لتبرز جمال المراة المصرية العصرية التي اخذت نصيبها من التعليم وحرية التعبير عن نفسها ، وشاركت الرجل في جميع نشاطات الحياة ،وكان يغلب على جمالها الطابع العملي ... وجسدت هذه المرحلة نادية لطفي ، وسعاد حسني ، ثم ميرفت امين ونجلاء فتحي. وان كان بعضهن حاولن التمرد على هذا الطابع بالعودة الى « الجمال الانثوي » ومنهن نادية لطفي التي مثلت ادوار الاغراء في بعض الافلام

وفي السبعينات تبرز وتتفوق نيللي في تجسيد شخصية المراة المصرية التي ترحب بكل « الموضات » والمبتكرات في كل مجال .. ثم كذلك الرغبة في السيطرة على الرجل والتفوق عليه ايضا . لكي يكون لها المكانة الاولى ورغم ما يحتاجه تحقيق هذا الهدف من قوة ومن جهد الا ان المراة لا تنسى ابدا أن تضع في حقيبتها مستلزمات التجميل ... والزينة .

اما ممثلات السينما في الغرب فيرسمن دائما صورة المثل الاعلى للمراة في الحياة والمجتمع في عصورهن دون ان يكون الجمال الانثوي هو المقياس الوحيد

ففي بداية عصر صعود السينما كانت اجمل ممثلات هوليوود هي ماري بيكفورد ، وكانوا يسمونها حبيبة امريكا .

واليوم ننظر الى صورتها فندهش اذ لا نجد في هيئتها ما يستحق هذه الأهمية كلها . ولكن السينما كانت وليدة وكان الناس يرضون منها بكل شيء او اي كلام ..

ومن أواخر العشرينات الى نهاية الثلاثينات جاء عصر الفاتنات جلوريا سوان سون وليليان جيش واختها دوروثي وبولا نجري ومن اليهن من صاحبات العيون الساحرة والقامات البديعة ، هؤلاء الممثلات لم يكن مجرد نجمات سينما بل رائدات في فن الجمال النسائي ، واذا كنت تدهش اليوم من المستوى الرفيع الذي وصلت اليه صناعات التجميل في الغرب فان الفضل يرجع الى هؤلاء الجميلات اللاتي رسمن للمراة الغربية مثلا عاليا في الجمال يحتذى ويحاكى ...

كانت بولا نجري ذات العيون السوداء تتلقى في اليوم خمسة آلاف خطاب من المعجبين والمعجبات .وكانت شركة بارامونت تستخدم اربع سكرتيرات للرد على كل خطاب .وكانوا يرسلون صورة للممثلة مع كل خطاب، وفي يوم واحد تقدم لخطبتها اربعة من اصحاب الملايين الامريكيين فرفضتهم جميعا وتزوجت افاقا روسيا معدما لا يملك الالقب امير لايدرى احد من اية جهة حصل عليه ، فمازال هذا الافاق الذي تزوجته عن « حب جارف » كما قالوا يحتال عليها حتى باعت آخر قطعة من مصاغها ، ولم تستطع ان تستجد ثروة اخرى ابدا ، لان زمانها ولى ، وماتت فقيرة بل معدمة في غرفة في فندق من الدرجة الرابعة في لوس انجيلوس .

ثم جاء عصر الفنانات الاصيلات : بتي ديفيز وجرير جارسون وجنفر جونز واوليفيا دي هافيلاند وانجريد برجمان .. هنا تغيرت صورة البطلة في نظر نساء الغرب : اصبحت البطلة هي المراة الذكية النشيطة المتحركة التي تعرف كيف تتحدث وكيف تشق طريقها مستقلة عن الرجال ، فلا تسلم قلبها الا لمن تعرف انه رجل يستحق الثقة فعلا .. لم تكن باربارا ستانويك امراة جميلة ولكنها كانت امراة ذكية

رشيقة سريعة الحركة ولهذا أصبحت من اشهر ممثلات السينما في الدنيا، وكذلك لورين باكال ولاناتيرنر .

خلال الثلاثينات والاربعينات ساد نموذج المراة المثقفة القوية الارادة من مثيلات جـون كروفورد وهيلين هايز ونورما فالمادج.. هنا اختفى نموذج الفانيات الساحرات وظهرت صـورة المراة العاملة الذكية ، وما زالت هـذه الصورة هى المثل الأكبر لنســاء الغرب الى اليوم .

وبعد الحرب العـالمية الثانية ، والعالم خارج من الحرب محطم الكيان والاعصاب ، ولهذا كان فى حاجة الى تسلية ومرح ، كان فى حاجة الى غانيات من طراز جديد :غانيات يبهرن العين والقلب ، ويخرج الانسان من مشاهدتهن بمتعة حقيقية : هذا هو سر نجاح بريجيت باردو ومارلين مونرو، وجينا لولو بريجيدا وصوفيا لورين وكلاوديا كاردينالى واورسولا اندريس ... كلهن نساء جميلات ولكنهن لسن فنانات كبيرات ، لأن الجمهور لم يكن يبحث عن الفن والتجويد وانما عن المتعة والراحة ...

ومازالت هذه الاسماء تسيطر على دنيا السينما الى يومنا هذا ، ولكن جمهور اليوم من الشباب يطلب نموذجا آخر اقرب الى نفسه وخياله من أمثال أبي ماك جرو وكاترين دى نيف والكاسومر .. لقد تغيرت صورة المراة تماما وجاء مثل أعلى جديد للجمال الانثوى . انه جمال باهر ولكنه سطحى .. وهو يتجلى فى احسن صورة فى اشكال الممثلات اللاتى يختاروهن ليمثلن دور البطلة فى افلام جيمس بوند .. نساء جميلات نشيطات رياضيات ترجع فتنتهن فى المكانة الاولى الى شبابهن البديع ... ●

ثلاثة من الوجوه التي تمثل اختلاف الأذواق عند جمهور السينما العربية : لبنى عبد العزيز وزبيدة ثروت ونيللى



مازالت اليزابيث تايلور الى يومنا هذا تعتبر
من اجمل النساء في عالم السينما ، واندفعت
اكثر من ربع قرن على الشاشة ، ومرت بمراحل
كثيرة ، من البنت الصغيرة الى المرأة المكتملة
ولكن مستوى جمالها لم يتغير



كانت طفلة

● ابراهيم عيسى ●

بالأمس كنتِ طفلة كبُرعم بلا عبير
كقِطّة وديعة تختال فى ثوب الحرير
تَمشى حوالىّ ولا يشدنى لها المسير

***

كنتِ ضبابا لا أرى فيه ابتسامة الشروق
كنتِ سحابا قد خلت منه ارتعاشة البروق
وكنتِ قلبا ما درى الشوق ولا وجد المشوق

***

واليوم صرتِ زهرة عبيرها يأمُرُنى
وصرتِ أنثى حسنها الوحشى يستثيرنى
والشيبُ فوق مفرقى عن غايتى يردنى

***

قالت : ولكننى أرى قلبك يشدو بالغزل
وهمسة الأشواق فى ثغرك نار تشتعل
ولهفتى إلى هواك لم تزل .. ولم تزل

***

فكم خبأت لهفتى .. لكنها تهزنى ...
تجتاحنى .. وإننى أرى لديك مسكنى ..
فتمتمت مشاعرى : وإننى ... وإننى !

ابراهيم عيسى

فرسان الرواية في السينما المصرية

طه حسين والحكيم ومحفوظ وحقي والسباعي وعبد القدوس .. وكثير غيرهم فرسان الرواية في الفيلم المصري

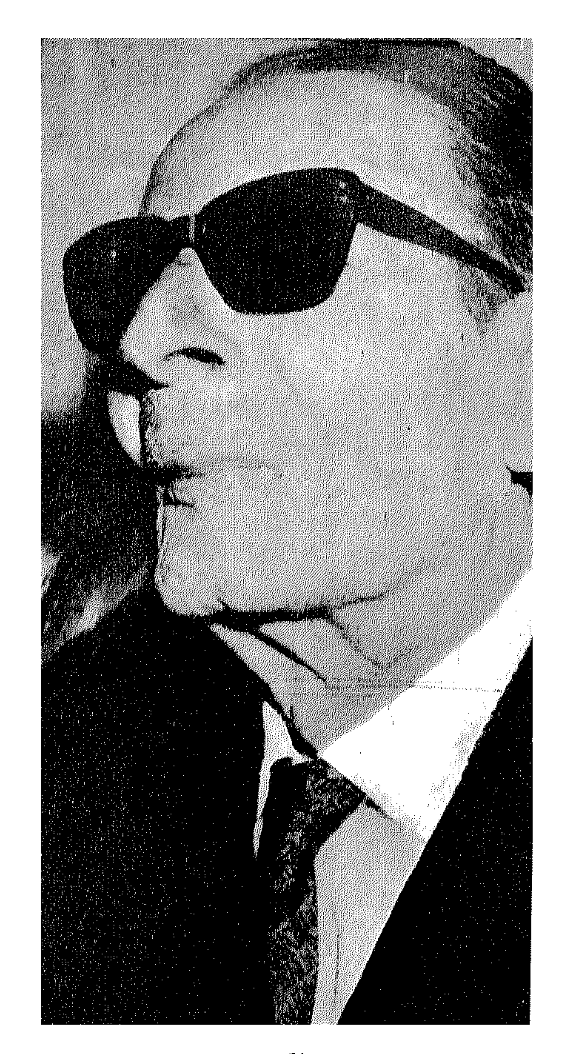
● عبد النور خليل

● ارتبطت نشأة السينما المصرية في بلادنا ، وفي العالم العربي جميعه ، بالرواية المصرية والعربية .. فقبل ان يبدأ شيخ المخرجين الراحل محمد كريم اخراجه لأول فيلم روائي مصري صامت ، كانت ثمة ارهاصات سينمائية مصرية منها فيلم ((ليلى)) للفنانة عزيزة امير وقد عرضته عام ١٩٢٧ .

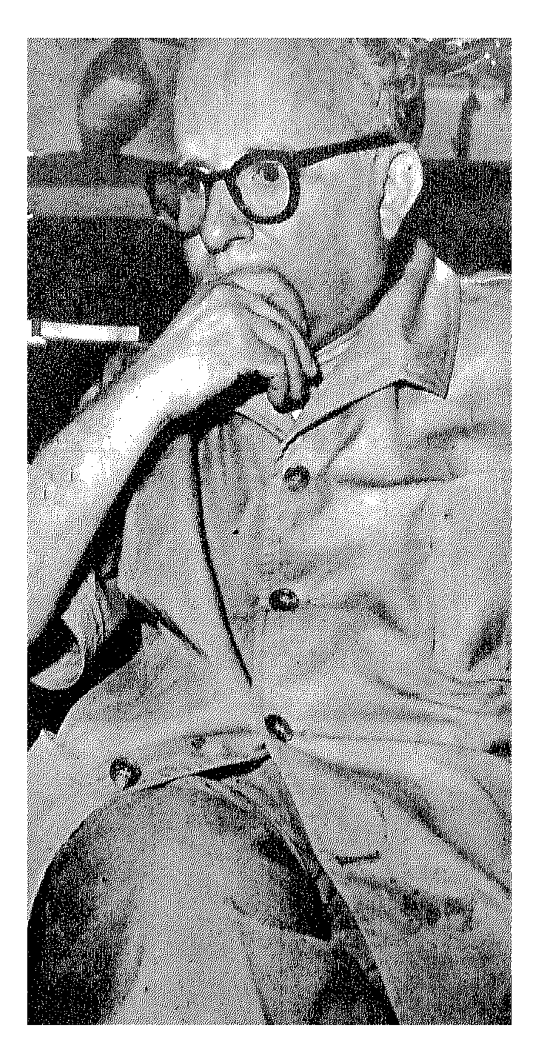
واختار محمد قصة « زينب » للدكتور محمد حسين هيكل . الذي نشرها وهو يدرس في باريس تحت اسم مستعار وكأنما كان المثقفون المصريون في بداية هذا القرن يخجلون من ممارسة فن كتابة الرواية ، وبالذات عن موضوع مصري خالص مثل موضوع رواية زينب التي تقع احداثها في قرية مصرية وتحكي قصة حب فلاحة مصرية في ظروف الفقر والقهر التي كانت تسود الحياة في ريف مصر وقتذاك .

وصور محمد كريم فيلمه « زينب » الصامت في ستديوهات باريس ، ومثلته بهيجة حافظ ، لكي يكون هذا الفيلم بداية لارتباط الرواية الادبية المصرية بالفيلم المصري ..

وبعدها نطقت السينما ، وانتجت افلام مصرية ناطقة ، كان أولها أيضا فيلم محمد كريم « بنت ذوات » والفيلم الغنائي « أنشودة الفؤاد » لكن حرفة انتاج واخراج الافلام المصرية في فترة الثلاثينات ابتعدت عن الرواية المصرية الادبية التي بدأت تفرض وجودها على الحياة الثقافية والادبية في مصر ، وساعد على هذا ان تكونت الشخصية القومية المصرية التي



د. طه حسين

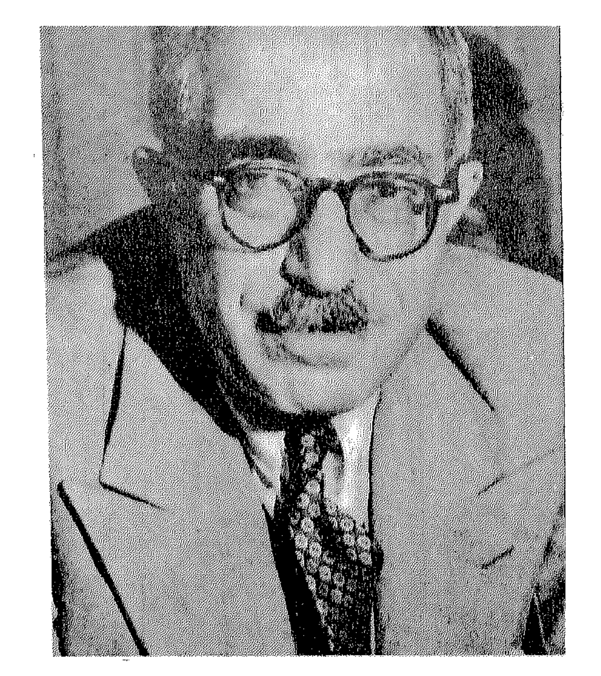


يحيى حقى

شكلتها الثقافات المختلفة لابناء مصرالذين ذهبوا الى الخارج فى بعثات دراسية فى جامعات اوربا وعادوا ليفيــدوا ويثروا الشخصية المصرية القــومية فى كــل الاتجاهات الثقافية والادبية والعلمية ٠

وكانت السينما المصرية ، خاصة بعد انشاء ستديو مصر ، قد اتجهت الى الافلام الغنائية واعتمدت على شــهرة المغنيين المصريين ، مثل عبد الوهاب وأم كلثوم واسمهان وفريد الاطرش ، وابراهيــم حمودة وليلى مراد ، وكانت موضــوعات هذه الافلام عادة تفصــل على المغنى أو المطرب ، دون الحاجة الى الرواية الادبية التى كانت قد بدأت تفرض وجودها على الحياة الثقافية فى انتاج محمود طاهــر لاشين وطه حسين وعباس العقاد وعبــد القادر المازنى وتوفيق الحكيم، ووجدت طريقها الى النشر والرواج فى مجلات أدبية مثل مجلتى والرسالة والثقافة ٠

واغلب الظن ان توفيق الحكيم كان من أوائل الادباء وكتاب الرواية تعاملا مــع السينما المصرية ، عندما إشتغل مع محمد كريم فى تحويل مسرحيته رصاصة فى القلب الى فيلم روائى غنائى مثله محمد عبد الوهاب وراقية ابراهيم وسراج منير ومحمد عبد القدوس والهام حسين وفاتن حمامة وعلى الكسار ٠ وقد حكى لى المرحوم محمد كريم ـ فيما بعد ـ عن الفترة التى قضاها هو وتوفيق الحكيم وعبد الوارث عسر فى اعداد السيناريو والحوار لفيلم « رصاصة فى القلب » والجلسة الصباحية فى حديقة جروبى ، والعادة التى كانت



د . محمد حسين هيكل



يوسف السباعى

فرسان الرواية

تلازم توفيق الحكيم فى الكتابة باقلام الرصاص التى كان يحمل دائما عددا منها معدا للكتابة .

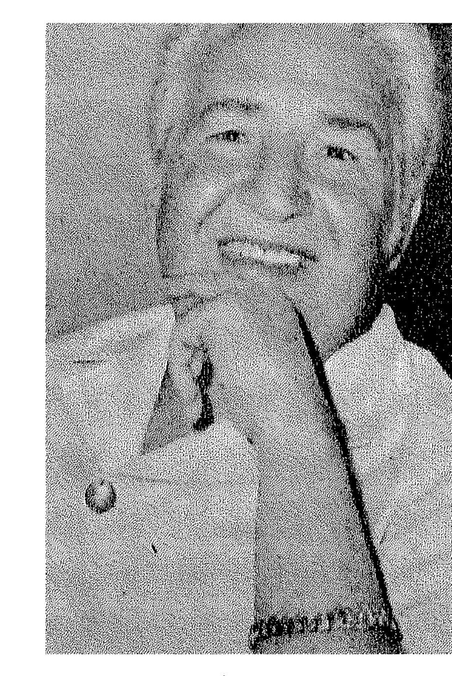
وتجىء الحرب العالمية الثانية ، وتعانى مصر من وطأة جنود الاحتلال الانجليزى وقبلما جاء معهم الحلفاء فى ظروف الحرب وويلاتها ، خاصة وقد أصبح الالمان على مشارف حدودها الغربية ووصلوا الى العلمين . واثر هذا بشكل مباشر على الحياة اليومية فى مصر واثر على آدابها وحياتها الثقافية . واثر فى السينما ايضا على اعتبار أنها جزء من الحياة اليومية الخاضعة للحرب وظروفها ..

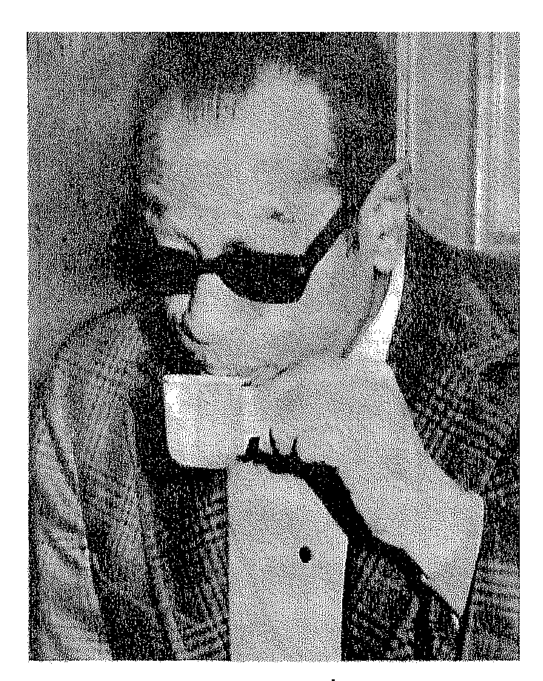
وبانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبانحسار الظروف الدخيلة على الحياة فى مصر ، وعودة المطالبة فى قوة دافقة الى تنمية الشخصية القومية المصرية فى كل المجالات ، وسارت تلك المطالبة فى خط متواز فى السياسة والأدب والثقافة والفن ، وعادت الرواية المصرية والمسرحية المصرية ايضا ، تبرز فى مجالات التعبير الادبية ، وصقلت تماما موهبة كتاب الرواية المصريين الذين ولدت ارهاصاتهم الأولى فيما قبل الحرب العالمية الثانية فى اواخر الثلاثينات ..

وفى السنوات التالية للحرب برز عدد كبير من كتاب الرواية ، والى جانب طه حسين والمازنى والعقاد والحكيم وزملائهم برزت اسماء يحيى حقى ، وعبد الحميد جودة السحار ، ويوسف السباعى ، واحسان عبد القدوس ، ونجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وامين يوسف غراب ، وعبد الرحمن الشرقاوى ويوسف ادريس ، ومصطفى محمود — كتاب للقصة المصرية الطويلة والقصيرة

***

وهنا يجب التوقف باطلالة سريعة على السينما العالمية .. فاذا سلمنا بأن السينما المصرية رغم عراقتها


احسان عبد القدوس


نجيب محفوظ

وتاريخها الطويل الذى يعود الى منتصف العشرينات ، كانت دائما « فنا ناقلا مقلدا » ، تتأثر دائما بالتيارات السائدة والموجات المتجددة فى السينما العالمية — وهذا الى حد ما ليس عيبا فى السينما المصرية ، فهو ظاهرة مصاحبة دائما لفنوننا الاخرى كالمسرح والرواية والقصة والبحث الأدبى واللوحات التشكيلية والتمثال ، التى حاكت جميعا التيارات والاتجاهات العالمية — واذا وضعنا فى الاعتبار ان السينما العالمية اتجهت الى تقديم الرواية العالمية مثل « ذهب مع الريح » و « لمن تدق الاجراس » و « جين اير » و « غادة الكاميليا » و « روميو وجولييت » و « أنا كارنينا » و « البؤساء » و « أحدب نوتردام » و « الجريمة والعقاب » و « الحرب والسلام » و « ثلوج كليمنجارو » .. وحملت الافلام السينمائية العالمية — ومن كل الجنسيات — اسماء لها شهرتها العالمية مثل ارنست همنجواى ، وشارلوت برونتى ، وفيكتور هوجو ، وليو تولستوى ، وفيودور دايستويفسكى ، وغيرهم من مشاهير كتاب الرواية العالمية .

وكان من الطبيعى جدا أن تمتد هذه الموجة الى السينما المصرية ، فى اقتباس وتمصير للرواية العالمية مثل « غادة الكاميليا » و « الجريمة والعقاب » وغيرها من جانب ، والالتفات الى كتاب الرواية المصرية من جانب آخر ..

وفى اوائل الخمسينات اختار ابراهيم عز الدين ، المخرج المصرى العائد من دراسته فى الخارج قصة الدكتور طه حسين « الوعد الحق » لكى يحولها الى فيلم سينمائى بعنوان « ظهور الاسلام » وكانت التجربة ناجحة تماما ، خاصة بعد ان كان محمد كريم قد اعاد اخراج قصة دكتور حسين هيكل « زينب » فى فيلم مثلته راقية ابراهيم ويحيى

شاهين ، وكانت هذه الاعادة ناجحة لاقصي درجة .. وبدات الرواية المصرية الأدبية ، تاخذ مسارها الطبيعي في السينما المصرية .

وفي اعقاب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتماسك الشخصية القومية المصرية في المجالات السياسية والأدبية والثقافية والفنية ، وخلق المسار الاجتماعي والعلمي للثقافة والأدب والفن اتسعت حركة الفكر المصري الشامل للمضامين الاجتماعية ، واتجه الى الانسان المصري وتجاوزه شمولا الى الانسان العربي الدائر في حركة النمو الثقافي والاجتماعي المصري ..

واصبح من الطبيعي جدا ، ان تتصل الرواية المصرية بالفيلم السينمائي المصري ، وان تصبح السينما المصريه ، ككل الوسائل التعبيرية ، مجالا خصبا للرواية المصرية المعاصرة .

وتجيء اواخر الخمسينات برواج هائل في الرواية المصرية التي تتحول الى افلام سينمائية .. حتى ليندر او يصعب علينا الا نجد قصة جديدة منشورة في مجلة او كتاب لم تتحول الى فيلم سينمائي .. وكان من الطبيعي ان نرى « دعاء الكروان » لطه حسين ونصل الى قصتيه ايضا « الحب الضائع » ، والايام «قاهر الظلام» ونرى كل انتاج نجيب محفوظ ابتداء من « السكرية » و « قصر الشوق » و «بين القصرين » و « خان الخليلي » وانتهاء باللص والكلاب وميرامار والحب تحت المطر والكرنك والسمان والخريف .. حتى « الحرافيش » .. ومثل نجيب محفوظ كان ايضا من سعداء الحظ مع **السينما احسان عبد القدوس في « الله معنا » و « انا حرة » و « أين عمري » و « الوسادة الخالية » و « النظارة السوداء » و « في بيتنا رجل » و « لا انام » وغيرها ، ويوسف السباعي «رد قلبي » و « آثار في الرمال » و « اني راحلة » و « ارض النفاق » و « بين الاطلال » و « السقا مات » وغيرها . وبالطبع اتجهت السينما المصرية الى الحكيم مرة اخرى ، وقد كان كما اشرت من اوائل من تعاملوا معها من كتاب الرواية المصرية فقدمت له « ليلة الزفاف » و «الرباط المقدس» وغيرهما .. وقدمت ليحيي حقي « البوسطجي » و « قنديل ام هاشم » ولعبد الحليم عبد الله « لبلة غرام » و « غصن الزيتون » و « النصف الآخر » ولعبد الحميد جودة السحار « ام العروسة » و « فجر الاسلام » ولأمين يوسف غراب « شباب امراة » و « الساعة تدق العاشرة » ولعبد الرحمن الشرقاوي وليوسف ادريس « حادثة شرف » « الارض » و « الشوارع الخلفية » و « الحرام » و « النداهة »ولمصطفى محمود « المستحيل » و « شلة** الأنس » .. **ويطول الحصر** لكن من المؤكد أن اهتمام السينما المصرية يتزايد **باستمرار في الالتفات الى الرواية المصرية التي تعكس في سياقها حياتنا اليومية .**

***

يقول الفلاسفة والمفكرون ان الفكر والفن انتاج طبيعي للفلسفة التي تسود العصر ، اي عصر ، ومهما اختلف الدارسون والنقاد في تحديد ماهية السينما المصرية وما تعكسه من فكر

وفن ، فهى نتاج هذا الفكر وهـــــذه الفلسفة التى تحكم حياتنا اليومية ..

وليس بالضرورة القول ان السينما المصرية منحدرة وهابطة ولا تساير التطـــور الفكرى والواقع الاجتماعى المعاصر ..

قد ينطبق هذا على عدد قليل مـــن الانتاج السينمائى المصرى المتمثل فى عدد من الافلام التى تنتج بمنطـــق

تجارى بحت ، لا علاقة له ـ من قريب أو بعيد ـ بالواقع الفكرى والادبى فى بلادنا .. لكن ما أريد أن أخلص اليه

هو أن السينما المصرية قد لعبـــت دورا هاما فى خلال النصـــف قرن الاخير ، فى القيام بدور « الوســاطة

الانســانية » ، وتدعيم روابط الاخوة العرب ، وعن طرايقهـــا تزايدت شـــهرة كتاب مصر بما حملت لهم من شـــعبية

بين رواد الفيلم المصرى داخـــل مصر وخارجها .

والمثل واضح جدا فى كاتب مثـــل نجيب محفوظ ، الذى ظل فترة طويلة محصور الرواج والشــــهرة قبل أن

تحتفى به السينما المصرية الى درجـة ان الناس قد لا يتذكرون أعماله الاولى

مثل « همس الجنون » و« رادوبيس » وكانت السينما المصرية عاملا مؤثـــرا فى أن يتعرف عليه حتى الذين حرموا

من نعمة القراءة منذ بدأ يتعامل مـــع السينما بافلام ماخوذة عن قصصه عندما

اخرج له توفيق صالح روايته « درب المهابيل » ..

كاتب واحد فقط ، لم يكن سعيد الحظ مع السينما المصرية ، رغم غزارة

انتاجه وتنـــوعه وتأثيره فى أجيـــــال مصرية متعـــــاقبة هو عباس محمـــــود

العقاد .. فعلى الرغم من القصــــص الدينى والتاريخى الفذ فى انتــــاج

العقاد ، فلا يكاد الباحث فـــى تراث العقاد الادبى يجد له قصصا عصرية

قد تصلح للسينما ، غير قصـــــته « سارة » .. وقد بذلت محـــاولات

متعددة لتقديمها فى فيلم سينمائى ، لكن هذه المحاولات كلها توقفت فـــى

مراحل تنفيذها ولا تزال « ســــارة » بالرغم من صلاحيتها الكبيرة بعيـــدة عن التنفيذ السينمائى .

ولست أزعم هنا اننى بســـبيل دراسة أدبية مستفيضة متانية ، فالامر

لا يزيد على مجرد محـــاولة لحصر الصلة بين الرواية المصرية والسينما

المصرية ، وبالطبع حصرت الحديـــث مما يلتقطه الذهن من امثلة متاحـــة

لاى متتبع للسينما المصرية ، وان كان

يتبقى عندى أن أقول : انه من الممكن

القول بان الســـينما المصرية رافد من

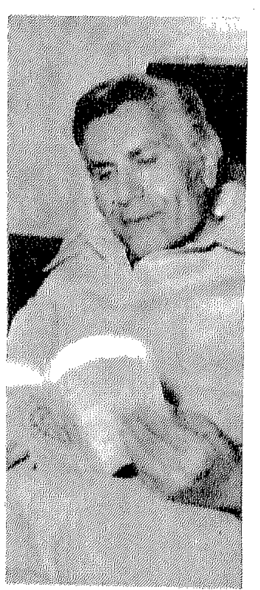
روافد الفكر الادبى المصرى ، ونتـــاج ـ فى معظمها ـ لفكر وادب كتاب مصر

فيما بين الثلاثينات ، والســـبعينات ، وانها أقرب كثيرا فى هذه الايام الـــى تعميم هذا القـــول .. فهى فى النهـــاية

تعتمد على الكتـــاب المبرزين فى الحياة الثقـــافية المصرية ..



د. مصطفى محمود



د. يوسف ادريس

السينما المصرية في مواجهة المستقبل

● لم ولن تتدهور سينما مصر ●
المخرج حسن الامام

هناك أسئلة محيرة تشكل أزمة السينما المصرية ومنها : ماهى المعوقات التى تواجه المستغل الذى يشترى الفيلم المصرى ، ولماذا تتكرر أسماء ثلاثة أو اربعة على ملصقات الفيلم المصرى ؟ وماهو تأثير هجرة الفنان المصرى الى العمل فى المسلسلات التليفزيونية طائرا بين اثينا ولندن وبرلين ودبى قابضا مالا كثيرا وغير مسئول عن دفع ضرائب للدولة .

ولكنى اقول ان السينما المصرية لم تتدهور أبدا لأن بها كمال الشيخ ، وصلاح ابو سيف ونيازى مصطفى ، وحسين كمال ، وغيرهم من كبار الفنانين المصريين الذين نحتوا فى صخر السينما المصرية بأصابعهم، وكان لهم الفضل فى ان يكون الطابع المصرى بلهجته المصرية وتقاليده العريقة من خلال صفحات ترجمت الى صور مرئية لكبار الأدباء أمثال نجيب محفوظ ، يوسف السباعى ، توفيق الحكيم ، احسان عبد القدوس ، جودة السحار ، عبد الحليم عبد الله ، يوسف جوهر ، وكلهم كانوا فى السينما المصرية رسلا لها فى بلاد كثيرة عربية وافريقية وغربية وشرقية ..

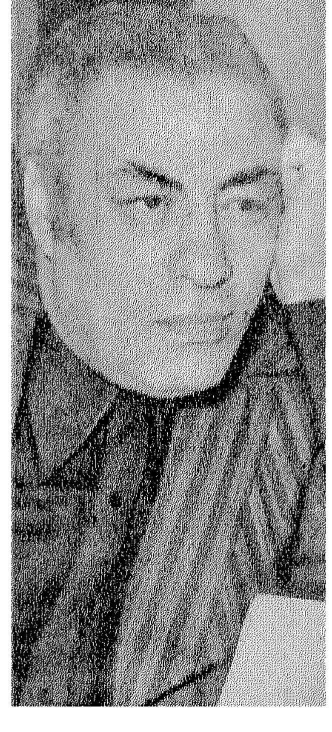
واتكلم هنا معتزا بمصريتى وببلدى ، فللسينما المصرية رجالها ونساؤها ونجومها الذين كان لهم جزء من الفضل فى ادخال العملة الصعبة الى الوطن .

ولا نقول ان السينما المصرية العزيزة تدهورت ، فكل ما يعترضها من مشكلات يمكن بالجهد والعمل الخالص أن تدبر له الحلول السريعة الحاسمة ..

ولقد تعب السينمائيون المصريون من الكلام عن ضريبة الملاهى وهى تشكل ٥٠٪ من ثمن التذكرة .. وفى هيئة السينما عدد من الموظفين اكثر من الفنانين انفسهم ، وقلة منهم تعد على الاصابع هم الذين يريدون الأفضل للسينما المصرية من معدات وخلافه ، ولكن قاتل الله الروتين وكثرة التوقيعات ..

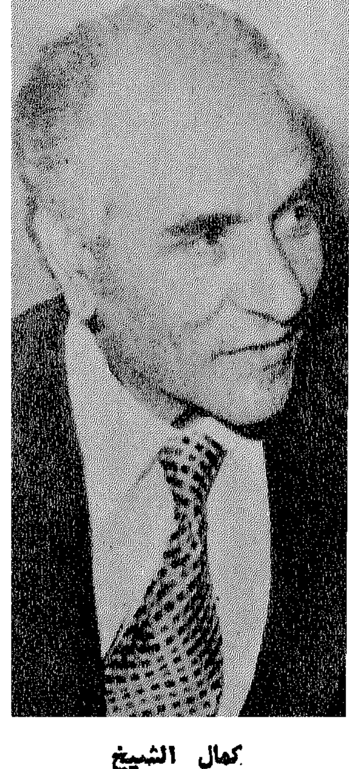
ولا يمكن أن أنسى الرعاية التى يبذلها للفن رئيسنا محمد أنور السادات بأن جعل يوم ٨ اكتوبر عيدا للفن .

واتمنى ان يشعر بعض المسئولين عن السينما بالمسئولية نحو تطويرها من ناحية الامكانات التى تختص بالصوت والصورة والمعامل ، ولابد ان يعلم الجميع ان السينمائى المصرى هو ابن تسعة أشهر مثل الأجنبى تماما ، ولكن فيلم الفنان الاجنبى يعرض ويشاهد فى الأسواق العالمية دون تحيز أو حرب أو مقاطعة ، ورغم ذلك نجد ان الفيلم المصرى



حسن الامام





كمال الشيخ

جمال الليثى

والسينمائى المصرى استطاعا أن يؤكدا وجودهما وانتصارهما فى العالم العربى، ثم العالم الشرقى بل والغربى .. وخير دليل على ذلك اهتمام جمهور فرنسا وانجلترا وبلجيكا وحتى الامريكتين بالفيلم المصرى ..

اما اذا كان هناك ما يروقنا من الافلام الغربية ، فلابد وان يعلم الجميع ان ما نشاهده فى مصر من الافلام الاجنبية انما هو نتيجة انتقاء الجيد ، وقد يكون فى انتاج الشركة التى قدمته اكثر من ثلاثين فيلما لا يشترى منها سوى ثلاثة لا غير

● الأزمة ازمة تكنولوجيا ●

المخرج كمال الشيخ

ان السينما مرآة صادقة للحضارة فى كل بلد ، فهى التصوير الواقعى للمجتمع ولذلك تستحق منا كل تقدير واهتمام حتى تظل فى تطور وازدهار لانها اداة تثقيف وتوعية .

والذى يثار الآن من أن السينما المصرية تمر بأزمة ، هو قول بدون دراسة موضوعية لأن المتتبع للسينما المصرية وخاصة فى السنين الاخيرة يجد ان هناك صحوة فى السينما المصرية وليست ازمة وخير دليل على ذلك امتداد عرض بعض الافلام أكثر من سنة فى دار عرض واحدة هذا يدل على تزايد اقبال الجمهور على الافلام المصرية بعكس ما كان فى الخمسينات والستينات ، حين كان الفيلم الذى يستمر عرضه خمسة اسابيع يمثل نجاحا فى تلك الفترة ..

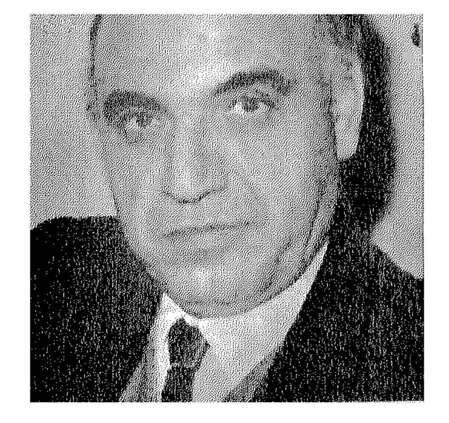
وفى تصورى ان نسبة الافلام ذات الهدف على مستوى جيد كانت تمثل ٥٪ أما الآن قد وصلت الى ١٠٪ والباقى يوصف بالهبوط الفنى ، وهذا مؤشر ان دل على شىء فانما يدل على رواج الفيلم المصرى وفى نظرى ان الفيلم الجيد انما هو صورة صادقة لمخرج جيد ومؤلف ممتاز مع باقة من الفنانين على مستوى عال فى مهاراتهم الفنية ، ولذلك يعتبر المخرج مسئولا عن هبوط مستوى أى فيلم ..

ولكن استطيع ان اقول ان ازمة السينما المصرية انما هى فى الامكانات أى أزمة تكنولوجيا ، لأنه حتى الآن لانستطيع أن نحصل على صوت وصورة تتمكن بهما من اعطاء عمل فنى جيد ، وذلك راجع لقلة الامكانات وقلة عدد الفنيين على هذا الكم من الافلام . اما بالنسبة للتاليف الروائى فهناك ازمة ليست فى مصر فقط ، ولكن هى ازمة عالمية . واذا تتبعنا السينما العالمية نجد ان نسبة الافلام الجيدة الى العادية لا تتعدى ١٥٪ .

● كل الناس .. كل الوقت ! ●

المخرج صلاح ابو سيف

إن أزمة السينما المصرية الآن كانت



صلاح ابو سيف

السينما المصرية في مواجهة المستقبل

متوقعة .. وقد حاولت مرارا ان الفت النظر ، وأدق جرس الخطر محذرا من الأزمة المقبلة .. وقلت للسينمائيين والمسئولين عن السينما احذروا ما بعد موجة الرخاء الموجودة اوالرواج للافلام المصرية .. ولكن للأسف الشديد ، لم يستغل هذا الرواج السينمائي في الفترة الماضية لصالح السينما ..

ولعل مصدر ذلك الرواج المؤقت يرجع الى كثرة الافواج السياحية والضيوف من الاشقاء العرب في مصر ، وخاصة في موسم الصيف ..

ان السينما تسلية سهلة تجلب الجماهير للتسلية وللاستفادة منها ثقافيا وأدبيا ومعنويا، ولكن بعض الأزمات السياسية التي مرت بنا في فترة مضت كان لها تأثيرها النفسي الكبير على حالة الناس مما جعلهم يبحثون عن تسرية،مماسبب ذلك الرواج

وكانت النتيجة لذلك ان الفيلم المصري الذي يمكث عرضه عشرة اسابيع في القاهرة يعتبر غير ناجح بعكس الصورة في الماضي ، حين كان الفيلم الذي يمكث اربعة اسابيع يعتبر ناجحا نجاحا كبيرا !

وعلى ذلك وجدنا اكثر من فيلم يستمر عرضه في القاهرة سنة او اكثر مماتسبب في ازمة دور السينما ، وبقيت افلام كثيرة جدا في العلب حبيسة لم تجد دار عرض ، ولذلك ظهر قانون لتحديد مدة عرض الفيلم بحد اقصى ١٧ اسبوعا فقط

وهناك سبب آخر لأزمة السينما المصرية يرجع الى ان المنتج يريد ان يضمن النجاح لفيلمه بأسباب كثيرة في مقدمتها الفنان المشهور (نجم الشباك)

لكن وكما يقال :

« تستطيع ان تضحك على كل الناس بعض الوقت ..

وتستطيع ان تضحك على بعض الناس كل الوقت ..

ولكنك لا تستطيع ان تضحك كل الوقت على كل الناس »

ومن هنا انصرف الجمهور عن دور السينما التي تعرض افلاما مصرية خصوصا ان كثيرا من المنتجين ينتجون للسينما أفلاما قديمة لأنه ليس لديهم فرصة لاختيار قصص جديدة وعمل سيناريو جيد لها . في وقت يشاهد الجمهور فيه الافلام القديمة في التليفزيون ويقارن بين القديم والجديد ، ونجده دائما يفضل الافلام القديمة لأن فيها جدية كبيرة غير موجودة في الجديد .

● رغم كل العقبات ●
المخرج هنرى بركات

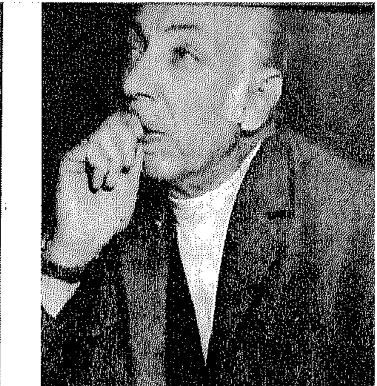
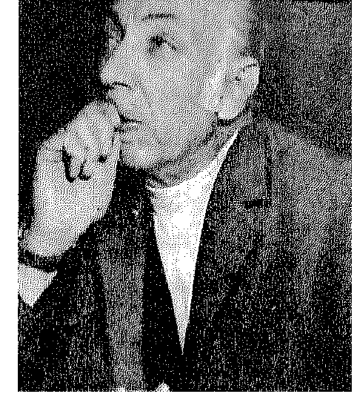
مما لا شك فيه ان السينما المصرية لها تاريخ حافل بالروائع التي كانت على مستوى عال جدا من الفنية والمهارة الفائقة ولكن لكل صناعة ظروفا تحيط بها فاما ان تسبب نجاحا او تسبب هبوطا وازمات

والأزمة التي تمر بها السينما المصرية الآن أزمة توافرت لها ظروف وعوامل يستطيع اى انسان ان يضع يده عليها..

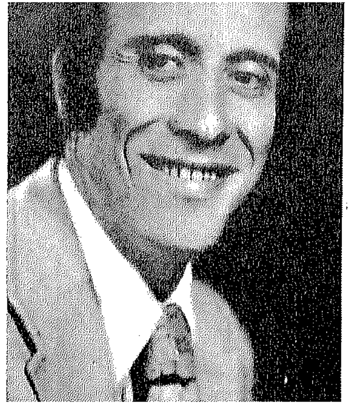
واهم تلك العوامل ان التأليف الروائي الصالح لعمل سينمائي ندر في السنوات الأخيرة بصورة ملحوظة ، وذلك له تأثيره على السينما المصرية ، حيث نجد صعوبة في اختيار القصة المناسبة التي تصلح لعمل سينمائي جيد وسط هذه الندرة .

والدليل على ذلك أن هناك محاولات تكررت للعودة الى انتاج القصص القديمة

ثم هناك عجز شديد في كتاب السيناريو ، مع ارتفاع خطير في تكاليف الانتاج مما يؤدى الى ان الفيلم المصري لا يغطى تكاليفه مهما وجد نجاحا جماهيريا وهو الأمر الذى جعل الانتاج تهبط نسبته بدرجة ملحوظة .

هنرى بركات



محمد راضى

منيب شافعى

ولكن القول بأن الفيلم المصرى يعرض بالدرجة الثانية فى الدول العربية قول فيه مبالغة وافتراء على الفيلم المصرى ، فالفيلم المصرى ، رغم هذه العقبات مازال يحافظ على كيانه فى جميع الدول • صحيح انه لم يصل الى العالمية خلال السنين الأخيرة ، ولكنها حالة طارئة وستزول بمعالجة الظواهر السابقة وترجع السينما المصرية الى عظمتها وازدهارها لانها تمتلك كل مقومات النجاح والازدهار ••

● المسئول الاول والأخير •• ●
المخرج محمد راضى

المسئول عن ازمة السينما المصرية هم السينمائيون انفسهم ، لانهم ينتجون افلاما رخيصة ومبتذلة ، وفئة قليلة منهم هى التى تأخذ السينما بجدية كمسئولية والتزام له دور فعال فى توجيه الجماهير

واننا نلاحظ ان نوعية الأفلام الجادة والهادفة فى السينما المصرية سواء تراجيدية أو كوميدية قليلة جدا ، بالقياس الى الكم الكبير الذى ينتج كل عام ، حيث انها لا تستطيع ان تشكل تيارا قويا يسهم فى خلق سينما مصرية قومية تستطيع ان تنافس السينما العالمية

وأنا أعتبر أن المخرج المصرى هو المسئول الأول والأخير عن فساد السينما المصرية من ناحية الكيف الذى يقدم فى الافلام ، ولابد ان يرفض جميع المخرجين الفنيين المختصين والذين لهم خبرة كبيرة بهذه الصناعة فى مصر ــ ان يرفضوا تماما تناول اى موضوعات رخيصة مبتذلة لانتاجها فى السينما المصرية •• ولابد أن يعرفوا أن الشعب المصرى مازال واعيا

وهناك دخلاء على الفن السينمائى يستغلون فن السينما لتحقيق ارباح مادية فقط غير مبالين بالأثر السيء الذى يتركه هذا الانتاج المبتذل فى نفوس الناس. علاوة على ان سوق الفيلم المصرى محدود بالدول العربية فهو سوق ضيق ، خاصة أن الظروف السياسية تتحكم فيه •

كذلك فان دور العرض لا تكفى فهناك نقص شديد فى عدد دور العرض الواجب توافرها داخل مصر لنشر الفيلم على مستوى جماهيرى كبير ، وبالتالى نجد الفيلم ينتظر سنوات لكى يعرض وهذا يعطل دورة رأس المال فى السينما •

اما بالنسبة للمعامل فهناك معمل واحد فقط يعمل بمدينة السينما واغلب الضغط عليه فلا يستطيع ان يغطى هذا الكم الكبير من الافلام التى تحمض وتطبع فيه ، وبذلك نجد نقصا شديدا فى الامكانات الموجودة للانتاج السينمائى بوجه عام •

● الفيلم المصرى اكثر نجاحا ●
المنتج جمال الليثى

ان السينما المصرية بخير ، لو حاولنا ان نضع ايدينا على ما يعترضها ويقف فى طريق نهوضها ، لأن بها كل وسائل النجاح والتفوق والذى يمر بها الآن موقف عارض لو حاولنا علاجه ستعود السينما المصرية الى التفوق والازدهار ••

والذى يهدد السينما عائق واحد ، وهو ضريبة الملاهى التى تشكل خطورة على صناعة السينما المصرية حيث تصل الى ٤٧٪ فى القاهرة وفى الاقاليم ٥٥٪ فتلك النسبة تمتص ايراد الفيلم وبالتالى لا تشجع على بناء دور عرض بل تؤدى الى غلق كثير من دور العرض مما يشكل ازمة فى الفيلم المصرى • وعلى هذا نجد المنتج لا يحصل على ايراد مجز حتى يواصل الانتاج ويرتفع به الى الأحسن لأننا مهما فعلنا فى السينما من اختيار القصة الجيدة ، ورصد كل ما يؤهلها لأن تكون فيلما جيدا فلن نصل الى نتيجة طالما ان الضريبة تمتص الايراد •

السينما المصرية في مواجهة المستقبل

ثم نلاحظ فى السبعينات ارتفاع تكاليف الانتاج نتيجة لارتفاع الاسعار العالمية . وهذا الارتفاع لم يقابله زيادةفى الايراد مما يؤدى الى عدم المغامرة براس المال فى الصرف على انتاج فيلم جيد

واسجل هنا ملحوظة كان لها تاثيرها فى رفع اجور الفنانين والفنيين وهى انه بعد حرب اكتوبر وانتصارنا العظيم انفرجت الازمة التى كانت تشد اعصاب الناس فزاد الاقبال على السينما وبهذا الرواج المؤقت انتج السينمائيون كثيرا من الافلام خلال فترة وجيزة ، ولكن بانتهاء تلك الظاهرة عاد الوضع كما كان من قلة الرواد على الفيلم المصرى .. وبالتالى ترتب عليه خسارة كبيرة للمنتج فقل الانتاج من ٨٠ فيلما فى العام الماضى الى ٢٠ فيلما هذا العام .

كذلك فان التأليف الروائى الصالح لأن يكون فيلما جيدا ، قد ضعف خلال السنوات الخمس الماضية ، فلم يظهر لاحسان عبد القدوس انتاج جديد خلال ثلاث سنوات مضت . اما نجيب محفوظ فقد ظهرت له ثلاث قصص اشتريت قصة واحدة وهى – قلب الليل – وممدوح الليثى اشترى « حضرة المحترم » ويوسف شاهين اخذ « الحرافيش » . اما موسى صبرى فكتب قصتين اخذهما حسن يوسف وهذا مؤشر لقلة التأليف الروائى فى السنين الماضية .

ورغم ذلك فانني من خلال عملي بالانتاج وخبرتي الطويلة في السينما اقول ان الفيلم المصرى اكثر نجاحا من الفيلم الاجنبي وهذا واضح مثل الكرنك ، ثرثرة فوق النيل ، افواه وارانب ، وراء الشمس

اما الافلام الاجنبية التي كان لها نجاح يذكر فهى اثنان او ثلاثة مثل العسكرى الأزرق ، والفك المفترس ، والزلزال.

ومن هذه الاحصائية نجد ان الفيلم الاجنبى لا يشكل نجاحا مرموقا على الرغم من ان الفيلم المصرى مع قلة الامكانات يخترق طريقه وسط هذه الصعوبات مثل « البؤساء » بطولة فريد شوقى واخراج عاطف سالم ، فقد عرض فى اكبر صالة عرض في بيروت وبلغت ايراداته ٢٥الفا من العملة المصرية فى اسبوعين وهو لم يعرض فى القاهرة حتى الآن ..

● يقول منيب شافعي
رئيس مجلس ادارة غرفة صناعة السينما

مما لا شك فيه ان السينما المصريةتمر بمرحلة خطرة حيث ان الظروف التى تحيط بها من كل جانب تؤدى بها الى طريق مسدود ، مما يجعل كل من يعمل بها من فنان ومخرج وفني وصاحب دور عرض – يشعر بالخطر الذى يلتف حول هذه المهنة

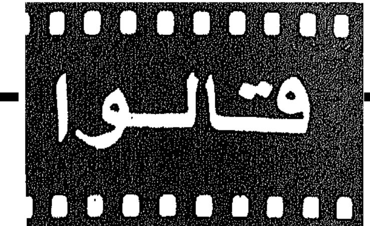
وابين هنا ان من اسباب هذا الخطر منافسة التليفزيون للسينما ، وذلك عامل اساسى فى تعطيل العمل فىالسينما حيث نجد انشغال الفنانين والفنيين فى العمل بالتليفزيون يؤدى بالتالى الىتعطيل كثير من الاعمال الجيدةالخاصة بالسينما .. ثم نجد الارتفاع الباهظ في اجور الفنانين والفنيين مع ارتفاع الاسعار الخاصة بالاعلانات والدعاية ، وعدم تناسق هذا الارتفاع فى الاسعار مع الأيرادات العائدة من الافلام التى تعرض ..

ونتيجة لذلك فان تكاليف الفيلم المصرى قد ارتفعت من اربعين الف جنيه الى مائة وعشرين الف جنيه .

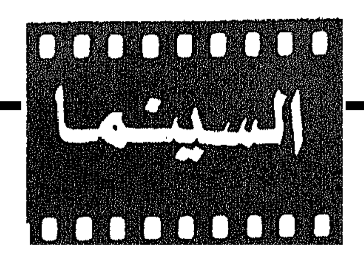
وهناك سبب آخر له خطره على السينما المصرية وهو ارتفاع ضريبة الملاهى على تذكرة السينما الى ٤٧٪ فى القاهرة و ٥٥٪ فى الريف وهذا يقلل من رواد السينما وبالتالى يكون له تأثيره الكبير على انخفاض الايرادات مما يؤدى الى اهمال فى الانتاج واهمال فى دور العرض .

واريد ان انبه هنا ان السيد وزير الثقافة ، انشأ لجنة لتطوير صناعة السينما مكونة من اقتصاديين وفنيين واداريين وتجمع القطاع العام والخاص العاملين فى هذا الحقل مع معظم المهتمين بصناعة السينما ، ونحن الآن فى انتظار قرارات هذه اللجنة لنعمل على تنفيذها بكل جدية من أجل تطوير السينما المصرية . ●

● تحقيق : عادل عبد الصمد ●



عن



* اهمية السينما تكمن فى انها الفن الأول فى العالم .

جان كوكتو

* السينما فن بلاستيكى .. لا علاقة له بالأدب .

احمد بدرخان

* عندما يتحول الفن السينمائى الى نوع من الخطابة ، يفقد مغزاه الأصيل .

صلاح ابو سيف

* معظم الاعمال التى صنعت تاريخ السينما اخذت من كتب لم تعرف طريقا الى الناشرين .

رينيه كلير

* المخرج هو الفنان الحقيقى فى السينما !

الناقد الانجليزى رسل تايلور

* اننى اطلق على هذا العصر الجديد للسينما ـ عصر ((السينما، القلم)) .

استروك

الناقد الفنى بمجلة الشاشة الفرنسية

* لا يمكن ان يكون الفيلم جيدا مالم تكن الكاميرا عينا فى رأس شاعر !

اورسون ويلز

* عندما ابدأ الفيلم ، اقف خلف شخصياتى ، ثم ادع الكاميرا تجرى وتلهث وراءهم !

روبرتو روسيلليني

* الممثل آلة دقيقة ، قد تحطمها بعض العبارات ، ولكنها قادرة على ان تعيد توازنها فى لحظة !

شارلى شابلن

* ليست وظيفة المخرج ان ينكش شعره ، او ان يخرج عيون الممثلين !

محمد كريم

* ان فن السينما ، يأمل ان يكون موضع تأملكم . انه يطالب بجزء من الكتابات العظيمة الكثيرة التى تتحدث عن كل شىء .. عدا السينما .

بيلا بلاش

* فى السينما ، يكمن الفن فى اثارة العواطف لافى رواية الاحداث!

ريكيوتو كالورو

* ان اسوأ انواع السينما ، يظل ـ رغم كل شىء ـ سينما ، اى يظل يثير المشاعر ولا يمكن تحديده .

شارل لانجلين

* السينما .. حلم !

سيشيل دار

* لا حلم يشبه حلم السينما !

بول فاليرى

حوار مع

مورافيا

● محمد سعيد ●

●● البرتو مورافيا ((٧١ سنة))اسم شهرة يطلق على الانسان الايطالى ((البرتوبتسكيرلى)) المولود فى روما ١٩٠٧ ٠

ومورافيا اليوم واحد من اشهر اعلام الرواية المعاصرة ، بل هو كذلك ومنذ بدا الكتابة فى عام ١٩٢٩ واثار ضجة عند نشر روايته ((اللامبالون)) التى كانت نقدا لاذعا للبرجوازية الايطالية عندما كانت ايطاليا مخنوقة بيد الرقابة الفاشية ...

● وبدا مورافيا بعد صراعة مع الفاشية وهو فى بداية رحلته الادبية يضع لنفسه اسلوبا يطرح فيه وجود الانسان من خلال شخصيات يهتم عند تقديمها بالتحليل النفسى ولهذا بدت كتاباته من اوضح ما يمكن فى تاريخ الرواية . وبجانب الوضوح كان يهتم بالمواقف الجديدة والمواقف التى اهتم بها لم تكن تضم جوانب غير عادية لكنها كانت تعطى الانعكاس الصريح لما يدور فى الحياة .. وهذا الأمر احد اسرار شعبية مورافيا المحلية والعالمية عن طريق اسلوب واضح ومحدد الغاية . واذا كان مورافيا يتباهى باعجابه باستاذه ديستويفسكى ، الا ان المشكلة التى تطرحها اعماله هو - مورافيا - تختلف عن ديستويفسكى فى الغموض ،فابطال مورافيا يختلفون عن ابطال ديستويفسكى الذين يهربون الى الغيبيات والمسائل الميتافيزيقية والفلسفية ، فى حين ان شخصيات مورافيا لامبالية تعيش بحثا عن وسيلة للخلاص .

قال لنا مورافيا انه يعتز بوضعه فى مكان المفكر وليس الفيلسوف ...

وقال لنا ان موضوعاته منذ ((اللامبالون)) هى الواقعية فى أوضاع غير معقولة تصيب الرجل صاحب المشاكل .. وضرب مثالا ببطل روايته ((الملل)) الذى يقول ان اللوحة التى يرسم عليها كانت خالية ، فالفتاة التى يحبها كانت تهرب منه ، ولهذا كان الواقع يهرب منه ، والفراغ يحيط به.

قلنا لمورافيا انت لا تعطى اية اجابات عن تساؤلات موضوعية فى رواياتك ..

وقلنا له تساؤلات كثيرة فى الأدب والفن والحياة، والحب ،والجنس، والسياسة والتاريخ .. وتحدث الينا طويلا ،وعلى مرات متقطعة خلال رحلته الاخيرة الى مصر حيث نزل ضيفا على مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث ..

● بدانا الحوار مع المفكر الايطالى البرتو مورافيا من خلال متابعة رأيه السياسى فى تطورات الصراع العربى الاسرائيلى ، وهو صاحب الرأى الداعى الى انشاء اتحاد فلسطينى يضم جميع المواطنين من عرب ويهود بلا تفريق حتى هذا الهدف سلمى ومعقول فى رأيه

ويلتفت الى مصير الجميع وهو عنصر بناء فى رأيه

قلنا له : ما رايك فى ابعـــاد الصراع العربى الاسرائيلى بعد اتفـــاق كامب ديفيد ؟

ـ ويرد مورافيا موضحا : ((كمـــا تعـرفون انا من انصار وطن يجمـع اليهود الاسرائيليين والمســــلمين والمسيحيين العرب فى وطن واحد((١)) وهذا هو الحل الوحيد للمشكلة ،وقد قلت مرارا وتكرارا انا اكره الحـرب واكره الارهاب، ومن حق الفلسطينيين ان يكون لهم ارض .. اتصور ان اتفاق كامب ديفيد خطـوة للأمام ارتاح اليهـا كثيراً .. لقد قدمت مصر الكثير للقضية العربية ومن حق المصريين ان يستمتعوا بالسلام، والذى اتمنى ان يكون شاملا)).

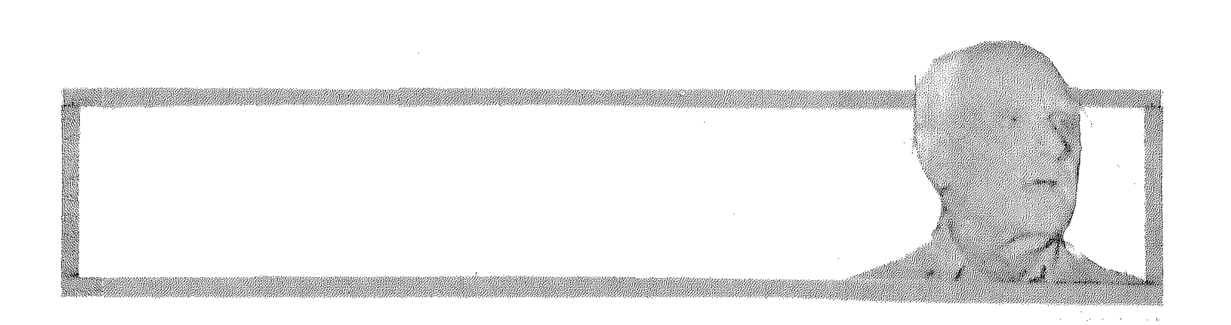
● معروف عنك ايضا من خـــلال كتاباتك الصحفية كراهتك للتعصـــب والتحيز لوجهة نظر دون اخرى ... كيف ترى مستقبل العلاقات فى المنطقة العربية مستقبلا ؟

ـ يجب الا ننـــسى ان الامر ليس دائما امر تعصب .. التعصب الحقيقى لا يمكن تحمله .. التعصـــــب يعنى الشعور بالنقص ، واظن ان التعصب هو شكل من اشكال الانحطـاط الدينى ، لأن الاديان ليست متعصبة فى اساسها، وهذا واضح فى المسيحية وفى الاسلام على السواء ، وانى اذكر ما كتب عـن ان الفتوحات الاسلامية فى شمالى افريقيا كانت مطبوعة باشكال التســــامح

(١) يلاحظ ان هذا هو راى زعماء الفلسطينيين جميعا



البرتومورافيا .. شارك فى مهرجان القاهرة الثالث الذى انعقد فى اكتـــوبر الماضى .. ناقش العديد من قضايا الساعة فى السياسة والادب والفن والمـــرأة



والفروسية وبنوع من المشـــاعر الحضارية . ولذلك فقد حمـل العرب التقدم الى كثير من المناطق ..
والتعصـــب لابد من ادانته فى جميع الاحـوال ، واذا ابتعدت الاطـراف عن مسالة التعصب فالامور ستكون مشرقة

● لاحظنا اثناء حديثنا مع مورافيا انه يدون اجاباته أثناء الكلام على الآلة الكاتبة ، فسألناه : هـل تدون كتاباتك على الماكينة ام من خلال الكتابة اليدوية وهل هناك فارق لاحظته عن نتيجة ما تكتب ؟

ـ فى الماضى كنت اكتب كل رواياتي ومقالاتي الصـحفية على الآلة الكاتبة والآن اكتب باليد ، لأن الآلة الكـاتبة تصيبنى بالعصبية، وهناك بالطبع فارق بين الكتابة اليدوية والكتـابة على الآلة الكاتبة لأنها مختلفة ، والافكار تتغير والاقرب الى التعبير عن الراى الكتابة باليد .

● لك شـعبية ضـخمة فى العالم العربى لا تقل عن شـعبيتك فى ايطاليا واوربا وامريكا .. هل تفسر أسـباب كل هذا الحب ؟

ـ .. أنا اقول رايى بوضـــوح واحرص على تعميق الموضوع مع عدم الاخلال بشروط الوضوح .. الكتابة عندى موهبة منحها اللـــه لى .. ولا أخفى عليكم اننى حينما دخلت دائرة النشر كنت رجلا بسطا متواضـعا ، ولهذا فانا قريب من كل الناس .

وانا اقرا كثيرا ، وهـذا يقربنى من افكار الناس فى تجمعاتهم المختلفة .. اقرا ثلاث ساعات بعد الظهر فى كل يوم فانا اعيش فى مدينة فينيسيا والحياة فيها تشجعنى على القراءة المتنوعة .

● كتب ودراســات مورافيا ، هل يوجد من بينها كتب تفضلها عن أخرى كتبتها ؟

ـ .. بالطبع هناك كتـب احسـن وكتب اقل .. مثلا هناك كتاب نشرته عام ١٩٣٥ وهو ((الطموح الخطا)) لا احبه ، وحبى له أقل من حبى لأى كتاب اخر نشرته .. هذا الكتاب كلفنى كثيرا لكى اقدمه ، واخذ منى مجهـودا كبيرا وانا اكره التعب لأن الكتابة عندى عملية سهلة .

● مورافيا يجيد الفرنســـية والانجليزية بجانب لغته الوطنيـــة الايطالية ، وهو يكتب بالفرنســية والايطـــالية ـ فهل تتساوى قدراتك الكتابية الابداعية فى اللغتين ؟ .

ـ اول كتبى ((اللامبـالون)) نشرته باللغة الفرنسية لأننى منذ طفـولتي اتكلم الفرنسية ، فانا انتمى لعـــائلة برجوازية كانت تحـــرص على تعليم أولادها الفرنسية ، وهي لغة هـــامة بجانب الانجليزية والالمانيـــة اللتين أجيدهما مع الايطالية ، ولو ســـمح الوقت لتعلمت اللغة العربية .

● اتجهت مؤخرا الى كتابة المعالجة السينمائية لبعض الافلام التسجيلية فى السينما والتليفزيون ... هل يشكل هذا مجالا جديدا بالنسبة لمورافيا ؟

ـ بالفعل وضعت سيناريو فيـــلم ((البترول والحياة الجديدة)) مـــن اخراج برتشيلونى ، والفيلم يدور حول التغيير الكبير الذى حدث فى الجزيرة العربية والخليج العربى بسبب ظهور البترول .

● بعد خمسين عاما من ممارستك الكتابة .. هـل تغيرت شـــخصيات رواياتك ؟.

ـ .. شخصياتي لا تتغير ، فانا نمطي ، والتغيير ضئيل .. فقط هناك تغيير من الناحية السيكولوجية ، والكاتب عادة يدور حول موضوعين او ثلاثة في نشاطه الكتابي .. في حياتي تحركني افكار ثلاثة هي :

١ ـ التمرد .

٢ ـ العلاقة بين الانسان والحياة اليومية ـ وهذا واضح في كتابي ((الملل)) .

٣ ـ الجنس .

فانا في افكاري فرويد وماركس مندمجان معا . وفكري ينتمي الى مدرسة التغيير .

● **في كتاباتك تثير مسائل مفتوحة لا تضع لها ردودا ؟**

ـ لا . ليست هناك ردود .. لايوجد سؤال للاجابة عن معنى الحياة .. لماذا الحياة ؟ ولماذا الموت ؟ .. تساؤلات ميتافيزيقية يصعب الاجابة عنها !

وموهبة الكاتب أن يعرض الحياة مع كل تناقضاتها ولا يعطي أي رد على اسئلة الحياة .

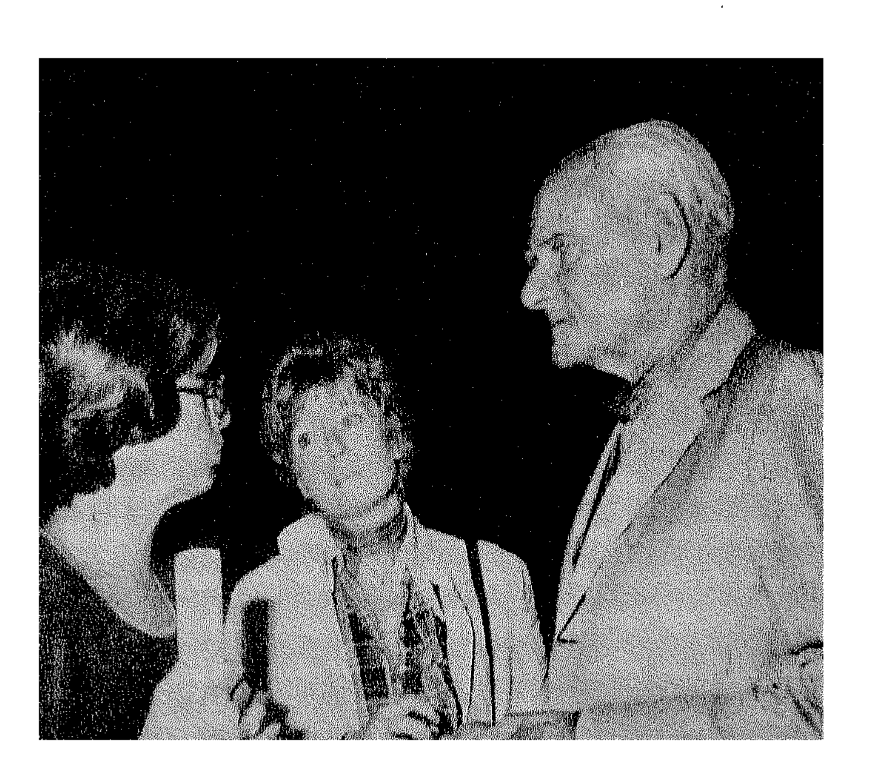
انا لست كاتبا فلسفيا .. وهناك من يكتبون في الفلسفة ولكنهم ليسوا كتابا !

● **نقاد ادبك يجمعون على ان الجنس موضوع يطغى على جميع اعمالك . وانه الرابطة الاساسية التي تربط بين الانسان والانسان في اعمالك .. كيف تتعامل مع هذا المفهوم ؟**

ـ يرد البرتو مورافيا متجها الى زوجته المخرجة ((داتشا مارينى)) بنظراته قائلا : الجنس أمر حيوي في حياتنا ، ولهذا كتبت كتابا غريبا جدا هو ((انا وهو)) هو عبارة عن العلاقة بين الرجل وجنسه . كنت اود أن اكتب كتابا عن الرجل المنفصل بدلا من كتابتي لهذا الكتاب الغريب . نويت أن آخذ حالة شاذة لدراستها ولكني اكتشفت ان الجنس هو الانقسام بين الرجل وجنسه . فالجنس لا يتبع ارادة الرجل ، ولكنه امر تلقائي احيانا لا يضيع الامر واحيانا يضيع هذا الامر . ومن هذا المنطلق وضعت فكرتي في الكتاب .

● **بماذا يختلف مورافيا عن جان بول سارتر .. وهل تصنف نفسك ضمن الكتاب الوجوديين ؟**

ـ .. أنا أميل الى هذا اللون من الكتابات ، واعتبر الروائي الروسي ديستويفسكي من رواد الكتاب الوجوديين .. وانا اعتبر ديستويفسكي الكاتب الروسي العظيم استاذا لي فقد قرأت وانا في الحادية عشرة كتابه ((**الجريمة والعقاب**)) ، وبعد عامين قرأت ((**المعتوه**)) ثم تابعت باقي



الاديب والروائي البرتو مورافيا في حديث مع ماري غضبان اثناء مهرجان القاهرة السينمائي ..

مؤلفاته، ولقد اشعرني فياول ماقرات له بقدرته الفذة علي توضيح ما يريد قوله ببساطة غير معقدة ، فهو ينظر الى لب ما يراه مباشرة ويعرف كيف يفسر شعوره ، وكان كتابى الاول ((اللامبالون)) يسير على نفس المنهج ... ان عظمةديستويفسكى ونظرتهالحديثة فى الادب هما سر قدرته الخلاقة على كشف مداركنا غير الواعية وما يعتمل فى اغوار نفوس الآخرين .

● اتجهت المناقشة الى المراة فى حياة مورافيا . ومن المعروف أنزوجة مورافيا السابقة ((الزا مورافى)) اديبة ايطاليةمعروفة وزوجته الحالية صحفية تعمل فى الاخراج السينمائى . سالنا مورافيا عن دور الزوجة فى حياة المفكر والأديب ؟.

ـ ظهرت ملامح مورافيا فى صورة اكثر حدة ، وقال : حياتى الخاصة امتنع عن التحدث فيها لعدة اسباب منها خطورة نشرها فى الصحافة ، وثانيا لأن الحياة الخاصة هى بطبيعتها خاصة بصاحبها .

ولكننى لا أجد ما يمنع من القول بان تاثير زوجتى السابقة الزا وزوجتى الحالية داتشا مارينى تاثير من طراز غير محسوس ، ومن العسير دائما ان يشرح الانسان حقيقة شعوره الانسانى بالنسبةالى نفسه اوبالنسبة للاخرين، ولكنى كمفكر واديب استطيع ادراك المؤثرات وحدها ، واجد نفسى فيما اكتب واضحا وسهل الفهم ، وليس من الحكمة ان ندخل الناس فى متاهات وملابسات خاصة جدا ، بل يجب ان نرتفع بهم الى مستوى الفكرة فىالادب والفن وليس فىتناول الأمور الخاصة، عموما المراة لها فى افكارى تاثير واضح من حيث نمو وتطور تفكيرى وأيضا فى ايجاد التوازن النفسانى لاسمادى .

● الى اى مدى حققت نجمات الشاشة الانسجام مع بطلات رواياتك التى قدمتها السينما فى افلام ناجحة؟.

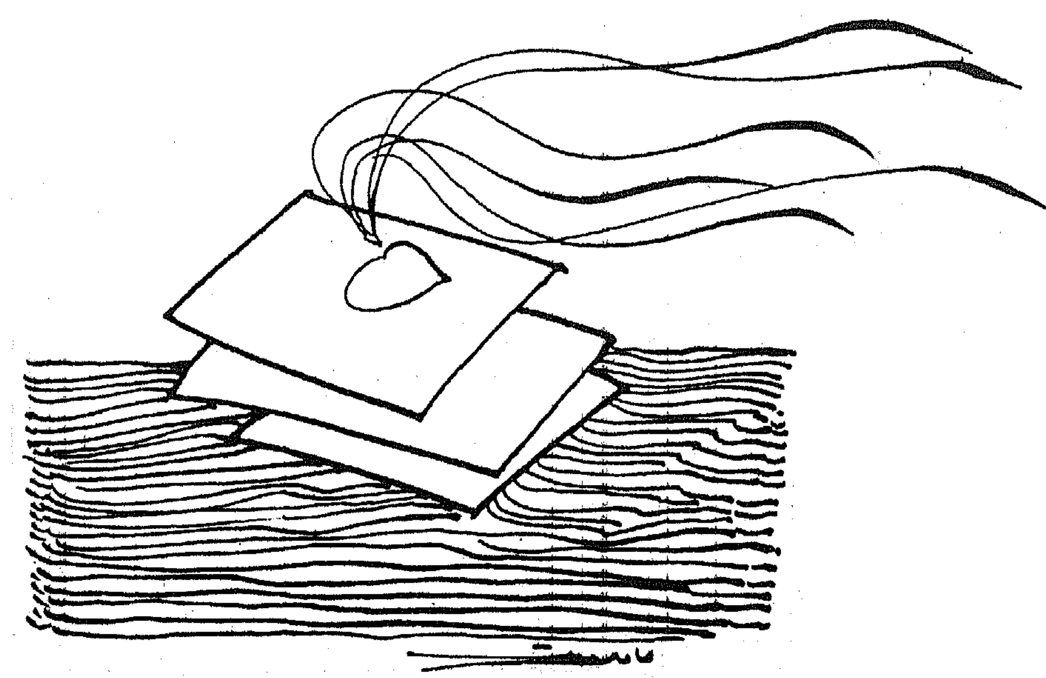
ـ اخرجت السينما ١٥ رواية من رواياتى ، وابرز من قمن ببطولات هذه الافلام : جينا لولو بريجيدا ((حسناء روما)) ـ صوفيا لورين ((فلاحة روما)) بريجيت باردو ، فى فيلم ((الاحتقار)) ـ كاترين سباك ، فى ((الملل)) .

ولقد احرزت جينا لولو بريجيدا نجاحا كبيرا فى تمثيل رواياتى ، لانها كثيرة الشبه بلوحة ((فورنارينا)) للمصور رافاييلو ، وكثيرا ما كنت اتذكر هذه اللوحة وانا اكتب رواية ((فتاة من روما)) التى مثلتها جينا لولو فى السينما ، وكل من جينا وفورنارينا تنحدر من ضواحى نابولى اى منطقة ((شوشاريا)) التى تشتهر نساؤها بضياء العيون البراقةوسعتها واستطاع رافاييلو ان يغرس فى نفوسنا حب فورنارينا فى صورة نموذجية .

● هل حققت مسرحياتك نفس النجاح الذى حققته رواياتك خاصة بعد أن اعطت السينما رواياتك كل هذا الانتشار والذيوع ؟.

ـ لقد كتبت للمسرح اعمالا عديدة، أذكر منها هذه المسرحيات على سبيل المثال : ((العالم هو ما هو كائن)) فى عام ١٩٦٦ ((الاله كورت)) عام ١٩٦٨ـ ((الحوار)) عام ١٩٦٨ ((الحياة لعبة)) عام ١٩٦٩ ـ لكنى ارىان المسرحعموما ينهار، والسبب فىهذا يعود الىانهيار النص أو بالأحرى انهيار الكلمة ، الطريقة الوحيدة لاحياء المسرح هى اعادة تقييم اهمية الكلمة .

والمسرح اليوم له نفس ظروف السينما عندما كان الاخراج هو كل شيء ، بينما الكلمة لها دور سطحى فقط ، غير ان السينما تتكلم عبر صور فى حين ان المسرح يتكلم فقط بالكلمة . ●



أقرأتُ عينيك الهوى

إن كنتَ لا تدري .. فحسبي أنني أهـواكَ
يا أخضرَ العينين ! .. جنّاتُ الهوَى عينـاك
أقرأتُ عينيك الهوَى وهمستُ : ما أحلاك !
أتُراكَ لم تقرأ بعينيَّ الهوى ؟! .. أتُراكَ ؟!

***

حسْبى من الحب الخَبيءِ ـ ولا تلُمْ ـ رؤياك
وتبتلى .. وتزلّفى .. وتقربى .. ورضاكَ
أنا فى رحابك .. نَشْوة موصُولة بسنـاك
فإذا رأيت .. فأنت أنت ـ ولا أرى .. إلاّك
حسْبى من الحب الخبىءِ .. أعيشُ تحت سماك!

***

حتّامَ .. يمضى بى الحنينُ .. ولا أجيءُ حِماك
وبزورقى ظمأُ الحياةِ .. وكأسه مرْسـاك
ماضرَّ لو جُنَّ الهوى ، وترفّقتْ شفتاك ؟!

***

أقرأتُ عينيكَ الغرامَ ولم أبُحْ بهـواكَ
أخشى .. إذا أعلنتُ حبّى .. أن تردَّ فتاك !
وتغلّقَ الأبوابَ من دونى .. فلا ألقـاكَ
حاشاكَ يا حلوَ الجنَى ـ أن تزرعَ الأشواك!!

● سالم حقى ●

الفارس يجرى بدلاً من الفرس

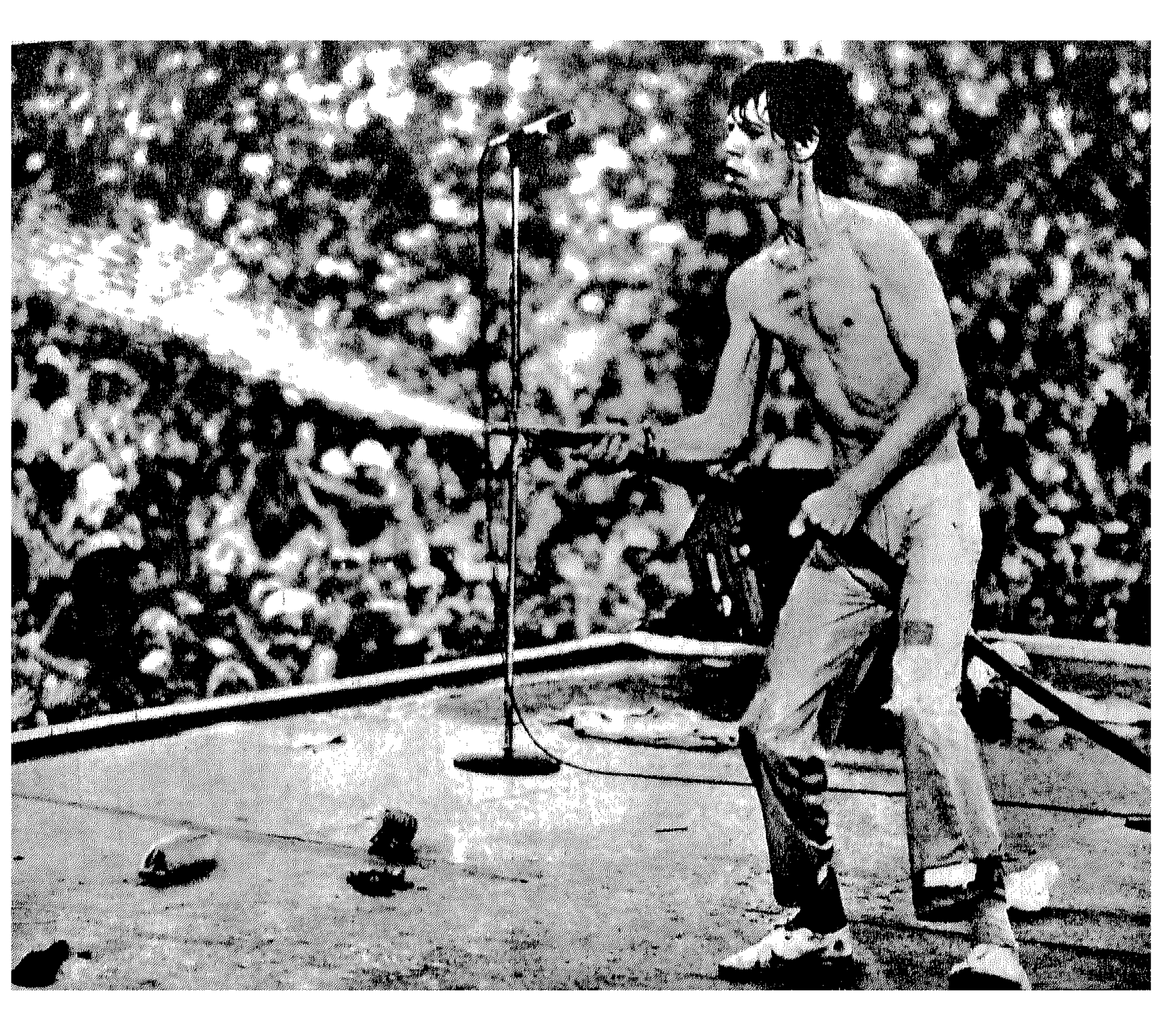
●● قرب نهاية شوط السباق فى حلبة شانتيبى لسباق الخيل فى باريس سقط الفارس ر. ج. بنتلى عن فرسته لونا بونيتا ، ولم يكن قد بقى على الهدف الا خطوة ، فنهض الفارس مسرعا وخطاها . خط الهدف فى الصورة يبين بخط ابيض . ظن الفارس انه بذلك كسب السباق ، لان المهم فى رايه الفارس لا الفرس ، ولكن لجنة التحكيم خالفته فى الراى وقالت : هذا سباق خيل لا سباق بشر ، وكونك دخلت سابقا لا يعنى كسب السباق ●●





الرياضة على أصولها

●● يقولون ان الرياضة تربية خلقية وان هدفها تنمية روح الصراع والكفاح على قواعد الذوق والانسانية وما يسمى بالندية ، ولهذا يحرمون اللعب الخشن ويصرون على التزام قواعد اللعبة ٠ والصورة التى ننشرها هنا اخذت فى مباراة كرة قدم دولية بين فريقين من الفرق العالمية ، وانت ترى فيها مدى احترام اللاعبين لقواعد اللعبة ، ومدى تقديرهم للانسانية والبعد عن الخشونة وتقديرهم لروح الود والتنافس الكريم ●●



المغنى يرش جمهوره بالماء ليخفف حرارة الحماس

●● ميك جاجر يعتبر اليوم رئيس اكبر فرقة غناء في العالم اليوم · انها فرقة الرولنج ستونز الامريكية التي تقدم أكثر اغاني الجاز والرقص شيوعا في العالم ، واسطواناتها وكاسيتاتها تباع بالملايين ···

ولكن ميك جاجر نفسه رجل غير محبوب ، انه سكير ومتهم بادمان المخدرات ، وفرقته تقيم حفلات خاصة لا احتشام فيها ولا اخلاق · ومع هذه الفرقة هربت مارجريت ترودو زوجة بيير ترودو رئيس وزراء كندا فضيعت بذلك حياتها ···

هذا الرجل يلجأ الى اغرب الاساليب واكثرها جنونا لاثارة الجمهور العريض الذى يحضر حفلاته ، انه مع فرقته يقدمون اغانيهم فى قاعة تسع عشرة آلاف شخص ··· فى هذه القاعة يشتد الحماس والصراخ وخاصة من جانب الفتيات المهووسات بهذا الطراز من الموسيقى · وقد لجأ ميك جاجر الى اسلوب عجيب فى تهدئة اعصاب جمهوره · أتى بخرطوم ماء ومضى يرش الجمهور ·· وقبل الناس منه ذلك واعجبوا به ··

وكان هناك ناقد معاد لميك جاجر مازال يوجه اليه اعنف النقد حتى قال عنه انه برميل من الشحم والقذارة ··· وفى ذات مرة قرر جاجر أن « يغرق » الناقد بالماء اذا رآه فى القاعة ، ورآه واغرقه ·· ولكن تبين للاسف انه لم يغرق الناقد بل شخصا آخر يشبهه من بعيد ●●

لم يغفروا لها قط زواجها من زنجي

●● سامي ديفيز ، مغني ومهرج امريكي أسود يهودي · ربما كان الاسود اليهودي الوحيد في التاريخ ···

وبالاضافة الى ذلك فان سامي ديفيز قبيح جدا ، فان وجهه يشبه وجه الشيطان ، وهو صغير قميء ، ولكنه مهرج قدير ، وترجع شهرته الى انه صديق لفرانك سيناترا المغني المشهور ·

وعندما وفدت الممثلة السويدية الجميلة بريت ايكلاند على الولايات المتحدة تطلب العمل من نحو خمسة عشر عاما عرفت سامي ديفيز ، وفكرت في أن تتزوجه لتجذب الانظار نحو نفسها ، وبالفعل كان لزواج بريت ايكلاند من هذا المسخ ضجة بالغة في امريكا ···

ولكن الامريكيين رغم كل شيء لم يغفروا للبيضاء الشقراء زواجها من زنجي مهما كان قدره ···

بعد عقد لمدة سنة او سنتين توقف اصحاب الملاهي عن الاتفاق معها ، فضاعت وضاعت وجاعت ·· ثم اختلفت مع زوجها فطلقته ، ولم يبق لها الا البيت الذي اشترته في قرية سكايلاند في ولاية نيفادا الامريكية على شاطيء بحيرة تاهو ··· وهناك عاشت مع ولديها من زوجها السابق ···

ولكي تعيش عملت في موتيل ، ثم اشترت موتيلا آخر صغيرا تخدم فيه وحيدة كل عملائه ···

وهذه نتيجة زواجها من ذلك القبيح ●●

فيم يفكر العبقري السمين

●● الى جوار بيته الصغير في سان موريتز في سويسرا جلس الفريد هيتشكوك ، ذلك الرجل السمين الظريف الذي حول قصص الجريمة الى قصص فكاهية ··· جلس يفكر في « جريمة » جديدة يخرج منها فكاهة يطرب لها الناس !··

هيتشكوك اليوم في نهاية السبعينات ، وهو على عهده دائما رجل لطيف طروب بسيط غير متكلف · انه يتقاضى عن اخراج الرواية الواحدة مليونين من الدولارات خالصة من الضرائب ، وهذا شرطه ، وهو يقول انه حدد هذا الاجر ليرتاح من تزاحم الناس عليه لا طمعا في المال ●●





حفيدة بسمارك والندل

●● الندل باللغة المجمعية هو خادم المقهى او ما نسميه عادة بالجرسون ونناديه بلقب ريس ·

وقد اعجبت الكونتيسة جوميلا فون بسمارك حفيدة المستشار الالماني الاشهر بسمارك بندل اسباني لقيته في فندق في مدينة ماربيا الاسبانية ، فاعطته مالا استاجر به مكانا واسعا جعل منه مقهى للطبقات الارستقراطية ، ثم تزوجته بعد ذلك على انه رجل اعمال ·

ونما الخبر الى صحيفة المانية فاذاعته ،وبينت كيف اشترت الكونتيسة بمالها الزوج والمقهى وكل شيء ··· وردت الاميرة على الدعوى بانكار انها دفعت شيئا من مالها لهذا الرجل ، وانما هو اشترى المحل واشترى كل شيء من ماله ، لانه ليس ندلا وانما هو حقيقة رجل اعمال ···

وكانت حفيدة بسمارك قد اخذت منه ايصالات بكل ما اعطته واعتبرتها ديونا واجبة السداد عندما تشاء ، الا في حالة ما اذا اضطرت الى الانفصال عنه ···

وما كاد الندل يقرأ ردها حتى اعلن اليها انه يريد الانفصال عنها ، وانه غير مدين لها بشيء ، فاخرجت الايصالات فاطلعها على الصحيفة وما قالته فيها · وقال لها ان تصريحاتها تؤكد بطلان الايصالات ، واستشارت المحامي فقال لها ان الندل على حق ···

وهكذا خسرت الكونتيسة المال والندل والحب ●●

ذكرى مؤلف مسرحي كبير



● اماني فريد ●

● اتيح لي اثناء زيارتي الأخيرة لبرلين ان اشاهد مسرحية « الأم شجاعة » للكاتب المسرحي الالماني « برتولت بريخت » على المسرح المسمى باسمه في العاصمة الالمانية .. ويعتبر بريخت علامة من العلامات المميزة في الحياة الادبية في المانيا وخارجها من دول اخرى ، فالكثير من اشعاره تؤرخ للأحداث التاريخية وتنتقدها كما تنتقد سلوك الافراد وتصرفاتهم في المجتمع، وتدعو الى تطوير البناء الاجتماعي للدول وتغييره ، مبديا في ذلك وجهة نظره في أسلوب انتقادي خلاق

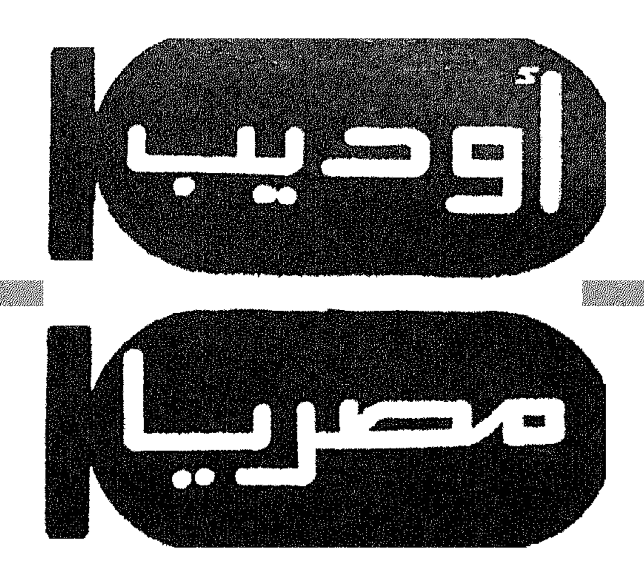
ولد بريخت منذ ثمانين عاما في عام ١٨٩٨ وتوفي في اغسطس عام ١٩٥٦ وقدم عدة أعمال ناجحة ظهر معظمها على المسرح في أواخر الاربعينات وفي الخمسينات أثناء حياته ، منها « دائرة الطباشير القوقازية » ، و « حياة جاليليو » و « الأم شجاعة وأبناؤها »

وفي مسرحية « الام شجاعة » التي عرضت بمناسبة ذكرى مولده — تجرى الأحداث في القرن السابع عشر أثناء حرب الوردتين ، وتبدأ بتعريفنا بالأم « أنافيرلنج » وولديها « ايليف » الأكبر و « سويس تشيز » الأصغر ثم ابنتها الخرساء . الأم تعيش مع أبنائها في عربة من العربات المغطاة التي كانت منتشرة في أوروبا في ذلك الوقت وتتخذها في نفس الوقت متجرا تبيع فيه الأطعمة والمشروبات وبعض البضائع وتسير خلف الجيوش الزاحفة في الحرب ، وهي بجميع تصرفاتها تتسم بقوة الشخصية — والابن الاكبر يشبه أمه في قوة شخصيتها الى جانب ان له أسلوبه في التكسب ، فهو لا يتورع عن اقتراف اى سرقة أو قتل في سبيل العيش ، وهو يقترف هذه الجرائم بغير مبالاة او اهتمام — ولقد جند في الحرب فكانت امه تسير بعربتها خلف الكتائب التي جند فيها ، وقام بقتل احد جنود الاعداء فكافأه الجيش على ذلك وأعلنت فترة هدنة قصيرة قام أثناءها بقتل أحد الاشخاص البخلاء في مشادة بينهما فقدم للمحاكمة حيث حكم عليه بالاعدام .

وتستمر المسرحية بقيام الحرب مرة اخرى وميدانها الاراضي البولندية وغيرها مما كان يحكمها الامبراطور فردريك الأكبر .

وكان الابن الثاني للأم وهو «سويس تشيز » يختلف عن أخيه ، فهو من النوع الرومانسي الحالم ، ولقد اكتشف أن أحدهم سرق من الجيش صندوقا به أشياء قيمة واخفاها في مكان ما ، واستطاع هو ان يعثر على الصندوق ، ولكن الجيش اكتشف وجود الصندوق مع « سويس تشيز » فحكموا عليه بالاعدام أيضا ، ولما سئلت الأم عن جثة ابنها انكرت معرفتها به حتى لا تعاقب ايضا ، واستمرت تسير وراء الجنود وهي تغني وتبكي ابنها القتيل ، ولم تكن تعرف ايضا خبر اعدام ابنها الأكبر .

لقد فقدت ولديها الاثنين . كلاهما قتله الجيش السويدي **.. كما أن من الاحداث المؤثرة فيها ، ان الأم اسرت في فترة من الفترات مع ابنتها واحد ابنائها وسحبت العربة منهم ، فقدمت صديقة لهم نفسها للجنرال حتى يفرج عن الام وابنائها وعربتها .. مشهد مؤثر يدل على منتهى التعاطف والتفاني بين الأم البطلة ومن كانت تربطها بهم أواصر صداقة ، فالأم رغم مظاهر القسوة البادية عليها ، كانت تحمل بين جنبيها قلبا طيبا وكانت لها لحظات تدل على الرقة ودماثة الخلق ..**



● يوسف الشارونى ●

● من الشـــائع ان اوديب ولد فى الاساطير والملاحم الاغريقية ثم شب على ايدى اعظم شـــعراء الاغريق التراجيديين ايسخيلوس وسوفوكليس ويوروبيدس ، ومنهم استوحى كثـــير من الادباء ــ بل والعلماء ــ فى شتى لغات العالم هذه الشخصية المثـــيرة ليضيفوا اليها ويحذفوا منها بما يلائم اذواقهم وذوق عصرهم ، وان احتفظوا بجوهر مأساتها الذى حفظهـــا من الضياع وضمن لهـــا البقاء ما بقيت النفس البشرية باهـــوائها المحـــرمة ونزعاتهـــا المكبوتة ، لا تكاد تعلن عـــن نفسها الا فى مثل هذه الاعمال الفنية الخالدة لأنها تضرب بجـــذورها فى الطبقات الجيولوجية السحيقة للنفس البشرية ..

● ولعل أقدم اشارة لأسطورة اوديب ترد فى النشيد الحادى عشر فى ملحمـــة الأوديســـة لهـــوميروس ، والتى يرجح أنهـــا دونت فى أوائل القـــرن الســـابع قبل الميلاد . ومن المعروف ان هـــــذه الملحمة تصف يوليسيس بعد سقوط طروادة التى اشترك فى حصارها وهو فى طريق عودته الى زوجته الجميـــلة بنيلوب ، وكيف ضـــل فـــى البحـــر اربعين عاما تعرض فيها لمجموعة مـــن المغريات والعقبات لتحول بينه وبين مواصلة رحلته . وقد قام هذا الهائم على وجهه بزيارة هاديس « العـــالم الآخر » حيث التقى هناك بروح امه فحدثها عن أم أوديب التعسة قائلا : ثم قابلت أم أوديب ابيكاستى الجميلة، انها فى جهلها ارتكبت اثم الزواج بابنها .. فقد قتل أوديب اباه أولا ثم اتخذ أمه زوجة له ، لكن سرعان ماأظهرت الآلهة الحقيقة ، اما أوديب فقد أعدوا له عقابا قاسيا ، تركوه يعانى عـذاب الندم وهو ملك على الكديين فى ثيبا التى احبها ، اما ابيكاستى فقد اذهلها



اوديب استوحى من اسطورته كثير من
الادباء والمفكرين فى شتى لغات العالم

لجزع من فعلتها ، فشنقت نفسها بحبل طويل علقته فى عارضة فى أعلى السقف ، وهكذا هبطت الى قاعات « هاديس » حارس البوابات الجبارة، تاركة أوديب يعانى آلام اللعنات التى تستطيع أم ان تستنزلها عليه »

غيران ايمانويل فليكوفسكى يتساءل فى كتابه « أوديب واخناتون » عما اذا كان لأصل الاسطورة جذور تمتد فى وقائع التاريخ ام لا ؟ - «ايمانويل فليكوفسكى ، أوديب واخناتون ، ترجمة فاروق فريد ، دار الكاتب المصرى ، د. ت. ص ١٣ » .

وقد انتهى فليكوفسكى الى ان قصة اوديب مع ام الهول فى طيبة اليونانية ليست الا قصة الفرعون المصرى اخناتون وان طيبة ليست الا طيبة مصر وام الهول ليست الا ابا الهول مصر .

فاوديب اذن مصري المولد وان كان قد اصبح اغريقي النشاة .

ويعلن فليكوفسكى فى بداية دراسته ان كثيرا من الأساطير ماهى الاابتكارات تنطبق على نماذج اولية ، ويشتمل هذا النموذج الأولى على ظروف تنطبق على ظروف مولد اوديب . فتكون ظروف الحمل فيه غير عادية ، وعندمولده تبدأ شتى المحاولات للقضاء عليه ، وعادة ما يبذلها ابوه او جده لأمه او الحاكم الأعلى للمملكة . ولكن تنجح خطة تهريبه ويقوم بتربيته ابوان آخران فى بلدة بعيدة ولا نسمع شيئا عن طفولته ، ولكن ماان يبلغ الرجولة حتى يعود او يذهب الى ما ستكون مملكته مستقبلا ، وبعدان يحرز انتصارا على ملك او عملاق او الاثنين معا ، يتزوج اميرة عادة ما تكون ابنة من سلفه على العرش ، ثم يصبح ملكا

يستمر حكمه لفترة طويلة بلا كوارث، ويشرع القوانين ، ولكن بعد هــذا يفقد صلته الطيبة بالآلهة أو برعاياه أو بالاثنين معا ، فيستبعد عـن العرش ويبعد عن المدينة ، ثم يموت بعد ذلك موتا غامضا ، وعادة فوق قمة تل ، اما ابناؤه ان وجدوا فلايخلفونه علـى العرش ولا يدفن جسده ، ومع هــذا تقــام له مقبرة مقدســة او اكثر ـ ((المرجع السابق ص ١٩ ــ ٢٠)) .

ثم يجعل فليكوفسكى ابا الهول اول الخيط ، فيعلن ان هذا المخلوق الذى حرس طيبة فى اقليم بيوتيا ليس من المخلوقات المالوفة لليونان ، فارض هذا المخلوق الاصلية مصر ، وابو الهول له وجه انسان وجسد حيــوان . ولئن اطلق على ابى الهول الجيزة اثناء حكم الأسرة الثامنــة عشرة حورس حامى المدفــن ، فقد كانت حاتحور هى التشخيص الانثوى لحورس واســمها معناه ((بنت حورس)) .

ويرى عالم المصريات ادوارد نافى ان ام الهول ما هى الا صورة الالهــة حاتحور وهى متاهبة للقتل بينمــا يعتقد آخرون ان ابا الهول الانثــوى قد ظهر بصورة مفاجئة فى اثنــاء حكم امنحوتب الثالث وزوجته الملكة تى بالتقريب .

***

ويصف الاستاذ أ. دسبين تحــول شــكل ابى الهــول فى أيام امنحوتب الثالث وزوجته تى . ففى الازمنــة السالفة كان العاهل الحاكم يصــور فى هيئة ابى الهول بين الحين والحين . غير انه لم يكن امنحوتب الثالث هــو الذى يصور فى هيئــة ابى الهــول بل عادة ما كانت زوجته «تى» لقد نحتت الملكة حتشبسوت تماثيل لنفسها وهى فى هيئة ابى الهــول له لحية تتــدلى من ذقنه تمشيا مع العادة القديمة فى تصوير ابى الهول ، وله وجه رجل ، ولكن أبا الهول الملكة « تى » قد نحت له وجه امراة ، بل والاغرب من ذلك ثديا المراة لجسم الأسد فى ابى الهول ولها اجنحة وهى تمزق ضحيتهــا او تخنقها .

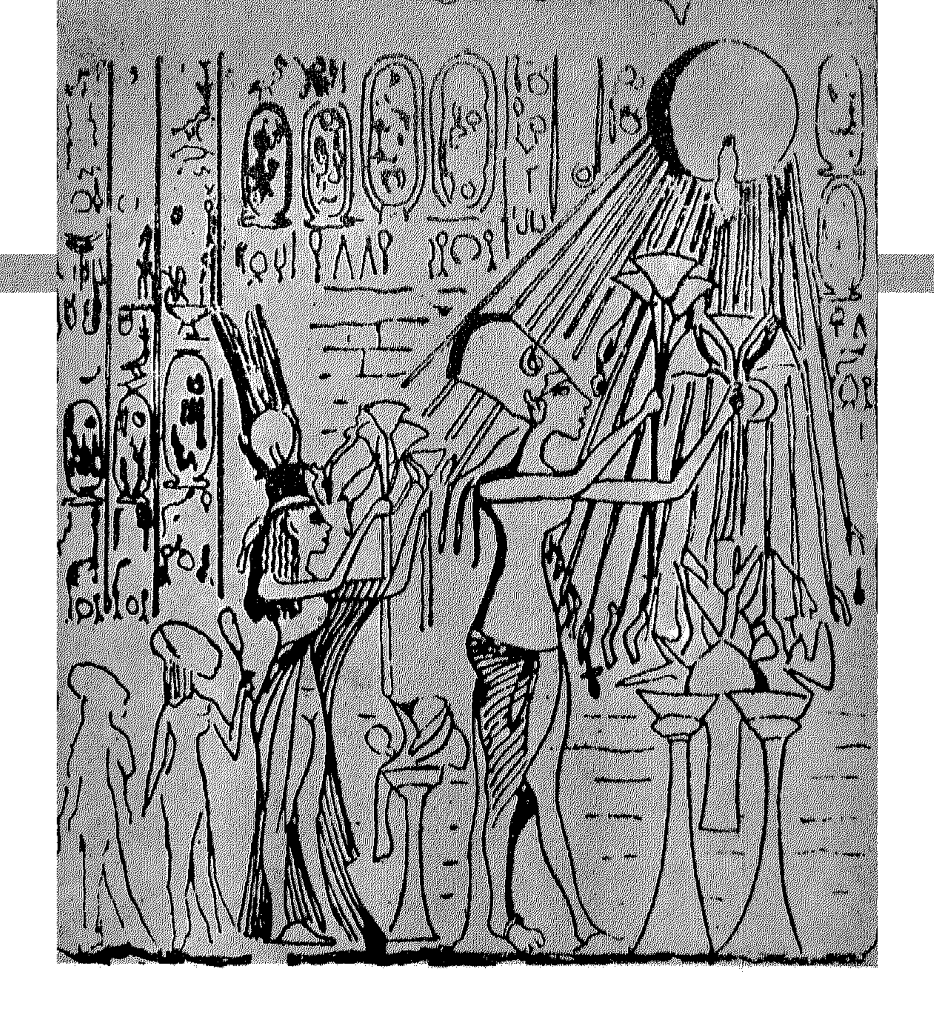
ويستنتج من ذلك فليكو فسكى ان ام الهول طيبة التى فى اقليم بيوتيا، وهى الفتاة القاسية ذات الأجنحة لم تــكن فحسب ضيفا وفد من ارض النيل ، بل كانت بمعنى ادق صورة ظهرت فى طيبة المصرية لأول مرة فى اثناء حكم الملكة « تى » ــ « المراجع السابق ص ٣٦ ــ ٣٧ » .

ثم يستطرد قائلا ان شعب الاغريق لم يكن هو الشعب الذى نشأت بينــه اسطورة اوديب ، بل مثلما حــدث لأوديب الذى يبلغ مرحلة الرجولة فى بلد غريب فى قصر بوليبوس ظانا نفسه ابنا لهذا الملك وهو فى الحقيقة لم يكن، قد حدث بالضبط لأسطورة اوديب ذاتها، فقد اتخذت شكلا ادبيــا فى ارض الاغريق ، واعتبر بطلها بطلا اغريقيا، ولكن يبدو انه لا الأسطورة ولا البطــل كانا اغريقيين فى الاصل

***

ومثلما عاش اوديب بعيدا عن ابويه فان اخناتون امضى طفولته وصــباه بعيدا عن مصر ، فلم يحدث ان ذكر اسمه قط فى نقوش امنحوتب الثالث الكثيرة ، على عكس ما كنا نتوقعــه باعتباره الأمير الوريث للعرش ، ولــم يحدث أن رسم هو وأبوه معــا فى الرسوم المنحوتة . كذلك فانه بعــد موت امنحوتب الثالث تقلدت ارملتــه الملكة « تى » مركزها كرئيســة للدولة لبضعة شهور أو أسابيع ثم ظهر ابنها فجأة على مسرح الأحداث وتــسلم مقاليد الحكم حتى ساد الاعتقاد بانه اغتصب العرش .

والمعروف أنه عنــد ازالة اســم شخص متوف يكون مصير روحه «كا» الزوال أيضا وهى فى العالم الآخر . ومن ثم كان ما فعله اخناتون يعــادل



اخناتون واسرته يتعبدون للشمس

جريمة القتل فى إعتبار المصريين القدماء بل ويعادل ما هو اشنع واقسى فالرجل القتيل قد يسترد حياته وهو فى « حدائق النعيم » ، اما ان يقتل وهو بهذه الحدائق نتيجة لاجراء حدث على الأرض فلن يصبح له وجود على الاطلاق «المرجع السابق ص ٦٦ » . وعندما ماتت « تى » لم يدفنها اخناتون بجوار زوجها ، اذ امتدت منافسته لابيه حول امتلاكه امه الى ما بعد الممات ـ « المرجع السابق ص ٦٤ » .

***

ثم ينتقل فليكوفسكى الى دليل ثالث يؤكد به علاقة الاسطورة الاغريقية بالتاريخ الفرعونى ، فيقول ان اوديب فى الأسطورة اليونانية معناه «ذوالقدم المتورمة » ، وتصور الرسوم على جدران المدافن فى مدينة اخت آمون « تل العمارنة » وهى المدينة التى اتخذها اخناتون عاصمة لملكه ، وعلى الشواهد المقامة عند حدود المدينة تصور الملك بطريقة لم يسبق لهامثيل، فراسه مستطيل ، ورقبته نحيفة ، وبطنه قد تدلى الى اسفل ، ولكن اكثر التشوهات وضوحا هو الشكل الذى اتخذته فخذاه ، فهما متورمتان ومنتفختان . ومن المعروف أن لغات كثيرة تفتقر الى التفرقة بين القدم والساق ، فكلمة Pous فى اليونانية القديمة تعنى كلتيهما .

ثم يقارن بين شخصيته «آى» اخ الملكة «تى» ، وشخصية كريون اخ جوكاستا وهو من تمتع بنفوذ قوى فى الفترة بعد موت لايوس ووصول اوديب ، وهو الذى وهب اخته الملكة لاوديب ، ثم كان هو من اجبر اوديب على التخلى عن العرش ، وهو من حكم البلاد فى اثناء تربع الشاب ابيتوكليس على العرش ، كما كان هو من اصبح ملكا بعد الموت السابق لاوانه للملك ويقول فليكوفلسكى ان « آى » قام

بنفس الدور ايام اخناتون بالاضافة الى انه كان والد زوجته نفرتيتى .

ويحاول فليكوفسكى ان يعثر على عراف مصرى فى مقابل تيريسياس الذى تنبا بمستقبل أوديب ، فيجده فى شخص امنحوتب بن جايو ، وان كانت الفاظ الشك والاحتمال والترجيح تستخدم هنا وفيما بعد بصورة اكثر مما كانت تستخدم من قبل .

***

وكما تنازع الملك يولينكيس واتيوكليس ابنا اوديب بعد اعتزاله العرش ، كذلك تنازع سمنقرع وتوت عنخ آمون الملك بعد أن اعتزل أخناتون العرش ، وكان مصير سمنقرع اشبه بمصير الأخ المغلوب يولينكيس .

ثم يستنتج من قراءة كثير من الآثار العلاقة المحرمة بين اخناتون وامه «تى» ويفسر ذلك بتأثرهما بأخلاقيات الميتانيين الذين كانوا يبيحون مثل هذه العلاقات والذين يرجع نسب «تى» اليهم . وان مصير « تى » كان مثل مصير جوكاستا — وهو الانتحار . ونورد هنا فقرة من أسلوب الاحتمال والشك المستخدم فى الكتاب والذى يفضى — بدون تبرير — الى نتائج مؤكدة ، يقول فليكوفسكى عن مصير « تى » :

والمصريون القدماء الذين كانت فكرة حياة ما بعد الممات بالنسبة لهم ذات اهمية كبيرة ، لابد انهم بالذات قد حرموا تكريم المنتحر فى جنازته ، ومن ثم ربما ادى ذلك الى عدم اغداق تكريم مناسب يليق بملكة مثل «تى» هذا ان كانت نهايتها مماثلة لنهاية جوكاستا الاسطورية ، ان الأم التى شنقت نفسها قد حرمت روحها نعمة حياة مابعد الممات برغم أنها ملكة وحاملة التاج ذى الريشتين ، ويجب عدم بناء مدفن يكتظ بالثروات .. ويحتمل ان هذا هو سر نهاية الملكة «تى» فهى لم تمنح مدفنا ملكيا ولا حتى مدفنا آخر شبيها بما نقبنا عنه من مقابر نبلاء طيبة او تل العمارنة ، بل واخفيت جثتها بعيدا عن الانظار . فان كانت قد انتزعت حياتها بيدها فهى بذلك قد ارتكبت خطيئة لا تغتفر فى اعتبار المصريين قومها « المرجع السابق ص ١٧٩ — ١٨٠ » .

وبدلا من ان يكون التاريخ اصلا للأسطورة فان فليكوفسكى يقلب الوضع فيجعل الاسطورة اصلا للتاريخ بحيث يقول بالنص : وهكذا قد تشرح الاسطورة التى تحكى قصة جوكاستا وقائع دفن «تى» الغريبة

حتى التفاصيل الصغيرة فان فليكوفسكى يحاول ان يعثر على تشابه بين التاريخ والاسطورة مثال ذلك انه قد عثر فى مقبرة توت عنخ امون على صندوق صغير به خصلة من شعر كستنائى ، وهناك ملحوظة عرفت هذه الخصلة على انها خصلة الملكة «تى» . ويوريبيدس يجعل جوكاستا تقص شعرها « انى اقص خصلات شعرى الفضية واتركها تسقط مع الدمع الغزير لاظهر حزنى ومرارتى » والدوران اللذان قامت بهما انتيجونى فى الأسطورة الاغريقية وهى مصاحبة ابيها المنفى الأعمى ومواراة جثة اخيها القتيل الى حرم اخيها الثانى ودفنه فقد وزعهما فليكوفسكى على اثنتين من بنات اخناتون .

***

ومن الممكن ادراك الاصل المصرى الذى نبعت منه مجموعة أساطير طيبة اليونانية من حقيقة واحدة ، وهى أن مشكلة دفن الجثة تحتل المكانة الأولى فى فكرة المسرحية ، اذ أن موضوع مسرحية اوديب فى كولونا وكذلك مسرحية ((انتيجونى)) و ((سبعة ضد طيبة)) هو المشكلة التى تثار حول دفن الجثث ، كما كان اهم ما يشغل





توفيق الحكيم . وعلى احمد باكثير اثنان من ادبائنا عالجا اوديب فى المسرح المصرى

بال اوديب ـ وهو ملك ـ هوان يدفن فى ارض طيبة بعد مماته ، بيـد انه لا يعود الى طيبة بعد نفيه .

وفى رواية سوفوكليس عـن الأسطورة يصر اوديب على أن تتوارى مقبرته عن الأعين ، ويظل مكانها سرا لا يعرفه انسان سوى ملك ارض اتيكا ولم يكن مثل هذا التصرف غريبا على ارض مصر حيث كان الملوك يعملون على اخفاء مقابرهم .

ان هذا الانشغال الدائم بالدفن والاهتمام البالغ بالمثوى الأخير ، لهـو ظاهرة مصرية الطابع لا يونانية .

كما ان كهف أنتيجونى « المقبرة » الذى حفر فى الصخرة ليس يونانيـا ايضا ، اذ كان اليونان يحرقون جثث موتاهم او يدفنونها فى الأرض، ولكن يندر تماما أن ينحتوا مقـابرهم فى الصخر ، ومع هذا فالمصريون سواء فى طيبة او تل العمارنة كانوا ينحتون قبورهم فى الصخر . ومـن ثم فـان مقبرة فى كهف صخرى تعد امـرا غريبا على ارض اليونان . « المرجـع السابق ص ١٩٨ ـ ١٩٩ » .

هذا ملخص سريع لذلك البحـث المقارن ، وان كان ما من احد ابـدا يمكنه معرفة هذه الحقائق على وجـه يقينى ، وكلها اجتهادات تقـوم علـى أساس ان معظم الاساطير استمدت اصلها من التاريخ ، وقد اشرنا الى كثـرة استخدام الفاظ الترجيح وان كان يخلص منها الى نتائج يوحى للقارىء انهـا مؤكدة .

***

ولئن كانت هذه النظرية موضـع احتمال وشك ، فانه ما مـن شـك فى ان مصر قد استردت اوديب فـى العصر الحديث ، حـين بدأ الأدب العربى نهضته واستفاد من خبـرات آداب اخرى فى مقدمتها الأدب الأوربى وما تضمن من اشكال ادبية لم يـكن الادب العربى يمارسها الا بشكل بدائى جدا وفى مقدمتها المسرح .

والأدب العربى الحديث لم يستفـد من تجربة الادب الاوربى شكلا فحسب، بل شكلا ومضمونا ، فقد حاول كتاب المسرح المصرى الحـديث ان يعالجـوا بدورهم بعض الموضوعات التى عالجهـا كتاب المسرح الأوربى ، لكن من وجهـة نظرهم ، فكما أن قصة اخناتون على

النحو الذى استخلصه‌لنا فليكوفسكى من قراءته الآثار الفرعونية ، لم تنقل بنصها الى‌الاساطير الاغريقية ، بل امتزجت بالروح الاغريقية وفى مقدمتها فكرة القدر التى تسيطر على الأسطورة وتهبها الطابع الاغريقى ، فان قصة اوديب بدورها قد عادت الى الظهور فى مصر وفى القرن العشرين ـ بعد حوالى اكثر من ثلاثة آلاف عام ـ لتصطبغ بالطابع العربى الاسلامى. ذلك ان اوديب منذ نما فى المسرح الاغريقى لم يتوقف عن رحلته وتجواله فى الزمن متنقلا من أديب الى أديب ، مطورا شخصيته بما يتفق وذوق العصر .

***

والاربعة الذين عالجوا اوديب فى المسرح المصرى هم توفيق الحكيم ((١٩٠٢ ـ))وعلى احمد باكثير ((١٩١٠ ـ ١٩٦٩)) وعلى سالم ((١٩٣٦ ـ)) وفوزى فهمى احمد .وقد نشر توفيق الحكيم مسرحيته ((الملك اوديب)) عام ١٩٤٩ بينما نشر على احمد باكثير مسرحيته ((مأساة اوديب)) بعد ذلك بقليل ، اما مسرحية على سالم ((انت اللى قتلت الوحش)) فمثلت ونشرت بعد ذلك باكثر من عشرين عاما ((١٩٧٠)) ومسرحية فوزى فهمى ((عودة الغائب)) فقد كتب فى‌مقدمتها انها الفت عام ١٩٦٨ ولكنها لم تمثل الا عام ١٩٧٧ ، فهما من جيل تال‌لكل من جيل توفيق‌الحكيم وباكثير .

اما توفيق الحكيم فكان قد قام من قبل بمحاولات لعرض التراجيديا الأغريقية مدثرة فى غلالة من العقلية العربية بهدف احداث اتزان بين العقليتين والأدبين ، وذلك عندما نشر مسرحيته‌اهل الكهف عام ١٩٣٦ .

والتراجيديا بمعناها الاغريقى هى الصراع بين الانسان وقوى خفية فوق الانسان ، ويرى توفيق الحكيم ان التراجيديا بهذا المعنى تنبع عن شعور دينى ، لأن أساسها هو احساس الانسان انه ليس وحده فى الكون ـ ((توفيق الحكيم ، الملك اوديب،مكتبة الآداب ، القاهرة ص ٣٣)) ـ اما فى القرن السابع عشر ، فان التراجيديا اصبحت صراعا بين الانسان ونفسه، وهكذا بدأ الشعور الدينى فى الانطفاء

ويعلن توفيق الحكيم انه اختار اوديب لأنه تأملها فأبصر فيها شيئا لم يخطر على بال سوفوكليس ، ابصر فيها صراعا ليس فقط بين الانسان والقدر كما رأى الاغريق ومن جاء بعدهم ، بل ابصر فيهاصراعا بين الواقع والحقيقة، الواقع الرغد الذى كان يعيش فيه اوديب بعد أن اصبح ملك طيبة وزوجا للملكتها جوكاستا ، والحقيقة التى وقفت حائلا امام هذا الواقع حتى هدمته ، وهى أنه كان قد قتل والده دون أن يدرى منذ سبعة عشر عاما . وان جوكاستا التى هى فى الواقع زوجته هى فى الحقيقة «أمه» فالواقع ابن الحاضر ، والحقيقة بنت الماضى ،وقد انتصرت الحقيقة على الواقع فانتحرت جوكاستا وفقأ أوديب عينيه .

***

ولقد تعلم توفيق الحكيم دروسا ممن سبقوه الى معالجة أوديب ، من ابرزهم اندريه جيد الذى جعل من ايمانه بالانسان مادة خشوع فى‌النفس فحل ذلك الخشوع‌محل الخشوع‌للقوى الخفية العليا وهو بذلك يلخص لنا عقيدة الأوربى اليوم فى ايمانه بالا شيء فى الكون غير الانسان . أما توفيق الحكيم فقد ابرز ما فى قصة أوديب من تحد للاله أو القوى الخفية وهو مافى قصة أوديب .

ويقول الحكيم ان شعوره بان «الشرقى» يعيش دائما فى عالمين هو الحصن الأخير الذى بقى لنا لنعتصم فيه ضد التفكير الغربى

الذي يعيش فى عالم واحد هو عالم الانسان وحده .

ثم يعلن توفيق الحكيم انه اضطر ان يخرج على قاعدة الوحدة فى الزمان والمكان التى تخضع لها التراجيديا الاغريقية لانه راى ان جو الأسرة فى حياة أوديب امر لا ينبغى اغفاله، وجو الأسرة عند أوديب لايمكن ان يكون خارج البيت بينما حوادث التراجيديا الاغريقية دائما فى ميدان عام او فى الهواء الطلق .

كما يعلن انه اضطر أيضا أن يجرد القصة من بعض المعتقدات الخرافية التى تأباها العقلية العربية الاسلامية ، فجعل تريزياس هو مدبر الأحداث فى بدايتها وليس وحيا الهيا كما تقول مأساة سوفوكليس . فهو الذى لفق قصة أبى الهول عندما قتل لايوس وعمد الى الفتى الساذج صارع الوحوش فأجلسه على عرش طيبة ، فكان كل ذنب اوديب انه قبل الدور الذى اراده العراف على لعبه . وهكذا فان أوديب الذى هرب من كورنث لأنه لم يطق الحياة فى اكذوبة اذا به يعيش فى طيبة فى اكذوبة اضخم ، وهكذا أصبح انسانا مثل سائر الناس ، وبذلك لئن جرد توفيق الحكيم اوديب من عظمته الأسطورية — وهى هزيمته لأبى الهول — فقد اضفى عليه عظمة اخرى صادرة عن فضيلته البشرية .

***

وفى الوقت نفسه فان توفيق الحكيم جعل تريزياس هو المجرم الحقيقى لأنه حاول أن يتطاول على الاله فيكون هو — وليس الاله — منبع الأحداث ومصدر الانقلابات . ولا يلبث ان تتضح عواقب هذا التطاول وعقابه ، فقد باءت قصة تريزياس بالفشل ، لأن الرجل الذى جلس على عرش طيبه لم يكن الا الطفل الذى أراد اقصاءه منذ عشرين عاما .

وهكذا لئن جرد توفيق الحكيم المأساة من خرافتها ، فقد احتفظ فيها بذلك الصراع بين الانسان والقوى العليا كما احتفظ بفكرة الانعكاس التى هى حركة هذه المسرحية ، اى أن يتحقق فى النهاية ما حاول البطل الا يقع فيه فى البداية . وان كان قد نقل ثقل الصراع مع القوى العليا وفكرة الانعكاس من أوديب الملك الى تريزياس العراف .

واخيرا يوضح توفيق الحكيم أن الطعن الذى انزله أوديب بعينيه لم يكن امعانا فى الكبرياء كما ذهب جيد ، ولا رغبته فى ان يبلغ اوج الشقاء كما بلغ اوج المجد كما ذهب كوكتو ، فهذه كلها — فى رأيه — من قبيل التفسيرات الأدبية والذهنية . لكنه — تمشيا مع بشرية اوديب — يرى انه كان شديد التعلق باسرته ، عميق الحب لجوكاستا ، وكانت فجيعته فيها وهو يراها على هذه الميتة البشعة أشد مما يحتمل ، وفى لحظة جنونه اقتلع عينيه ، فهو قد فعل بنفسه ما فعل من أجلها وحدها !

● للبحث بقية ●

في العدد القادم :

نتيجة مسابقة :

مواقف وأحداث فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم ،

واعلان اسماء الفائزين

الهلال

أول ديسمبر ١٩٧٨

أزمة الكتابة القصصية لماذا؟

● د. محمود علي مكى ●

منذ شهور قليلة قدر لي أن أكون عضو تحكيم في مسابقة من المسابقات التي تنظمها بعض الاجهزة الثقافية في القصة القصيرة بين الشباب . وكنت قبل ذلك قد اشتركت في بعض لجان التحكيم التي كان عليها أن تقوم انتاج المشتركين في مسابقات مماثلة للقصة والشعر والمقال في جامعة كنت اعمل بها من جامعات الدول العربية الشقيقة .

ولست اكتمك يا قارئي العزيز انني مع سعادتي بالاشتراك في تقويم مثل هذه الأعمال الأدبية للشباب وحرصي على الاسهام في تشجيع من كنا نتوسم فيه موهبة أدبية تبشر بالخير ، فانني كثيرا ما كنت اضيق ذرعا به ، اذ ان المستوى العام كان بعيدا عن بث التفاؤل في النفس .. صحيح أن تلك الأعمال التي كان يقدمها من يأنس في نفسه استعدادا أدبيا لم تخل من نماذج طيبة ، الا أن كثرتها كانت غير مرضية .

وكنت التلقى بعض المجلات الادبية الأجنبية التي تنظم أيضا مسابقات في فنون الأدب من قصة وشعر ومسرح بين الشباب فيما دون سن الخامسة والعشرين . وكانت هذه المجلات تقدم لي فرصة المقارنة بين انتاج الشباب الأدبي هناك وانتاجهم عندنا ، فأرى دائما ان نتيجة هذه المقارنة ليست في صالح شبابنا ، هذا مع أننا كنا نترك هامشا عريضا للتسامح والتساهل والاعتذار عما يمكن ان يعتور المحاولات الأدبية المبكرة لشبابنا من مآخذ هي امور غير مستغربة في مثل هذه المرحلة من العمر ، غير أنه حتى أولئك الذين كنا نتوسم فيهم بعض الموهبة ، كنا نلاحظ أن وسائلهم في التعبير الأدبي كانت تخذلهم وتقعد بهم عن الاتيان بشيء له قيمته . وطالما بعث ذلك في النفس شيئا غير قليل من الأسى والحسرة .

وكثيرا ما استوقفتني هذه الظاهرة: لماذا ارى ذلك الاختلال في التوازن بين كثرة المتقدمين لأمثال هذه المسابقات وقلة ما يمكن أن يوصف بالجودة من أعمالهم ؟ هل الأدب عندنا في تراجع وتدهور ؟ أم هل ينبغي أن نلتمس العذر لهؤلاء الشباب الذين يشفع لهم طموحهم المشروع ؟

والمشكلة في الواقع واسعة ومعقدة، وهي تحتاج الى مناقشة شاملة تستقصي جوانبها الكثيرة ، وتستحق ان تطرح قضاياها في ندوات يدور فيها

حوار جاد بناء بين الادباء والنقاد من ناحية والشباب من ناحية اخرى .

واذا قصرنا الحديث على وضع الكتابة القصصية عندنا في مصر الآن، فانه يبدو لى من تامل هذا الوضع ان اسماء المؤلفين التى تملأ الجو الأدبي في الوقت الحاضر هي نفسها تلك التى كانت سائدة منذ عشرين او ثلاثين سنة ، ولا نرى من الاقلام الجديدة التى ظهرت على طول هذه العقود الاخيرة الا قلة لا تكاد تذكر . فهل معنى ذلك ان المواهب القصصية عندنا فى طريقها الى النضوب ؟ وماهي الاسباب التى ادت الي هذا الوضع الذى يبدو مخالفا لطبيعة التطور ؟

قد يكون من التبسيط السهل الاحالة على وضعنا الراهن الذى يدرجنا فى سلك ما يسمى بالبلاد المتخلفة ،فالتخلف عندنا حقيقة واقعة مهما حاولنا التعبير عنها بالفاظ اقل خشونة مثل قولنا « البلاد النامية » أو « السائرة في طور التقدم » . ولكن هذا ليس سببا كافيا ، فنحن نعرف بلادا فى مثل احوالنا او قد تكون اكثر منا تخلفا الا انها انجبت ومازالت تنجب اقلاما ادبية وقصصية بوجه خاص من الطراز الأول .

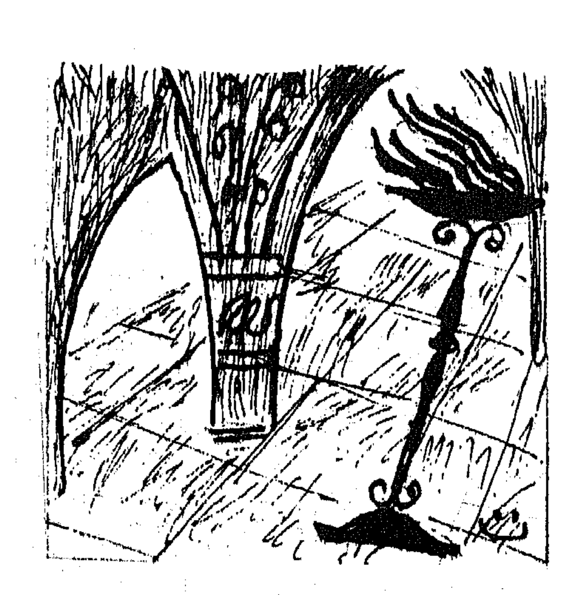
ويكفى ان اشير الى بعض بلاد امريكا اللاتينية مثل جواتيمالا أو نيكاراجوا ، وهي تعتبر من اكثر بلاد القارة تأخرا ، ولها مع ذلك ادب فى غاية من الخصوبة والجودة ، وقد تمكن اديب روائى جواتيمالى من الظفر بجائزة نوبل فى الأدب منذ سنوات قليلة . على ان ما نقوله ليس دفاعا عن التخلف ، فعليه يقع جانب كبير من التبعة فى ازمتنا الأدبية ، ولكنه ليس السبب الوحيد .

ربما كان من الاسباب ايضا انه ليست لدينا سياسة ثقافية واضحة المعالم محددة الطريق والأهداف ، أو ربما كانت لدينا سياسة ثقافية ، غير انه مازال يسودها كثير من التخبط والعجز عن اكتشاف هويتنا وشخصيتنا ، فنحن ما زلنا حائرين بين انغلاق على تراث لنا لم نعرف كيف نخدمه حق الخدمة ولا كيف نستمد منه قوة دافعة تفيدنا فى مستقبلنا ، وبين انفتاح مضطرب غير ذى منهج ، مما يجعلنا قاصرين عن الاستفادة منه فى ربط ثقافتنابتيارات الثقافة العالمية الحديثة .

ومناهج التعليم عندنا — على شتى المستويات — مسئولةالى حد بعيد عن واقعنا الأدبى المتخلف ، فهى لاتعين على اكتشاف المواهب الادبية ولا على تشجيعها وصقلها والاخذ بيدها حتى تؤتى اكلها ! ثم هى لاتكون بعد ذلك جمهورا يحسن تلقى الاعمال الادبية الجيدة، ولاترتفع بذوق ذلك الجمهور .

ولكن ما نشير اليه من عيوبوجوه نقص شىء يعم حياتنا الثقافية، فلنقصر حديثنا على الادب القصصي الذى نعالج اليوم قضيته ، وربما كان من المفيد ان نبسط امام القارىء عدة ملاحظات مبدئية قد تكون مفيدة فىتصور الازمة التى يمر بهاهذا الفن فى ادبنا المعاصر :

● **هذا الفن القصصي مستحدث فى بلادنا لا يكاد عمره يتجاوز ثلثىقرن، منذ بدا الدكتور محمد حسين هيكل اول « مغامرة » فى ميدان الروايه الطويلة ، ومحمد تيمور عملا مماثلا فى مجال القصة القصيرة .** ولسنا نذهب عند التاريخ للأدب العربى مذهب من انكر وجود الفن القصصى فيه ، فالذى لا شك فيه ان العرب عرفوا منذ قديم



أزمة الكتابة القصصية
لماذا ؟

الوانا من الكتابات ذات الطابع القصصي نراها في كليلة ودمنة والمقامات وقصص الف ليلة وليلة وغير ذلك من مجموعات الأسمار والحكايات ، بل ان الذي ثبت الآن هو التأثير الكبير الذي باشرته تلك الكتابات القصصية على مولد الفن القصصي في اوربا منذ مطلع عصر النهضة .

ومع ذلك فان هذا الفن الذي عرفته بلادنا منذ اوائل هذا القرن منبت الصلة بتلك التراث العربي القديم ، وانما كان متأثرا في المقام الاول بما اطلع عليه ابناؤنا العرب المحدثون من النتاج القصصي والروائي الاوربي ، ولا نستثني من ذلك الا محاولات منفردة لم يقدر لها الاستمرار ولا خلق تيار ادبي مثل محاولة المويلحي احياء فن المقامة القديمة في ثوب جديد عبر كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

***

واذا كانت تجربتنا في ميدان الكتابة القصصية جديدة نسبيا ، وما دامت ثمرة لاتصالنا بالثقافات الاجنبية ، فقد كان ينبغي أن نغذي تيار هذا الاتصال لابهدف التنكر لتراثنا أو الاعراض عنه، وانما من اجل الاستفادة من تجارب تلك الثقافات الى اقصى حد ممكن ، وذلك بموالاة التعرف المتصل على المذاهب الأدبية المتجددة وملاحقة التطور الذي تزايدت سرعته في فنون الأدب خلال العقود الأخيرة من هذا القرن .

● **فن الكتابة الروائية والقصصية ليس على ما يبدو في ظاهره ـ ولاسيما لجيل الشباب ـ امرا سهلا خفيف المؤونة يستطيع كل من توهم في نفسه القدرة عليه ان يخوضه . بل هو عمل في الغاية من التعقيد والصعوبة وثقل التبعة . واود أن اشير بوجه خاص الى القصة القصيرة ، فان الكثيرين يستسهلونها ، وربما غرهم منها انها لا تعدو صفحات قليلة . ولكنهم قد لايعرفون ان كتابة القصة القصيرة ـ بما فيها من تركيز وتكثيف ومعرفة اختيار « اللحظة » التي يتوقف عندها الكاتب لكي يسلط الأضواء على حدث او سلوك مهما كان صغره الظاهري ـ ربما كانت اصعب بكثير من كتابة الرواية الطويلة .**

لقد كنت الاحظ في عجب كيف يسرع بعض المتادبين الشباب الى اقتحام ميدان القصة القصيرة متصورين ان الأمر لا يعدو مجرد « الحكاية » او « الحدوتة » لأي شيء يقع او يتوهمون وقوعه ، وقد اشتبهت عليهم « سطحية » ما يكتبون بتلك « البساطة » الظاهرية التي يرونها فيما يقراون لمعالجي هذا الفن من الكبار . وشتان مابين الامرين ، فوراء هذه « البساطة » الأخيرة ذخيرة ثرية من عمق الفكر ودقة الملاحظة وسعة الثقافة والقدرة على التمثيل مما لا يتاح الا بموهبة اصيلة ترفدها قدرات كثيرة متنوعة .

● وكثيرا ما يستسهل الشباب ممن يخوضون ميدان الكتابة القصصية أن يرووا شيئا مما مر بهم او مما وقع من أحداث يومية ، فاذا اعترض عليهم ناقد اسرعوا فقالوا أن هذه قصة «واقعية» وهذا من المصطلحات الأدبية التي ابتذلت من كثرة ما مضغتها الأفواه ؟ و « الواقعية » ـ على تشعب دلالات هذا المصطلح وكثرة ما يندرج تحته من مذاهب ـ ليست كما يتوهم الكثيرون : مجرد حكاية حدث وقع أو يمكن وقوعه ، ولو صح ذلك لكان ما تسجله محاضر أقسام الشرطة

او ما تنشره الصحف اليومية من احداث مما يندرج في سلك الأدب القصصي . والواقعية فى الحقيقة شيء مختلف عن ذلك كل الاختلاف . واذا كانت نقطة الانطلاق فيها من الحياة التي نعيشها فان الكاتب القصصى الحق هو الذى يصور لنا هذا الواقع من خلال تجربته الانسانية ورؤيته الخاصة التى تتمثل هذا الواقع وتخرجه لنا خلقا جديدا فى بناء فنى مدروس .

● وقضية « الالتزام » فى الأدب مما يسيء فهمه بعض النشء من هواة الكتابة القصصية ، فيخلطون بينه وبين الالقاء بشعارات سياسية او دعوات للاصلاح الاجتماعى اوخطرات فكرية او شبه فكرية . وهذا مما يفسد الكتابة الادبية ويحيلها الى شيء آخر ليس بينه وبين الادب علاقة . صحيح انه ينبغي على الكاتب ان يكون له موقف من المشكلات التى يطرحها علينا فى معالجته القصصية ولكن هذا الموقف ينبغى أن يكون طبيعيا فى غير افتعال . وبهذا يستطيع أن يخدم القضية التي يؤمن بها على نحو اكثر اقناعا ، ايا كانت عقيدته ، وحتى لو اختلف قارئه معه حول هذه العقيدة .

● ونأتى فى النهاية الى مادة الكتابة القصصية ، وهى اللغة . وما أكثر ما يستهين بها الكثيرون من الهاجمين على هذا الفن فى خفة و « مرح» ، فهم يظنون ان الفن القصصى ما دام يستخدم لغة سهلة التناول بالنسبة لجمهور القارئين قريبة من لغة الكلام فلا بأس فى أن يكتبوا كيفما اتفق لهم . واذكر ان بعض طلبتنا ممن كانوا يأنسون فى انفسهم ميلا للكتابة القصصية كانوا يقدمون شيئا من انتاجهم سقيم اللغة مفسول العبارة ، فاذا وجهنا نظرهم الى ما فى اسلوبهم من ركاكة او مايشيع فى كتابتهم من اخطاء لغوية ونحوية واملائية اجابوا ببساطة : هذا لا يهم ، وهو شيء يمكن تداركه .. ولكن مارأيك فى فكرة القصة ؟ وكان الفكرة يمكن أن تتجسد فى لغة مهلهلة مريضة لا تعرف كيف تؤدي ما يريده الكاتب . هذا شيء لا نستطيع تصوره الا اذا تصورنا مثالا يريد أن يقدم لنا عملاقنيا من كومة من نشارة الخشب!

اللغة هى مادة الفن القصصي ،ولا بد لمن يعالج هذا الفن أن يعرف كيف يجيد التعبير عما يريد فى لغة راقية فى غير حذلقة ، جميلة فى غير تكلف . ولا سبيل لذلك الا بالعمل الجاد والقراءة المتصلة ، فان أسوا ما نلاحظه على بعض من يريدون الاشتغال بهذا الفن انهم يكتبون اكثر مما يقرأون !

***

ومع ذلك فانني اعتقد ان ازمة الادب عندنا ـ لا ازمة الكتابة القصصية وحدها ـ امر طبيعى مترتب على المرحلة التاريخية القلقة التى تمر بها بلادنا والتى اثقلتنا فيها مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية على درجة كبيرة من التعقيد والتداخل . ولست أستبعد ان يؤدى ثقل هذه المشكلات نفسها بعد ذلك الى تفجير طاقات كثيرة فى مستقبل قريب ، تماما كما يظل الطفل فى مرحلة ما قبل النطق عاجزا عن الكلام الا ان يتمثل ما يقال حوله ويختزن صوره ، ثم اذا بعقدة لسانه تنحل بعد ان يستكمل ادوات النطق ، فينطلق الكلام من بين شفتيه قويما فى غير عوج .. ●

مصر في كتاب المسعودى

• فاروق خورشيد ○

٢

٢ ــ تتمة مانشر فى العدد الماضى

••• « وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحراً غير نيل مصر لكبره واستبحاره ، وقد قدمنا فيما سلفه من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذى بدىء النيل منه ، وما يظهر منه تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق » •

المسعودى

الحلقة الثانية والأخيرة للدراسة التى كتبها للهلال الاستاذ فاروق خورشيد ونشر الفصل الاول منها بغير اسمه فى العدد الماضى ●

والمسعودى فى كتابه « مروج الذهب » يتعقب نهر النيل فى كل حالاته فى نقصه وزيادته ، فى فيضانه وجفافه ، ويفرد صفحات من تاريخه لتعقب كل حالة من هذه الحالات واثرها على الزرع والبهائم ، والثروات ، ولايترك امرا من امور الرى او الصرف الا ذكرها فى كتابه ذاكرا متى تفتح الترع ومتى تغلق ، ومتى تفتح السدود ولأى طارىء ، ومتى تغلق ... وذاكرا ايضا متى يعم الخير ، ومتى يستشعر المصريون الخطر ، وهو يذكر كل هذا بالاشهر القبطية ، وبالمتوارث عن اهل مصر من استعمالات ما زالت سائدة حتى وقتنا هذا ...

ويقول فى وصف احوال النيل واثر هذه الاحوال على حياة مصر واهلها « تنفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب، وهو لاربع عشرة تخلو من توت ـ وهو ايلول ـ وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب ، والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر من ماء طوبة . وهو كانون الآخر ـ بعد الغطاس ، وهو لعشر تمضى من طوبة ، واصفى ما يكون النيل فى ذلك الوقت ، واهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا الوقت ، وفيه تختزن المياه اهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرايا البحيرة » ..

والملاحظ انه يستعمل لغة العامة فى مصر ، والملاحظ كذلك انه لايكتفى بما يسمع ، فيسجل ما قاله السابقون ، وانما هو يسجل من واقع الحياة التى عاشها بمصر ، ومن واقع ما رأى بمصر من احداث ، ومن واقع ما سمعه فى مصر من احاديث اهلها .. ومن هنا تاتى اهمية ما سجله المسعودى من اخبار عن مصر ونيلها واهلها .. ولعل المسعودى هو المؤرخ الوحيد الذى وقف هذه الوقفة المتانية ليسجل ما يسمع وما يشاهد حول مصر ونيلها واهلها ، متجردا عن عصبيته العرقية والدينية معا . فهو يقف وقفة طويلة عند ليلة قبطية خالصة ، لا تعرفها الا مصر ، ولا تهم الا اهلها من القبط المصريين فيقول عن ليلة الغطاس التى

هى عيد قبطى خالص ((ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها ، لا ينـام الناس فيها ، وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبة وستة من كانون الثانى)). وهو يرصد هنا كمؤرخ وكانسان يعايش الحياة فى عصره احتفال مصر الاسلامية بقيادتها وشعبها بهـذا الحدث القبطى الخالص ، حيث يشارك المسلمون شعبيا ورسميا الأقباط احتفالهم وأعيادهم ، لا عن سماع ولكن عن مشاهدة وحضور فيقول :

« ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والأخشيد بن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها ، وقد أمر فاسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل ، غير ما اسرج اهل مصر من المشاعل والشمع ، وقـد حضر النيل فى تلك الليلة مئات الالاف من الناس المسلمين والنصارى ، منهم فى الزوارق ، ومنهم فى الدور الدانية من النيل ، ومنهم على الشطوط لايتناكرون الحضـور ، ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المشاعل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف ، وهى احسن ليلة تكون بمصر ، واشملها سرورا ، ولا تغلق فيها الدورب ويغطس اكثرهم فى النيل ، ويزعمون ان ذلك امان من مرض ومبرىء للداء » .

ونحن حيال هذا النص أمام وصف الثولوجى لمرحلة من مراحل الحياة الثقافية فى مصر تحت الحكم الاسلامى، تحت ظل المعتقـدات المصرية المرتبطة بالقبطية وان كانت فى جوهرها واصولها مرتبطـة بالمتبقيات الفرعونية ، والتى تؤدى الطقوس لعيد الاخصاب ، أو عيد النهـر ، أو عيد الامتزاج بين النيل والانسان فى مصر القديمة ... فالغطاس رغم انه طقس تعميدى مسيحى يرتبط هنا بالنيل ، ويلتبس فيه الطقس الدينى المسيحى ، بالطقس الفرعونى الوثنـى الذى يؤله النيل ويقدسه ، ويحترمه فى نفس الوقت الحاكم المسلم ، فيفرد له الاحتفال الرسمى على هذه الصورة ، اقرارا بما لمصر من طغيان ميثولوجى والثولوجى حتى على حكامها من اصحاب النعرة العـربية الوافدة ، أو الديانة الاسلامية الطـاغية تدريجيا فى تكوين المجتمع المصرى الجديد .. انه يدرك أنها ظواهر مصرية جديرة بالدراسـة والمتابعة ، الا انه بعد هذا يقع فى سلسلة من الأخطاء هى بالدرجة الأولى وليـدة المعلومات الخاطئة السائدة فى عصره ، وهى أيضا وليدة عدم التحقق من المصادر غير العربية لصحة المعلومات وصدقها ، فهو يذهب بعيدا جدا حين يقـول فى صفحة ٢٩١ من الجزء الأول : « واما المقاييس الموضوعة بمصر لمعـرفة زيادة النيل ونقصانه فانى سمعت جماعة من اهل الخبرة يخبرون ان يوسف النبى عليه السلام حين بنى الأهرام ، اتخـذ

مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وان ذلك كان بمنف ، ولم يكن بنى الفسطاط يومئذ ، وان دلوكة الملكةالعجوزوضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضـــا ببلاد اخميم ، فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الاسلام،ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بـما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا ، الى أن ولى عبد العزيز بن مروان ، فاتخذمقياسا بالجزيرة التى تدعى جزيرةالصناعةوهى الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة » !

ولا شك ان التيار الاسلامى حاول ان ينسب كل شيء فى مصر القديمة الى يوسف ، ولا شك ان تيارا يهوديا ساعد في هـــذا واكده ، فحكـــاية أن سـيدنا يوسف هو بانى الهـرم وهو مجـرى بحر يوســف وهـو منشيء الفيوم وصاحب عمارتها وامرها كل هذا لاشك دخله عنصر اســلامى من ناحية ، ودخله عنصر يهودى مغرض وفاهم ومنظم فى دنيا الأخبار والتاريخ من ناحية اخرى ...

ونحن سنجد المسعودى خاضعا لهذه الأخبار ، موردا لها عن اقتناع دينى مرة، وعن اقتناع عصبى مرات ، ولــكنه لا يغفل فى كل أخباره دور يوسف فى حياة مصر ، محمـــلا كل خيراتها له ولجهوده ، بما في ذلك بنـــاء الأهرام واجراء بحر يوسف وانشاء الفيوم ..

ولسنا هنا بمعرض التعرض لـــكل هذا ، ولــكننا نتساءل من هى الملكة دلوكة التى يشير اليها المسعودى اكثر من مرة فى كتابه هذا ... فليست هى حتشبسوت ، وليست هى ايضـــا كليوباترا ، وليس لنا الا أن نفترض أن الضمير الشعبى المصرى قد اخرج اسم هذه الملكة ليلصق بها من الأعمال مايعجز عنه الرجال ، استمرارا للحس المصرى بتفوق المراة ومكانتها فى مجتمع الحكم والسلطة .. والمسعودى فى عهد طفج الأخشيد يشغل نفسه بالأخبار القديمة لمصر الفرعونية ،فيصدقه المصدر فى حين ويكذبه فى حين آخر ، الا انه يخرج نفسه من هذا المأزق العلمى برواية حكايته مع مصدره فى الحكايات عن مصر القديمة فيقول : « قال المسعودى : وقد كان احمد بن طولون بمصر بلغه فى سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالى بلاد مصر من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ، ممن يشار اليهم بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهـب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل ، وانه علامة لمصر وأرضها على برها وبحـرها واخبارها وأخبار ملوكها ، وانه ممن سافر فى الأرض ، وتوسط الممالك ، وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان ،وانه ذو معرفة بهيئات الأفلاك والنجوم واحكامها، فبعث احمد بن طولون برجل من قواده

فى اصحابه نحمله اليه فى النيل مكرما »

ومعظم الحكايات التى يحكيها المسعودى عن مصر والنيل انما ينقلها عن هذا الرجل النبطى الآتى من اقاصى الصعيد بامر احمد بن طولون ، ليقص عليهم ما يعرف وما فاتهم من تاريخ مصر القديمة ، ومن احوال مصر المعاصرة فى عصرهم على الأقل . ويملأ المسعودى صفحات من تاريخه من رواية هذا الرجل ، باعتباره مصدرا هاما من مصادر تأريخ مصر ، ولسنا نعرف ما علاقته بالانباط ، وكذلك لسنا نعرف سر اشارة المسعودى الى التفلسف والفلسفة فى حديثه عن هذا الراوى الصعيدى النبطى لأخبار مصر . ولكننا سنسمع من الأخبار المنقولة عن هذا النبطى الصعيدى المجهول ـ العجب ، وما هو مثار السؤال والبحث ، وما هو مثار للدراسة فى العالم المشترك بين الميثولوجى وبين الواقع ...

ومما يرويه المسعودى عن هذا الرجل قوله صفحة ٢٩٥ من الجزء الاول « وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ، ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة ، وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش فى البحر سير طويل ، وكذلك فيما بينها وبين آرض الروم ... »

واضح ان الرجل يحكى حكايات سمعها ، أو مأثورات قديمة يختلط فيها الواقع بالخيال وتلتبس فيها الحقيقة بالوهم ، من نوع حكايات العجائز ومأثوراتهم الشعبية المتوارثة ، فهو يقول مثلا « وسئل عن ملوك الأحابيش على النيل وممالكهم ، فقال : لقيت من ملوكهم ستين ملكا فى ممالك مختلفة ، كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك ، وبلادهم حارة يابسة مسودة ، ويبسها لحرارتها ، ولاستحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهبا بطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها وناريتها فتحولت ذهبا وقد يطبخ الذهب الذى يؤتى به من المعدن خالصا صفائح بالملح والزجاج المطلوب ، فيخرج منه فضة خالصة بيضاء ، وليس يدفع هذا الأمر الا من لا معرفة له بما وصفنا ، ولا قارب شيئا مما ذكرنا » .

المعلومات التى يسوقها هذا الرجل اذن اقرب الى الرصد الانثرلوجى للعصر ، أو هى أقرب الى التدوين الفلكلورى لثقافة الشعب المصرى فى عصر المسعودى ، وما ينقله المسعودى عنه يعطينا تصورا قريبا لما كان يسود أهل مصر من معتقدات وأفكار حول ماضيهم وتراثهم بالدرجة الاولى . ولا يمنع ان الكثير من المعلومات التى يسوقها هى أقرب الاشياء الى الحقيقة ان لم تكن الحقيقة عينها ..

ولعل روايته عن بناء الاهرام ترسم صورة للحقيقة المتداولة والتى لم يظهر

ماينقضها او ينفيها ، يقول المسعودى « وسئل عن بناء الاهرام ، فقال : انها قبور الملوك ، كان الملك منهم اذا مات وضع فى حوض حجارة ويسمى فى مصر والشام الجرن ، واطبق عليه ، ثم يبنى الهرم على قدر مايريدون من ارتفاع الاساس ، ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ، ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ، ثم يرفعون البنيان على هذا المقدار الذى يرونه ، ويجعل باب الهرم تحت الهرم ، ثم يحفر له طريق فى الارض بعقد ازج ، فيكون الازج تحت الأرض مائة ذراع او اكثر ، ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ماوصفت ... فقيل له : فكيف بنيت هذه الاهرام الملسة ؟ وعلى اى شىء كانوا يصعدون ويبنون ؟ وعلى اى شىء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لايقدر اهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا ..؟ فقال : كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج ، فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى اسفل ، فهذه كانت حيلتهم ، وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة ، وطاعتهم لملوكهم ديانة ... »

ويذكر المسعودى اجاباته عن الكتابة المصرية القديمة ، وعن أول من نزل بأرض مصر ، وعن مناجم الرخام ، ثم يذكر الكثير من الحديث عن آثار مصر ومدنها الباقية أبد الدهر بآثارها التى لا تزول ، وعن الفيوم والقناطر والسدود بمصر ، ثم يناقش أحمد بن طولون هذا الشيخ المليء بالاخبار والحكايات عن الديانة المسيحية فى مصر ، وعن اليهودية ، وعن المجوسية ، وعن المسائل التى عرضت لابن طولون ولمن حضره فى المجلس من رجال العلم والنظر مما هو طريف وملفت فى كتابه ، الا أنه يتركه الى ذكر تاريخ مصر وملوكها ، وهو فى كل مايذكر لا يخرج عن المأثور القديم المعروف والمتداول فى الكتب القديمة عن مصر التى سميت باسم مصر بن بيصر ابن حام بن نوح ، ثم قبط ثم أتريب ، ثم يذكر ملكات مصريات من « حوريت لوطيس » الى امرأة أخرى اسمها «مأموم» الى الريان بن الوليد الذى هو فرعون يوسف كما تذكره أخبار العرائس ، وقصص الانبياء ، والتيجان واخبار ملوك اليمن وغيرها من الكتب الاخبارية العربية القديمة ، الى أن يصل الى خبر دلوكه التى « بنت على بلاد مصر حائطا يحيط بجميع البلاد ، وجعلت عليه المحارس والاجراس ، والرجال متصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض ، واثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وهو يعرف بحائط العجوز» .

والمسعودى لاينقل عن هذا الرجل وحده وانما هو ينقل عن كل من سمع منه من أهل مصر من أصحاب العلم والتاريخ أو من يدعون انهم أصحاب العلم والتاريخ ، ولهذا امتلأ تاريخه بالاشياء الصحيحة وبالاشياء المغلوطة على السواء ... وقد كان فى هذا مثله مثل من ملكوا مصر من الولاة العرب ، يسمعون ولا يعرفون ، فيصدقون





ماسمعوا ، ولا يتيقنون مما يعرفون .. وهو يقدم أخبار الملوك الفراعنة ، حيث كان الاسم متداولا فى عصره ، الا انه غير معروف الدلالة التاريخية او العلمية ، ويقول « وسألت جماعة من اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير فرعون ، فلم يخبرونى عن معنى ذلك ، ولا تحصل لى فى لغتهم ، فيمكن - والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة لملوك تلك الاعصار - وان تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية ، وهى الفارسية الاولى ، الى الفارسية الثانية ، وكاليونانية الى الرومانية ، وتغير الحميرية ، وغير ذلك من اللغات » .

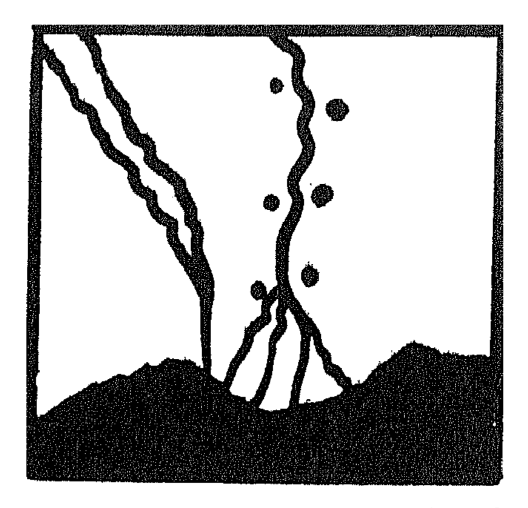
الا ان المسعودى رغم محاولته الدقة العلمية فى مثل هذا الموضع تقبل ماهو مشكوك فيه بداهة ومنطقا فيما يتعلق بمصر القديمة ، ويذكر لنا فى هذا المضمار الحفائر التى قام بها العرب للتنقيب عن الاثار المصرية القديمة ، وبادئا بمحاولات عبد الملك بن مروان الى عبد العزيز بن مروان الى احمد بن طولون ، الى عصر الاخشيد بن طغج . ويذكر لنا واحدة من هذه المحاولات فى التنقيب عن آثار مصر بقوله ص ٢١٢ الجزء الاول : « قال المسعودى : وقد كان جماعة من اهل الدفائن والمطالب ، ومن قد اغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة فى بطن الارض ببلاد مصر ، وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موقع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الاهرام المقدمة ذكرها ، بان فيها مطلبا عجيبا ، فاخبروا الاخشيد بن محمد بن طغج بذلك ، فاذن لهم فى حفره ، واباحهم استعمال الحيلة فى اخراجه ، فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج واقباب وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه تماثيل قائمة على ارجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء ، والصور مختلفة : منها صور شيوخ وشبان ونساء واطفال اعينهم من انواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروز والزبرجد ، ومنها ماوجوهها ذهب وفضة ، فكسروا بعض تلك التماثيل ، فوجدوا فى أجوافها رمما بالية ، وأجساما فانية » .

ويمضى المسعودى فى وصف المقبرة الفرعونية التى كشفت عنها الحفائر فوصف مابها من آنية ومواد وتماثيل عليها كتابات لم يفهمها هؤلاء المنقبون القدماء ، ويقول المسعودى : « وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة من فيه من الناس مع اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم ، وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل . والصور عليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملك ، وزعم قوم من ذوى الدراية منهم ان ذلك القلم من حين فقد من الارض - أعنى أرض مصر - أربعة آلاف سنة ، وفيما ذكرنا ، دلالة على أن

هؤلاء ليسوا بيهود أو بنصارى ، ولم يؤدهم الحفر الا الى ماذكرنا من هذه التماثيل ، وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ..

والصورة التى ينقلها الينا المسعودى فى وصف المقبرة المكتشفة ، صورة تنطبق على الاكتشافات الآثرية ، وما تميزت به القبور من سمات تكاد تكون مشتركة ، ولكن المسعودى لايحدثنا عن مصير هذه الثروة الاثرية ، وهل كان وراء اكتشافها جهد علمى حقيقى ، أم هو مجرد انسياق مع احاديث العامة عن الكنوز المرصودة ، والذهب الذى تحرسه الطلاسم ولا يكشف عنه إلا لاصحاب الوقت ، والعقائد الشعبية الاخرى التى ملأت الضمير الشعبى المصرى فى أولى مراحل حسه الحضارى ، وادراكه للثروة التراثية الخطيرة التى يعيش فوقها • وان كنا نحس ان المعنى التاريخى للمكتشفات الفرعونية لم يغب عن ذهن يقظ كذهن المسعودى استطاع أن يجمع من هذه المقولات المتداولة مايشكل هيكلا ما للتاريخ المصرى الفرعونى ،بعده أربعة آلاف سنة فى أعماق التاريخ •

وواضح ان فترة حياة المسعودى فى مصر امتلأت بمثل هذه الحفائر التى أضاعت الكثير من الاثار الفرعونية والتى أضافت فى نفس الوقت بعض المعلومات الى الذخيرة التاريخية العربية المليئة بالتشويش حول التاريخ المصرى القديم • ويقول المسعودى « والذى اتفقت عليه

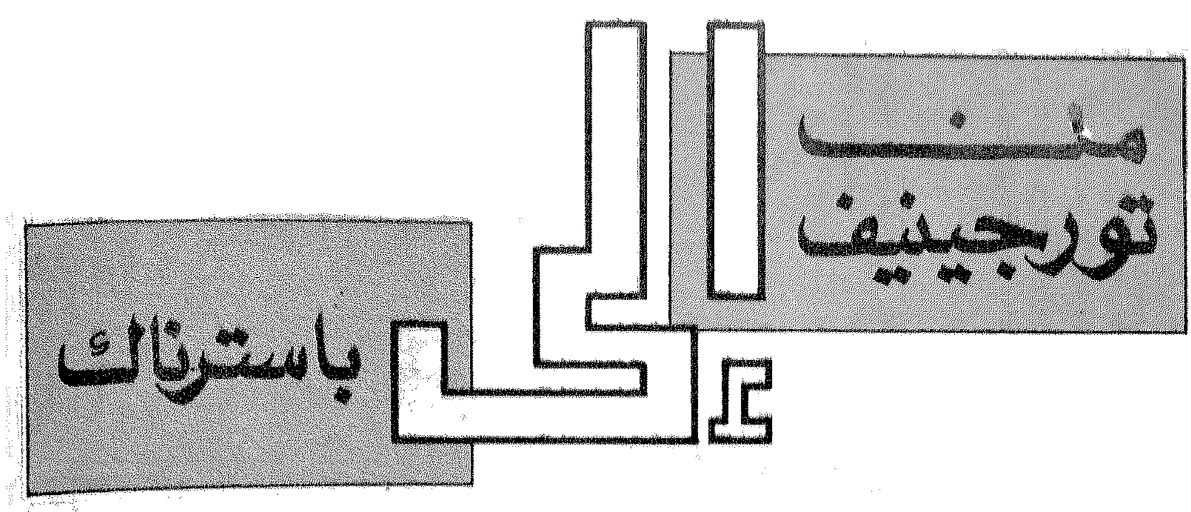


أهل التواريخ مع تباين فيها أن عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا ـ ومن ملوك بابل ممن تملك على مصرخمسة ، ومن ملوك بابل وهم العماليق الذين جاءوا اليها من بلاد الشام ـ أربعة ـ ومن الروم سبعة ـ ومن اليونانيين عشرة ، وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام ، وملكها ناس من الفرس من قبل الاكاسرة . وكانت مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين الف وثلاثمائة سنة .. » .

***

والواقع ان المسعودى وكتاب مروج الذهب نبع ثر لمن يريد جلاء الصورة الثقافية الكاملة لمصر فى الفترة التى عاشها المسعودى فيها وهو حول سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وهى صورة احسب انها لم تظهر بابعادها الكاملة فى كتابات رجال الدراسات التاريخية كما ظهرت عنده ، كما انها صورة أحسب انها ستضيف الى حقيقة رؤيتنا لتكون الانسان المصرى لحظة تحوله الى الانتماء العربى ، ابعادا اعمق وادل من مجرد سرد تحرك الولاة وتعاقب الممالك على مصر الاسلامية ..

● فاروق خورشيد ●



● ماهر شفيق فريد ●

كتب فيليب وندسور فى مجلة « ذاليسنر » ـ لسان حال هيئة الاذاعة البريطانية ـ الصادرة فى ٢٥ مايو ١٩٧٨ مقالة عنوانها : « هات ماء لماما » ـ تعكس بعض جوانب من الادب الروسى فى القرن التاسع عشر وقرننا العشرين ، والمقالة تعرض لستة كتب حديثة هى :

ـ الهمجى الرقيق : حياة تورجنيف وأعماله ، من تاليف ف· س· برتشت ·
ـ المفكرون الروس ، تاليف ايزايا برلين ·
ـ لرمنتوف : مأساة فى القوقاز ، تاليف لورنس كيلى ·
ـ تذكر تولستوى ، تاليف تاتيانا تولستوى·
ـ رسائل تولستوى ، تحرير وترجمة ر· ف· كرستيان ، فى جزءين ·
ـ لقاءات مع باسترناك ، تاليف الكسندر جلادكوف ·

يقول فيليب وندسور كاتب المقالة : ظل طيف ام تورجنيف المخيفة يطارده طوال حياته ، وجعل منه نصيرا للأفكار التحررية · لم يتمكن قط من نسيان وحشيتها الاستبدادية ازاء خدم ارضها ، ولكن اقوى رموز سيطرتها على خياله انما يتمثل فى ذكرى اخرى من ذكرياته · لقد ضربت يوما بالفلقة ابنها ، الاخ الاكبر لتورجنيف ، ضربا مبرحا حتى انه اغمى عليها · بيد أن الصبى العارى المضروب ، ما لبث ان نادى خادما واقفا : « هات ماء لماما » !

يروى هذه القصة ف· س· برتشت فى كتابه الجدير بالاعجاب عن حياة تورجنيف واعماله · بيد ان القصة تصلح عنوانا للمثقفين والكتاب الروس عموما ··· ان الام روسيا تعريهم وتضربهم ، ولكنهم رغم ذلك يكرسون انفسهم لتلك المهمة الميئوس منها : مهمة احيائها ورد الوعى اليها ··· ان هذا التكريس ، وهذه المحاولة القانطة ، انما يتمثلان فى كتاباتهم ، ولكن اصولهما لم تثر حتى الآن الا القليل من حب الاستطلاع فى الغرب · فعند اغلب القراء الغربيين ـ حتى من كان منهم على معرفة بالرواية الروسية ـ تظل روسيا غامضة بقدر ما هى واسعة ··

واليوم نجد ان محللى سياسة الوفاق او المتهدئة بين الشرق والغرب لا يكادونيشتركون فى شىء معمن يسعون الى فهم الثقافة الروسية والفكر الروسى وابلاغ هذا الفهم الى القراء · وهذا سبب آخر يدعونا الى أن نشعر بالعرفان نحو سير ايزايا برلين مؤلف كتاب « المفكرون الروس » ·

ان كتاب « المفكرون الروس » هو اول جزء فى سلسلة استرجاعية تعيد طبع مقالات ايزايا برلين وهى مقالات ظهرت على فترات مختلفة وفى اماكن متفرقة عبر سنين طوال · وتضم ـ من بين مقالاته الاخرى المعروفة ـ مقالة عنوانها « القنفذ والثعلب » وأربع مقالات عنوانها « عقد مرموق » عن طبيعة واهتمامات المثقفين الروس فى أربعينات القرن التاسع عشر ·

وقراءة هذه التاملات معا لا تمنح المرء حسا قويا بالبصيرة التى ترفد أعمال سير ايزايا وكلى وانما هى أيضا تلقى ضوءا على ذلك التفاعل العميق بين الروح الخلاقة والنشاط السياسى ، الذى ظل يميز الحياة الثقافية الروسية والذى أضر فى نهاية الامر بكليهما على السواء · ففى روسيا « تحول الكتاب الاجتماعيون والسياسيون الى شعراء وروائيين ، بينما غدا الكتاب المبدعون ـ فى كثير من الاحيان ـ دعاة » ·

وفى سياق القمع الوحشى الذى تلا ثورة الديسمبريين ، وجناية ثورات اوربا عام ١٨٤٨ على اى أمل فى الاصلاح داخل روسيا ذاتها ، يمكن لنا أن نرى لماذا غدا الكتاب فى آن واحد قادة للمطامح السياسية وطعما مستخدما فيها ، ولماذا تحول أناس كانت آمالهم الطبيعية خليقة أن يعبر عنها فى حقل السياسة الى الادب · بيد أنه فى كلتا الحالتين كثيرا ما كان جنون اليأس النشط يحل محل تحقيق الآمال · ولعل تورجنيف كان الكاتب الروسى الوحيد الذى أمكنه أن يمارس ما دعاه « صبرا نشطا »، لا يخلو من دهاء وبراعة · وحتى تورجنيف قد اقترب من عدة نواح من « الشخصيات الزائدة على الحاجة » التى تجرى امثلتها فى ثنايا كتاب ايزايا برلين ـ شخصيات مثقفة ، حساسة معنويا ، لا مكان لها فى وطنها ، يدفع

بها الى الاغراق فى توهمات خيالية ، أو الى تدمير للذات عنيف . ان الكسندر هرزن اللامع ينجو من هذا المصير الروسى ، ولكنه لا ينجو منه الا لينغمس فى أنشطة داعية منفى . ويوضح سير ايزايا ان هرزن كان كاتبا مبدعا عظيما ، وفيلسوفا أخلاقيا مرموقا - ولكن كتاباته اليوم تعني لدى القارىء الغربى ، الذي يواجه صراعات العصر بين الآباء والأبناء ، أكثر مما تعنيه لدى المواطن الروسى الذي فاقت فظائع تاريخه أى مصير تنبأت به تحذيرات هرزن .

ان ف . س . برتشت يزجي التحية الى مقالة برلين عن تورجنيف ، ولكن كتابه - الذى أحسن الاحتشاد له - هو فى حد ذاته انجاز مزدوج . واضح انه ما من أحد سوى روائى محترف ، كبرتشت ، قد كان يمكنه أن يبلغ نوعية الفهم والنقد الخبيز والتذوق التى تتبدى فى كتابه عن تورجنيف - ذلك الرجل الذى كان ، كما يلاحظ برتشت ، يصب رواياته فى شكل دراما خفية . بيد أنه يمكن للمرء أيضا أن يقول - دون ادعاء - أنه ما كان ليتسنى لغير رجل منحنا سيرة ذاتية فى مثل أمانة وموضوعية سيرة برتشت الذاتية ، أن يكتب - بهذه البصيرة المكبوح جماحها - عن العلاقة بين حياة تورجنيف وكتاباته . ان كتابه ليس تاريخا نفسيا - بالمعنى الرائج فى هذه الأيام - ولكنه ملىء بفهم نافذ وحكيم لتورجنيف : مريض الوهم الشجاع شجاعة فائقة ، الجبان الذى كان يغيز من أحداث حياته ونواياه فى الكتابة ، مع كل مراسل يبادله الخطابات .

وننتقل الى سيرة لرمنتوف التى كتبها لورنس كيلي ، وهى كتاب حسن الاخراج ، تثريه صور لرمنتوف التخطيطية ورسومه ، وتوحى ايحاء قويا بالعلاقة بين خبرات لرمنتوف بالقوقاز وتطوره الشعرى .

من الواضح أن كيلى يعرف أهل القوقاز ويحبهم ، ويتذوق الشعر الروسى تذوقا عميقا . ومع ذلك فان نوعية الادراك التى تتبدى فى كتاب برتشت أقرب الى أن تكون غائبة عن كتابه . ويمكن للمرء على الأقل ان يقول ان لرمنتوف - الذى أخذه جده من أبيه فى سن الثالثة - قد شكله فقدان كبير : ذلك ان وفاة شاعره المبجل بوشكين هى التى أحالته - ما بين عشية وضحاها - من ناظم مكتئب الى شاعر عبقرى ، ان القوقاز منظر طبيعى حسن الرمز الى حياته ، ولكن عمله - فضلا عن طريقة موته - يتطلبان فهما أكثر مما جاء به كيلى .

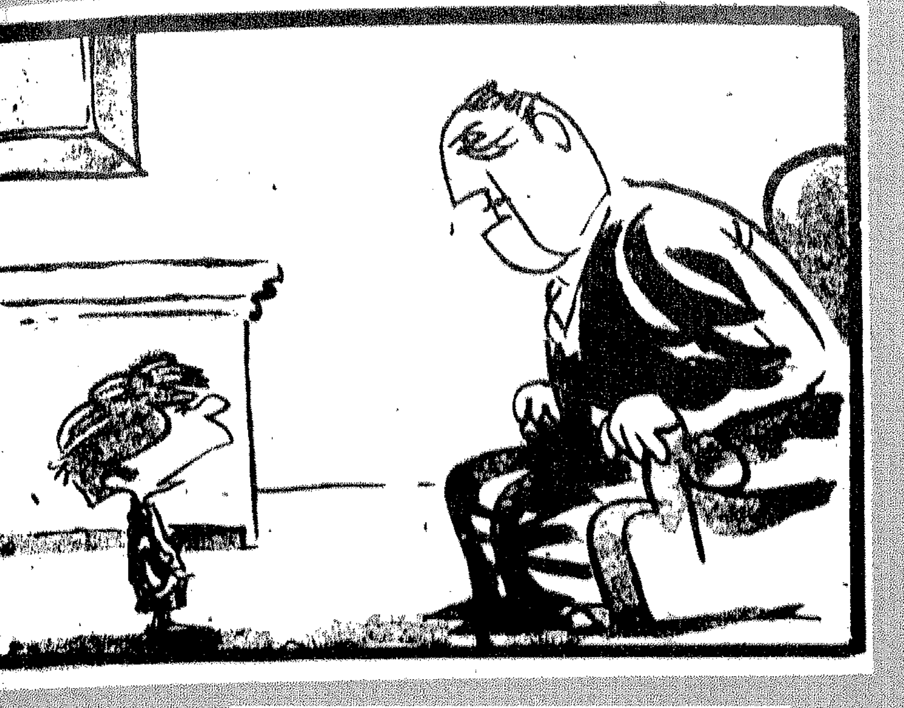
والكتاب التالى فى قائمتنا هو ذكريات ابنة تولستوى عن أبيها ، بعد ترجمتها الى الانجليزية ، مما يلقى ضوءا ان لم يكن على ينابيع شخصيته فعلى طريقة عمله على الأقل انها ذكريات ودود مؤثرة . يدهشنا انصافها لتولستوى وزوجته على السواء . واذ تكتب تاتيانا عن موت أبيها ، تنم عن فهم مهذب للصعوبات التى تعين عليه أن يواجهها ، ولكنها تكشف أيضا عن حب لأمها عديمة الحول ، التى كانت سجينة مزاجها قدر ما كانت سجينة مزاج بعلها . وفى الوقت ذاته لا تتمكن الابنة من اخفاء بشاعة سلوك تولستوى فى كثير من المواقف ، وشعوره بالحرج أمام ذاته .

ويبحث المرء عن تفسير لاتجاهات تولستوى فى رسائله المختارة التى ترجمها وحررها الأستاذ ر . ف . كرستيان . ولكن مشكلة الخطابات - خاصة اذا قرئت على الترتيب - هى أنها تسرد كل القضايا والأحداث الفردية ، ولحظات الحياة الحاسمة وغير الحاسمة ، على نحو صناعى الاتساق والاستمرار . وتتضاعف هذه الصعوبة فى حالة تولستوى الذى كان شديد الانغماس فى ذاته ، حتى انه - سواء كان يكتب الى زوجته أو الى القيصر ، عن تجاربه فى التعليم أو عن آرائه فى تورجنيف - يوحى ، قبل كل شىء ، بضراوة قوة ارادته ، واتساق هدفه على نحو فريد . ومع ذلك فان هذا الانطباع الذى يستقر فى نفوسنا هو عكس الحقيقة : فكثيرا ما كان يغير رأيه ، ويتحول جذريا - لا لأنه كان ، مثل بلنسكى ، على استعداد لمتابعة الحقيقة الى حدها الأقصى ، وانما لأنه لم يتمكن قط من الاحتفاظ بذلك « الحس بالواقع » - كما يدعوه ايزايا برلين - ذلك الاتصال بالحكمة الخبيئة المجاوزة للمعرفة ، وهى التى يهيب بها - على نحو رائع - فى رواية « الحرب والسلام » . انه يظل - على العكس من ذلك - كذابا متكبرا على نحو يعوزه العقل ، واعيا بطبيعته الخاصة فى ازدراء ، على ذكر من الرؤية السامية التى لم يمكنه بلوغها قط ، وعاجزا - حتى فى رسائله - عن أن يشرك مراسليه فى اهتماماته الحقيقية ، الاهتمامات التى أفضت به - فى رواياته - الى تزييف التاريخ باسم الحقيقة العليا ، وحالت أيضا بينه وبين تقبل الفكرة القائلة ان من المشروع استخدام المادة التاريخية لغرض فنى . لا عجب انه كان يكره شيكسبير ،

وقد كان باسترناك - على العكس من ذلك - عابدا لشيكسبير ، ومن المحقق أن كتاب الكسندر جلادكوف عن الشاعر الروسى يكاد يكون عن الملكة اليصابات بقدر ما هو عن ستالين . ويذكر مناسبة كان باسترناك يتلو فيها على جمهور فى موسكو بعض ترجماته لأشعار شيكسبير ، فطلب أحد الحاضرين السوناتة رقم ٦٦ وهى التى تشتمل على بيت يقول : « والفن تغله السلطة » . وهذه السوناتة بأكملها يمكن أن تعد شاهدا على قبر باسترناك فى الاتحاد السوفييتى . بيد أن حيويته ومرونته المدهشتين ، وقدرته على تمجيد الحياة فى قلب أشد الظروف ترويعا ، وقدرته فى نهاية المطاف على العودة الى الشعر بعد سنين من الصمت ، تؤكد للقارىء أنه جدير بالاعجاب الذى كان يكنه له أناس كثيرون . لقد كان - رغم تصنعه وسذاجته فى سلوكه الاجتماعى والعاطفى على السواء - قادرا ، فى الوقت ذاته ، على اقتحام الحياة والطبيعة واللغة . ومن هذه الينابيع الثلاثة انبثق شعره . . .

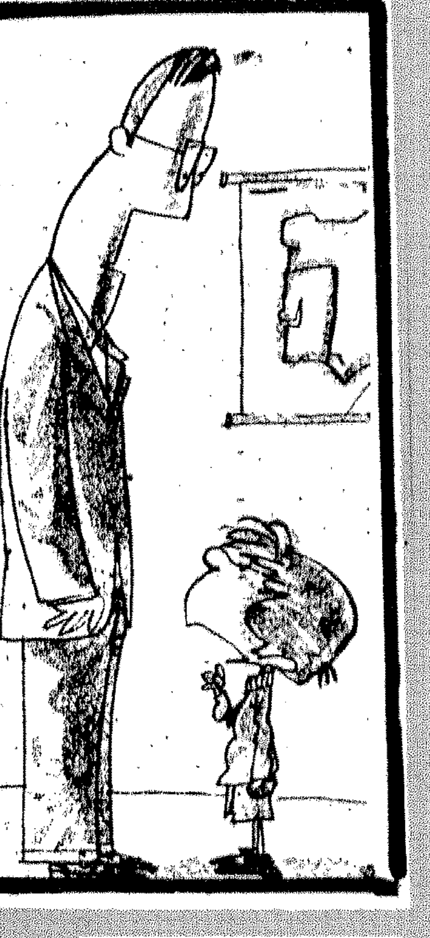
كاريكاتير

جيل جديد جداً



الولد لابيه : اذا كنت عاوز تشتم كمان اشتم وخلصنا ... خليها كلها مره واحده ، مش كل ساعه والتانيه تبتدى تشتم تانى !

الولد لابيه : النهارده انا مش رايح المدرسة .. عاوز اعرف السبب اقرا المقاله فى الاهرام عن أحوال المدارس !





الولد لابيه : وايه يعنى لما ادفع لاصحابى تمن الساندويتشات ؟ .. مش احسن من انى اعمل زيك وما ادفعش لاصحابى واصحابى يشتموا عل ؟!



الولد لابيه : والله يا اخى انا محتار معاك ... حاجات تقولى بلاش تعملها علشان انت لسه صغير ! .. وحاجات تقولى لازم تعملها علشان انتلسه صغير ! .. تعجبك يعنى بلبلة الفكر دى ؟!



الولد للبنت : ... واذاكان لازم نتجوز يبقى لازم تشتغل وتجرب لعيش عل ماهيتك ... اذا نفعت نفعت ، واذا مانفعتش ابقى اشتغل انا كمان !



الولد للبنت : كل يوم قرارات جديدة برفع مستوى المعيشه وزيادة مرتبات الموظفين والعمال ... الاولاد بس هم الل لا ؟!



الولد لصديقته : التى انسانه عجيبة لايمكن فهمها ولا التفاهم معاها ... ده مش رايى انا بس ، ده راى « بوبى » كمان ، والتفضل حتى اساليه !

● د . مصري عبد الحميد ●

المرونة

ومواصلة الاتجاه في عملية الإبداع الفني لدى الأدباء

مخطيء من يتصور ان فعل الابداع يتم بفعل جن او شيطان ، او يهبط على المبدع من عالم آخر فيما وراء طاقته العادية ، وامكانياته البشرية .

ومخطيء ايضا من يظن ان فعل الابداع مرهون بمشيئة المبدع ، بحيث يستطيع ، حين يرغب ، الضغط على أزرار او مفاتيح ، فتتفتح على الفور مغاليق عقله ، وتفيض عليه مددا لا ينقطع من اللآليء الابداعية !

هذا مخطيء وذاك مخطيء ايضا ، والخطأ في الحالين راجع الى النظر الى الابداع نظرة غير موضوعية .. ان الابداع كما لاحظنا ولاحظ غيرنا ـ في عدد كبير من الدراسات النفسية الحديثة ـ يمضي وفقا لشروط ، وحين تتوفر الشروط ، وبعضها تحت سيطرة المبدع ، وبعضها خارج نطاق سلطانه ، حين تتوفر هذه الشروط فان فعل الابداع يجد طريقه الى الوجود .

فما هي تلك الشروط التي امكن الوقوف عليها من خلال الدراسات العلمية ؟

لقد امكن لنا الوصول الى مفهوم اجرائي يمكن من خلاله استيعاب معظم ما رأينا ان له صلة بعملية الابداع من شروط او ظروف ، هذا المفهوم هو الأساس النفسي الفعال .. والاساس النفسي الفعال تصور يشار به الى تلك الحالة النفسية التي تواكب المبدع طوليا وعرضيا في حياته على وجه العموم ، وفي رحلته الابداعية على وجه الخصوص .

ان هذا الأساس النفسي الفعـــال يتكون منذ بداية حيـــــاة الانسان ، ويستمر فى التكوين على مــدى رحلة عمره ، قد يقوى ويشتد أحيانا، وقد يهزل ويضعف ويتآكل ، بل وقد يذوى ويموت أحيانا أخرى ، والاسباب لذلك متعددة والشواهد أيضا عديدة .

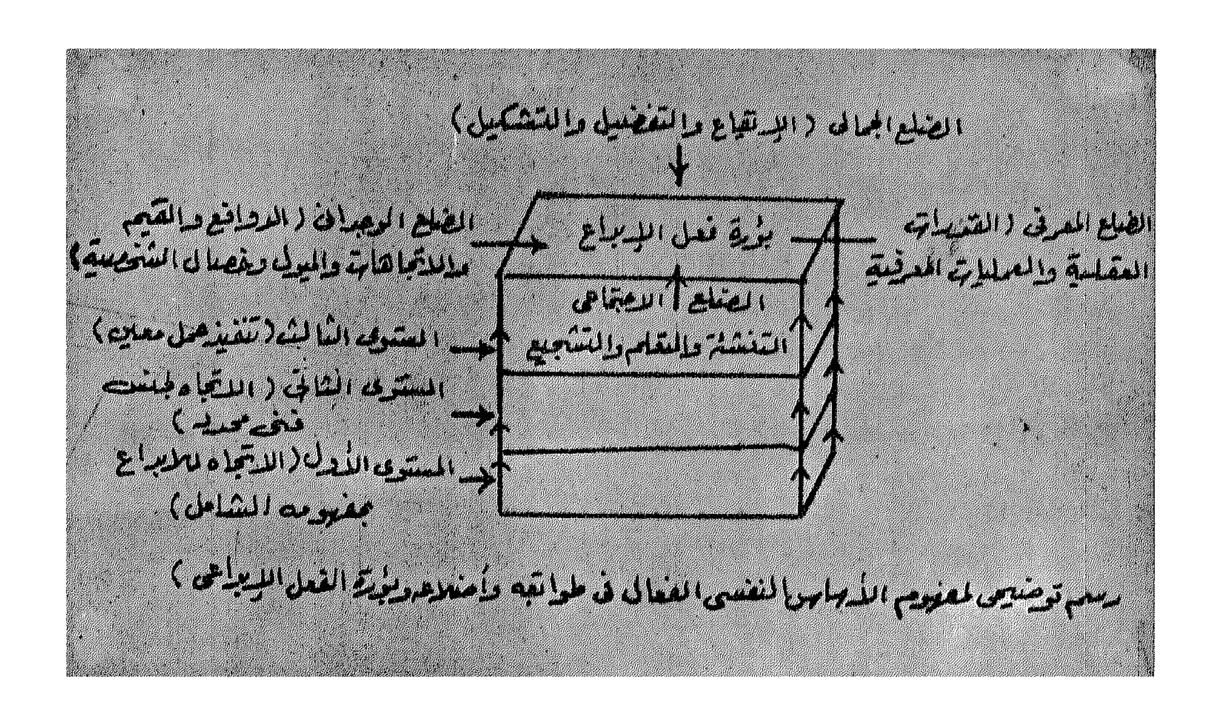
وسوف نلجأ الى نموذجين مـــن المبدعين يمكن من خلال تتبع رحلتهمـــا فى عملية الابداع الوقوف على كنــه هذا الاساس النفسى الفعـــال ، على الأقل فى جانبين من جوانب هـــــذا الاساس ذى المســـــتويات أو الطوابق الثلاثة : المستوى العام ، والمستوى الخاص ، والمســـتوى النوعى ، وذى الاضلاع الاربعة فى كل مســـتوى : الضلع المعرفى ، والضلع الوجدانى ، والضلع الجمالى ، والضلع الاجتماعى

ومن خلال الارتقاء من مستوى الى مستوى ومن خلال سيادة الجـــوانب الايجابية فى الاضـــلاع الأربعـــة ، وتضاؤل جوانب التعويق والتشتيت فيها ، نجد أن فعل الابداع تحقـــق بدرجة عالية من الكفاءة والخصوبة .

وسوف ينصب اهتمامنا فى هـــذا المقال على جانبين مهمين من جوانب النشاط النفسى المعقد فى عمليـــــة الابداع ، هما المرونة ومواصلة الاتجاه خاصة وانهما خاصيتان ترتقيان مـــع الفرد منذ بداية حياته ، كما انهمـــا تمتلكان ملامح مركبة ، بعضها عقــلى يقع على الضلع المعرفى ، وبعضـــــها مزاجى يقع على الضلع الوجدانى من اضلاع الأساس النفسى الفعال .

وكاتبانا المختاران ، مع تفـــاوت فى الاهتمام بكل منهما ، هما توفيـــق الحكيم ، والثانى هو توماس مان .

أن من يطلع على التراث الذى خلفه توفيق الحكيم ، حيث دون افـــكاره وخواطره ، واعيا أو غير واع ، يلاحظ أنه كان يسجل باستمرار اهتمامـــه بالفن منذ الطفولة الباكرة : لننظر فى زهرة العمر ، وسجن العمر وعـــدالة وفن ، ويوميات نائب فى الارياف ، وحمار الحكيم ، وعصفور من الشرق ، وفن الأدب ــ سنجد اننا نقترب مـــن مفتاح غاية فى الدقة يدلنـــــا على سر النبوغ الفنى لتوفيق الحكيم ..



رسم توضيحى لمفهوم الأساس النفسى الفعال فى طوابقه وأضلاعه وبؤرة الفعل الإبداعى)

لقد رغب الرجل فى ان يمضى فى طريق الفن من البداية . ولكن ماالذى حرك فى نفسه تلك الرغبة ؟ لا شك ان هناك عوامل غير ظاهرة ، بل وقد **لايعيها توفيق الحكيم نفسه ، ولكن الوقائع المتاحة تطلعنا على انه وجد نفسه من سن مبكرة فى علاقة مع حياة الفنانين ، بل وكان يحاول ان يقترب منها ، وقد اهتم بها توفيق الحكيم اهتماما ملك عليه نفسه وملأ عليه وجدانه ، ووجه معظم تفكيره الى هذا الاتجاه .**

ومضى توفيق الحكيم فى رحلة عمره ، وكانت الرحلة فى جانب منها دراسة اكاديمية فى المدارس المصرية وفى الحقوق ثم فى فرنسا ، وفى الجانب الآخر كان التثقيف الذاتى التلقائى .

وخلال هذه الرحلة لم يتوقف توفيق الحكيم عن المحاولة فى اتجاه الابداع الفنى . ان خطا موصولا فى حياة هذا الفنان يطلعنا على انه كان مشدودا بحبل متين الى عالم الفن عموما وفن المسرح على وجه الخصوص وحين نعلم ان توفيق الحكيم ، فيما يذكر ، كان يؤلف اثناء مرحلة دراسته بل وكان بعض ما يؤلفه يجد طريقه الى التمثيل على المسرح ، وكان احيانا ما ينال اجرا على مايكتب فاننا نستطيع ان نستنتج ان كل الشواهد المبكرة فى حياة توفيق الحكيم كانت تدل على ان هذا هو طريقه ..

وحينما كان فى فرنسا ، نلاحظ من خلال قراءتنا لصفحات من زهرة العمر ، وهى عبارة عن مجموعة من رسائله الى احد اصدقائه الفرنسيين نلاحظ ان اهتمامه بدراساته الاكاديمية للحصول على دكتوراه القانون كان ضئيلا ... ولسنا نشك فى ان الحكيم لو كان قد وجه جزءا من اهتمامه بالفن لدراسة القانون لفرغ من الحصول على شهادته فى وقت مناسب ، ولكنه فى اعماقه ، كما تدل على ذلك خواطره ، لم يكن لديه الايمان ولا الدافع للحصول على تلك الشهادة .. لقد أبعده ابوه عن مصر ليقصيه عن طريق الفن ، ولكن يقيده بدراسة القانون ، ولكن رغبة الحكيم كانت اقوى من القيود والمعوقات ...

مما سبق يتضح لنا ان الحكيم وضع نفسه او قد وضع فى اطار نفسى ليس له منه انفكاك .. وهذا هو المستوى الأول من مستويات الاساس النفسى الفعال .. انه البناء فى طابقه الأول ، وقد كان البناء من المتانة بحيث لم يتأثر بالزوابع أو الاعاصير التى تمثلت فى مقاومة المجتمع واعتراض الوالد ، بل ولم يتأثر أيضا بفشله فى الكتابة بالفرنسية للمسرح حين كان بفرنسا ، لم يتأثر الاطار النفسى لدى توفيق الحكيم ، لأنه كان مصرا وراغبا فى المواصلة فى هذا الاتجاه .

ولسنا هنا نحسب أمام بعد عقلى كان يملى على توفيق الحكيم اتجاهه ، او تمسكه بهذا الاتجاه ، ولكن من الواضح ان جانبا وجدانيا كان له اكبر الأثر فى دفع الفنان الى المضى فى اتجاهه ، يتمثل هذا الجانب الوجدانى فى قيمه ودوافعه واتجاهاته ، وطبيعته النفسية التى تميل الى اعتناق الغريب من الامور والشاذ من الافكار .. انه يتحدث فى زهرة العمر عن منطق خاص لا يشبه منطق الآخرين ، هذا المنطق الخاص هو طبعه المتفرد وخصائصه المتميزة ، واهتماماته التى لاتشبه اهتمامات الافراد العاديين .

كذلك مما يتميز به توفيق الحكيم خلال اتجاهه الابداعى ومواصلة لهذا الاتجاه نوع التدريب الذاتى الذى كان يأخذ به نفسه ، ويفرضه على نشاطه ... لنقرأ معه مثلا من زهرة العمر ايضا تلك السطور التى يتحدث فيها عن تلك الفتاة التى عرفها . ويصف قراءتها لاحدى الروايات فى ساعة او ساعات ، قراءة من اجل تمضية الوقت او من اجل المتعة ، على حين انه كان

يقرا نفس القصة في ايام ، ليس مرة واحدة بل مرات متعددة ليس من اجل المتعة ، ولكن من اجل التلمذة على الصنعة .. انها مواصلة واعية ورغبة في التجويد والتعلم باستمرار .

ونحن هنا امام بعد عقلى وجدانى مركب ، ذلك البعد هو بعد مواصلة الاتجاه الذى اثبتت الدراسات النفسية المصرية ، ولأول مرة ، انه احد الجوانب النفسية المسئولة عن السلوك الابداعى عموما ، وعملية الابداع الفنى على وجه الخصوص وهذا البعد يمكن ان يتحرك بخصائصه المركبة على الاضلاع الأربعة للاساس النفسى الفعال : الضلع العقلى المعرفى، والضلع الوجدانى والضلع الجمتالى، والضلع الاجتماعى . بل وهو كذلك يمضى فى «حالة من الارتقاء من المستوى العام حيث الاتجاه الابداعى لدى الفرد على وجه العموم » الى المستوى الخاص حيث الاتجاه الى التجويد فى مجال معين هو مجال المسرح لدى توفيق الحكيم على وجه خاص ، ثم الارتقاء الى المستوى النوعى حيث موقف التنفيذ الابداعى لعمل معين من اعمال المسرح لدى هذا الكاتب على وجه الخصوص وحيث يتحرك الكاتب مع أحداثه وشخوصه ، يضيق بهم ويشتاق اليهم ، ينفر منهم ،ويستمتع بهم . لقد أصبح العمل هو سفينته التى يعبر بها عباب هذه القناة المتدفقة بمياه العملية الابداعية .

***

واهم ما يكشف عنه هذا الجانب من جوانب النشاط النفسى فى عملية الابداع هو أن المبدع يتحرك من خلال منظومة موصولة تماما : اننا نلاحظ انه قادر على الامساك بخيط يراه مناسبا لامكانياته ويجرى وراء هذا الخيط ربما طوال عمره ، والخيط فى البداية يكون سميكا عريضا ذلك هو خيط الابداع العام، ثم نجده يتخصص بحيث يمضى الى الابداع فى مجال معين هو المسرح مثلا ، ثم نجده يدق حين يجلس الكاتب الى عمل من اعماله ليعالجه ، ولكن مع هذا التقدم والارتقاء فان الخط يظل قائما بحيث تاتى ملامح اى عمل من اعمال المبدع متضمنة للملامح الأصلية لهذا الخيط الموصول .

***

لنترك الحكيم لحظة ونحاول الاقتراب من مبدع آخر هو توماس مان أحد كتاب الرواية البارزين فى القرن العشرين ، للوقوف بشكل أكثر عمقا على طبيعة هذا البعد النفسى الاساسى فى عملية الابداع الفنى بعد مواصلة الاتجاه الابداعى سواء على مدى حياة المبدع أو خلال تنفيذه لعمل من اعماله .

لقد كتب توماس مان كتابا كاملا يشرح فيه كيفية قيامه بابداع روايته قبل الأخيرة والمعروفة باسم « دكتور فاوستوس » . ويذكر الكاتب انه على مدى أكثر من اربعين عاما ظل مطاردا بفكرة هذه الرواية . وكان هو من جانبه يعود الى الفكرة من حين الى حين

ومن الطبيعى ، والحالة هكذا ، ان روافد متعددة كانت تحمل المد اليه ، وكان هو بدوره يسجل ما يعن له من افكار تتعلق بموضوع الرواية فى اوراقه ، حتى اذا جاء الوقت المناسب لكتابة القصة كانت الأمور مهياة للانطلاق .

ولم يتوقف هذا البعد النفسى « مواصلة الاتجاه » عند بدء الجلوس للكتابة ، بل انه استمر الى آخر كلمة خطها الكاتب فى روايته ..

ومن الشيق ان الكاتب يذكر انه حينما كان يكتب روايته أصيب بالمرض ونقل الى المستشفى ، ولما يكن قد انتهى بعد من الفصول الاخيرة ، وفى غمرة المرض كان اهتمامه بالرواية هو الشيء الجوهرى فى كل تفكيره ، بل انه كان قلقا عليها وخائفا أن تنتهى

عمره قبل ان ينجز العمل !
ان الأمر لم يكن مجرد استقبال سلبي للأفكار تأتي او لا تأتي ، كلا .. ان الكاتب كان يعيش بكل كيانه في العمل ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان العمل كان هو محور حياته كلها . .
ولقد كان ما يبذله من جهد لكي يذلل الصعوبات ويربط المواقف ، ويعمق الافكار فوق طاقة واحتمال البشر العاديين ، ولم يكن ذلك عن عدم تمكن حيث ان هذا الكاتب كان في آخر سنوات عمره ، وقد كتب قبل هذه الرواية عشرات القصص ، وكان قد تجاوز تماما ما يمكن ان نعتبره المحاولات التجريبية للكتابة .

لقد كان يقرأ في تاريخ الموسيقى ونظرياتها ويستمع الى مؤلفات كبار الموسيقيين ، كما كان يطلع على نيتشه خاصة والمذاهب الفلسفية عامة ، وكان يستشير الخبراء ويستنبئ بآراء المتخصصين كذلك كان يعرض الاجزاء التي يكتبها من الرواية على اصدقائه وقارئيه ، ويتلقى الرسائل التي تحمل اليه ايضاحات قد تلقى اضواء على ما غمض من جوانب ، وتزيح الاستار عما خفي من حقائق ... وكانت مقدرة الكاتب تتمثل في تمكنه من استمثال كل ذلك وافرازه فيما بعد في كيان جديد هو ((دكتور فاوستوس)) .

ولقد تكشف لنا ان هذا البعد النفسي هو احدى العلامات البارزة في خط سير العملية الابداعية لدى كتاب القصة والمسرحية ، بل وفي جميع مجالات الانتاج الابداعي ... وجدناه عند هنري جيمس ، و د . هـ . لورنس ، وآرثر ميللر ، ويونسكو ، ونجيب محفوظ . ويوسف ادريس ، ومصطفى محمود ، وغير هؤلاء .

***

نعود مرة اخرى الى توفيق الحكيم لنواصل معه رحلة الابداع ، فهل من جديد لديه ؟
لقد كشف هذا الكاتب عن قدرة عالية على مواصلة الاتجاه ومحاولة الوصول الى شاطىء الاستقرار ولكن اي استقرار هذا الذي كان ينشده الكاتب ؟
انها حالة مؤقتة لا تدوم ، والكاتب اول من يعلم ذلك . انه طائر متنقل من ايكة الى ايكة ، لا يمكن ان يفرد في حديقة واحدة ، وهو ان لم يقدر على التنويع يتجمد في مكانه ، ويصبح محاصرا .
ان توفيق الحكيم يعبر عن ذلك بوضوح في كتابه فن الأدب ، فهو يذكر أن الكاتب يظل يبحث عن طريق الى أن يستقر على ضالته المنشودة ، وهو في الفترة التي يبحث فيها عن اسلوبه ، يتنقل من موقع الى موقع حتى يصبح له اسلوبه الخاص المعروف به بين الناس ، حتى اذا قرأه قارىء عرفه بأسلوبه الخاص قبل ان يدل عليه اسمه .. ويذكر الحكيم انه يمكن ان يضيق به الناس : دائما هكذا .. ؟ ألا يمكن ان يغير نفسه ؟ !

***

من الممكن بالفعل أن يغير نفسه وقد غير توفيق الحكيم من أسلوبه وافكاره كثيرا ، لقد كتب الرواية والمسرحية الكلاسيكية والمسرحية الطليعية والمسرواية والخواطر والنظريات .. الخ . وكان دائما يحاول أن يجدد من نفسه .. صحيح انه هو هو توفيق الحكيم المواصل لافكاره ، المحافظ على هويته ، ولكن هذا الاستقرار والدوام ليس الا الاطار الخارجي كالاسم الذي يحمله الانسان من أول عمره الى آخره .. انه بطاقة تصنيفية . ولكن على مدى حياة الشخص هناك الآف الآلاف من التنويعات والتنقلات ، بل ان الكاتب داخل العمل الواحد يجد نفسه قد انتقل من فكرة الى اخرى بمهارة ، وتتعجب كيف اتيح له أن يربط بين هاتين الفكرتين المتناقضتين بمثل هذا الرباط المتين .

لناخذ مثلا السلطان الحائر

فالمسرحية من اولها الى آخرها قائمة على سلسلة من التنقلات العكسية من موقف الى موقف ... الغانية تبدو لنا ذات سمعة سيئة وسلوك معيب ، ولكننا ما نلبث حتى نكتشف جوهر سلوكها الحقيقي ، انها سيدة طيبة بل وفاضلة ايضا .

ورجل القضاء المحافظ على نصوص القانون ، حامى حمى العدالة ، نجده يتلون بمهارة ويحاول أن يجد المخارج والتخريجات ..

والسلطان ، ذلك القادر الطاغية المسيطر ، صاحب نظرية السيف أولا ، نراه انسانا مرنا قادرا على التخلى عن أفكاره السابقة ، والانتقال الى حالة عجيبة من الصفاء والخضوع لحكم القانون والانصياع لمنطق العدالة .

هؤلاء جميعا كانوا قادرين من خلال سيطرة المؤلف ، على التنقل من صفة الى أخرى والتحرك من موقف الى موقف ، والانتقال من نقيض الى نقيض بسبب ما يتمتعون به من قدرة اساسية فى السلوك .

***

ان الكاتب فى الواقع هو الذى بث فى شخصياته هذه الخصائص المرنة ، وهم مرنون ، أجل ! ولكن مرونتهم فى اطار اتجاه موصول ، والكاتب قادر على ادارة حركة المسرحية من خلال هذين البعدين الاساسيين : المرونة ومواصلة الاتجاه على أرضية صلبة تستوعبه تماما هو وعمله وشخصياته ، تلك الأرضية هى ما سميناه الاساس النفسى الفعال .

وتوفيق الحكيم من أبرز المبدعين الذين يثبتون أن الاساس النفسى الفعال لديهم غاية فى النضج ، وربما كان ذلك راجعا الى تلك التركيبة النفسية الفريدة التى تكونت لديه ، كما سبقت الاشارة ، على مدى سنوات عمره ، فهو واحد من الذين أخذوا انفسهم أخذا شديدا بالاطلاع فى مجال الادب ، قديمه وحديثه ، شرقيه وغربيه ، كما أنه قد اتيحت له الفرصة خلال دراسته بفرنسا لكى يتلقى دروسا فى الفلسفة والمعارف العامة ، الأمر الذى مكنه من السيطرة على معارف العصر . كذلك يقرر الحكيم فى أكثر من موضع ان الموسيقى الغربية والشرقية ايضا كانت تمثل بالنسبة لفكره ووجدانه تيارا خصيبا ملأ عنده فراغا وسد احتياجا .

وقد جاءت براعة الحكيم فى قدرته على استمثال هذه الثقافة واخضاعها لمقتضيات فنه ، دون افتعال

***

وكانت كل هذه الروافد والتيارات كفيلة بان تنضج بعد مواصلة الاتجاه لدى توفيق الحكيم ، كما كانت قادرة على أن تزوده برؤية عريضة ، رؤية ثاقبة ، مما يتيح له تغيير وجهة النظر بمرونة واقتدار كما رأينا فى أعماله المتوالية والتى ضربنا لها مثلا بالسلطان الحائر ...

وفى النهاية ، فليست المرونة من ناحية ومواصلة الاتجاه من ناحية أخرى ، الا الخاصتين من خصائص اطار كامل تعملان فى ظله وتنشطان من خلاله وتنطبعان بطابعه ، ذلك هو الاساس النفسى الفعال ، الذى تستمدان منه خصائصهما ومن ثم تتركان اثرهما على ما ينجزه المبدع من اعمال ..

ان « مواصلة الاتجاه » و« المرونة » هما من خصائص المبدع ، وبقدر تمتعه بهما تجىء أعماله ، تمتلك هى الأخرى نفس القدر من خصائص الابداع . وهما ليسا شيئين جاهزين .. انهما كماسبقت الاشارة يتكونان فى هدوء وبالتدريج ضمن بناء كامل هو البناء النفسى للفنان ..

د . مصرى عبد الحميد
كلية الاداب ـ جامعة المنيا

صورة

كيفا كازانا

من الأدب الافريقى المعاصر

● بقلم : فيوليت كوكيوندا ●

● ترجمة : سليم الاسيوطى ●

خطوت خارج المنزل ، وقفت على عتبته لحظة وقد اعمتنى اشعة الشمس الحادة المستقيمة . لقد كان اصيلا شديد الحرارة جدا ، واعتقدت حقا ان الحظ قد ظلمنى واساء معاملتى بان جعل نوبتى فى العمل تقع فى مثل هذا اليوم . فقد كانت ماما مازالت تستمتع ببهجة الظهيرة واخواتى ، يفدن أكبر الفائدة ، بدون شك ، من حريتهن .. لقد حل دورى لاعداد شاى الاصيل ((بعد الظهر)) .

ملأت الفلاية ، وبينما كنت أهم بدخول المطبخ تراءى لى انى قد أبصرت بشيء يزحف الى الوراء خلف الحائط .. نعم ، لقد كان هناك غلام صغير فى أسمال بالية ، ورفعت صوتى أناديه : « لماذا تختبىء هناك ، أيها الغلام ؟ اقدم الى هنا ودعنا نلقى نظرة عليك . »

نظر وفى عينيه تبدو امارات الرعب والفزع منى .. وتساءلت مع نفسى ما اذا كنت قد أسأت الخطاب ؟ ولذا سرعان ما اردفت قائلة على عجل :« ما اسمك ، يا غلام ؟»

اجاب قائلا : « اسمى كيفا ... كيفا كازانا » .

رددت وانا شاردة اللب : «كيفا» .. وتذكرت الفلاية التى كنت احملها فى يدى ، فأسرعت بها الى المطبخ ، ورحت التقط بعض كتل الحطب لأوقد النار ، وانا فى الطريق اليه .

قلت ثانية : « حسن ، يا كيفا ... انه من الافضل لك أن تدخل الى هنا وتساعدنى فى اعداد الشاى ..»

فجاء على استحياء ، وجلس فى ذلة وانكسار على حافة عتبة الدار .

((من اين جئت ، يا كيفا كازازا ؟))

فصوب لى خطاى هلما : ((اسمى كيفا كازانا)) .

الهزيل ، انه ربما كان يتضور جوعا ، وقد جاء الى دارنا استجداء لبعض الطعام .. لكن ، كم كانت رائحة ثيابه الرثة بغيضة منفرة !!

مالت الشمس الى المغيب قليلا ، ورايت انها متعة اى متعة ، لو اننا تناولنا الشاى فى الخلاء خارج الدار . فاحضرت الحصر وبسطتها تحت الشجرة .

واذ كان كل شيء يبدو معدا وجميلا ، عدت الى البيت .

« لقد اعد الشاى ، يا اماه ، وهنا غلام صغير مسكين يبيت على الطوى ، وهو يقول انه شريد لا ماوى له ، ويتيم الأبوين »

ـ « حسن ، فلتشكرى الله ، الذى ابقى لك اباك وامك . وعبرى عن شكرك هذا ، لكونى اوفر احتراما واكثر تقديرا لهما . ولا تقفى هكذا ، هنا ، فى مدخل الباب وانا ارتدى ثيابى . »

هكذا اندفعت توجه الحديث الى .. حقا ، وعلى الرغم من ذلك ، كنت اتلهف لمعرفة ما اذا كان « كيفا كازانا » صار احسن حالا مما كان عليه عقب مجيئه .

اسرعت عائدة الى المطبخ ، واذ اصبحت على مقربة منه سمعت صوت شيء يتحطم على ارض الحجرة . اجفل « كازانا » ثم وقف يواجهني وقد سرت فيه رعدة الخوف ، لقد كان يكشط بقايا وجبتنا الاخيرة من سطح الطبق . وتظاهرت بانى لم الحظ شيئا واردته على أن يغسل يديه ويحضر لتناول الشاى .



نعم ، يا كازانا ، اين تقيم ؟ »

همس قائلا بصوت يكاد لا يسمع : « لا مسكن لى » .

« لا مسكن لك ؟ .. هراء . طبعا لك مسكنك ، ان لكل انسان مسكنا ، حيث يعيش ابوه ، وامه واخواته ، واخوته . فاين يعيش والداك ؟ »

« ليس لى والدان .. انهما . ماتا » وأدركت أن هذا الموضوع والحديث عنه يتعسه افظع التعاسة . فما كان منى الا ان امسكت عن الحديث فورا ، وقلت له : « لا تهتم لذلك الآن .. »

وكان الماء فى الاناء قد بدا يغلى . « حسن ، انتظر هنا لحظة ، يا كازانا ، وساذهب انا لاعد الشاى » . .. واذ هو ينظر فى تشوق الى الغلاية اكدت له انى لن ألبث فادعوه ، حينما يعد كل شيء .. ثم خطر لى فجاة ، وقد نظرت الى جسمه العارى الناحل



كيفا كازانا

فقال هيابا وجلا ، : لا اظن ، حقا، انى احب تناول الشاى .»

فسالته : « ولم لا ؟ »

وانا اتتبع نظرته الى الركن القصى لمنزلنا حيث كانت اخواتى الثلاث النشيطات قد ظهرن .

« آوه ، لا تهتم لهن ، انهن اخواتى فحسب. »

« ولكنهن كثيرات ، وربما يضربنني كما يفعل الاخرون ! »

« هيا ، فلن يضربنك ، بل لن يجرؤن على ذلك ، وانا اختهن الكبرى كما ترى » .

« ولكن هؤلاء الاخرين ضربونى . ضربونى لانى اكلت طعام كلابهم .. لم تكن الكلاب تريده ، وكنت جوعان ولكن ... »

« حسن ، قد يكون هذا هو الواقع ،ولكن اخواتى لن يضربنك ، وسترى .»

تقدم وجلس على بعد نحو عشر ياردات منا . واتجهت اليه الانظار جميعا ،وسارعت لاشرح لهن أن اسمه « كيفا كازانا » وانه شريد لا ماوى له، ولا بابا ، ولا ماما » .

همست نورا مستفسرة « وفى اى قدح سيتناول الشاى ؟ »

واجابت مارى :« افضل ان يكون قدح جولييت» وهى تنظر الى اسماله البالية . كانت جولييت هى قطتنا ..

وصاحت أمى قائلة : « قدح جولييت؟ يشرب من صحفة القطة . ؟! » وهى لاتكلف نفسها مؤونة خفض صوتها . « أسرعى يانورا واحضرى واحدا من الأقداح التى نقدم فيها للزائرين . »

وضممت صوتى الى المجموعة قائلة : « اتقولين واحدا من اقداح الزائرين ! »

وهنا ظهر عمانوئيل ، كان قد غاب عن بالنا جميعا .

قال ، معتقدا انه يمزح : « من أين جاء هذا الغلام رث الثياب ؟ اغرب عن وجهى قبل ان يوسوس لى الشيطان، فارميك بحجر . انى اريد ان اتناول قدحى من الشاى .»

فهجمنا عليه غاضبات جميعا ، ولكن قبل أن نتفوه بكلمة ، كان « كيفا كازانا » قد شب واقفا ، وانطلق كالسهم المارق متجها الى مرعى الفيلة الكثيف خلف المطبخ . وجرت خلفه أخواتى الصغيرات ، يهبن به أن يعود، ويتناول قدحه من الشاى اولا . كانت صيحاتنا « كيفا كازانا » يتردد صداها بين جنبات حديقة الموز الجافة ،وعبر الحقول الخاوية وهابطة الى الوادى ، اسفلنا .

وردد الصدى قائلا : ولا ماوى له «ولا بابا ولا ماما»بينما اخذت صيحاتنا تتوقف تلقائيا ..

ولربما أنسى ...

● عبد الله الأنور فواز ●

نَفَضَ الجوانح من هواه
ومضى الى حسن سواه
إذ كانَ لا يحظى لديه
ولا يمكن من رضاه
والحب مثل الورد
يذبل إن تغافل ساقياه

***

ولربما أنسى الذي
دبرت لما أن أراه
وأروح معتذرا إليه
بذلة مما جناه
يامن رأى المجنى عليه
يئن من حب الجناه

***

خلت القلوب من الهوى
وملأت قلبي من هواه
ماسرت إلا قد تجول
بي المسير إلى حماه
مادار في خلدي سوى
كيف السبيل إلى لقاه
هو منيتي لكنني
لم أدر هل أنا من مناه ؟!

***

يا ليتني أدريه ـ كيف
غدا ، وكيف قضى دجاه
أشكو نواه ـ أنا الذي
لم يشك محبوب نواه

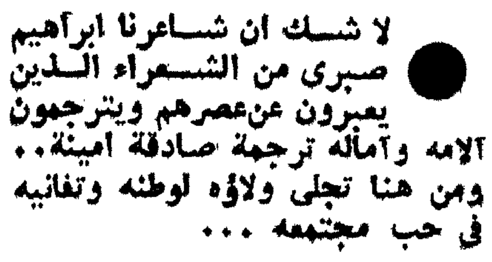


ساعات مع الغصن الثائر



● د. مختار الوكيل ●

● لا شك ان شاعرنا ابراهيم صبري من الشعراء الذين يعبرون عن عصرهم ويترجمون آلامه وآماله ترجمة صادقة امينة.. ومن هنا تجلى ولاؤه لوطنه وتفانيه في حب مجتمعه ...



واعظم ما يشدني الى هذا الشاعر نبرته الناصعة ومصريته الواضحة . كذلك هزني في شعره ذلك الجرس الموسيقي واللفظ الانيق الرشيق . وانا اعتقد ان الشعر يحتضن الموسيقى كما يحتضن الفنون جميعا ...

وابراهيم صبرى شاعر مثقف مطلع ، وذلك أمر محبب وباعث على السعادة والغبطة . فالثقافة الواسعة هى للشاعر كالماء والهواء، لاسيما فى عصرنا الذى نعيش فيه اليوم .

ومصداق ذلك قصيدته « البرهان والجنة» التي يقول في ختامها :

« وظننت انى خلت نفسى يوسفا
ان شئت فالمرغوب طوع بنانى
لكنني مظلوم حبك لم أكن
الا محبا وأهى السلطان
ما كنت بالملك الكريم ولا انا
ممن حباه الله بالبرهان
انا لست «يوسف» ، انما انا آدم
يصبو الى ثمر الخلود جنانى

وهذا البيت الاخير ينطوى على لفتة من الذكاء والشفافية ولمحة من الرقة المصرية الصادقة ، فهو يقول لمعشوقته انه ليس له مثالية يوسف الصديق عليه السلام ، وانما له واقعية ابينا آدم الذى هفا الى ثمار الجنة .

وقصيدة « لا تحاول » تنطوى على تجربة عاطفية . فهو يصور لنا مرحلة « القطيعة » بين متحابين والشاعر تأبى عليه حبيبته ان يحاول رأب الصدع ، واعادة مياه الحب الى مجاريها السابقة ، بل هى تقول فى صراحة :

خذ هداياك لمن تهوى سواى
انا لن اقبل هاتيك الهدايا

ومرحلة تسليم الهدايا هي مرحلة « القطيعة » العاطفية ، وهي تصور دون ريب حالة نفسية صادقة عاناها الشاعر أو عاش غير بعيد عنها فيما نعتقد .

***

ويعيش الشاعر ابراهيم صبري مشاكل قومه ويحمل همومهم كما في قصيدته : « الى صانع الفجر الجديد » ، التي يصور فيها شباب مصر وهم يعبرون القناة في حرب رمضان المجيدة ويحيي الزعيم الذى قاد شباب مصر الى النصر العظيم فيقول :

انبت في قلب الخريف ربيعا
وشققت في صخر الأسى ينبوعا
وصنعت فجرا كان قد ظن الورى
الا سبيل الى سناه طلوعا
فكانما قد صفت من جنح الدجى
نورا على نور يزيد سطوعا
واتيت بالعيد الكبير ، ولم يكد
شهر الصيام يجاوز الاسبوعا

ويعجبني في الشاعر بساطة تعبيره مع براعة الصورة التى رسمها ، فقد وقعت الحرب في الخريف « في اكتوبر كما نعلم جميعا » فيقول في ذلك ان الزعيم بحربه المنتصرة قد احال الخريف ربيعا ، وهي صورة بسيطة وجميلة ، ثم هو يقول ان النصر اتى « بالعيد الكبير » مع انه لم يمض اسبوع على بدء شهر الصيام الذى يعقبه عادة العيد الاصغر ، لان الحرب كما نعلم بدأت في العاشر من رمضان ، وهذه دون مراء صورة مصرية في عبارة مصرية حلوة وصادقة كل الصدق ، ولا يمكن ان يقول انسان ان الشاعر نقلها عن غيره ، وهذا فيما ارى سر جاذبية شعر ابراهيم صبري ، مما يذكرنا بالبهاء زهير ، وقد تمتزج صورة بصور صالح جودت ، وابراهيم ناجى واضرابهما .

ويعجبني عند هذا الشاعر تصويره ليوم النكسة في قصيدته : « اليوم التائه » فهو يشير في محاولته الفنية هذه الى العوامل المؤلمة التى مهدت لهذا اليوم ، وانه لم يكن محض صدفة ، ولم يأت عبثا واعتباطا ..

لم يجئنا عبثا ما جاءنا
لا ولا الدهر مع الجد هزل
قد بذرنا الوهم يوما في الثرى
فجنيناه حطاما من فشل
ونثرنا الحقد في نهر المنى
فجرعنا السم في كأس العسل
وطرحنا «الذكر» عنا جانبا
والتمسنا الهدى في تيه النحل
نكتم الانفاس زعما اننا
قد كتمناها التماسا للقبل
فاذا القبلة اضحت قتلة
والذى قبل بالوهم قتل

وعندي أن هذه الصورة من اصدق واشجى ما سجله الشعراء لعهد تلك الفترة من سيطرة مراكز القوى ،

ويا حبذا لو وجدت هذه القصيدة الذيوع والانتشار بين طلاب مدارسنا القومية .

ولست أود ان انهى كلمتي عن ابراهيم صبري دون الاشارة لشعره الذى يناجى فيه خالقه ، وهو عندي من أرق والطف اشعار المناجاة الدينية العذبة ، كما في قصيدة «انت حسبي »» وقصيدة «السراج» في مدح الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم .

ومجمل القول في شعر ابراهيم صبرى انه من العذوبة والرقة والسيولة اللفظية التى تطبعه بالطابع المصرى الاصيل ، وتجعله محببا الى الملحنين والمطربين والمنشدين ، وهذه دعوة منى اليهم جميعا أن ينهلوا من هذا النمير الصافى من الشعر الراقى ، وبذلك يرتفعون بمستوى الاغانى في عهد نرجو فيه للفنون كلها الرقى والازدهار .

تحية الى الشاعر ابراهيم صبرى وارجو ان يظفر عالم الشعر بمزيد من انتاجه الحي الطلى المتجدد ..

قصة من الهند

من أجل الحياة..!

● تاليف : انستيس جون ●

● ترجمة : لوسي يعقوب ●

((ومن أجل المخلوقات المتوحشة ، فان الحياة هي دائما معركة .. وقد صممت على ان تكسبها بالرغم من قسوتها ــ وكسبت الحياة)) .

***

● لقد كان يوما طويلا ، شديد الحرارة ، وصلت درجته الى ١١٠ درجات .!

واستدار الرجل الطويل المشعر الى بوابة المنزل ، تراوده فكرة احتساء مشروب مثلج ، قطعا قد اعدته له زوجته .. وكانت الشمس تعكس اشعاعاتها الحمراء ، تلسع جبينه ، وتجفف عنه العرق المتصبب ... ومع تنهيدته الحارة ، ونسمات الهند العطرة داعبت انفاسه رائحة ثمار المانجو الحبيبة !.

وافاق الرجل من استغراقه على صوت خفيف جعله يلتفت الى مصدره ، وهناك وجد على الحشائش ((سيام)) القطة البيضاء التى تعيش فى ظلال شجرة المانجو الوارفة ... ولم يكن الرجل متاكدا تماما من المدة التى قضتها معهما ((سيام)) ، فلقد قابلاها ــ هو وزوجته ــ للمرة الاولى ذات مساء ، منذ اسابيع ، عندما كانا يتجولان فى الحديقة ..

وفى بعض الاحيان ، واجدت ((سيام)) ان المنزل له فائدة ما ! ... فكثيرا مارات الماكولات متراكمة بطريقة لراحتها من القفز واصطياد ما تاكله فى الاجواء الخارجية الحارة .!

وفى المساء ، رات ((سيام)) ان اللبن الذى يمتلىء به الطبق الموضوع امامها ، كان مفيدا حقا ، وهى تحتاجه الآن اكثر من اى وقت مضى . فهناك بين الأغصان فى أعلى شجرة المانجو ، وفى مهد أعدته هى كانت ترقد قطيطاتها الصغيرة التى أحضرتها الى هذا العالم ... لذا فهى ترقد دائما فى اسفل الشجرة ، متحفزة بانيابها ومخالبها ، متنمرة لأى بادرة من بوادر الهجوم والأذى على كنزها الثمين !.

ولعل ((سيام)) تعبت من رقادها وسهرها ، ورغبت فى أن تختبر نشاطها ، وتشعر من جديد بأن لها قوة تستطيع أن تحركها ــ فقامت تجر جسدها الهزيل وتبتعد قليلا عن مكان الحراسة .

وللحال ، ومثلما يحدث عادة للأطفال عندما يشعرون أن أمهم قد توانت قليلا عن مراقبتهم .توارت عن الانظار فعلت القطيطات . .تسللت من مهدها ، وابتدات تلعب ..

وفى المجرى تحت الشجرة ، فى جحر كان يرقد فيه ايضا ثعبان ((الكوبرا)) ضخما ، هائلا ، وقد أسند راسه على حافة المجرى ، يتطلع ويرقب وينتظر ، مستمتعا ببرودة الماء وطراوة الحشائش ، ممددا جسده المخيف فى راحة واسترخاء ..

وبحلول المساء ، شعر بالجوع ينهش فى احشائه ، فمد راسه الطويل ، وزحف ،



يلعق فى طبق اللبن الذى تركته ((سيام)) مما زاده جوعا على جوع ... ورفع راسه يتشمم ، ويستطلع . وزاغت عيناه ... فلقد رأى القطيطات المغرية تتواثب امامه !.

وأسعده أن فريسته الآن قريبة منه، فزحف بنشوة واستمتاع ...

وهاجت الطيور ورفرفت بأجنحتها وارتفع صراخها فى انزعاج وهى ترى الخطر !.

وكانت ((سيام)) تتمدد بعيدا ، تلعق معطفها الأبيض ، وتنظف نفسها فى سكينة وهدوء عندما اخترق سمعها صراخ الطيور ، ومواء القطيطات تشاركها الانزعاج والخوف !.

واستدارت ((سيام)) بحاسة الأمومة لتواجه الكوبرا بنظرات تقطر كراهية وحقدا وهى ترسل مواء كزئير الوحش المتحفز لخطر مخيف ...

وبشعور بأنه لا خطر هناك ، وبلا مبالاة ، زحف الكوبرا نحو الفريسة التى كانت متنمرة لتدافع عن حياتها !

لم يجفل الكوبرا ...

وبقفزة واحدة على حافة المجرى ، واجهته القطة الأم ... ومع كل احتمالات الموت من الكوبرا ، فقد واجهته ((سيام)) بكل كبرياء وتوحش.. بأذنين مشدودتين وعينين براقتين ، ومواء هادر ، ونظرة غضب وكراهية .!

وادار الكوبرا رأسه الكبير ببطء شديد ... العيون مخيفة النظرات تقطر سما باردا ، وركزها على القطة ... ولغروره الشديد ويقينه أنه لا خطر هناك من قطة ــ استدار بجسده الضخم زاحفا زحفته الأولى نحو القرائس الصغار ..!

وراقبته ((سيام)) ، وأدركت بأن القرار الآن هو قرارها هى ..! نعم ، انه يمكنها ان تترك صغارها ، فالموت رخيص ، رخيص جدا فى تلك المنطقة وخاصة بالنسبة للقطط ... ويمكنها ان تلد غيرها وقطعا ستتمتع اكثر فان ((مانجى توم)) صديقها القط الذى اتخذته تعرفه سيعود اليها حتما ، ويمازحها مع تباشير البرد . ولكن اختيارها كان واضحا ... فهى تعرف بانها حتى

لو عاشت هي ايضا ، فان صغارها ستتعرض قطعا لانتقام انثى ((الكوبرا)).

ولملمت من نفسها ، وشدت من مفاصلها ، واشرابت بعنقها ... وقفزت قفزة واحدة على ظهر الكوبرا، وبانيابها ومخالبها وتوحشها انشبت كل هذه الحراب المسنونة في مفصل الكوبرا الحيوى ... وبقفزة اخرى اصبحت بعيدا عنه وتركته يتلوى بالجراح والدماء والالم !..

واستدارت اليه متحدية ، وهى تعلم تماما انها على ابواب المعركة الفاصلة ؛ اما حياة او موت !..

كانت كل البوادر تبشر بهلاك «سيام»، وبانها قد انتهت فعلا ..! وكانت « سيام » تعلم ذلك جيدا ، ولكنها واجهت العدو . وكانت عندها فرصة واحدة فقط ، فانها كثيرا ما راقبت صديقها القط المونجووز في معارك كثيرة مماثلة . !

ان الكوبرا تنزف دماؤه من جراحه المؤلمة في مؤخرةظهره ، وهى الآن امامه في مواجهته تماما ... عيناه تقدحان شررا ، وآلامه تزيده توحشا ورغبة في تمزيقها .!

هو الآن يرفع راسه ، وينظر اليها ... حانت اللحظة المخيفة !.

بكل قوتها التى ركزتها فى مخالبها ، انكمشت فىنفسها، وحددت الهدف .!

بقفزة واحدة ، وبمخالب مسنونة ، وبعزيمة من حديد — القت بنفسها على راس الكوبرا !..

كان فمه مفتوحا عن آخره، واسنانه تقطر سما ، ولسانه يتدلى منه .. وغابت القطة في الجسد الهائل المخيف !..

وفجاة ، وباسرع من البرق، انتفض الكوبرا ، وارتخى جسده على الارض فى صوت هائل مرعب !.

بلا شك ... انها ((سيام)) فى صراعات الموت ... لقد انتهت !.

ولكن ... هل كانت هى حقا ؟. لقد رفع الثعبان جسده قليلا ، وهو ... يتلوى ، وينازع ، وهناك ... ظهرت القطة !.

انسابت زاحفة من تحت الجسد الضخم قبل أن يرتخى ثانيا بلا حراك على الارض !.

وبعيدا عنه ، ارتمت القطة خائرة القوى !..

انها طريقة «المونجووز» . ففقات عينى الكوبرا بمخالبها ، ففقد البصر ، ولم يعد يقدر أن يرى !. هنا فرصتها .. واكملت العملية باسنانها ، حتى قطعت رقبته، وهوى الثعبان جثة بلا حراك !.

ورقدت « سيام » على جنبها ، اغلقت عينيها ، بجسدها الواهن وعظامها المسحوقة ... لسانها متدلى، وانفاسها بطيئة ... لقد فقدت القدرة على الحياة ، لاشك انها كانت تموت !.

وغمغم الرجل فى وقفته التى طالت:

— ايتها الفتاة الذكية ... ياسيدتى الصغيرة الشجاعة !

وبدهشة الفرح ، انتفضت القطة بمعطفها الابيض الملوث بدماء المعركة ، وانسلت تجر نفسها جرا ...

وبعد اسبوع من هذا الحادث ، كان الرجل وزوجته يستظلان بظلال شجرة المانجو ، واذ بهما يسمعان صوتا ...

رفعا انظارهما الى فوق ، وصاحت الزوجة :

— ايتها الحبيبة ((سيام)) ! ... حالا ساحضر لك اللبن ، حالا !..

ورفع الرجل عينيه الى فوق ، كانت سيام ترقد ..!

وفهم كل شىء ، من بريق عينيها الصافيتين .!

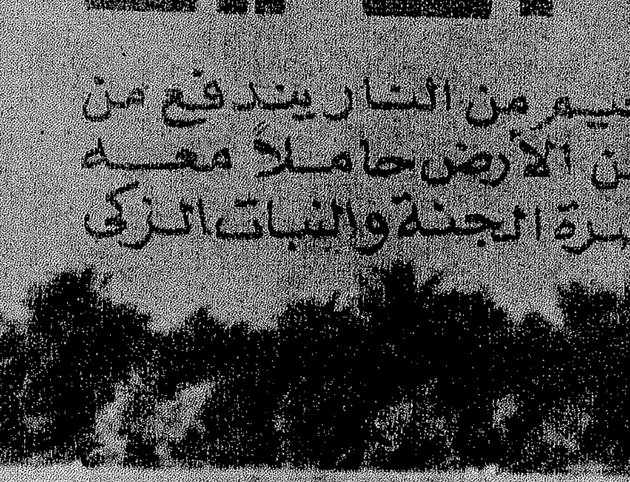
والتفت الى زوجته وهو يقول لها باسما :

((اعتقد انه سيكون لك ايضا حفنة من الصغار !))

اعتقد ذلك !!

...براكين

...سيم من النار يندفع من
...ن الأرض حاملاً معه
...رة الجنة والنبات الزكي





يبدأ الانفجار البركاني بتصاعد ابخرة واتربة من الفوهة ، هذه الاتربة هي التي تتراكم في الفوهة وتسدها بين كل انفجار وآخر ، ولهذا فان قلب البركان يزيلها لكي تندفع اللافا بعد ذلك . الصورة تمثل بيتا في قرية الى جوار بركان فيزوف وقد بدأت الابخرة والاتربة ثم الحمم تتصاعد .. هذه كلها ستغطي البيت كله بل القرية كلها .

عدد البراكين الحية ، أو النشطة على الأرض اليوم ٤٣٠ بركانا ، بعضها يتفجر تحت الماء وبعضها الآخر يتفجر تحت الأرض داخل القشرة الأرضية

في المناطق الحية تكثر البراكين ، وهي في هذه الحالة أشبه بالبثور التي ترى على وجه الإنسان في فترة الحيوية والنمو

البراكين ، تلك الأتون الملتهبة التي تنفث الحمم والموت والدمار وتصحبها الزلازل المخربة .. انها دليل على حيوية الأرض وشباب بعض أقاليمها ، وهى كذلك نعمة كبرى فان حمم اللافا التي تقذف بها من باطن الارض اخصب تربة واغناها بما يخرج النبات الزكى العفي .

***

في مقال سابق نشره الهلال ضمن اطار مقالاته عن العلوم قال الكاتب — وهو من اكابر علماء الجيولوجيا والجغرافية الطبيعية — ان الارض دبت فيها الحياة من جديد وأخذت تتحرك بعد طول سكون .

ذلك اننا نشهد من اوائل الستينات سلسلة مخيفة من الهزات الأرضية وانفجارات البراكين ، ومنذ زلزال اغادير الذى قتل عشرة آلاف سنة ١٩٦٠ الى زلزال ايران الأخير الذى قتل مثل هذا العدد في شمالى ايران . قرأنا عن هزات ارضية متوالية وانفجارات براكين متعاقبة جعلت العلماء يعكفون على دراسة هذه الظاهرة الجديدة الخطرة ... ظاهرة تحرك باطن الأرض وقلق القشرة الأرضية وتحطمها في مواضع كثيرة من هذا الكوكب

حلقات النار

وقد تبين من البحوث في ذلك المجال ان ذلك القلق الأرضى يتجلى في ثلاث مناطق بصورة خاصة هى :

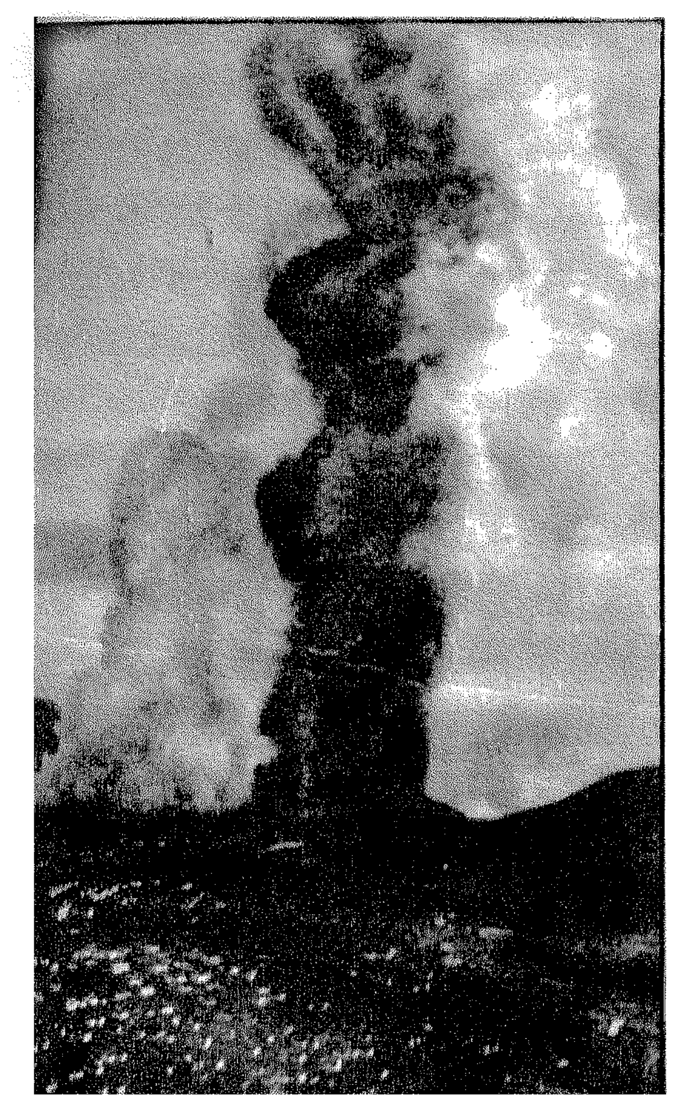
١ — منطقة الساحل الشرقى للأمريكتين ، وهي تمتد من الاسكا الى جزيرة النارفى اقصى أمريكا الجنوبية، وتمتد في المحيط مئات الأميال شرقا حتى تشمل جزر هاواي ، وفى هذه المنطقة التي تسمى حلقة النار او اطار النار يوجد أضخم بركان في الدنيا وهو بركان ماونالوا الذى يصل ارتفاع فوهته على ارتفاع ٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر .. وهذا البركان هو اعظم براكين الأرض حيوية .. فهو ينفجر **ثائرا كل ثلاث سنوات ونصف وتنطلق من داخله مقادير هائلة من الغازات ..**

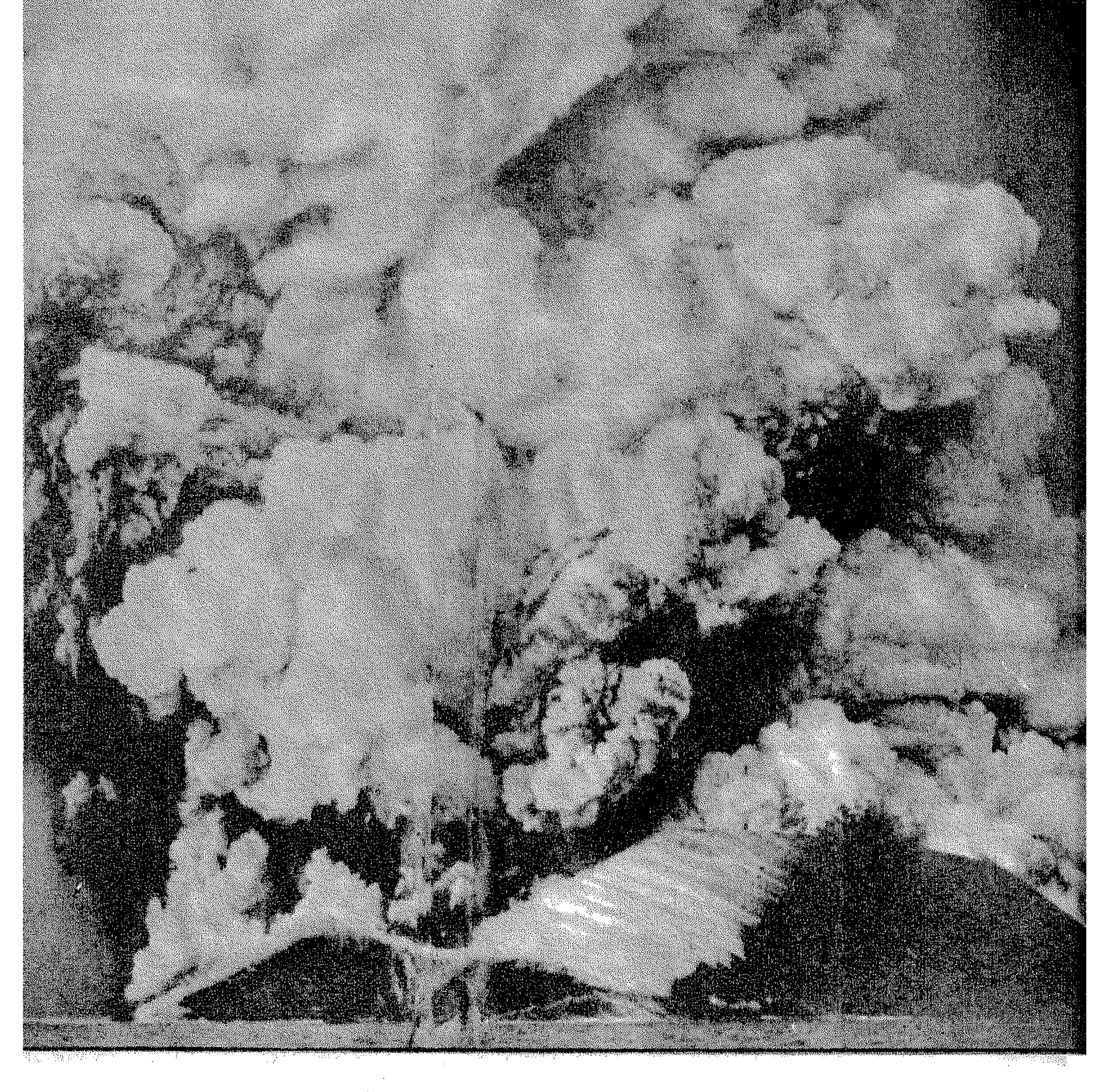
٢ — وهناك حزام نارى ثان يمر في **وسط الأطلسى صانعا قوسا يمتد من** المنطقة القطبية الشمالية الى المنطقة القطبية الجنوبية . وهذا النطاق يسير بحذاء الشق الأرضى الهائل في قاع المحيط الاطلسى ، وهو شق طولى تقوم على حافته مرتفعات وسلاسل جبال تحت البحر . وهذا الشق يزداد اتساعا مع الزمن ، وتنفجر فيه البراكين تحت الماء ونحن نحس بهذه الانفجارات على هيئة زلازل .

٣ — والحزام النارى الثالث يسير بمحاذاة الساحل الشرقى لآسيا، ويمتد من أقصى اليابان شمالاً الى شمال نيوزيلاند ويتفرع منه قوس يشمل معظم جزر اندونيسيا فيما عدا جزيرة بورنيو .

سحب الابخرة والغازات والاتربة ترتفع فى الجو احيانا الى ارتفاع ستة كيلومترات قبل ان يبدأ الانفجار البركانى الحقيقى .. وهذه السحب هى الانذار الذى يرسله الانفجار البركانى للناس حتى يبتعدوا عن منطقة الخطر .







فى سنة ١٩٥٣ انفجر بركان فى احدى جزر المحيط الهادى ، واندفعت من باطن الارض سحب الدخان والابخرة والغازات ، وظلت هذه الابخرة تتصاعد مدة عامين قبل أن ينفجر البركان وتخرج الحمم . وفى الصورة تتجلى سحب الابخرة والغازات والاتربة ..

وتضاف الى هذه الاحزمة منطقتان : منطقة وسط البحر الابيض حيث نجد بركانى اتنا وفيزوف ومنطقة الزلازل والبراكين فى كينيا وتنزانيا ، وما زالت هاتان المنطقتان حيتين الى اليوم .

٥٣٠ بركانا

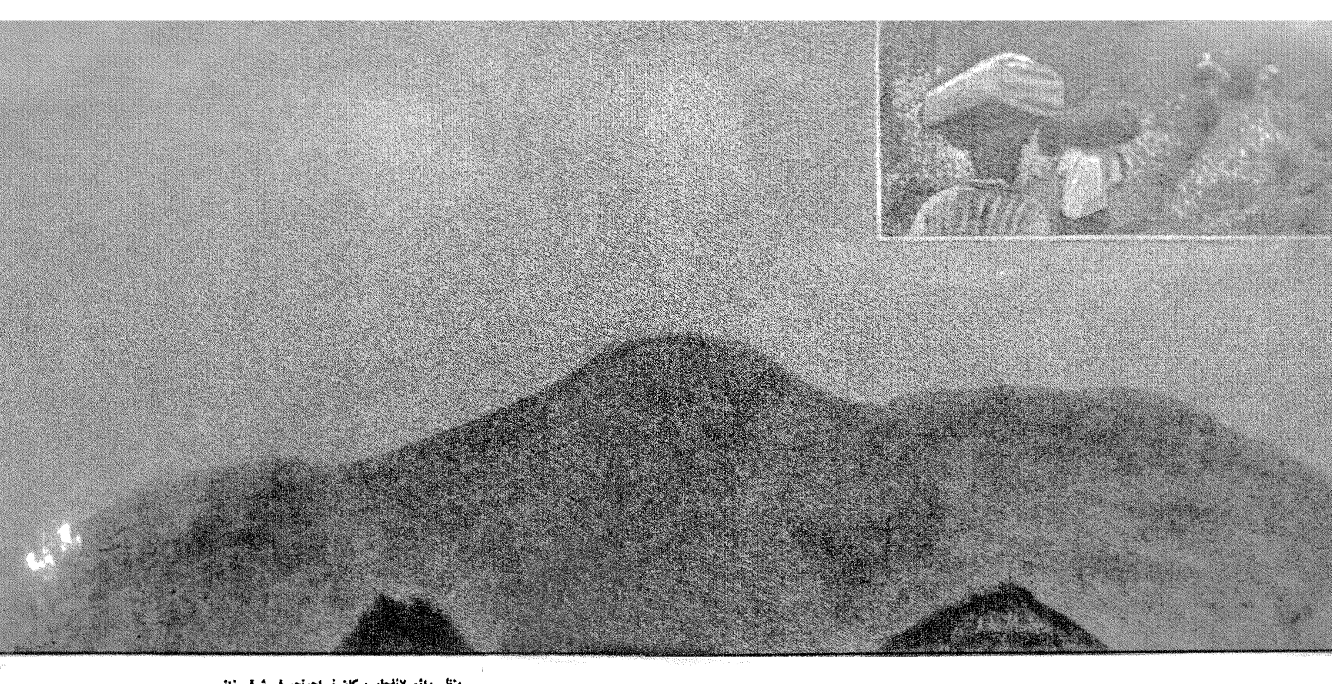
ويبلغ عدد البراكين الحية او النشطة على الارض اليوم ٥٣٠ بركانا **بعضها يتفجر تحت الماء ولا نحس به الا فى هيئة زلازل ، وبعضها الآخر ينفجر تحت الارض ، على مسافات بعيدة داخل القشرة الارضية .**

مناطق ضعيفة فى قشرة الارض

وقد ثبت الآن ان الزلازل والبراكين لاتحدث كما كان يظن بسبب اختلالات فى دوران الأرض وانما بسبب وجود مناطق ضعيفة فى قشرة الارض ، فهذه المناطق لا تتحمل ضغط الغليان النارى فى باطن الأرض فتتشقق وتندفع المادة المنصهرة والابخرة خلال الشقوق ، فاذا لم تجد ما يحول دون وصولها الى سطح الأرض اندفعت

كانت منطقة القلق الارضي والبراكين في وسط افريقيا وشرقها تعتبر من المناطق الخامدة من عشرات الالوف من السنين ، ولكن الارض عادت الى الحياة والتحرك هناك من جديد . وفي الصورة العليا الى اليمين ترى سحب البخار والغازات تتصاعد من فتحات في الارض في شرق زائير منذرة بقرب انفجار براكين ، وفي الصورة الثانية تحتها ترى واحدا من البراكين وقد انفجر وخرجت منه حمم اللافا والسنة اللهب وفي الصورة الثالثة الى اليسار ترى عالما من علماء الجيولوجيا وقد اخذ يتسلق سفح الجبل البركاني الذي نشأ عن الانفجار بعد ان برد . والخريطة في اقصى اليسار في اسفل الصورة لافريقيا نتبين فيها مناطق القلق الارضي والبراكين الجديدة في شرقي زائير حيث انفجر بركان نيراجونجو





محدثة بركانا ، واذا وجدت زاد غليانها وازدادت قوة انفجارها فاحــــدثت الهزات الأرضية العنيفـــة ، وغـــير العنيفة .

وقد نشط العلماء فى دراسة مناطق القلق فى قشرة الأرض، وانشئت مراكز البحوث المتنقلة ، وتستطيع هــــذه المراكز التنبؤ بالزلازل والبراكين، قبل حدوثها او انفجارها ، ولكن العلمـــاء لا يستطيعون أن يتنباوا بدرجة قــوة الزلزال او بموعد انفجار البركـــان وكل ما يستطيعون عمله هو الانــذار المتاخر فى معظم الأحيـــان . ومعظـم الكوارث تحدث من ذلك التاخر او من عدم ثقة الناس بتنبؤات المراصـد . وفى أحيان كثيرة يكون الفقر هو سبب الكوارث لأن الرجل الفقير ذا العيال اذا انذر بقرب الزلزال فأين يـذهب بامراته وعياله . أن الحكومات نفسها لا تتحرك لغوث النـاس الا اذا وقعت الكارثة ..

وفى بلاد منعزلة عن الدنيـــا مثــل تركيــا او خراســـان فى ايران او فى غابات تنزانيا كيف يمكن اخطارالناس فى الوقت المناسب . هناك ينتظـــــر المساكين حتى يفـاجئهم الــزلزال او

منظر رائع لانفجار بركان نيراجونجو فى شرقى زائير، وترى الحمم تتصاعد ومعها سـحب البخـار والدخان والاتربة تشق عنان السماء الى ارتفاع كبير . وفى ركن الصورة الاعلى ترى جماعات القرويين يحملون متـاعهم ويرحلون عن منطقة البركان حيث ينتظرون حتى يخمد تصاعد الحمم ثم يعودون الى أراضيهم ..

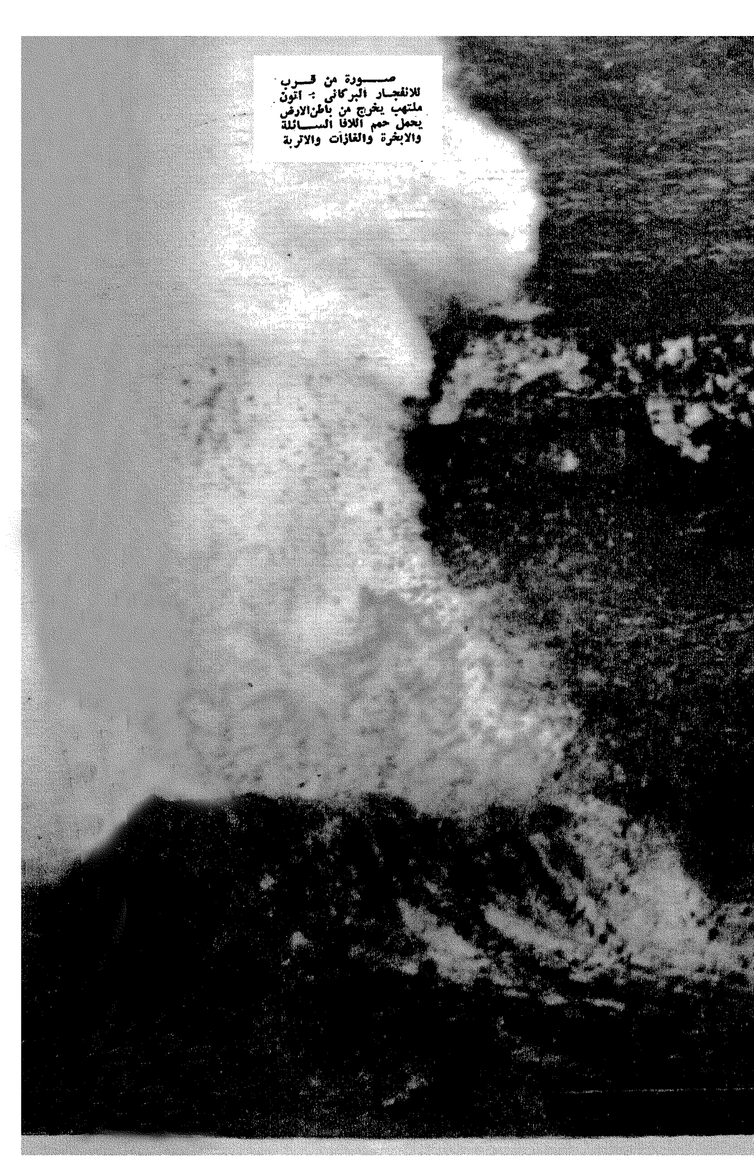
زئير البركان ، وهنا تكون فرصة النجاة قد ضاعت .

الجبـــل البـــركانى يزداد ارتفـــاعه مع كل انفجـــار .

وعندما ينفجر بركان يتخلف من بعده تل مخروطى مكون من اللافا السائلـة التى اندفعت فى الهواء ثم حطت على جوانب الفوهة . فاذا عاد البركان الى الانفجار تراكمت مادة بركانية جـديدة فوق الأولى وزاد ارتفـاع الفوهة او القمة ..

وشيئا فشيئا يزداد حجم الجبــل المخروطى وتزداد الفوهة او القمـــــة ارتفاعا . وتمتاز هذه الجبال البركانية بانسجام الشكل المخروطى ، واذا أنت نظرت الى صورة لجبل كليمانجارو فى كينيا او جبل فوجى ياما فى اليــــابان رايت منظرا طبيعيا من اجمل ما تراه العين : المخروط البركانى مكللا بتــاج من الثلج الابيض ..

وجدير بالذكر ان ذلك التاج الابيض الجميـــل الذى يزين قمة كليمانجارو آخذ فى الذوبان الآن ، والمياه الذائبة تنحدر منه فى سيول تتجمع لتصب فى الانهار . ويستنتج العلماء من ذلك أن البركان القديم تدب فيه الحياة وانه



صـــورة من قـــرب للانفجـار البركانى : اتون ملتهب يخرج من باطن الارض يحمل حمم اللافا الســائلة والابخرة والغازات والاتربة

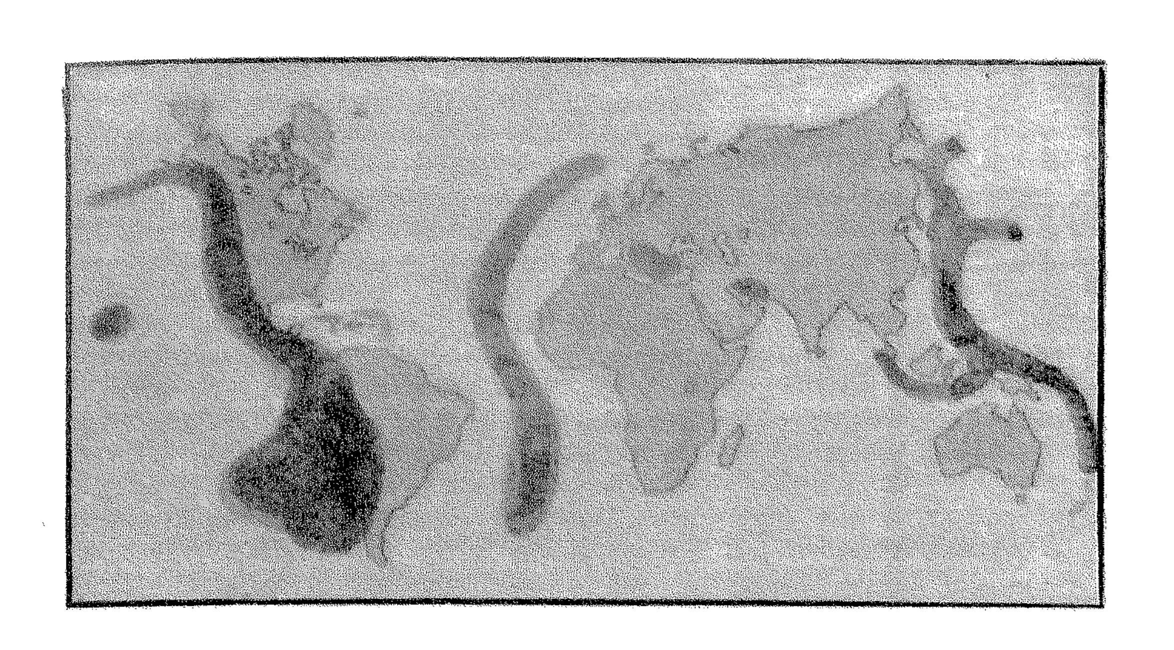


ينشـــا البركان من تحطم طبقة ارضية ضعيفة واندفاع المواد الملتهبة والمنصهرة من باطن الارض الى خارجهـــا ، فى كل انفجار تخرج مقادير من المادة المنصهرة وتسيل وتتراكم على جوانب البركان مكونة المخـــروط البركانى الذى يزداد ارتفاعا عقب كل انفجـار ، وفى نفس الوقت يزداد عنق البركان طـــولا وتزداد الفوهة ارتفـــاعا ،

وهذه الصورة رسم بيـانى لانفجـــارات بركان اتنـــا من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٤٤ وفيه يتبين تراكم طبقات اللافا من ناحية وارتفـــاع الفوهة من ناحية اخرى ..



كان اهل الناحيـــة المحيطـة ببركان نيراجونجو فى شرقى زائير يعتقـــدون ان بركانهم قد خمد وتحول الى جبـــل خامد ، وفجاة بدا الجبل الجامد يتحرك فخـــرجت سحب الابخرة والغازات الملتهبـة فاسرعوا هاربين ولكن بعثة من العلماء اسرعت وراقبت الانفجار وسجلته بالصور والات الرصـــد والقيـــاس ، وما ان خمـد البركان وبردت الارض حتى تقدموا نحو الفـــوهة ، وعندما نظروا فى داخلها راوا الحمم ..



احزمة النار : اسم يطلق على المناطق القلقة على سطح الارض سواء على اليابسة او فى قاع المحيطات ، وهناك احزمة نار ثلاثة معروفة هى المبينة على شكل اقواس باللون الداكن فى الرسم اعلاه ، وهناك منطقتان اخريان معروفتان بالقلق والزلازل والبراكين وسط البحر الابيض وشرقه « تركيا » وتمتد منطقة شرق البحر الاحمر لتشمل البحر الاحمر والاخاديد الارضية الواسعة فى شرق افريقيا «تنزانيا» و « كينيا » حيث يوجد جبل كليمانجارو وهو جبل بركانى .

لن تمضى سنوات حتى ينفجر كليمانجارو من جديد .

ويؤيد توقع العلماء هنا ان سلسلة من البراكين الصغيرة بدات تنفجر جنوبى كليمانجارو وجنوبه ، ويقول العلماء فى هذا أن الارض فى تلك المناطق البركانية شابة وحية . بخلاف حالتها فى الأقاليم الثابتة المستقرة الخالية من البراكين ، فهذه نواح من الأرض ماتت وتجمدت .

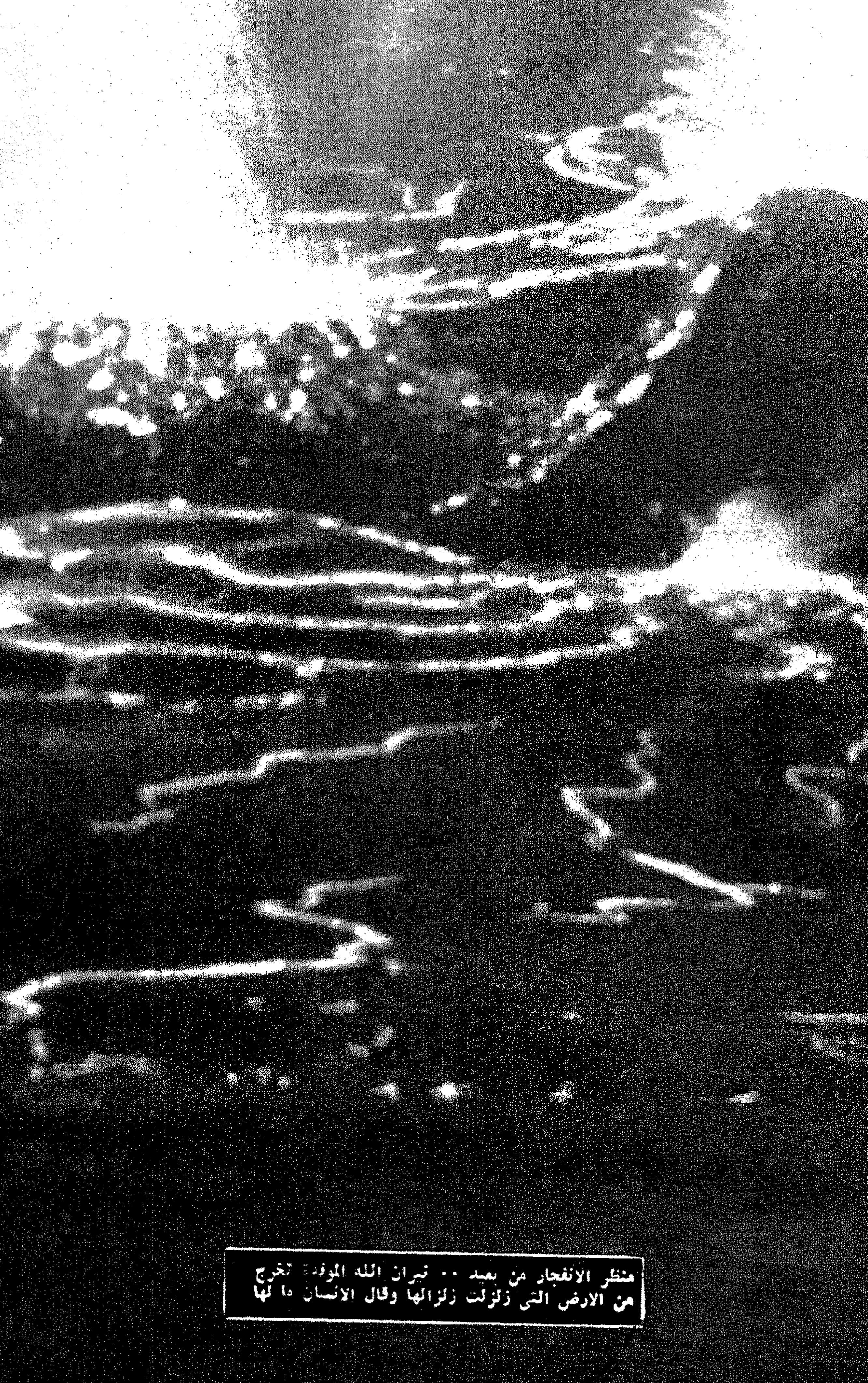
ففى المناطق الحية تكثر البراكين ، وهى فى هذه الحالة أشبه بالبثور التي ترى على وجه الانسان فى فترة الحيوية والنمو ، وتختفى البراكين فى المناطق الضعيفة المستقرة كما لا تظهر البثور على وجوه الكهول والشيوخ . وفى نواحى تنزانيا ، وكينيا حيث يقوم جبل — أو بركان كليمانجارو يوجد الآن ٢٨ بركانا صغيرا فى دور التكوين .

وهذه المنطقة كلها منطقة قلق أرضى قديمة ، ومن المعروف ان البحر الاحمر كله حدث نتيجة صدع فى الارض فصل آسيا عن افريقيا ، ومازال هذا الصدع حيا ، فالبحر الاحمر يزداد اتساعه بمعدل سنتيمترين ونصف فى السنة ، وشرق الدلتا فى مصر يهبط مستواه شيئا فشيئا ، وهناك مساحات فى شمال بحيرة المنزلة غاصت تحت البحر الآن ، وفى القريب سيتعين علينا اقامة حواجز حجرية شمالى الدلتا لكى نحميها من عدوان مياه البحر كما يفعل الهولنديون لحماية بلادهم المعروفة بالأراضى المنخفضة او الواطئة .

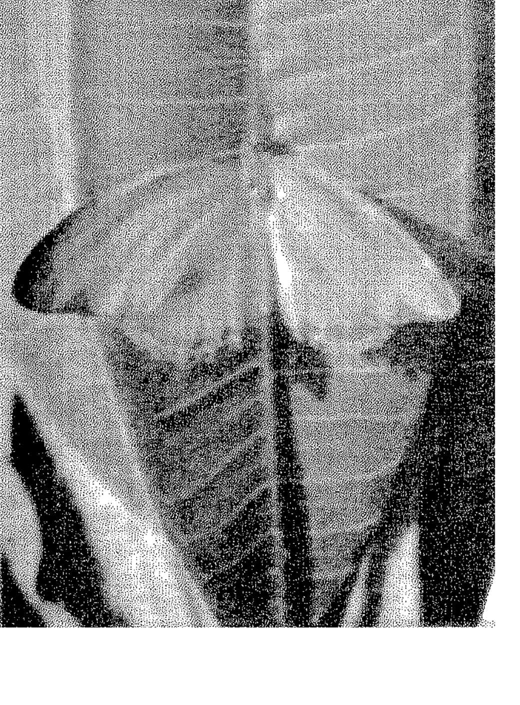
ولكن البراكين ليست نقمة خالصة

والرأى السائد أن البراكين نقمة من نقم الخالق سبحانه يصبها .. لتصاب بها الارض .. ولكنها نقمة فى باطنها نعمة .

ذلك ان البراكين تحمل من جوف الارض حمم اللافا وهى من أخصب المواد وأكثرها صلاحية للزرع والانبات والبركان اذا ثار فانه يقذف من باطنه مقادير ضخمة جدا من اللافا



منظر الانفجار من بعيد .. نيران الله الموقدة تخرج
من الارض التي زلزلت زلزالها وقال الانسان ما لها





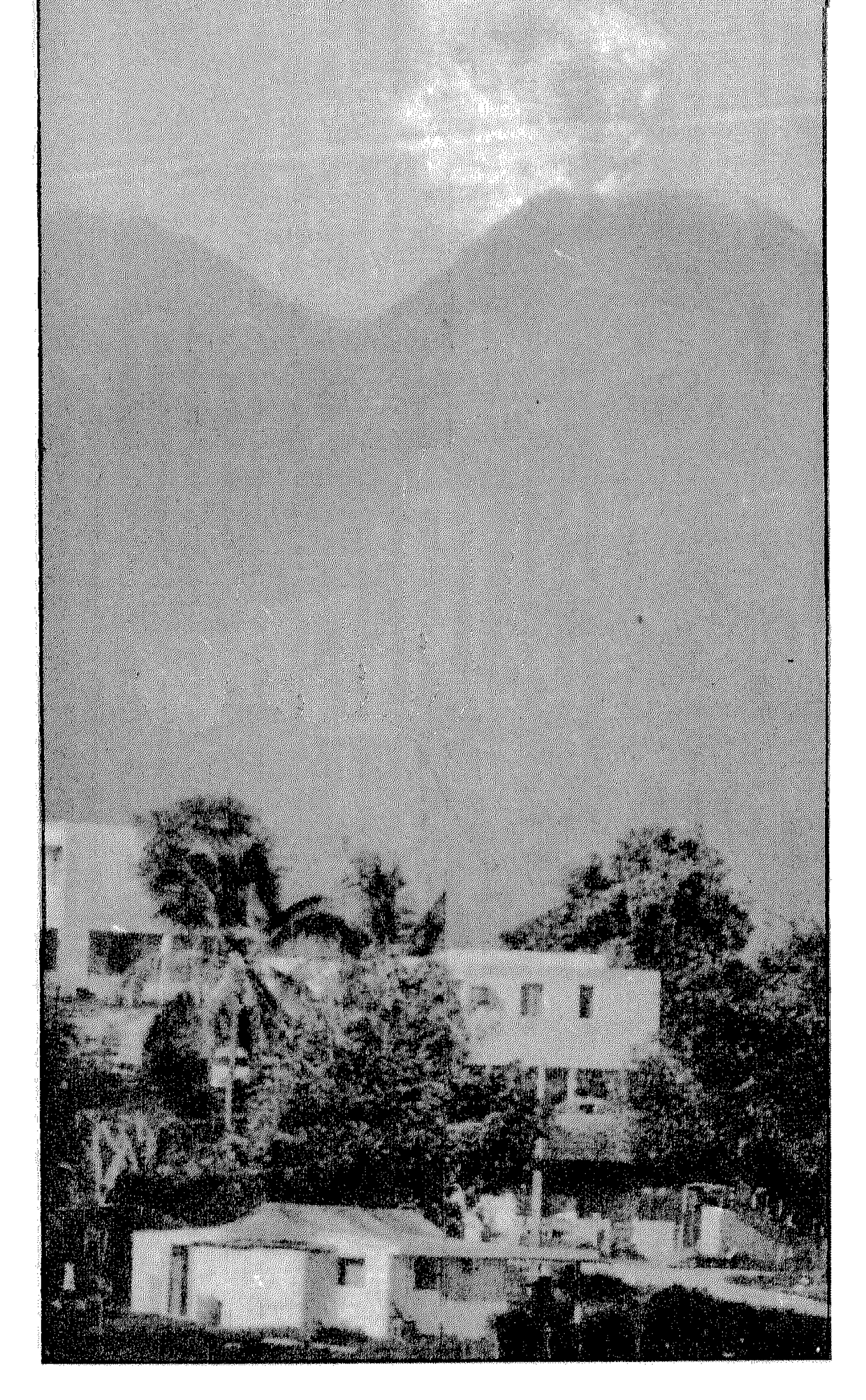








الجنة بعد النار : بعد ان تنتهى ثورات البراكين ، وتخمد النيران ، وتتلاشى سحب الغازات والاتربة ، وتبرد طبقة اللافا التى تغطى الارض وتملا مياه البحر تظهر الجنة فتكتسى الارض بالخضرة، وتطلع الاشجار زاهية مورقة ، محملة بالثمار ، وتزدان الأرض بالزهور ويتكاثر السمك فى البحر ، ويعم الرخاء وتقام حفلات الزواج كماترى فى مجموعة الصور على هاتين الصفحتين : نعمة تخرج من نقمة

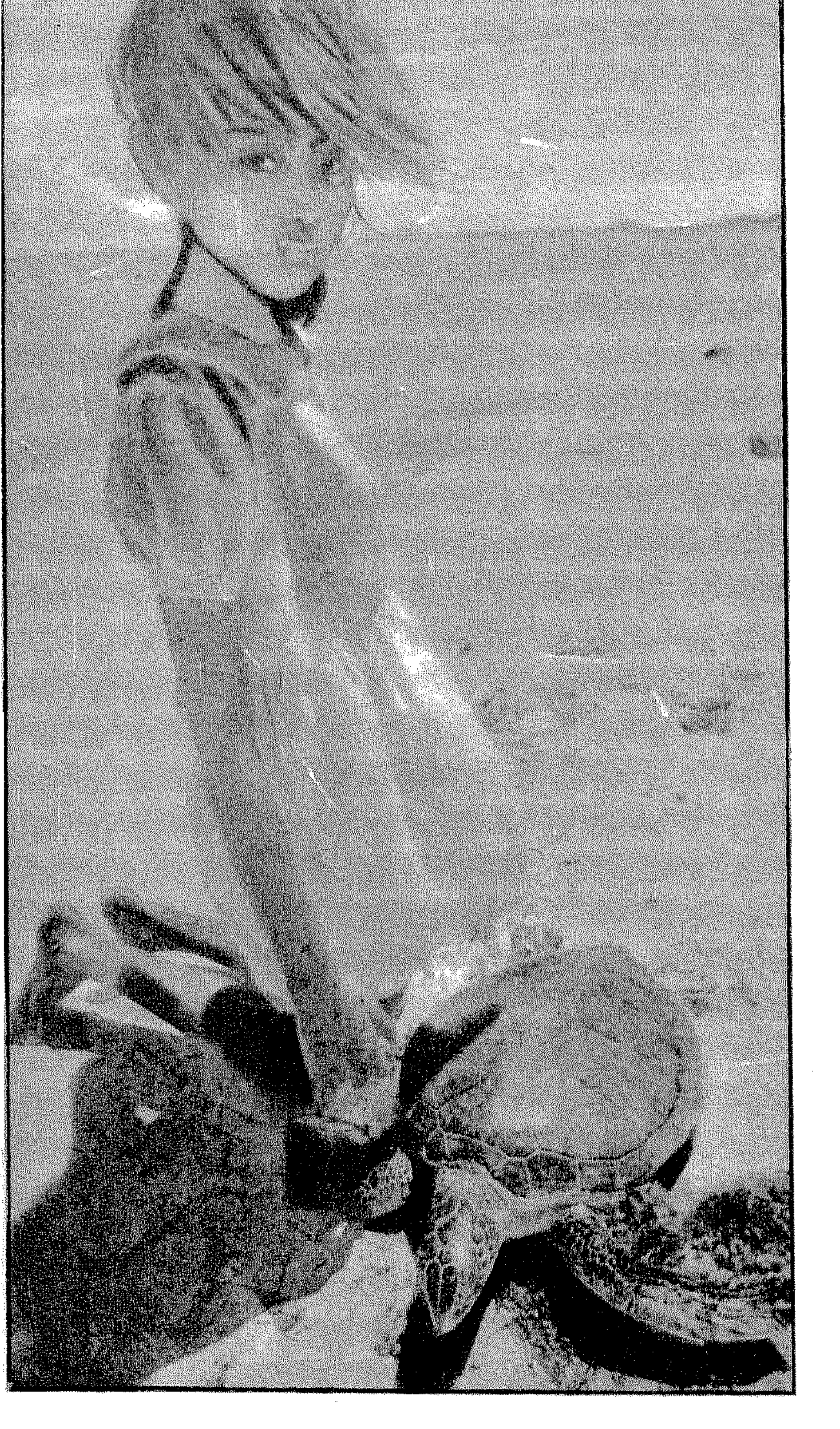


انــــذار رهيب : سحابة من البخـــار ودخان الــكبريت والاتربة تحــلق فى السماء فوق جزيرة جواوالديى ، انهـــا انــــذار باقتراب انفجار البركان ...

تنتشر على مساحات واسعة قد تبلغ مئات الكيلو مترات . وفى بعض الاحيان يبدأ البركان بقذف اتربة أو موادملتهبة فتجمد فى الجو وتتحول الى رماديهبط على الارض ، ويبلغ من كثرته ان يغطى أسقف المنازل بطبقات سميكة تنهـــار الاسقف تحت ثقلها ..

ثم ان الغازات والابخرة التىتتصاعد تتكاثف هى الاخرىوتحط على الأرض أو تمتصها الاشجار ، وهى ايضا غنية بالغذاء للنباتات والزروع .

ولهذا فان مناطقالبراكين ــ أخصب مناطق الارض واصلحها للزراعـــة . ويبلغ من خصبها انها بمجرد ان تبرد يطلع فيها النبات ، لان البذور العالقة فى الجو تستقر فيها وتتغذى بالرطوبة



حتى السلاحف تتكاثر وتزكو فى ميـــاه الجزر البركانية بعد الانفجار .. هــذه البنت اللطيفة تسمى انوك امبيسه وقد تلقت هذه السلحفاة هدية فى عيد ميلادها

الكامنة فى بطنها وتخرج نباتا زكيا .

وكل جزر المحيط الهادى بما فيهــا جزر الهاواى جزر بركانية ، ولا شـك أنك تعرف خصــبها وما تطلــع من النبات الذكى والفواكه الممتازة، وجدير بالذكر ان اغنى نخيل الدنيا وهى نخيل الموز وجـوز الهنــد ونخيل الزيوت لا تطلع الا فى الأرض البركانية .

وفى نواحى البراكين يفر الناس عندما تثور ، ولكنهم ينتظرون بعيـداً حتـى تبرد الارض ، ثم يعودون الى اراضيهم فيجــدونها قد تجــددت وانتعشت واصبحت اصلح للزرع والانبــات ● ● ●

ح . م .



في مثل هذه الجميلة قالوا :

● القسم ●

قسما بالشمس وبالقمر
وبهذا الحسن وبالقدر
وبوجه فتنته شغلت
عيني عن الروض العطر
وبعين لو نظرت قتلت
بسهام الهدب وبالمقل
وبثغر قد ترك فؤادي
ظمآن إلى رشف القبل
وبشعر ينساب جديلا
كسنابل قمح من ذهب
ما رق القلب ، ولا نظرت
عيناي لغيرك يا قمري !

● سيد احمد الهمشري ●
● الاسكندرية ●

● يسبي العقول ●

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا
ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
درا يعود من الحياء عقيقا !
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه
أبصرت وجهك في سناه غريقا

يامَنْ تلطف ثغرهُ من رقـــــة
مابالُ قلبكَ لا يـكونُ رقـيقا !

● ابن عبد ربه ●
● الأندلسى ●

● ستائر الأسرار ●

نامَتْ على خَدَّيك أقمـــار
وبمُقلتيكِ ترف أشْـــعارُ
وستائِرُ الأسرارِ مســدَلة
وعلى الجفونِ يمُوج تيـَّارُ
عيناكِ ، ما أحلَى نِداءَهُمـا
من شرْفَة والقرب نَـــوَّارُ
رعشاتُ هُدبك ملؤها نَغَم
وعَواطِفى فى صَمْتها نَارُ !..
فيها خُطُوط لا حُـدودَ لَهَا
وبكُلِّ خطٍّ رنَّ قيثَـارُ !

● محمد حسن داود ●
● قنا ●

● النشوة العذراء ! ●

حلفتُ لها بالحبِّ ، بالفنِّ ، بالهَوى
بماضى خُطانا فى ضفافِ الجَـزيرةِ
بما كنتُ أسْقيها واشرَبُ قَبْلها
من الدَّمعِ والشِّعرِ الجريح المفتت
بفجر لهُ منَّى ابتهالات عـابد
وليل له منِّى اضطرامُ السَّكينة
بعَينين منها كانَتَا في جَـوانِحى
نداءانِ هَبَّـا من سَماء بَعيـدة
تُضيئان أحلامى بما أنا خـاطِف
من النَّشوة العذراء فى كلِّ نَظْرةِ

تلفتُ بها ألآءَ لتَسْقي يقينِهـــا
بما أنا فيه من صَـــلاة وفِتننَـةِ
● محمود حسن اسماعيل ●

● صرح الجمال ●

الطهرُ أنتِ ، كل الطهرِ فيـــك مجَسّمُ
وبراعمُ الورْدِ النّضـــيرِ تألق وتبسم
وكأنّما صرْحُ الجمَال على قوامك يرسَمُ
أترى أصدّقُ ما أرَى أو أنّنى بكِ أحـلم
وإذا هَواكِ بمهْجتى ••• وإذا بقلبى يغرَمُ
وإذا غرامكِ علّتى •• وإذا هيامى بَلْسَـمُ
● حسنى الأمين ●

● جددت تفكيرى ●

ياجنّة يَسْرِى مع السّارى
من زَهْرها عِطــــــرُ
لوّنتِ بالآمالِ أفكَـــارى
فاخْضَوضَرَ القَفــــرُ
حوّلت صَحرائي إلى واحَة
وارفَـــــة الظّـــلّ ••
أطيارُها بالشّعر صـدّاحَة
سَكْــرى من الطّـــلّ
جدّدتِ تفكيرى وإحساسى
والروح والجِســـمِ •••
حتّى لأمشى رافِعا رأسِي
للنّجمِ ، أو أسمى •••!
● الياس فرحات ●





لا جريمة بغير عقاب

● وقف ستيفان بنز الى جوار قبر زوجته يتقبل عزاء أصدقائه فيها ... بعد قليل انصرف الناس أجمعين وبقى هو وحده أمام القبر . تلفت حوله فلم ير أحدا .. كانت ساعة الغروب تقترب ولكن وحشة المدافن لم يكن لها أثر فى نفسه ...

جلس على مقعد خشبى قريب من قبر زوجته ، وأحس براحة فى عالم الأموات ، وعندما أطمأن تماما الى انه وحده ارتسمت على وجهه ابتسامة تعبر عما فى قلبه من سرور عميق .. وهمس بصوت فى داخل نفسه : الآن أنا حر ! ..انتهينا من حكاية اليونور تلك الزوجة المتعبة .. الان أصبح مصنعها ملكى ، أصبحت رجلا غنيا .. أصبحت طليقا ! .. أستطيع الان ان أتزوج ماريون .. يا للسعادة !

ثم تصنع ستيفان بنز التجهم والحزن من جديد من باب الاحتياط ، ونهض يسير على مهل نحو سيارته . لقد أعد كل شىء للسفر الى مدينة ريفا على شاطىء بحيرة جاروا فى شمالى ايطاليا .. ان عشيقته ماريون تنتظره هناك وفى بطنها حمل مدته أربعة أشهر .. كان قد أحكم خطته جيدا . فى الفترة ما بين انتحار زوجته وانتهاء التشريح الطبى وتقرير النيابة وتصريح الدفن ...

كانت ماريون قد سبقته الى ريفا . وكان هو يبكى طول اليوم ويقول لاصدقائه انه لا يعرف ماذا يفعل بعد موت زوجته الحبيبة الى نفسه ... قال انه سيرحل بضعة أيام الى احدى مدن ايطاليا ليستريح من الصدمة ... بهذا نصحه أيضا طبيبه وصديقه . وكان لهذا قد أعد العدة للسفر . حقيبته الصغيرة فى سيارته ، جواز سفره فى جيبه وحافظة نقوده مليئة ...



الآن يذهب الى البيت ليستوثق من احكام غلق الابواب وليرى اذا كان قدنسي شيئا ... بعد ساعتين يكون في الطريق الى ريفا ليلقي الحبيبة . ان اليوم يوم جمعة . لن يمكث في ريفا الا السبت والاحد . يوم الاثنين يعود ليتسلم مصنع زوجته . انه مدير المصنع ، الان سيصبح مديره وصاحبه ، ياللسعادة ... لقد تم كل شيء حسب الخطة الموضوعة ! ..

ودخل سيارته . قبل ان تتحرك السيارة نظر فى المرآة . رأى مفتش البوليس فينسل واقفا خارج سيارته

ينظر نحوه . هذا الرجل هو الذى حقق قضية انتحار زوجته . لم يجد أى دليل ضده ، واضطر الى قفل المحضر ، ولكنه قال انه غير مقتنع بحكاية الانتحار هذه . ذلك لا يهم . انه لا يملك اى دليل . وقد أقفل المحضر رسميا ...

وانطلقت به السيارة ...

لا جريمة بغير عقاب

فى الطريق راي ان يتجه الى الحدود مباشرة . كل شيء معه والبيت مغلق تماما ، وماريون تنتظره فى ريفا من مساء الثلاثاء . لقد قالت له بالتليفون مساء الثلاثاء انها ستاخذ قطار الليل بعد ساعة وودعته وأعطته اسم الفندق ورقم الغرفة .

وقال لنفسه : الى ماريون أيها السعيد ستيفان ... الى الحب والثروة والمتاع !

عند الحدود نظر رجال الجمرك فى جواز سفره وقال له واحد منهم : افتح شنطة السيارة من فضلك ...

وبكل سرور خرج من السيارة وفتح حقيبة السيارة وهو يبتسم . ولكن الابتسامة ماتت على شفتيه عندما ارتفع باب الحقيبة ..وجد امامه جثة ماريون!

كاد يقع على الارض من هول الصدمة ! ...

وقال مفتش الجمرك :

ـ وتقول انه ليس لديك شيء تعلنه ... وهذه الجثة ؟! ..

وقبضوا عليه ، واودعوه السجن ، وارسلوا الجثة للتشريح ، وأبلغوا ادارة بوليس فرانكفورت بلده . فاسرع المفتش فينسل الى هناك ...

***

وجلس المفتش فينسل الى مكتبه واسند مرفقيه الى المكتب وشبك يديه ووضع ذقنه عليهما ونظر نظرة فاحصة الى ستيفان بنز وقال فى لهجة الشامت المنتصر :

ـ والآن قل لى يا سيد ستيفان بنز .. كيف وضعت جثة ماريون لايسنج فى حقيبة سيارتك ؟

فقال ستيفان فى عصبية :

ـ لا أعرف ... صدقنى انى لا أعرف، لا بد ان تصدقنى !

فابتسم المفتش ساخرا وقال :

ـ أصدقك ؟ اننى لم أقتنع قط بحكاية انتحار زوجتك ولكنى لم أجد دليلا امسكك به ... لم أصدق قط ان امرأة تريد ان تنتحر تقفز من النافذة بظهرها. هذا غير معقول ! .. ومع ذلك فقد أفلت منى فى هذه .. الآن أجب عن سؤالى : كيف استقرت جثة ماريون لايسنج فى حقيبة سيارتك ؟ ... لقد دل تشريح الجثة على أنها كانت حاملا فى شهرها الرابع . فهل خفت أنت من الفضيحة ، فقضيت عليها ووضعتها فى حقيبة سيارتك على أمل ان تمر من الحدود بسلام ، ثم تتخلص من الجثة فى اى مكان فى وسط جبال التيرول وأنت فى طريقك الى ايطاليا ؟ ... كل هذا كان ممكنا جدا لولا سوء حظك ... ان مئات السيارات تمر دون أن يطلب رجال الجمارك فتح حقيبة السيارة ... فاذا أنت مررت انتهى الأمر ... ووجود جثة امرأة فى قاع واد من أودية الجبال لن يشغل بال رجال البوليس فى ايطاليا نصف ساعة ... سيصرحون بدفنها ويقولون مايخطر ببالهم ...



فصاح ستيفان بنز :

ـ صدقني يا سيدي المفتش ..انا لم أقتل ماريون .. أعترف أنها كانت عشيقتي ، وكانت حاملا مني ... هذا صحيح ولكني لم أقتلها ولا ادري كيف وجدت في حقيبة سيارتي !

فقال المفتش بهدوء :

ـ ثم أليس من الغريب ان زوجتك تموت منتحرة كما تقول في نفس اليوم الذي قتلت فيه عشيقتك ؟ ... انك لن تفلت من يد العدالة هذه المرة يا أخ ستيفان بنز ! ... لقد وجدنا في اصابع الميتة خصلا من شعر رأسك ... نعم ، لا بد ان المسكينة دافعت عن نفسها ووقع بينك وبينها عراك،اردت ان تتخلص منها ... صحيح اننالم نجد بصمات اصابعك على الشمعدان الذي حطمت به رأس المسكينة .. ولكن ذلك لا يهم فان ازالة البصمات أمر سهل .. ثم من المؤكد انك امسكته بمنديل ... وغاب عنك ان المسكينة اخذت دليل ادانتك دون أن تدري ... شعرك بين اصابعها ! ...

***

في زنزانته في السجن جلس ستيفان بنز يفكر في الامر ... انه لم يقتل ماريون ، هذا مؤكد ... لا بد ان زوجته اليونور دبرت له أمرا ، ماهوياترى ..

وأخذ يفكر ، أخذ يستعيد في ذاكرته كل ما حصل يوم الثلاثاء المشئوم ... اليوم الذي ماتت فيه زوجته ... اليوم الذي كان المفروض ان تسافر ماريون في مسائه بالقطار الى ريفا لتنتظره ..

تذكر انه بعد الغداء في ذلك اليوم تكلم من غرفة نومه في البيت مع ماريون. وأكد الاتفاق على ان تسافر هي مساء ذلك اليوم الى ريفا وانه سيلحق بها يوم الجمعة بعد ان يكون كل شيء قد تم بحسب ما اتفقا عليه ...

أين كانت زوجته وهو يجرى هذه المكالمة ؟ لقد تأكد أنها كانت في المطبخ .. ولكن لابد انها خرجت من المطبخ وسمعت ما قال ... ثم ان تليفون البيت ذو خطين ، واحد في البهو في الدور الاول وواحد في غرفة النوم ...

ووضع أصابعه على فمه وقال : آه .. من هنا جاءت المصيبة .. ولكن كيف قتلت ماريون !؟

وجعل يفكر ويعصر ذهنه مرة أخرى

بعد المكالمة التليفونية مع ماريون ذهب الى الحمام وغسل يديه ومشط شعره .. لا بد ان شعرات بقيت في المشط والفرشاة ... انه يعاني من سقوط الشعر ... فرشاته دائما مليئة بالشعر ...

وهز رأسه وقال :

ـ من المشط والفرشاة جاء الشعر في اصابع ماريون ... ولكن كيف ؟

وأخذ يفكر مرة أخرى ...

تذكر انه بعد ان خرج من الحمام هبط الى الدور الاول ... وجد زوجته خارجة من المكتبة ... هل تكون قد سمعت

المكالمة من هناك ؟ غير ممكن .. لقد كانت منشرحة وضاحكة وقد قبلته وهى فى غاية السعادة ... وقالت له :

ـ لقد طلبت لك تاكسى يا حبيبى لاننى فى حاجة الى السيارة بعد الظهر

ثم خرج الى عمله فى المصنع . تاخر هناك الى السابعة مساء . عندما عاد الى البيت لم يجد زوجته . جاءت بعد ساعة كانت متعبة تشكو صداعا . قالت له انها خائفة من ان تعود اليها الازمة القلبية.. كان وجهها مظلما ...

وماذا حدث بعد ذلك ؟

***

وأخذ يعصر ذهنه مرة أخرى ...

آه ، تذكر ...

قال لها : هل آتيك بدواء القلب ..

ـ نعم ...

كان هذا وفق مراده . دخلت هى غرفة النوم .أحضر لها علبة النيترولنجوال لتأخذ واحدة تضعها تحت لسانها تحاشيا لأزمة القلب . بدلا من المسكن وضع لها منوما . كانت خطته تقضى بأن يضع لها فى كاس ماء منوما بدلا من المسكن ، فاذا

نامت أعطاها حقنة هواء فى الوريد فيقف قلبها ... لن يستطيع احد ان يكتشف ذلك ، بخاصة وهى مريضة بالقلب ، حدثت لها الازمة مرتين الى الآن ...

وأتاها بالفعل بكوب الماء وفيه المنوم . وجدها عند النافذة . كانت تستنشق الهواء وقد اسندت ظهرها الى حافة النافذة

المفتوحة ... شربت الماء والمنوم ووضعت حبة النيترو لنجوال تحت لسانها وأخذت تستنشق الهواء فى عمق ... لاحظ ان بوادر النوم بدأت ، دون ان يفكر تقدم منها وبدلا من ان يسندها دفعها بيديه فوقعت من النافذة بظهرها ... ثم صرخ وجرى الى الطريق ... وجد زوجته هناك بلا حراك .بكى واستبكى وصرخ،واخذوا المسكينة الى داخل البيت . كانت قد اسلمت الروح . قال انها انتحرت . قفزت من النافذة .. كانت فكرة الانتحار فى راسها دائما ... كانت متعبة وتعيسة معه ...

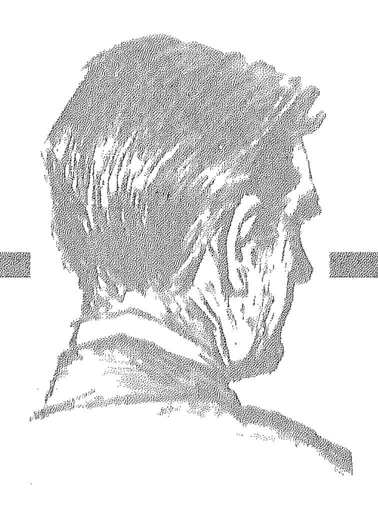
ثم تذكر شيئا آخر عندما سأل نفسه عن الدافع الذى جعله يدفعها من النافذة تذكر انها رغم تعبها وقبل ان يبدأ المنوم مفعوله قالت له :

ـ متى تنتهى حكايتك مع ماريون لا يسنج .. اننى اعرف كل شىء يا ستيفان ،وهذه الحكاية لابد ان تنتهى .. اذا لم تنهها أنت فسأنهيها أنا .. .. وانا أعرف كيف ! .. وستتعجب كيف سأنهيها يا حبيبى ..

هذا هو الذى اخافه وأفقده أعصابه فدفعها من النافذة .. لم يكن فى ذلك اى مخاطرة على أى حال . كل الناس يعرفون انها مريضة بالقلب وانها تعيسة وانها تفكر دائماً فى الانتحار ..

وبالفعل صدق الناس والبوليس حكايته ، ودفنت اليونور وانتهى امرها

ولكن ماريون .. من الذى قتلها .. من الذى وضعها فى سيارته ؟ !



واخذ يعصر ذهنه ..
واتضح له كل شيء ..
لقد اخذت اليونور السيارة وذهبت الى بيتماريون وقتلتها.ان ماريون تسكن فى فيللا صغيرة جدا خارج البلد . حول بيتها حدائق . الفيللا من دور واحد . من السهل جدا جر الجثة ووضعها فى حقيبة السيارة .. يا للماكرة ! لقد اخذت معها الشعر من الفرشاةوالمشط ووضعته بين اصابع المتوفاة لتثبت التهمة عليه ...

كانت تظن انها ستعيش لتراه يشنق ! ..
ما كانت تدرى انه فى نفس الوقت كان يفكر فى قتلها ! ..

ثم وجد نفسه يعض اصابعه .. ويقول :

ـ لماذا قتلت اليونور .. لماذا ؟ .. لو كانت حية الآن لأمكن اثبات الجريمة عليها .. ولكنها ماتت ودفنت ، ولم يبق الا هو وجثة ماريون لايسنج وشعره بين اصابعها ! ..

***

وعندما جلس امام المحقق مرة اخرى قال المفتش فينسل :

ـ لقد احكمت خطتك يا أخ ! ولكن احدا لا ينجو من العقاب .. ثم ان احدا لن يصدقك مهما قلت .. الم تقل ان زوجتك كانت تضحك وانها قبلتك قبل ان تخرج .. اى دافع كان لديها لكى تقتل ماريون ؟ ..

ـ **قلت لك انها عرفت الحكاية وقالت لى ذلك ، وقالت انها ستقتلها بيدها .** ثم انها عادت من الخارج مضطربة ومتعبة واخذت سيارتى ، لابد انها ذهبت الى بيت ماريون ..

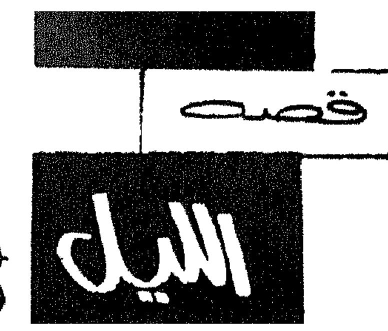
ـ هى التى ذهبت أم انت ؟ لقد قلت انماريون حامل وخفت من الفضيحة فرتبت امرك ، وبعد ان عادت زوجتك اخذت السيارة بسرعة وذهبت وعملت عملتك ثم عدت الى البيت .. من التحقيق تبين ان زوجتك عندما عادت بالسيارة كنت انت فى الدور الاعلى .. وانها كانت متعبة بالفعل فقضت ساعة ونصفا فى غرفة المكتبة قبل ان تخرج منها ولصعد الى اعلى وتقابلك. الحقيقة انك رايتها عندما وصلت وعندما رايتها تدخل المكتبة اسرعت فأخذت السيارة وذهبت الى بيت ماريون ثم عدت .. المسألة لم تأخذ منك الا ساعة واحدة دخلت . ضربتها بالشمعدان. ووضعتها فى الحقيبة وعدت لتقتل المسكينة زوجتك . هكذا تتخلص من كل متاعبك وترث المصنع : لن تكون هناك زوجة تضايقك وتمتن عليك بمصنعها .. ولن تكون هناك عشيقة حبلى

ابتسم المفتش وقال :

ـ لا امل لك فى النجاة ايها العزيز .. اننى لم اصدق قط ان زوجتك انتحرت ، ولكنك افلت من هذه .. ولكن جثة عشيقتك الحبلى فى حقيبة سيارتك وشعر راسك فى يدها ... لا يا عزيزى ،لا .. هذا كثير ! جريمتان فى يوم واحد !

يا لك من وحش رهيب ..

عن الالمانية : حسين مؤنس



قصة
السيل في كفر عسكر

● احمد الشيخ ●

ثم جاء الزمان الطويل بايامه الخسيسة ، فانزاحت الاصول القديمة تلعن الزمان الغادر وتلعق الجراح ، وما تبقى لاولاد الاصول الا الايام الغرار ، الى حضن الايام الخوالى بنصف الوعى الباقى اثر الامتصاص الدءوب للدهان الازرق الذى يشيع فى سنوات الضياع .. « حتى ، الصنف ـ غشوه » واصبحت الغيبوبة فى اغلب الاحيان زائلة .. يتطوح الدماغ بفعل الهم الراسخ على الصدور ، تعز علينا لحظة التجلى المامولة ولا نجنى سوى انهاك الصدور من الشىء المسمور لسحابات الدخان . نجاهد فى عسر ان نستعيد ما كان هروبا من خسة الأيام ، فنحكى عن عزنا القديم ونرتعب من لحظة الافاقة التى تعطنا وجها لوجه مع ما صار اليه الحال .

عمدة بلدنا من جماعة شلبى ، شيخ خفر بلدنا من جماعة شلبى ، صراف بلدنا من جماعة شلبى ، وما تبقى لنا غير مشيخة البلد « وعلى الدنيا السلام »

اقول لنفسى ان حقل الرجال الشداد أجدب وان بذورنا خابت فالذين غرسوها لم يحسنوا رعايتها فمالت الفروع وفقدت الجذور قدرتها على حسن الاستمساك بالارض .. وجذور النسل المامول تفقد يوما بعد يوم قدرتها على العطاء ، وها هم أولاد جماعة شلبى بوجوههم المخطوفة بالغل القديم يسردون بينما يكتفى نسلنا بالثرثرة ، يسكتون على كل المهانات ، راضون بكل ما يدور حولهم ، يتصارعون فيما بينهم حول القراريط ويبرعون فى الوشايات الصغيرة ، واولادهم حفاة لا يخجلون من تاجيرهم فى مواسم الحصاد ولم الدودة وجمع القطن ، ويكتفون بترديد ماسبق ان قيل الف مرة « جماعة عوف أصل البلد .. شرفتونا .. جماعة عوف نطفة طاهرة .. أهلا وسهلا بالنسل الطاهر .. جماعة عوف كانوا وكانوا » ..

يخطفنى اسم جدى عبد القادر على لسان الجد ابراهيم .. كان سيد الرجال ، ويؤكد ان نعل مداسه كان يساوى عشرات الرجال الهياكل فى كفر عسكر ... الف رحمة تنور قبرك يا زين الرجال . يا آخر طرح مبروك فى شجرة أولاد عوف الأصلاء ... بعد أن رحلت عنا يا رجل عجزنا عن لم الشمل ، واجهنا ليل الزمان الطويل غير الراغب فى الانتهاء ، وحتى ما خلفته لنا لم نحسن حراسته ، فالاغراب يتسللون الى دربنا ويسلبون ، كنت فى ايامك تفتح بوابة الدرب وتتحدى أن يطأه الغرباء بغير علمك .. واليوم تجتمع لتعرف من اخذ مواشى العم مصطفى فيتحول المجلس الى سهراية لا نفع منها ولا جدوى ، فى غيابك وغياب أمثالك نضيع الحقوق ونعجز حتى عن حماية الارواح .. حفيدك قتلوه .. سيد عوف قتلوه عند مدخل الكفر كانه غريب والفاعل مجهول ، يوشك الكفر أن ينساه .. فبعد الاربعين لا يستحق النفر منهم الا مصمصة الشفاه والقاء العظات هروبا من فكرة المشاركة الجادة لأخذ الثار ، وكما يقولون برعب الجبناء متواربن خلف الكلمات « الاعمار بيد الله ... كلنا اموات ... اعطنى عمرا وارمنى البحر ... »

هكذا يتحول حفيدك الى مجرد ذكرى على السنة اولادك عوف وابنك هناك فى الدار ، فاقدا لنصف عقله بعد موت سيد ، فى الدار وليس فيها . يرانى ولا يفهمنى .. جاء بعد غياب العمر كله ينعى ابنه الآخر ويلقى على هموما لا تطاق ، جاء بعد ان عاش اغتراب عمره كله عاجزا ومزيلا ليؤكد لاولاد الكفر اننا بالفعل ضعفاء .. جاء بعد أن راحت القدرة ، أيام ان كنت بيننا يا سيد الرجال .. كلما نظرت اليه احسست بالحسرة لعجزى أنا الآخر عن عمل شىء ، وكلما نظر الى مستجيرا وباحثا فى عن عمل قادر على مسح العار واطفاء النار المشتعلة ، احسست بالعجز والضعف وعدم القدرة لأننى لا أعرف الفاعل لآخذ منه الحق الضائع واشفى الغليل !

***

وحدى أقطع الدروب الى الدار وتنبح الكلاب . وحدى ألمى فرعنا الذى خاب وكفرنا الخسران وتنبح الكلاب ، وحدى كما عشت عمرى ونباح الكلاب لا يكف ، وعتمة الكفر لا تبعث الا الخوف مما سوف تأتى به الايام ، الكلاب الضاله دائبة على النباح كانها اتفقت أن تغيظنى بنباحها المتواصل ، الكلاب الغريبة تنبح هى الاخرى كانها تؤكد انها جاءت لتحرس من اصبح الكفر كفرهم وما نحن لهم الا تابعون .. تحرسهم كلاب ونتكل على من لا يغفل ولا ينام ، ولكن هل وصل الامر باولاد شلبى الى حد انهم شاركوا فى سرقة مواشينا ؟ من سرقها ؟ من سرقها ؟ الفاعل دائما مجهول ، جواب مريع على كل الاسئلة حتى ولو كانت تخص أخى لابى الذى قتلوه عند مدخل الكفر كانه غريب اقتحم ارضا لا تخصه ... لماذا جئت يا سيد فى زمن اصبحنا فيه غرباء فى كفر عسكر ؟ لماذا لم تات فى زمن القدرة ؟ ولماذا كان على ان اعيش لارى انطفاء شمعتنا القديم وانا محبوس فى خدعة الدار والاولاد ووهم المحافظة على ما تبقى لنا من اسم قديم .

فى السوق يسالوننى : تعرف الحاج محمد شلبى ؟ تعرف الحاج مصطفى شلبى ؟ تعرف الدكتور ممدوح شلبى ؟ واللا المهندس صلاح شلبى ؟ ولما ادعى عدم المعرفة يقولون : انت تخدعنا بقولك انك من كفر عسكر .. من فى كفر عسكر لا يعرف جماعة شلبى ؟ »

الناس تنسى .. نسوا جماعة عوف وكانما ورثنا جماعة شلبى على الحياة ، اخذوا الأرض والاسم والصيت ، ربما لانهم عرفوا اسهل الطرق للعب بالجنيهات واستثمارها بحكمة المرابى العجوز ... عيونهم مفتوحة وتجارتهم رابحة والارض التى سلبوها وحوطوها بالأسوار وزرعوها فواكه تدر

طلبا لمن يجرؤ على رفع الاقدام الضريبة عنها ولا مجيب ...

جماعتنا في توهة .. يتكاثرون الما بلا قيمة ، فالقراريط هي القراريط انما في وضع الاستعداد لمعاودة التقسيم ووضع الحدود ، قال جدي عبدالقادر قبل ان يموت : علموا الاولاد في المدارس .. وقال سيد : عيبكم انكم تجاهلتم المدارس والجامعات ومراكز التدريب ، بينما عرف اولاد شلبي طريقهم الصحيح ...

***

ـ مين هناك ؟

قالها ابن بهية ، وسكت الصوت .. ربما نام او ربما يبدأ الآن في تحسس طريقه بضوء الكشاف .. يبربش بعينيه ليتعرف بصر على العابرين ... قلت مستهينا به :

ـ انا صالح عوف .. ارقد يا ولد

لم يرد .. كان ضوء الكشاف عند آخر الشارع يتعثر ويحاول ان يجد لنفسه طريقا ، قلت لاساعده على تحديد مكاني

ـ انا هنا ...

كان ضوء الكشاف يتعثر كخطوات رجل اعمى ، ويقترب تتبعه الخطوات .. اصبح موجها الى وجهي ... قلت :

ـ ارقد يا جدع وبلاش زغللة في وش الرايح والجاي .

ـ والدرك ؟

ـ لا فالح .. وبهايم ابوك مصطفى لما راحت كنت فين ؟

ـ ف الدرك .

ـ الله يرحم خالك .. ماتقول يا ولد ع اللي سحب جوز البهايم لاخل ليلتك سوده !

ـ وانا ايش عرفني ؟

ـ طب روح لامك تمشيك

لطشته على كتفه حامل البندقية ، ازحته عن طريقي ..

زمن اعوج .. ابن بهية يحرس الكفر .. اعمش ومعتوه ويحرس الكفر من لصوص الليل .. الم اقل انه زمن عويل ؟ الناس في توهة والكفر في نومة وما عاد العلم سيد الاخلاق ! .. اولاد الابالسة واللصوص قلبوا الاية .. اصبح العنف سيد الاخلاق يا كفر عسكر .. من سماها كفر عسكر ؟. من عين ابن بهية ضمن حراس الكفر ؟ من سحب المواشي من دار مصطفى . « دارك واطيه ياعم مصطفى والجدار الواطي تخطيه الكلاب » !

ليل شتاء الكفر طويل والرطوبة تنفذ في العظم والسهرة كانت كعدمها .. حتى العنف غشوه .. قال سيد : العلم سيد الاخلاق يا صالح فليس بالعنف وحده تنحل المشاكل ... قلت لنفسي يومها : « هو الندى ناعم تربى مع تلامذة المدارس وتوظف مع الندية يخاف الواحد منهم ان يتعفر كم قميصه » هنا دنيا اخرى ... العلم لا يحل المشاكل .. لو كنا نملك القدركما كان ؟ هل كان سيد عوف يرتمي عند مدخل الكفر رمية الكلاب ؟ وهل كنا نعجز عن معرفة القاتل لو كنا اقوياء .. هل كان يجسر اى واحد ان يسحب المواشي من دار العم مصطفى ؟ .. قال العمدة يومها انه غيرمكلف بحراسة مواشينا .. ناصح مثل بقية اولاد شلبي .. شبعت بطونهم فتحركت السنتهم .. لكن هل وصلوا الى حد السرقة ؟ وسرقة المواشي ؟ لصوص العالم درجات وانواع كما قال لي سيد عوف .. ربما اولاد الزلتاوى ، لكنهم تابوا بعد ان مات احسنهم في المعتقل ، العمارية ؟ السلامية ؟ تيوس جماعة سعد الله ؟ ربما مرزوق بن سليمان ؟ ..

لا أعرف لماذا يلح على دماغي طوال هذا اليوم ، ولماذا يرتبط وجهه بالمواشي المسروقة .. كلما ابعدته يعود .. دارهم قريبة من دار العم مصطفى ، لهم باب على السكة الزراعية ، الولد كان محبوسا وله في الكفر سوابق .. مرزوق بن سليمان يعملها .. ربما غمز ابن بهية بجنيه او جنيهين .. ابن بهية جبان ، يفرط في اعز ما يملك لو شم رائحة الفلوس . يبيع الكفر كله بانبوبة مرهم « بنسلين » تبرد التهاب جفونه الدائم .. مرزوق يعملها ، كان في الأيام الاخيرة يحوم في دروب الكفر ، يتبصص على شيء يلهفه . رمى بلاه على شاكر . اخذ منه علبة سجائر وطالبه بباقي جنيه لم يدفعه ، كنا عند الركاب .. ربما قرات في عيني ابن بهية اسم الولد مرزوق لحظة انسألته عمن سحب المواشي .. لكن كيف تعكس عينان لامعتان موجوعتان اسما لشخص غائب ، عينا الولد ابن بهية أسرتا لي باسم مرزوق خلسة .. هو مرزوق .. زمن العبر ! .. القوالب نامت والانصاف قامت . انصاف الرجال قاموا يعبثون . رقد الرجال فاستباح العيال مالهم .. استغفلونا على آخر الزمان .. من يكون مرزوق بين اولاد الليل الذين قطعنا دابرهم من الناحية ؟

ابن ليل جديد يطل علينا ويرعبنا في الزمن الخسيس اسمه المجهول .. نفس المجهول الذي قتل سيد عوف .. المجهول الذي تربص له وضربه بالعيار في مقدمة الراس ثم اختفى .. نفس المجهول يعود هذه المرة لصا يسلب المواشي من الدور ويسربهم ..

دخلت باب الدار الموارب . كان الرجل قد نام ، باب دارنا مفتوح .. لو دخل اى لص وسحب مواشينا لانضم الى نفس المجهول مجهول جديد .. المال السائب يعلم السرقة .. دورنا مفتوحة في زمن غير الزمن الاول ، والباب المسكوك يمنع القضاء المستعجل ، لكن من يعودنا قفل الابواب وقد اعتدنا أن الدار امان وان الدنيا بخير .

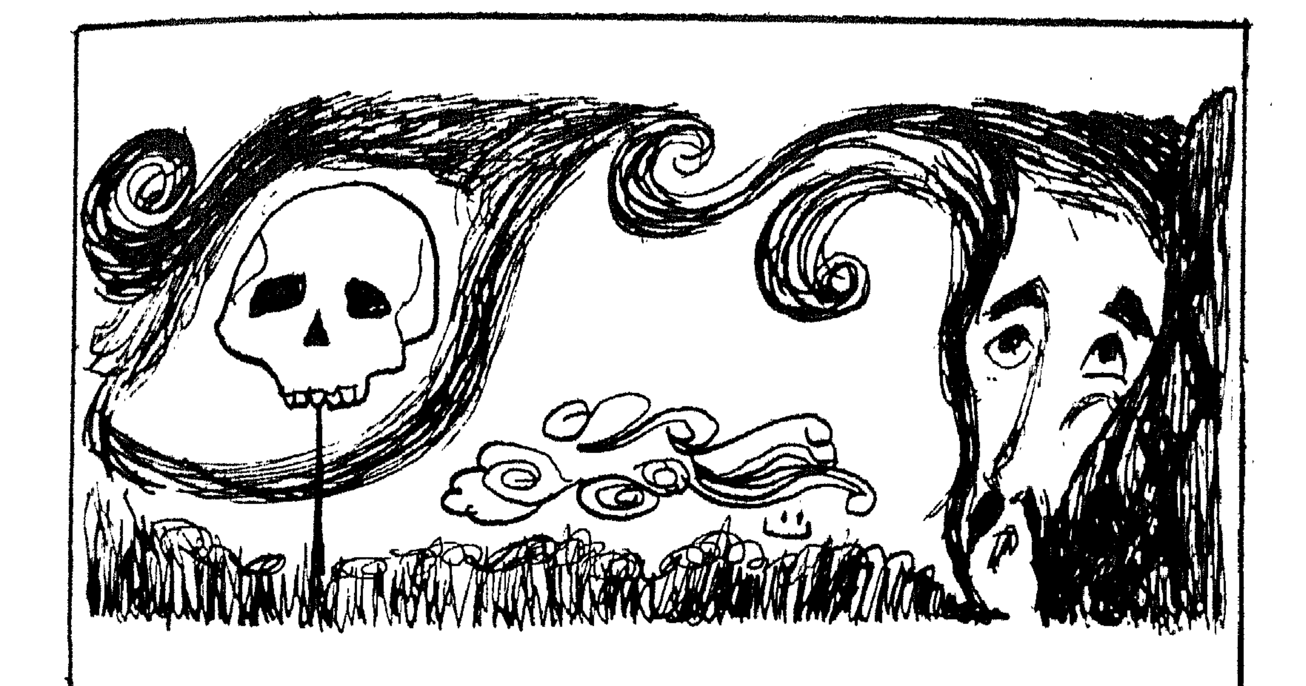
تلفعت بالعباءة وخرجت ، عدت متجها الى دار سليمان .. قلت لنفسي لقد طار النوم من العينين .. والولد مرزوق يحوم حول . كان الدرك الذي يحرسه ابن بهية يغط في النوم . حومت حول الدار فلم اسمع سوى هسيس الصمت تقطعه اصوات الكلاب .

قلت لنفسي : هي ليلة يعلم بها الله ، خبطت على النافذة لم يرد احد .. بعد معاودة الخبط انفتح الشباك ، سال صوت مفزوع يغالب النعاس

ـ مين ؟ .. مين ؟

لم ارد .. استدرت .. سرت في اتجاه الدار . لا بد انني مسطول .. مالي انا بمواشي الناس ؟ المال السائب يعلم السرقة .. أكون في حالي . ابحث عن قاتلك ياسيد .. يوم تعاركت مع انفار الوسية لم يقف بجانبي احد كل واحد غارق في همومه ..

كان الباب الموارب يسمح بخروج خيط ضوء رفيع علامة تميزه عن كل الابواب المغلقة .. كان الرجل صاحيا يكلم نفسه .. لم افكر في الرد عليه . تمددت على السرير ورقدت . سمعت صوت الشيخ سليم عوف يجلجل من جهة زاوية اولاد عوف سابقا كل المؤذنين لصلاة الفجر .. بدات اصوات الديكة تؤذن هي الاخرى والكلاب تنبح في اعقاب كل تكبيرة ، تركبها شياطين لتزاحم الأذان . بعدها تدخلت الاصوات ولم اعد قادرا على تمييزها وسط نحنحات الخلق المتحركة في اتجاه الزاويه لتبدأ مشوارها المتكرر لاداء الصلاة ..



اللّعبة

● محيى محمود ●

ادرت ظهرى للوجود
اخلدت فى تصنع الغناء ...

احسست كفا فوق ظهرى
وسمعت من يقول :
قم يا ولد ...

قد حان موعد الغداء .
فقلت انني اموت :

هنا سمعت ضحكة منفجرة :
الموت يا عزيزى ...
لا يلعب اعتباطا
قد كان فى صدر الزمان الماضى
يأتى على غرة ...

وهذه الايام
الموت يولد يوم نولد تواما ..

يرضع نفس الثدى
ينام فى نفس الفراش

يشب اذ نشب
يشيب اذ نشيب ...

يموت اذ نموت
هيا ، فان موعد الغداء قد يفوت !

محيى محمود
من ديوانه الجديد :
((نبوءة شاردة))



تيودور دريزر رائد الواقعية الأمريكية

● د. صلاح عدس ●

كان « تيودور دريزر » « ١٨٧١ - ١٩٤٥ » رائدا للواقعية فى الرواية الامريكية وكان ايضا من اعظم كتاب القصة القصيرة ، حتى ان قصته « الفقيدة فوب » تعتبر من روائع القصة القصيرة الامريكية . وفيها يصور احساس عجوز بالوحدة والحزن لموت شريكة حياته حزنا اودى به الى الجنون والموت ..

ويقول « والاس بروكواى » أن الادب الامريكى قد شهد فى نهاية القرن التاسع عشر تحولا من الرومانسية الى الطبيعية وذلك بتأثير كتابات « اميل زولا » .. وقد لمع - قبل الحرب العالمية الاولى - عدة اسماء مثل « أوبتون سنكلير » و « جاك لندن » وغيرهما ممن يهتمون بعرض المشاكل الاجتماعية فى رواياتهم الا أن اعظمهم جميعا هو « تيودور دريزر » ..

وقد صدر له عدة روايات منها « الاخت كارى » عام ١٩٠٠ لكن اعظم أعماله هى رواية « مأساة أمريكية » التى صدرت عام ١٩٢٥ وفيها يصور لنا « كلايد » الشاب المصاب بالتطلع الطبقى والرغبة فى التسلق البورجوازى ، ونجده يحب عاملة فقيرة بالمصنع الذى يعمل به هى « روبرتا » التى تبادله الحب وتحمل منه جنينا فى بطنه ، ثم يقابل « سوندرا » الثرية التى تحبه وتفتح له الطريق امام تطلعاته الطبقية . لكن « روبرتا » هى الصخرة التى تقف فى طريق زواجه بمن يحلم بثرائها . فيتخلص من « روبرتا » وجنينها باغراقها فى البحيرة ، وينتهى أمره بعد المحاكمة ، بالاعدام ..

وهكذا نجد ان مشكلة « كلايد » هى أساسا مشكلة اجتماعية . انها مأساة امريكية كما سماها « دريزر » الذى أشتهر بنقده للمجتمع الامريكى .. ويقول « رولف لاندين » فى مقال جديد بصحيفة « الأدب الامريكى » عن دريزر وجائزة نوبل أن « سنكلير لويس » كان اول امريكى يحصل على تلك الجائزة . **وذلك عام ١٩٣٠ ، ولكن دريزر كان اكثر منه صدقا وواقعية ، وكان اجدر منه بنيل هذه الجائزة التى لم يسعده الحظ بنيلها ، فقد استطاع فى روايته «مأساة أمريكية» ان يصور الجوانب السلبية من الحياة الامريكية فى شكل درامى مؤثر ...**

وان « يوجين اونيل » عندما حصل على جائزة نوبل قال : « اذا كان هناك اديب فى امريكا يستحق هذه الجائزة فليس هو انا وانما هو « تيودور دريزر »

قصة

الدائرة والاغتراب

● حسين عيد هادى ●

« اصبحنا مجرد عابرين • نلتقى صدفه ، فى اجازة قصيرة • ، لنعاود السفر ، كاننا مدفوعون بقوة قاهرة ، تشدنا الى مصير لا نعيه ••• »
من يوميات مهاجر

احلام الارهاق :

● يشعر اكرم سالم بالارهاق • يخدر التعب ساقيه لطول الانتظار • تتسرم نظراته باللهفة ، بحثا عن اخيه وسط افواج الخارجين من صالة الوصول بالمطار •

يخنقه زحام الخلق •• يحتمل دفعة منكب عابرا •• تلسع نظراته احمال القادمين المكدسة على العربات اليدوية اللامعة •• هل يقدر له يوما ان يسافر ، ان يركب الطائرة ، الى اى بلد خارج القطر ؟!•• كم سمع من حكايات عن لحظات ارتفاع او هبوط الطائرة•• فهل سيعانيها — ويحكى عنها — يوما ما ؟!••

تسقط نظراته فى شراك قبلات الشوق ، ودموع اللقاء •• فهل سيكون محظوظا يوما ، ليهجر تعطل الوظيفة الحكومية المقنع ، ويعود محملا بالهدايا للأهل والاحباب ، والخير للزوجة والاولاد ؟!•• ترى هل يواتيه الحظ بفرصة للعمل فى احدى الدول العربية ، ليهرب من حصار اعباء المعيشة ؟!•• ولن يزعجه — ساعتها — أن يمتلك سيارة ، بدلا من حسابات مركبة ، اجراها حتى يقتنص خمسة جنيهات من راتبه ، يؤجر بها سيارة اجرة ، تكون فى استقبال اخيه •• آه •• ما اجملها من احلام •• فقط لو تتحقق •• هكذا تكتب لى السعادة•

« هل يتداخل الزمن — احيانا — ليتعانق الحلم والواقع فى لقاء مفاجىء ، ليعلنا معا مولد صدفة جديدة ؟!••
من تاملات « ا • س • »

صدفة :

اشرأب راسى منتبها عن اخى • ومخضة دهشة مفاجئة • اندفعت صائحا : محسن توفيق •• محسن •• حمدا لله على السلامة •• اعانق صديق عمرى • تربينا فى حارة واحدة ، كنا زميلين بنفس المدارس حتى الثانوية العامة •• بعدها فرقتنا الايام ••

تساءلت : هل ينتظرك أحد ؟••

— لا أحب لحظات الفراق •• او اللقاء ! ••

واستمر بصوته الهادىء ، الواثق ، المألوف: ولا احب أن أتعب أحدا ••

أقول بحسم : اذن أوصلك فى طريقى ••

اوما براسه • صحت ثانية : ها هو اخى وصل •• بحمد الله ••

تعارفا • تبادلا التحية • ركبا سيارة الاجرة • اندفعت فى طريق صلاح سالم •• يهمس اخى : يا حبيبتى يا مصر •• تتشوه نظرات محسن توفيق بين الخضرة والمساكن وظلال الليل القادم : لى فى الخارج خمس سنوات •• لكن اجازاتى بالقاهرة •• هى واحات الراحة ، بين لهاث المال والاغتراب ••

يربت على كتفى بحنان : اين تعمل يا اكرم ؟

— مهندس ميكانيكا سيارات بوزارة الزراعة

يطرق محسن لحظة • يبتسم : هل ترغب العمل فى الخارج ؟••

ولوج الدائرة :

هكذا زارنى الحظ دون سابق انتظار •• كان الصديق يعمل لدى مؤسسة تجارية ضخمة فى السعودية ، لديها توكيل بيع وصيانة احد انواع السيارات اليابانية ، فلما اتسع نشاط المؤسسة بصورة خرافية ، بدأ اصحابها يفتتحون عددا من الفروع فى مناطق اخرى هناك ، وتقديرا لجهود محسن ، وثقة باخلاقه ، اوكلوا اليه ادارة فرع جديد •

هكذا تعددت لقاءاتى مع محسن ، عادت صداقتنا تنبض بدفعة ارتباط جديدة •• قال ذات مرة : اراك تتعجل السفر •• اومات براسى •• الضائقة المالية تشدد قبضتها ، الاولاد مطالبهم تزداد بالحاح • المعيشة تستنزف المرتب • كل شىء يدفع بقسوة للهروب من الدوامة •• فلماذا لا اتعجل السفر ؟

استطرد محسن بهدوء : صدقنى ••• انا لست سعيدا ••

رأى بوادر الدهشة •• اكمل : فى البداية يكون هدفك من السفر ، أن تكون مبلغا من المال يكفل لك حياة معقولة •• ثم تجرى الاموال بين يديك •• وبدلا من اغتراب عام ، تغرى نفسك بعام آخر تتضاعف فيه اموالك •• وهكذا دواليك •• دورة لا تنتهى ••

مشيرا باصبعه ، محذرا : دورك الآن فى ولوج الدائرة ، فقط حدد هدفك ففيه خلاصك •

كلمات غير مفهومة •• اغتراب ، اغراء ، اموال ، الدائرة ، الهدف ، الخلاص ••

ضحكت ببساطة : يا صاحبى •• اريد ان اسافر كى اعيش ••

همس محسن باسى : بدات الدائرة تجذبك من الآن •• اطمئن ، ستجد دائما مبررا لاستمرار اغترابك •

ثم مبتسما : وحجتى انا الآن •• تامين مستقبل الاولاد ••

محلقا فى بثبات : ترى هل استطيع ؟! •• ●

إلى طير مهاجر



● قاسم حرب ●

أقفرت بعدك من حس ومن أنس
وعادني ما تلاشى فيك بالامس
كأننا اذ تلاقينا شعاع هدى
قد طاف يبحث بين الناس عن قدس
حتى اذا لم يجد قدسا يلوذ به
وكاد يرجع نحو الياس في ياس
أصاب قلبا نأى عما يحيط به
ترفعا منه عما ساد من رجس
فانصب فيه ، فأحياه ، وعانقه
وغادرا ظلمة الحرمان والبؤس
واسترجعا ما مضى في زهو منتصر
على خصوم أولى عزم أولى باس
وهاجرا نحو حب العيش واحتجبا
خلف الاماني غريدين بفردوس !

***

أقفرت بعدك جف الراح في كأسي
وأفرخ السهد والادلاج في راسي
الصبح بعدك أعشى لا يشاغله
شم النسيم ، ولا اطلالة الشمس
كل الغصون تعرت من ذوائبها
رمت بها قطعا صفراء كالورس
يا مبدع الحب ! قلبي لم يعد قلبي
قد فر مني كسهم فر من قوس
ضيعته خلف آمال مجنحة
يجري وتجري،ولا جدوى مع النحس
أكلما لاح لي بدر أعيش له
تشاءب البدر ثم غاب في الوكس
وكلما انضجت سمراء قافية
وقلت فيها كلاما مفرد الجرس ؟!
أتاها راع همام واستبد بها
ولم يفت طرفها العاني سوى التعس

قصة

نوم الفارس

● رفقي بدوي ●

ـ ١ ـ

قالت لى : ((من انت ؟))
فقلت : ((انا الذى تبحثين عنه دائما !)) .
قالت : ((اتحبنى ؟)) . فقلت : ((ليس لى ان اختار ، حيث اننى لا اعرف طعم الحب ابدا !)) .
قالت : ((كيف ؟)) . قلت : ((لان ما يهمنى ليس الحب . فقط غايتى أن افتح الزهور .)).
قالت : ((الا تسعدك اللحظة ؟)) .
قلت : ((نعم ، هى لحظة انتصار .. لكنى انا المنهزم ، لذلك لا اعيشها ، امنحك الوجود والحياة ، وامضى بعدما اترك شيئا من نفسى بداخلك ، امضى ناقصا)) ..
قالت : ((اى شىء)) . قلت : ((ليس كل شىء ، لكنه بالنسبة لك كل شىء)).

ـ ٢ ـ

انسربت فى داخلى وبحثت عن ذلك الكائن القابع فى اعماقى كى اقول له اخرج منى ، كانت اعماق اعماقى مظلمة، وكنت احاول ان اشعل اى القناديل كى اقابله وجها لوجه ، كى ارى ذلك الوجه الميت من كل احساس .

وضعت يدى على راسى عندما ضربنى عليه وافقدنى اتزانى ..

كانت شفتاه الغليظتان ووجهه الكبير الطويل ، وعيناه الجاحظتان تنظران الى بتحد وسخف .

حاولت ان افتح فمى لأحادثه ،لكنى كنت امامه مطاطىء الرأس ، طفلا صغيرا يحبو على يديه وقدميه ، وهو يضغط بقدميه على راسى .

قال بهمس يشبه الرعد : ((من الذى اتى بك ؟)) .

فتحت فمى ، لكنه ضغط اكثر على راسى . وقال : ((تريد ان تميتنى وانا اريد ان احييك)) .

فتحت فمى .. ضغط على راسى وقال : ((امض والا قتلتنى وقتلت)).

قال ذلك ولم اره ..

ـ ٣ ـ

استعذب النظر فى عينيك ، واذهب اليك دائما ، اقول اننى احبك ، لان فى عينيك النهر اسبح انا ، ـ ولاننى ـ انا فى النهر اغرق حزنى وتبقين انت الماء الطاهر المقدس ، يختلط الطمى مع الماء الطهر ، واذهب فى تسابيح الجنيات النيلية لشطوط التعذيب .

ـ ٤ ـ

كان الوجه نورانيا ، وكنت ابتعد لانه يبعدنى عنه ، ولأن الانسراب فى نورانيته يتطلب التطهر .

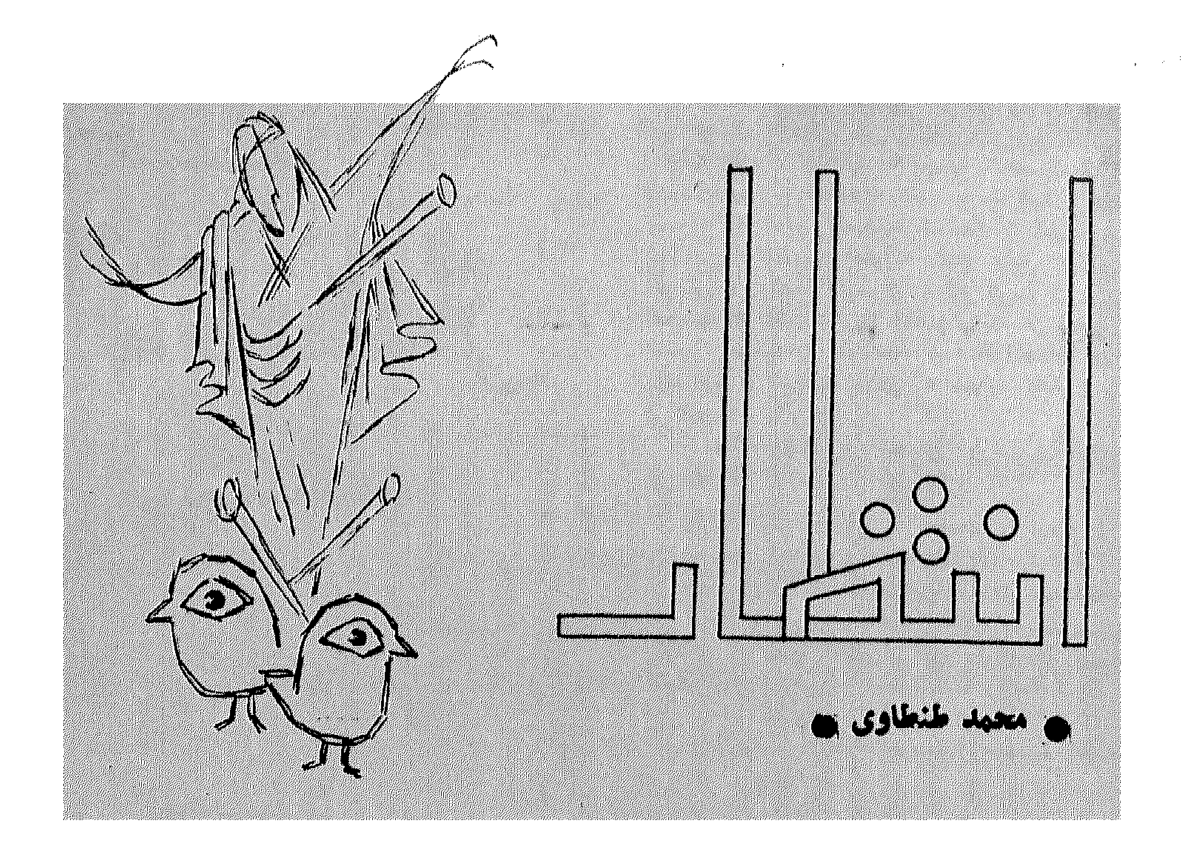
نزلت فى الليل الى سراديب الدنيا، ففتحت لى بابها وقالت : ((انت)) .

قلت : ((انته !)) .

اضجعت على الصدر ، ودخلنا معا ، كانت بقعة الدم التى انتظرت طويلا كى افجرها ، قد فجرها الزمن الماضى الراحل ، فاحسست باننى الآتى على الفرس المهر لافجر الدم الذى كان قد تفجر ، احسست باننى اضال من حدوة المهر ـ فنمت..

ـ ٥ ـ

هذا انا الفارس الذى يبحث عن مدن جديدة لا يهمه ان يكتشفها ، ولا يهمه ان يحصل على كنوزها .. فقط يهمه ان يطأها بقدميه ، ويمضى



ابتساماتها لا تزال على الدرب مرآة حب ...
ونبعا من الألق العندليبى ينساب نحو السماء اقتدارا ،
وشلال ضوء يغنى له النهر احلى القصائد .
أمد الى الشط كفى لعل انعطاف المرايا ...
على صفحة الامس يوقظ بعض السبايا ،
فيغفو على شاطىء الفرح حزنى ...
واكتب اسمى ديمومة للشروق ، وصيرورة للغروب
وقطعة عشق يعلقها الحزن حول عيون الضحايا !
ويمتد موج ... وموج ... فتكبر بينى وبين الرحيـل المسافات ،
من سوف ياتى ؟ تلم البحار الشواطىء ، تغرق كل الزوارق ،
تخفى الرماح أسنتها فى صدور الموائد .
وفى الليل تصحو كتائب للأزرق الدموى ،
تحاصرنى فى خرائب حزنى العنيد ،
فامتد خلف بقايا الزمان انهمارا شقيا .
على حائط الياس القى حطامى ، فوق صليب من الشوق ،
تصحو جيوش النهار . فتنزع منى المسامير ضوءا ، فضوءا ...
تزغرد فوق جبينى الطيور ـ أخاف ـ اسائل راسى :
اتاكل منك الطيور وعيناى تنتظران الحبيب ؟!

قصـــة

الانصهـار

● محمـــد عطا ●



« هانت جميلة يا حبيبتي ، هانت جميـــلة ، عيناك حمـــامتان »[*]

الطريق أمامه موحش ، بلا نهاية ، عيناه تمزجان أسفلت الطريق بخط الافق ، تتحرك قدماه أكثر ، تنبسط أسارير وجهه ، يخفق قلبه ، الوصول بعد حين متى .. ؟ ساعته بلا عقارب ، هانت ..

الشمس في كبد السماء ، ظله أسفل قدميه ، كعباه تلتصقان بالاسفلت الذائب في الابخرة المتصاعدة ، التفت يمينا ، شـمالا ، أرض قفراء ، أشواك ، صبار ، تلال ، وعاد قالت وهي تدارى انفعالات خفيفة ترتسم على محياها البسيط :

ـ القســة عرفت ما بينكما ، لا تدار .. انت تحبها !

ـ .....

ـ احساس المرأة

ـ .....

١ ـ « صوت حبيبي .. هو ذا آت طافرا على الجبال ، قافزا على التلال »

جف حلقه ، تهدجت انفاســه ، حبات العرق بللت جسده ، انحدرت على جانب فمه ، لعقها بلسانه ، شعر بلسعتها المالحة ، انفـرجت شفتاه ، اتسعت خطواته فتح مابين قـدمـه اليمنى ، وكعب اليسرى ، لمح فرسا شـهباء تصـــهل ، تعدو بسرعة خلفها زوبعه من الغبـار تتبعها بعينيه ، بانفاسه ، بخطواته ، تعلق باهدابها ، ابتلعها الافق ، غمرته كآبة ، تألم في صمت ..

« لقد شبهتك يا حبيبتي بفرس في مركبات فرعون »

نظرت اليه في وهن ، غمغمت في تهدج :

ـ امن أجلها تهدم حياتنا ، بيتنا !

تنحنح بقوة ، ازدرد ريقه ندت عنه آهه ، رفع كعبيه بصعوبة تخلص من الاســـفلت الملتصق ، وهج الظهيرة لفح بشرته ، احترق أرنبة أنفه ، جبهته تنسلخ شم رائحة شواء ، شعر بالم الانسلاخ .

بيد مرتعشة مسحت دموعها ، همست وعيناها تغوصان في عينيه :

ـ اتفكر في الفراق !

ـ ....

« طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابني »

السراب في عينيه ، يستحث خطاه ، أصـابع قدميه تورمت ، كعباه تشققتا ، حذاؤه تآكل ، شعر بالاختناق ، بالضيق ، بالتأفف ، راحة يده تزيل التراب الممزوج بالعرق ، الحذاء جديد ، جديد في شكله ، جديد في ألمه .. السخط يملأ أطرافه ، ابتسم في سخرية وهو يذكر قـول البائع « جلد طبيعي سيريح قدميك » !

حمل الحذاء القديم تحت ابطه ، ارتدى الجديد ، احس بالزهو ، بالخيلاء ، بالالم بالمرارة :

تهادى صوتها الهادى يشق الصمت ، رن في اذنيه بنغمة غير متوقعة :

ـ ما الفرق بيني وبينها ؟ ..

ـ ....

« كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات »

اصابع قدميه زادت تورما ، تقيحـا ، رأسه يلتهب ، الحذاء يضيق ، الافق يضيق ، انفاسه تضيق .. يزداد ضجرا ، نظر الى السماء ، تقابلت عيناه بقرص الشمس ، احس بالدوار وضع راحته على جبهته ، تعثر ، سقط ..

« اخبرني يامن تحبه نفسي أين ترعى ؟ أين تربض عند الظهيرة »

يتردد الصهيل في اذنيه ، تتراءى له الفرس عائدة ، قام من كبوته ، ترك نهاية الطريق ، نسى الأسفلت الذائب ، وهج الظهيرة ، أصابعه المتقيحة ، الحذاء الضيق .

قفز خلف الفرس ، عدا في ركابها ، خانتـه قدماه ، ازدادتا التصاقا بالاسفلت ، غاصتا شيئا فشيئا .. التفت يمنة يسرة ، قرص الشمس يزداد التهابا ، يذوب الأسفلت ، ينصهر يتكور في وسطه ، يزداد الانسلاخ ، يكتم الألم ، الآهات ، الصرخات ، يســد فمه بالاسفلت ، يتحد به ، يذوب معه ، يمتزج بالطريق ..

---

[*] ما بين العلامات « » من نشيد الانشاد « العهد القديم »

هـــذا حبّى

● عزت الطيرى ●

آخذ من كفيك بذور العشق
ينبت حبى شوقا ، ألقا ، غيما ، شفقا ..
قلقا ، أرقا ، قلما ، ورقا ، وخطابات وحكايا !
ينبت نجمه !
ينبت نسمه !
ينبت خيمه ..
ينبت فسطاطا وبساطا
ينبت أغنية للأطفال وعمال الميناء .. وعمال المنجـــم
ينبت تكبيرة جند فى ساعات الفتح
ينبت موالا للنسوة فى جلسة غربلة القمح
ينبت حبى سبع يمامات خضر بيض زرق
فى كل جناح يمامة ،
مائة منديل
ينبت حبى قنديل
ينبت حبى قنديل

عزت الطيرى
نجع حمادى



● مصطفى النجار ●

قلت لى ذات مساء :
انت عنوان الوفاء
انت لولاك هباء !
كل امجادى القديمه
كل آمالى الوضاء
انت لولاك حروفى
ترحل الاشواق عنها والربيع
تنطفى بيض الشموع
ينزوى عنى الجميع
قلت لى ذات مساء
هل نمى الورد بلا ضوء وماء ؟
ربما كان ؟ ولكن ..
ليس قلبى يستطيع
ان يعيش دون حب ..
دون حب ووفاء

***

يا ترى اين المساء ؟؟

مصطفى النجار
حلب



تذكرة طبية

● د . السيد الجميلى ●

القناة الهضمية مثلها مثل باقى اجهزة الجسم ، تعانى وتقاسى من الغزو المدمر لديدان البلهارسيا التى تقوض طبقات المعى والدوسنطاريا هي العرض المرضى الذى تعبر به المصارين عن قلقهما ورفضها لهذا ((البلاء)) النازل بها ، وتظهر هذه المعاناة على صورة اسهال مستمر يقاوم العقاقير العادية التى تطيب الدوسنطاريا الاميبية او الباسيلية او العلاج بالمضادات الحيوية .

وانى لانصحك يا عزيزى مريض الدوسنطاريا المزمنة ان تعرض نفسك على الطبيب الباطنى المعالج ، ليعمل منظارا للشرج وليفحص امعاءك .

علاج الارتيكاريا

كثير من مرضى الارتيكاريا يشكون من عدم تحسن أحوالهم او من نكسات تزورهم على حين غفلة فى نوبات حادة تقض مضجعهم وتقلق راحتهم . واحب ان اوضح امرا يجب الا يعزب عن العقل والا يغيب عن البال وهو سبب هذه الارتيكاريا فاذا ما عرف السبب بطل العجب . . . فاذا ما اكتشف السبب توجهت دفة العلاج نحوه وتركزت عليه . يجب الابتعاد عن بعض العقاقير المسببة للارتيكاريا احيانا وهى انواع خاصة تختلف من شخص لآخر، فبينا نرى هذا الشخص يصاب بالارتيكاريا من اقراص الاسبرين مثلا ، نرى ذلك الشخص يعانى من هذه الحال بمجرد استعمال اقراص السلفوناميد مثلا .

ثم بعد الابتعاد عن السبب نلوذ بالعقار الناجح الشافى من مضادات الهستامين مثل الادرناليين والكورتيزون ، تحت اشراف الطبيب

هبوط كلوى حاد

الهبوط الكلوى الحاد يحدث عندما يقل حجم البول عن حدود معدله الطبيعى من جراء اضطراب العمليات الكيميائية الفسيولوجية الداخلية للجسم ، ولهذا الهبوط الحاد فى الكلى اسباب شتى مثل نزف الدم الشديد ، وبعض حالات القيء الشديد العنيف ، وبعض النوبات القلبية .

بعض الاسباب يعزوها البعض الى امراض القناة البولية مثل حصى المثانة او التضخم البروستاتى الشديد ، وانسداد الحالبين بحصوتين . الا ان بعضا من الاسباب ترجع الى امراض باطنة بالمجارى البولية مثل الالتهابات الميكروبية للكلى وامراض الحساسية .

وفى مثل هذه الحالة لابد من العرض على الطبيب المعالج باستدعائه فورا حتى يقرر التشخيص ويحدد العلاج اللازم .

زهرات من رياض العرب

● احمق ●

كان بالمدينة غلام احمق ،فقال يوما لأمه : اوشك ان تريني عظيم الشان !

قالت : كيف ؟ والله ما بين جنبات هذه المدينة احمق منك !

فقال : اما علمت يا اماه ان هذا زمان الحمقى ، وانا احدهم ؟!

● خبر ظريف ●

قال أبو نصر : رأيت أبا نواس يوما وهو يكنس مسجدا ، فهالنى الأمر وعجبت لذلك الشاعر الماجن المعروف بالمنكرات كيف اراه على هذه الصورة؟

فقلت له : ما هذا يا ابا نواس ؟

فاجابنى : اردت ان يرفع الى السماء فى هذا اليوم خبر ظريف .

● انشروا بساطكم ●

شرب طوقان المغنى عند الشريف الرضى فسرق رداؤه ، فلما اصبح افتقده ، فقال : قد سرق ردائى ..

فقال له الشريف : سبحان الله ، امن تتهم منا ؟ امـا علمت ان الشراب بساط يطوى عليه !

فقال : انشروا بساطكم حتى اخذ ردائى واطووه الى يوم القيامة !

● عـــادة ●

كان عبد الله بن جعفر كريما الى حد الاسراف ، فقال له معاوية : يا عبد الله .. الى متى الاسراف والافراط والايام مقبلة مدبرة ؟..

فاجاب عبد الله بقوله : يا امـــير المؤمنين ، ان الله تعالى عودنى عادة ، وعودت عباده عادة ، فاخشى ان قطعت عادتى عن عباده ، ان يقطع عـــادته عنى ...

● كنـــاية ●

وقفت عجـــوز على قيس بن سعد فقالت : اشكو اليك قلة الجرذان ..

فقال لها قيس : ما احسن هــذه الكناية ! ... املأوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

● اعرابى جرىء ●

خطب معاوية خطبة اعجب بهاوفاخر ببلاغتها وصياغتها ، وقال : ايهاالناس هل ترون فى خطابتى من خلل ؟

فوقف اعرابى جرىء وقال له : نعم يا امير المؤمنين ، ان فيها خللا كخلل المنخل !..

فقال له معاوية : واى خـــلل يا اعرابى ؟

فقال الاعرابى : ذلك الخلل هـو ما تناثر على لسانك من اعجابك بهـا ومدحك لها !

● اذقنى برد عفوك ●

اعتمر الامام على بن ابى طـــالب ـ كرم الله وجهه ـ فرأى رجلا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول : يا مـــن لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه الحاح الملحين ، اذقنى برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك .

فقال على : والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك ملء السماوات والارضين ذنوبا لغفر لك ..

● محسن فهمى ●

ناصري خسرو

الرحالة الفارسى فى مصر الفاطمية

• د. محمد عبد المنعم خفاجى •

— ١ —

● ناصرى خسرو من الشخصيات الرائعة المعروفة فى العالم الاسلامى ، فهو اديب وشاعر ورحالة وعالم وداعية من الدعاة الى المذهب الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى ، وكتابه ((سفر نامة)) مشهود ، وقد وصف فيه رحلته الى مصر التى استمرت ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ((٤٣٩ — ٤٤٢ هـ: ١٠٤٧ — ١٠٥٠م)) والكتاب ترجمه شارل شيفر الى الفرنسية ، ثم ترجمه الدكتور يحيى الخشاب الى العربية ، وهو مشهور فى التراث الفارسى ...

وفى القرن الخامس الهجرى — الحادى عشر الميلادى كان المشرق الاسلامى موزعا بين عديد من القوى السياسية الكبرى :

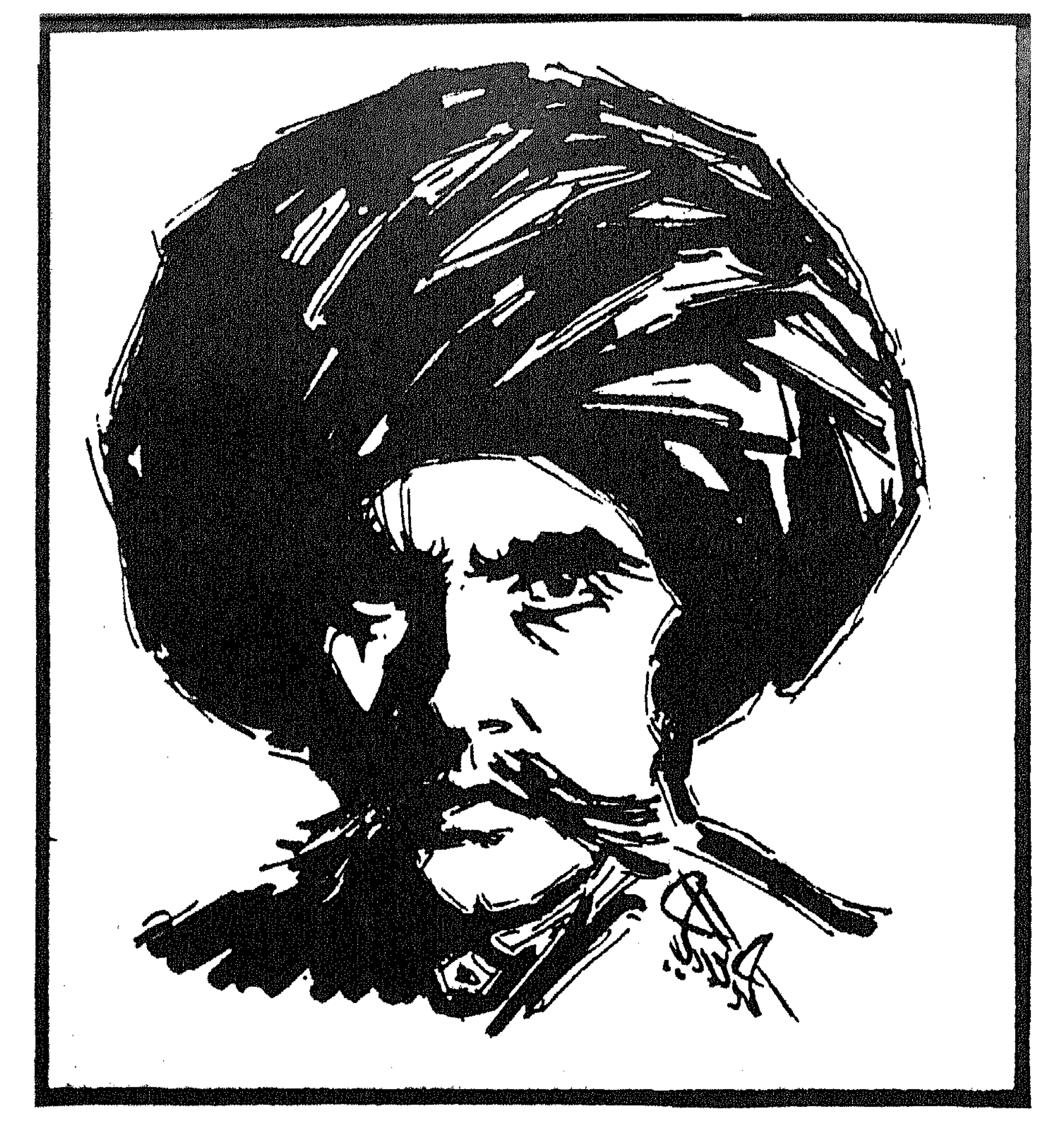
الدولة الفاطمية فى مصر والشام والجزيرة العربية ، ويمتد نفوذها الى حدود العراق

والدولة البويهية فى فارس والعراق والغزنوية وتحكم بلاد ما وراء النهروما جاورها ، ويمتد سلطانها فى داخل الهند وعلى حدود الصين .

وبدأ نفوذ السلاجقة فى خراسان يزداد يوما بعد يوم .

وكانت الدولتان الفاطمية والبويهية شيعيتين ، اما السلاجقة والغزنويون فسنيون متعصبون لسنيتهم . وقد تسللت الدعوة الفاطمية الى مراكز كثيرة فى العراق وفارس ، وكان من اكبر دعاتها فى شيراز والاهواز المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى « ٣٩٠ — ٤٧٠ هـ : ٩٩٩ — ١٠٧٨ م » الذى نشر المذهب الفاطمى فى شيراز والاهواز وما جاورهما . وكان ناصرى خسرو صديقا للمؤيد، وعنه عرف الفاطمية، وتلقى اصول الدعوة الى المذهب ، ودان بالولاء والحب للفاطميين

وقد حضر ناصرى خسرو مجالس المؤيد ، وفتحت ابواب الحكمة امامه، وعن طريق المؤيد صار داعية من دعاة المذهب الفاطمى ، وحجة لاقليم خراسان . وكان ناصرى خسرو مثقفا



ثقافة واسعة أهلته لأن يصادق كبار العلماء والفلاسفة والشعراء فى عصره من مثل : المؤيد ، والخواجة الموفق ونظام الملك ، وحسن الصباح ، والشاعر قطران . والعنصرى ((ــ ٤٣١هـ))والمسجدى((ــ ٤٣٢هـ)) ومنوجهرى ((ــ ٤٣٢ هـ)) والبيرونى ((ــ ٤٤٨ هـ)) ، وسواهم (١) ، كما اهلته لان يشغل مناصب عالية فى دولة الغزنويين للسلطان محمود الغزنوى ، ولابنه السلطان مسعود ، ثم فى دولة السلاجقة ، حكام خراسان آنذاك ،

وكان شابا لاهيا ، فلما لاحقته الأحداث عزم على التوبة ، وعلى اداء فريضة الحج لبيت الله الحرام .))(٢)

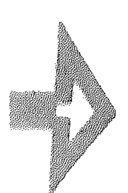
ومن اجل ذلك ذهب ناصرى خسرو الى « مرو » وقدم طلبا لاعفائه من منصبه ، وذلك فى جمادى الاخرة

من عام ٤٣٧هـ « ١٠٤٦م » ، العام الذى هاجر فيه المؤيد فى الدين الشيرازى الى القاهرة

وفى شعبان من عام ٤٤٧ هـ خرج ناصرى خسرو من «مرو» ومعه اخوه أبو

(١) ولد ناصرى خسرو فى قباديان عام ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) كما ذكر الدكتور يحيى الخشاب فى تقديمه لكتابه « سفرنامه » « ص ٩ » : وان كنت ارجح ان ميلاده كان عام ٣٩٧ هـ ، اذ يشير فى كتابه « سفرنامه « ص ٣٤ » طبعة دار الكتاب الجديد فى بيروت عام ١٩٧٠ » الى انه كان فى الاربعين من عمره عام ٤٣٧ هـ .

(٢) قد نرجح انه قرر الذهاب الى مصر ، وجعل الحج ستارا له ليخفى هدفه عن خصومه من خصوم الفاطميين ويؤيد هذا أن رشيد الدين يذكر فى كتابه « الورقات » (٢٨٦ ــ ٢٩٠) أن المستنصر الفاطمى قد دعا ناصرى خسرو ليحضر الى مصر ، كما دعا المؤيد وحسن الصباح .



سعيد وغلام هندي وظل يواصل الرحلة ، حتى وصل الى حلب، ودخل معرة النعمان، وسمع بالمعري ، وقال: ان بها رجلا اعمى اسمه أبو العلاء ، وهو حاكمها وكان واسع الثراء ، عنده كثير من العبيد ، وكان اهل البلد كله خدما له ، اما هو فقد تزهد واعتكف في البيت ، وكان قوته نصف «من»، من خبز الشعير ،وقد سمعت ان باب سرايه مفتوح دائما ، وان نوابه يدبرون أمر المدينة لا يرجعون اليه الا في الامور الهامة ، وهو لا يمنع نعمته احدا ، يصوم الدهر ويقوم الليل ، ولا يشغل نفسه مطلقا بامر دنيوى .

وقد سما المعري في الشعر والأدب الى حد أن أفاضل الشام والمغرب والعراق يقرون بأنه لم يكن من يدانيه في هذا العصر ، ويجلس حوله دائما اكثر من مائتي رجل يحضرون من الاطراف ويقراون عليه الادب والشعر(٣) ونحن نعلم أن المستنصر الفاطمي قد بذل لابي العلاء مابيت المال في المعرة من أموال وان كان أبو العلاء لم يقل منه شيئا : وأن المؤيد في الدين كتب الى والى حلب أن يرفع من منزلة ابي العلاء وان يجرى عليه من الأموال ما يقوم بحاجاته وأن الحاكم الفاطمي من قبل قد أمر وزيره الفلاحي بأن يكتب الى عزيز الدولة والى حلب ليحمل أبا العلاء الى مصر ، أو يسمح له بخراج المعرة طيلة حياته ، فاعتذر ابو العلاء عن كل ذلك اعتذارا لطيفا . ويذكر الدكتور الخشاب أن صالح بن مرداس أمير حلب قال حين شفع عنده في المعري : قد وهبت المعرة لك (٤) ..

ويوالي ناصري خسرو رحلته فيدخل بيت المقدس ويصف هذه المدينة وسلطان مصر عليها .

ثم يرحل الى مصر عام ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) فيدخلها من طريق الرملة ، فعسقلان ثم طينة ، فمدينة تنيس ، فالصالحية ، فالقاهرة ، التي دخلها في ٧ من صفر عام ٤٣٩ هـ - ٤ من اغسطس عام ١٠٤٧ م . وفي القاهرة اقام ناصري خسرو نحو ثلاث سنوات ، ثم غادرها الى أسيوط ، فقوص ، فاخميم ، فاسوان ، فعيذاب ، التي غادرها بحرا الى الحجاز عام ٤٤٢ هـ - ١٠٥٠ م

- ٢ -

كانت الدولة الفاطمية آنذاك وفي عهد المستنصر الفاطمي هي صاحبة السيادة والسلطان في مصر والحجاز والشام واليمن ، وكانت مصر ابان ذلك تتمتع بكثير من الوان الازدهار والرخاء والتقدم الحضاري وكان ناصري خسرو ، وهو يقترب شيئا فشيئا من حدود مصر يزداد ارتباطا بالفاطمية والفاطميين .

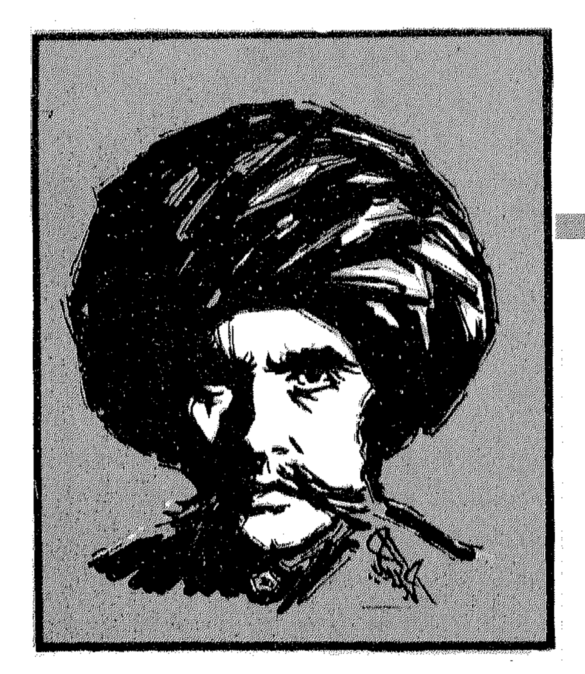
وفي مصر قربه الفاطميون اليهم ، وشملوه برعايتهم ، ومنذ ذلك الحين اخذ يتدرج في مدارج الدعوة ،واعتقد المذهب الفاطمي، وبلغ أرفع الدرجات في سلم الدعوة والدعاة . ويتحدث ناصري خسرو في احدى قصائد ديوانه عن صلته الوثيقة بالامام المستنصر الفاطمي .

لقد عاش في ظلال صديقه المؤيد

---

(٣) ٤٥ و ٤٦ سفرنامه ترجمة د. يحيى الخشاب - ويعلق الدكتور يحيى على وصف ناصري خسرو لابي العلاء بالثراء في مقدمة كتاب « سفرنامه » (ص ٢١ و ٢٢ فيذكر أن ذلك غير مستبعد .

(٤) ص ٢١ سفرنامه تحقيق د . يحيى الخشاب .



في الدين ، وفي رعاية المستنصر وعطفه ، وتمتع بالكثير من مظاهر النفوذ والسلطان ، وصار قريبا من القصر الفاطمي ، اثيرا لدى اصحاب النفوذ في الدولة . وقد حج مرتين في صحبة رسول الخليفة ، وعاد في المرة الثانية الى القاهرة في صحبة امير مكة . وصار واحدا من اثنيعشر حجة نصبهم المستنصر بنفسه في مناصبهم .

ثلاث سنوات وثلاثة اشهر قضاها ناصري في مصر ، كانت في عينيه بمثابة طيف جميل ، وفي قلبه كحلم رائع لم ير مثله ، وفي ربيع الاول من عام ٤٤٢ هـ كان ناصري يجتاز البحر الاحمر عن طريق عيذاب الى المدينة فمكة المكرمة ، ثم يواصل الرحلة الى خراسان ، فيصل بلخ في السادس والعشرين من جمادى الآخرة عام ٤٤٤ هـ ((٢٦ من اكتوبر عام ١٠٥٢ م)) عن طريق فلج والحسا، وفي صحبته اخوه .

وبعد غيبة طويلة استمرت سبع سنوات قضاها في التجوال فيالعالم الاسلامي ، استقر ناصري خسرو في وطنه ، وصار من ابرز رجال الدعوة الفاطمية ، وطوف كثيرا في خراسان ثم اقام في مازندران مدة طويلة ، وكون لنفسه فرقة خاصة تدين بالمذهب الفاطمي في مصر ، مما دعاه الى الاختفاء في الجبال ، بعيدا عن اعين رجال الدولة السلجوقية ، الناقمين على الفاطمية والفاطميين، مما جعل اهله واصدقاءه يظهرون له الجفاء ، واحرق العامة داره ، واصابه الكثير من الاذى في سبيل مذهبه .

وعكف ناصري على التاليف والكتابة فنظم ديوانه الشعري ، ثم كتب اخبار رحلته في كتابه الرائع «سفر نامه » الذي يرجح ان النسخة التي وصلتنا منه ناقصة ، لانها تخلو من كثير من النصوصالتي نقلها معاصروه من هذا الكتاب ، ولأن ناصري يشير فيه الى انه سيذكر اشياء في رحلته في موضع آخر من الكتاب ولا نجد لها اثرا فيه .

ويذكر د. يحيى الخشاب نقلا عن شارل شيفر ان ناصري خسرو كتب رحلته هذه قبل عام ٤٥٣هـ ((١٠٦٠م)) **لانه اشار في هذا الكتاب الى نصر الدولة الذي توفي في هذا التاريخ ، واري ان ذلك لا يؤدي الى هذا الاستنتاج الذي ذهب اليه شيفر لان ذلك مرجح لان يكون قد الف هذه الرحلة بعد عام ٤٥٣ هـ ، ويؤيد ذلك ماذكره تقي زاده كما نقله د. الخشاب من انها كتبت بعد عام ٤٥٥ هـ لان المؤلف يذكر طغرل بيك في الكتاب على انه متوفي فيقول عنه : رحمه الله ((٥)) وقد توفي طغرل بيك في هذا التاريخ**

كما الف ناصري خسرو كتابه «وجه دين » الذي شرح فيه آراءه الدينية في الدعوة والدعاة والمذهب شرحا واسعا .

(٥) ١٦ ، ١٧ سفرنامه ـ ترجمة د. الخشاب .

ومن مؤلفاته كذلك : خوان الاخوان وزاد المسافرين، والرسالة ، والصحيفة ومرآة المحققين .

ومن شعره كذلك : مجموعة سعادة نامه ، وروشنائى نامه .

وقد دفن فى شوغان .. وقبره مزار يقصده الاسماعيليون البزاريون من كل مكان .

— ٣ —

ولقد صور ناصرى خسرو فى سفر نامه حضارة مصر الفاطمية فى عصر المستنصر تصويرا رائعا ، كما صور سلطانها العظيم فى كتابه بحب وتقدير وولاء .

يصف خضوع فلسطين لحكم مصر فيذكر ان فى مسجد الصخرة رواقا ليما جميلا كتب عليه :«سلطان مصر» بالميناء، فحين تقع عليه اشعة الشمس يكون لها من الشعاع ما يحير الألباب(٦)

ويصف قصر السلطان الذى يحرسه كل ليلة الف رجل نصفهم من الفرسان ونصفهم من الرجالة والذى يعيش فيه ثلاثون ألفا من البشر ، منهم اثنا عشر الف خادم «٧» والذى انشئت فيه طرق داخلية عديدة ، واخرى تحت الأرض تربطه بأماكن خارجية ، والذى يشتمل فيما يشتمل عليه على بساتين لا نظير لها

ويصف موكب الخليفة لفتح الخليج وصفا رائعا « ٨ »

ويشير الى الرخاء الذى ساد مصر فى العصر الفاطمى فيقول :

ان اهل مصر فى غنى عظيم ،ورأيت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملوءة بالذهب والجواهر والنقد والامتعة المختلفة والملابس المذهبة والمقصبة ، ورأيت اموالا يمامكها بعض المصريين لو ذكرتها لما صدقنى الناس فى فارس ، والامن الذى رايته لم اره فى بلد من قبل ((٩)) .ويقول انه بلغ امن المصريين واطمئنانهم الى حد ان البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم ، بل يسدلون عليها الستائر دون ان يجرؤ احد على مد يده الى شىء منها ((١٠))

ويقول : ان البيوت فى مصر من النظافة والبهاء بحيث يقول من يشاهدها : انها بنيت من الجواهر لا من الآجر والحجارة ، والأربطة والحمامات ، والابنية فيها كثيرة لا يحدها الحصر« ١١ ». ويذكر أن فيها الف دكان للسلطان تؤجر لمن يريد«١٢»

ويذكر ان القاهرة يمدها بالماء من النيل اثنان وخمسون الف جمل يحمل عليها السقاءون القرب .

وقد وصف شواطىء مصر ، والمدن التى عليها ، وأفاض فى وصف الاسكندرية ومنارتها وعمود السوارى فيها وصفا دقيقا .

ويذكر مدينة « تنيس » وعظمتها الصناعية والتجارية فى عهد المستنصر فيقول : انها انفردت بنسيج القصب الملون ، وان بها صناعا مختصين بنسيج ملابس السلطان ، وقد منح

(٦) ص ٥٨ ـ سفرنامه ـ تحقيق دكتور الخشاب طبعة دار الكتاب الجديد بيروت عام ١٩٧٠ .

(٧) ص ٩٠ المرجع نفسه .

(٨) ص ٩٣ ، ٩٦ المرجع نفسه .
(٩) ص ١٠٥ ، ١٠٦ المرجع نفسه .
(١٠) ص ١١٨ ـ المرجع نفسه .
(١١) ص ٩١ المرجع نفسه .
(١٢) ص ٨٨ المرجع نفسه .

في العدد القادم :

نتيجة مسابقة :

مواقف واحداث في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، واعلان اسماء الفائزين

الهـــــــلال

أول ديسمبر ١٩٧٨

السلطان عاملا نسج له عمامة مبلغ خمسمائة دينار مغربي . وفيها ينسج قماش ذهبي يتغير لونه بتغير ساعات النهار « ١٣ » .

— ٤ —

ويصـــــف ناصري خسرو مائدة السلطان ، فيقول :

يقيم السلطان مادبة في كـــل من العيدين ، ويأذن بالاستقبال في قصره للخواص والعوام ، وتنصـــــب مائدة الخواص في حضرته ، ومائدة العـوام في سرايات اخرى .

وقد سمعت كثيرا من هذه المآدب ، فرغبت في رؤيتها رأى العـــين ، فذهبت عند احد كتاب السلطـــان ، وقلت له : رايت مجالس ملوك وسلاطين العجم ، مثل السلطان محمود الغزنوي وابنه السلطان مسعود ، وقد كانا ملكين عظيمين ذوي نعمة وجلال . واريد أن ارى مجالس امير المؤمنين المستنصر . فنقل رغبتي الى صاحب الستر ((١٤)) وقد تفضل فسمح لي بالذهاب في آخر رمضان سنة ٤٤٠هـ ((١٥))وكان المجلس قد اعد لليوم التالي ، وهـو يوم العيد ، حيث يحضر السلطـان بعد الصلاة ، فيجلس في صدر المائدة وحين دخلت مـــن باب السراى رايت عمارات وصففا وأيوانات ان اصفهـا يطل الكتاب .. كان هناك اثنا عشر جناحا ، ابنيتها مربعة ، وكلها متصلة بعضها ببعض ، وكلما دخلت جناحامنها وجدته أحسن من سابقه ومساحة كل واحد منها مائة ذراع في مائة عـدا واحدا منها كانت مساحته ستين في ستين . وكان بهذا الاخير تخت يشغل عرضه بتمامه ، وعلوه أربعة اذرع ، وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث، وكل مافي هذا الحرم من الـديباج ، وحول التخت درابزين من الذهـــب المشبك يفوق حد الوصف ،ومن خلف التخت بجانب الحائط درجاتمـــن الفضة، وبلغ هذا التخت من العظمة اني لو قصرت هذا الكتاب كله علـى وصفه ما استوفيت الـــكلام . وقـد رايته على المائدة شجرة اعدتللزينة ، كل غصونها واوراقها وثمارها مصنوعة من السكر، وعليها الف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر ايضا «١٦»

***

وبعد ، فان كتـــاب ((سـفر نامه)) للرحالة الفارسي المشهور ناصري خسرو وثيق الصلة بمصر وتاريخها وحضارتها ورخائها وتقدمها في عصر الفاطميين ، وهوسجل ناطق بعظمة مصر وسلطانها ومجدها في هذا العصر الـــذي كان العالم الاسلامي فيه تتناوشه احداث جسام لم يشـــــهد التاريخ لهـــــا مثيلا .

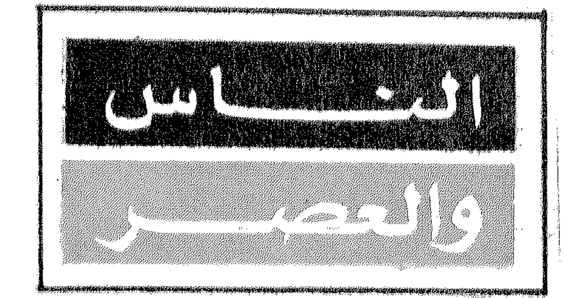
د . محمد عبد المنعم خفاجي

(١٣) ص ٧٧ المرجع نفسه .

(١٤) يشبه وزير القصر في عرفنا اليوم .

(١٥) يوافق ٧ من مارس عام ١٠٤٩ م .

(١٦) ص ١٠٦ ، ١٠٨ المرجع نفسه .





الليلة ، يا رائعة الحنان، حسبي من ضيوف الأسمار الثلاثة الأولون في سجل الانتظار ٠٠ تاذنين لهم احدا بعد أحد ٠٠ : المريد ((خادم التراث)) ٠٠٠ والسيد هاجي ، و ٠٠٠ جالاتيا !

الليلة نسكن الغربة يا تحفة الله !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

مع المريد ٠٠٠

المريد : ــ أصلح الله الأستاذ ، أستاذنا !
هو : ــ اى الأساتيذ تعنى ٠٠ أنا ؟!

المريد : ــ نعم ، وأجل ٠٠ فأنا أدعو الله لك ٠٠
هو : ــ تدعو الله لى أن يصلحنى ؟
المريد : ــ تماما ! ٠٠٠

هو : ــ أيجوز الدعاء الى الله أن يصلح المنصلح ؟!
المريد : ــ لا ، وانما ٠٠٠

هو : ــ انما يكون الدعاء الى الله أن يصلح الفاسد ، أو المفسد ، أو الفسيد ٠٠ فهل أنا ٠٠ ؟

المريد : ــ العفو ! ٠٠ أبدا ، أبدا ٠٠٠
هو : ــ كذلك أيضا يكون الدعاء الى الله أن يصلح المكسور ، أو الكسر ، أو المتكسر ٠٠ فهل ترانى ٠٠٠ ؟

المريد : ــ لا ، لا والله ٠٠٠ أنا لم اكن أعنى شيئا من ذلك !
هو : ــ ولكنك قلت ما يعنى شيئا من ذلك !
المريد : ــ ما قلت والله غير دعاء من مأثور التحيات عند المتأدبين !
هو : ــ ٠٠٠ المتأدبين فى الناس والعصر ؟

المريد : — لا ... في التراث !
هو : — من التراث أخذت هذا الذي ...
المريد : — كما هو ، بنصه وفصه !

هو : — بنصه وفصه ؟ .. حلوه ! .. جملة تراثية ؟
المريد : — تماما ! .. والتراث ، لو تعلم ، كله نفائس !

هو : — ولكنك أخذت نفيستك منه كما وقعت لك !
المريد : — كيف ؟ ...

هو : — يعني لم تنظر فيها وتفحصها ، ولم تحاول أن ...
المريد : — ولماذا أفعل ؟ ان التراث كنوز للحفظ والصون !

هو : — هو كذلك ما بقي في الأضابير والخزائن ، يسعى اليه المتفقهون والوثائقيون .. اما اذا خرجت به الى الناس والعصر ، فلابد لك أن تنفض الغبار ، وتتفحص ، وتعرض تحت أضواء وزوايا ، تجذب وتعجب ، وتلهم رؤى جديدة !

المريد : — ولكني لا أقتنع والله بما تقول ...
هو : — تعني أنك لا تريد أن تقتنع بما أقول !

المريد : — ستدعو لي اذن بالسيف والنطع ...
هو : — أبدا ، أبدا ولا جرم ! .. وانما ، لصراحتك ، تحمد وتجاز
المريد : — حييت والله أستاذا وسيدا جوادا .

هو : — الآن لك الجائزة جائزتان !
المريد : — ياللندى !

هو : — نعطيك الأولى نفيسة من التراث ، ونهديك الأخرى من الناس والعصر :

المريد : — فديتك ، فما هما .. ما الجائزتان ؟
هو : — هما دعوتان ... الأولى : أصلحك الله ! والأخرى . وأصلح لك ، بالذات ، فهمك !

مع جالاتيا

هو : — جالاتيا ؟!
هي : — نعم ، هي ، يا مولاي ، أنا جالاتيا ...

هو : — .. في البدء كانت جالاتيا ، اقليما كخمائل الكافور في قلب آسيا .. ثم كانت ولاية رومانية قبل الميلاد ...

وفي الأساطير ، كانت جالاتيا تمثالا بديعا من المرمر .. ثم كانت بالحب معجزة حب وفن وحياة ! ..
والآن ... من في الناس والعصر — جالاتيا ؟!

جالاتيا : — كما ترى ، انسان عادية ، وسوية ، محبة للشعر وللأدب من مصر الجديدة !

هو : — عاشت مصر الجديدة ، تنبت مثل هذا الحسن الفريد ، وتأتينا بزائرات حسان !

جالاتيا : ـ زائرات حسان كثيرات ؟
هو : ـ وكثيرات الحسان في « حسن ساعة » !
جالاتيا : ـ عفوا ، فما معنى ...
هو : ـ « حسن ساعة » نبات يتفتح قبل الغروب بساعة ، ويذبل بعد الطلوع ، فتكون بهجة النظر اليه ساعة ! ..
جالاتيا : ـ أهكذا أيضا تبدو لك الآن زائرتك ؟
هو : ـ جالاتيا ؟
هي: ـ جالاتيا !
هو : ـ دعيني اذن استزيد ما ارى منك وما أسمع .. آه ، القوام موسيقى ... والسمت والصوت ، فتنة ! ..
جالاتيا : ـ أكل هذا ـ يا للثناء ـ أنا ؟!
هو : ـ وأنت نضرة الخمائل ! .. وحسن ربات الأساطير ! .. وبلبلة اذاعة الشرق الأوسط !
جالاتيا : ـ آه ، ومن بلبلة الاذاعة المغنية التي ...
هو : ـ انها لا تغني ، وانما ...
جالاتيا : ـ وانما ماذا ...
هو : ـ أووه .. وانما يمكنك ان تاخذى لفظة « انما » هذه ، فتجعليها راس جملة مفيدة : انما نحن بشر ! ـ انما الاعمال بالنيات ـ انما العاجز من لا يستبد !
جالاتيا : ـ آه .. يا مولاى ، أنت متعب !
هو : ـ اذن ، فأنا موجود !
جالاتيا : ـ أنت لست كما تبدو !
هو : ـ تلك مشكلة من لا يفطن الى ان في الناس من هو ليس كما يبدو !
جالاتيا : ـ .. ظاهرك سذاجة وجمود !
هو : ـ آه ، والناس لهم الظاهر !
جالاتيا : ـ وعمقك موج وصخب !
هو : ـ ... محنة !
جالاتيا : ـ محنة لا تنتهي ، فكيف يمكنك أن ...
هو : ـ بتنويع مصادر المواجهة .. بالتسليم ، بالغضب ، بالخيال ، بالحزن ، بالحب ، وبالحياة الشاعرة !
جالاتيا : ـ والحياة الشاعرة ما هي .. أعنى كيف حييتها ؟
هو : ـ الله أعلم !

جالاتيا : ــ ألا تريد أن تعرفني ؟
هو : ــ ألا يكفيك ما عرفت حتى الآن من أسراري وعقدي ؟!

جالاتيا : ــ وما يمنع أن أعرف الباقي ؟
هو : ــ الباقي كله عقد !

جالاتيا : ــ لا أظن أني قد تنتقل لي من عقدك عدوى !
هو : ــ ولكنها قد تعجل لك مجيء الحب !

جالاتيا : ــ الحب ! ‥ وهل سيجيء ؟!
هو : ــ أنت رائعة يا جالاتيا !

جالاتيا : ــ آه ‥ ولكن تقول لي : ما هو ، كيف هو : الحب ؟!
هو : ــ قالوا ‥ : « ذلك هو السؤال الذي لابد لك في الأجابة عنه، أن تعتمد على نفسك » !
جالاتيا : ــ وهل أخذت بما قالوا واعتمدت ‥‥

هو : ــ لا أدري ‥‥ ولكني على أي حــال لم أجـد نفسي في أكثر ما خلف السابقون الأولون من طوفان الكلمات والصور عن الحب منذ البدء ، ابتداء بأول من قال كلمة أحبك ‥ ووقوفا عند من قال أخيرا : الحياة الحب والحب الحياة ! ‥

جالاتيا : ــ ولماذا الوقوف عند من قال أخيرا ال ‥‥

هو : ــ معجزات العلم ومنجزات التقدم الحضاري ،غيرت وجوه الحياة، فتغير الناس والحب !

جالاتيا : ــ لكن ، ودائما ، الحب جميــل ! والكــلام عن الحب فن جميل ؟

هو : ــ أعندك الآن لي من هذا الفن الجميل شيء ؟

جالاتيا : ــ وهل يفتي ومالك في المدينة ؟!

هو : ــ لكنني ـ ولعلهـا في بعض عقــدي ــ اهتم حتى في الحب بوجهةالنظر الأخرى ‥

جالاتيا : ــ اهناك وجهات نظر أخري تدعو لكراهية الحب ؟

هو : ــ لا أظن ‥ ولكن الحب ، قد تضعف مقاومته في صراع العيش والخوف ، والقلق ، فينسحب تاركا المجال للكراهية في غابة النــاس والعصر !

جالاتيا : ــ وذلك هو ما يجعل للآخرين في الحب رأيا آخر ! ‥‥

هو : ــ رأيا يعرض أو يدين واقع الناس والعصر حول الحب ، وابس الحب ذاته !

جالاتيا : ــ مثلا ؟ ..

هو : ــ ليس مثلا ، ولا على ســــبيل المثال ، أن تقفز الى ذهنى الآن كلمات للفنانة الشاعرة المتكسرة الأوزان ، غادة السمان ، تقول :

فلنقل ببساطة ، الحب هو الثورة ! ... الحب هو ان تستقيظ دون ان يظل جسدك جثة ! .. وان تعمل دون ان يكون جسدك تابوتا ! .. وأن تنام دون أن تكون وسادتك الهرب !

جالاتيا : ــ ولكن ، ومع الاحساس هنا بالصدق والشجن ، أين هـــو الحب هنا ؟!

هو : ــ الحب بمعناه الأصل والـ ..

جالاتيا : ــ تماما ! .. الحب بين انسانين .. هو وهى !

هو : ــ انتهى !.. استنفد أغراضه ــ كما يؤكد كريستوفر كودويل ــ وذهب !

جالاتيا : ــ ومن هذا السيد كريستوفر كودويل ؟

هو : ــ كاتب انجليزى ، لم تتح له شهرة أوسع ، مات فى الحــرب الأهلية الاسبانية ــ يقول : ان ما بقي من الحب هو الكلمة فقط ، حروفها وهجاؤها ... ولكن ذهب كل شيء آخر ! .. عصر الحب انتهى . وبدأ عصر الغربة بين الرجل والمرأة ! ..

جالاتيا : ــ لا ، لا ... هذا رأى فظيع ! .. ودليل ذلك ..

هو : ــ أننا هنا ، أنت وأنا ، فهل تشعرين الغربة بيننا ؟!

جالاتيا : ــ لا ، لا غربة ! .. فهل تصـــدق بعد ذلك ما يقـــول كودويل ؟ ..

هو : ــ الليلة لا أصدقه ، يا ... تحفة الله !

جالاتيا : ــ تحفه الله ؟ ..

هو : ــ أنت ! .. أناديك وأثنى على بهاك !

جالاتيا : ــ مولاى ! .. أنت متعب !

هو : ــ ولكن (ــ أليس كذلك ــ) الحب موجود ؟

جالاتيا : ــ موجود !

هو : ــ كذلك (واعطنى يدك المنعمة) الحب جميل ..

رغم أنف كودويل ! ..

● **السهرة ممتدة ..**

والليل موصول ●

نفحات من شعر

على محمود طه

● قبس مستعر ! ●

ولفّــــتْ ذراعينِ كالحيّتين

عليّ ... وبى نشوةٌ لم تطِرْ

وقد قـــرّبتْ فمَها من فمي

كشِقّينِ من قبَسٍ مستعِرْ

أشم بأنفاسِهـــا رغبـــة

ويهتف بى جفنُها المنكسِـرْ

تبيّنتُ فى صـــدرِها مصرعى

وآخرةَ العاشِـقِ المنتحِـرْ !

● أفعى وأفعوان ●

دعينِى حــواءُ .. أو فابْعِـدِى

دعينِى إلى غــايتى أنطلـقْ

أخمرَ ونار .. ؟! لقد ضاقَ بى

كِيانِى وأوشكُ أنْ أختنِــقْ

أرَىَ .. ما أرى ؟ لهَبا ..؟ بل أشم

رائحةَ الجســدِ المحترقْ

فيالك أفعَى تشهّيتُهــــا

ويالِيَ من أفعــوانٍ نزقْ

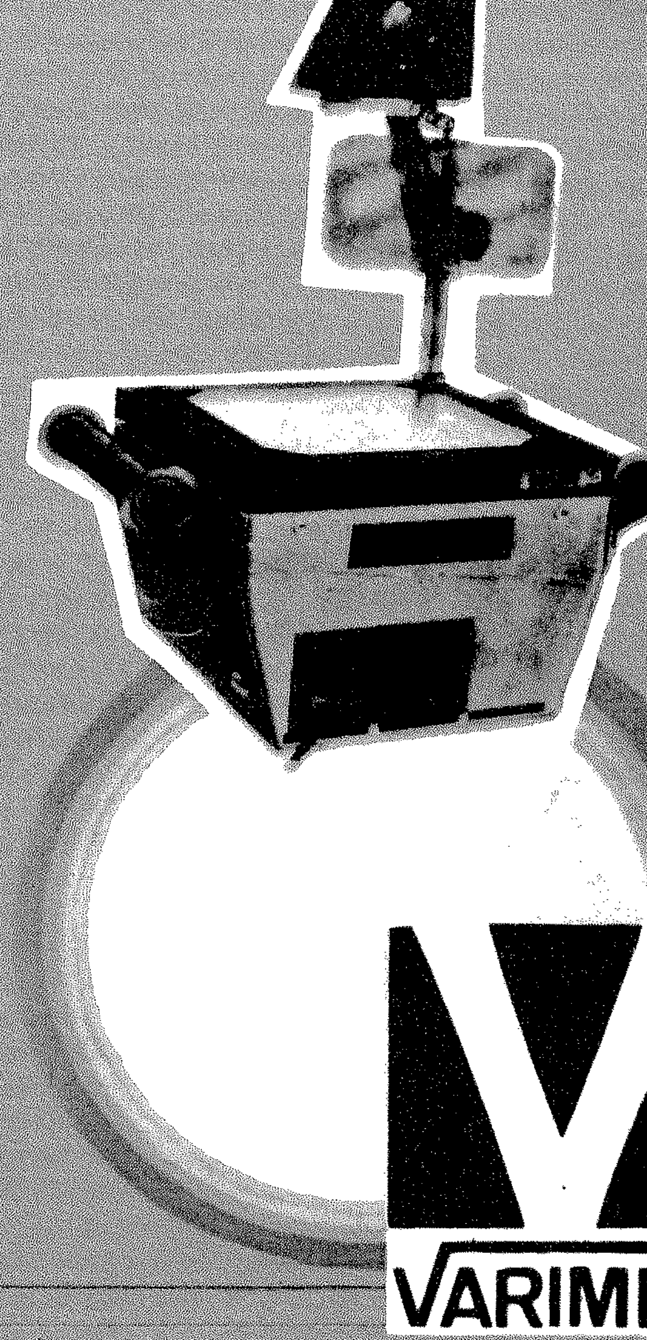
ا الجامعات والمدارس والمعاهد التعليمية
السبورات الضوئية البولندية

OVERHEAD
PROJECTORS

وهى تمتاز عن مثيلاتها بملحقات
الإضافية التى تتيح استعمالها
كأجهزة لعرض الشرائح وكذلك
للعرض على شاشات كبيرة
٤,٢ متر × ٤,٢ متر .
ومعها أيضًا منضدة مضيئة
لتحضير الرسومات قبل المحاضرة

متوفر حاليًا

بالإدارة التجارية بالأميرية وفروع البيع



ـة الاستعلامات
كز البولندي للاستعلامات التجارية والفنية ڤاريمكس
٦ ميدان الفلكى - باب اللوق - القاهرة
تليفون : ٣١٨٤٢ / ٣٣٥٤٨

...بر ١٩٧٨
الهلال
مجلة الفكر العربى

بناء المواطن الجديد قضية اليوم فى عالمنا العربى

● ...زكى نجيب محمود ● فكرى أباظة ● [illegible] ● د. سمير نوفل
● ...شرى صالح ● د. سهير القلماوى ● [illegible] ● بدر الدين أبو غازى
● ...وت أباظة ● د. عبد العزيز سليمان ● د. صبحى عبد الحكيم ● د. يوسف خليفة

● أمينة السعيد ● على حمدى الجمال
● د. جمال زكريا قاسم ● يحيى حقى
● د. لواء كمال عبد الحميد ● د. عادل سلامة
● د. مصطفى الديوانى
● د. محمود على مكى
● چاك برك

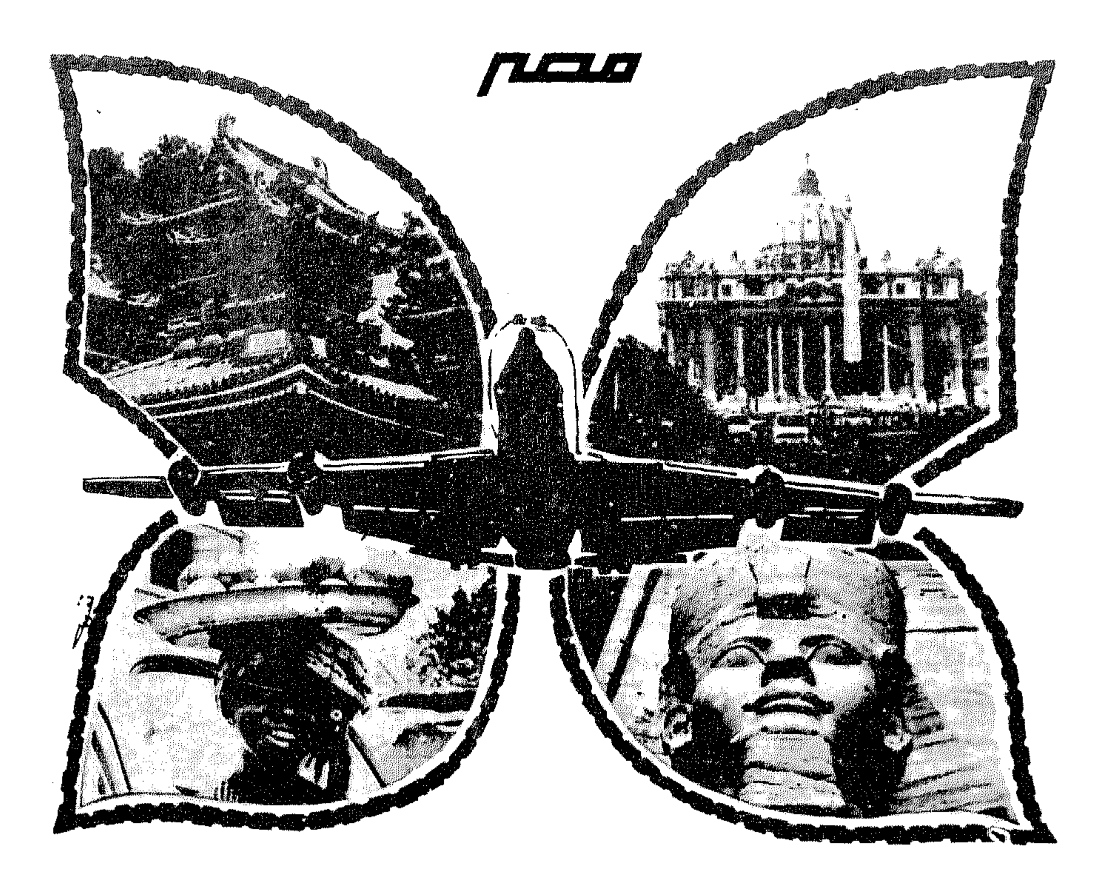
فى آثار أديب عالمى
مارك توين
حياته بالكلمة والصورة الملونة

اللسان
معجزة الخالق وسلاح الإنسان
استطلاع علمى بالألوان

في عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفي عمر شركات الطيران قليلاً ما تجد هذا الرقم

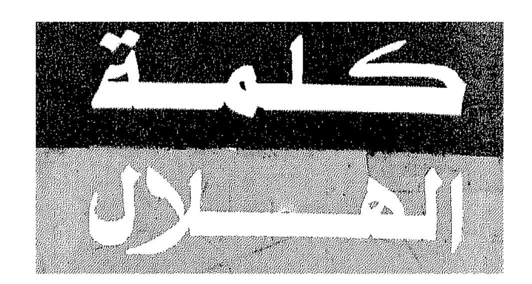
٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - آسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوي



على أبواب المستقبل

ان الوظيفة الرئيسية لمجلة عربية ثقافية امينة مع نفسها عارفة بواجبها هو التعرض للقضايا الاساسية فى بناء الوطن العربى والمواطن العربى بالتالى .

ومن أكثر من عام يسير الهلال فى هذا الخط الجاد البناء . باحثا عن المشكلات الثقافية والاجتماعية ومواجها اياها بالصدق والجراة والعمق والنظرة العلمية ..

وقد فجر الهلال الى الآن قضايا كبرى آخرها قضية ضياع السينما العربية وتخليها عن دورها الثقافى القومى .. وكان لحملتنا صدى بعيد عند الحريصين على مستقبل العرب الحضارى، اما أهل السينما انفسهم فيبدو انهم خارج الصورة تماما ، لأنهم لم يحسوا بالموضوع لأنهم كما قلنا لم يعودوا أهل فن وانما أهل تجارة .

وفى هذا العدد من الهلال نتعرض لمشكلة اليوم والغد مشكلة بناء المواطن العربى القادر على مواجهة مشكلات اليوم ومشكلات الغد بالعقل والصلابة والعروبة والعلم . وقد عرضنا المشكلة على نفر من اعلام الفكر والحضارة فى بلادنا فلبوا دعوتنا للاسهام فى الموضوع مشكورين .

وهاهى القضية بين يديك : يعرضها عليك اعلام الفكر فى عالم العرب ويتناولونها من شتى نواحيها، ويضعها لك الهلال فى اطارها الكامل فى مقاله الافتتاحى لكى تفكر وتقدر وتسهم برأيك اذا رأيت الاسهام .

انها قضية العرب الاولى اليوم والغد ، وهى جديرة بهذا الحيز الذى تشغله من هلال هذا الشهر، وما تقرأه هنا ماهو الا فتح للموضوع واثارة له واقتراحات للعلاج ، وفى رأينا أن الحديث فى الموضوع مازال فى البداية ، واننا على طول اعدادنا القادمة سنقرأ الكثير فى ذلك الموضوع

وهكذا يضع الهلال صفحاته فى خدمة القضايا العربية على عهده من سبع وثمانين سنة ، لان الهلال ليس مجلة ثقافية فحسب ، انه رسالة وهو لهذا مسئولية اهل الفكر والرأى فى عالم العرب كله .

المحرر

فى هلال هذا الشهر

ص

● استطلاعات ملونة ●

● اسلاميات ●

● أدب عربى ●



ذو الحجة ١٣٩٨ هـ
ديسمبر ١٩٧٨ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السادسة والثمانون ـ
أول ديسمبر ١٩٧٨ ـ غرة المحرم
١٣٩٩

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفنى : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفنى : موسى عميد

● قصص ●

● من التراث ●

● سينما ●

● أبواب ومنوعات ●

● مرآة الفكر العربي ●

● شعر ●

قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ » عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ر٢ جك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادي . وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب ..
ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة ..
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الغلاف الأول

بناء المواطن الجديد . قضية اليوم في عالمنا العربي .. وفي هذا العدد يعرض عليك الهلال ماكتب اعلام الفكر في عالم العرب لكي تفكر انت وتقدر وتسهم معنا ومعهم برأيك . . .

لكى ينشأ المواطن

لابد أن نرسم صورة مجتمع جديد فى كل تفاصيله

عندمانادينا – مع كثير غيرنا – بضرورة التفكير فى بناء المواطن العربى الجديد قال لنا بعض ((الرافضين)) لاى فكر جديد ، الرافضين عما هو قائم لان حبهم لاوطانهم لا يرتفع بهم الى اكثر من القناعة بما هو قائم :

قالوا :

ولماذا نبنيه ! هل هو تهدم حتى يستدعى الامر بناءه من جديد ؟

ونقول :

–هونوا عليكم ، ان المواطن العربى بخير ، لا هو تهدم ولا تحطم ، ولكننا ندخل الآن فى عصر جديد له مطالب جديدة نحتاج فيه الى طراز جديد من الناس للقيام بها . ونحن ندعو الى بناء هذا الطراز الجديد من المواطن الجديد لانه لا مفر لنا من بنائه لنواجه به تحديات العصر ومطالبه ، لأن المواطن العربى الراهن لا يستطيع أن يبنى وطنا عربيا افضل .

وازيدك توضيحا لما نقصد اليه فاقول : انك ترى اليوم أن معظم الاجهزة الحضارية التى يقوم عليها العمل فى بلادنا اليوم اصبحت عاجزة عن القيام بمهامها . ولسنا هنا نذيع سرا ولا نطلع على الناس بحقيقة مزعجة ، وانما نحن نردد ما يعرفه كل الناس .

العربى الجديد

ويكون هذا المواطن جزءاً منه وأداة من أدواته

بقلم : رئيس التحرير

خذ أمثلة

مدارسنا التى تعد رجال المستقبل هل تجد أحدا راضيا عنها ؟

هل هى تقوم بوظيفتها الاساسية ، وهى اعداد المواطن القادر على القيام بمطالب العصر والوطن ؟

الجواب معروف

جامعاتنا ، وهى مصنع أهل العلم فى عصر العلم ومهمتها اخراج الرجال الذين يصنعون حياتنا كلها على أساس العلم ، هل هى حقا تقوم بوظيفتها هذه ؟

انها اليوم ــ وبوضعها الحالى ــ مجرد حل لمشكلة المستقبل للشباب، والمستقبل الذى تعده لهم هو مجرد الخبز والماء . انه مستقبل تعيس .

عاصمتنا القاهرة ، انها مطالبة بأن تكون المركز المالى ومركز الاعمال والحركة الفكرية والتحول الحضارى فى العالم العربى كله ...

هل تستطيع بحالتها الراهنة أن تقوم بهذه الوظيفة ؟

هنا أيضا الجواب واضح ..

مجالس البحوث العلمية عندنا ، تلك التى ينبغى أن تضع كل شىء يصنع فى مصر على أساس العلم ... هل هى فعلا تحل مشكلات الصناعة والاقتصاد والانتاج والتوزيع ؟

ان المجالس العلمية فى اليابان تبحث موضوعات مثل : هل الافضل أن يكون جسم جهاز الترانزيستور من الالومنيوم أو البلاستيك المقوى ؟

وهى تحل مشكلة مثل :

كيف تستطيع أجهزة التحميل فى ميناء نجازاكى أن تضاعف قدرتها على التحميل والتفريغ ..

هل عندنا هيئات علمية تدرس هذه الموضوعات؟ أو هل تضع مجالس البحوث العلمية عندنا هذه الاعتبارات فى حسابها ؟

وممثلونا التجاريون فى عواصم العالم، أولئك الذين يكلفوننا وزنهم ذهبا هل يدرسون الاسواق حقا ؟ أو هل هم قادرون على القيام بهذه الدراسة ؟ هل يشيرون بما يحتاجه هذا السوق ومالا يحتاجه؟.. هل يفتحون أمام انتاجنا أسواقا فعلية تعود علينا بأموال وأرباح ..



● نقطة البداية بإعطاء الناس أيديولوجية جديدة تزيد شعورهم بأنفسهم وتقودهم إلى العصر الجديد، وتدخل على تكوينهم النفسي تغييرًا أساسيًا.. هي أن نجعلهم مسئولين عن شئونهم وشئون مجتمعهم مسئولية مباشرة، مسئولية ثواب وعقاب.

الجواب صفر ضخم

هذه مجرد أمثلة ...

والسؤال : هل الاجهزة التي حدثتك عنها تصلح لسد مطالب اليوم فضلا عن مواجهة حاجات المستقبل ؟

الجواب معروف

وما هو عيب هذه الاجهزة ؟

العيب كامن في الناس الذين يديرونها فان الجامعة مثلا ليست مبان وانما هى أساتذة واداريون

فاذا كان هناك عيب فهو ليس فى الجدران

وانما هو فى الناس الذين يعملون وراء هذه الجدران ..

وهل همقصرون ؟ هل ينقصهمالعلم ؟ هل تنقصهم الخبرة ؟

ربما لاينقصهم من ذلك شيء كثير ولكن ينقصهم الايمان بمستقبل جديد ، ينقصهم تصور عالم جديد .. بدلا من التفكير في ذلك يحاول كل منهم أن يحل مشكلته الفردية بالحصول على انتداب الى بلد يعطيه أضعاف مرتبه ، وعندما يتحقق الامل فسلاما على الجامعة ومافيها ومن فيها .

ولهذا واذا استمر الامر على ذلك فلن يتحسن حال الجامعات أبدا

ولكى نحصل على جامعات جديدة تعد لمستقبل جديد فعلا لابد ان نبعث فيكيان القائمين بشئون الجامعة روحا جديدة وتصوروا جديدا لمستقبل أسعد للوطنكله لا لكل أستاذ على حدة ..

ومعنى ذلك أنه

لابد لنا ـ اذا أردنا ـ أن نبنى وطننا البناء السليم الذى تتطلبه ظروف هذا العصر والعصر القادم ، لابد لنا من طراز جديد من الناس ... لابد لنا من نوع جديد من التفكير يقوم على ايمان بأشياء اخرى غير الحصول على ايراد شخصيأكبر لتجهيز البنات .. لأنالعصر القادميتطلب نساء يجهزن أنفسهن بأنفسهن اذا أردن الزواج .

نريد طرازا من المواطنين صلب العود جاد التفكير قادرا على مواجهة مشكلات الوطن بقوة وصلابة وايمان والحصول على حلول .

هذا هو المطلوب

وهذا هو المواطن الذى نريدان نبنيه

وهذا باختصار هو لب القضية . هذا هو تشخيص الداء دون عاطفيات ودون كلام لطيف لايحل ولايربط .

وكل مواجهة للمشكلة على غير هذه الصورة لاتنفعنا فى شيء ..

لاينفعنا أن يلبس بعضنا قناع التفاؤل ويقول : ان المواطن المصرى والعربى موهوب وهو بخير ...

هذا لاينفعنا فى شيء لاننا لم نقل قط ان المواطن المصرى والعربى خال من المواهب أو انه بشر .

ولا ينفعنا فى شيء أن يقول مفكر آخر اننا نعانىآثار عصور التخلف والظلم والاستعمار،واننا لهذا لا ينبغى أن نبتئس لان الزمن كفيل بإزالة هذه الآثار ...

لاينفعنا مثل هذا الكلام ونقول : يفتح الله ، ان الزمن وحده ليس كفيلا بشيء ، وهو لن يحل مشكلة ، لابد أن يكون الانسان مع الزمن ... الانسان أولا .. ومعذرة ...

أريد أن نضع نقطة نهاية .. فى حجم كرة الأرض لكل أحاديثالمجاملةوالتملق لعواطف الجماهير ، لان الجماهير فيما يبدو سبقت المفكرين فى ميدان النضج .

واذا كنا قد انتهينا من أسلوبالمزايدة فى صراعنا للقضية العربية فلابد أن ننتهى منه أيضابالنسبة للقضاياالقومية

وما معنى قولنا ان الفلاح المصرى أمهر فلاح فى الدنيا اذا كنا نحن لانقف الى جانب هذا الفلاح ونقوده ... ان الفلاح يد تعمل وقوة تحرك وتقليد سائر من ألف سنة سير الساقية ، وهو اذا ترك وحده فستلمر لألف سنة أخرى وهو فى مكانه ، لاننا خدعناه وعودناه على أن يعتمد علينا فى حل مشكلاته ثم تخلينا

● لكي نحصل على جامعات جديدة تعد لمستقبل جديد فعلا.. لابد أن نبعث في كيان القائمين بشئون الجامعة روحا جديدة، وتصورا جديدا لمستقبل أسعد للوطن كله، لا لكل أستاذ على حدة.

عنه . وعلينا الان أن نعوده على أن يحل مشكلاته بنفسه ،علينا أن نفطمه من هذه الطفولة التي يعيش فيها ، ليحمل مسئوليته وهو قادر على ذلك اذا علمناه كيف يحل مشكلاته ثم تركناه .

والفلاح المصرى لم يكتشف خلال ٧٠٠٠ سنة الا نوعا واحدا من الجبن ..

والفلاح الفرنسى فى خمس هذه المدة صنع خمسين صنفا من الجبن وصادرات فرنسا من الاجبان تعدل أضعاف قيمة صادراتنا من القطن .. فماذا ينفعنا هنا لان نقول ان الفلاح المصرى أمهر فلاح فى الدنيا .

وسواء أكان أمهر فلاح أم لم يكن فاننا بفرض أنفسنا عليه عودناه على ألا يفكر ولا يبتكر ولا يحل مشكلته بنفسه وجعلناه من أقل فلاحي الدنيا سعادة ..

وبدلا من أن تكون الحياة فى القرية متعة فانها عذاب .

ونحن المسئولون ..

ان الفلاح المصرى تعود على أن يشقى ويتعب ولكنه لم يتعود على أن يفكر ، ولو فكر لابتكر جبنا آخر غير الجبن القريش الذى عاش عليه ألوف السنين .

ونحن نستطيع أن نساعده بالعلم ..

فهل عندنا اليوم علماء الالبان الذين يستطيعون أن يرشدوا الفلاح الى كل ما يمكنه من لان يعمل احسن وينتج أحسن ويعيش أسعد ..

وكل هذا الجيش الجرار من الاداريين والفنيين الذين يتربعون على ظهر هذا الفلاح بماذا نفعوه ..

بالعكس .. زادوا متاعبه ..

اذن لابد ان يذهب هؤلاء أولا .. وينبغى أن نصنع الرجال الذين يفتحون أمام الفلاح آفاق الخير الحقيقى والانتاج الملموس والكسب المحسوس وليس من المعقول أن تنشأ قرية جديدة من القرية الحالية اذا سارت الامور على هذا المنوال وينبغى أن ينتهى عصر تصرف جيش من الاداريين والفنيين الزائفين فى حياة الفلاح . نريد فلاحا جديدا يحل مشكلاته بنفسه ونعاونه نحن فى الحل .. لابد أن يكون لكل قرية مجلس مسئول عن شئون القرية ، والمسئولية ينبغى أن تكون حقيقية لا مجرد لفظ ، ومجلس القرية الذى لا يحل مشكلات قريته لابد أن يعاقب .

وهل ما نطلبه مستحيل ..

قطعا ليس مستحيلا ..

لأننا عندما أردنا أن نجعل من جيشنا قوة عسكرية من الطراز الأول تحقق المنجزات وتنتزع النصر وتستعمل أعقد أدوات الحرب . فعلنا ذلك ..

بنفس الجندى ونفس الضابط حققنا المعجزة العسكرية لاننا اردنا وفكرنا فيما نريد ، وصنعنا الرجال الذين يستطيعون عمل ما نريد وفعلوه . أعطيناهم المسئولية ووضعناها على اكتافهم فقاموا بها ..

وما فعلناه فى الجيش يمكن أن نفعله فى غير الجيش ..

لأن الجندى هو أخو المدرس وأخو أستاذ الجامعة ومدير المصنع ومدير مركز البحوث .

وكما استطعنا أن نبنى الجيش نستطيع أن نبنى كل شىء آخر ولكننا **لا ينبغى أن ننسى أن وراء بناء هذا الجيش العظيم عقلا عظيما ، عقلا جديدا من الطراز الذى نبحث عنه : عقلا قادرا على أن يرى الرؤية الجديدة أولا ثم يكتشف الطريق لتحويل الرؤية من فكرة الى حقيقة .. ثانيا**

عقل قوى جاد واسع الأفق وقلب كبير حساس يحس نبض الوطن ونبض



● أريد أن نضع نقطة نهاية في حجم كرة الأرض لكل أحاديث الجاهلية والتملق لعواطف الجماهير، لأن الجماهير ليست في حاجة إلى تملق، ولأنها فعلا قد سبقت المفكرين في ميدان النضوج.

العصر ..

عقل رجل رأى وأحس وعرف وقدر وعمل ..

عقل رجل كرمته الدنيا كلها على رغمها ، فان الدنيا ضنينة جدا على العرب بالتكريم ، ولكن الرئيس محمد أنور السادات كما تصور النصر وأعد له العدة في صبر وحكمة وايمان ، والتنزعه ، فكذلك استطاع أن يقهر دعاية مائة سنة شنها اليهود على العرب واثبت للدنيا ان العربى ما زال قادرا على ان يقود مصائر بلاده ..

وهذا منطلق ثان ابدأ منه في هذه الدراسة .

أمثلة وسوابق لشعوب تحولت تحولا جذريا وأنشأت لنفسها وللدنيا عصورا جديدة

وهناك منطلق ثالث لابد أن نأخذه في الاعتبار اذا كنا نريد حلا حقيقيا لمشكلة اعداد المواطن القادر على النهوض بمطالب التحول الحضاري والاجتماعي الشامل الذي لا مفر لنا من تحقيقه .

ذلك هو ان نسأل : هل حدث في التاريخ أن تحول شعب من الشعوب تحولا تاما في نظمه وأحواله ونظرته الى الحياة حتى أصبح بالفعل شعبا جديدا .

والجواب : نعم ، حدث ذلك أكثر من مرة .

ونختار ثلاث حالات من هذه تبين لنا كيف تم ذلك التحول ، وما الذي مكن للشعب في كل حالة من هذه أن يقوم بذلك التحول .

المثل الأول هو تحول العرب بعد الاسلام .

هنا نحن امام شعب كان يعيش قبل الاسلام حياة ضياع . ناس كانوا يعيشون حياة نصف قبلية لا هدف لهم فيها الا مجرد البقاء في قيد الوجود . ناس يعمل بعضهم في التجارة وقليل جدا منهم في الزراعة وبقيتهم في الرعي والجميع في حالة حرب مع بعضهم البعض ومع الجيران .

ورجل مثل حمزة بن عبد المطلب كان يقضي وقته في الصيد والشراب والقتال

ورجل آخر مثل أبي بكر كان يقضي حياته في البيع والشراء والتسلي بحفظ أنساب الناس

ومصعب بن عمير كان شابا أنيقا موسرا يفخر بأنه آنق شباب قريش .

وعبدالله بن مسعود كان عبدا مسكينا يسمى ابن أم عبد ، حياته شقاء في شقاء .

بعد الاسلام تغير كل شيء في حياة هذا الشعب

الشعب الذي كان يعيش في ضياع وجد نفسه وأفاق من غيبوبة القرون ونسي الحزازات والخلافات وأصبح عصبة واحدة تؤمن بعقيدة رفيعة وتسعى لنشرها بين الناس . اخلاق الجاهلية الأولى تلاشت وحل محلها نظام وطاعة وانضباط والتزام اخلاقي ورحمة ومودة ومحبة للبشر .

والشعب الجاهل الذي كان القادرون من افراده يقضون أوقاتهم في شرب الخمر أصبح يقرأ ويكتب ويفكر ويفسر ويعمل على أن يبني على اساس القرآن الذي انزل على نبيه مجتمعا جديدا فاضلا يقوم على الخير والمودة والاحسان .

وحمزة بن عبد المطلب ترك الخمر والصيد وأصبح قائدا مجاهدا في سبيل الله .

وأبو بكر تحول الى داعية ديني ومنظم ومخطط ورجل دولة .

ومصعب بن عمير أهمل ملابسه الأنيقة ووهب نفسه لمثل انساني أعلى وتحول الى داعية للاسلام والخير والبر .

وعبد الله بن مسعود تحول الى عالم يقرأ ويبحث ويفكر .

عالم العرب كله تغير تغيرا شاملا ، نسي ماضيه وما كان عليه ودخل في عصر

● كما استطعنا أن نبني الجيش العربي المنتصر، نستطيع أن نبني كل شيء آخر، ولكننا لا ينبغي أن ننسى أن وراء بناء هذا الجيش العظيم عقل عظيم، عقل يختلف عن الطراز الذي نتحدث عنه: عقل قادر على أن يرى الرؤية الجديدة أولاً، ثم يكتشف الطريق لتحويل رؤيته من فكرة إلى حقيقة ثانيا

جديد ..

لماذا ؟

لأن الاسلام أوجد له هدفا جديدا واضحا وفتح أمامه طريقا جديداً للحياة ومبادىء جديدة للتعامل مع الدنيا والناس .

وما دام الهدف قد تغير، وما دام الشعب قد وجد طريقا جديدا لحياة ذات معنى وقيمة فكل ما فيه يتغير من تلقاء نفسه .

وبقية المعجزة التي حققها ذلك الشعب العربي الجديد معروفة .

والمثل الثاني هو مثل الثورة الفرنسية التي اخرجت الشعب الفرنسي كله من ضياع العصور الوسطى وسخافة حياة النبلاء والملاك وتعاسة الزراع والصناع والتجار وخلقت فكرا اجتماعيا جديدا يقوم على العلم والعمل والنظام والانتاج والمساواة واحترام قدر الانسان .

حقا كان التغير هنا ابطأ مما حدث للعرب، ولكن شعب فرنسا أصبح بعد الثورة الفرنسية والمراحل التي مرت بها شعبا جديدا في كل شيء .

لماذا ؟

لان الثورة الفرنسية هدمت العالم القديم الذي كان الناس يعيشون فيه، ورسمت لهم خطا جديدا في الحياة، فتغير الانسان تبعا لذلك، وعلى أساس الانسان الفرنسي الجديد ظهرت فرنسا جديدة .

والمثل الثالث هو مثل الثورة الروسية

ونحن هنا نتحدث عن تحولات تاريخية بصرف النظر عن رأينا في المبادىء التي قامت عليها ..

فان الانسان الروسي الذي كان الى سبتمبر ١٩١٧ مثالا للتخلف والجهل واحتمال الظلم والقسوة والايمان المطلق بالخرافات حتى لقد لعب به مشعوذ فاسد يسمى راسبوتين .

هذا الشعب فتح عينيه فجأة ونهض كأنه مارد ينفض عن نفسه تراب القرون

لقد تحول تحولا لا يصدق : الموجيك وهو الفلاح الروسي الذي كان لا يأنف من أن يعامله الناس كحيوان، تحول الى انسان واع يشعر بقدره وكرامته، ولا يسلم مصيره للنبلاء أو القساوسة ويؤمن بالعلم والعمل والانتاج ..

والبيروقراطي الروسي الذي تتعجب من تحجره وقسوته وغبائه في روايات ديستويفسكي وليوتولستوى تحول الى اداري ومنظم حديث .

والأمية تلاشت في روسيا كلها، لأن الناس عرفوا أن الأمية عار فأسرعوا يتعلمون .

والعامل الروسي انتقل من حياة الظلم والبؤس في مصانع لينينجراد الى حياة السيادة والشعور بالمسئولية ومضى يدرس ويتعلم ويتقن ويجود .

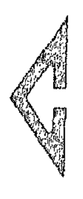
لماذا ؟

لأن الثورة الروسية ازالت كل الصخور التي كانت تسد الطريق لأنها تخلصت من العالم القديم كله، ونظفت الأرض، وعلى الأرض النظيفة أخذت تبني من جديد ...

لكي يظهر الانسان العربي الجديد لابد ان يتغير اطار الحياة كلها وصورة المستقبل تغيرا تاما .

في كل حالة من هذه الحالات الثلاث نجد ان العامل الرئيسي في التحول الشامل وصناعة الانسان الجديد هو تغيير الجو كله، ازالة المنظر القديم كله بما فيه من فساد وايجاد مثل أعلى جديد للناس يسعون اليه ..

وهنا فقط يمكن أن يتغير الانسان .



● لكى يظهر الانسان العربى الجديد، لابد أن يتغير إطار الحياة كلها، وصورة المستقبل تغيراً تاماً، وهذا عمل طويل الأجل ولكن لامفر منه، قيمة كل شئ قيمته العملية. لا مكان للأوهام فى حياة الجماعات، ولا مكان للتفرقة المجموع أو الاثم للفرد لتفرغ نهائياً من رعاية مصالح الأفراد على حساب الوطن.. الوطن أولاً ثم المواطنون.

الاصـــلاح فى ذاته يكـــون ضررا فى بعض الاحيان ..

لانك اذا كنت أمام انســـان أصيبت ساقه بالغرغرينـا فان البتر فى هـــذه الحالة يكون العلاج الوحيد .

واذا كان هناك منزل آيل للسقوط ؛ جدرانه تصدعت وأسسه وهت ومرافق مياهه رشحت وبليت فليس أمامك الا ان تهدمه كله لتبنى مكانه بناء جديدا .

وهنا فقط تجد أن الانســـان الذى يســـكن البيت الجديد أصبح هو الآخر انسانا جديدا ..

وهذا هو الذى نريد أن نقوله ..

لكى يكون هناك أمل فى انشاء مواطن عربى جديد لابد أن نغير منظر الحيـــاة واسس الحياة كلها لكى يكون هنـــاك مكان للانسان الجديد ..

فمثلا ...

اننا نحاول ما يسمى باصلاح مناهج التعليم ..

نحاول أن ننقص منهج اللغة العربية أو نزيده ، نحاول أن نبدأ تعليـــــم اللغة الانجليـــزية من المرحـــلة الثانوية بدلا من المرحلة الاعدادية .

نختصر مادة الجغرافيا، أو نكلف لجنة جديدة بتأليف كتاب جديد فى التاريخ نفس المادة القديمة فى زجاجة جديدة.

كل ذلك هباء لا يتحصل من ورائه شئ .

انه محاولة اصلاح لنفس البيت المتهدم التالف الجدران والمـرافق ، وهى كمـا قلنا محاولة عقيمة ..

والمطلوب ليس اصلاح مناهج التعليم بل المطلوب انشـــاء تعليم جـــديد لا يتلخص فى تحفيظ الطـــالب بعض المعلومات ثم امتحـــانه فيـها واعطـاؤه شهادة لا قيمة لها .. ولا فائدة لنا فيها اطلاقا ..

واسأل على ســـبيل المثال : ما قيمة ورقة ليسانس فى علم النفس أو التاريخ أو الاعلام يحملها شاب بعد دراسة ١٨ سنة ؟

اننا نقدر له مرتبا فى حـــدود ٢٥ جنيها فى الشهر .

وهو يعتبر نفسه مظلوما ..

ولكن العلم الذى حصله خلال هذه المدة لا يساوى هذه الجنيهات التى نعطيه اياها .. لأننا لا نفيد منها شيئا ..

ونحن نسخر من الوضع ونقول : أن عامل البنـــاء الذى يضع طوبة على طوبة يتقاضى فى اليوم ستة جنيهات .. اى انه يكسب اضعاف حامل الليسانس ..

ولكننا ننسى أن عامل البناء فى نهاية الأمر يبنى حائطا وبيتا .. أى يقدم لنا خدمة ملموسة لها قيمة .

أما حامل ليسانس الاعلام فماذا يقدم لنا ؟

أقولها بلا تردد : لا شئ ..

ومن هنا فهو مع الاسف الشـــديد لا يستحق حتى هذا المرتب الزهيد الذى يتقاضاه .

وهذه هى مع الأسف هى قيمة التعليم الطويل الذى قضى فيه الشـــاب عمره كله . خدعناه عندما قلنا له اننا علمناه.

لكى نجعل لتعليمه قيمـــة ينبغى أن نعلمه شيئا آخر ..

ومن الواضح أن حامل الليســـانس هذا لو كان يجيد كتابة خطاب بالعربية وكلمتين بالانجليزية كتابة صحيحة ولو كان يستطيع الكتابة على الآلة الكاتبـــة لتقاضى أضعاف ما يتقاضى ..

وهناك ألف شركة تبحث عن شـــاب بهذه المواصفات لتعطيه مرتبا يبدأ من مائة جنيه فى الشهر ..

لأن العبـــرة فى كل شئ هى قيمتـــه وفائدته العملية ..

وهذا هو الذى أريد أن أقوله بتغيير نظام التعليم كله من أســـاسه بدلا من التفكير فى اصلاحه .

وتصور على سبيل المثال اننا نعطى

● كل مواطن مسئول عن أدوات عمله ومكان عمله . كاتب الآلة الكاتبة مسئول عنها ومطالب بالمحافظة عليها ومكلف بتحمل نفقات إصلاحها لأنها مال عام ، وكل موظفي أي إدارة مسئولين عن نظافة إدارتهم وسير العمل فيها .

شابا درجة بكالوريوس في التجارة وهو لايستطيع الكتابة على الآلة الكاتبة ولا يستطيع قراءة قائمة حساب «بالانس شيت» بالانجليزية ..

فماذا تفيد منه التجارة المصرية ؟

كل ما تفيد منه هى معرفته القراءة والكتابة ..

وقل مثل ذلك فى بقية الشهادات .

وقبل أن أختتم هذه الفقرة اعود بك الى مثال الفلاح المصرى الذى نريد ان نحوله الى فلاح جديد وهو يعيش فى نفس القرية وعلى نفس النظام والأسلوب وعلى كتفيه الف موظف ادارى هم فى الحقيقة طفيليات تمتص دمه . مهما فعلنا ، فلن نحصل على فلاح جديد أو نصف جديد اذا سارت الأمور على هذا المنوال .

لابد اذن من تغيير صورة الحياة والأسس التى تقوم عليها واعطاء المواطن مثلا أعلى جديدا لكى ننتظر ان يتحول الى انسان جديد .

وما هى الوسيلة ؟

أولا : تغيير ميزان القيم .

لنجعل القيمة للفائدة العملية للحقيقة لا للوهم ، للمجموع لا للفرد .

فاذا كان التعليم الابتدائى يعطى الأساسيات فينبغى أن نغير التعليم الاعدادى كله ونتجه به الى العمليات ، الى الأشياء العملية أقصد ..

وهذه الأشياء العملية هى التى نحتاجها فعلا .

نريد من التعليم الاعدادى أن يكون مرحلة اختبار لقدرات التلميذ وما يمكن أن يفيدنا ويفيد نفسه فيه .

فى السنة الثانية الاعدادية سنعرف ان هذا التلميذ يصلح للدراسة الثانوية أو لا يصلح .. سنعرف اذا كان من المفيد لنا وله ان نعده ليكون عاملا يدويا نافعا أو يمكن أن يتخصص فى البناء أو السباكة أو النجارة أو حتى صناعة الاحذية ..

ولم لا ؟

هل سمعت عن بيير كاردان ؟

انه اكبر « جزمجى » فى العالم اليوم والاحذية التى تخرجها مصانعه قطع من العلم والفن

هذا الرجل يعمل فى صناعة الأحذية من سن الثانية عشرة . بعد ان فرغ من التعليم الابتدائى دخل المصنع ، ودرس كل شىء عمليا

والنتيجة انه فى سن الخامسة والعشرين كان أكبر « أستاذ » فى الدنيا فى صناعة الأحذية ..

وحذاء بيير كاردان يباع هنا فى القاهرة بستين جنيها على الأقل . هذا هو الذى أريد أن أقوله بتغيير الهدف والمناخ الفكرى والاجتماعى .

لابد أن نفهم أن جزمجيا مثل بيير كاردان خير لنا من شاب جامعى يعيش تعيسا بالذات لأنه جامعى .

لقد ذكرت لك أن فرنسا تصنع من الجبن فوق الخمسين صنفا ..

كيف تأتى ذلك ؟

تأتى من أن ابن الفلاح الفرنسى لايفكر فى أن يصبح طبيبا الا اذا كان موهوبا فى الطب بالذات .

وفيما عدا ذلك فهو يظل فلاحا ويستخدم مواهبه فى تحسين زراعته وانتاجه الزراعى .

والخريجون فى كليات الزراعة عندنا يعانون ازمة ، لأننا لا نحتاج اليهم ، لدينا منهم فوق المزيد ..

والعمل ..



● ليكن أهل كل بيت مسئولين عن بيتهم . وأهل كل شارع مسئولين عن شارعهم ، وكذلك أهل كل حي وكل مدينة . الدولة لا تستطيع عمل كل شيء . المواطنون هم الذين لابد أن يأخذوا المسئولية كاملة

ان نوجه الالاف الذين يتجهون الى التعليم الثانوى وجهةأخرى .. نوجههم لما ينفعنا وينفعهم

نوجه ابن الفلاح الى التخصص الفعلى فى الانتاج الزراعى العملى ، ولو ان الفلاح كان ذكيا لعرف ان توجيه ابنه الى تربية الجاموس او البقر خير له وللبلاد من توجيهه الى مدرسة ثانوية .

تصور ان قريتنا فيها حوالى عشرين الف انسان .

من بين هؤلاء لا نجد الا ثلاثة كهربائيين اقصى ما يستطيعون عمله هو مجرد تركيب سلك او توصيل تيار

وليس لدينا الا خمسة نجارين يستطيع الواحد منهم أن يعمل لك كرسيا تستطيع الجلوس عليه .

ولدينا سباك « صحى » واحد !

هل هذا كلام يا ناس ؟

وماذا يفعل أولاد قريتنا ؟

يكافحون فى الاعدادى والثانوى ليصلوا الى الجامعة ويتخرجوا فى النهاية متسولين !

وقريتنا تحتاج الى اكثر من مائتى فنى عمل متخصص فى مرافق الحياة . وبدلا من ذلك لدينا العشرات من الليسانسات !. كلهم هجروا القرية وتجمعوا فى القاهرة يعملون كتبة فى المصالح. يريدون الزواج ولا يستطيعون .. يطالبون الدولة بايجاد مساكن لهم والدولة لا تستطيع .

وفعلا نحن غير مكلفين بان نعمسكنا فى القاهرة لكل واحد من هؤلاء . وليس من مهام الدولة اطلاقا تيسير الزواج وبيت الزوجية لكل شاب .

هذه ـ بصراحة ـ مسئولية الشاب نفسه .

لأن الزواج حق للقادر عليه ، اما غير القادر فما معنى مطالبتنا بان نيسر له شقة يسكن فيها بملاليم ؟

ومثل هذا الشاب كيف نطالبه بان يكون انسانا جديدا ..

انه فى صميمه انسان عتيق . انه اقدم من مومياء رمسيس الثانى !

ونقطة البداية لاعطاء الناس ايديولوجية جديدة تزيد شعورهم بأنفسهم وتقودهم الى العصر الجديد. وتدخل على تكوينهم النفسى تغييرا اساسيا هو أن نجعلهم مسئولين عن شئونهم وشئون مجتمعهم مسئولية مباشرة ..

ونبدأ فننشىء للقاهرة والاسكندرية وكل المدن الكبرى وكل المحافظات مجالس بلدية منتخبة حقيقية يضاف اليها مهندسون مدنيون ومخططون معماريون .

كل مجلس من هذه المجالس ينبغى انيكون هيئةجادة مسئولة عنمحافظتها او مدينتها من ناحية النظام والنظافة والمواصلات والانشاء والتعمير .

وينشا لكل حى من احياء المدينةوكل قرية من قرى المحافظة مجلس حى أو مجلس قرية مكون على نفس الأسلوب، ويعتبر مسئولا مسئولية مباشرة عنكل ما يهم الحى او القرية من شئون النظام والنظافة والتعمير والمرافق والتموين.

ويكون هناك مجلس شارع لكلشارع من شوارع البلد أو القرية يكونمسئولا عن شارعه من هذه النواحى كلها .

وكذلك يكون لكل بيت مجلسالبيت تشترك فيه كل أسرة بممثل يمثلها ، واذا كان البيت مؤجرا يشترك صاحب البيت مع السكان فى البيت على قدم المساواة مع سكانه ويكون له صوت واحد فى التصويت .

المجالس البلدية الكبرى فى المدن

والمحافظات ترسم الخطوط العريضة وتصدر التعليمات المحددة الخاصة بالتنظيم والنظافة وصيانة المرافق ومراقبة الأسواق والمحلات وخاصة تلك التي تعمل في ميادين التموين والملابس والمحال المقلقة للراحة .

والمجالس الأصغر يتولى كل منها التنفيذ في دائرة اختصاصه فمجلس البيت مسئول مسئولية مباشرة عن سلامة البيت ونظافته وصيانة مرافقه ومراعاة آداب الجوار .

اننا نبني البيوت الشعبية ونسلمها لسكانها او لمشتريها ، وبعد شهر واحد تتحول الى مزابل .

لماذا ؟..

لان احداً غير مسئول عنها . كل السكان يحطمون ويتلفون دون نظر الى صالح البيت كله . .

لو أننا اشترطنا في انشاء مجلس اسكان وحددنا له مسئولياته لما ساء حال البيوت وما تهدمت الى تلك الدرجة المحزنة التي نراها اليوم .

وينبغي أن يعرف مجلس سكان البيت ان السكان سيدفعون نفقات صيانة بيتهم ونظافته . انهم يدفعون الآن مبالغ ضخمة ولكن دون حساب ودون خطة . عندما ينشأ مجلس البيت يقوم نظام وتنشأ خطة ويجد كل ساكن انه يدفع أقل بكثير مما يدفع الآن وانه يحصل على نتيجة أحسن .

ويتعين أن يكون مجلس البيت محترما نافذ الكلمة ، فمادام السكان قد أجمعوا على شيء فلا بد ان ينفذ .

وبعد مجلس البيت يكون هناك مجلس الشارع ويتكون من ممثل لكل بيت يختاره مجلس البيت ، ويكون له أيضا سكرتير .

وفوق مجلس الشارع يكون مجلس الحي ثم مجلس المدينة أو المحافظة وعملية الانتخاب تبدأ من أسفل: مجلس البيت يؤلف مجلس الشارع ومجلس الشارع يؤلف مجلس الحي ومجلس الحي يؤلف مجلس المدينة أو المحافظة

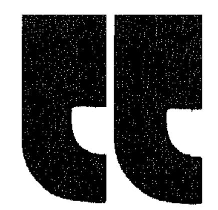
وينبغي ان تكون هذه كلها تنظيمات شعبية ، لا تتدخل الدولة فيها الا للمساعدة على التنفيذ . فاذا قرر مجلس الشارع ان البقال الفلاني غشاش ، ويبيع بأغلى من التسعيرة فلابد أن تأخذ محافظة القاهرة ذلك القرار بجدية تامة وتنزل بالبقال العقوبة التي يقررها مجلس الشارع .

وكذلك ينشأ في كل وزارة أو مصلحة حكومية لجنة للمحافظة على نظافة الوزارة أو المصلحة أو المستشفى .

وفي المدارس والجامعات ينشأ لكل فصل مجلس من تلاميذه تحت اشراف مدرس أو عضو هيئة تدريس وظيفته المحافظة على نظافة الفصل وصيانة ما فيه ، ويعتبر سلوك التلميذ حيال فصله مادة من مواد التربية والتعليم وهكذا نفعل أيضا في المصانع .

وينبغي ان نتخذ قرارا بان كل موظف مسئول عن ادوات عمله . فكل موظف مسئول عن مكتبه وعليه ان يتولى دهانه اذا اتسخ ، وكل كاتب آلة كاتبة مسئول عن الماكينة التي يستعملها مسئولية مباشرة ، فاذا انكسرت او تعطل شيء فيها فلابد ان يتحمل نفقات اصلاحها ..

تلك افكار عامة يمكن التوسع فيها وضبطها ...



ولكنها كما نرى كفيلة بأمرين رئيسيين : المحافظة على البلد ومرافقه ومبانيه ، وشوارعه ، ثم اشعار المواطنين بالمسئولية عن امور بيتهم وشارعهم وحيهم ومحافظتهم

د. طه حسين

نموذج

للإنسان المصرى الجديد

● د. زكى نجيب محمود ●

● تسالنى عن بناء الانسان الجديد كيف يكون ، فاجيبك جوابا اهتدى فيه بالطريقة التى يصطنعها ((هنرى مور)) أعظم رجال فن النحت فى عصرنا هذا ، اذ قرات له فى احدى مذكراته اسطرا يقول فيها ، انه اذا ما هم بتكوين القطعة النحتية من الكتل المختلفة التى يعتزم ان تكون هى المقومات ، فانه يتمثل بادىء ذى بدء صورة فرد من الناس بعينه ، او صورة فرد من الحيوان بحيث يكون ذلك الفرد من الناس او من الحيوان ذا خصائص فريدة تميزه حتى عن أبناء نوعه ، وذلك ليستلهم تلك الصورة الذهنية التى وضعها نصب عينه ليستلهمها وهو فى نشاطه الفنى ينحت ما ينحته قاصدا الى ان تجىء القطعة المنحوتة آخر الأمر مجسدة لطائفة من الصفات،وطالما وجد عمله مسايرا للصورة الذهنية التى فى راسه عرف انه سائر فى الطريق السليم والا فانه يعيد تشكيل الكتل مرة اخرى.

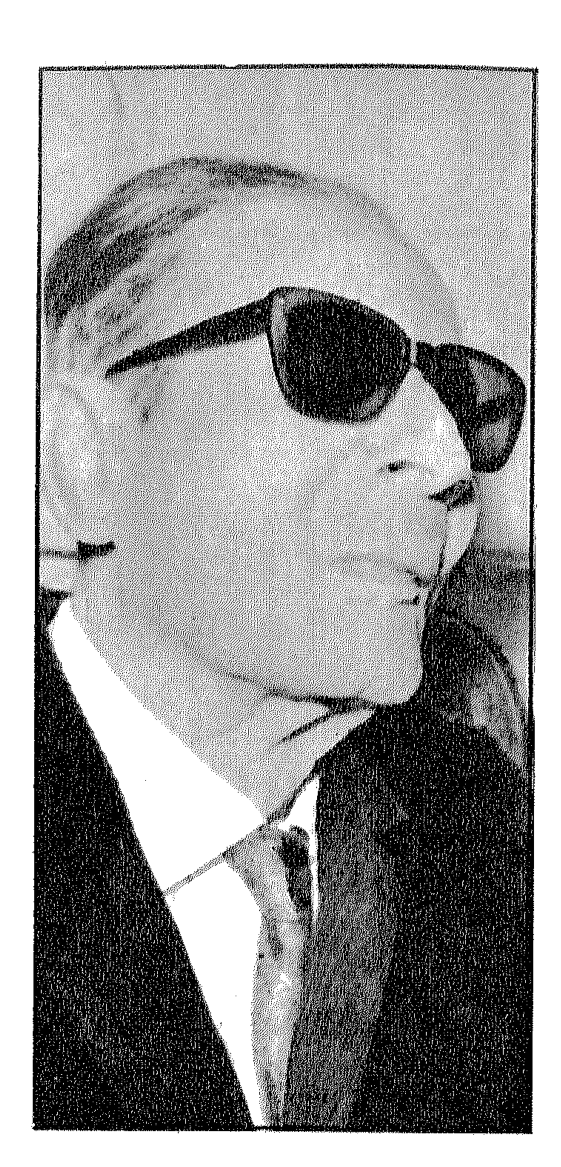
ولكي اصطنع لنفسى هذه الطريقة نفسها وأنا افكر فى خصائص الانسان المصرى الجديد ، فلابد لى من تمثل فرد بذاته اتخذه نموذجا لما اريده للانسان المصرى الجديد ، وهذا الفرد الذى اختاره لاهتدى بصفاته هو طه حسين وتسالنى لماذا ، فأقول لأنه يجمع ثلاث خصال اراها ضرورية للمصرى الجديد ..

اولها : ان يكون على وعى كامل بتراثنا العربى القديم .

وثانيها : ان يكون على وعى كامل ايضا بالفكر الاوربى الحديث .

وثالثها : أن تكون له القدرة على دمج هذين الجانبين فى كيان واحد جديد .. فلا هو يحاكى به ما كان قائما فى قديمنا ، ولاهو يحاكى به ما هو كائن اليوم فى بلاد الغربه ، وانما هوكيان جديد تجرى فى شرايينه دماء من هنا ودماء من هناك ، واذا هو المصرى الجديد الذى لا هو قد نسى ماضيه ، ولا هو قد عمى عن حاضره ومستقبله معا .

ان متوسط الانسان المصرى يفقد شطرا كبيرا جدا من الاضلاع الثلاثة



جميعا (وبالطبع انا اتحدث هنـا عن الناحية الثقافية دون سواها) فلا هو على وعى كاف بماضيه حتى لتراه عاجزا عن صياغة جملة عربية واحدة صياغة سليمة وعاجزا عن فهم بيت واحد من الشعر القديم فهما صحيحا.. ومعنى ذلك انه فاقد للحساسية العربية بأهم مقوماتها .

وكذلك ليس هـو على وعى كاف بالثقافة الأوربية المعاصرة ، ويكفى أن نقول هنا انه يفقد روح العصر التى هى منهج علمى فى التفكير ، اذا ما كان هذا التفكير دائرا حول موضوع عام ، اوحول موضوع خاص لكنه يتعلق بدنيا الاشياء والحوادث ، ونرى متوسط الانسـان المصرى الآن يلجأ الى ما يشبع هواه فى حل المشكلات، أكثر جدا مما يلتزم املاء العقل بكل مافيـه من دقة وحسم ومنفعة .

وكذلك يفقد الانسان المصرى كمـا هو كائن اليـوم روح الابداع بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة ، وهـو أن يكون الناتج الفكرى مبتكرا جديدا تنعكس فيه الروح المصرية بكل خصائصها. اذ لا شك أن جانب الابتكار فى حياتنا الآن هو أقل من القليل ، وترانا فى شتى جوانب حياتنا نحاكى الأقدمين مرة ، ونحـاكى حضارة الغرب الحديثة مرة اخرى محاكاة عمياء . حتى فى النظم الاجتماعية بكل أنواعها .. فنظام التعليم ونظـام الاقتصاد ونظام القضاء الى آخره كلها ينقل الهيكل الغربى بغير تعديل .

من اجل هـذا كله أتصور الانسان المصرى الجديد انسـانا يرفض ما هو كائن بأضلاعه الثلاثة جميعا ، وانسانا يتجسد فيه ما قـد تجسد بالفعل فى نفر من قادتنا فى مجال الثقافة والفكر وعلى رأسهم كما قلت طه حسين لأنه مصرى عربى أوربى مبتكر .

واود أن ابرز هنا حقيقة هامة لابد من ابرازها وهى انني اذ أتصور الانسان المصرى الجديد الذى اتمناه فانما اتصور به كذلك الانسان العربى الجديد كمـا أتمناه . فلا فرق فى دنيا الثقافة على الأقل بين عربى وعربى وحسبنا فى هذا المجال أن نتذكر ان أجزاء الوطن العربى حين اختلفت فيما بينها على القيـادة السياسية مثلا أو الاقتصادية أو غير ذلك فانها قد التقت جميعا فى القيادة الثقافية بمعنى ان المفكر او الشاعر او الموسيقار او الفنان فى أى بقعة من الوطن العربى هو فى الوقت نفسه مفـكر أو شاعر أو موسيقار او فنان للعـرب جميعا .. فلم تكن هنـاك قط حواجز اقليمية تمنع أن يكون طه حسين للعرب جميعا وان يكون احمد شوقى للعرب جميعا وأن يكون محمد عبد الوهاب للعرب جميعا .. ●

بناء الإنسان المصرى

لماذا؟ كيف؟ متى؟

● د . رشاد رشدى ●

● لماذا كثر الكلام عن اعادة بناء الانسان المصرى هذه الايام بالذات ؟ ولماذا لم تقم هذه الدعوة قبل اربعين سنة على سبيل المثال ؟ هل كنا فى ذلك الوقت أقل اهتماما بمصر منا الآن ؟ هل كان الانسان المصرى فى الثلاثينات مثلا متكامل البناء فلم تكن هناك حاجة الى من يفكر فى اعادة بنائه ؟ وهل معنى هذا ـ اذا كان صحيحا ـ ان الانسان المصرى قد خرب أو هدم كيانه فى الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية؟ واذا كان هذا صحيحا فمن المسئول عن هدم كيان مصر فى تلك الفترة ؟ وكيف تم الهدم وما الدافع اليه وما هى اعراضه حتى يمكن القضاء عليها فيمكن اعادة بناء الانسان المصرى الى سابق كيانه ؟ ثم من هو الانسان المصرى الذى يراد اعادة بنائه ؟ هل هو الفلاح الذى يمثل الغالبية العظمى من المصريين .. وهو بذلك صاحب الحق الطبيعى فى أرض مصر ، أم هم القلة من الموظفين على اختلاف درجاتهم من الوزير الى الخفير .. الذين يعيشون كالطحالب الدخيلة على شط النهر تستمد حياتها منه ولا تعطيه شيئا ؟ ان لكل من هاتين الفئتين التى يتكون منهما سكان مصر كيانها الخاص بها الذى لا يرتبط بكيان الفئة الاخرى الا ارتباطا جغرافيا من حيث الشكل فقط فهم على نفس الخريطة او هكذا شاء القدر ، فأى الكيانين يراد اعادة بنائه ؟ ثم من الذى يستطيع أن يعيد بناء الانسان المصرى فى الريف أو فى المدينة ؟ أهى وزارة التربيـة والتعليم والثقافة والبحث العلمى او وزارة الاسكان والتعمير أو وزارة المواصلات أو وزارة البترول او غير ذلك من الوزارات التى أرجو صادقا أن لا تكون قد تحولت مع الزمن الى مجرد شعارات .

ولكى نعيد بناء الانسان المصرى ألا يجدر بنا أولا أن نعرف ماذا هدم من كيانه ؟ هل هو الاساس ؟ أم الجدران ؟ أم السقف ؟ وبمعنى آخر هل هى الجذور المتأصلة فى الأرض أم جذع الشجرة أو مجرد فروعها ؟ ولكن الانسان المصرى ليس بيتا يسكن أو شجرة تزرع ، انه انسان . وأعود فأقول انه ليس انسانا واحدا بل عدة أناس ، فمن يعيش فى القرية يزرع الأرض ويفلحها غير من يعيش فى المدينة لكى يكون فى خدمة أهل القرية وما هو بخادم لأحد ، بل سيد الجميع ومع ذلك فهو غير الانسان المصرى الذى يعيش فى العاصمة .. مصدر القوة والسلطان .. حيث يتحكم الكل فى مصائر الناس بجرة قلم من الوزير ووكيل أول وثان وثالث ورابع والخامس والثلاثين ربما من وكلاء الوزارات الى آلاف الكتبة والباشكتبة ومديرى العموم المنتشرين فى دواوين الحكومة شرقا وغربا وطولا وعرضا

نحن لا ننكر ان الانسان المصرى قد خرب ـ أينما كان .. فى المدينة أو فى

القرية ولذلك فلابد من عمل شيء ، لن أقول اعادة البناء فهذا أمر لايتأتى فى تصورى الا بعد ازالة آثار العدوان على الانسان المصرى ..

من هو المعتدى؟ الاستعمار البريطاني؟ الاقطاع ؟ الفكر الماركسي ؟ مراكز القوى ؟ الانسان المصرى نفسه ؟ ربما كان المعتدون كل هؤلاء وغيرهم . المهم أن الاعتداء قد حدث بالفعل ومازالت آثاره تفسد حياتنا رغم أن المعتدى لايعيش الآن بيننا .. فمن السهل أن نزيل المعتدى من طريقنا ولكن ليس من السهل أن نزيل آثار عدوانه من حياتنا .. خذ مثلا الاستعمار البريطاني الذى أتمت ثورة يوليو القضاء عليه ولكنها - وهى معذورة فى ذلك - لم تستطع أن تمحو آثاره من حياتنا .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها المركزية الشديدة فى الحكم وهى ليست موجودة فى انجلترا على الاطلاق، فهناك تتولى كل محافظة شئونها بنفسها من حكم ذاتي وتعليم وصناعة وتجارة وفنون وثقافة وكل هذا بوازع شخصي من الأفراد والجماعات وليس عن طريق الحكومة - أما هنا فكان الانجليز يسعون الى تحقيق العكس تماما .. فقد كان من صالحهم أن تبقى مقاليد الأمور كلها فى أيديهم حتى يستطيعوا السيطرة التامة على الشعب .. ولذلك أورثونا نظام الوزارات التى تحكم وتتحكم فى جميع مرافق حياتنا مما جعل الشعب ينظر الى حكامه من الوزراء كأنصاف آلهة فاذا ترك نصف الاله كرسى الوزارة أصبح لاشيء .. وكان هدف الانجليز من ذلك أن يرسخ فى وجدان الشعب أنهم هم الذين يملكون ويتصرفون كما يحلو لهم وليس للشعب أى كيان أو ارادة .. فقد كان الانجليز كما هو معروف هم الذين يعينون الوزارة ويقيلونها حسبما يريدون .. وتعجب اذا عرفت ان انجلترا نفسها ليس بها نصف عدد الوزارات التى بمصر ، فعلى سبيل المثال ليست هناك وزارة للتعليم ولا للثقافة طبعا .. وحتى أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها لم يكن عندهم وزارة تموين

هذه المركزية الشديدة فى الحكم كان لها مايبررها أو يفسرها فى نظر المستعمر حينذاك ، أما الآن فما الداعى اليها ؟ ولقد تنبهت الدولة الى ذلك فى الفترة الأخيرة فطالبت بالحكم المحلى .. ولكن مع الاسف مازال تطبيقه يتعثر .. لأن الحكم المحلى فى ظل الحكومة الشديدة المركزية ، أمر - ان لم يكن مستحيلا - فهو متناقض تماما مع طبيعة الاشياء .. وقد بلغ هذا التناقض حدا يفوق كل تصور حتى اننا عندما أردنا ان نستبدل بالحكم المركزى حكما محليا، هروبا من الوزارات المركزية جعلنا الحكم المحلى وزارة ضمن الوزارات العديدة التى تحكم مصر من العاصمة .. وهكذا نرى أن الانماط الحكومية التى تعودناها هى التى تحكم حياتنا حتى لو أردنا عكس هذا ..

لاباس أن يكون للحكم المحلى مجلس يرأسه وزير أو نائب رئيس وزراء يقترح ويخطط وينظم ولكن ليس هذا هو المفهوم الصحيح للحكم المحلى .. فالمقصود به أن تكون الانشطة الانسانية نبتا طبيعيا للبيئة التى تنشأ بها .. فليس من المعقول ان يفرض على مدينة أسوان نفس مايفرض على مدينة الاسكندرية بل ولا ينبغى أن يفرض على أى من المدينتين أو غيرهما أى شيء على الاطلاق .. فكما أن لكل أرض زرعها الذى لايمكن فرضه عليها كذلك يجب أن يكون لكل مجتمع انسانى ثماره التى تنشأ من طبيعته وهذا مانعنيه بالحكم المحلى - لا قصور أو قوافل ثقافية .. أو تقسيم البلاد الى محافظات لكى يتيسر حكمها .. بل أن نعطى كل بيئة حقها الكامل فى النمو والازدهار والتفتح حسب طبيعتها ومتطلبات أهلها وقدرتهم على الانتاج لا بدافع من الحكومة المركزية بل بوازع من أنفسهم وباتاحة الفرصة أمامهم لكى يعيشوا حياة تليق بالانسان وبهذا يتحقق التنوع مع المساواة فى الحقوق

هنا لاتجد فندقا يمكن أن تقيم به الا فى مدينتين أو ثلاث فيما عدا العاصمة أما فى انجلترا مثلا فبكل مدينة عدد من الفنادق والمسارح والمدارس والجامعات والمتاحف والمكتبات والمصانع تختلف عما

بالعاصمة ولكنها لاتقل عنها قيمة وشأنا .. وهناك فى كل مدينة مجلس تعليمى يشرف على التعليم فى مراحل ما قبل الجامعة ويرفع تقريره السنوى الى المجلس الأعلى للتعليم .. وكل هذه وغيرها من ثمار الحكم المحلى ، أما هنا فالمركزية الشديدة تجعلك تحس بمجرد أن يغادر القطار أو العربة القاهرة انك فى بلد آخر غريب عنك لاتعرف له اسما ولكنه قطعا ليس مصر . ونفس الشعور يخامرك لو أنك قدمت من القرية الى العاصمة .. فلايمكن أن تحس أنك فى وطن واحد المفروض أنه وطنك .

ان الحكم المحلى بمفهومه السليم هو طريق الخلاص من الكثير من آثار العدوان على الانسان المصرى .. عدوان الاستعمار وعدوان أهل العاصمة على المدن والقرى .. نحن شعب واحد أو هكذا نبدو .. فالوحدة الوطنية حقيقة قائمة وتكافؤ فرص التعليم متوفر ولكن هذا وغيره لايكفى .. فمازالت القرية المصرية دون مستوى معيشة الانسان .. حتى فى عصوره البدائية .. فهل يقبل هذا ونحن فى الربع الأخير من القرن العشرين؟ ثم ماذا فعلنا وماذا ننوى أن نفعل ؟

ان من أهم مصادر الاعتداء على الانسان المصرى الفكر الماركسى الذى استوطن مصر مدة طويلة والذى تركز فى أيدى مراكز القوى وقد حكمت مصر فترة غير قصيرة استطاعت خلالها أن تخلق أنماطا من الفكر والسلوك الواعى وغير الواعى أساءت الى الانسان المصرى كما لم يسىء اليه أحد من قبل .

ان مظاهر هذا العدوان كثيرة ومتعددة ولكن لعل أخطرها تأليه من بيدهم السلطة فهم وحدهم أصحاب الارادة وأفعالهم لاتقبل المناقشة أو حتى الكلام عنها .. علاقة مثل هذه بين الشعب وحكامه تقوم بالطبع على الخوف والشك الدائم المتبادل بين الطرفين وكان الحاكم قد تحول الى مستعمر لا يمت الى اهل البلد بصلة ولاهم له الا السيطرة وفرض أوادنه على الشعب .. هذا النوع من الحكم الذى هو فى الواقع استعمار مقنع أسوأ بكثير من الاستعمار السافر ، فالمستعمر الأجنبى لابد له من نهاية لانى أعرف انه عدوى أما اذا كان المستعمر من أهل بلدى بل وقد يكون من أقربائى فكيف أعتبره عدوا لى وما جدوى محاربتى له ؟ هل أطرده من بلدى التى هى فى نفس الوقت بلده ؟

لست بحاجة الى القول بأن مثل هذه العلاقة بين الشعب وحكامه لايمكن أن تقوم الا فى غياب حرية الشعب غيابا كاملا واطلاق حرية الحكم اطلاقا تاما .. ولذلك فهو يفعل مايشاء . يهدم مابناه ثم يعود فيبنى ماهدمه .. وهكذا من هنا تنعدم أهم مقومات الحضارة وهى استمرارية بناء المجتمع .. ويتحول الناس تدريجيا الى متفرجين لايعرفون لماذا يحدث مايحدث أمام عيونهم ولا يعرفون أيضا ماذا سيأتى به الغد .. فهم دائما فى حالة تساؤل ــ ولو همسا ــ وهم دائما فى حالة انتظار .. وهذه الظاهرة الأخيرة تهدد كيان أى مجتمع .. فالذى يقضى حياته ينتظر المجهول هو انسان قد سلبت منه آدميته ، لايملك القدرة على الفعل فسوف تصبح كل أفعاله مجرد ردود أفعال لما يصنعه سيده . فهو كالقط ينتظر ماقد يتفضل عليه صاحبه به من طعام أو شراب أو دفء أو حب .. ولو أن القط فى الواقع أحسن حالا ــ فرغم أنه يقضى حياته فى الانتظار الا أن له حرية الاختيار .. فكل من يعرف القطط يعرف أنه لاتوجد قوة على الأرض يمكنها أن تجبر القط على أن يلوذ بمن لايحب من الناس مهما كانت الظروف .. عكس الانسان فى المجتمع الديكتاتورى الذى غالبا مانراه يلجأ ــ حماية لحياته ــ الى من يخاف .. حتى

لايخاف ·· بعد أن أصبحت مصائر الناس كالقدر غير معروفة اذ لاترتبط بما يفعل الانسان بل بما يشاء غيره أن يفعل به ·· وبعد أن غاب عن المجتمع الثواب والعقاب على حد سواء ـ الا اذا حدث وعوقب من يستحق الثواب وكان من نصيب من يستحق العقاب أن يثاب ·

ولعل أخطر مايصيب أى مجتمع هو تقسيم الناس الى مسئولين وغير مسئولين ·· وهذا ماحدث لنا لفترة غير قصيرة وكانت النتيجة أن فقد أغلب الناس الاحساس بالانتماء والشعور بالمسئولية ـ وأكثر من هذا فقدوا الاهتمام ·· وأصبح كل مايشغلهم ارضاء « المسئولين » الواحد بعد الآخر مهما اختلفوا أو تغيروا ·· من أجل هذا كله كانت الدعوة الى اعادة بناء الانسان المصرى مسألة حيوية يجب أن نكرس لها كل الجهود ·· ليس الأمر سهلا كما قد يظن البعض ·· يكفى مؤقتا أن نصل بالانسان المصرى الى أن يطرح على نفسه هذه التساؤلات كبداية لعودة البناء :

اى القيم نحيا من أجلها ؟
اى آمال نحلم من أجل مصر ؟
ماذا ينبغى أن يكون حيويا فى حياتنا ؟

ويحضرنى هنا قول الشاعر :

آه ياصديقى ·· لا أعرف آية وجهة اتجه
لاجد الراحة والعزاء مما أعانيه من الم
أغنى الناس بيننا افضلنا ·
وعظمة الطبيعة أو الكتب لم تعد تطربنا
النهب ، والجشع ، والنفاق ··
تلك عبادتنا ·· وما نعبد
العيش البسيط والتفكير الرفيع قد ولى ·
وولى أيضا جمال البيت ـ ومعه سلامنا
وطهرنا ـ والدين الصافى الرقراق
الذى كان لنا نظاما ودينا وقانونا ·

فى العدد القادم

فهرس الهلال لسنة ١٩٧٨

بيان كامل لما نشر فى الهلال خلال عام ١٩٧٨

دراسات • بحوث • قضايا • إستطلاعات
قصص • مترجمات • وأشعار

مع بيانات كاملة ، بأسماء الكتاب ، وعناوين الموضوعات ، وتاريخ العدد ، وأرقام الصفحات

فى الهلال الجديد • أول يناير ١٩٧٩

بناء الإنسان المصرى

على أساس سليم

● فكرى اباظه ●

● الموضوع خطير : هـــــذا الموضوع خطير جدا ، جداجدا ، ولكنى لا أستطيع الا أن أستجيب « للهلال » الأب لجميـــع بنيه من بنين وبنات تمثل مجلات دار الهلال ٠

ورغم خطورة الموضوع فهـو يحتـــاج مجلدات وموسوعات لا ملزمة أو عـــدة ملازم ، وهكذا ساضطر أن « أســـخط » رأيى فى كلام موجز ! ٠٠

● **الانسان المصرى الجديد :**

ما هو « الانسان » أولا ؟ ما صفته ؟ ما عمره ؟ ما هو واجبه ؟ ما هو حقه ؟

هذه ســـــياحة حول الأرض المصرية طويلة وطويلة ، وصعبة وصعبة ، ولكن لابد مما ليس منه بد !

● **انا كافر :**

انا كافر : اى والله كافر بالألفـــاظ الكاذبة التى ذاعت وشاعت فى مبادىء الاصلاح من كل نواحيه : لفظة التوعية ، لفظة الترشيد ، لفظة العظة !

الاصلاح لاينجح بالعظات والترشيدات والخطب المنبرية ! وانما القانون هـــــو العامل الجدى الصحيح المنتج !

القانون الذى يتضمن الأمـــر والنهى والعقاب والردع ٠ والقرآن الكريم كان يمكن أن يقـــول آيات من العظـــــات والارشادات ولكن الله ســـبحانه وتعالى قرن النصح والارشاد بالعقاب والجـــزا وجهنم الحمراء ٠

لذلك أرجو أن يستبعد من موضوعى حكايات ومغالطات الأيمان والأقســـــام ومواثيق الشرف وغـــيرها مما نعالج به عيوبنا فى كل ناحية من نواحى الاصلاح :

كم من يمين أقســـمناها ولم ننفـــد مضمونها المقدس ؟

وكم من ميثاق شرف الفناه كموضوع انشاء من مواضـــيع طلبـــة الابتدائى والثانوى والعالى ولم ننفذ « ميثاقا شرفيا ، واحدا ٠

وصدق الشاعر العربى الذى قال :

وانى لـــــذو خلف حـــاضر
اذا مااضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جنــــاح على مـــرهق
يدافـــــع بالله مالا يطيـــــق

أو فى زجل من أزجالى حين قلت :

يالى بتبنى دوله مجيـــــــده
عظيمة الشان وبعيدة الصيت
الأخـــــلاق عايزالها ثوره
مش بمدافع ولا ديـنــاميت
ولا بشجونها ولا بـــسجونها
ولا بالجن ولا العفــــاريت
والأخلاق دى سلاحنا الأوحد
وبغيره ٠٠ حنغيش «هلافيت»

من هو الانسان المصرى الجديد ؟
اليك بيانه :
الطفل المصرى : نبدأ فى الطفل ثم الذى يليه .. الصبى ثم الذى يليه .. الشاب ، ثم الذى يليه .. الرجل ثم الذى يليه .. الكهل والشيخ

والطفل فى نظرى : هو أهم هذه المراحل . واقرأ آية فى القرآن ونصها كالآتى :« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما . ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

والطفل أى حين كان جنينا فى بطن أمه لا يعتبر انسانا الا بعد الشهور الثلاثة من الحمل .. هذا هو أول انسان وأصغر انسان ، ولكنه أجدر من كل انسان آخر بعناية الدولة والأمة : الأم تحتاج لتغذيته وتنميته الى حياة خاصة ، وطعام خاص ، وحركة خاصة حتى يولد ! وهكذا فان هذا الانسان المصرى الصغير جدير بعناية الدولة وعناية الأمهات لكى يكتمل نضجه ، فاذا ولد « بالفعل » يصبح « انسانا » ليست له الارادة ، ولا تفكير ، بل يهشم ويحطم ما شاء ، وقد يستهدف للمخاطر لأنه لا يعرف . الواجب الأول هو ملاحظته وحمايته ، ملاحظة وحماية دقيقة .. فاذا نمى وترعرع وأصبح صبيا فالعناية به يجب أن تكون كذلك دقيقة وكاملة حتى لا يكون لعبة فى يد « المربيات » ولا لعبة فى الشارع مع أولاد الجيران . فاذا أدخلناه المدرسة فياويله من المدارس المنتشرة فى مصر بغير مبان صالحة ، ولا مدرسات ومدرسين صالحين ، ولا اقامة صالحة فى المبانى المتداعية الى آخر القائمة . فيصبح الويل ويلين .. ويل البيت المهمل عديم العناية ، وويل المدرسة المهملة عديمة العناية .

● **الشباب :** اذا أصبح الصبى المصرى شابا وانغمر فى أخطر المراحل وهى مرحلة « المراهقة » فالويل كل الويل اذا أضفنا الى الويلين السابقين ويلا ثالثا من ترك حبله على غاربه وسط المفاسد المتفشية بغير مراقبة وبغير احتياط .

ولا أنسى ونحن نتكلم عن الطفل قبل الشباب .. أين هى « دور الحضانة » ؟ .. أو قصور الثقافة ؟ وأنت لا تجد لها أثرا فى دوائر الحكومة أو الشركات أو المعامل والمصانع ، بعد أن يكون الأب موظفا ، والأم موظفة ، والطفل بغير أب وأم فى ساعات العمل .

ونعود لمرحلة الشباب ، فى المدارس والجامعات والمعاهد ، وهذه المرحلة تحتاج بحثا مستقلا طويلا فان شباب الجامعات وقبله المدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية يحتاج عناية خاصة من ناحية المبادىء والعقائد السياسية العالمية ، ولقد فشلت الأمم القوية المتمدينة قبلنا فى السيطرة على عنصر الشباب ، فأنت تسمع وترى مآسيه ضد الدولة والأمة فى البيئات المتطرفة مثل اليابان وجيشه الأحمر ، وفى أحداثه فى ألمانيا ، وفى بريطانيا وفى فرنسا وفى ايران وفى تركيا . وفى البلاد العربية خليط من الشيوعيين والفوضويين .. وهذا الشباب يمثل عنصر الانسان المفروض أنه سيكون رجل المستقبل المسئول عن مصير دولته وأمته .
من يا ترى الذى يضع قواعد البناء



بناء الانسان المصرى على أساس سليم

السياسى والعقائدى من المسئولين ؟! ..

مهمة صعبة تحتاج رقابة مدرسية وجامعية ولا رقابة عندنا تفرض اهتمام المسئولين عن الجامعة بشبابها وطلبتها • لايجرؤ مدير جامعة ولا عميد كلية ولامعيد أن يفرض رأيه على الطلبة ، والغالب أنه يتملقهم أو يخشاهم ،وكل ذلك يجب أن يتغير أو يتطور اذا أردنا بناء انسان مصرى جديد ، فيجب أن نعيد الى البيت والمدرسة والجامعة سلطة الآباء والأمهات وسلطة المسئولين عن التعليم ، وقد انتهت من زمن بعيد ، فلا تجد هذه السلطة المحذرة أو المراقبة،أو المعلمة • ولا أدرى كيف يكون الحال اذا لم يعرف الآباء والأمهات والمدرسون والجامعيون ما يجب عليهم بالنسبه لطلبتهم كواجبهم بالنسبة لعلوم الطب والهندسة والصيدلة والآداب الى آخر كل فروع العلم والمعرفة •

● **القدوة :**

القدوة فى نظرى هى الأساس الاكبر الذى نبنى عليه الانسان المصرى الجديد .. هل هذه القدوة موجودة فى البيوت، وفى الحكومات ، وفى المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية والصحفية ؟ ..

القدوة هىأولا القدوة الدينيةالاسلامية .. وثانيا ، ما يلتقطه الأطفال والبنات والأبناء من الخلافات التى تقوم بين الآباء

والأمهات فى البيوت ، وبين أساليب الموظفين فى الوزارات والمصالح وغيرها •

قيل ان القدوة الصالحة تهبط من القمة ، فيتلقفها من بعد القمة ، ويتطبع بها ويقلدها باعتبارها قدوة مثالية •

والانسان عبارة عن جزءين :

جزء بدنى جسمى ، وجزء اجتماعى معنوى •

والأول يستلزم العناية بالصحة ، والوقاية قبل العلاج والعلاج عند اللزوم، لا بعد اللزوم •

وأمراض الانسان المصرى الجسدية البدنية عديدة تحتاج علاجا ودواء فىجميع النواحى ، وكذلك الأمراض الاجتماعية والمعنوية والنفسية التى أجمع الأطباء أنها تلتحم بالأمراض البدنية وتؤثر عليها •

نحن لا نلجأ الى الطبيب الا بعد استفحال الداء ، ونحن لانكبح جماح المرض الا بعد استفحاله • وقد سمعت مرة أحد كبار الأطباء المصريين العالميين وهو الأستاذ العالمى الذائع الصيت فى أوربا « حمدى السيد » وهو يقول فى الاذاعة ان الرجل بعد الأربعين أو الخمسين لا يجب أن يتناول الا « بيضة » واحدة كل يوم فما بالك « بالدناوة » المتفشية ، والشره الطعامى المستفحل على موائدنا أو « صوانينا » أو « طبلياتنا » ولا نتعظ الا بعد أن نتأوه من المرض والألم .. هل الانسان المصرى الجديد يقتنع بهذه المحاذير ؟! نرجو والله أعلم •

● **أخطار تهدد بناء الانسان المصرى الجديد :**

أولا : الانفجار السكانى : من نصف قرن ونحن نحذر من الانفجار السكانى ، وننذر • لأنه يهدم كل اصلاح ولا يعالج بالتوعية والوعظ والارشاد ، وانما بعلاج آخر وهو الانتاج!•• وياويلنا لو أهملنا العلاجين فلا توعية كافية ، ولا انتاج كاف •

رأيى دائما أن القانون يجب أن يتدخل، والعمليات الجراحية يجب أن تتدخل ، والحزم الادارى القانونى يجب أن يتدخل، فاذا أوقعنا العقوبات الادارية على الموظفين الذين يلدون أكثر من ثلاثة كالحرمان من الترقية ، ومن العلاوة ، وبالنسبة للعمال كذلك •

وبالنسبة للفلاحين ، الحرمان من مكاسب الاصلاح الزراعى وتأجيل استحقاق الديون لبنوك التسليف الى آخره ، هذا هو العلاج القانونى الرادع ولا غيره ؟

ولماذا لا نرفع سن الزواج الى ١٨ عاما و ٢٠ عاما ، فنوفر على الدولة الانتاج السكانى فى السنوات التى هى القائمة ، ولماذا لا نسمح للأطباء باجراء عملية الاجهاض فى الشهور الثلاثة الأولى مع حذف الجنحة التى تعاقب على مجرد الاجهاض !

وقد لجأت الى هذه الاجراءات القانونية والادارية والطبية بلاد غيرنا كالهند واليابان ، وحتى الولايات المتحدة وانجلترا وألمانيا •

ثانيا : الأمية : ومن المدهش المحزن أن « الأمية » كانت فى العهد البائد ٦٧٪ فارتفعت الآن الى ٧٢٪ ، ٧٣٪ والسبب الأعجب أن قانون التعليم الالزامى لاتنفذه الدولة ولا الأسر وأصبح حبرا على ورق ، وطوى بمفعوله كأنه لم يكن ، فلم توقع العقوبة المنصوص عليها فى هذا القانون على الآباء والأمهات فى سائر عواصم ومحافظات جمهورية مصر ••

يجب أن يبعث هذا القانون من جديد •• ورحمة الله على الكتاكيب فى كل قرية فقد كانت تقوم بهذه المهمة الوطنية خير قيام فيما مضى •

ثالثا : كم من السنين ننتظر حتى نزرع الصحراء الغربية وصحراء سيناء وصحارى الجنوب ذات اليمين وذات الشمال ولماذا لا تنفذ هذه القوانين وتعالج قبل أن يفد توزيع السكان فى الصحراوات بعد زرعها وانباتها واسكانها ، واعدادها ، وقبل أن تعد المرافق الحيوية كالمياه والكهرباء والتليفونات والمواصلات •

هذا باختصار كل ما أستطيع أن أعلق به فى هذه الكلمة • والانسان المصرى الجديد يجب أن يتولاه الرأى العام فى كل بلد وفى كل ناد وفى كل بيت •• لو تعقب هذا الرأى المآخذ والعيوب والنقائص بشجاعة واهتمام ، لكان البناء على أساس متين •

بنـــاء

الإنســان المصــرى

أســاس الحضــارة

● ينادى الرئيس السادات بضرورة اعادة بناء الانسان المصرى تامينا لمسيرة الحضارة التى نعتزم بكل ما نملك من قوة وايمان أن نتيحها لبلادنا ونحن مقدمون على مرحلة السلام .

وينادى كل مصرى مخلـــص بضرورة الاسراع بانجاز هذه العملية التى يتوقف على نجاحها تحقيق آمال بلدنا العزيز بعد ان شاء قدره أن يتحمل راضـــيا نصيب الاسد من التضحيات فى سبيل القضية العربية التى القى بعبئها الثقيل على عاتق مصر راس الأمة العربية وذراعها القوية .

ولا شك انها حكمة تنبثق عن تفكــير علمى مدروس ان نبدا عملية السـعى الى اقامة صرح الحضارة باعادة بناء الانسان المصرى ، ذلك أن الحضارة عملية انسانية بحت يقوم بها الانسان من أجل رفاهية الانسان ، فهى منه وهى له ، وأى اجراء لايستند الى هذه القاعدة ، يعتبر ضربا من العبث لا ينيل غاية ولا ياتى بنتيجة

فالحضارة ليســت بالســلعة التى تشترى جاهزة ، انما هى تطوير للفــكر واتجاهات علمية مدروسة تؤهل الانسان لوضع الخطط التى تعينه على تطوير حياته وفق روح العصر ومتطلبات التقدم ..

● امينة السعيد ●

ونحن لا نبدا من فراغ حين نقبل على اعادة بناء الانسان المصرى الموكل اليه باقامة الحضارة للنهوض ببلاده الى مستوى القدرة على المشاركة فى خدمة المجتمـــع الانسانى .... ذلك أن الانسان المصرى هو اكثر شعوب العالم اصالة ، وهو رغم كل ظروفه الحالية المعتمة عميق الجـذور ثابت العود يستند الى خلفية تمتـــد فى بطون التاريخ الى سبعة آلاف عام خلت .. وهو صاحب أول حكومة نظامية فى تاريخ البشرية ، وصانع الحضارة الفرعـــونية القديمة التى ما زالت الى يومنا هذا تبهر العالم باعجازها العلمى الخارق .. ولن نكون مدعين أو مبالغين حين نقـــول ان المصرى هو الذى بنى الهرم ، وأحرز تفوقا ساحقا فى العمارة والفنـــون والعلـــوم والكيمياء والفلك ، بينما كانت الشـــعوب الاخرى ومن بينها القوى الـــكبرى التى نراها اليوم تســـود العالم وتتحكم فى قدره ومصيره ، تتقلب فى مهاوى البداءة اقرب الى الحيوان منها الى الانسان ..

فالمصرى انسان قديم أصـــيل عريق ، ولديه ذخيرة من المقـــومات والخلفيـــات والجذور يتميز بها على غيره من ســـكان العالم ، ولقد كان لهذه الذخيرة الفضل كل

الفضل فى بقائه الى اليوم رغم اسوا الظروف التى مرت به ، وهى سر صموده أمام عواصف الاستعمار والاستبداد وأعاصير الاطماع والغايات ، ولم تستطع قوة من قوى الشر التى عصفت به على مر الازمنة أن تقضى عليه ..

ولكن مما لا جدال فيه أن هذا الانسان الاصيل العريق قد أصيب خلال النصف قرن الاخير بصفة خاصة بأضرار بليغة اطفات لمعان معدنه الاصيل الثمين ، فنتيجة للظلم والاستبداد وفساد الحكم وسيطرة الحاكم على رزقه ،اختفى الجيد فى الاعماق ، وطفت على السطح عيوب ليست فى الاصل من حضارته ولا ثقافته دفعته الى أن يحيد عن طريقه السوى القديم ، ويلجأ فى غالبيته ولا نقول مجموعه ، الى التسيب والرياء وعدم الانضباط والهرب من المسئولية الامر الذى عطل فرصة النهوض الى تحسين احواله .. وحتى عندما توافر حسن النية فى العهود القريبة لاقالته من عثرته فان القوى المسئولة أساءت اليه من حيث اريد به الاحسان .. فرغبة فى تعويضه عن طول حرمانه اغرق بالحقوق والميزات دون أن توضع له الضوابط والمقومات ، مع أن الحياة الصائبة لا يمكن أن تقوم الا على التوازن التام بين الثواب والعقاب ، وهو الاساس فى بناء الانسان الصالح كما ورد فى جميع الشرائع السماوية والتشريعات الحضارية .. فالانسان لكى يكون وثيق الصلة بوطنه حريصا تمام الحرص على الافادة والانتاج يحتاج الى ما يتيح له القدرة على التمييز بين الخير والشر ، وان ينشا على خشية الله والقوانين حتى لا يقصر فى اداء واجبه المقابل للحقوق السخية التى اعطيت له ..

وأمام الحقيقة المؤسفة تبدو لنا اهمية البدء فى عملية اعادة بناء الانسان المصرى باصلاح الاخطاء التى سبق ان وقعنا فيها عن غير قصد .. بالتركيز على الواجبات المقابلة للحقوق ، ووضع العقوبات الزاجرة لكل من تسول له نفسه أن يتقاعس عن آداء نصيبه الكامل من الواجبات وتحمل المسئولية .. فى ظل ديمقراطية قويمة تعطيه من الحرية ما يسلحه بالقدرة على استعادة كرامته وتمنحه الشجاعة الادبية على التصدى للخطا والانتصار للحق مع الحرص على توفير القدوة الحسنة فى مناصب القيادة على مختلف مستوياتها .. فالاخلاق مثل المظلة تدفع ظلها الى اسفل لا الى أعلى ، وبذلك يقتدى الصغار بمايرونه من فضائل من هم اكبر منهم ، ومن يابى أن يسير فى هذا الخط ، فامامه روادع وزواجر القانون تضرب على انحرافه بيد من حديد .

واذا كنا قد بدأنا هذا الحديث بالتركيز على الكبار ، فليس معنى ذلك أنهم القطاع الوحيد الجدير بالعناية والتقويم ، فهناك قطاع آخر لا يقل أهمية ان لم يكن اهم .. انهم الصغار رجال المستقبل ونساؤه ، وهم المادة الطيعة التى نستطيع أن نحسن تشكيلها بما يحقق للوطن حياة افضل .

والعناية بالنشء تتطلب تثقيف الاسرة وتربيتها ، على أن يسير ذلك جنبا الى جنب مع الارتقاء بالمدرسة عن طريق توفير المدرس الصالح ، وتغيير البرامج التعليمية من اساسها تغييرا يتمشى مع متطلبات الحضارة التى ننشدها ، ويمدنا بالاجيال الطموح القوية المعطاء .. فالذى يتعلمه اليوم ابناؤنا من الروضة الى الجامعة ، لا يمكن أن يعطينا رجالا ونساء اشداء اذكياء مفكرين ، لانه برتابته وضعفه وهزاله يقتل الطموح ويضعف الايمان ويغرق المجتمع بآلات صماء اقصى مناهم ان يستقروا فى وظيفة حكومية تضمن لهم دوام الدخل دون جهد ..

وهذا قليل من كثير فى مجال الحديث عن اعادة بناء الانسان المصرى ، ومهما بدا الوضع مقبضا فلدينا الكثير اذا كنا حقيقة جادين فى تطهير المصرى من العيوب الدخيلة على ثقافته وحضارته ، ورده الى حظيرة القدرة على تحقيق ذاته واستعادة امجاده ..

●

لبناء المواطن الجديد لابد من أيديولوجية عربية جديدة

● د. سهير القلماوى ●

● فى بناء الانسان المصرى الجديد لابد من ملاحظة خطورة هذه المرحلة التى يتغير فيها كثير جدا من الثوابت التى نشىء عليها الطفل المصرى فى العهد القريب عندما كان الاستعمار جاثما على مصر .. كانت العقيدة القومية والوطنية واضحة كل الوضوح ..

وبجلاء الاستعمار عن مصر وسوريا والعراق والجزائر .. الخ ، برزت منذ عام ١٩٤٨ قضية القومية العربية فى ثوب عام واشمل مما كانت عليه لوجود الخطر الصهيونى والاستعمار الامبريالى ومن هذه الظروف نشأت مسلمات بها ، وقضايا واضحة نشىء عليها الطفل المصرى .

وفى مرحلة السلام تبدأ مرحلة جديدة لابد فيها من تغيير واضح يناسب تغيير الظروف السياسية والقومية الجديدة .

والحاجة ملحة جداً لهذه العملية لأن الشباب ، بل الأطفال والشيوخ لا يستطيعون أن يعيشوا فى فراغ عقائدى من الناحية الوطنية والقومية .

وهنا تبرز ما كان واضحا فى آخر القرن الماضى من حركات التجديد والاصلاح باستلهام الدين الحنيف والتراث العريق وانعكاسه على الواقع للخروج بأيديولوجية مصرية وطنية فى داخل اطار قومية عربية ووحدة اسلامية .

لنأخذ مثلا ما حدث الآن فى امريكا عندما استدعت جنودها من فيتنام ، فاصبح الشباب الامريكى لا يجد أمامه أيديولوجية معينة يتجمع حولها ، كما كان متجمعا للمطالبة بوقف الحرب فى فيتنام .. لقد وقفت الحرب ، فماذا بعد ؟! ..

غرقت الدولة (أمريكا) فى مشكلات السلام (عودة الجنود ـ عودة المواطنين الامريكيين ـ حماية الموالين من الفيتناميين) الى جانب المشكلات الاقتصادية الخطيرة والسياسية المعقدة .

هنا برزت عدة دعوات فى ميادين الاقتصاد والسياسة ، وبدأ الشباب

الامريكى يلتف حولها . ومن هذه الحركات حركة اطلعت عليها تتخذ لنفسها شعارا « حماية المستهلك من الاحتكارات الاقتصادية » . يتزعمها شاب أمريكى لبنانى الأصل اسمه «رالف نادر» فالتف حوله الشباب وبدأوا يدرسون الاسواق . يفحصون السلع من السيارة الى قطعة الجبن بهدف عدم استغلال المستهلك !

ومما هو مشهور فى هذه الدعوة اكتشاف شركة سيارات ضخمة غيرت فى نموذج السيارة تغييرا لا يجاوز مائة دولار ، ورفعت سعر النموذج الجديد الف دولار ، نتيجة هذا التغيير الذى لم يكلفها الا عشر هذا المبلغ .. وعلى الفور أعلنت هذه الجماعة وحذرت المشترى من دفع الف دولار هباء .

ويجد الشباب فى اضطهاد الشركات المحتكرة لهم ، ورفضهم للعروض السخية التى تعرض عليهم من الشركات تأكيدا لذاتهم ، وشعورا بقيمتهم يعوض عليهم ما كانوا يجدونه فى معارضة حكومتهم ، والمطالبة بقضية سياسية عادلة لشعب لا تربطهم به اية صلة .

هذا مثل صغير يحضرنى الان لكيفية ملء الفراغ ، ليس مثلا مثاليا أدعو اليه ، ولا أريد تطبيقه . ولكننى اذكره مجرد ذكر للتدليل على حاجة الشباب الماسة الى أن يؤكدوا ذاتيتهم ، والى أن يثبتوا فاعليتهم ، ويقدمون تضحيات ترفع من معنوياتهم وتشعرهم أنهم مواطنون ممتازون ..

لا أقول ان مثل هذا ينفع فى مصر ، ولكننى فقط اردت ان أؤكد أن مرحلة الفراغ لا يمكن أن تستمر ، وان لم نبادر بملئها بايديولوجية مصرية صحيحة تدور فى فلك العروبة والاسلام ، فان الاخطار الناجمة عن سوء استغلال بعض الايديولوجيات التى تنحرف عن اصولها بالتعصب او التشدد ستجد ارضا خصبة فى نفوس شبابنا وستنمو بسرعة لنكتشف بعد قليل اننا مطالبون باقتلاع جذور ليس من السهل اقتلاعها .

فى العدد القادم

فهرس الهلال لسنة ١٩٧٨

بيان كامل لما نشر فى الهلال خلال عام ١٩٧٨

دراسات • بحوث • قضايا • إستطلاعات
قصص • مترجمات • وأشعار

مع بيانات كاملة ، بأسماء الكتاب ، وعناوين الموضوعات ، وتاريخ العدد ، وأرقام الصفحات

فى الهلال الجديد • أول يناير ١٩٧٩

البناء الإستراتيجي للإنسان المصري

● د . لواء كمال عبد الحميد ●

● ما هى العلاقة بين « الاستراتيجية » وهى من مسميات الاستعداد للحرب الشاملة .. وبين « بناء الانسان » وهى دعوة انسانية من متطلبات السلام الكامل ؟؟

● وكيف « حشرنا » لفظ الاستراتيجية فى هذا الموضوع الذى يبدو للوهلة الأولى انه موضوع اجتماعى خالص بعيد تماما عن ساحات الحشد وميادين التحرك والمناورة ، وبعيد أيضا عن غرف العمليات ودهاليز الاستعداد والتخطيط من اجل الدمار ؟!

ولكى نجيب عن هذه الاسئلة وغيرها مما يمكن أن يثار فى هذا الموضوع ، نقول فى بساطة شديدة وبدون أن نتقيد بالتفسير الكلاسيكى وبدون أن نلتزم بالمعنى الاكاديمى للاستراتيجية .. فنقول بانها فى حقيقتها وطبيعتها وغايتها هى :

« التخطيط والاستعداد العلمى المبكر من أجل تحقيق هدف واضح محدد » .

مراحل . . ومستلزمات التخطيط

ويأتى تحت هذا التعريف «الوضعى» كل ما يتم من تحصيل وجمع المعلومات الصحيحة الدقيقة وتحليل تلك المعلومات وتصنيفها واستنباط الحقائق اللازمة للتخطيط على أساس تحديد كل الامكانات ، وتحديد كافة الاحتياجات ، واجراء الموازنة العملية بما يجب أن تتحرك الدولة عليه من منهاج عمل يحدد لكل مواطن دوره أيا كان موقفه .. وتحدد كذلك كل نواحى القصور والتخلف ، وكل نواحى التشبع والتكدس .. وتحدد أيضا مواطن الثغرات والعثرات وأسبابها ، وتقييم مناعتها ودرجة صلابتها وامتداد أثرها .. وتجهيز كل النتائج من تلكم الدراسات المكثفة لتحديد « **الموجود فعلا ، والممكن تقديرا ، والمطلوب على التحديد** » . **وذلك لتكون خطة البناء والعمل للمجتمع الجديد ـ مجتمع البناء والسلام ـ قائمة على وضوح الحقائق وبعيدة عن كل الاغراق فى التفاؤل أو التواكل .. وان تكون خطة العمل ممكن تنفيذها جاهزة وتتحدد لكل فرد واجباته فى الحقل ، والمصنع ، والمدرسة ، والبيت، والشارع ، والديوان ، وحتى فى السجن لتكون السجون مراكز انتاج وخدمات ، وتقويم وتطهير ، بدلا من بقائها عالة وعلة فى جبين المجتمع .. وبعد كل هذا التخطيط تبدأ اجراءات**

الاعداد « العام » للتنفيذ التفصيلي للخطة .

● ومن هنا نكون قد حددنا ، ولو بالتقريب ، نقطة البدء في مسيرتنا من أجل البناء الاستراتيجي للمجتمع وهي تعني في الحقيقة خطة بناء أفراد المجتمع بمفهوم استراتيجي متكامل ، حتى نحقق أهدافنا بأسرع وقت وبأقل نفقة وجهد ، وعلى أحسن وجه ممكن .. وان نفيد من فائض الوقت والجهد والموارد في زيادة القدرة الاستراتيجية للدولة وفي الاحسان والابداع والمزيد من الاداء والعطاء ..

● والآن .. بعد ان حددنا المراد من « الاستراتيجية » في مقامنا هذا ، بقي ان نعرف ماهو المراد « ببناء الانسان المصري » ؟

وهل هو يختلف عن اى انسان آخر ؟ وبالتالي هل يلزمه برنامج خاص لتنشئته بمايتلاءم مع ظروفه وخصائصه وحضارته وتاريخه والتزاماته ؟

المصري وارض الانبياء

ففي الحقيقة ان ما نريده للانسان المصرى الجديد لا يختلف ابدا عما كان عليه الانسان المصرى القديم منذ سبعين قرنا من الزمان عندما عرف نفسه ، وعرف كيف يقوم بواجبه نحو نفسه ومجتمعه في يسر وصفاء ونقاء واخلاص ، فاتقن كل شيء عمله ، فقامت الحضارة الانسانية الاولى بين يديه وعلى اكتافه ، وظهرت مصر درة متلألئة في جبين هذا الكون ، فمنحها الله المزيد من الكرامة والخصوصية وجعلها موطنا ومنبتا ومعبرا لكثير من اولى العزم من انبيائه ورسله ..

ولم تكن مصادفة ان يأتي نبي الله ادريس عليه السلام ويعيش في مصر منذ نيف وسبعة آلاف سنة ، وهو اول من الهمه الله تعليم الزراعة وممارستها، وحياكة الملابس ، وتحنيط الجثث ، وفنون الهندسة والبناء .. فقد مارس كل هذه العلوم والفنون على أرض مصر السهلة الهادئة ، وقد عرف في العهد القديم باسم « اخنوخ » المصرى ، وكان اول من وضع حجر الاساس في حضارة مصر الأولى ..

وليس من باب المصادفة ايضا ان يأتي ابو الأنبياء ابراهيم عليه السلام الى مصر ، ويتزوج هاجر احدى اميرات فراعنة الجنوب ، وكانت في قصر فرعون الوجه البحرى بعد ان استقرت الأمور بين شطرى الدولة .. ولتكون هاجر الأميرة المصرية ام اسماعيل ابي العرب عليه السلام جد النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام .

وكذلك ولد موسى عليه السلام على ارض مصر ونشأ في قصر حاكمها وتعلم الكثير حتى اتته رسالة من السماء بعد ان اكتمل بناؤه من ماء وتراب مصر وتحت سمائها .

ولابد ايضا ان تكون هناك حكمة بالغة ارادها الله للانسانية والسلام عندما اوحى جل جلاله الى مريم وعيسى عليهما السلام بالهجرة من فلسطين حيث كانت المؤامرات والدسائس، الى مصر حيث السلام والاستقرار والصفاء من اجل ان يبقى ذخرا للقيام برسالته من اجل المحبة والسلام .

ولهذا لم يكن غريبا او عجيبا ان تنفرد مصر من بين العالم كله ليذكر اسمها صريحا خمس مرات في القرآن الكريم قبل ان يدخلها الاسلام بثلاثين عاما فظفرت بما لم تظفر به كل مواطن المقدسات بهذه الظاهرة (*) .

لهذا اقول ان الانسان المصرى بعراقة اصالته وبما حباه الله به منذ القدم من سهولة طبعه وقوة صبره ومثابرته، واتساع عطائه وبذله — جدير بالفعل ليكون فريدا بين البشر في التمسك بحقوقه وفي الالتزام بواجباته . ونحن

---

* الآية رقم ٦١ في سورة البقرة :
« اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم »
الآية رقم ٨٧ في سورة يونس :
« واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا »
الآية رقم ٢١ في سورة يوسف :
« وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه »
الآية رقم ٩٩ في سورة يوسف :
« وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين »
الآية رقم ٥١ في سورة الزخرف :
« ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لى ملك مصر ؟ »

نعلم أن مشكلة البشرية منذ بدء الوجود كانت وما زالت تدور حول الحدود التى تفصل بين : الحق .. والواجب .

وقد مارس المصرى القديم حقوقه وقام بواجباته بأسلوب متوازن رائع فأقام الحضارة والمجد وما زالت آثارها تنطق بالحقيقة للعالمين ..

العمل .. عبادة

ولذلك كانت كل رسالات السماء التى استهدفت بناء الانسان ليكون اهلا لخلافة الله فى الأرض . كانت كل هذه الرسالات تؤكد واجب الفرد نحو نفسه ونحو ربه .. وجاء الاسلام متمما لتلكم الرسالات فأوضح مسئولية المرء فى حياته نحو هذا الوجود كله ، ونحو نفسه واهله ومجتمعه ونحو ربه .. وكان لنا فى رسول الله الأسوة الحسنة ، ورأيناها من بعده فى سلوك الصحابة والتابعين الذين اقاموا الأمة الاسلامية وجعلوها كما أرادها الله خير امة اخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتتقن كل شيء شرعه الله ، وتدعو الى الاعتصام بحبل الله والتجمع وعدم التفرق .

***

وهذا معناه أن بناء الانسان فى مصر بالمفهوم الحضارى وهو ايضا المقصود بالمفهوم الاستراتيجي كان أمرا قديما وقائما بالفعل وما زالت آثاره تحكى وتروى لمن يريد أن يقتدى ويعتبر ..

ومن هنا نتساءل كيف نبدأ ؟ .. ومن اين نبدأ ؟ .. ؟ بعد أن لاحت فى الآفاق أنوار السلام وبعد أن تسربلت الأحداث والمحن التى أحاطت بنا سنوات طويلة ، ربما كانت تطهيرا وتنويرا حتى نرى الله بعين البصيرة والبصر معا ، وحتى نؤدى حقه علينا بواجبنا نحو انفسنا ونحو مجتمعنا بالطريقة التى شرعها لنا على أسس من المحبة ، والرضا ، والأمل ، والتفاؤل ، واحسان العمل ، والمزيد منه ...

نقطة البدء ؟

ان أول ما نفكر فيه من الصفات التى يلزمنا التمسك بها : «الاخلاص» ، ولها صفة مرادفة فى المفعول والنتيجة وهى « الصبر » .. وهما من الصفات التى تبدو سهلة وميسورة ولكنها فى الحقيقة تتسم بالسهولة فى عمومياتها كسهولة انتشار الهواء مباحا ومتاحا لكل ما فى هذا الوجود من انسان ونبات وحيوان . ومع ذلك فلا وجود للحياة بغير الهواء ..

فما أشق الاخلاص فى اتباعه ، وما أشق الصبر فى التحلى به .... وبدونهما ، لا عطاء ، ولا ثمرة لأى جهد

ونحن فى عصرنا الجديد أحوج ما نكون الى الاخلاص ، وهو يعنى يقظة الضمير وصحوة الوعى الذاتى النابع من داخل النفس لتكون هى الرقيبة والمرشدة والملهمة والحافظة لكل مظاهر السلوك الذاتى للانسان الجديد .

وللحقيقة .. ؟

● لقد اعتدنا لأكثر من ربع قرن على اللامبالاة ، و « الكلفته » ، ربما بسبب الخوف والقلق .. وربما بسبب الابتلاء الذى عانيناه فى جبهتنا الداخلية وعلى جبهتنا الخارجية الى ما قبل اكتوبر ١٩٧٣ . ولم يعد لنا بعد ذلك العذر لكى تستمر اللامبالاة و«الكلفته» والتواكل والتسيب ... فلابد وأن تختفى كل هذه السمات التى الصقها بنا زمن البلاء والابتلاء .. لنواجه من جديد حقائق انفسنا التى ورثناها منذ سبعين قرنا ، والتى صقلها الاسلام بكل آدابه واخلاقياته ومثالياته التى نراها فى حكمة ((كلكم راع وكلكم مسئول)) .

ولقد خاطب الله سبحانه طلائع المسلمين فى اول ابتلاء قتالى واستراتيجي لهم بقوله تعالى فى سورة الانفال : ((ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين)) . وكان ذلك اشارة

صريحة رقمية وموضوعية الي ان الانسان الصابر على حقه والصابر في الذود عنه والصابر على العمل من أجله ، والصابر على التمسك بأهدافه حتى ولو كان لا يملك الا القليل من العتاد والموادفهو يتفوق بصبره وأخلاقياته واخلاصه على عشرة ممن يزيدون عليه في الزادوالعتاد والتجهيز .

ملامح العمل الاستراتيجي

ان مجالات العمل الاستراتيجي تقتضي دائما الاخلاص والصبر على كل الاتقان فيها ، وابتداء من مرحلة جمع المعلومات ، الى مرحلة التنفيذ بعد التخطيط . والى مرحلة المتابعة والمراقبة ، واهم الميادين التي سيواجهها الانسان الجديد في مصر السلام هي :

اولا .. الانتاج : بكل مفاهيمه وميادينه في الزراعة والثروة الحيوانية والمائية الغذائية وغير الغذائية ، وفي التعدين والصناعة والطاقة وانتاج المياه بالبحث عن موارد جديدة لهما .. واصلاح الاراضي ، ورفع كفاءة انتاجها الرأسي والنوعي ، ورفع كفاءة الانسان في مهنته وتخصصه في الوحدة الزمنية التي تحتويه ، وعلى أساس ان الوقت أثمن ما وهب الله للانسان وأن كل لحظة تمر لا يمكن استردادها ...ولهذا أشار الله الكريم في القرآن بما أقسم به بكل لحظات اليوم من الفجر ، الى الضحى ، الى العصر ، الى الليل تنبيها لنا عن قيمة وأهمية وقدسية كل لحظات الحياة .

ثانيا .. ((الخدمات)) : بكل مظاهرها وقطاعاتها ، في النقل (البري والحديدي والنهري والبحري ، وبخطوط الانابيب وفي النقل الجوي) وفي المواصلات ، والصحة ، والتعليم ، والرعاية الاجتماعية ، والخدمات الاسكانية والترفيه الفني ، والتربية الرياضية . وبقدر كفاءة اجهزة الخدمات ترقى قدرة باقي القطاعات .

ثالثا ... ((الأمن والدفاع)) : وذلك باعداد المواطنين معنويا وماديا بواجبهم لتأمين الجبهة الداخلية من اي تخريب أو خطر وتأمين الجبهة الخارجية ضد اي عدوان . وهذايتطلب استعدادا قائما مستمرا **((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة))** وان يراعى الأخذ بأحدث أساليب التجهيز والتوسع في تطوير كل وسائل الأمن القومي، والثقة بأن الانسان الصابر يغلب عشرة من أعدائه حتى ولو تفوقوا عليه في العتاد .. والصبر كما أوضحنا في العقيدة ، وأداء الواجب ، والتضحية ، والتدريب، واليقظة ..

ان قوة الدولة الدفاعية هي سياج يحمي نماء باقي اجهزتها ويكفل استمرار الحياة القوية لها ...

رابعا .. ((التعاون الدولي)) : على اساس التعايش القائم على الحق ، والعدل ، وبالتوازن في العلاقات مع كل المحبين للسلام بما يكفل لنا الحفاظ على سيادتنا وحريتنا في العمل البناء . وهذا يحتاج الى توعية مستمرة صادقة خالصة توضح للانسان المصري حقائق الامور ولينافشها في حريةوديموقراطية حتى يحدد لنفسه مساره في الدروب الدولية بعيدا عن المهاترات والمزايدات التي لا تنطلق الا ممن لا يعرفون موقفهم ووزنهم في المعيار الدولي .وان ننفتح على كل الشعوب بكل الحب والرغبة في التعاون الصادق ، وأن نتعلم كيف نتعامل بلغة العصر بدون تعقيد أو تقييد ..

خامسا .. ((التسلح المعنوي)) : القائم على الثقة بالنفس ، وعلى وضوح الرؤية للأهداف القومية ، وعلى تحديد دور كل مواطن في بناء المجتمع ، فالكل راع والكل مسئول عن رعيته .. ولابد وان نتوقع مواجهة مع حملات التشكيك والتضليل والتحدي .. ولابد ايضا أن نجتاز كل هذه التحديات فهي من

طبيعة وسنن الحياة ، ولكنها تتلاشى دائما أمام الارادة الواعية ، والصبرعلى المضى فى طريق البناء ، والاخلاص فى كل مراحل العطاء ...

***

هذه كلها هى ساحات العمل البناء « الاستراتيجى » للانسان ، وأن مجرد الشعور بالواجب يكفى لبدء البناء وتقويته وتجميله .. وقد نجحنا مرارا فى تاريخنا ، ولهذا لن يكون عسيرا علينا العودة الى طبيعتنا الكامنة فينا، وان يبدأ كل منا فى حدود مسئولياته الحالية لاتقان عمله والصبر على أخطاء غيره حتى نجتاز مرحلة الانتقال أو النقاهة التى يبدأ بها عهد السلام .. وحتى يتم خلالها بدء تخطيطنا **الاستراتيجى للسلام ، ولابد من تجاوز** كل ذكريات المحن الماضية ، فقد دفعنا ثمن تهاوننا وسكوتنا وتقصيرناواسرافنا حتىفى المجاملاتلانفسناولغيرنا..ولكل منا الآن ساحة عمل أو أكثر ، فلنبدأ بالعطاء وسيكون العائد عن كل منا ، لنا جميعا . و **((هل جزاءالاحسان.. الا الاحسان)) ؟ .**

فالفلاح فى ارضهمسئول عنزيادة رقعته فى الصحراء ، ولو يهاجر اليها للبحث عنها ، ومسئول أيضا عن تطوير تفكيره واسلوبه لزيادة انتاجه الراسي ، وهو المسئول عن مكافحة الآفات قبل ان يعتمد على وزارة الزراعة .

والعامل فى مصنعه او فى اى مرفق مسئول عن صيانة ادواته وآلاته واتقان انتاجه واحترام واجباته ومواقيت عمله فليست الاشتراكية كما افهموها له عشرين عاما او اكثر هى ان ينال اكثر مما يعطى ، ولكن سنة الله العادلة بان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ، وهذا هو دستور العمل والجزاء فى وضوح .

حتى الطالب فى مدرسته مسئول عن تحصيل دروسه والصبر عليهاوالمواظبة من اجلها والاخلاص فى استذكارها ، فهو يكلف الدولة اضعاف اضعافماكان يكلفه طالب « زمان » ، وان واجبه اذن أجتياز مرحلته بنجاح ليفسح مكانا لغيره ولا وجود ولا سبيل لمجاملة المتخلفين عن اهمال .. ولا عدالة فى أن تتحمل الدولة الانفاق على طالب فى صف واحد لعامين أو أكثر ..

والكل مسئول

● وعلى هذا النهج نقول للموظف والجندى والوزير وكل مسئول أن يكون كل منا ومنهم قدوة فى ذاته فىالتمسك بالواجب والالتزام بالاتقان ..وتتولى أجهزة الاعلام والوعظ والتربية تثبيت هذه المعانى حتى تبقى راسخة مامونة .. وكذلك نرعى حكمة الله فى أن يكون الشخص المناسب فى مكانه المناسب فالله سبحانه قد اصطفى من الملائكة والناس رسلا ، وله المثل الأعلى ، كما يجب أن ندرك بأن دور المرأة ، ربة البيت اساسى فى مملكتها الصغيرة ، ولابد وأن تساعدها الدولة ، والمنظمات الاجتماعية حتى تحقق « ست البيت » رسالتها نحو زوجها وابنائها .

والانسان المصرى الجديد عليه مسئوليات مصرية خالصة ومسئوليات عربية وأفريقية واسلامية ودولية وانسانية وكلها تنبع من ذاته ووعيه وقدرته فلابد وأن يتهيأ لها من الأسرة، والدولة ، والمدرسة ، والمسجد ، والكنيسة ، والشارع — كلها ساحات مفتوحة للبناء الاستراتيجى للانسان الجديد ، ليواجه واجبه الانسانى الجديد .

وبالاخلاص ، والصبر ، سنحقق كل شىء ...فقد سبق ان حققنا الكثير الكثير ..

واليوم ونحن نستعد لعهد السلام ، امامنا فرصة العمل من جديد ، بمفهوم جديد للحياة حتى نحقق ما اراده الله لنا . وحتى نسترجع ما فقدناه بالامس لانفسنا . لنكون : ((خير امة اخرجت للناس)) ●

في آثار مارك توين

لاول مرة تقـوم هيئة امريكيـة بعمل استطلاع مصور يمثل حياة اديب كبير ، والمشاهد التي رآها ووصفها في كتـاباته . وكذلك قريته التي نشا فيها والبيت الذي عاش فيـه ايام الفقر في قرية هانيبال على نهـر المسيسيبي ، وكذلك البيت الفخم الذي ابتناه لنفسه بعد ذلك في بلدة هارتفورد في ولاية كونكتيكات .

ان من يعرف مارك توين ،ويذكر كتاباته الفياضة بالسخرية والعمق يحس وهو يقرا هـذا المقال وكأنه يعيش مرة اخرى روايات خالدة مثل « توم سوير ، وهكلبري فن » وهما من امتع آثار الادب الامريكي نظـرا للطرافة والعمق اللذين يمتازان بهما . ترى هل نستطيع نحن يوما ما ان نبعث الى الحياة حياة اديب عربي كبير بمثل هذا الاسـتطلاع الذي يطوي القرون القهقرى فعلا ، فنبعث رجلا مثل ابي الطيب المتنبي بين طعـامه وشرابه .

●



في سنة ١٩٠٧ منحت جامعـة اكسفورد مارك توين درجـة الدكتوراة الفخـرية في الادب تقديرا لجهوده واسلوبه الخاص الفياض بالسخرية والحيوية . هذه الصورة من نوادر صـوره لانها الوحيـدة التي التقطت له بالالوان ، وهي تمثله ينظر مـن زجاج النافذة المغطاة بالبخـار نظرا لشدة البرد

● من القصاصين والشعراء من تجد حياتهم نفسها أحسن ما ألفوا ، بسبب ما تزخر به هذه الحياة من صور الكفاح والحوادث والتقلبات ، ولننظر الى حياة طه حسين مثلا وما صادفه هذا الرجل منذ بداية معركته مع الحياة فى أعماق صعيد مصر حتى وصوله الى قمة الفكر فى عصره ، هنا لا نتعجب من قول ادوارد هريو السياسى الفرنسى والأديب المعروف عندما قرأ الترجمة الفرنسية لكتاب الأيام : هذه الحياة فى ذاتها من أجمل الاعمال الأدبية التى قرأتها فى حياتى •

ومن كبار أدبائنا الذين ينطبق على حياتهم هذا الوصف أبو الطيب المتنبى : هذا الثائر الغاضب على الدنيا والناس ، ان شعره كأنه شواظ من نار أو حمم تسفع الوجه بحرارتها ؟ ولكن حياته لاتقل جمالا عن فنه ، من ميلاده الخافى فى ظلام ليل التاريخ الى مصرعه الرهيب فى فيافى ايران ، هذه الحياة الحافلة بالصراع والمتاعب ، والآن نقرأ كأنها رواية من روايات المغامرات والصراع مع الناس ، فقد ولد المتنبى وعاش فى عصر مضطرب عاصف وقف الجيش العربى فيه يدافع عن كيانه فى دولة الاسلام ، وخسر العرب المعركة فى النهاية أمام عتاة الديلم والترك ومن اليهم ممن ابتليت بهم دولة الاسلام وجماعته فهبطوا بالاثنين الى درك سحيق •

ووسط هذا الطوفان الطاغى نسمع من ناحية صرخات أبى الطيب وأنات أبى حيان التوحيدى ، ونرى فى حياتهما وما عانياه صورا للمعركة الحاسمة الأسيفة التى خاضها العرب خلال عصور الضياع ••

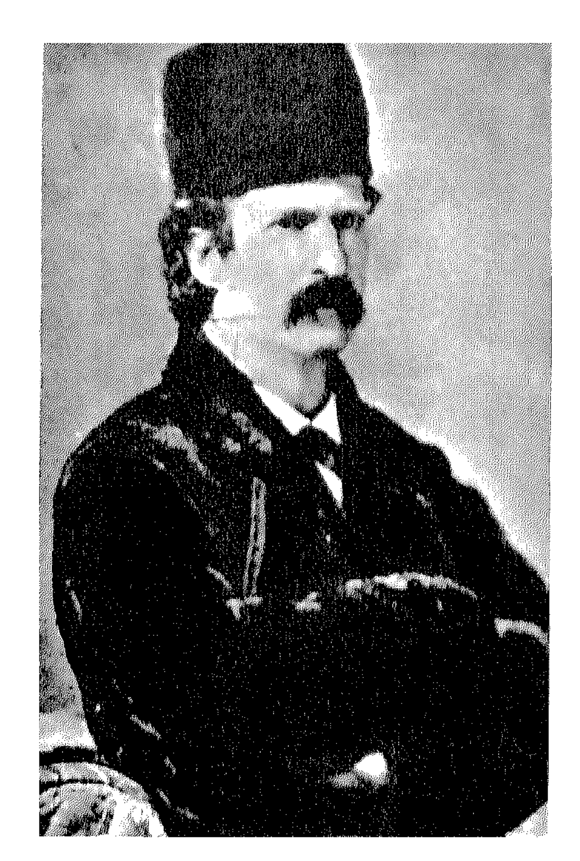
وليس من الضرورى أن تكون حياة الأديب سلسلة من الآلام والمعاناة والمغامرات حتى يكتسب أدبه حيوية وطرافة ، فان من الأدباء من كانت حياتهم سهلا رخاء لا نكاد نجد فيها عاصفة مثل وليام شيكسبير الذى انسابت حياته هينة لينة دون مفاجآت أو مغامرات ، ومع ذلك ففى مسرحياته من الصدق والابداع فى تصوير الدنيا والناس مالا نكاد نجده عند غيره : هنا نلمس أثر الموهبة الصافية التى تكشف لصاحبها من حقائق الحياة مالا يتكشف للمغامر المعانى •

ومن هذا الطراز أيضا أحمد شوقى الذى انسابت حياته رخية هانئة لم يعكر صفوها الا النفى الى اسبانيا ، ومع هذا فقد كان هذا النفى أشبه برحلة سياحية لم يعان منها شوقى الا القليل ، ورغم ذلك فانظر الى ديوان شعره وما يتكشف عنه عن معرفة باسرار الدنيا وحقائق الحياة •• هنا أيضا نحس أثر الموهبة الصافية التى تغنى عن التجربة والمعاناة ••

***

مارك توين من أدباء الطراز الاول : طراز الانسان المعانى المكافح الذى يخوض تجربة الحياة فى عمق ، ويكتب بعد ذلك عن غنى ووفرة لأنه يغترف من حياته نفسها ويعرض ما رأى وعانى وأحس بأسلوبه الخاص • من هذه الناحية يعتبر مارك توين رجلا له نسيجه الخاص به ، وهو من هنا فريد فى نوعه أو كما يقال فى الانجليزية Sui Generis وجمال قصصه نابع من جمال حياته الحافلة بكل غريب وطريف • أما ابداعه هو فيرجع الى طريقة التعبير التى استخدمها فى كتاباته فهى مأخوذة من طبيعة حياته نفسها ، من تجاربه التى خاضها ، من مسرح الحياة الحافل الذى تحرك فيه ، من الناس الذين خالطهم وعمل معهم وخاطبهم بلسانهم وعلى قدر عقولهم ••

فى آثار
مارك توين



مارك توين فى باريس .. كانت زيارته الأولى للقارة القديمة ، ولم تعجبه باريس ولا اوروبا كلها . فقال : ان دواخل البيوت الأوروبية قبيحة خالية من الذوق ومنفرة ، وهى لاتقارن بجمال ببيوتنا الجميلة فى امريكا .. بل انه قال أن أرضية بيته فى هارتفود «ولاية كونيكتيكات» اجمل من اى بيت رآه فى اوروبا،وقد ذكرنا فى المقال انه ابتنى لنفسه بيتا من الطوب الأحمر فى هارتفورد يتكون من ١٩ غرفة وتكلف ١٥٠ الف دولار

ومن حظ مارك توين انه عاش فى ضحى التاريخ الأمريكى الحافل بالنشاط والحركة والصراع الباسل الذى خاضه شعب من المهاجرين ليصنع من نفسه أمة واحدة متجانسة من ناحية ، وليصنع من أرض شاسعة عسيرة تتوالى فيها السهول والجبال والهضاب والتلال والأنهار والبحيرات آلافا بعد آلاف من الكيلومترات . وكان لابد من رجال ذوى صلابة وعزم حتى يقهروا تلك الطبيعة ويسودوها ..

فأما فجر الحياة الأمريكية فقد تقضى فى الاستقرار على الساحل الشرقى واقامة المستعمرات واختراق حائط جبال الليجانى والانسياح فى بسائط بنسلفينيا وفرجينيا ثم خوض معركة الاستقلال عن الانجليز ..

ثم جاء الصبح وبدأت معركة الشعب الوليد مع قارة تنساح أمامهم الى شاطىء الأطلسى ، ذلك هو عصر البطولة فى التاريخ الأمريكى الذى صنع فيه هذا الشعب نفسه أثناء معارك صراع الحياة .

هذا الصبح أو عصر الصبح شغل القرن التاسع عشر كله وقد شهد شعبا غريبا يقبل التحدى ويدخل المعركة غير هياب ، فقد ياتى الى القارة مهاجر مهنته المحاماة والقانون فيتحول الي صياد وتاجر فراء ، وقد ياتيها فلاح فيتحول الى تاجر اخشاب يقطع الأشجار ويصنع منها الواحا وكتلا وينشىء مصنع نجارة وسط الأدغال . ومنهم من خرج من وطنه طريد القانون فاصبح فى العالم الجديد رجل النظام والقانون ، واصبح حاكم بلديحمل لقب « الشريف » .. واذا كانت الولايات المتحدة قد بدت للناس فى القرن التاسع عشر دولة جديدة على غير مثال ، فلأن الذين قاموا ببنائها كانوا رجالا على غير مثال ...

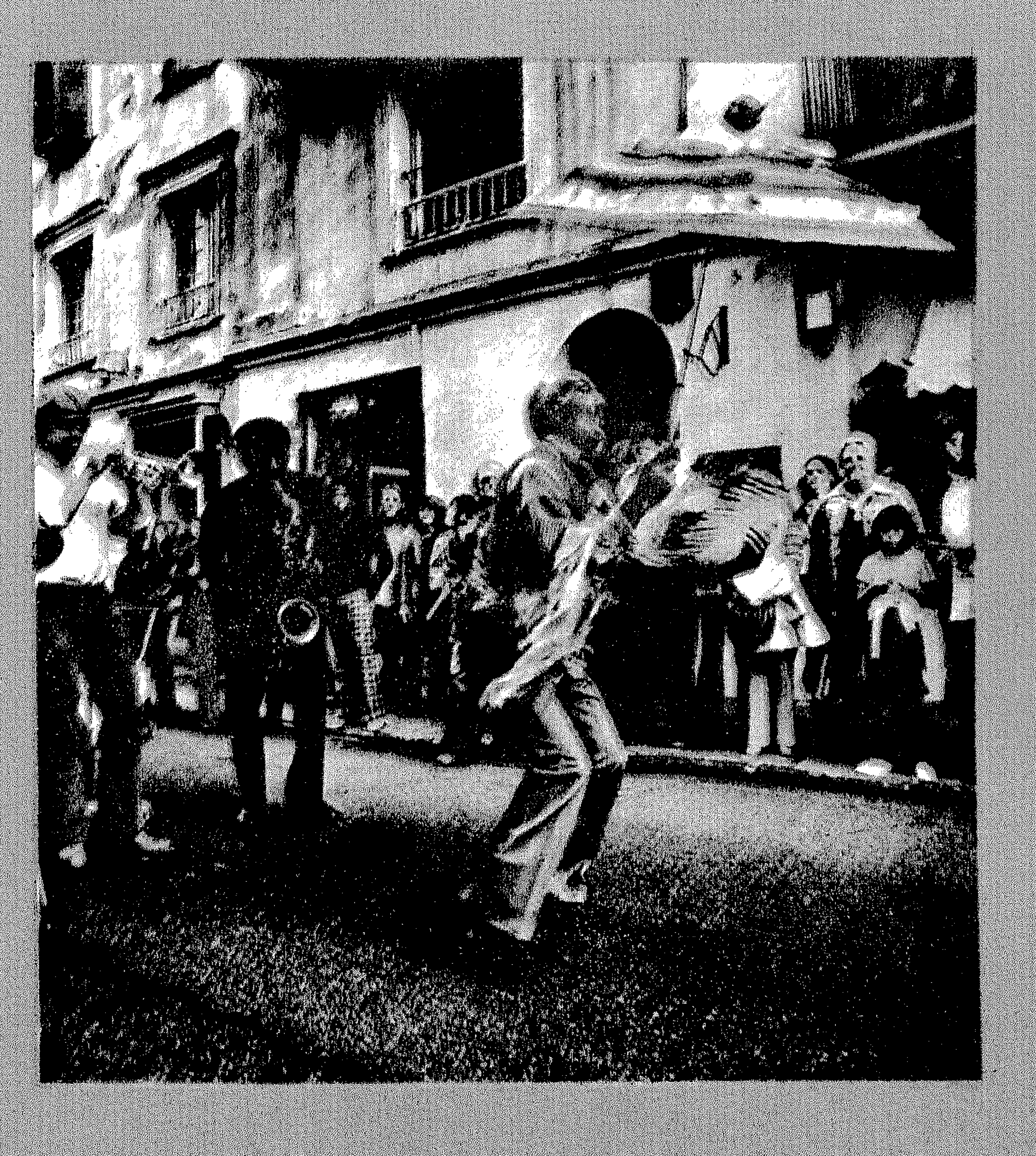
***

مارك توين واحد من أولئك الذين لا تملك وأنت تقرأ حياته الا ان تقول انه رجل على غير مثال ...

انه أديب وقصاص صاحب عبقرية فنية لا شك فيها ، ولكنه لم يفكر قط فى فجر حياته فى انه سيكون فى يوم من الأيام أديبا صاحب قلم .. كان الأديب كامنا فى نفسه دون أن يحس به . بدأ حياته ملاحا فى نهر المسيسيبى وخاض معركته مع النهر العنيف بنجاح ، ثم استهواه حلم الثروة السريعة فأسرع الى جبال مناجم الفضة وأنفق سنوات من عمره يصدع حجر الجبل بالمعول باحثا عن الفضة دون توفيق ، ثم تحول الى جندى واشترك فى الحرب وخرج منها دون نصر أو رغبة ، ثم التقت به الأيام الى بلدة كان صاحب جريدتها يبحث عن محرر ، **فنسى تجاربه فى الملاحة وصراعه مع الجبل والقى ببندقية المحارب ، وامسك بالقلم ، وهنا وجد نفسه وعرف**

في اليمين : كان كل شيء في الحياة الامريكية يعجب مارك توين ، وكان يكتب عنه بحرارة وحب وخاصة المواكب الشعبية الامريكية الحافلة بالفرح والموسيقى ، والمظهر الذى تراه فى الصورة وصفه مارك توين فى رواية ((توم سوير)) وقداعيد تمثيله بملابس العصر خاصة لهذا المقال

فى اليسار : منظر داخل بيت مارك توين في مدينة هارتفورد الذى يعتبر اليوم متحفا قوميا . يستطيع القارىء ان يرى فخامة هذا البيت ومقدار المال الذى انفق فيه اذا نظر الى الاخشاب الغالية الضخمة التى استخدمت في البناء . وفى الصورة يبدو تمثال من البرونز لمارك توين ، وكذلك مصباح غازى متدلى من السقف





ان الله خلقه كاتبا واعطاه الموهبة · كان قد تخطى الاربعين عندما اكتشف نفسه ، ولهذا قال كلمته المأثورة : لقد انفقت من حياتي عشرين سنة كاتبا وخمسا وخمسين سنة حمارا ! ··

شهادة ميلاده لا تحمل اسم مارك توين بل اسم صمويل لانجهورن كليمنس Samuel Langhorne Clemens وهذا اسمه الأصلي ، أما اسم مارك توين فاسمه الأدبي وقد قبسه من نداء كان يهتف به الملاحون في نهر المسيسيبي للتنبيه الى الخطر ، فأعجبه جرس النداء ، فاتخذه اسما أدبيا له واشتهر به بعد ذلك ·

ولد صمويل لانجهورن كليمنس في قرية صغيرة على شاطىء النهر تسمى هانيبال في ولاية ميسوري في أسرة رقيقة الحال · في ذلك العصر ـ سنة ١٨٣٦ ـ كان معظم الأمريكيين على رقة حال ولكنهم لم يكونوا فقراء ، فقد كانوا أصحاب وطن ضخم غني بامكانيات العمل والنجاح والثراء · كان الطعام وافرا للجميع ، وكان رخيصا ، وكانت أبواب المستقبل واسعة ···

على ضفة النهر يحلم الاطفال جميعا بأن يصيروا قباطنة أو ملاحين على الأقل · هذا كان حلم صمويل الصغير · أيامه كانت تنقضي مع أترابه من الغلمان في اللعب في الماء وتأمل سفن النهر الكبيرة رائحة غادية · كانت سفنا ضخمة ذات أدوار تسير بعجلات ضخمة يحركها البخار · كان منظرها كما قال مارك توين رائعا ومخيفا ومفرحا · والقارىء العربي لا يتصور طبيعة الملاحة في نهر ضخم مثل المسيسيبي تصب فيه عشرات الفروع ، وكل منها يحدث في مياهه دوامات خطرة، ثم ان النهر كثير المنحنيات ، وقاعه مليء بالنتوء والصخور ، وكانت السفن كثيرة جدا لأن النهر كان الشريان الرئيسي للنقل والتجارة في الولايات المتحدة ، فلم تكن الملاحة فيه أبدا يسيرة ، بل كانت تقتضي من البحار قدرة وخبرة ومهارة وقوة بدنية ، والا تعرضت السفن للكوارث

في آثار مارك توين

وقد قام كاتب المقال الذي نعرضه هنا والمصور الذي رافقه بتصوير مواضع الأخطار والصعوبات التي تحدث عنها مارك توين ، لانه في روايتيه الشهيرتين توم سوير Tom Sawyr وهكلبري فن Huckleberry Finn وصف بالتفصيل أحوال الملاحة وخطورتها في نهر المسيسيبي في النصف الثاني من القرن الماضي · وقد عمل مارك توين ملاحا على هذه السفن زمنا طويلا من حياته ···

***

وفي سنة ١٨٥٧ تحققت أمنية مارك توين والتحق باحدى السفن بحارا · هنا بدأت حياته تمتلىء بالمغامرات · لقد دخل دنيا النهر الواسعة ، وأصبح له مكان على سفينة من هذه السفن الضخمة التي تشق عباب الماء ، كان صبيا في خدمة الربان · لم يكن يؤذن له في لمس سكان السفينة · بل كان يقوم بأعمال التنظيف ، وكان يصغي الى حكايات غريبة يتبادلها الربان ومساعدوه : أحقاد ومشاجرات وأعمال قرصنة واعدام المجرمين شنقا على غصون الاشجار دون محاكمة ، وأصناف غريبة من التجارات بعضها حلال وبعضها **حرام · كل ذلك وعته اذن الصبي الصغير وسجله في رواياته · ولكي يستعيد كاتب المقال هذه الصور ذهب الى قرية صغيرة على ضفة المسيسيبي تشبه قرية هانيبال تسمى هامبورج ما زالت كما كانت عليه أيام مارك توين ، وهناك وجد نفس الطراز من الناس يتكلمون نفس اللغة الجافة المباشرة التي نجدها عند مارك توين ···**



بعد وفاة والد مارك توين ، وهو جون كليمنز ، عمل مارك توين عاملا فى مطبعة .. كانت سنه اذ ذاك ١٢ سنة ، ولم يحب هذا العمل قط لأن قلبه كان معلقابالعمل فى النهر،ملاحا أو قبطانا على احدى السفن الكبيرة التى كانت تقطعه طول اليوم .
وهذه الصورة اخذت له وهو يعمل فى المطبعة

فى سنة ١٨١١ حدث تغير ضخم فى الملاحة فى المسيسيبى . وحياة مارك توين بالتالى ..

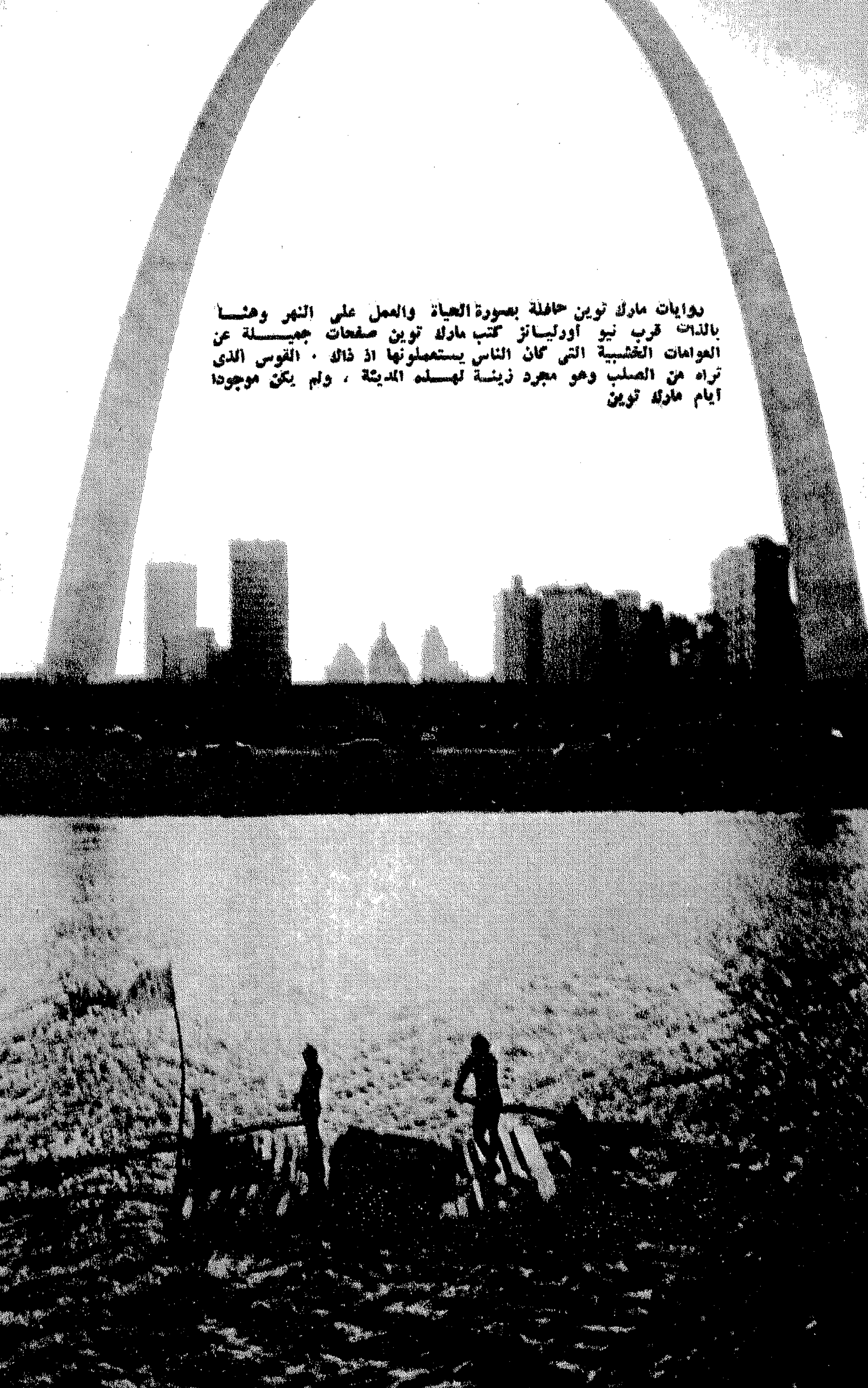
لقد دخلت المراكب الضخمة ذات الأدوار الكثيرة التى تحمل أربعة أضعاف ما كانت تحمل السفن القديمة ذاتالعجلة الضخمة التى تشبه الساقية فى المؤخرة . يقول مارك توين ان هذه السفن لم تكن تسير على الماء بل كانت تتبختر كأنها العرائس . كانت تقطع ثلاثة أميال فى الساعة ، ومنظرها فى الليل كان باهرا عندما كانت تضاء كلمصابيحها بالغاز ..

لقد ابدع مارك توين فى وصفها ، وقد اختفى معظمها الآن وتحولت الى متاحف اذ حلت محلها المراكب التى تسير بمحركات الديزل ، وهى تحمل ثلاثة أضعاف الحمولة وتسير بخمسة أضعاف السرعة ...

كانت أجملها سفينة ضخمة اشتهر أمرها فى الولايات المتحدة كلها تسمى كريول بل *Creole Belle* وهو تعبير أسبانى فرنسى يفهمه جيدا أهل نيو أورلينس ، فمعناه ، بنت البلد الجميلة ...

انها ما زالت تسير اليوم ولكنها قطعة تاريخية يركبها الناسللفسحة والذكرى ولكنها فى الحقيقة شىء رائع . كانت تحمل البضائع فى الادوار السفلى ، أما فى الدورين الثالث والرابع فكانت بها غرف الركاب الفاخرة التى كان الناس يشبهونها اذ ذاك بغرف القصور ..

لقد وصفها مارك توين بتفصيل فى كتاب من أجمل كتبه يسمى الحياة على



روايات مارك توين حافلة بصورة الحياة والعمل على النهر وهنا بالذات قرب نيو اورليانز كتب مارك توين صفحات جميلة عن العوامات الخشبية التى كان الناس يستعملونها اذ ذاك . القوس الذى تراه من الصلب وهو مجرد زينة لهذه المدينة ، ولم يكن موجودا ايام مارك توين

• فى آثار مارك توين •

عندما كان مارك توين يعمل مساعدملاح على احدى سفن المسيسيبى ، كانت السفينة ((كريول ـ بل)) التى تحدثنا عنها فى المقال ، ملكة المسيسيبى ، وقد وصف مارك توين الحياة على ظهرها ومشاجرات البحارة على الارض عندما يكون راسية



المسيسبى بطله قبطان يسمى هوراس بيكسبى • أما قبطانها اليوم الذى تحدث اليه كاتب المقال فاسمه هنرى هورنسبى وهو عاشق لهذه السفينة الجميلة أو المسرح العائم ، وهو يقارن بين الآلات التى لديه اليوم لقياس عمق النهر مثلا ، فهو يكتفى بالنظر الى ساعة مستديرة كبيرة ويقرأ فيها العمق فى حين ان العملية كانت أيام مارك توين من العسر درجة جعلته يكتب فى كتاب «الحياة على المسيسيبى» : « ليس لدى من الذهن ما يمكننى من ان أصبح قائد سفينة ، وحتى لو كان لدى هذا الذهن فان رأسى لن يستطيع حمله الا اذا تحطم فأخوض ! »

وبالفعل ، عندما يعرف الانسان صعوبة الملاحة فى نهر المسيسيبى وتعقيد الآلات التى كانوا يستخدمونها لقياس الأعماق وسرعة الريح وحمولة السفينة وما الى ذلك ، عندما يرى الانسان ذلك كله كما رآه كاتب المقال يدرك تماما كيف كان مارك توين دقيقا فى كلامه وصادقا فى وصفه رغم ميله الدائم الى الدعاية وتصوير كل شىء فى صورة فكهة •

ومع ان القبطان هوراس بيكسبى الذى كان يعلم مارك توين قال له أول ما عمل معه : انك لا تصلح حتى لقيادة بقرة فى مرعى •• فان مارك توين حصل فى سن الثالثة والعشرين وسنة ١٨٥٩ على الدبلوم أو اجازة قائد سفينة ، وأصبح له الحق فى ان يكون قبطانا •••

وقد وصف مارك توين ما حدث له عندما تولى قيادة سفينة حمولتها ٥٠٠٠ طن على ظهر المسيسيبى ••• وحكى كيف انه ذات مرة أخطأ فى تقدير المسافة التى ينبغى فيها ان يدير مكان السفينة لكى تنحنى فى سيرها مع منحنى النهر ، ووقف وعجلة القيادة بين يديه وهو يديرها بأقصى ما يستطيع والسفينة تتهاوى فى اتجاه طين الشاطىء •• لقد اغمض عينيه وأنزل قبعته عليهما ووقف يدعو الله ويسأله السلامة ، وسلمه الله ، لا يدرى كيف ، مر قاع السفينة على سنتيمترات من الطين ، ولو اقترب قليلا لكانت الكارثة !

***

وترك مارك توين النهر والسفن كما تركه غيره من الملاحين •

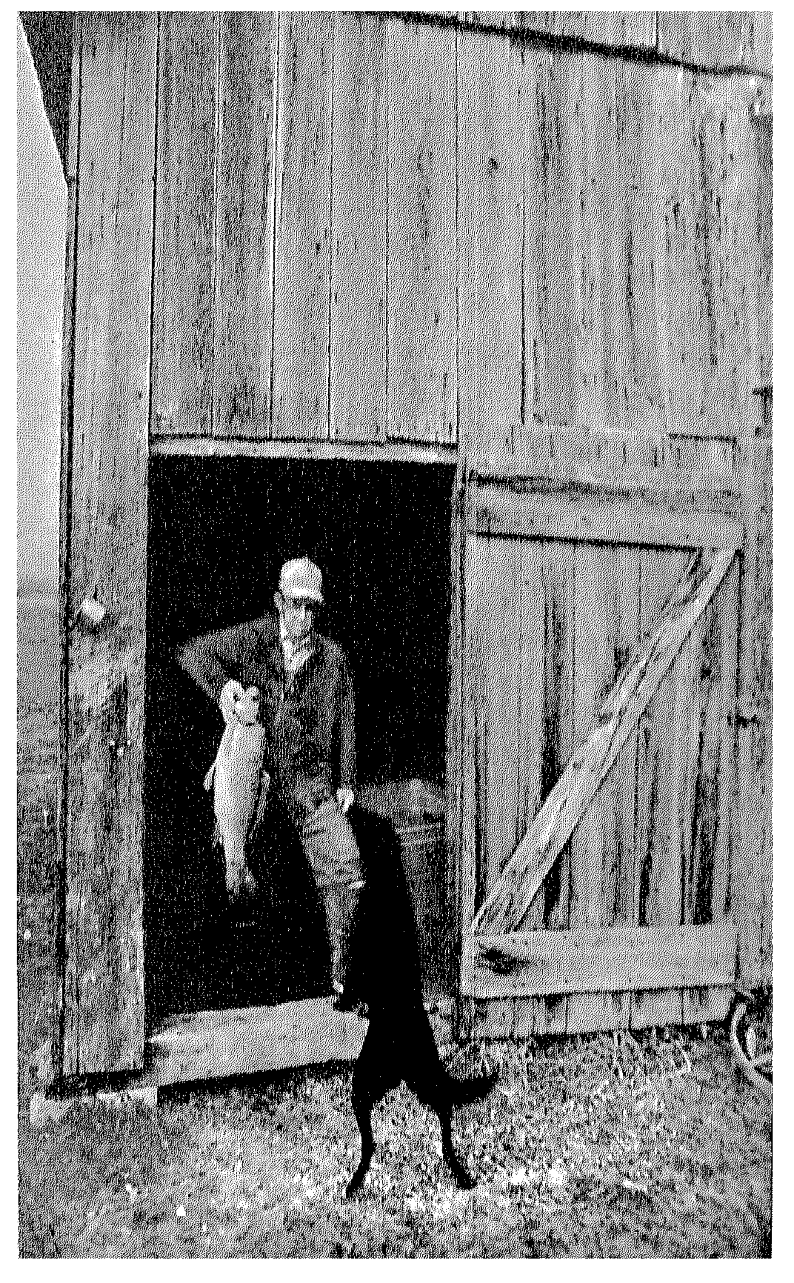
وعمل مدة جنديا متطوعا وقاطع طريق ضمن عصابة من العصابات الكثيرة التى حفلت بها الولايات المتحدة اذ ذاك ، ولكن ذلك العمل لم يعجبه قط ، لم يعجبه ان يكون جنديا او قاطع طريق ، وقال فى أسلوبه الساخر : لقد اشتركت فى الحرب وتعلمت الهرب أكثر مما تعلمت الهجوم !

***

ومن الجندية اتجه ذلك الرجل العجيب الى البحث عن الفضة • كانت الفضة قد ظهرت فى اقليم واشو فى ولاية نيفادا فذهب الى هناك فى عربة يقول انها خلعت عظامه ، فلما وصل قضى أسابيع يجمع هذه العظام ويركبها من جديد !

وعاش مع الباحثين عن الذهب فترة لم تعجبه قط ، لقد وصف ما عاناه وهو فى بلدة فرجينيا سيتى مع جماعات الباحثين عن الفضة فى كتابه المسمى « مغامرة فى بسيط الارض » Territoreal Enterprise وتحدث عن قسوة الحياة مع أولئك القتلة الاجلاف الذين كانوا يقضون اليوم يحطمون الصخور ثم ينظرون فى الحطام لعلهم يجدون فيها شيئا لامعا يمكن ان يكون ذرة فضة ، ثم يحطمون الصخور مرة أخرى ليجدوا فى النهاية ذرات من الفضة ، تجمع وتصهر لتخرج منها بعد الجهد المضنى قطعة تزن أوقية أو أوقيتين ••

فى آثار
مارك توين



ولد مارك توين فى قرية هانيبال ولاية ميثورى . وعاش صبوته كلها فى تلك القرية الصغيرة المطلة على النهر ، كانت قرية زاهرة اذ ذاك ولكنها الآن ونتيجة لانشاء السكك الحديدية وانصراف الناس عن الرحلة بالبحر الى القطار ، أصبحت قرية بدائية صغيرة ، ولكنها لاتخلو من جمال .
المشهد الذى تمثله الصورة لاحد السكان الذين ظلوا مخلصين لذلك الموقع يعيشون فى أكشاك خشبية ويحترفون صيد السمك

وقد وصف هو نفسه كيف كاد يموت مرة ، اذ كان يعمل فى حفرة ثم انهال عليه التراب حتى غطاه واختنق ، وجاهد دقائق حتى اخرج أنفه فى الهواء ، ثم شقى ساعات حتى خرج من الحفرة ، واقسم الا يستمر يوما واحدا فى عمل الضباع هذا ، وكان هذا من حسن حظه وحظنا معه !

ذهب المؤلف فى اعقاب مارك توين وبحث عن فرجينيا سيتى حيث عاش . لقد انقضت أيام الفضة والبحث عنها وهجر الضباع الجبال وخيم على المدينة سكون . انها اليوم قرية هادئة وادعة . تحدث الكاتب مع واحد من سكانها يملك مقهى وحانة ، وعندما سئل عما كتبه مارك توين عن تلك البلدة هز رأسه وقال : راح مارك وراحت ايامه ، ونحن والحمد لله فى هذا الهدوء منذ ١٩١٩ عندما انتهت حمى الفضة وصيادى الفضة .. ثم اشار الرجل الى نهير صغير يمر هناك يسمى نهر هميولت قال عنه مارك توين فى أسلوبه الساخر : هذا النهر العظيم .. انك تتمرن على القفز وتتمرن ، فاذا أكملت قفزات تمرينك فوقه من شاطىء لشاطىء ، فاذا تم لك ذلك بلغ بك الحر مداه فانحنيت على نهر هميولت وشربت كل ما فيه من ماء حتى يعود جافا !

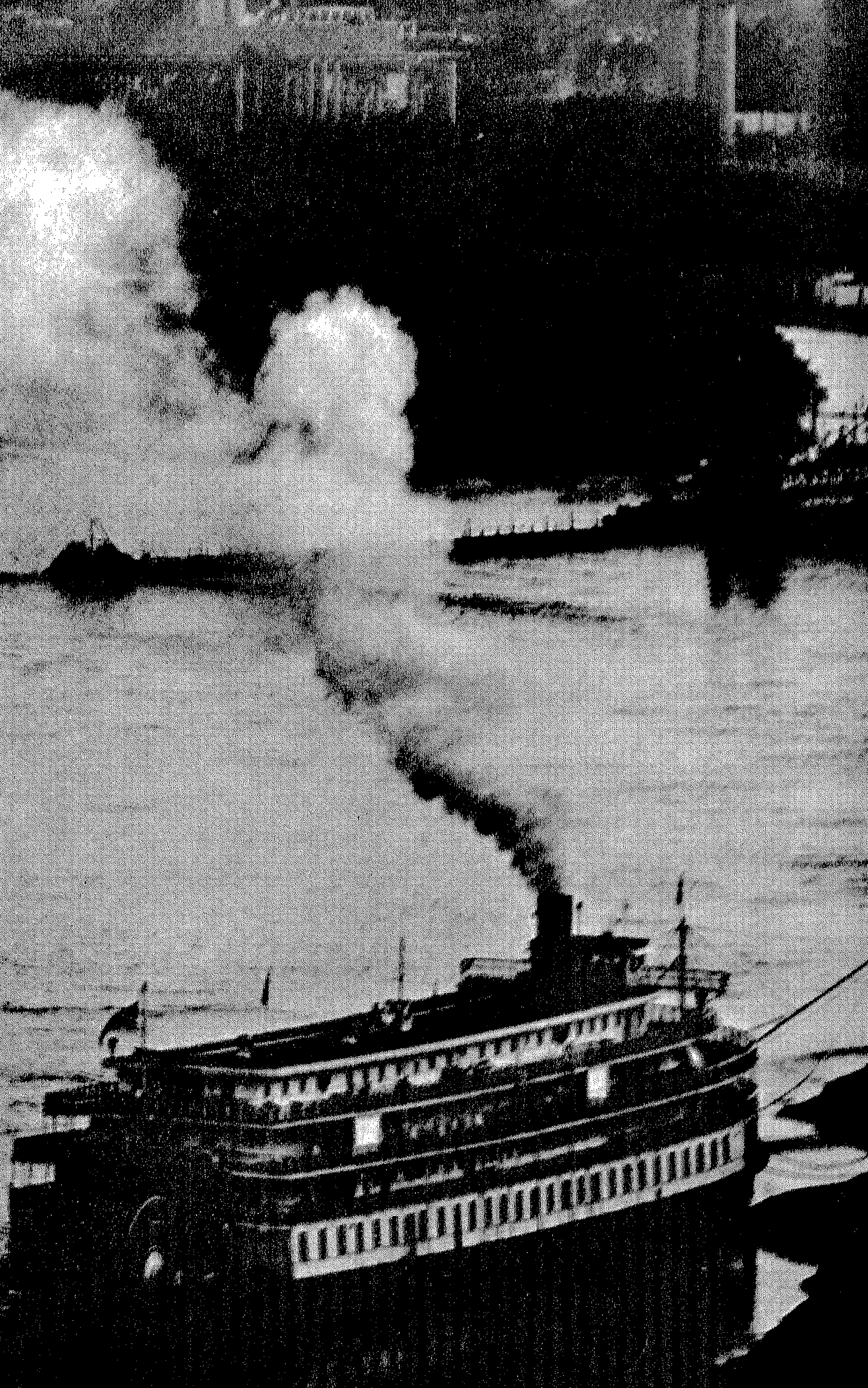
• فى آثار مارك توين •

فى اليمين فى كتاب « الحياة على المسيسيبى » يصف مارك توين اجتماعات الناس ومجالس الوعظ ، ويتحدث فى سخرية عن الواعظين الدينيين الذين كانوا يصرون على التبشير وخاصة بين الزنوج

والصورة ترينا احدهم وهو زنجى يتحدث والناس ينظرون اليه بنصف اهتمام ، بل ان هناك ولدا نام على سلم الكنيسة بالضبط كما كان مارك توين يفعل عندما كان الواعظ يبدأ بالوعظ

فى اليسار تلك هى السفينة النهرية المسماة « كريول ـ بل » التى كانت تعتبر ملكة النهر ٠ كان نصفها الاسفل يخصص للبضائع ، ونصفها الاعلى ويتكون من دورين يخصص للركاب ، وكانت الرحلة بها متعة حقيقية ٠ ولم يكن لها الا عيب واحدهوانها كانت تقطع ثلاثة كيلو مترات ونصف فى الساعة مما كان يطيل الرحلة ويسئم المسافرين ٠٠ كانت تسير بالبخار بمحركات قطارات





شعاب الحياة وصل مارك توين الى بداية الطريق الذي جعل له في التاريخ اسما، طريق الكتابة .. انتهت السنوات الخمس والخمسون التى عمل فيها حمارا وبدأت العشرون التى اصبح فيها كاتبا !

هرب من شقاء حياة المراكب والجندية وقطع الطريق والبحث عن الفضة الى الكتابة . وفى سان فرانسيسكو التحق سنة ١٨٦٤ بجريدة صغيرة تسمى المغامرة الاقليمية، وقد سبق ان ذكرناها التحق بها مخبرا صحفيا . لقد أعجب به صاحبها اول ما رآه . وجده يتكلم بطريقة غريبة ساخرة ، كان صاحب الصحيفة نفسه رجلا مغامرا يسمى ريتشار براوتيجان ، وكان قد كسب شهرة لا بأس بها وكون له اسما فى الكتابة الساخرة ونقد المجتمع .

لقد ذهب الكاتب الى نفس المكان الذى بدأ فيه مارك توين عمله فى الكتابة لقد اختفت جريدة المغامرة الاقليمية وحلت محلها جريدة اكبر واحسن بكثير هى الباى جارديان أى حارس الخليج صاحبها هو بروس بروجمان وهو ما زال يتعجب كيف استطاع مارك توين لاول ممارسته الكتابة ان يستلفت الانظار ويصنع لنفسه اسما بأسلوبه الساخر اللاذع الذى اعجب الكثيرين واغضب **الكثيرين أيضا حتى لقد اضطر الى الهرب الى ناحية ساكرامنتو عندما غضب عليه بعض الناس بسبب كتابته اللاذعة ... ثم عاد بعد ذلك ليجد نفسه قد اصبح كاتبا معترفا به وله قراء ، فاخذ مكانه فى الجريدة واخذ يكتب فى هدوء وثقة بعد أن وجد نفسه اخيرا ، واخذت شهرته تذيع فى نواحي الولايات المتحدة كلها .. وخاصة وقد نشر نكتة استظرفها الناس في ايامها وذاع صيتها**

فى آثار مارك توين

باسم « الضفدعة النطاطة التى تعيش فى مقاطعة كالافيراس » ان قليلين منا يستسيغونها اليوم ، ولكنها كانت حدثا أدبيا فى أيامها وعصرها .

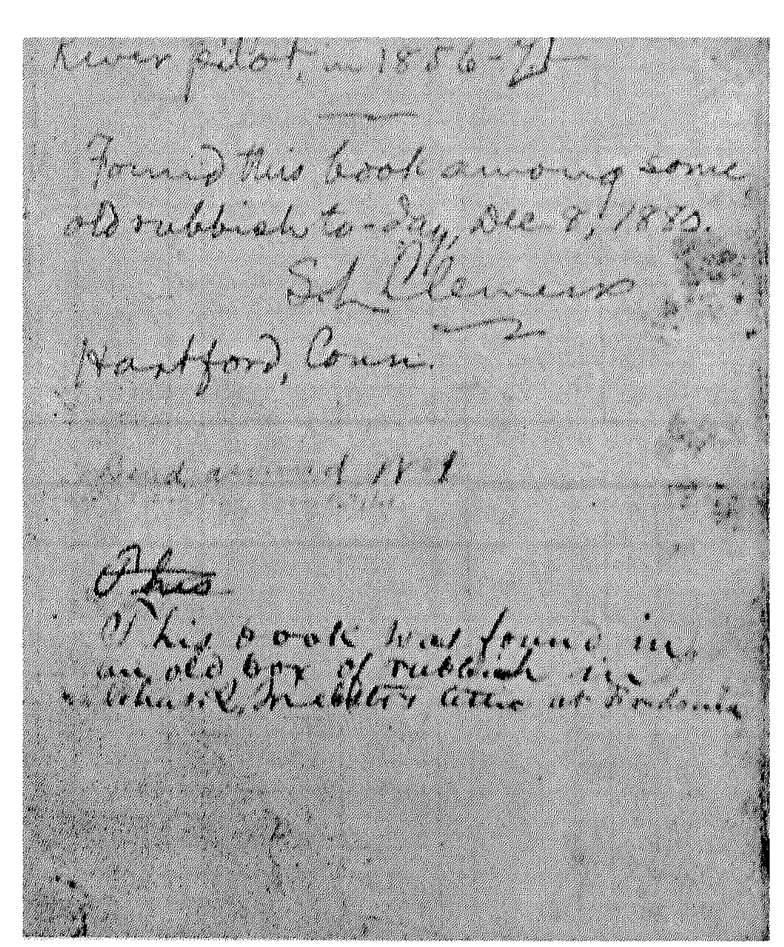
ثم نشر كتابه المشهور مغامرات توم سوير فلقى من الاقبال ما فاق كل تصور . لقد قص فيه حياته الاولى فى قرية هانيبال بولاية ميسورى ، وصور حياة الأولاد الأمريكيين فى هذا العصر وما كانوا يمتازون به من حب المغامرة وما كانوا يقدمون عليه من المخاطر الحمقاء . لقد مس هذا الكتاب قلوب الامريكيين جميعا وطبعت منه ألوف بعد ألوف .

ثم نشر كتابا مماثلا يسمى هكلبرى فن Huckleberry Finn **الذى يسمى اختصارا: هاك فن ، فلقى قبولا اكثر ، وانتشر فى انجلترا بأكثر مما انتشر في امريكا ، واصبح مارك توين بعد ذلك كاتب امريكا الاول ، واخذت كتبه تترجم الى اللغات الاوروبية على اعتبار انها مرآة صادقة للنفس الامريكية والحياة الامريكية .**

***

كانت سنه خمسا وثلاثين سنة عندما تزوج . كان رجلا مشهورا اذ ذاك . تزوج اخت شاب ثرى عرفه على ظهر سفينة قام برحلة سياحية الى اوروبا على ظهرها . كانت أول فرصة يرى فيها شيئا خارج امريكا . وعاد منها ليكتب كتابه المشهور : «السذج خارج البلاد» وهو كتاب ساخر يحكى سذاجات الامريكيين والحماقات التى كانوا يرتكبونها فى رحلاتهم الى أوروبا ، وكيف كان الناس يسخرون منهم ويضحكون عليهم ليحصلوا على اموالهم .

هذا الصديق كان اسمه تشارلس لانجدون وهو من بلدة الهيرا بولاية نيويورك . عن طريقه عرف اخته اوليفيا التى سيسميها ليفى فى كتاباته وسيشتهر اسمها فى أمريكا كلها . لقد قال بعد زواجه منها بأسابيع ((لو ان بقية أيام حياتي الزوجية ستكون فى حلاوة تلك الايام الماضية فما احمقنى اذ أنفقت سنواتى قبل ذلك أعض الخشب واحطم اسنانى ، لو قدر لى أن



نموذج من كتابة مارك توين بخط يده . والصفحة هنا من مسودة «الحياة على المسيسيبي» التي كتبت سنة ١٨٥٦ وكان مارك توين قد اصبح قبطانا لسفينة . وقد اخذت الصورة في ٨ من ديسمبر سنة ١٨٨٨ في مدينة هارتفورد . ويلاحظ ان صفحة المذكرات كتبت في مدينة «كايرو» اي القاهرة الأمريكية في ولاية ميسوري . وفي الولايات المتحدة اربع مدن تحمل اسم القاهرة .

اخلق مرة اخرى لتزوجت في المهد حتى يكون لحياتي طعم وقيمة » ..

عاش مارك توين مع ليفي خمسا وثلاثين سنة كلها هناء وسعادة ، وكتب في كنفها كتبه الجميلة الأخرى ،وانتقل لأول زواجه الى بلدة هارتفورد بولاية كونكتيكات وعاش كاتبا مؤلفا صحفيا . لقد ابتنى هناك بيتا من الطوب الأحمر من ثلاثة طوابق يشبه في هيئته هيئة السفينة . كانت سنه اذ ذاك ٣٦ سنة ، وقد اشتهر أمر هذا البيت حتى قال النقاد انه سفينة بنيت على الطراز القوطي .

هنا عاش هذا الملاح التائه بقية عمره يكتب ويؤلف ، هنا انجب طفله الأول الذى مات في عامه الاول بالدفتريا ،ثم جاءت بناته الثلاث : سوزي ثم كلارا ثم جيني .. وكانت سوزي موهوبة في الكتابة وان لم تكتب كثيرا ،وقد وصفت اباها في ذلك الحين وصفا جميلا مليئا بالاخطاء النحوية والاملائية ، ولكنه وثيقة تصور لنا هذا الكاتب الفريد خلال السنوات السبع عشرة الأولى من حياته في هارتفورد . وهي سنوات سعادته الحقيقية قبل ان يتبدل الحال وتقسو عليه الايام ..

تلك هي المراحل الكبرى من حياة هذا الكاتب الساخر المبدع ، ذلك الفارس الذى ظل يجري باحثا عن مكان له على الارض حتى نفق حصانه. ذلك الذي يعتبر من اعلام الادب الامريكي على مر العصور ، تتبعنا خطواته واحدة بعد اخرى ، وبعثناها حية مرة اخرى باللفظ والصورة ..

فهل يا ترى يحرك مقالنا هذا رجلا منا على ان يبعث الحياة مرة اخرى باللفظ والصورة في حياة اديب عربي كبير مثل ابي الطيب المتنبي .

« بتصرف » .. د. حسين مؤنس

مشهد من المشــاهد التي ابدع ماركتوين في وصفها على ضفة النهر ، وهي ترى اليوم خالية من الناس تقريبا . اما في ايامه فكان هذا الموضع حافلا بالحركة لانها كانت ايام الملاحة النهرية .



بنيان الانسان المصرى
يجب أن يبنى فى أسرته
وفى مدرسته وفى مجتمعه

د . ابراهيم بيومى مدكور

موضوع بناء الانسان المصرى الجديد هو الدعامة الحقيقية لكل ما ننشده من انتاج ..من نهوض ..من تجديد..من اصلاح. وأى فكرة ، وأى تخطيط ، وأى مشروع ان لم يكن له الانسان الملائم له ، لا يوصل كل ذلك الى شيء مطلقا .

واذا كنا نعد الجندى فى الميدان هو دعامة القوة الدفاعية للأمة ، فالانسان المصرى بعامة هو دعامة الحياة المصرية كلها . ولاشك أن حياتنا فى ربع القرن الأخير غيرت كثيرا من معالم هذا الانسان فى تفكيره ، فى حبه لعمله ، فى شعوره بواجبه ، فى ارتباطه بأسرته الصغيرة أولاده وبنيه وأسرته الكبيرة قريته أن كان من أهل القرية . أو جيرانه فى المدينة ان كان من أهل المدينة ، وارتباطه بالوطن بوجه عام .

ومما يؤسف له أننا نعيش فى مرحلة طغت علينا فيها الأنانية وحب الذات ، الى حد أن الأب قد لا يفكر فى بنيه ، وأن الابن لا يكاد يشعر بواجب نحو أمه وابيه . أما الواجب الوطنى العام ، فاداؤه أشبه بملء الخانة منه بالحب الحقيقى والتعلق بالوطن من القلب .

وكل تلك العراض لم نكن نحس بها فى الماضى على النحو الذى نعيش فيه ونلمسه الآن .

وما احوجنا ان نعود الى انفسنا مرة اخرى ، فنحترم صلة القرابة والجوار ، كما نحترم صلة الاشتراك فى اداء واجب عام فى المزرعة او فى المصنع او فى المتجر ، او فى دور الحكومة . واذكر انى عرضت لهذا الموضوع فى بعض جوانبه فى أحاديث اذاعية عشرة فيما اذكر ، دارت حول الانسان المصرى ، فى جوانب حياة الانسان فى النواحى المختلفة التى اشرت اليها ، كالانسان فى بيته ، أو الانسان فى مدرسته ، وفى مجتمعه .

فبنيان الانسان المصرى يجب أن يبنى فى أسرته ، ويجب أن يبنى فى مدرسته وفى مجتمعه . وعلى المواطنين جميعا، وعلى الدولة أن تتعهد هذه الجوانب لكى يبنى الانسان المصرى انسانا كاملا .

الإنسان المصرى متطور

بطبعه .. ولكن !

● د · سيد نوفل ●

● **ان مجرد التفكير فى بناء الانسان المصرى الجديد يعتبر مخالفة لطبيعة النشوءوالترقى، ونسيانا للعوامل المختلفة التى تكون الانسان ·**

فالانسان نتاج بيئته الطبيعيةوالأسرية ومجتمعه الصغير الوطنى ، ومجتمعه الكبير الذى يعيش فيه ·· ومرة سالت سيدة احد كبار المربين الغربيين عن الوقت الذى تبدأ فيه تربية طفلها ، فكان جوابه: كم يبلغ من العمر ؟

فقالت : عامين

فكان تعليقه : لقد تربى وانتهى ! ··

وعلماء التربية يفسرون ذلك بأن الانسان فى أيامه الأولى طلعة يتمثل جميع ما حوله ، بل انه يولد وارثا أخلاق والدته ان لم يكن والديه ، ووارثا مقومات التطور البشرى من جيل الى جيل · ولهذا فان الانسان المصرى يرقى ويتقدم بحكم التطور البشرى ومسيرةالضمير الانسانى نحو النضج والاكتمال ، وبحكم ما استجد على وطننا،وعلى عالمنامن انجازات فى هذه السنوات الثلاثين الاخيرة مما لم يكن يخطر على بال البشرية من قبل ·

والذى أريد أن أؤكده قبل كل شىء أن الانسان المصرى اليوم يواجه الحياة ومقتضياتها المختلفة من متاع بها وعمل لها ، ومجاراة لمسيرتها بأفضل كثيرا مما واجه الجيل السابق به حقائق التطورات الحديثة ·

فالانسان المصرى اليوم يعرف كيف يعيش أكثر مما كان يعرف أبوه ، والانسان المصرى اليوم أكثر معرفة بفنون الحياة الحديثة وأدواتها من معرفة سابقيه ، والانسان المصرى أكثر علما فى عصر العلم أما الملاحظات الأخرى من مثل القصور فى معرفة اللغة العربية ، أو الاحاطة بالأدب العربى،أو ما الى ذلك من معلومات نظرية ، فليس فى رأيى دليل قصور ، لان العصر الماضى كان عصر العلوم الانسانية ، أما الآن فنحن فى عصر العلوم التطبيقية،

والى جانب هذا يجب ألا ننسى شيئا ، وهو أن الشعوب تعيش بالصفوة ، والصفوة فى هذا العصر لو أحسنا الكشف عنها أعظم مقدرة وأوفر كفاية من الصفوة فى العصر الماضى · بل انها أكثر عددا ، ولهذا فانه بسبب عموم التعليم والثقافة وتخطيها الحدود الضيقة التى أسرتها فى العهود الماضية ، أصبحنا نرى من النماذج غير الملائمة أضعاف ما كنا نراه من قبل ·

وعلى سبيل المثال فاننى أذكر اننى تخرجت فى كلية الاداب جامعة القاهرة عام ١٩٣٥ ، وكان معى ثلاثة أشخاص فقط نجح اثنان منهم بمقاييس النجاح التى نعتبرها من نباهة الذكر وما اليها ولم ينجح اثنان ·

أما الآن ففى أى دورة من دورات التخرج فى أى قسم من الاقسام تجد عشرات أو مئات النابهين الذين يشرفون وطنهم ويتفوقون فى مجالات العمل الداخلى ان احسن اختياره لهم ، كما يتفوقون تفوقا مرموقا فى مجالات العمل الخارجى ·

***

والخطأ فى حديثنا عن بناء الانسان الجديد اننا نريد أن نطبق أوضاع الماضى على أوضاع الحاضر ، بينما هما فى الواقع مختلفان كل الاختلاف ·

ولهذا فاننى أرى أن التطور يمضى فى طريقه ، وأن حركة الارتقاء ماضية فى سبيلها ، ولا يستطيع أحد أن يعترض مسيرتها ·

ولكن ذلك لايعنى أنه ليس هناك بعض النقائص التي يجب أن نعنى بها في بناء الانسان الجديد ٠٠ وأول هذه النقائص أو المآخذ هو فقدان الاتصال بين الدورة التعليمية والثقافية فى الماضى ٠

فالدورة التعليمية يجب أن تتحرى منذ التعليم الاولى انها طريق الى غاية هي اكتمال المعرفة فى التعليم الجامعى العام ، ثم فى المستويات الاعلى من التعليم الجامعى ، أى فى مراحل الماجستير والدكتوراه وما اليهما ٠ ولهذا فانني في الواقع قدرت أعظم التقدير ، وسررت غاية السرور حين اندمجت وزارات التربية والتعليم العالى والثقافة في وزارة واحدة ٠ فالثقافة مطلوبة للتلميذ الابتدائي والتلميذ الثانوى وللطالب الجامعى ٠

الامر الثاني : هو كيف نخلق المتعلم المثقف الذى يحب الاطلاع ويفتن بالمعرفة ويعلم أن الشهادة الدراسية لا تعدو أن تكون شهادة بمقدرته على تعليم نفسه ، وتحصيل المزيد من المعرفة ، فهذا الامر قد اتجهنا اليه منذ عام ١٩٣٩ ، وكنت فى ذلك الوقت مديرا للمكتب الفنى بوزارة **((المعارف))ولعله كان اسما أعظم توفيقامن الاسم الحالى الذى يضم التربيه والتعليم والثقافة لأن المعارف هيجماع ذلك كله٠**

ومهما يكن من شيء فقد عملنا فى ذلك الوقت لتبسيط الكتب الدراسية ولانشاء المكتبات المدرسية ، ووضعنا برنامجا طموحا ابتداء من اقامة اللامركزية فى التعليم الى التشجيع على التعليم الى تحبيب التلاميذ والطلاب فى الاطلاع والقراءة ، ولهذا عنينا بمادة المكتبة العربية ، وأن ندرس للطلاب فيها ما يظهر فى الكتب الحديثة ، وأن ندلهم على محاسنها قبل كل **شيء حتى يزدادوا اقبالا على الاطلاع ، وعلى المضى فيه مادامو أحياء ٠ وهذه العنايه بالتحبيب فى المطالعة وتعليم النفس هى أهم ما نحتاج اليه فيالمرحلة الحالية ٠**

وهناك أمر ثالث،وهو انالتعليمبوضعه الحالى ، وقصور عدد المدرسين فى مراحله الأولى والجامعية ، قد أدى الى اننا أصبحنا نعلم ابناءنا في مدارسنا ونعهد الى المدارس والكليات بامتحانهم ، ونتحمل من ذلك ارهاقا ماليا شديدا ، كما نجني على الملكة الاساسية وهى تكوين القادة وأصحاب المبادرات فى مختلف مجالات الحياة ، واذا استطعنا أن نتلافي هذا العيب، فاننا نقدم اعظم الخدمات فى بناء الانسان المصرى الجديد ٠

وشيء آخر ، بل كثير من الاشياء ٠٠ فالتعليم الجامعى عندنا أصبح الآن لا يمت الى الجامعية بنسب ، ومستوى هيئات التدريس بحكم زيادة العدد والتوسع الافقى الشديد فى الجامعات ، حتى أصبحت نسبة التعليم الجامعى أعلى منها عددا فى أى من بلاد العالم المتقدمة ٠٠٠ **قد أدى ذلك الى انناأصبحنانقدم للطلاب** كتبا كي يحفظونها ،أو مذكرات للاساتذة، **وأن نجنىعلى التعليم الجامعىفى** اساسه، فأساس التعليم الجامعى هو المحاضرة والدلالة على المراجع ، وترك الطالب يعلم نفسه ، ويستنتج ما يراه ويستنتج ما ينتهى اليه من آراء وأحكام ٠ ومهمة الاستاذ أو المدرس الجامعى منالطالبهى أن يرشده على طريقة البحث ، ويدله على مصادرها ويترك له الانتهاء الى الاحكام فى مختلف المجالات ٠

واذن فهناك آفات كثيرة ٠ ومن المؤلم أن هذه الآفات في متناول الاساتذة والمدرسين ٠ واني لاذكر في هذا الشان أن لجنة ألفت لاصلاح التعليم الجامعى في بداية الثورة في عام ١٩٥٢ ، وكان رئيسها المرحوم على ماهر ، واشترك فيها لطفى السيد وشفيق غربال ، وسائر مديرى الجامعات وعمداء الكليات ، وكنت سعيدا بأن أكتب تقريرها الذى تتداوله الجامعات منذ ذلك الوقت ٠ ولكن مع الأسف الشديد فاننا فى التطبيق عنينا بالدرجة الوظيفية ، وتحسين الاحوال المادية ، أو بالحقوق ٠٠ واهملنا الواجبات ٠٠ وهذه العناية بالحقوق دون الواجبات هي في مقدمة الآفات التى تعوق التقدم المأمول في بناء الانسان المصرى كما ينبغي أن يكون ٠

وأهم من ذلك كله أن يتأكد كل مواطن بأن هنالك جزاء على قدر العمل ومؤاخذة على قدر الاهمال ، وصدقا فىاختيار الاشخاص لمختلف مجالات العمل ، وأن الانسان بقدر علمه وخلقه وعمله يتولى المناصب المختلفة فى مجالات الحياة ٠

فاذا تحقق لنا ذلك ، فان وطننا سيستفيد بأفضل العناصر فيه ، وستكون هذه الاستفادة دافعا لغيرهم لكي يجيدوا ويتفوقوا ، كما انها تكون في الوقت ذاته دافعا لمن يضلون سواء السبيل لكي يصححوا مسيرتهم في الحياة ٠٠

عطاء الإنسان المصرى يزداد

حينما نهيئ له المناخ الملائم للعطاء

● د . صبحى عبد الحكيم ●

● **الانسان المصرى كان على مر التاريخ بخير وهو ما زال بخير .. لقد ادت الظروف التى مرت بها مصر ، وشهدها المجتمع المصرى في الفترة الاخيرة الى اتهام الانسان المصرى بعدم الانتماء ، وعدم الولاء لمصر . وقال بعض الكتاب اننا نعانى من ظاهرة الاغتراب الداخلي . وعندي أن المناخ الذى يحيط بالإنسان المصرى هو الذى أدى الى توجيه هذه التهم اليه والى دمغه بكثير من هذه السلبيات . وليس أدل على ذلك من عطاء الانسان المصرى خارج مصر حينما يهيأ له المناخ الملائم للعطاء ..**

كم من علمائنا المصريين الافذاذ الذين يعيشون اليوم في أمريكا ، والذين نسميهم بالطيور المهاجرة . كم منهم يرفع اسم مصر عاليا ، ويشغلون أرفع المناصب العلمية .

ان التقدم والتنمية التي تحققها بلاد عربية كثيرة من حولنا تقوم على أكتاف المصريين نفسهم . لنتساءل ماذا يعطى المعلم المصرى داخل مصر ، وماذا يعطيه فى بلد عربى اذا أتيحت له فرصة الاعارة أو التعاقد . ان ذات الشخص يعطى خارج مصر بلا حدود ، ويضن أحيانا بالعطاء داخل بلاده ، ومرجع هذا فى واقع الامر لا الى الانسان المصرى ذاته ، ولكن للمناخ الذى يحيط بهذا الانسان .

ان الحياة اليومية فى العاصمة على سبيل المثال اصبحت قطعة من العذاب ، اذ تابعنا رحلة المواطن المصرى العادى اليومية منذ ان يصحو من نومه فى الصباح حتى يأوى الى فراشه فى المساء . ونجد ان هذه الرحلة تتخللها سلسلة من المتاعب والمعاناة .. قد يفتح صنبور الماء ليغتسل فى الصباح فلا يجد ماء .. يخرج من بيته ، فلا يجد وسيلة من المواصلات تحمله الى مقر عمله بسهولة .. اذا ذهب الى مقر عمله ، قد يجد مناخ

عمل لا يشجع على العطاء .. الاتصالات التليفونية التى تنجز كثيرا من الأعمال شبه مقطوعة ، واذا عاد المواطن الى منزله واراد ان يحقق عملا ، فقد يفاجا بانقطاع النور الكهربائى . ناهيك عن جو الملاقات داخل مقر العمل ، وشعور البعض بعدم تكافؤ الفرص .

كل هذه امور جديرة بان تثبط الهمة ، فجدير بنا قبل أن نفكر فيما نسميه اعادة بناء الانسان المصرى ، ان نعيد النظر فى بناء حياتنا من حولنا ، ونهيىء المناخ الملائم ، وانا واثق باننا اذا هيانا مثل هذا المناخ فان الانسان المصرى معطاء ، بل ان عطاءه لا حدود له .

اما اذا قصد باعادة بناء الانسان المصرى ، اعادة نظر فى نظامنا التعليمى ، فهذا امر آخر يدخل فى اطار المناخ الذى اقصده ، ذلك ان الكثير من مدارسنا تحولت الى « جراجات» للتلاميذ تحجب فيها الصبية عن أولياء أمورهم لبضع ساعات ، ويعودون فى بعض الاحيان مثلما ذهبوا .

وعندى أن قضية التعليم ترجع اساسا الى مشكلة المعلم المصري ، واعداد المعلم . ذلك ان مهنة التعليم تدنت مكانتها فى المجتمع ، ولم يعد يقبل عليها شبابنا الا حينما توصد امامهم ابواب العمل الاخرى ، ونتيجة لنظام تنسيق القبول فى الجامعات . لم تعد كليات التربية تجتذب من اعداد المعلمين الا اضعف الطلاب الذين يحملون الآن امانة تعليم اولادنا .. وحقيقة ان مهنة التعليم هى رسالة قبل ان تكون وظيفة .

اعطنى معلما جيدا بلا مدرسة ، فى الهواء الطلق وبلا منهج جيد ، وبلا كتاب جيد اعطك طالبا جيدا . وليس ادل على ذلك من « عريف الكتاب » فى الماضى الذى كان يجيد تعليم طلابه افضل بكثير من تعليم الطلاب فى الوقت الحاضر على أيدى معلمين ندعى أنهم اهلوا تأهيلا تربويا طبقا لاحدث الاساليب التربوية .

وقد درجنا حينما نحاول اصلاح التعليم ان نلقى باللائمة على المنهج وعلى الكتاب الى آخر هذه القائمة التى نوهم انفسنا بأنها العوامل الاساسية في تكمن وراء تدهور التعليم فى مصر ونحاول ألا نواجه الواقع ، فالمسئول عن تدنى مستوى التعليم .. هو المعلم .

ولنجرى استقصاء لمن يقومون بعملية التعليم فى مصر .. كم منهم راغب في اداء هذا العمل ؟ كم منهم أهل له التأهيل الصحيح ؟ . كم منهم يعطى ؟ .. وفى مجال العطاء اذكر أن مشكلة تفشى الدروس الخصوصية تؤكد ان العطاء داخل جدران المدرسة أصبح محدودا واننا توسعنا فى المسالة التعليمية ، فانشانا مدرسة فى كل بيت !

هل الإنسان المصرى

يحتاج إلى بناء جديد ؟

• مطلوب إزالة السلبيات وعقد النقص

• د. جمال زكريا قاسم •

• من المؤكد أن فكرة بناء الانسان المصرى ، لم تكن لتجد استجابة واضحة

لدى كثير من المفكرين ما لم تكن هناك مؤشرات ايجابية تغرى بنجاح هذه الفكرة ، وهذه المؤشرات الايجابية وضحت جيدا فى التغيرات الاقتصادية والسياسية والحضارية التى مرت بها

مصر فى الآونة الأخيرة ، واعتقاد كثير من قادة الرأى أن تلك التغيرات لن تصل الى غايتها المنشودة الا ببناء انسان جديد يتقبل تلك التغيرات ويعمل على استمرارها ووصولها الى غاياتها ، وذلك للسبب البسيط ، وهو أن الحياة

الانسانية بكل مقوماتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليست الا تفاعلا بين الانسان والمجتمع الذى ينتمى اليه ...

واذا كانت قضية بناء الانسان تواجه الفكر المصرى حديثا فان هذه الفكرة تثير فى الوقت نفسه جدلا وحيرة شديدة بين كثير من المفكرين ، ولعل ذلك يرجع فى تقديرنا الى تساؤل هام يبرز امامنا وهو : هل الانسان المصرى يحتاج الى بناء ، أم ان كل ما يحتاجه الانسان المصرى هو ازالة السلبيات وعقد النقص التى علقت بشخصيته فى فترات مختلفة من التاريخ ؟ ..

واذا كان هذا التساؤل يشكل فى حد ذاته قضية جديدة يمكن أن نطرحها فان الاجابة فى يقينى ان الانسان المصرى لا يحتاج الى بناء ولا حتى الى اعادة بناء ، فالانسان المصرى ليس به قصور

واضح يستلزم تقويضه واعادة بنائه من جديد ، وفى يقينى انه يكفى التركيز على ايجاد الحلول للعوارض والسلبيات وازالة الرواسب المرضية التى اعترضت حياته وتغلغلت فى كيانه بعض الشىء ، فالأمر الذى لا شك فيه أن أساس الانسان المصرى كان وسيظل أساسا شامخا يعتمد على مقومات تاريخية وحضارية ، وهذا الاساس القوى ثابت

فى الوجدان ، لا يختلف فيه مصرى عن الآخر ، فالسمات الحضارية واضحة فى تكوين الانسان المصرى ، تلك السمات التى لا اقول انك تستطيع أن تلمسها فى الروائع الاثرية المنتشرة فى

ربوع الوادى ، وانما اقول تلمسها فى السحنة المصرية ذاتها ولو كان صاحبها أميا لا حظ له من الثقافة او التعليم ، أو حتى لو التقيت به فى أقاصى القرى والنجوع .

ومن نافلة القول الاشارة هنا الى ما قدمه الانسان المصرى من ابداع فنى وحضارى خلاق واسهامه فى صنع أروع الحضارات الانسانية، فكلها حقائق دامغة لا مجال لتاكيدها .

على ان التاريخ المصري كان نابضا بالأحداث ومنها أحداث هائلة غيرت مجرى تاريخ العالم نفسه ، وفى خلال ذلك تعرضت مصر لظروف قاسية ومحن كثيرة، ورغم توالى الامبراطوريات والدول فلم تستطع تلك الأحداث على جسامتها أن تقضي على الشخصية المصرية ، وان كانت قد الحقت بها بعض التاثيرات او السلبيات ، لعل أبرزها ان الانسان المصري وجد نفسه خاضعا لحكم اجنبى ، واستطاع بقوة صموده ان يحتفظ بجوهره وان اعتراه بعض الوهن نتيجة للضغوط الكثيرة التى أخذ يتعرض لها .

ولعل التغير الكبير الذى تعرضت له مصر حدث بعد الفتح العربى الاسلامي لها : وكان لذلك الحدث الكبير اثره على سمة الحياة وسمة الشخصية المصرية ، فقد تحولت مصر الى العروبة والاسلام ، وبدأت تتجه الى العالم الاسلامي بعد أن كانت تتنفس فى جو البحر المتوسط ، وفى هذا الجو الاسلامي العالمى ، ظهرت شخصية مصر العربية الاسلامية التى تحمل أبناؤها أعظم التضحيات خلال الحروب الصليبية وخلال صد غارات التتار وهى حروب استمرت عدة قرون ، كان لها اثر فى انهاك موارد مصر ، ويمكن أن نلمس الأثر البالغ الذى تركه ما بذلته مصر من جهود مرهقة على حياة أبنائها العامة والخاصة ، بالمقارنة بأوضاع الحياة العربية قبل بدء هذه الحروب وبعدها ، ولم تكد مصر تفيق من خطر الصليبيين والتتار حتى واجهت البرتغاليين الذين اتجهوا الى اضعاف العالم الاسلامى اقتصاديا بتحويل التجارة الى طريق رأس الرجاء الصالح، وتعرضت مصر من جراء ذلك الى أضرار اقتصادية فادحة ، ثم جاء العثمانيون ليسدلوا على مصر والعالم العربى عدة قرون من التخلف والجمود ، عاش فى خلالها الانسان المصرى قانعا بزاده لم يستطع ان يضيف اليه شيئا بعد ان أغلق بينه وبين التطورات التى أصابت الحياة الغربية ومقوماتها ونظمها ، على اثر اكتشاف الغرب وسائل العلم التجريبي التي بنى عليها ثروته الصناعية الاقتصادية فى حين ظلت مصر متجمدة على وسائل العلم التقليدى ، واستمر الوضع على ذلك حتى جاءت الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، التى يرى بعض الباحثين انها أدت الى تغيير وجه الحياة فى مصر، وان كنا نرى انها أثارت فكرة التغيير وليس التغيير فى حد ذاته . اذ ان التغيرات الثقافية والاقتصادية والعسكرية التى ظهرت فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بعد جلاء الحملة كانت تعتمد على الانسان المصرى وحده ، اذ استطاعت مصر فى عهد محمد على – اعتمادا على مواردها – أن تنطلق حتى غدت قوة كبيرة حسبت حسابها كثير من الدول الكبرى ، ولم يكن اعتماد مصر فى هذه المرحلة الا على مقوماتها الذاتية ، التى استطاعت ان تصنع بها قوة ارهبت الدول الكبرى التي لم تجد أمامها سوى توجيه ضربة للانطلاقة المصرية ، ثم استطاعت مصر بسواعد أبنائها وفكرهم وثقافتهم ان تعاود مسيرتها بعد

هل الإنسان المصري يحتاج إلى بناء جديد ؟

فترة من التوقف حتى دهمت بالاحتلال الانجليزى وما الحقـــه من سلبيات بالشخصية المصرية الى جانب استخدام الحكام لأهوائهم ممـــا ادى الى سلبية الأنسان المصرى وجموده ، وقد صحب

الكفاح السياسى ضد المستعمر كفـــاح فكرى ظهر بمختلف اتجاهاته بين اتجاه دينى واتجاه علمانى ، وأخذت الحيـــاة الفكرية فى مصر وما زالت تتعرض الى

جدل عنيف أثيرت من خلاله كثير من القضايا ، لعل أبرزها تشخيص أسباب التاخر ، وما هى الوسائل التى ينبغى ان تبذل للقضاء على هذه الظاهرة . ومن

الطبيعى أن يتجه الفكر الدينى الى ان علة التاخير تكمن فى ابتعاد الناس عن القيم الروحية والدين الصحيح ، وهناك من راى ان السبب فى التاخر يعزى الى

الاستبداد فى حين ان سر ارتقاء الغرب هو

تضافر المفكرين واولى الراى على بث روح التاثير فى المجتمع ، وهناك من راى ان التاخير يكمن فى السلبيات الممثلة فى

الايمان بالقدر او المجاملات بدلا من العمل والفعل المحكم والنظام الذى يفهم الحق والواجب ، وهنـــاك من راى انه من

الضرورى ان ناخذ كل شىء من الغرب ، بينما راى آخرون ان التقدم فى مصر يكمن داخل مصر نفســـها وليس من اقتباسات تنقل اليها من الخارج ، وأن خطورة ذلك ســـــتؤدى الى ضياع الشـــخصية المصرية ، وانه ينبغى فهم طبيعة المجتمع المصرى الذى خرج من

اقصى ما يستطيع ان يتردى فيه شعب من دمار الى احـــدث ما انتهت اليه البشرية من تقـــدم ، وهو يحاول أن يساير هذه الحياة الجديدة دون تقاليد

او مقومات حقيقية ، ولا يعنى ذلك اننا نذهب الى رفض كل ما هو جديد وانما نذهب الى التمسك بخصائصنا وقيمنا

الروحية والاجتماعية واخذ ما يوائمنا من الحضارة الغربية ، وهناك دول كانت لها تجربة فى هذا الميـــــدان فاليابان لم

تنس تراثها الشرقى حين اتجهت الى الحضارة الغربية حتى أصبحت اليوم منافسة لها فيها .

واذا كان التاريخ قد علمنا ان التفوق والنبوغ ينتقل بين الشعوب فان الانسان المصرى بحضارته وصموده وثباته وبقوة المرتكزات البشرية والطبيعية التى يرتكز عليها قـــادر على صنع المستقبل ليس لمصر وحدها وانما الى أبعد من حدودها . ولكننا لن نستطيع أن نصل الى هـــذه الغاية الا بتحرير الانسان المصرى من عقدة الخوف وتحرير الفكر من قوالب تفرض عليه بحيث يـــكون فكرا مفتوحا يستوعب كل الاتجاهات الثقـــــافية والسياسية والاقتصادية ولا يحصر فى قالب سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى معين .

لقد كانت مصر دائمـــا بوتقة لكل الروافد التى كانت تصب فيها لـــكى تصهرها فى شىء واحد يحمل اصـــالة مصر وعراقتها ، كما ان بناء الانسان المصرى ينبغى ان يرتـــكز على النواحى

الاقتصادية والأخلاقية والروحيـــــة ، وبالتالى فلابد من حشد القوى البشرية فى هذه الميـــادين جميعها الى جانب توجيه مجتمعنا توجيها عصريا كى نضمن عدم التخلف عن ركب الحياة الحديثة مركزين فى ذلك على القيـــم الاجتماعية والروحية التى يعبق بها مناخ الشرق ، فاذا ما قدر لنا ذلك فليس ببعيد أن يبرز الانسان المصرى الى مكان الصدارة

وتعلم مصر الانســـانية شـــيئا جديدا فى عالم جديد كمـــا علمتها بالأمس شـــيئا جـــديدا فى العـــالم القـــديم . .

في الشخصية المصرية

● د . عادل سلامة ●

● ليس من قبيل المصادفة ان يضم حجر رشيد — مفتاح الحضارة المصرية القديمة — نقشا كتب بلغات ثلاث هى المصرية القديمة ، والديموطيقية ، واليونانية القديمة . فمصر منذ اقدم العصور — بطبيعة وضعها الجغرافي — ملتقى حضارات مختلف تمثلتها الشخصية المصرية في كيان واحد . وقد وفدت على مصر منذ تاريخ ذلك الحجر حضارات قوية متباينة هى الحضارة الرومانية والحضارة المسيحية ، والحضارة العربية الاسلامية . وقد استساغت مصر كل هذه الحضارات ، وتمثلتها جميعا فى ائتلاف شديد ، كما سبق لها ان تمثلت ما سلفها من الحضارات فى نسق مصرى واحد .

ومن السهل ان يدرك المرء كيف ان تتابع هذه الحضارات على مصر لم يكن تتابعا تراكميا ، وانما كان تداخلها فى تكوين الشخصية المصرية تداخلا عضويا ، وقد تعايشت كلها عبر القرون رغم ما قد يظهر من غلبة أحد عناصرها على الآخر خلال حقبة ما او عصر ما

فاذا نظرت الى عاصمة مصر وجدت فى تكوينها ونموها ومعمارها دليلا ملموسا على ائتلاف الحضارات فيها وتداخلها العضوى . ففي مساحة ميل مربع فى حى مصر القديمة نجد حصن بابليون الرومانى وقد اعتلاه المتحف القبطى وجاورته الكنيسة المعلقة التى يقال انها اقيمت حيث حطت العذراء رحالها بمصر ، ويتاخم هذين الأثرين مسجد عمرو بن العاص أول مسجد اقيم بمصر ، وقد اتخذت أعمدته من بقايا معبد رومانى قديم ، وعلى مقربة من كل ذلك يوجد اقدم معبد يهودى فى مصر ، وقد ضم بين مقتنياته اقدم نسخة عبرية للتوراة . وعلى مرمى البصر عبر النيل تشمخ أهرام مصر . . فهذه اذن صورة حية للشخصية المصرية التى احتوت بين جوانحها كل تلك الحضارات مجتمعة فى صعيد واحد .

وقد كانت مصر — وما زالت — مقبرة للغزاة ، ولكنها كانت ايضا موئلا لكل بنى الانسان على اختلاف أجناسهم ونحلهم دون ما تفريق أو تمييز . فكما انها اجتذبت الطامعين منذ الهكسوس حتى نابليون والمحتلين الانجليز ، فانها كانت



مستقرا وملاذا للجماعات البشرية التى وفدت عليها منذ القدم من اهل كريت واليونانيين والفينيقيين ، والفرس ،

والافارقة ، والرومان ، والعرب ، والاتراك ، والشراكسة ، وكذلك الأجناس التى المت بها منذ اوائل القرن

الماضى من شرق وغرب .وقد استضافت مصر كل هذه الأجناس من بنى البشر

على مر القرون ، واستمدت من حضاراتهم ، ولكنها صاغت كل هذه الحضارات صوغا جديدا ، واضافت اليها الشىء الكثير ، وفى النهاية ظلت مصر هى مصر .

ومع هذا فقد صاحب التطور الاجتماعى والسياسى فى مصر خلال هذا القرن عدة محاولات متغايرة الاتجاه لتفهم الشخصية المصرية ، ولم تكن كلها — فى الأغلب الاعم — ذات نظرة شاملة

فاتجه طه حسين فى كتابه ((مستقبل الثقافة فى مصر)) الى ربط مصر بحضارة البحر المتوسط ورأى ان الثقافة المصرية

لابد ان تكون فى مجموعها امتدادا طبيعيا لنمط واحد من الثقافات الغربية

الأوربية وهو ثقافة الاغريق . واردف قوله النظرى باجراء عملى وهو انشاء قسم خاص للدراسات القديمة بكلية

الاداب . وفرض دراسة اللغة اللاتينية على طلاب كافة التخصصات بكلية الآداب بما فيها قسم اللغة العربية . وللمرء أن يعجب كيف ان اللغة اللاتينية

والدراسات الكلاسيكية تحظى بكل هذا الاهتمام ، فى الوقت الذى لا تجد فيه الدراسات المصرية القديمة مثل هذا التشجيع .

وظهر اتجاه آخر حمل لواءه المرحوم الاستاذ أمين الخولى فى الاربعينات من هذا القرن وبينه فى كتابه ((فى الادب المصرى فكرة ومنهج)) وهو يدعو فى هذا الكتاب الى اقليمية الأدب ، بمعنى أن

يدرس الادب فى بيئته المصرية خلافا على ما جرى به العرف من دراسة الأدب العربى كاستمرار شامل عبر الامصار

المختلفة ووفقا للعصور السياسية . ويعتقد الأستاذ الخولى أن هناك كيانا

متميزا يمكن أن يسمى بالادب المصرى ، وهو يحدده بالنشاط الادبى المحدود بحدود مصر الجغرافية ، ولكنه مع ذلك

يستبعد من تعريفه ما عسى ان يكون قد سبق الفتح الاسلامى من نشاط أدبى بمصر ، كما يستبعد من الأدب ما ليس مكتوبا بالعربية .

وفى مقابل هذا ظهرت نزعة يمكن أن نسميها بالفرعونية ، ولم تكن هذه دعوة صريحة ، وانما ظهرت فى ثنايا

كتابات بعض المفكرين مثل سلامة موسى وغيره ، وان اتخذت صورا ليبرالية تقدمية فى بعض الأحيان .

وظهر أيضا اتجاه نحو فكرة القومية العربية ، وهى فكرة كان مفهومها للنهضة

أن تكون احياء للمجد العربى فى عصور الازدهار . ولم تكن هذه الفكرة وليدة القرن العشرين ، فقد بدأت بشكل واضح

فى أواخر القرن الماضى ، ولعلها كانت احد الأسس الفكرية للثورة العرابية . . فقد كان عرابى حريصا على اثبات انتمائه

الى اهل بيت الرسول حرصه على ابراز انتمائه الى فلاحى مصر . ويتمثل هذا الاتجاه فى أدب البارودى وكتابات مصطفى

صادق الرافعى ومن تبعهم ، ثم أصبحت مبدأ أساسيا للفكر السياسي منذ أواخر الاربعينات من هذا القرن .

واخيرا هناك اتجاه يتخطى الحواجز الجغرافية والاقليمية ويحاول ايجاد الصلات بين الفكر العربى ككل وبين

الفكر الغربى فى منهج عقلى يستهدف تحكيم العقل دون النظر الى العصبيات الاقليمية او العرقية ، وهو الاتجاه الذى انتحاه الدكتور زكى نجيب محمود فى

كتبه الثلاثة الاخيرة « تجديد الفكر العربى » ، و « ثقافتنا فى مواجهة العصر » ، و « المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى » ـ وهذا الاتجاه لا يضع حدا فاصلا بين مصر والبلدان العربية الأخرى .

وكل هذه الاتجاهات ـ على وجاهتها وعلى جديتها وعلى التزام بعضها بالمنهج العلمى فى البحث والدراسة ـ لم تحط بالموقف الحضارى فى مصر احاطة

شاملة . واختلافها الظاهر هو فى حد ذاته دليل على تعدد الروافد التى دخلت فى تكوين الشخصية المصرية .

ولنقتصر فى هذه المجالة على جانب واحد من جوانب النظر وهو مبدأ عروبة مصر . فهذا مبدأ يبدو الا محل لمناقشته . فلغة مصر عربية ، وهناك

سمات اخرى تشترك فيها مصر مع البلدان العربية الاخرى . ولكن الثقافة العربية ذاتها قد تفاعلت على مر العصور مع ثقافات أخرى امتدت من الفرس

شرقا الى اسبانيا غربا ، ومن الروم شمالا الى الحبشة جنوبا . فكرة العروبة ذاتها حملت فى طياتها تأثيرا متبادلا بين

العرب وغيرهم من الامم ، ومصر العربية كان لها دور رئيسى فى عملية الأخذ والعطاء الذى تم بين الثقافة العربية والثقافات الاخرى باعتبارها فى موقع القلب من أمة العرب . ومع هذا فان

عروبة مصر لا تنفى عنها مصادر أخرى للثراء الحضارى . فمصر تتميز بحضارتها القديمة السابقة للميلاد ، وبحضارتها المسيحية . وقد تركت هاتان الحضارتان بصماتهما فى أشكال فنية غير لغوية ، بالنحت والتصوير والمعمار والموسيقى .

ولمصر فى كل هذه المجالات تراث هائل شغل تفكير البشرية منذ أقدم العصور . كما قدمت مصر فى العصر الهلينستى ـ حين كانت الاسكندرية مصدر الاشعاع الحضارى ـ ثقافة كانت حلقة الصلة بين القديم والحديث فى الفكر العالمى .

ومن ناحية اخرى كانت مصر الاسلامية مفتوحة الصدر لكافة الفرق والشيع ، الا ان الطبيعة المصرية كانت كفيلة دائما بتحقيق ميزان الاعتدال . وكان الازهر ـ وما زال ـ مظلة يستظل

بها المسلمون من كافة الجنسيات ، لا يفرق بين عربى او اعجمي . وضمت اروقته المسلمين من مغاربة وشوام واحباش . ورسالة الأزهر ليست موجهة الى المصريين والعرب فحسب ،

بل ان بين طلبته الآن وافدين من آسيا واوربا وافريقيا والامريكتين

وخلاصة القول ان مصر ـ بطبيعة وضعها الجغرافى ، وبحكم تاريخها الممتد

عبر سبعة الاف سنة ، وبحكم التكوين الأنثولوجى لسكانها ـ هى بلد مفتوح العقل والثقافة على العالم وينبغى ان يظل كذلك .

دراماتيكية البناء الإنسانى الجديد

● د . عبد الفتاح الديدى ●

● لا نشك لحظة فى ان علم الاجتماع هو أصعب العلوم الانسانية لما له من صلة وثيقة بالانسان وبحياته الاجتماعية . ولا يكاد العالم الاجتماعي يقترب من حياة الناس وشئونهم حتى تنبعث الصيحات ضده من كل جانب حتى من جانب من يؤيدونه أو من يعمل لصالحهم . واذا قام عالم الاجتماع بدراسةالظواهر الاجتماعية تمهيدا لاكتشاف مواطن الضعف فى البناء الانسانى أو حرصا على تطوير واقع الانسان الاجتماعى ، هبت ضده العواصف ووقف منهالجميع موقفالعداء ، وناصبه الكثيرون من كل المجالات الكراهية والحقد . وذلك لأن التدخل فى شئون الناس يدفعهم دفعا الى اتخاذ موقف منصاحب الأفكار الاجتماعية مهما كان وضعه السليم ومهما كانت نياته الحسنة ورغباته الصادقة .

فاذا تكلمنا عن دراماتيكية البناء الانسانى الجديد انصب اهتمامنا أولا على عملية الوعى الذاتى بالمشكلة . وهى عملية تتميز بالطابع الدرامى ، لأن الانسان اذا وعى جوانب المشكلة التى يعيشها احس بالمدى الذى يستطيع أن يبلغه أو لا يبلغه فى مسار بناء الانسان من حوله وفى مقدار النمو الممكن تحقيقه فى معاشه . والانسان الذى نتكلم عنه ليس حقيقة ميتافيزيقية أو موضوعا وهميا ، ولكنه كائن حى تتلاطم الظواهر الاجتماعية من حوله وتتضارب عوامل الهدم بداخله ، ويسعى جديا للخلاص من العقبات التى توقف تقدمه . وهو مطالب قبل كل شيء بمعرفة واقعه حتى يسعى بعد ذلك لايجاد الحلول . وهذا هو معنى الدراما التى يعيشها الانسان العربى المعاصر .

المعضلات والعقبات

ويلزم هنا أن نشير الى موقف العلامه ماكس فيبر (١٨٦٤ ـ ١٩٢٢) من حقيه

خط السير الاجتماعى • وقد ترك لنا ماكس فيبر العديد من المؤلفات التى أصبحت اليوم ذات أهمية قصوى فى تحديد خطوات العمل الاجتماعى • واهتم أكبر الاهتمام بابراز أهمية العامل الدينى فى تحريك كل العوامل الأخرى فى مجالات الاقتصاد والسياسة والأخلاق وفى الأوضاع العامة من حيث التقدم والازدهار •

ويضرب فيبر مثلا بحالة بعض اصحاب الميل الى التقشف من الزهاد الذين يجمعون رءوس اموال طائلة ، ولكن احتقارهم للأمور الدنيوية وأخلاقهم المثلى تمنعهم من استغلالها وتدفعهم الى حفظ هذه الأموال لاستصغار شانها وليس حبا فى مآربها ••• وتتوفر ظاهرة التصوف فى كل الأديان ولاتختص بدين من الأديان• وبهذا يبرز الانسان الاقتصادى من بين أضعف الناس رغبة فى ملاذ الحياة• وهو اعتراض حقيقى على المادية التاريخية التى ترى انهيار المجتمعات الراسمالية بحكم اقبال أصحابها على تسخير اموالهم للمتع الهباء •

واذا كان الأقدمون قد عرفوا الانسان بأنه حيوان عاقل أوحيوان صانع فالانسان أيضا حيوان صائم • كتب على الذين آمنوا ، كما كتب على الذين من قبلهم أن الصوم فطرة الانسان • وكتب عليكم الصيام لا تعنى مجرد الأمر بالصيام ، وانما تعنى أكثر من ذلك فى أن الانسان المؤمن مقدر له أن يصوم بحكم طبيعته التى تمنعه وتعصمه وتحكم تصرفاته من حيث هو مخلوق للصوم دون بقية المخلوقات التى لا تقوى على الامتناع والاعتصام •

ويترتب على هذه الصورة فى الحرية بناء الأخلاق • وهو بناء أساسى فى تكوين الانسان الذى نطمع فى ايجاده بعد استقرار السلام• وقد كانت الظروف الحربية من أسباب الفشل فى الحفاظ على القيم الاخلاقية حتى جاء انتصار أكتوبر واعاد الثقة الى نفس هذا الانسان فصار قادرا من جديد على أن يتحدث مليئا بروح الايمان وأصبح طرفا فى علاقات اجتماعية سليمة • واجتاز مرحلة النصر بدون أن يهزمه الغرور فانتقل الى مرحلة السلام وهو يطمع فى خلق مسار جديد تقوى بفضله أحكام الضمير وترتفع من ورائه معدلات الحرية والمسئولية وتزداد فيه مراتب الأخلاق وتعلو من ثم درجة الانسانية فى الانسان •

واهم من هذا كله أن يعترف الانسان الجديد باخطائه وأن يصدق نفسه فى تعداد عيوبه وأن يسلم بالواقع الذى صار فيه حتى يأخذ الأهبة للاقدام على الخطوة الجريئة فى بناء انسانيته ابتداء من دراسة اجتماعية واعية للايجابيات والسلبيات • وهذه اللحظة لحظة درامية كان على الانسان الجديد أن يلمسها بروحه وقلبه استعدادا لمواجهة كل ما يظهر فى طريقه من المعضلات والعقبات •

حياة المستقبل

لكى يتاصل السلام عندنا ينبغى أن نتلفت حولنا لنتعرف على حقيقة ماينقصنا استكماله • ولعله من الواضح أن الانسان يستمد أبنيته النفسية والعقلية والروحية من الأبنية والهياكل والأطر العامة التى تشكل كل المظاهر الحيوية من حوله • فلا يمكن أن تصلح أبنيته الذاتية والعيوب تملأ أرجاء الأبنية الحيوية المحيطة به • فالانسان يمتص أبنيته من العالم الخارجى • واذا كان العالم الخارجى مختلا اختلت أبنيته •

ولذلك ينبغى أن يشمل الاصلاح كل المرافق بحيث لا تقع أعين الناس على شئ معوج • فاذا عاش الانسان فى بيئة ميزتها الصدق صدق فى قوله ، واذا سمع أصواتا حسنة وعبارات رقيقة تحسن ذوقه ، واذا شهد مظاهر الجماليات من حوله ارتفع حسه وترقى شعوره ، واذا وثق بمؤديات العلم اختفت الخرافة من عقله ، واذا احتك بأصول الحضارة والمدنية تهذب سلوكه ، واذا وجد القدوة

دراماتيكية البناء الانسانى الجديد

الصالحة فى المجتمع آمن بعقيدته وتمسك بدينه وعمقت أبعاد وجدانه .

ولا يمكن أن نعود هنا الى سؤالنا التقليدى أيهما أسبق البيضة أم الفرخة . لا يمكن أن نقول هل صلاح الأبنية الخارجية أسبق من صلاح الابنية الفردية أم العكس . ولا شك فى وجود احالة متبادلة بين أبنية الفرد وأبنية المجتمع . ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن الابنية الاجتماعية هى التى تفرض نفسها فرضا على الأفراد . وباكتمال هذه الأبنية لايجد الفرد مفرا من اتباعها اما بالتلقين أو بالاقتداء أو بالاستسقاء . فاذا ظهرت بعد ذلك عيوب فى الأفراد امكن علاجها كحالات منفصلة حتى يتيسر اعادة تكيفها من جديد مع الاسلوب العام والسياق العام الذى يضم أنحاء المجتمع .

ويلاحظ أن الانسان لا يتكيف بسهولة مع الأوضاع الصالحة اذا كان قد اعتاد واستساغ الحياة فى أوضاع زائفة . ولذلك لا ينبغى أن ننسى ونحن نسعى جاهدين من أجل ترقية المجتمع أن نبذل جانبا كبيرا من اهتمامنا لمتابعة الأفراد حتى لا تصيبهم عدوى الاغتراب .

وستظهر مع التطور ومع مظاهر التحول الاجتماعى متناقضات عديدة . وتضيف هذه المتناقضات أعباء جديدة لأن الانسان لا يلبث أن يجد نفسه فى حيرة أمام متطلبات العيش ومتغيرات الحياة من حوله . ويصاب الانسان بما نسميه بالشلل العقلى أمام المتناقضات التى تنبثق من ظروف المجتمع المتجدد . وتنبعث الدهشة المقترنة بالشلل العقلى أمام مظاهر الحضارة العالية ممثلة فى التصوير والموسيقى والسينما كما تنبعث أيضا أمام الصناعات الراقية ذات التكنولوجيا الرهيبة .

ويتشابه موقف الانسان المتخلف فى الحالتين سواء أمام مظاهر الحضارة أو أمام رؤية التقنيات الدقيقة . وفى الحالتين تؤدى به الدهشة الى الشلل العقلى . ولذلك ينبغى أن تتضافر الجهود على تقديم جرعات متعادلة تتوالى درجة درجة الى أن يتحقق التوازن بعد انتهاء الفرد من استكمال أحد الأبنية الذاتية حتى يتأهب لاستقبال مكونات البناء التالى خطوة خطوة الى أن يتحقق له التوازن وهكذا .

ولما كان التغير وليد عقول الناس فمن أهم مظاهر هذا التغير وسائل توصيل الأفكار وابلاغ الآراء . وفى العالم الحديث تشتمل الهيئات المختصة بالتبليغ على وسائل توصيل النظام التعليمى وأجهزة الأعلام بما فيها الصحافة والسينما والاذاعة والتليفزيون . ويهتم علم اجتماع التنمية أولا وقبل كل شىء بالنظام الخاص بالتبليغ فى المجتمع ، ويهتم ثانيا بالأوجه النفسية والشخصية للتغير . وظهر فى علم النفس فرع جديد لمسايرة هذا التغير تحت اسم علم نفس التبليغ . وثالثا تؤدى الاكتشافات التقنية والابتكارات الاقتصادية الى احداث تغيرات فى البناء الاجتماعى يصحبها فى الغالب ضروب من النزاع .

ويصحب النمو الاقتصادى عادة من ناحية رابعة ازدياد اتساع رقعة المدن . وينبغى خامسا أن نفرق بين عمليات التغير فى البلاد التى ازدهر فيها الاقتصاد بسبب نشاط الأهالى الأصليين أو التى وقف فيها أهلها على أرجلهم بجهودهم الذاتية كما يقول الأمريكيون — والبلاد التى

ازدهرت بفعل عوامل خارجية وتحت تأثير أنشطة أجنبية .

وهذه كلها نقاط أساسية وجوهرية في بناء الانسان الجديد . ولا يمكن الشروع فعلا في استقصاء عوامل النمو والتطور بالبلاد بدون تدبر كل عامل من هذه العوامل على حدة .

بناء الانسان الجديد

وقد عرف ماكس فيبر علم الاجتماع بأنه علم السلوك الانساني من حيث هو سلوك اجتماعي . واهتم فيبر أثناء دراسة السلوك الاجتماعي بابراز التصور الخاص بالدلالات المعنوية للأحداث أو بالمعاني الذاتية المستخلصة من مختلف المواقف، وحرص أيضا على أن يفهم كيف استطاع الناس أن يعيشوا في مجتمعات متنوعة ليجعل من تلك الأنماط التاريخية جزءا من فهمه للسلوك الاجتماعي الحاصل بالفعل أو المقبل .

وليست العلوم الاجتماعية في نظره مجرد تفسيرات واعية للمعاني الذاتية التي تختفي وراء السلوك من حيث هو مظهر اجتماعي . بل هي أيضا ظواهر مترتبة على أسباب وعلل . ومن هنا تأتي موضوعيتها ومن هنا يكون لها الطابع العلمي . فلا يقف عالم الاجتماع عند حد توضيح نسق المعتقدات أو سلوك الجماعات . وانما يود هذا العالم أيضا أن يفسر كيف وقعت تلك الأحداث وكيف نشأت طريقة خاصة لدى بعض الشعوب في تنفيذ ما تراءى لها . أو بعبارة أخرى يريد عالم الاجتماع أن يفسر الظواهر بناء على تحديد الأسباب والمسببات ...

وفي رأي فيبر أنه يمكن أن تتجه دراسة السببية اتجاهين : اتجاها تاريخيا واتجاها اجتماعيا . والاتجاه الأول يحرص على ابراز العوامل الفريدة والأسباب المعينة التي أدت الى وقوع حادثة ما وترتب عليها ذلك الحدث . أما الاتجاه الثاني فيفترض اقامة علاقة منتظمة تترتب على وجود ظاهرتين .

واذا سرنا في هذا المخطط استطعنا أن نتعرف أولا على الدلالات المعنوية للوجود الانساني في مناطق الشرق العربي . ومن شأن هذه الدلالات أن تعرفنا على الأسباب التاريخية والأسباب الاجتماعية التي أدت الى بلوغ الانسان العربي هذه المرحلة التي نعيشها الآن وما يمكن أن نتوقعه في المستقبل القريب .

وتشير كل الدلائل الى أن هذا الانسان يحتاج أولا الى بطانة وجدانية جديدة خالية من العاطفية الهوجاء ومن التزمت الضيق . فالأطوار التي يمر بها الانسان تحتم عليه بلوغ مرحلة العقل والارادة والوجدانية المثقفة . وهي مرحلة لا يمكن بلوغها بدون تخلص واع من العواطف في تدبر الأمور ، وبدون استبعاد المؤثرات النفسية المترسبة في أعماقه ، وبدون انطلاق نحو مرحلة عملية جديدة تكون المصالح فيها ذات اعتبار هام .

ومن ناحية ثانية يلزم انسان اليوم أن يسقط الخرافة والشعوذة من طريقه وأن يجعل معيار الفكرة الصحيحة مدى ما يمكن أن تحققه هذه الفكرة في الواقع العملي . فالفكرة لا تكون فكرة الا بمؤدياتها العملية والرأي لا يكون رأيا الا بمدى ما يترتب عليه من أحداث وبمدى ما يحققه بالفعل لصالح الانسان الجديد .

ومن ناحية ثالثة يستعد الانسان الحالي لاستقبال مرحلة جديدة يسودها السلام. وهي مرحلة تتطلب التفكير العصري وتستلزم ذكاء أكبر من المعتاد في تقدير الفرص السانحة وفي استغلال المناسبات المتاحة . وعقل الانسان الجديد مطالب بأن يتقدم الأحداث ويسبقها على أن يوفر لنفسه كل الظروف الملائمة لاحتلال مكانة اجتماعية لائقة تيسر له الالتقاء بمطالب العصر بدون انزعاج وبلا خوف وتمهد لمجيء الرخاء الاقتصادي بالصورة المطلوبة .

هذا الانسان الجديد هو أملنا . وهو ثمرة أحداث عظيمة من شأنها أن تعاونه على الابتكار والابداع .

فهل من رجاء ؟!

بناء الإنسان الكامل

يبدأ من المهد

● د . مصطفى الديوانى ●

كفل الدستور للأسرة باعتبارها أساس المجتمع ، مقوماتها من الدين والاخلاق الوطنية ، واوجب على الدولة الحفاظ على الطابع الاصيل للأسرة المصرية وحماية الأمومة والطفولة ، ورعاية النشء والشباب وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم

كما أن رعاية الاطفال من الواجبات الاساسية للمجتمع ، وفى معاونتهم على النمو نموا صحيحا أمر ضرورى لتمكينهم من الاسهام فى بناء غد أفضل . والتصميم على بناء هذا الغد الذى يضمن لاطفالهم بدورهم التمتع بحقوقهم فى جو من الحرية والكرامة والحب .

ومن هذا المنطلق أنشأت الدولة المجلس الأعلى للطفولة محققا للمفاهيم الرئيسية بشأن رعاية الطفولة والنهوض بها وتوفير أفضل ظروف الحياة لها باعتبار انها تمثل أكبر ثروة للبشرية وأغلى مورد لها .

كما يعبر عن حاجة ملحة يمليها الواقع الذى نعيشه والمستقبل الذى نأمل فيه ، كما انه يعتبر متمشيا مع الاتجاهات العالمية نحو تقرير حقوق للطفل قبل مجتمعه وقبل المجتمع العالمى كله .

وقد صدر القرار الجمهورى رقم ٣١٩ لسنة ١٩٧٧ متضمنا انشاء وتشكيل **المجلس لأعلى للطفولة وتحديد اختصاصاته** ومسئولياته ، وتعيين كاتب هذه السطور أمينا عاما للمجلس

ورأى المجلس بجلسته المنعقدة فى ٢٢/١/١٩٧٨ أن الحاجة تدعو لوضع خطة قومية فى مجال الطفولة وتوفير كل الدراسات الخاصة بوضع هذه الخطة على أن يلتزم المجلس بتنفيذها من خلال **الوزارات المعنية على أن تكون خطة مرنة وتقبل التعديل والاضافة ..**

عناصر سياسة وخطة رعاية الطفولة :

من المسلم به عالميا أن عناصر سياسة رعاية الطفولة وخططها تدور حول ثلاثة محاور رئيسية وهى :

أ ـ الرعاية الصحية للطفل ولأمه قبل وبعد ولادته حتى ينشأ الطفل نشأة سليمة ويتضمن ذلك :

× الوقاية من الأمراض والعلاج منها
× تحسين الظروف المعيشية التى تحيط بالطفل من سكن ومياه وصرف وتغذية .

× تقديم رعاية خاصة للأطفال المصابين بأمراض مزمنة أو المعوقين .

ب ـ الرعاية الاجتماعية للطفل بقصد احاطته بجو من الحب والتفهم وايجاد الضمانات اللازمة لكى ينمو الطفل فى ظل اشراف سليم .

جـ ـ الخدمات التربوية والتعليمية والثقافية التى تضمن تنمية قدرات الطفل وشعوره بالمسئولية وحسن تقديره للأمور وتوجيهه نحو ممارسة مهنة شريفة ، ويلزم أن تتلاءم هذه الخدمات مع ظروف البيئة ومع متطلبات الحياة فى المستقبل وتشمل :

× توفير دور الحضانة .

× توفير التعليم الالزامى والتدريب المهنى .

× ربط التعليم بمتطلبات العمالة المستقبلة .

× الارتفاع بمستوى الثقافة العامة للطفل .

× اتاحة فرص اللعب والرياضة للطفل .

اسلوب وضع الخطة :

من الضرورى أن تتصف الخطة بالمرونة والديناميكية حتى يمكن تعديلها ومراجعتها فى ضوء ما يسفر عنه التطبيق من ناحية ، والبحث فى احتمالات المستقبل من ناحية أخرى ، وذلك ضمانا لتحقيق الاهداف الموجهة فى اطار من المعدلات الطموح التى لابد من تحقيقها .

ولذلك فان العمليات المتصلة بوضع **الخطة وحساب احتمالات المستقبل** والتخطيط لابد وأن تسير جنبا الى جنب **وفى نفس الوقت** ، الأمر الذى يجعلها أكثر قدرة على تحقيق الاهداف الكبرى .

وفى ضوء ذلك رأت الامانة الفنية للمجلس الاعلى للطفولة ضرورة أن تشمل الخطة جميع النواحى فى المجالات الصحية والرعاية الاجتماعية والتعليمية والرياضية والاعلامية والدولية مستوحاة من تقارير اللجان الفرعية والوزارات المعنية .

ويمكن أن تكون سياسة الدولة فى شأن « اعداد الطفل المصرى » على الأسس التالية :

● تدعيم الروابط والعلاقات الاسرية وخلق جو عائلى سليم ، يضمن للطفل نشأة صحيحة ، من النواحى التربوية البدنية والاجتماعية والنفسية والروحية ، ليكون مواطنا صالحا مسئولا بالمجتمع يتحمل مسئوليته القومية بنجاح فى سبيل مجد الوطن وتقدمه ورقيه .

● **معاونة للأسرة على رعاية الطفل من** الناحية الصحية من حيث الوقاية والتحصين من الامراض ، والعلاج للمرضى والمصابين منهم بأمراض وراثية وبمعوقات بدنية ، والتوجه لتوفير تغذية سليمة للطفل حسب مراحل العمر المختلفة .

● **معاونة الاسرة على تفهم مسئولياتها قبل الطفل لضمان تربيته وتنشئته على فهم وادراك لحاجاته والمشكلات التى يتعرض لها فى مراحل عمره وسبل مواجهتها والتوجيه لمصادر الخدمة فيها ، والتعويض عن رعاية الأسرة عند الحرمان منها ، جزئيا أو كليا ، بالوسائل المختلفة وضمان توفير دخل مناسب للاسرة ذات الاطفال عند حضوره فى الحالات الضرورية .**

● توفير فرص التعليم الاساسى المتكافىء لجميع الاطفال والاعداد المهنى اللازم لمستقبل حياة الطفل وذلك فى مراحل التعليم الالزامية التى تقرها الدولة وبالتكامل مع الأسرة فى تربية أبنائها . والاهتمام بالنواحى الروحية وتعميق القيم الخلقية والدينية فى هذا الشأن .

● توفير فرص النمو الثقافى والفكرى للطفل مع توظيف واستخدام وسائل وأجهزة الاعلام المختلفة ومراكز الثقافة فى تحقيق هذه الغاية .

● **توفير فرص النمو البدني والرياضي للطفل ، وتوظيف واستخدام اللعب والرياضة بمراكز ومؤسسات الشباب والرياضة المختلفة على مراحل العمر المتعاقبة .**

● **تأكيد حقوق الطفل وحمايته** ورعايته بالتشريعات العامة والخاصة التى تضمن للطفل وضعه المناسب بالأسرة ومركزه بالمجتمع .

● حماية الطفل من عوامل الاستغلال والانحراف ، والقلق ، والخوف ، والاثارة والقسوة .

● استغلال الطاقات والموارد الاجتماعية والشعبية فى المجتمع بالقيادات الاجتماعية والمنظمات الشعبية والهيئات الاجتماعية التطوعية بما يحقق الترابط والتكامل مع جهود الدولة .

أن الثالوث الخالد (الطفل ـ الدولة ـ المجتمع) لابد أن تسير عناصره فى تناسق وتكامل وتعاون ليصبح الانسان عضوا صالحا فى المجتمع ، خاليا من العقد والشوائب النفسية يعطى بقدر ما يأخذ .

والله الموفق

المواطن المصرى الجديد

فى عالمنا اليوم

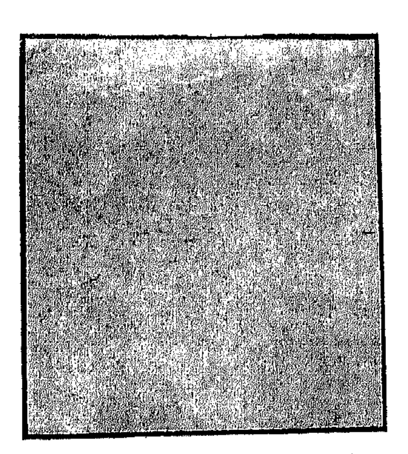
● تحقيق : عاطف مصطفى ●

بناء الانسان المصرى الجديد ، قضية هامة يهتم بها الناس جميعا في يومنا هذا، و ((الهلال)) على عهده يتناول هذه القضايا بالبحث والمناقشة . وخطورة هذه القضية تجيء في مرحلة من أولى متطلباتها اعادة بناء مصر من جديد .. بدءا من اقتصادها ، وانتهاء بحل مشكلات التعليم والاسكان والمواصلات والتليفونات ، وكل مرافق الدولة .

وبناء المواطن له أهميته الخاصة المتفردة .. فالمواطن هو اساس بناء الدولة . ونحن نبغى وطنا قويا يرقى الى مصاف الدول المتطورة .

ان مرحلة السلام التى تتأهب لها مصر الآن ، تحتاج الى جهود ابنائها والى اخلاصهم وتفانيهم من اجل اعادة البناء .. فمصر الشامخة .. مصر الحضارة التليدة لابد أن تعود الى سيرتها الاولى .. ولن يتأتى هذا الا من خلال نهضة شاملة قوامها الانسان صانع الحضارة ، وحامل مشعل التقدم والازدهار والمدنية

وحتى يرى القارىء كيف تختلف الآراء حول هذا الموضوع الهام اجتهد ((الهلال)) في أن يحشد فيه أكبر عددمن آراء المفكرين .. والقضية تبدو وكأنها مصرية ، ولكنها فى الحقيقة عربية .. والمواطن العربى بجملته فى حاجة الى انشاء جديد .. وهذه الاراء فى غاية الطرافة والاهمية بهدف مناقشة القضية من جوانبها المختلفة ، وللخروج بحلول هى اللبنة الاولى فى تصحيح المسار نحو البناء .. بناء الوطن .. وبناء المواطن





الإنسان المصرى .. ربيب حضارة قدماء المصريين .. كان وما زال نموذجاً يحتذى من حيث الصفات الإنسانية

د. عبدالعزيز سليمان
رئيس جامعة عين شمس

يقول الدكتور عبد العزيز سليمان : « بناء الانسان المصرى الجديد » حديث يلفت النظر - اذ يصور هذا العنوان الانسان المصرى وقد تهدم ، او تصدع بما يوجب احياء شخصيته او تكوينه من جديد . وفى الواقع ان الانسان المصرى كغيره من بنى الانسان فى العالم له مقومات الانسانية التى تميزه عن غيره . فالانسان منذ الخليقة الاولى عندما قارب الحيوان فى صفاته كان ذا شهوة جامحة ، لا سيطرة عليها ، وكان حاقدا على اخيه الانسان بالرغم مما ميزه الله على غيره من سائر الكائنات الحية من عقل وبصيرة ، كان عليه ان يدرك بها ما حوله من عظمة الخالق التى تتجلى فى اسرار مخلوقاته المختلفة ، وكان عليه ان يتابع بخبرته مجريات الامور فى هذه الدنيا ليستنبط لنفسه نمطا سلوكيا فى الحياة يرفع من قدره بين كائنات الله قاطبة .

وكان عليه منذ أن هبط على الارض أن يضرب فى مناكبها ويعيش من اكلها ، ولكنه كان كثير العثرات منذ الازل ، فحنق قابيل على اخيه هابيل عندما تقبل الله قربان الاخير ، ولم يتقبل قربانه هو فقتله . واكتسب الانسان بذلك خبرته عن الحياة والموت باصعب وسيلة ، فلا يغيب عنا ما انتاب قابيل من شعور عندما أيقن بما فعله باخيه هابيل من قضائه على حياته .

كدح الانسان وشقى منذ ان وطأت قدماه سطح البسيطة ، وفرض عليه السعى فيها ، وكان عليه حفاظا على حياته وابقاء على نوعه ان يكون قويا ليدفع عنه الشرور والايذاء ، ولم يكن طريق الانسان فى الحياة ممهدا سهلا ، بل ان قصص كفاح الانسان تسجلها له الكتب السماوية حتى فيما قبل التاريخ . ويسطرها كذلك له التاريخ على مر الاجيال .

وقد اكتشفت بالكهوف الاثرية القديمة ، والتى كان يقطنها انسان ما قبل التاريخ رسوم الكائنات الحية ، نباتية أو حيوانية دالة على معرفته بها . وكان ذلك بديهيا حيث انه حاول الاستفادة من بعضها كغذاء ، كما استفاد من منتجات بعضها فى اغراض مختلفة ، وكذلك اتخذ من مشتقات بعض النباتات ومستخرجاتها موادا تقيه من الاضرار المرضية التى تسببها له بعض الكائنات المسببة للمرض ولاقى الانسان فى سبيل ذلك مصاعب جمة نظرا لعدم توافر الخبرة لديه ، وعدم تسلحه بالادوات والاسلحة المختلفة .

وبينما الانسان العصرى ينعم بكل ما لديه من حياة سهلة ميسرة ، فان الانسان الاول كان محروما من كل ذلك فيما عدا ما أمكنه الحصول عليه من بيئته بامكاناته الاولية البدائية ، فكانت سهامه من حجر أو من قطع معدنية او خشبية او غيرها ، وقد اوى الى الكهوف يلجأ اليها ليحتمى فيها من شرور المفترسات ، واتخذ من جلد الحيوان غطاء وكساء . وها نحن فى وقتنا الحالى نتغذى على أفضل الاطعمة المعدة من كل لون بما يلائم كل ذوق ، ويرضى كل رغبة بينما الانسان الاول قد اغتذى على الغذاء الفطرى من نبات وحيوان يلقى الامرين فى صيده أو الحصول عليه .

وليس امامنا ونحن ننعم بفضل

الانسان المصرى
ربيب حضارة قدماء المصريين

الامكانات الهائلة التي وفرتها لنا العلوم والمدنية الحديثة الا ان نحمد الله ان وفر لنا هذه النعم ، وهذه الحياة السهلة التي يجب أن تكون لنا دافعا على بذل جهودنا لاسعاد بنى البشر فى جميع بقاع الأرض ولتحقيق مستقبل انسانى موفور السعادة للبشرية جميعا ٠

وظهور الحضارات الانسانية على الارض قد اقترن بمراحل زمنية معينة ، كما اقترن بمواقع جغرافية محددة ٠ وكانت حضارة بابل من أول الحضارات الانسانية ، وقد استمرت حتى أواخر العصور الوسطى ٠ واشتهر قدماء المصريين بحضارتهم التي نشأت فى وادى النيل ، وأثارت خبرتهم دهشة الجميع فيما أحرزوه من نجاح فى كثير من آفاق المعرفة ، وهكذا عرفت فيما بعد مواطن حضارية فى مختلف انحاء العالم ٠

ومصر مهد حضارة قدماء المصريين ، لم تنطفىء فيها جذوة الحضارة والمعرفة ، وان هبطت أو خبت فى بعض مراحلها ٠ والانسان المصرى ربيب هذه الحضارة الاصيلة ، كان ومازال نموذجا يحتذى من حيث الصفات الانسانية ٠ وان كانت بلاد كثيرة قد سبقت مصر من حيث تقدمها وتطور التكنولوجيا الحديثة فيها ، الا أن ذلك ليس معناه سبقها لمصر حضاريا وانسانيا ، ومازالت الصفات الانسانية الكريمة لاصقة بالمصرى ، وليس هناك من هذه الصفات ما يدانيه فيها انسان آخر شرقى او غربى ٠٠

ولكن ما بال الانسان المصرى قد اصبح متهما بانه يحتاج لتجديد وتطوير ؟!

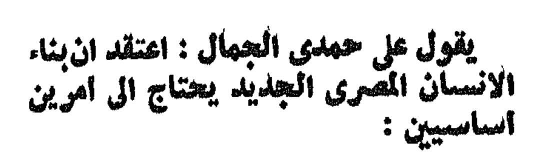
ان بعضنا قد يربط بين الانسان ، طبيعته وصفاته وآدميته ، وبين مدى التقدم العصرى فى مجالات الحياة ، والذى اصبح مقياسا لتحضر الامم ٠ وليس هنا مجال لبحث الفرق بين العصرية والمدنية ، والتقدم التكنولوجى ، وصفات الانسان ٠ فمن الجائز أن يتميز شعب ما بصفات انسانية سامية ، بينما هو يعيش فى بيئة متاخرة حضاريا والعكس صحيح ٠

وفى رأيى أن التطور والتقدم التكنولوجى والعصرى ، لا يرتبط بصفات الانسان ، بل بطبيعة عمله ٠ فالصفات الاصيلة قد تفشل وحدها فى تحقيق بعض الغايات الدنيوية ٠ وهذه تحققها طريقة المعيشة ، وأسلوب العمل ، ونمط الحياة وهذا هو ما نحتاج الى تغييره فى الانسان المصرى ٠ فلسنا بحاجة لبناء الانسان المصرى ، بل نحن بحاجة لتعديل اسلوب حياته ، ونمط عمله وادائه ، لكى يصبح اكثر فاعلية واقوى انتاجا ٠

فالتكنولوجيا يمكن أن تستورد ، ولكنها بحاجة لمن يطوعها ويطبقها ويحسنها وينميها ٠ والميزة فى الانسان المصرى أنه طيع سلس القياد ، اذ ما وجد القدوة ، واذا ما ثبت له تحقيق ما يستهدفه من عمله ٠ ولسنا بحاجة الى تعديلات جذرية لكى يؤدى المصرى ما نحتاجه منه ٠ نحن بحاجة لانشاء مراكز تجميع بيئية تكون بمثابة أماكن اشعاع للاداء الامثل فى كل مجال لكى تكسب من حولها الخبرة ، وتقود بنى الوطن فى كل البيئات لما يتطلبه الوطن منهم ٠ فالبيئة الريفية بحاجة لمراكز خلق وعى ريفى جديد يجعل التعاون اساسا للحياة فى الريف ، ويطور العمليات اليدوية المختلفة لميكنة محببة ترفع العناء عن كاهل العاملين فى الريف ، وتوجد مراكز الانتاج فى كل نجع وكل كفر وقرية ، لتصبح هذه المراكز وقد غيرت وجه الحياة فى الريف الى ما نرجوه له ، وكذلك البيئات الصناعية والحضرية كلها بحاجة لايجاد مراكز تقود الحياة فيها للاصلح ٠ وفى أوساط المثقفين والعاملين فى كل مجال ، لابد من ايقاد جذوة تقدم عصرى لا تقف آماله عند حد ، وليكن شعار المصرى ٠٠ كل يد تنتج ، وكل ميسر لما خلق له لا يؤدى غير ما يتقن ، وهذا اسلوب تغيير سريع عاجل ، لابد وأن يقترن بادخال وسائل نشر الوعى والتدريب بين الناس ، وفى المحافل والمدارس والمنتديات ليصبح المجتمع جميعه وقد دبت فى أوصاله نغمة جديدة تدفع به الى مصاف الدول المتقدمة ، وبهذا نكون قد عدلنا نمط واسلوب اداء الانسان المصرى ، واذا استخدمنا مجازا التعبير الآخر الذى لا أقره ، نكون قد اعدنا بناء الانسان المصرى الجديد ٠

بناء الإنسان المصرى يحتاج إلى خطة تأخذ فى الاعتبار وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب

على حمدى الجمال
نقيب الصحفيين



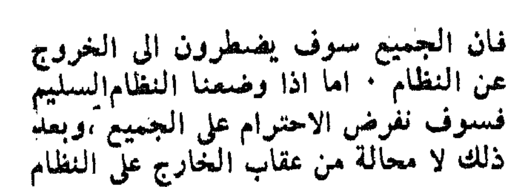
يقول على حمدي الجمال : اعتقد ان بناء الانسان المصرى الجديد يحتاج الى امرين اساسيين :

١ ـ القدوة الحسنة ٠٠ ٢ ـ الحسم او الحزم

أولا ـ القدوة الحسنة : أرى أن كل انسان فى موقع قيادى يجب أن يكون قدوة لكل الذين يعملون معه ، فيبدأ بنفسه أولا حتى يكون مثالا طيبا امام جميع العاملين معه ٠ فاذا كان الذى يشغل موقعا قياديا يتمسك بأخلاقيات العمل ، ويخدم النظام ويرعى الله وضميره فى كل ما يقوم به فى موقعه ، فانه بذلك سوف يعكس ذلك كله على كل من يعمل معه ، ويستطيع فى ضوء هذا الوضع ان يعاقب كل من يخرج عن قيم العمل واخلاقياته ، وما يحتاج من جهد وعرق ٠

ثانيا ـ الحسم : فيما يتعلق بالحسم ، فانني أعتقد ان هذا امر حيوى وضرورى ، ان نلزم كل مواطن ان يخدم النظام ، ولست اعني بالالزام ، توقيع العقوبات ، ولكن بتهيئة المناخ السليم كى يفرض النظام احترامه على كل مواطن ٠

ولنأخذ مثالا بسيطا ٠٠ المرور فى شوارع القاهرة ، او شوارع المدن المختلفة ٠٠ اذا لم ينظم بالاسلوب الذى يمكن قائد السيارة والسائر على قدميه من الحركة ،



فان الجميع سوف يضطرون الى الخروج عن النظام ٠ اما اذا وضعنا النظام السليم فسوف نفرض الاحترام على الجميع ، وبعد ذلك لا محالة من عقاب الخارج على النظام

ومن هنا ففي رأيي أن بناء الانسان المصرى يحتاج الى خطة تأخذ في الاعتبار وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، ثم التخطيط السليم الذى يدعم ويحافظ على تنفيذ كل ما نصدر من قوانين ، ونتخذ من اجراءات ٠

والمواطن المصرى لايحتاج الى جهد كبير لبناء الانسان ، فهو مواطن صبور ، ملتزم يتحمل مسئولياته بقدرة ، بشرط أن نهيىء له الظروف والامكانيات التى يحتاج اليها ٠ ودليلى فى ذلك أن معظم المصريين الذين يعملون في الخارج قد شقوا طريقهم ووصلوا الى مواقع قيادية متعددة الجوانب لانهم وجدوا المناخ الصحى للعمل ، وكل الامكانيات للحياة المريحة ، والحركة السليمة ٠

ومن الطبيعى أن يبدأ تخطيطنا لبناء الانسان المصرى فى المدارس ، ويستمر ذلك حتى المرحلة الجامعية ، حيث يتلقى التلميذ منذ بداية عهده بالدراسة التوجيه السليم ، فى احترام النظم والاخلاص فى العمل ، وأنه لا رقيب على الانسان الا ضميره ٠ فليست القوانين وحدها قادرة على بناء الانسان ٠ وانما بالتدريب

بناء الانسان المصرى يحتاج إلى خطة

والممارسة والقدوة الحسنة يتشكل الانسان بالطريقة التى يصبح بها خلية نشطة ، تخدم المجتمع الذى تعيش فيه ٠٠ وكل الدول التى سبقتنا الى التقدم حرصت كل الحرص على تعميق مفاهيم واجبات المواطن وحقوقه قبل الدولة التى ينتمى اليها ٠

وفى رأيى أن الصحافة كوسيلة من وسائل الاعلام تتحمل مسئولية ضخمة فى بناء الانسان المصرى ، فبقدر التزام الصحافة بأخلاقيات المجتمع ، والمحافظة على تقاليده ، بقدر ما هى قادرة على توجيه الجماهير نحو واجباتها ومسئولياتها تجاه وطنها ٠

والصحافة ايضا قادرة على أن تعكس لمن يملكون اصدار القرار آمال الجماهير وآلامهم بحيث يجىء القرار دائما ملبيا لهذه الامال، ومعالجا للالام. فالصحافة هى قناة الوصل بين القيادة والقاعدة ، وبقدر قيامها بالتوصيل الجيد ذهابا وايابا بين الاثنين ، بقدر ما تستطيع أن تسهم فى بناء الانسان المصرى ٠ وهنا يكون من الطبيعى أن جميع العاملين فى وسائل الاعلام مطالبون بان يكونوا المثل الطيب حتى يستطيعوا أن يحملوا الرسالة التى يتصدون لحملها ٠ ومن هنا كنا دائما ننادى بالصحافة الواعية وبالاقلام الشريفة التى تتحمل أمانة توجيه الجماهير نحو اهدافها القومية باسلوب لايرعى الا مصلحة مصر ، ومستقبل مصر دون ان تفرض مبادىء وافكار لاتستقيم مع عقائدنا وديننا وتقاليدنا ٠



لابد لبناء الانسان المصرى الجديد من ترسيخ المفهوم الصحيح للثقافة العربية

بدر الدين أبو غازى
أمين مساعد مجلس الوحدة الاقتصادية العربية

يقول بدر الدين ابو غازى : قضية بناء الانسان ٠٠ أى انسان ، قضية مركبة تتداخل فيها عناصر ومقومات بالغة التعقيد ، وهى قضية تشغل رجال الاقتصاد والاجتماع والسياسة كما انها بالضرورة تشمل الصحة والتعليم والثقافة وتكوين السلوك والعادات التى تعين على اقامة مجتمع سوى متكامل ، فالبناء اذن بناء مادى يتناول كيان الانسان الظاهر ، وبناء فكرى بتكوينه العقلى ، وبناء وجدانى يرقى الى القمم العليا فى الانسان ٠ وبكل

هذا نرتقى من مرحلة البشرية الى مرحلة الانسانية ، وبين الاثنين شوط طويل .

واذا ما انتقلنا بعد هذا التعميم الى تخصيص يتعلق ببناء الانسان لتبين لنا أن المهمة شاقة وعسيرة ، وانها تتطلب ارادة واعية ، وحشدا لكل الطاقات من اجل أن يتحقق للمجتمع العربى المقومات التى تجعل منه مجتمعا عصريا متكاملا ، وأن يكون انسان هذه الامة العربية جديرا بتراثه وقيمه الحضارية ، مزودا بالاسباب التى تتيح له معايشة عصره .

والانسان العربى من المحيط الى الخليج يعيش فى أوضاع ومستويات متباينة .. فأنت تجد هوة كبيرة بين الفقر الذى الى حد الجوع حيث لقمة العيش لا الرغيف ، هى وحدة الغذاء ، وبين الغنى الذى يبلغ حد التخمة والاستغراق فى الترف . وهوة أخرى بين الجهل الذى يصل الى الأمية الكاملة ، وبين العلم والثقافة الى مستوى نظيره الأوروبى . اذا كنا ننشد اذن بناء الانسان العربى فينبغى ان يتجه البناء الى الكل لا الى قلة تمثل الصفوة . هذا هو المعيار الحقيقى للتقدم .

ان الأمة العربية تنطوى على موارد وطاقات هائلة لو احسن استغلالها ، واحسن ايضا توزيعها لوفرنا لكل مواطن عربى حاجة الغذاء ، وامن المسكن ، ومستلزمات الخدمة الصحية ...

الطعام لكل فم .. والمسكن لكل اسرة .. والعلاج لكل مريض .

تلك ضرورات ومقومات من حق الانسان .. كل انسان ، اذا لم تتوافر هذه المقومات للكل فمن العسير ان نتحدث عن بناء الانسان العربى .

تأتى مع هذا مشكلة الامية .. تلك الظلمات التى تحيط بقطاع كبير من العقل العربى ، هل نستطيع أن ننشيد بناء شامخا للانسان العربى قبل أن تنقشع ؟

وليس محو الامية الابجدية الا وسيلة لمحو اثرها الخطير الذى يتمثل فى التخلف والجهل وما يعكسانه من آثار خطيرة فى بنية المجتمع العربى ، ومن هنا تشكل هذه القضية محورا اساسيا فى بناء الانسان . وتأتى بعد ذلك قضية التعليم .. لقد آن له أن تدركه ثورة شاملة حتى تؤدى المدرسة دورها فى الاعداد الفكرى للانسان العربى ، وفى ارساء القيم فى نفسه ، وشحذ الحساسية والابتكار .

تعليمنا فى الأعم الأغلب تعليم تلقينى يطمس الملكات ، ويطفىء وهج المواهب ، ولابد لمؤسساتنا التعليمية أن تأخذ بمفهوم التربية بمعناها الشامل .

والتعليم والثقافة معا جناحان لتنمية الفرد ، وتكوين قدراته وسلوكه ، وصياغة فكره ووجدانه ، ولابد من النظر الى الثقافة والتعليم معا على انهما استثمار اجتماعى واقتصادى طويل الامد متعدد العطاء .

غير ان التعليم غير الثقافة ، وتكوين المتعلم المثقف يتطلب جهودا كبيرة لمحو امية المتعلمين . وخطر الثقافة يقتضى اختصاصها بأجهزتها ومؤسساتها ، على أن يقوم بينها وبين اجهزة التعليم رابطة تكامل ، فالاستقلال مع التكامل يحقق لهاتين المؤسستين الكبيرتين .. التعليم والثقافة امكانيات افضل فى بناء الانسان العربى .

ان التنمية الثقافية دعامة اساسية الى جانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وخطر التنمية الثقافية يتضح مع ظاهرة التقدم التكنولوجى

لابد لبناء الانسان المصرى الجديد من ترسيخ المفهوم الصحيح

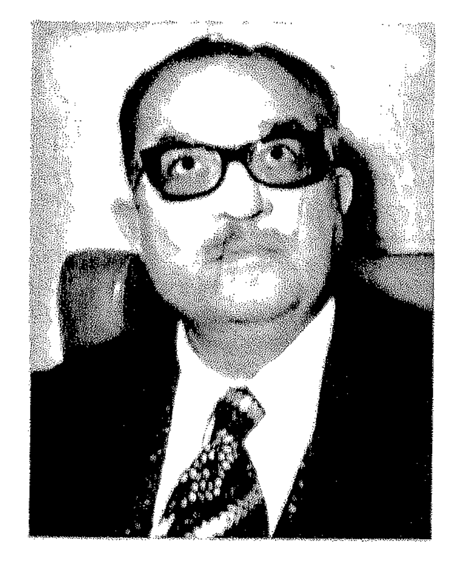
وما يحمله من خطر على البناء الانسانى اذا ما أهملت التنمية الثقافية ، وترك للانتاج التكنولوجى ، وللانتاج الصناعى النمطى الفنان ، وما لم تتجه التنمية الثقافية الى تحقيق التوازن الداخلى للفرد .

وفى مثل مجتمعاتنا النامية التى تقع فى قبضة التأثيرات العصرية ، ومدينة السوق ، تصبح التنمية الثقافية مطلبا ملحا وضرورة حتمية .

لابد لبناء الانسان العربى من ترسيخ المفهوم الصحيح للثقافة العربية من حيث هى ثقافة قومية وانسانية معا ، وان الامر يتطلب تكوين الشخصية المتكاملة لأفراد المجتمع العربى ، وتهيئتهم للوعى بتراثهم ، والانتماء لامتهم ، واعدادهم لمايشة عصرهم ، واستيعاب معطيات الفكر الحديث والثقافة العالمية المعاصرة ، وتمثل القيم الفنية والجمالية .

تستطيع هذه القيم الثقافية ان تكون مصدا للغزو الثقافى الذى يتهددنا خطره ، وقد يستلبنا هويتنا . ومن هنا ينبغى ان تكون الثقافة لبنة وركيزة فى بناء الانسان العربى ، وحقا له مرادفا لحقه فى التعليم ، وحقوقه السياسية والاجتماعية، وبغير ذلك كله، يصعب الحديث عن بناء الانسان العربى ، او يظل هذا الحديث وهما من الاوهام .

دور الإذاعة والتليفزيون مهم جدًا فى بناء الإنسان المصرى الجديد على شريطة أن تكون أداة تثقيف ورفع لعقول الناس .



ثروت أباظه
سكرتير عام اتحاد الكتاب

يقول الأديب ثروت اباظة : اعتقد أن كل خير واضح ، وان كل شر واضح ، فالناس لا تحتاج الى من يريهم طريق الخير ، او من يحذرهم من طريق الشر . انما يحتاج الناس الى ما يشجعهم على الخير وما يعاقبهم على الشر عقابا فى الدنيا وليس فى الآخرة .

فبادىء ذى بدء لا امل فى اى تقدم حضارى فى مصر اذا مضينا فى طريق تدليل العاملين فى الحكومة وفى المصانع دون ان نطبق عليهم الجزاءات والعقوبات

كان الله سبحانه وتعالى خليقا بأن يكتفى بأنه خلق الناس وأفاض عليهم ما أفاض من خير وكان هذا وحده جديرا بأن يجعل عباد الله جميعا

يعبدونه عن حب لا عن رغبة او رهبة. ولكنه سبحانه وتعالى خلق الجنه وخلق النار ، ووعد بالنعيم وأوعد بالجحيم . ولن يستقيم أمر اذا لم يعرف العامل أن هناك ثوابا ينتظره .. ان أحسن عملا ، وعقابا سيوقع عليه .. ان أساء عمله . وليس هناك طريق آخر اطلاقا ، ولك أن تنظر فى جميع مرافق مصر ، وكيف تدهورت منذ أن دللنا العاملين ..

هذا هو العلاج السريع ، أما العلاج الآخر الذى لا أعتقد أن صلاحا سيتم الا به ، فهو أن نتيح الكتابة والثقافة العامة للجمهور كافة ، ولكن هذا قد يرد عليه بأن الأغلبية الساحقة للشعب المصرى أمية أميةهجاء ولهذا نتجه مباشرة الى الاذاعة والتليفزيون لتكون أداة تثقيف ورفع لعقول الناس ، بدل أن تكون أداة انحدار لأذواقهم ، وهبوط بعقلياتهم ، وهم الأميون . وأنا أعتبر أن جريمة الاذاعة هنا والتليفزيون أضخم من أى جريمة لجاهل ، فليس هناك عذر لمن يملك وسائل الثقافة ويتجنبها . والعذر كل العذر للأمى اذا أصبح سخيفا أو تافها .

والملاحظ فى السنوات العشرين الماضية أن الاذاعة والتليفزيون كانت تتملق أحط الغرائز وأسفل المشاعر الانسانية لتصيب بعض ضحكات فارغة من الجمهور، وكأنما الاذاعةوالتليفزيون حريصة على أن تبيع بضع تذاكر فى الشباك ، شأنها شأن الأفلام السينمائية بينما هى وسيلة اعلامية تدخل بيوت الناس دون اذن . وكان المفروض أن تنتهز الفرصة لترتفع بأذواقهم وأفكارهم وتصل بينهم وبين الثقافة حتى لا تصل الى الحضيض الذى بلغته عمليات « العملية فى النملية » و « الاكس فى التاكس » ، وليس معنى هذا أن أثقل على الجمهور . فالثقافة اذا أحسن عرضها تكون أحب الى الجماهير من التهريج .

وأنا أستطيع ان اذكرك ، واذكر من فى سنى بما كان يضحكنا ونحن اطفال .. وما أصبح يضحك الكبار اليوم . لقد كان يضحكنا « الريحانى » بروايات عالمية ممصرة ، وبانتقاد لجميع مناحى الحكم والحياة الاجتماعية فى مصر . بينما أصبح المسرح الكوميدى ، او اغلبه على الاقل يقوم على الحركات البهلوانية ، والمقابلات اللفظية التى كان يعف عنها مسرح السامر فى الارياف . وأعتقد أن الفضل ، اكبر الفضل فى هذا الانهيار فى الذوق يرجع الى الاذاعة والتليفزيون

ومحصلة القول انه لكى نبنى الانسان المصرى ، يجب أن نضعه على الطريق بالثواب والعقاب ، ثم نتيح له منابع الثقافة ليعرف الطريق بعد ذلك دونحاجة الى ثواب او عقاب

بناء الانسان المصرى الحديث يجب أن ينطلق من الفهم الواعى للشخصية المصرية التى تقوم على الأساسين الثابتين من الدين والحضارة

د. يوسف خليف
رئيس قسم اللغة العربية آداب القاهرة

يقول الدكتور يوسف خليف : فى هذه المرحلة الحاسمة فى حياة وطننا العظيم، ونحن نستقبل فجر السلام الذى اخذت اضواؤه تاتلق فى الافق بعد ان طال تكاثف الغيوم فوقه طوال ثلاثين سنة ، يبدو انه لا مفر من أن نعيد النظر فى حياتنا لنبنيها بناء جديدا يتفق مع طبيعة المرحلة الجديدة التى بدات فيها اضواء الفجر الجديد تغمر وادينا الاخضر ، ويحقق لنا ما يملأ نفوسنا من آمال كبار فى أن يعود لوطننا مكانه الذى كان له منذ فجر التاريخ تحت

بنـــاء الانســـان المصـــرى الحديث يجب أن ينطـــلق من الفهم الواعى للشخصيـــة

الشمس . وليس هناك من شك فى أن القاعدة التى يجب ان يقوم عليها هذا البناء الجديد ، حتى لا يكون بناؤها على أساس من الرمال تنهار تحته لدى اول عصفة رياح تتحرك من حوله ، هو بناء الانسان المصرى صانع الحضـــارة فى هذا الوطن منذ ان بدأ التاريخ يسجل أول سطوره فى سفر الحياة على ضفاف نهرنا المقدس .

وليس من اليسير أن نعيد بنـــاء الانسان المصرى الا على أساس من الفهم الواعى للشخصية المصرية ، والادراك الدقيق لمقوماتها الأصيلة ، وهى شخصية لم تنبت كأى نبت شيطانى من فراغ ، ولكنها تستمد مقوماتها من تاريخ حضارى طويل يضرب بجذوره فى ارضنا الطيبة الى سبعة آلاف سنة .

وفى رأيى أن أول هذه المقومات هـــو الدين ، فمنذ فجر التاريخ عرف المصرى القديم فكرة الخلود ، وآمن بأن هناك حياة أخرى بعد الموت ، وأن هنـــاك حسابا وثوابا وعقابا ، وميزانا ينصب للبشر يزن حسناتهم وسيئاتهم ، ومحكمة الهية عليا تحـــاكمهم على ما قدموا فى حيـــاتهم الدنيا من أعمال . ولم تكن اسطورة ايزيس وأوزوريس الا رمزا لهذا الايمان بالخلود ، ولم يكن التحنيط وبناء الأهرام ومراكب الشمس وكتـــاب الموتى الا اعدادا لهذه المرحلة البعيـــدة الطويلة فى عالم الخلود نحو الحيـــاة الأخرى التى لا تعرف الموت ، ولا تعرف الفناء ، والتى تمتد الى لا نهائية مجردة لا يعرف مداها الا الآلهـــة ، ولم يكن انتشار المعابد الضخمة على امتداد النهر المقدس الا تعبيرا عن هذا الايمان الدينى الذى تغلغل فى أعماق المصرى القـــديم ، وأصبح مقوما أســـاسيا من مقومات شخصيته ، ثم كانت عبادة آتون التى دعا اليها نبى مصر القديمة الأول اخناتون ارهاصا مبكرا لعقيدة التوحيد ، وعبادة اله واحد تتوحد فيه الالهة . وهـــو ارهاص كان من الممكن أن يغير من مجرى الحياة الدينية فى مصر القديمة لولا حركة الردة التى أصابته على أيدى كهنة آمـــون بعد وفاة الداعية الاول للدين الجـــديد . ثم كانت الدعوة الى التوحيـــد الحق عندما شـــرفت أرض مصر بنبى الله يوسف عليه السلام عندما بلغ رسالته الالهية « **أ ارباب متفرقون خير أم الله الواحد القهـــار** » . ثم ظهـــر ابن مصر الذى ولد على أرضها الطاهرة ، وحملتـــه أمواج النيل المباركة وليدا صغيرا الى قصر فرعون حيث قضى طفولته وشبابه ، نبى الله موسى عليه السلام ، وظهـــر معه أخوه هارون ، يجددان الدعـــوة الى عبـــادة الله الواحد الأحد . ثم تواصلت الخطى على طـــريق التوحيد عندما فتحت مصر ذراعيها لتضم اليها الأسرة المقدسة فى فرارها من الوثنيـــة الرومانية . ثم عندما سالت على أرض الاسكندرية دماء شهداء المســـيحية الأوائل تروى شجرة الدين الجديد ، ثم عندما استقبلت مصر المجـــاهدين المسلمين يرفعون فوق ارضها الطيبـــة اعلام الدين الذى جاء به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأتم الله نعمته على الوادى الاخضر فأخـــذ المصريون يدخلون فى دين الله أفواجا ، وتوهجت المشاعل فوق كل المآذن تنشر أضواء الدين الحق فى كل رج من أرجائه المباركة ، وتضىء جنبـــات الشخصية المصرية بتلك الروحانية الصافية التى تمثـــل المقوم الاول من مقوماتها الاصيلة .

وفى رأيى مرة أخرى — أن المقـــوم الثانى لهذه الشخصية الذى يمثـــل الخط الموازى للدين هو الحضـــارة . فمصر — بدون منازع — هى صـــانعة الحضارة الانسانية ، فعلى ضفاف نهرها الخالد اشرقت شمس الحضارة فى وقت

كان العالم فيه لا يزال يتخبط في ظلمات الجهل والتخلف . وفي الوقت الذي كانت فيه اكثر شعوب الأرض تعيش قبائل متفرقة ، ظهر ملك مصر الاول مينا ليعلن قيام أول دولة موحدة في التاريخ لها نظامها وقوانينها وحكومتها التي تقوم على امورها ، وعرفت فكرة الوطن لأول مرة في التاريخ . وليس من شك في ان الحضارة المصرية هي التي اضاءت المشاعل في الطريق الذي سلكته كثير من الحضارات القديمة . وعلى امتداد تاريخها الطويل عبر آلاف السنين لم تتخل مصر عن دورها الحضاري البناء ، فقد تعاقبت عليها الحضارات الفرعونية والمسيحية والاسلامية ، وشاركت كل حضارة منها في بناء الصرح الشامخ للحضارة الانسانية ، وحتى في مراحل التخلف الحضاري التي فرضت عليها في بعض عصورها التاريخية لم يخمد الجمر ، ولم تنطفىء الشعلة المقدسة ، وانما احتجب الجمر تحت الرماد ليعود الى توهجه بعد حين .

وقد استقرت للانسان المصري عبر تاريخه الطويل مجموعة من القيم الأصيلة والتقاليد الراسخة ، مستمدة من هذين المقومين الأساسيين ، ولم تفلح كل الأعاصير التي تعرض لها وادينا الاخضر في أن تقتلع هذه الجذور الثابتة التي انبتتها أرضنا الطيبة ، أو أن تعصف بالشجرة الطيبة التي ثبت أصلها في الأرض ، وارتفعت فروعها في السماء ، ولم تستطع كل العناصر الدخيلة التي فرضتها علينا بعض الظروف الشاذة في تاريخنا أن تمحو معالم هذه الشخصية أو ان تلغي قيمها وتقاليدها ، وانما ذابت هذه العناصر وانصهرت في أتون هذه الشخصية الذي لم تخمد نيرانه في يوم من الأيام . وعلى الرغم من عقدة « الأجنبية » التي كانت تحاول من حين الى حين ان تفرض نفسها على هذه الشخصية لم تستطع هذه العقدة أن تلغي هذه الشخصية أو ان تضعف منها أو ان تلقي بها بعيدا في منطقة الظل ، وانما ظلت هذه الشخصية دائما في دائرة الضوء . ولم تتخل عن دورها مركزا للاشعاع في حياة الانسان المصري الذي استطاع — من خلال تجربته التاريخية الطويلة — أن يوازن موازنة بارعة ذكية بين «الشرقية» و « الأجنبية » وان يخرج من بينهما بهذه « المصرية » الخالصة التي استطاعت أن تستوعب التطور الحضاري الحي .

وفي رأيي — مرة ثالثة — أن بناء الانسان المصري الحديث يجب ان ينطلق من هذا الفهم الواعي للشخصية المصرية التي تقوم على هذين الأساسين الثابتين من الدين والحضارة اللذين استطاعت ان تزاوج بينهما هذه المزاوجة البارعة الذكية ، حتى يقوم البناء على أرض مستقرة لا تهتز تحت أقدامنا ، وحتى لا يمضي طريقنا في تيه سحيق ، او بيداء مضلة لا نتبين فيها مواقع خطانا .

ومن أجل أن نرفع القواعد من البناء الثابت المتين ، ومن أجل أن نصل الى الواحة الخضراء التي تتراءى لنا في نهاية الطريق ، لابد أن نؤصل احساسنا بهذين الجانبين الروحي والحضاري ، وان نعود الى رصيدنا الضخم منهما لنعمل على تنميته بكل ما يقدمه لنا العصر من أسباب التنمية حتى نلاحق ركب الحياة المنطلق دائما الى الامام .

وعلينا ان نعمق ايماننا بماضينا الروحي والحضاري ، وان نؤكد ارتباطنا به ، وان نتخذ منه القاعدة التي يقوم عليها بناء مستقبلنا ، غير منفصلين عن تطور الحياة من حولنا ، او عن التقدم المذهل الذي يسجله العصر الذي نعيش فيه ، والذي يشهده العالم الذي نرتبط به ، والذي تهاوت الحواجز التي كانت تفصل قديما بين اجزائه المتباعدة ، ولكن على اساس من الانتخاب والاختيار لما يصلح لنا ، وما يتفق مع قيمنا الأصيلة وتقاليدنا الراسخة ، وما يحقق لنا هذه الموازنة البارعة الذكية بين الدين والحضارة ، بين الروح والمادة ، بين الشرقية والغربية . وعلينا ان نؤمن — قبل كل شيء — بان اغصان الزيتون التي بدات حمائم السلام تحملها مع مشرق الفجر الجديد ، انما تعلن بعثا جديدا للانسان القديم الذي آمن منذ فجر التاريخ بالبعث والخلود .

نتيجة مسابقة الهلال :



● د. محمود علي مكي ●

● كان العدد الخاص الذي اصدره « الهلال » حول « محمد صلى الله عليه وسلم : رؤية جديدة » محاولة من جانب « الهلال » وأسرة تحريره لتقديم صورة جديدة لسيرة النبي الاعظم ، تلك السيرة التي كانت ولا تزال معينا لا ينضب من الدروس والعظات ، وكانت المسابقة التي نظمها « الهلال » في ذلك « العدد شعبان ١٣٩٨/اغسطس ١٩٧٨ » بعنوان « مواقف واحداث في حياة محمد » فرصة لملتقى جديد مع قرائه الأعزاء من أجل تدارس السيرة المحمدية الشريفة . كان الهدف من ذلك هو تعميق الثقافة الدينية ، والدعوة الى مزيد من المعرفة الصحيحة بالمواقف والاحداث في حياة الرسول عليه صلوات الله وسلامه . فالايمان الذي يقوم على المعرفة الدقيقة والبحث العلمي السليم — بعيدا عن الخرافة والفكر الغيبي — هو الكفيل بتصحيح مسيرة حياتنا ، وبتأصيل الاعتداد بالقيم الروحية التي لا حياة لمجتمع صالح بغيرها .

لقد كان لقاؤنا بالاخوة القراء حول عشرة أسئلة تدور كلها حول مواقف من حياة الرسول الكريم أو من سير أصحابه رضوان الله عليهم ، وهي اسئلة كانت الاجابة عنها تقتضي معرفة واسعة بالسيرة النبوية وتقصيا لتفاصيلها . وكم كان مثلجا لصدورنا وباعثا للسعادة في نفوسنا ان نرى من قرائنا استجابة كريمة لتلك الدعوة ، يدل عليها العدد الهائل من المشتركين في المسابقة ، فقد وصل الينا ما يتجاوز ثلاثة الاف رسالة من مختلف انحاء العالم العربي . وهذا يدل على أن في امتنا وعيا عميقا بالدين ورسالته والاحترام لقيمه والعناية بكل ما يتصل بالرسول الاعظم صلوات الله عليه . ولهذا فنحن نقول للمتشائمين المتوجسين خوفا من تلك الدعوات المادية الالحادية التي تهب علينا رياحها تارة من الشرق وتارة من الغرب : اطمئنوا فان امتنا لا تزال بخير !

وقد كانت الأسئلة التي طرحناها لا تخلو من صعوبة ، وبعضها يحتمل اكثر من جواب ، اذ ان بين كتب السيرة فيها خلافات نص عليها المؤلفون ، الا اننا اثبتنا ما اشتهر في المصادر القديمة التي تستحق القدر الاكبر من الثقة ،

مثل سيرة محمد بن اسحاق التى قام بتهذيبها عبد الملك بن هشام . ومع ذلك فان عدد الذين اجابوا عن الاسئلة كلها اجابات صحيحة كان كبير جدا ، حتى اننا اضطررنا الى طرح رسائل الاجوبة الصحيحة فى اقتراع يختار فيه الفائزون من بين اصحاب هذه الرسائل. وبقى بعد ذلك عدد كبير من الاجابات بذل اصحابها فيها جهدا مشكورا ، الا ان التوفيق جانبهم فى الرد على بعض الاسئلة . والى هؤلاء ايضا نوجه الشكر والتقدير ، اذ ان حكمهم كحكم المجتهد المخطىء ، وهو مأجور عند الله باذنه تعالى .

ولنا بعد ذلك كلمة نستعرض فيها النتائج التى كشفت عنها مسابقة « الهلال » :

١ ــ كانت رسائل المشتركين فى المسابقة تصور عناية فائقة بالسيرة المحمدية الشريفة ممتدة على طول العالم العربى وعرضه من ساحل الخليج الى الدار البيضاء ، ومن حلب الى قرى جنوب السودان ، بل انها جاوزت حدود العالم الناطق بالعربية الى بلاد افريقية يدين كثير من سكانها بالاسلام

ونود ان ننوه بصورة خاصة بكثرة ما تلقيناه من رسائل من المغرب العربى ، ولا سيما من الجمهورية التونسية والمملكة المغربية الشقيقتين ، وكذلك الامر فى عدد كبير من الرسائل تلقيناه من الجمهورية السورية الشقيقة . اما فى مصر فان ما وافانا به قراؤنا يمثل كل انحاء البلاد من دمياط والاسكندرية فى الشمال الى اقصى قرى اسوان .

٢ ــ كان المشتركون فى المسابقة يمثلون كل الاعمار ، وقد كان من الطريف أن نرى من بين رسائلهم ما كتبه شيوخ يناهزون الثمانين ، وصبيان صغار فى مستهل العمر دون الخمسة عشر عاما. وحتى اذا فرضنا ان هؤلاء الصغار الذين كتبوا الينا قد تلقوا مساعدة أو توجيها من كبار افراد اسرهم فما كان هذا لينال من روعة الظاهرة ، بل يؤكدها ويزيدها جلاء ، ولهذا فان ثناءنا وشكرنا ليس موجها فقط الى هؤلاء الصغار ، **بل كذلك الى أسرهم التى حرصت على غرس الايمان فى نفوسهم . ولاحظنا ايضا ان الرسائل كانت تنتمى الى الجنسين، وجدير بالتنويه اقبال الفتيات والسيدات على المسابقة ، وهذه ايضا ظاهرة جميلة تدل على ان فى كثير من اسرنا من يحسنون تربية بناتهم ويتعهدونهن بالرعاية ويشجعونهن على الاهتمام بامور دينهن .**

٣ ــ لم يكتف الكثيرون بالرد على الاسئلة ، وانما بذلوا فى هذه الردود جهودا مضنية من الاستقصاء والرجوع الى مختلف المصادر ومناقشة رواياتها على نحو علمى سليم ، حتى تحولت بعض الرسائل الى ما يشبه ان يكون مقالات رائعة تستحق كل ثناء وتقدير

وسنورد فى النهاية اشارات مقتضبة الى بعض ما استوقف نظرنا من اجابات ليست الا نماذج قليلة من عدد هائل من رسائل القراء كان الكثير منها يستحق التنويه ، لولا ضيق المجال :

ــ الاخ عبد الودود ذوكرى (استاذ اللغة العربية ، ٢٨ سنة ، صندوق بريد ٧٠٠٥ ــ داكار ، السنغال) : اجابات صحيحة عن جميع الاسئلة ولغة عربية سليمة وثقافة دينية ممتازة . خالص التهنئة .

ــ طلعت فتحى محمد عبد اللطيف (٣٢ حارة حسين ، حى المصاص ، المنيا) : اجابات تدل على عناية وان كان التوفيق قد أخطأه فى بعضها ، وقد حبر لوحة خطية انيقة تكشف عن ذوق مرهف .

ــ محمد السيد الداودى (٦٦ سنة، الحنفى ، الجلاء ، المنصورة) : اجابات صحيحة عن كل الاسئلة، موثقة ومدعمة بالمصادر ، منبئة عن سعة علم واستبلاغ فى التقصى . تهنئة للاخ الداودى ، ونحن

نطمئنه الى اننا نضعه في اعلى مكان من نفوسنا .

ـ محمد احمد عبد العزيز زيدان (٢١ سنة ، ١٧ ش علي حمادة عزبة منصور ، حدائق القبة ، القاهرة) : جهد عظيم في التوثيق مع ذكر المصادر بصفحاتها .

ـ محمد محمود مصطفى البرعي (٢٥ سنة ، الخانكة ، شارع عبد الكريم باطه ، حارة البرعى ، محافظة القليوبية) : جهد كبير في الاستقصاء يدل على سعة المعرفة .

ـ عزيز عبد الرحمن دحدوح (٣٢ سنة ، السيوف ، مدينة ناصر ، ش١٢ ، اعلى مسجد الشهيد ، الاسكندرية) : لم يقدم اجابات وانما بحوثا مستفيضة حول كل سؤال .

ـ محمد جمعة ابراهيم (٧٧ سنة ، ١١٤ شارع الاسكندرية ، الاسماعيلية) : اجابات سليمة وان كانت هناك اخطاء في نقل الاسماء ، الا انها تدل على اطلاع واسع .

ـ مصدق كراولي (١٥ سنة ، السبتي كراولي ، الدوالي ، قفصة ، الجمهورية التونسية) : اجابات على الرغم من بعض الاخطاء اليسيرة تدل على ايمان صادق ومحاولة طيبة لبذل الجهد في سبيل المعرفة .

ـ حسن محمد سليمان (٧٧ سنة ، ٦ شارع سليمان جوهر ، شقة ١٤ ، الدقي ، الجيزة) : اجابات صحيحة وتفصيل مدعم بالمصادر يستحق كل تهنئة .

ـ ديدى محمد اليسوري (الحي الاداري ، مدينة فكيك ، المملكة المغربية) : اجابات سليمة تدل على سعة معرفة وعمق ايمان .

ـ محمد سعيد عبد الله (حارة رقم ٤ ، شارع ١٣ ، المسجد الجامع الشيخ اسحاق ، ص ب ١٧٥٨ جمهورية جيبوتي) : اجابات صحيحة . شكرا على تحيته الرقيقة وتمنياته الطيبة ، ونعده بأن نبذل كل جهودنا لخدمة الثقافة العربية . والغريب انه يقول في خطابه انه ليس متعلما ولم يلتحق بمعهد دراسي . وهذا تواضع يعهد مثله من مؤمن ، فاجاباته تدل على علم وتحقيق .

ـ مجدل خلف علي (٢٤ سنة ، دائرة البريد ، عامودا ، الجزيرة ، الجمهورية السورية) : اجابات صحيحة وعناية فائقة بالتوثيق والتحقيق . شكرا على تحيته الكريمة ، ونعده بأن نمضي في « حمل رسالة الكلمة التي تحمل الامانة أمام الله وامام الناس »

ـ المكي خليصة (٢٨ سنة ، المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية بمدنين ، الجمهورية التونسية) : اجابات سليمة تكشف عن ثقافة واسعة . شكرا لتحيته الرقيقة ونعده بان نواصل العمل في سبيل خدمة الثقافة العربية

ـ السيد محمد احمد عبد الكريم (سوهاج ، ١٥ شارع السيد سليمان) : اجابات صحيحة وعناية كبيرة باعداد هذه الاجابات مع التفصيل الواسع واناقة الخط .

ـ حسام الدين مصباح (١٤ سنة ، عمارة رضوان ٢٠ شاطىء رادس ، الجمهورية التونسية) : اجابات سليمة

واهتمام فائق بدقة المعلومات وتفصيلها

ـ خيبرى عبد الحميد (٢٨ سنة ، وزارة الدولة للشئون الثقافية، شارع غاندى ، الرباط ، المملكة المغربيـة) : اجابات سليمة تدل على عناية ودقة فى تقديم المعلومات . شكرا للتحية الرقيقة

ـ محمود احمد محمد عبد الرحيم (١٩ سنـة ، الاقصر ، القـرنة ، الحساسنة) : اجابات صحيحة جديرة بكل ثناء .

ـ **محمد عبد الله ابراهيم العـوين** (٢١ سنة ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، المملكة العربيـة السعودية) : اجابات تتسـم بالدقة والتفصيل ، تهنئة خالصة .

واخيرا نكرر الشكر لجميع قرائنـا اسهامهم معنا فى هذا العمل ، وماتفضلوا به من عبارات الثناء على جهد «الهلال» وأسرة تحريره ، ونعدهم بأن نواصـل مسيرتنا معا فى هذا السبيل ، ونتمنى لهم جميعا كل توفيق ، والى اللقـاء فى مسابقات قادمة ، وكل عام وانتـم بخير .

نموذج للاجابات الصحيحة
فى مسابقة مواقف واحداث
من حياة محمد (صلى الله عليه وسلم)

١ ـ اول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هـو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه

٢ ـ الذين هاجروا الى الحبشة فى الهجرة الاولى :

كان اول من خرج من المسلمين عثمان ابن عفان ، مع امرأته رقية بنت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة مع امرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن ابن عوف ، ومصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد المخزومى مع امرأته ام سلمة ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب بن نفيـل مع امرأته ليلى بنت ابى حثمة ، وسهل بن بيضاء ، وأبو سبرة بن أبى رهم «ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو » .

اى ان هؤلاء المهاجرين الاولين كانوا عشرة رجال واربع نساء ، وقد يضيف اليهم بعض كتاب السيرة اسمـا أو اسمين .

٣ ـ اسرى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام بمكة ، وعرج به الى السماء من المسجد الاقصى فى بيت المقدس .

اما الاختلاف فى تحديد المكان الذى كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نائما فيه عندما اسرى به : اذا كان الحجر او الحطيم او بين زمزم والمقام او فى دار ام هانىء بنت ابى طالب فلا مشاحة فيه، فكلها مواضع من المسجد الحـرام او قريبة منه ، والنص القرآنى صريح فى ان الاسراء كان من المسجد الحرام

٤ ـ نقباء الانصار الاثنا عشر فى بيعة العقبة الثانية : تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس ، اما التسعة فهم : ابو أمامة أسعد بن زرارة ، سعد بن الربيع ، عبد الله بن رواحـة ، رافع بن مالك بن العجلان ، البراء بن معرور ، عبد الله بن عمرو بن حرام ، عبادة بن الصامت ،

سعد بن عبادة بن دليم ، المنذر بن عمرو ابن خنيس ، واما الثلاثة فهم: أسيد ابن حضير ، سعدبن خيثمة بن الحارث، أبو الهيثم بن التيهان (وبعض كتاب السيرة يضع فى مكانه رفاعة بن عبد المنذر) .

٥ ــ كانت سن الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثا وخمسين سنة

٦ ــ اول غزوة غزاها الرسول هى غزوة ودان ويقال لها أيضا الابواء فى صفر من سنة اثنتين للهجرة ، وفيها وادع بنى ضمرة بن عبد مناة بن كنانة، ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا

٧ ــ اول راية عقدها رسول الله كانت لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ،وذلك فيما قال ابن اسحاق ، وقال المدائنى ان الراية الاولى كانت لعم الرسول حمزة ابن عبد المطلب .

٨ ــ سرية نخلة (بين مكة والطائف) كانت فى رجب من السنة الثانية للهجرة، وقاد هذا البعث عبد الله بن جحش ابن رئاب .

٩ ــ نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعى رضى الله عنه هو الذى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه العبارة . وكان المشركون من قريش قد حاصروا المدينة يوم الخندق وخرج معهم حلفاؤهم من غطفان ومن معهم من اهل نجد فنزلوا بجانب احد ، واشتد الحصار على المسلمين . واتى نعيم بن مسعود الاشجعى الغطفانى الرسول فاعلن له انه اسلم وان قومه لم يعلموا باسلامه بعد وطلب اليه ان يامره بما شاء .فقال له الرسول : انما انت رجل من غطفان فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة .

واتى نعيم بنى قريظة ثم قريشا ثم غطفان فخذل بينهم حتى اختلفت كلمتهم .

١٠ ــ كان للرسول عليه الصلاة والسلام شعراء كثيرون ينافحون عنه وعن الاسلام ، ولكن اشهرهم حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك .

الفائزون بجوائز المسابقة

اجريت القرعة بين اصحاب الاجابات الصحيحة ، تحت اشراف لجنة المسابقة برئاسة الدكتور محمود على مكى ــ فاسفرت عن النتائج التالية :

الفائز الاول : محمد السيد الداودى الحنفى ــ الجلاء المنصورة ــ وجائزته عشرون جنيها

الفائز الثانى : محمد احمد عبد العزيز زيدان

عزبة منصور حدائق القبة : وجائزته عشرة جنيهات

الفائز الثالث : محمد جمعة ابراهيم

١١٤ ش الاسكندرية ــ الاسماعيلية: وجائزته خمسة جنيهات .

الفائز الرابع : عزيز عبد الرحمن دحدوح

السيوف ــ مسجد الشهيد ــ الاسكندرية : وجائزته خمسة جنيهات

تهنئة للفائزين ودعوات خالصة لمن لم يصادفهم الفوز بان يفوزوا فى مسابقات الهلال القادمة ان شاء الله ...

الشاعر والثريا

● ابراهيم صبرى ●

وَسِنتُ ذاتَ ليلةٍ مَليّـا — فداعبتْ منامىَ الثريـا
وأومـأتْ إلىَّ أنْ أجِبْنى — أترتجى مكانةً لديّـا
أجبتُ : يا رفيعةَ المكانِ — ودرّةَ الضياءِ فى الزمان
لى مَطْلبٌ يُكِنه جَنَانى — ولا يُبيحُ سِرَّهُ إلىَّ !
قالتْ لعلَّ شأوَه مُثالُ — أعِز منْ مكانتى يُنالُ
وربّما أضلّهُ الخيالُ — وظنّ مَنْ تكونه نبيًّا !
فقلتُ يا ربيبةَ المعالى — سألتُه ... فهزّه سؤالى
وثارَ مِن تعجب لِحالى — وكاد أن يشقَّ جانبيًّا !
قالتْ ألَمْ يُجبْكَ إذ أثيرا — مُصرحا إليكَ أو مُشيراً
لَعله يريدُكَ الأميرا — على الورى مُحكّما عليًّا !
فقلتُ بل أشارَ للترابِ — وقال فى الثرى تَجِد جوابى
فطارَ مِن مقالِه صوابى — أأنظرُ الثرى أم الثريّا !
أجابَ أنّهُ لدى عُلاكِ — يَحارُ شوقُه إلى بهاكِ
فانه لديكِ لا يُراكِ . — ولا يكونُ بالسهى حفيًّا
دعوتُه .. تروَّ يا جَنانى — فانك استهنتَ بالأمانِى
أترفضُ العُلا وقد دعانى — وتستحب موئلا دنيًّا ؟
تبسّمَ الجنان مستخفّا — كمَنْ تملّكَ الدنا وعفّا
وقالَ ما قصدتُ أن أسِفّا — بل التمستُ موضِعاً رضيًّا !

***

تُعِزه إقامتى مَليّا — ولا يَمُنّ رفعةً علىَّ
هو الثرى .. لكنّه بمكنى — بهِ يَضمّنا العُلا سويًّا !

العالم الإسلامى

كما يراه كاتب أمريكى مسلم..

● تقديم : محمد الحديدى ●

● لأجل مثل هذه الفقرة فى مقالة الأمريكى المسلم المستر توماس آبركرومبى ، نعرض للقارىء العربى هذه المقالة ، ومن أجلها أيضا فاننا نغتفر له بعض الأخطاء ، فلو أنه كان قد استشار واحدا من علماء الاسلام فى ما لا يعرفه — والمرء لا يمكنه أن يحيط بكل شىء وليس عيبا أن يطلب الكاتب علم الثقات — لكان قد زوده بالحق والحقيقة وأحاله الى الآية الكريمة التى يقول فيها تعالى للرسول : ((**فلنولينك قبلة ترضاها**)) فاتخاذ مكة قبلة لم يكن رد فعل سياسى لموقف اليهود ، كائنا ما كان هذا الموقف .

ولكن هذا لا يقلل من قيمة هذه المقالة الرائعة ، المصحوبة بعديد من الصور التى التقطها الكاتب بنفسه ، وهو يسميها ((السيف والموعظة)) وهما فى الانجليزية كلمتان تبدأ كل منهما بحرف السين ولعل هذا هو ما جعل الكاتب يجمعهما معا للدلالة على معنى ((القوة والحق)) أو ((القوة والايمان)) كما كان يمكن أن يسميها كاتب عربى اللغة .

ونحن — فيما نظن — فى حاجة ماسة الى مزيد من العلم بصورتنا فى أنظار العالم ، بعد أن أمكننا تحسينها وتوضيحها الى درجة لم يكن المرء يظنها ممكنة منذ عشر سنوات مثلا ، نحن فى حاجة الى الاحساس بوجود غيرنا فى هذا العالم ، والى حاجتنا الى التفاعل مع هذا الوجود ومع حقائق العصر .

والآن الى هذه المقالة ، وهى رحلة فى كلا المجالين : الزمن والمكان ، فالكاتب يقدم تاريخ الدعوة الاسلامية منذ الوحى الى بناء الامبراطورية ، وهذا هو الجانب الزمنى ، ثم يأخذنا الى كل مكان من أنحاء الامبراطورية ، باحثا عن الاسلام متأملا فى أحوال المسلمين ، وهذا هو الجانب المكانى .

●

فى ضاحية حديثة من ضواحى مكة وقفت أتحدث الى الشيخ أمين عبد الله

« اذكر جيدا زيارتي الاخيرة لاورشليم، قبيل حرب ١٩٦٧ وهي لا تزال مدينة مقسمة ، كنت واقفا في شرفة فندقي انظر الى القطاع الاسرائيلي ، الذي يقع على مسافة لا تزيد كثيرا على كيلو متر، وكان معي « سيد » ، وهو صديق من عرب فلسطين ، وقفنا نرقب الالعاب النارية التي كان يقيمها الاسرائيليون احتفالا بيوم استقلال اسرائيل - «كما يسمونه ! .. استقلالها عن من ؟.» - وهي تتصاعد فوق رءوس الجنود المشتركين في العرض العسكري .

وسالت صديقي : قل لي يا « سيد » ، لماذا لا يسمح العرب للاسرائيليين بزيارة حائط المبكى ؟ بالنسبة لهم ، هو واحد من اكثر المواقع قداسة على ظهر الارض ...

وقال « سيد » بلهجة قاطعة : قل لي انت ، اعلى ظهر الارض شيء اكثر قداسة للمرء من بيته ؟ وقد كان بيتي في يافا ...

« وبعد سفري من الارض المقدسة ببضعة ايام ، غزا الاسرائيليون الاردن ، واصبح في استطاعة اليهود لأول مرة منذ عشرين سنة ان يزوروا اماكنهم المقدسة . اما المسلمون فقد أصبحوا هم الذين لا يستطيعون زيارة هذه المدينة المضطربة، التي يعدها نصف اهل الارض مكانا مقدسا : المسيحيون والمسلمون واليهود ! »

● توماس ابركرومبي ●

الشعبي ، المسئول الرسمي عن المحافظة على الحرم ، قال لي : في الجاهلية كانت الكعبة تضم ٣٦٠ صنما ، وكان رجال القبائل ياتون من كل انحاء الجزيرة العربية ليحجوا لهذه الالهة الحجرية ، ولكن أبينا سفه الوثنية ، وعلمنا أن الله واحد لا شريك له ، وانه قادر على كل شيء مطلع على كل شيء ، وانه من الحمق ان نصل اليه من خلال الأوثان

ثم أراني مفتاح الكعبة ، أداة من الصلب المحلى بالذهب ، وقال لي ان اسرته تسلمت هذا المفتاح من الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنا

في بداية الدعوة الاسلامية ادت تعاليم الرسول الى الحد من نشاط الحجاج الذين كانوا ياتون من كل مكان لعبادة الأوثان ، فالدعوة اذن لم تقتصر على تسفيه عباد الأوثان من زعماء مكة ، بل حدت من ارزاقهم ايضا ،وهكذا بدات اعمال التهديد والعدوان على النبي وصحبه ، والتي انتهت بهجرتهم الى واحة يثرب التي تقع حوالي ٣٢٠ كم الى الشمال ، عبر الصحراء ، وذلك سنة ٦٢٢ م . من الذي كان يدري ان هذه الحادثة ستتحول مجرى الحياة الانسانية ، وانه بعد مائة سنة سوف ترتفع راية الاسلام فوق ثلاث قارات ،

من أطراف الصين الى جبال البرانس؟!

●

على قدر بطولة العرب في معاركهم، كان علو نفوسهم وشهامتهم وقدرتهم على العفو عن أعدائهم في انتصاراتهم ، وقد ادرك ذلك سوفرونياس، البطريرك البيزنطي في أورشليم ، فتقدم بطلب السلام لما رآه من سماحة العرب عندما فتحوا دمشق . وقد جاء الخليفة عمر ، ثاني خلفاء الرسول ، بنفسه ليتقبل التسليم وليؤمن أهل أورشليم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، وعندما صحب البطريرك خليفة المسلمين في الزيارة ، حان وقت الصلاة ، وقام أحد الجنود المسلمين بفرش حصير على أرض الكنيسة ليؤدي الخليفة الصلاة ، ولكنه أحجم عن ذلك وخرج الى الفناء ، قائلا انه لو صلى في صحن الكنيسة فان هذا قد يدفع المسلمين الى الاعتزاز بالموضع الذي صلى فيه الى حد تحويل الكنيسة الى مسجد . وهو ما لم يحدث . هذا المسلك من خليفة المسلمين الفاتح المنتصر ، يظهر مدى سماحة العرب واحترامهم لعقائد غيرهم ، ويوجد الآن مسجد صغير في الموضع الذي صلى فيه عمر، وكل اشراقة شمس يسقط ظل المئذنة على الارض ويلتف حول اقدس مكان عند المسيحيين .

وفي أثناء خلافة عمر ، وصلت الفتوحات العربية الى أقصى درجة من الفاعلية والحيوية ، وخلال عشر سنوات خضع اغلب الشرق الأوسط لجيوشه المنتصرة ، التي دخلت فارس وشمال افريقيا في آن واحد . وعلى ضفة النيل ، حيث توجد القاهرة الآن ، سقط حصن بابليون بعد حصار دام سبعة أشهر ، وفي بحر سنة ونصف كان القائد عمرو بن العاص قد أخذ الاسكندرية ، وهي القاعدة البحرية الرئيسية لجيوش بيزنطة ، والعاصمة التي تأتي بعد القسطنطينية ، وضمت غنائمه « أربعة آلاف فيل ، وأربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي يدفعون الجزية واربعمائة مكان للتسلية »

ثلاثة قرون مضت قبل أن يأتي الفاطميون لينشئوا القاهرة ، وهي الآن **اكبر مدينة في افريقيا ومركز الفكر العربي ، وبما لديها من كتب وصحف وجامعات وموسيقى وسينما وسياسة ، لها وقعها على كل انحاء الشرق الأوسط ، وقد قال لي صديق في مراكش التي تقع على الطرف الغربي البعيد : « اذا هبت زوبعة في القاهرة فان كل عربي يحس بلفح الهواء »**

وفي منزل صديق يسكن في حي الدقي في القاهرة قدم لي الفسيخ والبصل ، وقال لي : « هذا طعام هذا العيد ، شم النسيم ، وهو عيد يرجع الى ايام الفراعنة . القاهرة مدينة عربية ، وهي عربية منذ اكثر من الف سنة ، ولكننا لا نستطيع ان نمحو الخمسة آلاف سنة الأولى من تاريخنا »

حركة التنوير الاسلامية

كانت الروح العالية والتفاني والفداء التي مكنت العرب من ان يأخذوا من بيزنطة أفضل ولاياتها هي ذاتها التي ختمت على مصير الامبراطورية الفارسية . من العراق ، انطلق سعد بن أبي وقاص ليبعثر قوى أزدشير الثالث كما تبعثر الزوبعة رمال الصحراء ، وسرعان ما استولى على الجزيرة بين دجلة والفرات ، وفر الملك الى الأراضي الشمالية التي تقع الآن داخل الاتحاد السوفييتي ، وانتهت فارس .

واذا كان العرب قد تعلموا الكثير من حضارة فارس التي ترجع الى الف وخمسمائة سنة قبل الفتح الاسلامي ، فقد كان لديهم الكثير مما يعطونه للفرس ، وفي ظل الاستقرار تحت حكم العرب ، وبوحي الديانة الجديدة ، ازدهرت فنون فارس وعلومها وتزاوج التراثان ، وبمجيء القرن العاشر ظهرت اللغة الفارسية في ثوب جديد ، فقد اثرتها الكلمات العربية وكتبت بالحروف العربية التي مازالت تكتب بهما الى اليوم ، وبهذا وذاك جاءت بادب فارسي جديد ، وجاءت بشعراء وأدباء عظام مثل حافظ والسعدي وعمر الخيام .

وقال لي الدكتور سيد حسين نصر الاستاذ بجامعة طهران ، والذي حاز شهادته من هارفارد اثر تقديم بحث في العلوم الاسلامية : عمر الخيام يشتهر في الغرب برباعياته ، ولكنه كان عالما بالرياضيات والفلك ، وليس مصادفة أن كان علماء فارس القدماء نظراء لمن تسمونهم اليوم في الغرب « رجال النهضة » . فكما تعرف ، كانت حركة التنوير الاسلامية — خاصة في أسبانيا وصقلية — هي صاحبة الفضل في انارة الطريق أمام طالبي المعرفة الأوروبيين في العصور الوسطى »

وقد شهد مطلع القرن السابع عشر في فارس العصر الذهبي للفن الاسلامي والعمارة الاسلامية ، خاصة في أصفهان ، حيث لا تزال المآذن والقباب الزرقاء ، التي تشملها الحكومة الايرانية برعاية قصوى ، تطاول السماء ، وفاء للشاه عباس الكبير صاحب المنشآت العديدة ، الذي يقول شاعره صائب :

**« كل قطعة من حجارتها تساوي كنزا
وحدائق الياسمين تبزغ فجرا في قلب الليل »**

وهو قول ينطبق على اصفهان اليوم

أيضا ، حيث لا يزال الزائر ينعم بالسير من خلال طريق « شهر باغ » أي الحدائق الأربع ، حيث يعرض البائعون مشغولات الخزف والسجاد ورسوم الزيت والجواهر والأقمشة المزركشة والسلع النحاسية ، وحيث ساومت لاشتري « اسطرلاب » ، اداة فلكية يونانية اتقنها العرب ، وحيث قابلت « بن رافي مائيري » وهو يهودي يشتهر بصناعة الاواني النحاسية ، وعضو في الجالية اليهودية الآخذة في التناقص في أصفهان ، وبين دقات الشواكيش والعاملين المنهمكين في حفر الطواويس والغزلان في غابات الارابيسك ، قال لي مائيري : « منذ الفتوح العربية واليهود يعيشون في سلام مع حكامهم . نظريا ، كان الفارق الوحيد بيننا وبين غيرنا من المواطنين هو أن علينا أن ندفع الجزية ، ولكن البعض - هنا في أصفهان - كانوا يحسون انهم مواطنون من الدرجة الثانية ، ولذا فانه عند انشاء اسرائيل سنة ١٩٤٨ هاجر اغلبية اليهود من البلاد الاسلامية ، ولكن الحقيقة أن شاه ايران شخصيا ضمن سلامة اليهود ، وبرغم ذلك ما زالوا يذهبون »

وبينما كان الفاتحون العرب يتعايشون بسلام مع أهل الديانات الاخرى ، مع المسيحيين واليهود ، بل ومع اتباع نبي الفارسيين زرادشت ، بدأت الفرق الاسلامية تظهر لتحدث الشقاق ، بين ابناء الديانة الجديدة ذاتها .

من هناك الى أوروبا ..

بينما ترتفع رايات الاسلام على ضفاف نهر الاندس ، بعد اجتياح صحاري بلوخستان والسند ، كان والي الخليفة على فارس ، قتيبة بن مسلم ، يعبر صحاري تركستان الى الشمال ، وفرسانه الاشداء يستولون على بخاري وسمرقند وطشقند ، قبل أن يزحفوا على حدود الصين .

وكانت سمرقند بلدا يزدهر بفضل تجارة الحرير الآتي من الصين ، وفي سمرقند تعلم العرب من صناع صينيين صناعة الورق ، ومن سمرقند انتقلت المعرفة بهذه الصناعة الي بغداد ثم اسبانيا العربية وصقلية ، ومن هناك الى أوروبا .

طشقند هي الآن أكبر مدينة في آسيا السوفييتية . وهي الآن مدينة صناعية يسكنها مليون ونصف ، وتنتج مصانعها كل شيء ، النسيج والصلب والسجاد والجرارات والتليفونات وآلات التصوير والسينما ، وبها ١٦ جامعة وكلية و ٧٣ معهدا للبحوث .

وعلى مسافة تزيد قليلا على مائتين وخمسين كيلو مترا الى الجنوب الغربي من طشقند ترتفع ماذن سمرقند التي لا تزال تحتفظ بطابعها الاسلامي، اغلبها يرجع الى ايام تيمورلنك الذى حكم المشرق الاسلامي من هذه المدينة بعد ستة قرون من الفتح العربي ، وقد كان حفيد تيمورلنك ، العلامة « اولوج بيج » هو الذى بني مرصدا على تل في اطراف المدينة جاهد الاثريون السوفييت للاحتفاظ بآثاره ، ويوجد متحف يحوي وثائق البحوث التي قام بها الرياضيون والفلكيون الاسلاميون .

ويرقد تيمورلنك وحفيده أسفل القبة الفيروزية في غور الاميربسمرقند، وبالقرب منه خرائب مسجد عظيم بني تخليدا لذكرى الزوجة المفضلة عند القائد تيمور لنك .

وفي بخاري شاهدت مئذنة « قاليان » التي تعلو الى ارتفاع ٤٥ مترا ، والتي كانت تستخدم منارا لقوافل السلطان، وبجوارها « المدرسة » ، وهي آخر معهد اسلامي يتبقى في الاتحاد السوفييتي، وقال شاهر مندوب شركة السياحة الذي يرافقني : هذا المعهد يخرج كل سنة حوالي ثلاثين دارسا ، وهم يتخصصون في الدين والشريعة واللغة العربية ثم يعودون الى بلدانهم ليعظوا في مساجدها .

وأنا أذكر ابي وأمي وهما يتكلمان العربية في بيتنا ، ولكن رفاقي من ابناء هذا الجيل لا يشعرون بالحاجة الى

الدين ، واذا زرت مسجدا هذه الأيام فانك ستجد أغلب الرءوس بيضاء ، ولكن لا يزال يوجد أربعمائة مسجد تقام فيها الشعائر الاسلامية فى مختلف أنحاء الاتحاد السوفييتي .

وهو لم يشر الى الايام السابقة للثورة ، فقبل ١٩١٧ كان يوجد ٢٤٠٠٠ مسجد فى روسيا ، وقد زرت مسجدا وأديت فيه صلاة الجمعة في بلدة « ألما آتا » عاصمة جمهورية كازاخستان السوفييتية ، وهى من أجمل مدن الاتحاد السوفييتى ، وتقع عند أسفل جبل « تيين شان » الذى يتصاعد كحائط من الثلج يفصل بين الاتحاد السوفييتي والصين . وقد كان شاهر محقا ، كانت وجوه المصلين تنتمى الى عصر آخر ، هذا فيما عدا الامام ، فقد كان شابا حديث التخرج فى المعهد الدينى فى بخارى ، وبعد أن انتهت الصلاة قدمنى لهم قائلا اننى امريكى مسلم واننى قد أديت فريضة الحج — وهى فريضة لا يتاح اداؤها الا لقلة قليلة فى الاتحاد السوفييتي — وتصاعدت صيحات المصلين : الحمد لله ! وحاول البعض أن يقبلوا يدى . وعمد شيخ منهم الى تمليس يديه على سترتى ثم على وجهه تبركا ، وانصرفت والدموع فى عينى .

فى اسبانيا

لا يزال الشعور الدينى جانبا رئيسيا من جوانب الحياة في العالم العربى ، كما كان دائما ، ولكن لا شىء يعدل الحماسة التى دفعت الفاتحين العرب ليكتسحوا شمال افريقيا طارقين أبواب أوروبا المسيحية .

من على ضفاف النيل دفع العرب حدودهم الى الغرب . وفى سنة ٦٨٢ كان قائد شجاع يدعى عقبة بن نافع يقود فرسانه مندفعا كالعاصفة فوق تونس والجزائر والمغرب ، وعلى شاطىء رملى عند بلدة « أغادير » كان حصان عقبة يداعب أمواج المحيط الاطلنطى بحوافره ، من على بعد خمسة آلاف كيلو متر من العاصمة الاسلامية فى دمشق . وصاح عقبة : « اللهم اشهد ! لو لم يوقفنى هذا البحر لفتحت المزيد من بلدان الأرض لجلالك »

ولكن عقبة كان قد رفع راية الاسلام فوق قلاع بيزنطة بطول شاطىء البحر المتوسط ، فوق طرابلس وقرطاجة وطنجة ، وسرعان ما تحول البحر الأبيض الى بحيرة مسلمة بفضل الأساطيل العربية .

ولكن كانت القوافل هى التى نقلت دين الاسلام الى صحارى افريقيا الشاسعة . قوافل التجارة التى تحمل الاقمشة والسكر والملح الى كومبى وتومبكتو وتعود بالعاج والذهب والعبيد والاماء ، وقد اختفت هذه القوافل الآن وحلت محلها عربات الجيب والطائرات .

وينتشر المسلمون فى افريقيا ويفوقون المسيحيين عددا ، واذا كانت أمواج المحيط الاطلنطى هى التى اوقفت عقبة بن نافع ، فان اوروبا لم تكن تبعد سوى خمسة عشر كيلو مترا عن حيث كان يقف طارق بن زياد ، وهكذا قاد طارق سنة ٧١١ م جيشا من ١٢٠٠٠ مقاتل وهبط بهم بجوار صخرة جبل طارق التى لا تزال تحمل اسمه للآن ، ودارت معركة رهيبة بالقرب من قادس ، ثم سقطت مدن شبه الجزيرة واحدة بعد اخرى وخلال ست سنوات اصبحت اسبانيا بلدا اسلاميا ، وفى سنة ٧٣٢ — اى بعد وفاة الرسول بقرن كامل — وصلت قوة عربية الى « بواتييه » فى عمق فرنسا ، صدتها قوات شارل مارتل .

وبعد أن استتب حكم العرب فى شبه جزيرة آيبريا ، جاءت من شمال افريقيا جماعات من البربر المسلمين فى موريتانيا وتدفقت على شبه الجزيرة ، والتراث الذى نجده الآن فى اسبانيا هو نتاج هذه العناصر الثلاثة : القوط ، والعرب ، والمور . والذى يسافر خلال اسبانيا اليوم تجذبه الاسماء العربية التى تنتشر

فوق خرائط الطرق ، كالاتايود « قلعة ايوب » آلجاسيراس « الجزيرة » جواد الكفير « الوادى الكبير » .. الخ . وفى جامعة غرناطة ، قال لى واحـــد من الاساتذة : سوف تجد مالايقل عن اربعة آلاف كلمة عربية لاتزال ســائدة فى اللغة الاسبانية المعاصرة ، ولكن ليس هناك مايدهش فى ذلك ، فقد حـكم العرب اسبانيا ثمانمائة سنة .

ولدى أســـــبانيا بعض من اروع نماذج العمارة الاسلامية ، ومن حيث الضخامة فان مسجد قرطبة يأتى بعد المسجد الكبير فى مكة ، وقد تحول هذا المسجد الان الى كاتدرائية ولكن اعضاء هذه الكنيســــــة مازالوا يســـمونها « لاميزكوتيا » أى « المسجد » .

وفى روندا واشبيلية وكالاتايود تتدلى الاجراس من مآذن الكنائس لتعلن اوقات الصلاة للمسيحيين ، وفى مدن الاندلس نجد المنازل القديمـــــة تدير ظهورها للشوارع الضيقة ، على طريقة العرب ، وعلى ابواب المنازل تجد اكفا من الحديد يستخدمها الزائرون فى الطرق ، وقال لى صديق عربى : عندما زرت اسبانيا خيل لى اننى استطيع ان ادق اى باب فى اى منزل .

ولكن آثار العرب فى اسبانيا عديدة وتراثهم يلعب دورا كبيرا فى الحيـــاة اليومية لشعب اسبانيا الى اليوم ، وهو يظهر فى اغانى الفلامنجو ، وصنــــاعة السيوف فى طليطلة ، وفى صيحـــات « أولى ! » اثناء مشاهدة مصـــارعة الثيران ، وهى تحريف لصيحة « الله ! » عند المسلمين .

وفوق مبانى مدينة غرناطة يرتفع قصر الحمراء ، قصر آخر ملوك العرب ، وعلى جدرانه تنطق النقوش : « لا غالب الا الله » وعلى مدى مائتين وخمسين سنة ظلت غرناطة تتقلص وهى تقاوم قوات المسيحيين المتزايدة فى الشمال ، ولكن زواج فيرديناند وايزابلا جعل ايام المور معدودة ، وفى النهاية تسلم المكان مفتاح غرناطة من ابى عبد الله ، صـــــاحب الحمراء ، وارتفع الصليب وراية سان جيمس فوق القصر سنـــة ١٤٩٢ وهى ذات السنة التى خرج فيها الاسبـــانى الشجاع كولومباس باحثـــا عن آفاق جديدة لاسبانيا ، بينما يبحر ابو عبـــد الله من « كوستاديل صول » باكيا ، متجها الى افريقيا .

بعد أن سلم العرب المصباح الـذى اعان الاوروبيين على التخلص من ظـلام العصور الوسطى ، غرقوا فى سبـات عميق طويل ، استمر قـــرونا طويلة ، وأخيرا بدأوا يفركون اجفانهم ، ومنـذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وهـــم يتلمسون الطريق الى وحدة جديدة ، بعد ان تخلصوا من الحكم الاجنبى الذى استمر عدة قرون ، وبعد ان أنعم الله عليهم بخيرات البترول ، وبدأوا ينقلون تكنولوجيا الغرب الحديثة .

« النهضة » ، هكذا يسميها العرب ، وهى لا تزال مجرد شعور ، بداية ، روح يشعر بها المرء وهو يتنقل بين انحـاء العالم العربى المنقسم على نفسه ، وقد كانت موضوع حديث بينى وبين صديق من مكة ذات مساء ، قال لى : « لقــد انقضت ايام الامبراطورية ، ولــــكننا سوف نزدهر مرة اخرى باذن الله . فى اطار الوحـــدة التى نستمدها من ديننا وتراثنا ولغتنا » .

ثم حكى لى قصة الرجل الذى كان يحاج الرسول ، صلى الله عليــه وسلم ، فى امر البعث ، قال له : « اية قوة تلك التى يمكنها ان تبعث الى الحياة جسدا اصبح رمادا وعظاما » ؟

اجابه الرسول عليه الصلاة والسلام فى هدوء : « تلك التى خلقته اول مرة »

●

الى هنا تنتهى تلك المختارات من هذه المقالة الطويلة ، ماقولكم فى نهايتها ؟

قصة حب الشاعر روبرت براونج للشاعرة أليزابيث بارت

● د . سليم الاسيوطى ●

على امتداد خمسة عشر عاما فى سعادة الحياة الزوجية ، صاغت « اليزابيث براونج» بعض قلائد الشعر من أروع ما جرى به قلم امرأة انجليزية ..

منذ مائة واثنين وعشرين عاما ، كانت المكتبات فى لندن تزخر بكميات هائلة من كتاب جديد أثار عاصفة من الاقبال والرواج والانتشار ، عنوانه « الشفق » ، ولم يكن يضم أطول قصيدة نظمتها امرأة انجليزية ، ولكنه كان بكل تأكيد أنجح ديوان شعر ظهر حتى ذلك الوقت فى لندن ،فقد ظهرت منه عشرون طبعة متتالية تباعا ..

واليوم ، ونحن نذكر اسم الشاعرة ، فان من المفارقات العجيبة ، اننا نذكره لفعالها اكثر مما نذكره لشعرها .. لأن اليزابيث بارت براونج حينما تركت مقرها حيث كانت تقيم معتلة عاجزة عن الحركة فى ذلك البيت بجوه الكئيب المقبض فى شارع ويمبول وهربت مع حبيبها من ضباب أواخر شهر سبتمبر ، فى لندن ، وشخصت الى أشعة شمس ايطاليا ، كتبت الصفحات الافتتاحية لقصة غرام عنيف أقوى وأشد وأحفل بالحياة من أية قصة مختلفة خطها قلمها

ان هوليود الجبارة بكل استعداداتها وامكاناتها وفنونها لم تكن بقادرة على استعادة النكهة الحقيقية الكاملة لهذه الميلودراما الفيكتورية (نسبة الى عهد الملكة فيكتوريا) ، على الرغم من انها بدون شك بذلت قصارى جهدها مع « آل بارت من سكان ويمبول ستريت » .

ان الشاعرة الواهنة المريضة حيث كانت تعتصم ويحميها من الدنيا والد مسيطر وقاس فى بعض الاحيان . والد بلغ من الفظاظة والصلافة حدا حمله بعد أن خرجت على التقاليد المتوارثة والعرف المأثور « بفرارها » مع حبيبها ، انه لم يتحدث اليها ثانية قط ،ولم يعترف اطلاقا بالحياة البريئة لطفلها ، وهو حفيده .

فلا عجب اذن ، فى مثل هذا الجو ، ان اصبح لزاما على اليزابيث بارت العيش عاجزة بوجه شاحب شديد الامتقاع ، لقد اصبحت فعلا ، ترتجف فزعا ، وخوف الاصابة بالمرض ، فلقد كتبت الى صديقتها مارى راسل متفورد تقول : « ان فكرتى الوحيدة عن السعادة تكمن عميقة فى الشعر بما يتداعى معه من خواطر وافكار ومعان - فبدون مثل هذا الهدف تجديننى أتوق توقا شديدا لان أعرف كيف يجد الناس الحياة جديرة بالعيش اطلاقا ! .. أما عن



روبرت براوننج : قصة حب
عظيم لزوجته اليزابيث بارت

نفسي ، فان الحطام الباقي مني ليس سوى جذر ، خليق بالتربة والظلام »

وهذا ما حدث فعلا ، فقد غدت هذه الصلة التي توثقت مصادفة مع الانسة متفورد ، وهي آنئذ شخصية أدبية مرموقة نابهة الذكر ذائعة الشهرة بروايتها « قريتنا » ، ذات أهمية بالغة في حياة اليزابيث ..

كانا ، من الناحية المزاجية ، ضدين الاولى هي الشاعرة الشابة الخجول المتكلفة المتقلبة المغمورة ، والكاتبة الروائية الاكبر سنا ، الواثقة بنفسها المستقلة برأيها وسلوكها الذائعة شهرتها ... ولقد كان بالضرورة ، هناك تجاذب الضدين وقوى من هذا التجاذب ـ التجاذب السيكولوجي ـ ان الانسة الودود العجوز ، كما كان يحلو للانسة متفورد أن تصف نفسها ، تبحث عن الابنة التي كان من الممكن أن تكون لها ، بينما كانت اليزابيث بارت في حاجة ماسة الى بديل للام تتوافر فيها الحكمة وكبر السن .

ان الانسة متفورد ، وتكاد تكون شبيهة بالام ، وفي منزلتها ، أصيبت بصدمة شديدة ، كما أصيب من قبل مستر بارت والد اليزابيث . عندما تناهى الى علمها نبأ فرار من كانت في حمايتها ، مع الرجل الذي أحبته .

وقبل ذلك ، وعلى امتداد فترة تناهز العامين (حينما كانت المرأتان قد تبادلتا ما يقرب من الخمسمائة خطاب !) قدمت الانسة متفورد اليزابيث بارت الى الدوائر الادبية المتألقة حيث تعرفت فيها الى الشخصيات العظيمة من مثل وليم وردثورث ، وولتر سافج لاندور ، ولاي هنت ، وجون كينون ، وأخيرا ، روبرت براوننج ، وهكذا نفضت الشاعرة الشابة عن نفسها حياء العليلة العاجزة وتخلصت من خجلها المعروف .

ولكى نعرف كيف حدث هذا فانه لمن الضرورى أن ننظر الى اليزابيث بارت، كما كانت فى تلك الفترة ، دون أن ناخذ فى الاعتبار الكثير من المظاهر الخارجية •

لقد وصفت الانسة متفورد اليزابيث بارت بعد لقائهما الاول بأنها انسانة شابة ممتعة تبهج النفس وتبعث فيهـا فيض السرور : « حلوة رقيقة ، مليحة الى الحد الذى يحمل الناظر اليها على الاعتقاد بانه يتطلع الى زهرة ناضرة » •

ربما كان من الطبيعى لمثل هذا العقل ، أن يلقى عندها شـعر روبرت براونخ ــ الغامض ظاهريا ــ الرضا والقبـول والاستحسـان ، ان لم يكن التقـدير والاعجاب • ففى البدء والانسـة بارت الشابة جالسة فى بيتها فى شارع ويمبول فى مقعد العاجز تقرأ فى وقار ورزانة ، بجوار المدفأة ، تيسر لها ممارسة النقـد الفنى •

وحتى فى عام ١٨٣٦ ، وقبل أن تفـر هاربة مع روبرت وتتـزوج منه ، بعشر سنوات ــ وقبل ان يلتقيا بزمن طويل ــ علقت على أول قصيـدة هـامة له ، « براكيلسيس » قائلة : انى لأعتقد عن شعور عميق أن نبض شعره كامل ودافىء وقوى ، وانه سيبقى منزها عن المثالب •• ان هناك قوة محسوسة ملموسة ــ الفكر الرفيع العميق فى آن ــ ودفعات مفاجئة مكبوتة من الحنان الذى يوحى لنا بمـا يفوق ويسمو من العواطف والاحاسيس »

انه لسـحر وفتنـة ان نلمس فى الخطابات التى بعثت بها اليزابيث بارت الى الانسة متفورد ، التعليقات الحـذرة المتحفظة لها (لاليزابيث) والتأنق البلاغى فى قصة من أشهر قصص الغرام فـى الادب • كيف تهب هبة تلمس شـغاف القلوب ، للدفاع عن روبرت براونخ • وبأى حيدة واستقلال فى الرأى وتجـرد من الهوى ، تشير الى لقائها بالشـاعر : « مستر براونخ » : «كان مجاملاـ كالعهد به لا من قبيل الرجاء فى أمر لا يخلق فيه الرجاء : ومن ثم اسـتقبلته هنا ذات صباح وأحببته كثيرا • بدا أصغر سـنا مما كنت أتوقع ــ بدا أصغر من سنه ــ ذا سلوك طبيعى حلو الشمائل ، يفيض بفنه ، الذى فى تقديرى ، كان خليقا أن يعززه ويؤكده ، عن جدارة واستحقاق • انه لحنون حنانا كافيا حمله على أن يقرأ لى قصيدتى الجديدة « بروميثيوس » ــ سوف نكون صديقين حميمين على ما آمل وأرجو • »

وما كاد يمضى العام على هذا اللقـاء الاول ، حتى كتبت اليزابيث بارت خطابها المختلف اختـلافا بينا عمـا سبقه من خطابات ، الى صديقتها الانسـة متفورد لفترة طويلة :

« **حينما تقراين هذا الخطاب ، أكون قد وهبت واحدا من العبـاقرة وأعاظم الموهوبين وأجدرهم بالاعجاب ، زوجـة غير جديرة به • سوف أكـون زوجـة لروبرت براونخ • لقد أحبنى طوال عامين متتاليين ، وأعلن هذا الحب منذ البداية** »

« **لم أكن لاصغى فلم يكن بمقـدورى التصديق ولقد ظل يردد منذ هذا الوقت انه كاد يفقد الامل فى حملى على الايمان بضرورة الارتباط بى والاخـلاص لى • وبينما انا من جانبى كنت أرى فى هـذا السلوك وذلك البوح خيـالات شـاعر فحسب • وأوهام من الخلط بين المـرأة والشعر** » •

« **لقد رأيت القليل من تصرفات الرجال فى مثل هذه الظروف والملابسات ، فلـم أسـتطع أن أبصر فيما وراء ذلك بعينى الكليلتين ، لوقت طويل** » •

« أنى يتأتى لى على هذا القرطاس ، أن أخبرك ، حتى ولو لم ترتعش يداى كمـا تفضحنى كتـابتى • كيف ألحف وأصر وتغلب على بمثل هذه الخطابات وبمثـل هـذه الكلمات • حتى انه ليمكنك أن تطأيننى كما تطأين حجرا لو اننى لم أبذل نفسى له ، قلبا وروحا ••• فكرى فيمـا عسانى كنت فاعلة حتى أشـعر بأنى



أصغيت الى مثل هذه الالفاظ من مثل هذا الرجل · رجل بمثل هذه العبقرية الفذة ، والانجازات المعجزة ··· رجل بقلب يفوق كل هذا »

« لقد رأيته على الملأ · وفي هذه المنزل فحسب ـ لاحظي قولي ـ ليس في أي مكان اخر ، فيما خلا في كنيسة الابرشية أمام شاهدي الزواج الضروريين · سنذهب الى ايطاليا ··· الى بيزا ، ثم نعبر المانش الى « الهافر » من ثوثهامبيتون ، مارين بنهر السين على عجل ، والى أورليانز عن طريق باريس · حتى نغدو بعيدين كل البعد عن الاصوات المفزعة خلفنا · ان هروبنا من الشتاء سوف يحفظ على صحتي بل ولسوف يقويني · وفي الصيف سوف نعود اذا ما بقي لنا في الحياة احد يريد استقبالنا » ·

« نذهب لنعيش عيشة هادئة بسيطة طبيعية ـ لنعمل على الفرار الذي يروقنا نحن الاثنين ـ ننظم الشعر ونقرأ الكتب ونحاول العيش لا دون جدوى أو هدف كما اننا لن نعيش حياة الاباطيل والغرور»

لا بأس من أن نبتسم الان اذ نتلو الكتابات البليغة المتأنقة التي كانت تستعمل منذ مائة عام مضت ، ولكن من المستطاع الا يكون هناك ظل أو شبهة من شك لدينا في الحب أو الهيام فيه ذلك الحب الذي تضمره اليزابيث بارت لروبرت براونتج ـ والذي يبادلها اياه روبرت قويا عارما ·

ان المرء ليذكر الفكاهة المثيرة للشجن حينما كان براونتج في كل مرة يذهب فيها الى لندن يشخص لفوره الى الكنيسة حيث عقد قرانهما ويقبل الحجر الذي يجثم عند مدخل الباب ·

ظلت عليلة شارع ويمبول سابقا ، تجرع كئوس زواج الحب الحقيقي الصادق مترعة ، بما لم يكن ليدور بخلدها قط وهي جالسة بجوار المدفاة وحيدة في عزلتها وبيتها · واستمر الحال على ذلك خمسة عشر عاما وزوجها الوفي حارسها ، يحرق البخور متعبدا في محرابها ·

وفي ذلك الوقت ألفت كتبا كثيرة ، كتبا من الطراز الاول ، كان افضلها كتاب « الشفق » ـ ولكنها أيضا أنجبت ابنا كتبت عنه تقول : « انه أعز لديها من عشرين « شفق » ·

وحينئذ ، وفي ليلة حزينة من ليالي الصيف في مدينة فلورنسا ، في عام ١٨٦١ ، جاءت خاتمة قصة الحب العظيم الذي عاشه روبرت براونتج واليزابيث بارت براونتج ، الذي كتب عنه الشاعر العظيم :

« في الساعة الرابعة بدت الاعراض التي روعتني ، واستدعيت الخادم وأرسلتها لتستدعي الطبيب ·· وابتسمت حينما هممت بغسل قدميها · » « حسن ، انت مصر على أن تبالغ في تقدير مرضي » وحينئذ وقع ما لن انساه حتى القاها ثانية ، بل ـ ولاطول من ذلك ـ انه ابلغ واكمل تعبير عن حبها ، لي ، طوال حياتي الزوجية معها · لقد كانت مبتسمة دائما ، سعيدة ، ذات محيا كوجه فتاة عذراء ، وفي دقائق معدودات أسلمت الروح بين ذراعي ، ورأسها يستند الى خدي » ·

« ان تلك الاحداث سوف تمدني بالقوة حتى أقصها على أحبائها ، فهذا من حقهم : لم يكن في موتها تباطؤ ، ولا الم حاد ، ولا احساس بالفراق ، ولكن الله قد قبضها الى جواره كما ترفع الأم طفلا نائما في مهد مظلم خشن ، الى ذراعيها الحانيتين ، حيث النور والهواء » ··

السينما فى مرحلة البحث عن أفكار جديدة
المسرح.. مصدر للفكر السينمائى

• ماري غضبان •

•• السينما ، الفن السابع ، محصلة لقاءات عدد من الفنون المختلفة ... إ المسرح أقدم وسائل التعبير الفنية . لكل منهما لغة خاصة فى الوصول والتاثير .. السينما تعتمد على مكونات الصورة بأبعادها واعماقها المختلفة ، والمسرح يعتمد على الصورة أيضا . ولكن من خلال أبعاد مكانية وزمانية تختلف عنها فى السينما

وفى السنوات الاخيرة بدأ اهتمام السينما بتحويل المسرحيات الناجحة الى عروض سينمائية يزداد فى الكم وفى الكيف ، واحدث ما تشاهده أوربا وامريكا الان مسرحية ((بيتر شيفر)) (الحصان) أو (ايكوس) وهو فيلم يعرض أيضا الان فى الخارج واتيح لنسبة من جمهورنا ان تشاهده فى عروض مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث الذى انتهى مؤخرا . ••

•• وقبل ان نوضح لماذا اقبلت السينما على المسرح تستمد منه مادتها السينمائية ، نوضح اولا ان السينما فهمت هذا التعامل واخذت به منذ عدة سنوات قدر لها فيها ان تستعين ببعض المسرحيات الناجحة التى اخضعتها للغة السينما وحولتها الى افلام بعضها حقق نجاحا فنيا وتجاريا كبيرا وبعضها فشل فى أن يقدم لغة سينمائية مقبولة ومفهومة ، ولذلك لم يقدر له النجاح الفنى او المادى

• شيكسبير فى السينما •

•• وكان من الطبيعى ان تلجأ السينما الى مسرحيات شيكسبير تستمد منها موضوعات لبعض أفلامها والغريب أن السينما الامريكية لم تساير هذا الاتجاه الذى اهتمت به السينما الانجليزية والسينما السوفييتية والسينما الايطالية ، وكانت أشهر الافلام المأخوذة عن مسرحيات شيكسبير هى :

الملك لير ـ هاملت ـ ماكبث ـ روميو وجولييت ـ عطيل ـ يوليوس قيصر .

وتبارى عدد من نجوم السينما فى تقديم هذه المسرحيات من افلام من نوعية أفلام الانتاج الكبير ، فاخرج بيتر بروك وهو فى الأصل مخرج مسرحى فيلم (الملك لير) من خلال انتاج بريطانى ضخم ، وكذلك اخرج أورسون ويلز (عطيل) . وقدم فرانكو زيفيريلى (روميو وجولييت) فى السينما الايطالية . واقتبس المخرج الايطالى بازوالينى موضوع فيلمه (اوديبوس) من مسرحية (أوديب الملك) . على ان اهم نجاحات السينما فى تقديم شخصيات شيكسبير المسرحية كان من خلال اورانس اوليفييه وشخصية (هنرى الخامس) وهي واحدة من أشهر اعمال شيكسبير بجانب التناول العبقرى لاورسون ويلز فى (عطيل) .



ريتشارد بيرتون وبيتر فيرث فى فيلم « ايكوث » الحصان

واذا كانت حياة وممات ملكة الاسكندرية العظيمة كليوباترا قد احتلت اهتماما مميزا فى الأدب العالمى خاصة عندما احتفى بها شيكسبير فى مصرع كليوباترا ـ الا ان هذه المسرحية لم تستخدم الا واحدا من المراجع التاريخية والادبية العديدة التى استعانوا بها عند تقديم فيلم (كليوباترا ملكة الاسكندرية) الذى مثلته على الشاشة النجمة اليزابيث تايلور أمام ريتشارد بيرتون، وصور جانب كبير من مشاهده بجوار مدينة الاسكندرية ..

● الاغريقيات والسينما ●

●● واهتمت السينما ايضا بالتراث المسرحى الاغريقى ، وقد نجح هذا التناول السينمائى لانه استمد من التراث ما يناسب التناول الجديد ، وأبرز هذه الاعمال ما قدمه المخرج اليونانى مايكل كاكويانيس فى أفلامه المأخوذة عن أصل مسرحى مثل (اليكترا) (ايجفينيا) وقامت ببطولتهما ايرين باباس ، (ستلا) وقامت ببطولته ميليناميركورى

والجديد فى تناول هذه الاغريقيات القديمة ان المخرج استخدم التراجيديات الاغريقية القديمة من خلال طبيعة معاصرة مشابهة بجانب استخدام جيد للتنويعات الموسيقية التى أعدها ثيودوراكيس ، وقدمت خلفية مماثلة للعبق التاريخى لموسيقى المسرحيات القديمة . وقد وضح هذا خاصة فى تناول تاريخ مدينة طروادة فى ثلاثية (ايجفينيا)

● السينما والمسرحيات الحديثة ●

●● ولم يقتصر اهتمام السينما بالاعمال المسرحية القديمة كمصدر للفكر السينمائى ، لكن العقل السينمائى لجأ أيضا الى المسرح الحديث يستمد منه افكارا للأفلام السينمائية الجديدة . وضح هذا فى فيلم (من يخاف فيرجينا وولف) عن مسرحية ادواردالبى واخراج مايك نيكولز والذى مثلته اليزابيث تايلور وجورج سيجال وساندى دينس وريتشارد بيرتون ، بينما كان الاخراج السينمائى للمخرج الياكازان و « قطة على سطح من الصفيح

الساخن » الذى اخرج فيلمها الماخوذ عن روايةتينسى وليامز ـ المخرج ريتشارد بروكس .

ولم يقتصر الاهتمام بالمسرح كمصدر للفكر السينمائي على السينما العالمية فقط لان السينما العربية استمدت الكثير من موضوعات افلامها الناجحة من مسرحيات معاصرة سبق ان حققت نجاحا جماهيريا وفنيا . وقد حدث هذا فى السينما المصرية فى تقديم سلسلة افلام لنجيب الريحانى ويوسف وهبى واسماعيل يس استمدت افكارها من مسرحيات مثلها هؤلاء النجوم على المسرح .

كما استعانت السينما المصرية ببعض مسرحيات توفيق الحكيم وحولتها الى افلام سينمائية مثلما شاهدنا فى (الرباط المقدس ، والأيدى الناعمة) من اخراج محمود ذو الفقار الذى قدم ايضا فيلم (المراة المجهولة) الماخوذ عن مسرحية (مدام اكس) والذى تحولت فيه النجمة شادية من مطربة وممثلة لادوار الفتاة المراهقة الشقية ، الى ممثلة كبيرة راسخة القدم ، وحصلت بهذا الدور على أول جائزة فى التمثيل تلتها بعدد آخر من جوائز الدولة فى التمثيل كأحسن ممثلة .

وكذلك حولت السينما المصرية بعض المسرحيات العالمية الى افلام مثلما اخرج سمير سيف فيلم (قطة على نار) لنور الشريف وبوسى عن مسرحية (قطة على سطح من الصفيح الساخن) ، ومثلما قدم فطين عبد الوهاب فيلم (نصف ساعة جواز) الذى اعد له السيناريو والحوار الكاتب الساخر احمد رجب عن مسرحية (زهرة الصبار) ، ولعبت بطولة الفيلم شادية ورشدى اباظة الذى شارك أيضا لبنى عبد العزيز بطولة (آه من حواء) لنفس المخرج فطين عبد الوهاب وهو الماخوذ عن مسرحية (ترويض النمرة) .

● الحصان .. ايكوس ●

●● وفيلم (الحصان) هو الاجابة الجديدة للسؤال المطروح : لماذا اقبلت السينما على المسرح تنهل منه مادة لافكارها السينمائية ومضمون موضوعات أفلامها المختلفة ؟ .

فيلم (ايكوس) أو الحصان ـ لان ايكوس معناها حصان باللغة اللاتينية القديمة ـ من اخراج سيدنى لوميت يضع عدة تساؤلات عن العلاقات بين المسرح والسينما .. فالمسرح غير السينما ، كل منهما يختلف ولكن يلتقى فى أكثر من ناحية .

والفيلم أخرجه سيدنى لوميت عن مسرحية بنفس الاسم للمؤلف المسرحى بيتر شيفر الذى عرضت مسرحيته لاول مرة فى لندن ١٩٧٣ ثم نيويورك ١٩٧٤ وباريس ١٩٧٦ وحتى الآن لا تزال المسرحية تعرض على هذه المسارح بعد أن ترجمت الى أكثر من ثمانى لغات .

وقبل لوميت حاول اكثر من مخرج أن يقتبس اكثر من مسرحية لافلام



ايرين باباس قامت ببطولة فيلمى « اليكترا » و « ايجفينيا »

ولكنهم كانوا يصدمون بعنصر المــــكان الذى يميز الكتابة المسرحية ، ولهذا لم تنجح معظم هذه الالوان باستثنـاء من يلجأ منها الى الكوميديا والجنس مثـل (زهرة الصبار) الذى مثلته انجـريد برجمان أمام والتر ماثيو و (فرجينا وولف) الذى مثلته اليزابيث تايلور أمام ريتشارد بيرتون .

وموضوع فيلم الحصان يدور حول شاب مثالى عمره حوالى ١٧ سنـــــة يعرضه اهله علي طبيب نفسانى بعد ان خرق عيون ستة من الخيول الجميــلة التى كان متعلقا بها ويحبها الى درجـة العشق . ويحاول الطبيب النفســانى الذى مثل ريتشارد بيرتون شخصيته ان يعرف من الشاب الاسبــاب التى دفعته الى هذا السلوك ، وعن طـريقة رجوع الكاميرا الى الماضى (الفلاش باك) وهى لغة سينمائية لا تتـوفر للمسرح نكتشف ان الشاب (الان) كان الابن الوحيد لامه المصابة بالهلوسة الدينيــة المسرفة فى اقامة الطقوس والشعــائر الدينية واشعال الشموع فى الكنائس بينما كان والده شخصية مادية ضعيفة فالشاب قبل ان يبلغ ســن المراهقة كان يشاهد رجلا يمتطى حصانا ويجرى به على شاطىء البحر وبلح الشاب على الرجل ان يسمح له بركـوب الحصان ويشعر الشاب بســـعادة والحصان يجرى به فوق الرمال ، ويشعر الشاب الصـغير بأن الخيل تمثل له النموذج والرمز الذى يشير الى معانى فى داخله منها الرهبة والابداع والاحســاس فى عالم يحيط بالشاب ويختنق فيـــه بالماديات والخلافات الروحانية .

الفيلم يضع سؤالا عن العلاقة بين



المسرحية والفيلم والمسرحية اليونانية القديمة « ايكوس » . واذا كانت المسرحية عبارة عن حوار ، والفيلم يعتمد على الحوار بجانب لغة الصورة خاصة فى مشاهد العيادة بين الطبيب والشاب « بيتر فيرث » وهو نفس البطل المسرحى الا أن الفيلم يختلف فى استعانته بالخيول التى استعاضت عنها المسرحية بتخيل الخيول من خلال المؤثرات الصوتية وكان مشهد فقأ عين الخيول من ابشع المشاهد السينمائية ومن اقسى الصور التراجيدية على الشاشة .

والعلاقة بين الفيلم ومسرحية « ايكوس » ومسرحية « أوديب » تبدو فى التخيل والتصور حينما لا يقابله تفسير مادى فى الحياة فيلجأ الانسان الى سلوك شاذ وغريب .

وجهة النظر فى هذا الموضوع أوضحها المخرج سيدنى لوميت فى لقاء تليفزيونى قال « ان الفيلم يعالج قضية المجتمع ، فنحن لا نعرف العاقل من المجنون .. المجتمع المادى لا يقدر صاحب القيم والمثاليات ، احيانا ينظر هذا المجتمع الى صاحب القيم على أنه انسان لا يتوازن مع حركة هذا المجتمع » .

واذا كانت السينما وهى مرحلة البحث عن جديد فى الأفكار من خلال الاستعانة بلغة المسرح وادبه ، فان فيلم « ايكوس » نجح فى ان يجد هذا المناخ الجديد الذى اتاح لمدير التصوير اسفولد موريس الابداع خاصة من اجمل مشاهد التصوير السينمائى ، حينما كان الشاب يطعم الخيول وجسده عار مثلما تبدو الخيول مما يعطى احساسا بالتجانس التام بين سلوك الشاب البشرى والجمال او الرمز الذى ترمى اليه المسرحية التى تحولت الى فيلم يقدم نفس وجهة النظر .

حتى يعود الحب

د. مختار الوكيل

ما أتعس الحيـاة إنْ خلتْ يوما من الجديد !
في الحبِّ أو في الفكر ، أو في روعة القصيد ...
فلا تسلني كيف ألقاها مع الركـود ...
الموتُ أشهى من حياة القيـد والسدود !
والموتُ حق تختفي به عن الوجـود !

***

في كلِّ فجرٍ أشتهي أن أتملّى منظـرا ..!
لم أره قبلُ ولا سمعتُ عنـه خبرا ...!
فلا تلمني إنْ أنا أحببتُ كلَّ مـا أرى ...!
إنّي أحب الوردَ يزهو أبيضا وأحمـرا ...
وأعشق الريحان يهفو في الحقـولِ أخضرا !

***

ولا تلمني إن عشقت الحسنَ والقبح معـا !
فالحسنُ لن يبقى على الأيام غضـا ممرعا !
والقبحُ ماصال ولا اختـالَ علينـا وادّعى !
لعلّه في ضـعفه يُحيي الخرابَ البلقعا ...
وينفح الروحَ ضيـاء كوكبيا ممتعـا ..!

***

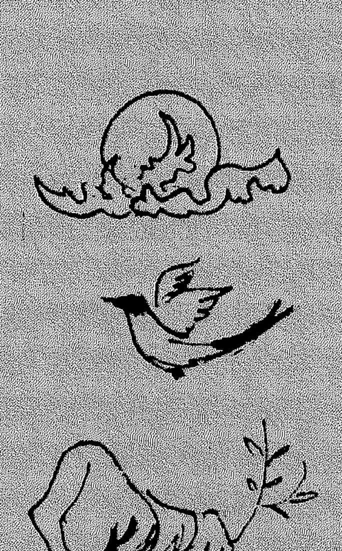
إنّي أرى حبَّ المحـالِ فسحة في الأجلِ !
فالقمرُ الهيمـانُ يعدو إثْر شمس الأزل !
إلى لقـاء مستحيل حافـل بالقبـل !
يهفو ويسعى ... والزمان حالِم بالأمـل !
والكونُ من حولهمـا ، يرنو بعين الوجل !

***

ذاكَ لقـاء عبقري خالِد فـوق القمم !
إن تمَّ لن تشهده ، إلاّ العظـام والرمم !
هنا النجوم انتثرتْ ! هنـا الخرابُ قد جثم !
هنا البحار سجّرت ! هنـا البراكينُ حمم !
لكنّهـا قبلةُ ثأر ، فنيتْ فيهـا الأمم !

***

نصفُ الحيـاة قطعته في الغيِّ حتى منتهاه !
ونصفُها الباقي أحاولُ فيـه ترميمَ الحيـاه !
مابين إسراف وقبْض يبلغ العمْر مـداه !
يا أيها الهادون : من ذا يُبْلغُ العاصي هـداه
من ذا يقـودُ السادرَ الأعمى إلى نورِ الإله !



البنية الفنية للقصيدة
في
شعر علي محمود طه

● د . طه وادى ●

● الادب لا يقدم رأيا بقدر ما يشكل رؤية ، ولا يقرر حكما تقريريا بقدر ما يقدم تجربة فنية ، تفصح عن ملامح انسان وتعبر ـ جماليا ـ عن همومه أو مهامه . منهنا يتجاوز الفرد حالة كونه أديبا ، دور الذات المفردة الى مكانة « النبي » الهادى الرحبة ? الذى يفكر ـ بوعي ـ فى قضية الأنسان ، عبر الحديث عن أزمة الذات الشاعرة . وعن هذا الوعي بوظيفة الادب الاجتماعية ، يصدر واحد من كبار شعرائنا المعاصرين وهو على محمود طه حين يذكر :

ما الشاعر الفنان فى كونه
الا يد الرحمة من ربه
معزى العالم فى حزنه
وحامل الآلام عن قلبه

عزاؤه شعر به أهزج
فى نغم مستعذب ساحر
ما يحزن العالم أو يبهج
الا على قيثارة الشاعر

وشاعرنا ـ على محمود طه ـ واحد من أعلام جماعة «أبوللو» التى تحلقت حول الشاعر احمد زكى أبو شادى (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥) الذى يعد الأب الروحى لهذه المدرسة » التى نستطيع أن نؤكد على أنها قد أحدثت انعطافة حقيقية فى تاريخ الشعر العربى الحديث ، حيث يؤكد الدرس الواعى لتراثنا الشعرى أن المدرسة الرومانسية فى مصر قد عاشت مابين الحربين العالميتين من سنة ١٩١٤ وحتى ١٩٤٥ تقريبا » عاشت هذه المدرسة مرحلتين هامتين :

الاولى فى تقديرنا هى مرحلة هدم المثل والتقاليد الجمالية للمدرسة الكلاسيكية المحدثة التي وصل بها الشاعر الكبير أحمد شوقي (١٨٧٠ ـ ١٩٣٢) الى غاية نضجها وكمالها . وفى نفس المدة بدأت هذه المدرسة التى أسهم فيها عبد الرحمن شكرى وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى ثم خليل مطران ، بدأت تبشر على مستوى التأصيل النظرى لدرس الشعر من حيث الاداة والوظيفة او الماهية والمهمة الى ماينبغي أن يكون عليه الشعر من وجهة نظر رومانسية واعية بالثقافة العامة وقدرات الفنان الخاصة . ومن يرجع الى كتابات شكري والعقاد والمازني وبعض أحاديث مطران سوف يجد ـ بقوة ـ مايؤكد ذلك .

الثانية هى مرحلة العطاء الفني والابداع الشعرى .. وهذا ماقدمه بالفعل الفصيل الممتاز والصفوة الرائدة من « جماعة أبوللو » التي اتسع اهابها لتشمل أنماطا عدة من مدارس الشعر واتجاهاته ، بيد أن هناك فئة قدموا العطاء الحقيقي والنموذج الفذ لشعر الرومانسية أمثال أبى شادي وابراهيم ناجى (١٨٩٩ ـ ١٩٥٣) ومحمد عبدالمعطى الهمشرى (١٩٠٨ ـ ١٩٣٨) وحسن كامل الصيرفى ، ومحمود حسن اسماعيل ، والعوضى الوكيل ، وكامل الشناوى ، وصالح جودت (١٩١٢ ـ ١٩٧٦) ثم على محمود طه (١٩٠٢ ـ ١٩٤٩) الذى يقف هو وناجي فى الصف الاول النابه من شعراء هذه الجماعة .

لقد ولد على محمود طه بالمنصورة عروس الدلتا ومدينة الجمال ، وقد تخرج فى مدرسة الفنون والصنائع سنة ١٩٢٤ ، ثم عين مهندسا معماريا بالمنصورة ثانية ، حيث التقى فيها بأحمد حسن الزيات ، وابراهيم ناجي ، ومحمد عبد المعطى الهمشرى وصالح جودت ، ومختار الوكيل ، ولعل هذه الزمالة الفنية المبكرة قد أفادت بعضهم وقربت بين اتجاهاتهم الادبية . ثم ينتقل هؤلاء الى القاهرة مع نهاية العقد الثالث من هذا القرن . ويلتقون بأبى شادى تمهيدا لتكوين جماعتهم الشعرية ومدرستهم الادبية .

وقد ثقف على طه نفسه ـ مثل زميليه أبى شادى وناجى ـ بثقافة أوربية واسعة يستوىفيها مع شعراء الرمانسيةالانجليز أو الفرنسيين ، بل أرى أنتسميته لنفسه بالملاح قد استوحاها من الشاعر الانجليزى س. ت. كولردج ، (١٧٧١ ـ ١٨٣٤) من قصيدة له بعنوان « الملاح القديم » .

كذلك يؤكد ديوانه أثر رحلاته فى أوربا ـ ولاسيما ايطاليا ـ على اثراء شعره واخصاب مخيلته .

وقد ترك على محمود طه تراثا شعريا له خطورته التاريخية وقيمته الفنية ، التى جعلت منه واحدا من أهم الاساتذة المباشرين لشعراء المدرسة المعاصرة فى الشعر سواء في مصر أو فى غيرها . وليس أدل على هذا من اعتراف بدر شاكر السياب بأستاذيته والاعتراف الضمنى لنازك الملائكة وصلاح عبد الصبور بما كتباه عنه . وقد أصدر على طه ديوانه الاول « الملاح التائه » سنة ١٩٣٤ والثانى « ليالى الملاح التائه » سنة ١٩٤٠ .

ثم أصدر بعض شعره المؤلف والمترجم فى « أرواح شاردة » سنة ١٩٤١ وقد ظهرت له قصيدة درامية حوارية طويلة بعنوان « أرواح وأشباح » سنة ١٩٤٢ ، وفى سنة ١٩٤٣ صدر له ديوان « زهر وخمر » . وفى سنة ١٩٤٤ قدم مسرحية شعرية بعنوان « أغنية الرياح الأربعة » وفى سنة ١٩٤٥ قدم ديوانه « الشرق العائد » وآخر انتاجه ديوان « شرق وغرب » الذى صدر سنة ١٩٤٧ .

وقد حظى شاعرنا ـ على طه ـ باهتمام كثير ممن تصدوا لتاريخ الشعر الحديث ، مثل : طه حسين فى الجزء الثالث من « حديث الاربعاء » ، ومحمد مندور فى الجزء الأول من كتابه « الشعر المصرى بعد شوقى » ، وشوقى ضيف فى كتابه « دراسات

فى الشعر المعاصر » ، ونازك الملائكة فى كتابها « شعر على محمود طه » ، وأخيرا وليس آخرا صلاح عبدالصبور فى تقديمه لقصائد أو بعض مختارات من شعره •
ولن نتعرض لتقويم أى من هذه الدراسات ، وانما نذكرها على سبيل المثال شاهدا على أهمية الشاعر ومكانته الفنية •

وسوف نتوقف عند قصيدة « النشيد » من ديوانه الأول ، لنترصد من خلالها بعض أسرار البلاغة فى شعره ، ثم لنرى بعد ذلك ، من مجمل تجربته الفنية ، رؤيته الجمالية ومحاور تجربته الأدبية •

عنـــدما ظلنى الوادى مســــاء
كان طيف فى الدجى يجلس قربى

فى يديه زهـــرة تقطـــر مـــاء
عـــرفت عينى بهـــا أدمع قلبى

قلت : من أنت ؟ فلبانى مجيبـــا
نحن يا صـــاح غريبـــان هنـــا

قد نزلنا السهل- والليل- الرهيبا
حيث ترعـــانى وأرعـــاك أنـــا

قلت : ياطيف أثرت النفس شـــكا
كيف أقبلت ؟ وقل لى من دعاكا ؟

قال : أشـــفقت من الليل عليـــكا
فتتبعـــت الى الوادى خطـــاكا

ودنا منى وغنـــانى النشـــيدا
فعرفت اللحن والصـــوت الوديعا

هـــو حبى هام فى الليـــل شريدا
مثلمـــا همت لنلقـــاك جميعـــا

وتعـــانقنا وأجهشـــــنا بـــكاء
وانطلقنا فى حـــديث وشـــجون

ودنا الموعـــد فاهتجنـــا غنـــاء
ونظـــرناك والليـــل عيـــون

أقبـــل الليل فاقبـــل موهنـــا
والتمس مجلســـنا تحت الظـــلال

وافنى نصـــدح بالحـــان المنى
ونعب الكاس من خمر الخيـــال

أقبـــل الليـــلة وانظـــر واسمع
كل ما فى الكون يشـــدو بمزارك

جئت بالأحـــلام والذكـــرى معى
وجلسنا فى الدجى رهن انتظـــارك

****

ســـترى يا حســـن ما أعـــددته
لك من ذخـــر وحســـن ومتـــاع

هــو قلبي في الهــوى ذوبتــه
لك في رفاف لحن وشـــعاع

وهو شـــعر صـــورت الوانه
بهجة الفجر وأحـزان الشــفق

ونشـــيد مثلت ألحـــانه
همســات النجم في أذن الغسق

ذاك قلبي عـــاريا بين يـــديك
أخـــذته منـــك روعات الالــه

فتـــأمله دمـــا في راحتيـــك
وذماء منـــك يســتوحي الحيـاه

باكي الاحـــلام محـــزون المنى
ضـاحك الآلام بســام الجـراح

لم يـــكن الا تقيـــا مؤمنـــا
بالذي أغرى بحبيـــك الطمـــاح

يتمنى فيـــك لو يفنى كمـــا
يتفانى الغيم في البحــر العبـاب

أو يلاشي فيـــك حيـــا مثلمـــا
يتلاشى في الضـحى لمح الشــهاب

***

زهــرة أطلعهـــا فردوس حبـــك
اســـتشفت فجرها من ناظـريك

خفقت أوراقهـــا في ظل قـــربك
وسرت ألفاســـها من شـــفتيك

هي من حســـنك تحيـــا وتموت
فاحمهـــا ياحسن اعصـــار المنون

أو فهبها الدفء من الصدر الحنون
أو فهبها النــور من هذى العيــون

دمعهـــا الانداء والعطــر الشـــجي
وصدى اناتهـــا همس النســـيم

فاحبـــهـــا منـــك الربيـــع المرتجي
تصـــدح الايام باللحـــن الرخيم

***

أدوات التشكيل الجمالي في اطار البنية :

يتوجه دارس القصيدة الى مجموعة من قضايا الشعر الأساسية ، تكشف عن أسرار بلاغته من ناحية،ومن أخرى تحديد مكانة الشاعر وتساعد على تقويم تجربه الشاعر وبيان مكانته الأدبية .

وحين نستعيد تخيل الاطار العام لبنية القصيدة ، توقفنا في البداية (الصورة الكلية) لها ، هذه الصورة العاطفية بمحاورها الفكرية وأبعادها الانسانية تبدو متسقة مع تجربة علي طه الشعرية كلها ، ومنسجمة في اطار فكر ديوانه ، ذلك أن تجربة الحب الحزين محور أســـاسى عند علي طه كما هو عند غيره من أدباء الرومانسية ٠

والشاعر المحب ـ في القصيدة ـ يستعيد (بالحلم) ٠٠٠ وسيلة فنية لابراز الصورة العامة لها ، حيث نحن ازاء محب ، دفعته غربة الروح ووحشة الليل الى أن يخرج باحثا عن المحب حيث كان يلقاه ، بيد أنه لايلقى هناك الا طيفا يمثل تجسيدا لحبه ، قد تجرد عنه وجاء على اثره مشـــفقا عليه من الليل الرهيب ، والوحـدة القاسية ، حاملا في يديه زهرة تقطر ماء تعد هي الأخرى رمزا لعاطفته الحزينة ، لذلك فقد عرفت عينه بها أدمع قلبه ٠ ويتحاور الحبيب مع طيف الحب « هام فى الليل شريدا » وتأتي ساعة اللقاء الواعدة بالأمل ٠٠ وهنا يناجي الحبيب محبوبه واعدا اياه أن يبذل كل مايملك « من حسن وذخر ومتاع » لقد أعد له قلبا ذاب فى الهوى فجمع بين رهافة اللحن وسحر الضوء ، لقد ذاب القلب فصار نشيدا « مثلت الحانه همسات النجم فى أذن الغسق » ٠

لهذا يســـتعطفه أن يتأمل هذا القلب المذاب « دما فى راحتيك ، وذماء منك يستوحي الحياه » ، ويتمنى أن يغنى فيه « كما يتغاني الغيم في البحر العباب » ٠٠

وفي النهاية يتضرع له ليرعى زهرة الحب الحزينة ، ويمنحها ـ بالوصل واللقيا ـ الربيع المرتجي ، ذلك أن فى اللقاء حياة تجعل الأيام تصدح بلحن رخيم دائم ٠ وهكذا تجسد القصيدة رؤية محب حزين يرى فى البعد الفناء والبكاء ، وفي الوصل الحياة والغناء ٠٠٠

هكذا تجسد الصورة العامة للقصيدة (رؤية متميزة) للشاعر الانسان ، وتفصح عن وجهة نظر (خاصة) فى الحياة ، قد نتفق معها فكريا أو لانتفق ٠ هذه الرؤية العاطفية التي ترى فى الحب خلاصا من تعاسة الحياة وحزنها ، تؤكدها تجربة علي محمود طه فى كل ديوانه ٠

وحين نتجاوز الصورة العامة للقصيدة الى طبيعة (الجملة الشعرية) ، التي تفصح عن مجموعة من الصور الجزئية والتعبيرات المجازية تشكل في النهاية لحمة القصيدة وسداها ، أو تجربة الشاعر فى جملتها ، سوف نرى أن الجملة فى شعر علي طه تتجاوز الوظيفة الاشارية التقريرية المباشرة الى الدلالة التعبيرية المصورة ٠ أي أن الشاعر لايشكل بنية القصيدة بجمل تقريرية ـ وانما يستعين فى ذلك بالصورة البلاغية وماعداها من وسائل الرمز والمجاز ، وتجسيد المعنوى (الحب زهرة) و (الحب ٠٠ طيف) ٠ ثم أنسنة وتشخيص المادى ٠٠ من ذلك هـذه الصورة المركبة التي يرسمها للقلب :

يتمني فيك لو يغني كما ... يتغاني الغيم في البحر العبـاب
أو يلاشي فيه حيا مثلمـا ... يتلاشي فى الفحى لمح الشهاب

وتنقلنا الجملة الشعرية المصورة بالضرورة الى الحديث عن (المعجم الشعرى) ، ذلك أن الشاعر مادامت قد أصبحت له رؤية خاصة متسقة في اهاب تجربته كلها ، ومادام يستعين باللغة المصورة ـ وليس باللغة الاشارية وسيلة للتعبير ، من هنـا فان اللفظة في شعره تتجاوز معناها المعجمى الى دلالة خاصة جديدة تتسق ورؤية الشاعر ٠ هكذا يمنح الشاعر العبقرى اللغة دلالات جديدة أو متطورة ، وهذا مانجد عليه شعر علي محمود طه الذى يقول عنه :

الشــعر عندي نشوة علوية ... وشـعاع كاس لم يقبلها فم
اني بنيت علي القديم جديده ... ورفعت من بنيانه ما هدموا !

هكذا تلقانا الصور الفنية فى شعر علي محمود طه زاخـــرة بالحياة خصـــبة

بالعطاء ، حيث نجد الشاعر يستعين على تشكيلها بكل وسائل الاحساس البشرى المبصرة والمصغية والمتذوقة والمتأملة ، كما تمزج بين الكون والطبيعة وبين المادى والمعنوى وبين رهافة الحس وصخرية الحياة ٠

هذه الصور الفنية الخصبة بوحداتها اللغوية ذات الدلالة المتجددة عند علي محمود طه تنقلنا الى وسيلة أخرى من أدوات الشعر ، وهي (الموسيقى) التى تعد فيالشعر سمة أساسية وأداة فارقة له عما عداه من الأنواع الأدبية ٠ ولاشك أن موسيقى الشعر مثل لغته تتعدد من مدرسة الى أخرى وتتنوع من شاعر الى غيره ٠

واذا كان أحمد شوقي يعد قمة فيالغنائية لم يصل اليها أحد فيشعرنا الحديث ، فان الشاعر الفرد المؤهل لكى يرثه بجدارة فى هذه « الغنائية » هو علي محمود طه ، الذى وفر لشعره من ضروب الايقاع والوزن والقافية تجديدات وتنويعات تعطى القصيدة عنده سمة (غنائية) باهرة ٠

وعلي طه مثل غيره من بعض شعرائنا الرومانسيين قد فطنوا الى الشكل الموسيقى للموشحة ، وهذا ماغاب كثيرا عن شعراء مدرسة الاحياء ومدرســة عبد الرحمن شكرى ٠ بيد أن علي طه وناجي قد استغلا بقوة شكل (الموشحة) وما تتيحه من تلوين في القافية : داخلية أو خارجية ، وهو شكل « الرباعية » التى تتحد فيهـا القوافي الداخلية والخارجية ٠ أو شكل « المخمسة » التى قد تستعين بشطر بيت أو بعض تفعيلاته ٠٠٠ لازمة تخصب موسيقى القصيدة مثل مانفعل « الخرجة » في الموشحة ٠

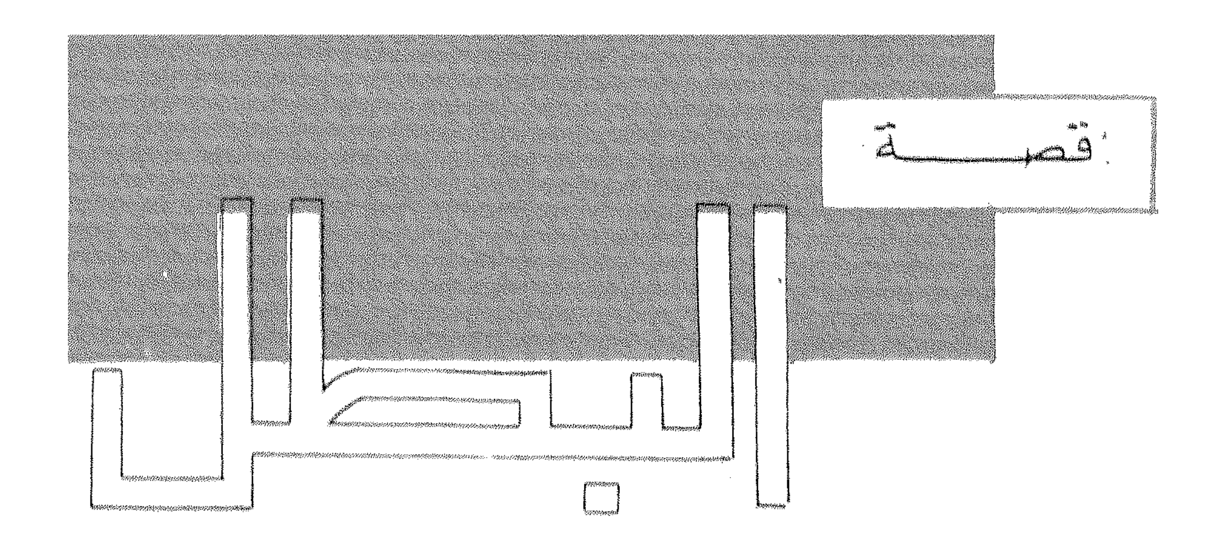
شيء آخر هام يتصل بجماليات القصيدة فى شعر علي محمود طه ، وهو انه يعد من أكثر شعراء جيله من الرومانسيين الذين حاولوا أن يحافظوا على تقاليد القصيدة العربية ، سواء من حيث المحـافظة على وحـدة البحر والقافية أو على نقاوة الكلمة وفصاحتها ، كما أنه يلتقى مع شوقى فى ناحية موضوعية تتصل بمحاور شعره ، وهى أن ديوانه يكشف عن شخصية رجل مثقف ، شغل بالهمـــوم العامة لوطنه وأمته ، من هنا يمكن أن نجد فى ديوانه مايسمى بشعر (المناسبات) على المستويين المحلى « المصرى » والقومى « العربى » ٠

ورغم كل هذا فان من يقرأ ديوانه ، ويتأمل بعض نماذجه مثل : النشيد ـ الله والشاعر ـ يوم الملتقى ـ أندلسية ـ صخرة الملتقى ـ كأس الخيام ـ التمثال ـ قلبى ـ ليالى كليوباترة ـ امرأة وشيطان ـ ميلاد شاعر ٠٠٠ هذه القصائد على سبيل المثال ، تؤكد كل ما ذكرناه عن تقاليد القصيدة عند الشاعر علي محمود طه ٠ أكثر من هذا تؤكد أيضا انه رغم حرصه على (المحافظة) أحيانا ، فقد كان فى نفس الوقت من أكثر شعراء جيله طموحا الى محاولة تحقيق (وحدة النسيج الفكرى) لبنية القصيدة ، وربط محاورها فنيا وموضوعيا ، بحيث تبدو منسجمة التركيب متحدة البناء متناغمة الاجزاء الى حد كبير ٠

ومهما يكن من أمر فسيظل علي محمود طه علما من أعلام شعرائنا المحدثين وثانى اثنين من كبار شعراء مدرسة أبوللو هو وابراهيم ناجي ، وهما بالاضافة الى أبى القاسم الشابى وبعض شعراء المهجر وعلي رأسهم جبران خليل جبران وايليا أبو ماضى وميخائيل نعيمة ـ يعدون الاساتذة المباشرين لشعرائنا المعاصرين فى الوطن العربى كله ، وكانوا من أحرص الشــعراء على السعى نحو التجـديد والتبشير به والدعوة اليه (١)

---

(١) لمزيد من التفصيل حول شعر على محمود طه ٠٠ يراجع :
ـ شوقي ضيف : دراسات فى الشعر العربى المعاصر ٠ ط دار المعارف ـ القاهرة (الخامسة) ١٩٧٤ ٠
ـ طه حسين : حديث الاربعاء (ج ٣) ط ١ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ ٠



● كتبها عميد المسرح : يوسف وهبى ●

● هل من الممكن ان يجتمع الطموح والفشل فى شخص أو مخلوق ؟ ..

ان الطموح والفشل ضدان .. والشخص الطموح عادة يسعى وراء النجاح بشتى الوسائل .

أما الانسان الفاشل فهو فى العادة بليد يتصف بالغباء وعدم الاكتراث والقصور .. ثم اليأس والخنوع والاستسلام فى النهاية ، خاصة اذا كثر الفشل وقنع صاحبه بأن يظل فى ذيل الطابور !

لكن بطل قصتنا كان يجمع الضدين فهو فاشل جدا ، لكنه فى نفس الوقت طموح جدا ! ..

منذ ان بدأ الدراسة فى كتاب القرية وهو كسول شارد الذهن ليست له رغبة فى التحصيل والدراسة ، ولم تغير طباعه عصا المعلم ولا توبيخه ولا زجر ابيه الفلاح الفقير الذى كان جل مناه ان ينجح ولده فى التعليم كى يصبح يوما ما موظفا فى الحكومة أو ناظر زراعة . .

ومع التكرار استطاع (شمروخ) وهو بطل قصتنا ــ بعد الجهد وخيزرانة معلم الكتاب ــ محو أميته واستيعاب جزء من القرآن الكريم .

وجاء الفرج فقد أعلنت الحكومة التعليم المجانى فى مدارسها بالقرى والحضر ، فتوسل والد (شمروخ) الى ناظر العزبة والعمدة فعاوناه على الحاق (شمروخ) بالمدرسة الابتدائية ، وحمد الله على هذه النعمة ..

وانخرط (شمروخ) مع جموع ابناء الفلاحين الطامعين فى الدرس والتحصيل وزغردت ام شمروخ فرحا ، وحسده اخوته الجهلاء على هذه المنة العظيمة ..

وما ان انصرم العام الدراسى حتى رسب فى امتحان الانتقال مما دفع والده الى ضربه ضربا مبرحا ، واجباره على العمل فى الحقل خلال العطلة الصيفية .

وعاد (شمروخ) الى المدرسة ليعيد السنة الدراسية ، وهيأت له موهبته فى لعب كرة القدم ان ينضم الى فرقة المدرسة فذاع صيته بين الطلبة ، ولاول مرة يصبح بطلا .. لكنه رسب فى الامتحان مرة اخرى ، ففصل من المدرسة !

وخشية عقاب الوالد هرب (شمروخ) من القرية ، ولجأ الى عم له يعمل فراشا فى عيادة طبيب بمدينة المنصورة فآواه .

واعتاد كل يوم أن يذهب الى عمه فى



العيادة وأجبره عمه على معاونته ٠وكان شمروخ ينتهز الفرصة للفرجة وقـــراءة بعض المجلات والجرائد التى توجد عادة فى غرفة انتظار المرضى ، فأعجب بما فيها من صور لكبار ممثلات وممثلى السينما ٠ وكل مرة يمنحه عمه بضعة قروش كان يهرع بها الى دور السينما فى المدينة ٠٠ وكان يهتف ويصفق (للشجيع) بطـل الفيلم وما يأتيه من ضروب البطولة ٠ وفى العيادة يسرع الى المجلات ليشبع نهمه فى قراءة ما يكتب من اخبار ممثلى السينما ٠

ولأول مرة شعر (شمروخ) بالطموح ٠٠ ولكم تمنى ان تتاح له الفرصة لرؤية هؤلاء النجوم شخصيا ٠٠ ومن يدرى فقد تهيىء له الظروف العمل معهم ٠

وكان عمه يباغته فى العيادة واقفا امام مرآة يمثل ادوار النجوم ويكون نصيبـه ركلة قدم أو بعض الصفعات ٠

فى أحد الأيام بينما كان شـمروخ يتصفح خلسة احدى المجلات عثـــر على اعلان مثير ٠٠ شركة من شركات السينما بالقـــــاهرة تعلن عن حاجتها لمجاميع (كومبارس) ليعملوا فى أحد الافلام ٠

جن جنونه ٠٠ لقد جاءت الفرصـــة ، فتضاعف طموحه ٠٠ سوف يصبح يوما ما بطلا سينمائيا ٠٠

ولم يضع الوقت ، قطع من المجلـــة عنوان المكتب السينمائى ٠٠ وفى فجـــر اليوم التالى حطم دولابا كان يعلم ان عمه يخبىء فيه مدخراته ، وسرق كل ما وجده وكان حوالى سبعة جنيهات وبضعة قروش وهرع الى محطة السكة الحديد ، واستقل أول قطار الى القاهرةوقصد توا الىعنوان مكتب الكومبارس ووقف مع الجمـــوع الغفيرة ينتظر المعجزة ٠

كان (شمروخ) وقد تجاوز الستة عشر

ربيعا ، حسن الطلعة فارع القامة ٠٠وبعد عدة ساعات استعرض رئيس المكتب هذه الجموع لعمل معاينة ٠ ووقف (شمروخ) بينهم وقد اشتدت ضربات قلبه حتى كاد يصاب بالدوار ٠ وجاء دوره ، ونظر مندوب الشركة اليه متفحصا وصاح : مقبول !

لم يصدق (شمروخ) اذنيه الا عندما سحبه أحد المساعدين وقيد اسمه،وطلب منه الحضور فى الخامسة من صباح اليوم التالى ٠

وخرج (شمروخ)من المكتب وهو يرقص كالمجانين ٠٠ وسار في شوارع القاهرة مذهولا من تدفق الحركة والزحام في القاهرة ٠٠ وما ان ساقته قدماه الى دار من دور السينما حتى وقف فاغرا فاه يتطلع الى صور الفيلم المعروض ٠

جلس « شمروخ » يستعرض ماراى فى يوم واحد ، فغمرته السعادة ، وقاوم النوم ما استطاع .. وظل ينصت الى دقات ساعة ميدان تدوى من بعيد حتى اذا دقت الرابعة هب واقفا وقصد الى مكتب « الكومبارس » وظل يسأل كل من يصادفه من المارة كى يدلوه على الطريق ، وعند وصوله وجد بعض « الكومبارس » ، وتوافد الكثيرون بعده فكان يظل فى أول الصفوف .. وفى الخامسة تماما وصلت ثلاثة أوتوبيسات ووقف مندوب المكتب ينادى الاسماء ، وسارت بهم القافلة الى الاستوديو فى شارع الهرم ــ وهناك ــ نزل مع الجموع ، وساروا بهم الى مخازن الملابس،والبسوه ملابس بلدية،وساقوهم الى الاستديو واجلسوهم فى منظر « ديكور » يمثل مقهى بلديا حيث ظلوا اربع ساعات طوال حتى وصل المخرج وبدأ يقسمهم الى مجموعتين : وشرح لهم اللقطة وهى معركة حامية بالأيدى واللطمات ثم الكراسى والموائد ..

جاء النجم البطل حيث قوبل بكل حفاوة ــ ودارت الكاميرا .. وتبادل « الكومبارس » الضربات الموجعة وتحطمت الكراسى والموائد فوق رءوسهم ، فصفق المخرج مسرورا ، وتفحصهم ليختار منهم واحدا ، فيكفى فى اللقطة التالية لطمة من البطل تلقيه أرضا ٠

فسارع « شمروخ » وعرض نفسه على المخرج فوافق أن يسند اليه دور المضروب ، وافهمه ان المشهد يتطلب منه اذا ما لطمه النجم أن يسقط متظاهرا انه أصيب بضربة قاضية ، بعد أن أفهمه أن اللطمة مصطنعة ولن يصيبه سوء ٠

ودارت الكاميرا ، وناوله النجم لكمة راعى فيها عدم ايذائه ، لكن « شمروخ» اراد أن يثبت للمخرج قدرته على التخيل فرد على النجم بلطمة آلمته ، ثم انقض عليه ممسكا بخناقه ، وضاغطا على حنجرته وصم أذنيه عن صياح البطل : « سيبنى .. سيبنى » ولم يجد بدا لانهاء المشهد الا أن يستجمع قوته وهو رياضي مشهور : ولكمه بعنف بالغ ، فسقط « شمروخ » على أرض الاستوديو فاقدا وعيه والدم يسيل من فمه ٠

صفق المخرج لنجاح اللقطة وصاح .. « ستوب » .. عال جدا !

وقال « لشمروخ » : قم يا شاطر ٠٠ لقد أجدت التمثيل ٠٠

لكن الجميع رأوا الدماء تسيل من فمه ، وسارع مساعد المخرج لمساعدته على الوقوف ، فوجدوه بلا حراك ، واقبل كل من بالاستديو وفيهم البطل النجم ورفعوه من الارض وحاولوا افاقته بصب الماء ، ثم لجأوا الى مستحضر طبى ٠

ولما فتح « شمروخ » عينيه وكشف أحدهم على فمه ، راعهم أن الضربة قد اصابت فكه وكسرت له سنتين ٠٠٠

وأسف النجم وكان بطبعه رقيق الطباع فأخذه بين ذراعيه معتذرا عما حدث ، ولم يشأ أن يتركه فى هذه الحال فصاح ، سأحمله بسيارتى الى طبيب ، وأمر بايقاف التصوير ٠٠٠ وحملوه الى

سيارة البطل الذى لم يشأ ان يزيل عن وجهه « الماكياج » ، وانطلق بسيارته الى الاسعاف ، فضمدوا جرحه .. الا انهم اكتشفوا أن المصاب فقد سنتين من اسنانه .

واستعاد « شمروخ » ذاكرته وادرك ما وقع له ، وقام الطبيب بالاسعافات الأولية ، وســـأل النجم « شمروخ » عن عنوان مسكنه .. فباح له« شمروخ» بسره ، فأخذت النجم النخــوة فأخذه معه الى الاستديو وأفهمه أنه سينزل طوال مدة العلاج ضيفا عليه ..

وكان هذا الحادث بمثابة ليلة القدر « لشمروخ » ، فصــاحب النجم فى غدواته وروحاته ، واصبح على مر الأيام الرفيق له فى كل سهراته .. وتوطدت عرى الصداقة بينهما ، وعلى مر الأيام صار سكرتير النجم وتابعه الخاص .. واصبح شخصية معروفة فى الأوساط الفنية ، وبدات الدنيا تبتسم له وعرف أسرار المهنة ..

وزادت معارفه من مواصلة القراءة فى المجلات والسيناريوهات ، واختلط بالكثير من الادباء والصحفيين وذوى الحيثيات حتى وصل الى وظيفةمساعد مخرج .. ولميحفل بسخرية العاملين فى الحقل الفنى ، بل شمخ بأنفه واصابه الغرور ، وكان يدس انفه فيما لا يعنيه وادمن شرب الخمر ، وايقن انه سيصبح نجما يشار اليه بالبنان ..

وقد فتح الحظ له أبوابه على مصراعيها، ووصلت به الجرأة والقحة الى مغازلـــة نجمات السينما ، وزادت جرأته الى حد أن يطارح خطيبة ولى نعمته الغـرام ، وتعبت من زجره ونهره فاخبرت النجم بكل ما عانته من مضايقات « شمروخ » فثار ثورة عارمة وطرده شر طرده .
وبين ليلة وضحاها وجد « شمروخ» نفسه فى الشارع ، وتداول الوســـط الفنى الفضيحة ، فكان فى كل محاولة منه للعمل مع فنانين أو مخرجين يقابل بالطرد المهين ..
حاول أن يعمل فى التليفزيون أو الاذاعة ففشـــل ، وجاء صـــاغرا الى حظيرة « الكومبارس » بعد ان ثبتت عـــدم صلاحيته ليكون ممثلا .

***

وشاهد ذات ليلة فيلما سياســـيا مليئا بحوادث جهنمية قد توصـــله الى مبتغاه ، وترفعه الى مصاف الابطال .

اختار من بين الجماعة المنشـــقة على المجتمع شابا فيه كل مظاهر البلاهة والغباء وبدأ فى الســيطرة على عقلـه واستطاع أن يجرى له غسيلا للمخ ، وأصبح بعد أيام معدودات طوع بنانه ، فاوعز اليه أن يقوم بدور زعم انه وطنى عظيم سيخلد اسمه فى التاريخ ،وأوحى اليه أن يغتال سياسيا من أعداء الجماعة وظل يلقنه خطته المرسومة بعناية ..

وتمكن « شمروخ » أن يحصـل على مسدس وقام بتدريب الشاب الأبله على اصابة الهدف .

وسنحت الفرصـــة عنـدما قرأ فى الصحف أن شخصية كبيرة ســيلقى خطابا ســياسيا فى سرداق كبير بحى شعبى .

وافت ســاعة التنفيـــذ ، واندس « شمروخ » ومعه الشـــاب الأبله بين الجموع الحاشـــدة وســـط السرداق الكبير ..

وصل الســـياسى وتعالت الهتافات المدوية ، وبدأ السياسى فى القاء خطبته ووقف « شمروخ » بجوار الشاب الذى كان يرتجف خوفا ويتصبب العرق من جبينه .. وكان « شمروخ » يزجـره ويشجعه فى آن واحد ..

مضت نصف ساعة والجمهور يصفق ويهلل لتصريحات السياسى • ورأى « شمروخ » أن اللحظة الحاسمة قدحلت فأعطى الاشارة المتفق عليها للشاب الذى كان شبه منوم مغناطيسيا ،فأخرج الاخير مسدسه ، وباشارة أخرى صوبه الى رأس السياسى وغمزه « شمروخ » بكوع ذراعه ، وانطلق الرصاص فى نفس اللحظة التى انقض فيها «شمروخ» ودفع بذراع الشاب الى أعلى ، وطاش الطلق فى الهواء ، ثم انقض «شمروخ» على الشاب وأحاط عنقه بكلتا يديه والناس فى وجوم وذهول •• وظل يضغط بقبضته على حنجرته ضغطا قاتلا •• وما ان أفاقت الجموع حتى كان الشاب جثة هامدة فارقتها الحياة!

وأسرع رجال الشرطة بين الدرج وقد وقف شمروخ بجوار القتيل شامخا بانفه ، وأدرك الجمع الحاشد ما قام به « شمروخ » لانقاذ زعيمهم من الموت ، فرفعوه فوق رءوسهم ، وساروا به فى مظاهرة حاشدة وهم يهتفون : « عاش البطل » •• بينما تظاهر الزعيم بعدم الاكتراث ، وواصل خطبته •

وحملت الشرطة جثة القتيل ،وقادت المظاهرة التى رفعت « شمروخ » على الأكتاف الى دائرة الشرطة لاستجوابه

وأجابهم « شمروخ » برباطة جاش انه حضر لسماع الخطبة وتصادف انه وقف بجوار ذلك الشاب الذى لايعرفه، وقد لاحظ عليه اضطرابا وارتباكا ظاهرا أثار اهتمامه ، خاصة وأن القاتل كان يحاول الاقتراب من المنصة دافعا أمامه الحاضرين •• ثم رآه يضع يده فى جيب سترته ويخرج شيئا عرف بالبديهة انه مسدس ، ففهم على التو غرضه الاثم •• وعندما وجده يصوب الفوهة باتجاه المنصة انقض بسرعة البرق ودفع ذراعه الى أعلى فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الشاب النار وأنه لهول ما رأى قد فقد أعصابه وانقض على الشاب وأمسك بخناقه بكل قوة ، ولكنه لم يقصد سوى أن يشل حركته ••

نال « شمروخ » ثناء عاطرا من رجال الأمن وسمحوا له بالانصراف بعد ان سجلوا اسمه وعنوانه •

وعند خروجه من الشرطة وجد صفوفا من المعجبين والمصورين ، وسارت خلفه جموع غفيرة من المواطنين•

فى عشية وضحاها امتلأت الصفحات الاولى بصورة « شمروخ » وامتداح شجاعته ، وتهافتت الصحف لأخذ الاحاديث المستفيضة •• وصار « شمروخ » الفاشل بطلا واغدقت عليه الهبات السخية ، وخيروه أن يترأس مجلس ادارة احدى المؤسسات وزينوا صدره بنيشان البطولة من الدرجة الاولى •

ويعيش اليوم « شمروخ » فى قصر يقف على بابه الحراس ، وتنحنى له الهامات •

●

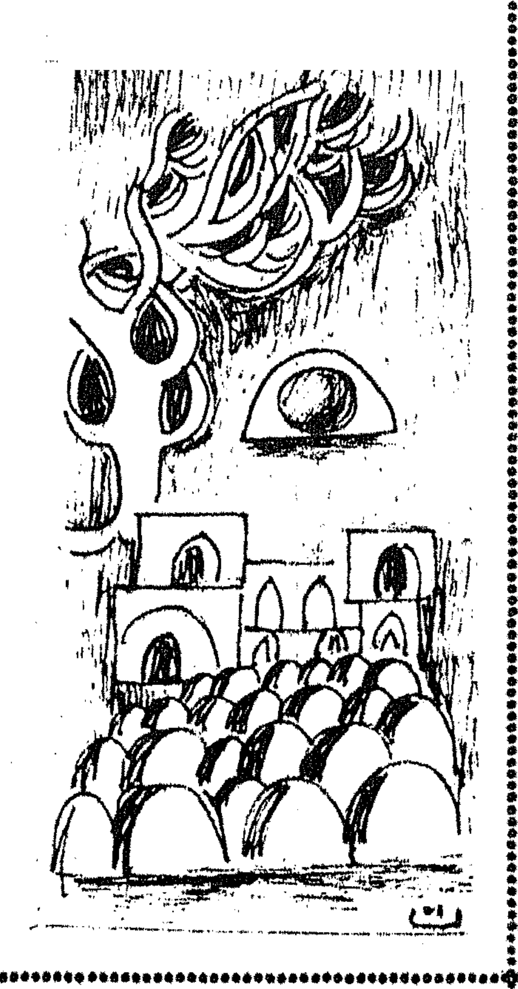
هذه القصة من خيال المؤلف •• وهدفه الوحيد هو كشف الستار عن نماذج وشخصيات يرتدون ثوب البطولة ، وما هم فى الواقع سوى وصوليين استطاعوا بالخديعة والبخل والزيف ـ ولهم ماض قذر ـ أن يصبحوا ابطالا افذاذا •• ويعيشون مكرمين معززين يشار اليهم بالبنان •• ولقد قرأنا مرارا وسمعنا قصصا وحكايات عن بعض من نعتبرهم ابطالا وما هم فى الحقيقة سوى متسلقين وصوليين •• ؟

●

القلم

محمد برهام

هل نظلم النَّفس أم هلْ نظْلمُ القلَمـا
ترى إذا ما كتبنا أينـا ظلَمـَـا ؟
نُملي عليه كما شِئْنا خواطِـرنا
يريدُ عقلا ذكيّـا والمدادُ فمَـا
تـكلم الناس فوقَ الطرس أسْطرهُ
ويقرأ الناس مهمـوما ومبْتسِـمًا
يا قِطعَةَ الغاب خرسـاء وناطِقـة
سجّلت فى الرُّقعَةِ الأفكارَ والكَلِمَا
لولاكَ طارتْ بخـارا لا نكشفه
وسرْبَلَ الجهْلُ هذا الكون ما علمـا
فهل تثابين إن أسْـديتِ عـارفَةً
يَوما ، وكنتِ لفِكر النّاس مُعتصِما
أو سوفَ يُنْصِيكِ من أمـلاك ناحِية
وقتَ الحصاد ، ويَغْدو حاصِدا نهمـا
وهَل تجازين إن كانَت عـواقب مـا
سَطَّرت ، تهدر حقًّا أو تريقُ دمـا
وما فعلتَ لِمبْراةٍ شُطِرْتِ بِهـا
شطرين ، والرأس من آثارهَا انقسَما
أطاعَ شِقاك ما جَفَّـا لموجـدة
وقلت أنجزُ عهْـدا صار ملتزمـا
أمْ أنتِ فى اليَد بلهـاء مسيَّرة
من الجمادِ ، جرى قسْرا وما فهِمـا
نخشى سُؤال الذى أملى يُعاتِبُنـا
لأنه صار مسئولا ومتهمـا ...!
فَمَن إذنْ ذلك المسئول ، إنْ هُنَـا
قضية اثنَين ضاعَ الحـق بينَهما !



صفحات من التراث

المعجم فى بقية الأشياء

لأبى هلال العسكرى

● د. أنس داود ●

لقد كان أبو هلال العسكرى واحدا من العبقريات الكثيرة التى تخلى عنها الحظ فى الشهرة وذيوع الصيت ، ولقد ظل سوء الحظ مثلا يطارد شاعرا عظيما كابن الرومى حتى عصرنا الحديث . فقد ظلمه رجال الأدب القديم : ولم يعطه حظه من العناية والتقدير رواة السير والأخبار الأدبية ، وظل ديوانه رهين الغبار يتراكم عليه التراب جيلا بعد جيل . وكذلك كان حظ اديبنا أبى هلال العسكرى .. الذى تنم بعض مؤلفاته عن عقلية خاصة ، تتمتع بكثير من صفات التميز والندرة بين كتاب العربية ومؤلفيها ..

قيض لأبى هلال العسكرى أن يحارب فى شهرته قبل أن يولد ، فقد شغل الناس قبل ميلاده عالم كبير هو أبو أحمد العسكرى ، وكان أحد الائمة المشار اليهم بالبنان فى العلوم العربية ، وقد تنقل بين بغداد والبصرة واصفهان وغيرها من عواصم المعرفة فى ذلك العصر ، وذاع صيته فى الآفاق ، وانتهت اليه رياسة التحديث والاملاء للآداب ، والتدريس بقطر خوزستان : ورحل اليه العلماء والادباء للاخذ عنه والقراءة عليه ، حتى توفى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة من الهجرة الشريفة ..

وكان هذا العالم الجليل هو المعلم الأكبر لابى هلال العسكرى ، حتى انه لا يكاد يذكر غيره فيمن ينقل عنهم من الشيوخ والعلماء .

وبقدر ماحظى ابو احمد بالشهرة وبعد الصيت ، باء ابو هلال العسكرى فى حياته بالاهمال من علماء عصره ، وخمول ذكره بين معاصريه ، ولم يكن له من الرحلة فى العواصم العربية ، ولا من الاتصال بالعلماء والادباء وذوى الشان ماكان لابى احمد العسكرى ، فظلت حياته محدودة بعطائه العلمى الوفير الذى لم يكشف عن معدنه الحقيقى ، واصالة موهبته العلمية الا بعد أن اختاره الله الى جواره ..

وعلى ذلك فبين أيدينا مؤلفات قيمة ، وسيرة لرجل عالم مفكر أصيل ، غير بينة الملامح ولا واضحة السمات مع أنه عاش نيفا وثمانين سنة ، وظل عاكفا على العلم والتحصيل والتاليف المتعدد فى جوانبه وفنونه .. وقد أحس الرجل احساسا عميقا بما ساد حياته من ظلم وحرمان ، وعدم معرفة أبناء



ابو هلال العسكرى : بريشة الوردجى

عصره بقدره الرفيع ، فترك ابيـــاتاتقطر اسى ، وتفيض مرارة والما ، على نحو مايقول :

ارى الدنيا تميل الى اناس　　لئام ما لنا فيهم صـــلاح
بقيت كطائر فى قبض باز　　جريح الجسم هيض له جناح

وقد ترك أبو هـــلال مجموعة مـــن المؤلفات القيمة فى عديد من المعـــارف الأدبية واللغـــوية ، وذكر له ياقوت فى معجم الادباءعشرين مؤلفا تشهد بفضله، ورسوخ قدمه فى علوم اللغة والأدب . وأشـــهر هـــذه الكتب كافة كتابه « الصناعتين .. الكتابة والشعر » وقدخصه الباحثون فى عصرنا بدراســات قيمة ، كما اعتمد كل مؤرخى الثقافةالعربية ، والمعتنين بالبلاغة وتطـــور مفاهيمها وجهود رجالها على هـــذاالكتاب كمعلم من المعالم المميزة فى تاريخ البلاغة العربية .

واذا كانت كل مؤلفات أبى هـــلال تشهد له بالمشاركة فى علوم عصره ، فان بعض مؤلفاته تخصه بالتفرد ، وأصالةالنظرة ، واقتحام مجالات فى التاليف لم يقتحمها غيره ، ونفاذ بصـــيرته الى أشياء لا يلم بها الا ذوو الريادة مـــن العلماء الافذاذ ..

من ذلك معجمه الصغير عـــن الفرق بين المعانى ، ولعله معجم متقدم عـــلى عصره ، ويكاد يذكر بالمعاجم المتخصصة التى تؤلف فى عصرنا بعـــد ان اكتشفت الحاجة اليها من خلال التقـــدم العلمى والفكرى الواضح فى مختلف مجـــالات المعرفة ، وهو معجم يختص بالكشـــف عن معانى المصطلحات .. اما المعجـــم الثانى فهو لا يقل طرافة ولا عمقـــا عن المعجم السابق ، انه معجم يرصـــد الالفاظ الدالة على بقايا الاشياء ، وقداكمله وعلق عليه وضـــبطه الاديبان

ابراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبي من علماء عصرنا ، وقامت مطبعة دار الكتب المصرية بطبعه ونشره عام ١٩٣٤ م وقد صدره الأديبان المحققان بمقدمة قيمة ذكرا فيها الكثير عن حياة هذا الأديب العلامة ، مما انتفع به الذين الفوا عن أبي هلال العسكري بعدهما ، وان كان بعض هؤلاء المنتفعين قد خانوا امانة العلم فلم يذكروا هذين الرائدين على هذا الطريق بكلمة فضل واحدة ، بل لم يشيرا الى جهدهما بين مراجعهم كما تقتضى أمانة العلم ، وخلق الرجال.

واذا كنا ننتهز هذه الفرصة لنرد الحق لأصحابه ، فاننا نذكر شيئا مهما نبه اليه هذان المحققان فى صدر منشورهما ، وهو اننا نتداول القليل من الفاظ لغتنا فى كتاباتنا وأشعارنا ، وأن لغتنا غنية غنى رائعا فى ألفاظها ووسائل اشتقاقها ، وفيما وعته من قديم حضارتها ، وذلك امر نبهنا عليه مرارا ، ولفتنا معاصرينا الى أن الفقر فى تداول الكلمات يوشك ان يسد عليهم الكثير من طرق الابداع ومن طرق التفكير ..

يقول المحققان : « ولغتنا اليوم بين يديها حضارة ذات الوان مختلفة ، لم تستنبت فى بيئتها فتخرج وعليها طابع العربية واسمها ، ولكنها انحدرت الينا غريبة بأسمائها ، اعجمية فى طابعها ، وكان لابد لنا من أن نتصل بتلك الحضارة فاتصلنا بها ونحن على بعد من لغتنا والالمام بها ، بل منا من كان بصره باللغات الاجنبية يزيد على بصره بالعربية . نعم ، كنا من اللغة على بعد ، ولا نكون غالين اذا قلنا ، بأن المتداول بين أيدينا منها كان ولا يزال قلا من كثر ، وقطرة من نبع ، ومن كانت هذه حاله من لغته ، لا يتداول منها الا القليل من الألفاظ والتراكيب ، فشعوره أمام ذلك الفيض الأجنبى العجز يرمى به لغته ، والنقص يتجنى به عليها ..

رأينا أن نعود الى اللغة أولا فننشرها ، فما علمنا منها الى اليوم الا القليل — ثم انا بعد نشرها ، على حال مبسوطة ، سهلة التناول ، لواجدون فيها الكثير مما نتهمها فيه بالنقص والعجز ، وسوف يحول شعور العجز فينا بلغتنا الى شعور الفخر بها والاعتزاز بقوتها »

أما ما يهتم به المعجم ، فهو ايراد ما وضعته العربية اسما خاصا لبقية كل شيء من جنسه .. فمثلا يورد أبو هلال فى باب الهمزة :

الآس ، ويعرفه بقوله ، بقية العسل فى موضع النحل ، وذلك مثل ما سمى باقى التمر فى أسفل القفة الكبيرة للتمر : قوسه ، وباقى السمن فى النحي : كعبا — قال الهندلى :

يامي لا يعجز الايام ذو حيد — بمشمخر به الطبان والآس

ويقول فى باب الصاد : مثلا :

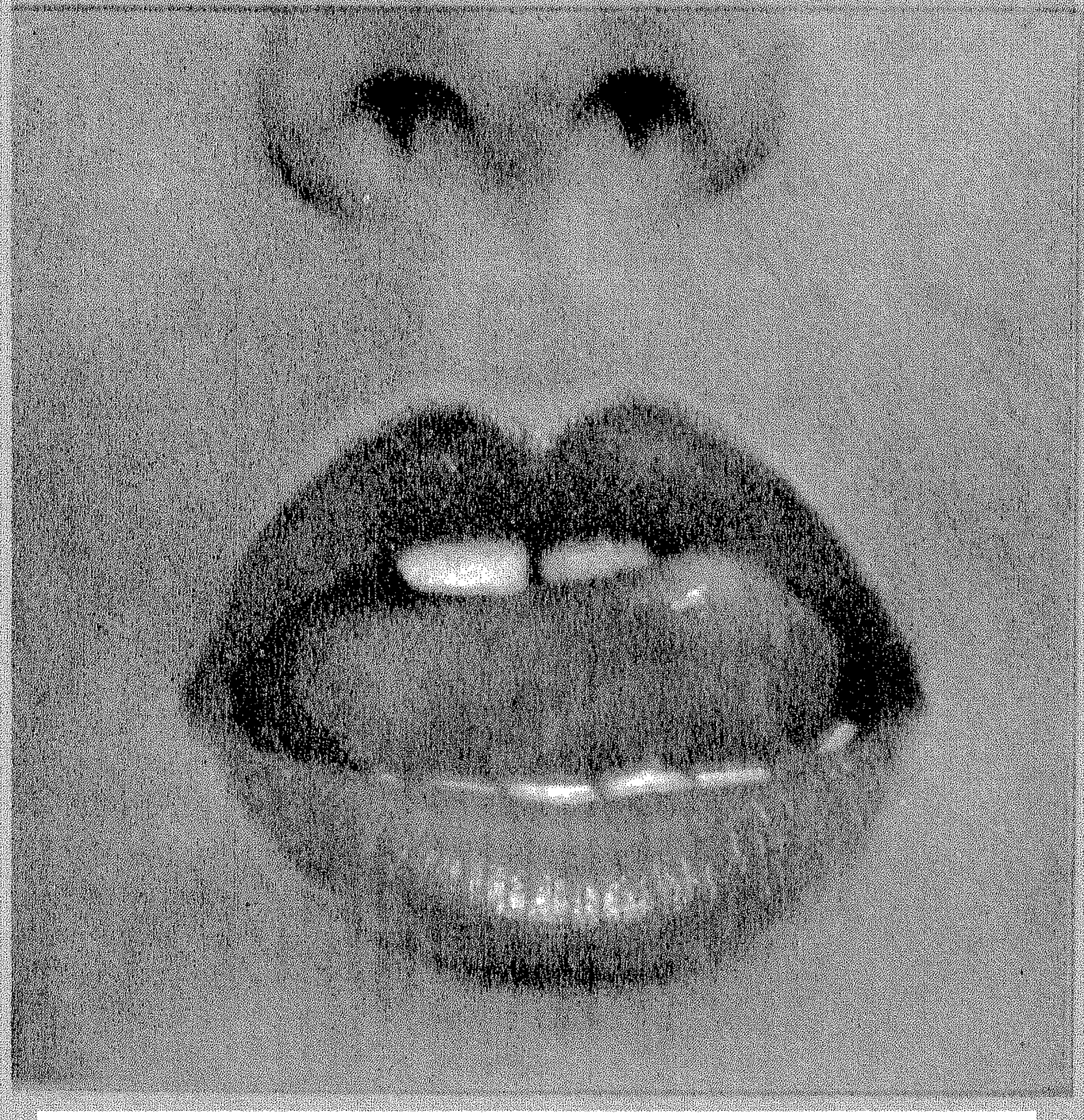
الصبابة : مايبقى فى الاناء من الشراب بعد ما شرب ، ويستعار فى النوم . قال الشاعر :

ومجود من صبابات الكرى — واضح السنة ، عف المكتسب
ماجد الاعراق قد نبهته — لرحيل آخر الليل فهب

وبعد ، فالمعجم فى بقية الأشياء صفحة ناضرة من صفحات تراثنا جديرة بكل اهتمام وعناية حتى نتعلم الدقة فى تعبيرنا ، تلك الدقة التى درجت عليها لغتنا منذ كانت ، وحسبها انها وضعت اسما خاصا لبقية كل شيء حتى لا يختلط بغيره من الاسماء والمسميات .

● من أصغر أعضاء جسم الإنسان، ولكنه من أهمها. وهو يقوم بأكثر من عشر وظائف، ويعبر عن الفكر ويتذوق الأشياء. إنه معجزة من معجزات الخالق

● د. رشدى البدراوى ●



● اللسان ملء الأفواه ولكننا لا نعرف عنه شيئاً، وظيفته الرئيسية المساعدة على الكلام، ولكن وظيفته الحيوية هى تذوق الأشياء والطعوم، كيف يصنع ذلك؟ هذا ما نفصله فيما يلى بالكلام والصورة

● يرتبط اللسان فى اذهاننا جميعا بالمقدرة على الكلام ، ونقــول فى حياتنا اليومية : فلان ذو لسان فصيح ... والحقيقة ان وظيفــة الكلام قــد اضيفت الى اللســان ، اما وظيفته الاساسية فهى حاسة التذوق ...

ولرب قارىء يعترض على هــذا الرأى مقتنعا بان الوظيفة الاساسيــة للسان هى الكلام — وأن الانسان لولا اللغة والكلام لكان مثله مثــل باقى الحيوانات فى هذا الكون .. الا يقال : ان الانسان حيوان ناطق ..

ولكن مهلا أيها القارىء العــزيز ، فهناك فرق بين الوظائف الاساسيــة والوظائف المضافة .

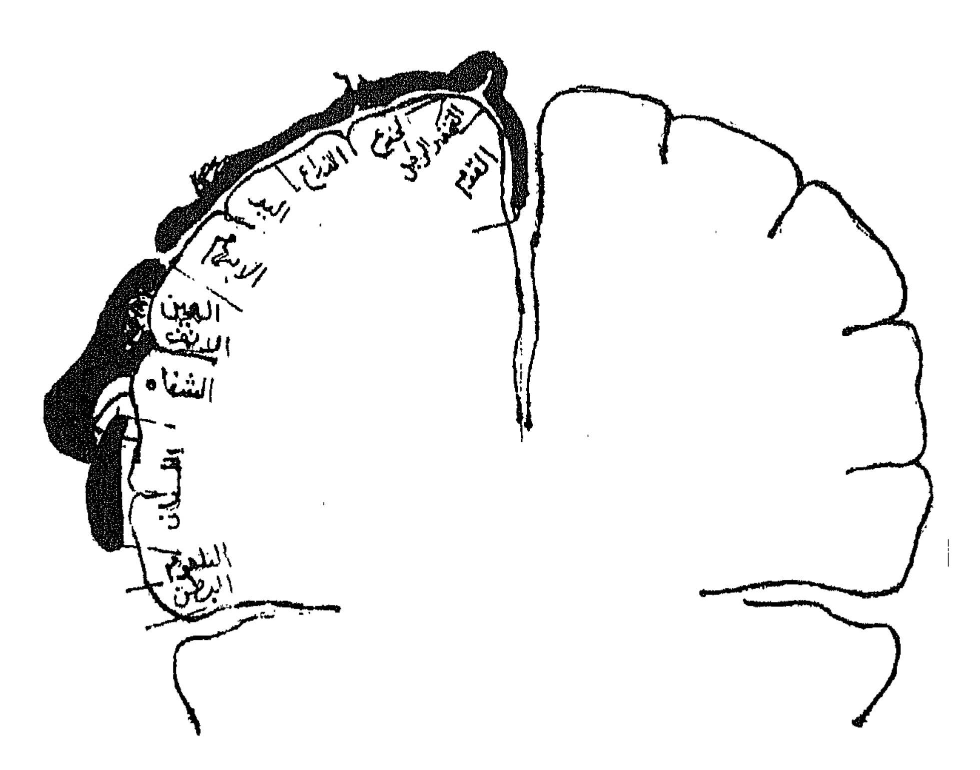
وسأضرب مثلا لذلك : قد يظــن البعض ان وظيفة الحنجرة الاساسيــة هى اصدار الاصوات ولكن الحقيقة غير ذلك ، فوظيفة الحنجرة الاســاسية هى اغلاق المجرى الهوائى ، وبيان ذلك أنه فى الحيوانات البرمائية التى كانت تعيش أحيانا على البر تتنفس الهواء ثم تغوص فى الماء ، كان لابد من وجود عضلة قوية تقوم باغلاق مدخل الهواء أثناء الغوص حتى لا يدخل الماء فى مجــرى الهواء ويتعرض الحيوان للاختناق . وهــكذا وجدت عضلات الحنجرة أساسا لاغلاق مجرى الهواء ... ثم شاءت ارادة الله أن تهتدى الحيوانات الى أنه عند خروج الهواء من هذا المجرى يصدر عنها صوت وبذلك أضيفت وظيفة أصدار الاصوات الى الحنجرة ، واستطاعت الحيوانات أن تتفاهم مع بعضها البعض وبذلك نشأت أول مراحل الحياة الاجتماعيــة فى المجموعات الحيوانية . ولقد بلغ العلماء شوطا كبيرا فى مجال ما يسمى لغــة الحيوان فسجلوا أصواتا للطيور خاصة بالنداء على الجنس الآخر فى موســم التزاوج أو للخطر عند اقترابه . ونحن بنى الانسان نستطيع أن ندرك من مواء القطة ان كانت تحس بالجوع أو هى تريد الدفء ..

ولما وصل سلم التطور الى مداه المقدر له بارادة الله . وزادت مساحة تمثيل القدم فى المخ . وزاد عدد الخــلايا المخية المتحكمة فى أصابعه وزاد ذلك من المهارة اليدوية لديه « شكل ١ » وفى نفس الوقت ، زاد عدد الخلايا الخاصة بعضلة اللسان فاستطاع التحــكم فى حركات اللســان ، وبذلك يستوعب الاصوات التى يصدرها الى حــروف وكلمات . وهكذا نشأت اللغة كوسيـلة للتفاهم بين بنى الانسان ، وعن طريقها انتقلت الافكار والخبرة من فرد الى فرد ومن جيل الى جيل ، وتراكمت المعرفة ، وبمحاولة الربط بينها نشأت العــلوم والحضارات التى ساد بها الانسان على سائر المخلوقات .

ولو حاولت أن تتبع اللسان فى حركته أثناء نطق الحروف لعجبت من سرعته ودقته . فمن ملامسته للأسنان أثناء نطق الثاء الى البروز بينها فى حرف الدال .. او حركة سريعة فى حرف الراء الى غير ذلك من الاوضاع فى كل حرف فى تناسق تام بين حركة اللسان والشفاه ، مصداقا لقوله تعالى : ((**الم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين**)) . « سورة **البلد جزء ٣٠** » .

ويتم ذلك بفضل العضلات المتحكمة فى حركة اللسان طولا وعرضــا وعلوا وانخفاضا . وهى عضلات تمسك اللسان بالفك والعظم اللامى — أو عضــلات داخلية قصيرة فى اللسان ذاته .

لعلك تقول لقد بعدنا كثيرا عن وظيفة التذوق . ولكن هانحن نعود اليها ثانية ، والتذوق كما نعلم جميعا مرتبط أشــد الارتباط بحاسة الشم ومنهما معا يتكون ما يسمى بالنكهة . ولعلك لاحظت كــم يتغير طعم الاكل أو بالأحرى نكهتــه حينما تصاب بالزكام وينسد الانف ، وكم من زوج اتهم زوجته بأنهــا لم تحسن الطبيخ فى يوم ما لانه لا يجد له طعمه اللذيذ الذى أعتاد عليه . فى حين أن السبب هو اصابته بالزكام وفقــدانه المؤقت لحاسة الشم بسبب انســداد



شكل يبين تمثيل الاعضـــاء في المخ ومنه يتبين كبر المساحة المخصصة للقدم واليد والابهام واللســـان

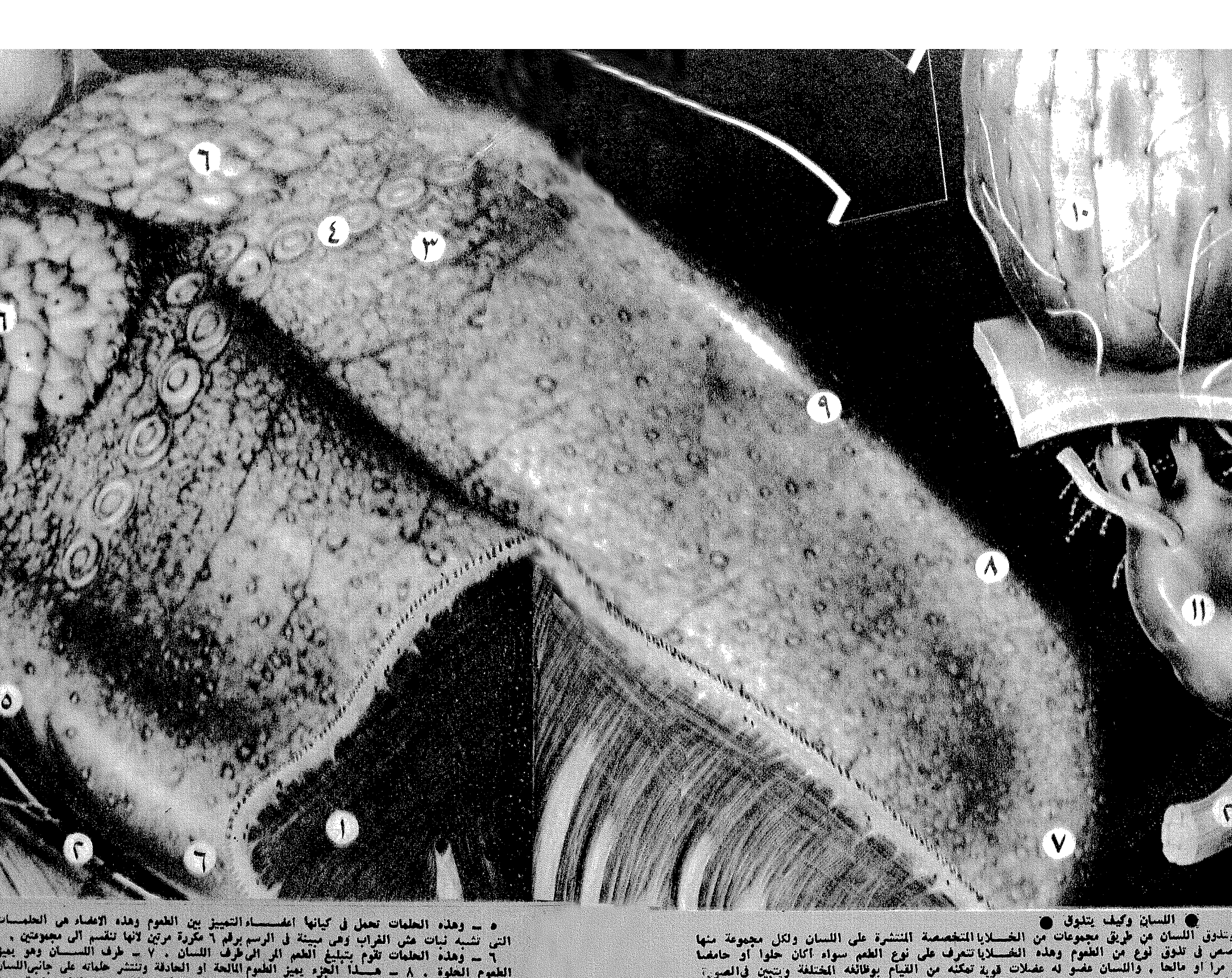
الانف وهذا ما حدا البعض الى القول بأن الشم عبارة عن « تذوق عن بعد » وهذا قول صحيح لان الحاستين عبارة عن تأثر أعصاب ما بمواد كيميائية :طائرة في الجو في حالة الشم ومذابة في اللعاب في حالة التذوق .

ويوجد اللسان في مدخل الفـــم يحس بالطعام والشراب قبل بلعه فان كان مستساغا أكمل عملية المضــــغ والبلع،اما اذا كان غيرمستساغ ـ وغالبا ما يكون الطعم غير المستســـــاغ لشيء ضار بالجسم ـ فان اللسان وحاســـة التذوق تنبه لعدم تناول هذا الطعام .

وفي بعض الحيوانات الدنيا أضيفت الى اللسان وظيفة أخرى هي الامســـاك بالفريسة ، ففي الضفدعة مثلا : يتصل اللسان بالجزء الامامي من الفم وليس في نهايته كما في الانسان وحينمـــا ترى الضفدعة فراشة وترغب في اصطيادها تفتح فمها وبسرعة ينطلق اللسان آخذا معه مخاطا لزجا من غدد خاصـــة في سقف الحلق فتلتصق به الفراشة(شكل٤) ويعود اللسان الى الفم ومعه الفريسة ليلتهمها ، ولكن الحيوانات الاكثر رقيا في سلم التطور استعـــاضت عن ذلك بالعدو خلف الفريسة والامساك بهـــا بمخالبها واقتصرت وظيفة اللسان على تذوق الطعام ...

ولحاسة التذوق اهمية بالغـــة في الانسان ، اذ انها تفتح الشهية لتنـــاول الطعام وتنبه العصارات الهاضمة حتى تكون معدة لهضم الطعام بعد بلعه، ويقال « سال لعابه لمرأى الطعام أو عند تذوقه» ـ وذلك صحيح . فما اللعاب الا احدى العصارات الهاضمة التي يعدها الجسم عند تناول الطعام وكذلك العصـــارات الهاضمة في المعدة والامعاء .

كما ان المذاق قد يجنب بعض الأطعمة الضـــارة . وكم من مرة تذوق ربة البيت طبيخا وادركت من حمضية طعمه انه قد فسد وجنبت نفسها وعائلتهـــا ما قد ينتج عن تناوله من أمراض .



● اللسان وكيف يتذوق ●

يتذوق اللسان عن طريق مجموعات من الخــلايا المتخصصة المنتشرة على اللسان ولكل مجموعة منها
تختص فى تذوق نوع من الطعوم وهذه الخــلايا تتعرف على نوع الطعم سواء أكان حلوا او حامضا
او مرا او مالحا . واللسان عضو له عضلات قوية تمكنه من القيام بوظائفه المختلفة ويتبين فى الصورة
ما يلى : ١ ـ اعصاب اللسان الداخلة فى عضلاته وهى ترى فى الرسم فى مقطع اللسان
٢ ـ على سطح اللسان وجوانبه ترى اجزاء ظاهرة الارتفاع مغطاه باللعاب والحلمات ، وتتميز من بين
هذه بكثرة عددها الحلمات الصغيرة الموجهة الى الخارج وفيها شعيرات الحلمات ويلاحظ ان هــذه
الشعيرات ظاهرة على الرســم الكبير على جانب اللسان ومكبرة على الرسم الجانبى ومشار اليها
فى الحالتين برقم ٢ ، ٣ ـ حلمات التمييز بين الطعوم ، ٤ ـ الحلمات ذات الشــكل الورقى .

٥ ـ وهذه الحلمات تحمل فى كيانها اعضــــاء التمييز بين الطعوم وهذه الاعضاء هى الحلمــات
التى تشبه نبات عش الغراب وهى مبينة فى الرسم برقم ٦ مكررة مرتين لانها تنقسم الى مجموعتين ،
٦ ـ وهذه الحلمات تقوم بتبليغ الطعم المر الى طرف اللسان . ٧ ـ طرف اللســـان وهو يميز
الطعوم الحلوة . ٨ ـ هــذا الجزء يميز الطعوم المالحة او الحادقة وتنتشر حلماته على جانبى اللسان
٩ ـ وهذا الجزء يميز الطعوم الحامضـــــة ، ١٠ ـ حلمة من حلمات تمييز الطعوم مكبرة ٢٥٠٠
مرة وتبين فيها الاعصاب والشعيرات التى تميز طعما عن طعم .
١١ ـ مركز عصبى من مراكز الاحساس وتمييز الطعوم فى اللسان وترى فيه الشعيرات اما الجزء
المبين برقم ٢ فقد سبق أن ذكرنا انه عصــــب من اعصاب اللسان مكبرا ٢٥٠٠ مرة

ولئن كانت المواد المختلفة لها مذاقات متعددة فقد حاول المشتغلون بدراسة هذه الوظيفة تحليلها الى مذاقات أولية.

قياسا على أن الالوان المختلفة تتكون من أربعة الوان أساسية . وهى الاحمر، والاصفر ، والازرق ، والبنفسجى ومن امتزاجها بنسب معينة تنتج مختلف الالوان التى تعطى للحياة بهجتها وجمالها

وكذلك فقد قسم علماء الفيسولوجيا الطعوم المختلفة الى اربعة مذاقـــات أساسية :

١ ـ المذاق الحلو ٢ ـ المذاق الملح ٣ ـ المذاق الحادق ٤ ـ المذاق المر .

ولكن لا يخفى تصور هذا التقسيم ويمكنك أن تدرك ذلك أيها القــارىء العزيز لو وضعت قطعة من النقود على لسانك وحاولت ادراج طعمها تحت اى من المذاقات الأولية السابقة . ولعل هذا ما حدا بعض العلماء الى ادراج مذاقين آخرين هما :

المذاق المعدنى والمذاق القـلوى .

ولـكن الى ان يجمـــع العلماء على تقسيم آخر سنكتفى فى مقالنا هـــذا بالاربعة مذاقات الاســاسية السابق ذكرها وهى الحلو ـ الملح ـ الحادق أو الحمضى ـ والمر .

والأعضاء الخاصة بحاســة التذوق عبارة عن براعم التذوق (شكل ٥)وهذه البراعم لاترى الا بالميكروسكوب وكل برعم على شكل قنينة مستديرة تتصـــــل بالسطح الخارجى عن طريق فتحـــة صغيرة تسمى المنفذ التذوقى ، وفى داخل كل برعم نوعان من الخـــلايا : خـــلايا التذوق وخلايا تحملها تسمى الخـــلايا الحاملة أو المعينة .

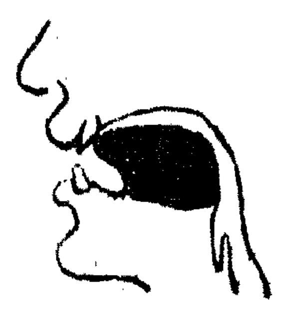
وخلايا التذوق رفيعة وطويلة ومدببة من طرفيها وينتهى الطرف الخــــارجى بشعيرة تبرز من فتحة البرعم . أما الطرف الآخر للخلية فانه يتصل بعصب التذوق الذى يحمل الاحساس الى المراكز العليا فى المخ .

وبراعم التذوق توجد على اللســـان متجمعة على أجزاء خاصة تسمى حلمات وهذه يمكن رؤيتها بالعين المجردة . ولو اخرجت لسانك أمام مرآة لرأيت على جزئه الامامى نقطا صغيرة حمـــراء هى الحلمات الفطرية وفى مؤخرة اللســـان حلمات كبيرة ، وعلى اللسان جميعـــه حلمات خيطية . وتنتشر حلمات التذوق



ت : اللســـان خلف الثنـــايا العليـــا مع خروج فجائى للهواء

ث : خـــروج طرف اللســـان بين الثنايا العليا والسفلى



ذ : اللســـان خلف الثنـــايا العليـــا مع استمرار خروج الهواء

على اللسان جميعه اذ تبلغ فى المتوسط ١٠٫٠٠٠ حلمة .

وقد وجد أن الحلمات تنقسم الى ثلاثة أنواع :

١ — الحلمات الخيطية اذ أن طرفها رفيع مثل الخيط وهى تكون العدد الاكبر من الحلمات على اللسان وتحمل كل حلمة عددا قليلا من براعم التذوق

٢ — الحلمات الفطرية لانها تشبه فطر عش الغراب ،وهى أكبر من الحلمات السابقة ولكنها أقل عددا وهى منتشرة أساسا على طرف اللسان وجوانبه ويمكن تمييزها على اللسان بلونها الأحمر الزاهى ، وتحتوى كل حلمة على ٨ براعم تقريبا .

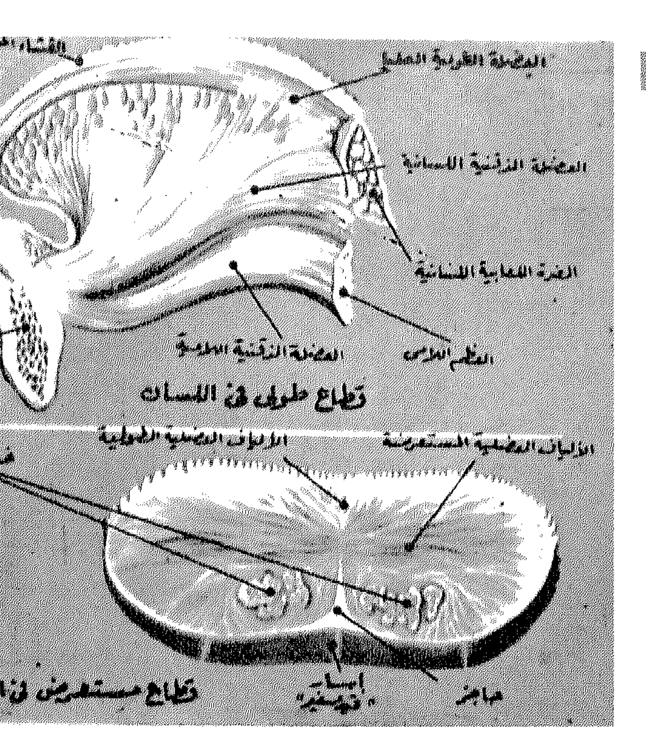
٣ — الحلمات الخندقية او ذات سياج اذ يحيط بها حائط وبينهما خندق شكل ٦ — وشكل ٧ عبارة عن قطاع طولى فيها بين الحلمة والخندق المحيط بها والحائط الخارجى وعلى كل حلمة يوجد من ١٠ — ١٠٠ برعم تذوقى .

وشكل ٨ يرينا سطح اللسان وتوزيع الحلمات على سطحه وفى جانب من رقم ١٠ رسم بديع للحلمة الخندقية وكيف تدخل فيها أعصاب عصب التذوق لتصل الى البراعم الموجودة بها لتنقل الاحساس بالمذاق الخاص بها .

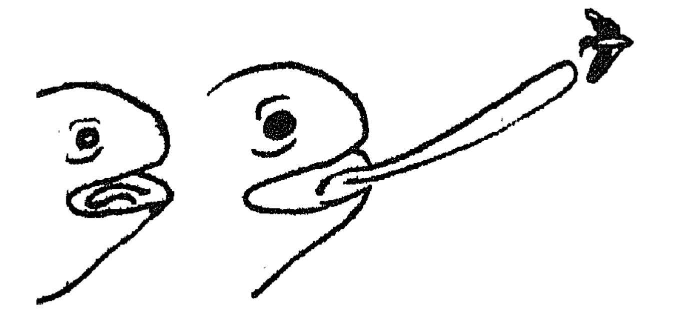
اما شكل رقم ٩ فهى صورة اخرى غاية فى الابداع أخذت بالميكروسكوب الاليكترونى تبين الحلمات الخيطية ومنها بعض الحلمات الفطرية .

وهذه الحلمات قليلة العدد اذ تبلغ من ٧ — ١٢ حلمة فقط وموجودة فى مؤخرة اللسان على هيئة حرف ٧ ويمكننا رؤيتها بسهولة لكبر حجمها اذ يصل قطرها الى حوالى ٦ ملليمترات كما انها ترتفع عن سطح اللسان

وقد وجد أن الحلمات تختلف فى درجة احساسها بالمذاقات فمثلا فان هناك حلمات فطرية تحس بالحلو والمالح، وأخرى تحس بالحلو والحامض وثالثة



العضلات المتحكمة فى حركة اللسان



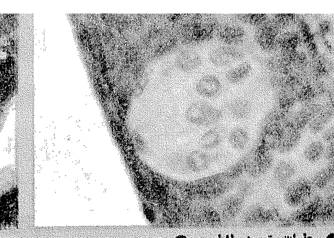
شكل «٤» اللسان فى الضفدعة يؤدي وظيفة الامساك بالحشرات

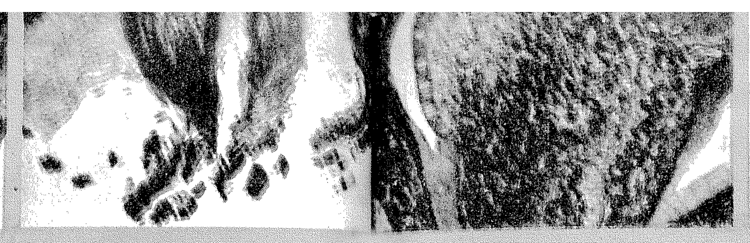
تحس بالمر والحامض . ولا توجد حلمة تحس بالانواع جميعا .

كما أن الحلمات الخندقية أو ذات السياج الموجودة فى مؤخرة اللسان تحس بالطعم المر فقط (شكل ١٠)

اما جوانب اللسان فهى اكثر احساسا بالملوحة والحموضة ، اما الاحساس بالطعم الحلو ، فهو منتشر على الثلثين الاماميين من اللسان وبالاخص

عند طرفه ، ويمكنك أن ترى فى شكل ١١ طفلا يتلذذ بوضع الحلوى على طرف لسانه . اما قطع الخيار المخلل المالحة

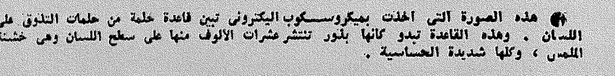




● حلمات تمييز الطعوم ●
حيط بحلمات تمييز الطعوم شـــقوق تتبين فى الصورة اعلاه وعلى حافة الشقوق توجد شـــعيرات
يز الطعوم وحلماته التى تبين مكبرة جداً فى الصورة الى اليمين . وفى لسان الانسان الكامل
و توجد نحو ستة آلاف من هذه الحلمات .

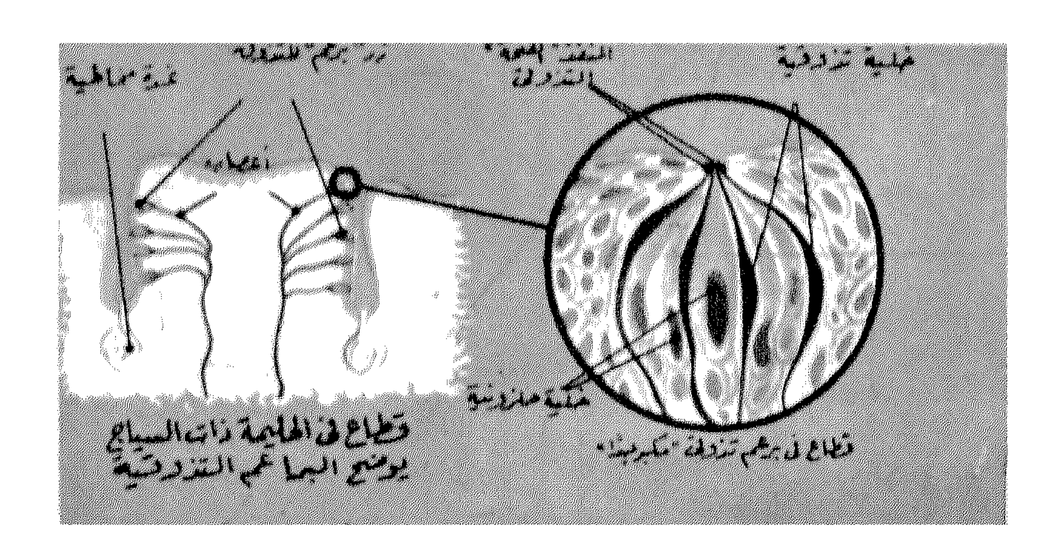
● اطراف حلمات التمييز ●
لصورة اعلاه أخذت بالميكروسكوب الاليكترونى وهى تبين اطراف تمييز الطعوم على لسان طفـــل
ث الولادة ولهذه الاطراف عملية ميكانيكية اى حركية لانها تقوم بتحريك الطعام او الغذاء وفى نفس
ت تقوم بتمييزه وتجعل الطفل يخرج الاغـــذية الضارة به وهذا يفسر ظاهرة اخراج الاطفال للطعام
ى لا يريدونه من افواههم .

● صورة مكبرة لحلمات تمييز الطعوم المنتشرة على اللسان وهذه الصورة أخذت بميكروسكوب لمقط
فيها يميز اجزاءها والشعيرات الظاهرة فى الصورتين اعلاه تنقل بواسطة اطرافها الحساسة نوع الطع
الى اعصاب الاحساس عند قاعدة اللسان .



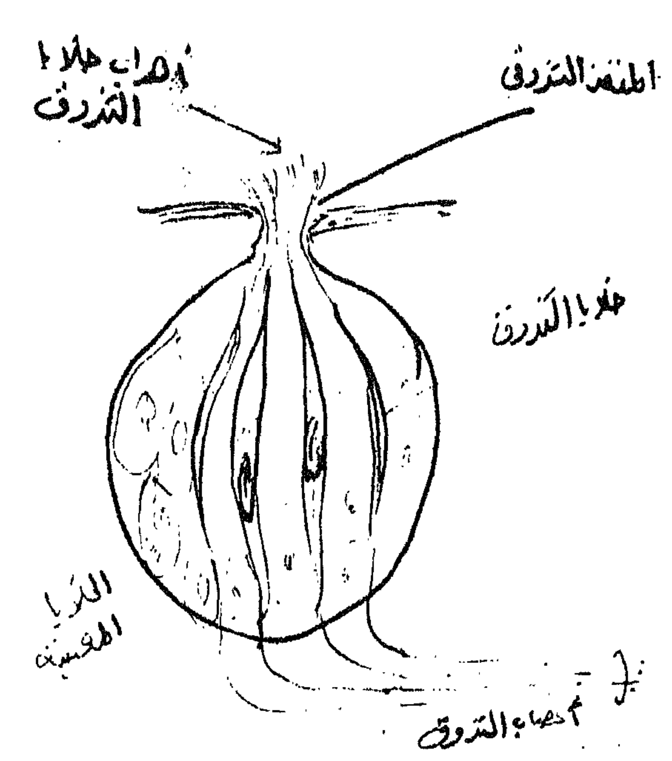
● هذه الصورة التى اخذت بميكروســـكوب اليكترونى تبين قاعدة حلمة من حلمات التذوق على
اللسان . وهذه القاعدة تبدو كانها بذور تنتشر عشرات الالوف منها على سطح اللسان وهى خشن
اللمس ، وكلها شديدة الحساسية .





شكل «٥»

شكل «٥» توضيحى

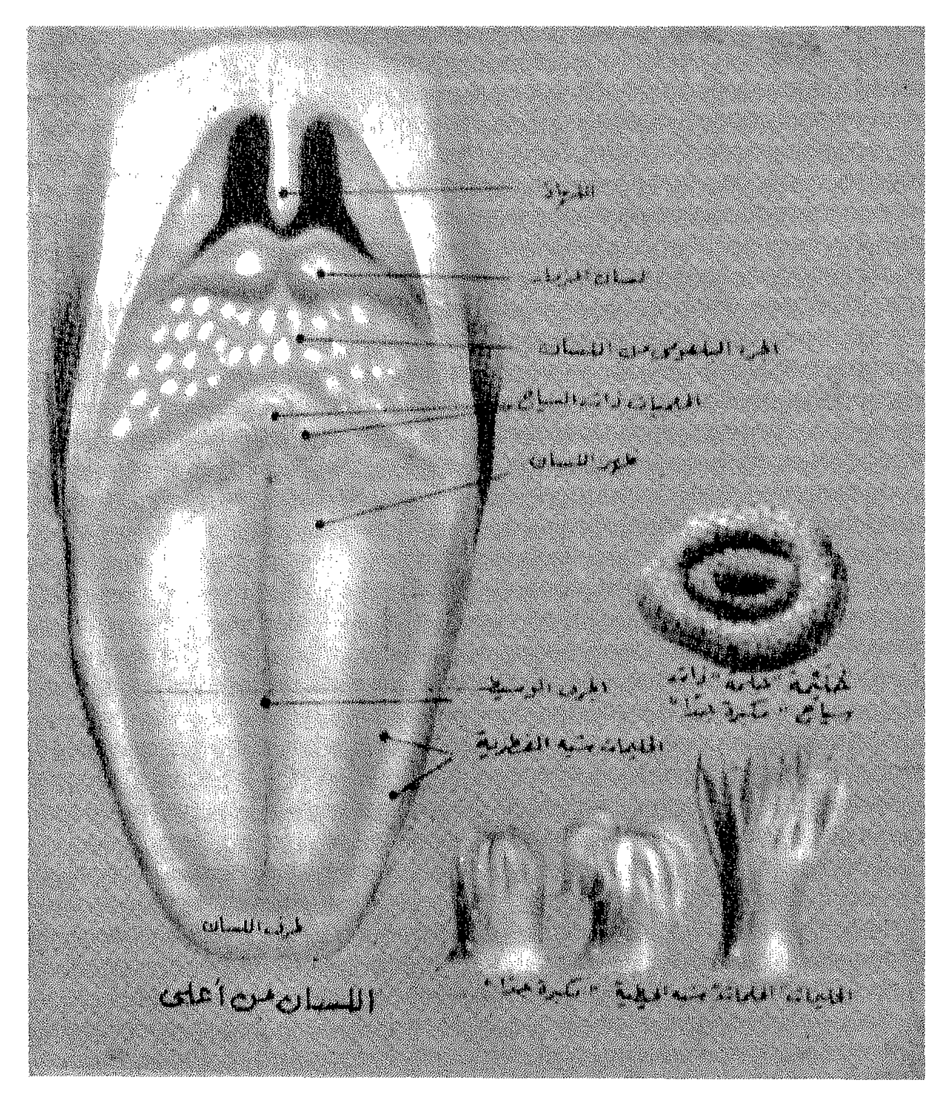


فقد وضعها على جانب اللسان (شكل ١٢)

من هذا نرى ان الاحساس بالمذاق الحلو منتشر فى جزء كبير من اللسان ويتركز اكثر فى طرف اللسان . ولعل هذا يفسر حب الاطفال للحلوى ، كما ان عدد الحلمات فى لسان الاطفال يزيد كثيرا على ١٥٠٠٠ أو أكثر فى حين يقل فى البالغين الى ١٠٠٠٠ فقط ، وفى المسنين يقل عن ذلك كثيرا .

وفى رأينا ان هذا ينتج عنه استمتاع الصغار بالحلوى وما تعطيه من طاقة لازمة لهم ــ كما أن ذلك ايضا يزيد من فتح شهيتهم ويزيد من كمية الطعام التى يستطيعون تناولها ، وذلك شىء طبيعى فى فترة النمو لما تحتاجه من اغذية لبناء انسجة الجسم .

اما فى كبار السن فان قلة عدد الحلمات وبالتالى قلة عدد براعم التذوق يقلل من الاحساس بالاطعمة ، ويقلل بعض الشىء من الشهية وبالتالى يقلل



شكل «٦» الحلمات وموضعها على اللسان

من كمية الطعام التى نتناولها . وهذا طبيعى . اذ ان الجسم قد بلغ كمال نموه ويحتاج الى قدر أقل من الغذاء .

ولا يزال هــــذا المجال مفتوحا للباحثين ، فهل السمنة الزائدة ناتجة عن خلل فى الغدد الصماء ام هو زيادة فى الشهية للطعام ناتج عن زيادة فى تذوق الاطعمة ، وبالتالى يقبل عليها الشخص بنهم كبير مما يسبب له زيادة الوزن ؟ وهل يمكن فى المستقبل عن طريق التحكم فى الاحساس بالتذوق السيطرة على شهية هــؤلاء الاشخاص وخاصــة للنشويات والحلوى ومساعدتهم للاقلال منها بحيث يعودون الى الاوزان الطبيعية التى تسهل لهم الحركة وتحميهــم من امراض السمنة ؟

والآن نأتى الى دراسة التذوق مــن بعض النواحى الفسيولوجية البحتة مثل : ــ

١ ــ العلاقة بين التركيب الكيميائى والمذاق :

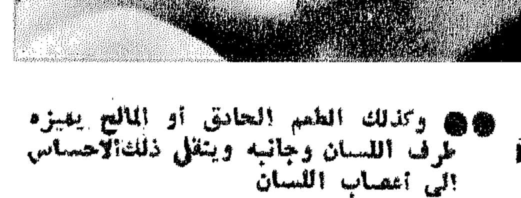
فقد وجد أن هناك الى حد ما ارتباطا بين التركيب الكيميائى للمواد وطعمها :

١ ــ الاطعمة الحلوة هى دائما مركبات عضوية وكربوهيدرات فى الاغلب مثل السكر والجلوكوز والجلسرين والكحوليات والكلوروفورم

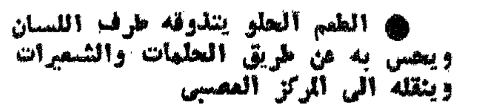
٢ ــ الطعم المالح غالبا ما يصاحب المواد غير العضوية مثــل كلوريدات الصوديوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم وسلفات المغنسيوم ونترات الصوديوم ونترات البوتاسيوم ومن هنــا كانت تسمية هذه المواد فى علم الكيمياء املاحا

٣ ــ الطعم الحادق أو الحمضى وهو



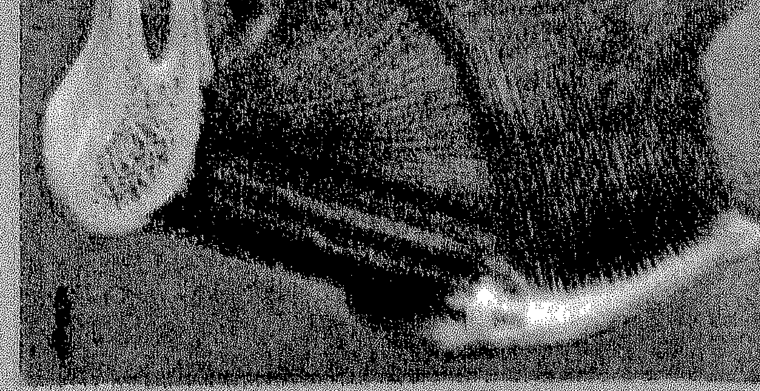


●● وكذلك الطعم الحادق أو المالح يميزه طرف اللسان وجانبه وينقل ذلك الاحساس الى أعصاب اللسان



● الطعم الحلو يتذوقه طرف اللسان ويحس به عن طريق الحلمات والشعيرات وينقله الى المركز العصبى

● هذه الصورة تمثل جزءاً من طرف لسان فتاة فى الثانية عشرة من عمرها ، مكبرا ٧٥ مرة وترى فى الصورة الحلمات والغدد التى تفرز الافرازات المناسبة للطعوم المختلفة والى جانب الطعوم هناك خلايا وحلمات تميز الحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وتبلغ ما انتهت اليه الى الاعصاب لكى يقوم اللسان بالحركة المناسبة .



● ١٧ عضلة ●

أ ـ ١٧ عضلة تحرك اللسان وكلها موجودة في قاعدته والاربطة التى تربطه بالفم وكذلك في اللسان نفسه وترى في الصورة اللسان ممتدا من الحلق الى الاسنان والعضلات تربط كل جزء فيه

ب ـ التلمس الذى يربط اللسان ويقوم بتحريكه

ج ـ طراف اعصاب اللسان تصل الى المخ

د ـ جزء من سطح اللسان وعليه الحلمات والاطراف العصبية ، المختلفة التى تميز الطعوم ، وكذلك الخلايا والاعصاب

هـ ـ اللسان والمخ

الى اليسار ترى جزء المخ الذى تتصل به اعصاب اللسان ـ والى اليمين ترى قاعدة اللسان والاعصاب الخارجة منها الذاهبة الى المخ والتى تتصل باعضاء اخرى للتنسيق بين حركة اللسان وعضلات الفم، ويلاحظ ان اللسان يتحرك بمهارة ودقة بين الاسنان وغدد اللعاب وما الى ذلك .

يصاحب الاحماض مثــل حامض الهيدروكلوريك والنيتـــريك وحمض الليمون وحامض الخليك (الخل)

٤ ـ الطعم المر : اغلب المواد التي تعطى طعما مرا هي مواد عضوية مثل الكينين والمورفين والنيكوتين واليوريا ـ وقد سميت الحوصلة المرارية الموجودة تحت الكبد بهذا الاسم لشدة مرارة العصارة الموجودة بها ، والبعض منا قد احس بها اذا اصابته نوبة قيء شديدة بحيث بدأت عصارة المرارة في العودة الى الفم ـ واحس بطعمها الزائد المرارة .

وهناك بعض المواد التي تعطى اكثر من احساس في وقت واحد مثل سلفات الصوديوم التي تعطى احساسا بالمـر والحلو في آن واحد اما سلفات المغنسيوم فهي تعطى مزيجا من المذاق المر والمالح

ب ـ تركيز المادة :

يختلف التركيـــز الذي يسبب الاحساس بالتذوق من مادة لاخرى فمثلا في سكر القصب تحس بالحلاوة اذا كان التركيز ١/٢٠٠ اما مادة السكارين فهي تسبب احساسا بالحلاوة في تركيـــز ١/٠٠٠ر٤٠ وحامض الهيـدوكلوريك بتركيز ١/٠٠٠ر١٠ ، اما الاستركينين فاننا نحس بمرارته حتى لو كان بتركيز يقارب واحدا في المليون .

جـ ـ ظاهرة التباين :

وكلنا لاحظ انه يشعر بطعم شيء ما اكثر حلاوة لو كان ما تناوله من طعام قبله مالحا .

وكذلك تشعر بالملوحة او المرارة اكثر لو كان ما تناولته اولا حلوا وهـــذا يسمى التباين المتتابع اى انك تاخـذ مادة ما ثم تتبعها بالمادة الاخرى .

وقد وجد أيضا انك لو وضعت على جانب من اللسان شيئا مملحا ووضعت في نفس الوقت شيئا حلوا على الجانب الآخر لشعرت بملوحة الأول وحلاوة الأخير أكثر من المعتاد وذلك لتبــاين طعميهما .

د ـ التأقلم :

فلو وضعت قطعة من الحلوى علــى جزء من اللسان فانك تحس بحلاوتهــا الشديدة أولا . ثم يخف الاحســـاس تدريجيا مع أن قطعة الحلوى هي هي ولا تزال موجودة على اللسان . وهذه الخاصية ناتجة عن تأقلم خلايا واعصاب التذوق في المكان الملامس لقطعة الحلوى . ولو نقلت قطعة الحلوى الى مكان آخـر من اللسان لاحسست بزيادة حلاوتهــا ثانية اذ أن الجزء الجديد لم يتأقلم بعد



شــكل «١٠» توزيع أماكن المذاقات المختلفة على اللسان

وهناك بعض المواد التي تؤثر علـى الاحساس ببعض المذاقات ولا تؤثر على البعض الاخر فهناك نبات خاص يحتوى على حامض الجمنميك لو وضعته على اللسان يجعلك لا تشعر بالطعم الحـلو ويقلل الاحساس بالطعم المر في حين لا يتاثر الاحساس بالمذاق الملح والحامضي

والمخدر الموضعي المستعمل في خلـع الاسنان او كي الزوائد الانفية لو وضعته على اللسان يزيل الاحساسات بهـــذا

التوالي : الألم ثم المرارة ثم الحلو ثم المالح ثم الحامض وأخيرا اللمس .

ولا يزال هناك الكثير الغامض عن حاسة التذوق ، فلم يتفق العلماء على كيفية تمييز المذاقات المختلفة .

هل هذا التمييز في اللسان ذاته بمعنى أن هناك خلايا وبراعم خاصة بكل مذاق أي ان الطعم الحلو له براعم خاصة به والملح له خلايا وبراعم لا تستجيب الا للمحاليل المالحة .

أم ان كل الخلايا والبراعم تتأثر بالمواد ولكن بدرجة تختلف من مادة لاخرى ، اى ان الخلية تتأثر بالمادة الحلوة وتتأثر ايضا بالمادة الملحة ، ولكن شدة التيار الكهربائي تختلف من مادة لاخرى وحينما يصل التيار الكهربائي الى المخ يقوم المخ بتمييز كل تيار عن الاخر وبذلك يحس بالحلاوة أو الملوحة أى ان التمييز يكون فى مراكز الاحساس بالمخ .

ولا تزال البحوث تجرى فى هذا المجال لايضاح حقيقة ذلك ومدى صحة أى من الفرضين .

بقيت نقطة أخيرة وهى كيف يتحول طعم المادة الى تيار كهربائى يسرى فى عصب التذوق . وللآن لا يزال الغموض يحيط بهذه الكيفية .

فبعض العلماء يعتقدون أن التصاق المادة بشعيرات الخلايا البارزة من فتحة البرعم يحدث تغييرات كيميائية فى الخلية مما ينتج عنه تولد تيار كهربائى يسرى فى العصب الى المخ .

كما أن هناك رأيا يقول بوجود انزيمات خاصة فى البراعم تولد تيارا كهربائيا ثابتا والتصاق المواد المذابة يغير هذا التيار بالزيادة أو النقصان

وفى أثناء سريان التيار الكهربائى فى أعصاب التذوق من خلال أعصاب الجمجمة المختلفة يتقارب فى قاعدة المخ بالخلايا التى تفتح الشهية وبالخلايا التى تفرز العصارات الهاضمة . فنجد ان اللعاب يكثر وتستعد المعدة والامعاء بعصاراتها لهضم ما ينزل اليهما من طعام

حتى اذا امتلأت المعدة بالطعام أرسلت احساسا بالشبع وهذا بالتالي يقلل من الاحساس بالتذوق وبالتالى تقل الشهية للأكل ـــ وبالعكس عند الجوع تجد أن الاحساس بالتذوق شديد وذلك يفتح الشهية لتناول الطعام . فكأن التذوق يعمل كمنظم أوتوماتيكي لكمية الطعام التى تتناولها .

الا اذا كنت مدعوا فى وليمة عند كريم وفيها ما لذ وطاب من أنواع الحلوى والفواكه . وهنا يدخل عامل الاستمتاع بالاكل وينحى هذا التنظيم الاوتوماتيكى جانبا . وتظل تتناول الأطعمة والحلوى وكلما هممت بالامساك عن الطعام لتترك ثلثا للشراب أقسم عليك صاحب الوليمة الايمان المغلظة حتى تأكل اكثر . فتملأ هذا الثلث . واذا بكرم حاتمى آخر ويمين بالطلاق الا اكلت فخذا من الأوزة وبرتقالتين وتفاحة . وهل لك ـــ وقد وصل الامر الى الطلاق ـــ الا أن تمتثل وتجور على الثلث المخصص لنفسك .. !!

وتقوم من الوليمة منتفخا لاهث الانفاس وتبحث عن الأملاح الفوارة ..

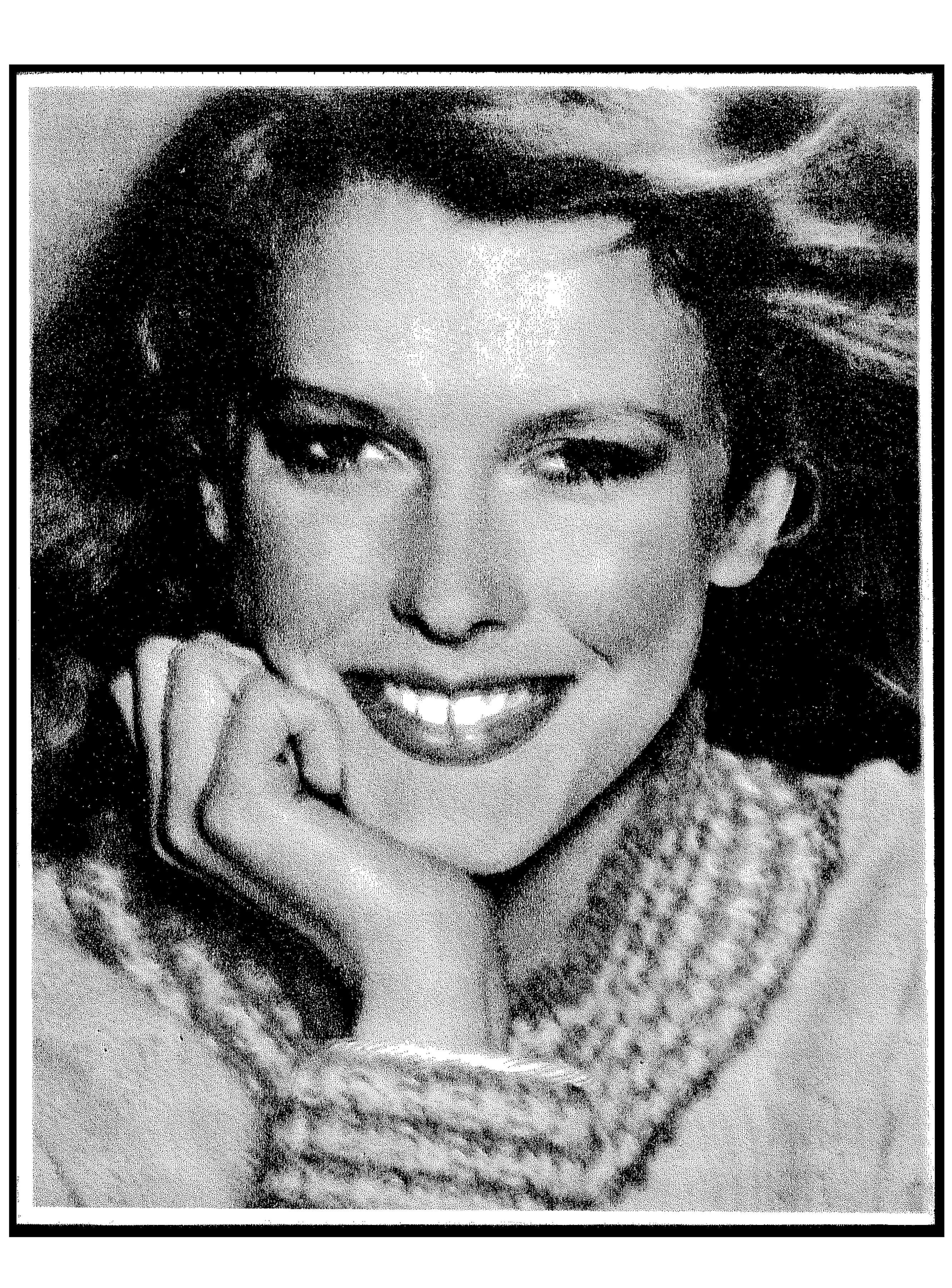
وفى اليوم التالى يعود التنظيم الاوتوماتيكى الى التدخل ففي الصباح لا تجد للأكل مذاقا فى الفم ولا لنفسك شهية للطعام وكذلك فى الغداء ـــ كرد فعل طبيعي لكثرة ما تناولته بالامس .

ارجو المعذرة ايها القارىء العزيز ان كنت قد أطلت عليك في شرح هذه الوظيفة من وظائف اللسان .

ولا اخالك بمستطيع تقبل كلمة اخرى فى هذا المجال . لذلك اترك شرح كيفية معاونة اللسان في بلع الطعام ودفعه الى البلعوم الى مقال آخر نتناول فيه عملية البلع منذ يدخل الطعام الى الفم حتى يصل الى المعدة ...

والى ان نلتقى اتمنى لك اوقاتا حلوة المذاق .

د . رشدى البدراوى
استاذ الانف والاذن والحنجرة
جامعة القاهرة



في مثل هذه الجميلة قالوا

● بحار السحر ●

الحبّ يومِض في عَينيكِ فتّانا
ويرقصُ الفرَحُ مختالا ونشوانا
ويشرقُ الأملُ الفجْري مؤتلِقا
في جنّة تزْدهي سِحرا ، وألوانا
وأيكةٍ غرّدَ الطيرُ الطروبُ بها
فأرسَلَ النورَ والأحلامَ ألحانا

***

عيْناكِ خبّأتا ، خلفَ البَريق دنىً
بهيجَة ، وسَماوات ، وأكوانا
وعالما من أساطير ، وأخيلة
أجوبُ عبْر مَداها الحلْو أزمنا
وأبحرا ، كبِحار السّحر مذهلة
بِها الأعاجيب تغري الأنس والجانا !

● د. سامح درويش ●
● الجزائر ●

● الى عينيها ●

عيْنَاكِ .. منايَ زُمردتانْ
يسبَح في ضوئِهما .. نيسانْ

تجمع بينهما ... الحق ..
وطيوف زاهية الألوان
يختال الحسن .. بظلهما
ويضج لسحرهما الفتان
كم عاش بفيئهما أمل
واستغرق مذهولا فنان
يتمنى الصبح نقاءهما ...
والأفق وأزهار البستان
لا يكفر من غنى لهما ..
بل يكفر من عبد الأوثان
عيناك .. منأى أحبهما
وبومضهما قلبى هيمان

● عمر ابوسمرة ●
● دمشق ●

● مفرد الحسن ●

ماء النعيم على خديك رقراق
وسحر عينيك أنوار وإشراق
ورد الشفاه يفوق الورد فى دمه
ولؤلؤ الثغر مثل الومض براق
إذا رنا بصرى تفتتت كبدى
فما يفيدك بعد اللحظ إطراق
وجه كبدر وضىء الحسن مؤتلق
يعلوه تاج نفيس الدر الألاق
يا مفرد الحسن إنى فى الهوى فنن
أذوى نضارته وجد وأشواق

هلاّ حَنَنْتَ بوصلٍ منكَ يُسْعدنى
فانّ قلبى إلى لقيَاكَ توّاق
● احمد محمد الديب ●

● كالطيف فى حلم ●

وفاتِنَةٍ تتيه على الحسَانِ
فليسَ لحُسْنها فى الوَصْفِ ثَان
لهَا وجه يغَارُ البَدْرُ منهُ
وطرف فاتك يَوما رمَانى
قضيتُ العُمْرَ لم يخْفق فؤادى
فلَمَّا أقبلَتْ هزّت كيَانى
بدت كالشّمس تخطرُ فى سَمائى
فمنذُ لمحتُها زادَ افْتِتَانى
مضَتْ كالطّيف فى حلم لذيذ
فلَمَّا أدبرت سَلَبَت جَنَانى •
● نافع خليل يوسف ●
● السالمية ــ الكويت ●

● انا الوحيد الذى .. ●

كُل الوَرَى يَدّعُون حُبّك
أنا الوحيدُ الذى أحَبّكْ
صَدرُك فيه اضطراب شَوق
يَقرَع قرعَ العُباب جَنْبك
فكيف تخلِى به مَكانى
وتسكِنُ الغادرينَ قلبكَ •
تعَالَ لا تعتَذِر لذنب
بِقَدْر حبى غفَرت ذَنْبك !
● د. ابراهيم ناجى ●

من الذى لا يُخطئ..

الإنسان.. أو الكومبيوتر؟

● د . احمد على دغيم ●

● لم يعد من الصواب الآن الاعتقاد بـ ((ان الذى قد يخطىء هـو الانسان ، أما الحاسب أو العقل الاليكترونى فلا يخطىء))! فالحقيقة تقول ان « الكومبيوتر » ايضا قد يخطىء ، بل ان اخطاءه قد تكون افظع ، وربما افظع بكثير ــ من الخطأ الذى قد يتسبب فيه الانسان !

هل يمكن أن يطلب انسان ما أرقام تليفونات ويتكلم مع اصحاب هذه التليفونات دون أن يستخدم جهاز التليفون حيث أن ليس لديه جهاز تليفون وانما فقط مجرد توصيلة لتركيب التليفون ؟

ان الاجابة المنطقية عن هذا السؤال لن تكون بطبيعة الحال سوى كلمة : لا !

وبرغم ذلك فان مصلحة التليفونات فى فرانكفورت بألمانيا الغربية ، تجيب عن هذا السؤال بالايجاب ، مستندة فى ذلك الى ما سجله « الكومبيوتر » . فلقد طالبت أحد المواطنين الالمان وهو النقاش «فردناند ميك » بفاتورة حساب تعلن أنه مطالب بمبلغ ١٣٧٣ ماركا نظرا لأن مكالماته التليفونية قد بلغ عددها ٦٤٠٨ مكالمات ..

وعندما حاول فردناند ان يوضح لمصلحة التليفونات الخطأ الذى أوقعهم فيه الكومبيوتر لم يقتنعوا واصروا على مطالبتهم بالمبلغ الموضح بتلك الفاتورة .

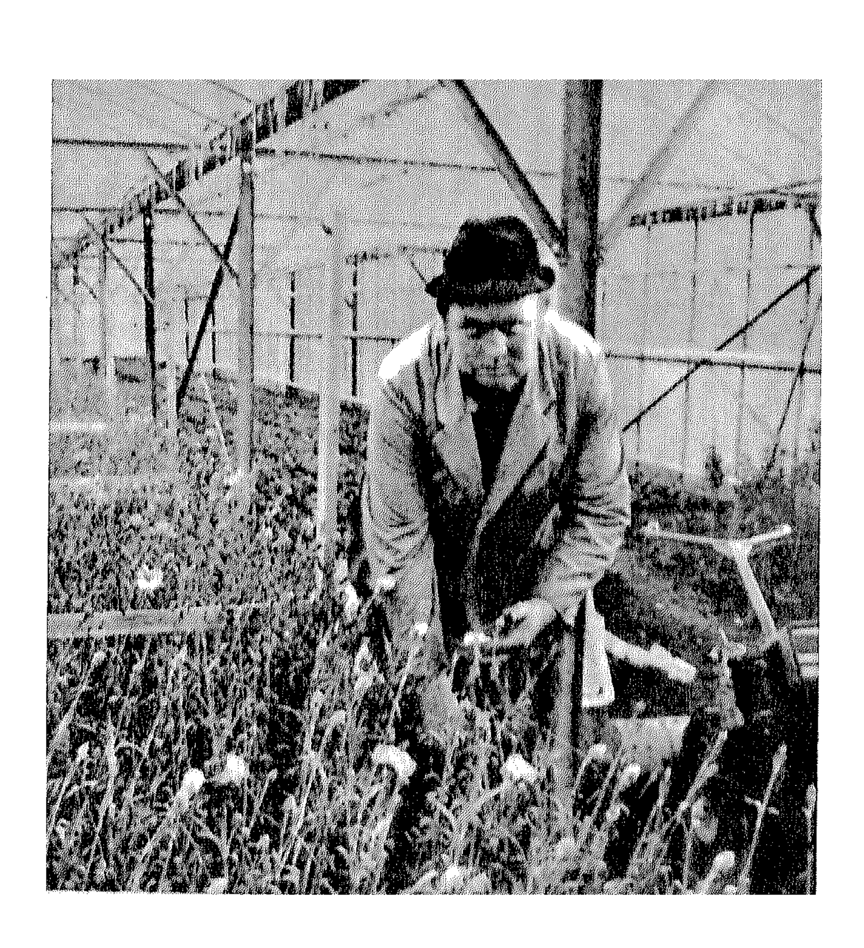
ان الكومبيوتر فى نظرهم لا يخطىء ، وأن ما يقوله صحيح وغير قابل للمناقشة .. ولذلك فلم يكن أمام فردناند الا أن يدفع قيمة الفاتورة ولكنه أقام بعد ذلك دعوى ضد مصلحة التليفونات أمام احدى المحاكم هناك ..

ولقد انصفه القضاء ، حيث أنه يعرف ومنذ وقت طويل ، أن الكومبيوتر قد يخطىء .. فألزم مصلحة التليفونات باعادة المبلغ الذى حصلت عليه من المواطن الالمانى دون وجه حق ..

وهناك قصة اخرى لعب الكومبيوتر الدور الرئيسى فى تشكيل احداثها .

لقد استطاع الكومبيوتر ان يجعل من البستانى هاينرش لومان ما بين يوم وليلة مليونيرا ، بل ومن اغنى اصحاب الملايين

فعندما نظر هاينرش لومان فى دفتر مدخراته اعتقد ان امنية غالية له قد تحققت . فلقد اصبح حسابه فى صندوق التوفير فى هرفورد طبقا لما هو مسجل



هاينرش لومان: الكومبيوتر أعطاه مليون مارك ، وصحح الإنسان الرقم الذي قدره الكومبيوتر خطأ ...

فى دفتر التوفير الذى فى حيازته ، وكما حسبه الكومبيوتر ٨٧٥ر٩٩٩ر٩٩ ماركا ومليم واحد .

لم يهتم هاينرش اولا بان يعرف كيف تضخم رصيده الى هذا الحد ، فالمهم أنه أصبح فى حساب دفتره لدى صندوق البريد رصيدا ضخما يبلغ حوالى مائة مليون مارك ، فهو يرى أن ما سجله الحاسب الاليكترونى لابد أن يكون صحيحا ، أما كيف فهو لا يعرف ، وكل ما يعرفه هو ان الكومبيوتر لا يخطىء !

وكانت زوجة لومان هى أول من عرف بهذا الخبر . واعتبرتها قصة كوميدية تدعو الى الضحك ، وروتها فى الحال لاحدى زبوناتها ، كما اطلعتها على دفتر التوفير .. وهكذا بدأت قصة الثراء المفاجىء للبستانى هاينرش لومان تنتشر بسرعة وتوافد من سمعوا بها ليروا دفتر التوفير بأنفسهم ، وعرض احد المزارعين الاغنياء على جاره هاينرش لومان بأن يتنازل له عن مزرعته مقابل ان يتنازل لومان له عن دفتر التوفير الذى فى حيازته .. ولقد اعتقد هذا المزارع انه يستطيع أن يحصل على حكم فى صالحه اذا ماذهب بدفتر صندوق التوفير الى المحكمة .

ولكن لومان رفض هذا العرض بلباقة .. كذلك ذهب مدير صندوق التوفير بنفسه الى هذا البستانى فى منزله ليعرض عليه أن يوظف بعض الملايين من الماركات فى استثمارات مربحة . ولكن لم يكد يرى دفتر توفير لومان حتى قال فى ضيق ان ما يظهره هذا الدفتر مجرد كلام فارغ .. حيث أنه ليس أكثر من غلطة مطبعية من الكومبيوتر ، ثم شطب المدير ذلك الجزء الذى حدثت فيه هذه الغلطة فى دفتر توفير لومان ..

وبذلك ضاعت تلك الملايين التى كانت مسجلة فى ذلك الدفتر بجرة قلم ..

ومع ذلك فان هذه القصة لم تنته بدون كسب مادى لهذا البستانى ، فلقد حصل هاينرش لومان على مبلغ ٢٨٠٠ مارك من اصحاب الجرائد التى سمح لها بنشر تفاصيل هذه القصة .

وبالرغم مما يحدثه الكومبيوتر احيانا من اخطاء فانه ينتشر بسرعة فى مختلف الدول ، فيوجد الآن فى المانيا الغربية وحدها ٥٠٠ر٢ جهاز حاسب اليكترونى ومعظم هذه الاجهزة توجد فى مدينة فرانكفورت وهى أضخم مدينة صناعية فى المانيا الاتحادية .

بين الأدب والموسيقى

● ماهر شفيق فريد ●

● نشرت مجلة « كتب وكتاب » الصادرة فى شهر ابريل ١٩٧٨ مقالة عن المؤلف الموسيقى الايطالى « فردى » بقلم « فرانك جرانفيل باركر » وذلك بمناسبة صدور كتاب عنه من تأليف بول هيوم عنوانه « فردى : الرجل وموسيقاه » .

يقول كاتب المقالة : ان عشرات من الصور الجذابة ـ كثير منها ملون ـ تجعل اقتناء هذا المجلد فكرة طيبة لأول وهلة . بيد أن النص ، وا أسفاه، تعوزه الكفاية فى كتاب يجهر بأن هدفه هو تعميق اهتمام ومتعة عاشقى الأوبرا ، بالمؤلف الموسيقى الذى يقدم الكتاب حياته وموسيقاه .

ان المؤلف يرسم خطوط حياة «فردى» على نحو ضحل الى الحد الذى لا يعطى القارىء فكرة واضحة عن نوع الرجل الذى كانه . ورغم انه يذكر كل « أوبراته » فانه لا يحاول أن يصف أسلوب موسيقاه أو نوعيتها .

ان بول هيوم ـ مؤلف الكتاب ـ هو محرر باب الموسيقى فى صحيفة « واشنطن بوست » وأستاذ زائر بجامعة ييل ، ولكن طريقته فى الكتابة أقرب الى الخرق بل هى بشعة .. انه يلخص حياة فردى وأعماله فى أقل من مائة صفحة من متن الكتاب ، وكثير من هذه الصفحات يتكون من أقل من مائة وخمسين كلمة . وهو يخصص عددا أكبر من الكلمات لقصص «الأوبرات» كما لخصها«ستفن وادزورث »الذى أثبت انه خبير بصياغة ملخصات الحبكات المعقدة فى أسلوب واضح دقيق . ويتمنى المرء لو كان وادزورث قد كتب الكتاب كله .

وفى نفس العدد من مجلة « كتب وكتاب » مقالة اخرى عن الاوبرا بقلم « جوليان بدن » يعرض كاتبها كتابين حديثين عنوان أحدهما « دفاعا عن الاوبرا » من تأليف هاميش سوانستون وعنوان الآخر « الأدب باعتباره أوبرا » من تأليف « جارى شمدجال » .

يقول كاتب المقالة : يبدو ان الجنس الانجلو ـ سكسونى يلاقى صعوبة فى التعود على الأوبرا . فعلى حين أن عاشق الموسيقى الأوربى ينظر اليها على انها أساسا صورة أخرى من صور الموسيقى هى من السيمفونية بمثابة المسرحية من القصيدة الملحمية أو الرواية ، ينزع المستمع البريطانى والأمريكى اما الى رفض الاوبرا باعتبارها فنا لا يمنحه رضاء ، واما الى الادمان عليها حتى لا يعود يستمع الى غيرها ولا يفتأ ـ ان كان ميالا الى التنظيم ـ يؤلف عنها النظريات . ومن بين هذين الكتابين اللذين نعرضهما يكتب الأستاذ «سوانستون» عن الأوبرا باحساس عميق يكاد يشبه احساس « وردزورث » بالطبيعة . أما كتاب « شمدجال » فأقل طموحا من حيث المدى ولكنه لهذا السبب أنجح الاثنين .

يتناول « شمدجال » اثنتى عشرة أوبرا : ثلاثا لهاندل ، واثنتين لدونزتى وواحدة لكل من موتسارت وبرليوز وفردى وتشايكوفسكى ورتشارد شتراوس وبرج وبنيامين بريتين ـ فاحصا كلا منها من حيث علاقتها بالعمل الأدبى الذىأوحى بها ومستخلصا العوامل التى أفضت بهؤلاء الموسيقيين الى الكتاب المعنيين ومبينا أين يتفوق الموسيقار على الأديب أو يقصر عن

بلوغ مداه . ولما كان الالتزام باللب الداخلي للعمل الأدبي قد ظل أمرا نادرا بين المؤلفين والموسيقيين حتى منتصف القرن التاسع عشر ، فقد كان النصف الثاني من كتاب «شمدجال»، كماهو حتمي، أكثر اقناعا من نصفه الأول ، ورغم وفرة المقتطفات التي يسوقها لتأييد قضيته لن يقنعني شيء بأن هاندل قد اختار أن يلحن ملحمة «أورلاندو غاضبا» للشاعر الايطالي أريوستو لسبب غير كون هذه الملحمة غنية بالمؤثرات المسرحية السحرية التي كان هاندل يدرك ان جمهور المسرح اللندني سوف يميل اليها .

وبالمثل فعلى الرغم من اننا نعرف ان موتسارت هو شخصيا الذي فكر في ان يتخذ من مسرحية بومارشيه « زواج فيجارو » موضوعا لأوبرا ، لا يتمكن منهج شمدجال من القاء الضوء على عظمة تلك الأوبرا التي تتفوق على مسرحية بومارشيه . كذلك ليس من الصحيح ، كما يدعي ، ان « فيجارو » أحدثت ثورة في عالم الأوبرا . ومن المحقق – اذا كان لنا ان نزيده نقدا – انه يعوزه الاتساق في معالجة أول مؤلفين موسيقيين اختارهما : انه في **فصله عن هاندل يضع عبقرية موضوعه على الطرف المقابل لعبقرية باخ الملتونية بيد انه عندما ينتقل الى مناقشة موتسارت ، يضع هاندل وملتون على نفس الجانب من السور . وليس هناك كبير معنى لمحاولة مقارنة دونزتي بالشاعر شلر . وعندما يتناول شمدجال أوبرا « لوتشيا دي لامرمور» المستوحاة من رواية السير ولتر سكوت « عروس لامرمور » يبدو انه ينسى ان الأصل قد كان قصة وليس دراما يراد بها أن توضع على خشبة المسرح . بيد انه منذ بداية فصله عن أوبرا « بنفنوتو تشليني » يشرع في التحرك على ارضية أصلب . وليس معنى ذلك أن كل ما يقوله من الآن فصاعدا نوافقه عليه . انه يقارن بين العداء الذي استقبل به برليوز والعداء الذي استقبل به فيكتور هوجو ، ناسيا أن الموسيقار لم يكن في لغته الموسيقية اقل من منشق على المواضعات وما زال يعد كذلك من جانب اناس كثيرين حتى يومنا هذا . وحتى من يستجيبون لبرليوز بيننا يجدون من الصعب ان يربطوا مصطلحه الموسيقي بالعصر الذي عاش فيه . انه لم يكن قط موجد اتجاه كهوجو .**

وبالمثل فعلى الرغم من أن شمدجال يقول لنا الكثير عن التقنية الرائعة التي مكنت رتشارد شتراوس من استكشاف أعماق نزعة « نهاية القرن » (آخر زمن) الانحلالية وذلك عندما لحن مسرحية « سالومي » لاوسكار وايلد ، فانه يغفل بعض النقاط ...

ما علينا ، فالكتاب في مجموعه جيد ومنبه ، ان شمدجال يعبر عن نفسه بوضوح وأناقة ، وكثير من عباراته جميل . ومقالته عن أزمات الأوبرا الحديثة من أجود المقالات في بابها ، خاصة وأنه يمنحنا من آرائه الشخصية وآراء الاخرين اكثر مما يفعل في سائر فصول الكتاب .

***

وننتقل الى كتاب «دفاعا عن الأوبرا» لمؤلفه سوانستون فنجد انه ينزع الى الرجم بالظنون على نحو يتجاهل أبسط الوقائع الموسيقية . انه يتخلى كلية عن الاطار التاريخي ليطرح أسئلة كبيرة ويقدم اجابات كبيرة كثيرا ما تكون مخطئة . بل ان بعض مسلماته خليقة ان تصدم القاريء . ويلوح ان **الأستاذ سوانستون لا يدرك انه لأكثر من قرن كانت الأوبرا اقل الأشكال الفنية ثورية في الوجود ، وانها كانت تعكس قيم مجتمع الباروك على أتم الأنحاء . وهو يتجاهل الاعتبار الحيوى الممثل في ان الأوبرا كانت تعني أشياء مختلفة لدى العصور المختلفة ، ويمر بثقة من قرن الى قرن مقارنا بين أعمال لا تشترك في شيء ، لا من حيث الشكل ولا الجوهر ، باستثناء شبه ضئيل في كلمات النص تبينته عين الاستاذ سوانستون ، ولكن لم تتبينه عين أخرى وهكذا فانه يقارن بين « اورفيوس » مونتفردي و «توسكا» بوتشيني دون ان يكون هناك وجه حقيقي للمقارنة بين العملين ..**

مرآة الفكر

تجديد الفكر العربي

تأليف الدكتور زكي نجيب محمود

● مما لاشك فيه ان هـــذا الكتاب لأديب خلاق وكاتب مفكر موســوعي الطراز من أساتذة هذا الجيل، الذين تميزوا بمواهب متعددة من غزارة المادة وصفاء الاسلوب، كما تميزوا بثقافة رحبة خصبة امتدت فشملت ميادين مختلفة من الأدب والعلم والمعرفة، ويجمع الى أنه صــاحب أدب صاحب فلسفة وانه تخطى بحظه فيها الى مشارف التاريخ ·

واننا نجد دائما ان آراء الدكتور زكي نجيب محمود تثير حوارا واســعا فهو يطرح العديد من القضــايا والمشـــكلات الفكرية وأهمها قضـــية الفكر العربي، حيث انه ممـــا نلاحظه أن الفــكر العربي بعد أن ركد لمدة ثلاثة قـــرون على الأقل امتدت من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر .. أخذ ينهض بادئا برفاعة رافع الطهطاوي ومارا في الطريق على الامام محمد عبده، وائمة الأدب والفـــكر في عشرينات هذا القرن وثلاثيناته على وجه الخصــــوص ·· وهي تعتبر فترة عصر التنوير في نهضتنا الحالية ··

بعد هـــذه المسيرة الصـــاعدة نلاحظ شيئا من النكسة في التوازن الثقافي في حياتنا، فقد استخدم السلفيون التراث الى فترة طويلة كسلاح في وجه التقـــدم والتغيير ودعوا للعودة اليه عودة كاملة، والعمل وفق القوانين السلوكية والفكرية التي صاغها أسلافنا عملا بالشعار « ليس في الامكان أفضل مما كان » وكرد فعل مباشر على هذا الاتجاه السلفي المحافظ، ظهر تيار يرفض التراث ويدعو الى تركه والبدء من جـــديد، فعلى أنقـــاض الثقافة القديمة ستبنى ثقافة جديدة معاصرة· ولكن الدكتور زكي نجيب محمود يقف موقفا وسطا بين اتجاهين، موقفا توفيقيا :

فيدعو الى الأخذ من التراث شيئا ومن الثقافة المعاصرة شيئا، أي نأخذ من تراثنا ماهو عقلاني وعلمي وايجـــابي ونترك ماهو غيبي، فطرح المسألة في هذا الكتاب على أساس، ماذا نأخذ من التراث وماذا نترك ؟ ولكن ليس المطلوب أن نأخذ هذا الجزء ونترك ذاك، ولكن المسألة هي أن نفهم التراث في ظروف عصره أي في الاطار الاجتماعي والســياسي الذي أفرزه، لأن التراث هو النتاج الفـــكري لظـــروف ومعطيات اقتصـــادية واجتماعية معينة، ولا يمكن فهم هذا التراث الا من خـــلال الظروف التاريخية التي نشأ فيها ·

وفي رحلتنا الموجزة لهذا الكتاب نجد أنه اشـــتمل على قسمين وكل قسم يعالج قضايا مترابطة تهدف في النهاية الى كيفية الوصـــــول الى تجديد الفكر العربي تلك القضـــية التي ألحت وشغلت كثيرين من المفكرين العرب ·

وقد بدأ الدكتور زكي نجيب محمود كتابه بسؤال هام يثير المناقشة والجدل حول تلك القضـــية التي تخص حياة كل عربي، وكانت الاجابات عن هذا السؤال متعـــددة تتفـــاوت ايجـــازا، واطنابا، ووضوحا، وغموضا، وصوابا، وخطأ، ولكن لم يجد اجابة تقطع الشك باليقين، ولكن هذا الســؤال كان ملحا الحـــاحا شديدا على المفكر العربي خلال الستينات من هذا القرن، وكان شاغله الاوحد هو أن يســـأل عن طريق للفكر العـــربي المعاصر، يضمن له أن يكون عربيا حقـــا ومعاصرا حقا ·

وهنا نبه المؤلف الى انه ليس المقصود من ايجاد طريق يجمع بين التراث الثقافي والفكر المعاصر، أن يكون بالمجـــاورة بين غرفة العلم المعـــاصر وغرفة الخـــوارق والكرامات فليس هذا هو المقصود بدمج الماضي والحاضر، وليس يقصد بذلك أن كل ماورثناه عن الاقدمين هو هذه الوقفة التي تؤمن بالخوارق والكرامات ·

ولكن نظرة الدكتور زكي نجيب محمود تحولت من اليـــاس الذي جعلـــه يرى انه

لا أمل في حياة فكرية معاصرة الا اذا بترنا التراث بترا ، وعشنا مع حضارة هذا العصر وذلك على ظن من الدكتور زكي نجيب محمود بأن الحضارة لاتتجزأ ، فاما أن نقبلها من أصحابها - وأصحابها اليوم أبناء أوربا وأمريكا بلا نزاع - واما أن نرفضها • وليس في الأمر خيار •• وكان الدافع وراء هذه الحيرة حسب اعتراف المؤلف تلك الثقافة الاوربية ، وعدم الالمام بالتراث العربي الى فترة حتى أخذ على عاتقه يدرس في مثابرة ذلك التراث الضخم وسرعان ماتغيرت تلك الوقفة مع تطور الحركة القومية فرأى انه لابد من تركيبة عضوية فيها تراثنا مع عناصر العصر الراهن الذي نعيش فيه ، لنكون بهذه التركيبة عربا ومعاصرين في آن واحد •

ولكن هنا ينشأ السؤال المهم ، كيف يكون الطريق الى ذلك ؟

وما الذي نأخذه ، وما الذي نتركه ؟ وهل في استطاعتنا أن نأخذ وأن ندع على هوانا ؟ ثم ما الذي نأخذه وما الذي نتركه من الثقافة الجديدة ؟

وكيف نلم ونربط وندمج بين ما نأخذه من القديم مع الجديد في اطار واحد ؟

كل تلك الأسئلة كانت سببا في هذا اليأس وتلك الحيرة التي شغلت ذهن المؤلف ، ولكن سرعان مايتبدد هذا اليأس بالامل الذي يرى فيه مخرجا يؤدي الى المزيج الثقافي الذي تكون فيه الاصالة وتكون فيه المسايرة للعصر الراهن • وبعد تلك الحيرة يهتدي أستاذنا الى مفتاح ذلك الموقف ألا وهو الأخذ من تراث الأقدمين مانستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا ، فيضاف الى الطرائق الجديدة المستحدثة ، فنأخذ كل ماينفع ويفيد من التراث ، والجانب الذي لاينفع نتركه غير آسفين ، ونفس الوقفة مع ثقافة الغرب فالمدار هو العمل والتطبيق ، حيث انه لابد من البحث عن طرائق السلوك التي يمكن نقلها من الاسلاف العرب بحيث لاتتعارض مع طرائق السلوك التي استلزمها العلم المعاصر والمشكلات المعاصرة •

ثم يرى الدكتور زكي نجيب محمود ان هناك قيودا تحد من تقدم العرب وانه لمن العبث أن يرجو العرب المعاصرون لأنفسهم نهوضا أو مايشبه النهوض ، قبل أن يفكوا عن عقولهم تلك القيود لتنطلق نشيطة حرة ، حيث أنه لا بناء الا بازالة الأنقاض ، واكتفى المؤلف بذكر عوامل ثلاثة من تلك المعوقات :

أ - ان يكون صاحب السلطان السياسي هو نفسه صاحب الرأي •

ب - أن يكون للسلف كل هذا الضغط الفكري علينا فنسير في هذا الفلك مقيدين •

ج - الايمان بقدرة الانسان أي تحكم فئة قليلة في مصير الدولة فحكموا بأهوائهم فكانوا حاجزا ضد كل نافع وجديد •

وعلى ذلك نقول ان العرب في حاضرهم اذا أرادوا أن يكونوا استمرارا للعرب في ماضيهم فلا يلزم عن ذلك أن ينقل الحاضرون عن الماضين كل ما اصطنعه هؤلاء الأسلاف من مبادىء ، بل من حقهم أن يغيروا وأن يبدلوا كلما رأوا أنه لابد من ملاءمة الظروف لعصرهم ، حتى تثمر ، لأن الحياة تغيرت فلابد من التغيير الذي يلائم الحياة الجديدة •

والكتاب يرسم لكل عربي مخلص طريق الملاءمة لحياة افضل ونهضة علمية تربط الماضي بالحاضر في صورة جديدة لها ظروفها مما يجعلها تلائم العصر وظروفه •

وعلى ذلك يكون كتاب تجديد الفكر العربي من الكتب التي تنبه العقول وتثير الجدل والمناقشة وتفتح بابا واسعا لمراجعة قضايانا الفكرية الحقيقية بصورة جدية عميقة ، فهو كتاب زاخر بالمعرفة والثقافة والرأي والابتكار والتجديد •

*** اعداد عادل عبد الصمد ***



رسائل جامعية

مفهوم الحقيقة عند أنتونان آرتو

● سمير عبد المجيد ●

ناقش هذه الرسالة الدكاترة : نهوت عبد الله استاذة ورئيسة قسم اللغة الفرنسية وآدابها بكلية الآداب جامعة الاسكندرية ــ مشرفا ، وايلين جرجس استاذة ورئيسة قسم اللغة الفرنسية بكلية الالسن جامعة عين شمس ، وحبيب عازار أستاذ ورئيس قسم اللغة الفرنسية بكلية البنات جامعة عين شمس

حصلت الاستاذة حفيظة محمد عبد المنعم المدرسة المساعدة بقسم اللغة الفرنسية وآدابها بكلية الآداب جامعة الاسكندرية على درجة الدكتوراه فى الآداب بمرتبة الشرف الأولى ــ عن رسالتها حول « انتونان أرتو » الكاتب الفنان الممثل المصور الذى ولد فى نهاية القرن الماضى ، وتوفى فى منتصف القرن الحالى ــ تاركا أعمالا مثيرة للحيرة والجدل ... وعلى الرغم من أن « أرتو » قد أمضى العديد من سنوات عمره فى مصحات الامراض العقلية فانه قد ترك أثرا واضحا على الفكر والفن الأوروبى المعاصر ...

وقد بينت الرسالة الترابط بين حياة « أرتو » ومؤلفاته ، فان مرض انفصام الشخصية الذى كان يعانى منه قد أفقده الشعور بالواقع ، والبحث عن العالم الواقعى هو الذى قاده الى البحث عن الحقيقة المطلقة .

تتبع « أرتو » فى بحثه عن الحقيقة منهجا تجريبيا يختلف عن منهج العلوم كما نعرفه حاليا ، وقد تطور بحثه عن الحقيقة الذاتية ليصبح اكثر شمولا وتوسعا فيأخذ شكل البحث عن الوجود أو الكينونة وصولا لجوهر الحياة .

ان خلق العالم والكائنات الحية فى رأى « أرتو » يخضع لقانون يحدد خط الحياة في سيرها بين التناقض والتناسق ، فالوجود لا يأخذ فى نظر « أرتو » شكل مفهوم مطلق ثابت بل هو فى تطور دائم نحو المستقبل وهو خاضع للتغيير .

وهو يثور على مناهج الفكر والمعرفة ، لأن تراثنا الثقافى الحالى يجب أن يفنى ، وأن تستبدل به ثقافة «ميتافيزيقية» ، وهى تعنى عنده ثقافة تتخطى حدود المنطق والعقل وتقوم على اللامعقول والسحر والخرافات . وهكذا يرفض « ارتو » كل تراثنا الفكرى والفلسفى ، فهو لا يقبل المثالية ولا يعترف بالعقلانية وينتقد التيارات المادية السائدة .

و « أرتو » يهتم بدور المجتمع فى تشكيل الشخصية الانسانية وينتقد ذلك الدور . وهو يرفض القيم والمبادىء الأخلاقية السائدة ، وحجته فى ذلك نسبية مفهومى الخير والشر وتغييرهما مع اختلاف الزمان والمكان .

كذلك يهاجم « أرتو » مظهرا آخر من مظاهر الحياة فى المجتمع الا وهو مفهوم الانسان السوى أو الانسان الطبيعى ، وهو بذلك يشن حربا لا هوادة فيها على علم النفس والعلاج النفسى ..

وهو ينتقد طرق البحث والعلاج النفسى ويحبذ منهجا جديدا لمعرفة النفس البشرية ، يقوم على تفسير الرموز الفكرية ، وهو فى ذلك يختلف عن سيجموند فرويد من حيث أن العالم يود فك رموز الأحلام والسلوك لاعادة الانسان الى القيم الطبيعية .

الاستقالة

فكُلُّ الداءِ في الحُبِّ العظيمِ !

ومادامَ الهوى يغرى كثيرا

فغطّى صورةَ الوجهِ الوسيم

خذى فصلَ الربيعِ إلى الخريفِ

وكلَّ الأمنياتِ إلى الجحيمِ ..

خذى منّى زمانَ الموتِ شنقا

وتعذيبا ، وعهدَ اللانعيم ...

ضعى كلَّ الرصاصاتِ ... بعيدا

فهذا الجرحُ ، جرح في الصميم !

***

أفضّلُ أن أعودَ إلى فراغي ..

وفترة ذلكَ الزمنِ القديم !

وعهدًا في التجولِ باختياري

مع الأحلام ، والوهم الحميم

وأكل الخبز في الأسواق ، وحدى

ومشيي حافيا مثلَ اليتيم !...

إلى الآتى خذينى حينَ يبدو

زمانى كله غض النسيم

لعلى أستريحَ ككلِّ شخصٍ

وتغفو العينُ في ليلٍ رحيم ! ...

***

إذا ما كانَ في الأيام حلو

فأحلاها لدى الزمنِ القديمِ

عرفتكِ فيهِ إنسانا بسيطا

بأبعادٍ وتفكيرٍ سليم ...

فحاولتُ الهروبَ إلى الأمامِ ،

أمنى النفسَ بالخيرِ العميم

ضعى يدكِ الجميلةَ في يدى !

أودّعُ فترةَ الحبِّ العظيم !



محمد الشابى

استاذ فى ثانوية تبرسق

الجمهورية التونسية

حوار مع الأديب عادل أبو شنب

● القصة القصيرة بمفهومها الحديث المستورد من أوربا لم تكن جنساً أدبياً عربياً قط

● أدبنا العربي محلي ، وبدت المحلية ظاهرة بارزة فيه ، أظنه عالمياً في الوقت نفسه

● عبد الرحمن شلش ●

● يرتبط اسم الاديب العربى عادل أبو شنب « ٤٧ سنة » بفن القصة القصيرة فى سورية منذ أوائل الخمسينات ، وحتى الآن ..

وقد صدرت له أربع مجموعات قصصية ، ورواية طويلة « وردة الصباح » ودراسات أدبية وفنية ، وترجمت قصصه القصيرة الى الانجليزية والفرنسية والاسبانية

قلت له :

● الملاحظ ان هناك تنوعا فى اعمالك الأدبية بين القصة القصيرة والرواية والمسرحية والدراسة ـ فأى الانواع الأدبية أقرب الى نفسك ؟ ولماذا ؟

ـ لست متحذلقا ان قلت ان الجنس الأدبى يخلق شكله بنفسه . كما أن الموضوع نفسه يضطر الكاتب الى اختيار الجنس الأدبى الملائم له . والفكرة ـ الومضة تصلح لقصة قصيرة لكنها بالتأكيد لا تصلح لرواية . اما عن أيها أقرب الى نفسى فما أظننى بقادر على التمييز والايثار . لكن ثمة خاطرا يخطر ببالى وانا اجيب عن هذا السؤال : ان التطور يقتضينى ان اعترف بان وسائل التعبير الحديثة قد طغت واصبحت اقدر على الايصال من وسائل التعبير القديمة . فمن طريق الدراما التليفزيونية المرئية ، يتم الوصول الى اكبر عدد ممكن من « القراء » الذين ليسوا هم بالضرورة قراء ، بل هم مشاهدون مثابرون ، وهكذا فان فكرة ما تنبت فى ذهن كاتب سيكتب لها الذيوع والانتشار ان هى بثت تليفزيونيا .. ولهذا انا اوثر الآن استخدام وسائل التعبير الحديثة .

● هل يعوق العمل الصحفى ابداع الأديب ؟ وما رأيك فى تفرغ الأدباء للابداع الفنى ؟

ـ كلا لا يعوق . وانا عملت منذ أوائل الخمسينات فى الصحافة اليومية المرهقة ، لكن هذا العمل لم يمنعنى من الابداع ، بل مدنى بأسباب جديدة وتجارب رفدت ما أكتب من أعمال أدبية بروافد جيدة .

أما عن تفرغ الأدباء للابداع الفنى ، فلست معه الا فى حالة واحدة وهى التفرغ لكتابة ما يشبه دائرة المعارف أو المؤلف الذى ينشد مراجع وتوثيقا وملاحقة للمصادر ..

الابداع يتم فى لحظات تشبه لحظة ظهور شهاب أو وميض برق ، والتفرغ قد لا تتم فيه مثل هذه اللحظات .

● يسهم الجيل الجديد فى الحركة الأدبية العربية المعاصرة فى سورية وفى الوطن العربى عامة ، ما رأيك فى كتابات هذا الجيل ؟

ب

ـ اظن ان كتاب الجيل الجديد يعانون معاناة كبرى من التغير الحاسم والدائم فى المجتمع والحياة السياسية والاقتصادية ، بمعنى ان هذا التغير يعزز الشعور لديه بأن الأشكال الراهنة فى الأدب أقل قدرة على حمل التوتر

الموجود فى الحياة من حولهم ، وفى الوقت نفسه يشعرون انه لا يوجد نموذج للتجديد يقاس عليه لا فى الأدب العربى القديم ولا فى الأدب الليبرالى ولا فى الأدب الواقعى الاشتراكى ، لذلك حتى أكثر الملتزمين

بهذه الاتجاهات الثلاثة ، من الشبان، نجدهم يخرجون بسرعة عن هذا الالتزام لايجاد الاشكال المنشودة . وهكذا يمكن

القول ان ادب الأجيال الجديدة فاقد للمعايير الواقعية . طبعا هناك أصوات مفردة تجرب . ونشعر بنقص التجربة وعدم كفايتها .

● يقال ان القصة القصيرة بمفهومها الحالي فن حديث النشأة فى ادبنا العربى ، فى حين هناك من يرى ان العرب عرفوا هذا الفن قديما ممثلا فى المقامة ـ ترى ما وجهة نظرك ؟

ـ عرف العرب ما يشبه القصة القصيرة . والمقامة هي أسلوب من أساليب القص ، لكن القصة بمفهومها الحديث ، المستورد من أوروبا لم تكن جنسا أدبيا عربيا قط .

ودعني أطرح شيئا فى هذا الموضوع . القص كسرد لحادثة ، نوع موجود منذ القديم . والرواة كانوا يقصون ، وفى المقاهي الشعبية كان الى فترة قريبة رجال يروون حكايات ويسمون « الحكواتية » . أما القص كعملية خلق فني ، فهي شيء آخر ، هي تناول فني



عادل ابو شنب

بأسلوب مبدع ابداعا ، لحادثة ، هاهنا يبدو الفارق ، القصة الحديثة لا تسرد فقط ، بل تعيد خلق اللحظة والحادثة انها عمل فنى ..

● ادبنا العربى محلى ام عالمى ؟ وهل هناك اعمال ادبية عربية تحققت لها هذه الشروط ؟

ـ ادبنا العربى محلى ، ولأن المحلية ظاهرة بارزة فيه ، اظنه عالميا فى الوقت نفسه ... من شروط عالمية الأدب ان يكون معبرا عن البيئة التى يولد فيها . وأظن أن هناك أعمالا كثيرة عند الحكيم ، وطه حسين ، والطيب صالح ، ويحيى حقى . وعندنا فى سورية ـ تتوفر فيها المحلية التى هى عالمية فى الوقت نفسه .

● من حين لآخر تثار آراء تقول بأن الابداع الفنى فى ادبنا يعانى من أزمة ، وبالتالى تستتبعها ازمة نقد .. ماقولك فى هذه القضية ؟

ـ اظن ان ادبنا العربى يعانى من ازمة نقد .

● ما توقعاتك لمستقبل الفنون الادبية؟

ـ الفنون الادبية ستتأثر بوسائل التعبير المتطورة . اظن ان القرن القادم سيشهد انقلابا حاسما فى ذلك . من يدرى ؟ قد ينتهى عصر الكتابة المقروءة !

قصة

دبلة من الصفيح الصدئ

● ناجية أحمد ●

● سافرت عمتي لتؤدى فريضة الحج ، وأمضت قرابة الشهرين والنصف في ذهاب واياب بالباخرة ، وقضاء فروض الحج ، فهي لا تفضل السفر بالطائرات ·

وأخذتني أمي معها ، فقد أقنعتني بالذهاب بأن وعدتني بأنني سأجد عند عمتي ما أتمنى ··· وأنها - عمتي - قد أحضرت معها هدايا كثيرة : عرائس صغيرة جميلة تتكلم ، وأساور فضية ، وغير ذلك من الأشياء التي ستكون لي حرية الاختيار منها كيفما أشاء ···

وفرحت فرحا شديدا لما ساحصل عليه من غنيمة ، وأخذت أسأل نفسي ·· هل آخذ العروس ذات الشعر الأسود ، أم البني، أم الأصفر ؟وهل القصيرة مناسبة لطولي أم الكبيرة ؟ وأفقت من استرسالي مع أفكاري على صوت أمي وهي تناديني ··· نظرت اليها فوجدتها تحمل أشياء كثيرة · فلما استفسرت منها عما تحمل ··· أخبرتني أنها ثلاثة كيلوجرامات من السكر وثلاث زجاجات شربات ستقدمها الى عمتي ، تهنئة لها على سلامة الوصول (أي شربات السلامة)

فرحت كثيرا حين علمت ذلك ، فالآن حق لي ان احلم بالعروس ماشئت، فهاهي ذي أمي قد دفعت ثمنها مقدما ، ولو كان ذلك في صورة هدية تهنئة بسلامة الوصول ·· كذلك أصبح لي على الأقل أن أحلم بسوار فضي مثل الذى رأيته في يد ثريا ، وأخبرتني أن خالتها أحضرته لها من الخارج ··· دائما دائما لم أسأل هذه الفتاة عن شيء الا وأخبرتني أنها أتت به من الخارج ، حتى ولو كان ذلك الشيء من مصر ، وكان لها هواية في اغاظتي ·

فياليتني أظفر بشيء مما أتت به عمتي ، فأغيظها أنا الأخرى لأنني قد أحضرت شيئا من الخارج ·

تحرك الموكب المكون مني أنا وأمي وأبي وأخوى ، وذهبنا الى عمتي ·· فاستقبلونا بترحيب وحفاوة منقطعة النظير · وتمنوا لنا مثل زيارتهم للأراضي الطاهرة · وطلبوا من الله أن تكون جمعا هناك في العام المقبل ان شاء الله ·

ثم امتد بهم الحديث فأخذوا يخبروننا بما صادفوه من صعاب وأهوال لأن الحرب كانت مشتعلة في ذلك الحين فمن غارات وهم في البحر الى غلاء في أسعار الشراء ، مما لم يمكنهم من احضار شيء معهم ولا حتى لأولادهم ·

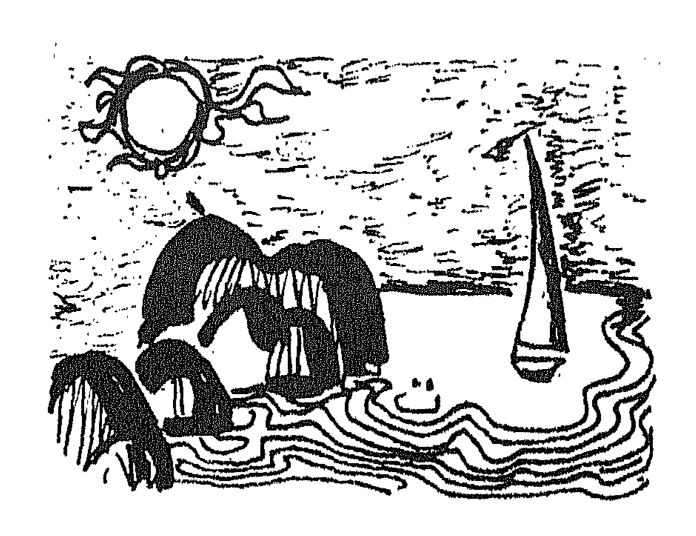
رأيت خيبة الأمل ترتسم على وجه أمي ·· نعم انها لم تطلب شيئا بعينه ،ولكن الناس دائما يتوقعون ممن غادر البلاد ان يأتي محملا بالهدايا ، وبالنسبة لها هي يعلم الله كيف أتت بهذا المقدار من السكر بعد مشاجرات مع أبي واعتذاره لها أن أهله لايستحقون المجاملة ، والآن قد صدق ظنه ، فسوف يكتمل الشجار بعد العودة الى المنزل ·

في هذه اللحظة بالذات كنت أفكر في الأشخاص الذين يعودون محملين بتراب الحج · وما أن يصلوا الى البلاد بعد أن يكونوا قد غسلوا ذنوبهم حتى يبدأوا في صنع ذنوب جديدة ! ··· فمن ذا الذى أجبر عمتي على هذه الكذبة « أنها لم تحضر اى شيء » وانابعيني قد رأيت ابنتيها كلا منهما تحمل عروسا أجمل من الأخرى ولم يقوما باخفائهما الا حين نظرت لهما أمهما ·

قلت ننتظر علها تكون قد أتت بشيء قليل، ولكنها تمهد له هذا التمهيد الطويل

وأخيرا انهت عمتي الحديث الذى لم اكلف نفسي مشقة سماعه بأن قالت انها احضرت ((دبلا)) صغيرة تفرح العيال ، فقلت الحمد لله ها هو ذا شيء أغيظ به ثريا ··

نادتني عمتي فلبينها بسرعة ، ووضعت يدها في حقيبتها ، ثم أخرجت دبلة صغيرة بيضاء اللون خفيفة الوزن بها بقعتان من الصدأ ··· وقالت : ادعكيها ترجع جديدة ··· بركة من الأراضي الطاهرة ·



سافرت الى اسوان، ومن هناك بعثت اليه بصـــورتها ، جالسة فوق جندل من الجنادل المتناثرة بين مياه النيل ، تتأمل فى سحر الطبيعة فى ذلك المكان العـــزيز من بلادنا ـ قال يصف مشاعره :

صـــورة شعـــريـــة

أحــلام الـمــنى

• حسنى نصار •

سرحت عيونك فى الخيال كأنما
تاهت ببحر عارم الوجـــدان

والموج بين يديك جاء مسـلما
يزجى اليك الشـوق فى تحنان

ونســائم ثملت بحبك وارتوت
وترنحت سكرى على الشـطآن

وجنادل غنتك الحــان الهوى
تشدو بحســنك فى ربى الوديان

***

ثم طالت غيبتها عنه فى مشتاها فكتب يقول :

لما طوانى البعــد عنك بليلـة
صفت الحنين اليك آهة شـاعر

ونظمتها من نبع الوداد قصائدى
تشدو اليك محبتى ومشــاعرى

صفت القصيد اليك يحكى وحشتى
وبيت آهاتى بلحن زاخـــر

وطويت فى جفنى أحــلام المنى
ورويت من فيض الجمال خواطرى

قصة

فتات الحياة

● احمد علي رجب ●

● في نقطة الشرطة ، في القرية الضاربة في اعماق الشرق ، قال الضابط الشاب وهو يتأملني : لا اصدق ان شخصا مثلك يقع ضحية محتال .. عملك في التجارة ، ومعرفتك لتجار السمسم بالذات !

قلت وانا اصطنع ابتسامة أوارى خجلي خلفها :

ـ هناك مثل ياسيدى الضابط ، اعتقد انه صادق تماما ، يقول : « لا يقع سوى الشاطر » !

وعدت بذاكرتي قليلا ، الى بعد ظهر هذا اليوم .. كانت الشمس قد هبطت من عليائها حتى صارت على بعد أمتار قليلة من الأرض ، وراحت تصب نارها فوق رءوس الخلق .. وكان المقهى شبه خال ، فاخترت ركنا هادئا لأغفو قليلا ريثما تأتي السيارة، ولم ادر كيف زحف هو نحوى ، ولا كيف استدرجني الى حديث طويل ، حتى الحديث نفسه لا اكاد اذكر منه شيئا .. لكنني وقتئذ كنت احس بان لكلامه وقعا خاصا على مسامعي ، وداخلني شعور بأن معرفتي به ليست وليدة الساعة .. واحسست بانه من هؤلاء الأصدقاء الذين نتمنى أن يقاسمونا كل شيء ..

وربما تدرج الحديث بيننا الى التجارة .. والشيء الوحيد الذى بقى في ذاكرتي أن اسارير الرجل كانت تبتسم طوال الوقت .. وانه كان ـ على الأرجح ـ يرتدي جلبابا أزرق اللون ، فضفاضا .. وأخرج من جيوبه الداخلية عدة لفافات وفضها أمامي فاذا هي عينات لأنواع متعددة من السمسم .. بعدها أخرجت حافظة نقودى ونقدته خمسين جنيها ، وقام مستأذنا ليبحث عن غرارات ..

سألني الضابط :

ـ هل يمكن ان تصفه لي ؟.

ـ كنت كمن نوم تنويما مغناطيسيا، غير انه ـ الرجل ـ طويل نوعا ما ، جميل الملامح ، اشيب الشعر .. واستطيع أن أتعرف عليه اذا رايته ..

ـ هل رآه احد في المقهى ؟

قلت : ان المقهى كان شبه خال ، حتى « الجرسون » كان جالسا على مقعد ورأسه مستسلم لسلطان النوم ..

ـ في راسي صورة لشخص لا يستبعد ان يكون الفاعل .. هيا بنا .

قال الضابط بعد أن فحص مسدسه:

ـ سنمضي في رحلة على الأقدام قد تستغرق ساعة . والمكان الذى نقصده لا يمكن أن تستخدم فيه سيارة .

مضينا الى طريق رملي متعرج ، تقوم النخيل على حراسته ، يتشابك السعف السابح في بحر من الاشعة الذهبية ولم نلبث أن فوجئنا بفجوة هائلة تعترض الطريق ، وترغمنا على الدوران حولها ..

وتابعنا المسير .. كان النخيل قد تخاصم وتباعد ، وترك للشمس أرضا تصهر رمالها وحصاها ، وانعطف الطريق بنا الى ممر ضيق .. وهناك التقينا بشيخ يمتطي حمارا هزيلا ، وبادرنا الرجل بالسلام . وظلت عيناه لفترة معلقتين بالنجوم اللامعة فوق كتف الضابط .. وبدا كمن يتوقع أن نسأله عن شيء ، لكن الضابط تابع سيره دون أدنى التفات ، ومضيت خلفه ثم فاجأنا مستنقع هائل يكسوه

العفن ، وهبت ريح ساخنة حملت الى انفينا رائحة نتنة لرمم كلاب متحسللة كانت تطفو فوق المستنقع • فحمل كل منا منديله يسد به أنفه ، ومضينا بخطى أسرع ، ندور حول المستنقع لنعود الى الطريق الرئيسى ••

وعلى البعد لاحت لنا عدة أكواخ طينية عبر أرض زراعية فقيرة الخضرة ، وعلى راسها بضع بقرات عجاف ترعى الهشيم ••

استدرنا من خلف الأكواخ لنواجه صبية صغارا فى أسمال بالية •• كان أحدهم ينثر الرمال فوق الآخرين ، وما ان وقع بصر الصبى على الضابط حتى أسرع يلوذ بالفرار •• بينما تسمرت أقدام الآخرين فى الأرض ، وراحت أعينهم تحدق فينا بشىء من الخوف ••

تبادلت مع الضابط النظرات الحزينة ولم نقل شيئا ••• ثم عبرنا من خلال فوهة بناء أشبه بفتحة باب ، وقطعنا ممرا طينيا طويلا أفضى بنا الى فوهة أخرى ، وخطونا عدة خطوات الى الداخل ، فاذا بنا فى مكان أشبه بصحن دار •• وفجأة تسمرت قدماى

كانت هناك أسرة تفترش الأرض وتتناول الطعام ، وانتبه رب الأسرة لمجيئنا •• تعلقت عيناه الزرقاوان بوجه الضابط ، ثم مرتا سريعا بوجهى ، وتوقف فمه عن المضغ •• وتبعته عيون النسوة الساحرات اللاتى كن يجاورنه • ثم التقت عيناى بعينى عجوز كانت تجلس فى مواجهة الرجل ، غير أنها ما لبثت أن أرخت بصرها نحو الارض ••• وبعدت قليلا عن مكان الطعام ، ولاحظت أن عددا رهيبا من صبية صغار فى أسمال بالية ، قد استغلوا غفلة الكبار وانشغالهم ، وراحت أيديهم تزحف نحو اناء اللحم ••• وشد انتباهى حركة تكاد تكون موحدة بين النسوة الحسان ، محاولة يائسة لتغطية الأجساد البضة التى كشفت سترها تلك الثياب المتهرئة •• ورأيتنى فاقد الارادة ازاء تلك النظرات الضارعة المستعطفة التى تحس بها تنفذ الى أعماقك فتصهرك رقتها ويأسرك سحرها ••• ورفعت عينى خجلا لأديرهما فى المكان الذى لم يدر بخلدى أننى سألتقى فيه بآدميين •• سقف من سعف النخيل الجاف يغطيه السناج وقد نشطت فيه العنكبوت ، فتحات نوافذ بلا قوائم خشبية وبلا زجاج •• لا شىء من الأثاث •• ثم •• نار تكاد تخبو فى ركن الحجرة ، يتوسطها كوز من الصفيح تتصاعد منه فقاقيع الشاى ••

واخرجنى من تأمل صوت الضابط الجهورى الصارم :

ــ أهذا هو الرجل الذى ؟ ••

عدت أدقق النظرفىالعينين الزرقاوين والوجه المتورد المتغضن ، ورأيت شارب الرجل يهتز واهدابه ترتعش ••• وعاد صوت الضابط يطاردنى متعجلا الاجابة ••

رفعت وجهى نحوه ، وبدا لى أن شفتى قد تجمدتا ،لكننى حاولت جاهدا حتى عثرت على صوتى •• وخرجت كلماتى شبه ممزقة :

ــ لا ، ليس •• هو •• الرجل ، لا !•

كانت الآذان كميكرفونات صغيرة مشرئبة تنتظر كلمة الحسم •• وعندما انطلقت ، زفرت الصدور ارتياحا ، واستطعت أن اقرأ عبارات الشكر والامتنان عبر غلالات الدموع التى كست العيون الأسرة •••

وعادت الى الأفواه الفاغرة حركتها •• ونهض الرجل مديرا بصره فى كل اتجاه ، بدا كمن يود أن يفعل شيئا يترجم ترحيبه بمقدمنا ••• جذب جلبابا ازرق اللون فضفاضا ، وبسطه على الأرض •

ــ تفضل •• يا حضرة الضابط •• تفضل يا سيدى •• الشاى •• الطعام اولا •• ولو ان ••

القينا بكلمات اعتذار مقتضبة •• واستدرنا نحو فوهة الخروج •• وعندما خلفنا النجع وراءظهورنا ••قال الضابط وقد بارحت الصرامة وجهه :

ــ هذه الباقة من النسوة الجميلات هن بنات الرجل ، اما أزواجهن ففى غيبة وراء القضبان من اجل حوادث سطو ••

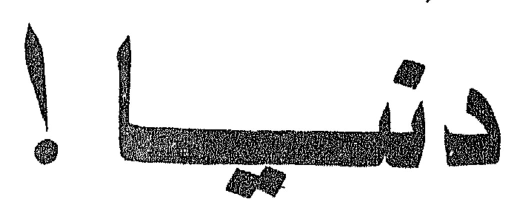
ثم ابتسم وهو يسألنى :

ــ لكن •• لماذا أنكرت انه هو ؟

قلت وانا ابادله الابتسام :

ــ لا أدرى ! ••

قصة



● عبد الستار خليف ●

جلس على عربة خشبية صغيرة . يدفعها بذراعيه القويتين ، وهو قابع فوقها ، يضع يديه على الارض كالمجداف ، ثم يندفع الى الامام ... هكذا يسير بلا قدميه !

ما اقسى الحرب .. عندما تأخذ دائما ، اخذت منه ساقيه .

لقدهما في ميدان الحرب . ميدان الموت . وتركته يعيش ... رجلا ، بل بطلا ، بلا ساقين.

اليست الحرب لعينة !!

وزفر ، زفرة حارة

***

عادت الى رأسه الذكريات الأليمة . حياة الشباب والمرح ، و ... خطيبته . حبيبته وهي تشجعه على السفر الى ميدان القتال

يوم ان ودعها على محطة القطار ، كانت تبتسم له من خلال الدموع ، دموع الفراق ، وهي تهمس :

ـ سوف تذهب وتعود الى بطلا

قال متسائلا : هل تنتظرينني حتى اعود ؟

اجابت : نعم . سانتظرك يا حبيبي !

***

« هيه .. ايام ! »

حينما عاد ، انكرته ، بل هربت منه .. لانه لم يعد شابا ، بل بقية من بقايا الحروب . رماد الحرب . الحرب ، اليست قاسية ! !

« مديحة .. مديحة .. »

ذهب صوته مع أدراج الرياح سدى !

كانت هذه ثاني صدمة قوية توجهها اليه الحرب ...

وصبر . صبر على مضض وهو يحمل لها حبا كبيرا بين جوانحه .

***

وبينما هو في سيره مع ذكرياته المؤلمة .. سمع صوتا مألوفا عنده . يهتف قائلا :

ـ حامد .. أبو احميد . أهلا !

نظر الى مصدر الصوت . انه صديقه القديم « الاسطى فاضل » سائق « اللوري » يطل من كابينة القيادة . لوح له بيده في فرح وسرور :

ـ أهلين وسهلين ، أسطى فاضل . اين انت واين ايامك !

ـ ايام زمان !

عادت الى رأسه ذكريات الحرب الاليمة .

حينما انفجر فيه لغم وحمله رفيق السلاح « فاضل » على عاتقه وسار به في خط النار ، وسط البارود حتى وصل به الى المستشفى حيث اجرى له اللازم . لم يشعر الا بصوت صديقه فاضل يطمئنه بانه في الاسعاف . ويخبره انها شظايا انفجار أصابت ساقيك

شعر بالنيران تسري في جسده . ثم بترت ساقاه باكملهما . وعاش يعاني من آلامه المبرحة. وخرج من المستشفى يسانده صديق السلاح ، فاضل

وعاد . عندما عاد ، هربت منه خطيبته ، وتركته وتزوجت بغيره

انه يذكر تلك الايام مرة ثانية ، تلك الذكريات الدامية . وزفر ، زفرات حارة .. ايام . وجفف دمعتين انحدرتا من عينيه . وودع صديقه ملوحا بيده .

***

وسار . لقد وصل الى المنحدر وهناك في نهايته سيجد منزل حبيبته . « مديحة » . سيجدها في انتظاره . تقف في شرفة منزلها .. انها تعرفه وهو قادم من بعيد . وتعرف ميعاده

كان المنحدر مائلا بشدة . واندفع هو بسرعة ، حتى تهاوت العربة الخشبية سريعا ، سريعا . الى الانحدار . تدحرجت . مرة ، وثانية . ووقع من فوقها . يتدحرج ... يتخبط بين ثنايا المنحدر . حتى نهاية المنعطف .

***

كانت هناك في الشرفة ، عينان نجلاوان . تحدقان ووجه مصبوح ، يظهر عليه علامات الخوف والفزع . ويدان ناعمتان ملساوان ، كادتا تمزقان اللابس المعلقة في الشرفة . ثم صوت بكاء . وتساءل طفلها الصغير في عجب ؟!

ـ ماما . ماما مديحة .. لم تبكين ؟ !

نظرت خلفها . طفلها « حامد » الصغير . ذكرى فراق حبيبها ، حامد .. على اسمه . عندما يكبر ويتساءل : لم سميتيني بحامد ؟ . ربما تسرد له قصة الانسان فقد ساقيه في الحرب . وفقد كل شيء في الحياة ...

قالت وهي تجفف دموعها باناملها الرقيقة المرتعشة .

ـ حامد المسكين . مات يابني .. مات !

قال في براءة الأطفال .

ـ الرجل الذي يركب عربة خشبية . وكل يوم يمر من هنا . مات !!

***

اجل .. مات . عاش بطلا ومات كما يموت سواد البشر . مات وعلى وجهه ابتسامة الرضا ، كانما سره أن جاءت النهاية . هكذا حال الدنيا.

واجتمع المارة حوله . وتساقطت الدموع على الارض . عم حامد ، الكل يعرفه .. كما يعرفون بطولاته في جبهة القتال . مات في ميدان الحياة ، ولم يمت في ميدان الموت ، بين البارود والدماء وطلقات الرصاص وقذف المدافع . ولا غالب ولا مغلوب ، سوى الانسان .

صحيح .. دنيا !

دنيا غداره ليس لها أمان .

دنيا سجن وآخرتها اعدام .

ونظرت اليه العيون المليئة بالدموع ، وزفرت الانفاس ، زفرة حارة

وتمتمت الأفواه في حزن وأسى :

دنيا ! ! .

إنطلاق

على موعد فى جنـاح الأثـير
نقبل فجرا بهى السـنا
الى عالم عبقرى الخيـال
يصوغ الأساطير فى حبنـا !
يقود خطانا الهوى والشباب
ونطـوى صحائف ايامنـا
هناك نشق ثنايا الضباب
ونشرب من كاس احلامنـا

•

وانشودة الحب من حولنـا
ولحن تردد عبر الفضـاء
وليل هوانا خلود الصفـا
وللفجر سحر شهى العطـاء
بديع الجلال ، زكى الشـذا
ربيع ضحوك يبث الحنـان
على شاطىء ساحرى الجنـاح
يحلـق بالروح فـوق الزمان

•

باجنحة الشـوق نمضى معـا
ونبنى قصورا بهـام السحاب
وللكون انغام لحن جـديد
وصمت يهوج بطيب الرغـاب

فتحية النميرى
الاسكندرية



قصة

إنتظار

● محمد على السيد ●

كالعادة ... دفعت بدهسا عيدان الحطب الى داخل الكوة ، وتبعتها بقبضة من التبن لتسرع فى اعداد عشاء اليوم ..

ثم تحركت لاستقبال الماشية التى عزفت حوافرها لحن المغربية قرب البوابة ، وعلى اوتار عتبة الباب ...

ربتت على عنق الجاموسة التى تضخم انفها محمرا ، عندما شاهدت الكسب

يخلط مع وجبة العشاء من التبن .. وامسكت بالقفص الكبير لتجمع

دجاجاتها من « الحوش » ... وما أن انتهت من تغطية القفص بكيس الكيماوى الفارغ حتى هرولت على

السلم قبل ان ينتهى الزوج أبو العيال من قولته .. « اليه فين » . وتساؤله عن عشاء اليوم ...

قالها وهو ينتصب داخل الحلة النحاسية الممتلئة بالمياه والتى تعكرت بعد حكه لقدميه بها .

ــ « شوية ملوخية ، جابهم الواد فى العصر . » .

ــ « طب اعملى لى كباية شاى »

ولملم ساقيه ليتكيء على الدكة ، بعد ان ازاح السروال بما علق به من طين العمل .

....

قررت وهى تمد الكرسى للأكل الا تستحم هذه الليلة ، فالمياه الساخنة سوف تعطيها للولد ، ولتستحم فى الغد بعد انتهاء غربلة الغلة .

....

....

لم تجد بدا من تأجيل الاستحمام هذه الليلة ايضا ، فقد طال انتظارها للولد الذى تأخر فى الطاحونة ، وليكن فى الغد ...

....

وصممت هذه الليلة على الاستحمام .. حقيقة انها تود تأجيل ذلك كما اجلته مرات للانتهاء من الغسيل ، ثم من غربلة الغلة وتحليلها ، وقد هدها التعب اليوم واخذ ابو العيال المياه التى سخنتها على نار الخبيز ..

ولكنها لابد وأن تستحم فهو قد خرج للقيام بالواجب ، وليس وراءها أى عمل تقوم به لحين عودته من العزاء حيث تعد له الشاى ، وتتأكد من اغلاق البوابة .

وادخلت اللمبة « الصاروخ » الى الخزانة ، ثم جلست داخل الطشت بعد ان اخرجت « الصابونة أم ريحة » التى تحتفظ بها فى الطاقة لتستحم بها .. و .. و

... اخترق ابو العيال مدخل البوابة ، ينشر الرهبة من حوله بدق عصاه الغليظة فى الأرض ، ليرهب كلاب الطريق ، التى ملأته بعد ان انتصف الليل . و .. وطرق الباب ، ثم شد حبل السقاطة ، ودخل عندما لم يرد احد على ندائه .

ونظر فى الخزانة فوجدها هى .. عارية تماما ، تخفى راسها بين ساقيها المطوقتين بذراعيها .. متكومة فى الطشت .. غارقة فى بحر من النعاس ! ●



● أمسلم هو ؟ .. ●

حضر المتنبى مجلس الوزير ابن خنزابة، وفيه أبو على الآمدى الأديب المشهور ، فأنشد المتنبى أبياتا فيها :
انما التهنئات للأكفاء

فقال أبو على : التهنئة مصدر ، والمصدر لا يجمع .
فالتفت المتنبى الى جاره وساله : امسلم هو ؟ فاجابه الجار: سبحان الله ؟ .. هذا أستاذ الجماعة !
فقال المتنبى : اذا صلى المسلم افلا يقول فى تشهده : « التحيات لله » ؟

فخجل الآمدى وغادر المجلس .

● مريد صالح .. ●

كان أحد الصوفية الصالحين يفضل بعض مريديه ، فتألم سائر التلاميذ من هذا التفضيل ، فأراد الشيخ أن يبين لهم رتبته ، فأعطى كلا منهم طائرا ، وامرهم بذبحه فى مكان لايراهم فيه احد . فمضى كل منهم وذبح طائره ، ثم أتى المريد الذى كان الشيخ يفضله ، وطائره فى يده غير مذبوح ، وقال : يا شيخى ، أمرتنى أن أذبح هذا الطائر فى مكان لا يرانى فيه أحد ، فأينما ذهبت فالله يرانى !
فاقتنع سائر المريدين بفضله عليهم .

● تقـدم ... ●

لما دخل الخليفة المهدى مدينة البصرة رأى اياس بن معاوية ـ وهو شـاب ـ يتقدم اربعمـائة عالم وفقيـه جاءوا لاستقباله ، فعجب وقال : أما فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ..

والتفت الى اياس وقال : كم سنك يا فتى ؟

فاجاب اياس : سنى ـ أطال الله بقاء الامير ـ سن أسامة بن زيد ، حينماولاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيادة جيش فيه عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة ـ (عشرون سنة) .

فخجل الخليفة ، وازداد اعجـابه ، وقال لأياس ؟ تقدم ، بارك الله فيك ؟

● مكافاة وعقاب ... ●

وقف رجل بين يدى الخليفة المنصور ، وقال : ان لدى مايستوجب العجب !

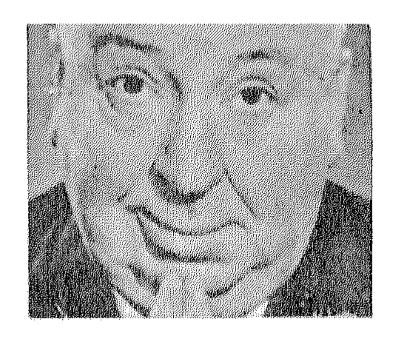
فقال له الخليفة : هات ما عندك ...
فاخرج الرجل من كيس كمية من الأبر ، وقذف بابرة منها الى الحائط ، فنشبت فيه ، ثم قذف ابرة ثانية ، فدخل طرفها المدبب فى ثقب الاولى .. وهكذا ، حتى اكمل المائة ابرة .
فاعجب المنصور بفعله، وأمر له بمائة دينـار ، وأمر بجلده مائة جلدة ! ..
فارتاع الرجل وقال ، وقد استبد به الجزع : لماذا أجلد ، يا أمير المؤمنين ؟ ..
فقال الخليفة : مائة الدينار لبراعتك وحذقك ، ومائة الجلدة لاضاعتك الوقت فيما لا ينفع ولا يفيد !

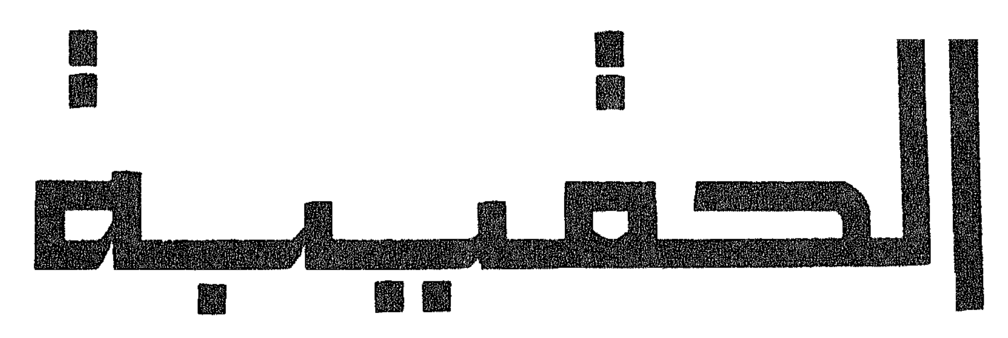
● التحصن عند النوم .. ●

عن أنس بن مالك . عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : اذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأت سـورة الفاتحة وسورة الاخلاص ، فقـد أمنت من كل شىء الا الموت .

● محسن فهمى ●







● ترجمة : محمد عبد المنعم جلال ●

راح كارل يتساءل هل يمكن ان تبدو الحقيبة بهذه الريبة لغيره من الناس كما تبدو له هو ؟ . كانت ، فى مكانها فوق مقعد سيارة الأجرة،تبدو شديدة الخطر ، فبعد ان استلمها من اصدقائه ومعها تعليماتهم ، قبل أن يركب سيارة الأجرة بقليل ، ويطلب من السائق ان يمضى به الى المطار فانه ليقسم ان السائق كان يعلم انها تضم صندوقا محشوا بكيلو جرام من الهيروين ، وهذه احدى مساوىء نقل مثل هذه الاشياء ، فان انطباعها المشئوم ينتقل اليك ويجعلك تبدو مريبا أنت الآخر !.

وفيما هما ينطلقان فى الطريق الى المطار ، كان كارل يقول لنفسه ان مخاوفه سخيفة ومضحكة ، وانه ما من احد له مقدرة اكس طبعا لكى يعرف ما يوجد فى الحقيبة ، وراح السائق يصفر فى غير اكتراث فى هذه اللحظة الأمر الذى جعله يشعر بالاطمئنان .

وفى محطة المطار هبط كارل والحقيبة فى يده ، وتأهب فى طفرة من الامتنان ، لم يدر لها سببا ، فى أن ينقد السائق « بقشيشا » أكثر من سخى ، ولكنه خشى فجاة ان يثير فضوله ، فى حين ان احدى القواعد الأساسية تقول انه لاينبغى ان يلفت اليه الانظار ، ولهذا اكتفى بأن منحه قطعة صغيرة من النقد .

وعندما وصل الى المحطة ، عدل من قامته وراح يمشى فى غير اكتراث بقدرما أمكنه ، على الرغم من هذا الحمل الذى يبدو له كانما يزن فى يده خمسمائة كيلو . ومضى الى الشباك واستفهم عن موعد قيام الطائرة ثم سجل متاعه . . ولم يكن يزيد على هذه الحقيبة ، وكان هذا التسجيل اشق عمل قام به فى حياته ولكنه كان يعلم انه ليس له اى خيار لأنه ، اذا أصر على الاحتفاظ بها فسوف يلفت اليه الانظار حتما ، وقد فكر فى كل هذا منذ ان خيل له ، قبل يومين ، انه سيكلف بهذه المهمة ، ولهذا نظر الى الحقيبة وهى تبتعد فى السلم المتحرك وعندما اختفت أحس بالارتياح كما لو كان قد تخلص من مسئولية كبيرة ، ثم مضى الى غرفة الانتظار واشعل سيجارة .



كان كل ما فعله « للمنظمة » حتى الآن هو جمع الأموال من مكاتب مراهنات السباق المختلفة ، ولهذا فانه لم يعرف لماذا اختير لهذه المهمة المحفوفة بالأخطار .. ربما لأنها لم تكن شديدة الخطر كما يعتقد ، ولا ريب انها في ذهن رجال « المنظمة » مجرد عمل بسيط ، فما عليه الا أن يركب الطائرة ، وعندما تبلغ به شيكاغو كان يجب ان يسلم الحقيبة الى رجال ينتظرونه هناك ثم يستقل طائرة العودة . كان هذا عملا صبيانيا فيما عدا اذا القى القبض عليه طبعا . ولكنه كان لا يرى كيف يمكن ان يحدث هذا ، فان الخطة كانت سهلة .

ربما ابتسم له الحظ اخيرا ، فها هو الآن ، بعد عشر سنوات من انتمائه الى « المنظمة » وهو يعيش عيشة حافلة باعمال ثانوية . ولكنه كان مخلصا دائما ومتفانيا وكفؤا ، وكان واثقا بان رؤساءه قد ادركوا ذلك . ولا ريب أن هذه المهمة تعني ترقيته ، وهي اول فرصة لكي يقوم باعمال اكثر اهمية ، فبعد ان كان يقوم باعمال تافهة غامضة لمدة سنوات ها هوذا يجد الفرصة لاظهار قيمته اخيرا .

كانت افكاره هذه كانها حلم . . . حلم تحليه كل النتائج ، الثياب الفاخرة التي تخرج من اشهر صانعي الازياء ،

والعربات الفارهة والنساء الجميلات وتحيات زملائه واحترامهم له.واخذته رغبة ملحة في ان يفلح في مهمته .

وكان كارل يدخن وهو يفكر في هذه الامور . وقد أوشك ان يهب من مقعده وهو يرى جماعة من رجال البوليس قوامها اثنا عشر رجلا تحتل المطار . واوشك ان يتخلى عن كل حذر وان يبادر الى الفرار ، ولكن الخوف شل حركته شيئا ما . واستنتج في وميض الاستنتاج المنطقي ، انهم لا يمكن أن يكونوا قد اقبلوا للبحث عنه هو . ولم يلبث ان دفعه الفضول فنهض واقفا ودفع باب غرفة الانتظار وتقدم في غير اكتراث الى البهو . كان رجال البوليس قد وقفوا امام شباك التذاكر ، وبينهم رجلان متقدمان في السن ، كان يبدو انهما يشغلان مركزا هاما .

وقال كارل يسأل احدى المضيفات التي مرت به : ما الخبر ؟

أجابت : أوه ، انه رئيس الوزراء .

وتذكر كارل ان رئيس وزراء احدى الدول الأجنبية يزور البلاد، وتذكر انه قرأ في صحيفة الصباح ان الرجل ماض الى شيكاغو بعد أن حصل على المعونة التي طلبها من واشنطن لمساعدة اقتصاد وطنه . ولا ريب انه سيستقل نفس الطائرة التي سيركبها هو .

وتنهد كارل في ارتياح ، ثم هنأ نفسه لأنه لم يخضع للذعر والخوف ويبادر بالفرار . لابد له ان يذكر ذلك لرؤسائه ويريهم كيف تصرف في موقف كان يبدو شديد الخطر !

ثم حانت ساعة الركوب ، فصعد رئيس الوزراء أولا ، وبقي الركاب الآخرون في المؤخرة ، ينظرون الى رجال البوليس وهم يرافقونه حتى الطائرة .

وكانت سيارة النقل الخفيفة قد نقلت الحقائب ، وعادت الى المطار فارغة . ونظر كارل اليها في ارتياح ، فبعد بضع دقائق سوف يصعد الى الطائرة .

وصعد سلم الطائرة ، وجلس مكانه وربط حزامه . وجاءت جلسته امام نافذة استطاع أن يرى من خلالها مبنى الادارة وشرفة الزوار . وكان رئيس الوزراء جالسا في مقدمة الطائرة ، ولم يكن في مقدور كارل ان يراه .

وبعد ربع ساعة ، بعد أن جلس جميع الركاب في اماكنهم نظر كارل الى ساعته ، وتحقق من أن موعد الاقلاع قد انقضى ، وبدأ يشعر بقلق لم تستطع مشاعره الجديدة أن تتغلب عليه تماما . ولعن رئيس الوزراء ، في يقينه بأنه هو سبب التأخير .

ثم رأى رجلين يقتربان من الطائرة ، وكانا يمشيان مسرعين . والقى كارل نظرة حوله . واراد أن ينحني الى الأمام ، ولكن حزام الأمان منعه من ذلك ، الأمر الذي اثار حنقه ، فقد بدا كأنه وقع في الفخ فجأة . وفك الحزام وتركه يقع جانبا . كان واثقا الآن ان امره قد انكشف ، فقد كانت هذه هي طريقتهم ... طريقة رجال البوليس الجهنمية .. تركوه يعتقد انه سينجو حتى آخر لحظة ، ثم جاءوا ينتزعونه الآن من الطائرة ، وليس في مقدوره الهرب الآن .. سيواجهونه بصندوق الهيروين ، لقد فشلت مهمته .. ولكنه أدرك في نفس الوقت انه سيترك نفسه فريسة لمخاوف غير معقولة ، ولم يسعه الا ان ينتظر .

ودخل الرجلان الطائرة ، وتبادلا الهمس مع المضيفة . ثم تقدمت هي الأخيرة في الطرقة وقالت : سيداتي ، سادتي ، يؤسفني أن أقول لكم ان موعد اقلاع الطائرة سيتأخر قليلا ، فيبدو ... وترددت » ثم قالت في ارتباك وهي تبتسم » يبدو أن بالطائرة قنبلة وشيكة الانفجار . هل لكم أن تتكرموا بالعودة الى المطار ريثما نفرغ من تفتيش الطائرة ...

أوشك كارل أن يضحك بصوت عال لفرط ارتياحه . هذا هو السبب اذن

... قنبلة صغيرة حقيرة مؤقتة تحت مقعد احد الركاب . ونهض وسار فى الطرقة ، وكان هو اول من هبط من الطائرة .

وقال احد زملائه وهما فى طريق العودة الى المحطة : ربما كانت غارة عادية ، لاريب ان احدهم قرأ فى الصحف ان رئيس الوزراء سيستقل الطائرة ، ورأى ان يقوم بمزحة صغيرة

قال كارل : هذا محتمل ..

— ارى من الغباء ان تذكر الجرائد تنقلات هؤلاء الناس ، فان فى ذلك اغراء كبيرا للمازحين .

قال كارل وهو يبتسم فى رفق : هذا صحيح !

وبينما هو يدخل المحطة من جديد القى نظرة الى الخلف ، ورأى عندئذ شيئا جعله يتوقف متوتر الاعصاب ، كما لو ان صاعقة هبطت على رأسه ، وراح عمال المحطة يخرجون الحقائب ويعيدونها الى سيارة النقل .

وقال كارل وهو يحاول اخفاء الخوف الذى يعتمل فى اعماقه : ماذا يفعلون ؟

اجابه بعضهم : انهم مضطرون الى تفتيش كل الحقائب ، فلا تزعج نفسك . سوف يفرغون من كل هذا سريعا . انهم سريعون وقديرون !

تسمر فى مكانه فاغرا فمه ، بينما راح الآخرون يتحركون من حوله . واقبل رجال البوليس من جديد لكى يعودوا برئيس الوزراء .

تبع كارل باقى المسافرين وهو مذهول ، يشعر كما لو ان دمه قد تجمد فى عروقه . ودخلوا غرفة انتظار خاصة . بينما كان زملاؤه يجلسون ويثرثرون ، وقف هو بجوار النافذة وراح ينظر الى الحقائب وهم ينزلونها من الطائرة ويضعونها فى سيارة النقل .

ماذا عساه الآن يفعل ؟ هل يهرب قبل أن يفوت الأوان .. كانت هذه فكرة مغرية ، ولكنه لم يكن يستطيع ان يترك الحقيبة بهذه البساطة ، فان رؤساءه لن يقدروا أبدا هذا العمل منه ، فانهم شديدو الدقة فيما يتعلق ببضاعتهم ، خصوصا اذا ما فقدت .

قد تكون هناك فرصة فى أن لا ينكشف أمر الصندوق . وربما يكون التفتيش سطحيا وآليا .. افلا تتسلم المطارات مثل هذا النوع من الانذار دائما ؟.. ان القائمين بالتفتيش ربما اصبحوا متقززين متشككين لكى يقوموا بعملهم كما يجب . ولكن حتى اذا كان الأمر كذلك فان وجود رئيس الوزراء على هذه الطائرة سيكون له اهمية وسيجعل هؤلاء الرجال اكثر اهتماما عن العادة وسيفتحون حقيبته ويفحصون ما بها ، وعندئذ ستستيقظ شبهاتهم ، وسيسألونه ماذا يوجد بها وسيرغمونه على ان يفتحه عندئذ .

مر كل هذا بذهنه وهو ينظر من نافذة غرفة الاستراحة ، وازداد توتره وانفعاله ، واحس كان نارا تتاجج فى صدره . ثم ادرك ان هناك حلا واحدا ، وهو انه يجب أن يسترد الحقيبة قبل انكشاف امرها ، وان يبادر بالفرار بها . هذا هو ما ينتظره منه رؤساؤه ، واذا افلح فى ذلك فسوف يدركون اهميته ويهنئون انفسهم لاختيارهم لهذه المهمة رجلا اريبا ماكرا مثله !

وفجأة ، بدا له ان مستقبله متعلق بهذه الحقيبة . وخرج من الغرفة ومضى نحو شباك التذاكر وقال يسأل الموظفة الشابة :

— معذرة . ولكن اين يقومون بتفتيش الحقائب ؟

ابتسمت واجابت : فى قاعة الموظفين ، بجوار غرفة الانتظار العامة .

ابتعد . ثم توقف . وحاول ان يبدو غير مكترث وهو يعود الى غرفة الانتظار . وعندئذ رأى بابا مكتوبا عليه « قاعة الموظفين » فمضى وفتحه .. كان الحمالون يأتون بالحقائب ويضعونها

اكواما فى غير حرص .. وكان رجال البوليس لا يزالون مع رئيس الوزراء ولم يعد احد منهم بعد. وكان الباب الاخر يطل على ارض المطار . واغلق كارل الباب الذى دخل منه وانتظر .
كان هناك حمالان يضعان الحقائب التى ينقلانها من سيارة النقل . وراحت عينا كارل تلتهمان كل حقيبة فى انفعال شديد ، ويقول لنفسه ان الحظ قد يخدمه .

وخرج العاملان . وعادا بالسيارة الى الطائرة لياتيا بباقى الحقائب . وأسرع كارل وابعد بعض الحقائب لكى يبحث عن حقيبته . وظهرت له الحقيبة أكثر ريبة وتورطا من أى وقت مضى .

وانحنى والتقطها ، وردد البصر حوله فلم ير احدا فاسرع بالعودة فى خطوات كبيرة نحو باب القاعة وهو يحدق امامه كالانسان الآلى . وبدا يشعر بالدوار .

وما هى الا لحظة حتى كان قد خرج وتقدم فى البهو المزدحم بالمسافرين . لم يعد يشعر بالخوف .. ولكنه لم يشأ أن يستسلم للفرح خوفا من أن يبدو تفاؤله على وجهه . غير انه لم ير سببا لكى يحدث هذا . وكان باب الخروج الدوار أمامه فتقدم وانفتح الباب المكتوب عليه « خروج » وخرج. واجتاز العتبة ولم يلبث أن وجد نفسه فى الخارج .

وسار بضع خطوات وابتعد عن المحطة وهو يرتجف لفرط الانفعال ، وكان يكاد يطير من الفرح الآن ، واستدعى سيارة أجرة استقلها وصفق الباب خلفه فى ارتياح . وذكر العنوان للسائق ثم اضطجع فى مقعده الى الخلف وعقد ذراعيه ، وأحس بالغرور ..!

وبعد نحو نصف ساعة صعد كارل المصعد بمسكن فخم . وطرق الباب طرقة خفيفة فانفتح على الفور ، وظهر شاب قوى شاحب الوجه يشهر مسدسا فى يده .

وساله الشاب : اعدت هكذا سريعا
أجاب كارل : نعم ...
واغلق الشاب الباب فى حين قال كارل : أين هم ؟
ـ انهم مجتمعون ولا يمكن مقابلتهم الآن !
ـ ولكن الأمر هام ..
ـ وما هو ؟
قال كارل وهو يشير الى الحقيبة :
ـ هذه ...
ـ ما عليك الا أن تتركها !
ـ يجب أن اتحدث معهم !
اخذ الشاب الحقيبة منه وقال :
ـ ساعطيها لهم . انصرف الآن ، فانهم ينتظرون بعض الزوار .

وفى المسكن ، جلسوا حول منضدة كبيرة من الخشب الثمين خلف باب مغلق .

وقال احدهم يخاطب زميلا له : ان الشىء الذى يثير دهشتى هو انك قبلت عملا من هذا القبيل .

هز الآخر كتفيه وقال : ولماذا ؟ .. ان نقودهم لا بأس بها كغيرها .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ، ودخل الشاب ذو المسدس ، والحقيبة فى يده ولم يلتفت اليه أحد . وانتظر لحظة ثم وضع الحقيبة فوق الأرض وخرج.

ـ ومن الذى ذهب بها الى الطائرة ؟
ـ كارل لوكا ... منذ سنوات وهو يقوم باعمال تافهة لنا . وقد قلنا له ان بها شحنة من الهيروين لشيكاغو . والحقيبة بها شحنة من الديناميت تكفى لنسف اثنتى عشرة طائرة .

ورفع المتكلم يده لكى ينظر الى ساعته ثم اردف يقول :

ـ ويجب أن تنفجر فى هذه اللحظة تقريبا .

وكان كارل يجتاز الشارع عندما سمع الانفجار . ورفع راسه وهو يرى شظايا من الزجاج تقع عند قدميه !

صفحة من كتاب جديد

على بعد خطوات منك

لكنك لا تدركه أبدا

أركض ، انا أركض معهم الى المخبأ ...
... يدفعوننى من الخلف بأيديهم ، بأجسادهم ، فادفع الذين أمامى .. تتخبط سيقاننا بعضها ببعض.

امام المخبا ، يسقط احدنا على الارض .. يسيرون فوقه ،يتدحرج فوقه الجميع ، وينسد باب المخبا ، ويغطينا التراب ..

على بعد خطوات منك ، لكنك لا تدركه أبدا .. تسعى اليه بكل قوتك ، لكن هناك ما يشدك الى الخلف ، أو يجعلك ثقيلا جدا ، أو يبتعد الباب عنك ...
انا أركض ، أركض ...

•

تضغط على ذراعى ... تلتصق بى . والقبو يهتز . رائحة البارود ملأت فراغ القبو الضيق ..
اختلطت رائحة البارود برائحة بقايا الزجاجات الفارغة والبصل والثوم..

انزلق منديلها الأحمر من فوق راسها ، التقطته ، مدت يدها لتاخذه منى ...

قلت لها : اتركيه لى ، سوف احتفظ به ...

•

اضاء احدهم نورا اصفر شاحبا . رأيت الوجه والعينين من خلال الضوء الشاحب المتقطع ...
اسأل نفسى : ما الذى يبقينى هنا ولماذا أتتبعها ؟ .. وددت لو اقوم واخرج من القبو ، أسير تحت وابل القذائف والصواريخ ، والقى الى الريح بالمنديل الأحمر ...

يعود الضوء لاراها تشبك يديها فوق صدرها ..

ستقول لى : من انت ؟ .. ماذا تريد ؟ ساقول لها : اننى صديقه ، وقد عرفت كل شيء كان بينكما ..

كنت اريد معرفة مشاعرها عندما قتلته شظية ومات بين الانقاض فى حجرته ...

وتحسست المنديل فى جيبى ، منديلها ...

من كتاب :
عبر الليل نحو النهار
تاليف : محمد الراوى

يمشي رويدا .. ويكون أولا !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

جناح المطالعات ، في مجلس الاسمار . « هو » ، مستغرق في اوراق حوله وبين يديه ..
و « هي » ، رائعة الحنان ــ تقبل باسمة ، تتالق في عينيها دعوة للنجوى والحوار ...

هي ــ : الليلة ، فيما يبدو ، مولاى مشغول ...

هو ــ : مشغول يا ... حسن زاد .

هي ــ : حسن زاد من ؟ .. وجه آخر لشهر زاد ؟!

هو ــ : لا ، ولا حتى لشهر ناز !

هي ــ : ومن شهر ناز ؟

هو ــ : اسم فارسي رقيق ايضا ، ومعناه ((مدينة الدلع !)) ...

هي ــ : آه ...

هو ــ : وفي الموسيقى العربية عندنا فان « شهرناز» اصطلاح تعرف به تركيبة لحنية تبدا في المنطقة الحادة بنغمة الراست على الكردان ، ثم بنغمة الراست على النواة ... ، و ....

ولنمسك الآن عن مغريات هذا الافق البهيج !

هي ــ : وكنت اسال عن حسن زاد ... فماذا اذن لو سالت عن حسن شاه ؟

هو ــ : عن حسن شاه ، ياعزيزتي، لا يفتني وحسن شاه في المدينة !

***

هي ــ : ليت انا نرجع بالحوار عودة على بدئه ...

هو ــ : وماذا لو رجعنا ؟
هي ــ : كنت اسالك مولاى ، الليلة ما يشغلك ؟

هو ــ : آه ، انها الرحلة الجديدة !

هي ــ : رحلة وانت ، كما ارى ، لا تستعد ، وانما تقرا ؟

هو ــ : وما يمنع ؟..

هي ــ : لعلها اذن رحلة جديدة فى ادب الرحلات ؟

هو ــ : لا !.. فلا جديد تحت هذا العنوان بعد انيس منصور !..

هي ــ : ولكنــــــه الآن لا يكتب الرحلات !

هو ــ : ربما لانه وصـــل ، لم يعد يرحل !.. أصبحت العير ترحل اليه !

هي ــ : العير ؟! ..

هو ــ : دعيها له .. هو يعرف ، هو يفهم ، و ... وقد يضحك !

هي ــ : يا مولاى ... انت مقلق !..

هو ــ : اذن ، فانا اكتب ! ..

***

هي ــ : ... وعند كل ســؤال ، يا مولاى ، لك قبل الجواب ، سبحــــة وحوار ؟!

هو ــ : ربما لانه في مثـــل هـــــذه الايام ، منذ نصف الف والف عام ، سبق من قال :

تسالنى ام الخيار جملا ...

يمشى رويدا ويكون اولا ! ..

هي ــ : حمــــدا لله انى ليس لى طموح أم الخيـــار ! .. انى اســــال فقط عن ، عن ...

هو ــ : الرحلة الجديدة !

هي ــ : كما قلت ، رحلتك الليـــلة ... الى اين ؟ ..

هو ــ : الى اعماق نفسى ! ...

هي ــ : آه .. ليتك يا مولاى خطـــر لك أن تصحبنى معك ؟!

هو ــ : وما يمنع ؟ .. انها فى ذات الوقت رحلة فى نفس كل ذى نفس !

هي ــ : و ... ولكن الا تشفق ان تتعثر هناك فى مكامن المجهول ، وتيارات اللاوعى ، والعقد ، وال ...

هو ــ : لا ، لا ... فاننا نرحل مع النجوم فى سماوات العلم الحديث ، لنعود بمفاتيح جديدة يعرف بها كل منا بعض نفسه ، ويفيد منها فى حياته ، كل حياته ، مع الناس والعصر ! ..

هي ــ : الآن يا مولاى هيا بنا ... نطلب مفاتيحنا ! ..

***

انظرى .. كل هذه الاوراق ، يا رائعتى ، محصلة دراسة علمية حديثة عن « الدورة النفسية » ، احتشد لها ورصد تجاربها ، علماء نفس وأطبــــاء كبار ... ثم جعلوها خاصة للزعمـاء والشخصيات ورجال الاعمال فى بعض عواصم العالم ، فقدموا لهم نتائجها ، ويسروا خطواتها لتكون لهم كالمفاتيح يعرف بها كل منهم ــ مسبقا ــ حالتــــه النفسية وما تكون عليه اليوم وغــدا وبعد غد .. فينظم فى ضوء ذلك شئون حياته وعمله بما يكفل له سلام النفس وغبطة التوافق والتفوق !

وعن طريق خطا ، او تشابه الاسماء، جاءتنى هذه الاوراق عنها . من وراء البحــار ... هي الليلة سهرتنا ... نعربها ، ونعدها لنجربها ، وليجــرب معنا بنفسه ، من يشـــاء ان ينتفع بمعرفة بعض اهم أسرار نفسه ! ...

***

« .....

.. كل شىء كما كان ، والذى حدث الآن ، حدث قبل الآن .. ولكنك انت الذى تغير ! ..

اكثر من خمس مرات خلال هــذا الاسبوع، والدنيا ليل يتنفس الصمت شعرا بغير كلمات ـ قدموا لك الشاى فى كوب بدون طبق ، فكنت تتنـاوله راضيا ، باسما ، لا يلفتـك فى شىء نقص ذلك الطبق الصغير ، فالمهم عندك

ان الشاى مضبوط ، وبالقرنفل كما تحبه دائما وتفضله .. وما دمت فى بيتك ، بحريتك وعلى طبيعتك ، فـلا داعى لقيود المظاهر والمكملات ! ..

ولكن ... هانت ذا اليوم ، وبعـد أقل من أربع وعشرين سـاعة على تبسطك وسماحتك ، ولـم تكد ترى كوب الشاى بغير طبق ، حتى انفجرت غاضبا ، ثائرا ، تندد بهـذا الاهمال الذى لا يحتمل ولا يغتفر !

كانت ثورتك جامحة ، اقسى مافيها بالنسبة لمن حولك ، انها مفاجئة ، وانها تقريبا ، بلا سبب !

ولكن ، هل صحيح انها ثورة بـلا سبب ؟

الحق ، والواقع ، ان لكل شىء ووراء كل شىء ـ سببا ..

ومثل هذه الثورات التى تقع لكل منا ، فى بيته او فى عمله ، لها اسباب ظاهرة ، وسبب واحد خفى مجهول !..

الاسباب الظاهرة ، فى محيط العمل ، قد تكون نمة (من النميمة) يفتريها عليك صاحب وزميل ... وقد تكون اوراقا ضائعة، أو قلم حبر نفد حبـره فى لحظة حرجة .. أو فنجان قهوة تنتظره انتظار « جودو » !

... اما السـبب الآخر ، الخفى المجهول ، فهو شىء تسمع به ، ربما ، لاول مرة ...

انه : « الدورة النفسية » !

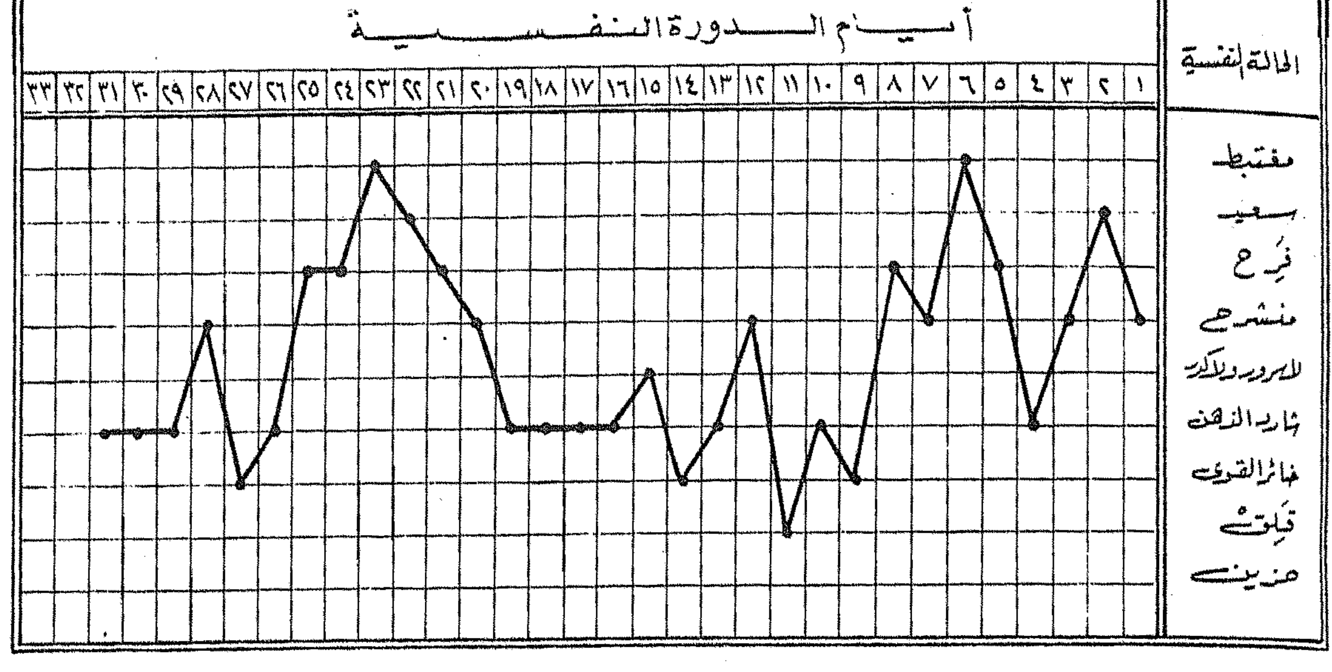
ان «الدورة النفسية» عند الانسان ـ وان لم تسمع بها قبل الآن ـ حقيقة كشفت عنها الدراسـات العلمية الحديثة ، وهى تختلف بطبيعة الحال عن الدورة المعـروفة عنـد حواء ، وليست لها آثار ظاهرة ... انها ، بوجه عـام ، مجموعة مؤثرات ترسـب فى أعماق الشعور ، ولذا كان العلمـاء والاخصائيون يسـمونها فى بداية اكتشافها « الدورة الشعورية » ! ..

وهى تعترى الرجل فى فترات تكاد تكون منتظمة ، وتتم دورتها فى نحـو خمسة اسابيع ، وقد تطول أكثر مـن ذلك أو تقصر، حسب العوامل الخارجية ... فهى مثلا قد تطول مع برودة الجو وتقصر كلما ارتفعت حرارته ، كما انهـا تختلف باختلاف المزاج الشـخصى والظروف الخاصة ...

والرجل منا حين تحل به هـذه الدورة ، يكون عصـبيا ، حزينـا ، لا يعجبه العجب ، ولا يسمع له صوت يدندن وهو يعقد ربطة عنقه لموعد هام ... وتنسد نفسه عن الغناء لنفسـه وهو فى الحمام !

ان انتقـال الانسان من حالة السرور الى الانقباض ، أمر مألوف مسلم به ، وقد ثبت بعد دراسة علمية طويلة ان ارتفاع الحالة النفسية وهبوطهـا يتواليان بانتظام يكاد يكون كانتظـام المد والجزر ... والتعليـل العلمى لوجود هذه «الدورة النفسية» يقول

ان انتاج الانسـان من النشـاط واستخدامه لهذا النشاط ، لايسيران متوازيين تماما . فنحن اولا ننتج من النشـاط أكثر مما نستفيد ، فنزداد ابتهاجا ونصبح أكثر حيوية وأقـوى روحا ... ويدفعنا هذا لأن نستهلك من النشاط أكثر مما ينتج كياننـا ،



وقالوا : لكى تعرف حالتك النفسية ، مسبقا ، اليوم وغدا وبعد غد .. : ارسم لنفسك بيانا للدورة النفسية كهذا البيان ، واملأ الخانات فيه من واقع ما تحس به فعلا ، ويوما بيوم . ولتكن هذه لحظة البداية ..

ويظل الحال كذلك الى ان يحدث استنفاد النشاط الزائد رد فعل فنهبط هبوطا حادا ، ونشعر بالتعب والاكتئاب ، وضعف الأمل ..

والسؤال الآن :

هل لهذه الدورة وازمانها مواعيد محددة يمكن معرفتها ؟..

ثم ، ما الذى يمكن ان تعنيه هذه الدورة النفسية بالنسبة لك ؟.. ماالذى يهمك منها ... وهل لها فائدة عملية فى حياتك ؟ ..

والاجابات عن كل هذه الاسئلة هى : نعم .. وبالتاكيد !

***

ان معرفتك للدورة النفسية فى حياتك، وحسن انتفاعك بهذه المعرفة ـ هما دعامة النجاح فى علاقاتك بالناس ، كل الناس ، فى محيط عملك ، وفى حياتك الخاصة أيضا ..

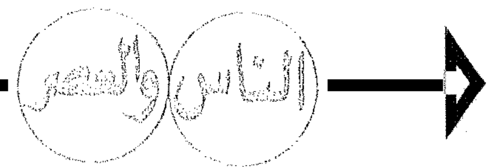
مدة هذه الدورة النفسية عندك: من ثلاثة وثلاثين الى ستة وثلاثين يوما ، قد تزيد قليلا فى بعض الحالات وقد تنخفض ، ولكن ذلك هو التقدير السائد فى معظم الأحيان ..

وهى تتيح لك أن تعرف فى أى الأيام ستكون راضيا ، منشرحا ... وفى أيها تنتابك الكآبة والقلق ...

والخطوة الأولى لتحقيق هذه المعرفة ، هى أن تسجل كل مساء ، قبل النوم ، الحالة النفسية التى كانت غالبة عليك فى يومك .. اذا كنت مبتهجا ، فاكتب أمام اليوم والتاريخ « مبتهج » ، واذا كنت مكتئبا فاكتب « مكتئب » ... وهكذا . ثم استمر فى التسجيل يوما بعد يوم الى أن تمر بمختلف الحالات النفسية مرتين على الأقل ،أى حتى تكون لديك دورة نفسية كاملة ...

ولكى يتم ذلك بطريقة دقيقة وافية ، أعد رسما بيانيا كالذى تراه منشور هنا .. خذ ورقة ذات مربعات وسطر عليها خطوطا رأسية متساوية الأبعاد ، تمثل أيام الشهر ، وارسم فى وسطها خطا أفقيا بارزا ، يمثل حالة التعادل أو التوازن النفسى ، خصص ما فوق هذا الخط لتسجيل حالات السرور ، وما تحته لحالات الكدر ..

ويحسن أن تكون الورقة كبيرة الحجم



بحيث يتيسر لك أن تدون الحالة النفسية طوال ثلاثة أشهر ، لتكون الدورة دقيقة بقدر الأمكان ..

لا تنس أن الرسم البياني المنشور هنا مجرد نموذج ترسم مثله ولكن لا تملأ الخانات الا من واقع ما تحس به فعلا ، ويوما بيوم ، فتسجل كل يوم الحالة النفسية التى كانت غالبة عليك بوجه عام خلال يومك ..

اذا كان الشعور الغالب علي يومك بصفة عامة هو الأغتباط مثلا ، فضع علامة أمام تلك تحت ذلك اليوم نفسه ... واذا كان الشعور الغالب علي يومك هو القلق مثلا ، فضع علامة أمام تلك الحالة وهكذا ..

والشيء الوحيد الذى ينبغى ان يسبق قيامك بهذه المهمة ، هو التأكد من ان غدتك الدرقية تؤدى وظيفتها بسلامة واعتدال ، فان لهذه الغدة تأثيرا كبيرا فى مزاج الانسان ، وبالطبع امرأ كان أو امرأة !

***

والآن ، فلتكن هذه لحظة البداية ..

لا تعتذر بالمشاغل أو بالتعب عن اعداد ورقة كهذه تسجل بين سطورها مؤشرا عن حالتك النفسية ليلة بعد ليلة

اعتبرها « مشقة اضافية » صغيرة لحساب أيام نعيشها ، والعيش كل يوم رحلة عذاب طولها ما بين الصباح والصباح !

على انها ــ هذه المشقة « الأضافية » ــ لا تدوم اكثر من أيام معدودة ، بينما تدوم لك ثمراتها ، وتبقى مصدرا تتزود منه بما يعينك على فهم نفسك ، وفهم النفس غاية نعبت فى مراسها الافهام !

ان تسجيل المؤشرات فى هذا الرسم البيانى من واقع حالتك النفسية يوما بيوم ، ولمدة ثلاثة أو ستة وثلاثين يوما سوف يضع أمامك فكرة واضحة ستكون عليه حالتك النفسية بعد ذلك لأن الدورة النفسية بعد هذه المدة سوف تكرر نفسها فى حياتك ، وتعود فى نفس المسار مرورا بالحالة التى مرت بها من قبل ...

اذن ، ومن واقع المؤشرات فى الرسم البيانى ، فسوف تعرف حالتك النفسية اليوم ، وغدا ، وبعد غد ...

ستعرف اليوم الذى تكون فيه فى حالة نفسية عالية ، وذلك يتيح لك أن تنجز الأعمال الخاصة واللقاءات الهامة بكفاءة ونجاح ..

وستعرف اليوم الذى تكون فيه علي العكس من ذلك ، أى فى حالة نفسية يشوبها الضعف او الاكتئاب او القلق فتتحاشى القيام بماينتطلب قدرات نفسية عالية ، وما قد يعرض للاصطدام بمن حولك فى البيت أو العمل ..

ومن خلال معرفتك بأيامك الطيبة التى تكون فيها رضى النفس ، مغتبطا ، متجدد الحيوية ، واللطف والأبتسام ، فسوف تفيد من ذلك أعظم النفع فى معاملاتك وعلاقاتك مع نفسك أو أهلك ، مع الآخرين ...

**والآن .. ومع نموذج هذا الرسم البيانى للدورة النفسية ، فانك ــ لاشك ــ تتعجل اللقاء مع هذه التجربة الجديدة الواعدة بعناصر نجاح لحياتك وتفوق ، ونصر كبير ...
أليس كذلك ؟ ! ..**

● السهرة ممتدة ●

● والليل موصول ●

ضحكات شعرية

عبد العليم القباني

شكوى

أشكو إلى الله قوما قد صحبتهمو
وكان ظني فيهم أنهم بشر
فظننت أن ثمار العلم تمنحهم
ذوقا وظرفا ولكن خانني النظر
أقول كي تستريح النفس هم بقر
فتشمئز وتلوي روسها البقر !

سقوط المقطم

جاءت تغط القلب غط
وتخط وجه الأرض خط
وقراء إن خطرت تحطم
تحت خطوتها الزلط !
وتحس عند جلوسها
أن المقطم قد سقط !
يا قوم إني شاعر
لم أعشق الأفيال قط !

دعوة الى « الريجيم »

دعاني للعشاء أبو سليم
وويلي من عشاء أبي سليم
جلست على الأريكة في انتظار
وليس كقسوة الزمن اللئيم
إلى أن كدت آكل من ضلوعي
وأزدرد البقية من أديمي
وجاء طعامنا فدنوت منه
كما يدنو الحميم من الحميم
وإذ بالشيخ يصرخ في ارتياع
كذي ذنب على باب الجحيم
ويحلف غير مدخر يمينا
بأن الله أوصى بالرجيم !


الإسلام
و
العصر
ـة أعداد الهلال الخاصة




Bibliotheca Alexandrina
0551954